عربي

٢٢ - محرم ١٣٩٨ - يناير (كانون ٢) ١٩٧٨





فن العرائس يتجدد
بعد أن عرفه العرب من قديم



العرب وافريقيا
ساحة الصّراع الدولي الجديد
"جزء خاص"

هديـة
لوحة الحواس الخمس

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

5/02

القسم العام :

سياسة واقتصاد :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

شخصيات :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 230 January 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغـلاف

● منذ عرف الانسان كيف يعبر عن نفسه ، كانت العرائس احدى وسائل التعبير • وعند العرب احتلت العرائس مكانا حتى خصص العالم العربـي الرزاز الجلدى كتابا عنها باسـم « كتاب الجامع بين العلم والعمل » كما كتب ابو عامر الاندلسى « الباهر فى عجائب الحيل » •• وعلى الصفحات من ١١٤ الى ١١٩ ، رحلة فـي عالم العرائس بكل ما فيه من طرافة واثارة وجمال •

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢ر٥ دينار • المغرب ٢ر٥ درهم • اليمن ٢ر٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •

« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

« كتب هذا الحديث وأعد للطبع ، قبل الانفجار المفجع الاخير فى علاقات الحكومات العربية ٠ والا لاستوجب الامر حديثا اطول وانسب ! »

سنة التمزق

٠٠ ومن الواجب انها ليست اول سنة يمكن ان يطلق عليها هذا الاسم ٠ عرفنا قبلها سنوات وربما سنعرف بعدها سنوات، يمكن ان تحمل بدورها هذا اللقب ٠ولكن الذى لا شك فيه ، هو ان سنة ١٩٧٧ التى انقضت تستحق هذا الاسم عن جدارة واستحقاق ٠

والذى يجعل هذه الحقيقة اقسى على النفس ، انها كانت سنة حافلة بالامتحانات القاسية التى واجهت الامة العربية :الامتحانات التى من شانها ان توحد الصفوف ، وتجمع الشتات ٠ سنة من سنوات الضغط على العالم العربى فى مجالات كثيرة ٠ ضغوط تذكرنا بكلمة جمال الدين الافغانى حين اشتد الاستبداد وضاق الحال بالعباد ، فقال فى تفاؤل « بالضغط والتضييق تلتحم الاجزاء المبعثرة ٠ والازمة تلد الهمة ! » ٠

ولكن هذا الذى حدث فى عالمنا العربى كان غير ذلك ٠ فامام الضغط والتضييق لم تلتحم الاجزاء المبعثرة ، بل زادت تبعثرا ٠٠٠

ونحن فى هذا المنبر، لا نتعقب الاحداث فى تفاصيلها . فالمجلة الشهرية وجدت لتامل الاحداث فى مجموعها، وللنظر اليها من بعيد ٠ لان الفرق فى تفاصيل الاحداث له ضرورة ٠ كما ان تامل الاحداث فى مجملها ومن بعيد له ضرورة اخرى ٠ فالمشهد من المكانين مختلف ٠ ورؤية المشهد من المكانين ضرورية ، لاتغنى احداهما عن الاخرى ٠ خصوصا حين تكون المناسبة ـ اول عام جديد ـ تدعو الى رؤية احداث ٣٦٥ يوم فى نظرة كلية شاملة ٠ ولا اقول كذا الف ساعة ٠ لان عالم اليوم تتلاحق فيه الاحداث بالساعات احيانا وليس بالايام فحسب ٠

فحين نسترجع ما جرى خلال سنة ١٩٧٧، سوف نجد ظواهر تلفت النظر ٠٠

● فى السياسات العامة ازاء القضايا القومية الشاملة ـ اسرائيل ، البترول ، الصراع فى القرن الافريقى (الصومال واثيوبيا واريتريا) ، الحرب الاهلية اللبنانية ـ لا نجد موقفا قط تجمعت فيه كلمة الدول العربية كلها ، أو على الاقل توحدت فيه كلمة « اغلبية ساحقة » من هذه الدول ٠٠ ازاء القوى الخارجية ٠٠

● فى السياسات العربية الداخلية ـ اى بين العرب وانفسهم وليس بين العرب

العربى ..!!

بقلم : أحمد بهاء الدين

والعالم ـ نجد ان الخلافات تصاعدت ولم تتراجع • فاكثر من حدود عربية ـ عربية، جوها مكهرب ، وسماواتها مكفهرة ، محملة بالنذر الخطيرة • واحيانا وصل الامر الى حد القتال ، وجرح لبنان الذى توقعنا أول سنة ١٩٧٧ أن يندمل، ظل ينزف حتى آخر شهر من تلك السنة تقريبا •

● وبنفس النظرة الى الامور من بعيد ، نرى ظاهرة اخرى خطيرة ، وربما لا نحس بها حين نصادفها فى جزئياتها كل يوم بيومه ، ولكننا نراها واضحة حين نجمع الجزئيات فى « كل » واحد •

هذه الظاهرة ، هى تصاعد النبرة الاقليمية فى الكثير من الاقطار العربية ، القديمة منها والناشئة •

وبالنسبة لى ، فاننى لم اكن ابدا من القائلين بالتعارض الحتمى بين الروح الوطنية المحلية والروح القومية العامة • فالروح الوطنية لا يمكن قهرها ، وليس من الصواب قهرها باساليب مصطنعة أيا كانت • وهى اذا ظلت فى حدودها المعقولة ليست سلبية الاثار على النزعة القومية . ثم ان ظهور الروح القومية العربية وتصاعدها فى الربع قرن الاخير ، اقترن بمولد كيانات عربية جديدة فى صورة دول مستقلة ، فكان على المواطن فى اقطار عربية كثيرة ـ لم تكن دولا من قبل ، او كانت هويتها محل نزاع ـ كان على المواطن فى هذه الحالة مواجهة مرحلة قلق بين الصفة المحلية والصفة القومية ، حتى يصل الى الانسجام المطلوب •

ولكن المشكلة التى اشير اليها واعتبرها ظاهرة سلبية ، فى كشف حساب سنة ١٩٧٧ ، هى حين تكون الدوافع الى اذكاء الروح الوطنية الاقليمية سلبية ، مضادة لمسيرة الاتجاه القومى بوجه عام ••

والسبب بالطبع يرجع الى التفسخ العربى العام فى سياساته ازاء الغير ••

ويرجع ثانيا الى ما حدث من تفاوت شديد بين الدول العربية فى حظوظ الفقر والثراء •••

ويرجع ثالثا الى الحرب الصليبية الشاملة التى يشنها العالم بمختلف قواه على الامة العربية ، وساتحدث عن هذا السبب بمفرده بعد قليل ..

ويرجع رابعا الى سبب قد يبدو غريبا ، وهو حاجة العرب النفسية بصفة عامة ، حاجة ماسة ، الى « نصر عربى » كبير . نصر من اى نوع . نصر عسكرى أو سياسى أو معنوى . فالعربى يشعر أن لديه المال . ولديه الخبرة . ولديه التراث . ولديه العقيدة . ولديه الموقع الاستراتيجي . ولكنه لا يحرز نصرا ما ، بمستوى هذه الاشياء المتوفرة له . والتعطش الشديد فى هذه الحالة ، يولد نفسية سلبية خطيرة . فى ظل هذه المحن كلها ، يسهل على الحاكم احيانا ان يدعم وجوده باذكاء روح اقليمية متعصبة ، وهى روح من السهل دائما اشعالها . واحيانا يسهل على دولة اخرى ان تبعد بسفينتها عن بحر السياسة العربية الهائج ، عن رغبة فى النجاة من الاخطار ، فتجد نفسها تنمى الروح الاقليمية ولو دون ان تدرى .

واحب هنا ، ان اقف قليلا عند البند « ثالثا » عن الحرب الصليبية الشاملة التى يشنها العالم بمختلف قواه على الامة العربية » .

فمنذ اكثر من سنة كتبت فى هذا المكان تحت عنوان « نحن نعيش الان الحرب الصليبية العاشرة » ولا اريد ان أعيد ما كتبته من قبل .

ولكن الامر خلاصته أن الحروب الصليبية القديمة والحديثة كانت دوافعها سياسية واقتصادية وقومية وحضارية وليست مجرد دينيه . وكان السبب الدينى يشحب مع الزمن ويزيد اثر العوامل الاخرى تدريجيا حتى عصرنا الراهن ..

ولكن الحقيقة تبقى قائمة . كان الغرب التوسعى ، الذى يتقدم فى اطراد ، يريد ان يغزو ، او يخترق او يحطم تلك الكتلة الكبرى التى استوعبتها يوما عقيدة واحدة وثقافة واحدة .. من قلب القارة الهندية الى المحيط الاطلنطى .

وفى العصر الحديث حين ظهرت القوميات ، بميت المنطقة العربية على الاقل من هذا العالم متماسكة . متماسكة فى جذورها وفى تراثها وفى عقيدة اغلبيتها الساحقة ، حتى ولو مزقتها الاحتلالات ، ورسمت حدودها اعتسافا على موائد بعيدة فى لندن وباريس .

وفى الوقت الراهن ، وقد تحررت الامة العربية من الاحتلال الاجنبى لكل اجزائها وبعد أن احرزت انتصارات مرموقة فى فترات ما ، وبعد ان اضيف الى اهميتها الاستراتيجية ، والى احتمالات توحدها او تكاملها باى شكل كان ، بعد أن اضيف الى هذه العناصر ، عنصر آخر هو تركز معظم مخزون البترول فى العالم ، وهو المادة التى قامت عليها الحضارة الحديثة الى الان ، وما تلا ذلك من تدفق المال من خزائن الغرب الى هذه المنطقة .. بعد هذا كله صار للامة العربية امكانيات هائلة ، لن يسمح لها العالم الخارجى بسهولة أن تلتقط انفاسها ، وتنفض غبار التخلف عن ثيابها ، وتضع أقدامها بثبات على عتبات قوة جديدة ، تجعلها قادرة على ان تزاحم بكتفيها القوى الاخرى المتحكمة فى عالم الامس واليوم .

هذا وضع يتحدى الاوضاع العالمية الاخرى .

هذا مستقبل عربى يحاربه العالم اجمع .

واذا كنت لا اقصد العالم اجمع تحديدا،فانني اقصد معظم القوى الاساسية الفاعلة فى العالم ...

الولايات المتحدة لا تقبل هذا الوضع ،وقد اصبحت دولة مستوردة للبترول،فضلا عن مصالحها كدولة كبرى .

الاتحاد السوفييتي لا يرضيه هـذاالوضع ، اذ يصبح لـه جار قوى آخـر ، قريب جدا منه ، ويتحكم فى كثير مـن منافذه .

كتلة غرب اوروبا لا ترضى بهـذاالوضع ، اذ تصبح معظم سواحل البحـر الابيض المتوسط متجمعة فى ارادة واحدة.وتصبح هذه المنطقة الفاصلة او الموصلة بينها وبين باقى افريقيا مجمعة فى ارادةواحدة ، تحدثها كما تحدث العالم بلغـة واحدة .

ولقد قلت فى حديث آخر منذ زمـن ،العالم سيشن على العرب خلال السنوات الحالية والمقبلة ، اى آخر الثمانينات على الاقـل ، حربا صليبيـة شاملـة ، متعددة الوسائل والاهداف والاتجاهات .. حتـى يستنفد طاقته ، ويبدد ثروته ، ويضيع على امتنا فرصة لم تسنح لها منذ الـسفسنة ، للانتفاض .

ونستطيع هنا ان نتحدث عما رايناه وشهدناه فعلا ، دون ان نلجا الى الاستنتاج والتخمين ...

● ان الخلافات العربية امر نحـن المسئولون عنه قبل غيرنا.وما عدنا اطفالا سذجا . ولكن هذا لا ينفى وجود الدور الاكيد للايدى الاجنبية فى اذكائها . ومن يراجـع الوثائق القديمـة التى نشرت ،والمراجـع الجديدة عمـا يحـدث وراء الكواليس ، والمبالغ الهائلة التى تدفع ..الى آخره .. لا يجوز له ان يستبعد دور هذه الايدى الاجنبية بهزة رأس .

ان وسائل هذه الايدى لا تنتهى . وهى تفوق فى غرابتها الخيال . وما تجنيه من هذا الدهاء كثير . من الناحية السياسية تنعدم القوة العربية تقريبا ازاء العـالم وتصبح كما قال كاتب عربى كبير « قوة صوتية » فقط . ومن الناحية الاقتصادية تنقذ قوى الغرب نفسها ، بايجاد ظـروف تجعل الدول العربية تدفع لها آلاف الملايين كل سنة ثمنا لشراء اسلحة اغلب الظـن انها لن تستعمل يوما فيما وجدت مـن اجله . ومن الناحية المالية ، تلعب الاموال العربية اكبر دور فى استمرار الحركـة المالية فى دول عالم الغرب . ومن الناحية البترولية ، يستخدمون بترولنا ويحتفظون قدر الطاقة بمخزون بترولهم .

ثم انه ليس مصادفة اشتعال كل هـذه الحرائـق على الحدود العربية ، وعلى مقربة من الحدود العربية ، كالحرائـق الناشبة فى بلاد القرن الافريقى ، وحـيرة العرب ازاء اشياء ومفارقات تجرى كالالغاز فى الصومال واثيوبيا واريتريا، والعرب فيها احيانا طرف ، واحيانا ليسوا بطرف.وتحرك الدول الكبرى عند هذا الجـزء العربى ، ثم الواقع عند خط التماس بين العرب وسائر افريقيا ، فضلا عن كونـه موقعا حاكما لمدخل البحر الاحمر .

لماذا قفزت روسيا من الصومال الـى اثيوبيا؟ولماذا سكتت امريكا ـ حتى الان ـ عن قفزة روسيا الى اثيوبيا ، احـد اهـم معاقل امريكا حتى وقت قريب ، اهم لها

على الاقل من انجولا التي جربت التدخـل فيها ؟ ولماذا شجعت أمريكا وغرب أوروبا الصومال اول الامر ، ووعدوها بالسلاح ،فلما تورطت الصومال تماما ، تركوها لشانها وسحبوا الوعود •• ؟

امور تحتاج الى تامل عميق،لا تجرفنا فيه التيارات السطحية كالعادة ••

وهى امور هامة ، لانه ربما يتوقف على المسلك العربى • فى هذه المنطقـة التى تتداخل فيها العروبة بالافريقيـة الزنجية ، ويتداخل فيها الاسلام بالمسيحية والوثنية والقبائلية •• اقول ربما يتوقف على المسلك العربى فى تلك المنطقة المعقدة، علاقات العرب بكامل العالم الافريقى ••وقوى كثيرة وكبيرة تريد عزل العرب عـن العالم الافريقى ، وليس من مصلحة العرب ان يحاط بهم من الجنوب ولا خلق خط من العداء عبر القارة الافريقية ، عـداء مصطنع وغير حقيقى وليس فى مصلحـة اى من الطرفين •• انما هو فى مصلحـة الذيـن يدبرون لنـا « حرب الانهـاك والاستنزاف » اينما استطاعوا الى ذلك سبيلا •

ومن السلبيات العربية الهامة ، التـى تحدث دائما ، حتى تعودنا عليها منذ زمن، ظاهره اخرى لم تنفرد بها سنة ١٩٧٧ ،ولكنها تكررت فيها ، ولا بد من اثارتها لدى الرأى العام العربى وخلق تيار مـن الاعتراض عليها •

ان الحكومات العربيه تختلف على امورهامة او بسيطه•حسن • هذا امر لانتمناه، ولكن ليس من السهل المطالبة بايقافه •وكل دول العالم ، حتى المتحالفة منها ، او الداخلة فى حركة وحدة كاوروبا ،تختلف •

ولكن ••

لماذا اذا اختلفت حكومات على قضايا سياسية ، يمتد هذا الى حياة الافـراد ابناء الشعوب العربية فى حياتهم العادية والبعيدة تماما عن القضايا السياسية محل البحث ؟

لقد تعودنا •• اذا اختلفت حكـومات عربية ، ايا كانت ، ان يقترن بذلـك اجراءات غير جائزة ولا تؤدى الى اى غرض ••

طرد رعايا هذه الدولة او تلك

قطع طرق المواصلات البرية او الجوية او البحرية •••

اغلاق الحدود فى وجه الناس العاديين الذين يتنقلون من اجل تجارة او قرابة ، او تحصيل ودراسة • او حتى سياحة •

اغلاق مكاتب التجارة ، او مرافق تعاون اقتصادى• او مكاتب طيران • او غيرها•

لماذا ؟

ضرورات الامن ـ فى مفهوم حكوماتنا ـ لا نستطيع الاعتراض عليها • ولكن مـا قيمة اجهزة الامن ـ الكثيفة جدا فـى العالم العربى ـ اذا كانت لا تستطيـع تحمل مسئولياتها ، مع بقاء شرايين الحياة العادية متصلة والدورة الدموية العربيـة غير مقطوعة ؟

اننا لا نعرف عن بلد عربى كسـب قضيته ازاء بلد عربى آخر بمثل هـذه

الاجراءات .. والا لفهمنا أن هناك ما يبررها .

فهي مجرد تعبير عن غضب . عن سخط . ثم تعود الامور بعد شهور الى ما كانت عليه .

ولكن اثر هذا التقطيع للاوصال لايقتصر على الاسابيع والشهور التي يستمر فيها فقط . انه يزعزع كل ثقة ، ولايشجع على استمرار وتواصل الحركة بين المجتمعات العربية . فهذا الاستمرار يحتاج الى اطمئنان . والى شعور بان خلافات السياسة لن تمتد اليه ، الى حياة المواطنين البسطاء العاملين في شتى الميادين ، فهم ملح الارض ، ومجموع نشاطهم هو اكثر ما يضيف الى التواصل والتكامل العربي .

.. في القاهرة ، اكتشف السواح والاجانب قرية اسمها « كرداسة » ، عرب نهر النيل ، وعلى الحافة بين الخضرة والصحراء ، لانها تصنع امتعة جميلة غير مألوفة ، وصار كل اجنبي يأتي لا بد ان يحج اليها ويسري . وحين زرتها وجدتها قرية غريبة . كل بيت فيه نول يدوي او اكثر . والرجال والنساء والاطفال يصنعون عليه الامتعة التقليدية او انواع السجاد . انوال قديمة جدا ومتخلفة جدا . وسائل طبعا ، لمن كانت هذه القرية تبيع قبل ان يصبح انتاجها « تقليعة » وموضة بين الاجانب وسكان القاهرة . وقال اهلها لي : منذ مئات السنين وقريتهم وعدة قرى مشابهة ، تصنع كل ثياب البدو من اول الصحراء الغربية ، الى اخر ليبيا من الطرف المغربي ! تتقلب السياسة وتتوالى العصور وهذا الخيط الطبيعي مستمر .. بالقانون او بالتهريب .. فهذه حاجة الناس هنا وهناك اتصلت بهذا الخيط الرفيع عبر مئات الاميال من الصحراء القاحلة ...

... وفي كوم امبو ، في آخر صعيد مصر ، زرت القرى النائية ، فاكتشفت ان « طريق الاربعين » الذي قيل لنا في المدارس انه اندثر ، ما زال موجودا وحيا ومستعملا .. والعائلات في جنوب مصر وشمال السودان ، متصاهرة ، ومتشاركة في تجارات شتى ، وتتزاور في المواسم ، عبر هذا الطريق البدائي جدا ، الشاق جدا .. حيث عجزت الحكومات منذ الحكم الانجليزي ان تخلق طرقا جديدة ، من سفن نيلية ، او سكك حديدية ، او طريق ممهد ، تستطيع أن تستخدم وسائل النقل الحديثة من لوريات وسيارات .

حقائق ، وحقائق عميقة ، لان الجسد العربي فعلا جسد واحد . وكما أن جسم الانسان يقاوم الجروح ويلتئم بنفسه ، كذلك فهذه امثلة من مقاومة الجسم العربي لعمليات التقطيع ، او لعوادي الزمن ، او حتى لتحديات العصر الحديث ...

ولست اشك أن امثلة ذلك ، بين شتى الاقطار العربية ، متكررة وموجودة ...

فهل يقبل بعد هذا ، استمرار تلك الظاهرة السلبية ، وهي اقتران كل خلاف سياسي بتقطيع ما وصله التاريخ ، دون انتظار اي عائد فعلي ، سوى ابداء السخط والغضب ...

مسألة ليست فرعية ابدا ، وقد آن الأوان للوقوف في وجهها . ان هذه الصلات واستمرارها ، اهم من اجتماعات وزراء العدل العرب .. ووزراء الطب العرب .. ووزراء الاوقاف العرب .. الى آخر القائمة ، رغم أن هذا في ذاته امر نرحب به ونتمنى ان تكون له نتائج عملية ، اكثر من المظهريات في الصحف وعلى شاشات التلفزيون !

ولماذا لا تتقدم دولة عربية بمشروع لاول اجتماع للجان عربية تستصدر بـه قرارا بفصل الخلافات السياسية تماما عن هذه الاجراءات ؟

انني استاذن في انتهاز فرصة بدء عام جديد ، وما يبدو أنه مرحلة جديدة في العلاقات العربية « الرسمية » ، لكي اوجه هذا التحذير الى الامة العربية كافة !٠٠٠

ان الفترة الذهبية المتاحة من اجل القيام بقفزة كبرى في الحياة العربية والقـوة العربية ٠٠ لا تزيد عن عشر سنوات ٠٠على الاكثر حتى نهاية ١٩٨٠ ! والوقت يجرى بسرعة مذهلة ! فكثيرون منا قالوا مثل هـذا الكلام في اول سنـة ١٩٧٠ ، وكاننا كنا نقوله بالامس القريب ، في حين اننا بدانا نشرف على سنة ١٩٨٠ !

راجعوا الصحف العربية في الشهر الاول من سنة ١٩٧٠ مع الصحف العربية فـي الشهر الاخير من سنة ١٩٧٧ ، اى بعـد سبع سنوات !

سوف يصاب من يفعل هذا بالذعر ! فكأن شيئا قط لم يحدث في هذه السنوات السبع ! نتقدم احيانا ، او نقفز ، ثـم لا نلبث ان نعود الى ما كنا فيه ٠٠ من قضايا ، ونزاعات ، ومقالات هي نفس المقالات ، وخطابات هي نفس الخطابات ، واجتماعات تعقد وتنقضي تحت نفس العناوين !

لا شيء جديد ؟

نعود وندور ثم نعود الى نقطة البدء؟

هل هذا معقول ؟

هل هذا قابل للاستمرار في عـالم يلهث من سرعة الجرى ؟

اى صدمة يحتاجها العرب كي يفيقوا؟

اى هجمة نحتاجها لكي نخترق ، ولـو بافكارنا اول الامر ، دائرة تلك البحـيرة من الماء الراكد التى نتحرك داخلها ؟

ان العالم العربي لا ينقصه التحليل٠٠ولكن ينقصه التصرف !

بعكس العالم المتقدم

أغلقنا قناة السويس ــ مثلا ــ سـنة ١٩٥٦ فاهتزت الدنيا وارتبك العالم ، فلما اغلقناها سنة ١٩٦٧ كان العالم قد استعد للاحتمال واستفاد من التجربة ٠٠ اذ بنى الناقلات العملاقة ، ووضع كل مايجعله قادرا على مواجهة تكرر الدرس مرة اخرى ٠

في سنة ١٩٧٣ اوقفنا ضخ البترول ٠وها نحن نرى العالم المتقدم يستعد لأى احتمال ، بتخزين بترول يكفيه ستة شهور ، ثم سنة ، للصمود ! وبتحويل بعضـ الناقلات العملاقة الى مخازن راقدة فـي الموانيء الكبرى ، بوضع خطة لمساعـدة بعضهم البعض اذا تعرض احدهم او بعضهم لهذا الاجراء ٠٠ وتصرفات اخرى كثيرة ٠

العالم العملي يحلل الظروف ، ويتصرف ٠ونحن بعكس ، كلنا خبراء في التحليل ٠ ولكننا لا نسأل انفسنا بعد ذلك : ماذا نفعل اذن ؟

او ان غرائزنا ، واهواءنا ، وافكارنا الضيقة ، أقوى منا ، بحيث انها تكبلنـا وتمنعنا من التصرف والتحرك !

ان العالم العربي في حاجة الى ان يعيد ترتيب اولوياته !

ومن اجل ذلك هو في حاجة الى اطلاق حرية المناقشة المسئولة ، حتى يشـعر الجميع بالمشاركة في ترتيب هذه الاولويات!

والا بقينا عشر سنوات اخرى ، ندافع فيها عن انفسنا فقط ضد هبات الامواج ، ولا نتحكم في هذه الامواج أبدا ! ■■

احمد بهاء الدين

أقوال معاصرة



■ يجب أن يملأ القرآن قلب كل مسلم ، لكن المسلم له أيضا معدة يجب أن يملأها الطعام

جنرال ضياء الحق

■ كل حل سياسى هو تذكرة مرور الى مشكلة سياسة أخرى

هنرى كيسنجر

■ أهم صفة للكاتب أن يكون بغير ولاء فلو كنت فى مجتمع شيوعى يجب أن أكون ضد الشيوعية • وفى مجتمع رأسمالى يجب أن أكتب ضد الراسمالية •

جراهام جرين



■ نفقات العالم العسكرية وصلت الى ٣٠٠ الف مليون دولار فى السنة وهذه السنة أنفقنا على تسليح كل جندى ٦٠ مرة أكثر مما أنفقنا على تعليم كل تلميذ •

جيمى كارتر

■ العرب أعطوا امريكا شيكا على بياض ، والامريكان أعطوا العرب شيكا بدون رصيد •

الصحفى ميشيل ابو جودة

■ للمعتقل حق ديمقراطى بتجويع نفسه حتى الموت !

جيمى كروجر

وزير العدل فى جنوب افريقيا

■ أنا مطـران القدس فـى المنفى ، ولا أريد أن أحمل أى لقب آخر •

المطران كابوجى.

■ لم يعـد سرا أن سراويـل الولايات المتحدة موجـودة فى خزائن اسرائيل وفى جواريرها، تسحبها فـى حـالات الغضب ، وتعيدها اليها فى حالات الرضا.

نزار قبانى

■ الى عهد قريب كان التنافس بين المواطنين فى الجزائر يدفعهم الى بذل التضحيات اللازمة من أجل البلاد • واليوم أخذت هذه الظاهرة اتجاها آخر ، فأصبح هؤلاء يتفاخرون بملكية دار فاخرة أو سيارة فارهة •

هوارى بومدين



■ ضحايا الاجهاض فى فرنسا خلال السنوات الثلاث الاخيرة وصل عددهم الى ١½ مليون نفس ، وهو يعادل عدد ضحـايا الحرب العالمية الثانية •

اتحاد اطباء فرنسا





ما رأي [illegible] واختيار جنسه ،
[illegible] للتر[illegible] ضبط المزاج ؟

قضايا علمية
تنظر
أحكامها الشرعية

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

■ كان الواحد من العلماء فى مطالع الحضارة الاسلامية آخذا فى شتى فروع المعرفة بنصيب وافر، فكان منهم الفرد ينبغ فى الطب والكيمياء والطبيعة والموسيقى نبوغه فى الفقه وعلوم القرآن واللغة، استجابة لنداء هذا الدين الذى ينتظم شئون الحياة الروحية والمادية جميعا ، ويحض على النظر فى النفس والكون لاستجلاء سنن الله فى كونه ، تلك التى تعرف حديثا بالنواميس او القوانين العلمية •

والآن وقد تقدم العلم وتشعبت فروعه الى اقسام وتخصصات هى من الاتساع والتباعد بحيث يستحيل ان يلم بها عقل واحد ، اصبح لا مناص لنا ان اردنا ان نتبين احكام ديننا فيما يستحدث من امور دنيانا، من ان تتضافر جهود علمائنا المتخصصين فى العلوم الكونية والشرعية للوصول معا بالاجتهاد المخلص والمبصر الى راى الشرع فى مسائل لم تكن من قبل ولم تكن لها سوابق ولا نظائر • واذا كان الشافعى صاحب المذهبين قد قال : « تحدث للناس اقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور » ، فمن الحق أن نقول كذلك : « تحدث للناس اقضية بقدر ما بلغ العلم من آفاق وما حقق من امكانات » •

واود ان اعرض على سبيل المثال لا الحصر نماذج من الانجازات التى اصبح العلم على مشارفها، وبلغ القدر الذى يسمح ان نقول : ان دخولها الى حيز الواقع معقول وفى زمن غير بعيد • ولا اتصدى للراى الشرعى فهذا اختصاص آخر وانما اسوقها لاضع تحت بصر القارىء المثقف والقارىء الفقيه لمحة مما يحدث على الجبهات المتقدمة للعلم •



شتل الجنين

واخترت هذا الاسم لافرق بينه وبين ما تناقلته الصحف من سنوات عن جنين انبوب الاختبار وما صحب ذلك من تهاويل ، فهذا موضوع آخر • ولتبيان موضوعنا اذكر القارىء بان اول تكوين الجنين هو التحام خلية من الرجل هى الحيوان المنوى بخلية من الانثى هى البويضة التى تخرج من احد المبيضين فيتلقفها انبوب (ايمن او ايسر) واصل الى الرحم، ويتم هذا الالتحام فى هذا الانبوب منتجا البويضة الملحقة او البيضة •• وهى التى ترحل الى الرحم وتنغرس فى بطانته وتشرع فى الانقسام بغير توقف الى ملايين الخلايا التى تعطى الجنين الكامل الذى يولد طفلا • فالجنين اذن التحام نصفين نصف ات من الخصية ونصف ات من المبيض،

اما الرحم فمستودع ومستزرع وحاضن يفى بالغذاء والنماء •

نذكر بعد ذلك نموذجا لمرض خلقى •• تكون فيه المراة ذات مبيضين ولكنها غير ذات رحم •• وتفرز كل شهر بويضة وكلها تهدر لان غياب الرحم معناه الحيلولة بين المنى وبين البويضة وكذلك غياب الحاضن الطبيعى للجنين منذ تكونه من التحام خليتين حتى استوائه فى أواخر الحمل•

والبحث الجارى الان ينصب على شفط البويضة من مبيضها خلال منظار يخترق جدار البطن (وقد تمت هذه الخطوة) ، ثم تلقيح هـذه البويضة بمنوى من الزوج يلتحم بها ليكونا بيضة تشرع فى الانقسام الى عديد من الخلايا (وقد تمت هذه الخطوة ايضـا) ثم ايداع هـذه الكتلة من

الخلايا ـ اى الجنين الباكر ـ رحم امرأة اخرى بعد اعداده هرمونيا لاستقبال جنين ·· فيكمل الجنين نماءه فى رحم هذه السيدة المضيفة ، حتى تلده وتسلمه لوالديه اللذين منهما تكون ·

هذه الخطوة لم تتم بعد ولكنها بلغت درجـة الممكن · وقد تمت بنجاح فى الحيوانات بل وعلى درجتين ، اذ تم استخراج اجنة نعاج فى بريطانيا وايداعها رحم ارنبة حملت بالطائرة الى جنوب افريقيا حيث استخرجت مرة اخرى واودعت ارحام نعاج من فصيلة اخرى حضنتها حتى ولدتها على هيئة سلالتها الاصلية ·

قد عرفنا الام فى الرضاع واحكام الاخوة فى الرضاع ·· والان ادركنا ان للمرء بامه صلتين صلة تكوين ووراثة اصلها المبيض وصلة حمل وحضانة اصلها الرحم · وحتى الان كانت صلة الرحم تطلق مجازا على الجميع ·· ولكن ماذا اذا انشعبت النسبتان فكان التكوين من امرأة والحضانة فى اخرى ·· واين تقف صلة الرحم من بنوة المبيض ·· وما حقوق هذه الحاضن وماذا يترتب على ذلك من احكام ؟

اختيار جنس الجنين

هناك نوعان من كروموزومات الجنس ·· اما الذى فى بويضة المرأة فهو دئما من النوع المسمى x ·· واما منويات الرجل فبعضها يحمـل x والاخر يحمل Y ·· وكلاهما موجود باعداد وفيرة مختلطة فى القذيفة المنوية الواحدة ·· فان قدر ان يلقح البويضة منوى يحمل x كان كروموزوما الجنس فى الجنين الناتج x x وهذا الجنين انثى والا فهما XY وهذا الجنين ذكر ··

دار البحث ولا يزال عما تختلف فيه المنويات حاملة x عن تلك حاملة Y من خصال ·· وثبت انهما يختلفان فى الكتلة وفى سرعة الحركة وفى الاثر الكهربى وفى القدرة على اقتحام وسط لزج واجتيازه ، وفى درجة نشاطهما باختلاف التفاعل الكيميائى للبيئة المحيطة ·· واستخدمت هـذه الفروق فى اتاحة الفرصة لاحدهما دون الاخر فى ان يكون السابق الى تلقيح البويضة ، ومن ثم اختيار جنس الجنين الناتج ·

وقد تم تطبيق ذلك فعلا فـى صناعة تربية الحيوان ·· حيث تتم تهيئة الظروف المرغوبـة واجراء التلقيح الصناعى للاناث والحصول على مواليد من الجنس المنشود ان لم يكن دائما فبنسبة عالية ·

ولم يتم ذلك فى الانسان حتى الان ·· لاسباب اهمها أن من الصعب اخضاع الطبيعة الانسانية لظروف التجـربة الحيوانية من منع عن الجنس لفترات طويلة تتنفها تلقيحة صناعية واحدة·· ولكن اصبح فى حيز الاحتمال ان يصل العلم الى المزيد فى هذا الشان ·· بل ان بعض السيدات تتحايل على ذلك بمعرفة نوع الجنين الذى فى ارحامهن بشفط جزء من السائل الرحمى الـذى حول الجنين وفحص ما فيه من خلايا الجنين المنفوضة، فان لم يكن الجنين من الجنس المراد طلبن مـن الطبيب اجهاضه وذلك فى البلاد التى تبيـح الاجهاض ·· على ان رأينا نحن واضح فى ان الاجهاض حرام ·

ولكن ماذا لـو تم التغـلب على الصعـوبات الباقية بغير اجهاض ، وهذا امر محتمل ؟

فى مهنتى ارى ام البنات تريد ان تحدد عدد أطفالها ولكنها تزيد وتزيد فى انتظـار الذكـر المنشود · فهل ان استطاعت من البدء انجاب الذكر افضى ذلك الى تقليل التناسل ؟

وهل ينجح الاغنياء الى انجاب الذكور حرصا على الثروة ان تخرج من الاسرة ان ورثت البنت وانضمت بمـا تملك الـى زوج غريب يحمـل اولاده منها اسمه واسم اسرته لم تؤول اليهم املاك امهم بالوراثة ؟

او ان الانسان ان حاول ان ياخذ على عاتقه مهمة الطبيعة الحكيمة بعيدة النظر فى توزيع الجنس ، آل به الامر الى ان يفسد.حيث ظن انه يصلح كما فعل من قبل وهو يعبث بالتوازن الحيوى على هذه الارض ؟



ضوابط المزاج

من قديم حاول الناس الحصول على ما يغير من حالاتهم الفكرية والمزاجية ، وفي هذا السبيل اهتدوا الى الخمر والحشيش والافيون والمنزول والقات وغيرها مما نعرف وما لا نعرف .. ودخل ذلك في حوزة البحث العلمي فتوالت عقاقير تعالج بها التشنجات او القلق او الاكتئاب ، ومن سنوات ظهرت نظرية ترد مرض الفصام (ازدواج الشخصية) الى مسببات كيميائية وتعالجه على هذا الاساس .

ولقد اهتدى العلم الى أن أحوال الناس من رضى او غضب وثورة او خنوع وحماس أو خمول انما ترجع الى تغيير كيمياء الدورة الدموية

● قضايا علمية تنتظر أحكامها الشرعية

لنشاط بعض الغدد في صب افرازاتها اليها .

وتلت ذلك سلسلة من التعرف على هذه الافرازات واستنباط العقاقير الكيميائية التي تدخل في الجسم فتحدث اثرها المطلوب .

واذا كان لهذا التقدم اثره الحميد في السيطرة على طائفة من الامراض العصبية ، فان للمسالة وجها آخر اصبح محل الاهتمام بصورة متزايدة وكان مبعث هذا الاهتمام احتمالات استعمال هذه العقاقير على السليم لا المريض .

ان مناط مسئولية الانسان هو قدرته على التمييز والاختيار الحر .. ولقد تعتمل في نفسه عوامل وتضطرم مشاعر وتثور غرائز فاذا هو مطالب بان يملك زمام نفسه فيفعل الخير ويمتنع عن الشر .

فماذا لو اختلت هذه القاعدة واصبحت المواد الكيميائية هي التي تصنع للانسان مزاجه أو شعوره أو ارادته ؟

ماذا لو كانت العفة دائما عفة العاجز والصبر دائما صبر الضعيف ؟

وماذا لو كانت الشراسة او النزق آثارا فارماكولوجية وليست سمات اخلاقية ؟

يتحدثون بان المستقبل غير البعيد سيشهد تفريق المظاهرات او منعها باستعمال قنابل الغاز الملين للعريكة لا المسيل للدموع .. وبامكان خلط الخبز او الماء بمواد تبعث على الدعة والسكينة وتمنع الغضب ولو للحق .

وهل يستطيع حاكم أو نظام أن يضمن شراسة جنده ووداعة شعبه بهذه الوسيلة ؟

هذا عدا ما هو الان مدرج في قائمة اسلحة الحرب البيولوجية من غازات او اشعاعات تؤدي الى سلب الارادة وشلل الفكر ..

ويتقدم العلم ويتقدم .. ومهما تقدم يظل قول الله قائما : « ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها » . ■■

الكويت ـ حسان حتحوت

شعر من الوطن المحتل

ربما.. ياطير

شعر : خالد نصره

■ ذلكَ الطائر غنّى ؟ أم لفقــد الإلفِ أنّا ؟
إن تكن فارقتَ ركنا فأنا ضيّعت ركنــا . .
أم غزاكَ الحزنُ ، فاسأل مهجةالأحزان عنّا
فإذا لاذتْ بصمتٍ . . لا تسلها كيف كنّا !

أيها الطائر . . هبّت نسماتٌ من بــلادى . .
لثمَت خدّ المغاني قبّلت جيــدَ الوهــاد !
وأنا روح تنادى ، والصدى مثلي ينــادى . .
لاتسل يا طير عني . . مزّق الحزنُ فوٰادى !

فإذا أبصرت طيفــاً حائرَ الخطوِ . . يسير . .
فأنا الحــائرُ . . صمتي خجلت منه القبورُ !
لست يا طائر مثلي . . أنت في الأفق تطير . .
وأنَا روحٌ كسيحٌ داخل الصدر . . أسير !

اقترب ياطير مني .. لاتَخفْ ..لاتخش بأسا..
قتَل العالمُ نفسي ، أنا لا أقتلُ نفســـا !
إنمــا ألمح بشرا حينما تدنــو . . وأنســا ..
فاقترب ياطير هيا سوف أنساك . . وتنسى !

اقترب . . لستُ أثيماً . . لم تزل تفزع مني . .
إنه محض حــوار بينك الآن . . وبيــني . .
أنت تنأى إن أردت النأى في طَرفة عيِن . .
وأنا في هذه الدنيــا مهيض الجانحــين . .

لم تقل لي أيها الطائرُ حتى الآن ما اسمكْ . .
أنت لا تأكل لحماً . . بينما يوٰكل لحمُكْ !
أنت لاتعرف أمــاً أو أباً . . من هي أمك ؟!
.. كلمااستوطنَ قومي بقعةً ..هاجرَ قومُكْ..

أنت في الآفاق تسعى هائمــا دون هويّــه !
عابراً دون جواز أو رسومٍ . . جمركيــه ..

تلمح الصقر فتنجو . . ذاك سرُّ الأبديه
بينما مازلت طعما سائغا . . للبندقيّة !
نحن ياطيرُ بطونٌ ليس تبقى أو تَذرْ . .
ظلموا الظلم كثيرًا حين سمونا بشرْ !
لم ندعْ في الكون وحشاً أو نباتاً أو شجر . .
. . ما افترسناه . . ونحن اليوم نرتادُ القمرْ !
أيها الطائر . . قل لي هل لكم أى وطن ؟
أم تراكم كشريد حيثما حلّ . . سكن ؟
كان لي ياطير دارٌ . . عشت فيها من زمن . .
هيمن الخصمُ عليها وأنا . . كنتُ الثمن ! !
ألكمْ ياطير شرع ، مثل قومي ، وديانهْ ؟ !
هل تحسون بجور . . وبحقد ومهانه ؟ !
هل تُصلّون بكف بينما الأخرى مدانه ؟ !
ألكمْ ياطيرُ ملهى ومواخيرُ . . وحانهْ ؟ !
لاتُشحْ ياطير عني . . إنني أشكو إليكا . .
ربما رغم اثتناسي بك . . أثقلت عليكا !
ربما ياطير طافت نكبتي في ناظريكا . .
ربما بعض دموعي سقطت من مقلتيكا !
ها أنا ياطير ماض . . نهشت قلبي السآمه . .
إنني أعرفُ دربي ، فلترافقك السلامه !
وإذا ما جئتَ داري . سوف أعطيكَ العلامه . .
إنها بين سدود ومتاريس . . مقامه ! !
سوف تُلفيني بصمت واقفاً . . أرنو إليها . .
وهي نحوى بحنين بسطت كلتا يديها !
ثم أبكي بخشوع . . ثم أنهار لديها . .
فإذا ما اجتزتَ تلك الدار . . سلمْ لي عليها ! !



خالد نصره
الضفة الغربية للاردن

بقلم : الدكتور جلال احمد أمين

« اذا سمحنا لانفسنا بالتمادى في التقليد الاعمى وفتح باب التبادل على مصراعيه ،فمصيرنا التحلل الحضارى ٠ واذا تمادينا في تشجيع استهلاك السلع التي لا تتناسب نفقتها مع متوسط الدخول في البلاد العربية ، فان الرخاء المادى لن يعود الا الى القلة »

■ منذ عام ١٩٧٣ ساد الكثير من المناقشات والتعليقات الجارية حول مستقبل الاقتصاد العربى نوع من التفاؤل الذى كان غائبا في النصف الثانى من الستينات ، وعلى الاخص بعد ما اصاب العرب من وجوم في اعقاب هزيمة ١٩٦٧ ٠ ففى اعقاب هذه الهزيمة لم تكن هناك اية دلائل على ان دولة

ونحن على أبواب الثمانيات

مأزق التنمية العربية في السبعينات



عربية واحدة قد اوشكت على الدخول فيما يسمى بمرحلة « الانطلاق » ، وهي التي يقول عنها الاقتصاديون انها تتميز بارتفاع معدلات الادخار والاستثمار والنمو ، ووجود ما ينبيء باستمرار هذه المعدلات عند هذا المستوى العالي دون احتياجه الى اتخاذ اجراءات استثنائية او الى الاعتماد المبالغ فيه على الخارج ، وعدم وجود ما يدعو الى الخوف من عودة معدل النمو الى الانخفاض ما لم يحدث ما يشبه الكارثة .

ففي مصر وسوريا ، كان الانفاق العسكري في النصف الثاني من الستينات يستنفد نسبة بالغة الارتفاع من الموارد ، وكان معدل النمو في كل منهما قد انخفض الى ما يقارب معدل نمو السكان فلم تعد ايهما تحقق تقدما يذكر في مستوى المعيشة . وفي السودان ، وعلى الرغم من امكانياتها الزراعية الضخمة وغياب مشكلة الضغط السكاني، كان معدل النمو من اقل المعدلات في افريقيا وفي العالم الثالث بوجه عام . كانت دول الخليج النفطية وكذلك المملكة السعودية وليبيا ، تحقق بالطبع معدلات عالية للنمو ، ولكن هيكلها الاقتصادي المفرط في اعتماده على سلعة واحدة لم يكن يسمح بالحديث عن دخول مرحلة الانطلاق او عن تحقيق « نمو اقتصادي تلقائي ومنتظم » .

وعلى الرغم من زيادة ايرادات الجزائر من صادرات البترول باكثر من سبعة امثالها بين ١٩٦٠ و ١٩٧٠ فقد ادى تدهور انتاجها الزراعي الى تحقيق معدل للنمو متواضع للغاية خلال الستينات . وفي تونس والمغرب لم يزد متوسط النمو السنوي للناتج القومي الحقيقي على نحو ٤ر٥٪ ، وهو معدل لا يتجاوز الا قليلا معدل النمو في السكان ، كما عانت كلاهما من ارتفاع كبير في معدل البطالة .

وفي اواخر الستينات لم تكن اليمن الشمالية قد افاقت بعد من آثار الحرب الاهلية التي لم تفعل اكثر من ان حققت مجرد التعارف بين اليمن ومبادىء الاقتصاد العصري . وكانت اليمن الجنوبية تبذل محاولات يائسة للعثور على مصادر بديلة لما كانت تحصل عليه من دخل من ميناء عدن ، الذي فقدت معظمه باغلاق قناة السويس في عام ١٩٦٧ ولدخلها من القاعدة العسكرية البريطانية التي فقدته باغلاق هذه القاعدة في نفس السنة .

صحيح ان كلا من العراق والاردن ولبنان حققت معدلات عالية للنمو في معظم سنوات الستينات ، على ان كلا منها قد استمرت تعاني من اختلالات هيكلية اساسية جعلت من استمرار نموها بهذه المعدلات امرا لا يمكن الاطمئنان اليه فلبنان كان نموها يعتمد اعتمادا مفرطا على تدفق الودائع قصيرة الاجل من دول البترول وعلى السياحة ، والاردن كان اعتمادها مفرطا على المعونات الاجنبية ، كما ان العراق لم يفعل شيئا يذكر خلال الستينات لتخفيض درجة اعتماده على البترول او لرفع مستوى الانتاجية في الزراعة .

متاعب استمرت واخرى جديدة

وقد استمرت المتاعب الاقتصادية في بعض الدول العربية بعد حرب ١٩٧٣ ، واصاب بعضها متاعب جديدة . ففي لبنان قامت الحرب الاهلية التي وصفت بحق بانها اكبر كارثة اقتصادية عرفها تاريخ لبنان ، وقدرت خسائرها الاقتصادية بنحو ٣ مرات ونصف قدر الناتج القومي الحقيقي لسنة ١٩٧٤ . وفي مصر زاد عجز ميزان المدفوعات بصورة مذهلة سنة بعد اخرى . وعانت السودان ، مثل مصر ، من تزايد العجز في ميزان المدفوعات ، وفي الميزانية ، ومن الافراط في الاعتماد على الديون الخارجية .

ومع كل هذا فالمتفائلون بمستقبل الاقتصاد العربي كثيرون ، في داخل العالم العربي ، وعلى الاخص في خارجه . بل هناك الكثيرون ، بما في ذلك كثير من المنظمات الدولية ، ممن كانوا يتكلمون عن الاقتصاد العربي في الستينات بلهجة اليائس او بنقد شديد ، واصبحوا بعد حرب اكتوبر اكثر تفاؤلا بكثير، واخذوا يشيدون بالمكاسب الاقتصادية الكبيرة التي حققها او ينتظر ان يحققها العرب . فاذا استعرضنا ما يمكن ان يستند اليه هؤلاء المتفائلون من حجج ، صادفنا اولا ، وبطبيعة الحال، الزيادة الكبيرة في عوائد النفط التي كثيرا ما يقال عادة انها وضعت العرب فجاة في مكان الصدارة من اهتمام العالم ، بل ويقول البعض انها جلبت للعرب احترام العالم ايضا . وفي بلاد البترول ايضا ، ارتفع معدل التصنيع ، واكتظت موانيء الخليج ليس فقط بسلع الاستهلاك ، بل وايضا بالالات ومواد البناء . ودشنت المملكة السعودية خطة للتنمية بالغة الطموح . ومنذ ١٩٧٣ ، حققت كل من سوريا ولبنان معدلات مرتفعة للنمو . ففي

سوريا تجاوز معدل النمو السنوي خلال السنتين التاليتين لحرب اكتوبر ١٣٪ ، وتشير احصاءاتها الرسمية الى ان الناتج المحلى الاجمالى (باسعار ١٩٦٣) قد تضاعف تقريبا فيما بين ١٩٧٠و١٩٧٥، كما شهدت صادرات سوريا من البترول والفوسفات نموا ملحوظا .

كذلك عاد الاقتصاد الاردني الى نموه السريع بعد ما اصابه من تراجع بسبب احتلال الضفة الغربية فى ١٩٦٧ ، والثورة الاهلية فى ١٩٧٠ ، والاضطراب الناتج عن حرب ١٩٧٣ . ففى السنوات الثلاث (٧٤ ـ ١٩٧٦) لم يقل معدل النمو للناتج القومى الاجمالى للاردن (باستثناء الضفة الغربية) عن ٧٪ ، ويرجع هذا بصفة اساسية الى الزيادة الكبيرة فى انتاج الفوسفات والازدهار الكبير فى حركة البناء .

كذلك تحسن معدل النمو فى المغرب والجزائرفى اواخر الستينات واوائل السبعينات ، وحققت تونس خلال الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٦ معدلا للنمو يبلغ ضعف ما حققته فى الستينات .

بل حتى فيما يتعلق ببلد تعانى الكثير من المتاعب ، مثل مصر ، يذهب الكثيرون ، بما فى ذلك خبراء البنك الدولى ، الى انه مع اوائل الثمانينات سوف تتمكن مصر على الارجح من السيطرة على الامور وكبح التدهور ، بسبب الزيادة الكبيرة المتوقعة فى ايرادات قناة السويس، وفى صادرات البترول ، وفى تحويلات المصريين العاملين فى الخارج ، وزيادة تدفق الاستثمارات الاجنبية الخاصة . وبالنسبة للسودان ، يشير تقرير اخير للبنك الدولى الى تقديرات حكومة السودان بان معدل النمو الحقيقى فى الدخل خلال السنوات الثلاث الاخيرة لم ينخفض عن ٥٪ سنويا (بالمقارنة ب ٣ ـ ٥ر٣٪ خلال الستينات) ، ويعلق التقرير الامل فى مستقبل التنمية فى السودان ، كما فى مصر، على تشجيع رؤوس الاموال الاجنبية الخاصة.

ثناء على « التعقل » العربى

كذلك شاعت ايضا الاشادة بالخطوات التى اتخذت فى السبعينات فى ميدان التكامل الاقتصادى العربى ، مع التاكيد على ما بدأ يظهره العرب اخيرا من « تعقل » فى هذا المجال ، ونبذ الرومانسية التى تميزت بها دعوات التكامل فى الخمسينات والستينات . والتى المعلقون على العرب لانهم بدءوا يدركون قلة جدوى التمسك بالوحدة الاقتصادية الكاملة ، ويقنعون بصور اكثر تواضعا وان كانت ، فى نظر هؤلاء ، اكثر فعالية ،مشيرين على الاخص الى ازدياد تدفق رؤوس الاموال الخاصة بين الدول العربية ، والى زيادة الاهتمام بانشاء المشروعات العربية المشتركة ، كما حدث فى صناعات البترول والنقل البحرى وبالذات فى ميدان الاستثمار العقارى والمالى . ومن هذا القبيل تقرير صدر عن منظمة الانكتاد (مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية) فى ١٩٦٧ عن « المشروعات المشتركة بين الدول العربية » يشير فيه الى « واقعية » هذا الاتجاه الجديد بقوله « ان وصول مجموعة من الدول الى اتفاق على انشاء مشروع مشترك يمكن تقدير نفقاته ومنافعه سلفا بدرجة معقولة من الدقة ، هو قطعا اسهل بكثير من وصولهم الى الاتفاق على اجراءات مشحونة بالاعتبارات السياسية ، كتوحيد السياسات التجارية او التنسيق بين الخطط الاقتصادية . فليس من الواقعى اذن ان يعلق انشاء مشروعات مشتركة عربية جديدة على نجاح الدول العربية فى الاتفاق على اتخاذ سياسات تجارية موحدة منسقة » .

وكما اننا بدأنا نرى بعض المعلقين السياسيين الاجانب يعبرون عن ابتهاجهم بقرب الوصول الى تسوية سلمية نهائية بين العرب واسرائيل ، فان اتجاها مماثلا بدأ يظهر ايضا بين الاقتصاديين . فالاقتصادى السويدى « بنت هانسن » المعروف جيدا لدى العرب منذ ان نشر كتابه الجيد عن الاقتصاد المصرى فى منتصف الستينات ، بدأ مؤخرا يعبر عن هذه الروح المتفائلة بتعديده للمزايا الاقتصادية التى يمكن لكل من العرب واسرائيل تحقيقها لو حدث وحل السلام محل الحرب . فهو يقول انه بينما ستفيد الصناعات الاسرائيلية من انفتاح الاسواق العربية الواسعة امام منتجاتها ، ومن امكانية استغلال فائض مياه النيل فى مصر ونهر الليطانى فى لبنان ! يمكن للعرب ان يفيدوا بدورهم ،على حد قول الاستاذ « هانسن » ، من « ازدياد حجم التجارة ، ومن بيع فائض المياه للاسرائيليين ، هذا الفائض الذى يعتبره هانسن مصدرا للعملة الاجنبية لا يقل نفعا عن البترول ، بل هو افضل منه لانه لا يمكن ان يجف او ينفد » .

وهذا تبسيط مذهل لقضية بالغة الاهمية يصعب

، تفسر صدوره من استاذ له مكانة بنت هانس علمية الا بتاثره باعتبارات غير علمية (١)

ان البعض قد يشكو بالطبع من ان التقدم الذى برزه العرب فى هذه الميادين كلها ، سواء فى رفع عدل النمو او معدل التصنيع ، او فى تكوين شروعات المشتركة ، او فى تقدمهم نحو تسوية زاعهم مع اسرائيل هو تقدم بطيء للغاية ، كما ، يشكو البعض من ان تحقيق الانفتاح الاقتصادى يزال يواجه عقبات من كل نوع ، من احجام بيروقراطية عن التنازل عما اكتسبته من سلطات، من التخفيف من مركزية اتخاذ القرارات ، الى إهمال الطويل لبناء واصلاح المرافق والخدمات • قد يشكو البعض من ان تاخر الوصول الى تسوية مشكلة اسرائيل يعطل بالضرورة تدفق رؤوس الاموال الخاصة الى مصر وسوريا والاردن ،ومن ه ما لم تتم هذه التسوية سيظل مصير الاقتصاد اللبنانى والاردنى فى علم الغيب • ولكن مثل ذه الانتقادات لا تمس جوهر السياسات الاقتصادية متبعة ، بل لا تطلب الا المزيد مما يجرى عمله •

عن الانفتاح الاقتصادى

وليس من الصعب ان نرى وراء هذا التفاؤل ى كل هـذه المجالات خيطا واحـدا هو التفاؤل بانفتاح العرب على العالم » ، والاهتمام بمجرد النمو دون الاهتمام بطبيعته ، وبزيادة الثروة ون الاهتمام بمصدرها او بالمستفيد منها •

كما انه ليس من الصعب ان نلاحظ ان وراء معظم امثلة « النجاح » التى يقتطفها المتفائلون مزيدا ن الارتباط بين الاقتصاد العربى واقتصاديات الدول الصناعية المتقدمة ، ارتباطا يزيد من تبعية الاقتصاد العربى للخارج • فمعدلات النمو العالية التى حققت فى السبعينات تكاد ترجع جميعها الى نمو الصادرات مـن المواد الخـام (كميـة او سعرا او كلاهما) ، كالبترول والفوسفات ، او الى النمو فى صادرات الخدمـات كالسياحـة وقنـاة السويس ، أو الـى النمو فى نشاط البناء غـير المنتج ، كما فى الاردن ومصر •

ليس غريبا اذن ان اكثر المصطلحات الاقتصادية شيوعا فى العالـم العربى اليوم هـو اصطـلاح « الانفتاح الاقتصادى » ، الذى لن يغيب على احد ان اختياره قد تم بعناية للايحاء بتطور محمود فى السياسة الاقتصادية • اذ ان الشيء المفتوح ، هو بصفة عامة افضل من المغلق• والمعنى الفعلى لهذه السياسة كما تطبق فى الواقع ، لا كما يمكن ان تعرفها القواميس او كما يمكن ان يسبغ عليهـا انصارها من معان ، ليس الا ازالة القيود القائمة فى وجه رؤوس الاموال الاجنبية، وفى وجه الاستثمارات المحلية الخاصة المدفوعة بدافع الربـح وحده ، والتخلى التدريجى عن الملكية العامة فى الصناعة وعن تدخل الدولة فى الاقتصاد ، بـل والتخلـى التدريجى عن الحماية الممنوحة لبعض الصناعات المحلية لمواجهة المنافسة الاجنبية •

فى ظل هذه السياسة تعطى الاولوية لزيادة الصادرات وزيادة حصيلـة البـلاد مـن العملات الاجنبية ولو على حساب اشباع حاجات الاستهلاك الاساسية ، ويجرى هدم مبان اثرية ثمينة قادرة على البقاء لعشرات قادمة من السنين ، اذا لـم يكن عائدها الاقتصادى مرتفعا بالدرجة الكافية • وتترك الحدائق القليلة الباقية مكانها للفنادق العالمية الفاخرة • وترحل فتيات بعض هذه البلاد الى خارج بلادها باحثات عن الاجور المرتفعة، مهما كان العمل متدنيا ، فى لهفة على استعمال آخر منتجات الغرب ، ويعدن وقد كسبن العالم وفقدن انفسهن • ويمنع الطلبة العرب حرية السفر فى

---

(١) مرجع هذا ان الاستاذ هانسن قد غير رأيه فى موضوع العرب واسرائيل ، بدون سبب واضح، فيما بين ١٩٧٠ و ١٩٧٣ • ففى كتاب « التنمية الاقتصادية فى الشرق الاوسط » الصادر عن مؤسسة براند الامريكية كتب هانسن سنة ١٩٧٠ انه ليس متاكدا تماما مما اذا كان للعرب مبرر للخوف من ان يؤدى فتح باب التجارة مع اسرائيل الى تحقيق مصلحة اسرائيل والاضرار بالعرب ، اما فى ١٩٧٣ فهو يقول فى مقال « احتمالات التنمية فى الشرق الاوسط وكيف تبدو فى ١٩٧٣ » (الصادر فـى ١٩٧٥) انه لا يرى الان محلا لهذا الخوف من جانب العرب • كذلك بينما يقول فى مقاله المبكر ان العرب فيما يظهر لم يخسروا كثيرا من عدم وجود علاقات اقتصادية بينهم وبين اسرائيل ، يقول فى مقاله المتاخر ان رأيه السابق ربما كان صحيحا بالنسبة للماضى « اما بالنسبة للمستقبل ، فيبدو ان المنافع التى يمكن ان يجنيها العرب كبيرة »

ارجاء العالم واكتساب عقود العمل لتحصيل المزيد من العملات الصعبة واكتساب عادات استهلاكية لم يكونوا قد اكتسبوها بعد • ويرحل المهنيون والفنيون والفنانات باحثين عن الدخل المرتفع في بلاد النفط حيث يقومون في الحقيقة بوظيفة تاريخية قد يثبت مع الزمن انها اكثر اهمية بكثير وابعد اثرا من الزيادة في عوائد النفط في ذاتها • فاذ ياتي هؤلاء من بلاد عربية حقا ولكنها تعرضت لفترة اطول وبدرجة اعمق لتاثير عادات الغرب وقيمه ، وترسخت بذلك فيهم « العصرية » بدرجة اكبر ، فانهم يساعدون الدول العربية التي لم تقطع نفس الشوط في طريق التغريب ، على الاسراع بالسير في هذا الطريق • ومن ثم يقومون بعمل لا يمكن لاشد خبراء المنظمات الدولية حماسا ان يؤديه بهذا الكمال • فهم يتكلمون العربية حيث لا يتكلمها الخبراء الاجانب ، وهم على كل حال اقرب بكثير في عاداتهم وميولهم لاهل البلاد التي يرحلون اليها من اي خبير قادم من الغرب • فاذا تراكمت فوائض دخولهم انفقوها على شراء السلع الاستهلاكية المعمرة التي يعودون بها او يرسلونها الى بلادهم ريثما يعودون ،مثيرين بذلك شهية من منعهم حظهم العاثر من السفر • وهكذا تتضخم ارقام الصادرات والواردات ،ويجرى بنشاط توسيع وتحديث المطارات ، وتزدهر السياحة والفنادق ،وتروج سوق المكاتب الاستشارية ومكاتب الاستيراد والتصدير ، ويبدأ « تمدين » آخر معقل للعرب •

ان ضحية كل هذا ليس هو بالطبع معدل النمو، اذ ما الذي يمكن ان نتصوره افضل من هذا لمعدل النمو ، ولميزان المدفوعات ، ولمعدلات الاستثمار بل ولمعدل المقيدين في المدارس ومعدل الزيادة في سكان الحضر بالنسبة لمجموع السكان ؟ بل وقد يؤدي هذا بعض النفع ايضا في تخفيف حدة الضغط السكاني على الموارد في بعض البلاد العربية •

اذا كان النمو هو الهدف

فاذا كان همنا هو معدل النمو فان لدينا الف سبب للتفاؤل بمستقبل الاقتصاد العربي • واذا طلب الينا الرأى للاسراع بمعدل هذا التطور فليس هناك اسهل من ذلك • بل يكاد يكون الرأى هو ما قاله اقتصادي اوربي كبير ، في القصة المشهورة ، بعد زيارته للبنان وسؤاله عما لديه من توصيات لاصلاح النظام الاقتصادي اللبناني ، اذ قال « اني لا افهم كيف يسير الاقتصاد اللبناني ،فنصيحتي اذن ان تستمروا بالضبط فيما تفعلونه» • لاتتعدى النصيحة في هذه الحالة اكثر من ان نعمل على خلق المزيد من الحوافز لرؤوس الاموال الاجنبية الخاصة ، بما في ذلك تخفيض الضرائب ومنحها التسهيلات الكافية لتحويل الارباح وراس المال الى الخارج ، وكبح جماح المطالبات العمالية باجور اعلى ، وتخفيض قيمة عملات بعض البلاد• وعلينا ايضا ان نضاعف جهودنا لتحسين خدمات المواصلات السلكية واللاسلكية ، خاصة فيما بين العاصمة والمدن الغربية الرئيسية ، وان نزيد من عدد المشروعات المعدة اعدادا جيدا والتي اجريت لها دراسات الجدوى اللازمة من قبل مستشارين اجانب معترف بهم ، وان نصلح الجهاز الاداري بحيث يصبح قادرا على الاسراع في التصديق على اتفاقيات الاقتراض من الخارج وعلى الاسراع باصدار التسهيلات اللازمة لتدفق الاستثمارات الاجنبية الخاصة • فاذا فعلنا كل هذا ضمنا الارتفاع بمعدل النمو ، وارتفاع معدل النمو له مزايا كثيرة معروفة من اهمها ظهور الدولة المعنية بمظهر محترم في الجداول الاحصائية التي تنشرها الامم المتحدة ، وانه على كل حال سهل القياس • اما الثمن الذي يمكن ان ندفعه مقابل ارتفاع معدل النمو عن هذا الطريق فقياسه اصعب بكثير • ولكن ماهو ؟

ان اكثر الانتقادات الموجهة لهذا النمط من التنمية شيوعا هو ذلك الذي يثيره عادة اشخاص على قدر عال من الصدق ومن التعاطف مع قضية الفقراء ، فيعبرون عن خشيتهم من ان يؤدي هذا النمط من التنمية الى ازدياد توزيع الدخل سوءا• وعلى الرغم من ان هذا النقد صحيح والخوف من هذه النتيجة مبرر تماما ، فان تاسيس نقد سياسة الاقتصاد المفتوح على اعتبارات توزيع الدخل بصفة اساسية من شانه في رايي ان يضعف موقف الناقدين الى حد كبير • فالتاريخ الاقتصادي لا يقدم لنا مثالا واحدا ، فيما اعلم ، لتجربة ناجحة في التنمية اقتفت اثر التجربة الغربية في النمو ، سواء اعتمدت على الملكية الفردية او ملكية الدولة ، نجحت في نفس الوقت في تجنب ظهور

لالات اجتماعية كبيرة وفى تجنب بعض
اهر المزعجة لسوء توزيع الدخل • اماالتجربة
صينية ، التى تذكر عادة كمثال فريد للنجاح
القضاء على سوء توزيع الدخل قضاء يكاد يكون
لا ، فانها مثال يدعم هذا الراى ولا يدحضه،
ان الجانب الفريد فى التجربة الصينية ليس
فقط ميلها الواضح الى عدالة التوزيع ، بل
يضا ، وعلى الاخص ، انها تجربة صينية مائة
المائة • فتبنى النموذج الغربى فى التنمية من
نب دولة غير غربية لا يتفق اذن مع الشكوى من
التنمية السيىء على توزيع الدخل • واذا نظر
ء بعين العطف والرضا الى عملية تغريب
جتمع العربى(التى كثيرا ما تسمى خطا بالتمدين
التحدث او بناء مجتمع عصرى) فانه لا يصبح
حقه ، فى راينا ، ان يشكو من ازدياد سوء
زيع الدخل ، ويصبح معرضا للاتهام بانه ليس
شخصا نافذ البصر • فاية درجة من التدهور
توزيع الدخل قد يمكن تداركها فى وقت ما
المستقبل • فراس المال الاجنبى يمكن فى يوم
تاميمه ، والضرائب يمكن فى المستقبل جعلها
ثر تصاعدية ، والاراضى يمكن ان يعاد توزيعها
• الخ اما الذى لا يمكن تداركه اذا سمحنا
ان يستمر لفترة طويلة من الزمن فهو التحلل
حضارى ، وتشويه شخصية الامة • ومن ثم فاى
د للسياسات الاقتصادية العربية الجديدة لا بد
يقوم اساسا منمنطلق حضارى وليس اقتصاديا•

راى الاقتصادى ليس كافيا

وكما ان الحجج الاقتصادية لا تكفى وحدها
دحض سياسة الانفتاح الاقتصادى فانها لا تكفى
يضا فى نظرنا كاساس لرفض ما يدعو اليه بعض
الاقتصاديين الاجانب من اقامة تعاون اقتصادى بين
عرب واسرائيل • فكلاهما يجب ان يرفض بناء
لى اعتبارات حضارية وثقافية وليس بناء على
اعتبارات الاقتصادية • فاسرائيل فى نظر
الاقتصادى ، ليست اكثر من دولة صغيرة ، قليلة
لسكان بالنسبة لمعظم البلاد العربية ولكنها حققت
تقدما تكنولوجيا اكبر ، ومستوى اعلى من
لدخل • ومن ثم قد يصعب على الاقتصادى ان
جد للتعاون الاقتصادى بينالدول العربية واسرائيل
اضرارا اكبر من تلك المترتبة على فتح ابواب
التجارة والاستثمار على مصراعيه بين الاقتصاد
العربى وبين الاقتصاد الاوروبى او الامريكى •
فاذا عبر احد عن مخاوفه من ان بعض الصناعات
العربية قد لا تقوى على منافسة بعض الصناعات
الاسرائيلية الاكثر كفاءة فقد يحتج بعض
الاقتصاديين باثارة كل ما يقال عن مزايا التخصص
والمنافسة وتقسيم العمل • واذا قلنا ان اسرائيل
يمكن ان تصبح مجرد معبر تغزو عن طريقه رؤوس
الاموال الامريكية المنطقة العربية ، قد يرد بعض
الاقتصاديين ، كما قال مؤخرا بنت هانس بانه
« ليس هنالك ما يضطر العرب اذا قاموا بفتح
ابواب التبادل بينهم وبين اسرائيل الى الغاء
القيود الحالية المفروضة على استيراد راس المال
الاجنبى ، وعلى اقامة المشروعات الاقتصادية
لمملوكة للاجانب » •

ولكن الحقيقة هى ان الاقتصادى بوصفه
اقتصاديا هو من اسوا من يمكن ان يقدم النصيحة
حول قضية من هذا النوع ، اذ انه ليس فيما
تحتويه جعبته من ادوات ما يمكنه من التفرقة بين
سلعة او خدمة ينتجها العامل الوطنى او العامل
الاجنبى ، او بين سلعة تنتج باستخدام المدخرات
الوطنية او الاجنبية،اذا تساوت النفقاتوالاسعار،
او بين سلع تستجيب للاذواق الحالية للمستهلكين
وسلع تكاد تنحصر وظيفتها فى تغيير هذه الاذواق•
كما انه ، بوصفه اقتصاديا ، غير قادر على
مناقشة ما اذا كانت القدرة السياسية على منع
تدفق المشروعات والسلع الاجنبية على المنطقة
العربية ، تزيد او تنقص بابرام صلح مع
اسرائيل • فهو لا يستطيع مثلا ان يدرك ، او
لا يريد ان يناقش ، ما اذا كان موقف سياسى
معين فى قضية اسرائيل لا بد ان يؤدى الى
اضعاف قدرة العرب على انتهاج سياسة اقتصادية
عربية مستقلة تحمى بها الدول العربية اسواقها
وصناعاتها • بل ان الاقتصادى ، رغم كل ما
يزعم عن اهتمامه بالرفاهة ، ليس فى الحقيقة
مؤهلا للحكم على ما اذا كانت سلعة او خدمة
ما تزيد من الرفاهية الحقيقية للناس او لا
تزيدها ، جديرة حقا بالاقتناء او غير جديرة به •
ومن ثم فهو غير قادر على ادراك الخسارة
المتضمنة فى تحول اذواق المستهلكين مثلا الى

تفضيل زجاجة السفن اب على مشروب وطنى ، او فى بناء الكازينوهات السياحية حول الهـرم الاكبر ، او على ادراك المذلة المتضمنة فـى تفضيل المستهلك لسلعة اسرائيلية على سلعة عربية لمجرد ان الاولى اقل سعرا او اكثر جودة•

بمنطق مماثل يمكن لنا ايضا الرد على القائلين بان صيغة انشاء المشروعات العربية المشتركة هى صيغة اصلح من الوحدة الاقتصادية الكاملة لتحقيق تعاون عربى فعال • فهذه المشروعات المشتركة قد تمثل حقا جرعات قوية من الاستثمار وترفع بالفعل من معدل النمو ، ولكنها قد لا تساهـم مساهمة تذكر فى تحقيق تكامل اقتصادى حقيقى بين الدول العربية ، او فى التخفيف من درجة التبعية لرؤوس الاموال او الاسواق الاجنبية ، بل وقد لا تؤدى بذاتها حتى الى تجنب تكرار نفس الصناعة فى اكثر من دولة عربية • فاقامة مشروع عربى مشترك فى السودان مثلا لاستغلال امكانيات السودان الزراعية بالاستعانة بفائض راس المال العربى والتكنولوجيا الغربية ،ولانتاج سلعة للتصدير الى خارج المنطقة العربية ، قد يكون من شانها حقا تحسين ميزان المدفوعـات السودانى ، ورفع معدل التنمية فى السودان ، واتاحة فرصة مجزية لاستثمار فائض الامـوال العربية لدول النفط ، ولكنها قد لا تساهم مساهمة تذكر فى تخفيض درجة اعتماد الدول العربية على الخارج فى استيراد المواد الغذائية ، او فـى تنويع الاقتصاد العربى • وقد يتصور قيام مشروع منافس له فى سوريا او مصر ، يعتمد ايضا على الخارج فى التكنولوجيا المطبقة وفى تسويـق منتجاته • ومن ثم قد يتصور ان يؤدى المشروع الى مزيد من التكامل الاقتصادى بين الدول العربية والدول الصناعية المتقدمة اكثر مما يؤدى الـى تدعيم التكامل الاقتصادى بين الدول العربية نفسها• فتحقيق هذا الهدف الاخير لا يمكن تصوره الا عن طريق التنسيق الجدى بين السياسات التجاريـة والاستثمارية للدول العربية ، الامر الذى يحتاج الى تدخل من غير الاقتصاديين •

امام خطرين كبيرين

ان اثارتنا فيما تقدم للشكوك حول صلاحية بعض السياسات الاقتصادية العربية الجارية تجد تاييدا لها فى بعض ما كتبه المؤرخ البريطانـى الشهير ارنولد توينبى ، وهو بصدد تقييم التجارب التاريخية فى تلافى حضارة الغرب بالحضارات الاخرى • فتوينبى يقتطف التجربة اليابانية كمثـل من اكثر الامثلة نجاحا ، او اقلها فشلا ، لمواجهة الغزو الاقتصادى الغربى • فاذا اعترف اليابانيون بتفوق الغرب عليهم راحوا يعلمون انفسهم كيفية مواجهة هذا الغزو باستخدام نفس الاسلحـة الغربية • وهنا تبدو اليابان كما لو كانت قد نجحت حيث فشلت تجارب مشابهة قام بها امثال محمد على وجمال عبدالناصر فى مصر ، وكمال اتاتورك فى تركيا•ولكن توينبى يعتبر ان استجابة اليابان للتحدى قد فشلت فى جانبين اساسيين •فهو يصفها اولا بانها كانت اساسا « مقلدة » وليست خلاقة ، بحيث لم يكن يقدر لها ، حتى بعرس نجاحها ، اكثر من ان تؤدى فى النهاية الى مضاعفة كمية المنتجات المصنعة آليا والتى ابتدعها المجتمع المنقول عنه ، بدلا من ان تطلق عقال طاقات خلاقة جديدة من اعماق الناس • « ووجه الضعف الاخر فى التجربة اليابانية ، فى نظر توينبى ، هو ان هذا النوع من الاستجابة لا يمكن بطبيعته ان يحقق الخلاص ، حتى مجرد الخلاص فى هذا العالم الدنيوى ، الا لاقلية صغيرة من افراد المجتمع • اما الغالبية فانهم ، فى مثل هـذه التجربة،لا يمكن ان يطمحوا ولا حتى الى ان يصبحوا اعضاء سلبيين فى داخل الطبقة المسيطرة فـى الحضارة المنقول عنها • فمصيرهم لن يزيد على ان ينضموا الى صفوف البروليتاريا فى داخل هذه الحضارة » •

ان هذين الخطرين هما بالضبط ما يتعـين التحذير منه ونحن بصدد مناقشة السياسـات الاقتصادية العربية الراهنة ومستقبل التنميـة العربية • فاذا نحن سمحنا لانفسنا بالتمادى فى التقليد الاعمى وفتح باب التبادل على مصراعيه، فمصيرنا التحلل الحضارى •واذا تمادينا فـى تشجيع استهلاك السلع التى لا تتناسب نفقتها باى وجه من الوجوه مع متوسط الدخول فى البلاد العربية ، فان الرخاء المادى لا يمكن ان يعود الا الى القلة •

■■

د • جلال احمد امين



[illegible] إقبال [illegible] المستقبل

بمناسبة الاحتفال [illegible] بميلاد [illegible]

الدكتور [illegible] عبد العزيز كامل

١ – [illegible]

■ استيقظ الشيخ نور [illegible] ربما [illegible]
مه • رأى يمامة [illegible] في السماء [illegible]
تقبل اليه لتسكن [illegible]
يا بشرى بوليده الجديد • [illegible] من [illegible]
يرفع الله له ذكره ويكون للاسلام [illegible]

ويزداد الشيخ لربه توجها، [illegible]
كسب رزقه من متجر ، يكتفى [illegible]
يستغل حاجة ولا ياكل الربا • [illegible] الاب [illegible]
ا باع ، سمحا اذا اشترى •• [illegible]
هرا وشرابه طاهرا وملبسه طاهر [illegible]
مة مغموسة فى دمعة محتاج ، و [illegible] جرعة
ء فيها شبهة من حرام ••

وتعيش الام المؤمنة،هذا الايمان العملى الزاهد
رفيع مع الاب • ورجا الابوان ان ينشأ صغيرهما،
له فى رسول الله اسوة حسنة ، وان يكون من
لده اقبال على الاسلام والمسلمين فاسمياه «محمد
بال»

٢ – مولد

وجاء اقبال الى دنيانا فى ٢٢ فبراير ١٨٧٣
ى سيالكوت من ارض البنجاب •• ارض الانهار الخمسة
انها اصابع الخير الممتدة فوق ارض باكستان ، اوالبد
لداعية المبسوطة الى الله ، يجرى فى عروقها ماء
لسماء منحدرا من الهملايا القريبة اعلى جبال
لدنيا ، حيث الثلوج اديم ممتد ، والسحب حول
وائبها عمائم ، تبدو بها الجبال مسجدا معلقا بين
لسماء والارض ، فيه آلاف الراكعين الساجدين ،

[illegible] واعتنقت
الاسلام • ثم [illegible] (أسلمت انغامه
[illegible] اقبال [illegible] الزمان •

[illegible] مع [illegible] هجرى جديد

[illegible] بالذكرى المئوية لمولد اقبال مع قرب
[illegible] الخامس عشر الهجرى الجديد•
[illegible] المسلمون ومحبو السلام
[illegible] للمؤتمر الاسلامى العالمى
[illegible] ، اراد به الذين التقوا
[illegible] الجديد نور جديد على
الاسلام ، وتعاون فى مجالات شتى على الصعيد
الاسلامى : اقتصاديا وثقافيا واعلاميا وفكريا •••
واتخذت فى هذه السبيل قرارات وقدمت اقتراحات•
ولعل من الانسب ان يكون هناك نوع من الترابط
بين هذه الجهود الاسلامية ، ومما يعزز هذا الراى
ان اقبال كان فى حياته واضافاته متجها دائما الى
المستقبل ، والى الربط بين الفكرة والعمل •

واحتفالنا بالذكرى المئوية لمولد اقبال يمس
جوانب كثيرة من حياة الاسلام والمسلمين • وذلك
لتنوع الافاق التى حلق فيها باجنحته القوية • مع
التزامه بدينه فيما ينشىء •• ومن النادر ان تعثر
فى تاريخنا على هذا التنوع والمستوى والالتزام
مجتمعا فى انسان واحد : هو الشاعر والفيلسوف
والمربى والسياسى، والمؤمن الذى عاش دينه ممارسة

ودعوة ، فى اكثر من موطن ، وباكثر من لغة يملك ناصيتها ويتحرك فيها بكل اقتدار ٠٠

لو كان الاحتفال بالعيد السنوى لمولد اقبال احتفالا مقتصرا على قطاع من تاريخنا مضى ، لما كانت له هذه المكانة،ولكننا نحس فى اقبال القدرة على الاستمرار والعطاء ٠وتصبح القضية عندنا :

ـ ما الذى استطعنا ان ناخذه من اقبال ؟ وما الذى طبقناه مما دعا اليه وعاش من اجله ؟ وما الموازين التى نستطيع ان نتخذها لنقيم مجتمعاتنا فى ضوء من عطاء اقبال ؟

واود هنا ان اقف عند نقطة اميز فيها بين اقبال «الفكرة» واقبال «المنهج» :

فاقبال الفكرة : هو الاسلام فى صفائه الاول : اساسه الايمان بالله،وقدوته الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكتابه القرآن الكريم ، وصانعوه هم رسل الله والذين ساروا على هداهم ، ونقطة انطلاق قلب المؤمن «ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد» (ق : ٣٧)

اما اقبال «المنهج» فقد ارتبط باطار زمانى ومكانى ، حاول فيه جهده ان يدفع الوجود الاسلامى خطوات الى الامام ٠ وهذا الدفع ينقسم بدوره الى شريحتين اساسيتين : ترتبط الاولى بتكوين الذات المؤمنة ، القادرة ـ فى كل عصر ـ على مغالبة الصعاب ، وتخطى العقبات ، سيرا الى هدفها ٠ وهذه الذات ـ متفاوتة مع نظائرها ـ تكون الامة المؤمنة الحاملة لرسالة الاسلام ، والتى تربى ابناؤها على هذا المنهج السليم ٠٠

وترتبط الشريحة الثانية ـ اساسا ـ بالصيغ السياسية التى دعا اليها اقبال فى تصوير الكيان الاسلامى وما يلائمها فى العصر الذى عاشه ٠٠ وهذه الصيغ ـ بطبيعتها ـ قابلة للتطوير مع متغيرات الحياة الاسلامية

هناك اذن فى تراث اقبال عنصر ثبات وعنصر تغير ٠ ومن الانصاف له أن نكون على بينة من امرنا وامره ، ونحن بسبيل الاحتفال بذكراه المئوية ٠ ومهما يكن من امر فان « قوة الدفع» فى تراث اقبال ينبغى ان تكون الهدف الرئيسى فى مؤتمرات اقبال ـ كما اتصور ـ مؤكدين النظرة المستقبلية، عنده فيكون احتفالنا محاولة لترجمة أصول فكره الى حياه نابضة ،وان نقدم هذا هدية من محبى اقبال الى شباب القرن الخامس عشر الهجرى الجديد ٠٠

بل اننى احس فى اعماق نفسى ، صوتا من اقبال ينادى بان نتعاون ـ من بعده ـ على افادة الجيل الجديد بما كتب له ، وما كان له فيه من امل كبير ٠

٤ ـ اقبال والكلمة الطيبة

لم تكن كلمات اقبال مجرد امتاع فكرى ، ولكنها فى اساسها مسئوليه مشتركه ٠ انها نوع من«العقد الاسلامى » بين الكاتب والقارىء ٠٠ وانت واجد هذا العقد بصورة واضحة فى خواتيم رائعته «جاويدنامه» وقبل ان نعرض لطبيعه هذا العقد نذكر طبيعة الكلمة الطيبة كما وضحها القرآن الكريم ، وهو ميزاننا فى التقويم :

يقول الله تعالى : «الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبه كشجرة طيبه اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها٠ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون «ابراهيم : فالكلمة الطيبة فى القرآن لها فى هذا التشبيه صفات خمس (١) كشجرة طيبة (٢)اصلها ثابت (٣) وفرعها فى السماء (٤) تؤتى اكلها كل حين (٥) باذن الله ٠

هى شجرة ٠ والشجرة حياة ٠ وثباتها اصالة٠ وامتداد٠والفرع امل وعمل،وتعاون مع امتداد الجذور فى الارض،على البحث،عن مصادر الحياة فى ظلمات الارض ونور السماء٠وفى تشعب الجذور والفروع تشعب مسالك السعى كان فيها قبسا من قول الله تعالى ٠٠ هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور (الملك: ١٥) وفى الثمار الشجرة عطاء ٠ وفى قوله تعالى «كل حين» اشارة الى الاستمرار والنظام ٠ وفى قوله باذن ربها رد القوة الى الله٠٠«الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » ـ (الاعراف : ٥٤)

وحينما نعرض كلمات اقبال فى عطائها مع هذا الميزان الالهى الخماسى الابعاد نجدها متوفرة فيها:

١ ـ ففيها الحياة ٠ ومن حياتها عناية العالم العربى الاسلامى والفكر العالمى بحق عناية آخذة فى الزيادة٠ويفتح فكر اقبال كل يوم آفاقا جديدة ، ويترجم الى لغات جديدة ، وتعاد طبعات كتبه ٠ ووجد اسم اقبال طريقه بخطوات واثقة الى دوائر المعارف العالمية ، كما وجد طريقه الى كتب ابنائنا فى مدارسهم ، والى اغانينا ، والى الدراسات

دة فى جامعاتنا ... هو فكر يكسب اصدقاء ا . كالنهر الذى يزداد ماؤه بازدياد روافده، ا تابع طريقه ... ليلقى بهذا الفيض كله فى الاسلام الكبير .

١ ـ وفيه ثبات الاصل . فنحن حين نقرأ اقبال ن ان جذوره تمتد فى هذه الارض الطيبة . ن الايمان . وانه يحمل من بذور هذه الشجرة رسها فى أكثر من ارض . وتحمل اسماء كتبه فضلا عن مضامينها ـ آية ذلك . ولنعد الى م مشرق (رسالة المشرق) و « ارمغان حجاز » ىدية الحجاز » و « زبور عجم » ، لنراها كأنها يطة جغرافية للارض التى آمنت ، والتى أنبتت دم الاسلام على مر العصور . وتمتد فروع رته فى السماء وتحمل كتبه اسم « بال جبريل » جناح جبريل) ليجعل من الكون كله وطنا سلام .. الكون بارضه وسمائه .

٣ ـ ومع ثبات الاصل نجد فيه ارتفاع الفرع وكثرة الاغصان » ساق سامقة كأنها جلال سلام ، وأغصان وارفة تلقى على الارض ظلا ىودا .. وما أكثر الاغصان التى امتدت من برة المعرفة والسلوك عند اقبال ، مؤكدة اتساع اق عبقريته .. وهى مع ارتفاعها كأنها علم اه السارى من بعيد . علم من أوتار الارض تى يمسك بها الاسلام أجياله المتتابعة ان سطرب بها مسالكها وتغيب عن نواظرها معالم طريق .

٤ ـ وهى تؤتى أكلها كل حين : فلقد كانت كستان حلما اقباليا .. فجاءت ثمرة من فكره... اها بعين قلبه قبل ان يراها بناظريه . ثوى فى ـضها قبل أن ترفع أعلامها . وكان علم باكستان بت من هذه البذرة الاقبالية الطاهرة ثابت الاصل فرعه فى السماء .. ولا زال عطاء اقبال يثمر . اصبحت مكتبة اقبال ومدرسة اقبال عالمية المدى ، ها أحباؤها والواردون لحوضها فى كل قارات لارض .

٥ ـ ذلك لاننا نؤمن ان اقبال قالها عن ايمان. .ما ترك من ورائه ثروة مادية كبعض كبار الكتاب والمؤلفين . ولا زلت اذكر وقفتى أمام القسم الخاص به من المتحف بكراتشى وبساطة أدواته وملبسه .. احسست حينئذ انه كان يعيش بانفاس النبوة وعلى هديها ، وان ثروته الحقيقية هى الكلمات الولود ، والافكار المجنحة، التى استطاعت ان تحمل رسالة الايمان فى صورها الشعرية والفلسفية والتربوية .. الى الافاق على امتدادها والاجيال على تتابعها .. كلمات مؤمنة فيها شىءمن روح الاذان .. كثيرة التردد كثيرة العطاء .. مصدرها طاعة الله ومنتهاها الى الله ..

٥ ـ رسالة الى المستقبل

بدأت هذا الحديث برؤيا الشيخ نور محمد ، واليمامة المحلقة فى الفضاء والتى استقرت فى حجره ..

هل ظلت هذه الذكرى مع اقبال حتى تمثلت له ، فى رحلة اخرى الى السماء سجلها فى « جاويد نامه »

ان هذه الرحلة المعراجية لاقبال تصور عقليته فى ذروتها . والذى يعنينى هنا منها أمران أساسيان :

اولا ـ انها تصوير لايمانية الكلمة الطيبة بكل أبعادها القرآنية .

ثانيا ـ انها رسالة الى الجيل الجديد .

لقد تحولت اليمامة الوادعة فى حلم الاب ، الى انسان سوى فى رؤية الابن ، كما عبر عنها فى جاويد نامه ورحله الى السماء مع مولانا جلال الدين رومى .

لم يغلب عليها الطابع الادبى الذى نراه فى رسالة الغفران عند ابى العلاء المعرى ، ولا الطابع الصوفى بما فيه من فناء فى منطق الطير عند فريد الدين العطار ، ولا الاقتصار على احاديث الانبياء فى السماوات العلى الى مستوى قاب قوسين او ادنى كما رأينا فى رسالة الاسراء لمحيى الدين ابن عربى ..

فجاويد نامه حوار حى مع شخصيات تعطى النماذج البشرية المتكاملة فى قطاعات الحياة التى يلقاها العالم الاسلامى بعامة والشباب بخاصة على طريق بناء الغد ..

وحينما يدير اقبال الحوار تحس انه ليس مجرد عرض لشخصيات مضت وتاهت فى درب التاريخ ، ولكنها نماذج متكررة .. على الاقل فى بعض سماتها ، فى رجاله الأبطال المخلصين فى مجالات السياسة . فيهم الدعاة الى الله والى اقامة دولة الاسلام وفيهم المنافقون واذناب الاستعمار ..

وهو يعطيك نماذج من الشرق والغرب ، فلا تحبس نفسك فى قطر واحد ، او ثقافة واحدة ..

كن طائرا قوى الجناح ، تحلق فى الافق •• وتطير وتطير ولكن لا تضل الطريق الى عشك وموطنك •• هكذا كانت رحله اقبال الى العرب وعودته منه • عاد مؤمنا بالعش الذى منه درج ، ودعا الى بنائه من جديد فكان « تجديد الفكر الدينى فى الاسلام » وكان « بيام مشرق » •• وكانت وقفته فى مسجد قرطبة وفى معالم الاسلام فى صقلية وفى رحلته الى القدس الشريف ومروره بمصر وزيارته للافغانستان •

فمع ان رحلات اقبال كانت محدودة المدى بالنسبة الى سنى حياته ، الا انها كانت عميقة التاثير فى نفسه وفى انتاجه •

اقبال اذن كانت له رحلاته الارضية قبل رحلته السماوية • وكان له لقاؤه وحواره مع اعلام الفكر فى عصره ومكانته بينهم •• والتقل بعد هذا الى اعلام التاريخ يحاورهم ، ويقدم عصارة تجربته عبر الزمان والمكان الينا بعامة ، والى الجيل الجديد بخاصة ، فى جاويد نامة •

وهو يقدم نصائحه لبناء المستقبل فى نمط معمارى دقيق يبدأ من نقطة مركزية من حولها دوائر آخذة فى الاتساع • ولكن هذا النمط المعمارى يتخذ اسلوبا يجمع بين المنطق العقلى والعاطفة الاسلامية المشبوبة • ولك ان تقول ان الترتيب منطقى ونفسى فى ذات الوقت •• كيف ؟

١ ـ انه يبدأ الخطاب بتوجيهه الى جاويد • وفى شخصه يخاطب الجيل الجديد كله •

٢ ـ وهو يوصيه اولا بامه ، فالام ايمان ومودة• ويوسع الدائرة لتشمل الاسرة وقوامها « لا اله الا الله » •• هى وصية الاب الى ولده ، وبالتوحيد تقوم السماوات والارض • وهذا التجاذب بين الكواكب « عشق » اذا استخدمنا لفظ اقبال • كلمة التوحيد هى الغنى وهى النور ، وهى محور العبادات والمعاملات جميعا •

٣ ـ ويوسع الدائرة بعد هذا الى القارة التى يعيش فيها : آسيا • أم القارات ومشرقه أنوار النبوات حيث منازل الوحى •• وانت اذا نظرت الى آسيا وجدت مشابه بينها وبين الام التى بدأ اقبال الوصية بها • أم تحمل بين ذراعيها أوربا من ناحية وافريقيا من ناحية ، ووراءها يسعى وليد جديد هو استراليا ••• ثم كشف أبناؤها عن أخ لهم كان وراء بحر الظلمات ••

هو العالم الجديد •• ومع تحذير اقبال من مفاتن أحد الاخوين ، ومع أمله فى الثانى ومن وراء •• فانك تحس الاخاء الانسانى والنظرة العالمية فى اخوته ••

٤ ـ وبعد الحديث عن الام على مستوى البيت، والام على مستوى القارات ، يعود الى الشباب ليقدم اليه وصاياه •• ولقد كنا نتصور ان يبدأ بالشباب باعتباره المركز وينتقل الى الدوائر المتتالية •• الاسرة ووطن العقيدة والوطن الانسانى •• ولكنه اثر تقديم الام : أم البيت وأم القارات ، ورفع فوق الاسرة والكون لواء لا اله الا الله ، ثم عاد بعد هذا الى الشباب يختم به الحديث •

ونحس حين نقرأ وصاياه من الفكر والذكر • من ايجاد مناهج تعليمية تحياها الروح ويزكو بها العمل•من عنى .لنفس بالايمان وقمرها أمام الله• من التحذير من مفاتن الحياة واشاراته المتتالية الى مجالى الروح ، وكيف يبنى بها المسلم حياته الجديدة على أساس ايجابى •• نحس هنا فى تركيز شديد بمنهج اقبال التربوى • منهج التكوين والمسئولية •

وحين ننظر الى المثال الذى ضربه عن جواد السلطان المؤمن والمظفر عندما مرض وسقاه البيطرى خمرا ، وكيف أبى السلطان بعد هذا أن يركبه مجاهدا به فى سبيل الله ، نحس جانبا من طفولة اقبال ، وكيف اعتزل والده العمل الحكومى ليفرغ الى كسب رزقه بجهد يثق ثقة كاملة انه طاهر ، فلا يطعم ولده الا حلالا طيبا ••

عميق هذا الترابط بين تكوين اقبال الذى عاش به ، وتكوين الشباب الذى دعا اليه • وعميق اسلوب والده فى تكوينه ودور الاسرة فيه ، وما دعا الناس اليه ، ومن هنا يبدو جانب الممارسة والقدوة فى التربية الاقبالية ••

وهو يحمل الشباب مسئولية بناء المستقبل واثق الخطوة مجنح الروح والكلمة عاشقا لدينه، ايجابيا فى تكوينه ، تقيا فيما يأخذ ويدع • قوى الذات مستعليا على الاحزان والاطماع •• هذا هو رجل الحق المأمول عنده •• هو الذى يدعو اليه اقبال، ويدعو ـ حتى بعد موته ـ لمن تحقق به • ■■

د • عبد العزيز كامل

للمناقشة

حزب "التبرير" الإسلامى !

ما رايكم فى ان نطلق عليهم « حزب التبرير الاسلامى » ؟

اولئك العارفون المنتشرون فى ارجاء عالمنا العربى ، المتخصصون فى تفصيل الثياب الاسلامية التى تغطى كل موقف ، وتناسب كل قياس وترضى كل ذوق • المهرة فى التلاعب بنصوص القرآن والاحاديث النبوية وتطويع حقائق التاريخ الاسلامى • خبراء التلفيـــق والتخريج ، والترقيع اذا لزم الامر • العباقرة فى شم وتحسس اتجاه الريح ، كلما مال الشراع مالوا معه ، شريطة الا تلوح بوادر الغرق ، لانهم ـ ببساطة ـ يفعلون ما يفعلون ليحيوا ، لا لكى يموتوا !

الا يشكل هؤلاء حزبا حقيقيا ؟ ••الهدف واضح والبرنامج والاساليب معروفة ، والانتشار واقع بالفعل • وكما ان هناك احزابا للخاصة ، المحافظين والاقطاعيين مثلا ، فان شرط العضوية الوحيد فى حزب « التبرير » هذا هو ان يكون المريدون من العارفين ، الذين تشترط فيهم « المرونة » الفكرية ، وسعة الافق ، والذمة ايضا !

احدهم ، وقف مرة فى ندوة باحدى العواصم العربية يؤكد ان التصوير حرام ، ويعزز رايه بالادلة والقرائن • وبعد ان انتهى من كلامه قال له احد الجالسين ، الا ترى ان هناك صورا بذاتها معلقة على جدران دواوين الحكومة ، وان الصورة التى تعلو ظهرك ينطبق عليها التحريم ، طبقا لما تقول • عندئذ قال صاحبنا بثل وقار ، انه الرسم وليس التصوير• لان التصوير بالكاميرا لم يكن معروفا فى ايام الاسلام الاولى ، والصورة فى حكـم ظـل الانسان ، ولم يقل احد بان الظل حرام ! بسرعة مدهشة جاء التبرير ، وتم « تفصيل»الفتوى•

يذكرنا ذلك بما حدث بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، وتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة بعده ، ثم قوله سيروا بسيرة عمر • ولكن الخليفة الجديد لم يحتمل السير على طريق عمر بن عبد العزيز ، بالمثل العظيم الذى ضربه والقيم النبيلة التى جدد غرسها • اراد يزيد ان يطلق لهواه العنان ، فاتى باربعين شيخا ـ من أهل التبرير ـ فشهدوا له : ما على الخلفاء حساب ولا عذاب !

•

وكما تتعدد الفرق داخل الحزب الواحد ، فان من بين اهل التبرير فرقة تخصصت فى تطويع نصوص القرآن لتفسير الظواهر والانجازات العلمية • اذا هبط الانسان فوق القمر ، قالوا ان ذلك موجود فى القرآن • واذا القيت قنبلة ذرية على هيروشيما اكدوا ان النبوءة قديمة فى بعض السور • واذا اطلق صاروخ فى الجو ذكروا ان « قذائف الحق » نعرفها قبل غيرنا •• وهكذا !

وربما كان من تحصيل الحاصل ان نقول ان القرآن تضمن [illegible]لات للعديد من الظواهر الكونية والعلمية ، ولكن ملاحظتنا تنصب اساسا على افتعال هذه العلاقة بين القرآن والعلم ، فى مسائل تفصيلية يتقدم فيها البحث وتتغير فيها النتائج كل زمن .

والان يعمل حزب التبرير - بكل فرقه - بهمة تثير الانتباه ، منذ هبت ريح السلام وهم يرمزون على نقطتين ، موقف الاسلام من السلام ، ثم صلح الحديبية ، باعتباره نموذجا للمهادنة والمصالحة • وما قيل - وهو كثير - يحتاج الى تصحيح وايضاح •

نعم يدعو الاسلام الى السلام فى كل مناسبة قرانية • وتحية المسلم هى « السلام عليكم» والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، بنص الحديث الشريف • لكن الوقوف عند آية « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » يعد ابتسارا مخلا • وتصويرا غير امين لموقف الاسلام من هذه القضية •

ذلك ان آية « وان جنحوا للسلم ••• »،تسبقها على الفور آية « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة •• » والقرآن الكريم الذى يقول : «ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين» يسبق هذا النهى بامر نصه : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم» •وهو ذاته الذى يقول: « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ، ان تولوهم ،ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون »•

وهو ذاته الذى يقول : « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم ، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » ثم يضيف : «فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ، ويكفوا ايديهم » ، فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم » •

وفقه المسلمين هو الذى يقول : ان غلب العدو على بلد من بلاد الاسلام او ناحية من نواحيها فالجهاد فرض عين•فتخرج المراة والعبد بلا اذن الزوج والمولى•وكذا يخرج الولد من غير اذن والديه ، والغريم بغير اذن دائنه •

وفقه المسلمين هو الذى يقول ايضا : ان امراة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على اهل الغرب تخليصها •

لقد كانت حروب الاسلام دفاعا عن الانسان ، تستهدف تحريره من العبودية والشرك والظلم ، ومن اجل هذه الرسالة فرض « الجهاد » ، الذى تتعدد فيه النصوص ، بعضها يحث المؤمنين ويبشرهم وبعضها يرمى القاعدين بابشع النعوت والصفات فى الدنيا والاخرة •

واذا كان هذا هو موقف الاسلام من تحرير الاخرين ، فما بالكم اذا تعلق الامر بتحرير المسلمين لانفسهم ؟

ان ابراز الايات الداعية الى السلام وحدها ، دون الاشارة الى سياقها الحقيقى والشروط الموضوعة فى القران لتحقيق هذا السلام ، هو حيلة يلجا اليها اهل التبرير ، متصورين انهم بذلك يركبون الموجة ويسايرون التيار • وهو منهج مكشوف وشهير فى عالمنا العربى ،شعاره قراءة الاحكام بطريقة « لا تقربوا الصلاة » •

●

بقى موضوع صلح الحديبية ، ومحاولات التذكير به والقياس عليه •

كان ذلك فى العام السادس للهجرة - فى شهر ذى القعدة - والرسول (ص) وصحبه فى المدينة قوة صاعدة تحاول ان تثبت اقدامها فى ارض الجزيرة • وقتئذ اعلن الرسول(ص) انه متوجه الى مكة ليؤدى العمرة ، بينما المشركون هناك ، رافضون لهذا الكيان الجديد •

خرج الرسول (ص) ومعه ١٥٠٠ من صحابته ، وفزعت قريش ظنا منها انهم قادمون لقتالها • فبعث الرسول (ص) اليهم عثمان بن عفان ليطمئنهم •

اقتنعت قريش ، وارسلت مبعوثا للاتفاق مع المسلمين ، فقال له رسول الله (ص) : اكتب بيننا وبينكم كتابا •

وتقول الرواية التاريخية ان الرسول (ص) دعا علي ابن ابي طالب ، وقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم .

عندئذ قال مبعوث قريش ـ سهيل بن عمر ـ اما الرحمن فوالله ما ندرى ما هو ، ولكن اكتب « باسمك اللهم » كما كنت تكتب. فقال المسلمون، والله لا نكتبها ، الا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبى (ص) : اكتب باسمك اللهم .

وكان هذا تنازلا اثار انتباه المسلمين .

ثم قال الرسول (ص) يملي عليا اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل : والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك . ولكن اكتب : محمد بن عبد الله .

فقال النبي (ص) : اني رسول الله وان كذبتموني . اكتب « محمد بن عبد الله » . وامر عليا بأن يمحو ما كتبه ، فتمنع وقال : لا والله لا امحوها فقال رسول الله (ص) : ارني مكانها ، فاراه مكانها ، فمحاها .

وكان هذا ايضا تنازلا اثار انتباه المسلمين .

ثم طلب مبعوث قريش ان يرجع المسلمون وعلى رأسهم النبى (ص) ، ولا يعتمرون الا فى العام التالى حتى لا يظن العرب انهم دخلوا مكة عنوة ، فوافق الرسول (ص) .

بعد ذلك طلب المبعوث شرطا غريبا ، اذا انضم واحد من اهل مكة الى معسكر المسلمين بغير اذن ـ حتى ولو كان قد اسلم ـ يرد الى قريش ، واذا لجأ واحد من المسلمين الى مكة ، لا تلتزم قريش برده الى النبى . ووافق الرسول (ص) ايضا على هذا الشرط .

وشاء القدر ان يصل الى معسكر المسلمين ، والاتفاق لم يتم بعد ، احد مسلمى مكة هاربا من العذاب وهو يرسف فى قيوده . وقد رمى بنفسه وسط الجموع عند الحديبية . ولم يفوت مبعوث قريش الفرصة ، وقال : هذا يامحمد اول ما اقاضيك عليه على ان ترده.

فرد النبى (ص) قائلا ان الاتفاق لم يتم ، وطلب من مبعوث قريش ان يترك هذا المسلم الوافد (جندل بن سهيل) ، ولكن المبعوث اصر على موقفه، فوافق الرسول (ص) على تسليمه.

فلم يملك الرجل نفسه وقال مستغيثا : يامعشر المسلمين ، ارد الى المشركين وقد جئت مسلما ، الا ترون مالقيت ؟

وهكذا . وسط دهشة المسلمين ، تم الاتفاق بين النبى (ص) وقريش ، على هدنة امدها عشر سنوات ، وعلى ان يرجع المسلمون هذا العام ، وعلى ان يدخلوا مكة فى العام المقبل والسيوف فى اغمادها ، وان لكل قبيلة حق الدخول فى عهد مع اى من الطرفين .. الى غير ذلك من شروط تسليم الافراد بين قريش والمسلمين .

يصف ابن هشام الموقف واشتد بقوله انه «دخل عليهم ـ المسلمين ـ امر عظيم حتى كادوا يهلكون » . ويشير الواقدى الى ان المسلمين « كانوا يتميزون غيظا والما ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما » .

هذه باختصار شديد ابرز وقائع صلح الحديبية ، الذى اعتبر بداية الانتصار الكبير للمسلمين، وفيه نزلت آيات سورة الفتح وفى مقدمتها : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » (نزلت فى طريق العودة الى المدينة بعد الاتفاق مباشرة) .

●

واذا اردنا ان نقارن ونقيس ، فلا بد ان نضع فى الاعتبار اولا انه فى حقيقته « هدنة » مسلحة وليس صلحا (انهار الاتفاق بعد سنتين بسبب نقض قريش لشروطه) ـ ومن ناحية

اخرى فان عناصر الصراع الاساسية مختلفة ، فلم يكن بين المسلمين وقريش قضية ارض مثلا.

ولنسال بعد ، كيف كان الصلح فتحا وانتصارا ، رغم ما قدم من تنازلات ؟

لقد كان الانجاز الاكبر هو اعتراف قريش - زعيمة الوثنية - بالمسلمين ، كقوة اثبتت وجودها ، حتى صارت طرفا له شرعيته ، وينبغي التسليم بوجوده والتفاهم معه .

ثم ان الصلح اتاح للمسلمين الاختلاط بالمشركين في امان ، ومكنهم ذلك من نشر الاسلام بينهم . وفي سيرة ابن هشام انه « لما كانت الهدنة ووضعت الحرب ، وامن الناس بعضهم بعضا ، والتقوا فتفاوضوا في التحديث والمنازعة ، فلم يكلم احد في الاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه».

وكانت النتيجة ان الرسول كان قد خرج الى الحديبية واصحابه عددهم ١٥٠٠ ، ثم خرج في عام فتح مكة - بعد الصلح بعامين - وقد وصل عدد اصحابه الى عشرة آلاف .

وكان من ثمار الصلح ان توقف العذاب الذى كان يلقاه المسلمون في مكة .

ويذكر سير توماس ارنولد في كتابه « الدعوة الى الاسلام » ان الهدنة اتاحت للرسول (ص) ان ينشط بدعوته بين القبائل التي تقيم جنوبي المدينة حتى تخوم اليمن . وكان لانتشار الاسلام بين هذه القبائل اهمية خاصة من الناحية العسكرية ، اذ انه جعل قريشا محاصرة بالمسلمين من الشمال والجنوب ، وبذلك تقرر مصير مكة وقريش نهائيا .

لقد كان الصلح طريقا لحسم المعركة نهائيا لصالح المسلمين .

ومن ثمار الصلح ايضا ان الرسول بهدنته مع قريش تمكن من ان يوجه الضربات والسرايا الى القوى الاخرى التي كانت تحاول الانقضاض على المسلمين ، من اليهود الى البيزنطيين الى التجمعات البدوية الاخرى في الصحراء وطوال السنة السابعة للهجرة (الاولى بعد الصلح) ، كانت سرايا المسلمين تؤدب هؤلاء وتردعهم .

وبلغة الساعة . فان هذا « الاتفاق الجزئي » مكن الرسول (ص) من « تحييد » قريش، واتاح للمسلمين فرصة التفرغ لتصفية الجبهات المعادية الاخرى . كان « تسكينا » لجبهة ، وليس انهاء للمعركة بين الاسلام والشرك .

وكتب السيرة حافلة برصد العديد من الانجازات الحقيقية الاخرى التي كسبها المسلمون بعد صلح الحديبية ، بينما كل ما قدموه لم يتجاوز تنازلات شكلية بالدرجة الاولى .

لكن الذين يذكرون ويقيسون ، من اهل التبرير ، يقراون سيرة النبي ايضا بطريقة « لا تقربوا الصلاة » ! ولو انهم قراوا الاتفاق بامعان، لاكتشفوا انه حجة عليهم وليست لهم !

●

ولن يتوقف نشاط حزب التبرير الاسلامي ، ليس فقط لقوته وعراقته ، ولكن ايضا لان ظروفا مواتية عديدة تهيىء المناخ المناسب لاستمراره وانتشاره .

ومعذرة اذا كان هذا الذى كتبته بمثابة بلاغ ضد حزب التبرير واهله .

لكنه يشفع لي انني اوجه هذا البلاغ الى ضمير امتنا ، التي يعلم الله وحده مايراد لها وبها .

ومعذرة ايضا اذا كنت قد قطعت مناقشة اخرى حول مسالة التحديث في الفكر الاسلامي، ضرورته ومخاطره ومداه .

وارجو ان استكمل هذه المناقشة في مرة قادمة .

■■

فهمي هويدي

العرب
افريقيا

«جزء خاص»



● انتشرت بؤرة الصراعات الدولية خلال عام ١٩٧٧ الى افريقيا .. والان تشهد دول القارة صراعا محموما بين القوى الكبرى .

ويكفي ان نتطلع الى نقاط التماس العربى الافريقي والحزام المحيط بالعالم العربى .. لنرى انفجار المعارك المسلحة في العديد من المناطق والتي من بينها ما يدور في القرن الافريقي باعتبارها اكثر مناطق القارة اختزانا لطاقات واحتمالات الصراع الاقليمي والعنصري .

وفي الصومال – احدى دول الجامعة العربية – يعاني الشعب هناك من تمزيق اوصاله وهو شعب متجانس في اللغة والدين والثقافة والعادات .

ورغم ذلك فهو موزع الى الصومال الحبشي والصومال الكيني .

ويناضل الشعب الصومالى لتحرير ارضه في المناطق الخاضعة للاحتلال الاثيوبي . وعلى الجانب الاخر تشتعل ثورة الشعب الاريتري من اجل تقرير مصيره والذي اهدرت القوى الاستعمارية حقه في الاستقلال ..

● وقد انتقل الصراع في افريقيا من الحرب الباردة الى الصراعات المسلحة وتعددت دوائر الصراع في انجولا في منتصف السبعينات ، واخذت تتعمق ظاهرة الاستقطاب الدولي .

واصبحت غالبية الصراعات الافريقية انعكاسا على نحو او اخر لصراع القوى المستتر بين العواصم العالمية موسكو وواشنطن وبكين وباريس ولندن ...

● ونظرة الى خريطة الصراعات الافريقية عام ١٩٧٧ تؤكد هذا الاتجاه فمن احداث زائير الى هجوم المرتزقة في بنين .

الى اغتيال رئيس الكونغو برازفيل ، ثم تاجج الصراع في كل من روديسيا وجنوب افريقيا ضد سيطرة الرجل الابيض والاستعلاء العنصري ..

● ويكشف رصد الصراع في القارة الى ان التطورات تتصاعد بمعدل سريع ، بصورة جعلت القارة تعود مرة اخرى الى بؤرة الاهتمام العالمي .

حتى تكاد تستقطب الاهتمام دون مناطق التفجر الاخرى في العالم . وصاحب تلك الظاهرة تطور للعلاقة بين الدول الكبرى ودول القارة . فتعمل الدول الكبرى على تجنب اشكال التدخل السافر والصورة الاستعمارية التقليدية .

وتستخدم وسائل جديدة مثل التسلل الى الاحزاب والمرتزقة وسباق التسلح والاقليات القومية والمعونات الاقتصادية والانقلابات العسكرية واخيرا تحريك الدول الافريقية ضد بعضها البعض ..

● والعالم العربى ليس بعيدا عن هذا الصراع الدائر في عمقه الاستراتيجي ، ونتائجه تنعكس مباشرة على الصراع العربى الاسرائيلي . ويدور في مناطق بالغة الاهمية فيمس امن البحر الاحمر ويقع داخل منابع نهر النيل .

العربي الصغير

إعداد : يوسف زعبلاوي

ملحق للعربي بالمجان ـ العدد ٢٢٨ ـ ذو الحجة ١٣٩٨ ـ ديسمبر (كانون الثانى) ١٩٧٨





لعنة الفراعنة بين الواقع والخرافة

نشرت احدى الصحف البريطانية الواسعة الانتشار ، حديثا مشوقا عن « لعنة الفراعنة » ٠٠ فى عددها الصادر فى ٢٤ سبتمبر الماضى ٠٠٠ وأكد المحرر فيما أكد تجرده وتجرد جريدته عن المعتقدات الخرافية كلعنة الفراعنة والاعتقاد بأن الموت هو المصير المحتوم لكل من يعبث بقبور الفراعنة ٠٠ الا أن الصحيفة أوردت من حوادث الموت الغريبة الغامضة ما لا سبيل الى تفسيره بغير الرجوع الى اللعنة اللعينة ٠

وأول ما يلفت النظر من تلك الحوادث وفاة الدكتور جمال محرز المفاجىء ٠ والدكتور جمال أحد علماء القاهرة المختصين بالآثار الفرعونية ٠٠ فقد توفى عن عمر لا يجاوز ٥٢ سنة ورغم ما كان يتمتع به من صحة جيدة ٠٠ وجاء موته أثر توقيع الاتفاقية الخاصة بعرض كنوز توت عنخ آمون فى بريطانيا ٠٠ وكأن فرعون الفتى ينفر بطبعه من المعارض والدعاية اللتين نصت عليهما الاتفاقية ٠٠ أو كأن الفراعنة انتقموا لانفسهم من الدكتور جمال الذى قضى حياته كلها بين قبورهم وآثارهم والذى كان يؤكد دائما انكاره لعنة الفراعنة واعتقاده بأنها خرافة من الخرافات ٠

ولو عدنا الى الوراء قليلا لذهلنا لحوادث الموت التى أعقبت اكتشاف قبر توت عنخ آمون ، قبل ٥٥ عاما ٠٠ وكان مكتشف القبر اللورد كارنرفون أول الضحايا ٠٠ اذ لم يكن قد مضى على اكتشافه القبر سوى ثلاثة أسابيع حين لسعته بعوضة فأردته قتيلا ٠٠

وقل مثل ذلك فى أحد زملاء المكتشف



٠٠ عالم الآثار الامريكى الذى كان من نزلاء الفندق نفسه ٠٠ فندق الكونتننتال فى القاهرة ٠ فقد أصيب بالغيبوبة فجأة ، وما لبث أن مات ٠٠

أما ارشيبالد دوجلاس ريد ، أخصائى الاشعة الذى لم يكد ينتهى من تصوير مومياء توت بالاشعة ويعود الى بلده فى بريطانيا، حتى شعر باعياء شديد، ومات٠

ولحق به المدعو جورج جاى، صديق اللورد كارنرفون نفسه ٠٠ فقد دعاه اللورد لزيارة القبر بعد اكتشافه مباشرة ، واذا به يصاب بحمى شديدة فى صبيحة يوم الزيارة ٠٠ وما لبث أن مات قبل حلول الليل ٠٠

وهكذا تكاثرت الوفيات حتى بلغ عددها ١٣ فى غضون ست سنوات ٠٠ وكان الثلاثة عشر جميعهم من الذين حضروا فتح قبر توت عنخ آمون شخصيا ، ومن الذين كانت أعمارهم دون الستين عاما ٠٠ يضاف اليهم تسعة أشخاص كانت صلتهم باكتشاف القبر غير مباشرة ٠٠ ماتوا جميعهم فى سن مبكرة ٠٠

واختتمت الصحيفة حديثها بذكر ما حدث لمراسلها ، نك جنكنز ، الذى ساهم فى تحرير هذا الحديث بالذات ٠ اذ لم يكد (نك) هذا يسلم المطبعة ما كتب ويستقل سيارته الجديدة، وهى من نوع (الفاروميو)، حتى ارتطمت السيارة وتحطمت ٠٠ فى ظروف غامضة للغاية ٠

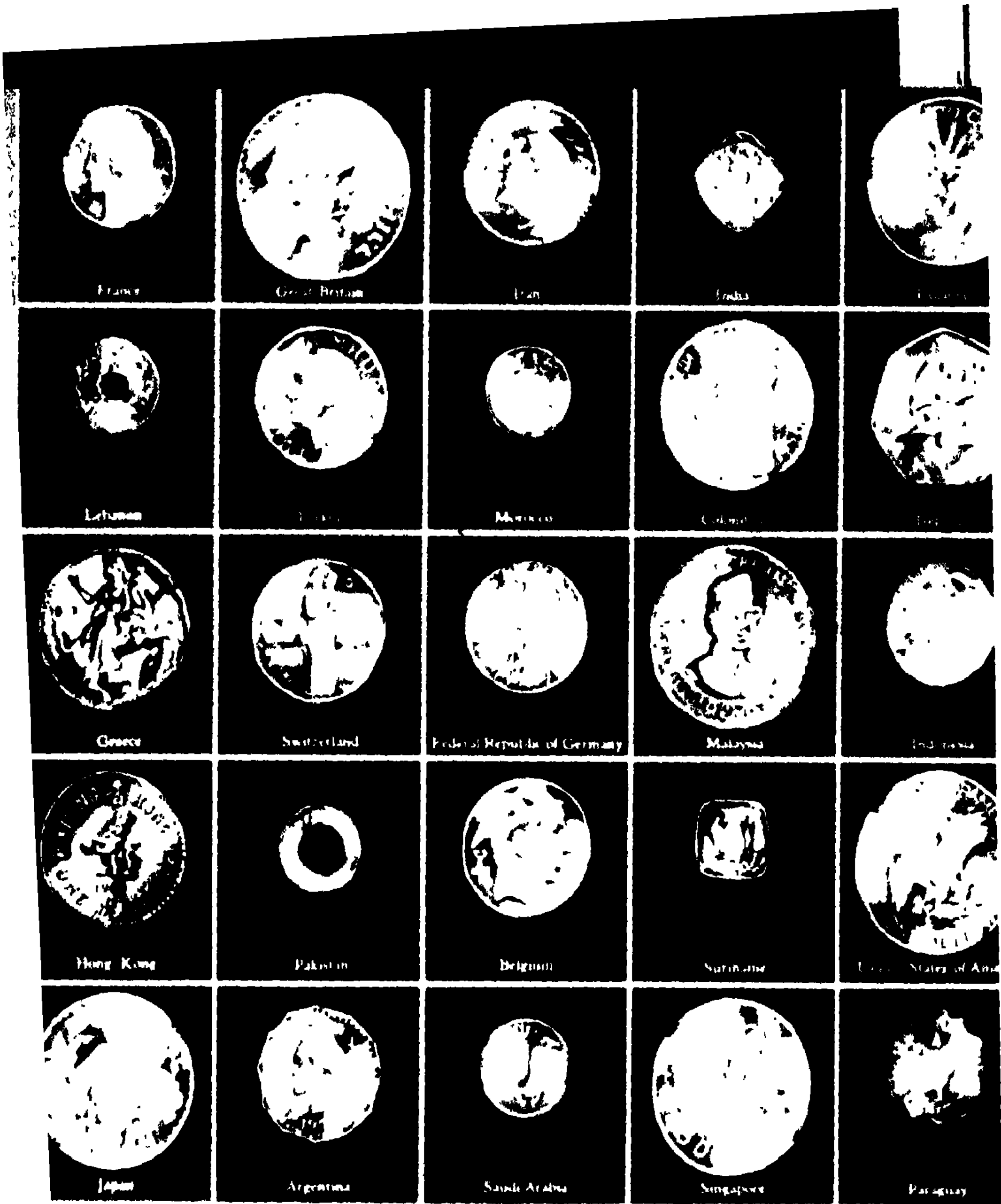
ونتساءل بعد ذلك عما اذا كانت لعنة الفراعنة هى التى تفسر لنا حقا حوادث الموت هذه ٠٠٠ ؟ أم أن الموت فيها انما يعزى الى أسباب طبيعية ٠٠ سواء عرفنا تفاصيلها أم لم نعرف ٠٠٠ ؟

النشيد القومى الفرنسى ٠٠ (بقية)

واتفق ان جيشا من المتطوعين من أهالى مرسيليا كان ينوى الزحف على باريس للاشتراك فى الثورة ٠٠ صبيحة تلك الليلة ٠٠ واتفق ان كان بين الزاحفين عدد من الذين حفظوا النشيد لحنا وكلاما ٠٠ فراح هؤلاء يرددون النشيد الجديد وهم فى طريقهم الى باريس ٠٠ وتبعهم فى ذلك سائر الزملاء الزاحفين القادمين من مارسيليا والمتجهين شمالا الى العاصمة باريس ٠٠

وهكذا سمى النشيد القومى الفرنسى (المارسيلياز) ٠

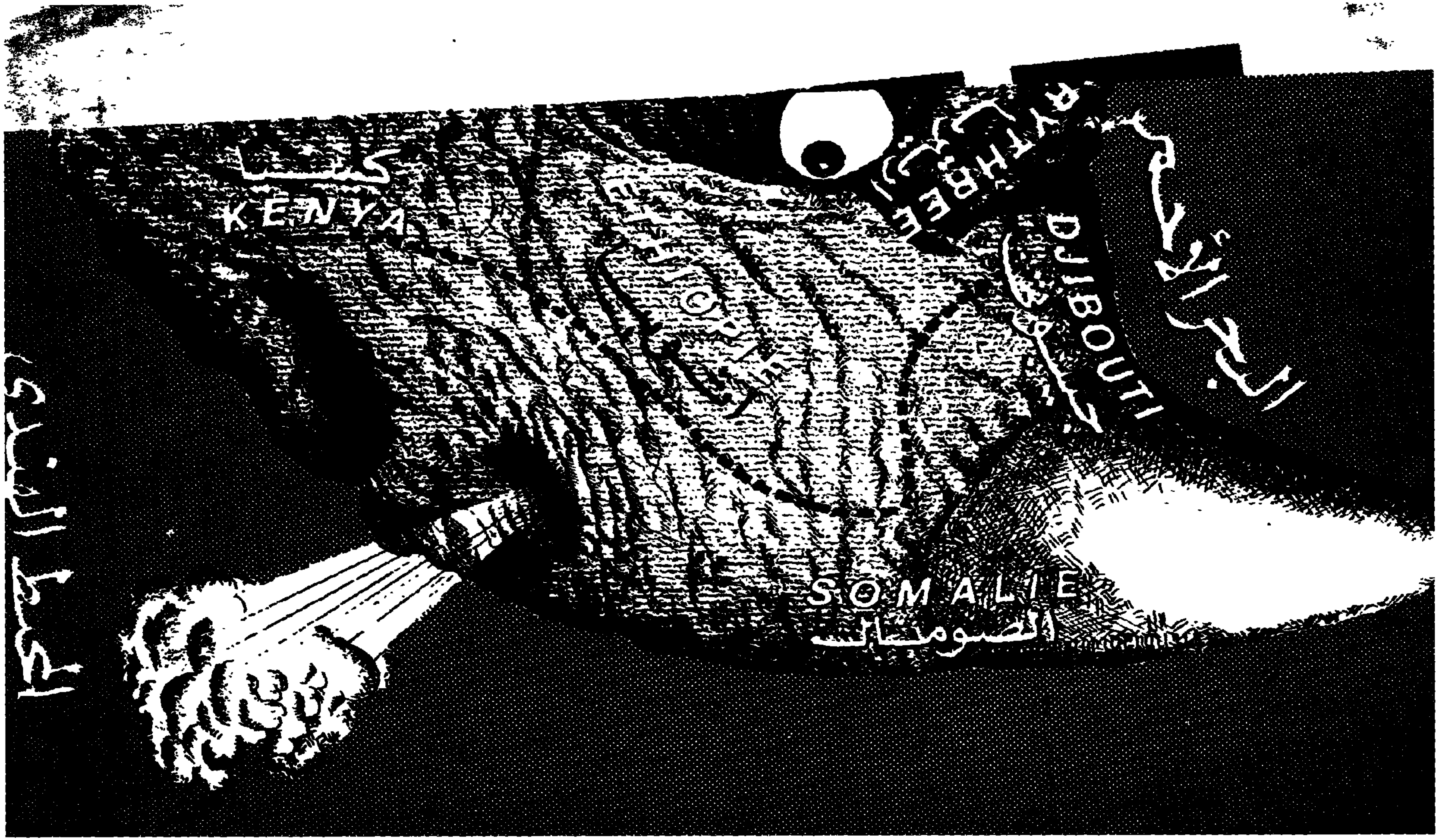
المحيط الهندى



هوايات مفيدة مريحة

● هواية جمع النقود هواية نشطة فى بلاد الغرب . . وهى مفيدة تعود على صاحبها بشتى المكاسب الادبية والمادية .. وحسبك ان قطعة نقودواحدة بيعت بمبلغ ٣١٤ر٠٠٠ دولار، نظرا لقيمتها التاريخية . اذ كانت الغريقية تداولها قدامى اهل اليونان ، وكانت قيمتها انذاك ١٠ دراخمات . وقد تمت الصفقة فى مزاد هلنى اقيم فى مدينةزوريخ فى سويسرا سنة ١٩٧٤ ..

وعلى ضخامة هذه الصفقة فانها تتضاءل لوقورنت بصفقة اخرى عقدت فى كاليفورنيا سنة ١٩٧٦ . ولم تكن قطعة النقود التى بيعت فيهاقديمة ، بل كانت من عملات الولايات المتحدة المسكوكة سنة ١٩٠٧ .. وقد بلغت قيمتها فى التداول انذاك ٢٠ قطعة ذهبية .. اما المبلغ الذى دفع ثمنا لها فقد بلغ نحو مليون دولار.. بالضبط(٩٠٠ر٠٠٠) دولار ..



البحر الأحمر
DJIBOUTI
جيبوتي
RYTHREE
KENYA
كينيا
SOMALIE
الصومال
المحيط الهندي





فتاة تنزانية تقف الى جوار ثمار شجرة البن فى موشى ٠

(١)
تنزانيا
العرب وصراع اللون والثر

الس
الد
المزا

المكا
التار
وقد
و
١٩٧٦
المسك
دفع



بقلم : مصطفى نبيل

● رحلتنا الى تنزانيا .. ذلك البلد الافريقى الواقع على احد نقاط التماس والامتزاج بين العرب وافريقيا ، والداخل فى الحزام الاسلامى الذى يحيط بالعالم العربى ، والهام استراتيجيا للوطن العربى . فى شماله وجنوبه تدور اعنف المعارك المسلحة .. شمالا بين الصومال واثيوبيا وجنوبا معركة التحرير ضد روديسيا وجنوب افريقيا، وعلى ارضه تعيش احد التجارب الوحدوية الهامة بين تنجانيقا وزنجبار .

هذه هى دار السلام العاصمة التى اقامها العرب واعطوها اسمها منذ مايزيد عن المائة عام ايام الدولة العربية التى امتدت من الساحل

الافريقي وحتى ساحل عمان ، وكانت تسمى زنجبار وكان وجهها العربي أزهى صفحات تاريخها واكثره تالقا .

وبداية تقع تنزانيا في وسط القارة الافريقية وتتاخم تسع دول افريقية ويحدها شمالا كل من كينيا واوغندا ، وغربا الكونغو ، وجنوبا موزمبيق وزامبيا وملاوي وتمتد على المحيط الهندي شرقا لمسافة ٥٠٠ ميل ، وتبلغ مساحتها ٩٢٥ الف كيلو متر مربع اي ضعف مساحة فرنسا و٢٤ مرة مساحة هولندا ، ويبلغ عدد سكانها ١٥ مليون نسمة ..

وعلمت ان هنالك مشروعا لنقل العاصمة «دار السلام » الى عاصمة جديدة شرع في اقامتها في المنطقة الوسطى وستكتمل بعد ثلاثة اعوام وتسمى دودوما ، والعديد من الدول الافريقية غيرت اسمها القديم كجزء من بقايا العصر الاستعماري وكتعبير عن رفض الماضي والتطلع الى المستقبل ، واسم تانزانيا اطلق في الماضي البعيد على احد الممالك التي قامت على هذا الجزء من القارة ، وهمس في اذني من قال..«ان فكرة تغيير العاصمة من بين اهدافها اخراج العاصمة من المنطقة الاسلامية التي يغلب عليها الطراز العربي .. ! !



تنزانيا .. القبائل والتاريخ !

وقبل ان نمضي في استعراض تنزانيا الحاضر ، نستعرض تاريخها الاجتماعي المتميز ، وكيف مرت كل من تنجانيقا وزنجبار بظروف تاريخية مختلفة وان لم ينقطع التاثير المتبادل ؟ وكيف تقلص الدور العربي في كل منهما رغم اختلاف الاساليب التي اتبعت في كل من شقيها تنجانيقا وزنجبار.

ففي تنجانيقا لعبت ذبابة تسي تسي دورا بارزا عندما ابعدت البلاد عن الاستعمار الاستيطاني فلم تسكنها اقلية اوربية مثل ما حدث في كل من كينيا وروديسيا ، وشهدت وحدة اجتماعية شبه متميزة عن جيرانها ، ورغم ان حدودها السياسية مثل كل الدول الافريقية رسمها الاستعمار الا ان التاثير العربي والاسلامي اعطاها مناخا فكريا ولغة للتعامل هي السواحيلية ومجموعة من القيم والعادات والتقاليد المتميزة ، وتسللت ثم انتشرت هذه التاثيرات من خلال القوافل العربية ابتداء م الساحل وحتى منطقة البحيرات ، وقدمت للبلا مدنا ساحلية كدار السلام وتنجا التي تميزت ع مناطق الداخل بطرازها ، وكانت تانجا اكبر مراك الثقافة العربية القديمة ، ورغم ان تنجانيقا ل تعرف انتقال اسر عربية حاكمة تدير شئونها كما حد مع اسرة بوسعيد في زنجبار الا ان تاثير النظ السياسية والادارية التي اقامها العرب واضحة وايضا تركيبها البشري متميز فلم تعرف الوحدا القبلية والبشرية الكبيرة التي يؤثر تعدادها ف ميزان العلاقات بين الوحدات القبلية كما هو الحا في كينيا واوغندا فيسكنها ما يقرب من ١٢٠ قبيل اكبرها سوكاما التي يقرب تعدادها من مليو نسمة ، وتليها وحدات اخرى مثل شاجا التي عرفت بالثقافة والحضارة ونياموزي التي يبلغ تعدا كل منهما حوالي نصف مليون نسمة ، فالحرو القبلية المتعددة جعلت القبائل تنتقل من اماكنه الى اماكن اخرى مما فتت الاعداد الكبيرة ال وحدات متناثرة ..

فالعاصمة دار السلام يسكنها حاليا ٢٧٥ الف نسمة تليها ١٦ مدينة منتشرة في مناطق الشمال والغرب وعلى الساحل ، ولايزيد عدد سكان كل منها على خمسة آلاف نسمة ، واهم نتائج الوجود العربي انتشار الاسلام في كل انحاء البلاد ، وان لم يعتنقه كل السكان ، ويكاد لا توجد منطقة يسكنها المسلمون وحدهم ، ولا توجد قبيلة جميع افرادها من المسلمين ، وادى هذا الى عدم تقسيم البلاد الى قسم اسلامي وآخر مسيحي كما حدث في كينيا وغانا ونيجيريا وتشاد ..

ولم يستطع ان يدخل حكم الالمان ثم الانجليز اية تغييرات جوهرية على هذه الصورة ، والتغيير الهام الذي وقع هو انكماش دور العرب كفئة حاكمة خلال الحكم الالماني ، وظهور المثقفين والمتعلمين من ابناء القبائل الصغرى خريجي مدارس التبشير وقد وصل عدد منهم الى الجامعات البريطانية تمهيدا لقيامهم بالدور الرئيسي في ظل الحكم البريطاني ، والذي صاحبه استمرار تقلص الاقلية العربية وتاثيرها الحضاري ، فلا تنعكس نسبة المسلمين داخل المجتمع على سبيل المثال على نسبتهم داخل طلبة جامعة دار السلام، او حتى على نسبتهم داخل القوات المسلحة التنزانية .

وربما ساعد على ذلك الشعارات التى رفعها
ب تانو الذى قاد البلاد خلال معركة الاستقلال ،
ى الوقت الذى شهدت فيه جزيرة زنجبار اعنف صراع
صرى ، كان وزير المالية من اصل اسيوى، وامين
ندوق حزب تانو من اصل اسيوى وحتى وزير
زراعة العالى برايسسون من اصل اوربى، بمعنى
، تم تقلص الدور العربى فى ظل موقف غير
صرى وبالتدريج عن طريق خلق اوضاع جديدة
ظام تعليمى يحقق الهدف المنشود .

« المعلمو »
نيريرى

ولايمكن ان تكتمل صورة ما يجرى فى تنزانيا
ن غير التركيز على سيرة الرجل الذى قاد البلاد
لى الاستقلال والذى مازال يمسك بين يديه بدفة
حياة السياسية فى تنزانيا وهو الرئيس جوليوس
يريرى والذى تكشف سيرته العديد من ابعاد
لتجربة فى تنزانيا ، فالقيادة هنا وفى العديد من
ول العالم الثالث تلعب دورا بارزا ..

التقيت بالرئيس جوليوس نيريرى فى حديقة
صره المطل على المحيط الهندى ، وقضيت زهاء
لساعة معه وهو يتحدث بذكاء وحيوية ، وشعبه
طلق عليه « المعلمو » اى المعلم ، وهو من الم
ادة افريقيا ، ويتولى الرئاسة منذ استقلال
نجانيقا فى ديسمبر ١٩٦١ ، وساهم مع عبدالناصر
نكروما وسنغور وسيكوتورى وهيلا سلاسى فى
قامة منظمة الوحدة الافريقية عام ١٩٦٣ ..

ولد جوليوس على الساحل الشرقى لبحيرة
فيكتوريا ابنا لاحد رؤساء قبائل الزنكى الصغيرة
والتى تشتغل برعى الغنم ، واعد له دور فى
لخطط البريطانية لتنجانيقا ، فتعلم فى مدارس
التبشير ، وحصل على دبلوم فى التعليم ودرس
الدكتوراه فى لندن ، والدور الذى اعد له دور
متواضع كزعيم افريقى يدور فى فلك الغرب ،
ولكنه تحول ليصبح اكثر الزعماء الافارقة عنادا
ضد الاستعمار فى القارة الافريقية ..

فعندما تولى رئاسة حزب تانو عام ١٩٥٤ ،
بعد ان عمل مدرسا وقبل تفرغه للعمل السياسى،
جاب البلاد معلما ومتعلما ، واهله ذلك ليقود



اخذت هذه الخريطة نقلا عن كتاب
« ثلاث راهمانجات المجهولة »
للملاح العربى احمد بن ماجد

العمل السياسى بلا هزات حتى واجه حركة تمرد
فى الجيش عام ١٩٦٤ واستدعى على اثره القوات
البريطانية ، واقام حزبه على عكس ما وقع فى
زنجبار على اساس المساواة بين الاجناس، ووافق
على ان تكون بلاده جزءا من الكومنولث البريطانى
وهو ينادى بان يستمد من الاصالة الافريقية
الاسس التى يقوم عليها نظامه ، ويرفض النمط



الغربى فى التطـــور ، واعلن عن تطبيق تجربة اشتراكية مبتكرة ، تقوم على التقاليد التى لم تعرف الملكية الخاصة فى الارض ، واعطى اهتماما بالغا لدور القرى الجماعية ووضع شعار الزراعة اولا بعد ان واجهت خطط الصناعة مصاعب جمة ٠

وتتراوح فكرة الوحدة الافريقية لديه بين وحدة الزنج التى تشمل الزنوج فى كل انحاء العالم ، وبين فكرة وحدة القارة الافريقية ٠٠

وفى حديثه الطويل تناول العديد من القضايا، فتحدث عن التدخل الاجنبى فى القارة الافريقية بقوله ٠٠ « هدفنا ابعاد القـــارة الافريقية عن الصراع الدولى ، وليس معنى ذلك ان تتـوقف حركات التحرير الافريقية عن تلقى الدعم منكل انحاء العالم ، ففى الصراع الذى نشب من اجل استقلال انجولا ،قامت جنوب افريقيا بتحدى الدول الافريقية جميعا وتدخلت تدخلا عسكريا مباشرا فى الصراع الناشب هناك ، ومعنى هذا ان التدخل من جنوب افريقيا ، ولكن صوت الافريقيين ليس عاليا ، ونحن مضطرون للتعامل مع القوى الكبرى وعلينا ان نحول دون انتقال صراعاتهم الينا »٠

وتطرق الحديث الى مجموعة شرق افريقيا وما تعرضت له من انسحاب كينيا والخلاف الحاد الواقع مع اوغندا وعلق ببساطة ٠٠ « لقد خسرنا هـذه المعركة وعلينا ان نسلم بهذا ، ورغم فشل هـذا الاتحـــاد يجب التعـــاون بين بلاده ، مهما كانت الخلافات ومهما اختلفت الاتجاهات ، وسياستى ان





فى الطراز العربى وملامح السكان تظهر آثار الدولة العربية التى قامت فـى دائرة مركزها زنجبـار والتىامتدت لتشمل كيلوا شمالا وحتي موزمبيق جنوبا وشمالا جزر القمر وجزيرة مدغشقر ، وتبدو فى القلاع العربية والابواب المصنوعة مـن خشـب السـاج والمنقوشـة نقشا دقيقا وبعض هذه النقوش آيات من القرآن الكريم ٠

●●

تصوير : أوســـكار مترى

اكون على علاقات طيبة مع جيراني ، فالحكام سيذهبون والنظم تتغير وتبقى الشعوب متجاورة ».

وانتقل الحديث الى الصراع العربي الاسرائيلي، وقضيه العدوان الاسرائيلي على الدول العربية، وخطط الدول الاستعمارية عندما عرضت على الحركة الصهيونية خلال الحرب العالمية جزءا من اوغندا وتنجانيقا لتميم عليه الوطن القومي اليهودي وقال الرئيس التنزاني .. « لقد سبق ودار بيني وبين الصديق عبد الناصر حوار طويل خلال زيارته لبلادي عندما بادرني قائلا : جوليوس ..ان معلوماتي ان النفوذ الاسرائيلي يتنامى في بلدك ..» وقلت : « لقد ورثنا النفوذ الاسرائيلي من المرحلة الاستعمارية . ونعرف كيف دخل هذا النفوذ الى بلادنا ، وانتقل الحوار الى اصل القضية الفلسطينية وبعد مناقشة لكل ابعاد المشكلة قلت له .. « لو قامت اسرائيل على جزء من ارضي وعلى حدودي ، لتغير الحديث وتبادلنا المواقع فقلت انا ما تقول انت، واجبتني انت متفلسفا كما افعل انا .. » .

واستطرد نيريري قائلا .. « ان التحرير هو التحرير في كل مكان ، سواء تحرير المناطق الافريقية الخاضعة للاستعمار الاستيطاني ، او تحرير الاراضي العربية ، انها قضية واحدة لا تتجزأ ، ومضمونها حقوق الانسان ، ونحن في افريقيا وفي فلسطين نريد حقوق شعبنا ..

واضاف .. « اني اعرف ان اسرائيل تسعى الى العودة الى افريقيا ،ولكن الشعب في افريقيا يدرك حقيقتها ، ولا يمكن ان يسمح لها بذلك بدون تحقيق التسوية العادلة في الشرق الاوسط، اما عن التسوية السياسية ، فاذا كانت الولايات المتحدة تسعى الى حل يشتمل على وطن للشعب الفلسطيني ، واذا كان هذا هو ما تراه الدولتان الكبيرتان . فستصبح كل الضغوط في اتجاه واحد ، وستكون امريكا التي سبق وايدت اسرائيل قوة ضغط عليها .. » .

● **وكيف ترى العلاقات العربية الافريقية .. ؟ وماذا تطلب من العرب .. ؟**

ـ « لا شيء .. لا شيء .. سوى الفهم المتبادل، ان يتعرفوا على تنزانيا ، وهذه هي البداية الصحيحة ، فرغم أن الدول العربية لديها السيولة النقدية ، الا اني لا أعتبر العالم العربي ثريا ، فلا آخذ بمتوسط دخل الفرد كمقياس للتقدم ، فمشاكل العالم الثالث اعمق واشمل من ذلك ، ودعني أضرب مثلا ، فقبائل الماساي من اغنى القبائل ، يمتلك الفرد فيها عددا هائلا من البقر ، ولكن ما زالوا يعانون من الامية ومن الامراض ، فليس المهم الثروة وانما كيف تستخدم هذه الثروة من أجل التقدم ، وكيف لا تصبح مثل الامطار التي تسقط على جبال كليمنجارو وتتسرب الى المحيط . ولا تعود ندرتها او غزارتها ذات نفع او قيمة . اما اذا انفقت هذه الاموال في التنمية والتعاون الاقتصادي بين دول العالم فسيصبح الغنى العربي حقيقيا ودائما .. »

من تنجانيقا الى زنجبار



انتقلت الى فصل جديد عندما اكملت الرحلة من تنجانيقا الى جزيرة زنجبار ، المسافة قصيرة يرى المرء أرض القارة اذا كان اليوم صحوا ، انتقلت الى عالم مختلف ولكنه متناغم ، وكل شيء في الجزيرة ناعم حتى الافق ..

البعد شاسع بين زنجبار المعاصرة وزنجبار التاريخ . زنجبار الحالية كسيرة خجلة تتنكر لتاريخها العربي ، وتسعى للافلات من ماضيها ، وتعيش هادئة مستسلمة لقدرها ..

وزنجبار التاريخية خرجت من اتون معركتين رئيسيتين : احداهما منتصرة وكانت مع البرتغال، والاخرى مع البريطانيين الذين انتصروا فيها حتى بعد رحيلهم عنها ..

وزنجبار التاريخ هي التي عبر عنها المثل الافريقي .. « اذا عزفت « الفلوت » في زنجبار، رقصت على انغامه شرق أفريقيا جميعها».
اول ما طالعنا في الجزيرة نسيم محمل بعبير القرنفل ، وحولنا البحر رقراق ذو زرقة فاروزية، ترتمي أمواجه في بطء ، الادغال خضراء ، تلك الخضرة الزاهية ، وكل شيء هادىء يغري بالاسترخاء والتامل ، والعلامات المميزة للجزيرة أشجار القرنفل الضخمة الى جوار أشجار جوز الهند المميزة ..

ويشدك الى الجزيرة الطعم العربي والطراز العربي ، فتميز المدن ماذن المساجد المنتشرة ،

ات العمارة العربية ، والبيوت القديمة تحتفظ ابوابها الخشبية المنقوشة من خشب الساج نقشا ليقا وبعض النقوش آيات من القرآن الكريم .السوق يشبه احد اسواق المكلا اليمني والذى تدم فيه القهوة المرة من اباريق عربية ، وفي ن السكان الاسمر الذي يميل الى لون الشيكولاته.

انعكس موقع الجزيرة على تركيبها السكاني دورها التاريخي ، فموضعها على سواحل المحيط لهندى ، وتقع جنوب غرب الجزيرة العربيه، وجاء تصالها بالعالم الخارجي في مرحلة مبكرة من لال الملاحة بالسفن الشراعية ، التى كانت الرياح لوسمية التى تهب على المحيط الهندى تمكن لسفن الشراعية من القيام برحلتين منتظمتين في لعام من موانىء شبه جزيرة العرب ، ففى الخريف دفع الرياح السفن فى اتجاه جنوبى غربى فتخرج ن خليج عمان الى المحيط الهندى وتسير بمحاذاة لساحل الافريقى الذى ينحنى فى اتجاه جنوبى ربى . وتعود الرياح الموسمية فتدفع تلك السفن ى اتجاه عكسى شمالى شرقى يعود بها الى وانيها فى شبه جزيرة العرب ، مما ادى الى يام طرق منتظمة حملت قوافل التجارة والدعاة لعرب، وتم عن طريقها الهجرات العربية المتتالية.

وقامت نتيجة للهجرات العربية حضارة جديدة زيج من المحلية الافريقية والعربية الاسلامية ، التى نمت مع الوقت بفعل العامل الجغرافي، لحاسم سواء اقترابها من البقعة التى شهدت فجر الاسلام، و قدوم العرب من مناطق اشد حرارة فلم يمنعهم رارة جوها ..

وانفردت الهجرات العربية بانها شملت الرجال حدهم . وهؤلاء لم تكن تحكمهم اية عقدة عنصرية. تزوجوا من النساء الافريقيات ، وقام مجتمع جديد مد جيل أو جيلين لم يعد من السهل تمييزه عن لسكان المحليين ، وانعكس ذلك على تكوين اهل لجزيرة والساحل من الناحيتين الثقافية والاجتماعية، ثقافيا ظهرت اللغة السواحيلية وهى مزيج ايضا من للغة العربية والمحلية ، واصبحت كمفهوم لغوى ثقافي اوسع انتشارا بكثير من المفهوم «العنصرى». امتدت من مقديشيو شمالا حتى نهر روفى فى وزمبيق جنوبا ، واصبحت اداة الحديث فى دائرة ركزها زنجبار وتمتد الى الجزر المتاخمة حتى زر القمر ، وهى اداة التفاهم بين القبائل المختلفة متصلة حتى اوغندا والكنغو وجزيرة مدغشقر ..

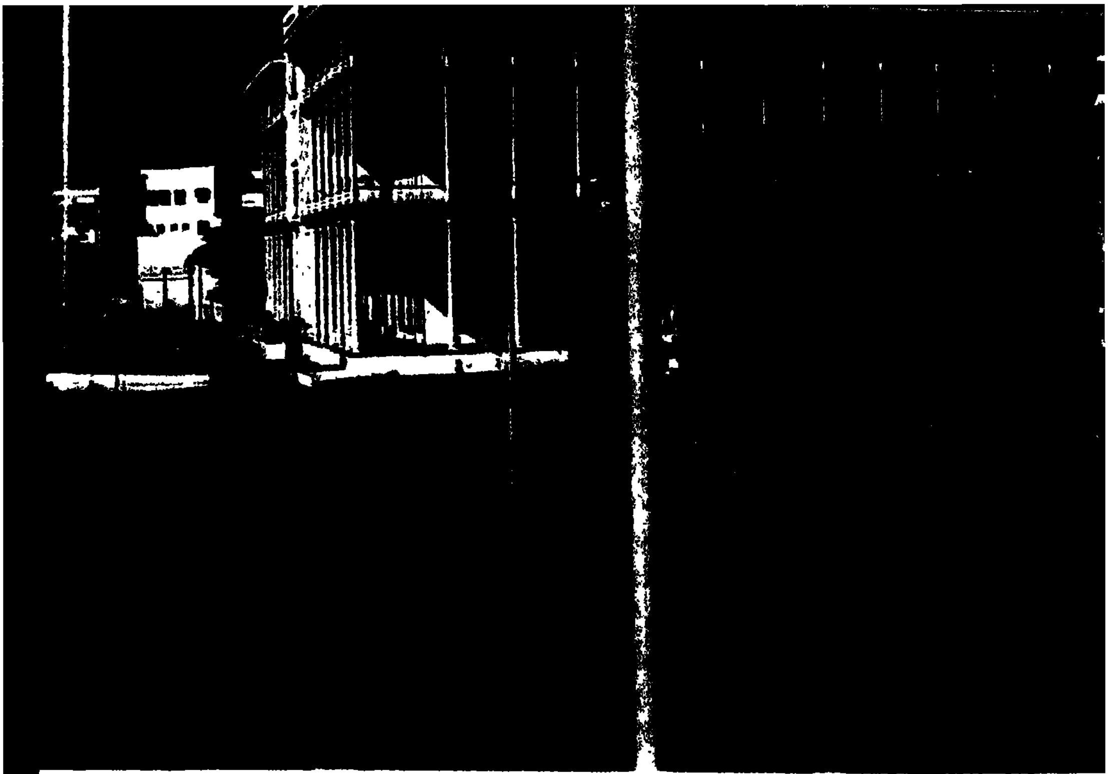
واتصالها باللغة العربية وثيق حتى ان العربى يستطيع ان يتابع الحديث ولو لم يفهم كل مفرداته، ويقدر « رويش » الباحث فى اللغة السواحيلية عدد المفردات العربية بما يزيد عن ربع الفاظها ، وكانت فى زنجبار التاريخية تكتب بحروف عربية ، وتكتب الان فى زنجبار الراهنة بحروف لاتينية ..

ولفظ زنجبار كلمة مركبة من « زنج » بالعربية و « بار » وهى تعنى ساحل باللغة الفارسية ، اى ساحل الزنج . وقد اطلقها العرب على كل ما عرفوه من ساحل شرق افريقيا ، وتتكون زنجبار الحالية من جزر رئيسية ثلاث ، هى زنجبار وبمبا ومافيا . وعدد آخر من الجزر الصغيرة غير المسكونة. وتبعد الجزيرة الرئيسية زنجبار عن الساحل بحوالى ٢٢٫٥ ميل ومساحتها ٦٤٠ ميلا مربعا ، اما الجزيرة الثانية من حيث المساحة والسكان فهى بمبا التى تبلغ مساحتها ٥٨٨ ميلا مربعا ، اما جزيرة مافيا والتى ليس لها علاقة بعصابات المافيا الشهيرة ، فهى جزيرة صغيرة لصيد السمك ..

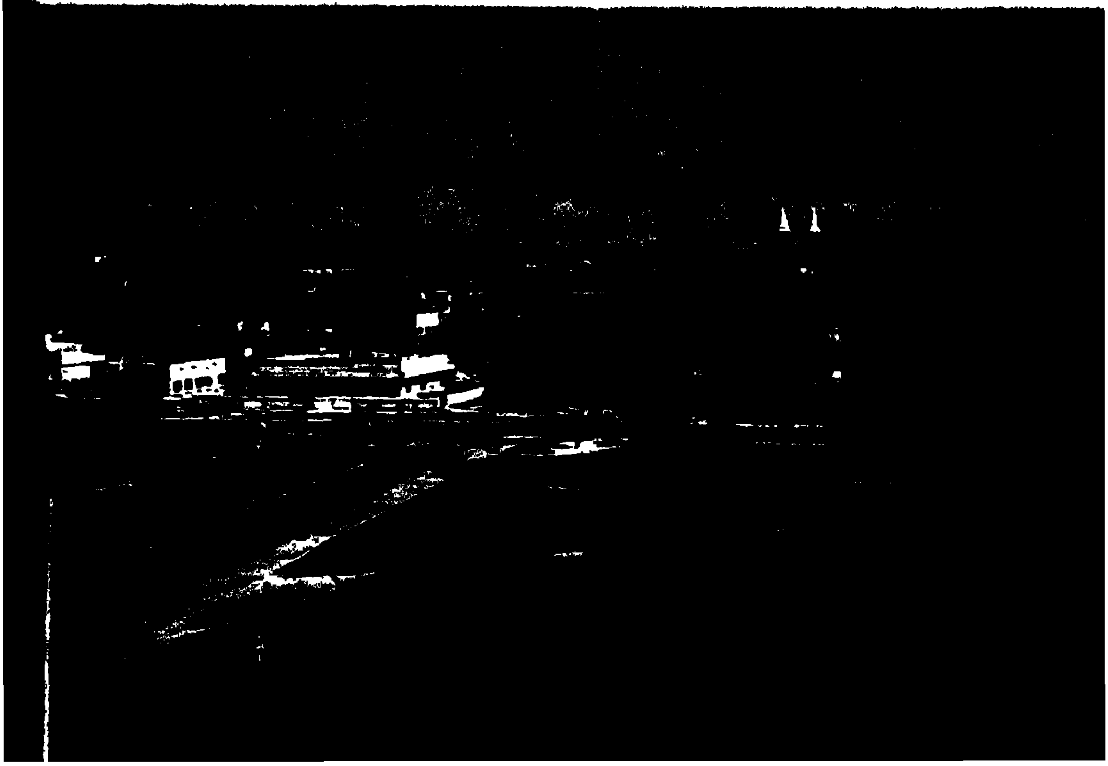
وكانت بداية رحلتنا فى ارق هذه الجزر : «جزيرة بمبا» ذات الشوارع الضيقة ، وواجهات البيوت البيضاء فى المدن ، والاكواخ الافريقية فى الريف ، والسكان ذوى الوجوه السمراء والقلوب الدافئه تحية وترحيبا ، قطعنا الجزيرة فى يوم واحد فى قسميها الشمالى والجنوبى . فى صحبة الحاكم وسيارته اللاندروفر التى يرفرف عليها علم تنزانيا ولم يفتنى ان الاحظ ذلك الاحترام البالغ فيه والذى يصل الى حد الخوف ، الذى قوبل به الحاكم ومرافقوه ، فما ان ظهرت سيارة الحاكم حتى هب الجميع وقوفا الرجل الكهل او المراة او الطفل وقد ترك كل منهم عمله او جليسه والقى بما فى يديه ، وهو يعكس على الفور ما تخفيه الجزيرة من تحفز وتوتر .

وصادفت فى العديد من الاماكن مجموعة من الشيوخ ذوى اللحى البيضاء يتحلقون امام باحة بيت ذى طراز عربى ويعبثون بايديهم بمسابح طويلة، وهو منظر يشابه نظيره فى اى قرية عربية..

وتقوم حياة الجزيرة الاقتصادية على زراعة القرنفل ذى الرائحة الشذية ـ التى ادخلها العرب ـ تزرعها وتحصدها وتصدرها ، وتمثل دخل البلاد الرئيسى من العملات الاجنبية، ويقدر عدد اشجارها فى بمبا بحوالى ٣ ملايين شجرة وحوالى مليون فى



قصر العجائب فيزنجبار وهو القصر الذى بناه السلطان برغش ، والى
جواره قلعة عربية (الصورة الى اعلى) ومزيج من الطراز العربى
والبيئة الافريقية يظهر فى مآذن المساجد واشجار جوز الهند
المميزة (الصورة الى اسفل) ٠والمرأة الزنجبارية ذات الملامح
العربية والثوب العربى (الصورة الى اليسار) ٠



جزيرة زنجبار،وهي تمثل المصدر الرئيسي للقرنفل الى كافة انحاء العالم ••

وملكية الاراضي الزراعية ملكية عامة ، وتشهد الجزيرة جهدا كبيرا للتحديث ، حركه واسعة لبناء مجمعات سكنية لتكون بديلا لبيوت المزارعين ذات الطراز الخاص ، وتاسف عندما تلاحظ ان تلك المجمعات الكبيرة فات مصمميها ان يراعي البيئة والطراز الخاص السائد هنالك •

وقد زار الرحالة العربي ابن بطوطةهذه الجزيرة واعجب باهلها وقدم وصفا لها قال فيه «ركبت البحر من مدينة مقديشيو متوجها الى بلاد السواحل قاصدا مدينة كيلوا من بلاد الزنوج ، فوصلنا الى جزيرة منبسى «بمبا» وهي جزيرة كبيرة بينها وبين ارض السواحل مسيرة يومين في البحر ، واشجارها الموز والليمون والاترج ، واكثر طعامهم الموز والسمك ، وهي شافعية المذهب ، واهلها اهل دين وصلاح ، ومساجدهم من الخشب محكمة الاتقان ، وبتنا بهذه الجزيرة ليلة وركبنا البحر الى مدينة كيلوا•»

ومن بمبا الى زنجبار ، وجها لوجه امام دراما



التاريخ ، هنا يمكن التنقيب عن زنجبار التاريخ، وما الت اليه ، واين يتحدد مستقبلها ، وهل يمكن ان تجاوز تلك العقد التاريخية التي تكبلها ، وما هو مسار الصراع الذى كان اطرافه جمعيات التبشير من جانب ، والثقافه العربية التى حملها العرب الى هذه البقعة من العالم وتراكماتهـا التاريخية من جانب اخر ..

لقد شهدت زنجبار اعنف فصول تاريخها عقب الاستقلال الذى اعلن فى نهاية عام ١٩٦٣ ، وبعد مرور شهر على الاستقلال وفى ينـاير ١٩٦٤ انفجر فيها صراع عنيف ، صراع اللون والثروة متداخلين ، وسالت فيه الدماء انهارا ، ودفع هذا الصراع السلطة الجديدة الى الاحتماء فى وحدة سياسية اكبر بانضمامها الى تنجانيقا ، حيث تجد فى تنجانيقا الدعم لكى يخمد صراع اللون نهائيا، وكانت أولى خطوات الاتحاد بين تنجانيقا وزنجبار نقل شرطة تنجانيقا الى زنجبار ، وانتقلت عاصمة زنجبار التاريخية الى دار السلام ..

فهل خمد التوتر العنصرى ؟ وهل يمكن للجزيرة ان تعود فيتالف فيها السكان مهما كانت اصولهم؟

ان رائحة التوتر العنصرى تبدو خلف الوجه الهادىء للجزيرة وفى العديد من الشواهد والظواهر، فى التعبئة المستمرة ضد دور العرب التاريخى ، وفى التلقين الدائم بان العرب كانوا «تجار الرقيق»!

ان الكثيريـن فـى الجـزيرة يعرفـون اللغـة العربية ولكنهم يخفون ذلك خوفا مـن البطشـ واهم يعلمونها لابنائهم سرا . وقد كان مرافقنا طوال الرحلة استاذا بالمعهد الدينى فى زنجبار، لكنه كان ينفى بشده انه من اصل عربى ، وشهدت الجزيرة موجات عاتيه من التوتر العنصرى كـان اقصاه قبل اغتيال عبيد كرومى ـ اول رئيـس للجمهورية بعد خلع السلطان ـ عندما تدخل الحزب ليعقد الزواج بالسلطة بين الافريقيين وبين الفتيات العربيات .

وهناك بوادر للانفراج العنصرى ، كانت دوافعه ان سكان الجزيرة يعتنقون الاسلام ، ومن العسير «فك الارتباط» بين العروبة والاسلام ، وبدأ نائب الرئيس جومبى يولى اهتماما كبيرا للدراسات الاسلامية ، واقيم فى زنجبار معهد دينى ارسلت له مصر خمسة من علماء الازهر وارسلت السودان احد علمائها ، ويلقى المعهد تجاوبا كبيرا واهتماما بالغا من اهالى زنجبار ، وقد قال لى احد علماء الازهر ان هناك الكثير الذى يمكن ان تقوم به الدول الاسلامية والعربية ، اقلها توفير الكتب وخاصة المصحف الشريف . وسبب اخر لهـذا الانفراج هو الاهتمام باقامة علاقات وطيده مع الدول العربية التى يتنامى تاثيرها السياسى والاقتصادى ..

والتقيت بنائب الرئيس عبود جومبى فى قصره المطل على الخليـج ، وهو رجل متانق ذو ثقافة واسعة ،وقصة حياته مملوءة بالكفاح ، وقد عمل وهو صبى على احد السفن التى مرت بقناة السويس وزار خلالها مدن القناة ، والتى نقلته الى اوربا بحضارتها وهو خريج جامعات لندن ، ويمثل تنزانيا خلال الاعوام الماضية فى مؤتمرات منظمة الوحدة الافريقية ومؤتمرات عدم الانحياز.وجاء فى حديثه..

« بعد نجاح مؤتمر القمة العربى الافريقى فـى القاهرة ، التقيت مع عدد من الملوك والرؤساء العرب ، وكان لدينا شك فى ان تـكون بعـض الدول العربية تقدم النفط الى جنوب افريقيا ، ولكنى تاكدت انه ربما يصل النفط الى جنوب افريقيا من خلال طرف ثالث ، وتبينت خلال هذا المؤتمر آفاق ونتائج التعاون العربى الافريقى ، سياسيا واقتصاديا ، فبالتضامن يمكن مواجهة الكيان الصهيونى الممثل فى اسرائيل والذى يشكل تحديا للعالم العربى ، وبالتضامن العربى الافريقى، يمكن مواجهة الكيان العنصرى المتمثل فى جنوب افريقيا وروديسيا ، وهو نضال مشترك وان اختلف ميدان القتال ، والقوى الكبرى تخشى تاثير هذا التضامن ، ففى افريقيا لدينا الثروات الطبيعية والموارد التى لا تنضب ، ولديكم امكانيات التمويل العربية .. » .

« وبعد المؤتمر زرت عددا من الدول العربية وهى القاهرة والرياض وعدن ودمشق ، وفى جولة اخرى سازور كلا من الكويت ودولـة الامـارات العربية وقطر والقاهرة مرة اخرى ..

وسالته .. ماهى المصاعب امـام الاتـحاد بين تنجانيقا وزنجبار .. ؟

واجاب .. «لقد واكبت تجربة الاتـحاد منـذ ايامها الاولى ، فكنت فى تلك الفترة احتل منصبا وزاريا ، وواجهت الوحدة مصاعب عديدة ، كان يضخمها اولئك الذين لايريدونها ، ولكن خلال

لاعوام الثلاث عشرة الماضية قطعنا خطوات هامة ، كان اهمها وحدة الحزبين حزب تانو فى تنجانيقا الحزب الافروشيرازى فى زنجبار ، وامدتنا تجربة لسنوات الماضية بخبرة ساعدتنا فـى وضع نظام ادر على مواجهة مصاعب المستقبل .

فمثلا •• كانت العلاقات المالية بين الجزيرة الوطن الام تسبب العديدمن الحساسيات،وابتكرنا نظاما ماليا يحفظ استقلال مالية كلا الطرفين مع قامة ميزانية اتحادية للمشاريع المشتركة ••

ومثل آخر •• عندما اغتيل نائب الرئيس السابق عبيد كرومى ، هرب بعض المتهمين الى البلاد الام، وعجزت القوانين القائمة عن تسليمهم الى السلطات فى زنجبار وتقديمهم الى المحاكم ، وواصلنا اجراء المحاكمة غيابيا ، وقد ادى هذا الى فكرة انشاء محكمة عليا للنظر فى اى خلاف قانونى بين الجزيرة والوطن الام ، وروعى فى تشكيل هذه المحكمة ان تتكون مناصفة من اعضاء من شطرى البلاد ، على ان تكون قراراتها باغلبية الثلثين ، وهكذا نسعى الى التغلب على كل العقبات التى تواجهنا •• ».

الى زنجبار التاريخ نفتش عن سر هذا التوتر.



صراع اللـون

يلاحظ ان الدراسات الغربية تهتم اهتماما كبيرا بالتركيب السكانى لزنجبار وشرق افريقيا ، فى محاولة لاكتشاف العقد التاريخية والاقتصادية فى حياة هذه المجتمعات ، ومعظم هذه الدراسات تسعى الى الدس بين الفئات والجماعات واحياء المشاكل القديمة بصورة ملتوية لتعطيل وتشتيت هذه المجتمعات وتدبيلها بتلك العقد التاريخية ، وضرب التضامن العـربى الافريـقى ، وتـكشف الاحداث المعاصرة كيف استطاع الاستعمار البريطانى ان يتقن هذا الدور ••

تتابعت هجرات القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية فى ظروف مختلفة . ونشرت معها الدين الاسلامى ، فالاسلام لا يعرف التفرقة العنصرية او اللونية ، وتوالى انتشاره من الساحل الى الداخل، وكانت القبائل العربية تاتى من سواحل شبه الجزيرة العربية مثل الاحساء والبحرين وعمان وحضرموت وساحل اليمن ، واقامت تلك الجماعـات مدنـا كاملة ودولا وسلطنات ، وخلقت الاقامة الدائمة والتذويب الدينى واللغوى وعلاقات الزواج ، والامتداد المتصل الذى يمتد من الساحـل الـى الداخل ، مجتمعا جديدا له سماته الخاصة.

ومن المؤرخين من يرجع اول هجرة عربية الى عام ٧٣٩ ميلادية – ١٢٢ هجرية ، والتى كانت بسبب اضطهاد الزيدية على ايدى الامويين ،ومنهم من يرجعها الى عشرين عاما بعد وفاة الرسول عندما اندفع العرب فىفتوحاتهم نحوالعراق وفارس والشام ومصر والتى لم يشترك عرب عمان فيها ، فاتجهوا الـى منطقة هيـات العوامل الجغرافية سهولة الوصول اليها ••

على أن الهجرة التى يتفق عليها عدد كبير من المؤرخين ترجـع الى عهد عبد الملك بن مـروان (٧١٤ م – ٦٩٥ هـ) ومن بين هذه القبائل قسم من قبيلة الازد العمانية تحت قيادة سليمان وسعيد الجلنديين ، وتبعهم مهاجرون من قبيلة الحارث التى تقطن بالقرب من جزيرة البحرين والذين هاجروا فرارا من استبداد حكامهم،ويقول السوافى فى كتابـه (السلوة فى اخبار كلوة) ان هـؤلاء المهاجرين قد وفدوا فى سفن ثلاث بزعامة سبعة اخوة هاربين من اضطهاد حاكم الاحساء ••»

ويروى المسعودى رواية عنـد زيارته لساحـل افريقيا الشرقى تختلط فيها الاسطورة بالواقعة التاريخية يقول •• « انه كان لامير شيراز ابن من جارية زنجية اسمه على ، هاجر مع ابنائه الستة الى شرق افريقيا ، وقاد كل من السبعة سفينة خاصة حملته الى مكان ما على الساحل ، وقرر ان يبنى كل منهم مدينة فى المكان الذى تحمله اليه الرياح •• »

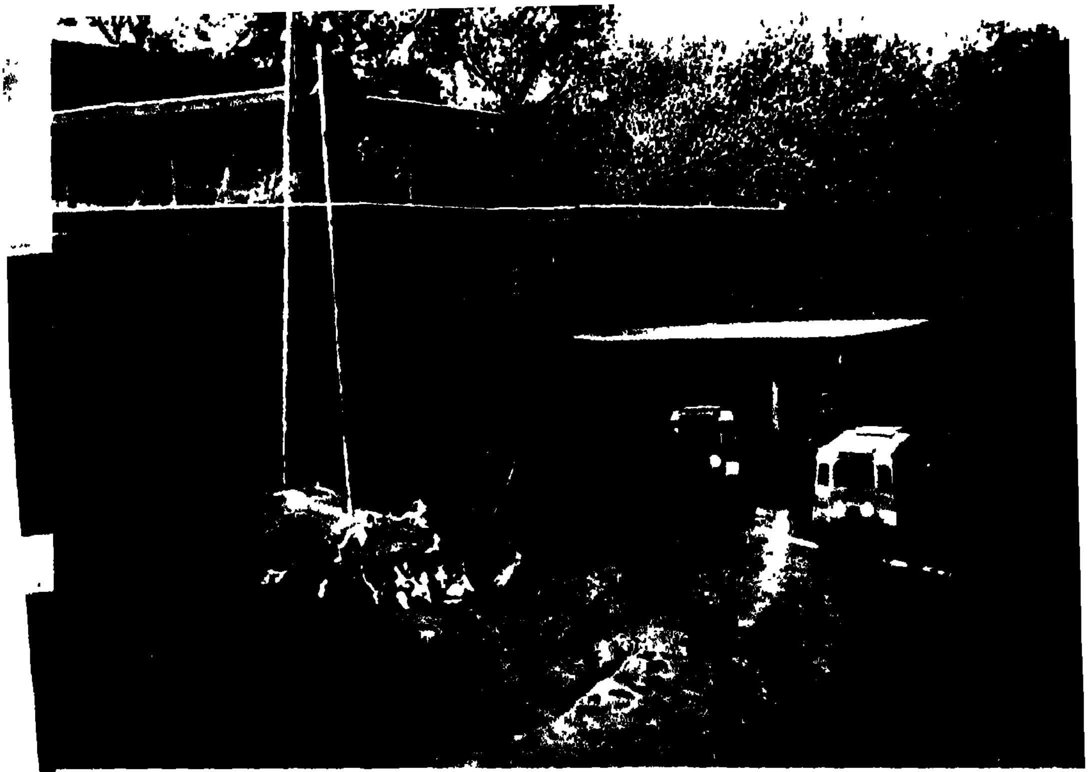
ومع الزمن اصبحت زنجبار هى القطب الرئيسى للاسلام ، وما حولها بعمق متفاوت يصل الى خط البحيرات ابتداء من فكتوريا الى تنجانيقا ونياسا.

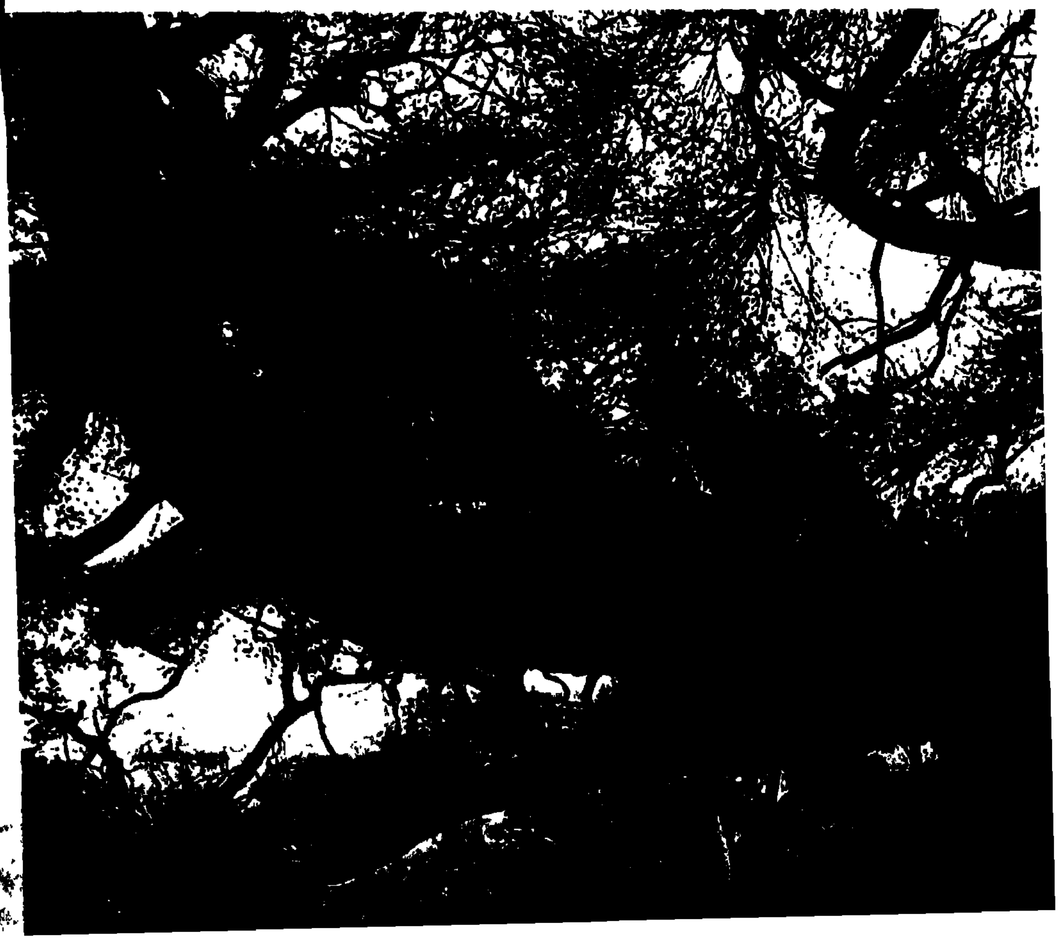
وبالتدريج تحول وصف «عربى» فى زنجبار الى مفهوم اجتماعى اكثر منه جنسى او لغوى،فالعرب هناك هم المشتغلون بالتجارة والثقافة ، فلايحتفظ العرب بنقاء جنسهم بعد هجرتهم بجيل واحد او جيلين على الاكثر .





الطبيعة الخلابة فى عالـم تنزانيا الرائع ، الزراف رمز تانزانيا الحديثة طليق فى الغابات المفتوحة • ومنظر فريد للبؤة واشبالها فوق شجرة الاكاسيا فى غابات مانيارا ، والفنادق المنتشرة فى الغابات المفتوحة التى حرص مصمموها علـى ان تتناغم مـع بيئة الغابـة الافريقية •





الدولة العربية في زنجبار

وقفنا امام أطلال قصر قديم منهار ، كان قصر السلطان سعيد ، لنواصل الرحلة في تاريخ الدولة العربية في زنجبار .

يلاحظ تغير مفهوم زنجبار مع تغير العصور ، فقد اطلقها العرب على كل ما عرفوه من ساحل شرق أفريقيا ، فهي المنطقة التي شهدت قيام دولة الزنج في القرن العاشر الميلادي وحتى القرن السادس عشر والتي كانت عاصمتها كلوة ، والتي امتدت من جنوب السودان شمالا الى أقصى الكونغو جنوبا ، ومن زنجبار ودار السلام شرقا الى أعماق القارة غربا ، وفي معظم الاحوال كانت تتنازع المنطقة امارات اسلامية عربية وفارسية تأثرت وامتزجت بالبيئة الافريقية ، وتشمل كل منها ميناء أو أكثر على الساحل أو جزيرة من الجزر ،

وخلال تلك المرحلة الطويلة شهدت المنطقة أول جولات الصراع مع ذيول الحروب الصليبية عندما انتقل مسرحها في القرن السادس عشر من البحر المتوسط الى المحيط الهندي ، وانتقلت معه جميع الفظائع التي تميزت بها تلك الحرب من احراق المدن واسترقاق البشر والاستيلاء على السفن التي تحمل الحجاج وحمل ركابها أسرى ، وهذه الحرب كانت بين عرب عمان والبرتغاليين ، واستهدف البرتغاليون من ورائها الانتقام من المسلمين الذين حكموا شبه جزيرة ايبيريا مدة طويلة من الزمن، وارتبط قيام دولة اليعاربة في عمان بحركة الجهاد ضد البرتغاليين ، وظهرت المراكب العمانية أمام سواحل افريقيا ، وفي عام ١٦٦١ تمكن العمانيون العرب منالنزول الى الشاطيء الافريقي في عهد الامام سلطان بن سيف .. » .

وفي منتصف القرن الثامن عشر انتهى الاحتلال البرتغالي الذي دام قرنين ونصفا ..

وبعد وصول عرب عمان الى زنجبار وشرق افريقيا نقطة تحول هامة في تاريخ المنطقة ، عندما قامت سلطنة زنجبار في عهد السلطان سعيد اكبر الشخصيات العربية في عصره ، فقد اخضع الساحل لسلطة سياسية موحدة ، ونقل عاصمة حكمه من مسقط الى زنجبار ، وجعل جزيرة زنجبار عاصمة لدولة عربية أفريقية قامت عام ١٨٣٢ وكانت أول دولة أفريقية آسيوية في العصر الحديث ، واهم المراكز التجارية في المنطقة ، واعتمدت زنجبار العربية بسواحلها الطويلة وجزرها المتناثرة على قوة بحرية كبيرة ، وانشا سعيد اسطولا بحريا حديثا ..

وكان سعيد يجمع بين شخصية الحاكم والتاجر ، وكانت دولته تخدم حركة التبادل التجاري العالمية، فمثلا عقد أول معاهدة تجارية مع أمريكا ، وأقامت أمريكا أول قنصلية لها عام ١٨٣٣، وكانت مسقط وزنجبار أول دولة عربية تعقد معاهدة رسمية مع أمريكا ، ولعل ذلك لان أغلب العالم العربي كان خاضعا للحكم العثماني ..

وكانت هذه الدولة العربية التي تعرضت للمد الاستعماري ..

التبشير والاستكشاف ومكافحة الرق

صاحب المد الاستعماري حركات ثلاث ، حركة التبشير ذات الدوافع الدينية ، وحركة الاستكشاف التي يقودها عدد من الجغرافيين الذين تاقوا الى المخاطرة وكشف المجهول ، ومكافحة تجارة الرقيق ذات الاهداف الانسانية ..

ورغم نبل أهداف الحركات الثلاث الا أن كلا منها كان أداة رئيسية للاستعمار ، وكانت ستارا لكي يجد الاستعمار موطيء قدم في تلك الدولة الافريقية ، وبهذه الادوات بدأت الجولة الثانية لضرب عرب زنجبار ، فعندما كانت خلية نحل ، تجمع تباينا في العادات والديانات والاراء ، والتي كان يمكن لها أن تزدهر بالتنوع تحولت الى ساحة للصراع ، بين الدول الاستعمارية وبعضها وبين الشرق والغرب ، وبين الاسلام والمسيحية ، يعيش فيها الفقر المدقع تحت أقصى امارات الرفاهية ..

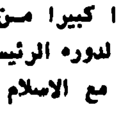
وكان لوجود دولة عربية متحضرة على ساحل افريقيا أثر كبير في تمهيد الطريق أمام المبشرين والمستكشفين الغربيين للتوغل في مجاهل القارة

لداخلية ، واتبع هؤلاء طرق القوافل العربية واسترشدوا بادلاء عرب ، وكان ما يعتبر كشفا هاما وخطيرا تهتز له أوروبا هو جزء من المعرفة العربية ، ويكفي تدليلا على ذلك أن العرب هم الذين قادوا هؤلاء المستكشفين علاوة على ما جاء في كتب الجغرافيين العرب ••

ومن المدهش ان تكون دولة زنجبار الاسلامية هي التى فتحت للمبشرين الاوربيين أبواب شرق افريقيا وسهلت لهم سبل الاقامة والتنقل ، ولعل ذلك لان المبشرين كانوا هم انفسهم رواد حركة الاستكشاف ، وربما كان السلطان سعيد يساعد المبشرين باعتبار انهم يهدفون الى هداية القبائل الوثنيه لا ليكافحوا انتشار الاسلام ، ولعله ارضاء للحكومة البريطانية التى تزايد نفوذها في بلاده ، وقد سلك طريق القوافل العربية هذا كل المبشرين والمستكشفين ، وهو طريق بيرتون وسبيك وليفنجستون وكيرك وغيرهم ••

وقد ترك هؤلاء الرحالة وصفا دقيقا لتلك الدولة وتراوحت انطباعاتهم بين الاعجاب والتحامل، ففي الوقت الذى عرف عن بيرتون الامتنان للعرب والاعجاب بما شيدوه ، نجد أن كتابات ليفنجستون تتسم بالتحامل •• فرغم ما قدمه له العرب من مساعدة الا انه افرد جزءا كبيرا من كتاباته للهجوم عليهم ، ولعل ذلك لدوره الرئيسي كمبشر حيث خاض صراعا عنيفا مع الاسلام فى هذه المناطق •

وليفنجستون احد الشخصيات التى تحتفى بها زنجبار المعاصرة والتي جعلت من البيت الذى نزل فيه مزارا ومتحفا ، وسرى سلطانه على العقول بوصفه اثار حملة ادت الى اغلاق سوق الرقيق بالجزيرة الى الابد •



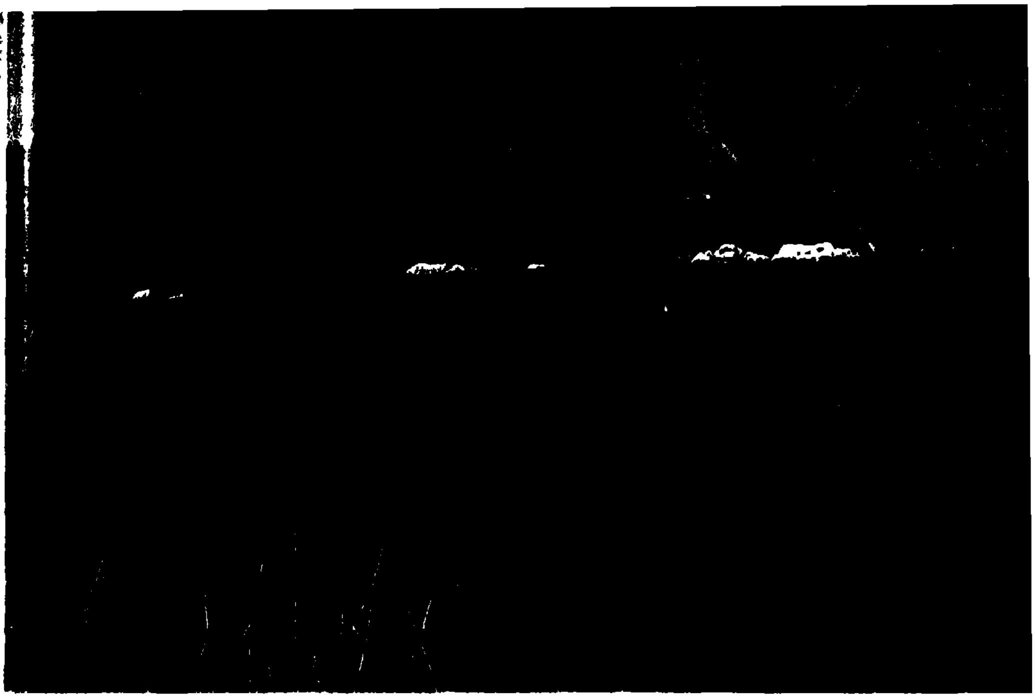
العرب والرقيق

افاضت الكتابات الغربية عن دور العرب فى تجارة الرقيق وكانت هذه هى حجة التدخل الاجنبى الرئيسية ، وقد تبدو هذه قضية تاريخية ، ولكن الواقع انها احدى القضايا الرئيسية للتوتر العنصرى فى زنجبار المعاصرة ، والتعليم والدعاية فى زنجبار ما زالا يعتبران ان ثورة ١٩٦٤ قامت ضد العرب « الذين احترفوا النخاسة وخطف السكان المحليين وتصديرهم الى كافة انحاء العالم » وهى الحجة الرئيسية للمبشرين ، وهى الذريعة لضرب التضامن العربى الافريقى ، والزائر لزنجبار الحديثة لابد ان يزور تلك الكنيسة القديمة المقامة فى احد الميادين ، ويمضى المرافق شارحا •• « هنا كان سوق الرقيق الذى اغلق فى يونيو ١٨٨٣ ، واقيمت على موقعه كنيسة بناها احد الاساقفة ، وترمز الى ان الكنيسة هى التى خاضت الصراع ضد هذه التجارة غير الانسانية •• !! ، وقد بناها احد الاساقفة ، وصنع الصليب القائم على يسار الهيكل من خشب الشجرة التى حددت مكان وفاة ليفنجستون ، ووصف الكاتب الان مورهيد هذا المكان بقوله••« تقف الكنيسة وسط صمت المدينة المعبق بالياسمين الهندى بزهرته الشمعية التى تتخذ شكل النجمة ، والجاكارانوا القرمزية ، والجهنمية ، والشجرة اكلة اللحوم التى تمتص زهراتها الوردية والصفراء الحشرات والتى تصلح رمزا للجزيرة بوحشيتها وجمالها •• »

ويمضى الزائر فيجد الى جوار الكنيسة قصرا مهيبا ذا طراز عربى هو قصر السلطان برغش ، ويطلقون عليه اليوم « قصر العجائب » والقصر مزدحم باللوحات التى تصف المعاناة والوحشية التى تعرض لها الرقيق اثناء بيعهم فى سوق الرقيق• وتؤكد هذه الرسوم ان العرب « وحدهم » تقع عليهم مسئولية هذه التجارة ،

وهى صورة تستنكرها الانسانية ومظهر وحشى مهدر لكل القيم •• ورغم ان الانسان لا يزال يعانى فى الكثير من الاماكن من صور التحيز العنصرى المختلفة ، والاضطهاد الملون الذى تتجاوب به الاصداء فى الدنيا الجديدة والقديمة على السواء ، الا انه يوجد من يحرك تلك العقد التاريخية وليس ذلك لصالح افريقيا او شعوبها، وها هو الكاتب الامريكى جونسبيريز يقرر فى كتابه « تجارة الرقيق الامريكية » ان الذين كانوا يستغلون افريقيا كمورد لـ « سلعهم » كانوا من الاسبان ثم الانجليز ، والفرنسيين والامريكيين ، واذا وجد ثمة عرب اشتغلوا معهم ، فقد كانوا وسطاء او مساعدين او ادلاء لارشادهم الى داخل افريقيا التى كانت مجهولة لديهم •

ومعروف تاريخيا ان المصدر الرئيسي للرقيق كان غرب افريقيا وليس شرقها وقام به الاوروبيون وليس العرب ••






زنجبار هادئة وادعة مستسلمة لقدرها ، ومعالم ازهى فترات تاريخها تترك بصماته عليها وعلى المناطق التى قامت عليها اول دولة عربية افريقية آسيوية، وعلى الساحل وفى الجزر ، الافريقية المحيطة ٠

وتتابعت حلقات الصراع بين اول دولة عربية تمتد بين اسيا وافريقيا في مواجهة الاستعمـــار البريطاني في عنفوانه ، فعندما مات السلطان سعيد ونشبت معركة بين ولديه الثويني في مسقط وماجد في زنجبار ، ولما كانت عمان اقل ثراء واصغر ايرادا ، هدد الاول بمهاجمة ممتلكـــات الثاني ، وهنا تدخلت البحرية البريطانية واجبرت الشقيقين على قبول تحكيم اللورد كاتنج نائــب الملك في الهند ، والذي قضى باستقلال زنجبـــار النهائي عن عمان ..

وقررت لجنة التحكيم ، ان « المســـتعمرات » العربية بافريقيا في بداية عهد سعيد كانت مجرد « حضانات » لتربية الرقيق ، اما الان فقد اصبحت مدنا كبيرة تفوق في اهميتها بلاد عمان ذاتها .. وقال .. « انه كما استقل الانجلوسكسون والاسبان الذين هاجروا الى امريكا بعد ان كونوا امـــما كبيرة فكذلك يحق للشعب العربي في شـــرق افريقيا ان ينفصل عن عمان ، وهذا في مصلحة الحضارة الافريقية نفسها ، لان الانفصال سيركز جهودهم لنشر الحضارة في افريقيا .. »

وبذلك الكلام الطيب دخلت زنجبار في دائـرة النفوذ البريطاني ، وما ان مات سلطانها وخلفـه اخوه السلطان برغش حتى عقد معاهدة عام ١٨٧٣ مع بريطانيا لالغاء الرق ، وجعلت للاســـطول البريطاني بمقتضاها حق تفتيش كل السفن ، وبذلك تحكم الاسطول في مياه زنجبار ، وكانـت الخطوة التالية حصول السير ويليم ماكينون رئيس الشركة الانجليزية على امتياز لمدة سبعين عامـا يشمل شئون الجمارك والادارة في جميع ممتلكات السلطان ..

وتم توقيع اول اتفاق بتقسيم زنجبار في ٢٦ اكتوبر عام ١٨٨٦ الى مناطق نفوذ بين المانيا وبريطانيا كان لالمانيـا الساحـل ولبريطانيـــا الجزيرة ..

مصر وزنجبار



ومن الملاحظات الجديرة بالاهتمام ان الاسلوب الذي اتبعه الاستعمار البريطاني مع زنجبار هو ذات الاسلوب الذي اتبع في مصر ، ففي نفس الفترة التاريخية التي تولى محمد علي الحكم في مصر كان السلطان سعيد معاصرا له في زنجبار، وفي هذا الوقت كانت القبائل العربية تدخل الى اعماق القارة في قوافل من الرعاة والتجار من مصر والسودان جنوبا ، ومن زنجبار غربا ..

وتسلل المد الاستعماري جنوبا من خلال الخديوي اسماعيل ، وتسلل غربا خلال حكم السلطان برغش .. واحتمى في كلتا الحالتين وراء علـــم مصر وزنجبار ، وسلم بالاستقلال الشكلي لكل منهما ليبعدهما عن الصراع الاستعماري المحتدم، وتحت علمهما مد نفوذه ، وكان احد ادواته ادعاء العمل للقضاء على تجارة الرقيق في افريقيا ، وساهم السلطان برغش والخديوي اسماعيل في حملات القضاء على تجارة الرقيق ..

ولم يشفع ذلك لهما شيئا عندما اجهزت قوات الاحتلال البريطاني على استقلال كل من البلدين بعد ان حكمت حركة كل منهما ..

اللعبـة البريطانية



وعقب اعلان بريطانيا حمايتها على زنجبار، استقرت علاقات السلطة على النحـو التالي : السلطان هو رمز الدولة اما خيوط السلطـــة الحقيقية فبين ايدي القنصل البريطاني او المقيم البريطاني ، ويستعين الحاكم البريطاني علـى ادارة شئون المحمية بكبار الموظفين البريطانيين الذين يسيطرون على الادارات والمصالح ،واقامت الادارة البريطانية مجالس استشارية يتمتوزيع مقاعدها بين القوميات المختلفة العربية والهندية والافريقية ..

ويوزع كتاب التاريخ الرسمي لزنجبار الكراهية بالتساوي على الانجليز المستعمرين ، والعرب الذين من بينهم السلطان ومن بينهم الاقطاعيون ، ونجحت السياسة البريطانيــة فـي بـذر عناصر الشقاق ، وتكونـت جمعيـات مختلفـة للقوميات المختلفة ، ومن بينها تكونت الجمعية العربيـــة عام ١٩٥٤ وطالبت بالغاء نظام الطوائف بالجزيرة،

ـهدت الجزيرة اول انفجار عندما اتهم المقيم بريطانى محرر جريدة « الفلك » بنشر مقالات ـيرة للرأى العام واغلقها ، وفى عام ١٩٥٥ ولت الجمعية العربية الى حزب زنجبار الوطنى ـام هذا الحزب على اساس العضوية المفتوحة ـافة المواطنين من كل الاجناس ، وكان سكرتيره ـعام على محسن والذى اقام علاقات مع الجامعة ـعربية ..

ولكن سرعان ما دخلت كافة القوى حلبة التطور ـدستورى تمهيدا للاستقلال الذى اعلنته بريطانيا بدأ صراع حاد بين الطوائف استعدادا لانتخابات ١٩٥ ، وخلال هذا الصراع زار الجزيرةجوليوس ـيريرى رئيس حزب تانو فى تنجانيقا ، ونجح ـلال هذه الزيارة فىضم الافريقيين والشيرازيينفى ـزب واحد هو الحزب الافروشيرازى ورأسه عبيد ـرومى ، وضاعت صيحات وحدة شعب زنجبار ـدخل الى جوار صراع اللون صراع آخر هو ـراع الثروة ، فالعرب على قمة المجتمع ويليهم ـلشيرازيون ثم الافريقيون ،وفىهذا الجوالمحموم ـلذىوضعتبريطانيا قواعد اللعبة فيه دارتالمعركة الانتخابية بين الحزب الوطنى والافروشيرازى ، ـوقدم الافروشيرازى نفسه على انه حزب الفقراء المدافع عن القومية الزنجبارية والداعى الى لحكم الذاتى والاستقلال الوطنى فى الحكم حتى موعد الاستقلال عام ١٩٦٣ ، وفاز الحزب الوطنى المتالف معحزب الشعب على ١٢مقعدا وحزب الشعب على ستة مقاعد والحزب الافروشيرازى على ١٣ مقعدا وتم تاليف الوزارة برئاسة محمد شامت رئيس حزب الشعب وشغل على محسن منصب وزير الداخلية والتربية والتعليم ، وفى ٩ديسمبر ١٩٦٣ اعلن استقلال زنجبار ، وبعد قرابة الشهر وفى ١٢ يناير ١٩٦٤ قام الحزب الافروشيرازى بثورة مسلحة استولت على السلطة وخلعت السلطان جمشيد بن عبدالله بعد اربع سنوات من توليته ، وسالت الدماء انهارا فى اعنف صراع عنصرى ضد العرب شهدته الجزيرة ..

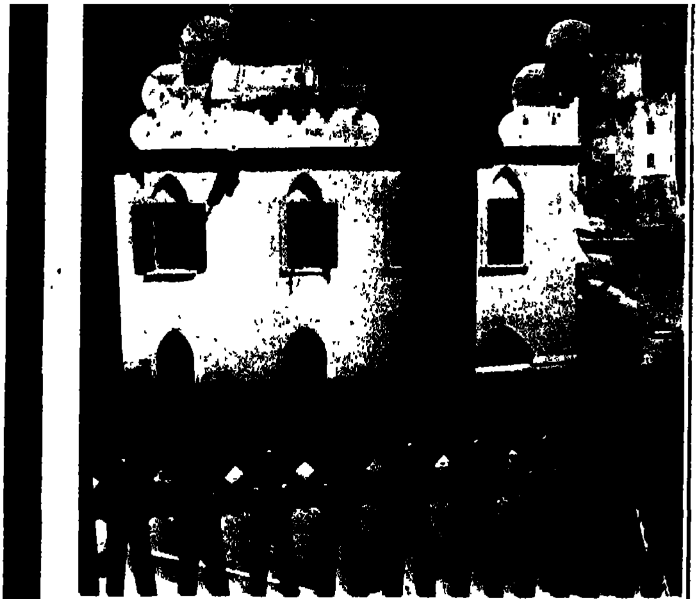
ففى مساء ليلة ١٢ يناير وصلت الى ميناء زنجبار باخرة تحمل اسلحة الى ثوار انجولا وموزمبيق ، وبترتيب خاص استولى عدد من المنضمين الى اتحاد عمال زنجبار وبمبا والذى سبق ان انشقوا عن الحزب الوطنى واقاموا حزب الامة بزعامة عبدالرحمن بابو ، استولوا على السلاح ووزعوه داخل الجزيرة ، وقد كان انفصال مجموعة حزب الامة عن الحزب الوطنى والانضمام الى الحزب الافروشيرازى اخلالا بتوازن القوى داخل الجزيرة ، وساعد على استيلاء الحزب الافروشيرازى علىالسلطة، واعلن قيام الجمهورية،

وقد ساهم فى ذلك بلا شك نجاح الدعاية التى قامت ضد الحزب الوطنى وتقديمه الى الرأى العام الافريقى على انه حزب العرب الذى يؤيد بقاء السلطان ويسعى الى استمرار الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة فى البلاد ، هذا رغم ان الحزب الوطنى هو اول من دعا الى القومية الزنجبارية بصرف النظر عن اللون والطائفة والعنصر .

ويلاحظ ان الذين قاموا بالثورة سرعان ما انقسموا ، وادى هذا الى اغتيال اول رئيس للجمهورية عبيد كرومى فى مقر الحزب فى زنجبار من بعض رفاق الامس ، فلقد كانت مجموعة جمعها هدف سلبى واحد هو ضرب الحزب الوطنى ،وادى هذا الوضع الى انهماك النظام الجديد فى تأييد الرئيس نيريرى والتمسك بالاتحاد وقد اهتم حزب تانو بتطور الاحوال السياسية فى زنجبار ، وسعى الى تقوية العلاقات والروابط السرية والعلنية مع الحزب الافروشيرازى ، ورأينا كيف كان يتدخل نيريرى فى الازمات السياسية التى شهدتها الجزيرة . وقد تمت اجراءات الوحدة السياسية فى سرية تامة ، ومع ذلك قامت فى اطار اوضاع انتقالية ومؤسسات مؤقتة .

ثم قامت مجموعة من الاجهزة الاتحادية ، فقام بنك مركزى موحد ، وحتى الان لكل من البلدين ميزانية مستقلة .. وفى نفس الوقت نجد ان زنجبار قطعت شوطا بعيدا فى اجراءات التاميم وهو ما لم تشهده تنجانيقا التى ما زالت تسمح برأس المال الخاص والاستثمارات الاجنبية ، ويلاحظ ايضا ان المثقفين والسياسيين الزنجباريين يلعبون دورا متناميا عندما انتقلوا للعمل فى اجهزة حكومة الاتحاد وفى عضوية الجمعية الوطنية لتنزانيا وفى السلك الدبلوماسى التنزانى ■■

مصطفى نبيل



الطراز العربى فى العمارة لايزال حيا فى الاوجادين ·

ثورة الأوجادين (٢)

وقصة النزاع الصومالى الاثيوبى حولها

بقلم : الدكتور يحيى الشريف

المقاتلون ولحظة فرح بمكمن ناجح نصبوه·

الوجه الآخر للحياة · صوماليتان تعملان بالزراعة وترقبان المستقبل





محنة شعب الصومال الغربى(الاوغادين) بدات منذ الربع الاخير من القرن الماضى ، وقتالهالمستمر الان بدأ منذ ١٤ عاما • وهذه القصة من بدايتها •

● تطلق كلمة «الصومال» على شبه جزيرة مثلثة الشكل فى شرق افريقيا كان المستكشفون الاوربيون فىالقرون الأخيرة يسمونها «قرن افريقيا الشرقى » وما زالت تعرف بهذا الاسم الى اليوم•

ويمكن تحديد شبه جزيرة الصومال بخط يمتد من خليج (تاجورة) فى الصومال الفرنسى السابق الذى استقل مؤخرا فى ٢٣ حزيـران المـاضى ، متجها نحو الشرق بحذاء الساحل الجنوبى لخليج عدن الى راس (غردفوى) الذى يسميه العرب رأس عسير ، ويسير بموازاة ساحل المحيط الهندى حتى نهر (تانا) فى شرق كينيا ، ثم يتجه نحو الشمال مارا بالمجارى العليا لنهرى (شبيلى) و (جوبا) وبمرتفعات هرر •

ويسكن الصوماليون هذه المنطقة الشاسعة وهم شعب متحد فى الجنس والدين واللغة والثقافة والعادات ولكنهم يتوزعون بين مختلف الاقسام السياسية فى المنطقة وهى :

١ ـ الصومال الفرنسى،وقد احتلته فرنسا منذ عام ١٨٨٣ واستقل مؤخرا كما ذكرنا قبلا •

٢ ـ الصومالالايطالى ، وقد وضع تحتالحماية الايطالية فى عام ١٨٩٦ وحصل على استقلاله فى اول تموز (يوليو) ١٩٦٠ •

٣ ـ الصومال البريطانى ، وقد احتلته بريطانيا فى عام ١٨٨٣ وحصل علـى استقلالـه فى ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٠ وتوحـد مـع الصومـال الايطالى •

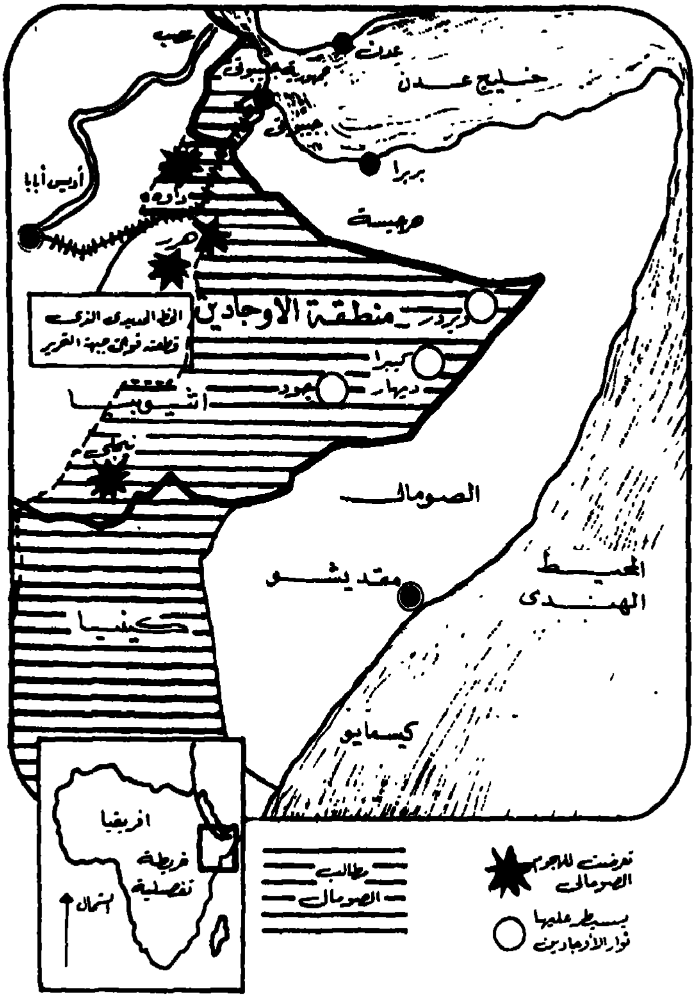
٤ ـ الصومالالحبشى (الاوغادين) ،وهو موضوع بحثنا هنا • وهذه المنطقةتلاصقحدود الامر الواقع فى الحبشة ولقـد كانت بينهـا وبـين الحبشة (اليوبيا) محن وعداوات قديمة ، وكانت الحروب لاتنقطع بين الفريقين على الحدود • وهذه المنطقة صومالية بحتة فى لغتها وعاداتها وتقاليدها • وكانت ضمن بلاد الصومال حتى عام ١٩٥٠ ، ولكن بريطانيا قبل ان تنسحب من الصومالقاجات الصوماليين بتسليم هذه المنطقة الى الحبشةرغبة منها فى ارضاء اليوبيا اولا وخلقا لمشكلة معقدة بين الصومال واليوبيا ثانيا،وقامتبرسم خط الحدود بين البلدين ووصفته بانه خط مؤقت • وبمقتضاه انتزعت هذه المنطقة من الصومال واصبحت تحت ظل الحكم الاثيوبى • ومن ذلك الوقت استطاعت بريطانيا ان تخلق ازمـة الحدود بـين الصومال والثيوبيا كعهـدنا بها فى كثير من البـلاد التى انسحبت منها •

٥ ـ الصومال الكينى ، هذه المنطقة صومالية بكل معنى الكلمة ايضا ، الا ان بريطانيا عملت على ضم هذه المنطقة الى كينيا لمجاورتها لها • وكانت بريطانيـا تامـل فى استمـرار احتلالهـا للصومال الايطالى بعد طرد ايطاليا منه فى عام ١٩٤١ • فلما وضع الصومال تحت نظام الوصاية فى عام ١٩٥٠ لم ترض بريطانيا أن تخرج منـه دون ان تنال نصيبها ، فاقتطعت هذا الجزء وضمته الى مستعمراتها السابقة فى كينيا •

دور القومية الصومالية



ان مجريات الحوادث التى تتابعت بسرعة فى بلاد الصومال فى الوقت الحاضر تطلعنا على ما للقومية الصومالية منفضل كبير فى تحقيق الوحدة الصومالية الشاملة بين مختلف اجـزاء الوطـن الصومالى الكبير ، وعلى ما لهذه القومية من اثر بعيد المدى فىتوحيد مشاعر الصوماليينواتجاهاتهم وامانيهم • ولقد بدات هذه القومية تؤتى ثمارها• وحينما اتحد أبناء الصومال البريطانى السابق فى ظل قوميتهم المشتركة واجمعوا رأيهم على هدف واحد هو خروج المستعمر من بلادهم وفازت الاحزاب التى تنادى بهذه الاتجاهات التحررية فى انتخابات المجلس التشريعى باكثرية ساحقة لم يجد الانكليز بدا من ترك البلاد والجلاء عنها وخرجو منها نهائيا فى اليوم السـادس والعشرين م حزيران (يونيو) ١٩٦٠ •



ما الليح صدور الافريقيين
صوماليين اعلنوا سياستهم
حصولهم على الاستقلال
خص فى انتهاج سياسة
اد الايجابى وعدم الانحياز
دم الاعتراف باسرائيل
عتراف بحكومه الجزائر •
م كانت الجولة الثانيـة
مية الصوماليـة • فلما
قل الصومال (اى الصومال
طالى)فى اول تموز ١٩٦٠تبع
، عقد مؤتمر ضم ممثلين عن
ومالين الايطالى والبريطانى
فيه اعلان اتحاد الدولتين
ولة واحدة وصارت للدولة
ديدة عاصمة واحدة هـى
يشيو وعلم واحد ومجلس
يعي واحد ورئيس جمهورية
د •

والحقيقة ان فكرة القومية
سومالية لم تكن بمستحدثـة،
م تظهر منذ الحرب العالمية
انية فحسب ،بل ان جذورها
جع الى اوائل القرن الحالى
نما دعااليها الزعيم الصومالى
لبير محمد بن عبدالله حسن
ت اعلان ثورتـه ضـد
ستعمار عامة والبريطانى والايطالى خاصة •
، وحد هذا الزعيم الصوماليين على اختلاف
ئلهم والغى انتسابهم الى هذه القبائل بان
لق على اتباعه جميعا لقب « الدراويش »
سمهم الى فرق بغض النظر عن انسابهم المختلفة •

ولكى يتتبع القارىء العربى نزعات التحرر لدى
شعب الصومالى وتعلقه بفكرة القومية الصومالية
ب انتوقف قليلا أمام قصة الزعيم الصومالى محمد
ن عبد الله حسن نور • فقد ولد فى عام ١٢٧٣هـ
وافق ١٨٥٦ م • فى بلدة (توب فردوت) فى
مال غرب الصومال على الحدود الحبشية فى
نطقة الاوغادين • وقد بدأ فى الثامنة من عمره
حفظ القرآن الكـريم • وتلقى مبادىء اللغـة
لعربية وعلوم الشريعة على الشيوخ المحليين والف
نذ صباه الباكر أن يرتاد مجالس العلماء ويأخذ
منهم الكثير من العلوم والاداب • وحببت اليه
منذ نشاته حياة العلم والعلماء ، فكرس كل أيامه
للافادة منه واضطر بعد موت أبيه الى ان ينتقل
مع امه الى الاقليم الشمالى حيث يعيش اخواله •
ولكن الحنين الى الاوغادين وطنه الاول لم يفارقه
أو يتخلى عنه فهناك كان آباؤه الروحيـون من
العلماء والمشايخ لا يزالون على قيد الحياة ،
مما كان يدفعه الى دوام زيارتهم وكثرة التردد
على الاوغادين لاطفـاء ظمأ الحنـين الى الوطن
واشباع حاجة النفس الى المعرفة والتعليم ، مما
لفت الانظار اليه وجعل لاسمه وشخصيته مكانة
مرموقة بين العلماء • وحوالى الخامسة والعشرين
من عمره قصد مكة لاداء فريضة الحج ، وهناك
التقى بمؤسس الطريقة الصالحية الشيخ صالح

« البقية صفحة ٧٢ »

اريتريا.. (٣)

الشعب والثورة

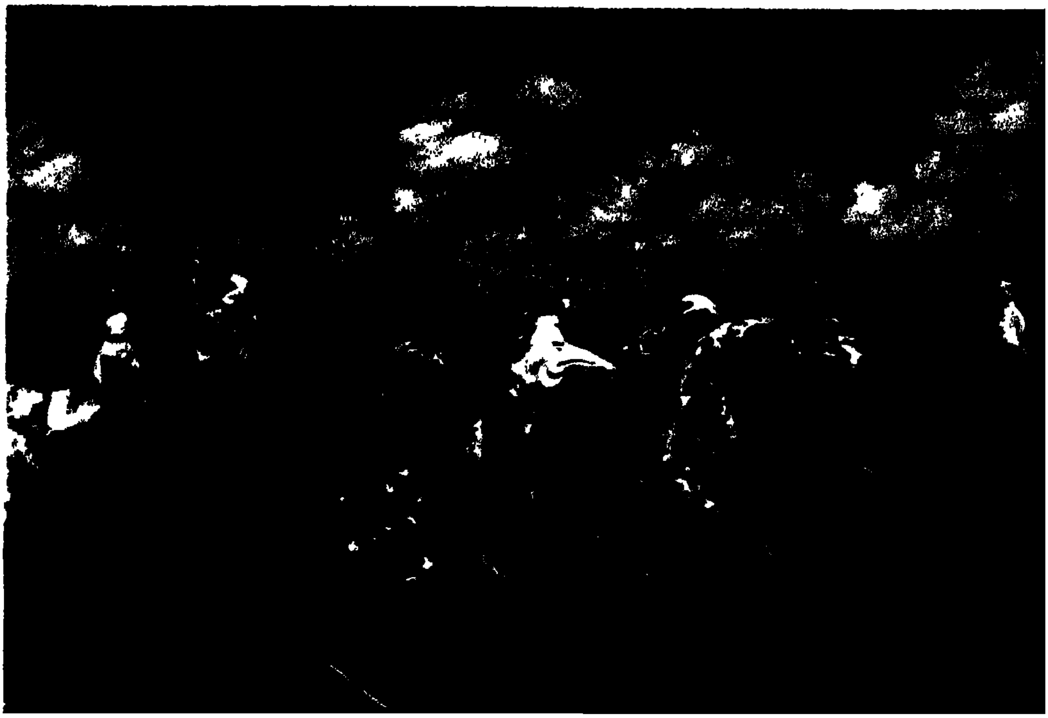


بقلم : سعد زغلول فؤاد

ما هى الظروف المحلية والدولية التى ساهمت فى تكوين « المجتمع الاريترى » ..؟
وما الذى انجزته الثورة الارترية..؟
وما هو مستقبل وآفاق هذه القضية ازاء الصراعات القائمة حولها .. ؟
هذه الدراسة التى تمت على الطبيعة فى أرض المعارك، تجيب على الاسئلة..



الامتزاج بين الهجرات المتعددة خلق شعبا له سمات مميزة ، يعمل ويبني ويتذوق الفنون المختلفة فيتكون الشعب الارتيري من العديد من الهجرات والتي بدأت بالزنوج النيليين ، ثم القبائل الحامية من الرعاة القادمين من شمال السودان ، وأخيرا من الساميين الذين عبروا البحر الاحمر من الجزيرة العربية ، ومع هذه الهجرات دخل الاسلام•



اريتريا قطر صغير ، مساحته ٥٠ الف ميل مربع، يقع على الشاطىء الغربي للبحر الاحمر ، على شكل مثلث محاط بالسودان واثيوبيا وجيبوتي ، ويتكون وسط اريتريا من هضبة تتخللها وتحفها جبال صخرية شامخه،وتشقها اودية خصبة ومرتفعات يتراوح ارتفاعها بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، ومناخها معتدل وكانه على مدى الفصول الاربعة ربيع دائم ٠٠ ، والهضبة تنحدر شرقا نحو السهل الساحلي ، وغربا نحو الاراضي المنخفضة الملاصقة للحدود السودانية ٠٠، وانهار اريتريا الهامة ـ الدائمة والموسمية ـ هي: مرب الذي يعرف في الاراضي المنخفضة باسم « الجاش » ، بركة ، منسية وكلها تنحدر الى السودان ،ثم كميلي ، حداش ، علجدي ، وتنحدر شرقا لتصب في البحر الاحمر ٠٠ ، وفي الشمال سلسلة من الجبال تمتد الى حدود السودان وفي الهضبة فوق قمم الجبال الشاهقة الارتفاع ٦٠٠٠ ـ ٨٠٠٠ قدم ـ مناطق صغيرة متناثرة من الاراضي الخصبة ترتفع عن الاودية التي تحتها ما بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ قدم ٠٠ واهم نباتات غاباتها اشجار الزيتون البري والدوم واليوفوربيا الشمعدانية الشكل والصنوبر ٠

الموقع والتكوين السكاني



ويبلغ تعداد السكان ٤ ملايين نسمة ،مسلمون ومسيحيون وقلة وثنية من سكان الغابات ٠٠ ، وهم من اصول مختلفة ذات امتدادات لمجتمعات اخرى خارج اريتريا ٠٠ ، فالتكوين السكاني القديم وقعت بعده موجات منالهجرات الى ارتيريا، الموجة الاولى من الزنوج النيليين سكان الغابة، نزحوا من اراضيهم في جنوب شرقي السودان الى منخفضات الجاش ـ ستيت ثم الى الهضبة٠٠، والموجة الثانية قبائل حامية من الرعاة قدموا من الصحراء شمالي السودان الى منخفضات بركة والمرتفعات الشمالية ، وقاموا بطرد السكان النيليين الذين كانوا في المنخفضات الساحلية ٠٠، والموجة الثالثة من السبئيين وهم عرب عبروا البحر الاحمر وسكنوا الهضبة حيث يتشابه المناخ والارض مع المرتفعات الجنوبية للجزيرة العربية التي قدموا منها ، وقد جلبوا معهم بعض معالم التنظيم السياسي والوسائل الزراعية ، كما كانت لهم خبرة في التجارة واقامة العلاقات مع العالم المتحضر مما رجح كفتهم ٠٠ ، واخيرا الموجة الرابعه وتتمثل في وصول موجة جديدة من مهاجري عرب جنوب الجزيرة العربية الحميريين، الذين وطدوا اللون العربي بين سكان الهضبة ونشروا لغة حمير القديمة الجعزية اصل لغة التيجري والتجرينية ، اللتين مع اللغة العربية هي اللغات السائده في اريتريا ، واللغتان الرسميتان للبلاد هما العربيه والتجرينية ٠٠ ، ومعظم المتحدثين بالتجرينية من المسيحيين ومعظم المتحدثين بالتيجري مسلمون ٠٠ واللغة العربية هي وسيله التخاطب بين المسلمين ، واصبحت بعد الثورة وسيلة التخاطب بين الجميع اذ يقوم جيش التحرير بتدريسها والتجرينية للمقاتلين والاهالي وفق برنامجه في محو الامية ٠

وفي غربي اريتريا تتحدث بعض القبائل (بني عامر) ، لهجه « البيجا » بينما يتحدث جيرانهم من « البرايا » والكوناما لهجتين من اللهجات النيلية ٠٠ ويتحدث « البلين » الذين يسكنون حول كرن لهجتهم الخاصة ، ويبلغ عدد لهجات التخاطب المحلية في مختلف انحاء اريتريا ثماني لهجات ، هذا عدا اللغة العربية التي يتحدث بها المسلمون والذين يشكلون اكثرية سكان البلاد ٠٠، وتكتب التجرينية على نحو ما تكتب الجعزية القديمة التي كان يستخدمها السبئيون في اليمن ٠٠ ، والجدير بالذكر ان اكثرية السكان يفهمون اللغة العربية ٠٠ ، وحتى من لا يجيد التحدث بها من غير المسلمين يتفهمها عند الاستماع اليها ٠٠

ويقول برمنجهام في كتابه « الاسلام في اثيوبيا » : « تتخذ القبائل الاريترية المسلمة تقليدا لها انتسابها الى هؤلاء المهاجرين العرب وخاصة قريش » ٠ هذا ويشكل الموقع الجغرافي لاريتريا مركزا هاما من مراكز اجتذاب القوى الاستعمارية واثارة مطامعها ، حول الظفر بنقاط الوثوب والتمركز الاستراتيجي ومنافذ السيطرة والنفوذ بخريطة العالم ٠٠ فهي تقع عند ملتقى عدة طرق بحرية هامة تربط بين المحيط الهندي والشرق الاقصى وبينالبحر المتوسط اذ تقع على الساحل الغربي للبحر الاحمر على



في مؤتمر شعبي لجبهةتحرير ارتيريا ٠٠ الاصرارفي كل العيون ، والوجوه ، والشباب عربيـة مائة فـيالمائة ٠

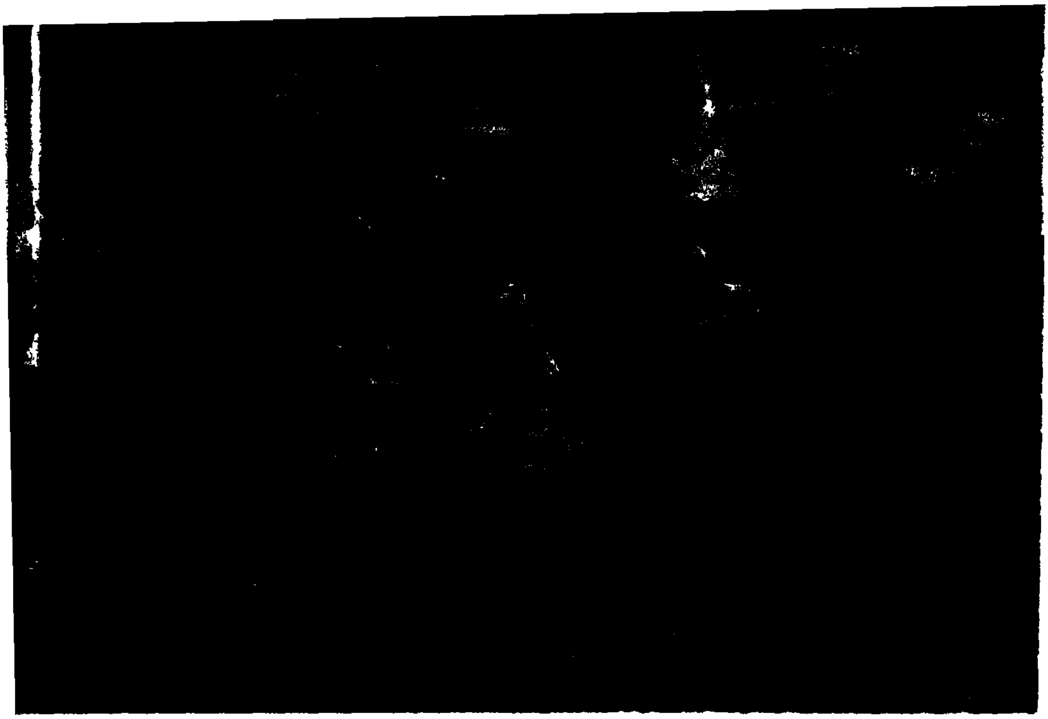
اد ١٠٠٠ كيلو متر مـن بور سودان شمـالا جيبوتي جنوبا ٠٠ ، هذا البحر الذى برزت يته الاستراتيجية الدولية مـع بدء التجـارة رية خاصة عقب شق قناة السويس ، وتزايدت الاهمية باكتشاف البترول في اراضى الخليج بي والمملكة العربية السعودية على ساحله في ٠

٢٢٢ سنة ستعمارا ٠٠ !



زادت تلك المزايا للموقع الجغرافي لاريتريا، تعرضها عدة حقب للاحتلال الاجنبي لعـدة استعمارية مختلفـة ٠٠ ، فبعـد ان كانت ريا كيانا مستقـلا ذا سيادة ، تعـرف في سور الوسطى والى بداية العصور الحديثة م « ميدرى بحرى » اى بلاد الشاطىء المطلة

على البحر ، على رأسها ملك يحكمها ويديـر شئونها يسمى « بحر نجش » اى ملك الاقليم المطل على البحر ٠٠ ، كما عرفت باسم « ميدرى جيتى » اى ارض الاحرار ٠٠، و « مارب ميلاش » اى الخط الذى يفصل اريتريا عن اليوبيا ٠٠ ، تعاقب عليها المستعمرون الاجانب ففقـدت استقلالها وتعرقـل تطورها ٠٠ ، فقد احتلتها تركيا عام ١٥٥٧ حيث اكتفت باحتلال شواطئها ٠ الا ان الاستعمار التركى ظل جاثما على البلاد ٣٠٠ عام ــ من ١٥٥٧ الى ١٨٤٦ وحين انسحبت تركيا حل مكانها المصريون ، ورفع العلم المصرى بدلا من التركى فوق مصوع وكرن ومنخفضات بركة والجاش وستيت ، وكذلك فوق المرتفعات في قرع وجندت ٠٠ ، وعند نشوب الثورة المهدية في السودان ، انسحبت معظم القوات من اريتريا كي تعزز مواقعها العسكرية في السودان وكي تحمى مصر نفسها التـى تعرضت للغـزو البريطاني ٠٠ ، ثم انسحب المصريون نهائيا من



المراة الاريترية تعمل فى الزراعة والصناعـة
ورعاية الاسرة والى جانب ذلك تقاتل فـى
صفوف الثورة .



ريا عقب الاحتلال الانجليزى لمصر (١٨٨٢)، ل الايطاليون مصوع عام ١٨٨٥ ٠

لل الاستعمار الايطالى فى اريتريا ٥١ عاما، ، انتهى بهزيمه ايطاليا فى الحرب العالميـة نية ودخول القوات البريطانية اريتريا تحت الحلفاء عام ١٩٤١ ٠

انتهت الادارة البريطانية ورحلت بريطانيا عن ذد عام ١٩٥٢ الذى بدأ فيه الاتحاد الفيدرالى اريتريا واثيوبيا وفق قرار الامم المتحدة رقم ٥/أ/٣ الصادر فى ٢/١٢/١٩٥٠ ، وقد نص مادته الاولى على الاتى :

ـ تصبح أريتريا وحدة سياسية تتمتع بالحكم اتى (الاستقلال الذاتى) فى اطار اتحاد مع وبيا تحت سيادة التاج الاثيوبى ٠

على ان قرار الاتحاد الفدرالى هذا بين اريتريا ثيوبيا لم يلبث ان الغاه الامبراطور هيلاسلاسى علن ضم اريتريا الى اثيوبيا فى ١٥/١١/١٩٦٢، م تحرك الامم المتحدة ساكنا ، فى الوقت الذى نت قوات الجيش الاثيوبى قد استولت على جميع ؤسسات والمرافق الحيوية فى اريتريا ، وقـد صحت المعاهدة الامريكية الاثيوبية الموقعة بين ومتى البلدين فى ٢٢ مايو ١٩٥٣ ولمدة ٢٥عاما جوانب الصفقة التى عقدت بين واشنطن واديس بابا والتى راح ضحيتها الشعب الاريترى ، فقد عت اثيوبيا الولايات المتحدة الامريكية قواعد سكرية برية وبحرية وجوية فى اريتريا ، كانت قابل للجهد الامريكى فى ضم اريتريا الى اتيوبيا٠

اريتريا ليست اثيوبيا



مـا سبق يؤكـد ان السلطات الامبراطوريـة اثيوبية كانت تعد لضم اريتريا منذ توقف الحرب عالمية الثانية هذا بالرغم من ان اريتريا لم تكن ما جزءا من اثيوبيا ، كما لم تكن تابعة لها فى فترة على امتداد التاريخ ٠٠ ، الامر الذى القارىء وقائعه مفصلة فيما سبق وذكرنا عن تكوين السكانى لاريتريا والقوى الاجنبية التى اقبت على احتلالها ، ولا نريد ان نمضى بعيدا فى ذلك الى ما قبل الميلاد ، حيث كانت لاريتريا حضارة وتجارة ازدهرت فى مدينتى « ادوليس » و « قوحيتـو » اللتين تشهـد اطلالهما بمعالـم الحضارة القديمة لاريتريا ٠٠ ، كما ان الحضارة الاسلامية امتدت الى اريتريا وقد جاءت بفتـح الامويين لجزر دهلك والساحل الاريترى ، « ان مصوع والموانىء القليلة على البحر الاحمر اصبحت اسلامية فى وقت مبكر ، وبعد تدمير « ادوليس » إزدهرت حضارة اسلامية فى جزر دهلك بالقرب من مصوع فى مستهل القرن الثامن » ـ غرائب اثيوبيا لجسمان ـ وخطاب للكونت « سفورزا » وزير خارجية ايطاليا كتبه الى رئيس بعثة الامم الامم المتحدة فى اريتريا ، مؤرخ فى ١٧/٤/١٩٥٠ قال فيه :

ـ ان مناطق اريتريا المختلفة احتلها الايطاليون فى الفترة الواقعة بين ١٨٦٩ و ١٩٠٣ ، ولـم تنتزع اى منطقة من تلك الاراضى من اثيوبيا ، وكانت دنكاليا هى اول منطقة ارتكزت فيها ايطاليا، والتى كانت وما تزال يسكنها الدناكل وعقدت ايطاليا مع شيوخهم المعليين اتفاقيات حماية ٠ وكان معظم الساحل الشمالى الذى يتمل منطقة مصوع وجزر دهلك حتـى السودان جـزءا مـن الامبراطورية العثمانية ، والتى كان لها سلطة ضعيفة من خلال خديوى مصر الذى كان يحكم هذه المناطق ٠ والحقيقة ان ايطاليا تمركزت فى هذه المناطق بعد ان اضطرت مصر الى عقد اتفاقيات للانسحاب من المنطقة وذلك عام ١٨٨٥ ٠ اما فى الداخل ، ففى المنخفضات الغربية والاقاليم الواقعة بين نهرى الجاش وسيتيت ، والتى تسكنها قبائل الباريا والكوناما ، فقد استحوذت عليها ايطاليا من سكانها المحليين وخططت حدودها بموجب معاهدة ثلاثية بين ايطاليا وبريطانيا واثيوبيا فـى عـام ١٩٠٣ (اشتركت بريطانيا فى هذا الاتفاق لتخطيط الحدود فى الجنوب والغرب مع السودان) ، اما الاراضى المرتفعة فمع انها كانت تحتل احيانا بواسطه بعض الرؤوس الاقطاعيين من اقليم تجراى، لكنها لـم تعتبر جزءا مـن اثيوبيا ، حتـى ان الامبراطور «منيليك» الثانى وجه رسالة الى ملك ايطاليا بتاريخ ١٠ مارس ١٨٨١ دعا فيها القوات الايطالية الى احتلال منطقة « اسمرة » باعتبارها اراضى غير اثيوبية ، اما المناطق التى

تقع جنوبي اسمرة (اكلي قوازي وسراي) والتي كانت تحت الادارة الايطالية منذ عام ١٨٩١ ، فقد اعترف رسميا بكونها جزءا من ارتيريا فـي المعـاهدة الايطالية الموقعـة في ١٩٠٠/٧/١٠ ـ ولم يكن السبب في عقد تلك المعاهدة انهـاء خلافات بين ايطاليـا والامبراطور منيليك حـول الاراضي الاريتريه بعد حرب عام ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ المعروفه بحرب « عدوا » ، اذ ان الحرب لم تكن بسبب خلافات على الحدود ، لكنها نشات عن معاهدة « اوتشالي » الموقعة عام ١٨٨٩ ، بشان تفسيرها من ناحيـة الحكومـة الايطالية الـذى رفضه الامبراطور منيليك ، ومع أن الحرب لم تكن في صالح ايطاليا فان الامبراطور منيليك لم يحاول تعيين الحدود بين اريتريـا واثيوبيـا اعترافا منه بعدم اثيوبية اريتريا • هذه هـي الحقائق التاريخية التى اعتمدت عليها ايطاليا عند احتلالها لاريتريا ، والتى اشتقت اسمها من الاسم القديم للبحر الاحمر « سينوس ارتريوس »•

قصة الثورة



تامرت قوى الاستعمار على حرية واستقـلال شعب اريتريا ، فحرم من حقه في تقرير مصيره ، وفرض عليه اتحاد فدرالي مع اثيوبيا ، لم يكن غير غطاء لاحتلال اثيوبي ، لم يلبث الامبراطور هيلاسلاسي ان اعلن الغاءه وضم الاراضي الاريترية الى اثيوبيا ، وكـان هذا الاجراء الامبراطـوري تحصيلا لحاصل بدأ باعلان الاتحاد الفدرالي عام ١٩٥٢ • وطرق الشعب الاريتري جميـع ابـواب المساعي والسبل السلمية ، للاعتراف بحقه فـي تقرير مصيره وحصوله على حريته واستقلاله ، الا انها جميعا اغلقت في وجهه ••

طريق واحد دون سواه اصبح أمام الشعب ، كي يحقق ذاته ويدافع عن قوميته ويستعيد حريته•• طريق الثورة •• ، فحمل السلاح واعلن الثورة التي ما زالت مشتعلة منذ ستة عشر عاما •• ، منذ أن دوت في جبال اريتريا الرصاصات الاولى للثورة التي اطلقتها على المراكز الحربية لقوات الاحتلال الاثيوبي جبهة التحرير الاريترية •

تكونت « جبهة التحرير الاريترية » في القاهرة عام ١٩٦٠ من الطلبة الاريتريين الذين كانوا يدرسون بها • وحددت اهدافها بتحقيق « الاستقلال الوطني الكامل ووحدة شعب وتراب اريتريا » ، كما حددت سبيل تحقيق اهدافها تلك بالكفـاح المسلح •

وفي العام التالي انتقلت الجبهة الى جبـال اريتريا ، حيث اطلقت الرصاصات الاولى للثورة، اذ قام اول فصيل للثوار بمهاجمة احد المعسكرات الاثيوبية التي كانت منتشرة في كافة انحـاء اريتريا ، ريفها وحضرهـا ، جبالها ووديانهـا ومرتفعاتها وسهولها وسواحلها ، وكان هـذا الفصيل الاول أن سبعة مقاتلـين بقيادة الشهيد حامد ادريس عواتي ، الذى عهدت اليه جبهـة التحرير الاريترية بقيادة الفصائل الاولى بجيش الثورة ، والذى عرف بشجاعته ومهارته القتالية حـين قـاد عمليـات الدفـاع التلقـائيه ضـد هجمـات العصابـات الاثيوبيـة المسلحـة علـى الاهـالي عـامي ١٩٤٨ و ١٩٥٠ •• ، وفـي اوائل عام ١٩٦٢ انضم الى الجبهة تسعة مـن ضباط الصف السودانيين الذين خدموا طويلا في الجيش السوداني ، بعد ان استقالـوا منـه ، وتمكنت الجبهة من شراء عشرة بنادق انجليزية بما جمعت من تبرعات بعض العمال الاريتريين الذين كانوا يعملون في المملكة العربية السعودية ، هربتها الى الثوار في الجبال •• ، واخذ الشباب الوطني يتسابق للتطوع في جيش الثورة •• والعمال الاريتريون في الخارج يرسلون التبرعات المالية •• ، وتزايدت هجمات الثوار على مراكز القوات الاثيوبية•• وكان اهالي القرى ومضارب الرعاة يقدمون الى الثوار حاجتهم من الطعام وكافة اوجه المساعدة ، وعمل الثوار المقاتلون علـى تمويل انفسهم بالسلاح والذخيرة من العدو الاثيوبي شيئا فشيئا قدر استطاعتهم ووفق قدراتهم في ذلك الوقت •• ، من ذلك انهم في سبتمبر ١٩٦٣ ،

السلاح في يدها ، وطفلها
على ظهرهـا •• هكذا
تعيش النساء في ارتيريا



وفي وضح النهار ، تنكروا في زي سياح سودانيين وقد استقلوا احدى سيارات النقل العامة ، حتى اذا ما اقتربوا من المركز العسكري الاثيوبي في « هيكوتة » انقضوا بغتة على قواته ، فصرعوا ثلاثة من جنوده واستسلم الباقون ، فاستولوا على اسلحتهم التي بلغ عددها ٥١ بندقية ومدفعا رشاشا .. . واستشهد واحد من الثوار .. ، وكان تعداد جيش الثورة في ذلك الوقت قد بلغ مائة مقاتل .. ، هذا وعمد الثوار الذين باغتوا مركز هيكوتة بالهجوم قبيل انسحابهم الى رفع العلم الاريتري فوق سارية المركز بعد ان انزلوا منه العلم الاثيوبي .. . مما كان له اثره في اشاعة حماس المواطنين وجذبهم الى التطوع في جيش الثورة .

وقفز تعداد جيش الثورة من مائة عام ١٩٦٣ الى ستمائة في العام التالي الى الف .. فعدة الاف .. حتى اصبح تعداده اليوم اكثر من ٤٠ الفا من الجنود شبه النظاميين بما فيهم من قوات الميليشيا ، موزعين بين منظمات الثورة الثلاث : جبهة التحرير الارتيرية - الجبهة الشعبية لتحرير اريتريا - قوات التحرير الشعبية .. . والى جانب هذا التعداد الكبير للثوار المقاتلين ، اصبح للثورة منظماتها الجماهيرية التي تتمثل في اتحادات الفلاحين والعمال والطلاب والمرأة .. . وكلها تعمل في اطار الثورة حتى يمكن القول ان الثورة اصبحت اليوم تستوعب في اجهزتها ومنظماتها الشعب الاريتري بأجمعه .. .واصبحت تسيطر على اكثر من ٩٠٪ من اراضي بلادها بعد ان حررتها من الوجود الاستعماري الاثيوبي.. ، واصبحت تقف على أبواب النصر وتحقيق الارادة الوطنية في الاستقلال والحرية .

فبعد ان كان مسرح عمليات الثورة محدودا وتكتيكاتها القتالية مقصورة على اضرب .. واهرب .. . اصبح منذ معارك اسمرة الشهيرة - شباط، ١٩٧٥ - يشمل كل مواقع العدو في اريتريا ، بل وكثيرا ما يمتد الى داخل اراضي اثيوبيا نفسها لضرب مصادر العدوان .. ، كما انتقل تكتيك القتال لجيش الثورة من اضرب واهرب ثم اختف كالدخان ، الى التمركز في مواقع ثابتة والسيطرة على مناطق شاسعة وحمايتها والدفاع عنها ، وشن هجمات منظمة على جيش العدو ، والاحاطة بمراكزه ومعسكراته ، ثم اقتحامها والاستيلاء عليها .. . وما ان انتهى عام ١٩٧٦ حتى كان قد حرر الريف الاريتري باكمله ، وطهره تماما من الاحتلال الاثيوبي .. ، ومع مطلع العام الحالي ١٩٧٧ دخل جيش الثورة مرحلة تحرير المدن .. ، والتي أخذت تسقط في يده الواحدة تلو الاخرى .. . حتى انه خلال الشهور الثلاثة التي قضيتها بين جنوده - ٢/١ الى ١٩٧٧/٥/١ - حرر خمس مدن .. ، ولم يعد لقوات الاحتلال وانا اكتب هذه السطور غير اربع مدن رئيسية منها العاصمة اسمرة .. ، وهذه المدن المتبقية في يد قوات الاحتلال الاثيوبي تحيط بها قوات الثورة وتحكم حولها الحصار .. وتعزلها بعضها عن بعض .. . والتي لا مفر من تحريرها وعندئذ سيتم لاول مرة تحرير كامل التراب الاريتري من الوجود الاستعماري .

التجنيد لجيش الثورة اجباري . لكن الامكانيات وحدها تحدد الاعداد المطلوبة كل نصف عام .. ، ويأتي المجندون الجدد من المنظمات الجماهيرية فيلتحقون بمعسكر الاعداد والتدريب لمدة ٦شهور يلحقون بعدها بالجيش حيث يوزعون على فصائله المقاتلة ..

والمرأة الاريترية تلتحق بجيش الثورة وفق قوانين ومتطلبات التجنيد الاجباري ، شأنها شأن الرجل في الحقوق والواجبات .

والجدير بالذكر ان قوانين الثورة تمنع الزواج في الجيش حتى لا تعرقل اعباء الزواج المهام القتالية .. . وعقوبة الزنا الاعدام للطرفين ..



جيش الثورة

وجيش الثورة لا تقتصر مهامه على القتال ..

تمتد هذه المهام العاجلة للبناء والانتاج
لون يعملون فى حراثة الارض وزراعتها ،
كون فى عمليات الحصاد وجمع الثمار ،
ن الطرق فى ريف جبلى من الصخور الصلدة،
، الغابات والاشجار والنباتات البرية
مة ، وظل مهملا عبر قرون من الحكم
عمارى المختلف فى الوانه وجنسياته ،والموحد
لبيعته واهدافه .. ، موحد فى نهبواعتصار
وثروات الشعب الاريترى .. ، ولذلك نرى
ب الاريترى الذى يشكل المساحة العظمى
ريا ، تنشق فيه الطرق لاول مرة تربط بين
ومختلف مناطقه ، ويبلغ طول ما شقه منها
اليوم أكثر من ثلاثة الاف كيلومتر، وبسواعد
نلين شيدت المساكن الجديدة للذين دمر
سف الجوى الاثيوبى مساكنهم ، والمساكن
صة بايواء اللاجئين العائدين .

فوق رؤوس الجبال حول المناطق والقرى
ررة ، تربض وحدات المقاتلين للدفاع عن
طنين ضد الغارات الجوية .. ، وامكن لهذه
حدات الى ان غادرت الاراضى المحررة فى اول
، ١٩٧٧ ان تسقط من طائرات العدوان الجوى
يوبى ٣٢ طائرة .. ، تناولت الاجهزة الصناعية
ورة حطامها وصنعت من موادها ادوات منزلية
عتها على السكان بالمجان .. ، وعلى ذكر
نيع حطام الطائرات ادوات منزلية ، فان
لبات الغذائية للجيش التى ترد ضمن
ونات الخارجية ، لا تلقى بين المهملات بعد
تهلاك محتوياتها ، وانما تحول الى مصابيح
ماء بالكيروسين توزع بالمجان على المواطنين..،
لما يصنع الجيش حطام الطائرات ، فجدران
ساكن من الداخل مغطاة بالاقمشة الحريرية ذات
لونين الابيض والكاكى . بما فى ذلك اسقف
جدران .. ، انها المظلات الجوية التى غنمها
جيش من العدو ، ذلك ان البيوت التى يبنيها
جيش للاهالى والجنود ، اما انها محفورة فى
طن الصخور الضخمة ، او مبنية فى باطن التربة
طينية أو الرملية من قطع الصحف بعضها فوق
عض بالضغط على طريقة بناء اهرامات قدماء
لمصريين .

جندى الثورة

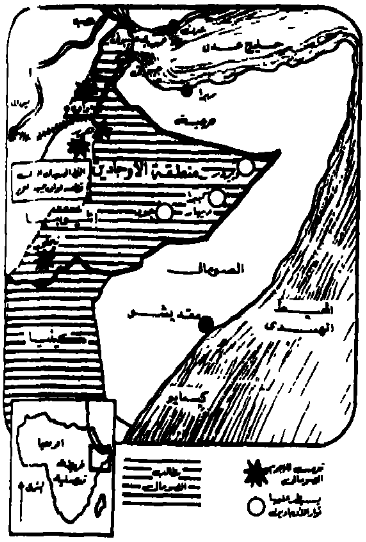


وجندى الثورة ، ارادته فى صلابة وشموخ جباله ، وقدرته على تحمل المشاق اشبه بالاساطير .. يتعايش ووحوش الغابة وزواحفها .. يقضى ليله فى صميم المرتفعات وظلام الكهوف ، فى ثبات وهدوء ويقظه ، يده على سلاحه استعدادا لمواجهة اية مفاجاة تهدد امن الثورة .. ، وحين تمر به ليلا لن تنتبه الى وجوده الا حين يصيح بك ان تتوقف ، ثم يتخذ مكانه بين الاشجار العملاقة الصامتة وكانه واحد منها .. ، وهو حين ينام يفترش الارض ويتوسد الصخر .. ينام بملابس الميدان وسلاحه بيمينه ، وليس له من غطاء فى ليالى شتاء المرتفعات القاسى غير ملاءة من التيل الابيض الخفيف .. ، ان جيش الثورة ينتقل منذ معارك اسمرة ـ فبراير ، شباط ١٩٧٥ ـ من نصر الى نصر .. رغم اسلحته الصغيرة وضعف امكانياته .. ، فهو لم يعرف بعد الاسلحة الثقيلة ..

ادت حملات الابادة وسياسة القمع ضد الشعب الارتيرى ، والتى راح ضحيتها عدة قرى باكملها محيت بسكانها وماشيتها من الوجود ، الى نزوح عدد كبير من الاهالى الى الاراضى السودانية المتاخمة ، حيث يعيشون لاجئين فى محيمات على الحدود .. ، يعيشون تحت اسوأ الظروف المعيشية والسكنية .. ، فقد ظلوا طويلا لا يعترف بهم من قبل المنظمات الانسانية الدولية كلاجئين بضغوط من الحكم الاثيوبى .. ، ولا يتعدى حجم المعونات الغذائية للامم المتحدة اكثر من سد حاجات ١٠ الاف لاجىء .

وبعد ، فالثورة الاريترية نجحت فى بناء مقومات الدولة وفى تطوير حياة المواطنين بتغييرها علاقات الانتاج وعمليات التوزيع من الاراضى المحررة ..، كما نجحت فى نضالها القتالى وحررت اكثر من ٩٠٪ من الاراضى الاريترية واصبحت تقف على ابواب النصر النهائى .. على ابواب تحقيق الاستقلال الوطنى واعلان الدولة العربية الجديدة . ■■

سعد زغلول فؤاد



بقية ..

ثورة الاوجادين

المنشور على صفحة ٦١

السوداني الذى كان على صلة دائمة بنشاط واخبار زعيم الثورة السودانية السيد محمد أحمد المهدى • وكان محمد بن عبد الله حسن يتلقى مع شيخه أخبار هذه الثورة واحداثها ويستمع اليها بمزيد من العناية واللهفة ، ويتتبعها دائما بكل اهتمام • وهناك فى مكة بدأ التفكير مرات ومرات فيما كان يسمع من أخبار ثورة المهدى وبدأ يتفاعل بها وباهداف قائدها فى الخلاص والحرية • وفى كل مرة يقوده تفكيره وتقوده مشاعره الى ما فى وطنه من أوضاع وما يجثم على صدره من ضغط أجنبى يحتاج الى مثل ثورة المهدى • فبدأ فى القيام بتعبئة الشعور العام ضد أعداء البلاد فى الخارج وضد الخونة فى الداخل •

فى مواجهة بعثات التبشير



ولقد كان السبب المباشر لقيام محمد بن عبد الله حسن بجهاده من أجل حرية بلاده هو نزول بعثات التبشير فى عام ١٨٩٧ أرض الصومال الشمالى (البريطانى السابق) فاتصل برجال الادارة الانكليز وتحدث اليهم فى شان هذه البعثات وطالب بضرورة ابعادها حفاظا على عقيدة أهل الصومال • وعلى عادة الانكليز ظلوا يماطلون ويبذلون الوعود الكاذبة باعطائهم وعدا ووراء الاخر دون أن يصدق من وعودهم شىء ، فلم يتردد الزعيم الصومالى فى اعلان الجهاد المقدس على الانكليز وتوالت انتصارات القوات الصومالية بصورة أذهلت أعداءه واقضت مضاجعهم، فاحسوا بخطره وبداوا يتكتلون جميعا للقضاء عليه واستخدموا كل ما لديهم من وسائل . فنشطت دعاياتهم الاستعمارية تعمل بكل قوة على تشويه حركته واتهامه احيانا بالتعصب الدينى وأحيانا بالجنون أو بانه سفاح لكى يكسبوا من وراء ذلك عطف الرأى العام الخارجى من ناحية ويبرروا قسوتهم وسلوكهم الاستعمارى من ناحية أخرى واهم من هذا أن يضمنوا تاييد ومساعدة الحبشة •

ولكن الرجل الذى خرج ليكافح من أجل بلاده وحرية مقدساته ومعتقداته لم يكن ليلين أو يتحول ولم تكن دعايات الاعداء وتهديداتهم لتنال من عزيمته • فقد أرسل اليه الجنرال البريطانى (كوفل) القائد العام للقوات البريطانية رسالة جاء فيها :

« سننسفك نسفا اذا لم ترجع عن غيك واذا لم تخمد ثورتك الجنونية • واعلم ان حكومة صاحبة الجلالة عظيمة جدا ولا يستطيع مجنون مثلك أن ينال منها شيئا ، فارجع عما أنت فيه وعد الى صوابك قبل أن تقع المصيبة عليك وتندم على أعمالك السيئة ! » •

فما كان من ابن عبد الله حسن الا أن كتب لساعته يرد عليه قائلا :

« من محمد بن عبد الله حسن قائد القوات الاسلامية الصومالية الى الجنرال (كوفل) قائد

لشيطان٠٠ قد اطلعت على رسالتك وفهمت بميع اغراضك الدنيئة واغراض حكومتك مة ٠ واعلم أن قواتكم التي تفاخرون بها اوى لدى شيئا وأعلمك أيضا اذا كنتم ننا بقواتكم الهائلة فانني اقاتلكم بنيتي مة وبايماني القوى وبعزيمتي التي لا تعرف . ومهما تكن الظروف فلن أستسلم ولن للشرك عبدا » ٠

. الجنرال البريطاني لهذا الرد وخرج بنفسه جيشا كبيرا لتاديب هذا الافريقي ٠ وفي لا يبعد كثيرا عن تجمعات جيش محمد بن لله حسن التقى الجيشان في مدينة (تالح) ٠ ت المعركة رهيبة وقاسية خرج منها الشرف مالي مصونا ، حمته الدماء الذكية الثائرة سالت بغزارة لتروى شجرة الحرية وتسطر كتابها الخالد فصلا في قصة كفاح شعب ى مجيد من أجل حرية بلاده ٠ وكان درسا ا لقنته جنود الصومال للجنرال الانكليزي ٠ ـل تاريخ هذه المعركة سقوط قائد قوات بة الجلالة صريعا تحت سنابك خيل الفرسان وماليين ومعه مئات الضباط وآلاف الجنود ٠ ى أثر الانتصار الساحق على قوات صاحبة لة البريطانية أدرك الانكليز انهم امام رجل ٠ لا سبيل الى تحطيمه بالقتال ، فبدأوا جعون ويعدلون سلوكهم نحوه ٠ وكتب الحاكم م لمحمية الصومال الى الزعيم الصومالي الكبير ب منه الدخول في مفاوضات لتصفية النزاع الة أسباب الخلاف ٠



تراجع حكومة صاحبة الجلالة

واجتمع الطرفان على مقربة من (لاس عانو) دم رئيس الوفد البريطاني تحياته واحتراماته سم حكومة صاحبة الجلالة للزعيم محمد بن د الله حسن ، كما رجاه أن يتقبل الهدايا التي ث بها اليه نائب الملك في الهند ٠ وبدات لمفاوضات وطلب الجنرال البريطاني الى الزعيم صومالي أن يخمد ثورته ويلقى سلاحه مقابل تعترف به الحكومة البريطانية وحكومات الدول المتحالفة ملكا متوجا للشعب الصومالي كله ٠ وجاء رد الزعيم الثائر قويا مستقيما حين قال : « انني لم أفكر في يوم من الايام ان أكون ملكا ولم يكن ذلك هدفي لا في الحاضر ولا في المستقبل، ولكن هدفي الوحيد هو أن أطرد الاستعمار من بلادي وأعيد اليها حقوقها المغتصبة وأطهرها من الشرك والنفاق ولست أبالي بعد ذلك أن احيا أو أن أموت » ٠

وواصل الزعيم الصومالي كفاحه ضد الاستعمار واستمر الكفاح أكثر من عشرين عاما تالبت عليه خلالها كل القوى الاستعمارية ولولا نجاح السياسة الاستعمارية في احداث الفتن والانقسامات في الجبهة الداخلية لحركة هذا الزعيم بعد عشرين عاما من القتال الرهيب لما كان ممكنا ان يقضى عليه في النهاية عندما لقى ربه في عام ١٩٢١ ٠

واذا كانت ثورة محمد بن عبد الله حسن لم يقدر لها النجاح الا انها كانت النواة الاولى في بعث القومية الصومالية التي ظلت كامنة في ضمير الزمن حتى برزت الى الوجود ابان الحرب العالمية الثانية ٠ وكان لوضع الصومال تحت وصاية الامم المتحدة في عام ١٩٥٠ والجهود التي بذلتها الامم المتحدة في تاهيل الشعب الصومالي لحكم بلاده وتهيئته للاستقلال اثر كبير في ترقية الوعي الصومالي وتنمية قوميته ، تلك القومية التي كانت العامل الاول في التطورات الاجتماعية في الصومال ٠



جذور النزاع

ننتقل الان الى بحث أساس النزاع بين الصومال والحبشة (اثيوبيا) حول الصومال الغربي المحتل (الاوغادين) ٠ ذلك أن النزاع بين البلدين قديم يرجع الى أواخر القرن التاسع عشر، وللان لم يتوصل البلدان الى حل يرضيهما رغم تدخل الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية وتوصياتها المتعددة بوضع حد لهذا النزاع وجميع المباحثات التي جرت لتسويتها باءت بالفشل ٠

وتعتبر بريطانيا ــ كما أشرت الى ذلك من قبل ــ السبب المباشر لخلق هذه المشكلة ، وذلك بوضع الصومال الغربي ضمن حدود اثيوبيا وفقا لخط

الحدود الذى رسمته بين البلدين قبل انسحابها من الصومالفى عام ١٩٥٠ اثر قرار الجمعيةالعامة للامم المتحدة باخضاعه تحت الوصاية الدوليةوبهذا نفذت بريطانيا سياستها التقليدية « فرق تسد » وبذرت بذور الشقاق بين الدولتين الافريقيتين •

ان شعب اقليم الصومال الغربى الذى اشعل نار الثورة فى ١٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٣ بقيادة الوطنى الثائر (مقتل ضاهر) كان ولم يزلمشعلا للتحرير والنضال والكفاح ضد الغزاة الاجانب • وقد بدات متاعب شعب هذا الاقليم فى ٢٦ كانون الثانى (يناير) ١٨٨٧ عندما احتلت قواتامبراطور الحبشة منليك الثانى مدينة هرر عاصمة الولايات الغربية الصومالية بـايعاز من بريطانيـا بعـد انسحاب القوات المصرية منها بضغط من انكلترا • ولقد اتخذت الحبشة هذه المدينة مركزا لبسط نفوذهـا علـى بقيـة المنـاطق • وفـى عـام ١٨٨٩ ضمت الحبشـة اسميا الجـزء الجنـوبى (الاوغادين) من اقليم الصومال الغـربى الى امبراطوريتها بالاتفاق مع بريطانيا مكافاة لها عن دورها بالقضاء على الثورة المهدية فى السودان • ولكن الادارة الحبشية لم تشمل تلك المنطقة الا حين غزت القوات الايطالية الحبشة فى عام ١٩٣٦ واصبحت المنطقة ميدانا للحرب بين الدولتين •

وفى عام ١٨٩٧ أبرمت الحبشة مع بريطانيـا معاهدة سرية استولت بموجبها على الجزء الشرقى لاقليم الاوغادين والمعروف حاليا بمنطقة (هود) والاراضى المحجوزة • وبقيت تلك المعاهدة فى طى الكتمـان حتى عام ١٩٤٨ حينما سلمت الادارة العسكرية البريطانية منطقة الاوغادين الىالسلطات الحبشية •

وبعد الغزو الايطالى للحبشة اعلن موسولينى ضم الحبشة الى ايطاليا واعادة اقليم الصومال الغربى الى الصومال اى ضمه الى اقليم الصومال الايطالى • وعندما وضعت الحرب اوزارها وانتصر الحلفاء على دول المحور عاد الامبراطور هيلاسلاسى الى الحـكم فى الحبشـة عام ١٩٤١ بمساعـدة بريطانيا • وفى ٣١ كانون الثانى ١٩٤٣ عقدت مفاوضات بين بريطانيا والحبشة اسفرت عن عقد اتفاقية تنص على اعتبار المنطقة التى ضمتهـا الحبشة الى امبراطوريتها وهى منطقة الاوغادين جزءا منفصلا عن الحبشةوتتولى القوات العسكرية البريطانية ادارتها • هذا وقد جددت الاتفـ بشأن تلك المنطقة فى ١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٤ على أن يستمر الاحتلال البريطانى لها • ومن المعلوم أن جميع الاقاليم الصومالية ما عدا اقليم ساحل الصومال الفرنسى دخلت تحت الادارة العسكرية البريطانية بعد هزيمة ايطاليا فىالحرب العالمية الثانية • وفى خلال تلك الفترة حاولت بريطانيا الانفراد بحكم الاقاليم الصومالية بعد ابرام معاهدة الصلح مع ايطاليا عام ١٩٤٧ التى التى تنـازلت بموجبهـا عـن جميع حقوقهـا فى مستعمراتها فى افريقيا • وحاولت بريطانيا اغراء الشعب الصومالى واقناعه باختيار بريطانيا لتكون الدولة الوصية عليه ووعدت بتوحيد الاجزاء التى كانت خاضعة لادارتها ، ولكن الشعب الصومالى لم يطمئن الىوعود بريطانيا العريقةفىالاستعمار،

اجماع الشعب والمؤامرة



وعندما ارسلت الدولالمنتصرة فى الحربالعالمية الثانية مندوبيها الى مقديشيو عام ١٩٤٨ لمعرفة رغبات الشعب الصومالى فى تقرير مصيره أجمع هذا الشعب على أن تتولى الدول الاربع الكبرى ادارته تحت اشراف الامم المتحدة لمدة عشر سنوات ينال بعدها استقلاله الكامل • وكرد فعل لما أجمع عليه الشعبالصومالى قررت بريطانيا فورا وفى نفس السنة تسليم المنطقة الجنوبية (الاوغادين) الى أثيوبيا وكذلك منطقة الصومال الغربى • وفى ٢٦ تشرينالثانى (نوفمبر) ١٩٥٤ وقعت بريطانيا مع أثيوبيا اتفاقية تعهدت بموجبها سحب حكمها العسكرى من منطقة (هود) والاراضى المحجوزة من اقليم الاوغادين على أن تتولىالحكومةالاثيوبية ادارتها ابتداء من ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٥٥ • وقد أكدت هذه الاتفاقية حق القبائل الصومالية فى المرعى على جانبى الحـدود • وفـور اعـلان الاتفاقية المذكورة فى ٤ كانون الثانى ١٩٥٥ ثار الصوماليون فى كل من الصومالالايطالىوالصومال البريطانى السابقين واحتجوا على وضع جزء من الاراضى الصومالية تحت سيطرة أثيوبيـا ودون

أهالي البلاد أصحاب الحق الشرعي بها • ـن بريطانيا تعديل الاتفاقية بحجة ارتباطها ـت سابقة مع أثيوبيا بمقتضى اتفاقية سنة • والغريب أن اثيوبيا تعتمد بادعائها بملكية الصومال الغربي باتفاقيات ومعاهدات ـا مع الدول الاستعمارية وذلك في الاعوام ـ ١٨٩٧ ـ ١٩٠٨ وهي اتفاقيات ابرمت ـول اجنبية في ظروف لم يكن الصوماليون ـب الحق الشرعي بها طرفا فيها •

ـندما نالت الجمهورية الصومالية استقلالها كل الاتفاقيات الاستعمارية غير الشرعية التي القطر الصومالي الى خمسة أقسام وأعلنت ـلا تلتزم بهذه الاتفاقيات لانها لا تتمشى ومبدا ـقرير المصير وآمال وتطلعات الشعب الصومالي ـفة الى ذلك تبنت الصومال ، كما جاء في ـتور الصومالي لعام ١٩٦٠ سياسة السعي ـق اعادة وحدة القطر الصومالي بالوسائل ـمية • ومنذ ذلك الوقت بذلت الصومال ـا متواصلة للدخول في مفاوضات مع أثيوبيا الوصول الى تسوية دائمة وعادلة للنزاع ـيمي • وانطلاقا من سياستها هذه أثارت ـمال هذه القضية في منظمة الوحدة الافريقية الامم المتحدة وأعلنت مرارا عن رغبتها في الوساطة الافريقية •

انكار الحق الشرعي



بينما كانت الحكومة الصومالية تبحث باستمرار تسوية سلمية لنزاعها الاقليمي مع أثيوبيا هذه الاخيرة تبنت سياسة مناوئة وأعلنت حالة ـوارىء في اقليم الصومال الغربي المحتل وحالت الهجرات الموسمية التقليدية وذلك بانكار الصوماليين الشرعي في الوصول الى مواقع والمرعى • كما أنها حشدت قوات كبيرة على ـاد حدود الامر الواقع وأعملت القتل والنهب ـرق في قرى صومالية بأكملها •

وقد تصاعدت هذه الاعمال العدائية من قبل ـيبيا التي شنت عمليات عسكرية واسعة النطاق الصومال في شباط (فبراير) ١٩٦٤ •

وبطلب من الحكومة الصومالية تدخلت منظمة الوحدة الافريقية في النزاع واتخذ مجلس وزراء الخارجية في دورته المنعقدة في دار السلام ولاغوس قرارات بوقف اطلاق النار وتسوية النزاع الاقليمي • وأخيرا تم الاتفاق بوقف اطلاق النار بعد مفاوضات جرت في الخرطوم تحت اشراف الرئيس السوداني ، الا أن أثيوبيا حشدت من جديد في ربيع ١٩٦٥ قوات كبيرة على امتداد حدود الامر الواقع ، كما فرضت اجراءات قمع ضد الشعب الصومالي في المناطق المحتلة •

وفي عام ١٩٦٧ اتفقت الحكومتان الصومالية والاثيوبية في مؤتمر القمة الافريقي الذي انعقد في (كينشاسا) على الدخول في مفاوضات لتسوية النزاع طبقا لروح ميثاق منظمة الوحدة الافريقية • ولكن هذه المفاوضات كسابقاتها لم تكلل بالنجاح •

وبحلول ثورة تشرين الاول (اكتوبر) في الصومال بنهاية عام ١٩٦٩ برئاسة الجنرال محمد زياد بري أخذت الجمهورية الصومالية عهدا على نفسها طبقا لميثاق الثورة بالسعي لتحقيق تسوية عادلة وسلمية للنزاع،ولكن كل مبادرات الصومال باءت بالفشل • وفي العامين الاخيرين حشدت أثيوبيا قواتكبيرة علىالحدود الصومالية واخترقت طائراتها مرارا المجال الجوي الصومالي ، كما أنها قامت باعتداءات متكررة على شعب الصومال الغربي المحتل ورفضت أن تمنح سكان المنطقة حق تقرير المصير • ولهذا قامت في الاشهر الاخيرة ثورة مسلحة في الصومال الغربي (الاوغادين) ضد الحكم الاثيوبي وألحقت بجيشه خسائر فادحة واستطاعت أن تحتل وتحرر كثيرا من المدن والقرى المحيطة بمدينة هرر و (ديره داوه) وغيرها من المدن الصغيرة وتمكنت من تعطيل الخط الحديدي وهو الشريان الحيوي الذي يربط اديس أبابا بمرفأ جيبوتي• ونسفت الجسور وقطعت المواصلات البرية والطرق التموينية مما اضطر السلطات الاثيوبية الى نقل المواد الغذائية الى جيشها المحاصر في المنطقة الثائرة بالطائرات • ويمكن القول حسب مصادر الاخبار الدولية أن معظم الصومال الغربي المحتل (الاوغادين) قد تحرر من الحكم الاثيوبي • ■■

دمشق ـ د • يحيى الشريف

حدث هـام فى تـاريـخ ثقافـة الانســـان ..!!



بقلم : الدكتور على الراعى

منذ عام ١٩٣٥ وعالم المصرولوجياالكبير ، الاستاذ هـ • و • فيرمان يحاول ان يثبت أن مانقشه الفنانون المصريونالقدماء على جدران معبد ادفو من كتابة وصور هو فى الواقع مسرحية قائمةبذاتهـا ـ اول مسرحية كـاملة تقـع للمكتشفين ، ويتسنى لهم ترجمتها الى لغة حية •

قبل هذا التاريخ كان علماء المصرولوجيا يمرون غير مكترثين كبير الاكتراث بنقوش معبد ادفو هذه،أو كانوا يسيئون معاملتها • وكان أحدهم ، وهو عالم الاثار الفرنسى الكبير دريتون ، يعتبرتلك النـقوش اجزاء غير كاملة مـن مسرحيات مختلفة •

اما بروفيسور فيرمان فقد امتاز عنغيره من علماء المصرولوجيا باعتقاده المتزايد القوة بان نقوش معبد دندره ،اذا ماضمت اليها الـكتابات الـواردة تحت الصور المحفورة فى الصخر،تكونفيما بينها أول واقدم مسرحية فى مصر ـ ومن ثم فى العالم اجمع •

المشهد الاول من الفصل الثانى ،كما هو منقوش على المعبد •وترى البحيرة المقدسة وفوقها مركب كبير ، فى منتصفه يقف حورس يطعن عجل البحر • وتقعد ايزيس وهى ممسكة بحبلين •



تصار حورس
تدم مسرحية فى عالم

ولقد طبع بروفيسور فيرمان النص كما تصوره، وظهرت طبعته الاولى فى عام ١٩٧٤ ، فكان هذا التاريخ حدثا هاما ، ليس فقط فى عالم المصرولوجيا ، ولكن فى حقول الدراما والمسرح والتاريخ والثقافة عامة •

غير ان شيئا هاما ايضا قد سبق ظهور المسرحية مطبوعة • ففى ٢٣ يونيو عام ١٩٧١ قدمت المسرحية على خشبة مسرح قسم الدراما فى كلية باد جيت، بانجلترا ، ونجحت نجاحا كبيرا فى اقناع الفنانين والجمهور الذى قدم لمشاهدتها بان ما يجرى امامهم هو فى الواقع مسرحية لا شك فيها •

ولتعرف كلية بادجيت على نص المسرحية

قصة طريفة • ففي عـام ١٩٦٨ التحـقت ابنـة بروفيسور فيرمان ـ صاحب النظرية ومقدم الترجمة ـ بقسم الدراما في الكلية ، وتصادف ان سالها رئيس القسم ، وهي في فصلها الدراسي الثاني، سؤالا عابرا عما اذا كان لدى ابـيها مسرحيـة مصرية قديمة يمكن عرضها على مسرح القسم ، فكان جواب الفتاة ـ الذى اصبح من بعد تاريخيا ـ نعم !

ومن ثم بدات الاستعدادات لتمـثيل وتـقديم مسرحية « انتصار حورس » •

قصة المسرحية

ماهو موضوع المسرحية ؟ وما مكانها في الادب المصرى القديم وفي الاساطير المصرية المتداولة حين كتابتها ؟

يقول : بروفيسور فيرمان ان مسرحية انتصار حورس كانت تقدم كل عام في اليوم الواحد والعشرين من الشهر الثاني من الشتاء وفي الايام الاربعة التالية له •

وكانت المسرحية اذ ذاك تدخل ضمن الاحتفال السنوى بالنصر الذى حققه الشاب حورس على خصمه وعدو ابيه ، وهو المسمى «ست» • وكانت احداث المسرحية تقدم لمشاهديها وقائع الصراع الدموى بين حورس وست ، وعمليات تمطيع اوصال «عجل البحر» الذى اتخذته الاسطورة رمزا للعدو، ومن ثم تسلم الشاب حورس تقاليد الحكم ووضع التاج المزدوج على راسه ،ايذانا بتنصيبه ملكا على الوجهين القبلي والبحرى •

اما قصة المسرحية فهي بسيطة للغاية • فمدخل المسرحية يهتم اساسا بسوق المديح الى الملك الذى يتم الاحتفال في عهده ، والاشادة بايام الاحتفال السعيدة ، وتوقع ما سوف يحدث فعلا فيما بعد انتصار حورس وهزيمة ست •

اما الفصل الاول من المسرحية بمناظره الخمسة فهو في الواقع تمثيل لاحـد الطقوس المصريـة القديمة ، وهو الطقس المعروف بطقس الرمح ، ويتم تمثيله في المسرحية عن طريق الدراما والتمثيل الصامت • وفي كل منظر من المناظر الخمسة نجد شخصيتين اثنتين تمثلان حورس ، احداهما ترمز للوجه البحرى والاخرى للوجه القبلي ، وحورس فيهما يدفع برمح في جسد عجل البحر الذى يرمز الى ست •

ويحوى الفصل الاول تمثيلا للطريقة التى هزم بها حورس عدوه ست • وبعد المشهد الرابع من الفصل نجد فاصلا من التمـثيل الصامت يقدم طقسا مصريا قديما آخر وهـو : قتـل الافـاعى المتعددة الالوان واكل لحومها وشرب دمها ايضا ، وكل هذا يرمز الى تدمير العدو •

اما الفصل الثاني فهو مخصص اساسا لمظاهر الابتهاج بالنصر الذى تم في الفصل الاول • وفي المشهد الرابع منه ، تلقى ايزيس ، ام حورس ، قصيدة رفيعه القدر ، اذ تغذيها النشوة فتنسى ان ابنها قد انتصر في المعركة بالفعل وتظل تهيب به وبمؤيديه ان يهبوا جميعا للقتال • تقول ايزيس وهي في قمة النشوة :

انزل الى زورقك الحربى ، أى بنى حورس
أنا المربية التى دللت حورس على ماء النهر
مخفيـة ايــاه تحــت الالـــواح
فى قلب الظلمة التى تخلقها أشجار الصنوبر
لا خوف عليك يا حـورس اذ تربط زورقك الى المرسى
فان الدفة الطيبة تدور حول عمودها
كأنها حورس فى حجـر أمه ايزيس
والالواح مثبتة على ضلوع السفينـة
كأنمـا هى وزير يقبـع فى قصـره
والصارى يقف فى ثبات عند الدرج
كمثل حورس حين أصبح عاهلا للبلاد
وشراعه الجميل ذو اللـون الزاهـى
يشبه الالاهة «نت» وهى حبلى بالالهة•

وفي المنظر الثاني من الفصل يقوم حورس وهو على البر بعرض مشاهد قتل عجل البحر عن طريق التمثيل الصامت ، ثم ينزل الى زورقه الطقوسى ، ويمنح علامات الملك وشاراته ، ويوضع فوق رأسه تاجا مصر : العليا والسفلى ، ويقوم كورس من النساء يمثلن الوجهين بغناء يبتهجن فيه بالنصر الذى تحقق •

وفي الفصل الثالث من المسرحية تاتى الاحتفالات الختامية ، وتقدم فيه طريقتان لقتل عجل البحر • الاولى تمثيل فعلى لقتل العجل والثانية تاتى بعجل للبحر مصنوع من العجين يتولى جزاء الملك تقطيع اوصاله ، ثم توزع اجزاء جسد العجل على



ا مثلت المسرحية فى انجلترا ،
رس ينـزل مـن المسرح الى
قة السفلى للتمثيل •

ورس يعلـن ابتهاجـه بنصر
س• ايزيس فى الوسط والملك
اليسار والملكة الى اليمين •



الهة ، ويعلن نصر حورس ، والالهة والملك ،
تنتهى المسرحية بخاتمة يعلن فيها القارىء الملكى
سميا انتصار حورس ، وبعض الالهـة ويذكـر
سماء جهات بعينها يشملها النصر ، ويعلن فى
لنهاية ان الملك ايضا قد انتصر •

مدح للملكية

هذا هو مجمل المسرحية : «انتصار حورس» •
يقول بروفيسور فيرمان ان النظر السطحى لها
متبرها تمثيلا لموقف اسطورى ، هو : الحرب بين
لهين : حورس و ست • غير ان القارىء المتعمق
لمسرحية لا يفوته مغزاها الكبير ، فهى مدح
للملكية وتاكيد لها ، وتعزيز لوجودها يتم مرة
كل عام • والملك الذى يجىء ذكره فى النص الى
جوار حورس ، هو ملك مصر الذى يتصادف ان
يكون على العرش ابان الاحتفال •

ويضيف فيرمـان ان فـكرة الملـكية المقدسة
واستمرارها ، واتصالها عبر القرون قد كانت
العنصر الوحيد الباقى فى الحياة والمجتمع فى مصر
القديمة • وكانت هذه الفكرة تجرى فى نسيج
الحياة المصرية كخيط طويل من الذهب استمر
موصولا ، بلا انقطاع من عهد حورس الملك الى
اول ملوك الاسرة الاولى،وامتدادا منهؤلاء الىاول
ملك ــ اله ، وهو رع ، اله الشمس •

هذه الفكرة الملكية الذهبية هي التي وهبت الحضارة المصرية القديمة قدرتها الغريبة على البقاء والاتصال ، ووهبت المصريين الشعور بالطمانينة ، وجعلتهم يطيقون حكم الاجانب وسيطرتهم ، طالما عمل هؤلاء على عدم قطع الخيط الذهبي الطويل •

ولكي يعطي بروفيسور فيرمان قارئه فكرة عامة عن احتفالات نصر حورس ، يرجع الى احد نصوص معبد ادفو المنقوشة على جدرانه ، والتي تصف مظاهر ذلك الاحتفال • يقول النص :

«انه ـ أي حورس ـ يقف في مواجهة البلدة ، ويرى معبده مثقلا بالنفائس كلها ، ويجد مدينته في غمرة الاحتفال ، يبتهج وسطها وتضج النشوة في حواريها • ويلفى المؤن اكثر بكثير من رمال الشط • وانواع الخبز كلها وافرة كعبات الرمل، والثيران ما بين طويل القرن وقصيره أكثر عددا من حشرة النطاط • وفي المدينة بركة تملؤها الطيور • أما الغزال والبقر الوحشي والوعل ـ فرائحة شوائها جميعا تصل الى عنان السماء • وعين حورس الخضراء ـ كناية عن الخمر ـ تجري في ربوع المدينة كامواه الفيضان من الكهفين • والمر مع البخور يحترقان في المجامر ويصل ريحهما العطر الى الميل • وهي ـ أي المدينه ـ تعج بالغزف المزخرف ، وتتالق بالنطرون ، وتتزين بعقود الزهر والعشب الرطيب • أما الانبياء وآباء الاله فلبسهم من التيل الغالي ، وأما حاشية الملك فمزدانة بشارات الملك ، وشباب البلدة سكارى ، وأهلوها يلفهم المرح ، وعذاراها فتنة للناظرين • البهجة تشمل المدينة ، والعفل موجود في أرجائها جميعا ، ولا مجال للنوم حتى طلوع الفجر » •

المتفرجون جزء من العرض

ويقول فيرمان ان عدم وجود مبنى قائم بذاته مخصص لعرض المسرحيات في مصر القديمة لا يعني اطلاقا أن المصريين القدماء لم يعرفوا التمثيل • وهو يذهب الى ان عرض المسرحية كان يتم في أحد جوانب المعبد، يتحلق حوله المشاهدون• ولم يكن هنالك متفرجون بالمعنى المعاصر للكلمة• اي : اناس مهذبون ، يجلسون في وداعة ، يتابعون بهدوء أحداث مسرحية تجري بمعزل عنهم •

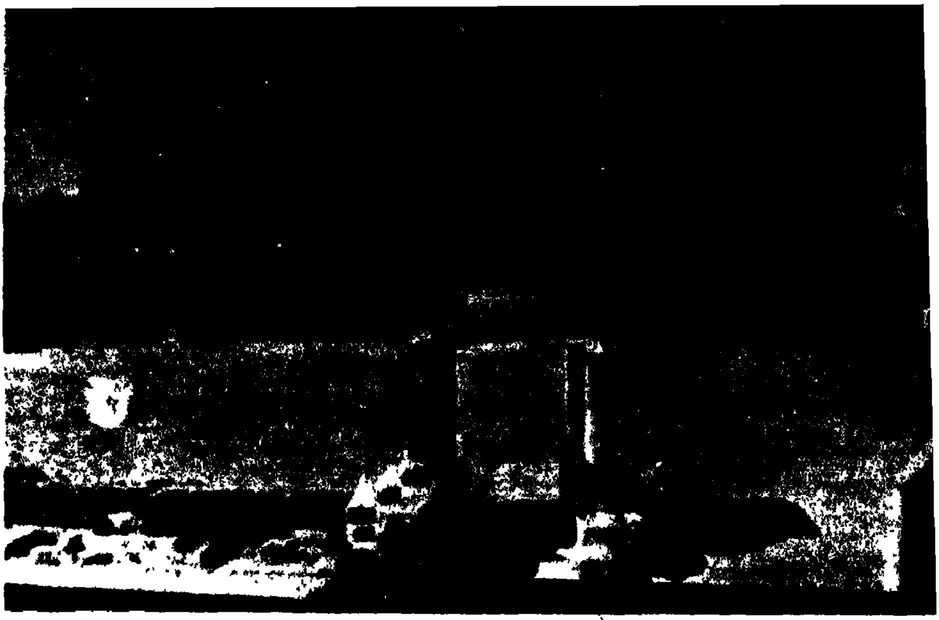
ان متفرجي مصر القديمة كانوا جزءا لا يتجزا من العرض • أما أهل الامتياز منهم فكانوا يتابعون المسرحية عن كثب من اماكنهم قرب البحيرة المدسة • واما عامة الناس فكانوا يشاهدون المسرحية من أماكنهم في البلدة •

كان الجميع أجزاء من كل واحد كبير هو الحفل المقدس • المتفرجون في هذا شانهم شان علية القوم وأفراد الكورس والممثلين • كانوا جميعا يعرفون أحداث المسرحية مسبقا ولا يمنعهم هذا من أن ينفعلوا ويندمجوا في العرض •

ولا بد انه كانت تمر لحظات في العرض يتدخل فيها المتفرجون عفويا كان يصرخوا أو يهتفوا باسم حوررس أو ينددوا بعدوه ست • والنص المسرحي الذي يعدمه فيرمان يدعم هذا الرأي فانه يجعل للمتفرجين دورا في آخر كل مشهد يقولون فيه : اثبت يا حورس ، اثبت !

ثم يلفت فيرمان النظر الى حقيقة هامة وهي انه في أمثال هذه الاحتفالات لا يكون للحديث، ولا للتمثيل المقام الاول • وانما الركيزة الاولى هي المرثيات • أما الكلمة في حد ذاتها فهي بالغة الاهمية ، فهي التي توصل معنى المسرحية الى المتفرجين • غير ان صوت الكلمة وليس معناها هو الذي يهم أكثر في هذه الحالة • وما دام الممثلون يجيدون القاء الكلمات بالطريقة المناسبة ، فلا يهم ان لم يفهم المتفرجون معنى تلك الاصوات • ذلك أن أغلبهم لم يكن تصل اليه كلمات الممثلين ، نظرا لشدة بعده عن المسرح • غير ان هذا لم يكن ليفسد على المتفرج متعته ، فانه يعرف حوادث المسرحية معرفة تامه • ثم أن المسرحية مكتوبة بحيث تؤدي المناظر والحركات المعنى المطلوب • ومن ثم ياتي استخدام التمثيل الصامت في بعض اجزاء المسرحية ، الذي يستغرق حيزا كبيرا من حجم العرض • فهو موجود في فاصل ياتي في المشهد الرابع من الفصل الاول ، كما انه ياتي أيضا خلال فاصل آخر في الفصل الثالث ، حيث يقوم حورس بتمثيل صامت لعملية رشق رمحه في جسم نموذج مصغر لعجل البحر • بينما يقوم الملك بغرس رمح آخر في جسم لأسير من البشر •

ومسرحية : « انتصار حورس » لا تحوي شخصيات مرسومة بعناية على النحو المالوف في المسرحيات العادية • ومع هذا فان شخصية ايزيس تبرز بوضوح من خلال النص ، وهي تقدم الدنا من ناحيتين من نواحي وجودها •



معبد ادفو وقد ظهرت نقوشه وكتاباته والتى وجد فيها فيرمان نص المسرحية ٠

فهى الام التواقة لان يسلم ابنها وينتصر ، وهى
ما المرأة التى يغلب الغضب والحقد على
يعتها ، والتى تتشوق لهزيمة وموت ست ،
نل زوجها أوزوريس ٠

دور « الكورس »

أما « الكورس » الذى يظهر فى المسرحية فان
وظائف درامية كثيرة ٠ منها المديح بالطبع ،
ل، مشهد ما من مشاهد المسرحية ، والمشاركة
، التنبؤ بما سوف يطرأ من احداث ٠ والكورس
الى هذا ـيفتتح معظم مناظر المسرحية ويختتمها،
حين لا يفتتح الكورس مشهدا ما ، فان وظيفته
لدرامية تتغير، فهو قد يمهد لتغيير مكان الاحداث،
يبلغ الحماس بافراده ـ احيانا ـ حد التخلى
وقتا عن اسلوب الكورس المنظم ، الوقـور ،
يتحول اذ ذاك الى المشاركة الفعلية فى الاحداث،
كما يحدث بالفعـل فى الفصل الاول ، المشهـد
الخامس حيث ينتهى المشهد بهذه الكلمات الملتهبة:

امسكوا ،واقبضوا ، يا أولى القوة ،
انهبوا ، يا سادة الحيوانات المتوحشة ،
اشربوا دم عدوكم ، ودم نسائه
استحدوا سكاكينكم ، واجعلوا حدهـا
ماضيا
واغمسوا ـ عميقـا ـ أسلحتكم فى
الدماء ٠

وبعد، فان النص المسرحى الذى نشره بروفيسور فيرمان عام ١٩٧٤ ليؤكد بوضوح أن مصر القديمة قد عرفت التمثيل وفن المسرح ٠ والذى يطلع على نص المسرحية كاملا لا يفوته أوجه الشبه العديدة التى تربـط هذا النـص بمسرحيـات الاسرار والمسرحيات الاخلاقية التىكانت تقدم أبان العصور الوسطى بواسطة الكنيسة حين سعت الى استخدام الفن المسرحى وسيلة لنشر تعاليم الدين ، بعد أن أعيتها الوسائل لمصادرة فن المسرح كلية ٠

ذلك أن الفن المسرحى اختفى رسميا حين طلبت الكنيسة ذلك ، ولكنه ظل يعمل .من خلال حركة شعبية ، حمل لواءها الممثلون الجوالة ، وظلوا يرفعون اللواء ٠ حتى تنبهت الكنيسة الى أهمية المسرح فاحتضنتـه على شكل مسرحيـات دينيـة ووعظية ٠ ثم جاء عصر النهضة فاعطى الفنون جميعا ، وعلى رأسها فن المسرح ما تستحق من تقدير ٠

ترى هل يقوم احـد منا بترجمة مسرحيـة : « انتصار حورس » الى العربية وعرضها ولو على سبيل التجربة الرائدة ، كما فعلت كلية بادجيت الانجليزية ؟

يا ليت ذلك يحدث ! فاننا اولى بتاريخنا وفننا من الغير ! ■■

د ٠ على الراعى

■ فى معرض الهزل والتسلية تضيع الكثيرمن الحقائق ، وفى مجال النفور والضجر ينكمش العلم وينزوى • وتكون النتائج وخيمة لا يلتاع لها ويكتوى بنارها الا من يمر بالتجربة اويصاب بمرض او ينغمس فى معالجته بحكم واجبه أو مهنته • وقد ذكرت الهزل والتسلية بقصد والحاح لاسباب معروفة قد تمر دون التفات جدى لمغزاها واضرارها •

ففى معرض الفكاهة تلجأ الصحف والمجلات العربيـة ، وبعض الناس من صانـعى النـكات والكاريكاتير الى ابتكار قصص وطرائف بغرض التسلية وارضاء غـرائز الجمهور ، لكنها غـير واقعية ومن نسج الخيال والتصور وكأنها ممكنة الحدوث • والنكتة التالية تصور ذلك بجلاء :

صعد مجنون هارب من المستشفى منارة بقصد الانتحار ، وحار جمهرة الناس فى اقناعه بالعدول عن ذلك •• ، الى ان جاءهم طبيب المستشفى بمجنون آخر ، فما كان منه الا ان نادى المجنون الاول : «اذا لم تنزل فسأقص المنارة بالمنشار! »وسرعان ما نزل المـجنون الاول راكـضا طائعـا هلعا ! ! ••



بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

كاية طريفة دون شك ـ ونكتة حارقة مسلية •• ، كذلك ؟ ؟ •• اما انا فاقول بانها حكاية ;ة» مصنوعة وموضوعة من قبل شخص عاقل ال السرور الى قلوب الناس على حساب كين التائهين ، فما ابعدها عن حقيقة تفكير من ;ن بالمجانين ، وان دلت على شيء فعلى عدم جمهور كبير من الناس ماذا يجرى فى عقل اب وماذا يفكر به فعلا • وهذا ما ينطبق على م حكايات المجانين •

ساتناول فى مقالى هذا قضية «المرض العقلى» ;ة الناس اليه ، وموقف المجتمع والاسرة قرباء من مريضهم لما فى هذه النظرة والاتجاه تاثير حيوى على جهود اطباء النفس فى العلاج قاية •

الجنون •• والمرض النفسى

لجنون بالحقيقة ليس الا نوعا من الاضطراب سى بنظر الطب النفسانى • وللاضطراب سى درجات واصناف،لذلك يؤثر بعض العلماء يم الاضطراب النفسى الى فصيلتين كبيرتين :

ـ الامراض النفسية (العصابية) ، وهى التى ، اليها الجميع على انها اضطرابات خفيفة • انعلاج •• «سليمة السمعة» اجتماعيا ••

ب ـ الامراض الذهانية (العقلية) ، والتى ر مرادفة للجنون او العته •• العميق الاثر والاصعب علاجا •• و « السيىء السمعة » ـ اجتماعيا ••

> « التفكير لدى مرضى العقول هو أشبه بتفكير العقلاء ، مع فارق فى التسلسل والشدة والنوعية والعمق والصراحة والاسلوب » •

وعند الاختصاصى بالطب النفسانى ، لا فرق جوهريا بين المرض النفسى والمرض العقلى ، من حيث الاسباب ، فالنفس هى العقل •• ، والعقل هو النفس •• ، ولا وجود لنفس وعقل فى اى عضو من اعضاء الجسم عدا الدماغ • فنحن نشعر ونحب ونغضب ونستجيب ونفكر ونمرض بعقولنا• ومع ذلك فان المجنون كما هو متعارف عليه هو المريض العقلى (المصاب بالذهان Psychosis) • واعراض الذهان تختلف دون شك عن اعراض العصاب النفسى Neurosis بالرغم من انها قد تشترك فى كثير من العوامل فتتشابه وتختلط بين الاثنين بصورة كبيرة • وما يمكن التاكيد عليه هو ان الجنون اشد حدة وعمقا وتاثيرا فى تغيير سلوك وتفكير وحياة الانسان ، وقد ينشا احيانا عن اصابة عضوية فى الدماغ •

ما هو المرض النفسى (والعقلى) ؟

يمكن تعريف المرض النفسى بانه : «حالة من رد فعل ومجابهة لشدائد الحياة • وآلام الذات» • فالمرض النفسى هو استجابة غير طبيعية من الفرد تجاه ظروف وشدائد تقع عليه او تحدث فيه او هو «الحل الانسب» او «الموقف الملائم» الذى يلجا اليه المريض تجاه الصعاب ولم يوفق الى غيره •

ونحن نعرف ان الانسان السوى المعافى يواجه دائما مثل هذه المصاعب ويستجيب لها•واستجابته هى «تكيف ناجح» يخلو من اعراض الامراض النفسية والعقلية ، بينما المريض النفسى يتكيف

ويستجيب بشكل وصيغة هي المرض ذاته ، لانه لم يوفق الى التكيف الاسلم والاصح • ويرجع سبب عدم التكيف ـ او سوء التكيف والمرض ـ الى عوامل كثيرة : بيولوجية ـ وراثية ، ومحيطية ـ اجتماعية ، وثقافية ـ خارجية •

ويمكن تقسيم كل عامل الى عدة عوامل ثانوية• وكل من المرض النفسي والعقلي يعني الاخفاق في التكيف مما يؤدي الى اضطراب التناسق والانسجام الذاتي ••• ، او الانسجام مع الاخرين •• ، او مع المجتمع •• مع اختلاف في الحـدة والعمـق والدرجة . وتكون النتيجة شقاء الذات•• أو شقاء الاخرين •• او الاثنين معا ، هذا عدا ما يصاحب المرض من شـذوذ أو تحد للـعرف أو مخالفـة للمعايير والقوانين السائدة •

التفكير في المرض العقلي

من المفيد جدا ان نعـرف كيف يفكر المـريض العقلي • ولا ادعي ان الطب النفسي قد كشف بجلاء تام التسلسل المنطقي في تفكير المريض ، الا ان الشيء الاكيد هو ان تفكير المريض يستمد اصوله ومادته .واتجاهه من تفكير الانسان العادي او بالاحرى من تفكيره هو وحياته قبل مرضه • فلا شيء غريبا وجديدا فيه الا الاسلـوب والصيغـة المستحدثـة • وليس من العسير تفسـير أو فهم الاسلوب الجديد بالرجوع الى تاريخ حياة المريض وما صادفه من شدائد وعقبات سواء بالتحليل النفسي او بتسجيل وتدقيق تطور حياته العاطفية وعلاقته مع والدتـه وافـراد اسرتـه واقربائـه واقرانه •• ومع مواطنيه • و بالدراسة النفسية والبحث الاجتماعي يمكن وضع الاعراض الغريبة او الشاذة في اطرها المناسبـة وايجـاد التفسير المقبول لها •

فالمريض بالشك والاوهام والعداوات انما يشعر بذلك نتيجة سلسلة من تجارب وظروف مرت به فاستجاب لها بطريقة شاذة لا يلجا اليها غيره من الاسوياء • والذي يشعر انه بدون اسم وشخصية وكيان ربما يتنكر لذاته ويمقتها ، او ربما ينكر كل أثر لارادة وحدود ذاته •• ، والذي يؤمن ان عقله قد ذاب وباطنه خاو ربما لانه يرى الاخرين قد طغوا عليه فمحوا كل شيء حيوي فيه •• ، والذي يعتقد انه القوي الجبار او الملك او القائد الذي يامر فيطاع وينهى فيستجاب ربما لان شعوره السابق بالنقص والضالة دفعاه الى رد فعل شاذ من جنون العظمة •• وهكذا ، حتى حركات الايدي والاصابع وقسمات الوجه ولمعان العيون هي رموز ودلائل لها مغزى ومنشا لمن يريد ان يسبر غور النفوس قبل السخرية منها ••

اذن ، فالتفكير لدى مرضى العقول هو اشبه بتفكير العقلاء مع فارق في التسلسل والشدة والنوعية والعمق والصراحة والاسلوب • فالانسان العاقل ـ الاجتماعي ـ لا يبصق على الارض ولا ينزع ملابسه أمـام الاخرين لاعتبارات كثـيرة معروفة ، لكن المريض العقلي وصل الى مرحلة اصبح فيها بلسان حاله وموقفه يقول : « انا احتقر هـذا المجتمع الزائـف الظالـم •• انـه يستاهل البصق •• ولا يستحق التردد والخجل •• ، وانا هكذا دون ملابس••فليخسأ المنافقون والمراءون•• فلاضحك كما أريـد •• ولاتكلم بصـوت عـال مسموع •• » •

يمكن القول اذن ، وببساطة ان المريض العقلي قد وصل مرحلة جديدة من توازن القوى النفسية ومن المعادلات الجديدة ومن القيم الخاصة بحيث انه يقنع بالعيش في عالم خـاص وسط عالـم العقلاء • اما عند المشاهد السطحي فـان عالـم الجنون هو مجرد فوضى واعمـال مضحكـة ومهازل تسليـة • امـا الدارس المتعمـق ـ والطبيب النفساني ـ فيدرك ان عالم الجنون يتضمن التفكير الرمزي ذا المغزى والمعنى •• وان ليس فيـه ما يضحك بل ما يدعو للاسى والدرس والعلاج • والانتاج الفني للمصاب بمرض عقلي يعكس ايضا جانبا من تفكيره •• واللوحات الغريبة او السريالية للفنانين الاعتياديين كثيرا ما تشابه لوحات مرضى العقول •• وبمعنى آخر ان حلقـات الوصل في الانتاج الفني لا تزال موجودة •• وان بالامكان فهمها أو تحليلها ••

دور المجتمع

ن تفهم الناس لمأساة ومعاناة المريض العقلي
رى جـدا • بل هو دليل ومؤشر لمدى تحضر
ان وحبه للبشرية وايمانه بالمبادىء الاخلاقية
ية وبالعلم • فاين الحضارة والانسانية لدى
يعاملون المريض العقلي بربطه بالسلاسل
يه وجعله فريسة الظلام والرعب او وضعه
بهاز دوار يجلب له الدوار والغثيان والانهيار•
ا يتبقى للانسان من كرامة اذا كان المرض
لى سلاحا تهديديا يشهر ضد الانسان للاستيلاء
ميراثه وطمس حقوقه وافكاره ظلما
انا ؟؟ ••

ان ذلك فى القرون الغابرة •• ، اما الان فان
المجتمع والناس فى معاملة مرضى العقول قد
، وتبدل وجه المستشفيات العقلية الكئيب
يب ، وتحولت دور الشفاء الى ردهات اعتيادية
، المستشفيات العامة ، واصبح المريض العقلي
ول علاجه ويرجع الى عمله ويعيش فى داره
افراد اسرته دون فرق • واصبحت سياسة
باب المفتوح » هى السائدة فى انظمة المستشفيات
لية ـ اى ان يدخل المريض المستشفى بمحض
اره ويخرج منه متى ما اراد دون حجر وقيد
بقرار من لجنة طبية ولفترة معينة وبشروط
وف خاصة اهمها الخطورة على النفس او
الاخرين •••

لكن ، هل ندعى ان هذه المرحلة قد بلغت
ال المتواضع ؟؟ • كلا ، اذ لا نزال نلمس
فعل عنيفة من الاهل والاقارب ومن الناس
كل ما هو مرض عقلي • والنكتة التي اوردناها
اول المقال هى واحدة من آلاف النكات التى
ها اولئك السطحيون على المجانين بكل قسوة
ا اكتراث •

دور الاسرة

هل دور الاسرة فى المرض النفسي والعقلي من اخطر واهم العوامل التى تحظى باهتمام الطب النفسي • وتتوزع هذه العوامل ونواحي ارتباطها بالمرض النفسي على ما يلي :

ا) مسببات المرض

ب) واستمرايته او ازالته

ج) وعلى نجاح العلاج او فشله ••

فالصفات الوراثية ، ثم التربية والبيئة تتدخل فى تهيئة الفرد للمرض النفسي او فى ابرازه •• او فى زيادة حدته • فقد نجد الاستعداد لمرض انفصام الشخصية (الشيزوفرينيا) فى شخصين ، الا ان احدهما يستمر فى حياته الطبيعية دون اثر للاضطرابات والمرض، بينما سرعانما تظهر اعراض المرض فى الآخر بسبب أساليب تربيته وعلاقته مع والديه وأفراد اسرته •

ولو افترضنا ظهور المرض العقلي لدى شخص ما ، فان ردود الفعل ومشاعر ووجدان افراد اسرته ستتدخل فى مسار المرض وشدته • فالام غير المتفهمة والاب اللامبالي او المشاكس ، والجهل والقسوة يعرقلون الشفاء او ينقلون المرض الى حالة الازمان والاستمرار •

اما فى المرحلة الاخيرة ـ اى عندما يكون المريض قد عولج بصورة جيدة ثم عاد الى بيته واسرته ، فان موقف الاسرة سيقرر مصير وسير المرض دون شك ، وهو ما نريد التحدث عنه : فقد وجد ان مواقف الاسرة تختلف عن بعضها بصورة ملحوظة ، فهناك الاسر المعادية الغريبة الاطوار التى تضع العراقيل ـ بعمد او بغيره ـ أمام تحسن مريضها• وهناك الاسر التى تعامل مريضها وكأنه قد ابل من زكام بسيط فلا تكترث لما هو فيه • وهناك الاسر الواعية المتفهمة المدققة التى تجند نفسها لتكون بمثابة هيئة تمريضية عالية الكفاءة تتلقى التعليمات من الطبيب المعالج بكل طاعة وتقدير •

وهكذا نجد ان ما يبنيه الطبيب النفساني فى العيادة والمستشفى يتوقف مصيره على ما تقدمه الاسرة من اساءة او خدمة ، وليس من الغرابة ان نعرف ان بعض الاسر فى العالم الغربي وبعض المؤسسات الخيرية والحكومية هى اكثر خدمة وعطفا وتفهما للمريض من ذويه انفسهم • وليس من

القرابة ايضا ان نعرف ان هنالك عوائل تستقبل المرضى العقليين الغرباء بعد اكمالهم علاجهم فتؤويهم عندها للعناية بهم مقابل أجور زهيدة وتقدم تقريرها للطبيب النفسانى بين فترات معينة عندما يزورهم بصورة دورية ، مما يدل على مدى الحنان والتعاطف والتكاتف الانسانى ٠

الحكمة ٠٠ والنتيجة

ان هذا المقال دفاع ونداء ٠٠ دفاع عن الانسان الذى يقع فريسة المرض ويحتاج الى فهم ورعاية من قبل ذويه ومجتمعه ، ونداء الى من يتمتعون بصحة العقل الى التروى والتوسع و « التعقل » عند تعاملهم مع مرضى العقول ٠ فالمسالة ليست بالسهولة الظاهرة ولا بالمتعة العابرة ، ولا بالتغاضى أو الغضاضة . لان هناك الادلة الكافية الشافية بان كل فكرة وحركة يقوم بها المريض العقلى لها معنى ومغزى واصل وهدف ٠

ومن علماء النفس وفلاسفته من يعتبر المرض بحد ذاته مجرد « موقف » حر من ظواهر وأمور الحياة (ومنهم الوجوديون) ، وهنالك آخرون ممن يجازف ويغامر بجرأة فيقول ان لا وجود لمرض عقلى ـ مثل زاس Szaz وجماعته فى الولايات المتحدة الامريكية ٠ ولكن الفكرة التى يجمع عليها كل علماء النفس والاجتماع ان المرض العقلى ليس فكاهة ولا تسلية ولا هو بالفوضى واللامعنى ٠٠ ، بل انه يحتاج الى بذل كل الجهود والدراسات لمعرفة اسبابه وعلاجه ٠

وهنالك من المرضى الذين قدموا للطب النفسى خدمة جلى عندما اكتسبوا الشفاء وسجلوا كل خواطرهم وذكرياتهم اثناء المرض فافادوا اطباءهم ومجتمعهم ٠ واذكر منهم على سبيل المثال المريض (كليفورد بيرز) C. Beers الذى كتب مؤلفا ضخما يحوى كل ذكرياته عن جنونه وعن اوضاع المستشفيات العقلية التى تنقل بينها فى امريكا ٠ ثم حمل بعدئذ لواء دعوة اصلاحية لتحسين اوضاع المستشفيات العقلية ٠ وليكن معلوما لدى الجميع ان المريض العقلى ليس بالابله الذى تمر به الاحداث وهو ساه عنها لان عقله يسجل كل شىء ٠٠ ، فلا ينسى اهانة ولا يغفرها ٠٠ ، ويعرف الجميل ويدرك الحنان والعطف ٠٠

ان الانسان الذى كتبت عليه الحياة واصبح عضوا فى المجتمع يكتسب كل الحقوق التى تتطلب الحفاظ على انسانيته وعقله ودوره المفيد المنتج فى المجتمع ٠ فالسعادة ملك مشاع للجميع ومن حقوق البشر ٠٠ ، ومن الاعتداء على تلك الحقوق السخرية من مرضى العقول او عدم الاكتراث بهم او القسوة عليهم او استغلالهم ٠٠٠ ■■

د ٠ فخرى الدباغ
استاذ الطب النفسانى
كلية طب جامعة الموصل

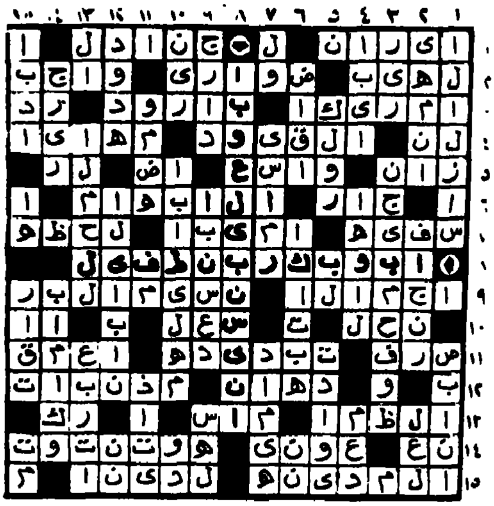
■ ما يحتاجه الرجل منذ طفولته حتى يبلغ الاربعين ، هو ان يرسى أساسا قويا سليما لحياته ومستقبله والغريب أن يبقى هذا الهدف هو شغله الشاغل حتى نهاية العمر ، فهو فى بحث دائم عن أساس قوى يستند اليه الاساس القديم ٠

« د ٠ صموئيل جونسون »

■ الشهرة بخار والشعبية حادث عرضى ، والثروة دائما لها احنحة ٠ ٠ شىء واحد يبقى دوما ولا يزول ابدا ٠٠ انه الاخلاق٠

« هوراس جريلى »

• حل مسابقــة العدد ٢٢٧ •



أبو بكر بن طفيل

•

أبو علي بن سينا

اثنتان في واحــدة :

(٨) أفقيا : أبو بكر بن طفيل ، صاحب حي ابن يقظان • عالم موسوعي عربي ، ولد في غرناطة ، واهتم بالطب والرياضيات والفلك والفلسفة والشعر • وقد حاول في «حي بن يقظان» التوفيق بين الفلسفة والدين •

(٨) رأسيا : أبو على بن سينا ، تعمق في دراسة أرسطو وافلاطون ، وحقق مكانة عالية في تاريخ الفكر والطب والفلسفة • ومن أهم كتبه « القانون » في الطب ، و « الشفاء » في الفلسفة •

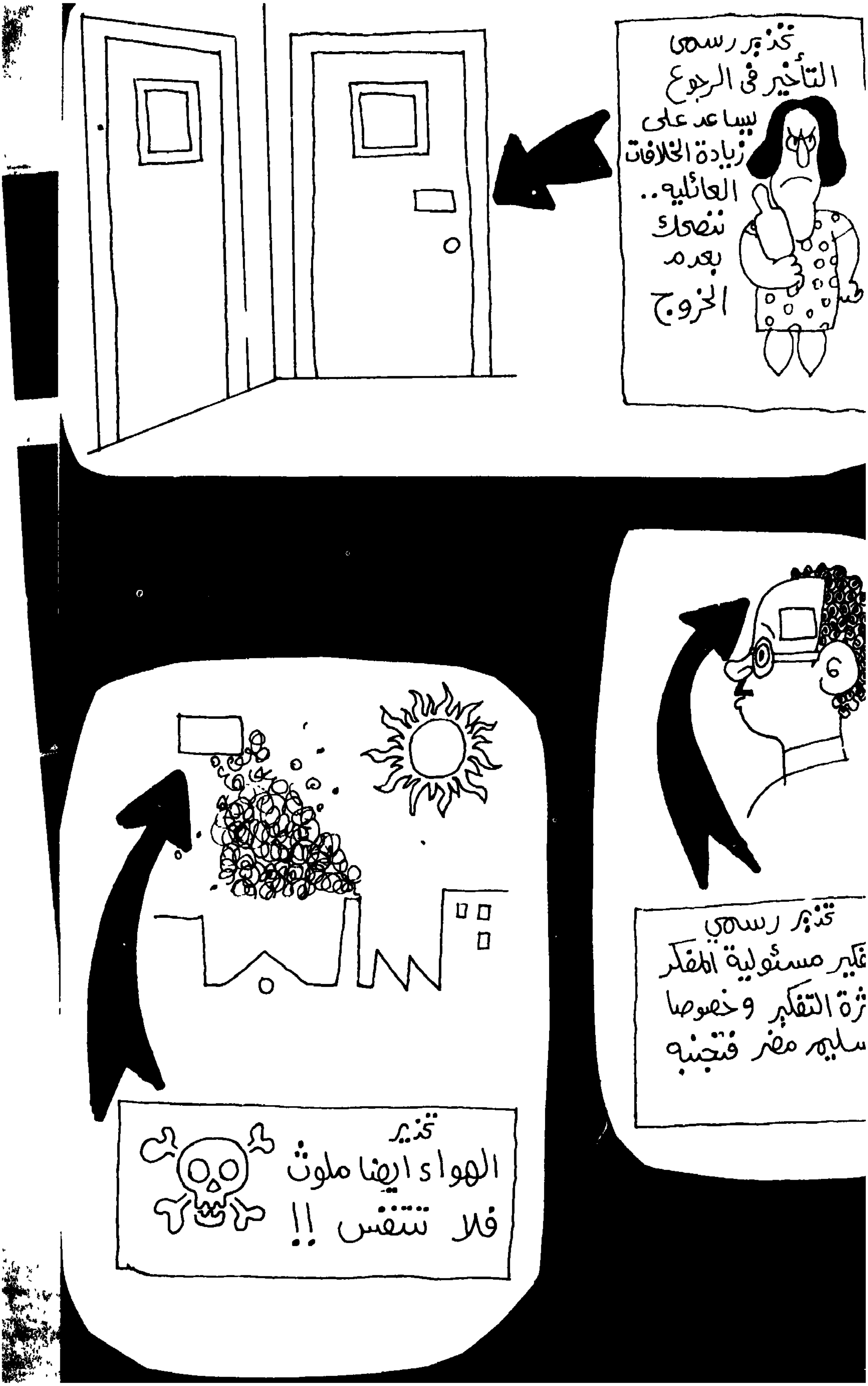
الفائزون بالجوائز

* الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها :بركات نافع خضر ـ المدينة المنورة / السعودية
* الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فازتبها : بثينة قاسم عبد الله ـ الغرطوم/السودان •
* الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها :عبد الملك محمد مرشد الشيباني/تعز/ج•ع•ى

• جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منهاخمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ حسني صادق الشلبي ـ الاغوار/الاردن
٢ ـ بول مروكي يوسف ـ بغداد /العراق
٣ ـ عتيق محمد الفليغ ـ هدن / ليبيا
٤ ـ مي ابراهيم منصور/القاهرة/مصر
٥ ـ ادهم عبد المجيد ابوالغير ـ الكويت
٦ ـ احمد عارف الغاني ـ بيروت / لبنان
٧ ـ اكرم عوض بامطرف ـ عدن/اليمنالديمقراطي
٨ ـ خليل طاهر الحموري ـ دمشق / سوريا •


تحذيرات جديدة
تحذير رسمي
التدخين يضر بصحتك
ننصحك بالامتناع عنه
20 CLASS CIGARETTES
بعد كتابة هذا التحذير على علب السجائر نتوقع أن نشاهد أيضا .. هذه التحذ
تحذير - التمثيليات السخيفة تزيد من تفاهتك ننصحك بعدم رؤيتها
تحذير رسمي كثرة التعامل مع هذا الجهاز تؤثر على جهازك العصبي فتجنبه
تحذير رسمي
طول الانتظار يصيبك باليأس .. واليأس يشجع على الانتحار وركوب الاوتوبيس نوع من الانتحار .


تحذير رسمي
التأخير في الرجوع
يساعد على
زيادة الخلافات
العائليه..
ننصحك
بعدم
الخروج
تحذير رسمي
فكير مسئولية المفكر
ثرة التفكير وخصوصا
سليم مضر فتجنبه
تحذير
الهواء ايضا ملوث
فلا تتنفس !!

الكويت في الوثائق العثمانية

■ قراءة تاريخ الخليج العربى لاتكتمل الا اذافتشنا فى الوثائق العثمانية المحفوظة الان فى تركيا والتى يقدر عددها بالآلاف ، موزعة على محفوظات مجلس الوزراء ووزارة الخارجية. وقد ظل الخليج العربى مصنفا ضمن ما نسميه الآن بوثائق وزارة الداخلية ، فمنطقة الخليج ، شانها شان بقية الولايات ، كان كل ما يتعلق بها يعتبر من الشئون الداخلية للامبراطورية العثمانية ، غير ان الوضع اختلف فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر(بعد عام ١٨٧٠) ، اذ حدث احتكاك بين الدولة العثمانية والنفوذ البريطانى فى المنطقة ، الامر الذى اقحم وزارة الخارجية فى الموضوع .

وقد اتيحت لى دراسة الوثائق المحفوظة فى مجلس الوزراء التى تتحدث عن الفترة بين ١٨٤٠و١٩٠٩ . وهى مكتوبة باللغة التركية القديمة ، وقليل منها بالتركية الحديثة ، ويمكن تقسيمها الى اربعة اقسام : ارادة داخلية ــ شورى دولت ــ مجلس والى ــ ارادة خارجية .

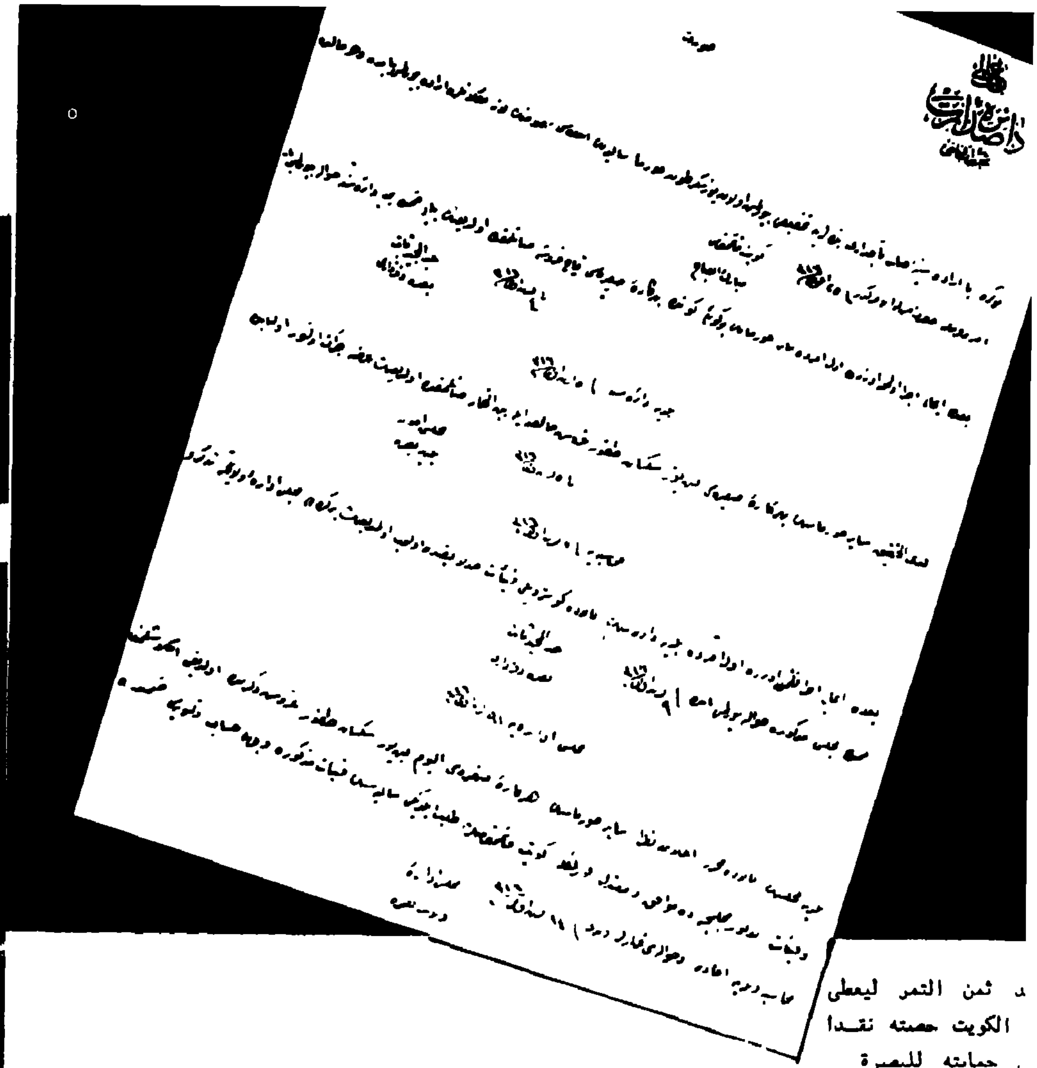
وليس فى فهارس هذه الوثائق فهرس خاص بشبه الجزيرة العربية ، او الخليج ، ولكن مجلداتها تحتوى على موضوعات مختلفة . فثمة اوراق متنوعة تتعلق بالحجاز كاوامر الترقيات والتلطيفات والمرتبات ، والمشاريع العمرانية ، او وفاة احد القضاة بحكم وتعيين معاش لورثته وعن تعمير الحرم النبوى الشريف . وهناك اوراق كثيرة تدور حول تعيين وال او شريف او قائمقام ، او عن ارسال عساكر الى احدى الولايات ، كما تضم هذه المحفوظات اوراقا مفيدة حول الاشراف وعلاقاتهم بالولاة العثمانيين الاتراك فى الاراضى المقدسة وكذلك مراسلات الاشراف مع السلاطين .

من هذه الوثائق ــ مثلا ــ رسالة من الامير عبد الله فيصل بن تركى الى والى الحجاز كتبت سنة ١٢٨٣ هـ (الرسائل كلها بالتاريخ الهجرى). وكانت السلطات العثمانية قد طلبت من الامير عبد الله بعد توليه حكم نجد فى اعقاب وفاة والده الامير فيصل بن تركى ان يرسل الزكاة المقررة على نجد. ولكن الامير عبد الله رفض هذا الطلب ، وكتب الرسالة التى اوضح فيها ان احوال البلاد العربية والاقطار النجدية سيئة وانهم يعانون من الجدب وغلاء الاسعار ، واضاف فى رسالته انه ينتظر من الدولة العثمانية ان ترسل مرتبات الى القائمين على ادارة شئون نجد ، مكافاة لهم على صد الاعتداءات على القوافل ، ويؤكد فى هذه الرسالة ان «اهل نجد رجال بلا مال» .

بصره كورخزى

وتطلق الوثائق العثمانية اسم خليج البصرة (بصرة كورخزى) على الخليج العربى . وقد لاحظت اغفال هذه الوثائق الموجودة فى محفوظات رئاسة الوزراء لشئون امارات الخليج العربى . وكل ما وجدته كان اوراقا قليلة تحت اسم عربستان وبصرة كورخزى .

ويبرز اسم شيخ الكويت فى رسائل مدحت باشا والى بغداد (١٨٦٩ ــ ١٨٧٢) الى الباب العالى للقيام بدور اساسى فى حملة مدحت باشا على الاحساء اثر اشتداد الصراع بين ابناء الامير فيصل ابن تركى فى اعقاب وفاته عام ١٨٦٥م ، ونظرا لحسن العلاقات التى تربط الشيخ عبدالله



د ثمن التمر ليعطى
الكويت حصته نقـدا
ى حمايته للبصرة

بقلم

الدكتورة نجاة عبدالقادر

اح بالسلطات العثمانية • فقد اقترح والى على حكومته قبيل الاستعداد لارسال الحملة شترك الشيخ عبد الله الصباح فيها علـى ن ان تعاونه معها بدفع القبائل العربيةالاخرى اتخاذ نفس الموقف ، وذلك راجع لمكانته بين ئل •

تتناول بعض الوثائق نتائج تعاون الشيخ له الصباح ، فتتحدث عن التفاهم الذى تـم بين مدحت باشا وحاكم الكويت الذى تعهد والى بغداد بموجبه ببقاء الكويت على ما كانت عليه مستقلة فى ادارتها •

وتتضمن الوثائق ايضا معلومات كثيرة حول التفاهم الذى تم بين مدحت باشا والشيخ عبد الله الصباح • ومن المزايا التى حصل عليها الشيخ عبداللهالصباح اثناء الاتصالات موافقة الحكومة العثمانية على استمرار وضع مزارع الفاو لمدة ٧ سنوات اخرى • فقد وجدت الحكومة العثمانية انها بهذا تضمن اصلاح هذه الاراضى ووفرة انتاجها ، مما يزيد من ايرادات الدولة • وبصورة عامة فان الاوراق الخاصة بالخليج العربى فى محفوظات مجلس الوزراء قليلة ، على العكس مـن الوثائق الموجودة بوزارة الخارجية التى امتد اختصاصها الى هذه المنطقة اثر الاحتكاك بالنفوذ البريطانى كما قلنا قبل لحظات •



د حاكم نجد على الوالي التركي الذي
رفض فيه ارسال الزكاة الى الوالي

من الشيوخ الى ولاة البصرة

والوثائق المتوفرة بمحفوظات وزارة الخارجية في اسطنبول على جانب كبير من الاهمية ، فهناك رسائل حررها شيوخ المنطقة وامراؤها الى ولاة البصرة ، وتقارير من السفراء الاتراك في باريس ولندن ، الذين كانوا يكتبون الى جانب اللغة التركية باللغة الفرنسية والانجليزية احيانا لم تترجم الى التركية .

كما تحتوى الوثائق على رسائل وتقارير من ولاة بغداد والبصرة حول علاقات امراء الخليج العربي بالدولة العثمانية . وهناك رسائل من الشيخ مبارك الصباح الى ولاة بغداد والبصرة تبين سياسة المداراة التى اتبعها حاكم الكويت تجاه الدولة العثمانية . كذلك رسائل من الشيخ جاسم بن ثاني حاكم قطر وبعض شيوخ البحرين، وتكثر هذه الرسائل بعد حملة مدحت باشا والتي يطلق عليها اسم حملة الاحساء والتي نجحت في الاستيلاء على الاحساء والقطيف واقامة حامية في قطر .

كما نجد في هذا القسم القضايا التى شغلت العلاقات العثمانية البريطانية مثل مسالة تبعية الكويت للدولة العثمانية .

لم يختلف حكام الكويت في نظرتهم الى الدولة العثمانية عن باقي الحكام العرب . فقد كانت الدولة تمثل الخلافة الاسلامية ، والسلطان هو خليفة المسلمين الذين يدعون له في خطبة الجمعة، كما ان الوجود العثماني في ولايتي بغداد والبصرة جعل امراء الكويت يحرصون على ان تكون علاقاتهم حسنة مع السلطات العثمانية حتى يتجنبوا تدخلها في شئون ادارتهم للبلاد . ولاشك ان الاستقرار وحسن الاحوال الذى تمتعت به الكويت وقتذاك جعل حكامها حريصين على حسن العلاقات مع جيرانهم من اجل المحافظة على ما تتمتع به بلادهم من استقرار .

ولكن العلاقات الكويتية العثمانية دخلت مرحلة جديدة منذ ان تولى الشيخ مبارك الصباح حكم الكويت (١٨٩٦) وقد تاثرت هذه العلاقات بطبيعة



رسالة الشيخ مبارك الصباح التى فخرى باشا ، والتى لا تخلو من عبارات المجاملة التى كانت تستخدم فى مخاطبة ممثل السلطان العثمانى فى القرن الماضى •

العلاقة التى تربط ولاة البصرة بالشيخ مبارك والتى تحكمت فيها فى احيان كثيرة مصلحة الوالى الشخصية •

ومن امثلة وثائق هذه المرحلة ، رسالة من الشيخ مبارك الصباح «حاكم الكويت ورئيس قبائلها » الى حسين فخرى باشا رئيس اركان حرب الجيش السادس بولاية بغداد • وتسجل الرسالة مشاعر الولاء التى يكنها الشيخ مبارك للسلطان العثمانى • والتى حرص على الافصاح عنها ، خصوصا بعد اتفاقية الكويت مع بريطانيا سنة ١٨٩٩ •

ومن الوثائق الطريفة (المنشورة صورتها مع المقال) رسالة تتضمن تعليمات لتحديد ثمن التمر ليعطى الشيخ مبارك الصباح حصته نقدا • ذلك ان الدولة العثمانية ، بعد ان تورطت فى صراعات شبه الجزيرة العربية فى القرن التاسع عشر ، اضطرت ان تستعين بشيخ الكويت لحماية البصرة من اعتداءات القبائل وفى مقابل ذلك اعفته من دفع الزكاة بل اصبحت هى تدفع مكافأة سنوية

اختلف فى تقديرها • وظلت السلطات العثمانية تدفع لحكام الكويت المكافأة السنوية بعد منتصف القرن التاسع عشر كلما قدموا مساعداتهم ضد اعتداءات القبائل ، وكذلك استمر دفع هذه المخصصات فى اعقاب تعاون الشيخ عبد الله الصباح مع حملة الاحساء سنة ١٨٧١ •

تسوية الحسابات مع بريطانيا

لقد اهتمت الحكومة العثمانية باستخراج الوثائق التى تعود الى عام ١٨٧٠ وما بعده وذلك قبل بدء مباحثاتها مع الحكومة البريطانية فى (١٩١١ - ١٩١٣) لان حكومة اسطنبول حرصت فى تلك الفترة على تسوية الخلافات المعلقة بينها وبين بريطانيا والتى كانت تشمل مشاكل متعددة مثل خط حديد بغداد وتنظيم الامتيازات الجمركية وقضايا الخليج وتنازع النفوذ فى بعض المناطق ، وتعتبر نتائج المباحثات التى دارت بين الطرفين تنازلا رسميا من الدولة العثمانية لبريطانيا فى الخليج ، ويظهر انها ادركت عجزها امام بريطانيا ، فهى لم تطلب التفاوض الا بعد محاولات لتدعيم نفوذها فى المنطقة • وكان من ضمن الموظفين النشيطين القنصل العثمانى على الساحل الفارسى الذى يطلق عليه (شهبندر لنجه)،وهو الذى ابلغ الحكومة العثمانية بخبر اللقاء الذى تم بين الشيخ جاسم بن ثانى والبريطانيين فى اواخر القرن التاسع عشر •

اما عن رسائل الشيخ مبارك الصباح الى ولاية البصرة فانها تبين - كما ذكرنا قبل قليل - سياسة المهادنة والتباعد التى اتبعها الشيخ تجاه السلطات العثمانية • وتتحدث كثير من الوثائق عن رد الفعل العثمانى على اتفاقية ٢٣ يناير ١٨٩٩ التى عقدت بين بريطانيا والكويت •

ان الارشيف العثمانى غنى بالوثائق الهامة ، ولا يقل اهمية عن دور الوثائق البريطانية والتى ادعو كل باحث عن الحقيقة المجردة فى تاريخ المنطقة الخليج العربى وشبه الجزيرة العربية الى الاستفادة من دور الوثائق التركية • ■■

نجاة عبد القادر

جامعة الكويت

كلية الآداب - قسم التاريخ

قضية شائكة ودقيقة مثل مسالة الارواح ، يتردد الكثيرون فى التعرض لها خاصة اولئك الذين يريدون علاجها بروح علمية وبالمنهج التجريبى والعقلانى • لكن الدكتور عبد المحسن صالح الاستاذ بجامعة الاسكندرية اختار ان يخوض المغامرة ، محاولا ان يكشف حدود الخدعة والحقيقة فى قضية الروح

البحوث الروحية..

حقائق مثيرة تكشف أساليب استخدام.. الاكتشافات العلمية فى الدجل والشعوذة !!

بقلم :
الدكتور عبدالمحسن صالح

الناس ـ فى اغلب الاحيان ـ يمقتون الحقيقة، ويولعون بالخيال ، ويميلون الى الظواهر المثيرة التى تبدو لهم وكانما معجزات او خوارق لايستطيع العقل تعليلها ، ولا العلم تفسيرها !

والناس لاشك معذورون ، فالنفس البشرية عاجزة عن ادراك ما قد ياتى بعد لحظة قادمة ، اى أن المستقبل امامها امر مجهول ، والمجهول شيء مثير ، وعادة ما تخشاه ، فتحاول أن تبحث فيه عن

بين الخدعة والحقيقة



دكتور استروبج الجسد ـ لا الروح وهو يقف في مجال كهربى عال ومعزول عن الارض

منافذ ، علها تعرف جانبا مما يخبئه لها الزمن في طياته ، ومن هنا كان للمجهول جاذبية خاصة فلجأ الناس الى وسائل غيبية ، علها تفصح لهم ماخفى عن مداركهم ، فكانت مسائل الأرواح والجن والعفاريت والتنجيم ٠٠ الى آخر هذه الامور التى صاحبت الانسان منذ أن ظهر على هذا الكوكب ، ورأى من الظواهر المحيرة ، ما أرجعها الى قوى خفية ، او آلهة غضبانة ، او ارواح شريرة ، أو مخلوقات اسطورية ٠٠ الخ ٠

ومن هذه الامور مسالة الارواح ، وتحضير الارواح ، والروحانيات وما شابه ذلك ٠

لكن موضوع الارواح ونشاته وفلسفته ، وما قيل عنه ، وما الف المؤلفون فيه ، موضوع متشعب وشيق وطويل ، وهو لايخلو ـ بطبيعة الحال ـ من طرافة ، ولا من كثير من امور الدجل والشعوذة ، ثم ما قد يترتب على ذلك من اضرار صحية

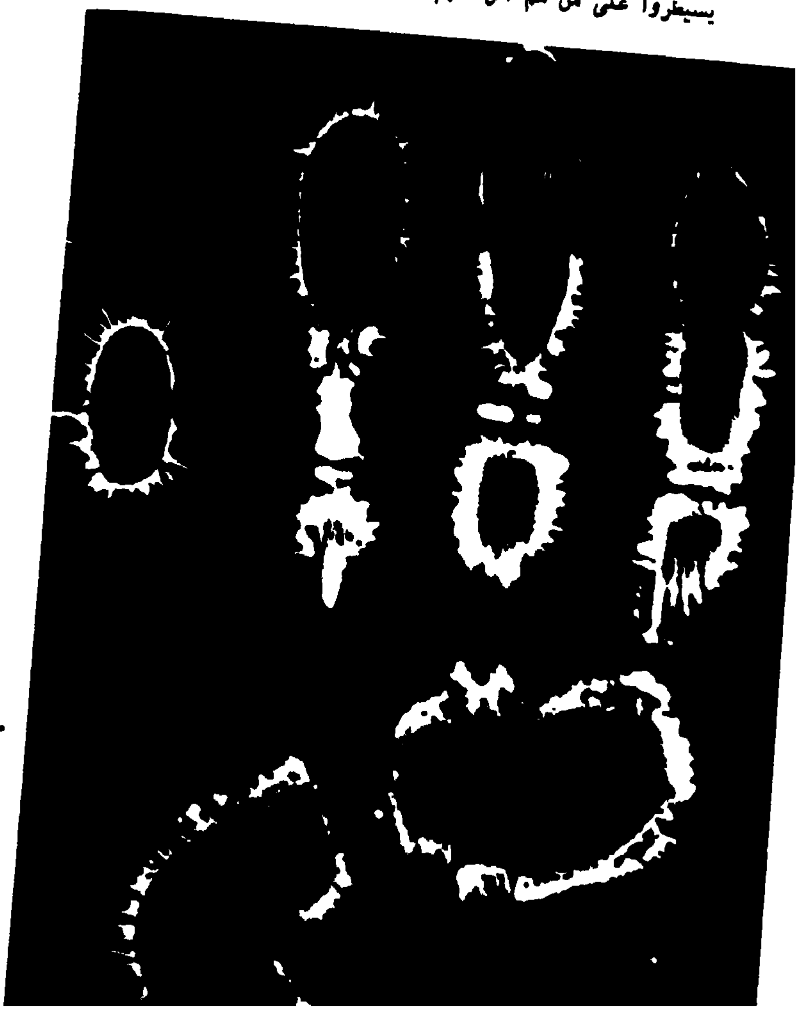
وأخلاقية واجتماعية تصيب افراد الشعوب التى تنتشر فيها مثل هذه الأمور .

وتنتشر ظواهر الروحية فى كل دول العالم وشعوبه بدون استثناء .. ففى المجتمعات الغنية والمتقدمة ، بؤر كثيرة تمارس هذه الخرافة ، وكان من الممكن ان تبقى تلك البؤر بين اهلها فلا يطلع على ما فيها من أمور الا القائمون بها،لكن العكس قد حدث ، لان الجمعيات الروحية تحقق مكاسب هائلة ، ثم انها تجد لها «زبائن» كثيرين يريدون معرفة المجهول ، والاتصال بالارواح ، وماذا بعد الموت ، وكيف حال أهل السماء .. الى آخر هذه التساؤلات التى تراود كل نفس .. جاهلة كانت هى أو متعلمة !

لكن اخطر ما فى هذه الجمعيات «الذكية» – ولابد ان يكون المسيطرون عليها اذكياء ، حتى يسيطروا على من هم أقل منهم ذكاء – اخطر ما فيها انها بدات تمارس نشاطها من خلال الاستعانة بما أسموه البحث العلمى فى الكشف عن طبيعة الروح وكنهها وحياتها ، وبلغ بهم الأمر انهم استعاروا من العلـم الفاظـا مثل الاكتوبـلازم والوسط الاثيرى ،والتجسيد الموجى،والسيكولوجى والباراسيكولوجى وغير ذلك من مصطلحات لامجال للروحية أو الأرواح فيها !

الذين عادوا من السماء !

وكان من الممكن أيضا ان يمر هذا الامر) لولا ان أصحاب الجمعيات الروحيـة بداوا ينشرون صورا لأرواح قالوا انها عادت من السماء وتجسدت وتكلمت ولمست الحاضرين ، وتلاعبت بالأدوات ، وقامت بالعديد من الحركات ، وطبيعى ان الصورة دليل على شىء حاضر أو ربما غير حاضر ، وهى تاكيـد على أن الأرواح موجودة ، وأنها قابلـة



طبعات الاسابـع على فيلـم عادى كما ظهرت بالتصويـر الكيرليانى ،ولقد استغل بعض ادعياء العلم هذا التصوير فى أعراض غير علمية .

للتجسيد والتصوير ، وعندما تظهر في الصور ، تظهر الصورة وحولها مجالات مضيئة يطلقون عليها «الهالة»أى أنه لكون الروح - في عرفهم - نورانية ، فلا بد ان يكون حولها هالة نورانية تميزها عن المخلوقات المعتمة المادية ٠٠ التي هي نحن !

فما هي حقيقة هذه الصور ؟ ٠٠ وما طبيعة تلك الهالة ؟ ٠٠ وهل هنالك كاميرات او آلات تصوير خاصة تستطيع تصوير الروح اذا خرجت او اذا حضرت ؟

دعنا اذن نوضح ذلك !

الواقع أن من أخطر الأمور التي يواجهها العلم هي الاستعانة بادواته وتكنيكه لاستخدامها في مجالات التدليس والشعوذة ، فهناك ظواهر علمية مثيرة لا يعرف عامة الناس عنها شيئا ، لكنها تخرج من مجالها التجريبي الاصيل لتدنس في مجال آخر يطلقون عليه اسم البحوث الروحية ، او العلوم الروحية ، او ما شابه ذلك ، لكنها ليست في الحقيقة بحوثا ولا علوما ، بل هي أشباه علوم يشوبها الخداع والتمويه ٠

اذكر انني حضرت محاضرة في هذا المجال دعت اليها هيئة جامعية لها قدسيتها ووزنها ، وكان المحاضر أيضا استاذا جامعيا له مؤلفات كثيرة (منقولة) في الظواهر الروحية ، وكان أهم ما عرضه علينا صورا لأرواح زعم أنهم صوروها بآلات تصوير خاصة ، وثارت مناقشات ومجادلات كثيرة ، وقد أثارني ذلك اثارة فكرية شديدة ، فعدت لأقلب في كل مراجعي وفي دوائر المعارف العلمية والتكنولوجية ، علني أعثر على شيء ذي بال ، فلم أجد حتى مجرد اشارة لهذه البحوث الغريبة التي يزعمون ان لها اقساما ومعاهد ملحقة باعظم الجامعات ٠٠ كل ما هنالك بحوث كثيرة عن علم النفس بشقيه : النظرى والتجريبي،وعلم الطب النفسي ، ولانحسب أن ذلك مما يدخل في الروحية التي يدعون أنها علم أصيل ٠

لكن ماذا تعني كل الصور الموجودة هنا ؟ ٠٠ وما هذه الهالات الغريبة التي تحيط بها ؟ ٠٠ ولماذا ظهرت بهذا الشكل الذى يثير الفكر ؟ ٠٠ الخ ٠

صورة الرجل النوراني !

ان صورة هذا الرجل «النوراني» المنشورة هنا من الصور النادرة التي وزعها الروحانيون او ادعياء الروحية علىأنها لروح يشع مناكتوبلازمها هالات من نور ، والاكتوبلازم - كما يدعون .. هي مادة الروح ، وليست الروح مادة على أية حال ، لكن الصورة توحي بذلك فماذا تعني الهالة - من وجهة نظر الناس - الا أنها نور لروح ٠ قد حضرت ؟

لكن الصورة لرجل يدعى دكتور استرونج ٠٠ رجل حي بلحمه ودمه ، لكن هذا الاشعاع قد جاء نتيجة لوقوف الرجل في مجال كهرومغناطيسي يبلغ تردده مليون سيكل ، او جهد قدره خمسمائة الف فولت ، ولقد التقطت هذه الصورة منذ اكثر من ستين عاما ٠

لكن الظواهر التي تصاحب هذه الصور ، ليست مقصورة فقط على نوع معدد من البشر بل تشمل كل البشر لان الاشعاع «النوراني» ليس بسبب كرامات أو ولايات او ما شابه ذلك ، بل بسبب وقوع المادة تحت تاثير قوى كهرومغناطيسية او موجات من الاشعاع ، فتؤثر عليها ، وتثيرها ، فتنطلق منها موجات ، وعندما تصطدم هذه الموجات بفيلم حساس من نوع خاص ، وموضوع داخل آلة تصوير خاصة ، فانها تؤثر في الفيلم ، ويبدو الشيء ، وكانما هو يشع «بهالات نورانية» !

هذا النوع من التصوير يرجع استخدامه في مجال الكائنات الحية الى العالم السوفييتي سيمون كيرليان ، ولهذا سمي بالتصوير «الكيرلياني» - نسبة اليه ، لكن التصوير ليس مقصورا فقط على الكائنات الحية التي تتبع مملكتي النبات والحيوان، بل يمكن تعميمه ايضا على الجماد - بما في ذلك المواد الصلبة والسائلة والغازية ٠

لكن أدعياء الروحية قد التقطوا هذا الخيط المثير ، وبدأوا في تحويره ، والتحول به عن مجاله العلمي الأصيل ، وراحوا يوهمون العامة بان هذه الظواهر الغريبة لاتتجلى الا في الذين أوتوا شفافية خاصة ، أو في أولئك الذين تهيأوا للوساطة الروحية ، أو فيمن تتقمص فيهم الأرواح ٠٠ الى آخر هذه الأمور التي جعلت العلماء الحقيقيين يبتعدون عن هذا المجال ، حتى لا يتهموا بما ليس فيهم ، تماما كما حدث في مجال التنويم، فالتنويم ظاهرة حقيقية ، وأحيانا ما تستخدم في المجالات الطبية،لكنها لاتلاقي ترحيبا في الأوساط العلمية والطبية ، لان هذ المجال قد انتقل من

دائرة البحث العلمي الى المسارح ، وشاع في أوساط الدجالين والمشعوذين ، وهو ما أسموه بالتنويم المغناطيسي ، مع انه لاينتمي للمغناطيسية، من قريب أو بعيد،بل هو نوع من الايحاء والسيطرة على الارادة الانسانية تحت ظروف خاصة ، لكن البعض اتخذوه وسيلة لقراءة الغيب ، وشفاء الأمراض ، والكشف عن المسروقات .. الى آخر هذه الادعاءات التي لا تجوز الا على اصحاب العقول الضعيفة .

ما يقوله ادعياء العلم

هذا النوع من التصوير ـ أو التصوير الكيرليانى ـ كان من الممكن أن يتطور ويستخدم في المجالات العلمية المختلفة كوسيلة من الوسائل التي توضح حالات المادة ـ حية أو جامدة ـ وهي واقعة تحت تاثيرات خاصة من الطاقة ، وكان من الممكن أيضا ان يؤدى الى تقدم في العلوم النفسية والبيولوجية والطبيعية والعلاج النفسي .. الخ ، لكن العلماء ابتعدوا عنه عشرات السنوات ، وبدأ ادعياء العلم يصولون فيه ويجولون ويؤكدون أنه من الممكن تصوير الأرواح تحت حالات خاصة ، وكان العلم في هذا المجال سلبيا ، لكنه عاد ـ منذ سنوات قليلة ـ الى تقصى الحقائق ، ووضع لنا النقط فوق الحروف

بعض الصور المنشورة هنا تشير الى أن الظاهرة روحية ، أو هكذا ادعى من التقطوها ، ومع ذلك، فكل مادة تقع في مجال كهربي مغناطيسي شديد (أو كهرومغناطيسي) ينبعث منها موجات خاصة ، فاذا تغيرت شدة المجال ، تغيرت الظاهرة المنبعثة من نفس الشيء تبعا لذلك .

هناك مثلا من جاءوا بصليب وصوروه بمثل تلك الوسائل فظهرت للصليب صورة وكانما هو نوراني الصفات . الانسان العادى يعتبر ذلك معجزة ، لكن العالم الممارس لايعترف كثيرا بمسالة المعجزات . فالمعجزة ـ في نظره ـ هي كل ما عجز العقل القاصر عن تعليله ، فاذا امكن تعليل الظاهرة ، انتفت المعجزة .. فالهلال او الصليب او النجمة أو اى شيء آخر له بين الناس قداسة خاصة ، يمكن بخدعة ذكية (او حتى غير ذكية تماما) أن يبدو أمام العامة بظاهرة غير عادية ، كأن يضيء مثلا في الظلام ، او يبدو متوهجا،او تلتقط له صور في ظلمة تامة ، فاذا بالصور تبدو مضيئة ... الخ ، ولكل حالة من تلك الحالات تعليل ينبع من طبائع الأشياء ، لا من أهواء الناس !

فالصور التى التقطت لأوراق النبات (أو اى جزء آخر) وهي موضوعة تحت مجالات خاصة قد جاءت بهالات عجيبة ، ولقد اختلفت الوانها باختلاف الفيلم الحساس وفترة التصوير وشدة المجال ، والطرق المستخدمة .

هناك مثلا ثلاث وسائل للتصوير ، نذكر منها واحدة فقط لصلة ذلك بموضوع الانسان ،وهي لا تختلف في المضمون عن الطريقتين الاخريين ، اذ يكفى أن يوضع طرف اصبع اى انسان على فيلم حساس خاص ، وبحيث يكون سطحه الحساس ملاصقا للاصبع أو قريبا جدا منه ، والسطح الاخر موضوع على لوح عازل للكهرباء ، واللوح بدوره يرتكز على قطب كهربى متصل بمصدر ذى فولت عال يتراوح ما بين ١٠ ـ ١٠٠ كيلو فولت (١٠٫٠٠٠ ـ ١٠٠٫٠٠٠ فولت) .

وتؤخذ الصور دون أية مصادر ضوئية ، اذ تكفى الشحنة أو الشحنات التى تقفز من الاصبع أو أى جزء من أجزاء الانسان أو النبات أو الحيوان ، ولهذه الشحنات آثار غريبة ، ويقال انها تختلف باختلاف الحالات النفسية التي يوجد عليها الانسان !

كشف مثير

يذكر دكتور ويليام تيللر ـ أستاذ علم المواد بجامعة ستانفورد الامريكية في بحث له منشور باحدى المجلات العلمية (نيوساينتست البريطانية) ان العلماء الروس قد تمكنوا من الكشفوالتوجيه الاليكتروني للانبعاثات الضوئية او التوهجيةالتي تنطلق من نقط محددة على الكائنات الحية او المواد غير الحية ، وانهم من خلال شدة هذه الانبعاثات والوانها قد حصلوا على معلومات لها وزنها في تقييم الحالات العاطفية والذهنية والجسدية للانسان ، كما انهم توصلوا الى بعض الحقائق التي تفيد في مجالات الزراعة والطب وعلم النفس والعلوم الهندسية .. الخ .

ويذكر ايضا ان ثيلما موس من جامعة كاليفورنيا قد استخدمت احدى طرق التصوير الخاصة بالمجالات الكهرومغناطيسية تحت تاثير الفولت العالي في الكشف عن تاثير الكحول

● البحوث الروحية



أصبع يشع منه النور وهو ليس كذلك ، انما هو بسبب شحنة كهربية مفرغة من الأصبع تحت ظروف خاصة .

والادوية المختلفة على انبثاق او انبعاث الطاقة من طرف الاصابع ، وانها قد وجدت علاقة بين لون الصورة وبين الاثر الذى تحدثه تلك الطاقة ، هذا ويختلف لون الصورة من الابيض الى الازرق والاحمر والبرتقالى والاصفر ، ولقد وجدت ثيلما موس ايضا تغيرا واضحا فى الصور التى التقطتها لورقة نبات اصابها التدمير ، ثم الاثر الطيب الذى تركه احد « المعالجين الروحانيين » عندما وضع الورقة بين راحتى يديه !

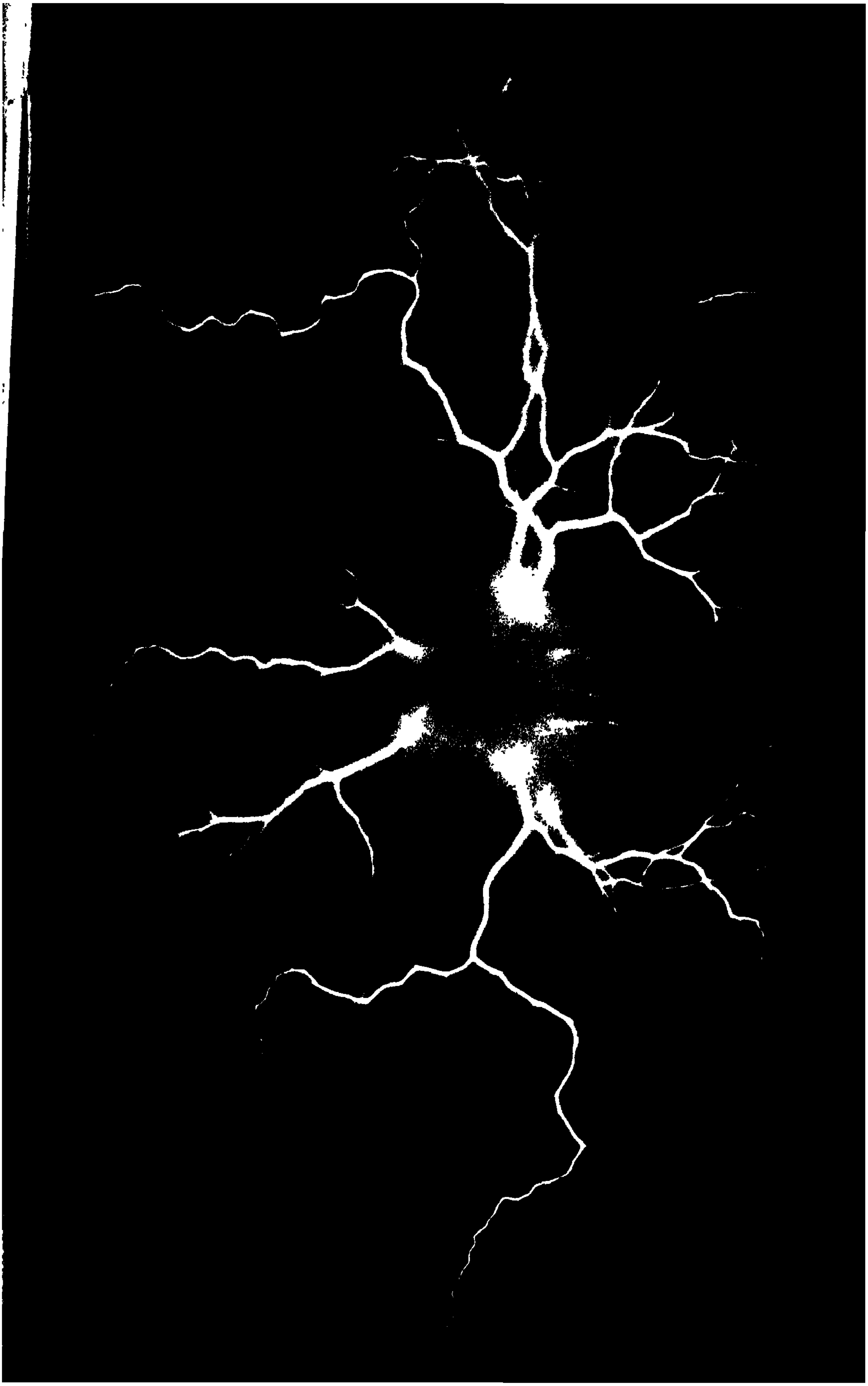
والواقع ان معظم الباحثين الامريكيين الذى يشتغلون على هذا الموضوع المثير ، انما يركزون اهتماماتهم على مدمنى الخمور وعلى المصابين بانفصام الشخصية ، وان الصور التى التقطوها لاطراف أصابعهم قد اوضحت اختلافا هاما بين « طبعتها » على الفيلم قبل العلاج ، وبعد العلاج!

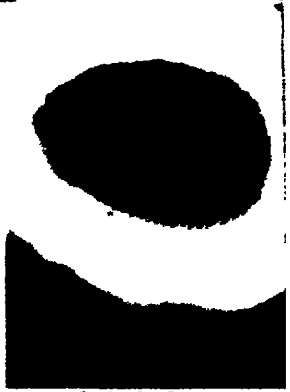
وهناك ــ بعد ذلك ــ تجارب اخرى كثيرة للجمعيات خاصة ، او لافراد يهتمون « بالبحوث » « الروحية » ثم ان هذه التجارب مدعمة بصور غريبة ، ولقد ارجعوها فى ــ اغلب الاحيان ــ الى ظواهر روحية لا شان لنا بها هنا ، انما شاننا ان نوضح معنى هذه البحوث ، وما تؤدى اليه من نتائج ، ثم لنسال انفسنا سؤالا : ماذا تعنى هذه الاختلافات المثيرة فى الصور المنشورة ؟

تصوير الحالة النفسية ؟

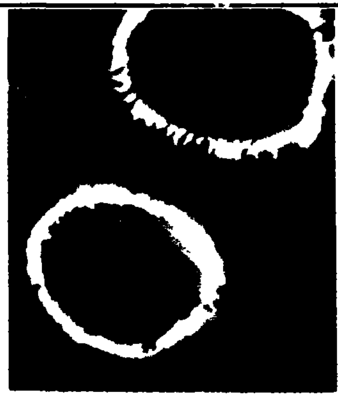
الواقع انها لا تعنى شيئا رغم غرابتها ، فهى تدفع المتحيزين للمسائل الروحية الى مزيد من التحيز لعقيدة وقرت فى نفوسهم دون اعتبار لاى شىء آخر ، خاصة وان احدا لم يستطع ان يفسر

صورة التقطت بكاميرا خاصة على فيلم ملون ، وهى تبدو هنا وكانما هى تفريغ لشحنة البرق ، ولكنها جاءت فى الواقع من اسقاط كرة صغيرة اسقاطا رأسيا على مجال كهربى ذات شحنة هائلة .. وهذا النوع من التصوير يعرف باسم التصوير الفوتوغرافى الكهربى أو الكيرليانى نسبة الى مخترعه .





سورة بالاشعة الحرارية
استنشاق اكسيد النيتروجين



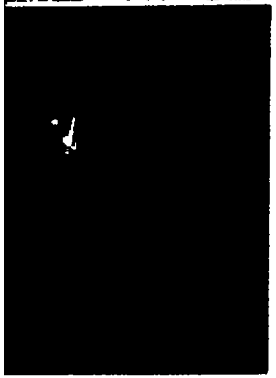
حالة تسمم بالكوكايين



شخص عادى



يدخن سجائر

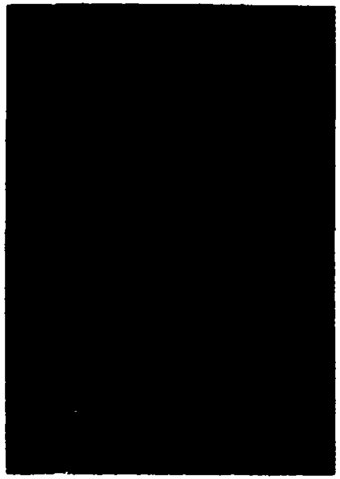


لا يدخن





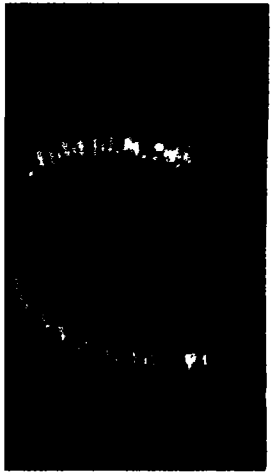
لشخص ابتلع نباتا مخدرا من الصين



نفس الشخص العادى
بعد تعاطيه ٢و٠ جرام كوكايين



يدخن سجائر



يدخن غليونا (بايب)

لهم لماذا ـ مثلا ـ تختلف الصور لاصبع واحد فى حالاته المختلفة •

لكن تقنين هـذه الامور من خـلال بحوث جـادة نشرت نتائجها فى مجلة « الطبيعة » ، وهى مجلة علمية متخصصة ، تنفى ـ علـى الاقل فى وقتنا الحاضر ـ اية صلة او علاقة بين الحالات النفسية او الذهنية او الجسدية او الصحية او الروحية بين الاختلاف الشكلى او اللونـى فـى الصـور المنشورة •

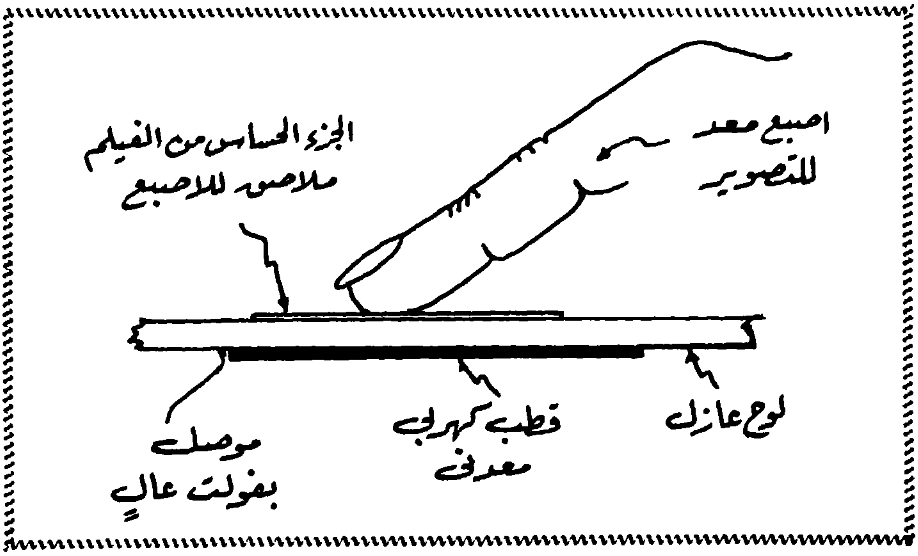
فكل الصور المنشورة ـ سواء فى البحوث الجامعية او خارج نطاق الجامعات ـ صور لم تلتزم بالدقة العلمية ، فلكى تحفز شحنة كهربائية من الاصبع (او اى شىء اخر) لتضـرب الفيلـم الحساس بموجات من الاشعة المنظورة وغير المنظورة ، فان اثرها لابـد أن يختلف ، والاختلاف يرجـع الـى عوامل ، والباحثون لم يضعوا هـذه العوامل فى الحسبان •

دعنا نوضح ذلك بمثال ملموس من واقع عالمنا، فالشحنة الكهربية الجوية المفرغة بين الجو والارض (اى البرق) تختلف فى شكلها وتفرعها وشدتها عن اية شحنـة اخـرى ، ولهذا لا يتشابـه مسار انطلاق هذه الشحنات بين السماء والارض تشابها مطلقا ، تماما كما لا يتشابه البشر تشابها مطلقا•

وكل الصور الموجودة هنا ليست ـ فى الواقع ـ الا عملية تفريغ لشحنات كشحنـات البرق ، مـع الاختلاف طبعا بين ضآلة شحنة ، وضخامة اخرى، اضف الى ذلك أن قوة هذا التفريغ بين الاصبع وبين الفيلم الحساس تتوقف على عوامل عدة ، نذكر منها المسافة بين الاصبع وبين الفيلم وهى تتراوح ما بين ٠٫١ر مليمتر الى واحد مليمتر او اكثر) ونذكر ايضا نوع الفيلم ، وفرق الجهد الكهربى ، وعدد مرات التفريغ ، والزمن اللازم لهذا التفريغ ••• الخ •

ثم اننا لو كررنا التجربة ذاتها ، تحت الظروف ذاتها ، فانها للاسف لا تعطى النتائج ذاتها ، ولو حاولنا معرفة اسباب هذا الاختلاف ، لكان ذلك فى مقدور اى باحث مدقق غير متحيز •• فضغط الاصبع ذاته على اللوح الحساس ، او المسافات الصغيرة التى تفصل بينهما لا يمكن تقديرها بالعين البشرية المجردة ، وهذا من شانـه ان يـؤدى الى اختلاف واضح فى الصور •• اضف الى ذلك ان نظافة الاصبع او تلوثه بالغبار اواية مادة حتى ولو كانت عرقا ، فان ذلك ايضـا كفيل باظهـار اختلاف فى توزيع الشحنة ونوع الصور الناتجة •

والذين درسوا هذه الظاهرة دراسة علمية مقننة استطاعوا ـ على سبيل المثال ـ أن يعرفوا السر فى اختلاف الالوان ، فتكرار اطلاق الشحنات يؤدى الى ترسيب بعض المواد العضوية وبخار الماء على القطب الكهربى الشفاف فى جهاز التصوير ، وهذا من شانه ان يعطيك نتائج خادعة من اصفر وبرتقالى





ورقة وحولها هالة معينة كما ظهرت بالتصوير الكيرلياني

واحمر وكل الوان الطيف الاخرى ، فاذا نظفت هذا القطب مما علق به ، فان الصور الناتجة على الافلام الحساسة الملونة لن تكون الا مزيجا من اللونين : الابيض والازرق ، وهما اللونان المتوقع ظهورهما بالفعل ، وسبب ظهور هذين اللونين بالذات يرجع الى التركيب الكيميائي للفيلم ، والى نوعية الموجات المنطلقة من الشحنات ... الخ ، اما الالوان الاخرى فهي الوان أمكن تحليلها ــ كما سبق ان اشرنا .

الروح من أمر ربي

والموضوع بعد ذلك طويل ، ولقد ألفوا فيه كتبا ، لكن كل الكتب التى ظهرت ، وتضمنت من الصور الشيء الكثير ، انما هي صور خادعة ، ولا يمكن ــ والحال كذلك ــ ان يبنى العلم على خداع ، لان الذين التقطوا الصور بهذه الكاميرات الخاصة لم يضعوا فى اعتبارهم كل الاحتياطات الواجب اتخاذها فى هذا المجال . فعلى هذه الصور يتوقف تفسير النتائج ، ثم انها الشيء الوحيد المنظور أو المرئى فى غابة متشعبة من عوالم غير مرئية ، ونقصد بهذه العوالم الشحنات والموجات والجزيئات والتفاعلات الكيميائية التى تتم بينها ... الخ .

والواقع ان النفس البشرية تنفتح عادة على

النتائج الايجابية ، لكنها لا ترتاح كثيرا للنتائج السلبية ، رغم ان النتيجة السلبية ــ اى التى لم تحقق الغرض المقصود منها ــ تصبح فى نظر العلم نتيجة على اية حال ، لانها استطاعت ان تحسم مسالة خاصة ، او توضح شوائبها .

والحق انني كنت متعاطفا مع هذه البحوث ، لانها ستفتح لنا مجالا عظيما للنظر الى النفس البشرية والى غوامض هذا الكون نظرة جديدة ، ولقد كنت اتمنى مثلا أن ارى حالاتى النفسية المختلفة من خلال صور يمكن شرحها ، لكن الاختلاف ــ كما رأيت ــ لا يرجع الى نفس او ارواح او ما شابه ذلك ، بل الى امور اخرى ألمحنا لها فيما سبق .

ومع ذلك ، فنحن لا نريد أن نغلق الباب « بالضبة والمفتاح » ــ كما يعبر عن ذلك عامة الناس ، او ان نشيح بوجهنا عن هذه الاجتهادات، فربما بشىء من الصبر والاتقان ووضع كل صغيرة وكبيرة فى الحسبان ــ ربما يؤدى ذلك الى اكتشاف علاقات بين انفعالات نفسية ومجالات كهرومغناطيسية فى اجسامنا وبين الصور الناتجة عن مثل هذه المجالات والانفعالات ، ونكون بذلك قد دخلنا عصرا علميا جديدا ومثيرا ، فهناك مثلا من يدعون انه يمكن تصوير فكرة خاصة تجتاح امغاخنا عن طريق انبثاق شحنة كهربية من طرف الاصبع ، وليكن ذلك مثلا فى تركيز الفكر على نار متشعلة ، فتظهر على الفيلم الحساس ألسنة من لهيب لها شكل النار وألوانها ... وهكذا مع اى شيء آخر .

لكن ظهور هذه الصور بالطريقة التى يمكن تفسيرها علميا يحتاج الى شروط ، منها مثلا أن يحدث تغير فى كيمياء البشرة ، وفى كفاءة التوصيل الكهربى للجلد ، وفى جهده الكهربى ، وتغير فى الجسم البشرى ككل ... الخ ، وهذا بدوره يحتاج الى معايرات علمية دقيقة ، والى أجهزة تصوير تاخذ فى اعتبارها كل العوامل المتغيرة ، حتى تتوحد النتائج ، وتصبح ذات مضمون ومعنى .

أما مسالة الروح التى يقولون انها من وراء كل هذه الظواهر ، فهذا أمر ينفيه العلم ، وينفيه الدين ايضا « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى » .. لا من أمر هؤلاء الذين يدعون على الله ، وعلى الناس كذبا ! ■■

د . عبد المحسن صالح

بقلم : سيلمان الفهد
لوحات : بهجت عثمان



الوشم عند البربر

المغرب ...

رقصة يقدم فيها العريس سلاحا للعروس



الناس والطبيعة

■ فى كل مرة ازور فيها المغرب .. اكتشفهيا جديدا .. ربما لانها واسعة وكبيرة وغنية بكل ما يثير التامل والدهشة ! ومن هنا فان الذى يريد ان يتعرف على هذه الديار عليه ان يسوح فيها ويجوبها طولا وعرضا ... عليه ان يتصعلكعلى طريقة المجاميع السياحية الاجنبية التى تزور كل مكان .. وتمضى كل وقتها فى الحل والترحال.. ولا تمل او تكل من التصعلك فى الناس .. او فى الطبيعة !

ان للفنان رؤية للناس .. والظواهر .. ولكل الاشياء تختلف ـ بالتاكيد ـ عن رؤية الانسان العادى فقد يمر السائح منا ببائع الماء «السقاء» مرورا عابرا ... بينما نجد الفنان بهجت عثمان قد وجد فى هذه الشخصية نمطا انسانيا يستحـق التسجيل .

ان اول ما تقع عليه عين المتجول فى الاسواق المغربيه والمدن الرئيسية كثرة انواع الازيـاء التقليدية التى يرتديها الناس .. وتلاحظ ان كل اقليم له زيه الخاص به .. فعلى سبيـل المثال نجد ان الرجال والنساء ـ فى جنـوب « اكادير » يرتدون ـ على حد سواء ـ لباسـا ازرق اللون !

اما قبيلة « ايت حديدو » التى تعيش فـى مرتفعات « ملوك » فى الاطلس الكبير .. فـان نسائها يرتدين ابرادا ناصعة البياض مطرزة بخيوط زرقاء . والطريف ان العذارى يعتمـرن العمائم ويعلقن على صدورهن عقودا جميلة . ويكفى هنا ان يزور الواحد سوق مراكش حتى نتعرف على تعدد وتنـوع الازيـاء المغربيـة .. فالسوق مقسم الى ازقة .. كل زقاق او قيسارية وسميها هنا قيصرية ، خاص بنوع معين مـن الملابس التقليديه .. أو احدى الصناعاتاليدوية.

وسوق مراكش يشبه الى حد بعيد سوق الحميدية فى دمشق .. ويكاد يحتوى على كل الصناعـات التقليدية للبلاد .. ومن هنا نجد هذا السوق يكتظ بالسياح ،والعمالين،والسائقين ، والسيدات المحجبات اللواتى ينظرن اليك من طرف خفـى كان الواحدة منهن نريد ان تقول للناظر : غض طرفك !

الميدان العجيب

واذا كنت من محبى الصعلكة فى الناس مثل الفنان« بهجتعثمان » فستجد الكثير مما يثير فيك الدهشة .

على مدخل سوق مراكش ثمة ميدان واسعاسمه « ميدان جامع الفنا » وهو ميدان له العجبحقا.. لكونه .. جامعا .. لكل شىء ! واقولها بدون تحفظ ! على جنبات الميدان حوانيت تبيعالمصنوعات الجلدية ، والنحاسية ، والفضية .. ومطاعـم ومقاه شعبية .. ودكاكين عطارة وادوية شعبية.. ووسط الميدان عشرات من فرق الرقص والغناء الشعبى فضلا عن الحواة والبهلوانات والقرداتية! ومروضى الثعابين والثعالب والذئاب ! وغير هذا وذاك تجد المصلحين يبيعون النصائح لمن يريد جنة الخلد ! واولئك اللذين يقرأون الكف ويكتشفون الطالع ! ولا ننسى ـ بالطبع ـ الطبيب الشعبى القادر على شفاءكل داء دون عملية ولا يحزنون ! وقد وجدنا ان العامة يقبلون على الطب الشعبى ربما عن قناعة .. او بسبب ضيق ذات اليد !

والميدان صاخب يضطرب باصـوات الدفـوف والطبول والصاجات .. وتفوح منه رائحة الشواء حيث تشوى اللحوم فى الهواء الطلق .

وفى مقدور الواحد ان يتعرف على العديد من الوان الفنون الشعبية لو انه مكث كـمساعة فى هذا الميدان العجيب .

لان فرق الهواة تاتى اليه من كل صوب وحدب والتى تمثل كل الاقاليم المغربية .

وتتميز مدينة مراكش بموسيقى « الدقة »حيث الضرب الجماعى على « الصاجات » المزدوجة يتناغم مع دقات الدف . « الدقة » يعرفها كـل اصحاب الصناعات التقليدية .. وكل حى يتميز بدقة خاصة .

وفيما يبدو فان مراكش صارت عاصمةللفنون الشعبية .. خاصة وانها تحتضن كل عام المهرجان الوطنى للفلكلور . وهو بحق تظاهرة فنية ممتعة تستمر قرابة اسبوعين .. ويقام داخل مسرح اقيم

فى قصر الرى « قصر البديع » الذى له من اسمه نصيب !

ان احتفال اخوتنا المغاربة بالفنون الشعبية يثير الاعجاب حقا ٠٠ تجد ذلك من خلال تمسكهم الشديد بازيائهم التقليدية ٠٠ فالانسان المغربى لا يتخلى عن زيه الوطنى ٠٠ حتى لو عنّ له ان يرتدى البدلة الافرنجية ! ربما لانه يعتبر ان زيه الوطنى جزء من هويته •

فى حفل عرس

ومن هنا تجدهم ـ جميعا ـ يحرصون على ارتداء الازياء الوطنية ايام الجمع ، وفى حفلات الزواج، والختان ، وداخل البيوت اثر العودة من العمل (بالنسبة للذين يرتدون الملابس الافرنجية) ويحرصون على ارتدائه كذلك فى المناسبات •

ولا تجد المراة اى غضاضة او حرج فى ارتداء العجاب ٠٠ حتى صغيرات السن فى المدن المحافظة وجدت بينهن من ترتدى العجاب • ومن المالوف جدا على ساحل مدينة الدار البيضاء «الكورنيش» ان تجد العجاب يسير جنبا الى جنب مع البنطلون!

والشعب المغربى الشقيق فنان بطبعه ٠٠ كان الانسان يرضع الفن مع الحليب ! ففى كل قعدة تحضرها فى بيت مغربى تجد الرقص (يسمونه الشطح) وتجد « جوقة » الموشحات تتصدر المكان ٠٠ فضلا عن فرقة الفنون الشعبية ٠٠ و « عدة » الطرب والانس او « الوناسة » كما نسميها هنا !

ولو كتب لك ان تشهد حفل عرس فستردالروح الى دهشتك التى سكنت عن الدهشة منذ امد طويل !

العرس « الفاسى » بالذات مشهور بطقوسه التقليدية العريقة ٠٠ يكفى ان تعرف ان حفل العرس يبدأ من الظهيرة حتى آذان الفجر ٠٠ واكثرمن هذا ان حفلات القادرين الموسرين تستمر اياما قد تصل الى اسبوعين ! ويتميز العرس « الفاسى» بالثراء والفخامة ٠٠ يبدأ الحفل بتقديم شراب اللوز مع حلويات متنوعة ٠٠ وينتشر المدعون فى الحديقة بينما « جوقة » الموشحات الاندلسية تصدح بالحانها المطربة ٠٠ والسيدات يتنافسن فى ارتداء اغلى الملابس ٠٠ وانفس الحلى • وحين ياتى المساء يكون العدد قد اكتمل ٠٠ يدعى الناس الى العشاء بينما فرق الغناء والرقص تتناوب تقديم اعمالها الشعبية • وبعدها تزف العروس محمولة على كرسى خاص يشبه الهودج ٠٠وتسير « الزفة » وسط دقات الدفوف والطبول المتناغمة مع الادعية والزغاريد التى تطلقها فرقة فنيـــة ٠٠وساعتها يكون الحفل قد ابتدأ ٠٠ اما كيف ومتى ينتهى فهذا جوابه عند الربع من اهل فاس!

مدينتان تحت اسم واحد

كلما سالنا احد الحاضرين ٠٠ متى ينفض السامر وينتهى الحفل ؟ لا نجد جوابا شافيا ٠٠ باكر صباحا ربما ٠٠ بعد يومين او ثلاثة هذا جائز وممكن ! ثم لم هذا السؤال اساسا ـ يقول لنا اصحاب الحفل ـ هل انتم على عجلة من امركم ٠٠ ام ان الحفل ـ لاسمح الله ـ لم ينل اعجابكم ؟! لكننا لم يكن فى مقدورنا مجاراتهم فى تمضية كل هذه المدة ٠٠ لاننا ـ وببساطة ـ مرتبطون بزيارات كثيرة نجوب بها المغرب طولا وعرضا •

ومدينة فاس من اعرق المدن المغربية اذ تاسست سنة ٨٠٨ ميلادية على يد مولاى ادريس الاول• واذا كانت مدينة الرباط هى العاصمة الادارية ٠٠ ومدينة الدار البيضاء هى العاصمة الاقتصادية والصناعية ٠٠فان فاس هى هى ـ بحق ـ عاصمة العلم والثقافة • ففيها جامعة القرويين التى كانت ملتقى مريدى الفكر ، والفلسفة ٠٠ ، كما انها اعطت للمغرب العديد من العلماء ، والمفكرين ،والفقهاء والادباء ، ورجال السياسة •

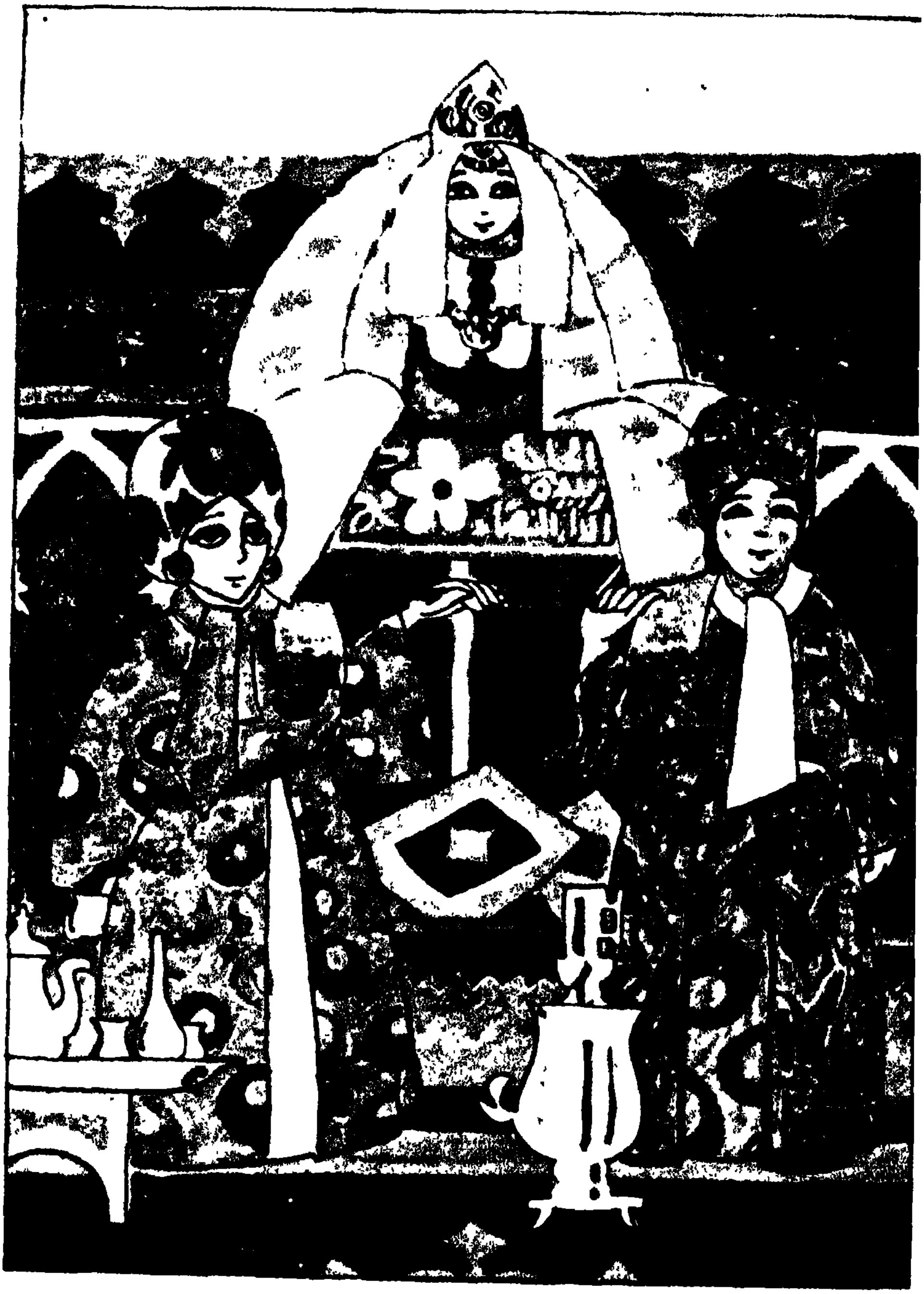
وفاس يمكن القول انها مدينتان تحت اســـم واحد ٠٠ كيف ؟

فهناك فاس ٠٠ « القديمة » التى عرفت بهذه الاسم ٠٠ ونظرا لوقوعها على ملتقى الطرق الاتية من كل الجهات ٠٠ فقد ضاقت بدور العلم، والمساجد ، والحوانيت وازداد فيها الناس طلاب المعرفة ، والراغبون فى الكسب والتجارة ٠٠ولهذا كان من الضرورى انشاء مدينة جديدة تجاورها ٠٠ وهى التى تعرف بـ «فاس الجديدة » وهى مقامة على ربوة عالية تطل على فاس القديمة •

وفاس مدينة يتجاور فيها القديم والحديث ٠٠ آثارها التاريخية مثل (جامع القرويين ، وجامع الاندلس ، وضريح الملك مولاى ادريس الاول



فرقة شعبية من ساحة الفناء بمراكش



زفة العروس

قالوا في كلمات

■ من الذى يحب صاحبه او قريبـه او مواطنه اكثر ؟ اهو الدى يكشف له الستار عن عيوبه ويظهرها كما هى ؟ ام الذى يغض البصر عن نقائصه ويمدحه ليسره ؟ لا شك ان الاول هو الصديق المكروه ، والثانى هو العدو المحبوب ·

(قاسم امين)

■ نبكى على الدنيـــا ، ومـا من معشر
جمعتهم الدنيـــا ، فلـم يتفـرقوا
والمـــوت آت ، والنفـــوس نفـــائس
والمســتعز بمـــا لديه الاحمـــق

(المتنبى)

■ قلما تترتب الاعمال العظيمة على المجهـودات العظيمة ، ولكنها فى الغالب ثمرة مجهودات صغيرة · (جوستاف لوبون)

مؤسس المدينة) تحفظ لها شخصيتها التقليدية بكل ما فيها من عبـق التراث واصالـة الرواد المؤسسين وعراقة الفكر الذى انتجته هذه المدينة· والواحد لا ينسى جلال مشهد المدينة القديمة·· خاصة اذا تطلععليها منشرفة فندق··«المرينيين» المطلعليها من عل·حيثتبدو المدينةتحتنا باسوارها الصامدة وبواباتها الاربع·· مهيبة ،هادئة ، جميلة بخضرتها ومبانيها ·· تماما كما لو انها قصيدة شعر !

والطبيعة فى الاراضى المغربية تاخذ الالباب·· وتسحر الفنان المحب لكل ما فيه فن وجمال ·· فالسهول مترعةبالخضرةوالزهور الندية والفواكه الريانة ·· والجبال تكسوها غابات الارز ·· وتغطيها الثلوج طيلة الشتاء ·· والمياه المعدنية الطبيعية تنفجر من ينابيعها نقية كالبلورالصافى ·· فعلى سبيل المثال ·· هناك ينابيع «سيدى حرازم » التى تبعد حوالى عشرة كيلومترات عن فاس ·· ومنها تستخرج مياه معدنية للشرب ·· فضلا عن ان مياه الينابيع الدافئة مقصد المرضى بالكبد او الكلى ·· وغيرهما !

ويمكن القول ان المغرب هى بلاد الفصولالاربعة ·· ففى عز البرد فان درجة الحرارة فى مدينـة مراكش معتدلة تميل الى الدفء المنعش ·· حيث السماء ملبدة بالغيوم ·· واشعة الشمس تحاول اختراقها بين حين وآخر ! كما ان ضواحى المدينة جبلية مغطاة بالثلوج ·· وبها مناطق لمحبىرياضة التزحلق على الجليد ·· والمناطـق الجبليـة (اوريكا ـ اوكامدن) تبعد عن مراكش حوالى ستين كيلو مترا ·

العرب فى اوروبا

ان كثيرين من السياح العرب يتوجهون صوب اوربا ·· طلبا للراحة ، والمتعة ، والاستجمام ولسنا هنا ضد الانفتاح على العالم ·· ولا ضد التصعلك فى بلاد الله الواسعة ·· لكن من المهم ـ هنا ـ ان نشير الى ان بلادنا العربيةغنيةبالطبيعة الجميلة ·· طافحة بما لذ وطاب من خيراتالارض ·· ثرية بكرم ناسها وطباعهم الزينة · ومن هنا يتالم الانسان العربى حين يجد ان السياحالعرب (عرب منطقة الخليج والجزيرة العربية خاصة)

■ اذا مضينا في طريق فعلينـــا ان نتخفف من كل اعبائنا وهمومنا ، ولا تأخذنا الريبة في وجهتنا ، فان الطريق والوجهة ستتضحان بذاتهما تحت خطى الحرية الراقصة ·

(طاغور)

■ ولقد بكيت على الشبا ب،ولمتي مسودة،ولماء وجهي رونق
حذرا عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني اشرق

(المتنبي)

■ كل مباحثة مفيدة اذا كان الغرض منها اظهار الحق,ولكنك لا تجد الا شخصا يريد ان يعلمك ما ليس له به علم ، ولا يصغى الى شيء مما تقوله لانه ليس مشغولا الا بما يقوله ·

(قاسم امين)

يجدون في لندن ـ مثلا ـ « كعبة » السياحة ·· ومكانهم المفضل ·· رغم كل العداء الذي يواجهون به من قبل اجهزة الاعلام ·· ورغم كـل حملات التجريح والتشهير المنصبة على السلوك العربي في بلاد الانجليز · فعلى سبيل المثال فان سير المراة المحجبة في شارع ·· اوكسفورد ·· او مشهد عربي مسن يؤدي الصلاة في حدائق « هايد بارك » كل هذه الانماط العادية من السلوك ينظر اليها الانجليز باستغراب وامتعاض ·· ، ربما لانهم لا يريدون لنا ان نحافظ على هويتنا القومية ·· ويرغبون في ان يروا صورتنا ممسوخة !

ولست بحاجة الى القول هنا الى انني غير معنى بما يكتب عنا حول التصرفات السلبية السيئة التي تصدر من بعضنا في اوروبا وغيرها ·· لان هذا موضوع آخر · ان ما يعنيني هنا هو المناخ السياحي الملائم للاسرة العربية التي تريد ان تمارس عاداتها اليومية « الصحية » دون ان تلاحق بنظرات الازدراء ·· ولا اظن ان هناك انسب من بلادنا العربيـة نفسها ·· لان فيها كل شيء يريده السائح ·· ولان العادات واحدة ·

ففي المغرب العربي يحترمون ـ وبشدة ـ المواطن العربي الذي يرتدي زيه العربي ·· احترام يصل عند بعض الناس البسطاء الى درجة « القداسة » على اعتبار ان سياح الخليج والجزيرة قادمون من الاراضي المقدسة ·· فضلا عن النظرة الاخوية نحوهم كعرب اشقاء ·

واحترامهم الشديد هذا يدفع السائح المشرقي ـ او على الاقل هذا هو الواجب والمفروض ـ الى احترام نفسه ·· خاصة وانه يجد ان سلوكه اليومي لا غبار عليه ·· ولا احد يستهجنه ·

ان توجه السائح العربي نحو بلاده العربية ضرورة قومية تفرضها عليه التحديات التي تواجهها امتنا من كل حدب وصوب ·

وما دامت بلادنا ـ كما اسلفنا ـ غنية بكل ما يسر ويثير السائح ·· فان هذا التوجه يصبح سهلا وميسورا ·· وليس فيـه اي عنـــاء او مشقـة او « تضحية » بعطلة الصيف ·

واعتقد ان الجهات السياحية المختصة (وزارات السياحة ـ والاتحاد العربي للسياحة) مقصرة تماما



بائع الماء .. السقاء

بالمقارنة بالخدمات السياحية العربية الهزيلة.. فالخدمات العربية ضئيلة ، وغير متوفرة .. ان اغلب اشكال الدعاية اعد خصيصا للسائح الاجنبي ، واذا جئنا الى مجال الخدمات نجد انها لم تصل بعد الى مستوى الخدمات الموجودة في الدول السياحية المتقدمة .. مثل اسبانيا . و .. السلبيات كثيرة ويمكن تلافيها .. لكن غياب بعض الخدمات لا يجوز ان يدفعنا — كل سنة — الى التوجه نحو اوروبا.. لان توجهنا السياحي لبلادنا العربية كفيل بان يدفع عجلة التنمية عدة خطوات الى الامام ... وكفيل — ايضا — بان يجعل الخدمات السياحية العربية في مصاف مثيلاتها في الدول الاوروبية . ■

سليمان الفهد





فنانة عربية :

في دنيا



العربى ـ العـدد ٢٣٠ ـ يناير ١٩٧٨


الفنانة بدر حمادة

●● العروسة فى البيت والعمل٠٠ والاحلام!

●● عرائس عربية فى معرض اوزاكا باليابان٠

●● حلم مسرح المائدة الذى لم يتحقق ٠٠

●● عرائس فرعونية وفينيقية وبيزنطيـة وعربيـة

●● مشروع مصنع العرايس٠٠ متى يتحقق؟

● لم تكتف بالعرائس من حولها فى كل مكان، حيث تعمل كمصممة ومنفذة بمسرح القاهـرة للعرائس ٠٠ لم ينته عشقها للعروسة عندحدود ساعات العمل اليومى ٠٠ لم يشبعها ان تـرى عرائسها التى تخيلتها وسجلت معالمها على الورق، تتحول الى عرائس نابضة بالحياة تتحرك وتتكلم وترقص وتغنى على المسرح ، امام جمهور منعشاق ذلك الفن ، صغارا وكبارا ٠

لم يكفها ان تكون العروسة حرفتها ، واصرت على ان تحتفظ بها كهواية دائمة ، تملأ بها بيتها، وساعات فراغها ٠٠ وهكذا ، تحول بيت الفنانة بدر حمادة الى عالم من العرائس الصغيرة والكبيرة ٠٠فوق قطع الاثاث وعلى الارفف ٠٠ معلقة بخيوط على الحائط ، ومستندة الى المقاعد والارائك ٠

وفى عام ١٩٦٢ ، دخلت الفنانة بدر حمـادة عالمها الحقيقى ، عندما التحقت بمسرح القاهرة للعرائس ، وقبلها امضت خمس سنوات تتولى دروس التربية الفنية فى المدارس ، عقب تخرجها من المعهد العالى للتربية الفنية عام ١٩٧٥ ٠

رغم نجاحها فى عملها كمدرسة ، احست بدر حمادة بغربة فى حياة التدريس ٠ لم تطق ان ترى مئات الاطفال من تلاميذها ، يلعبون حولها كل يوم بخامات الانتاج الفنى المتنوعة ، يبدعون لوحاتهم وعرائسهم ،بينما تكتفى هى بالارشاد والتوجيه ٠٠ كانت تنسى نفسها اثناء تلك الدروس ، فتغرق فى الخامات الفنية من حولها ، تصنع منها عروسة عاشت طويلا فى خيالها ، ناسية الاطفال منحولها الذين تركوا ما بايديهم وتجمعوا يتابعون بانبهار ما تبدعه اصابعها ٠

لم يكن من الممكن ان يستمر هذا ٠ فما ان اعلن مسرح القاهرة للعرائس عن حاجته الـى فنانين يصممون العـرائس وينفذونها ، حتـى اسرعت تستقيل من عملها كمدرسة ، وترتبط بالعمل الذى عشقته وما زالت تعشقه ٠ فشاركت فـى انجاز العديد من برامج ومسرحيات المسرح ، مثل « دقى يا مزيكة»،و «مدينة الاحلام» ، و « فيراطحورية»٠

ثم تولت بنفسها تصميم وتنفيذ عدة برامج من بينها « صحصح ودندش » ، و « السماء الثامنة»٠ وتعدت عرائس المسرح الى عرائـس التلفزيون فعملت فىتصميم وتنفيذ عرائس وديكوراتمسلسل « لبلب وعنتر » ٠

حلم الخلق الكامل

هذا عن قصة الفنانة بدر حمادة مـع عرائس المسرح المتحركة ، عرائس القفاز التى تتحركباليد من اسفل ،وعرائس الماريونيت التىتتحرك بالخيوط من اعلى ٠٠ ولكن ، هل اشبعها عملها هذا ؟

احست بدر حمادة ان طاقة الخلق عندها اثناء عملها بمسرح العرائس ، تخضع لعدة قيود ٠فهى اولا تلتزم فى تشكيل عرائسها بالنص المسرحى الذى يكون عليها ان تجسد عرائسه ،ثمهى تخضع

رؤية المخرج الذى يطلب لعرائسه مواصفاتها الخاصة التى تدخل فى نطاق رؤيته للعمل ككل . ثم هى تخضع للخامات التى تصنع منها العروسة ، والتى يفرضها نوع العرض المسرحى الذى سيقدم النص على اساسه . من هنا تصمم الفنانة على ان يكون لها عالمها الخاص من العرائس ، عالم لا يشاركها فيه احد ، ولا تزاحم ارادتها فيه ارادة اخرى .. عالم تجسد فيه رؤيتها الخاصة الكاملة، بلا حدود او قيود .

فى عام ١٩٦٩ ، بدأت نشاطها الخاص بما يسمى مسرح عرائس المائدة . نوع من المسرح التربوى الذى يتجاوز فيه الطفل دور المتلقى ، ليشارك فى عملية الاداء المسرحى ، اعتمادا على مسرح مصغر يوضع على المائدة ، يجرى فيه تحريك عرائسه الصغيرة البسيطة وفقا لنص مسرحى بسيط وقصير .يتبادل الاطفال أداءه امام جمهور من الاطفال الاخرين .

ابتدعت نصا بسيطا ، وقامت بتصميم العرائس والديكورات وفقا لرؤيتها الفنية الخالصة . كانت فى ذلك الوقت ، تحلم بان تجد اقبالا على هذا المشروع من جانب الهيئات التربوية . فيتم انتاج مسرح عرائس المائدة على نطاق واسع ، بحيث يصبح فى مقدور الاطفال تناوله والاستفادة منه .. حلمت بذلك ، وبقى الامر فى حدود الحلم الذى لم يقدر له ان يخرج الى حيز الواقع والتنفيذ العملى .

وعندما اعلن عن اقامة معرض اوزاكا باليابان عام ١٩٧٠ ، قررت شركة حوير حلوان ان تشارك فى ذلك المعرض ، بمجموعة من العرائس تمثل بالازياء تاريخ مصر عبر العصور . اوكلت الشركة الى الفنانة امر تصميم وتنفيذ عرائس ذلك المعرض . فنجحت فى انجاز عدد من العرائس بالازياء المختلفة للعصور المتباينة .. عرائس فرعونية ، ومملوكية وشعبية .. عرائس من مختلف اقاليم مصر ، من النوبة وسيوه والشرقية .

كما شاركت الفنانة عام ١٩٧٢ فى مسابقة « عروسة مولد » التى نظمتها جمعية محبى الفنون الجميلة ، وحصلت على جائزة ذلك المعرض . ونتيجة لنجاحها فى هذا الميدان ، انتدبت عام ١٩٧٥ لمدة شهر عن طريق وزارة المجاهدين الجزائرية ، لتدريب مجموعة من ابناء الشهداء على انجاز عدد من العرائس ، التى تصلح كنواة لمتحف جزائرى يسجل ازياء ابناء الجزائر فى مختلف انحائها .

النجاة من مصيدة الفوتوغرافيا

بعد هذا تعلقت بدر حمادة بالعروسة الثابتة . فما ان عادت من الجزائر ، حتى انهمكت فى انشاء متحفها الخاص الذى احتشدت فيه العرائس .. ما يزيد على ثلاثين عروسة تمثل الازياء التعبيية المصرية ، وازياء الحرفيين ، من شاطىء البحر الابيض المتوسط ، وحتى النوبة فى اقصى الجنوب .

فى هذا تقول بدر حمادة « فى عرائسى ، حرصت على تثبيت عناصر الشكل الاساسى للعروسة ، حتى ينصرف جهد الخلق والابداع الى تحقيق السمات الخاصة المتميزة لكل شخصية احاول تجسيدها .وبرغم وحدة الجسم الاساسى لكل العرائس ، والذى يعتمد على الكرة والمخروط .. ما حرصت فى نفس الوقت على تاكيد قيمة الخامة فى تصوير الرؤية الفنية . فعالم الخامات هو عالمى المفضل منذ سنوات الدراسة بالمعهد العالى للتربية الفنية . بدأ احساسى بالخامات كوسيلة تعبيرية منذ ذلك الحين .. احسست ان الخامة بملمسها الخاص وطبيعتها الكيميائية تصلح اداة كاملة للتعبير ، وتضفى على العمل الفنى اصالة ورسوخا ، قد لا يتحققان باستخدام التلوين المائى او الزيتى . فعنصر اللون فى الخامة يكون اصيلا ثابتا ، يؤكد صدق الاحساس بصراحة وجراة » .

لهذا ، حرصت الفنانة بدر حمادة على جمع اكبر قدر من الخامات المختلفة . وما ان تبدأ عملها فى عروسة جديدة ، حتى تبسط هذه الخامات من حولها ، تتاملها وتتحسسها ، بينما تجرى عملية المواءمة بين رؤيتها الفنية للعروسة التى تتخيلها وبين الخامة المناسبة لهذه الرؤية .. من حيث اللون ودرجة الصلابة او الليونة ، ومن حيث الملمس ودرجة الخشونة او النعومة .

بعد هذا ، يبدأ التعبير بهذه الخامات عن عناصر واجزاء العروسة المختلفة . وهنا .تظهر قيمة خاصة لطريقتها فى استخدام الخامات مباشرة . ذلك ان استخدام الخامة يقتضى قدرا كبيرا من التلخيص الفنى للعناصر . فالخامة لا تسمح بالدخول فى تفاصيل جزئية صغيرة ، وهكذا تحمى الفنانة نفسها من الوقوع فى مصيدة النقل الفوتوغرافى الرخيص

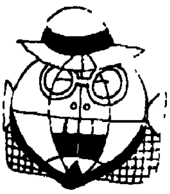








طرائف أجنبية



حياة وموت :

● المؤلف الانجليزى ولكى كولنيز (١٨٢٤ ـ ١٨٨٩) يحدثنا عن الطموح ، يقول : اذا صحوت من نومك فى الصباح قبل ان يصحو جارك ، واذا عملت اكثر وبذلت جهدا اكبر، واذا احببت عملك واخلصت له .وسهرت الليل تبحث وتنقب فى عقلك عن الطريق الذى



سيوصلك الى هدفك فى الحياة قبل جارك الذى يحرص على الذهاب الى فراشه عند الغروب •• اذا فعلت كل هذا ، فانت لن تكسب اكثر فحسب ، وانت لن تترك ثروة اكبر بعد رحيلك فحسب ، ولكنك حتما سوف تبكر بساعة هذا الرحيل، وربما يعيش جارك من بعدك ليتقبل فيك العزاء !

« هل تنوى بعد هذا ان توقف انطلاقتك فى الحياة؟ انا شخصيا افضل الف مرة ان اعيش حياة قصيرة مليئة بالعرق والكفاح والنجاح ، على ان استسلم للنوم والخمول ! فهذا هو الموت الذى اخافه واهرب منه » •

من الطبيعة • يصبح تعبيرها عن اى عنصر عملية خلق كاملة ،تقتضى تاملا واعيا للاصل ، لاستخلاص عناصره الجوهرية المتميزة ، والغوص الى اعماق علاقاته التشكيلية ، دون الوقوف عند حدود شكله السطحى الخارجى • عند هذا ، تصبح الرقعة الصغيرة من اى خامة من الخامات تعبيرا دقيقا عن عضو من اعضاء العروسة ، ويصبح اى خطا فى اختيار الخامة او شكل الرقعة المضافة ، افسادا لشخصية العروسة ، وانحرافا عن تسجيل الرؤية الصادقة •

عالمى ••
لا أتنازل عنه !

تضحك الفنانة بدر حمادة ، ثم تقول « العروسة •• هى عالمى الذى لا اتنازل عنه » •• حتى فى وجه استنكار بعض الاصدقاء والاقارب الذين تبدو عليهم الدهشة ، عندما يصدمهم انتشار العرائس فى كل مكان من بيتى ، وعندما يكتشفون مدى استغراقى فى دنيا العرائس •• وفى هذا لا تهمنى تعليقاتهم الساخرة التى تتضمن اتهامى بالنكوص!

•• وبالتثبيت عند مرحلة الطفولة التى تسعدها العرائس ! » •

وتروح الفنانة تتحدث عن العروسة كعنصر هام فى مختلف الحضارات الانسانية على مدى التاريخ• الفراعنة صنعوا العرائس لمعبودهم (انوبيس) • كان هيكل العروسة يصنع من الخشب ، ثم يغلف بالاقمشة وما يشبه الورق المقوى • كانت عرائس الفرعين تستخدم فى الطقوس الكهنوتية والمواكب الدينية • وقد راجت صناعة العرائس عند الفراعنة اثناء الدولة الوسطى ، حيث برعوا فى تمثيل الجند فى فيالقهم وهم مدججون بالاسلحة ، كما شكلوا ايضا تماثيل ودمى للملاحين والبنائين والخبازين•• وما زالت العرائس الشعبية المصرية تجرى على نفس تقاليد العرائس الفرعونية •

اما الحضارة الفنيقية فقد عرفت الكثير من العرائس التى كانت تستخدم فى طقوس العبادة•• كذلك اتخذت الحضارة البيزنطية من الدمى المتحركة وسيلة للتظاهر بالعظمة امام سفراء الدول الاخرى والضيوف الوافدين الى مجالس الاباطرة •

وفى قصص « الف ليلة وليلة » ، نجد تكرارا واضحا لذكر العرائس والدمى مرتبطا بخصائصها

قالوا فى العلم ٠٠ والتعليم

● التعليملا يمكن ان يجعل من كل واحد من ابنائنا زعيما، ولكننا نعرف بفضله ، اى زعيم هذا الذى يجب ان نلتف حوله. « فورستر »

● تسلية الطفل اليوم تكلف اضعاف ما كان يدفعه والده بالامس من اجل تعليمه. « هاردنج »

● الفرق الاساسى بين الرجل المتعلم والرجل الجاهل ، هو ان الاول يعرف اشياء كثيرة قرأ عنها ولكنه لم يستطع ان يفهمها! « ايمرسون »

الحرية ٠٠ والنضج ! عند لوثـر كنج

● مارتن لوثر كنج الزعيم الزنجى الامريكى الذى اغتاله اعداء الحرية فى أمريكا قال يوما عن الحرية : « هى رجل من السهل ان نقتله ، ولكننا ننسى ونحن نصوب الرصاص الى صدره ان هنـاك الوفا سيحملون الشعلة من بعده ٠٠ وقد تخبو النار ولكنها لاتنطفئ!»

سالوه عن ولده ، فقال : « لقد اصبح رجلا مند بضـع سنوات . فهو لم يعد ياتى الى طالبا مالا ، وانما كان يطلب قروضا لا يلبث ان يسددها وكانها دين عليه !



« ولكن شعورى بان ابنى قد كبر فعلا ازداد منذ ذلك اليوم الذى احس فيه هو بان الوقت قد حان لكى يطلع ابويه على الكثير من حقائق الحياة التى كانت خافية عليه ٠٠ لقـد جلسنا ـ امه وانا ـ ننصت اليه يومها وكاننا نستمع الى اعظم دروس الحياة !! »

السحرية ٠ كما يصف الطبرى ساعة نحاسيه هائله اقيمت بمرصد « سر من رأى » ، بها دمى تظهر فى مواعيد ثابتة ، وتؤدى بعض الحركات ، وكان بعضها على شكل الطيور المغردة ٠

والثابت من المراجع التاريخيه ٠ ان صناعة الدمى والتماثيل المتحركة كانت منتشرة عند العرب٠ وقد خصص العالم العربى الرزاز الجذرى كتابا عنها باسم « كتاب الجامع بين العلم والعمل » ، زوده بعدد كبير من الرسوم الايضاحية المبينـة لتركيب الدمى واشكالها وطبيعة هياكلها ٠ كما وضع ابو عامر احمد الاندلسى كتابا باسم « الباهر فى عجائب الحيل » يصف فيه انواعا من الدمى التى تتحرك بما يشبه اعمال الحواة ، والتى كانت تصنع من الشمع وغيره من الخامات ٠

وفى الشرق الاقصى ٠٠ فـى الصين واليابـان واندونسيا وجـاوة والهند ، عرفت الحضـارات اشكالا من الدمى الثابتة والمتحركة لمختلف الاغراض الدينية والعملية والترفيهية ٠

لقد كانت العرائس والدمى ، انشغال الانسان على مدى تاريخه الطويل ، وعلـى مدى سنوات عمره ٠

عروسة عربية للجميع

سال الفنانة بدر حماده عن احلامها ومشروعاتها فى عالم العرائس ، فتقول انها تحلم بمصنع او مشغل كبير ، يقوم بانتاج العرائس التى تبدعها ويبدعها غيرها من الفنانين العرب على اوسع نطاق٠ عرائس لها الى جانب قيمتها الفنية والجمالية ، قيمه تسجيلية، بما فيها من تصوير للازياء الشعبيه والتاريخية من مختلف انحاء العالم العربى ٠

وتقول مستطردة « لن يكفى ان تتجمع مثل هذه العرائس فى متحف خاص ، تقتصر الاستفادة منه على عدد محدود من الزوار ٠٠ اريد لهذه العرائس ان يتم انتاجها علـى اوسع نطـاق ، بحيث تنخفض تكاليفها وتصبح متاحة لاوسع جمهور عربى ممكن ٠٠ واعتقد اننا بهذا ، ندعم الرابطه بـين افراد الشعب العربى ، ونرتفع بمستوى التذوق الفنى للجماهير العربية » ٠ ■■

راجى عنايت

في الإسكندرية

دور الكويت في..

أوّل أكاديميّة

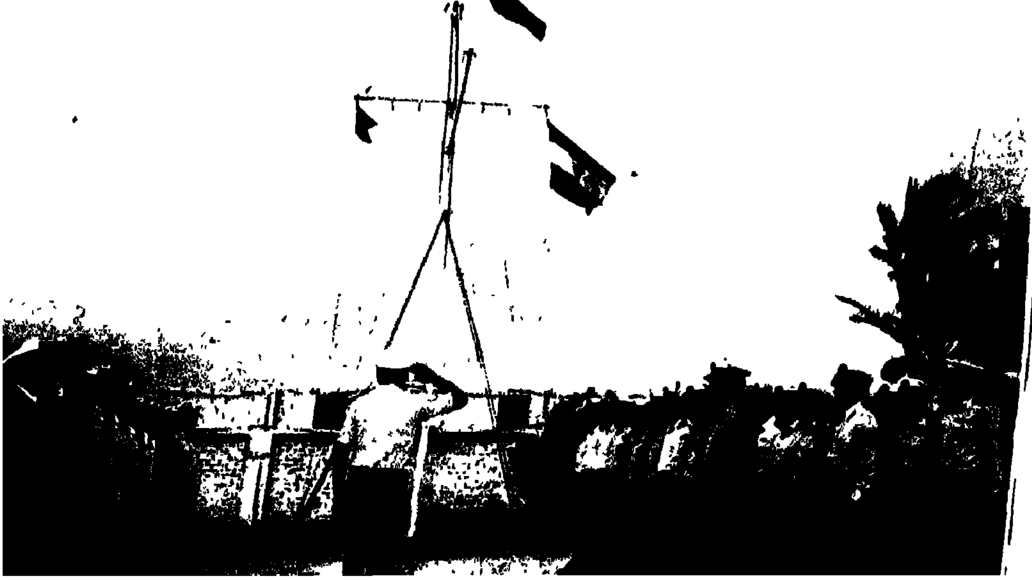
للنقل البحري

١٢٥٠ طالب من ١٦ دولة عربية

يعيدون للعرب مجدهم البحري القديم.

استطلاع بقلم : منير نصيف

تصوير : حسن الصفار







مع بداية كل يوم دراسى ..
تحية العلم فى الصباح ...
علم الاكاديمية وعلم الجامعة
العربية .. ثم تبدأ المحاضرات
النظرية والعملية .. وأحد
الطلبة أمام الاجهزة البحرية
الحديثة التي يتدربون عليها
فى مقر الاكاديمية
بالاسكندرية .

.. وتمضى القافلة فى مسيرتها ، رغم الصعاب !

■ انها تحتضن اليوم ربابنة الغد .. ورجال المستقبل ، هؤلاء الذين سيعيدون للعرب أمجادهم حاملين الفائض من خير ارضهم الى العالم القريب والبعيد .. عائدين بسفنهم وقد امتلأت بكل ما نحن فى حاجة اليه .. هكذا عاشت الدول والشعوب منذ ان كانت هناك حياة .. بيع وشراء صادر ووارد .. وكان البحر وما زال المنفذ الاول والمنفذ الاكبر قبل ان يعرف الانسان الآلة التى سخرها لخدمته برا ، ونقلته مع تجارته جوا .. وحتى بعد انتاج الشاحنات والطائرات .. لقد بقى البحر وسيلة النقل الاساسية للتجارة بين الدول .. فالذى تحمله سفينة شحن واحدة تعجز عن نقله مئات الطائرات والشاحنات !

تحرك عربى أشمل

كانت الاكاديمية العربية للنقل البحرى ، جزءا من تحرك عربى اكبر واشمل .. فقد بدأ التحرك منذ عشرات السنين وفى كل الاتجاهات .. فى بناء السفن الحديثة .. فى تشييد الموانىء الجديدة وتوسيعها وتطويرها حتى تصبح قادرة على استقبال احدث ما توصل اليه العلم فى صناعة السفن التجاريه .. وأخيرا فى اعداد هؤلاء الرجال الذين سيركبون البحر ويكتشفون اسراره حاملين ثروات بلادهم .. وقد بقيت « دفة » هذه السفن فى أيد غير عربية وما زالت ، حتى بدأنا نعد تلك الكوادر البحرية الشابة من ابنائنا نحن العرب ، فاصبحوا يعملون اليوم فى الموانىء وفى بناء سفن الغد وصيانتهـا وفى تحريك دفاتها !

وعدنا الى الاكاديمية ، فقد كان لنا لقاء بها ، وبالقائمين عليها ، والعاملين فيها منذ أربع سنوات ، وكان العمل فى هذه المؤسسة العربية ما زال فى بدايته .. ومع هذا فقد كان ميلاده كبيرا .. بفضل ايمان القائمين عليه بالدور الكبير الذى تضطلع به الاكاديمية ، والامل المعقود عليها وبفضل تشجيع الدول العربية الشقيقة ومساندتها ماديا وادبيا .. كانت الاكاديمية وقتها تشغل مقار مؤقتة فى عدد من المبانى الخاصة والعامة فى مدينة الاسكندرية ، وقد انتظمت الدراسة ، وبدأ الطلبة يتوافدون ويتزايدون من مختلف الدول العربية التى شاركت فى هذا المشروع ، والتى لم تشارك بعد .. وكان العمل يجرى على قدم وساق فى بناء المقر الدائم للاكاديمية بمنطقة خليج أبى قير .

مدينة متكاملة

وشاهدنا النموذج المجسم للمبانى التى كانت بدأت تعلو بالفعل ، واستمعنا الى المهندس العميد بحرى أسعد رياض المسئول عن منشئات وتركيبات وتجهيزات الاكاديمية ، وهو يحدثنا بحماس عن هذه المدينة الكاملة المتكاملة التى اقاموها فى هذا المكان التاريخى ، قال : « لقد قدمت مصر ، دولة المقر ، أو الدولة المضيفة ، الارض التى تقام عليها المبانى حاليا ، وتبلغ مساحتها ٣٠٠ ألف متر مربع ، يضاف اليها ٢٥٠ الف متر مربع من الارض الواقعة على شاطىء خليج أبى قير مباشرة .. وهذه المبانى ستصبح عند اكتمالها خلال العامين القادمين بعد بدء عملية البناء ، أى فى عام ١٩٧٥ ، وهو الموعد الذى كان مقدرا للانتهاء منها، مدينة صغيرة تحوى المبانى الخاصة، بالمعاهد الدراسية المختلفة ، ومبانى أخرى لسكن الطلبة واعاشتهم ، كما ستضم ملاعب للرياضة البدنيـة ، ومستشفى خاصا ، ومسرحا كامل التجهيز ومعامل وورشا هندسية ، ثم مرسى فى خليج أبى قير خاصا بالوحدات البحرية التابعة للاكاديمية ، والتجهيزات اللازمة للتدريب العملى .. قدمت مصر الارض ، وقدمت خبراتها ورجالها وكل ما لديها من امكانيات . وكان المال يعوزها، فتوفر بفضل ما قدمته الدول الاعضاء ، وفى مقدمتها الكويت التى كانت من اول الدول التى تبنت هذا المشروع وساندته وشجعته بالمال والرجال، واوشكت عملية البناء على الانتهاء أو كادت ..

اهتمام الكويت بالمشروع

قال لنا السيد سعود الزامل عضو مجلس الادارة المنتـدب وممثل دولة الكويت فى مجلس ادارة

● أكاديمية النقل البحرى



مجموعة من طلبة الاكاديمية يستقلون السيارة من السكن المخصص لهم فى احدى العمارات الحديثة بالاسكندرية الى مقر الدراسة ثم تعود بهم فى نهاية اليوم الدراسى ·

الاكاديميه الذى يضم ممثلين لكل الدول الاعضاء ·· قال يشرح لنا دور الكويت فى تحقيق قيام هذا المشروع الحيوى : « لقد بدأ اهتمام دولة الكويت بهذا المشروع منذ اللحظة الاولى التى عرض عليها فيه ، بدليل انه كان لدينا مشروع كامل متكامل لاقامه معهد بحرى فى الكويت لتخريج الكوادر البحرية التى تحتاج اليها البلاد، فلما عرض مشروع الاكاديمية العربية على حكومة الكويت . سارعت على الفور بالاسهام فيه بل وصرفت النظر عن مشروعها هى باقامة المعهد البحرى الكويتى ··

ويمضى سعود الزامل شارحا موقف بلاده : « لقد فعلت الكويت ما فعلت ايمانا منها باهمية العمل العربى المشترك وتشجيعه ومساندته ··وقد تمثلت هذه المساندة فى الدعم المادى والبشرى الذى كانت الكويت سباقة فى تقديمه من اجل استكمال مقومات الشخصية العربية للاكاديمية · وبلغ ما ساهمت به الكويت فى المشروع حتى اليوم ما يوازى خمسة ملايين دولار ·

« اننى اود ان اوضح فى هذا المجال نقطة هامة ، تتصل اتصالا مباشرا بالاهتمام الكبير الذى لقيه هذا المشروع من جانب الكويت ودوافعه ،وقد ذكرت بعض الاسباب، وفى مقدمتها العمل القومى، او العمل العربى الجماعى ، والى جانب ذلك هناك بطبيعة الحال، دوافع اخرى خاصة بالكويت ذاتها ، وبطبيعة الحياة فيها ·· ان بلدنا كان وما زال يعتمد ، كما تعلمون ، على البحر ، كمنفذ اساسى · فى كويت الامس ، كان البحر كل شيء فى حياتنا.وفى كويت اليوم مازلنا نعتمد على البحر فى تصدير ثرواتنا واستيراد كل ما نحن فى حاجة اليه ·· ان لدينا اليوم ما يقرب من ٣٨ باخرة كبيرة من عابرات المحيطات وناقلات البترول التى تحمل هذه الطاقة الهائلة الى اسواق العالم ·· ويجرى العمل الآن فى بناء ٣٢ باخرة اخرى من الناقلات العملاقة وناقلات الغاز الطبيعى والسفن التجارية ·· هذا الى جانب ما يزيد على المائتين وعشرين قطعة بحرية تملكها الكويت اليوم ، وتستخدم فى متطلبات السلامة البحرية ·· »

حاجة الكويت للكوادر البحرية

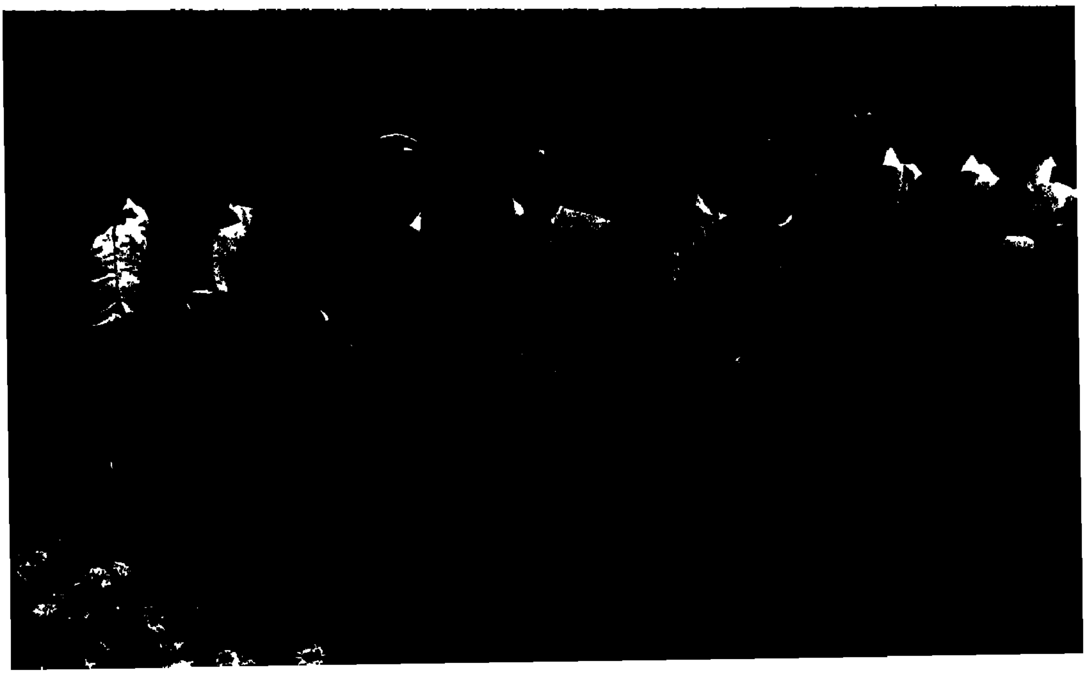
ثم يقول السيد الزامل : « بلد يملك مثل هذا الاسطول الكبير من الوحدات التجارية البحرية، لا شك فى حاجة الى تشغيلها وصيانتها وادارتها ·· اننى اقدر ما تحتاج اليه الكويت حاليا من الضباط والمهندسين وضباط الراديو البحريين ، بما لا يقل عن ١٥٠٠ ضابط من مختلف الرتب البحرية ، وخاصة اذا علمنا انه اصبح فى الكويت الان تسعة مواىء بحرية مختلفة الطاقة ، الى جانب حوض لبناء السفن واصلاحها فى ميناء الشويخ ·· هذا عدا ما تحتاجه شركات البترول العاملة فى الكويت من كوادر بحرية للعمل فى مجال الحفر والتنقيب فى مياه الخليج ، وكذلك أحتياجات قطاع صيد الاسماك » ·

من اجل هذا كله اذن ، كان اهتمام الكويت بالاكاديمية العربية للنقل البحرى · ثم قال السيد



العميد جمال الدين مختار المدير العام للاكاديمية فى لقاء مع بعض المسئولين امام خارطة الموقع العام لمبانى الاكاديمية فى ابى قير ·· (الى اليمين) اللواء محمود السماك الوكيل الأول لوزارة النقل البحرى، (والى اليسار) العميد محمد الامير نائب المدير العام للطلبة والتدريب فى البحر ، والمقيد كاظم زيتونة ممثل سوريا فى مجلس ادارة الاكاديمية ، والصورة المقابلة لنموذج مبانى الاكاديمية المقابلة تقرر سلخ جزء من مبانيها وضمه لمصنع الأسمدة ·

السيد سعود الزامل ممثل الكويت في مجلس ادارة الاكاديمية والعضو المنتدب يتوسط مجموعة من الطلبة الكويتيين الدارسين ·· ربابنة الغد ·





الزامل : « انها تستطيع ان تقوم بدور كبير في سد احتياجات العالم العربي كله ودولة الكويت بصفة خاصة ، اذا لم يعترض هذا المشروع اية عقبات تعرقل مسيرته ! »

المشكلة ‥ ما هي ؟

وعند هذه العبارة الاخيرة التي اختتم بها ممثل الكويت حديثه معنا ، وجدنا انفسنا نتوقف ونتساءل ولكن لماذا توقفنا ؟ الا يمكن ان تقوم العقبات ‥ أيا كان نوعها في طريق اي عمل ؟ الواقع اننا شعرنا من خلال حديث ممثل الكويت ان ثمة عقبات بالفعل قد اعترضت مسيرة هذا العمل الكبير ،بعد كل الجهد الذي بذل في انجازه وانجاحه من جانب القائمين عليه والمشرفين على مسيرته وانطلاقته ،وبعد كل هذه المساندة والتشجيع من جانب اكثر من ١٤ دولة عربية انضمت الى المشروع منذ توقيع الاتفاقية الخاصة بقيامه في جامعة الدول العربية في عام ١٩٧٠

ولكن السيد سعود الزامل اكتفى بالتلميح دون التصريح ‥ ولم يكن الامر في حاجة بعد ذلك الى اي جهد للوقوف على طبيعة هذه العقبات والتعرف عليها ‥ ففي لقائنا بالعميد جمال الدين مختار ، مدير عام الاكاديمية العربية للنقل البحري ، عرفنا القصة كلها ‥ ولم يكن وحده عندما جلس الينا يحدثنا عن « المشكلة » التي واجهت الاكاديمية بالفعل وهي منطلقة في مسيرتها ، وكيف امكن اجتيازها والتغلب عليها، ولو ان ساعة « الحساب » لم تات بعد مع المسئول عن الخطا الذي ادى الى ظهور هذه المشكلة التي لم تكن في الحسبان !

حديث صريح مع مدير الاكاديمية

كان مدير الاكاديمية يتحدث ، وكان معه في هذا اللقاء اللواء محمود السماك، الرجل المسئول عن تنفيذ سياسة حكومة مصر ، دولة المقر ، او الدولة المضيفة ، بوصفه ممثلا لوزارة النقل البحري ، والعميد الفوس صادق نائب مدير عام الاكاديمية للتخطيط والتعليم ‥ قال العميد جمال : « نعم ، واجهتنا مشكلة لم نكن نتوقعها، فقد بداوا في بناء مصنع للاسمدة الكيماوية ملاصق لمباني الاكاديمية في ابي قير . وعلى الفور ثار السؤال الذي لم يكن هناك بد من

الاثارة ‥ ترى ما هو تاثير قيام هذا المصنع بعد اكتماله وتشغيله على البيئة ‥ وهل هناك خطر من حدوث تلوث للجو في هذه البقعة التي سينتقل اليها ابناؤنا، والعمل في بناء الاكاديمية بكل مرافقها يوشك على الانتهاء ‥ »

« واتفقنا في اجتماع مبدئي على ان يشيد المصنع المباني الخاصة بالادارة في الجزء الملاصق للاكاديمية ، بحيث تكون التركيبات الخاصة بالمصنع في الجزء الغربي من الموقع ‥ ثم كانت المفاجاة عندما اكتشفنا ان هذا الاتفاق ،ولاسباب غير واضحة ، لم ينفذ . فقد انشئت التركيبات بجوار الحد الغربي الملاصق لمباني الاكاديمية ! »

اجتماع طارىء لبحث المشكلة

« وعقد مجلس ادارة الاكاديمية العربية للنقل البحري ، اجتماعا طارئا لبحث الموضوع ، وقابلنا السيد رئيس وزراء مصر ممدوح سالم الذي انتقل بنفسه الى الموقع وبحث الموضوع في اجتماع ضم وزير النقل البحري ووزير الصناعة في جمهورية مصر ، السيد عيسى شاهين ، ورئيس مجلس ادارة شركة الاسمدة ، وحضر الاجتماع ممثل الكويت والعضو المنتدب الاخ سعود الزامل، وانا .

« وفي الاجتماع راح المسئولون عن المصنع يؤكدون سلامة المشروع وعدم تشكيله اي خطر ، كما تعهدوا باتخاذ كل الاحتياطات التي تحول دون حدوث اي تلوث للهواء ، وهي عملية كبيرة سوف تكلفهم اكثر من مليون جنيه ، على ان تسند هذه المهمة الى جهاز دولي محايد لرصد اي تلوث قد ينشا بعد تشغيل المصنع ، وتعهدوا بتكليف خبراء المان متخصصين في هذا المجال للعمل معهم بالمصنع لمدة خمس سنوات لضمان سلامة البيئة من اي تلوث .

« ان كل هذه التعهدات التي التزم بها المسئولون في مصنع الاسمدة تمت في حضور السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء والوزراء المعنيين ‥ ليس هذا فحسب ، بل لقد ابدى رئيس الوزراء استعداد الدولة لتعويض الاكاديمية عن المباني المجاورة للمصنع ، عن طريق تقديم ارض بديله في شرق الموقع والالتزام بتشييد المباني اللازمة فوق هذه الارض الجديدة خلال ستة اشهر على اكثر تقدير » .

ماذا قال الخبراء ؟

ويمضي العميد جمال في حديثه عن « المشكلة » التي لم تكن في الحسبان ، فيقول : « وبالرغم من هذا كله ، فقد طلبت الى السيد ممدوح سالم الالتجاء الى منظمة الامكو (١) ، او المنظمة البحرية الاستشارية للحكومات ، للقيام باختيار خبراء دوليين محايدين تكون مهمتهم وضع تقرير يتضمن وجهة نظرهم في موضوع التلوث الذى اصبح شغلنا الشاغل ، حرصا منا على سلامة ابنائنا ، وسمعه الاكاديمية ، فهي قضية ، كما رأيتم ، لا تهم مصر فحسب ، بل هي قضية تهم العالم العربى كله » .

وبالفعل ، قامت منظمة الامكو بتكليف بيت متخصص في مجال التلوث ببحث هذا الموضوع وتقديم تقرير واف عن كل الاحتمالات . وعلى اثر انتهاء الخبراء من تقريرهم ، سافرنا الاخ سعود الزامل ، ممثل الكويت وأنا الى لندن لمناقشة التقرير في مقر الامكو بوجود احد خبرائهم وهو الدكتور وانهام Wenham والسيد مؤيد الرشيد من دولة الكويت .

وكانت خلاصة كل هذه الاجتماعات والبحوث التى اجريت :

(أولا) هناك عدة اجراءات وتدابير تتخذ لمكافحة التلوث ، وهى ليست بجديدة ، فهى متبعة فى كثير من مناطق العالم المعرضة لخطر التلوث، وفى حالة اتخاذ هذه التدابير يمكن القول بانه لن يكون هناك خطر من حدوث تلوث على الاطلاق .

(ثانيا) فى حالة عدم اتخاذ هذه الاجراءات والتدابير ، فان الخبراء ينصحون بان تكون هناك مسافة قدرها الف متر بين وحدات الانتاج في المصنع وكذلك مخازن الامونيا او النشادر وبين اماكن التدريب والاسكان للطلبة فى مبانى الاكاديمية .

وقد طالبت من جانبى ، وباصرار بضرورة توفير امن العاملين ، اى تنفيذ الاجراءات التى تكفل عدم حدوث اى تلوث ، ووضع جهاز دولى محايد على الجانبين تكون مهمته رصد احتمال وجود ادنى تلوث فى الهواء ، على أن يتم هذا كله جنبا الى جنب مع توفير مسافة الامان المقترحة ، اى الالف متر .

وبناء عليه فقد تم نقل مخازن الامونيا لمسافة خمسمائة متر بعيدا عن سور الاكاديمية كما قمنا نحن من جانبنا بالتخلي عن نصف مبانى الاكاديمية والارض المحيطة بها ، على اساس ان يتم تعويضنا عما تنازلنا عنه من مبان وارض فى منطقة اخرى .

خطأ ما كان يجب أن يحدث

بقيت النتيجة الثالثة التى توصل اليها الخبراء فى تقريرهم ، وهى ليست بنتيجة ، وانما هى فى الواقع تحديد للسبب الذى ادى الى هذه المتاعب .. لقد ذكر التقرير بوضوح انه لم يكن من المناسب اقامة مصنع للاسمدة الكيماوية بجوار الاكاديمية .

ثبت اذن حدوث خطأ .. ومع كل خطأ يقع يبرز العديد من التساؤلات ، فهذه هى القاعدة .. وكان أهم ما اثير من علامات الاستفهام : « هل

١٢٥٨ دارسا

طلبة الاكاديمية العربية للنقل البحرى من الدارسين من مختلف الاقطار العربية حتى آخر عام ١٩٧٧ ، بلغ عددهم ١٢٥٨ طالبا موزعين كالاتى :

٨٠٧ طلبة الدراسات الاساسية بالاكاديمية .

١٦٦ طالبا بدراسات الضباط البحريين .

١٢٧ دارسا بمعهد ادارة واقتصاديات النقل البحرى .

٥٤ طالبا بمركز تدريب الفنيين البحريين .

وينتمى هؤلاء الطلبة الى ١٦ قطرا عربيا هى السودان ، وسوريا ، والكويت ، ودولة الامارات والبحرين وقطر والاردن والجزائر والسعودية ولبنان ومصر واليمن الجنوبى واليمن الشمالى وليبيا وتونس والصومال ، كما ان هناك طالبا واحدا جاء من كينيا .

(1) Intergovernmenetal Maritime Consultative Organization.

ضاقت الارض ، فلم يجـدوا في تلك البقـعة الملاصقـة للاكاديمية مباشرة ؟ ولم كانت هـذه المنطقة التي تبعد حوالي سـتين كيلو مترا عن قلب ميناء الاسكندرية ، تقطعها السيارة في اكثر من ساعة ، نظرا لعدم وجود طـريق ممهد اليها بعد اجتياز طـريق الجيش او الـكورنيش عند ميامي ؟ واخيرا وهو السؤال الاهم ، من المسئول عن هذا الخطأ ؟ ومتى ياتي الحساب ؟

لا نريد ان نخوض في تفاصيل هذه الاسـئلة المطروحة الآن ، فالموضوع كله امام القضاء وسوف يقول فيه كلمته .

موقف مصر الرسمي

ولكن لا بد لنا ان نسـتكمل الصورة . هل تحققت مطالب الاكاديمية كما اوضحها وحـددها مديرها العام العميد جمال الدين مختار ؟

توجهنا بسؤالنا هذا الى اللواء بحرى محمود السماك وكيل اول وزارة النقل البحرى ، وكان كما ذكرنا ، يستمع الى حديث مدير الاكاديمية وهو يشرح لنا ابعاد المشكلة كلها . وقال اللواء السماك الذى يشغـل ايضا الى جانب منصبـه الرسمي ، منصبا آخر في الاكاديمية ، فهو احد اعضاء مجلس ادارتها بوصفه ممثلا لوزارة النقل

مجموعة من طلبة الاكاديمية يتدربون على الاجهزة البحرية الحديثة في المعامل .. هذه الاجهزة تطابق تماما ما هو منها على السفن التي سيعملون عليها بعد التخرج .



● **اكاديمية النقل البحرى**



الضابط البحرى الكويتى عيسى محمد على عبد الله ٠٠ مع قبطان الباخرة الكويتية «الشدادية» ٠٠ امام جهاز القيادة فى ميناء الشويخ بالكويت ٠٠٠ تخرج الضابط من الاكاديمية ، وهو يقضى الان فترة التدريب العملى فى اعالى البحار٠

حرى . قال : « أود أن أؤكد لكم أن مصر لن
فر جهدا فى سبيل انجاح هذا المشروع الذى
، العرب جميعا ، وسوف نبذل كل ما فى
معنا لتذليل العقبات والصعاب التى قد تعترض
كاديمية فى مسيرتها العلمية نحو مستقبل أفضل
ياة أكثر رفاهية بالنسبة لاقتصاد الدول
ربية السميقة الممثلةوغير الممثلة فى الاكاديمية٠
ما حدث فيما يتصل بهذا « العرض » ولا
ل « المرض » الذى صادق الاكاديمية ، لن
تمر طويلا ، وسوف نقوم ببناء كل ما تحتاج
ه من مبان جديدة فى اى منطقة ٠٠ فى أى
ـة يختارها القائمون عليها ، من أجل تحقيق
ـافها والمضى فى رسالتها فهذه هى سياسة
ر تجاه كل عمل عربى جماعى على المستوى
ومى ٠٠ كل عمل يهدف لخير هذه الامة ، أرجو
تنقلوا على لسانى الى الامة العربية التى
ـنر فيها مجلتكم « العربى » وانا من قرائها ،
مصر سوف تفى بالتزاماتها كاملة . كما وردت
يقة المشروع التى وقعتها باعتبارها الدولة
سيفة، وبناء عليه فسوف تمضى فى توفير الارض
بانى لهذا المعهد الذى ذابت فى كيانه كل
ـاهد المصرية البحرية التجارية بكل امكانياتها
ـترية والمادية ، فليس من المعقول اذن أن تتخلى
ر عن هذا المعهد الذى ولد ليعيش وينمو
دهر » ٠

ونترك « المشكلة » ان جاز لنا أن نسميها مشكلة بعد أن حلت أو أصبحت فى طريقها الى الحل بفضل النوايا الطيبة ، وما أكثر ما سمعنا من أصحابها ٠٠ وكل ما قيل ويقال اليوم وكل ما شاهدناه على الطبيعة فى جولتنا وأحاديثنا مع المسئولين فى الاكاديمية يشير بصورة قاطعة الى أن هذا العمل العربى الكبير ، سوف يمضى فى مسيرته ، وفى طريقه المرسوم ، رغم كل الصعاب ، فهما بلغت ومهما كان حجمها ٠

انجازات الاكاديمية

وننتقل الى موضوع اخر ٠ الى الانجازات التى حققتها الاكاديمية منذ قيامها فى عام ١٩٧٢ ٠ أين هم الان ؟ كيف كانت الصورة فى بدايتها ، وكيف أصبحت اليوم ؟

وكان المتحدث هذهالمرة هو العميد بحرى الفونس صادق نائب مدير عام الاكاديمية للتخطيط والتعليم ، قال : « لقد حققت الاكاديمية انجازات ملحوظة وملموسة خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة التى انقضت منذ قيامها ، ويرجع الفضل فى ذلك الى تشجيع ومساندة الدول العربية الشقيقة الاعضاء فيها ، والى تأييد المؤسسات الدولية ، والى الجهود المستمرة التى يبذلها القائمون والمشرفون عليها ٠ لقد دخلت الاكاديمية عهدا جديدا فى عام ١٩٧٥ عندما عكف المعنيون

فيها على دراسة تطور نظم ومناهج وخطط التعليم بها ٠٠ اما من ناحية نظم التدريس فقد بدانا فى بحث امكان تطبيق نظام الساعات المعتمدة ، وهو النظام الجديد فى التعليم الذى اتبعتـه جامعة الكويت وجامعة الرياض وبعض الجامعات العربية الاخرى ٠

مساهمة الصندوق العربى للانماء

« واما من ناحية المناهج وخطط التعليم ، فقد اتجهت الدراسة الى بحث تطوير المناهج لمنـح درجـة البكالـوريوس فى الدراسـات البحـريه والهندسية والالكترونية والاقتصادية الى جانب لشهادات الاهلية ، وقد قدم الصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى فى الكويت ، معونة فنية للاكاديمية قيمتها ١٧٠ الف دينار كويتى (حوالى نصف مليون دولار) ، مساهمة منه فى تطوير انظمة العمل فى الاكاديمية ، كما كلف الصندوق الكلية البحـريه فى جامعـة نيويورك بتقديم دراسـه شاملة للاكاديميـة حتى يمكن تطبيق هذه النظـم الجـديدة ، وقـد تمت هـذه الدراسات ، بالفعل ، واصبح هناك تعاون فعلى مع الكلية البحريه الامريكيـة لتنسيق المناهـج الجديدة للاكاديمية وخدمات التعليم بها ، وسوف يطبق نظام الساعات المعتمدة اعتبارا من العام الدراسى الحالى ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ٠

وفى مجال تدريب البحارة والفنيين على السفن التجارية ، فقد تعاقدت الاكاديمية مع الحكومة اليابانية على ان تقدم الوكالة اليابانية للتعاون الدولى معونة فنية للاكاديميـة من اجـل تطوير مناهج التعليم الخاصة بالفنيين ، وتوفير المعدات اللازمة لتدريبهم ، على غرار ما هو متبع فى المعاهد البحرية اليابانية ٠

« كما ستوفد اليابان عددا من الخبراء للاشراف على تنفيذ المناهج الجديدة ومعاونة هيئة التدريس العربية فى اداء اعمالها وسوف تستقبل فى الوقت نفسه عددا من المدرسين والمدربين فى اليابـان ، لتدريبـهم على اسـاليب التعليـم المتبعـة فى معاهدهم ٠

بقى مجال الاقتصاديين والاداريين ، ويقول العميد الفونس صادق اننا بصدد ابرام اتفاق مع المعهد البحرى الهولندى فى ميناء روتردام لتطـويـر مناهج الدبلوم فى ادارة واقتصاديات النقل البحرى، وفى منح درجة الماجستير فى هذا التخصص للعاملين فى الشركات والمؤسسات والموانىء العربية » ٠

بين اليوم والامس

اين هم الان ؟ طلبة الاكاديمية ، وكيف كانت الصورة ، ثم كيف اصبحت اليوم ؟ بقية السؤال الذى طرحناه مع الحديث عن الانجازات ٠٠

ويقول نائب المدير العام للاكاديمية: «فى البداية، اى فى العام الدراسى الاول ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ ، التحقت الاكاديمية طلبة القسم التجارى بالكلية البحرية العسكرية ٠٠ وفى عـام ١٩٧٤ بـدات الاكاديمية فى توزيع طلبتها على مبانيها المؤقتة التى وقع عليها الاختيار فى ضاحية « سيدى بشر » بالاسكندرية ، وهو نفس العام الذى سجلت فيه مجلة « العربى » صورة هذا العمل الكبير فى بدايته (٢) ونجحنا فى توفير عدد لا باس به من اعضاء هيئة التدريس المتفرغين والزائرين ، الذين مكنهم القيام بعبء التدريس فى ظل ظروف صعبة وغير متكاملة كما استطعنا الحصول على السفينة « عايدة ٣ » للتدريب ، وقد اعارتها لنا وزارة النقل البحرى المصرية ٠

« وبدات هيئة التدريس تنمو وتتزايد عدد اعضائها منذ ذلك العام ، لقد بدانا ولم يكـن عندنا اكثر من ٣٥ مدرسا ، فاصبح عددهم اليوم اكثر من مائة مدرس واستاذ متخصص ويحمل غالبيتهم درجة الدكتوراه فى شتى فروع العلـم ٠ وقـد اوفدنا نحو خمسين استاذا الى الخارج للحصول على الدرجات العلمية والفنية العالية فى فروع التخصص البحرية ، وتفخر الاكاديميـة بـان بين اساتذتهـا اول اخصائيين عـرب يحصلـون على شهادتى المهندس الاول الممتاز والربان الممتاز من المملكة المتحدة ، كما تفخر ايضا بالمنح الدراسية التى قدمت لاعضاء هيئة التدريس بهـا مـن الجامعات والمعاهد البريطانية لاستكمال بحوثهم ودراساتهم فى مجـالات الهنـدسة والالكترونات البحرية ٠

---

(٢) اقرأ استطلاع العربى رقم ١٨٧ (يونيو ١٩٧٤) ٠

● أكاديمية النقل البحرى



طالبان عربيان من السعودية يقضيان فترة التدريب العملية على احدى السفن الكويتية بميناء الشويخ ثم يعودان بعدها الى دراستهما .

« لقد تخرج من الاكاديمية حتى الان خمسون دارسا او اكثر ، حصلوا جميعا على الشهادات الاهلية البحرية والهندسية ، وهم اليوم يعملون على السفن العربية المختلفة كضباط بحريين ومهندسين متخصصين .. ومن بينهم اول ضباط بحريين كويتيين وفلسطينيين وعراقيين وليبيين » .

وينهى العميد الفونس صادق حديثه بكلمة يعبر فيها عن تفاؤله بمستقبل الاكاديمية العربية للنقل البحرى ، رغم كل ما صادفها ويصادفها من صعاب ..

رجال الغد

وننصرف لنكمل جولتنا بين المبانى التى تحتضن ابناءنا ، رجال الغد الذين يتطلع اليهم وطننا العربى كله من خليجه الى محيطه .. ونعود بعد ان نستكمل رحلتنا التى استغرقت اسبوعا قضيناه معهم ، لنودع القائمين على هذا المشروع الحيوى، ويقول لنا العميد جمال الدين مختار :« اود وانا اودعكم ان اقول بكل الصدق ان موقف دولة الكويت الشقيقة كان كعهدنا بها دائما موقفا رائدا ورائدا لانها كانت اول دولة اعتمد مجلس وزرائها حصتها فى الاسهام فى مبانى الاكاديمية الامر الذى كان له اكبر الاثر فى ان تحذو بقية الدول العربية الشقيقة حذوها . ثم ان كبار المسئولين فى الكويت ، واخص بالذكر السيد سليمان حمود الخالد وزير المواصلات ، والسيد عبد الرحمن خالد الغنيم وكيل الوزارة ، لا يدخرون جهدا فى سبيل دعم الاكاديمية ومساندتها .

« واود ان اشير ايضا الى الدعم المالى الذى تلقته الاكاديمية مؤخرا من الشركة العربية البحرية لنقل البترول AMPTC، وتبلغ قيمته ٥٠ الف دولار سنويا لشراء معدات بحرية حديثة . كما قررت منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط اخيرا دعم الاكاديمية بمبلغ خمسة ملايين دولار .. من هذا كله يتضح حجم الدعم الكويتى والمنظمات العربية التى تقوم الكويت من خلالها بدور أساسى له ثقله » . ■■

منير نصيف

مايو ١٩٧٧

لقاح جديد ضد الكوليرا

● نجح العلماء السويديون في تطوير لقاح جديد ضد الكوليرا يفوق اللقاح القديم من حيث الحصانة. فهذا اللقاح القديم ، وان كان عظيم الفائدة في اعمال مكافحة الكوليرا من حيث هي وباء .. فانه محدود الاثر في الاصابات الفردية . فالمناعة التي يولدها في الافراد لا تجاوز ٥٠٪ وهي قصيرة الاجل على كل حال ، ولا تتعدى ستة شهور ، كما هو معروف .

وتجدر الاشارة الى ان بكتريا الكوليرا نفسها هي قوام اللقاح القديم .. وهم يقتلونها قبل ان يصنعوا منها تلك اللقاحات ومن شان هذه البكتريا ان تستثير الجسم الذي تدخله ، فيطلق هذا الاجسام المضادة بقصد الدفاع عن نفسه ضد تلك البكتريا .

ولما كان اكبر خطر يترتب على بكتريا الكوليرا هو في المادة السامة التي تفرزها لدى التصاقها بجدار المعى ، كانت اكبر مهمة تقوم بها الاجسام المضادة هي الحيلولة بين جدار المعى من جهة وبين البكتريا وافرازاتها السامة من جهة اخرى .ذلك ان هذه الافرازات تزيد جدار المعى قابلية لرشح الماء وتؤدي بالتالي الى جفاف الجسم Dehydratim بحيث تحدث الوفاة ، ما لم يلق المصاب بالكوليرا العناية الطبية الضرورية بالسرعة الكلية .

وجاءت الدراسات والابحاث التي قام بها مؤخرا فريق من العلماء والاطباء في السويد باشراف الدكتور هولجرم Dr.J Hol.ngrem والتي اوردت تفاصيلها مجلة ناتشر العلمية Nature في مقال نشرته للدكتور هولجرم وزملائه في عددها الصادر في ١٣ اكتوبر ١٩٧٧، حيث انصب الاهتمام على اللقاح القديم نفسه،واستهدفت التجارب التعديل في تركيب هذا اللقاح بما يكفل مضاعفة حصانته ..

وثبت للعلماء السويديين ان خير سبيل الى ذلك انما هو في ادخال المادة السامة التي تفرزها بكتريا الكوليرا في صنع اللقاح نفسه . وهكذا يصبح لدينا لقاح للكوليرا جديد يختلف عن القديم من حيث

الادمان ..

● كلنا يعلم ان الادمان على الخمر يلحق الضرر بصحة المدمنين .. وبجيوبهم.. اما الخسائر التي يتعرض لها الاقتصاد القومي بسبب الادمان فلعلها لا تخطر بالبال . وقد ظهرت في امريكا مؤخرا دراسة فريدة في نوعها حصرت تلك الخسائر وقدرتها في مبالغ محددة وحسب فئاتها المختلفة. ويعجب المرء لا لضخامة تلك المبالغ فحسب ،وانما للاساليب التي تمكنوا بواسطتها من تحديدها ايضا . وقد اجرت هذه الدراسة الرصينة دائرة الصحة العامة في جامعة هارفرد بالتعاون مع احدى مؤسسات القطاع الخاص المتخصصة في مثل هذه الدراسات وتعرف باسم «تحليل السياسة» Policy Analysis

اما الفئة الاولى والكبرى من تلك الخسائر فهي التي تترتب على موت المدمنين المبكر .. فالمدمنون يلقون حتفهم فيما بين ٢١ ــ ٥٩ سنة . ولو ذكرنا ان الرجال من غير المدمنين يعمرون في امريكا ٧٠ سنة بالمتوسط لتبين لنا المقصود بهذه الخسارة التي

تركيبه ومن حيث فعاليته • وذلك ان المادة السامة التى تدخل فى تركيب اللقاح الجديد ، دون القديم ، كفيلة بحمل الجسم الحى على اطلاق المزيد من الاجسام المضادة وكفيلة بالتالى بمضاعفة الحصانة التى يحصل عليها ذلك الجسم يتالي اللقاح •

وتمكن الدكتور هولجرم وصحبه من معالجة المادة السامة بحيث فقدت اثرها السام دون ان تفقد قدرتها على استثارة الجسم الحى وتوليد الاجسام المضادة فيه • وهكذا ضمنوا للقاح الكوليرا الجديد مزيدا من امن بعد ان كفلوا له مزيدا من حصانة ••

وثبت نجاح هذا اللقاح فى التجارب العديدة التى اجراها علماء السويد• الا ان التجارب كانت حتى شهر اكتوبر الماضى تجارب مخبرية اجريت على الفئران دون الانسان •• وقد لا يمضى زمن طويل حتى يستكملوا اختبار هذا اللقاح الجديد ويصبح فى متناول الجميع •

الكولسترول وفول الصويا

● انتشرت امراض القلب فى المدة الاخيرة ، لا سيما تلك التى يسببها الانسداد التاجى Coronary Thrombosi •• وانتشر معها الفزع فى ارتفاع نسبة الكولسترول فى دم الانسان نظرا للصلة الوثيقة بين ارتفاعها وبين تلك الامراض • من هنا كانت خطورة الاكتشاف الجديد •• اكتشاف ان فول الصويا كفيل بتخفيض نسبة الكولسترول فى الدم بقدر لا يستهان به •

ويعود الفضل فى هذا الاكتشاف الى فريق العلماء الطليان الذى شملوا فى تجاربهم عددا من المرضى الذين يعانون من ارتفاع نسبة الكولسترول •• وقسموا هؤلاء المرضى الى فئتين •• فئة (ا) التى سمح لها بتناول وجبات قليلة من الدهن (Low - fat) ولكنها تحتوى على بروتين حيوانى ، وفئة (ب) التى اعتمدت على البروتين النباتى فحسب •• على فول الصويا بالذات ••

واثبت الفحص ان نسبة الكولسترول فى افراد فئة (ب) هبطت بنسبة ٢٠٪ ••• ولكن نسبة الكولسترول مالبثت ان ارتفعت ثانية وعادت الى سابق عهدها لدى توقف افراد الفئة (ب) عن تناول فول الصويا •••

وتجدر الاشارة الى ان النسبة السوية لمحتويات الكولسترول فى دم الانسان تتراوح بين ١٥٠ ـ ٢٥٠

والموت المبكر

يلحقها الموت المبكر بالاقتصاد الوطنى ••

انها السنوات التى فاتت المدمنين والتى كان فى استطاعتهم ان يعيشوها ويعملوا فيها ••• فهذا العمل الضائع خسارة كبيرة بالنسبة الى اقتصاد الولايات المتحدة وقد بلغت بمجموعها ١٤٠٠٠ مليون دولار •

وتاتى بعد ذلك الفئة الثانية من الخسائر التى يسببها الادمان ، وقد بلغت بمجموعها مثل مبلغ الفئة الاولى تقريبا مع الفارق ان هذه الفئة الثانية مكونة من عدة بنود وتضم قيمة العناية الطبية والادوية التى قد يحتاجها المدمنون وقيمة الاضرار التى تترتب على حوادث الطرق والحرائق وغير ذلك مما يتسبب به المدمنون ••

يلى ذلك الخسائر الناجمة عن جرائم المدمنين ، والمبالغ التى ينفقونها فى سبيل مكافحة الادمان •• كبرامج التوعية الاجتماعية والثقافية •• وقد بلغت هذه الخسائر بمجموعها ٣٠٠٠ مليون دولار •

ملغرام فى كل ١٠٠ سم من الدم • وغالبا ما ترتفع هذه النسبة فى كبار السن والحوامل •• وهى ترتفع ايضا تبعا للاصابة ببعض الامراض كمرضى السكرى واليرقان Obstructive Jauldice والكلاء Nexhrosis والوتليف Primary biliary cirrhosis.. ولكن نسبة الكولسترول تهبط فى حالات اخرى كالالتهابات العادة والاصابة بمرض فقر الدم •••

وتجدر الاشارة ايضا الى ان مادة الكولسترول توجد فى الاطعمة ذات الاصل الحيوانى •• وبخاصة صفار البيض والكبد والكلى والمخ وكذلك فى الزبد والكريما ومستخرجات الالبان عامة •• وهى لا توجد فى الاطعمة النباتية عامة بما فى ذلك فول الصويا ، موضع التجارب الايطالية السالفة الذكر ••

بقى ان نذكر ان وجود الكولسترول فى الدم ضرورى لحياة الانسان • فبدونه لايستطيع الجسم ان يفرز بعض الهرمونات Steroid Hormones وبعض الاملاح الصفراوية B.liary.

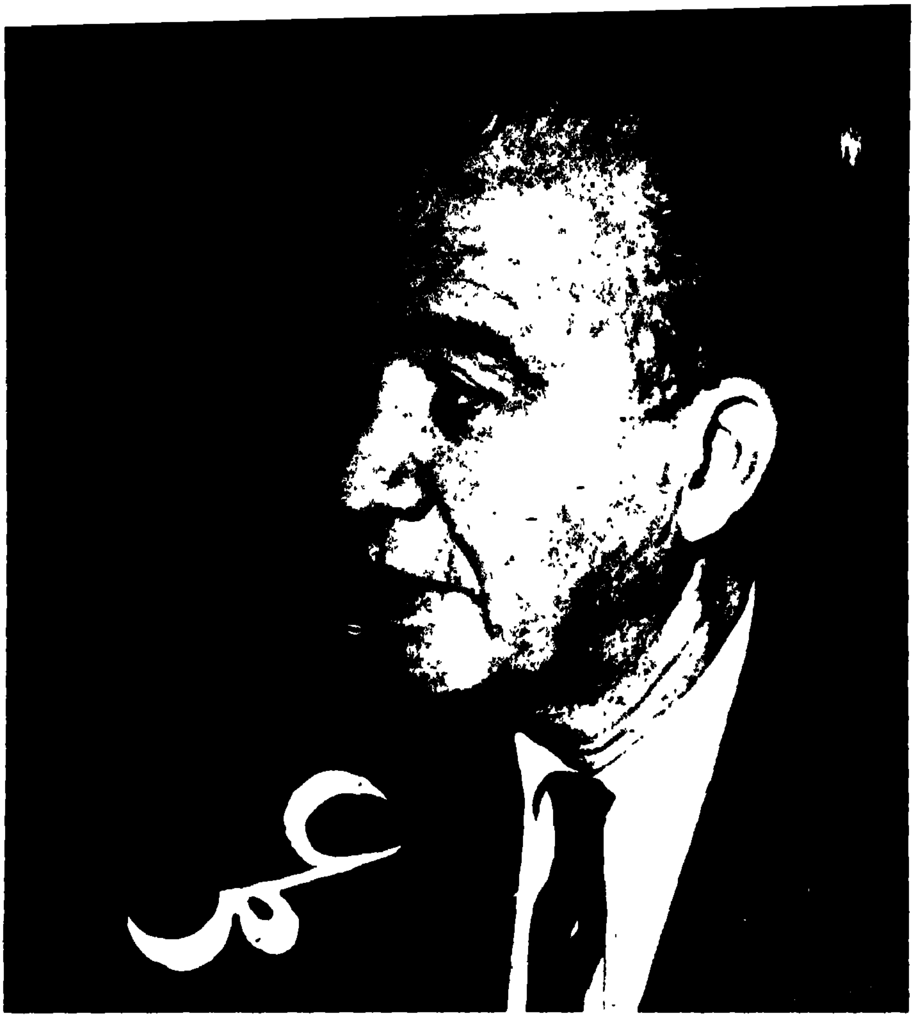
للحد من حوادث المرور

● سرعة السيارات الفائقة هي بلاريب سبب حوادث المرور المفجعة ••• وهي ايضا سبب اكثر المخالفات التي تسجلها شرطة المرور • وعلى كثرة مخالفات السرعة هذه فانها ليست بالكثرة التي كان يجب ان تكون عليها •• ويعزى ذلك لاسباب مختلفة ، من أهمها افتقار شرطة المرور الى اجهزة رصد دقيقة تستطيع تحديد سرعة السيارات المخالفة على نحو قاطع لا يقبل الجدل •

هذا ما حدا باحدى الشركات الامريكية الى ابتكار الجهاز المطلوب •• ويعمل هذا الجهاز بالرادار •• الا انه لا يطلق اشعة الرادار الا حين تصبح السيارة المسرعة ضمن نطاق الرؤية ، وحين يضغط الشرطى على ذراع الجهاز ، ينطلق شعاع الرادار نحو السيارة ويكشف سرعتها فى اقل من ثانية .

وميزة هذا الجهاز هى فى السرعة الخاطفة التى يعمل بها ••• فالاشعة التى يطلقها لا تكاد تظهر حتى تنجز مهمتها وتختفى فلا تدع فرصة لاكتشافها واحباط مفعولها •• باجهزة التعقيد اللاسلكي أو خلافها ••

هذا ويمكن استعمال الجهاز الجديد بطريقة اخرى •• فهو مزود بساعة ضبط السرعة StoPwatch •• وتستطيع هذه الساعة تحديد الزمن الذى تحتاجه السيارة المراقبة لقطع مسافة ما •••وتستطيع ايضا اعطاء سرعة السيارة بالمتوسط ••••



عمر ابوريشه

شاعر ، مجدّد ، رائد ،

بقلم : مصطفى عكرمة

ان الشعر العربى مدين لعمر ابى ريشة باسمى ما فى التجديد من معان .. لقد كان جريئا ، ثاقب الراى ، عميق الفكر ، بعيد النظر ، قوى الحجة ، رفيع الاسلوب ، قوى التاثير، شديد الوقع ، بالغ التاثير .

■ التجديد فى اى امر مهمة كبيرة وخطيرة ، واكبر ما تكون هذه المهمة واخطر فى شعرنا العربى ، اذ ان شعرنا العربى قد نعم على مر الزمان بشعراء اغنوا الشعربعطاءاتهم التى كتب لها الخلود ..



شعرنا العربي غني كل الغنى بموضوعاته التي ازدادت مع تقدم الزمان ، فشملت النفس الانسانية بكل صبواتها ، ونزعاتها ، وتطلعاتها، وهمتها ، ورقتها ، وافراحها ، واحزانها وتفاؤلها ، وتشاؤمها • كما لم يغفل الشعر العربي امور الحياة ما اختص منها وما عم ، فلقد امتدت موسيقاه حتى الى العلم فراحت تحفظ قواعده ، وتسجل انتصاراته ، وتواكب مسيرته ، فكانت الاراجيز العلمية •

كما لم ينس الشعراء العرب أن يسجلوا تجاربهم الطبية في قوالب الشعر الساحرة ايمانا منهم باهمية الشعر وخلوده ••• فسكبوا بذلك جمال الشعر على جلال العلم •

فها هو ابن سينا العالم الفلكي والطبيب والشاعر والفقيه يختصر للناس ادق قواعد الصحة فيقول :

ثلاث هن مهلكة الانام
وداعية الصحيح الى السقام
دوام مدامة ، ودوام وطء
وادخال الطعام على الطعام

ولقد كان لشعراء العربية جولات وجولات في مجال الفلسفة ، والتصوف ، وشتى امور الدين ••• اجد الحديث عنها يطول كثيرا ••

ولعلنا نذكر ان شعراءنا على امتداد الزمن لم يغفلوا امر الطبيعة وما فيها من مفاتن واسرار فنقلوها الى السطور لتحفظ في الصدور غضة حية بعد ان تاتي عليها « حوافر خيل الزمان المشت » فماذا بسحرها اثر بعد عين •

من لم يتنعم بارق انسام شعب (بوان) وهو يقرأ قصيدة المتنبي الساحرة في ذلك الشعب الرائع الجمال ؟ ••

ولما اطل القرن العشرون أبدع أمير الشعراء شوقي في مسرحياته الشعرية فاعطى لونا جديدا، واغنى الشعر العربي بتجربته الكبيرة وشاعريته المطواعة ليقتفي بعده الكثير من الشعراء هذا الاثر الجميل •

من هنا نجد ان التجديد في الشعر العربي أمر بالغ الخطورة والاهمية لان امتنا الشاعرة ظفرت ـ كما قلت ـ بنوابغ اغنت شعرها بكل رائع وجميل •

وما اجملها كلمة باقية تلك التي سجلها لنا الخليفة الراشدي العظيم عمر بن الخطاب حينما قال : « الشعر ديوان العرب » •

ولقد نعمت هذه الامة في عصرها الحديث بشاعر كبير اخذ على عاتقه امر التجديد بكل ما يعنيه التجديد من معان ، وما يتطلبه من ثقافة وجهد ، ليضيف الى شعرنا العربي الخالد صفحات مشرقة في سفر الخلود •

هذا الشاعر دعا ـ أول مادعا ـ الى التجديد ، وشكل مع اخوان له في حلب رابطة أدبية تسهم في أمر التجديد ، ولما لم تتفق الآراء في تلك الرابطة انفرد الى الشعر ليقدم البديل شعرا جديدا ، وليكون بذلك رائدا من رواد التجديد ، وكان من شعره اذ ذاك في قصيدة يحيي بها زائر حلب الشاعر احمد الصافي النجفي فيقول :

شعراء الزمان ياثاقب الرأي
نعاني من امرهم ما نعاني
لم يكدوا حناجر الشعر الا
في سخيف من فكرة ، أو معاني
لا يزالون يندبون ـ وقوفا ـ
فوق أطلال سالف البنيان
كيف يبكي الاطلال شاعر عصر
فيه ما فيه من سنا العمران ؟
ولئن حاولوا النسيب فما تسـ
ـمع الا نواحة الاوزان
ليس تخلو من ذكر ظبي وبان
أي حسن في الظبي ، أو في البان ؟
ان يك الشعر ما يرون فاني
منك يا شعر قد نفضت بناني

ما أرى الشعر غير رؤيتك الـرو
ع تجلت في محكم التبيـان (١)

ولنسمعه يبدى رأيه فى الشعراء والشعر فى قصيدة له قالها فى المرحوم الشاعر احمد شوقى سنة ١٩٣٢ :

ان تجدنـى أقول ما لـم يقلـه
فيـك فى الشرق نادب وثكـول
فلأنى كرهت سخف ابن هانـى
وابن أوس ومـن به تدجيـل
زلزلوا الأرض والسماء اذا مـا
ت حبيب ، أو غـاب عنهـم خليل
اعذب الشعر ما يشع بـه الصـد
ق ، وتمشى علـى هداه العقول

ومثل هذين الرأيين الجريئين كثير فى شعره وهو بعد لا يزال فى مراحله الاولى •

ولد شاعرنا لاب شاعر ، ونشـأ فى بيت دين وعلم وأدب على يد أمه ابنة شـيخ الطريقه الشاذليه فى فلسطين ، والتى كان لها الاثر الاكبر فى اعداده الاعداد الكامل لتحمـل مسـؤولياته الكبيرة ، والتى كانت تشعر أن وليدها مهيا لحمل هذه المسؤوليات •

وينتقل الفتى النابغ فى أيام صباه مع والده الذى كان موظفا فى السلك الادارى فى أجمـل مناطق سورية ، لينتقل بعدها الى رحاب الجامعة الامريكية التى كانت تعتبر فى ذلك العهد قبله أنظار من يتطلعون الى العلم ،وليطير بعدها الى بريطانيا ليتخصص هناك فى أدق مجالات العـلم « الهندسة الكيميائية » التى كان لها أثر بين فى اغناء تجربة هذا الشاعر الذى أطلع أثناء وجوده فيها على أعلى ثقافات القوم بلغتها الحية التى سرعان ما أصبح يتقنها •

ويعود الشاعر ليساهم فى وطنه بحمل رايـة الكفاح ضد المستعمر الفرنسى فى مرحلة •• بل فى مراحل كان العمل السياسى فيها من أخطـر الاعمال فيقضى الشاعر الكثير من أيام شبابه فى السجون والمعتقلات لما كان لمواقفه الجريئة ،وشعره اللاهب من آثار بالغة الخطـورة بالنسـبة للمستعمرين واعوانهم •

وقد كان للسجن يد فى تكوين شـخصيته ، واذكاء جراته النادرة •

وتبدأ مرحلة خطيرة جديدة من مراحل الكفاح السياسى لهذا الشاعر بعد الجلاء الا وهى مكاشفة الحكام ومقارعتهم ، فتختاره السـلطة رغبة فى التخلص من مواقفه التى كانت كفيـلة وحـدها بإقلاق راحتهم، وتعكير صفائهم ، وفضح أساليبهم، فترسله خارج البلاد سفيرا برتبة وزير مفوض •

وينتقل هذا السفير الجوال فى عواصم شتى من العالم فتكبر وتتعمق ثقافته العلمية والادبية والسياسية ، وتغنى تجربته التى انعكست فى شعره عطاء عز له النظير ، ولتبلغ بذلك لغاته التى يتقنها الثمانية الى جانب لغته العـربية الاصيلة ، وليكون بعدها عضوا فى خمسة مجامع علمية وأدبية الى جانب عضويته فى مركز الثقافة العالمية فى الهند والذى يبلغ عدد أعضائه الثلاثين من مثقفى العالم •

ذلك هو الشاعر عمر أبو ريشة (٢) •

والحديث عن عمر ابى ريشة طويل طويل •• يحار معه الدارس من أين يبدأ ؟ •

وأى جانب يختار ؟ •
وأى عمل يتناول ؟ •
انه شخصية عربية نادرة •

واذا تناولنا اليوم موضوع التجديد فى شعر هذا الشاعر فاننا لنأمل ان يكون لنا لقـاءات أخرى مع جوانب فنية أخرى من حياته – أمد الله فى حياتـه – ولان التجديد فى الشعر العربى – كما قدمنا – أمر بالغ الاهميـة والخطورة ، لاسيما وأن ادعياء التجديد كثيرون •

فى شعر عمر أبو ريشة – اذا استثنينا ميزة القص الرائدة – ثلاث ميزات أساسية :

١ – وحدة القصيدة •
٢ – الفنيـة •
٣ – التصوير •

---

(١) الابيات من قصيدة يحيى فيها الشاعر احمد الصافى النجفى أثناء زيارته الى حلب سنة ١٩٣٣ والقصيدة منشورة فى كتاب الدكتور سامى الدهان « الشعراء الاعلام فى سورية » •

(٢) ولد الشاعر عمر بن شافع أبو ريشة فى مدينة عكا سنة ١٩١٢ • انظـر مجلة الشرقية العدد ٨ سنة ١٩٧٤ •

فالقصيدة عند عمر ـ بالغة ما بلغت ـ تشكل وحدة موضوعية ، كل بيت فيها يقوم مقام عضو في الجسم المتكامل .

وربما يجد القارىء في قصيدة عمر أكثر من بيت جميل يستوقفه ، الا ان البيت عنده مهما بلغت جماليته فانه يظل مجرد لبنة في البناء الشامخ المتكامل الذي يعتمد الفكرة قبل كل شيء .

وتبقى بعدها مسؤولية الفكرة التي هي محور القصيدة ، اذ يندر ان تقرأ في شعر عمر ما سبق ان قرأت مثله في شعر غيره ، واذا حدث ذلك فانك واجد ـ بلا شك ـ طريقته الخاصة في عرض هذه الفكرة او تلك ، او رسم هذه الصورة ، او تلوين ذلك المشهد .

خذ مثلا هذا البيت القديم :

تأبى الروادف والثدي لقمصها
مس البطون وان تمس ظهورا

واقرأ في شعره هذا البيت :

يهفو القميص لمس حصريها .. وتأبى الحلمتان

فالصورة هنا اشف وارشق ، والمعنى ادق واصدق ، والتأثير اشد واعمق .

اما كلمات البيتين فللقارىء ان يتبين امرها : ويحضرني الآن مثال آخر على ماذهبت اليه .

يقول عمر الخيام :

واذا ما أتى لدى الشرب دوري
فاريقوا كاسي على الغبراء

وانظر معي الى مافي هذه الأبيات الثلاثة من قصيدة لشاعرنا عمر :

اسفا لم تزل رفاق لياليـ
ـه كراما على عهود وداده
تجمع الخمر بينهم ، فيخلو
ن فراغ اتكائه . واتساده
واذا مر ذكره قلبوا الكا
س على الارض حسرة لافتقاده

ويحضرني هنا ايضا قول الاستاذ الشاعر احمد الجندي في كتابه شعراء سورية صفحة ـ ١٢٣ ـ معلقا على هذه الصورة :

« ما اظن ان الشعر العربي كله فيه الكثير من مثل هذه الصورة التي فطن اليها عمر فاجاد تصويرها ، ورسم خطوطها ، ووضع ظلالها ، التي ينبغي أن تكون فيها » .

اضف الى ما قاله الاستاذ الجندي مافي الصورة من بعد نفسي هو غاية في دقة التعبير ، وروعة التصوير ، وقوة التأثير .

وقد استطاع عمر ان ينقي شعره ويخلص قراءه من آفتي التكرار والاعادة . انه كثير الايجاز ، قليل الحشو ، نادر الترسيم .

وهذه المميزات قلما توفرت لغيره على هذا النحو الذي توفرت لنا في شعره . اما عن الفنية فما احسب ان شاعرا بلغ في فنيته مابلغه هذا الشاعر .

يقول الدكتور شوقي ضيف : (٣)

« ديوانه متعة حقيقية » .

اما شيخ النقاد « مارون عبود » فيقول :

« الحق اقول ان في ديوان أبي ريشة شعرا طالما تمنينا ان نقرأه ونسمعه » .

ويقول في مكان آخر :

« اما الجمال فملء هذا الديوان الضخم ، وفيه فوق الجمال الفني تحليل نفسي رائع » . ويختتم شيخ النقاد مقاله عن ديوان الشاعر الذي صدر في أوائل الاربعينات بقوله : « لا تيأس يا عمر ، فانت من الفن في ذراه » (٤)

وما دمنا في مجال ما قيل في شعر عمر فلنقف قليلا عندما قاله الشاعر الاستاذ احمد الجندي في كتابه « شعراء سورية » (٥) .

« فان شعر عمر جديد بالنسبة الينا ، نحن الذين قرأنا امرأ القيس حتى شوقي ، ولكن هذا الشعر الجديد محافظ على القواعد اللفظية ، والنحوية . والعروضية ، لذلك كان تجديدا معقولا . ومقدرا حق التقدير ، وهو التجديد الذي نرمي اليه في كل ما نكتب وندعو له » .

والتشخيص . والتجسيد ، والتجسيم ، الذي

---

(٣) انظر كتابه « دراسات في الشعر العربي المعاصر » صفحة ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .
(٤) انظر كتابه « مجددون مجترئون » ص ٢٠٥ و ٢١١ و ٢١٣ .
(٥) انظر كتابه « شعراء سورية » ص ١٢٢ .

تعلق به عمر وملأ به شعره (٦) الى جانب ما ذكرنا فى وحدة القصيدة عنده جعل شعره من الطراز الاول فى فنيته ، ولا يحتاج طالب الدليل الى أكثر من ان يتناول اية قصيدة من قصائد هذا الشاعر التى يحدثنا عنها الشاعر الاستاذ احمد الجندى وهو من رفاق صباه (٧) .

« كانت القصيدة تلقى وتنشر ، وسرعان ما يتداولها الناس ويتلقفها الواحد من فم الاخر ، حتى تطغى موجتها على المدينة كلها » .

اما فن التصوير فهو ميزة عمر الاساسية فى فى شعره ، أو اذا شئت القول فانها « ميزته العمرية » .

تبدأ بقراءة قصيدته فتحار كم انفق هذا الشاعر من الوقت فى اصطياد الصور النادرة ، وكم بقى يحشد من عرائسها ليختار منها كل ما هو طريف ونادر فيفاجىء بها قراءه الذين يحترمهم ويقدم احترامه لهم شعرا « يدل دلالة بينة على قوة ملكة التصوير عند هذا الشاعر ، فهو لا يستطيع أن ينظم دون أن يحشد الاطياف ، والاشباح فى شعره ، وهو يعرضها بمناظرها ، ومفاجآتها المخيفة . اذ يعرف معرفة دقيقة كيف يباغتنا بالاشباح المثيرة » .

« وعلى هذه الشاكلة ما نزال نرى مشاهد رائعة عند هذا الشاعر الذى تشبه قصائده ادق الشبه السياحات الكبيرة ، ونقصد سياحات الخيال ، وهى سياحات تملأنا بالمتعة ، تملأ نفوسنا وقلوبنا ، وتدفعنا الى أن نقرأ فيه لاننا نجد فيه غذاء فنيا لا يلبث حين نقراه ان نتمثله ، وان نشعر بانه يضيف الينا ثروة جديدة ، لا ثروة خيالية فحسب ، بل ايضا ثروة نفسية ، فهو يقوى عزائمنا ويشد من ارادتنا » . (٨)

ولاترك القارىء الكريم الان هنا امام هذه المشاهد من قصيدته « مصرع الفنان » :

ســل دنياه بعدما سئم السير عليها ، وضاق فى بلوائه
مورد الفن مظلم لم يصوب فوقه الشرق مشعلا من ضيائه
ســار فيه وظلمة اليأس تطفى تحت انفاسها شموع رجائه
والصخور الجسام ناتئة الانـ ـياب تدمى اقدامه ، وهو تائه
ورؤوس الاشواك ترتد عنه وعليها ممزق من ردائه
والأفاعى تفح من كل صوب نازعات الى امتصاص دمائه
والامانى أمام عينيه أطيا ف سراب تموج فى بيدائه
فحنى رأسه الكئيب والقى بعصاه ، وضج فى بأسائه
وانثنى عائدا يشيع حلما يتلاشى فى مقلتى نعمائه
عودة الثاكل الحزين وقدنفـ ـض كفيه من ثرى ابنائه

وما اظن القارىء يستطيع ان يجد فى شعرنا العربى كله مثل هذه المشاهد المتتالية على هذا النحو من الاتساق والانسجام .

وليست هذه الابيات سوى مقطع من قصيدةمن بين مئات القصائد التى تسير على هذا النحو من التصوير الفنى الدقيق .

انه مجدد رائد .

يقول الاستاذ الشاعر عبد الله حلاق فى مجلة « الضاد » (٩) .

« لاريب ان الشعر العربى مدين لعمر أبى ريشة باسمى ما فى التجديد من معان شريفة ، وصور فكرية جميلة واخيلة مجنحة » .

ثمة ميزة اخرى فى شعر عمر ابى ريشة :

انه يعتمد البيت الاخير من القصيدة ، والذى يسميه عمر « بيت الاثارة » الذى ينقل القارىء

---

(٦) انظر كتاب الدكتور سامى الدهان «الشعراء الاعلام فى سورية » ص ٣٢٥ .
(٧) انظر المصدر نفسه ص ١٢١ .
(٨) انظر كتاب الدكتور شوقى ضيف « دراسات فى الشعر العربى المعاصر » ص ٢٤٠ و ٢٤٢ .
(٩) انظر مجلة « الضاد » الحلبية العددان ٣ و ٤ ص ١٠٤ سنة ١٩٧٤ .

خلاله الى مطلة عالية يطل منها على عوالم
ب يعيش مع جمال اكتشافى ما فيها من روعة
اجات بقدر ما تسمح له مخيلته ...

وهذه ميزة تكاد تنتظم فيها معظم قصائده مهما
نت مناسباتها .

لعمر الحق نقول :

ن الوطنية لم تظفر بشـاعر أرضى تطلعها
رها بعمر ابى ريشـة ، فقد كان الى جانب
نه النادرة ثاقب الرأى ، عميق الفكرة بعيـد
ر ، قوى الحجـة ، رفيع الاسـلوب ، قوى
ير ، شديد الوقع ، بالغ الاثر .

سمعه يقول :

رب وامعتصـماه انطلقت
مـلء افواه الصبايا اليتم
لامست اسماعهم . لـكنها
لم تلامس نخـوة المعتصم
لا يلام الذئب فى عدوانه
ان يك الراعى عدو الغنـم

فى مجال الشعر الدينى فلعل القـارىء
اننا ذكرنا انه نشأ فى بيت دين وعلم وادب.
ظ القارىء اننى لم اتعرض لذكر شىء عن
الدينى عند شاعرنا ايمانا منى بان هذا
ع يحتاج الى ان نفرد له بحثا خاصا ...
ه وغناه وارجو ان اقدمه فى مقبل الايام
عمر جولات وجولات فى هذا الميـدان ، ولا
منا ان نقف قليلا عند هذه الابيات التى
صورة فيها الكثير من الوضوح عن شاعرنا
، الدينى . والابيات من قصيدة القاها فى
الحج فى مكة المكرمة سنة ١٩٧٢ م .

فى موئـل النبـوة يا دنيـا
أزدى فـرائض الايمـان
م صـلاة صليت لم يتجـاوز
قدس آياتها حـدود لسـانى
صـيام عانيت جوعى فيه
وسيت الجيـاع من اخوانى
رحمت الشيطان والقلب منى
مـوثق فى حبائل الشـيطان
عموا ان عشت دينى الفـا
طـا عجافا .. ولم اعشه معانى

لى شـفيع يارب عنـدك انى
لم انم من غواية السـلطان

ولم يكن حظ المرأة فى شعر هذا المجدد الرائد بالقليل ، فقد تميز شعره الغزلى .. اذ انه لم يعر المرأة ، ولم يجزئها ، كما لم تكن عنده مثار عاطفة ، ولا نزه عيون ، ولا دمية ملونة يلهـو بها ، ولم (يفصل من جلد النساء عباءة كما انه لم يبن اهراما من الحلمات) .

انما كانت المرأة عنده دنيا من الالق والعبق والجمال اللا محدود الذى ابى عليه كبره وولعه بالجمال المطلق ان يشوهه بالتحديد والاجتزاء .

اسمعه كيف يخاطبها :

عرفت بك الله بعد الضـلال
فـدل البديع على المبـدع

★★★

يا تـوبة عن ضـلالى
ومنـة مـن زمـانى

★★★

لست انت التى أضمك بل ..
.. دنيا فتون ، وعالمـا علويا

★★★

مـات اليـوم الحانـى
والحـان الدنـا بعـدى

★★★

هويتك فى غصة المؤمنـين
الى جرعـة من فم الكوثر

★★★

انها نداءات قلب كبير قلما ظفرت المـرأة بمثلها .

وبعـد :

فهل وفيت تجديد عمر حقه فى هذه الصفحات؟

لا أظن .. فلا تعدو هذه الصفحات ان تكون شعاعا اخضر على عالم رحيب فسيح كثير الجمال والظلال تتكىء على تخومه شـموس الابـداع الخلاق ، وتغفو فى ساحته ملائك الحب والجمال ترشها عرائس السحر بالعطر والالق . ■■

دمشق – **مصطفى عكرمة**



رسالة النبى الى هرقل

بقلم : احمد عادل كمال

« اني اعلم ان صاحبك نبي مرسل، وأنه الذى كنا ننتظر ونجده فى كتابنا . ولكنى اخاف الروم على نفسى »

هرقل

● لايكاد العالم يخلو فى عصر من قوتين عظيمتين تتنازعان السيطرة على مقاليده .. الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، ومن قبلهما الحلفاء والمحور وقبلهما انجلترا وفرنسا وقبلهما انجلترا واسبانيا .. الخ . اما فى العصر الذى نعرض لقطة منه هنا فقد كانتا فارس والروم .. الاولى يحكمها ملوك اكاسرة والثانية يحكمها رؤساء قياصرة . اما المارد الذى سوف ينطلق عما قليل ليحل محل هذه وتلك فلم يكن بعد شيئا مذكورا على رقعة البسيطة . حينذاك وجه النبى صلى الله عليه وسلم كتبه مع مبعوثين الى ملوك الارض ، فكان منهم عبدالله بن حذيفة السهمى الى كسرى برويز ودحية بن خليفة الكلبى الى حاكم بصرى بكتاب ليسلمه الى هرقل الروم . هذه الوفادة الاخيرة هى موضوع مقالنا .

فى البدء عقد حلف بين كسرى برويز وبين موريس امبراطور بيزنطة ، ثم قام الروم بانقلاب قتلوا فيه موريس ففر ابنه لاجئا الى كسرى، الذى قرر حينذاك غزو بلاد الروم ، ووجه اليها ثلاثة جيوش انتزعت الشام ومصر واستولت على الصليب الاعظم نكاية فى المسيحيين وبلغت ابواب القسطنطينية . ونصب الروم فوقا خلفا لموريس ثم قتلوه لفجوره وسوء تدبيره ونصبوا عام ٦١٠ هذا الامبراطور « هرقل » كما اسماه العرب او هراكليس (الاول) ، كما كان ينطقها الروم.. اعتلى الحكم بثورة وظل يحكم ثلاثين عاما حتى ٦٤٠م وفى اثناء حكمه احتل الفرس انطاكية عام ٦١١م وكتب كسرى الى هرقل يقول :

« من كسرى اعظم الالهة وسيد الارض كلها الى عبده الغبى الذليل هرقل . انك تقول انك تعتمد على الهك ، فلم اذا لم ينقذ اورشليم من يدى؟!»

وبكى هرقل وسال الله ان ينقذ دولته ونذر فى سبيل ذلك النذور وهو يعد عدته لعمل مضاد. ثم استخلف ابنه على القسطنطينية وابحر بجيش كبير يزيد على سبعين الفا هبط به على سواحل ارمينية واصعد منها مسرعا صوب فارس تاركا جيوش الفرس بجوار عاصمته القسطنطينية لاتستطيع فتحها لحصانتها . وحقق تحرك هرقل مفاجاة تامة لدى كسرى برويز ، فاستولى على المدائن عاصمة الفرس وسبى نساء كسرى الذى فر امام ذلك الزحف . وانتقض شيرويه بن كسرى على ابيه

وقتله وعقد صلحا مع هرقل نزل بموجبه عن مصر وفلسطين وآسيا الصغرى وغرب الجزيرة ،واسترد هرقل الصليب واعاده الى كنيسة القيامـة بالقدس في ١٤ سبتمبر (أيلول)٦٢٩ م و نودى به محررا للمسيحية .

ابو سفيان شاهد عيان

في معاصرة تلك الاحداث بعث النبي (صلى الله عليه وسلم)دحية بن خليفه الكلبي الى هرقل . ونذهب الى ان تلك الوفادة كانت في شهر ذي الحجة ٧ هـ ـ ابريل (نيسان) ٦٢٩ م . وقـد تصادف وجود ابي سفيان بن حرب في الشام للتجارة في رحلة الصيف التي كانت قريش تالفها «ايلافهم رحلة الشتاء والصيف » . وكان مازال مشركا ، وقد اتاحت تلك المصادفة فرصة تاريخية ذهبية لوصف شاهد عيان لما كان من امر رسالة النبي (صلى الله عليه وسلم) الى هرقل . فقد اخرج البخاري في صحيحه والطبري في تاريخه والحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق بسلاسل متنوعة من الرواة ، عن عبدالله بن عباس قال حدثني ابوسفيان بن حرب قال : « كنا قومـا تجارا ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نهكت اموالنا ، فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله لم نامن الا نجد امنا فخرجت في نفر من قريش تجارا الى الشام وكان وجه متجرنا منها غزة فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بارضه من فارس واخرجهم منها وانتزع منهم صليبه الاعظم وكانوا قد استلبوه اياه . فلما بلغ ذلك منهم وبلغه ان صليبه قد استنقذ له ، وكانت حمص منزله ، خرج منها يمشي على قدميه متشكرا لله حين رد عليه ما رد ليصلي في بيت المقدس ، تبسط له البسط وتلقى عليه الرياحين .

« فلما انتهى الى ايلياء وقضى فيها صلاته ومعه بطارقته (قواد جيشه) واشراف الروم ،اصبح ذات غداة مهموما يقلب طرفه الى السماء ،فقال له ابن ناظور اسقف ايلياء وهي بيت المقدس :

ـ والله لقد اصبحت ايها الملك الغداة مهموما . قال : اجـل ، اريت في هـذه الليلـة ان ملـك الختان ظاهر .

قالوا : ايها الملك ما نعلم امة تختتن الا يهود وهم في سلطانك وتحت يدك ، فابعث الى كل من لك عليه سلطان في بلادك فمره فليضرب اعناق كل من تحت يده من يهود واسترح من هذا الهم !

« فوالله انهم لفي ذلك من رايهم يديرونه اذ اتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب يقودهـ وكانت الملوك تهادى الاخبار بينها ـفقال : ايها الملك ن هذا الرجل من اهل الشاء والابل يحدث عن امر حدث ببلاده عجب فسله عنه .

فلما انتهى به الى هرقل رسول صاحب بصرى قال هرقل لترجمانه : سله بما كان هذا الحـدث الذي كان ببلاده ؟

فساله فقال : خرج بين اظهرنا رجل يزعم انه نبي قد اتبعه ناس وصدقوه وخالفه ناس ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة فتركتهم على ذلك .

« فلما اخبره الخبر قال جردوه فاذا هو مختون . فقال هرقل هذا والله الذي رأيت لاماتقولون ،اعطوه ثوبه . انطلق عنا . ثم دعا صاحب شرطته فقال له : قلب الى الشام ظهرا وبطنا حتى تاتيني برجل من قوم هذا الرجل ، يعني النبي (صلى الله عليه وسلم) .

يـقول ابوسفيان « فوالله انا لبفزة اذ هـجم علينا صاحب شرطته ، فقال انتم من قوم هذا الرجل الذي بالحجاز ؟

قلنا نعم .

قال : انطلقوا بنا الى الملك .

امام هرقـل

فانطلقنا ، فلما انتهينا اليه (وهو في بيت المقدس) ، فدعاهم في مجلس ملكه وعلى راسه التاج وحوله عظماء الروم ، ثم دعا ترجمانه فقال:

ـ انتم رهط الرجل الذي يزعم انه نبي ؟

قلنا : نعم .

: فايكم اقرب نسبا وامس به رحما ؟

قلت : انا .

قال : ما قرابة ما بينك وبينه ؟

فقلت : هو ابن عمي .

وليس في الركب يومئذ احد من بني عبدمناف

غيرى • وايم الله ما رأيت من رجل ارى انه كان انكر من ذلك الاغلف (الذى لم يختتن ـ يعنى هرقل) • فقال : ادنوه •فاقعدنى بين يديه واقعد اصحابي خلفي ثم قال : انى ساسأله فان كذب فردوا عليه •

فوالله لوكذبت ماردوا على ، ولكنى كنت امرا سيدا اتكرم عن الكذب وعرفت ان ايسر ما فى ذلك ان انا كذبته ان يحفظوا ذلك على ثم يحدثوا به عنى ، فلم اكذبه •

فقال اخبرنى عن هذا الرجل الذى خرج بين اظهركم يدعى ما يدعى •

فجعلت ازهد له شانه واصغر له امره واقول له ايها الملك ما يهمك من امره ؟ ان شانه دون ما يبلغك • فجعل لايلتفت الى ذلك •

قال : كيف نسبه فيكم ؟

قلت : محض (خالص) اوسطنا نسبا ، هو فينا ذو نسب •

قال : فاخبرنى هل كان احد من اهل بيته يقول مثل ما يقول فهو يتشبه به ؟ قلت : لا •

قال : فهل كان له فيكمملك فاستلبتموه اياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه ؟ قلت :لا•

قال : فاخبرنى عن اتباعه منكم من هم ؟

قلت : الضعفاء والمساكين والاحداث من الغلمان والنساء واما ذوو الاسنان والشرف من قومه فلم يتبعه منهم احد •

قال : ايزيدون أم ينقصون ؟

قلت : بل يزيدون •

قال : فاخبرنى عمن تبعه ايحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه ؟

قلت : ما تبعه رجل ففارقه •

قال : فاخبرنى كيف الحرب بينكم وبينه ؟ أكل مرة يظهر عليكم ؟

قلت : سجال يدال علينا وندال عليه ، وما ظهر علينا قط الا وانا غائب ، ثم قد غزوتهم مرتين فى بيوتهم فبقرنا البطون وجدعنا الانوف وقطعنا الذكور •

قال : فاخبرنى ، هل يغدر ؟

فلم اجد شيئا مما سالنى عنه اغمزه فيها غيرها •

قلت لا ، ونحن فى هدنة ولا نامن من غدره • فوالله ما التفت اليها منى •

قال : فما يامركم ؟

يقول اعبدوا الله

قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباوكم ،ويامرنا بالصلاة وبالصدق والعفاف والصلة •

قال : اتراه كاذبا او صادقا ؟

قلت : بل هو كاذب •

قال قيصر : لا تقولون ذلك فان الكذب لايظهر به احد ، فان كان فيكم نبيا لا تقتلوه فان افعل الناس ذلك اليهود •

ثم كر على الحديث فقال للترجمان : قل له انى سالته كيف نسبه فيكم فزعمت انه محض من اوسطكم نسبا ، وكذلك ياخذ الله النبى اذا أخذه لا ياخذه الا من اوسط قومه نسبا • وسالتك هل كان احد من أهل بيته يقول بقوله فهو يتشبه به فزعمت ان لا • وسالتك هل كان له فيكم ملك فاستلبه اياه فجاء هذا الحديث يطلب به ملكه ، فزعمت ان لا • وسالتك عن اتباعه فزعمت انهم الضعفاء والمساكين والاحداث والنساء ، وكذلك اتباع الانبياء فى كل زمان • وسالتك ايزيدون ام ينقصون فذكرت انهم يزيدون ، وكذلك امر الايمان حتى يتم•وسالتك عمن يتبعه ايحبه ويلزمه ام يقليه ويفارقه ، فزعمت انه لا يتبعه احد فيفارقه وكذلك حلاوة الايمان لا تدخل قلبا فتخرج منه • وسالتك هل يغدر فزعمت ان لا ، وكذلك الرسل لا يغدرون •

وسالتك بما يامركم ، فذكرت انه يامركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به وينهاكم عن عبادة الاوثان ويامركم بالصلاة وبالصدق والعفاف والصلة فلئن كنت صدقتنى عنه ليغلبنى على ما تحت قدمى هاتين ، وهو نبى ، وقد كنت اعلم انه خارج ولكن لم اكن اظن انه منكم • ولو انى اعلم انى اخلص اليه لتجشمت لقاءه ، ولوددت انى عنده فاغسل قدميه •• انطلق لشانك •

فلما قال ما قال كثر عنده الصخب وارتفعت اصوات الذين حوله من عظماء الروم وكثر لغطهم فلا ادرى ماذا قالوا • وامر بنا فاخرجنا ، فقمت

من عنده وانا اضرب احد ... دى واقول : اى عـباد الله ، لقد امر امر ... كبتـــة (يعنى قوى واشتد) اصبح ملوك ... الاصفر يهابونه فى سلطانهم بالشام !

وقدم على هرقل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن خليفه الكلبى :

بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمد بن عبدالله ورسوله الى هرقل عظيم الروم

السـلام علـى من اتبع الهدى • أما بعد • اسلم تسلم • واسلم يؤتك الله اجرك مرتين • وان تتول فان اثم الاكارين عليك • ويا أهـل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون •

فاخذ الكتاب فجعله بين فخذيه وخاصرته •

انتهت رواية ابى سفيان (الاكارين الـــزراع والحراث • وفى رواية البخارى وابن عساكر : فان اثم الاريسين) •

يعلمه علماؤهم

ولابن شهاب الزهرى رواية اخرى تتم ما لـم يشهده أبوسفيان ، قال : « حدثنى اسقفللنصارى ادركته فى زمان عبدالملك بن مروان ، انه ادرك ذلك من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر هرقل وعقله ، قال فلما قدم عليه كتـــاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بـن خليفة اخذه هرقل فجعله بين فخذيه وخاصرته ثم كتب الى رجل برومية (روما) كان يقرأ مــــن العبرانية ما يقرءونه يذكر له أمره ويصف لـه شانه ويخبره بما جاء منه • ثم سار هرقل من بيت المقدس فلم يبلغ حمص حتى جاء جواب صاحب رومية :

انه للنبى الذى كنا ننتظره لا شك فيه فاتبعه وصدقه •

فامر هرقل ببطارقة الروم (قادة الجيش) فجمعوا له فى دسكرة (بناء بالقصر حوله بيوت) بحمص وأمر بها فاشرجت ابوابها عليهم (يعنى اغلقت) ثم اطلع عليهم من علية له وخافهم على نفسه وقال : يا معشر الروم ، انى قد جمعتكم لخير ، انه قد اتانى كتاب هذا الرجل يدعونى الى دينه ، وانه والله للنبى الذى كنا ننتظره ونجده فى كتبنا • يا معشر الروم ، هل لكم فى الفلاح والرشد وان يثبت لكم ملككم فهلموا فلنتبعه ونصدقه فتسلم لنا دنيانا واخرتنا •

فنخروا نخرة رجل واحد ، ثم ابتدروا ابواب الدسكرة ليخرجوا منها فوجدوها قد اغلقت •فقال كروهم على • خافهم على نفسه (ان هم خرجوا على ذلك) فقال يا معشر الروم انى قد ... لكم المقالة التى قلت لانظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الامر الذى قد حدث ، وقد رأيت منكم الذى أسر به •

فوقعوا له سجدا ، وامر بـابواب الدسـكرة ففتحت لهم فانطلقوا (أهـ) •

يقتلون اسقفهم

هذا ما كان من أمر هرقل مع قواد جيشه • فماذ كان جوابه على السفير دحيه ؟ يقول الرواة ان هرقل قال لدحيه بن خليفة حين قدم عليه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ! والله انى لاعلم ان صاحبك نبى مرسل وانه الذى كنا ننتظـره ونجـده فـى كتابنـا ، ولكنـى اخـاف الروم على نفسى ولولا ذلك لاتبعته ، فاذهب الى صغاطر الاسقف فاذكر له امر صاحبكم فهو والله أعظم فى الروم منى واجوز قولا عندهم منى فانظر ما يقول لك •

فجاء دحية فاخبره بما جاء به رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم الى هرقل وبما يدعـوه اليه.فقال صغاطر « صاحبك والله نبى مرسل نعرفه ونجده فى كتبنا باسمه » ثم دخل فالقى ثيابا كانت عليه سودا ولبس ثيابا بيضا ثم اخذ عصاه (عصا الاسقفية) فخرج على الروم وهم فى الكنيسة فقال:

يا معشر الروم انه قد جاء كتاب من احمد يدعونا فيه الى الله عز وجل وانى اشهد أن لا اله الا الله وان احمد عبده ورسوله » •

فوثبوا عليه وثبة رجل واحد فضربوه حتى قتلوه • فلما رجع دحية الى هرقل واخبره الخبر قال : قد قلت لك انا نخافهم على انفسنا ، فصغاطر والله كان اعظم عندهم واجوز قولا منى•

هذا جواب هرقل الاول ملك الروم على دحية

ابن خليفة الكلبي ولا نجد فيما بين ايدينا من مصادر رده على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ولعله اكتفى بهذا الرد الشفهي فلم يكتب اليه • ولكن الذي لا نرتاب فيه ان هرقل لم يكتف عن متابعة اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وانتشار دعوته وقيام دولته واتساع رقعتها ، ولا بد ايضا انه كان يتابع اخبار حروب الردة ثم خروج المسلمين لغزو العراق مع مطلع العام الثاني عشر ، ولعل ذلك الغزو قد بث في نفسه مشاعر متناقضة ، فان غزو المسلمين لدولة الفرس كان من شانه ان يمنحه شيئا من الاطمئنان حيث لم يكن احد يتصور ان يغزو المسلمون الامبراطوريتين العظيمتين معا في آن واحد ، ولكن اكتساح المسلمين العراق في تلك السهولة التي تمت بها قد اثارت قلقه الى ابعد مدى •

وفي تاريخ مدينة دمشق ان هرقل قد بعث رجلا عربيا من بني غسان الى النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى صفته والى علاماته ، الى حمرة في عينيه والى خاتم النبوة بين كتفيه ، وسال فاذا هو لا يقبل الصدقة فوعى ،شيئا، من حال النبي ثم انصرف الى هرقل يذكر ذلك له ، فدعا قومه الى التصديق به فابوا حتى خافهم على ملكه •

وفي نفس الوقت الذي كان هرقل يقابل اباسفيان ويستقبل دحية ، كان شجاع بن وهب الاسدي يسلم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن الحارث الغساني في دمشق وكان قومه عربا خاضعين للروم ،

«سلام على من اتبع الهدى وآمن بـه •

اني ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا شريك له يبق لك ملكك » وقرأ شجاع الرساله عليهم فقال المنذر: « من ينزع عني ملكي ؟ انا سائراليه! فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال « باد ملكه » •

ولا نجد في الاخبار ان الحارث سار الى النبي ولا قام باي عمل هجومي ، ولكن عرب الشام قد وقفوا بعد ذلك الى جوار الروم وكانوا وحدات في جيش هرقل يقاومون معه الفتح الاسلامي لبلاد الشام •

ومن تمام خبر هذه السفارة ان دحية بن خليفة في عودته الى المدينة حمل معه بعض تجارة الشام، حتى اذا مر بواد من اودية بني جذام اغارت عليه احدى بطونهم فاصابت كل ما كان معه ، وخف لنجدته بعض من اسلم من جذام فاقتتلوا حتى استردوا له ماله • واخبر دحية رسول الله بما كان فبعث سرية زيد بن حارثة الى جذام •

السفير دحية

هذا عن الرسالة • اما عن السفير الذي حملها ـ دحية بن خليفة ـ فقد كان من كبار الصحابة ، فان السفارة مهمة راقية لم يكن يكلف بها الا من استوفى صفات معينة ،فهو يمثل من رسله ويمثل جماعته ويمثل فكرته وعقيدته، ومن ثم كان لزاما الاطمئنان الى ايمانه اطمئنانا لا يتطرق اليه الشك مع تمتعه بالفصاحة والبيان اللازمين للتعبير عن فحوى الرسالة • وما نحسب النبي صلى الله عليه وسلم قد اكتفى في محاولته دعوة هراكليوس الاول واقناعه بصدق نبوته • بتلك الاسطر الستة التي احتوتها الرسالة ، بل نذهب الى ان السفير دحية قد قام ببيانه وعلمه وقوة شخصيته بشرحها والابانة عن فحواها ، ولا بد انه كان يتصف باللباقة والكياسة ورجاحة العقل وسعة الحيلة حتى يوفده النبي لمواجهة امبراطور بيزنطة في قمة انتصاراته واوج عظمته وايمانه بدينه ليعرض عليه الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد عيسى بن مريم عليه السلام •

واذا كان الروم يعنون بالزينة والابهة فقد كان مما اثر عن دحية جمال المظهر وحسن السمت حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ان جبريل كان ينزل على صورة دحية في مواضع كثيرة ، منها ماروى عنه انه قال يوم بدر «هذا جبريل يسوق الريح» كانه دحية الكلبي «اني نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور » وكان صلى الله عليه وسلم يحب دحية وقد اهدى اليه ثيابا من القباطي المصرية ، وفي فتح خيبر اصطفى صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي لنفسه وجعل ابنة عمها لدحيـة ولقد شهد دحية غزوة احد وما بعدها وشهد فتوح الشام وكان على كردوس يوم اليرموك واعتمد عليه ابو عبيدة بن الجراح في بعض فتوحه ، ثم نزل دحية دمشق وسكن المزة وعاش الى خلافة معاوية بن ابي سفيان • ■■

احمد عادل كمال

القناص

بيروت ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦

بقلم : نهى ايراني

■ الخير كثير والرزق كثير • فاكهة ، خضار ، لحم ، دجاج كلها لكم • وغدا هدايا والعاب • وبعدها ننتقل من هذا البيت الى آخر كبير • للبنات غرفة ، وللصبيان غرفة • طعام لذيذ وثياب جميلة ، ثم سيارة ولو صغيرة •

انظري ماذا احضرت لك : سلسلة ذهبية فيها قلب • افتحيه • ماذا فيه ؟ ارميها • وضعي مكانها صورتك •

تاخر الرزق على اليوم • كاد الياس يغلبني • الشوارع خالية والرياح تصفر فيها • كنت اسمع ارتطام حذائي الثقيل بالارض • وعلى امتداد بصري في الاسواق من كل الجهات لم تقع عيناي على كائن حي ، اللهم الا الاشجار المنحنية امام الدكاكين والبنوك المغلقة •

ترددت قليلا ، ثم حزمت امري واخذت ارتقي السلم قفزا • السلم طويل لان الاسلاك الكهربائية مدلاة الى قارعة الطريق • وصلت الى السطح وانا الهث •

لبثت ساعة وساعتين • لا شيء • اخذت اضيق ذرعا بالانتظار ، عيني في المنظار ، ولا بارقة امل •

ثم من بعيد لاح لي راس احمر • سيدة تصلح ستارة نافذتها • تنهدت • الحمد لله • جاء الخير اخيرا • حدقت فيها من داخل منظاري واطلقت رصاصتي العطشى • يا يوم النحس • يا لسوء الطالع • انحنى الشعر الاحمر يلتقط شيئا من الارض فكانت الخيبة نصيبي • لعنت حظي وشتمت الابالسة والجحيم •

الحياة صعبة • واللقمة عسيرة المنال ، والمال لا نقطفه عن الاشجار • عدت الى الانتظار •

منظاري يدور في كل الاتجاهات • كل احياء بيروت تحت منظاري • كل شوارعها خالية • لا سيارة مسرعة ، ولا كلب شاردا ، ولا قطة ضالة ، ولا طفل ، ولا حتى شبح او خيال •

مضت ساعات اخرى طويلة • ومن بعيد ، على بعد عدة شوارع مرت سيارة مسرعة • لم يكن لدي وقت كثير • اعتمدت على المنظار واتكلت على الله وارسلت رصاصتي تئز في الفضاء • دارت السيارة بضع دورات وارتطمت بالرصيف ، وعاد الانتظار •

بقيت عيناي مثبتتين هناك • ربما يلمح احد السائق فتاخذه الرافة ويحاول ان ينجده • مرت دقائق وصدق حدسي • رايت شبح طفل صغير يحاول فتح باب السيارة •

قارب النهار منتصفه ولم يكن رزقي الا اثنين • اين الهدايا والالعاب • اين الثياب • اثنان لا يكفيان •

عدت انظر الى السيارة • لم يقترب منها احد • لم تمتد يد الرحمة من احد لمعونة اي منهما ، ولا حتى الطفل • لكن امه لا بد آتية •

مر وقت آخر • ثم صدق حدسي مرة اخرى • جاءت تركض في منظاري • صاروا ثلاثة !

وفجاة سمعت وقعا خفيفا في الشارع • اطللت بحذر واذا رجل يسير بمحاذاة البنايات • وصل الى احد الدكاكين ففتحه ودخل ، ترك الباب مفتوحا نصف فتحة وغاب هنيهة ، ثم عاد يقفله في منظاري • اربعة •

ونزلت اليه • كان ما زال يتنفس والدم يدفق من فمه ، والمفتاح في يده • ثلاثة آلاف ليرة • ساعة ذهبية • سلسلة وقلب ثقيل • ولاحت مني

نظرة فرايت حوله اوراقا مبعثرة من كل الالوان. لعلها منشورات حزبية اخذت بعضا منها وعدت ارتقي السلم عائدا الى منظاري • على الورقة صورة بعض الحشرات وقد كتب فوقها بخط راقص : حرب الابادة • للقضاء نهائيا على جميع الحشرات اعتمدوا شركة المبيدات باتصالكم الفوري برقم الهاتف•• اسعار مدروسة ومعدلة • ملاحظة: كفالة لمدة سنة •

وعدت الى الانتظار • ارسلت بصري عبر الشوارع الى السيارة • كانت هناك وحولها السكون والطفل وامه •

ثلاثة آلاف ليرة واربعة حتى الان • ثياب ، طعام ، حلى ، وليالي انس بعد تعب مرير •

ولاح لي من بعيد رفيق سلاح • لابد معه مسدس او بندقية • لعله جاء يختار مركزا له احد هذه السطوح • وكاد يفلت مني بين البنايات لكنني تابعته ، تابعته وانتظرته من داخل منظاري الى ان ظهر خمسة •

وكالعادة ، صدق حدسي ، بل معه مسدس وبندقية • هذا الف وهذه الفان ، هذا هو الرزق السمين •

وعدت ارتقي السلم الطويل • اخرجت منديلي لامسح وجهي وانا الهث مرة اخرى • وقع من جيبي شيء • انحنيت التقطه • ولم اتمالك نفسي فابتسمت • صورتي بكامل زينتي اخذها لي بعض الرفاق • رآها ابني امس فصاح : ماذا تحمل يا ابي على كتفك ؟ لكم تشبه صورتك صورة الفلاح في كتابي وهو يحمل معوله ويبتسم مثلك••

عدت الى منظاري الغالي ، وعاد الانتظار • خمسة ، واليوم يكاد ينقضي لن يعود عليّ ذلك برضى كبير •

ومن بعيد رايتها تركض • تلبس البنطلون وتركض • ابتسمت وارسلت وراءها رصاصة تمازحها • اسرعت في عدوها وهي ترتج في بنطلونها الاحمر • وقلت في نفسي اتركها • ولكن لا • تذكرت الاولى • الخبيثة ذات الشعر الاحمر • لا بد ارسلك الله لي عوضا عنها •

وقبل ان تغيب في المنعطف • ستة • ■■



تجربة من اليمن

ليس فى .. المدارس وحدها يتعلمون .!





بقلم الدكتور : طه الحاج الياس

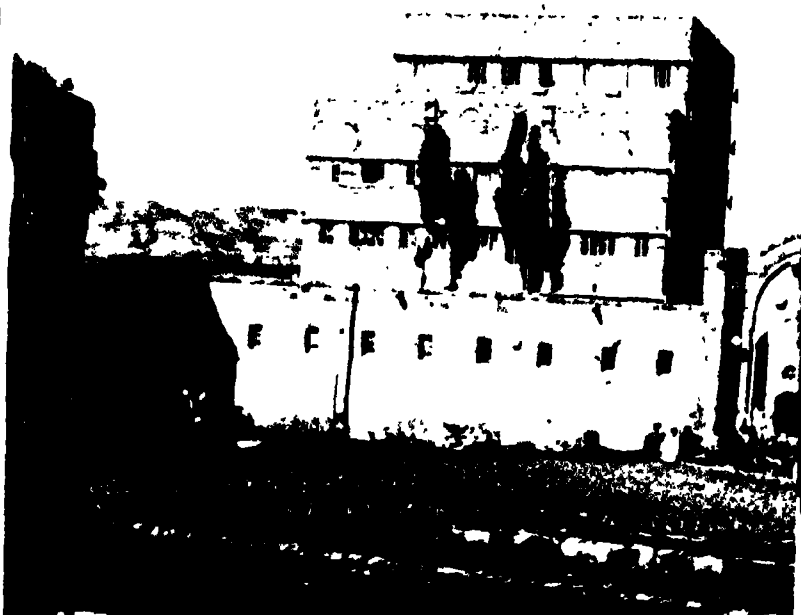
هذه تجربة فريدة فى عالمنا العربى المعاصر ، مشروع جديد ينفذ فى اليمن يفتح الباب لتعليم الجميع ، خارج ابواب المدارس والمعاهد • وهى صورة متطورة لحلقات العلم ، التى بدات بها عملية نقل المعرفة الى الحواريين والتلاميذ والمجاورين •

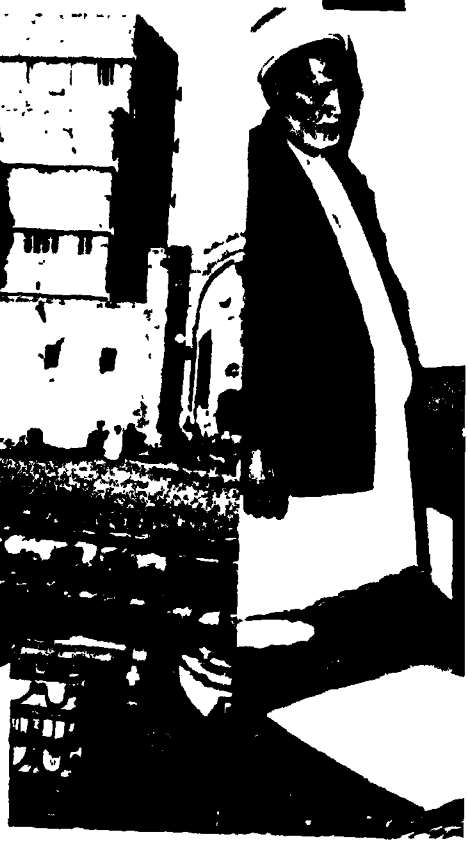
وهذه هى قصة التجربة من البداية :

قد يبدو اسم التعليم غير النظامى غريبا للبعض الذى الف ، ارتباط مفهوم غير النظامى بعدم التنظيم والارتجال او الارتباك خاصة وان التعليم فى بلادنا العربية عامة قد اقتصر ولفترة غير قصيرة على التعليم ضمن المؤسسات التعليمية ذات التدرج الصفى والمرحلى الذى يستلم المتعلم فى اول السلم ويرقيه درجة بعد اخرى الى ان يصل الى آخر ما تعارفنا عليه بالسلم التعليمى•

ولو تاملنا واقع التعليم والتعلم فى حياة البشر منذ العصور الاولى للحضارة وكذلك واقعهما فى حضارتنا العربية الاسلامية لوجدنا ان مفهوم التعليم والتعلم لم يكن يركز على مثل هذا التدرج









المقنن والمالوف حاليا والمتمثل بالمراحل الدراسية والصفوف المتابعة ٠

فلم تكن الحلقات الدراسيةالاولى ولا الجامعات الاسلامية القديمة تتبع السلالم التعليمية المعهودة بل كانت مجالات التعلم وحلقات الدرس والمناقشة مفتوحة لكل قادر وراغب بالتعلم دون ان توضع امامه عقبات المراحل ومتطلبات الامتحان والقبول والتدرج ٠٠ الخ من اساليب اصبحت ملتصقة

التصاقا مباشرا بما تعارفنا عليه بالتعليم النظامي ضمن المراحل الدراسية المتعارف عليها .

مشكلة « التعليم للجميع »

وقد بدا منذ زمن للعاملين في مجالات التربية والتعليم والمهتمين بامور التنمية الاقتصادية الاجتماعية قصور التعليم النظامي عن الاستجابة لمتطلبات المجتمع المختلفة من جهة ، وتحقيق رغبات المتعلمين وطموحاتهم من جهة اخرى ، هذا القصور عن مواجهة امكانات وقابليات المتعلمين الذين اخذوا يتزايدون باستمرار وذلك لان التعليم المنظم قد فرض على المتعلمين اساليب واجراءات لا يمكن للمتعلم الراغب في طرق مجالات العمل تجاوزها وعدم الايفاء بمتطلباتها .

وهنا واجه التعليم النظامي صعوبة فائقة حيث ان التعليم للجميع يتطلب الكثير من المال والرجال المؤهلين ، كما انه يحتجز المتعلم لفترة طويلة من حياته مرورا بالسلم الطويل لكي يستطيع بعد اجتيازه الاسهام الفعال في عمليات التنمية المختلفة والتي قد لا يتطلب الكثير منها ذلك النوع من الاعداد الاكاديمي او المهني الذي اعتصر الكثير من الجهد والمال واستغرق الوقت الذي كان يمكن ان يستغل بشكل افضل واسرع ليؤدي الى مردود اكثر تحقيقا لمتطلبات الفرد والمجتمع .

ولسنا هنا بصدد التفصيل في نواقص التعليم ولغراته ولكن ، يكفي ان نشير الى ان من اسباب احجام الكثيرين عن الالتحاق بالمدارس خاصة في المناطق الفقيرة يعود الى بطء مردود التعليم عليهم وعدم وضوح اهدافه لهم وعدم استجابته لحاجاتهم .

وكان لابد من ايجاد وسائل اخرى للوصول الى المتعلمين وتطبيق مبدأ ديمقراطية التعليم بشكل شامل سواء لمن كان في سن الدراسة او كان قد تجاوزها وسواء عاش في المدينة او الريف او كان قادرا على مواصلة الدراسة او غير قادر او كان اميا او متعلما .

وتجارب مكافحة الامية والتعليم الاساسي والجامعات المفتوحة كلها نماذج للاساليب التي اتبعت للابتعاد عن اساليب التعليم النظامي المقننة والوصول الى اوسع الجماهير باقصر الطرق واكثرها اقتصادا مع ضمان فعاليتها للمتعلم وللجميع .

والتعليم غير النظامي يمكن ان يكون شاملا لكل ما تقدم ذكره من تجارب للخروج بالتعليم من اسار الصف والكتاب والمرحلة الى انطلاقة الشمول والنظرة الشمولية لعملية التعليم والتعلم التي هي الحياة باوسع معانيها .

والتعليم غير النظامي لا يعترف بالصفوف ولا بالمراحل ولا بالدراسة كمؤسسة مقننة مغلقة تتحكم فيها المناهج والانظمة التي تحدد تعلم الطالب وسيره .

والتعليم غير النظامي ليس خاضعا لاحكام العمر او اختلاف مستوى المهارة او نوعيتها .

ومناهجه ليست مقننة تطبق على كل الطلاب في جميع المناطق في البلد .

وانجاز الطالب لا يقاس وفق اسس مسبقة مقننة وشهادته لا تؤهل للالتحاق بمرحلة تالية اذ لا مراحل للتعليم غير النظامي كالتي الفناها في التعليم المقنن ، والعاملون فيه لايشترط ان يكونوا من ذوي المؤهلات العالية التي تتطلب الاعداد الطويل .

ومدارسه او مراكزه لا تتطلب ذلك الشكل المتبع في الابنية المدرسية بمرافقها المختلفة .

حقيقة الامر

ويستغرب من الف التعليم النظامي ان يجد كل ما تقدم مفقودا من التعليم غير النظامي كما يتراءى له وحقيقة الامر ليست كذلك .

فالتعليم غير النظامي يتم في مراكز يجمع فيها المتعلمون حسب رغباتهم وحاجاتهم ولا يمنع ان تكون تلك المراكز ابنية مخصصة لذلك الغرض او ان تكون مساجد او معامل او مدارس او حتى في الساحات والهواء الطلق .

ومناهج التعليم غير النظامي تختلف باختلاف المتعلمين ، وحاجة ومناطق تعلمهم ، فحاجة المتعلم ومجتمعه هي التي تحدد رغبة المتعلم ما ينبغي ان يتعلمه .

ووسائل تقييم المتعلم يتعاون نفسه في تحديدها بما ينعكس عليه مباشرة من مهارات يجيدها ويحس انها تفي بحاجته .

ومعلم التعليم غير النظامي قد يكون معلما اعد من الحياة او اعد في مؤسسات خاصة • فالعامل الماهر قد يكون معلما لمن هم اقل منه مهارة والفلاح الجيد قد يصبح معلما لمن هم ليسوا على نفس الدرجة من الجودة في العمل والاطلاع فيه •

ومردود التعليم غير النظامي ليس بطيئا او غامضا بالنسبة للمتعلم فحيث انه انعكاس لحاجة المتعلم فيسهل عليه ان يقيس بنفسه مدى تحقيقه لحاجته وحيث ان المتعلم يعرف ما يريد فهو يستطيع وبسهولة ان يعرف اين بلغ وكيف يمكنه ان يستفيد مما استطاع تحقيقه من تقدم في المهارة ومدى تحقيق تلك المهارة لحاجاته •

والتعليم غير النظامي ليس تعليما للقراءة والكتابة بقدر ما هو تعليم وتدريب للمهارات الاساسية وتحسينه وتطويره لها « فالفلاح يصبح فلاحا افضل والعامل يصبح عاملا اكثر مهارة والمتعلم الراغب في الدراسة الاكاديمية او سواها يكون قد زود بمهاراتهما الاساسية اللازمة ان رغب في متابعة التحصيل » •

وهكذا نجد ان التعليم غير النظامي هو تعليم للحياة ، مشتقا من الحياة ومستندا اليها والى حاجاتها التي يحس بها المتعلم نفسه ويعمل على تحقيقها •

ولا يتسع المجال هنا الى المزيد من التفصيل في طبيعة التعليم غير النظامي ولكننا نعتقد ان الصورة المختصرة المذكورة فيما تقدم يمكن ان تعطي القارىء فكرة واضحة عما يدور في اروقة التربية والتعليم من نقاش حول اهمية الجامعات المفتوحة والتعليم الشعبي في تحقيق صور افضل للمجتمعات البشرية •

ولقد اهتمت منظمة اليونسكو العالمية ، ومنظمة اليونسكو العربية بهذا المجال الواسع من مجالات التربية والتعليم واقدمت على اجراء دراسات وتجارب كثيرة في هذا المضمار قد يكون من ابرزها في منطقتنا العربية ما يجري حاليا في الجمهورية العربية اليمنية حيث يقوم اوسع مشروع للتعليم غير النظامي •

الحاجة هي الاساس

ولعل من المفيد هنا ان نبرز بعض اوجه هذا المشروع الحيوي الهام الذي بدأ يعطي بعض ثماره في مناطق متعددة من الجمهورية العربية اليمنية •

فمنذ عام ١٩٧٤ قامت الجهات المسؤولة في الجمهورية العربية اليمنية وبالتعاون مع منظمة اليونسكو والبنك الدولي بوضع مشروع للتعليم غير النظامي والتدريب على المهارات الاساسية يتلخص في انشاء مراكز للتعليم غير النظامي في مناطق مختلفة من الجمهورية حرصت على ان تكون اكثر حاجة من غيرها لاي نوع من انواع النشاط التعليمي والتربوي •

وشكل لهذا المشروع جهاز يضم مجلسا وطنيا اعلى تمثل فيه اجهزة الدولة ذات العلاقة والمنظمات الشعبية المهتمة بامور تطوير المجتمع اليمني في جميع اوجهه •

ويختص هذا الجهاز بوضع سياسة التعليم غير النظامي المنبثقة عن الحاجات المحلية ويشرف على تنفيذها لا مركزيا •

والجدير بالذكر ان اساس السياسة ينطلق من اللجان المحلية في المناطق المختلفة التي تتولى اعداد حاجتها من مراكز التعليم غير النظامي ويترك للمنظمات الشعبية المحلية تحديد نوع وزمان النشاطات المناسبة التي يقرها المجلس الوطني ويوفر ما يلزم لتنفيذها من مال ورجال وامكانات اخرى •

فانطلاقة سياسة التعليم غير النظامي اذا هي حاجة المتعلم وحاجة منطقته ، ومسؤولية المجلس الوطني تتلخص في الاستجابة لتلك الحاجات ضمن اطار وطني يتوخى تحقيق الجهد والمال لما يبذلان من اجله •

وقد بدأت مراكز اربعة في مناطق متباعدة من الجمهورية باستقطاب المتعلمين بعد حملة توعية شاملة للمواطنين في تلك المناطق شملت النساء والاطفال والرجال بمختلف اعمارهم ومهنهم ، وجندت لها الطاقات الحكومية والشعبية وشملت الزيارات في البيوت ومحلات العمل في الحقول والمعامل والورش والمساجد واستغلت جميع وسائل الاعلام لهذا الغرض •وقد اثمر هذا المجهود بسرعة غريبة وذلك لان الذين تولوه هم من ابناء البلد، وغالبا من ابناء المناطق الذين دربوا تدريبا سريعا على القيام بمثل هذا العمل •

من كل الاجيال

ولما لم تكن هنالك مراكز مخصصة لجميع المتعلمين فقد استفاد القائمون على هذا النشاط من المدارس والمساجد والمحلات العامة الاخرى وبدات هذه المراكز بالعمل مستفيدة من جهد المعلم ورجل الدين والعامل الماهر والفلاح الماهر وربة البيت التى تجيد الطبخ او التفصيل او تربية الطفل ، والممرضه التى يمكن ان تسهم في التوعية الصحية.

وقد امتلأت هذه المراكز بالمتعلمين رغم عدم اكتمال متطلباتها خاصة ما يتعلق بالتدريب المهنى منها كوسائل التدريب الزراعي والصناعي كورش النجارة والحدادة والكهرباء .

واقبلت النساء بصورة خاصة على تعلم الخياطة والطبخ وتربية الطفل والكثير من الأمور المتعلقة بالصحة العامة بشكل يفوق التصور وذلك لوجود الحاجة الملحة لمثل هذه الامور في مجتمعات حرمت منها لاجيال عديدة .

ومن اطرف ما واجهته احدى العاملات ، انها وجدت في أحد المراكز ثلاثة اجيال من النساء في مجموعة واحدة جئن لتعلم الخياطة والطبخ وكانت الاجيال الثلاثة متمثلة بالجدة وابنتها وحفيدتها .

ومشروع التعليم غير النظامى رغم صعوبات كثيرة واجهها سائر في طريق التوسع والتنوع والتركيز وذلك حسبما سيوفر له من مصادر مالية من السلطات الحكومية او من جهات دولية .

ويمكن تلخيص ماحققه هذا المشروع من اهداف وكذلك مايهدف اليه التعليم غير النظامى بصورة عامة بما يلي :

١) تحرير النظام التعليمي من القيود التى تقف عائقا امام الكثيرين من المتعلمين بسبب ظروفهم الاجتماعية او الاقتصادية او حتى ما يتعلق منها بالقدرات والامكانيات الجسمية أو العقلية .

٢) اتاحة الفرصة لمن ترك الدراسة بسبب ظروف مختلفة ولم يستفد بالقدر المناسب لكى يعوض مافاته او يطور مهاراته وقابلياته في المجالات التى يحس بالحاجة فيها .

٣) نشر التعليم في البلد الواحد حيث يمكن انشاء مراكز التعليم غير النظامى في اية منطقة لاتمتلك القدرات المادية والبشرية اللازمة لانشاء المدارس النظامية حيث ان مراكز التعليم غير النظامى تتطلب ابسط المنشآت واقل الكوادر من حيث الاعداد والعدد .

٤) تخفيض كلفة التعليم الشعبى الى اقل قدر ممكن دون الحاق الضرر بالمردود حيث ان التعليم غير النظامى يحقق الكثير من اهداف التعليم النظامى ولكن بشكل افضل وبتكاليف اقل وذلك نتيجة لطبيعة التعليم غير النظامي ونوعية النشاطات التى تجرى فيه .

٥) تعليم المهارات الاساسية التى يحتاجها المواطن في حياته اليومية سواء منها ما يتعلق بالقراءة والكتابة والمهن والنشاطات الحرفية او ما يتعلق بالحياة الاسرية والاجتماعية وقضايا الصحة ونشاطات المجتمع المختلفة .

٦) ربط التعليم ونشاطاته بالحاجات المحلية واستغلال الامكانات المحلية وتطويرها وتحسين استخدامها .

٧) ربط التعليم المحلى بحاجات التنمية المحلية والوطنية والاقليمية ومساعدة المتعلمين على الالتحاق بسوق العمل في المجالات التى تتناسب وقابلياتهم والفرص المتاحة امامهم .

٨) تكوين الكوادر المدربة محليا والتى يمكن الاستفادة منها في مجالات التعليم والتعلم وكذلك في مجالات المهن والحرف المختلفة .

وما احرانا في بلادنا العربية ونحن نواجه مشكلة ازدياد الأمية رغم انتشار المدارس وتزايد اعداد الطلاب ورغم ماينفق من ميزانيات هائلة على التعليم من ان ننظر بجدية الى مثل هذه التجارب ونبدأ العمل الذى يفك التعليم النظامى من اساره ويجعل من التعليم حقا حقيقيا لكل مواطن مهما كان موقعه في الوطن ومهما كانت قدراته وامكاناته، وحينذاك فقط نستطيع القول باننا حققنا ديمقراطية التعليم واستفدنا من كل الطاقات التى يزخر بها مجتمعنا العربى ■■

صنعاء ـ د . طه الحاج الياس
مدير مشروع تطوير التعليم
بالجمهورية العربية اليمنية



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

قناة الغدة اللعابية

● انا رجل فى العقد الرابع منعمرى بدات منذ فترة اشكو من تورم فى اسفل الفك من الناحية اليمنى ،يصاحبه الم شديد فى الرقبة ، ويشتد هذا الالم كلما تناولت شرابا حامضامثل عصير الليمون او البرتقال او الاطعمة التى فيها توابل ٠٠ فما سببذلك ٠٠ وما هو العلاج ؟

ـ هذا تشخيصيوحى بان ما تشكو منهسببهوجود حصوة فى قناة الغدة اللعابيةمما يؤدى الى انسداد هذه القناة التى تحمل اللعاب الى داخل الفم ٠٠ وعند تناول اى شراب حامض او اكل التوابل يـزداد افراز اللعاب الحبيس فى القـناة فيحدث التورم والشعور بالالم فى اعلى الرقبة ٠

والعلاج الامثل لهذه الحالة هو استئصال الغدة المصابة بعملية جراحية ٠٠ وفى بعض الحالات يلجا الطبيب الى استئصال الحصوة فقط على امل الا تتكون مرة اخرى وان كان هذا الامل ضعيفا لان الحصوة تتكون مرة اخرى ، الامر الذى يضطر معه الطبيب الى استئصال الغدة المصابة باكملها.

التنفس عن طريق الفم



● الاحظ انابنتى البالغةمن العمر اربع سنوات ، تعانى من صعوبة فى التنفس عن طريق الانف مما يضطرها الى التنفس عن طريق الفم٠٠بالاضافة الى اصابتها المتكررة بنزلات البرد والسعال ٠٠ وعدم شهيتها للاكل مما ادى الى هزالها ٠٠ فما هو السبب ياترى ٠٠ وما العلاج ؟

ـ يبدو لى ان ابنتك مصابـة بتضخم الغـدد الليمفاوية الموجودة باعلى البلعوم خلف الانف وهو ما جرىعرف العامة على تسميته «لحمية بالانف»٠

ـ وهذا التضخم يسبب انسدادا مزمنا بالانف مما يجعل التنفس من الانف صعبا فيضطر الطفل الى التنفس من فمه لهذا ترى ابنتك تفتح فمها دائما ولايخفى ان التنفس من الفم يحرم الجهاز التنفسى من الحماية التى يوفرها مرور الهواء



داخل الانف فيصل الهواء الى الرئتين محملا بكثير من المواد الغريبة الضارة وكذلك فى درجة حرارة غير مناسبة مما يجعل الطفل اكثر عرضة للنزلات الصدرية كذلك فان التنفس من الفم يجعل من تناول الطعام واجبا ثقيلا غير محبوب فتقل شهية الطفل للاكل وتضعف صحته ويتاخر نموه .

والعلاج يكون باستئصال هذه الزوائد المتضخمة بعملية جراحية بسيطة لاتستغرق بضع دقائق .

« الحلأ »



● اصبت ببثرات مؤلمة بجوار شفتى تسمى «الحلأ» وقد شفيت منها باستعمال العلاج الا انها تعاودنى عدة مرات كل سنة واحيانا فى مناطق اخرى من الجسم ، فما هى اسبابها وطريقة التخلص منها ؟

ـ ان هذه البثرات مرض جلدى وتسمى الحلا البسيط Herpes Simplex ويتميز المرض بانه يتكون من مجموعة بثرات او حويصلات صغيرة فوق قاعدة محمرة من سطح الجلد وقد تكون هناك عدة مجموعات متفرقة ويكون الجلد الفاصل بينها طبيعيا ، وتحتوى البثرات على سائل اصفر شفاف فى البداية يتحول بعد بضعة ايام الى لون ابيض ثم تتكون قشرة تسقط بعد فترة .

وهذا المرض يحدث نتيجة الاصابة بفيروس خاص وكثيرا ما نلاحظه بعد الاصابة بالحميات وعادة ينتشر فى فصل الربيع والخريف ويصيب الاطفال والشباب اكثر من باقى الاعمار .

وهناك اسماء مختلفة لهذا المرض معتمدة على موضع الاصابة فقد تحدث فى الوجه او العين مما قد يؤدى الى فقد البصر . وقد تحدث على الشفاه وتسمى Herpes Labialis وقد تظهر على احد جانبى الصدر وتسمى Herpes Zoster كما انها قد تصيب الاعضاء التناسلية وتسمى Herpes Genitalis

وهناك بعض الاشخاص تكون عندهم قابلية الاصابة بالمرض ونلاحظ تكرار المرض عندهم عند تعرضهم للاصابة بالفيروس .

وعادة يحدث المرض فجاة حيث ينام الشخص كعادته سليما معافى ولكنه يستيقظ فى الصباح فيجد هذه البثرات يصحبها الم حاد يشبه اللسعة او الحرق مع بعض الحكاك واحيانا مع ارتفاع فى درجة الحرارة .

وقد يسبق الالم والحكة ظهور البثرات بحيث ان المريض المتعود على المرض يعرف انه ستظهر بعد قليل بثرات فى ذلك الموضع .

وتكون الاصابة شديدة فى كبار السن حيث انهم يحتاجون للراحة التامة .

ويتلخص العلاج فى استعمال دهان الزنك والاكتيول يوميا لمدة اسبوع حتى تجف البثرات ثم بعد ذلك ترش ببودرة مطهرة ولتخفيف حدة الالم يستعمل مرهم بروكايين وكذلك فيتامين ب بالفم او العضل .

النمش

● في صيف هذا العام ظهرت في وجه ابنتي بقع بنية ما فتئت ان انتشرت في دراعيها وقد علمت ان هذه البقع تسمى «نمشا» ٠٠ فما سبب هذا النمش وهل هو معد ؟

ـ النمش Freck es عبارة عن بقع صغيرة لونها بنى فاتح او غامق تظهر على البشرة في المناطق المعرضة للشمس والضوء ولذلك فهى تزداد فى الصيف او عقب التعرض للاشعة البنفسجية وهذا هو السبب فى انتشارها فى ذراع ابنتك نتيجةحلول فصل الصيف وتعرضها للشمس وارتداء الملابس بدون اكمام ، ويلاحظ انها تخف وقد تختفى احيانا فى فصل الشتاء وقد تظهر على شكل نقط متناثرة او فى مجموعات وهى نتيجة زيادة الميلانين الموجود فى البشرة ٠

والنمش عادة ينتشر فى الشقراوات ذوات العيون الزرق عنه فى السمراوات ولكنه يوجد بصفة خاصة فى المولدين حيث يظهر فى اغلب اجزاء الجسم خاصة المكشوفة منها ٠

ويبدأ ظهور النمش فى سن الطفولة ويصيب البنات والاولاد عند عمر ٦ سنوات ويستمر مدى الحياة ويزداد كل صيف الا انه ليس فى وجوده اى ضرر كما انه ليس معد ويلعب العامل الوراثى دورا مهما فى حدوثه حيث لوحظ انه يحدث فى التوائم وحتى فىنفس الاجزاء المتشابهةمن الجسم٠

وهناك نوع آخر من البثور يشبه النمش ويسمى العدس Lentigens وهو عبارة عن شامة تشبه النمش من حيث الشكل الا انها اغمق فى اللون وتوجد منذ الولادة وتنتشر كذلك فى الاجزاء المغطاة من الجسم ولا تتاثر بالجو او الصيف والشتاء ٠

واذا كان النمش منتشراً فى جميع الجسم فليس له علاج وانما ينصح بالابتعاد عن الشمس او استعمال الكريمات الواقية من الشمس وذلك لتخفيف حدة النمش ، اما النمش الذى يظهر على شكل بثور متناثرة فيمكن معالجته بمس الفينول بواسطة الاخصائى وهذا المس يؤدى الى تقشر النمش فيظهر تحته جلد طبيعى اللون ، كذلك يمكن استعمال الكريمات المبيضة التى تزيل اللون تدريجيا من البقع البنية ٠

الاسهال ٠٠ ماهى اسبابه ؟

● اشكو من اصابتي المتكررة بالاسهال ٠٠ فما هو سبب الاسهال٠٠ وما علاجه ؟

ـ الاسهال هو تعدد نوبات التبرز غير التى تعودها الشخص مع ليونة او سيولة البراز وفى بعض الحالات يكون مصحوبا بمخاط او دم ٠٠ وفى حالات اخرى يكون مصحوبا بمغص معوى يضطر المصاب للذهاب الى دورة المياه ليفرغ ما فى امعائه٠ وفى الحالات الشديدة يكون مصحوبا كذلك بقىء او ارتفاع فى درجة الحرارة ٠

وفى الحالات الخفيفة يكون الاسهال نتيجة لتعرض الانسان لاضطرابات عارضة تصيب الجهاز الهضمى كالتعرض للبرودة ، او تغير فى الطعام او اضطرابات نفسية عارضة ٠ والكثير من حالات الاسهال يرجع الى استعمال المسهلات بكثرة فى هذه الايام خصوصا القوى المفعول منها ٠ ثم هناك التسمم الغذائى الذى يصيب الاطعمة من تلوث بمكروب او بمادة كيماوية ، وفى هذه الحالات يكون مصحوبا بقىء شديد ٠ مع ارتفاع فى درجة الحرارة ٠

وهناك الدوسنطاريا التى تصيب القولون وهى نوعان أميبية وباسلية وتعتمد فى التشخيص على فحص خاص للبراز ٠

ثم هناك أنواع الحميات المعدية التى تصيب الجهاز الهضمى وأهمها التيفود والباراتيفود والكوليرا وهناك أمراض اخرى نادرة الحصول وتسبب اسهالا شديدا مثل الحساسية لانواع البروتينات المختلفة ودرن الامعاء ، وأمراض مختلفة ما زال البحث جاريا لمعرفة كنهها ٠

من هذا يتضح انه فى بعض حالات الاسهال المستعصية توجد حالات تحتاج لفحص دقيق وعمل التحليلات المختلفة والاشعة ، واخذ عينات من الجهاز الهضمى لمعرفة سبب المرض ٠ ثم بعد ذلك يكون العلاج ٠

ميخائيل

« مهما كانت مواهب الانسان
فانها لن تجديه نفعا اذا
ما انفصل عن وطنه »



شولوخوف
والرحلة من ريف القوزاق الى العالمية وجائزة نوبل

بقلم : الدكتور محمد جليل مصطفى

■ يعتبر ميخائيل الكساندروفيج شولوخوف الممثل الاكبر للنثر السوفيتي ، بعد جوركي• وشولوخوف عضو فعلي في أكاديمية العلوم السوفيتية ، وعضومجلس السوفيت الاعلي للاتحاد السوفيتي ، وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ،وعضو المجلس العالمي لانصار السلام ، كما هو عضو هيئات تحرير كثير من المجلات الادبيةوالثقافية . وعضو هيئة رئاسة اتحاد الكتاب السوفيت ، وحائز على جائزة لنين وجوائز الدولةووسام العمل الاشتراكي ، وحائز على جائزة نوبل ، والعديد من أوسمة وميداليات التقديرالعالمية •

وقد بدأ طريقه الادبي بعد ثورة اكتوبرالسوفيتية • وفي مقدمته لكتابه : « السهب اللازوردي » تحدث عن حياته فقال :

ـ ولدت في ١٩٠٥ ، في قرية كروجيلني ، من بلدة فيشينسكايا ، من منطقة الدون •

ـ كان أبي من أوساط الناس الذين امتهنواشتي المهن •• وكانت أمي نصف قوزاقية ، نصف فلاحة •• درست في مختلف المدارس الثانوية حتىعام ١٩١٨ • وكنت أثناء الحرب الاهلية في منطقة الدون •

ـ ومنذ عام ١٩٢٠ خدمت وارتحلت في بقاع الدون • ولامد طويل كنت احصل على ما يقيم الاود فحسب • وقد طاردت عصابات البيض حتىعام ١٩٢٢ ، كما أن العصابات طاردتنا • لقد مضى كل شيء على ما يرام •

ـ اكتب منذ عام ١٩٢٣ ، ومنذ هذا العام انشرما أكتبه في جرائد ومجلات الشباب • وقد أصدرت كتابي الاول عام ١٩٢٥ •

بداية النشاط الابداعي

لقد مضى التطور الابداعي لشولوخوف بسرعةفائقة للغاية • فبعد ثلاث سنوات فحسب من عمله في الصحافة ، بدأ العمل في روايته « الدونالهادىء » وفي عام ١٩٢٨ اصدر الجزء الاول للرواية ، الذي اجتذب في الحال انتباه الجميع ،والذي وضع شولوخوف في الصفوف الاولى لكتاب العهد الجديد •

وقد كرس السنوات الاولى لكتابة الاقاصيص •ومنذ أنذاك بانت الملامح المميزة لموهبته • واسمى كتابه الاول « اقاصيص الدون » • وفي البدايةوفيما بعد استمر شولوخوف في الكتابة عن الشيء الذي كان يعرفه أكثر من الجميع ، عن حياة قوزاقالدون (١) •

---

(١) القوزاق ـ شعب استوطن منطقة الدونوجبال القفقاس ، وهو شعب جبلي يتكون من خليط منالروس والاوكرانيين، ويمتاز بالفروسيةوالاباء وحدة الشكيمة وحدية العواطف والانفعالات ونهر الدون ـ اكبر انهار أوكرانيا •

ان طبيعة سهوب الدون ، وحياة وقيم القوزاق (فى مرحلة الحرب الاهلية ، بشكل أساسى) ، واللغة المشبعة باللهجات المميزة لمنطقة الدون ، ان كل هذا هو مما يشدنا ويجذبنا فى اقاصيص شولوخوف المبكرة (١٩٢٣ ـ ١٩٢٥) .

الدون الهادىء

لقد كتب شولوخوف رواية « الدون الهادىء » ، خلال عدة سنوات . فقد صدر الجزء الاول منها عام ١٩٢٨ ، وفى عام ١٩٢٩ صدر الجزء الثانى ـ وفى عام ١٩٣٣ ـ صدر الجزء الثالث ، وفى عام ١٩٤٠ ـ صدر الجزء الرابع والاخير .

ان هذه الرواية،سواء من حيث التناول الشامل للواقع أم من حيث عمق المشاكل المطروحة فيها، تشغل ، عن حق ، واحدا من الاماكن الاولى فى الادب العالمى . ولعل ادارة لجنة جائزة (نوبل) كانت مصيبة للغاية ـ هده المرة ـ يوم منحت هذه الرواية وصاحبها جائزة نوبل فى الاداب .

لقد صور شولوخوف فى هـذه الرواية ، على نحو واف للغاية ، حياة القوزاق قبل وبعد الثورة، وأصالة حياتهم ، وحدة النزاع والتنابذ الطبقى فى المجتمع القوزاقى،والسبل الشاقة والمريرة التى انتهجها القوزاق نحو الثورة ، محطمين القيادات الكولاكية ومقاومتها المستميتة للاصلاح الزراعى .

غير أنه مع كل أهمية الرواية ، كسجل فريد متميز لعصر القوزاق وحياتهم الماضية والجديدة ، فان شولوخوف يطرح فى هذه الرواية مشكلةاوسع بكثير . ففى مركز الرواية شخصية غريغورى ميليغوف. انمصيره حرىبالاعتبار وحافل بالدروس على نحو عميق . فقد اظهر شولوخوف فيه الطريق التراجيدى للانسان ، الذى انفصل عن شعبه . ود ر حياته ـ بالتالى ـ دون أن يظهر القدرات التىتمتع بها .

ان الاستنتاج الذى يبقى بعد كل احداث الرواية هو التالى :

مهما كانت مواهب الانسان فانها لن تجديه نفعا، اذا ما انفصل عن شعبه ، وان لم يمض سوية مع وطنه ، وان لم يناضل من أجله فى العمل السلمى وفى المأثرة القتالية . ان هذا الانفصال عنالشعب والمجتمع هو الذى حكم على غريغورى بالهلاك .

غير ان شولوخوف ، فى الوقت نفسه ، قدم غريغورى فى لوحة اجتماعية واسعة ، وفى خلفية رحبة . فان شولوخوف ، كأى فنان كبير ، يصور بمنتهى العناية ، كافة المشاركين فى الاحـداث ، التى تجرى فيها حياة غريغورى. أنه يظهر الانحلال الطبقى للمجتمع القوزاقى ، ويدخل فى روايته مادة وثائقية كبيرة . فان « الدون الهادىء » ـ هو ـ بشكل من الاشكال رقصة الحـرب الاهلية فى منطقة الدون ـ قصة انشاء الحياة الجديدة عن طريق القضاء على مقاومة العدو المستميتة .

الحياة الجديدة

« والدون الهادىء » ، فى الجوهر ، هى القسم الاول من رصده لمعالم الحياة الجديدة . أما القسم الثانى مـن هـذه الملحمـة فهـو رواية «الاراضى المستصلحة » التى سنتحدث عنها بعد قليل .

لقد أبدع « الدون الهادى» خلال سنواتعديدة. والى جانب محور الموضوعات الاساسى ، فقد أعير اهتمام كبير الى المشاهد الجانبية.غير أن موضوعة غريغورى وتطورها وتلاحم فصولها ونموها النفسى والفنى تقدم فى الرواية ، بذلك القدر منالوضوح والتميز ، بحيث أن الروايـة ، مـع كـل نسيجها وتركيبها تفهم ككل متكامل ، واحد .

ان لغةشغوص الرواية بالغة التفرد ـ والفردية ـ والدلالة الاجتماعية ـ السيكولوجية ـ الجمالية.

كما ان حديث المؤلف قريب من احداث ابطاله . ذلك ان لغة شولوخوف ـ قصاصا ، مشبعة بمختلف صنوف الكلمات المحلية . وليس ابطاله فقط ، بل هو نفسه ايضا ، متحدثا عن ابطاله،يدخل الكلمات والتعابير المميزة للغة القوزاق .

ان تنوع النسيج اللغوى فى الرواية ، يفضل الاختلاف والتنوع فى حديث ابطالها الرئيسيين ، والمرونة فى حديث المؤلف ، الذى يلتحم تارة بلغة الابطال ، ويتقهقر تارة اخرى ، فيما يستعير فى مناسبات اخرى،لغة الوثائق والارشيفات الخ...

ان كل هذا يشكل ، ملتحما معا فى آن واحد ، فنا روائيا فنيا ومعقدا يستجيب لتعقيد المادة الحياتية، المقدمة فى الرواية ، وعمق اضاءتها الفكرية .

الاراضى المستصلحة (٢)

بدأ شولوخوف فى عام ١٩٣٠ ـ العمل بالرواية

(٢) ظهرت هذه الرواية ، مترجمة الى العربية ،تحت عنوان (والارض البكر حرثناها) .

الجديدة «الاراضي المستصلحة» التي صدرت عام ١٩٣٧ •وفي هذه الرواية تظهر شخصيات القوزاق وابطالهم ، ولكنها تظهر ، هنا - في وضع واطار تاريخي جديد ، في عصر اشاعة المزارع التعاونية في الريف •

ان اهتمام شولوخوف يتركز ، هنا ، اذا ماقارنا الامر بما هو عليه في «الدون الهادىء» بدرجة كبيرة على كشف الانحلال الطبقي الاجتماعي في المجتمع القوزاقي • وبالطبع ففي رواية « الدون الهادى » يصور هذا الامر ايضا ، ولكن في مركز الاحداث ، هنا ، يشخص مصير غريغوري ، الذي يقدم تراجيديا واخلاقيا وجماليا ايضا،فيما يكون النضال الاجتماعي ، برغم كل اهميته ، هو الخلفية الواسعة - التي تبسط عليها مأساة الانسان - الذي اضاع وطنه •

اما رواية «الاراضي المستصلحة» فتتحدث عن اعادة البناء الاجتماعي للمجتمع القوزاقي وانتقاله الى التنظيم الاشتراكي للانتاج • ان ذات موضوع الرواية يبنى بشكل مغاير ، بالقياس الى رواية «الدون الهادىء»،كما ان الحياة الشخصية للابطال تشغل فيها حيزا صغيرا نسبيا ، اما في مركز الرواية فتشخص العناصر الاساسية لحياة المزرعة التعاونية •

ان رواية «الاراضي المستصلحة» ، شانها شان نتاجات شولوخوف الاخرى - تتميز بالاستاذية الفنية الرفيعة •

ان محتواها الفكري يتمتع باهمية خاصة - بفضل ذلك الغنى والتنوع في الوسائل التعبيرية، التي يستخدمها شولوخوف في فنه الروائي بالذات• وتتالق حيوية الشخوص المصورة في الرواية ، بفضل الديالوج (الحوار) والمونولوج (الحوار الذاتي) المتطور جدا •

ان كل بطل من ابطال الرواية يمتلك لغته المعددة جيدا ، وطريقته في الحديث ، التي تؤكد تفرده وتميزه ، كما تؤكد دلالته الاجتماعية - السيكولوجية = الجمالية •

وكذلك فان موضوع الرواية منفرد هو الاخر • وبخلاف البناء التقليدي للموضوع وتطوره على اساس احداث الحياة الشخصية للابطال ، فان شولوخوف يبني كامل موضوعه على قصة المزرعة التعاونية ، اي على احداث الحياة الاجتماعية •

والى جانب ادخال عنصر الفكاهة في الرواية ، فان شولوخوف يستخدم ، على نطاق واسع ، لوحات الطبيعة ويستثمر ذلك استثمارا ذكيا • وكذلك فان دورا كبيرا في اكتمال التفرد الفني للناس والاحداث المصورة في الرواية يلعبه ، ايضا ، حديث المؤلف ، وهذا «طلع متميز في الفن الروائي» ابدع فيه شولوخوف •

الحرب وما بعدها

تلقى المآثر القتالية للجيش السوفيتي تصويرا رائعا ، بقلم شولوخوف ، في كتابه الروائي الشهير « قاتلوا من أجل وطنهم » ، وفي كتابه « علم الكراهية » ، وفي قصته « مصير انسان » وسواها •

ان موضوعات شولوخوف تنعطف هنا ، انعطافا نوعيا حادا • فان شولوخوف الذي كان يكتب عن الحرب الاهلية وحرب التدخل ، وعن بناء الحياة الجديدة والمزارع التعاونية ومجتمع القوزاق وتطوره الصاعد بدأ يكتب الان عن مصير البلاد كلها ، في مجابهة مع خصم شرس اجتاح اوربا كلها ، نعني به الاخطبوط الفاشي •

ومن هنا فان اظهار وجه الفاشية ، وتغذية ذلك الشعور بالكراهية التي تستحقها الفاشية ، وهو الشعور الذي لم يتهيا له مواطنو شولوخوف ذوو العقلية القروية أساسا ، ان كل هذا ، معا ، كان احدى أهم المهمات التي نذر شولوخوف ، بصفته كاتبا مقاتلا ، نفسه للايفاء بها •

ومن هنا ، فان اوجرك شولوخوف « علم الكراهية » ، يتحدث ، بقوة كبيرة ، عن الفظائع التي ارتكبها الالمان بحق الاسرى السوفييت • وقد ساهم هذا الاوجرك ، على نحو فعال ، في ايقاظ الشعور بمقت الفاشية والحقد عليها •

أما رواية « قاتلوا من أجل وطنهم » فهي ليست مجرد سرد للمآثر القتالية للمواطنين المقاتلين ، بل هي تصوير فنان دقيق لتراجيديا الانسان في كفاحه من اجل أرضه ضد العدو الخارجي وضد العدو الداخلي أيضا ، وهي تراجيديا من النوع المهم جدا ، لان الانسان المقاتل من اجل أن يقضي على عدوه الخارجي يجب أن يقضي على كل القوى التي تحيط تعبئة قواه في الداخل ، واحيانا عليه أن يخوض صراعا كبيرا معنفسه - هو صراعضار

في الحقيقة ، ولعله اصعب بكثير من الصراع مع القوى الخارجية .

ان رواية « قاتلوا من أجل وطنهم » التي مسرحت واعدت للسينما، هي و (الدون الهادىء ، والاراضي المستصلحة) ، تشكل الثالوث الروائي الكلاسيكي لكنز الرواية السوفيتية المعاصرة ، كما تشكل ابرز اضافات شولوخوف الى الرواية الواقعية العالمية ـ والى فن الرواية المعاصرة عموما .

واذا كان النقاد يقارنون شولوخوف بسلفه العظيم تولستوي ـ من حيث الملحمية ، والجوقية ، والمشاهد الواسعة ـ واستثمار المشاهد الطبيعية ، والحوار والحوار الذاتي ـ والبناء الدرامي المتوتر ـ فانهم لم يعدوا الحقيقة حين اكدوا أن شولوخوف نهض بمهمة الرواية المعاصرة خير نهوض ، وقد اكمل رسالة سلفه تولستوي في الفن الملحمي الروائي الواقعي .

واذا كان شولوخوف يصر ، هو الاخر ، على انه مجرد تلميذ لتولستوي ودوستويفسكي وغوركي ـ واختيار هؤلاء الثلاثة ليس عبثا ـ فان شولوخوف اكد بذلك حقيقة موضوعية معروفة للنقاد الاوربيين عن الفن الروائي الروسي ، وهذه الحقيقة تقول أن القصصيين والروائيين الروس يكمل بعضهم بعضا ، ويفيد بعضهم من بعض ، ويطور بعضهم انجازات البعض الاخر . ان الرابطة بين التراث والمعاصرة ـ بين الاصالة والموروث وروح العصر ـ تتجلى ـ باعمق ما تكون ـ في نتاجات شولوخوف الروائية التي تقف على مصف واحد ـ مع افضل اعجازات الفن الروائي العالمي اليوم .

من المحلية الى العالمية

على أن كافة النقاد الاوربيين تقريبا ، وعلى الخصوص سبنسر وروزنبرغ وهوفمان ، يعترفون لشولوخوف بتفرد ، خاص به ، وهذا التفرد يمكن اختصار الحديث عنه في كلمتين (دون أن نتهم بالتبسيط والميكانيكية) هي الانتقال الذكي والفنان قبل كل شيء من المحلية الى العالمية ، من الخاص الى العام ، والملاحمة الجدلية بين الخاص والعام في كل انجاز روائي .

فان (الدون الهادىء) و (الاراضي المستصلحة) و (قاتلوا من اجل وطنهم) و (مصير انسان) و (علم الكراهية) .. ان كل هذه الانجازات تقوم على ميزة يتمتع بها شولوخوف هي الملاحمة الجدلية بين الخاص والعام ـ والانتقال المتبادل بين الخاص والعام والمحلية والعالمية ، والقومية والانسانية ، ومن هنا سر شعبية ورسوخ مكانة روايات شولوخوف ، وسر عالميتها أيضا ، رغم أنها تتحدث ، في الجوهر ، عن قضايا قومية خاصة ـ ومشاكل محلية « قوزاقية » ظرفية ، وهي لهذا كله فرضت نفسها على لجنة جائزة نوبل ، رغم انكاتبها عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي .

وقد سئل شولوخوف مرة عن سبب نجاحه في فنه القصصي الروائي فقال : ان السر يكمن في كوني أكتب بعصبية ، وبدم حار ، وانفعال انساني ، فانا لا أستطيع الكتابة بدم بارد عن فظائع الحرب ، ولا أستطيع أن لا أتعاطف مع مصائر ابطالي تعاطفا حميما .

ولعل الناقد هوفمان لم يعد الحقيقة حين قال في معرض تحليل عبقرية شولوخوف الروائية : ان شولوخوف فعل ما لم يفعله غيره من الكتاب الروس الدعائيين ، فقد كان ذكيا في تصويره احداث بلاده ، واحداث مجتمعه ، كما كان ذكيا في الانتقال من الخاص الى العام وبالعكس ، وكان اذكى من ذلك بكثير في تناوله المشاكل الانسانية الخالدة من خلال احداث ظرفية وقضايا قومية متميزة . ان العالم لا يستطيع أن ينسى الكوميديا البشرية أو البؤساء كما لا يستطيع أن ينسى الام فرتر ولا مسرحيات شكسبير ، مثلما لا يستطيع أن ينسى رواية (الام) لغوركي ، و (الدون الهادىء) لشولوخوف .

واليوم ، فان شولوخوف لم يعد أديبا روسيا محصورا في بيئة القوزاق ، ومنطقة الدون التي لم يفارقها الا لماما ، بل ان اسم شولوخوف على كل لسان يقرأ القصة أو الرواية ، لا لشيء الا لان شولوخوف فنان كبير ، قبل كل شيء ، وفنان ذكي ، لاحم في فنه الواقعي ، بين الايديولوجية ومتطلبات الفن السامي واستلهام روح العصر دائما وأبدا . ■■

محمد جليل مصطفى

الاستاذ بكلية الاداب ـ جامعة بغداد

أجبره على الأمر ، وجبره أيضاً

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ من أعظم الاعمال الشعرية الحديثة ، واطولها واطرفها بلغتنا ــ قصيدة « المواكب » التى بلغت (٢٣٠) ثلاثين ومئتى بيت ، وهى من نظم الشاعر المهجرى الالمعى جبران خليل جبران (١٨٨٣ ــ ١٩٣١ م) ، وكانت روحه الفنية لاتتنفس فى الشعر وحده ، بل فى الكتابة والرسم ايضا ، كما ان شاعريته ــ فيما نرى ــ كانت اكبر من قدرته اللغوية على افراغ خوالجه واخيلته كلاما منظوما حين يحاول النظم ، وقد اخرج هذه القصيدة سنة ١٩١٩ م ، وجعلها حوارا بين شيخ وشاب ، وبدأها بقوله على لسان الشيخ:

« الخير فى الناس مصنوع اذا جبروا »

وكان مما اخذه عليه بعض النقاد قوله فى هذا المطلع « جبروا » بمعنى اكرهوا ، اوقهروا، لظنهم ان الفعل الثلاثى « جبر » لايدل على هذا المعنى ، بل على شد العظم المكسور لاصلاحه ، او على ما يشبه الكسر (مجازا) من الاحوال السيئة او القاصرة ، كالضعف والفقر والزلل ، فيقال : « جبر فلان عظم فلان » كما يقال : « جبر ضعفه ، او فقره ، او عثرته » كما ظنوا ان الفعل الذى يدل على الاكراه هو الفعل الرباعى « أجبر » وحده وما يشتق منه ، او يصاحبه من تصاريفه .

وقبل مناقشة هذه القضية هنا بين الشاعر ونقاده للفصل فيها ، نبادر بذكر ملاحظتين استوقفتنا كلتاهما بدءا :

أولاهما : ما بين اسم الشاعر « جبران » ــ وهو اسم جده ايضا ــ وبين الكلمة « جبر » المتنازع عليها من مشاركة فى الجذر « ج ب ر » فهل فات جبران الاديب الشاعر ان يستنبىء المراجع اللغوية عن معنى اسم « جبران » الذى يكرر اسم جده ، ليعرف الكلمات المشتقة من هذا الجذر ، فيعرف معانيها المختلفة ، ومن هذه الكلمات « جبر » و « أجبر » « وجبران » ، وُما اليها ؟

والملاحظة الثانية هى هذا السؤال الذى لم ينقطع ولن ينقطع بين البشر فى زمان ولا مكان، منذ شرع أولهم يعى نفسه ، ويفكر فى علاقته بالوجود حوله : هل نحن مخيرون أم مسيرون ؟ او « هل البشر مختارون ام مجبرون او مجبورون فيما يعملون ؟ وما جزاء العمل فى الحاضر والمستقبل؟» فهل فات جبران المفكر الناضج الذى كان عمره يوم نظم قصيدة « المواكب » نحو خمس وثلاثين سنة ، ان يطلع ولو على قليل من فيض الاقوال التى يعج بها تراث قومه العرب ، وهم يبحثون قضية الجبر والاختيار ؟ وهل فاته ان يعرف أنهم قالوا « مجبور » كما قالوا « مجبر » بمعنى مكره او مقهور ، وان كلمة « مجبور » لاتكون الا من فعل ثلاثى هو « جبر » ، لانها فى ذلك كسائر الكلمات على وزن « مفعول » تعود الى فعل ثلاثى مستعمل او مهمل .

ان ايسر بحث فى المراجع العربية الفلسفية او الكلامية ــ وهى مئات ومئات ــ تدل على ان سلفنا الفصحاء استعملوا كلمة « مجبور » بمعنى « مكره » فهى لا ريب عربية فصيحة ، وليس لها من فعل الا « جبر » الثلاثى ، فهو مثلها فى الفصاحة العربية .

ثم ان مصدر الفعل « جبر » هو « الجبر » وقد نسب اليه فقيل« هوجبرى » او من « الجبرية » اى اصحاب المذهب او الفرقة التى ترى اننا مسيرون لا مخيرون ، وهذا يقابل المذهب « القدرى» او الفرقة « القدرية » التى ترى للبشر شيئا من الاختيار فيما يخضع لارادته ، او يقبل الخضوع

لها ، ولم يسم احد المذهب الاول بانه « اجباري» ولا اتباعه « اجباريين » .

ونرى في بعض اللافتات على طرق السيارات « اتجاه جبري » مع سهم يشير الى اتجاه معين وهذا يوجب على سائقي السيارات التزامه ،فهذا استعمال درج ولكنه فصيح ايضا .

وقد يستعمل « الجبر » بمعنى التكبر ، « والجبرياء » كالكبرياء وزنا ومعنى ، ومن ذلك ايضا « جبروت » كما قيل « رحموت » و « رهبوت» بمعنى الرحمة والرهبه . وكلها مصادر من الثلاثي ، ومثلها « الجبرية » (مصدر صناعي) بمعنى الاستبداد والقهر ، وقد تفتح الباءلتسامح العرب في صيغ النسب ، وقد كان بعض معاصري الدولة الاموية من الصحابة والتابعين ـ رضى الله عنهم ـ يسمون حكمها او حكومتها « جبرية » كما سموها « هرقلية » و « كسروية » اى استبدادية للتفرقة بينها وبين حكومة الخلفاء الراشدين التي كانت « مشيخية » او « ابويه » تقوم علىالشورى والتراضي و لسماحة اقتداء بسنة النبي عليه السلام ، ولدينا كتب التاريخ تشير الى الاختلاف بين الحكومتين الراشدة ، والاموية .

وهناك نحو سبعة مصادر بهذا المعنى ، لا يعنينا ذكرها لندرة استعمالها ، ويكفي ان نشير الى انها جميعا من مصادر الثلاثي ، وهو ايسر تصريفا من الرباعي .

وادنى من المراجع الفلسفية والكلاميةوالتاريخية الى ايدينا معاجم اللغة حتى بعض صغارها ، ومنها « المصباح المنير » الذي كان يوزع بالمجان على جيلنا ومن سبقنا في المرحلة الثانوية ، فقد ذكر في مادة « جبر » ـ نقلا عن كثير من ائمة اللغة الثقات ـ ان « جبرته » و « اجبرتــه » لغتان جيدتان ، وان لا وجه لانكار « جبر » بمعنى الاكراه .

ثم نزيد ان لا وجه لانكار سائر التصريفات من هذا الفعل الثلاثي ـ بمعنى القهر ـ سواء كانت شائعة الاستعمال ، مثل « مجبور » و « جبر » و « جبرية » و « جبروت » ، او لم تكن شائعة، مثل « جابر » بمعنى « قاهر » فيقال مثــلا « هل انت جابري على ما تريد دون ما اريد ؟ » اى هل تقهرني عليه ولا اريده .

وليلاحظ ان في هذا التوسع استكمالا للمواد اللغوية في حدود القواعد العامة ، وهو جائــز دائما ، بل هو واجب اذا دعت اليه ضــرورة او حاجة تعبيرية ، وهذا من طرق تنمية اللغــة على جذورها الاصلية .

وتصريفات الاصل الثلاثي كثيرة ، ومعظمها شائع الاستعمال في اللغة الادبية والدارجة ، بل هي فيهما اشيع استعمالا من تصريفات الرباعي « اجبر » .

ومن تصريفات الثلاثي ـ غير ما تقدم ـ كلمة « جبار » ، ومن اسماء الله تعالى « الجبار » و « القهار » بمعنى واحد ، وقد وردا فــي القرآن الكريم ، لان سلطان الله شامل يمسك خلقه جميعا ، فلا يقع منهم ولا بينهم الا ما يريد.

وتاتي كلمة « جبار » بمعنى المستبد او المسيطر، وقد وردت في القرآن بهــذا المعنى في مخاطبته للنبي عليه السلام ، موضحا لهحدود دعوتهالناس الى دينه فيقول : « وما انت عليهم بجبار » ، كما يقول له بالمعنى نفسه : « فذكر انما انت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » لان من اول مبادىء الاسلام حرية العقيدة والى ذلك يشير القرآن في قوله : « لا اكراه في الدين » وقوله : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فيكفر » الى كثير من الآيات في هذا المعنى وتفريعاته وحواشيه .

و « الجبار » ايضا المتمرد ، او المتكبر ، او العاتي ، إذ يزعم لنفسه من الحقوق على الاخرين ما ليس له ، وينكر حقوق سواه . وفي القرآن الكريم « وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم ، واتبعوا امر كل جبار عنيد » ، و « كذلك يطبع اللــه على كل قلب متكبر جبار » ومن كلمات الخليفة العبقرى الراشد عمر بن عبدالعزيز يصف الحجاج الثقفي « لو جاءت كل امة بجبارها وجئنا بالحجاج لغلبناهم » اى لغلبناهم » ، اذ كان عمــر يسخط الحجاج واعماله النكدة ، في استطالتــه على رعيته ، وعنفه بهم قتلا وحبسا وارهاقــا واذلالا باليد واللسان ، ولو دون مسوغ ، كانما سقطت لهم كلحرمة فنفرهم جميعا منه ولهــذا وصفه عمر بالجبروت ، وبانه « لا يصلح لدنيا ولا لدين » .

و « الجبار » بمعنى الجسيم ، او الضخم ، او الفائق لافراد نوعه خلقة او قوة ، سواء كان جمادا او نباتا او حيوانا ، او انسانا ، فلنــا ان نصف النيل ، او دجلة او الفرات ، بانــه

« نهر جبار » ، ونصف الاهرام وناطحات السحاب بانها « ابنية جبارة » ، وكذلك يقال فى الحوت والفيل ووحيد القرن والتمساح ، وتسمى النخلة الطويلة عند العرب « الجباره » ولنا ان نصف بذلك الغابات الكبرى فى افريقية والهند ،وكذلك الصحارى المترامية والجبال الشاهقة ، كما يمكن ان يقال فى « محمد على كلاى » انه « ملاكم جبار » ،وفى « عدنان القيسى العراقى » بانه « مصارع جبار » ، لان كلا منهما غلاب لخصومه، وبهذا المعنى وردت كلمة « جبارين » فى القرآن الكريم وصفا للعمالقة فى بعض قصص موسى، اذ طلب من قومه ـ عقب خروجه بهم من مصر ـ ان يقتحموا على العمالقة ارضهم كنعان (فلسطين) فقال له قومه : « ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون » ثم قالوا له « اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » .

وقريب من هذا المعنى استعمال « جبار» وصفا لكل فائق فى صناعته أو مجاله ، فطربا كان مجاله او عمليا ، فمن جبابرة الحروب البرية الاسكندر الاكبر ، وهنى بعل (هنيبال) ويوليوس قيصر ، وبلزاريوس ، وخالد بن الوليد ، والمثنى ابن حارثة ، و لمهلب ، ورومبل ، ومنتجمرى ومن جبابرة القادة فى البحر نلسون ، ومن جبابرة الشعراء هوميروس ، وفرجيل ، وبشار ، وابن الرومى ، والمتنبى ، والمعرى والشريف الرضى ، والفردوسى ، وسعدى الشيرازى ، وجلال الدين الرومى ، ودانتى ، وشكسبير ، وجيتى ، وتاجور ومحمد اقبال ، ومن جبابره الفلاسفة سقراط ، وافلاطون ، وارسطو ، والفارابى ، وابن سينا ، والغزالى ، وابن رشد ، ومن جبابرة الفقهاء والمشترعين عندنا عمر ، وعلى ، وابن عباس ، وجعفر الصادق ، وابو حنيفة ، ومالك والشافعى ، واحمد بن حنبل والغزالى ، وابن تيمية ، وابن القيم ، ويمكن ان يوصف بذلك كبار الزعماء،والمصلحين ،والصوفية، والادباء ، والروائيين والعلماء ، والنقاد ، والمخترعين والممثلين ، والمغنين ، والرسامين ، والموسيقيين ، والرياضيين ، وكان الزعيم المصرى سعد زغلول يصف استاذنا العبقرى « عباس محمود العقاد » بانه « صاحب القلم الجبار »

ويلاحظ فى كل هذه الكلمات المشتقة من الثلاثى « جبر » انها تشترك فى معنى الشدة ، وتقترن بالقوة ولنا ان نقول ايضا فى « جبر العظم » انه مقرون بالشد او الشدة ، فالعضو المكسور لا يجبر الا بشده حتى يعود الى اقرب اوضاعه الصحيحه ، ثم لا بد من شد جبيرة صلبة عليه ، فالشده ملاحظة فى الجبيرة ، وفى حال الجابر وحال المجبور ، ثم ان العضو المكسور اذا جبر صوابا اشتد بعد ضعف حتى يشفى ، ثم هو يشتد بعد الشفاء ، وقد يزداد حينئذ على شدته الاولى ، كما دلتنا على ذلك الملاحظة والتجربة ، فيكون اضخم واقوى مما كان ، بسبب ما يتولد حول موضع الكسر من اسناد عظمية دقيقة .

ومن الملاحظات الطريفة عند العرب وصفهم الرجل القوى الساعدين ، بانه « كسر ثم جبر » وكذلك وصف المنذر بن الجارود الامام عليا حين رآه لاول مرة ولم يكن يعرفه ، وذلك عقب خروجه من المدينة ، وانتهائه مع كتائبه الى البصرة قبل موقعة الجمل ، فكان مما وصفه به « رجل كانه كسر ثم جبر » اى قوى الساعدين، وقد كان الامام على كذلك فى اعلى الدرجات فكان فى كل مبارزاته غلابا ، حتى لم يكن الفرار امامه عارا ، كما لو كانت قوته قدرا من الاقدار الطبيعية .

وننهى هذه الجولة بان الفعل الثلاثى «جبر» وما يوخذ منه يدل على معان كثيرة منها اصلاح العظام ، ومنها القهر والاكراه ونحوها واما الفعل الرباعى « اجبر » فانه لا يدل الا على القهر او الاكراه ، وكذلك الفعل الثلاثى وما يؤخذ منه اكثر استعمالا فى اللغة الادبيه واللغة الدارجة ، وكلها عربية فصيحة .

وما دام استعمالها فى الدارجة لا يخرجها من عروبتها ، فاستعمالها اولى لاننا نبتغى الكلام السهل فى الموضوعات العامة لكى يكون مفهوما للجمهور ، وهذا مقتضى البلاغة الاصيلة البسيطة ، وهكذا ينبغى حين نكتب او نتكلم بالفصيحة للجمهور ـ على مقتضى البلاغة ـ فنختار المفردات والتراكيب المانوسة ، لانها ايسر فهما على من يعنينا ان يفهمونا ، ما لم تلجئنا الى غير هذا الاسلوب حاجة او ضرورة بلاغية او عروضيه او ذوقيه او اخلاقية .

محمد خليفة التونسى ■■

قصة قصيرة

الديمقراطية ممنوعة

للكاتب التركي
الساخر
عزيز يسين

■ انطلاقا من معلوماتنا التى استقيناها من هنا وهناك ، حاولنا نحن الستين تلميذا ، انترسم فى مخيلتنا شكل مدرس الفيزياء الجديد ، الذى تلقى تعليمه فى امريكا لمدة تسع سنوات ، وقيل لنا انه يختلف تماما عن مدرسى الفيزياء الذين علمونا فيما مضى .

فى الحصة الاولى التى حضرها ، اختبر خمسة تلاميذ ، سالهم عدة اسئلة ، ولكنهم كانوا كمن ينفخ فى حجارة صماء ، كلما سالهم سؤالا كانوا يجيبون :

ـ لم ندرس ، ... لم يعلمونا ، ..

وكان بدوره يردد حائرا : ـ عجبا ، وكيف وصلتم الى هذه المرحلة !

ويبدو ان هذا الكلام ، قد مس شعور زميلنا نورى بطاطس ، الذى قال :

ـ استاذ ، انك تسالنا من الدروس التى لم ناخذها بعد .

اجابه مدرس الفيزياء الجديد : ـ انت ، تعال الى هنا .

لم يتوقع ذلك نورىبطاطسفوقف بقرب السبورة مذهولا ، الى ان قال له المدرس : ـ

اشرح لنا كل ما تعرفه،او درسته فى الفيزياء. اجاب نورى بطاطس ـ : فى الفيزياء ... فى الفيزياء ومن ثم ارتفعت حوصلته وانخفضت ، وبعدها لم يستطع ان ينبس بكلمة واحدة.وكانت لهذا المدرس ، هواية اخرى، غير تدريس الفيزياء ، وهى تعليمنا اصول الديمقراطية،وفى ذلك الوقت، كانت كلمة الديمقراطية غير معروفة عندنا ، فى الاعوام التى بدات تدخل تركيا كلمة الفيتامين تقريبا ، وذلك لان كلمتى الديمقراطية والفيتامين، وصلتا متاخرتين جدا لبلادنا . لقد صرنا نلقب

مدرس الفيزياء الجديد ، « بهيج الديمقراطى »، لكثرة مدحه للديمقراطية فى امريكا ، لكننا نحن الستين تلميذا ، لم نتعلم الديمقراطية ولا الفيزياء رغم اصراره الشديد على ذلك . فحتى نهاية العام الدراسى ، لم نتعلم من الديمقراطية سوى امرين ، اولهما : كان يجب علينا ان ننادى بعضنا البعض ، بكلمة «سيد» ، بدلا من «اولان»، «شيشت» ! ! ! ، «طلع منيني» ، «هيى» ، وثانيهما هو استفتاؤنا ، فيما اذا كانت النوافذ ، والابواب ستبقى مغلقة ، ام مفتوحة .

كان مدرس الفيزياء «بهيج الديمقراطى»يقول: ـ ايها السادة ، اذا كان الطقس حارا ، فلنفتح النوافذ !

عندما كان يهدر صوت من الصف : ـ فلنفتح النوافذ ياسيدى ... وكان قسم من التلاميذ ، امعانا فى الهزل ، يتهياون لذلك مسبقا ، كانوا لا يتفوهون بشىء ، ولكن واحدا ـ او اثنين منهم ، وهما يشكلان ارذل نموذج فى الصف ـ يقولبصوت مهموس : ـ كلا ياسيدى ....



وبعدها مباشرة ، تبدأ ممارسة الديمقراطية في الصف :

ـ فلنفتح النوافذ ياسيدي
ـ كلا ياسيدي
ـ فلنفتح ...
ـ كلا
ـ نكاد نختنق من الحر
ـ نكاد نتجمد من البرد

نوري بطاطس ، وجامر شوكت ، كانا يشكلان الاصل والظل في تلك المناقشة ، اذا قال جامر شوكت اليوم «فلنفتح» ، كان يقول في اليوم التالي (فلنغلق) ، وكان نوري بطاطس يشكل المعارضة ، لكل ما يقوله جامر شوكت ، واحيانا كانا يؤلفان تحالفا ، فاذا كان الطقس خانقا ، كانا يوصدان النوافذ باحكام ، واذا كان الطقس باردا ، كانا يفتحانها على مصاريعها • وبينما نحن في تلك المتاهة ، ينتصف الدرس ، حيث يقول بهيج الديمقراطي عندئذ :

ـ فليخرج واحد من الذين يعارضون فتح النوافذ ويشرح لنا وجهة نظره • بعد تلك اللحظة • تبتدىء الهمزة الثانية للديمقراطية •

ولاننا كنا في سياق المناقشة ، نخاطب بعضنا البعض ، بكلمة « اولان » ، كان بهيج الديمقراطي، يتدخل في الامر قائلا :

ـ ايها السادة ، في الديمقراطية ، لاتوجد كلمة «أولان»، انما توجد بدلا منها، كلمة سيد ،يجب ان تخاطبوا بعضكم البعض ، بكلمة سيد •

كرر ذلك التنبيه علينا ، لاكثر من الف مرة ، في البداية ، نخاطب بعضنا بعضا ، بالسيد احمد، والسيد محمد ، ولكن عندما تحتد المناقشة ، لا نتمكن من ضبط انفسنا ، فتخرج كلمة « اولان » آليا ، في تلك اللحظة يقرع جرس الفرصة ، حيث يخرج بهيج الديمقراطي من الصف ، ونحن نصرخ باعلى صوت من ورائه : ـ

فلتحيا الديمقراطية ! ! !

مضت دروس الفيزياء ، طوال العام الدراسي على ذلك المنوال ، كان بهيج الديمقراطي خلالها، يعتقد بانه رسخ الديمقراطية في نفوسنا ، وكان يتمنى لو يثبت هذا الشيء لغيره ، فقبل انتهاء العام الدراسي ، باسبوع او اسبوعين ،

قال لنا : ـ هذا الاسبوع ، سنجري اختبارا ديمقراطيا ، في قاعة المحاضرات •

كانت شعبتنا ، مقسمة الى ثلاثة اقسام ، وكل قسم يقوده ، ارذل ما في الشعبة ، كنا متاهبين جدا لذلك الاختبار •

يوم الجمعة،اجتمعنا،نحن والمدرسون الذين كان بهيج الديمقراطي قد دعاهم من مدارس اخرى ، مع بعض الاشخاص الذين لم نصادفهم من قبل ، كان هؤلاء ، رجالا ، ونساء ، يتجاوزون الخمسين شخصا ، وكذلك حضر ذلك الاختبار ، مدرسو المواد الاخرى ـ كان نوري بطاطس ، وجامرشوكت يسيطران على طرفي القاعة ، بينما كان سيناي الرذيل ، وحلمي الاسود ، مع طوائفهما ، يجوبان القاعة في كل الاتجاهات ، كانت خطتنا مرسومة هكذا مسبقا • كان الهدوء يخيم على القاعة ، واعتقد بان مثل ذلك الهدوء لم تشهده المدرسة خلال تاريخها ، حتى ان المدرسين ، والعاملين في وزارة التربية ، كانوا يتكلمون همسا ، في شئون التعليم والادارة ، لئلا يعكروا صفو ذلك الهدوء ، كان واضحا من نظراتهم ، بانهم معجبون جدا بسلوكنا • صعد السيد بهيج الديمقراطي الى المنصة ، وبعدما رحب بالمدعوين ، تكلم عن اسس الديمقراطية ، وشرح مسهبا عن احدث الاساليب الديمقراطية ، المطبقة في المدارس الامريكية ، وبين لهم ايضا ، كيف طبق احد هذه الاساليب في هذه المدرسة ، ثم قال :

ـ ايها المدعوون الكرام ، انتم الان في لقاء مع التلاميذ ، الذين اخترتهم لذلك الاسلوب الديمقراطي ، انتم الان امام مناقشة ديمقراطية حرة

في تلك اللحظة لكزني نوري بطاطس سائلا :ـ انت مع من «أولان» ؟

اجبته هامسا : ـ انا مع الذين سوف يقولون «فلنفتح» ....

ـ لاتنس ... ، اسال الذي بجانبك .... ، لا ترتبكوا ...

كنا متاهبين بشكل جيد ، وكنا ندرك تماما ، بان بهيج الديمقراطي ، انما يفعل ذلك ، ترسيخا لوجهة نظره ، تجاه مدير مدرستنا ، لان مديرنا كان لا يحب ذلك الشيء المسمى « ديمقراطية »،

مطلقا ، كنا نلاحظ ذلك من بعيد ، فكم من مرة ، سمعناه يصرخ أمام غرفة المدرسين :

ـ أيه ٠٠٠٠ ، هذه الديمقراطية ؟

وفي احدى المرات،بينما كان بهيج الديمقراطي يخرج من الصف،وكنا نصرخ من ورائه : ـ فلتحيا الديمقراطية ٠٠٠٠ ، دخل المدير الصف فجاة ، حيث لطم نوري بطاطس بصفعة قوية ، ولكنه ثبت في مكانه كقلعة الديمقراطية ، بينما استند المدير الى الجدار من شدة الدفع،وبالرغم من انه اصطدم بعدها بجاسر شوكت ، الا انه عندما وجده ثابتا كنوري بطاطس ، بدأ يبحث عن تلميذ صغير،يشفي غليله ، حيث امسكني من رقبتي ، وبدات اصرخ:

ـ لم اقل فلتحيا الديمقراطية ، والله لم اقل ذلك ٠

بعدما خرج المدير من الصف ، سمعناه يقول لاحد المدرسين : انه يفسد التلاميذ ٠

وانطلاقا من تلك الوقائع ، كنا ندرك تماما، الحرب البـــاردة ، التي كانت رحاها تدور بين بهيج الديمقراطي ، والمدير ٠ كان احدهما سوف يربح هذه المعركة ، وفي الحقيقة ، كنا نود النصر لبهيج الديمقراطي ، لان بقية المدرسين ، اذا طبقوا ديمقراطية فتح واغلاق النوافذ ، سوف نرتاح من كل الدروس ٠

دعا بهيج الديمقراطي ، احد الحضور المسنين ، من مقدمة الصف ، وقال له :

ـ نرجو من سيادتكم ، ان تختاروا لنا موضوع المناقشة ٠

ثم قال ذلك الرجل المسن لنا : ـ أيها السادة، « العقل السليم في الجسم السليم » ، هذهحكمة اغريقية قديمة ، هل هذه الحكمة برايكم صحيحة، ام خاطئة ؟ في البداية ليتكلم المؤيدون ، وبعدها المعارضون ليدلوا بارائهم ، وبعد انتهاء المناقشة، سوف نحكم ، وليرفع الطرفان اصـابعهم ، ومن خلال الآراء ، سوف نستخلص الصواب ، هذه هي الديمقراطية ٠

انا ، وحسب الخطة الموضوعة ، صرخت وباعلى صوتي : فلنفتح النوافذ !! ٠٠ استغرب المدعوون فيما جرى ، فحسب خطتنا المسبقة ، كان يجب على ان اصرخ في البداية « فلنفتح النوافذ » ،وبعدها يصرخ واحد من طائفة سيناي الرذيل « كلا ٠٠ فلنغلق النوافذ » ، كان تفكيرنا منحصرا فقط ، في فتح واغلاق النوافذ ، فهذا ما كنا نتناقش به طوال العام الدراسي ، في دروس الفيزياء ،وكنا نعتقد ، بان الموضوع نفسه ، سوف يتكرر بعد ما صرخت انا ، « فلنفتح النـــوافذ » ، انطلق من الخلف صوت مدو :

ـ فلنغلق النوافذ يا سيدي ٠ وبعـــدها غرق الصالون في صخب كبير

ـ فلنفتح ٠٠٠٠

ـ فلنغلق ٠٠٠

ولانني كنت البادىء في الصراخ ، فقد ناداني بهيج الديمقراطي قائلا :

ـ تعال الى هنا ،واشرح لنا وجهة نظرك

لم يكن هذا بالحسبان ، صعدت الى المنصة ، وقدماي ترتجفان ، سالني بهيج الديمقراطي :

ـ يا سيد حسن ، ما هو رايك ، هل العقـــل السليم ، في الجسم السليم ، أم لا ؟

اجبته قائلا : ـ فلنفتح النوافذ يا سيدي ٠ عندما انهيت عبارتي ، هبت طائفة سيناي الرذيل كلها ، وبداوا يصرخون بصوت واحد :

ـ فلنغلق ٠٠٠ ، يا سيدي ٠

ومن جهة اخرى كانتجماعتي تدعمني بصراخها:

ـ فلنفتح ٠٠٠ ، يا سيدي ٠

تبدل لون بهيج الديمقراطي ، من الاحمر ، الى الازرق ، ثم قال لي :

ـ تامل سؤالي جيدا ، الجسم الســليم ، ام العقل السليم ؟

كنت في حيرة من امري ، وكــان المدعوون ، غارقين في المناقشة ايضا :

ـ بدون ريب ، في البداية ، الجسم السليم ، لان الجسم المريض ٠٠٠٠

ـ اذا كان الامـــر كذلك ، فيجب ان يكـــون الملاكمون ، والمصارعون ، فلاسفة ورجال فكر ٠

عاود بهيج الديمقراطي استيضاحي ملحا : ـ قل لنا ٠

ـ الم اقل لك يا سيدي ، فلنفتح ٠٠٠٠ اخيرا، التنع بهيج الديمقراطي ، الذي كان يتقـــاطر عرقا لشدة ضيقه ، بوجهة نظرنا ، بعدما يأس من اقناعنا ، بنسيان فتح واغلاق النوافذ ، فقال:

ـ حسنا ، بين لنا وجهة نظرك ٠

ـ لاننا يا سيدى فى شهر نيسان ، ونيسان هو الشهر الثانى من فصل الربيع ، وفى هذا الشهر، تهب النسائم العليلة ، ونحن لسنا امواتا ، لنمنع دخول مثل تلك النسائم ، الى رئاتنا ...
كنت اقول تلك الجمل ، التى كنا نرددها طوال السنة ، خلال دروس الفيزياء ، كالبلبل ، ولم اترك حجة دامغة على وجه العالم ، الا والقيتها فى وجهه ، دعما لرايى فى فتح النوافذ والابواب ومن ثم نادى بهيج الديمقراطى ، سيناى الرذيل من المعارضة ، الذى قال : انا لست موافقا على راى « يالان حسن » . اجابه بهيج الديمقراطى:ـ نحن نعرف ، بانه فى الديمقراطية ، يقولون « سيد » ؟ ولان كل واحد فى المدرسة له لقب ، فقد كانوا يلقبوننى به « يالان حسن » ومرة اخرى ، قال سيناى الرذيل : ـ انا لست موافق على راى السيد « يالان حسن » .

حز فى نفسى كثيرا ، ان ينادينى ، امام كل المدعوين ، بـ « يالان حسن » ، صحت فيه : ـ اولان رذيل ، اضبط لسانك ...

قال بهيج الديمقراطى : ـ لا تنس ان تقول « سيد » يا سيد حسن ـ السيد سيناى الرذيل ، ... وبدات به قذعا ، وتقريعا . ولكن بهيج الديمقراطى ، تدخل فى الامر قائلا :

ـ دعما للديمقراطية ، يجب ان نكتفى بكلمة سيناى فقط وبينما نحن فى ذلك ، كان المدعوون يتصايحون : ـ الرأس .. الجسم .. ، فى تلك اللحظة ، كان النقاش يدور فى القاعة حول امرين فبينماكنا نحن نتصايح فيما بيننا ، فيما اذا ستبقى النوافذ مغلقة ، ام مفتوحة ، كان المدعوون مختلفون ، فيما اذا كان « الرأس » ام «الجسم» فى البداية.كان نورى بطاطس يصيح : ـ فلنفتح ...

بينما كان حلمى الاسود يعارضه قائلا : فلنغلق ...

سأل بهيج الديمقراطى ، حلمى الاسود : ـ ولكن لماذا نغلق النوافذ ؟

واجابه حلمى الاسود ، بكل ما يخطر على البال ، من ترهات فارغة ، دعما لرايه فى اغلاق النوافذ ، ولكن الديمقراطية ، كانت قد خرجت من عقالها ،قلت لحلمى الاسود، من شدة انفعالى: ـ يا حمار ... ، ولكننى ضبطت نفسى ، وعاودت قائلا : ـ ياسيد حلمى الاسود ، « اولان » انا لست موافقا على رايك ولكنه امسكنى من ياقتى واجاب : ـ « اولان » والدك .....

واشتبكنا مع بعضنا بعضا ، ولكن حمدا لله ، انقذنى نورى بطاطس ، وجامر شوكت ، وقد كنا نتمنى الا يحدث ذلك ، ولكن الامر انتقل من الهزل الى الجد ، كنا مصممين على فتح النوافذ ، بينما كانوا هم ، مصممين على اغلاقها ، نظرت الى المدعوين ، كانوا فى وضع ، اسوا من وضعنا ، ومن بين الضجيج ، انبثق صوت المدير ، كهدير الرعد ، كنا نستغرب دائما ، كيف يخرج هذا الصوت ، من ذلك الرجل القزم ، ومع صوته ، اصبحنا كالقطط الاليفة ، تاملنا المدير واحدا واحدا ، وبعدئذ اصبحت نظراته علىّ ، اقبل نحوى ، وسالنى : ـ ماذا يحدث هنا ؟ كان بهيج الديمقراطى ، يقف مترنحا كالثمل ، يمزق القميص، وربطة عنقه متدلية ، بينما كانت القاعة ، تبدو كالارض المحروقة ، اجبت المدير ، الذى كان يحدق فىّ :

ـ السيد حلمى الاسود ، والسيد سيناى الرذيل ... ، ثم سكت ، وبعدها لا اذكر سوى صفعة ، اخرجت من عينى الشرر .

اقيل بهيج الديمقراطى من مدرستنا ، وعادت الامور قليلا ، الى نصابها . وبعد ذلك اليوم ، كلما رأى المدير نوافذ صفنا مغلقة ، كان يقول :

ـ الديمقراطية ممنوعة ، ومن ثم يفتحها .

واذا رآها مفتوحة ، كان يقول : ـ الديمقراطية ممنوعة ، ومن ثم يغلقها . جامر شوكت ، حلمى الاسود، سيناى الرذيل ، ونورى بطاطس ، الان من كبار السياسيين فى بلدنا، انتم تعرفونهم بدون شك ، ولكننى فى هذه القصة ، قد غيرت من اسمائهم ، انا لم اصبح شيئا . بعد سنين عديدة ، صادفت بهيجا الديمقراطى فى الطريق ، قلت له : ـ كيف حالك ياسيدى ؟ فى البداية ، لم يستطع التعرف علىّ ، كان يبدو كبيرا فى السن ، كان يكرر بين آونة ، واخرى ، فى حديثه:

ـ فى البداية ، يجب ان نطبق الديمقراطية فى بلادنا !! ..... ■■

ترجمة : يوسف وقاص

(صدرت فى اسطنبول عام ١٩٧٤)

كتاب الشهر

صفحات من التاريخ يكشف النقاب عنها لأول مرة

بريطانيا و.. ظهور آل سعود

تاليف :
جارى تروبللر

عرض وتعليق :
الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى



■ بالرغم من أن القرنين التاسعءشر والعشرين قد شهدا مزيدا من تحرر الجماهير واشتراكها بصور مباشرة وغير مباشرة في صياغة حركة التاريخ ، وذلك عن طريق الضغط من خلال منظماتها المختلفة ووسائل الاعلام والمؤسسات السياسية التمثيلية وغير ذلك ، الامر الذي أدى الى اختفاء انماط الرجال مؤسسي الدول والامبراطوريات من امثال الاسكندر الاكبر وجنكيز خان وبطرس الاكبر وفردريك الاكبر ونابليون ، بالرغم من ذلك ، فان القرنين شهدا ـ من الناحية المقابلة ـ مزيدا من تركيز السلطة سواء في أيدي الحكومات او الافراد ، خاصة وان التقدم العلمي الحديث قد امد القائمين على شئون الدولة بادوات تمكنهم من الاطلاع عن كثب على مجريات الامور في الداخل والخارج ، والتأثير في الجماهير وتوجيهها واعتراض تحركاتها فيكثير من الاحوال. وهكذا ظهرت شخصيات قوية استطاعت ان تؤثر في مجريات الاحداث المحلية بلوالعالمية احيانا وان تسعى الى طموحات شخصية وايديولوجية وقومية .. ومن هؤلاء لينين وستالين في الاتحاد السوفيتي وماوتسي تونج في الصين وغاندي ونهرو في الهند وهوتشي منه في الهند الصينية ورضا شاه بهلوي في ايران وكمال اتاتورك في تركيا وهتلر في المانيا وموسوليني في ايطاليا وفرانكو في اسبانيا وفرنكلين روزفلت في الولايات المتحدة ونستون تشرشل في بريطانيا ... الخ الخ ولسنا هنا ممن يتصدون لتفسير التاريخ على ضوء البطولات الفردية التي روج لها في القرن التاسع عشر الكاتب الانجليزي توماس كارليل في كتابه « الابطال » ، وانما نحن اميل الى ربط البروز الفردي الذي لا يخلو منه مجتمع ما بالاتجاهات العامة فيه ، اذ العظمة والبطولة لا ينشأن في فراغ ، بل انهما يظهران في مجتمع ما في وقت ما ، بحيث يرتبط البروز بتمثل وهضم الاتجاهات العامة وحسن التعبير عنها ـ الى جانب السمات الفردية الاخرى : كالشجاعة والحكمة والذكاء وقوة الشخصية والبلاغة ، وغير ذلك مما يطلق عليه في المصطلح العصري اسم « الكاريزما » .

عبد العزيز آل سعود

وقد شهد المجتمع العربي خلال القرن العشرين سجلا حافلا من العظماء الذين قادوا .جتمعاتهم في مجال او آخر من مجالات تطورها . ولا نقول ان هؤلاء العظماء قد حولوا مجرى التاريخ بقدر تفهمهم لظروف التغيير التي مر بها المجتمع العربي في المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بفعل الضغط والغزو الامبرياليين ـ بل ان احد هؤلاء العظماء « عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود » قد استطاع بعد ان فقدت اسرته كل شيء ولجات الى الكويت ـ تاسيس دولة تشمل معظم شبه الجزيرة العربية مستعينا في ذلك بحماسة اتباعه من « الاخوان » الذين عرفوا باسم الوهابيين . فبعد خروجه من منفاه في الكويت في عام ١٩٠٢ امكنه استرداد الرياض من آل رشيد بقوة لا تزيد كثيرا على الاربعين رجلا ، ثم بسلسلة من المعارك والحروب والاتفاقيات امكنه أن يوحد معظم شبه الجزيرة التي لم يسبق لها ان كونت كيانا موحدا منذ فجر الاسلام ، ورغم اعتماده على الحماسة الدينية لدى اتباعه من « الاخوان » ، ورغم انه لم يسبق له ان احاط عن كثب بنواحي التقدم التي ماج بها العالم الحديث ، فانه ما لبث ان كبح جماح المتطرفين من هؤلاء الاتباع واستطاع ان يدخل في املاكه بعض نواحي التقدم الغربي في المجال التكنولوجي متبعا فيذلك اسلوب الاقناع والتفسير العلمي للدين . كما فرض حياة الاستقرار على البدو الذين وطنهم فيما عرف باسم « الهجر » على اعتبار ان من يقطنها قد هجر الكفر .

وفي معاركه العربية وعلاقاته الدبلوماسية ابدى قدرا كبيرا من الحنكة والمرونة ، مما جعل دولته تنمو بانتظام ـ فلقد ادرك مدى قوة بريطانيا ومصالحها في المناطق المحيطة باملاكه الاخذة في الاتساع ، ولهذا لم يمس مصالحها البحرية والامبراطورية في منطقة الخليج ، ولم يتعرض للحكام الذين عقدت معهم اتفاقيات حماية . بل انه هو ذاته قد عرض على بريطانيا ان يوقع معها معاهدة مماثلة ، وان ظلت بعض الوقت متمسكة بسياساتها التقليدية الخاصة بعدم التورط في الشئون الداخلية لشبه الجزيرة ، الى ان ارغمها نشوب الحرب العالمية الاولى وانضمام تركيا الى المانيا وحلفائها على اعادة النظر في هذه السياسة بحيث عقدت في عام ١٩١٥ معاهدة بين الطرفين كانت شبيهة بسلسلة المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع امارات « الساحل المهادن » ، بالاضافة

الى انها وعدت عبد العزيز آل سعود بان تحميه ضد الدول الاجنبية وان ترسم حدود دولته بعد انتهاء الحرب ، وهو ما تم التوصل اليه فى اتفاقيات العقير والعدة والبحرة التى رسمت الحدود فى أعقاب الحرب العالمية الاولى بين أملاكه وبين كل من الكويت والعراق وشرق الاردن • وحين احتدم الصراع بين الزعيم السعودى وبين الحسين ابن على شريف مكة كان عبدالعزيز قد حيد بريطانيا على اقل تقدير ، على حين ان الزعيم الهاشمى لم يكترث بتوقيع معاهدة مع بريطانيا التى كانت حينئذ اقوى دول العالم ، بل انه كان قد احرجها حين أعلن نفسه ملكا على العرب وخليفة للمسلمين ـ ومن ثم تركها اياه يواجه مصيره الى ان سقط الحكم الهاشمى فى الحجاز •

مقارنة مع فلبى

ومؤلف الكتاب الذى نقدمه هو الدكتور جارى تروبللر الذى تلقى تعليمه فىكيمبردج واكسفورد ببريطانيا وفى الجامعة الامريكية ببيروت • وبعد أن حصل على درجة الدكتوراه من جامعة كيمبردج برسالة تتضمن القسط الاكبر من الكتاب الذى نقدمه عمل فى بروكسل محررا ومراسلا فى المركز الاوروبى الرئيسى لوكالة اليونايتدبرس الدولية ، ثم عمل محللا فى بنك تشيس مانهاتن فى فرانكفورت حيثشغل منذ اواخر عام ١٩٧٣ منصب رئيس محللى الابحاث بقسم العلوم الاجتماعية التطبيقية والسلوكية فى عهد باتل ، كما شغل منصب استاذ زائر مساعد فى كلية العلاقات الدولية بجامعة جنوبى كاليفورنيا وألقى كثيرا من المحاضرات فى أوروبا ونشر مقالات فى المجلات العلمية وفى الصحافة • اما الكتاب فانه يعرض بالتفصيل للجهود التى بذلها عبد العزيز آل سعود لتوحيد شبه الجزيرة العربية حتى استيلائه على الحجاز ولموقف بريطانيا منه فى اوائل القرن العشرين •

ويستقى المؤلف معظم مادته عن المؤلفات التى وضعها كتاب بريطانيون وعن الوثائق البريطانية غير المنشورة التى تعد اهم مصادر تاريخ هذه الفترة خاصة وان معظم المادة الوثائقية السعودية ـ شان نظيراتها فى كثير من البلدان العربية ـ ليست فى متناول الباحثين ، هذا برغم أن الرحالة والمؤلف البريطانى سانت جون (الحاج عبد الله) فلبى قد اطلع عليها حين وضع مؤلفاته التى حاول فيها أن يقدم « بطله » ونفسه للعالم الغربى • ورغم أن مؤلفات فلبى تشكل مصدرا هاما من مصادر تاريخ شبه الجزيرة وآل سعود خلال النصف الاول من القرن العشرين ، فان اعجابه الشديد بعبد العزيز وبالنظام القبلى الذى اعتبره اقرب الى الديمقراطية من النظام الغربى ، وكذلك نقده المنتظم لسياسة حكومته ازاء ابن سعود ، مما أدى الى فقده وظيفته الدبلوماسية بعد أن خدم حكومته فى العراق وشرق الاردن ، خاصة وانه كان لا يميل الى الهاشميين ، مما جعله يتنكب عن التزام الموضوعية التاريخية • وعلى طرفى نقيض من فلبى نجد أن الدكتور تروبللر ياخذ بوجهة النظر البريطانية دون أن يوازنها بغيرها ، وبخاصة المؤلفات العربية التى ـ برغم افتقار بعضها الى الموضوعية وتبنيها لوجهات نظر آل سعود وتبريرها لسياستها على طول الخط ـ لا شك لها وزنها فيما يتعلق بالوجه الاخر من المرآة •

أضواء جديدة

وهكذا نجد ان الدكتور تروبللر لا يشير فى قائمة مصادره الا الى ثلاثمؤلفات عربيةلم يعرض فى هوامشه الا لواحد منها • ولا شك أن رجوعه الى أمثال هذه المصادر كان من شانه أن يجنبه بعض الاخطاء التى وردت فى النص ومنها ـ مثلا ـ أنه يحاول (ص ١٢٩) أن يفرق بين «الوهابية» والاخوان ـ علما بان المصطلحين متطابقان ، وان يكن اتباع محمد بن عبد الوهاب يطلقون على انفسهم اسم « الحنابلة » أو « الموحدين » أو « الاخوان » أو « السلفيين » • أما « الوهابية » فهو وصف اطلقه خصوم الحركة عليها حتىيبرهنوا للناس انها بدعة جديدة خارجة على مبادىء الاسلام ، خاصة وان « الاخوان » قد توسعوا فى معنى البدعة وتوهموا أمورا لا صلة لها بالعبادات بدعا ، وافترضوا فى آرائهم الصواب الذى لا يقبل الخطا وفى آراء غيرهمالخطا الذىلايقبل التصويب• وبالاضافة الى ذلك فان المؤلف يخطىء احيانا فى ضبط أسماء المواقع الجغرافية ، فيخلط ـ مثلا ـ (ص ٢١٨) بين حداء القريبة من الطائف وبين العدة القريبة من جدة (ص ٢٢٨) • كما انه يخلط بين عهد آل رشيد وبين غيره من افراد أسرته ، وبين فيصل بن عبد العزيز (الملكالراحل) وبين فيصل الدويش احد زعماء الاخوان •

على ان كل هذه الهنات التي قد لا يخلو منها مؤلف غربي عن التاريخ العربي لا تقلل من قيمة الكتاب الذى نقدمه والذى يلقي أضواء جديدة على التاريخ السعودى خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩١٠ و ١٩٢٦ ـ اى منـذ اول احتكـاك بـين عبد العزيز آل سعود وبين أحد الموظفين البريطانيين حتي استيلائه على الحجاز، وهو الحدث الذى اعقبه في العام التالى اعتراف بريطانيا به ملكا على الحجاز ونجد وملحقاتها • وتبدو أهمية بحث الدكتور ترويللر من أن التاريخ السعودى من حيث علاقات بريطانيا بعبد العزيز خلال الربع الاول من القرن العشرين لم يحظ بكثير من اهتمام الباحثين بعكس ١٠ حدث فيما يتعلق بغير ذلك من مناطق الشرق الاوسط • ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان ظهور عبد العزيز آل سعود قد حدث في فترة دقيقة من فترات التاريخ البريطاني ـ فقبل عام ١٩١٤ كانت بريطانيا تواجه الازمات الدولية التى افضت الى نشوب الحـرب العالمية الاولى ، ثم ما لبثت ان شغلتها الحرب ذاتها وما ترتب عليها من مشاكل • ومن ناحية أخرى فمن الصعوبة بمكان أن نتتبع علاقة اقوى دول العالم في ذلك الوقت باحد حكام صحراء العرب الذى ـ برغم عبقريته ـ لم تكن له تجارب شخصية مع العالم خارج حدود شبه الجزيرة في الوقت الذى تداخلت فيه العلاقـات السعودية ـ البريطانيـة بعلاقات بريطانيا بكل من الدولة العثمانية والهاشمية، وكانت فيه أوضـاع شبه الجزيـرة العربيـة ذات طابع قبلى واقتصاد ضعيف ، ولم تكن لها حدود بالمعنى الغربى للكلمة بسبب اشتداد الصراع بين القبائل حول المراعي والمياه• وهكذا كان التعارض بين عالمي بريطانيا وابن سعود مثارا لسوء الفهم ، خاصة بعد شبه الجزيرة العربية عن مراكز تخطيط السياسة البريطانية في دلهى (ارسملا) ولنـدن والقاهرة وعدم وجود تنسيق بين وزارات الخارجية والمستعمرات والهند مما اضعف ترابط السياسة البريطانية وأوقعتها في الخلط والتناقض• فوزارة الهند كانت تنظر الى اوضاع شبه الجزيرة العربية من زاوية المصالح الامبراطورية في الهند ، ومن ثم اهتمامها بكل ما يجرى في منطقة الخليج ـ على حين ان وزارتي الخارجية والمستعمرات كانتا تهتمان في المحل الاول بالوضع الدولى الذى كان يملي على بريطانيا ضرورة مداراة الدولة العثمانية خشية ان تنضم الى المـانيا فـتهدد المواصـلات الامبراطورية في الشرق الاوسط مما يضطر بريطانيا الى حشد قوات كبيرة في المنطقة بدلا من تركيز جهودها العربية على الجبهات الاوروبية الرئيسية• وقد حاول المؤلف تحديد المسئولية عن الاتجاهات الرئيسية في السياسة البريطانية وربط كل منها باشخاص او بادارات بالذات ـ ومن ذلك انوزارة وحكومة الهند رغبتا ـ قبل نشوب الحرب العالمية الاولى ـ في التوصل الى اتفاق مع ابن سعود حين لاحت قوته خشية مساسه بالمصالح البريطانية في الخليج ، في الوقت الذى لم تعره وزاره الخارجية اهتماما كبيرا بسبب حرصها على حسم المشاكل البريطانية ـ العثمانية وبخاصة ما يتعلق منها بالحدود في منطقة الخليج وشرق شبه الجزيرة العربية املا في كسب ود الدولة العثمانيـة او تحييدها على اقل تقدير •

بريطانيا والقوميون العرب ؟

وحين دخلت الدولة العثمانية الحرب الى جانب المعسكر المعادى لبريطانيا وحلفائها ، ودارت رحى المعارك في جنوبي العراق وقرب قناة السويس رأت بريطانيا ضرورة القيام بعمل من شأنه اخراج تركيا من الحرب في اسرع وقت : فكانت حملة الدردنيل الفاشلة (١٩١٥) التي خسرت فيها عددا كبيرا من الجنود ، وكان الهدف منها التمركز في شبه جزيرة غاليبولي ثم الاستيلاء على الاستانة عاصمة الدولة • وتلا فشل هذه الحملة محاولة بريطانيا استغلال سخط العرب على الحكم العثماني في المشرق العربي في تبني حركة الثورة العربية المعتمد، ضد تركيا والبحث عن زعيم لهذه الثورة ـ ومن ثم تعديلها اتجاهها من ابن سعود وتخليها بالتدريج عن سياستها الخاصة بعدم التورط في الشئون الداخلية لشبه الجزيرة العربية • وهنا يلوح من جديد التناقض بين وزارة الخارجية وبين وزارة وحكومة الهند : فالمسئولون البريطانيون في القاهرة (وهم تابعون للخارجية) كانوا على صلة بالمثقفين والقوميين العرب ، مما جعلهم يتحمسون للتعاون البريطاني ـ العربى ضد تركيا ، على حين ان حكومة الهند كانت تتعامل مع عرب آخرين قد دفعهم شعورهم الدينى الى العطف على تركيا والتجاوب مع نداء « الجهاد » الذى اطلقه الحكام الاتراك • كما كانت تخشى اثر الثورة العربية على

شعور رعاياها من مسلمي الهند الذين تعاطفوا مع الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة وآخر دولة اسلامية عظمى • خاصة وان حركة الجامعة الاسلامية التيسبق ان اثارها التوسع الاستعماري الغربي ، وتزعمها جمال الدين الافغاني في المجال الفكري والسلطان عبد الحميد في المجال السياسي كان لها اثرها في الهند وفي قطاعات واسعة من الرأي العام الاسلامي في آسيا وافريقيا • وعلى حين ثبتت السلطات البريطانيةفي القاهرة الشريف حسين وعلقتعليه الامال فيما يتعلق بتفجير الثورة العربية ، مالت حكومة الهند الى ابن سعود ، خاصة وان بعض اللامعين من موظفيها في منطقة الخليج ، وبخاصة شكسبير وكوكس وفلبي ، ابدوا اعجابا شديدا بالزعيم السعودي •

واما فلبي فقد اشترك في الحملة البريطانية على العراق وتولى بعض المسئوليات في ادارة المناطق المحتلة من البلاد ، الى ان عين في عام ١٩٢٠ قائما باعمال المستشار البريطاني لوزارة الداخلية العراقية • ولكنه لم يلبث ان اقصى عن العراق حين تقرر تولية فيصل بن الشريف حسين ملكا على البلاد ، وذلك لما كان معروفا عن كرهه للهاشميين •

وفي نوفمبر ١٩٢١ عين كبيرا لممثلي حكومته في عمان ، على ان تكون مهمته هي بحث العلاقات السعودية ــ الحجازية وان يتلقى تعليماته من السفير هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني في فلسطين • ولما كان فلبي غير راض عن سياسة حكومته في الشرق الاوسط،ولماكان من ذلك النوع من الرجالالمعتدين بانفسهم الذينيتخطونالتعليمات التي عليهم تنفيذها بدقة ، فانه آثر الاستقالة من السلك الدبلوماسي في يناير ١٩٢٤ • ثم ما لبث ان انتقل الى جدة حيث اقام وكالة تجارية،متحينا الفرص التي تتيح له ان يحقق احلامه الخاصة باكتشاف المناطق المجهولة في شبه الجزيرة العربية وبخاصة الربع الخالي ــ وقد تحققت احلامه بمرور الزمن واصبح من مستشاري العاهل السعودي ومن اكبر المعجبين به وبالصحراء والعرب والحياة القبلية ، مما جعله يعتنق الدين الاسلامي •

ويرجع اول احتكاك له بالعاهل السعودي الى فترة الحرب العالمية الاولى ــ اذ تقرر في عام ١٩١٧ ارسال احد الضباط البريطانيين الى ابن سعود ــ حسب طلبه ــ تمهيدا للقيام بجهد حربي ضد ابن رشيد الذي كان الحاكم العربي الوحيد الذيانحاز اليتركيا ضد الحلفاء•وقد وقعالاختيار علىفلبي ليترأس هذه البعثة ، وكان حينئذ موظفا بادارة الميزانية المتفرعة عن الادارة السياسة بالعراق•وكان هدف هذه البعثة هوتحسين العلاقات بين ابن سعود وبين الشريف حسين ، وحث ابن سعود على المساهمة في الحرب بقدر يفوق ما ابداه حتى ذلك الوقت • وعلى حين ان فلبي قد اغضب الشريف حسين اكثر من مرة خلال بعثته،فقد ازداد اعجابه بالتدريج بابن سعود الذي اعتبره اعظم شخصية عربية بعد الرسول • وتنفي المؤرخة البريطانية اليزابيث مونرو ما يشاع عن تاثير فلبي على الملكعبد العزيز ، مؤكدة ان العاهلالسعودي كان يعرف كيف يفيد من مستشاريه على ان تكون الكلمة الاولى والاخيرة في يده هو •

شكسبير : دور جديد

واما الكابتن وليم هنري اروين شكسبير ــ المندوب السياسي البريطاني في الكويت ــ فهو اول موظف بريطاني يلتقي بابن سعود • وقد جرى هذا اللقاء في عام ١٩١٠ منذ ذلك الوقت وحتى مقتله في عام ١٩١٥ حين كان يرافق قوات ابن سعود في حربها ضد ال رشيد حكام حايل ، اصبح شكسبير اكبر المتحمسينلابن سعود •ويروىمعاصرو شكسبير الذي كان مقاربا في سنه لابن سعود انه كان يتحلى بصفات فذة ــ وقد جرت المقابلة سالفة الذكر حين كان الامير السعودي يقوم بزيارة للشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت • وقد تاثر شكسبير بالحفاوة التي استقبل بها مبارك الامير السعودي، ووصف عبد العزيز بانه « رجل واسع الافقوصريح وانه يوحي بثقة تفوقما يوحي به غيره منالعرب»• اما ابن سعودفقد دعا شكسبير لزيارتهاذا ما اقترب من الرياض • وبمرور الزمن ازداد اعجاب شكسبير بعبد العزيز ، وهو اعجاب ، لم يكن غير متبادل كما بقي حتى وفاته من انصار الحاكم السعودي ، وان تكن اقتراحاته المتكررة الخاصة بالتوصل الى اتفاق بين عبد العزيز وبريطانيا لم تتمخض عن شيء خاصة وان الحكومة البريطانية ــ حتىنشوب الحرب العالمية الاولى ــ كانت مترددة في اتخاذ اي خطوة قد توحي للباب العالي بانها تسعى الى استقلال سخط العرب على الحكم العثماني • وفي مارس ١٩١١ جرى اول لقاءطويل بين شكسبير وابن

سعود وذلك حين دعا ابن سعود المندوب السياسي البريطاني في الكويت ـ الذي كان يقوم بجولة في اراضي الكويت الداخلية ـ الى معسكره • وقد اوضح ابن سعود لشكسبير اثناء هذه الزيارة انه يسعى الى طرد الاتراك من المنطقتين الغنيتين الاحساء والقطيف اللتين كانتا في الماضي جزءا من الاملاك التقليدية للوهابيين ، خاصة وان سيطرة الاتراك عليهما من شانها ان تضعف قبضته على القبائل المقيمة في المنطقة الواقعة بين الرياض والخليج • وابدى ابن سعود رغبته في ان يؤمنه البريطانيون ضد الغزو البحري وفي ان يستقبل مندوبا بريطانيا بعد طرد الاتراك • ورغم ان شكسبير اوضح للزعيم الوهابي ان بريطانيا لم تكن حينئذ في وضع يمكنها من مساندته ـ فانه طلب منه ان ينقل وجهة نظره الى الحكومة البريطانية • وفي عام ١٩١٣ استغل ابن سعود انشغال تركيا في مواجهة دول البلقان (بلغاريا ـ اليونان ـ الصرب) التي اعلنت عليها الحرب ، وكذلك ايطاليا التي انزلت قواتها على سواحل طرابلس الغرب وهددت اساطيل اسيا الصغرى ومداخل الدردنيل ، واستولى على الاحساء بعد ان طرد منها الحامية التركية التي تمركزت فيها منذ عام ١٨٧٢ • ولما كان شكسبير قد زار ابن سعود قبل استيلاء هذا الاخير على الاحساء ، فقد اعتقد الساسة الاتراك ان الاجراء الذي قام به الامير السعودي قد حاز رضى بريطانيا ، هذا برغم ان شكسبير كان قد حذر الامير الوهابي من القيام بالهجوم على الاحساء في الوقت الذي ازداد فيه اعتقاده بأن ابن سعود هو النجم الصاعد في افق شبه الجزيرة مما دعاه الى حث حكومته على اعادة النظر في العلاقات البريطانية ـ السعودية • الا ان بعد نظر شكسبير وحثه حكومته على الاتفاق مع ابن سعود قد اصطدما بمعارضة وزارة الخارجية البريطانية •

والتقى الميجر (سيربرسي فيما بعد) كوكس مع شكسبير فيما يتعلق بضرورة الاتفاق مع ابن سعود • وقد عين كوكس في عام ١٩٠٤ مقيما سياسيا في الخليج ـ وكان قبل ذلك قد شغل وظيفة المقيم السياسي المساعد في الصومال البريطاني (١٨٩٢ ـ ١٩٠١) ثم عين قنصلا في مسقط (١٩٠١ ـ ١٩٠٤) وقدر له فيما بعد ان يلعب دورا هاما في العلاقات البريطانية ـ السعودية حتى تقاعده في عام ١٩٢٣ • فسرعان ما توقع كوكس بزوغ نجم ابن سعود ومن ثم سعيه الى توصل بريطانيا الى اتفاق معه ، وان تكن تزكياته المتكررة بهذا الخصوص قد تحطمت على صخرة تصميم لندن على عدم المساس بالعلاقات البريطانية ـ التركية • وعلى حين واصل كوكس مساعيه لحث حكومته على الاعتراف بابن سعود ظل هذا الاخير يوسع املاكه في اواسط شبه الجزيرة ويكرر مطالبته لبريطانيا بالاعتراف به •

الا ان هوايتهول ظلت متخوفة من احتمال تهديد ابن سعود لمصالحها في سواحل الخليج ، كما كانت تخشى ان يؤدي الاتفاق مع ابن سعود الى تعكير العلاقات الروسية ـ البريطانية وتقوية النفوذ الالماني في العاصمة التركية • هذا في الوقت الذي كانت فيه الدوائر السياسية البريطانية واثقة من ابن سعود لن يتمكن من اقامة علاقات وثيقة مع احدى الدول الكبرى بسبب التفوق البريطاني في منطقة الخليج • وبالرغم من كل ذلك فبالامكان القول بان بريطانيا ، وان لم تساند ابن سعود بصورة مباشرة ، فان علاقاتها بالكويت ، بالاضافة الى العلاقات الوثيقة بين ابن سعود والشيخ مبارك ، قد ساهمت الى حد كبير في اشتداد ساعد الوهابيين ـ وظلت الحكومة البريطانية الى حين متشبثة بسياستها التقليدية الخاصة بعدم التدخل في الشئون الداخلية لشبه الجزيرة العربية • وذلك في الوقت الذي قررت فيه ان ترمي بثقلها الى جانب الشريف حسين ، مما جعل علاقتها بابن سعود تتسم بالبرودة ،ومن ثم اصراره على عقد معاهدة مع بريطانيا بالصورة التي سبقت الاشارة اليها •

على أن ابن سعود لم يقم بدور حاسم خلال الحرب العالمية الاولى ـ فقد ضعف نتيجة لثورات القبائل وسوء علاقته بالكويت في اعقاب وفاة استاذه وراعيه الشيخ مبارك الصباح (١) كما ان هزيمته على يد ابن رشيد في موقعة جراب قد شلت قوته شلا كاملا في الوقت الذي افتقر فيه الى الاموال التي تمكنه من استدامة ولاء اتباعه وشراء السلاح ، خاصة وان الحصار الذي فرضته ظروف

---

(١) ظل عبد العزيز آل سعود يعتبر مباركالصباح ـ حتى وفاة هذا الأخير في عام ١٩٦٦ « والدا » له ويخاطبه بهذه الصفة ويستشيره في المسائل السياسية الهامة •

مبه•واخيرا فان عبد العزيز
ف البريطاني ـ الهاشمي
لجزيرة •

البريطاني

يقال احيانا من أن بريطانيا
لخاسر حين فضلت الشريف
ـ ويخلص الى ان بريطانيا
فالحسين من سلالة الرسول،
لشريفين في الحجاز وحامل
لكه ذات موقع جغرافي هام
بدت فيه قوات عثمانية كبيرة
نزتقوات اخرى بامكانهاتهديد
الاحمر ، فيما لو وصلتها
سكة حديد الحجاز ـ ومن لم
، حسين الى بريطانيا يوفر
عال اذا ما رمت بثقلها الى
، لم تكن قوته في ذلك الوقت
ت عليها فيما بعد ، خاصة
ها حدود مشتركة مع الدولة
م حركة دينية لم تكن تلقى
عالم الاسلامي ••• بل ان
ـولة السعودية الاولى على
من مساس « الاخوان » ببعض
ى تلقىاحتراما عاما ، ونهبهم
سة في جنوبي العراق كل ذلك
في الاذهان • ويختتم المؤلف
السعودي ـ الهاشمي حتىطرد
ـاز ، كما يعرض بهذا الصدد
نتائج التوسع الوهابي وتدخلها
رد بين املاك عبد العزيز وبين
لعراق وشرق الاردن ـ وفي
، تولى الحكم ابناء الشريف
الله •

لات على الكتاب

على هذا الكتاب الذى نقدمه
نل عن المكاتبات البريطانية مما
التكرار • ولما كانت رسالة
ة قد ركزت على الفترة الممتدة
١٩ و ١٩٢٦ فان اعداد الكتاب
المؤلف باضافة مدخل يتناول فترة

سابقةعلى البحث الاصلي وتذييلا يتناول العلاقات السعودية ـ البريطانية حتى تاريخ يتجاوز نشوب الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ ـ والمقدمة والتذييل لا يتوازنان مع الجهد الذىتضمنهالبحث الاصلي • وهكذا يعرض الكتاب عرضا سريعا للعلاقات السعودية ـ البريطانية خلال القرن التاسع عشر وفيما بين عامى ١٩٠٢ ـ ١٩٠٩ ، مما جعل جوانب منالمدخل تتميز بعدم الدقة خاصة وانالمؤلفاخذ بوجهاتنظر بعضالكتابالبريطانيين ـ وبخاصة كيللى ـ الذين انحازوا الى الموقف الرسمي البريطاني وتشددوا في الحكم على العاهل السعودى•وتنطبق هذه الملحوظة ايضا على التذييل حيث تجاهل المؤلف الزحف الاميركي الدؤوب على حساب المصالح النفطية البريطانية وتفضيل عبد العزيز التعامل مع الشركات الاميركية مما يعزى الى رغبته ـ الشعورية او اللاشعورية ـ فى الانتقام من بريطانيا التى بدت له منحازة الى خصومه الهاشميين،خاصة وان امريكا اغنى واقوى من بريطانيا التى ادعت صداقة العرب وحالفتهم فى سبيل القضاء على الدولة العثمانية ، ثم قلبت لهم ظهر المجن وساندت الاطماع الصهيونية فى فلسطين العربية وضربت بيد من حديد على اية محاولة وطنية فى العالم العربى تسعى الى التحرر والاستقلال، مسفرة بذلك عن اطماعها الامبريالية•

ومما له دلالاته بالنسبة الى معاداة بريطانيا للطموحات العربية فى التحرر والوحدة ما يورده المؤلف (ص ٩٥) المركيز كرو الذى ذهب الى أن بريطانيا لم تكترث بقيام وحدة عربية ، بل سعت الى ابقاء البلاد العربية مجزأة الى كيانات صغيرة بقدر الامكان بحيث ترضخ لها هذهالكيانات المفككة التى لا يمكنها ان تقوم بعمل موحد ضدها فى الوقت الذى تشكلفيه منطقة عازلة بامكانها عرقلة اطماع الدول الكبرى فى المنطقة • ويشبه هذا الراى ما سبق أن عبر عنه السياسى البريطانى بالمرستون فى النصف الاول من القرن التاسع عشر بعد توسع محمد على حاكم مصر فى الشام وشبه الجزيرة العربية ، اذ قال :ان بريطانيا تقف فى وجه قيام حكومة قوية علىطرق مواصلاتها الامبراطورية الى الهند ، ومن ثم سعيه الى تدمير قوة محمد على والقضاء على امبراطوريته واضعاف مصر وربطها من جديد بالسيطرة العثمانية • وبالاضافة الى ذلك فان الدكتور ترويللر لا يشير

فى تذييله الى ان بريطانيا قد اثارت موضوع حدود المملكة العربية السعودية فى عام ١٩٣٤ وان هذه الحدود كانت مثار محادثات فى عـام ١٩٣٨ • واخيرا فان العنوان الرئيسي للكتـاب الذى نقدمه لا ينطبق على محتواه : فاصول المملكة العربية السعودية ترتبط بالحركة « الوهابية » التى ظهرت فى القرن الثامن عشر ارتباطها بدخول عبد العزيز آل سعود الى الرياض فىعام ١٩٠٢ • لهذا كان على المؤلف ان يقتصر على العنـوان الجانبى « بريطانيا وظهور آل سعود » ، على ان يحدد فترة البحث بعامى ١٩١٠ ـ ١٩٢٦ •

واخيرا فان الكتاب جدير بان يقراه المتخصصون فى التاريخ العربى الحديث بوجه عام وتاريخ شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج بوجه خاص • فهو يلقى اضواء جديدة على جوانب عـدة من تاريخ الفترة التى يعرض لها مستعينا فى ذلك بكمية كبيرة من الوثائق البريطانية غير المنشورة • ويجدر بنا فى هذا المقام ان نكرر ما سبق ان طرحناه مرارا من حيث ضرورة العمل على جمع وتبويب وفهرسة الوثائق العربيـة حتى يتسنى للباحثين ابراز وجهات نظرنا بالاستعانة بهـذه المصادر الاصلية ، وذلك بدلا من اعتمادنا شبه الكلى على الوثائق الاجنبية التى ـ برغم اهميتهاـ لا شك أنها تتاثر بوجهات نظر منكتبوها وبمصالح حكومتهم وبالافكار السائدة فى العالم الخارجى ـ وفى أوروبا بوجه خاص ـ عن العرب وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وتتضمن احكاما لا تخـلو من التعامل وسوء الفـهم والاستعلاء والتاثـر بالمفاهيم والمقاييس الغربية وغير الغربية الخاصة بالمجتمع والثقافة والدين والسياسة • ■■

د • أحمد عبد الرحيم مصطفى

فهرس العربى

تاليف عبد العزيز العمرى
الناشر • مؤسسة دار العلوم ـ الكويت

● يقع هذا الفهرس فى ٢٠١ صفحةوينقسم الى قسمين الاول وهوالقسم الرئيسى ويقع فى ١٨٨ صفحة وهـو كشاف لـرؤوس الموضوعـات التـى تحويها مجلة العربى من العدد الاول حتى العـدد ٢٠٦ امـا القسم الثانى من هذا الفهرس فيشمل الاعدادمن ٢٠٧ ـ ٢١٧ وتحت رؤوس هذه الموضوعات يجمع المؤلف بيانا بكل المقالات التى تتصل بكل موضوع على حده •

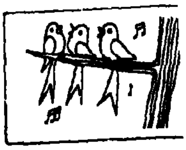
اما الترتيب الذى سار عليه المؤلف فهو كما ياتى :

١ ـ راعى المؤلف فى ترتيبه لرؤوس الموضوعـات الترتيب الهجائى حرفا حرفا لكنه شذ عن هـذا فى الاسـماء التـى تبتدىء بلفظ اب وابن كابى بكر وام سلمة وابن الاثير••• الخ كما يهمل (ال) التعريف ويضعها تاليـه الا انه وفـى بعض الحالات مثل (الاسـكا) يهمل الالف واللام ظنا منهانها ال التعريف وان الكلمة اصلها اسكا وليس «الاسـكا» ، امـا ترتيبه للاسماء العربية فانـه ياخذ بالترتـيب المتبـع فـى الموسوعات الاجنبية حيث ياخذ بالاسم الاخير •

٢ ـ رتب المقالات التى تتصل بكلموضوع ترتيبا هجائيا حرفا حرفا لكنه لميلتزم هذه القاعدة فى كثير من الحالات والامثلة على ذلك كثيرة تجدها مثلا فى صفحة ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ •• الخ

والحقيقة ان المؤلف جانبه التوفيق فى بعض الاحيان فى ترتيبه لهذا الفهرس سواءعلى مستوى رؤوس الموضوعات او المستوى الاخـر الذى اعتمده للمقالات •

ولـما كانت بعض المواضيع تستغرق اكثر منصفحة واحدة، فقد كان على المؤلف ان يذكر اسم الموضوعفى المستوى الاول وفى اول كل صفحة جديدة • كذلك كـان عليه ان يـكتب رؤوس الموضوعات بحروف اكبر من تلك التى تكتب بها المقالات حتى يتمكن القارىء من معرفة الموضوع الرئيسى من المقالات الخاصة به • بالاضافـة الى الاخطاء المطبعيـة التى كانت تحتاج الى الكثير من التدقيق والعناية،وخاصة وان الموضوع يتناولفهرس وارقام الصفحات، وبالرغم من هذه الاخطاء وتلك الماخذ الا ان الفهرس يبقى صورة للجهد الكبير الذى بذله المؤلف خدمة لقرا مجلة العربى وعسى ان نشهد فى الطبعات التالية لهذا الكتاب مزيدا من الدقة والعناية وكـل ما مـن شانه ابـراز مجلـة العربـى كموسوعة عربية جامعة •



لعرب

« جائزة
. في اسعاد
العقول -
ن جائزة
ن القائمين
لد اعماهم
لم يفكروا
ن بمنحها

قوم جامعة
حد الاثرياء
مهم المال
عدة جوائز
جائزة نوبل
يسهمون في
برى في أي
العالم دون
جنس .
دير أحمد
سعودية

بعي

نطا المطبعي
صفحة الثامنة
ن العربي في
سورة الزمر
قل يا عبادي
ع انفسهم لا
الله .. »
في الكلمة
طوا من رحمة

ر

لماذا تلغى البحوث الأدبية واللغوية ؟

● معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم احد منظمات جامعة الدول العربية يضم عدة اقسام علمية ، من بينها قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية ، وهو من اقدم اقسام المعهد ، تخرج منه العديد من الباحثين في مختلف اقطار الامة العربية ، وقدم عشرات المؤلفات القيمة للصفوة الممتازة من اساتذة العالم العربي واستفاد منها الباحثون والمثقفون العرب في التعرف على ادبنا الحديث وقضايا لغتنا العربية ، وهي الجوانب التي يلتقي عليها العرب جميعهم من مشرقهم الى مغربهم ، وتعد الاساس المكين للوحدة الثقافية والفكرية بينهم والتي يجب التمسك بها والعمل على تاصيلها وتنميتها في نفوس شبابهم .

ولكن عميد المعهد الحالي الغى قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية بقرار شخصي بدون الرجوع لمجلس ادارة المعهد العلمي الذي يضم اساتذة قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية ولم نجد سببا موضوعيا واحدا وراء هذا الالغاء ، وكلها اسباب شخصية تتعلق بتخصص عميد المعهد (جغرافيا) وعلاقاته بالاخرين .

واننا لنتساءل بدهشة كيف تتحكم الامور الشخصية في مصير المعاهد العلمية ذات الرسالة القومية الى هذه الدرجة ؟ (وكيف يحدث ذلك في معهد للدراسات العربية وفي نطاق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تعنى بتهيئة سبل ازدهار لغتنا العربية وادبنا العربي في مختلف اقطار الامة العربية؟ (ولماذا يحرم خريجو كلية دار العلوم وقسم اللغة العربية في كليات الاداب بالجامعات العربية دون غيرهم من التزود بالثقافة الممتازة التي يقدمها القسم والتمتع بالمنح التي يعطيها لكل طالب) .

جاسم علي مصباح — هشام عوني النجار
ياسر مصطفى هيكل — محمد الطيب ابراهيم

من خريجي قسم اللغة العربية
بكليات الآداب وكلية دار العلوم

مخلوقات حسب الطلب

● ورد في صورة ايضاحية من مقال «مخلوقات حسب الطلب» للدكتور محمود زكي البهي العدد ٢٢٦ ص ٦٢ من مجلة العربي : « اذا تصورنا الكروموزوم يمثل المدينة فان جزيء مادة الحياة سيمثله قالب طوب واحد في احد ابنية هذه المدينة • » وفي الصفحة ٦٣ يعرف مادة الحياة بانها (DNA) ويمكن ان يستخلص القاريء من ذلك ان قالب الطوب الاسود في الصورة يمثل جزيء (DNA) • ولكنني شاهدت نفس الرسم الايضاحي في كتاب الخلية (The cell) الذي كتبه (John Pfeiffer) ومحررو مجلتي تايم ولايف في الولايات المتحدة خلال الاعوام ١٩٦٤ و ١٩٦٥ و ١٩٦٩ وذلك على الصفحة ٦٦ وجاء في شرح الرسم مايلي :

يمكن تشبيه بنية الكروموزوم بهذه المدينة ، والكروموزوم هو جزء من النواة مسئول عن القيام باعطاء التعليمات اللازمة لكل جوانب الحياة الخلوية • ويمثل كل منزل جزيء الـ DNA, مادة الوراثة • وتمثل الغرف الجينات القساما (او قسيمات) تحتل مواقع محددة في جزيء الـ (DNA) • اما قوالب الطوب فيمثل كل منها نيوكليو تيدة • والنيو كليو تيدات «احجار البناء» الجزئية• (اي ان جزيء (DNA) يتكون من وحدات بنائية هي النيوكليو تيدات) •

نجيب جرجور — دمشق

سقط سهوا من فهرس عام ٧٧ الذي نشر في عدد ديسمبر الماضي ان باب « حوار القراء » يشرف على تحريره الزميل عبد الحفيظ يونس •

" الاســـــلام "

● الشعب ، الارض الجيش ، الدستور ، والحاكم• هذه المقومات لم تتوفر لاقامة مجتمع مسلم في مكة خلال ثلاث عشرة سنة مع وجود العقيدة لكنها توفرت بعد الهجرة الاخيرة الى المدينة وبدات آيات التكليف تتنزل ، حتى اصبح المسلم لا يقدم على عمل ما كان يعمله قبل الاسلام حتى يستفتي رسول الله •

اما اليوم ما زال المسلمون متمسكون بعقيدتهم رغم الهجوم الفكري عليهم في شتى اتجاهاته ، وبرغم التمسك بالعقيدة الا اننا لم نر المجتمع الاسلامي الذي نحن بصدده ذلك لان الشريعة الاسلامية مهملة ، فالاموال التي لا تحصى موجودة ومع ذلك الفقر موجود وما دام الفقر موجودا وهو السبب الاساسي للسرقة فالسرقة موجودة، وهذا السارق لا نطبق عليه حكم الله لاننا لو طبقنا عليه حكم الشريعة لكان لزاما علينا أن نطبق حكم الشريعة في المال ، ونحن لا نريد ان ندفع الزكاة •يقول الاستاذ هويدي (ان الامام ابن حزم حدد حقوقا اساسية للمسلم ينبغي ان تتوفر له ، فينبغي ان يكون له بيت ياويه وطعام وشراب ملائم ، وكساء يكفيه صيفا وشتاء وخادم يساعده اذا كان غير قادر ، ودابة يركبها اذا احتاجت مصلحته ذلك) •

ولكن هل هذه الحقوق متوفرة للمسلم ؟ لا •• اليس بتحكيم

نعم لعودة

● ان المعارضة التي تبدت من بعض قراء العربي على عودة اليهود من اسرائيل الى البلاد العربية التي هاجروا منها لاتستند الى اساس •• فاليهودي العراقي او المغربي اوالليبي الذي يعود من اسرائيل الى موطنه الاصلي لا يمكن ان يشكل خطرا على الدولة

خير الدين الزركلي

● قرات مقالا للدكتورعمر الدقاق عن المرحوم خير الدين الزركلي في العدد ٢٢٤ من العربي واستغربت قول الكاتب ان «الشاعر السوري الكبير مات ولم يذكره احد خارج سوريا ، •• واستميح الكاتب عذرا اذا قلت ان هذا القول بعيد عن الحقيقة •• اذ كيف يمكن ان لا يذكر صاحب «الاعلام» •• فذكره في حياته وفي موته ذكر للعلم والادب•• وفي بعض جامعاتنا تدوى قصائده منذمدة طويلة ••وهي مقررة في الدراسة •• وكتابه الفريد زينة لجميع المكتبات الكبيرة في الهند ومرجع للباحثين •

الدكتور محمد سليمان اشرف
الاستاذ المساعد في قسم اللغة العربية
جامعة دلهي – الهند

ـــة

...ى حياتنانكفل ما للمسلم من حقوق وما

...و بكـر الصديق : والله لو منعوني ...ونه لرسول الله لقاتلتهم عليه •
... الشريعةفي المال فقط لتوفرت حقـوق ...رقة لعدم وجود اسبابها •
...ود لوجوداسبابه ، ولكـن لو طبق حكم ... الشرعي للمراة لانعدمت اسباب الزنا•
... الحجاب موجودة في كتاب الله نقراها ... كان لم نسمعهـا والكاسيات العاريات مميلات•
...ر وسمي ينص على ان كل امراة تخرج ... اللبـاس الشرعي ستغرم بكذا ويسجن ...ل سنرى من النساء بعد اصدار الامـر ؟
...متمسكين بعقيدتنا لم يبق علينـا الا ... نكـون مجتمعا اسلاميا •
...ـان بن عفان : ان الله ليزع بالسلطان

...كريم داود السلوادي – الكويت

...ليهاوليس ...استجابـة ... نتلمس ... العربية ...دة اليهود ... اعـادة ...فلسطيني ... الاحتـلال ... الـدول العربيـة بـالاسراع بالسماح لليهود بالعودة اليها وتقديم التسهيلات لهم وذلك للاسباب التالية :

١ – ان اليهود الذين اتوا من الدول العربية يشـكلون نسبـة عاليـة في المجتـمع الاسرائيلي ووجودهـم يعزز قوة هذا المجتمع •

٢ – ان الزراعة في فلسطين المحتلة قائمةعلى اكتاف اليهود العرب وعودتهم تؤدي الى ضعف الانـتاج الـزراعي للدولـة الصهيونية •

وهناك سبب ثالث اهم وهو ان الهجرة المضادة ستؤدي الى الحد من شهوة التوسع التي تسيطر على قادة اسرائيل في ظل الظروف العربية الراهنة•

ع • ابراهيم
طيبة بني صعب/فلسطين

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هى « الكلمات المتقاطعة » ·· والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ·· ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لاتشوه صفحة العدد بقطعها منه ·· اما الكوبون المنشور فى اسفل الصفحة ، فمن الضرورى ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التى مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتى :

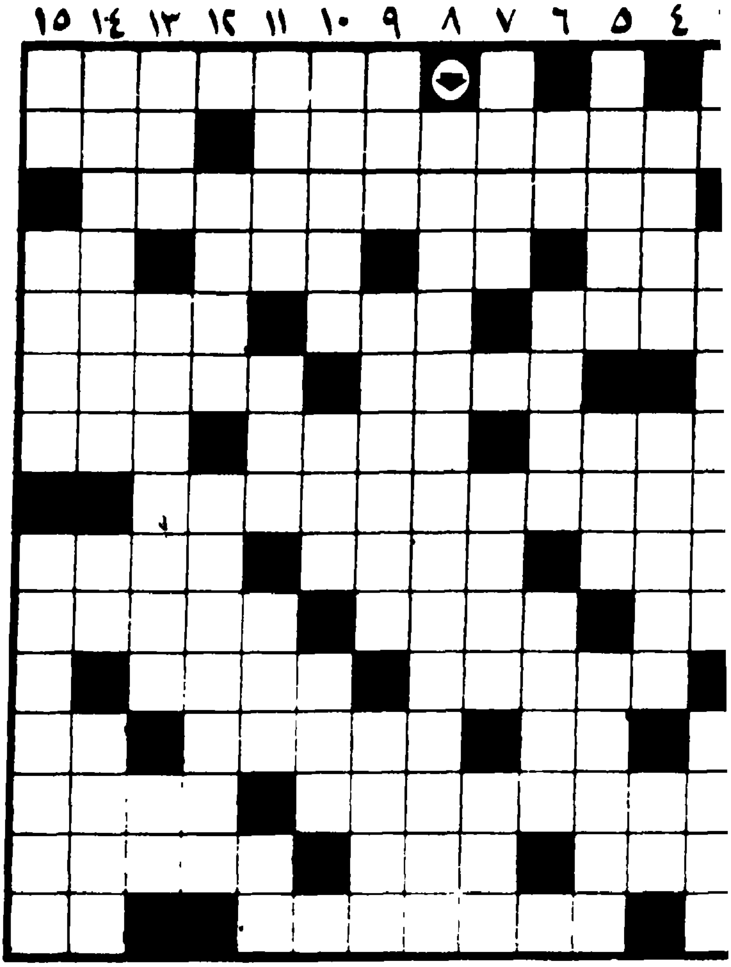
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ·

ترسل الاجابات على العنوان التالى :مجلة العربى صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٠ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول مارس (ربيع الأول) ١٩٧٧ ·

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة، ستجد فى (٨) افقيا اسم صحابى معروف ، كما ستجد فى (٨) رأسيا اسم فيلسوف عربى عظيم ·

الكلمات الافقية :

(١) يسود ـ من أجداد النبى صلى الله عليه وسلم قام بسدانة الكعبة ·
(٢) عاصمة السلفادور ـ من الابراج ·
(٣) للتعريف ـ أراضى ما بين النهرين ·
(٤) ركد ـ ضمير ـ من الاقارب ـ مقام موسيقى ·
(٥) عائمات ـ نطق ـ مكان للصلاة ·
(٦) غذاء طبيعى كامل ـ نبعد ـ فقر شديد ·
(٧) سلاح حربى قديم ـ متكرر الايقاع ـ طعام ·
(٨) صحابى معروف ·
(٩) من المقاييس الطولية ـ كافر ـ الاسم القديم لتايلاند ·
(١٠) يساند ـ فى الوجه ـ أتمهل ·
(١١) نصف كلمة (نوال) ـ غلبها ـ يطمئن ·
(١٢) من العقوبات ـ حرفان متشابهان ـ من معدات الحرب الحديثة ـ جواهر ·
(١٣) مكتشف أشعة اكس ـ ضعيف ·
(١٤) يزوره فى مرضه ـ نجل ـ يعتزم ·
(١٥) حرف ابجدى ـ الموعد ـ طائر خرافى ·



:

ـاحب نظرية النسبية •

ـب مقدمة شهيرة ـ نصف كلمة

ـام ـ قرشي من اعلام الغناء في

ـرى ـ أزمان طويلة •

جو ـ نظير •

ـحر الابيض المتوسط ـ يغل ـ

(لزمت)ـ تبحث ـ أرشده •

ـطيب المجيد ـ حشـرة ـ حرف

(٨) فيلسوف عربي عظيم •

(٩) جرى ـ مدينة مقدسة ـ ازدهر •

(١٠) الاسم الشائع لكربونات البوتاسيوم ـ من العناصر ـ يهدم •

(١١) طرق ـ حيوانات ـ حروف متشابهة ـ في الذراع •

(١٢) من مصادر الثروة المعدنية ـ يواصلون •

(١٣) ظل ـ العقائد السماوية ـ قادم •

(١٤) من الاحياء المائية ـ حرف نصب ـ ازمان طويلة •

(١٥) من الاسماء الخمسة ـ يدرك ـ من اشهر امراء النمسا وساسة اوروبا في القرن ١٩ •

شاعر عربي معاصر

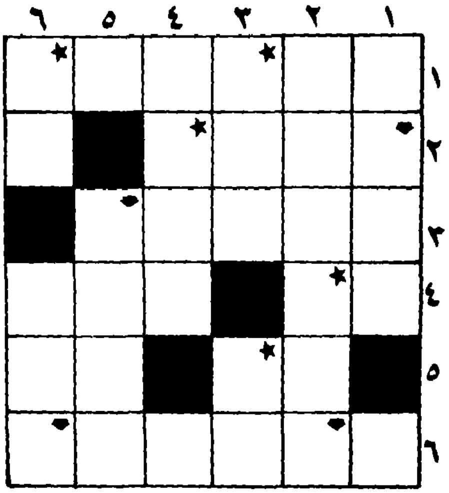
ابدأ أولا بحـل مسابقـة الكلمـات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لشاعر عربى معاصر • ثم انقـل الحـروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الشاعر •

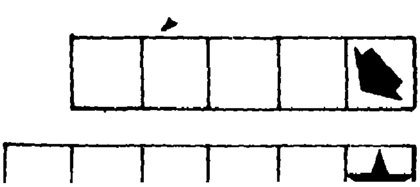
الكلمات الافقية :

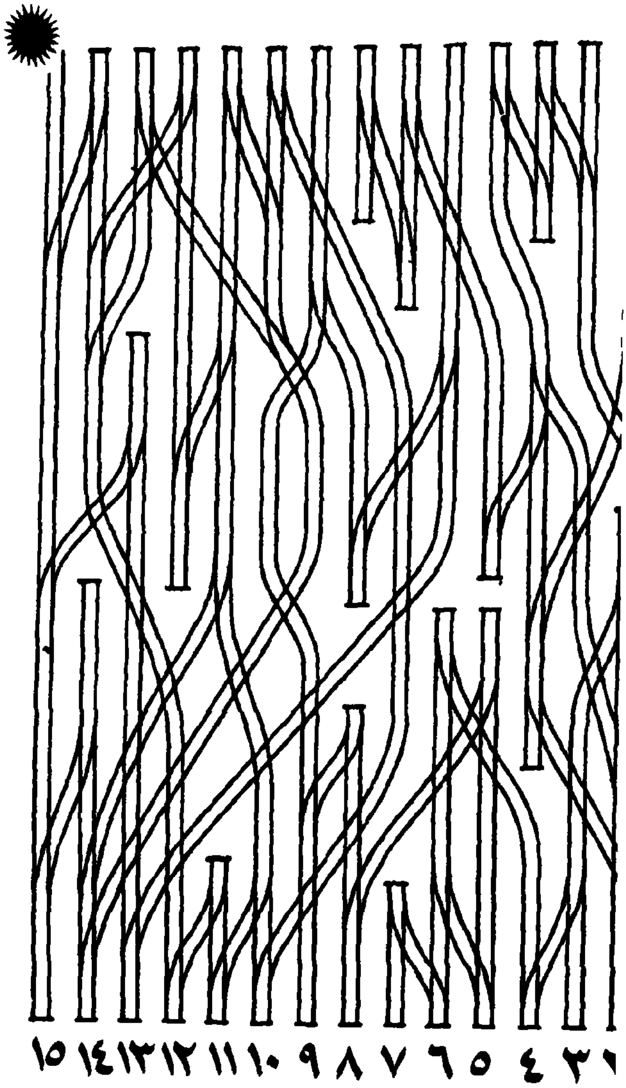
(١) من المحيطات •
(٢) موقعة انهزم فيها هانيبال •
(٣) ادخرها •
(٤) نصف كلمة (فاتن) ـ يقفز •
(٥) حيوان قطبى ـ نظير •
(٦) الباتات •

الكلمات الرأسية :

(١) من الغازات الضرورية للحياة •
(٢) من الزهور العطرية •
(٣) فى السماء ـ نصف كلمة (بارد) •
(٤) فى المطبخ •
(٥) امتدح •
(٦) حرفان متشابهان ـ جسم •







المناورة الطويلة

، السائق ان ينتقل بقطاره فوق القضبان من موقع الكف الى موقع الشمس ، بكة المعقدة . وفى كل مرة يتغير فيها سير القطار من الامام الى الخلف ، او من إمام ، كان على السائق ان يترك عربة من عربات القطار البالغ عددها ٣٩ عربة.

السائق الماهر ان ينتقل بقطاره من الكف الى الشمس بحيث يفقد ١٩ عربة ل تستطيع ان تعرف خط سير القطار ؟ .

● [illegible] فقط ●

استاذ نبيه يسال :

من الذى يلعب كرة السلة ؟

عائلة الاستــاذ قدرى عائلة رياضيــة ، فاولاده الثلاثة : احمد ، وسمير ، وبكر ، يتعلق كل منهم بهواية رياضية خاصة •

احدهم يمارس السباحة فى نادى النجوم، والثانى مشترك فى نادى القمر ، والثالث فى نادى الشمس • احدهم يلعب التنس ، وآخر يمارس السباحة ، والثالث يلعب كرة السلة •

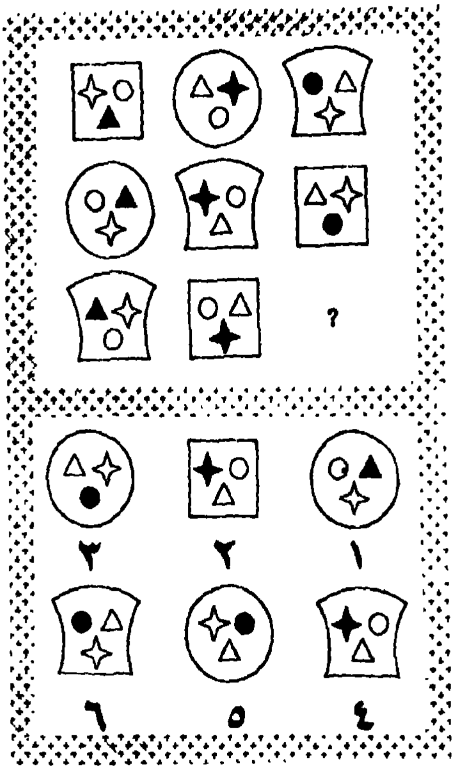
احمد لا يشترك فى نادى النجوم ، وكذلك سمير لا يشترك فى نادى القمر • والابن الذى يلعب كرة السلة لا يشترك فى نادى الشمس•

فاذا كان الابن الذى يمارس السباحة ليس هو سمير ، فمن الذى يلعب كرة السله ، وفى أى ناد ؟ •

★★★

خراف فاطمة وخديجة

فاطمة عندها عــدد من الخراف ، وكذلك خديجة • اذا اعطت فاطمة لخديجة خروفين ، يصير عندها نفس العدد من الخراف • واذا اعطت خديجة لفاطمة خروفين ، أصبح عــدد خراف فاطمة ضعف عدد خراف خديجة كم عدد الخراف عند كل منهما ؟



● حاول أن تعرف ●
الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال ،التى فى كل من الصفين العلويين ، حــاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام ، يجب أن يحل محل علامة الاستفهام •

المناورة الطويلة :

خط السير كما يلى : من ١ الى ٢ (اعلى) ــ من ٢ الى ٤ (وسط) ــ مــن ٤ الــى ٢ (اسفل) ــ من ٢ الى ٤ (أسفل) ــ من ٤ الى ٦ (وسط) ــ من ٦ الى ٥ (اسفل)ــ من ٥ الى ٨ (أسفل) ــ من ٨ الى ٩ (اعلى) ــ من ٩ الــى ٨ (وسط) ــ من ٨ الــى ٦ (اعلى) ــ من ٦ الى ١٣ (أسفل) ــ من ١٣ الى ١٥ •

الشكل المطلوب : الشكل المطلوب هو رقم ٥ •

النجمة والسهم : نزار قبانى

استاذ نبيه يسال :

الابن الذى يشترك فى نادى النجوم يمارس السباحة • واحمد ليس مشتركــا فــى نادى النجوم ، وحيث ان سمير لا يهوى السباحة ، يكون بكر هو الذى يهوى السباحه ويشترك فى نادى النجوم •

بكر لايشترك فى نادى القمر ، فيكون احمد مشتركا فيه • وعلى ذلك يكون سمير مشتركا فــى نادى الشمس ، ولا يكون مــن هواة كرة السلة •

على ذلك يكون احمد هو الذى يلعب كرة السلة فى نادى القمر •

خراف فاطمة وخديجة

فاطمة عندها ١٤ خروفا ، وخديجة عندها ١٠ خراف •

أول يناير ١٩٧٨

١/١٠٠

من الأعمال المختارة

تشيكاماتسو - ١

• انتحار المحبين في سونيزاكي • معارك كوكسينجا

نقلها عن اليابانية وقدم لها : دونالد كين

ترجمة : محمد الحديدي

مراجعة : أحمد النادي

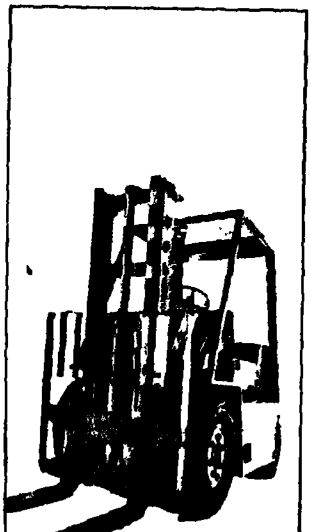
إن لم تملك أبداً عربة رافعة من إنتاج كاتربلر، كيف تعلم أنك تملك أفضل منها؟

اطلب الحقائق من « كاتربلر »

الخبرة : إن سمعة كاتربلر الطيبة التي تستند إلى ٥٠ عاماً من التجارب في صنع الآلات ، فضلاً عن ضمّها الى مجموعة شركاتها شركة « توموتر » الرائدة في ميدان العربات الرافعة ، تضع ثروة طائلة من الخبرة الاختصاصية وراء التشكيلة الحالية .

الجودة : بعد ارتيادها ميدان الشاحنات الساحبة في ١٩١٩ واستنباطها واحدة من أول العربات الرافعة العادية في ١٩٣٣ ، تقوم كاتربلر الآن بصنع ماكيناتها في ١١ بلداً وفي ١٩ مصنعاً ، بما في ذلك مصنع جديد للعربات الرافعة حيث يختص رجل واحد من كل ٧ رجال يعملون على خط الانتاج في ضبط الجودة والتأكد من الاتقان .

الهندسة : بعد انفاق مبالغ طائلة على الابحاث والتطوير والهندسة ، تستخدم الشركة حالياً أكثر من ٤٠٠٠ من العلماء والفنيين في ميدان البحث وحده من أجل انتاج عربات تعمل بطريقة أفضل وذات قيادة أسهل ، وعمر أطول .



دعم المنتجات : بفضل ٢٣ مستودعاً رئيسياً لقطع الغيار و ٩٠٠ مركز للخدمة ، جميعها مرتبطة بالكومبيوتر في ١٢٠ قطراً ، تستطيع شبكة موزّعي كاتربلر المحليين ان تحافظ على حسن أداء هذه العربات الرافعة في جميع أرجاء العالم .

مجال العمليات . تقدم كاتربلر ٤٦ طرازاً مختلفاً من ٢٠٠٠ إلى ٦٠,٠٠٠ (١٠٠٠ إلى ٢٧,٣٠٠ كغم) مع إمكان اختيار محرك ديزل أو بنزين أو كهرباء أو غاز البترول السائل .

أما إذا لم تنحدر عرباتك من هذه السلالة الأصيلة فالمحتمل أنها تكلفك أكثر من حيث الانتاج .. والمال .

تدارك الأمر بالاتصال بموزع كاتربلر الآن :

CATERPILLAR

CATERPILLAR, CAT
علامات تجارية تملكها شركة جرّارات كاتربلر
Caterpillar Tractor Co. « كاتربلر » و « كات »

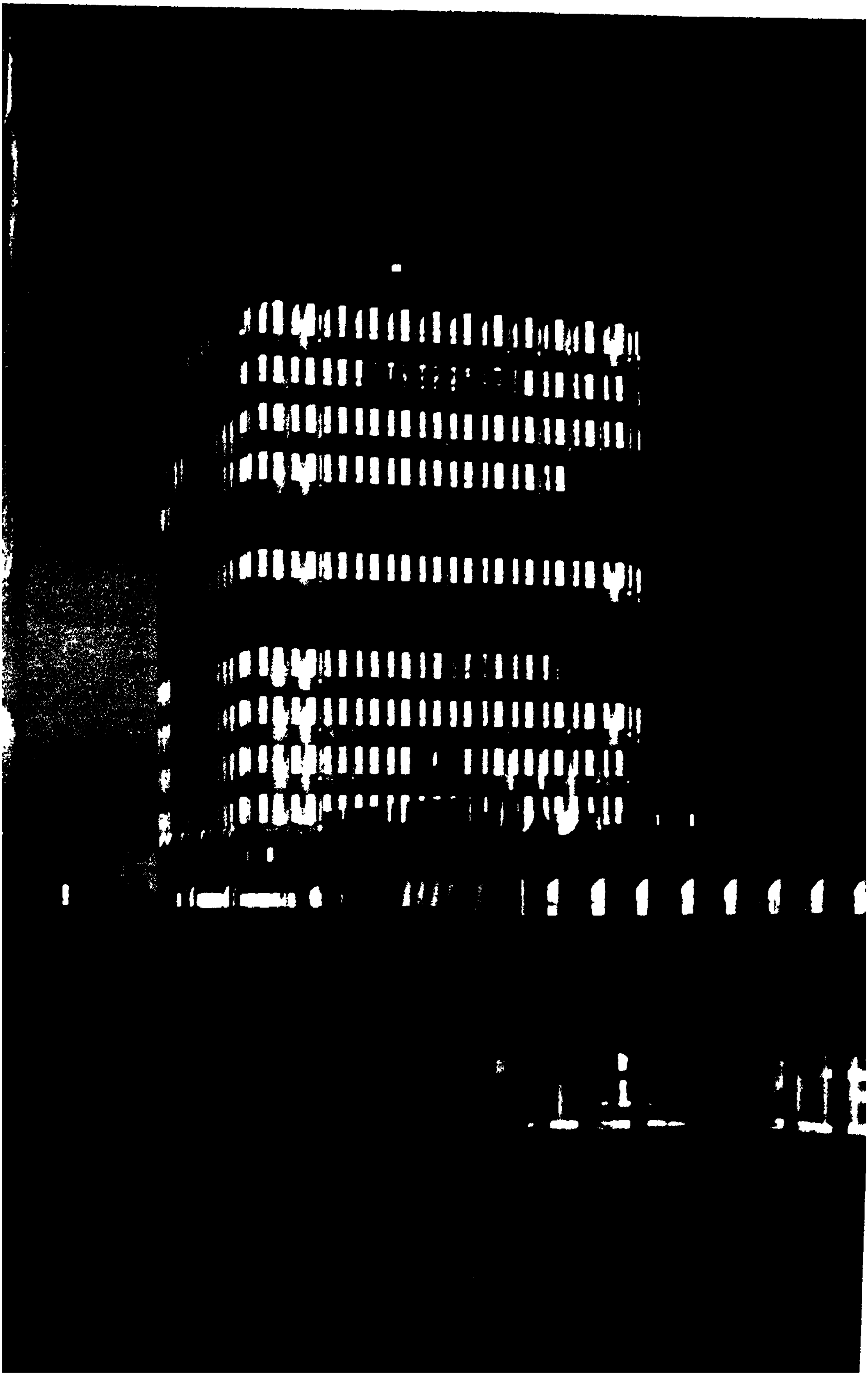
أبوظبي محمد عبد الرحمن البحر ، ص ب ٤٤١ ، أبوظبي ، الامارات العربيه المتحدة ، هاتف ٢٢٣٨٧ ، البحرين محمد عبد الرحمن البحر ، ص ب ٥٢٥٧ ، المنامه ، هاتف ٧٩٣٦٠٧ دبي ، محمد عبد الرحمن البحر ، ص ب ٩١٧٠ ، الديرة ، الامارات العربية المتحدة ، هاتف ٦٠٢٥٥ الاردن الشركة الاردنية للجرّارات والمعدات المحدودة ، ص ب ٣١٣ عمان ، هاتف ٣٨٣٦٣/٦٤/٦٥ الكويت محمد عبد الرحمن البحر ، ص ب ١٤٨ ، الكويت ، هاتف ٨١٠٨٥٥/٥٦ الجمهورية العربية الليبية الشركة العامه لمعدات المزارع واللوازم الزراعية (حسنت) ، ص . ب ٣٢٤ ، طرابلس ، هاتف ٣٠٣٤٤ ، فرع بنغازي ٩٢٣٢٩ ، قطر محمد عبد الرحمن البحر ، ص ب ٢١٧١ ، الدوحة ، هاتف ٢٥٩١٩ المملكة العربية السعودية شركة راشد للجرّارات والآليات الثقيلة المحدودة ، ص . ب ١٥٠٨ ، جدة ، هاتف ٢٦٣٦٦ ، الفروع : الدمام - ٢٢٥٩٤ ، الرياض - ٢٨٤٦٨ ، سوريا م عزت الخلاد وأولاده ، ص ب ٢٣ ، دمشق ، هاتف ٥٥٠٣٢١ ويوجد فرع في حلب تونس ، مؤسسة ب بيريبين ش م ، ٩١ شارع قرطاجة ، تونس ، هاتف ٢٥٦ ٥٧٧

العربي

قصة أول مواجهة عربية اسرائيلية فى رودس

شارلى شابلن .. آخر المهرجين العظام!







عزيزي القارئ

ودعت الكويت في الشهر الماضي اميرها الراحل سمو الشيخ صباح السالم الصباح ، الذى عاش في قلب كل مواطن كويتي بل كل عربي طوال اثنى عشر عاما قضاها قائدا لمسيرة الكويت . وفي الشهر ذاته ، بدأت الكويت عهدا جديدا بعدما انتقلت امانة المسئولية الى سمو الامير جابر الاحمد الصباح ، الذى اختارته الاقدار لقيادة الكويت في هذه المرحلة الدقيقة والصعبة من تاريخ الامة العربية ، ثم يشاء القدر ايضا ان يكون هذا الشهر الذى نستهله ، هو موعد الكويت مع ذكرى عيدها الوطني .

ثلاث مناسبات توالت على الكويت خلال هذه الاسابيع القليلة ، فجيعة في وفاة اميرها الراحل ، وعزاء كبير بل امل تجدد في انتقال المسئولية الى الامير « الجديد القديم » كما قالت بحق صحافة الكويت ، ثم ذكرى العيد الوطني ، بكل الريح العطرة التي تحملها .

دورة من الاحداث تقول لنا في النهاية ان الكويت هي الباقية ، وان اعلامها ينبغي ان تظل مرفوعة ، وان استقلالها الوطني يجب ان يستمر ويدعم في كل ميدان .

لقد كانت الكويت ـ وما زالت ـ رمزا لقيم عربية اصيلة، انعكست على ممارساتها في العديد من المجالات المحلية والعربية والدولية . والمؤكد ان كل عربي يشاركنا هذا الامل ، في ان تواصل الكويت في عهدها الجديد ، وفي السنة الجديدة من عمر استقلالها التزامها بكل ما ارتبط باسمها من قيم ومثل ، هي في الاساس تعبير عن آمال وطموحات الانسان العربي .

ذلك اننا نعيش الان مرحلة نحن احوج ما نكون فيها الى صلابة الالتزام بالقيم والمثل العربية، وضرورة الدفاع عن الكرامة العربية .

■■

المحرر

نى وزارة اعلام
يد ، واحد من
وعات الهامة التي
ع في العيد الوطني
يت هذا العام .

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

شخصيات :

تاريخ :

استطلاعات مصورة :

قضايا حيوية :

علم نفس :

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ARABI .. No. 231 February 1978 P. O. Box 748 KU

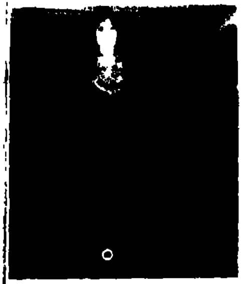
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر





صــــورة الغــلاف

● كويت ما قبل النفط هو موضوع احد الاستطلاعين الملونين فــي هــذا العدد ، وهو يطوف بنا في مساحة عرضها يمتد الى قرنين من الزمان . عندما كانت قريه تتمدد الى جــوار « كوت » على لساحل . وصفحــات التاريخ مليئه بالكثير والمثير مـــن الاحداث والذكريات . وهذه صــورة لفتاة ترتدى الثوب الكويتي القديم ، الذى كان جزءا من عالم ما قبــل النفط اقرأ الاستطلاع على الصفحات(٦٨ ـ ٨٣)

طب وعلوم :

أدب ولغة :

فنون :

ركن الاسرة والمرأة :

كتاب جديد :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائــر ٢ر٥ دينار . المــغرب ٢ر٥ درهم . اليمن ٢ر٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهــما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر « للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

منطق حروب الم

لو أردنا أن نصف تاريخ الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، منذ بدئه حتى كتابة هذه السطور .. لوصفناه بانه :حرب المائة سنة !

فاذا اعتبرنا أن ميلاد فكرة اقامة دولة يهودية في فلسطين ، في ذهن المبشر الاول بها في العصر الحديث ، تيودورهيرتزل ، كان بمثابة الاعلان عن بدء هذا الصراع ، لوجدنا اننا لا نتجاوز كثيرا في وصفها بانها حرب المائة عام .

على أن هذا المعنى لا يستقر في اذهاننا ، الا اذا فهمنا « الحرب » بمعنى اخر ، غير المعنى المباشر ، وهو القتال المسلح ...

القتال المسلح يحدث لشهور ، ومع تقدم الاسلحة وتضاعف طاقتها التدميرية ، صار يحسم في اسابيع بل وايام . وفي تصور الخبراء اليوم لأى « سيناريو » عن الحرب العالمية المقبلة ـ لو وقعت ـ نجدانهم يعتقدون أن نتيجة الحرب الكونية سوف تحسم في الساعات الاولى ، لما سوف يستخدم فيها من صواريخ واسلحة هيدروجينية وذرية ، تسحق في دقائق ماكان يسحقه السلاح العادى في سنوات .

فهى حرب المائة عام ، حتى وان كانت ايام القتال الفعلى فيها لا تزيد عن شهور ...

اذن ، لا بد ان نفهم الحرب ـ في هذا الحديث على الاقل ـ بالمعنى الاشمل . السياسة والاقتصاد والقتال . التدبير والترتيب والتنظيم . تكوين نوع المجتمع المهيأ للقتال . المكر والخداع والدهاء . كل هذه أشياء تدخل في حديثنا هذا تحت كلمة الحرب . لان الحرب بمعناها القتالي هى محصلة كل هذا واكثر منه .

فميلاد الفكرة الصهيونية وتحديد هدفها ، ومكان قيامها ، جزء من هذا .

ائة سنة

بقلم : أحمد بهاء الدين

ثم بدء الهجرة الاولى ، بشكل سلمى ، واقامة اول مستوطنات فى فلسطين، بحيث تكون المستوطنة سكنا ومقرا للعمل للانتاج ومعسكرا وحصنا فى نفس الوقت..

ثم دخول المال اليهودى الكبير« روتشيلد ولورد مونيتغيورى وغيرهم » لشراء الارض بقوانين الاحتلال الانجليزى. هذا ايضا حرب . ويكفى قول المفكر اليهودى الفرنسي الكبير « ماكسيم رودنسون » : ان دخول « روتشيلد » مشتريا ازاء فلاح فلسطيني فقير ، هو علاقة استعمارية ، للتباين الشاسع بين قوة الاقتصادين ، بين قوة هذا المصدر وذلك ، بحيث لا يمكن ان تسمى هذه العلاقة علاقة بيع وشراء حرة ، مهما كانت ضآلتها ...

وجاء بعد ذلك ظهور التنظيمات الاوسع نطاقا ، سواء نقابات العمال . او المؤسسات الاقتصادية او الهيئات المتفرغة لاجتلاب المهاجرين . والمنظمات العسكرية والارهابية. وكان هذا كله يتنامى ويتشكل تحت مظلة اساسية ، اشبه بحكومة هى : الوكالة اليهودية ...

وفى هذه الاثناء كلها ، كان نشاط يهود الخارج لا يقل حجما واثرا عن نشاط يهود الداخل . جمع الاموال ، ارسال المتطوعين . والسعي لدى الجهات الاجنبية التى لها القوة والتاثير على الارض المطلوبة وهى فلسطين : بدأت الحركة الصهيونية اتصالاتها بالباب العالي فى تركيا ، حين كانت الامبراطورية العثمانية هى صاحبة الامر فى فلسطين . فلما نشبت الحرب العالمية الاولى كان فريق من الصهيونيين فى برلين يقتنصون الوعود من القيصر الالماني وفريق آخر فى لندن يزين الاغراءات للحلفاء الذين يقاتلونه ، حتى تكون لهم كلمة لدى اى فريق ينتصر . بينما شد فريق ثالث رحاله الى امريكا ،حين تشمموا أنها ستكون المارد الجديد .

ونفس الشيء كرروه بصور اخرى في الحرب العالمية الثانية ، وما بعدها • غير انهم نقلوا مركز ثقلهم الخارجي الى امريكا •

فحين قامت « حرب » ١٩٤٨ كان كل شيء معدا لاعلان الدولة • كانت لديهم المنظمات العسكرية والمدنية ، وهيكل الدولة • والتأييد العالمي • وقوة الضغط الامريكي • ومصادر السلاح المفتوحة • والدعاية الكاسحة •

هذا نموذج ناخذه لمعنى الحرب بمعناها الواسع ، الحديث ، الذي نستخدمه في هذا المقال ••

فالذي انتصر سنة ١٩٤٨ واقام دولة اسرائيلية ليست قوات الهاجاناه والارجون وشترن وغيرها فقط • انما الذي انتصر هو هذا النضال الطويل ، منذ قال تيودور هيرتزل الكلمة • فهو نصر استغرق اعداده اكثر من نصف قرن • وليس نصرا تم احرازه في بضعة شهور من القتال الفعلي •••

ولم تتغير القصة منذ ذلك الوقت ، حتى يومنا هذا •••

فما مضى من الصراع العربي الاسرائيلي ، خليق بتلك التسمية التي اطلقت في التاريخ على بعض حروب اوروبا الدينية والدنيوية التي نشبت في العصور الوسطى : حرب المائة سنة !

ولكن ، ما المعنى من طرح القضية المالوفة من هذه الزاوية وبهذا الاسلوب؟•

المعنى ، هو ان الطرف الاسرائيلي نظر الى معركته من منظورها الصحيح • راها منذ البداية صراع أجيال • فيه الحصول على المدفع ليس اكثر اهمية من الحصول على آلة المصنع • وفيه اعداد رجل القتال لا يزيد اهمية عن اعداد رجل الاقتصاد او رجل العلم او رجل السياسة • وفيه النصر في موقعة سياسية لا يقل عن النصر في موقعة عسكرية • وفيه الفوز بحليف لا يقل عن الفوز بموقع استراتيجي •

ذلك ان طبيعة الصراع الاسرائيلي العربي ، ليست شان اى صراع بين دولتين متجاورتين على قطعة ارض •

ليس مثل صراع المانيا وفرنسا مثلا على الالزاس واللورين •

وليس مثل صراع امريكا واليابان على جزر المحيط الهادىء •

انه شيء اعمق واكبر واطول مدى من كل هذا •••

وبالتالي ، فان من مظاهر التصور العربي الدائم خلال حرب المائة سنة الماضية ، نظر العرب دائما الى يومهم دون النظر الى مساحة اوسع من الايام • واهتزازهم بالرضى او السخط ، وانقلابهم الى التفاهم او التصارع فيما بينهم ، حول العابر من الاحداث ، مهما بدا كبيرا في يوم ، دون الباقي البعيد الامد ، العميق

الاثر . وايضا تركيزهم على « مظاهر »الصراع ووسائله ، ولا اريد ان اقول « قشوره » احيانا ، دون جوهره .

ولو عرف العرب منذ مائة سنة ،انها حربمائةسنة،كما عرفالاسرائيليون، لربما تغيرت سياساتهم واساليبهموأولوياتهم ، عما فعلوا فيهذهالمجالات.. ولما وصلنا يقينا الى ما وصلنا اليه اليوممن حال ...

واترك جانبا حالة دول البترول ،التى حباها الله بثروة دافقة جعلت معدل تقدمها دافقا .. واسأل سائر امتنا سؤالاليما واحدا : كم فعلنا لمحو الامية بين اهلنا وكم فعلت الحركة الصهيونيةلاهلها؟

كم فعلنا لاشاعة الديمقراطية،العدالة وكرامة الانسان وكم فعلوا ؟

كم بذلنا لكسب المعرفة الحديثةوقيمالتنظيم وتنمية الكفاءة وتطوير القدرات وكم بذلوا ؟ ..

كم ركزنا على سياسة تسجيلالمواقف العلنية ، وكم ركزوا على احراز النتائج العملية ؟

والامثلة لا نهاية لها ...

★ ★ ★

واننى بهذا القول لا احب أن ادخلفى عداد الذين يتخصصون من بيننا فى تعذيب الذات . والذين ترفعهم ساعةنصرالى تذكر « اننا خير امة اخرجت للناس » وتهبط ساعة ازمة الى ان العرب لا فائدةمنهم وامراضهم لا مثيل لها ولا شفاء منها ...

هذهالموجاتتمر ـ وقد مرت ـ بكلشعوب العالم ذات الحضارات ...

اننانرى التمزق العربىرغمالاخطارالمشتركة المحدقة فنظن انه امر لا مثيل له فى التاريخ ..

ولكننى كنت اقرأ بالمصادفة وانااكتب هذا الحديث ، كتابا ضخما جليلا الفه مؤرخ انجليزى جليل هو « لوردكينروس » باسم « القرون العثمانية » عن نهضة الامبراطوريةالعثمانية وانهيارها..

وكانت الدولة العثمانية هى تلكالقبيلة التركية الصغيرة فى الركن الاقصى من آسيا الصغرى،التى تحولت الىدولةثمامبراطورية ، والتى كان حظها التاريخى تدمير الدولة البيزنطية نهائيا ، وانهاءآخر الحروب الصليبية وملاحقتها فى معاقلها فى قلب اوروبا . فاحتلت البلقانكله . وحكمت نهر الدانوب . ودمرت بودابستتدميرا ، ووصلت عند حدودفينا ، قلب اوروبا النابض فى ذلك الوقت ...

كانت الامبراطورية البيزنطية كلهافى حالة تآكل . وكان ملوك المسيحية بل



السلطان العثماني يأخذ حمامه ! » لوحة قديمةمن القرن السا



وقساوستها كما كان فرسان الحروب الصليبية الغابرة مختلفين بين انفسهم اكثر من خلافهم ضد من رأوا انه عدوهم الحضارى ، وهو الزحف الاسلامى ...

ولكننا نرى العجب ونحن نقلب تلك الصفحات الرهيبة . نرى ان بابا روما الكاثوليكية يسكت ضمنا عن سقوط القسطنطينية فى يد محمد الفاتح نكاية فى بابا الكنيسة الارثوذكسية . ونرى ملوك فرنسيين والمان يتامرون سرا مع الغزاة العثمانيين ضد حلفائهم ، « الظاهرين » فى دول فينسيا والمجر ويوغوسلافيا . وكان العدل الذى زحف مع غزاة عظام مثل « سليمان القانونى » يجعل الناس فى الاراضى المحتلة يغيرون دينهم طوعا واختيارا حتى يتمتعوا بالامن الجديد بدل ظلم امراء الاقطاع المسيحيين فى اوروبا ...

فلما بدأت الامبراطورية العثمانية تشيخ ، شاخت من الداخل وهى فى أوج قوتها الدولية ، دون أن يلحظ ذلك أحد .

ويروى لورد كينروس فى كتابه هذا ، ان كبير وزراء الامبراطور سليم الثانى ، كان سلجوقيا من أعداء الاتراك القدامى ، وكان يرى الفساد يستشرى فى البلاط أو فى «الباب العالى» وكان كبير الوزراء يدفع الى الفساد ويشجعه . حتى نجح يوما فى أن يجعل الامبراطور نفسه يقبل الرشوة شخصيا كرجاله ، فخرج يومها من عنده هامسا لصحبه : اليوم انتقمت لاجدادى السلاجقة من الاتراك ! اليوم لمس السلطان مال الرشوة ! اليوم بدأ انهيار الدولة العثمانية .

ثم كان الترف المفسد هو المسمار الثانى الكبير .

ولم يكن فى قوله هذا كاذبا !

★ ★ ★

رويت هذا ، لكى اشرح للقارىء أنما وقعنا فيه أحيانا قد وقع فيه غيرنا . وان الرذائل ليست أمرا خاصا بنا . وانما هى ظروف بالغة التشعب والتعقيد ، تؤدى الى نفس النتائج فى أى أمة فى مراحل معينة من تاريخها ...

أردت بذلك أن أخرج بنفسى، وبقرائى اذا أمكن ، من صفوف « الساديين » ، المعذبين لانفسهم ، المتاجرين بنقائص شعوبهم ، دعاة اليأس الدوريين .

★ ★ ★

بعد هذا ، أريد أيضا أن أخرج بنفسى، وبقرائى اذا أمكن ، من صفوف المتراخين، المتفائلين القاعدين ، الحاسبين أن التاريخ لهم حتى ولو لم يفعلوا شيئا ...

ولعلنى قد كتبت كثيرا فى هذا المعنى ، وربما أكون قد أسرفت فيه ...

ولكن عشرين سنة من معالجة هذه القضية لم تغير من قناعاتى فى هذا المجال شعرة واحدة ، ولقد تاتى مناسبات القول المفصل يوما .

وما أكثر ما يكون ثبات صحة ما ذهب اليه المرء يوما ، مصدر حزن عميق له ، لا مصدر زهو وافتخار ...

لقد قلت دائما ان العالم العربى ، عالممطلوب اخضاعه من كل قوى الدنيا المؤثرة تقريبا • وقلت ان خطر اسرائيل ليس فيأنها دولة يهودية ، ولا فى صيرورتها يوما الى مجتمع يهودى يعيش فى كنف عربى ،أو شرق أوسطى • فما ازدهرت حضارة اليهود فى تاريخهم كما ازدهرت فىأندلسالعرب والمسلمين، كما قال أبا ايبان وزير خارجيتهم العتيد فى كتابه الضخم « قصةشعبى » • وحتى الان فان ثمانية فى المائة من تراث اليهود مكتوب باللغة العربية ،لا بالعبرية ولا بالانجليزية أو غيرها •

ولكن الجانب الخطر فى اسرائيل هوفى أنها جاءت كرأس حربة لعالم أوروبى أمريكى ، توالت بعده الطعنات من حـول الامة العربية ومن شتى الجبهات •• جاءت فى حقبة تنبىء بيقظة العرب ، وتقدمهم ،وتوفر الامكانيات لديهم وبامكانية عودتهم الى دورهم الحضارى العظيم ، تريد أنتكبلهم وتضعفهم وتمتص طاقتهم ، حتى تفلت منهم الفرصة تماما •••

وتلك هى حرب المائة سنة المقبـلة ،بالمعنى الذى أسلفته أول هذا الحـديث لكلمة الحرب •

ولن يتمكن العرب من استقبال المائــةسنة المقبلة، الا اذا أخذوا باسباب التحضر فى كافة المجالات وبنفس المستوى •••

لا يمكن أن تكون للعرب قوة عسكرية ،وسائر حيــاتهم فى حالة ضعف • فقـد عرفنا موجات من القوة العسكرية وحدها،كالتتار والمغول اجتــاحت وانتصرت ثم انتهت لانه ليس بالعرب وحدهــا تعيشحضارة وتزدهر •

ولا يمكن أن تكون للعرب قوة سياسيةفقط ، دون قوة عسكرية تحميها ، وقوة اقتصادية ذاتية تعززها ، ومجتمع متقدمقادر على النهوض بهذا كله •••

ولا يمكن أن يقوم فىأمة العرب مجتمعله هذه الصفات ، الا باحترام الحقــوق الاساسية للانسان ، والا بمسايرة أعظمانجازات الدنيا وهى روح الديمقراطية • وروحالديمقراطية ليس برلمانا صحيحا أومزيفا •

ولكن روحها تكمن فى معرفة الشعببالحقائق ، وشيوع المعلومات الصحيحة ، والثقافة السليمة وحق التعبير البنـاء ،واعلاء قيمة العقــل والفكر على قيمــة الغرائز والشهوات • وذوبان الشعوبيةالعربية فى أمة واحدة • وتراجع مصالح الحكام فيها ازاء مصالح الشعوب • وكونأكرم أبنائها هو أتقاهم •

وكل ما هو دون هذا التغير العميق ••فهو تفاصيل ، وهو وقائع أيام ، أشبــه بالصفحات التى تقلبها اليد سريعــا فىكتاب ضخم كبير ، له خلاصة شاملة ومنطق قائد صحيح • ■■

أحمد بهاء الدين

● الاستاذ ابراهيم الشطى فوق أنه اديب موهوب، كان مديرا لمكتب سمو امير دولة الكويت الراحل اكثر من عشر سنوات متواصلة وهو هنا يرسم له صورة عن قرب ٠

صباح السالم الصباح

أميـر الكويت الثـانى عشـر

١٩٦٥ — ١٩٧٧

بقلم : ابراهيم الشطى

[illegible] المقال عبارة عن انطباعات وذكريات حول بعض صفات [illegible] الراحل رحمه الله ٠ ومن الصعب [illegible] [illegible] ٠ فالذكريات [illegible] مسلسلة [illegible] تفرق [illegible] الظروف والمناسبات ٠ فهى ترتبط بحوادث [illegible] ان يذكرها الانسان تباعا ٠

صباح السالم الصباح ، امير الكويت الثانى عشر ــ شاءت الاقدار أن يظل اميرا للكويت لاثنى عشر عاما ، وعلى وجه التحديد اثنى عشر عاما ، وشهرا ، وستة ايام ٠ فقد تولى مقاليد الحكم بعد وفاة اخيه عبدالله السالم الصباح فى الخامس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٩٦٥ ٠

تسلم المسؤولية فى وقت سارت فيه البلاد بخطوات وئيدة فى أولى مراحل ازدهارها وتقدمها، نتيجة للسياسة التى ارسى اسسها اخوه الامير السابق والتى كان يهدف من ورائها ان يكون للكويت مركز مرموق ودور فعال ليس فقط بين شقيقاتها العربيات بل وفى المجال الدولى ٠

وجاء رحمه الله ولديه هذه الرؤية الواضحة ٠ مع عزم ثابت على مواصلة الجهود والسير نحو الهدف ٠ فكان يحرص اشد الحرص ان يكون نهج الكويت واضحا ومعروفا فى السياسة العربية ،وهو العمل من اجل الوفاق والوئام والانسجام بين الدول العربية الشقيقة ٠ وتقريب وجهات النظر، والعمل على نبذ الخلافات ، وعلى ان يلتقى الاخوة العرب لطرح اختلافاتهم وبحثها والتوصل الى اتفاق بخصوصها ٠ وظل يصرح فى كل مناسبة ان هذا الخط السياسى سيكون اساسا راسخا من اسس سياسة الكويت لن تحيد عنه ٠

وكان يؤكد للعديدين ان الكويت عندما تقول كلمتها فانما هى تلتزم بها التزاما تاما ، وعندما تقول انها ستمد يد العون والمساندة لشقيقاتها فانها تعنى ما تقول ، وليس كلامها هذا لمجرد الاستهلاك ، بل انها تؤمن به ايمانا عميقا ، ويجب ان يكون مفهوما ان هذا العون انما هو واجب الاخ تجاه اخيه من ناحية ، وواجب قومى ايضا ٠

لقد قال هذا الكلام مرات عديده لمختلف المسؤولين العرب والموفدين والممثلين ٠ ووضع كل ثقله ايام عهده تجاه تنقية الجو العربى ودعم الدول الشقيقة ٠ وحتى آخر لحظات حياته كانت وحدة الصف العربى والتقارب والتفاهم بين الاخوة العرب تسيطر على كامل تفكيره وتشغل باله٠

ارادة الله

لقد انتقل الى جوار ربه فى الساعات الاولى من يوم السبت ، العشرين من المحرم ١٣٩٨ هجرية٠ الموافق الحادى والثلاثين من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧ ميلادية ٠ وعلى وجه التحديد فى حوالى الساعة الثانية والدقيقة العاشرة من صباح هذا اليوم ٠ واعلن نبا الوفاة على الملأ فى



الساعة السادسة والدقيقة الخامسة عشرة صباحا ٠

وكان للنبا وقع الصاعقة على الناس فلـم يستطع الكثيرون ان يتقبلوه ، شانه شان اى نبا حقيقي مؤلم ، يعرف الناس انه حقيقة لا مجال للشك فيها ولكنهم لا يستطيعون ان يتقبلوه فجاة وبدون مقدمات ، فالانسان عندما يصدم بحقيقة مرة فانه يريد وقتا ليدركها ويعى واقعها ٠

وهكذا كنت عندما استدعيت الى قصر المسيلة بعيد الساعة الثانية من تلك الليلة ، وسرت فى طريقي والكويت نائمة هادئة ، والشوارع لا حركة فيها على الاطلاق ٠ كان الصمت ضاربا اطنابه ، مخيما فى الهزيع الاخير من الليل ٠ كل شيء هادىء هدوءا حزينا باكيا ٠ ولا اظن ان للقلم مقدرة على وصف مشاعر الانسان خلال اللحظات الاولى لفقده شخصا عزيزا ، فما بالك اذا كان هذا الشخص على رأس المسؤوليه فى البلاد ٠ لقد كنت معه قبل يوم واحد فقط اتحدث معـه واساله عن صحته فيجيبنى انه على ما يرام واعيد السؤال عليه فيقول : نعم ولله الحمد اشعر اليوم اننى بعافية وصحة جيدة ٠

واستدعى الى قصر المسيله فى نهايه يـوم الجمعة ، الثلاثين من ديسمبر وفى اول ساعات يوم السبت ، وفى الطريق الى القصر يؤمن العقـل بانها هى الحقيقة ، ولكن القلب يكرهها ، والنفس تاباها وترفضها ٠

وخرج الجثمان من قصر المسيلة فى موكـب متواضع ، ولكنه وقور مهيب ، وسار يشق طريقه وسط بحر زاخر من الناس ٠ لقد خرجت الكويت لتوديعه عن بكرة ابيها ٠ كانت صفوف النـاس متراصة من بوابة القصر حتى مثواه الاخير ٠ وفى هذه اللحظات ونحن نسير وراء النعش وسط هذا الحشد الهائل من البشر ، كانت ترن فى اذنى كلماته العديدة التى خاطب بها هذه الجموع فى مختلف المناسبات ٠ وتذكرت ابيات الشعر التى كان رحمه الله يقولها دائما عندما يلتقى بشعبه وابنائه المواطنين :

انى وحق الوفا منكم على ثقـة
والعهد مـا بيننـا والود لا زالا
سلوا ضمائركم فالحق ما شهدت
به الضمائر شح الدهر ام طـالا

وقلت فى نفسى : لقد كانت ثقته فى محلها وها هم المواطنون خرجوا يشيعونه وفاء للعهد

وتاكيدا للثقة بينهم وبينه •

وتذكرت يوم الاربعاء السادس عشر من مارس ١٩٧٧ ، بعد ظهر ذلك اليوم عندما عاد رحمه الله من لندن بعد غيبة طويلة قضاها في العلاج ـ كان العشد العظيم من الجماهير لا يمكن وصفه • كانت مشاعر المحبة طافحة • وكانت الكويت قلبا واحدا ينبض بالحب والشوق ، كان الحب بارزا على وجوه الناس جميعا وهم ينتظرون بلهفة لحظة نزوله من الطائرة •

وفي الوقت نفسه كان هو بالطائرة تفيض نفسه بهذه المشاعر ذاتها ، ورأى ان احسن وسيلة يمكنه ان يعبر بها عن حبه للوطن والمواطنين في لحظات اللقاء التاريخية تلك ان يامر ربان الطائرة ان يدور بها دوره كامله على الكويت في مستوى منخفض تحية لكل فرد من الناس •

وكانت لحظة نزوله من الطائره مليئه بالعواطف الجياشة ، كانت الدموع تنزل من عينيه وهو ينزل من سلم الطائره ، فقد لمس اخيرا تراب الوطن ، هذا التراب الغالي الثمين وكتب الله سبحانه وتعالى له العودة بعد ازمات قلب شديدة لم يكن يظن انها ستتركه يمشي مرة اخرى على هذا التراب العزيز او تطا قدماه ارض الكويت •

مع الشعب دائما

ولم يتبادل هو والمسؤولون الكلمات ، بل كان هناك صمت يصح بالتعبير عن مشاعر لم تستطع الكلمات ان تعبر عنها • وكنت انظر الى قسمات وجهه وتعابيره ، فلم اعثر على تعبير يصف مشاعره اروع مما قاله امير الشعراء احمد شوقي في مثل هذه اللحظات :

ويا وطني لقيتك بعد يأس
كأني قد لقيت بك الشبابا
وكل مسافر سيؤوب يوما
اذا رزق السلامة والايابا
ولو أني دعيت لكنت ديني
عليه أقابل الحتم المجابا
أدير اليك قبل البيت وجهي
اذا فهت الشهادة والمتابا
وقد سبقت ركائبي القوافي
مقلدة ازمتها طرابا
تجوب الدهر نحوك والفيافي
وتقتحم الليالي لا العبابا

وتهديك الثناء الحر تاجا
على تاجيك مؤتلقا عجابا

كان ذلك الحشد العظيم الذى استقبله في يوم الاربعاء ذاك والذى لم تشهد له الكويت مثيلا، هو نفسه هذا الحشد الذى يودعه اليوم بالبكاء •

لقد كان في حياته بسيطا مفتوح القلب والنفس• وعندما يتحدث مع اى انسان فانه يظهر مشاعره الحقيقية دون لبس او غموض ، وفي مقابلاته للرؤساء والموفدين والرسميين يتحدث بصدق واخلاص وصراحه • وعندما يستمع الى القول الصادق من محدثه يقول له مباشره بعد نطقت بالصدق والحق لانني اشعر بذلك ، فالقول النابع من القلب تتقبله نفسي سريعا • ثم يتمثل بهذين البيتين :

عيناك قد دلتا عيني منك على
اشياء لولاهما ما كنت ادريها
والعين تعرف من عيني محدثها
ان كان من حزبها ام من اعاديها

وكان لا يريد ان يكون بينه وبين المواطنين اى حاجز او عائق ، ويوصينا مرارا وتكرارا ان لا نمنع اى انسان يرغب في مقابلته ليقدم له شكوى او يشرح له موضوعا او يعرض عليه رأيا• ويكرر علينا قول الرسول الكريم • كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته •

كان يحب الكويت حبا عميقا ملك عليه شغاف قلبه ، واكثر الاوقات التى يجاهر فيها بهذا الحب عندما يكون في الخارج ، وكان يتساءل عن الكويتيين القادمين ويحب ان يراهم ويتحدث معهم عن الوطن والاهل •

وكانت اكثر الاحاديث حبا الى نفسه عاداتنا وتقاليدنا بين الماضي والحاضر ، وما كانت عليه الكويت في الماضي ، وما اصبحت عليه الان • وكان يتحدث باعتزاز وافتخار عن منجزات الكويت في مجالات التعليم والعمران والصحة والادارة والتنظيم • ويظهر افتخاره بما وصلت اليه من تقدم في مجالات تقطير المياه وتوليد الكهرباء، والبناء الاقتصادى •

اما شباب الكويت من الجنسين فكانت له نظرة خاصة بهم ، ففي كثير من الاحيان عندما يكون الحديث عن تقدم الكويت وازدهارها ووضع خطط للتطوير والتنمية ، يقول ان التنمية والاستثمار الحقيقي هو في تعليم ابنائنا وبناتنا تعليما جيدا

يتمشى والزمن الذى يعيشون فيه ، ويضيف اننا نريدهم ان يصبحوا اهل معرفه وخبره في جميع المجالات والميادين • فالتعليم هو الاستثمار الحقيقي وهو الضمان لنمو الكويت ونموها ورخائها •وعندما يكون لدينا في الغد الابناء ذوو الكفاءة العلمية العالية فان ذلك سيجعلنا نعتمد على انفسنا في مجالات العلوم والفنون كما انه سيكون مصدر فخر واعتزاز لنا جميعا • وكان يحب ان يختلط بشباب الاجيال الصاعدة ويتحدث معهم ليحثهم على بذل المزيد من الجهد والعمل المثمر لخيرهم وخيرالكويت• وكان يوصيني ان اقدم اليه اية رسالة او مكتوب ياتي من اية جمعية جامعية ليطلع عليه ويلبي طلباتها •

اما محبته للاختلاط بافراد شعبه والتحدث معهم فهذا شيء معروف ، ولذلك فقد وضع تقليدا جديدا حال تسلمه للسلطة وهو دعوة معظم المواطنين على اختلاف فئاتهم للافطار على مائدته بقصر المسيلة خلال الاسبوع الاول من شهر رمضان الكريم ، وذلك لتتهيا الفرصة له ليتجاذب معهم الاحاديث العادية بعيدا عن الرسميات •

وكان يشدد في كلماته على التعاون والترابط والتماسك بين افراد الشعب ، ويقول ان شعب الكويت منذ نشاتها كان يرتبط كله برباط عائلي ، ويجب ان نحافظ على هذا الرباط ، ونتمسك بروح ومفهوم الاسرة الواحدة ، ثم يقول: انني لا اعتبر نفسي اميرا بقدر ما اعتبر انني والد للجميع • وكان يحاول في كثير من الاوقات ان يبين ان تقدم الكويت ورقيها لا يتحقق الا بتعاون الجميع ، ويقول : لننهض قدما يدا بيد نبني هذا الوطن لاسعاد الجميع ، ثم يتمثل بهذين البيتين :

همم الرجال مقيسة بزمانها
وسعادة الاوطان في عمرانها
واساس عمران البلاد تعاون
متواصل الاسباب من سكانها

وكان رحمه الله يحب الاطفال كثيرا ، ويتاثر للغاية عندما يشاهدهم في بعض المناسبات بل وتحتبس الدموع في عينيه ، وتصل هذه المشاعر ذروتها عندما يزور المعاهد الخاصة • فلهذه المعاهد مكانة خاصة في نفسه • فهو يفتخر بها ويوصي دائما ان تكون ضمن برنامج الرؤساء والشخصيات والوفود التي تزور الكويت •

● صباح السالم الصباح

والد الجميع

ومنذ عودته من انجلترا في مارس الماضي ، كنت الاحظ تجلده ومقاومته للازمات الصحية التي تمر به • فلم تكن حالته الصحية على ما كانت عليه ، ولكن ارادته كانت قوية • وكان يقوم بواجباته الرسمية وهو يشعر في قرارة نفسه ان عليه ان يرتاح،ولكنه الواجب وعليه ان يقوم به•

وعندما فاضت روحه الى بارئها كان قد حقق شيئا واحدا من الصعب ان يحققه اي انسان ، وهو رضي الناس • لقد رضي عنه الناس ، وكان هذا الرضي واضحا جليا بهذه الحشود والجموع التي جاءت لتشييعه • وعندما ابنه حضرة صاحب السمو الشيخ جابر الاحمد الصباح امير البلاد ، كانت كلماته تعبيرا صادقا عما يشعر به كل مواطن ، فقد قال سموه حفظه الله :

« لقد كان أميرنا الراحل والدا للجميع، احب الكويت واهلها حبا خالصا فبادلته الحب والاخلاص ، وكان وفيا لامانيها وتطلعات شعبها ، فبادلته الوفاء والولاء • لقد كرس كل حياته منذ صغره لخدمة هذا الوطن ، وبقي يتحمل الاعباء والمسؤوليات على حساب راحته وصحته ، وادى واجبه كاملا حتى آخر لحظات حياته • لقد كان لفقيدنا الكبير رحمه الله وطيب ثراه مكانة رفيعة ومقاما ساميا في قلب كل مواطن من ابناء هذا البلد الامين ولدى كل من عرفه من ابناء العروبة والاسلام • »

نعم لقد احتل صباح السالم الصباح هذه المكانة في نفوس المواطنين ، وستظل ذكراه عزيزة في قلوبهم وهم يتوجهون اليوم الى الله سبحانه وتعالى بدعائهم ان يسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء والابرار ، وان يكلأ بعنايته ورعايته خليفته صاحب السمو الشيخ جابر الاحمد الصباح ، وان يعينه على تحمل مسؤولياته ، ويأخذ بيده ، ويجعل التوفيق والنجاح حليفه • اللهم آمين • ■■

ابراهيم الشطي

في ذكرى عيد الكويت الوطني

العيد والناس

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

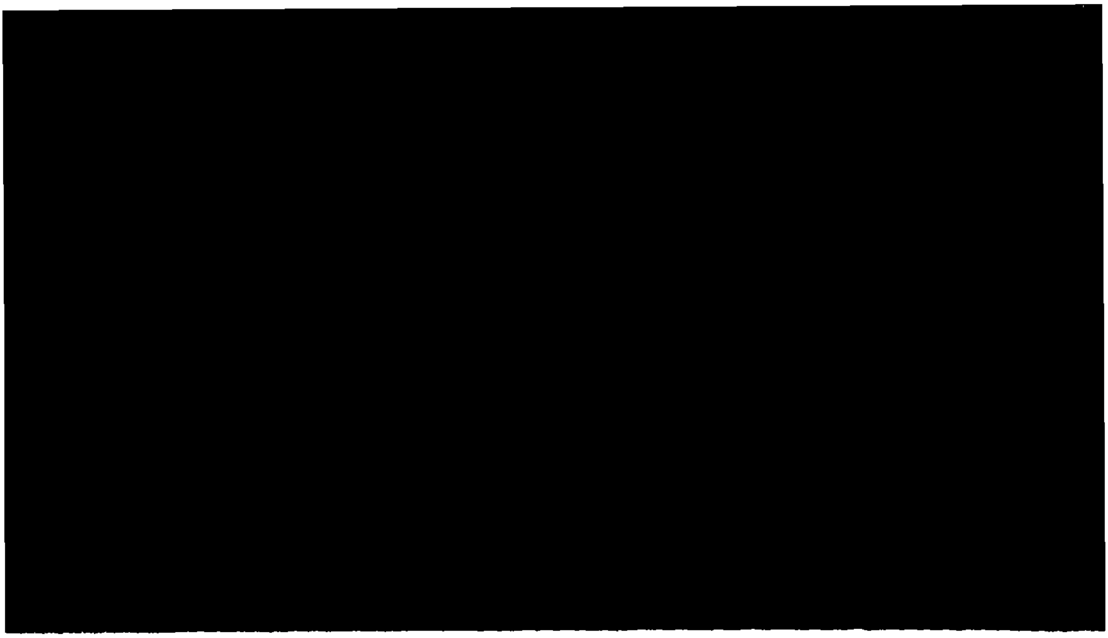
هل تساءلت يوما وقد أخذك العيدبطقوسه وغمرته وموجه : ما العيد ؟ ما قصته ؟ وأني يهبط ؟ حين تنتشرالبهجة في الشرايين انتشار الاسهم النارية في جوف الليل عناقيد وثريات،وألوانا من الالوان ، حين يضج الاطفال في الساحات ولا أسراب السنونوالربيعي ، ويضرب الطبل هنا ويقوم الرقص هناك ، ويهرول السرور ،زارعا فرحة عند كل باب ، وابتسامة على كل جبين عتيق التجهم ، ويتبادلالناس اللازمة التقليدية : كلعام وأنتم بخير ٠٠ حينذاك هل تساءلت مرة أوتساءلجارك : ما قصةالاعياد والانسان؟ أغلب الظن أنك لم تفعل أبدا وأنهلم يفعل ٠ أهو العيد وكفى ؟ أهو يوم مقدور تنزل في التقويم السنوى منعليين أو من حيث لا ندرى وقد ورثناه أو اصطلحنا عليه فما عنه من حول ؟

لن تراني اقف بك عند اشتات .لنظريات الاجتماعية ، في هذا الباب ، وما اكثر واوسع ، ولاعند ابعاد التحليل النفسي و لاستقراء، وما اعقد واغنى ٠٠٠ فما قصدت الا الى شيء من اللقاء عند اطراف الافكار وشيء من الحديث الطريف ليس غير ٠٠٠

لقد يكون معنى العيد قد ضاع اليوم في زحمة الحياة الصاخبة وضاعت الوانه مع الالوان ٠ لكنك لو ذهبت مع العيد سربا في الزمن حسبته ولد مع الجماعة الانسانية يوم ولدت هذه الجماعة ٠ حتى في الكهوف الاولى كان العيد هناك ٠ ولقد رافق الجماعة الانسانية نقلة نقلة انى كانت وحيثما انطلقت ٠ وكان منذ كانت فرضا اجتماعيا كما كان من طقوس الدين في وقت معا ، وكان فرحا ايضا وأيضا قاسيالحدودرهيب الجدوالجهد،وكانت هذه الجماعة بعد طفلة وظل كذلك يوم بلغت الرشد الحضارى على السواء ٠٠ كل فاعليات الجماعة كانت تحشد له على الدوام ، بدائية كانت الجماعة في الكهوف وعند ظلمة الغابة، اوحضارية اضحت في القصور الممردة وعلى ارائك الحرير وزبد الاضواء كالشموس !كل فكر الجماعةوثقافتها من مبادىء ومن تصور ديني وآلهة ومنازع وعلم واساطير كان يبرز فيه ويؤكد ٠ كل فنها منرقص وغناء ولعب ونشيد واصباغ وموسيقى واقنعة وتحف وتماثيل وشعر كان يدخر له ٠ كلنشاطها الاقتصادى ونتاجها من طعام وشراب وخمر كان يقدم فيه ٠ كل قواها من عضلات واعدد وحراب واقواس وسيف مسنون ورمح ومن رباط الخيل كان يستعرض فيه ٠ كل طبقاتها من غنى وفقير ، من نبيل الاعرق او سائب الدم ، من محارب او قعيد ، من طفل يثغو او شيخ يدب على ثلاث ، من امراة تغازل القمر او كهل يشيل الهموم ٠٠ كل اولئك لهم مكانهم في العيد ولهم الادوار٠٠

للعيد وظيفته

فيم ذلك كله ؟ لان للعيد وظيفته الاجتماعية



الكبرى ، في حماية المجتمع والحفاظ عليه وعلى تماسكه • انه حاجة انسانية ، وجواب على حاجة انسانية • هو ظاهرة اجتماعية بصورة اساسية فالاعياد لاتكون فردية ابدا • هل تستطيع ان تكون وحدك عيدا ؟ الاعياد جماعية دوما لانها في حياة المجتمع شيء كثير • انها وقفة دورية في مسيرة الجماعة تؤكد قيمها الروحية ومبادئها وطموحاتها الكبرى ثم انها تاكيد للشعور بعلاقة الفرد بالمجتمع، تاكيد يتجدد باستمرار للتعبير عن تضامن الجماعة فيما بينها وعن انسجامها وترابطها الجماعي المكين ، عند مجموعة قدسية من القيم • ثم انها من بعد اندماج جديد في الجماعة التي تسند الفرد وتحميه وتلتقي معه عند المعاني التي يحملها العيد بين جناحيه وهي الى هذا وذاك كله خروج على ملل الحياة المالوفة • ان فقدت الحياة طعمها العريف الملتهب او الفاتر ، في غمرة التكرار اليومي جاء العيد يكسر هذا التكرار ويجدد النشاط والمنطلقات والقيم • وان بهتت العلاقة الروحية التي تربط الارض بالسماء • نبش العيد هذا التراب الارضي من رتابة العادة والهمود ودفعه في دنيا جديدة من رؤى الماوراء والغيب • ملاه شعورا بانه اقرب الى الملا الاعلى والى دنيا الاجداد والى كتلة الاخرين •••

هذا وذاك هو سر الفرح الطاغي الذي يرافق العيد • سر تلك المظاهر الطقسية التي تاتي معه• سر الرخص التي تسمح فيه بالرقص • بالضحك• بالزينات • بالتظاهر • بالنشيد • بالاسهم النارية بالصلاة مع الطعام الوفير • ولدى بعض الشعوب بالسكر والغمر والتحلل •••

وهذا هو ايضا سر العطلة وانقطاع العمل في العيد • انها ليست طقوس احترام وتقديس ، في الاصل ، ولكن لان الجماعة مدعوة معا لعمل آخر ، احتفالي، جماعي، فيه الصلاة وزيارة الاجداد في القبور كما فيه الرقص وفيه اللعب، وفيه صلة الرحم كما فيه الاطعام والغناء ونقر الدفوف •••

ولان العيد انفعال جماعي ، شرطه اشتراك الجماعة كلها بعضها مع بعض فان الارتباط به يحدد مستوى الترابط الاجتماعي في الجماعة • المشاركة في العيد متصلة بمقدار المشاركة الحميمة مع المجتمع في قيمه واهدافه وآماله • الست لهذا ياترى ، لاتجد امة بدون عيد ؟ لاتجد شعبا في الدنيا لا اعياد له ؟

حتى المجتمعات البدائية

ومنذ القدم الاقدم عرفت حتى المجتمعات الابتدائية دور « العيد » كقيمة اجتماعية • وكثيرا ما ربطته او لهذا ربطته الربط المباشر بالدين وبالطقوس الدينية ، فهو جزء من العبادات في الحضارات الاولى جميعا • دوما تحضرها الالوهات والاوثان هذه الاعياد • ودوما يحييها الكهنة باكمل الطقوس واللباس •••

ولقد تعددت الاعياد مع الايام وتنوعت • فهي تارة عائلية من زواج وولادة وموت••او اقتصادية، فعيد للحصاد وآخر للمطر وثالث للبحر •• او سياسية فذكرى للنصر او للاستقلال او لواقعة خالدة •• او هي لاستعراض القوى كالالعاب

الاولمبية أو هي اعياد دينية شكرا لله او تذكرا لعظماء الرجال وقواد الشعوب والمشرعين وللانبياء والقديسين وموتى الاجداد .. لكنها دوما علـى الاحتفاظ بطقوس الخشوع والصلوات وبدنيا الفرح العارم في وقت معا . ان القدسي لا يفارق العيد، انه جزء منه .

وتمر في الخاطر عابرة كموكب يوم الحشر آلاف الاعياد التي عرفتها الشعوب في التاريخ ، بالتراتيل والانصاب والمشاعل والزغاريد والاقنعة والضحايا والسكر والصلوات والابواق والاعلام والرقص ... اذا ذكرتها حسبت الدنيا نبعا من الفرح ينسكب في الدروب . وماذا اذكر لاذكـر منها ؟

منها مثلا ، من اعياد البابليين الاوائل (يوم راحة القلب) في منتصف كل شهر قمري ؟ اليس للبدر سحره ؟ ومنها من اعياد الحياه والموت ما يمثلـه تموز البابلي او ايزيس الفرعوني او ادونيس لدى الفينيقيين والاغريق . كلهم تغتاله الغوائل فيموت وتبكي عليه السماء وتتعرى الارض من حليها . فذلك الشتاء حتى اذا عاد الى الحياة استيقظ الزهر ، وعاد الورق الاخضر للارض .. انه الربيع ثم ينضج النبت ثم يهيج فتره مصفرا لتعود الدورة من جديد . ومنها اعياد وفاء النيل في مصر القديمة وفيضان نهر الغانج المقدس في الهند . النهر يعني الحياة هنا وهناك ! ومنها عيد ديوالي ، عيد المصابيح على شرف الالهة لاكشيمي الهندية الهة الخصب يوم تلقى آلاف المصابيح الملتهبة على تدفق الانهر وفـي المحيط فالجلد مـزروع الباسا وشعلا !

ومنها من أعياد الصين عيد الباشق (الشوحة). طائرات الورق ذات الذيول الطويلة ، رمز هذ الطائر ، تطير في الخامس من كل شهر خامس في السنة ، لتملأ جو العيد وتطرد اشباح الشياطين بينما يرقص الافعوان المقدس رقصة الاله ولقاء قطبي الحياة (ين) و (يـان) الرمزين الكونيـين للجنسين الزوجين الذكر والانثى ..

ومنها اعياد الرومان . وما ادراك ما اعياد الرومان يوم لا تملك نفس لنفس قيدا والامر يومئذ للجنون . انها لا تحسب في الزمن وفي عدد الايام والاشهر . فيها مصارعة الوحش والعبيد وفيها الصلاة الخاشعة في المعبد كمـا ان فيهـا عبـادة الاباطرة وفيها الخمار الذي يجرر الارجل في الطرقات لام الف بعد لام الف .. كانت في عصر الجمهورية ٦٤ عيدا في السنة ثم صارت في عهد الامـبراطور تيبيريوس ٨٤ ثم زاد الامبراطور الفيلسوف ماركوس اوريليوس الى ١٣٥ ثم اصبحت في القرن الرابع ١٧٥ يوما ...

ولست بمستطيع المضي وراء المهرجانات الصاخبة هنا وهناك ... يكفي ان نتذكر ان معظم هذه الاعياد والطقوس التي نمارس نحن حتى اليوم فانما لها جذورها الواشجة في تلك الايام الاولى . أوليس شم النسيم عيد السنة الشعبي على وادي النيل منذ السنين المؤلفة ؟ وعيد النوروز ، عيد كل ربيع في أجـواء ايران منـذ المئـات والمئـات ؟ واعيـاد الميلاد هـي بعسـها منذ العصور الوسـطى بمسـيرة بـابا نـويل الاسـطوري فيها على الثلج وتسلله من المداخن لايداع الهدايا للاطفال. اذا لم نذكر أيضا أعياد المرافع المشهورة في المانيا وغيرها وأعياد الكرنفال الصاخبة السوداء التي تدوم ثلاثة أيام بلياليها في ريودي جانيرو (البرازيـل) ولـم نذكـر الاعيـاد الدينيـة التي نعيد كل سنة . واعياد القديسين التي يعيد المسيحيون واعياد اليهود والهندوس والاف الملل والنحل ...

في ظل القيم الجديدة

على ان الايام التي ذهبت من تلك الاعياد باكثر مما ابقت جاءت بدلا منها باعياد أخرى لهذا العصر الحديث . القيم الجديدة التي خلقها هذا العصر خلق لها بدورها الاعيـاد . اختـطفت بدورهـا القدسية. صارت جزءا من كيان هذا الانسان الذي نرى ونعايش . الانسان اليوم يحتفل . كما كان على الدوام ، بكل انتصاراته ، يحتفل بوجدانه انسانيته على مختلف المستويات . واذا صح ان تكون الاعياد دليلا على تطلعات الانسانية فان الانسان يحتفل اليوم اول ما يحتفل واكثر مـا يحتفل بالحرية. لقد حلت محل قيم العهود القديمة ورموزهـا . اختطفت الهالات التي كانت ترسم حول القديسين . فالانسان يحتفل اليوم اكثر ما يحتفل بها . لا يحتفل بالعقل . لقد احتفلت به فرنسا ذات يوم ايام الثورة الفرنسية في عيد ضخم ... فكان عيدا مجنونا ! ومات العيد يوم ولد ... ربما لان الانسانية لم ترتفع بعد الى درجة « العقل » !!

ولكن الحرية هي اليوم القيمة الكبرى • في الاحصاء ـ وقد ينفع الاحصاء ـ تفرد شعوب الارض ثلث ايام السنة،كل سنة ، للاحتفال باعياد الاستقلال والجلاء والتحرر والحريه • مائة واثنان وثلاثون يوما على الاقل يكرسها الناس رسميا لهذه الاعياد ، ان لم نذكر الايام المكرورة والايام الاخرى للثورات والانقلابات يمسح بعضها بعضا•• تكاد لا توجد امة من الامم على هذه الكرة الطينية التي نسكن ونحب ونكره • ليس لديها عيد استقلال وحرية • بعض دول اوربا العتيقة والمستعمرة (بالكسر) فقط مثل بريطانيا • سويسرا • اسبانيا • البرتغال • ايطاليا هي التي ليس لديها فقط اعياد استقلال ••

وبالمقابل تقيم الامم عددا اخر من الاعياد يعادل نصف الاعياد الاولى عدد لتاكيد هذه الحرية بالقانون • فثمة ٦٣ عيدا للدستور في دول الارض وثمة لي هذا وذاك حوالي ٤٨ عيدا لتمجيد الثورات والمعارك والشهداء وايام التحرر••عدا مايستجد• ودول امريكا اللاتينيه هذه تربط هذه الاعياد باشخاص محرريها الكبار • انها تجسد فيهم معنى الحرية الاسمى • فمن عيد «بوليفار» الذي حرر على ظهر حصانه ارضا تزيد مساحتها على اوربا وتؤلف اليوم ست دول • الى سان مارتين محرر الارجنتين واريتفاس وعيد كولومبوس المكتشف الذي نعرف ••

عيد الحرية

وتحاول الامم اليوم اقحام بعض القيم الانسانية الشاملة على دنيا الاعياد • تحاول رفع بعض المعاني الى مستوى التقديس والفرح العام • تحاول جعلها « اعيادا » ! دول افريقيا بحسب قرار مؤتمر اديس ابابا للوحده الافريقية تحتفل بيوم افريقيا عدد كبير متزايد من الدول يحتفل بعيد العمال في اول مايو ايار ، عدد آخر يحتفل باعياد الام او الفلاح او الشجرة او الصحة او النيول او العلم او العلم الوطني او حقوق الانسان او عيد الهنود الحمر •• على انها جميعا اعياد « رسمية » • ايام مفرد، باهتة الروح ، لا تصل ـ او لم تصل بعد ـ الى الضمير الشعبي حيث يتفجر الفرح العرم وحيث ينسج الشعور بالكل في الواحد وبالواحد في الكل •• العيد الابرز اليوم في كل امة ، ما يزال ذلك العيد المتصل بالحرية والتحرر ، المرتبط بتراب الوطن وذكرى الصلة ، ونضال الاجيال من اجله •الحرية والاستقلال وتحرر التراب الوطني هي القيم التي اقبلت ، في هذا العصر الحديث ، تشد اواصر الامم والشعوب ، وتربط بالرباط الروحي المتين • ما بين افرادها • واذا كان ما توارثته الاجيال من الاعياد الدينية ما يزال باقيا يحمل ظلال الذكريات والمعاني التي وجدت من اجلها ، وكانت الاعياد الاخرى الشعبية قد تحولت الى مجرد تقليد سنوي ، وفرصة للهرب وكسر رتابة الحياة فان الاعياد الوطنيه والقومية واعياد الحرية هي التي تحتل الان ساحه الفرح • هي التي تستأثر بالزينات والاعلام والمشاعل وعقود النور والريحان••

واذا وضعنا جانبا اعياد المولد النبوي والهجرة والعيدين ، وعيد ميلاد السيد المسيح ورأس السنة وعيد بوذا وكونفوشيوس ، ونسينا اعياد الملوك القائمين في ميلادهم وفي التتويج،والرؤساء الحاكمين في ثوراتهم • كان عيد الحرية ، عند كل امة ، هو عيد الاعياد • لانه يجمع ما بين الانسان والارض معا • يمثل حرية التراب القومي وما عليه • يرمز الى قمة القمم التي وصل اليها الانسان بعد قرون وقرون من النضال الحضاري الطويل •

كتب القراءة الصينية تروي ان ملك الصين الاسطوري سينغ ابتلي بهجوم الشياطين السبعة على اطراف مملكته ، فوجه باولاده السبعة الى تلك الاطراف ووعدهم ان انتصروا ان يوزع بينهم كنوزه كلها التي وضعها في ابراج القصر الملكي الحصين • وعاد الاولاد من معارك الموت يروون بطولاتهم في القتال • يتحدثون عن الهول الذي لقوا وكيف شق هذا بسيفه كتل الغبار والاجساد وكيف نجا الاخر بالاعاجيب من مخالب الشيطان وكيف قطف الثالث رووس العفاريت وانتصر •• وسلمهم الاب مفاتيح الابراج • ولكنهم ويا لدهشتهم لم يجدوا فيها جميعا سوى كيس من التراب !

وجاؤوا اباهم عشاء صامتين ينعون الامال الغائبة • فقال الملك سينغ : بلى يا اولادي هذا التراب هو الكنز الوحيد الذي املك وتملكون وانه ليستحق الموت من اجله كما [illegible] النصر الذي به تفخرون [illegible]

حتى اذا كنت سليماً معافياً
هذا النبأ يهمك جداً

اسرار تصلب الشرايين تتكشف!

بقلم : دكتور عبدالمحسن صالح

● يقولون : عمر المرء مقدر بعمرشرايينه !

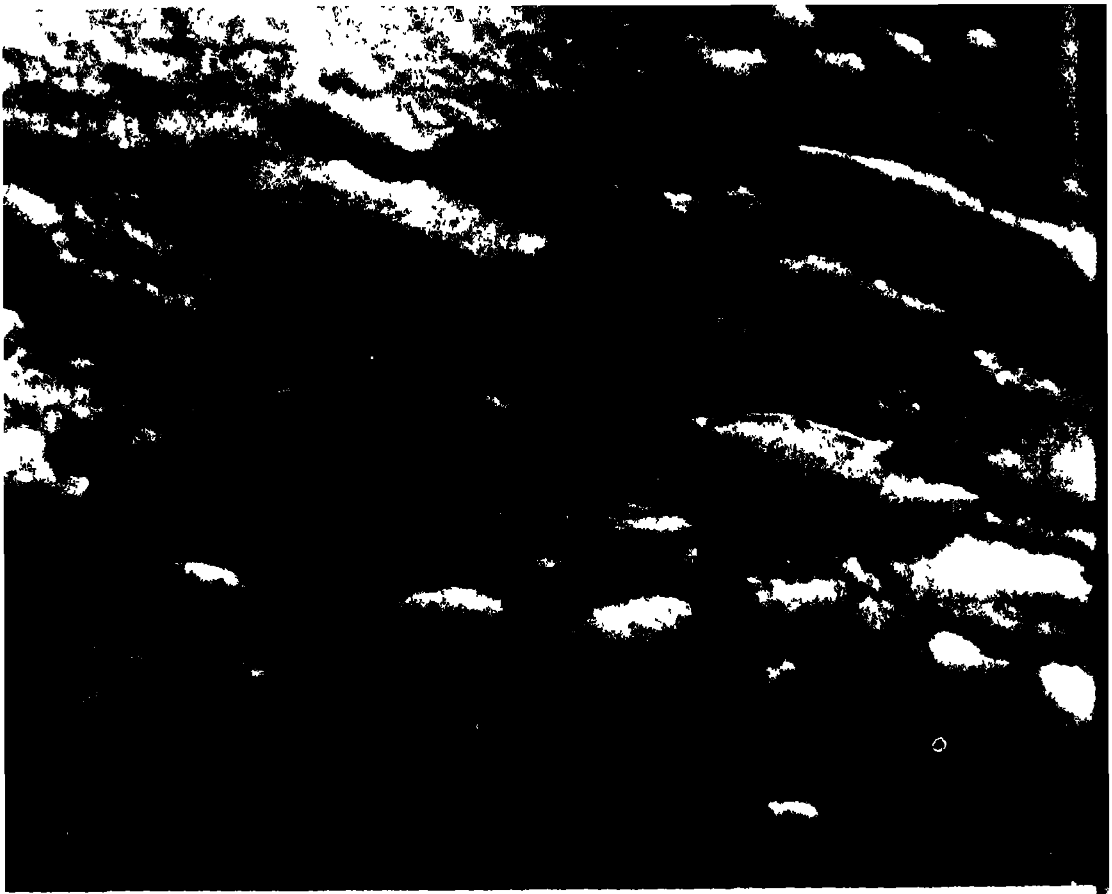
وهذا قول صحيح الى ابعد الحدود،ففرج الحياة فى انفراجها ، وضيقها وتصلبها فيه ضيق على الحياة . وقديؤدى ذلك الى الوفاة !

ومع الشرايين ايضا ياتى القلب فى المقام الأول ، فاذا اضطربت القلوب التى تنبض فى الصدور ، فان ذلك ـ بلا شك ـ يؤدى الى تاثر كل اعضاء الجسم تاثرا مباشرا بما حدث ، وعلى قدر اضطرابها ، يكون تاثرها ، ولهذا قالوا عن اضطراب القلوب او ازماتها انها «القاتل الأعظم» فى وقتنا الحاضر.

الاحصائيات العالمية تقول : ان عدد الذين يموتون الآن بالازمات القلبية اكثر من عدد الذين يموتون باى مرض آخر ، وان عدد هذه الازمات يزيد كلما زادت اعمار البشر ، او زحفوا نحو شيخوختهم التى لا مفر منها ولا مهرب .

والواقع ان القلوب يقع عليها العبء الاعظم ، وهى بلا شك صاحبة الجهد الاكبر ، فمع كل نبضة منها ، تنبض فينا الحياة ، فاذا تهاونت فى مجهودها ، او اضطربت فى عملها ، جاءنا احساس فورى بما حدث ، وعندئذ قد تنتشر فى صدورنا آلام تصل الى حدود قد لا تتحملها طاقات البشر .

ولكى نعرف شيئا عن الاعباء التى تتحملها قلوبنا ، كان لا بد ان نشير الى ان قلوب من امتدت بهم سنى العمر قد نبضت اكثر من ٢٫٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نبضة ، وان القلب فى الدقيقة الواحدة يضخ حوالى ربع صفيحة من الدم (خمسة لترات) اثناء استرخاء الجسم استرخاء تاما ، لكن هذه الكمية تزيد كلما زاد المجهود الجسمانى ، حتى تصل الى حوالى ٢٥ لترا فى الدقيقة فى المجهودات الشاقة التى تقوم بها الاجسام الشابة ، الا أن هذه الكمية قد تزيد الى صفيحتين (٤٠ لترا) فى الدقيقة الواحدة مع ابطال السباق .



بروورات او « مطبات » على جدران الشريان(مكبرة تحت الميكروسكوب حوالي عشـــر مرات)وهذه بما عليها من ترسبات الكوليسترول قد تؤدى الى تصلب الشرايين او ضيقها ، واحيانا ما تتسبب فى تكوين الجلطات التى قد تؤدى الى ازمات قلبية ، وقد تكون قاتلة (انظر الاشكال التوضيحية التى تسبب هذه البروزات او المطبات) ٠

بعملية حسابية اخرى نقول : لو أننا اخذنا فى الاعتبار المجهودات التي يقوم بها الانسان العـادى فى اليوم ، فان متوسط كميـة الـدم المضغوخ تصل ما بين ٧ ـ ٨ لترات فى الدقيقة ، وعليه فان كمية الدم التي يضخها القلب تصـل الى اكثر من عشرة آلاف لتر يوميا (اى عشرة اطنان ويزيد) ، اى بواقع ٠٠٠ر٦٠٠ر٣ لتـر سنويا (٣٦٠٠ طن) ٠٠ ويقال ايضا ان الطاقة التى يبذلها القلب فى اليوم الواحد تكفى لرفع قاطرة من قاطرات السكك الحديدية لمسافة متر واحد !

وطبيعى ان كل مجهود يبذل ، يستلزم طاقــة تستنفد ، والطاقة فى اجسامنا تحتاج الى وقود (سكر) واوكسجين ليحترق هذا مع ذاك ، ويولد ما تحتاج اليه الخلايا من طاقات ، ولهذا كان على القلب أن يغذى نفسه من خلال شريان خاص يتفرع بين عضلاته وخلاياه على هيئة شبكة رائعة، ليضمن من خلالها ورود خيرات الجسم الى كـل خلية فيه ، وعلـى حسب كفاءة هـذه الاوعيـة وانفراجها او اتساعها ، يكون الفرج على الخلايا، لكن « نعمتها » لا تدوم ، فكل شيء بمرور العمر يتاكل ويستهلك ويتغير الى امور فى غير صـالح الحياة ، ومن هذا التغير الخطير ـ الذى يطـرأ على اوعيتنا الدموية ـ يبرز ضيق الشرايين او تصلبها ٠٠ وفى اسباب هذا الضيق حارت البرية، وخرج كل عالم او مجموعة من العلماء فيه بنظرية، ولكل نظرية من الادلة ما يساندها ، ومع تقدم البحـوث فى هذا المضمار ، فلا تزال معـدلات الازمات القلبية فى ازدياد !

فى الولايات المتحدة الامريكية يموت حوالـى مليون شخص سنويا من جراء الازمات القلبيـة وحدها ، ولقد تبين أن ٧٥٪ من الذين ماتـــوا بالقلب كان بسبب ترسب مادة الكوليسترول على جدران الاوعية الدموية ، وهذا من شانه ان يؤدى الى ضيق الشرايين وتصلبها ، ومن المعروف ان مادة الكوليسترول هى احدى نواتج تحول المـواد

الدهنية ، وكان عدد الذين ماتوا بالازمات القلبية ممن هم تحت سن الخامسة والستين حوالي ٢٦٠ الفا ، في حين ان الباقي اي حوالي ٧٤٪ كانوا فوق هذه السن ، وهذا يعني أن أمراض القلب هي امراض الشيخوخة او تقدم العمر •

وتشير التقارير الى ان ما تتكلفه الولايات المتحدة وحدها من جراء العناية بمرضى القلب ، او البحوث التي يقوم بها العلماء والاطباء لمعرفة اسباب هذا المرض العاتل تقع في حدود ٢٧ الف مليون دولار سنويا !

والواقع ان امراض القلب والشرايين تزيد في الدول الصناعية المتقدمة عنها في الدول النامية، ولهذا يقولون عنها انها من امراض المدنية ، في حين ان روماتيزم القلب هو مشكله الدول النامية والمتخلفة ، وهو ينتج عاده من اصابة بالميكروب السبحي الذي يسبب حمى روماتيزمية عند الاطفال ، مما يؤثر فيما بعد على صمامات القلب •

ولقد اجريت عشرات الالوف من البحوث على ظاهرة تصلب الشرايين أو ضيقها ، لكن احدا منها لم يستطع ان يكشف سرها ، ومع ذلك فالاحصائيات البيولوجية تشير الى عدة عوامل يقال ان لها دخلا في ضيق الشرايين •• من ذلك مثلا تبرز العوامل الوراثية ، والتغذيه الغنية بالمواد الدهنية ، والاجهاد النفسي أو التوتر العصبي ، وتدخين السجائر ، والعمل المتراخي الذي لا حركة فيه ولا نشاط (كالعمل الذهني مثلا) ، وارتفاع ضغط الدم ، والسمنة ، وغير ذلك من عوامل ثبت انها مصاحبة للازمات القلبية في كل انحاء العالم •• صحيح أن لكل قاعدة شو ذ ، الا انه لا حكم في ذلك على الشواذ ، فهناك مثلا من يدخنون بشراهة ، فلا يصابون بازمات قلبية ، وهناك من لا يدخن ، فيصاب بها ، لكن التحليل الاحصائي الذي يضع في الاعتبار عددا كبيرا من الحالات ، يشير الى العموميات ، ولا شان له بهذه الحالات الاستثنائية او الفردية ، اذ لا بد ان أمراضها تنبع من عوامل اخرى غير التدخين ، وهذه تؤخذ طبعا في الحسبان•

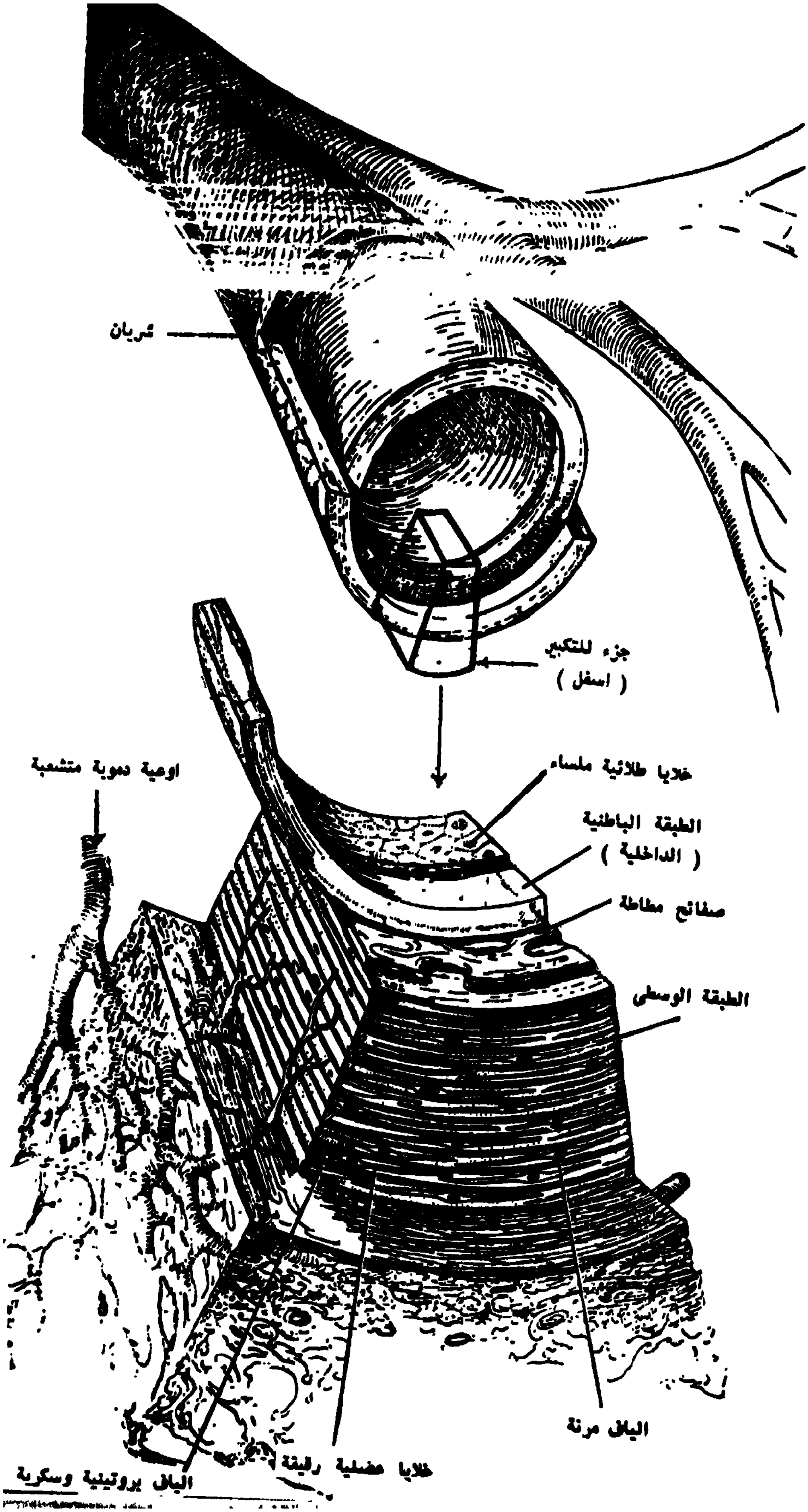
ترسيبات مريبة

الفحوص الميكروسكوبية التي اجريت على ظاهرة تصلب الشرايين تشير الى ترسيبات مريبة ، وطبيعي ان هذه الترسيبات تزيد بزيادة العمر ، لكن العامل البشرى او البيولوجي هنا مختلف ، بمعنى ان اثنين في العمر ذاته قد يختلفان اختلافا واضحا في الترسيبات التي حدثت على شرايينهما، فترى الشريان في احدهما مثلا لا يزال في حالة جيدة ، او ان الترسيبات فيه ليست سيئة ،في حين ان شريان الاخر به من الترسيب والضيق ما لا يمكن ان تستمر معه حياته سهلة لينة ، لان كفاءة اداء الخلايا والانسجة والاعضاء لوظائفها، تتوقف على كفاءة توصيل الاوعية الدموية لسوائلها •• مثلها في ذلك كمثل انابيب المياه في المنازل ، او القنوات في الحقول ، فاذا ترسبت في هذه أو تلك المواد العالقة في الماء ، كان لا بد أن تقل كفاءتها ، ما لم نسارع بازالتها وتطهيرها ، الا ان تطهير الانابيب والقنوات امر ميسور ، ولا يحتاج الى بحوث وفلسفة ، في حين ان الترسيبات التي تنتشر على الاوعية الدموية تتداخل فيها عوامل كيميائية وفيزيائية وبيولوجية يطول شرحها ، لكن دعنا نتعرض لبعض وجهات نظر العلماء في تفسيرها من خلال بحوثهم المستفيضة في اسرارها !

من طوكيو يقدم لنا البروفيسور تاكيو شيما موتو ، ومعاونوه شرحا معقولا لكيفية ترسيب الكوليسترول على الجدران المبطنة للاوعية الدموية • فبمساعدة الصور الدقيقة التي قدمها الميكرسكوب الاليكتروني يتضح ان الخلايا التي تحيط بالوعاء من الداخل متلاصقة ومتداخلة بحيث ينتج مل نظامها سطح سوى لا عوج فيه ولا بروز ، وطبيعي أن الخلايا تضم بينها مسافات جد ضيقة ، وخلال هذه المسافات تتجول السوائل التي تحمل الغذاء او نفايات الحياة ، وفي هذه المسافات البينية يمكن ملاحظة ترسيبات من الكوليسترول بكميات ضئيلة للغاية ، وبحيث لا تشكل أية بروزات او تغيرات تذكر •

لكن من طبيعة خلايا هذه الانابيب الدموية انها لينة مطاطة مرنة ، وهي لهذا تتقلص احيانا ،

رسم يوضح الانابيب الدموية ثم رسم آخر (اسمل) تظهر فيه طبقات من فوق طبقات من خلايا مختلفة تدخل في تكوين جدر الشرايين التي لا بد ان تكون ملساء مستوية ناعمة •


شريان
جزء للتكبير
(اسفل)
اوعية دموية متشعبة
خلايا طلائية ملساء
الطبقة الباطنية
(الداخلية)
صفائح مطاطة
الطبقة الوسطى
الياف مرنة
خلايا عضلية رقيقة
الياف بروتينية وسكرية

وأحيانا أخرى تتمدد ، وبهذا تعطى الفرصة للمسافات البينية بان تكبر وتصغر ، وهذا من شانه ان يعطى الفرصة لمزيد من الكوليسترول بالترسب كلما وسعت المسافات بين الخلايا .. العملية لاشك بطيئة ، لكن اعطها عمرا ، تعطيك مزيدا من الترسيب ، ومزيدا من التصلب او الضيق !

لكن تمدد هذه الاوعيه او تملصها تسببه عوامل شتى ، بعضها انفعالى او فيزيائى او كيميائى او راجع الى نوع التغذية ، وكلما اشتغلت هذه العوامل بمعدلات اكبر ، حدثت الترسيبات اسرع ، وظهرت «المطبات» على جدر الاوعية بشكل اوضح ، وهذا من شانه ان يعوق سريان الدم ، او يسبب تكون الجلطات التى قد تسد شريانا حيويا يغذى عضلة من عضلات القلب ، فيؤدى الى ازمة قلبية مفاجئة .

ولقد امكن تكوين هذه الترسيبات فى حيوانات التجارب بتعريضها للعوامل التى ذكرناها ، وقد امكن ايضا منعها بمادة « الانجينين » المضادة لهذه الترسيبات فى حيوانات التجارب ، وبقى ان يجربوها على الانسان ، بعد ان تقيم نتائجها فى عالم الحيوان !

اختلافات العوامل الوراثية

ومن ناحية اخرى يخرج علينا دكتور كيرتس هامس الامريكى بعد دراسة طويلة بانباء تقول انه لاحظ وجود اختلاف فى العوامل الور ثية بين الناس ، وبهذه العوامل تستطيع ان تتحدى او تجابه عوامل الاجهاد النفسى والبدنى بدرجات متفاوتة ، فالذى لديه مقاومة حميدة ، كان اكثر تجنبا للازمات القلبية ، والذى لا يقاوم مصاب فى اغلب الاحيان (وكذلك الحيوان) يجابه تحديات الاجهاد من خلال افراز هرمونات الغدة الكظرية او الادرينالية (الغدة فوق الكلية) ، فيزيد تبعا لذلك الكوليسترول فى الدم ، ويرتفع بذلك احتمال تكون الجلطات التى تحدث ازمات قلبية قد تكون قاتلة . وطبيعى انه على حسب درجة الاختلافات الوراثية بين الافراد ، واختلاف استجابتهم لضغوط الحياة . تختلف الافرازات الهرمونية التى تلعب دورا هاما فى احداث تغيرات كيميائية فى الجسم ، وعلى حسب درجة هذه التغيرات ، تكون الازمات او لا تكون !

ثم يذهب كل من دكتور ماير فريدمان وراى روزمان الى ابعد من ذلك ، ويشيران الى انهما من خلال فحص حالات كثيرة ، يتبين انه يمكن تقسيم البشر الى مجموعتين أساسيتين : فالمجموعة (أ) ذات الانفعال الزائد نحو أى اجهاد أو ضغط أو اثارة ، والتى تتصف أيضا بقلق وتوتر دائم ، لها قابلية للاصابة بالازمات القلبية ، ثم نراهما يضعان هؤلاء الاشخاص تحت اختبارات لمعرفة مدى العصبية التى تسيطر عليهم وهم يحاولون حل مسالة من المسائل التى تحتاج الى انتباه وتركيز ، فاذا احسوا باجهاد ، بطت عزائمهم وتركوا ما أوكل اليهم وهم فى حاله من خيبة أمل يرثى لها ، وهؤلاء ينتمون الى المجموعة (أ) ، فى حين ان افراد المجموعة (ب) لا يسامون ولا يبتئسون ، بل تراهم يقبلون على التحديات بصدر رحب ، واعصاب لا ثورة فيها ولا اضطراب !

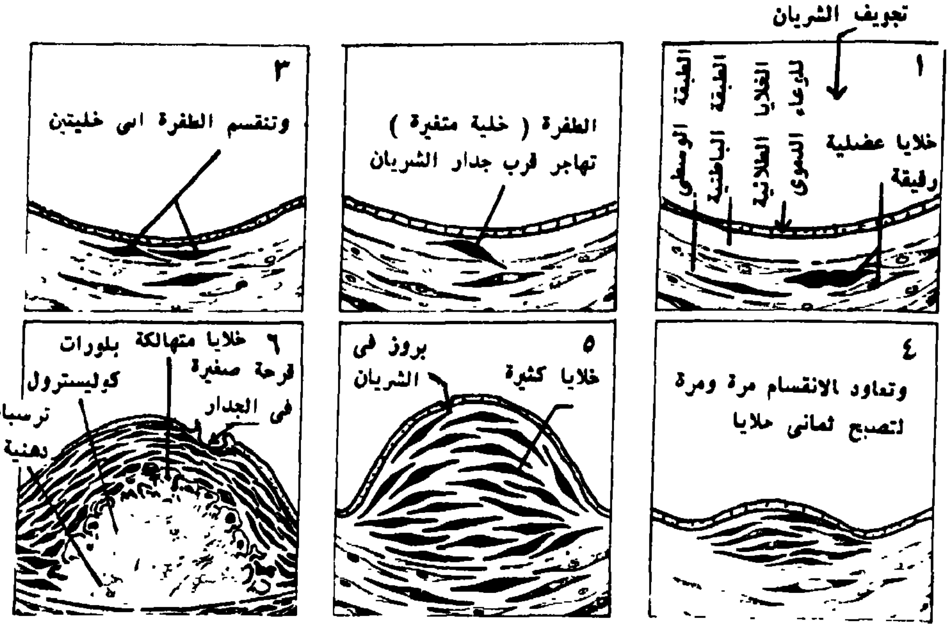
كما ان دكتور هنرى راسك قد نشر بحثا اشار فيه الى ان هناك علاقة بين الاجهاد النفسى والبدنى الذى يتعرض له الناس فى أعمالهم أو مع رؤسائهم ، وبين حدوث الازمات القلبية ، فكلما زادت الضغوط ، زادت الازمات !

اى ان كل هذه البحوث وغيرها تشير الى ان قلوبنا وشراييننا تتاثر بعوامل نفسية وذهنية وبدنية وكيميائية ووراثية ... الخ .. الخ ، وكانما العقيقة قد ضاعت وسط متاهات من بحوث لا أول لها ولا آخر .. لكن ماذا تفعل هذه العوامل بالضبط ، أو ما الذى يمكن ان تغيره فى شراييننا حتى تصاب بالضيق او التصلب ، فهذا ما لم يهتد اليه احد منذ سنين طويلة .

والى هنا يبرز سؤال هام : هل سيبقى ذلك السر مدثرا بالغموض رغم هذا التقدم العلمى الجبار الواقع ان هناك بارقة من امل ، اذ بدات بالفعل بعض بشائر السر تتضح .

المشكلة : خلية متغيرة

من جامعة واشنجطن ، ومن قسم الباثولوجى الذى يراسه البروفيسور ايرل بيندت اجريت بحوث طويلة وعميقة على تصلب الشرايين .وشارك فيها عدد كبير من الباحثين تحت اشراف بيندت ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لها هنا بالتفصيل لاكثر من سبب . فهذا ليس مجالها . كما انها تحتاج الى صفحات طويلة ، وفيها متاهات علمية



ست خطوات توضح كيف تطفر خلية واحدة فتنقسم الى اثنتين . فتهاجر احداهما وتنقسم عدة مرات لتكون بروزا او ورما حميدا .وقد تظهر فى هذا البروز ندبة او قرحة تؤدى الى تكوين جلطة (كما هو واضح فى الشكل رقم ٦)

لا يعرفها الا أربابها ... الخ ، ولهذا فعلينا ان نقدم ما وصل اليه بيندت وزملاؤه باختصار .

فمن خلال الدراسات الكيميائية والوراثية والفحوص بالميكروسكوبات الاليكترونية تجىء النتائج لتشير الى ان ضيق الشرايين او تصلبها يرجع الى طفرات من خلايا الاوعية الدموية ذاتها ، والطفرة تعنى ان خلية من خلايا الوعاء الدموى قد تغيرت فى بعض صفاتها الوراثية ، وبهذا التغير تكون قد حادت عن الطريق القويم الذى تلتزم به خلايا الجسم فلا تحيد عنه ولا تميل ، وكان من الممكن ان تعيش هذه الطفرة فى سلام ، الا ان الامر يتطور الى نتائج اخطر .

فهذه الطفرة او الخلية المتغيرة تبدأ فى الانقسام الى خليتين ، ثم تهاجر واحدة منهما الى حيث تستقر تحت الغشاء المبطن للشريان ، وتبدأ بدورها فى الانقسام ، والذى يشجعها على ذلك عوامل لم تحدد بالضبط او تدرس دراسة وافية ، المهم انها تستمر فى الانقسام ، فتتكاثر الخلايا وتبرز « كورم » صغير يظهر فى تجويف الشريان ، فيبدو وكانما عليه ترسيبات مختلفة الاحجام ، ولهذا ظنها معظم الباحثين انها ترسبت من الخارج ، وهى ليست كذلك ، بل هى خلايا تشبه الورم المحمود او غير الخبيث ، وطبيعى ان هذا النمو الخلوى غير المرغوب فيه سوف يؤدى ان آجلا او عاجلا الى ضيق الشريان ، والاقلال من معدل سريان الدم فيه ، وقد يكون ذلك محتملا ، الا ان الامور تسير من سيىء الى أسوأ ، فتبدأ بعض هذه البروزات فى التحلل والتآكل ، وعندئذ تظهر على سطوحها ما يشبه الندب او القرح الصغيرة ، فيساعد ذلك على التصاق صفائح الدم وكراته على اى سطح غريب (اى على الندب) ، ومن هنا تتكون جلطة صغيرة ، الا انها لا تزال تنمو وتنمو ، حتى تسد الوعاء الدموى ، وتمنع انسياب الدم ، فيؤدى ذلك الى موت عضلة فى القلب ، او توقفه عن الضخ ، فتكون الازمة القلبية القاتلة .

والواقع ان حدوث الطفرات (تغير الخلايا) امر لا مفر منه ولا مهرب ، فالمعروف أن خلايا اجسامنا تطفر باستمرار ، وان معدل هذه الطفرات قد يصل فى اليوم الواحد الى مليون طفرة ، ثم ان هذا المعدل يزيد بزيادة العمر ، والذى يجعل الخلايا تطفر وتتغير عوامل كثيرة .. بعضها وراثى او كيميائى او اشعاعى او طبيعى او كل هذه العوامل مجتمعة،ولا احد فى وقتنا الحاضريستطيع

أقوال معاصرة



■ اقترحت عام ٥٩ ادخال اسرائيل فى الجامعة العربية ، وكان ذلك مزحا بنسبة ٥٠٪ فقط ٠

الملك الحسن الثانى

■ نريد ان نتخلص من الاسلوب اللا اخلاقى فى بيع السلاح ٠

الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان

■ كل الانظمة متورط فى خرق حقوق الانسـان ، ولا فرق فى ذلك بين نظام شيوعى أو رأسمالى ٠

من تقرير لمنظمة العفو الدولية

■ خلافات فصائل النضال فى ارتيريا عميقة حقا ، ولكن هذا يؤكد انتماءنا العربى !

تصريح لمسئول فى جبهة تحرير ارتيريا

■ اريد ان اتقاعد فى سيناء !

« مناحيم بيغن »

■ لنهر الاردن ضفتان ، ضفة لنا ، والضفة الاخرى لنا ايضا !

انشودة صهيونية

ان يمنع هذه الطفرات ، فعدوتها جزء لايتجزأ من الحياة ذاتها ، ثم ان تنوع صور الحـيـاة ـ منذ نشاتها حتى الآن ـ يرجع فى المقام الاول الى حدوث هذه الطفرات ، فمنها الحسن ، ومنها السيىء ، فاما الحسن فيدفع الحياة خطوة الى الامام فى طريق التطور ، وأما السيىء فيقضى على نفسه ، وعلى من آواه ٠٠ فالسرطان مثلا طفرة خلويـة سيئة غاية السوء ، وتصلب الشرايين بسبب طفرة اخرى اقل سوءا ، او قل أنها ورم صغير معمود ، ثم ان جزءا من ضعف الجسم وشيخوخته فى اخريات العمر يرجع الى محصلة هذه الطفرات،لان الخلايا التى تطفر او تتغير تسيء اليه ولا تنفعه ، ثم ان الجسم قد يجهز لها بروتينات مضادة ليحاربها او يبيدها ، اى كانما الجسم هنا يعلن الحرب الاهلية على نفسه ، وهذا يعنى أنه يقتل جزءا من خلاياه التى طفرت ٠٠ الى آخر هذه الفوضى التى تتسلط على جسم الانسان لتدفعه نحو نهايته المحتومة ٠٠ والموضوع بعد ذلك طويل ، لكن يكفى ما قدمناه فاوجزنا ٠

تدخين السجائر مثلا

هل يعنى ذلك أن العلماء السابقين كانوا جميعا فى بحوثهم واستنتاجاتهم خاطئين ؟ ٠٠ وكيف اذن نفسر ازدياد معدل تصلب الشرايين بالعوامل التى ذكرناها قبل ذلك ، ومنها التدخين وارتفاع ضغط الدم والانفعال والكوليسترول والغذاء الدهنى ٠٠ الخ ٠٠ الخ ؟ ٠٠ وهل يعنى ذلك ان هذه العوامل ليس لها الآن دخل فى الازمات القلبية ؟

الواقع أن لها دخلا ٠٠ خذ مثلا تدخين السجاير، فهذا يؤدى الى اطلاق عدة مـواد عضويـة وغـير عضوية ، فتنفذ مع الدخان الى الرئتين فالدم ، وتؤثر فى الخلايا ، وتساعد على حدوث الطفرات ، وهذه النتيجة معروفة من زمن طويل ، ولهذا فان ماوصل اليه البروفيسور بيندت وزملاؤه لايتعارض مع هذا العامل،فدخان السجائر فيه مكونات تحدث الطفرة ٠

او خذ مسالة الكوليسترول فى الاعتبار ،فبعض مشتقـاته (وبالتحـديد مشتق اسمـه ايبوكسيد الكوليسترول) تساعد على احداث الطفرة ، وكلما

■ لا أنكر اننى بكيت ، لكنى رفضت ان اطلب الرحمة من العدو .

المناضلة الفلسطينية فاطمة البرناوى
بعد ١٠ سنوات قضتها فى سجون اسرائيل

■ الصحافة اللبنانية التى فى الخارج الان لم تساهم فى انشاء لبنان الجديد ، لانها لا تستعمل حرية الخارج ، وتستعمل كل مساوئها فى الداخل .

ميشال ابو جودة

■ الحديث عن اطلاق حرية التجارة فى هذا العصر ، يعد امرا مضحكا ومثيرا للسخرية الشديدة .

جورج مينى رئيس اتحاد العمال الامريكى



■ ما من عربى او مسلم يقبل ضم القدس الشرقية الى اسرائيل .

اللورد كارادون ـ مندوب بريطانيا السابق فى الامم المتحدة .

■ اصدر الرئيس بوكاسا قرارا بسجن الطلبة الذين أجابوا فى الامتحان بأن افريقيا الوسطى جمهورية وليست امبراطورية!

وكالات الانباء .

زاد الكوليسترول فى الدم ، زادت مشتقاته تبعا لذلك ، وزادت الطفرات ، وزادت «المعطبات» ـ نعنى تلك البروزات التى تسبب تصلب الشرايين ، او تساعد على توليد الجلطات القاتلة .

ومن السويد يجىء بحث حديث ليشير الى ان ارتفاع ضغط الدم يساعد على تكسير جزئيات المادة الوراثية فى الخلايا ، وهذا من شانه ان يغيرها ، اوبمعنى آخر نقول انها طفرت ، وقد تؤدى الطفرة الى انقسام وتكاثر ، وقد يصبح هذا التكاثر فى وعاء دموى ، فينتج ضيقا ، او قد يصبح التكاثر خبيثا ، فيولد سرطانا ، ولهذا يشير عالم الاوبئة دكتور ايرنسب ويندر الى وجود علاقة بين ارتفاع ضغط الدم والسرطان وتصلب الشرايين ، وهذا كله لايتعارض مع النتائج التى حصل عليها بيندت .

بقيت كلمة اخيرة : هل يعنى هذا ان تصلب الشرايين سيبقى بدون حل او علاج ؟

ان هذا السؤال يحملنا على التعرض لسؤال آخر : وهل يمكن وقف زحف الشيخوخة ؟

والاجابة على هذا السؤال او ذاك تتطلب منا ان نتصدى للخلايا فلا نجعلها تطفر او تتغير علما بان الطفرة احدى نواميس الحياة ، فهى تنتج من عوامل متعددة ، ونحن لانستطيع ان نتصدى لهذه العوامل ، اللهم الا اذا اوقفنا الحياة ذاتها ، او تصدينا للكون باشعاعاته .

فكل خلايا جاءت لتعيش ، لا بد أن تتعرض نسبة ضئيلة منها للطفرة او التغير ، فالحياة نفسها ليست جامدة ، بل هى فى ديناميكية متغيرة .. صحيح اننا لانستطيع ان نتغلب على الشيخوخة وعلى نواتجها ، لنهب الانسان حياة ابدية ، الا انه بمقدور الطب والعلم أن يجنبا الانسان بعض مضاعفاتها . وهذا ما نراه حقا فى اطالة متوسط الاعمار بين الناس ، فحيث كان هذا المتوسط منذ خمسين عاما مثلا يقع فى بعض الشعوب فى حدود ٤٠ ـ ٤٥ عاما ، اصبح الان ما بين ٦٥ ـ ٧٠ عاما .

وكم انقذ الطب من ازمات قلبية .. لكنه لا يستطيع ان يتصدى لناموس الكون والحياة . ■■

الاسكندرية : عبد المحسن صالح

التغريب أو الهلاك !

ليست هذه قضية نظرية ، ولكنها مشكلة حضارية ، في غير المعنى الذى باتت كلمة « حضارة » تستهلك فيه هذه الايام !

عندما ندعو الى فتح الابواب والنوافذ ، لنملأ صدورنا بالهواء الصحي والمنعش ، نكتشف ان الابواب والنوافذ لاتمرر الهواء النقي وحده، ولكنها تحمل الينا الجراثيم ايضا، وان ما نظنه صحة وحيوية لنا ، قد يكون فيه مقتلنا !

وازاء موقف كهذا ، فان رد فعل البعض قد يتحول الى دعوة ملحة الى اغلاق الابواب • وامثالنا العامية في صف هذا الحل ، اذ « ان الباب الذى تأتيك منه الريح ، اغلقه لتستريح » • وثمة فريق آخر لا يرى العيب في الابواب والنوافذ ، ولا في الهواء والتيار، ولكنه فينا نحن • اذا كنا محصنين بما فيه الكفايه فلن يضيرنا الهواء بجراثيمه .واذا كنا غير محصنين فهذه مشكلتنا ، وعلينا ان نتسلح بالشجاعة لنحلها .والا نحمل غيرنا مسئوليتها •

ومنذ طرحت للمناقشة قضية تجديد الفكر الديني وتحديثه ، كانت الدعوة الى مصادرة « الفكر المستورد » تتردد في الكثير من التعليقات ، وفي مقال سابق (عدد ديسمبر) قلت ان منهج تقسيم الفكر الى محلي ومستورد ، مرفوض ، وان الاولين والاخرين ـ العقلاء منهم والمستنيرين ـ لم يعتمدوا التقسيم الجغرافي للفكر الانساني • بل كان شعارهم هو الحديث الشريف : « الحكمه ضالة المؤمن حيث وجدها فهو احق الناس بها » • وقلت ايضا ان الفكر اما نافع نغترف منه بغير تردد، او ضار نستبعده ايا كان مصدره •

وتساءلت في النهاية : لماذا لا نتعامل مع فكر الاخرين وحضارتهم بثقة وبغير احساس بالنقص ؟

لكن المسالة يبدو انها ليست بهذه السهولة، وان « الانتقاء » منهج قد يقبله المنطق ، لكن سنن التاريخ لا تسلم به عندما يتعلق الامر بالحضارات ، وبالحضارة الغربية بوجه خاص • اذ نحن في عصر لم يعد يحتمل منطق « القبض » بغير دفع « الثمن » • بمعنى انه اذا اخذت شيئا فلا بد ان تدفع ثمنه ، على الفور ربما ، بالتقسيط وعلى آجال طويلة ربما • لكنك لابد ان تدفع رضيت ام كرهت •

ووجهة النظر هذه يتبناها المؤرخ الشهير ارنولد توينبي ، وقد سجلها في كتاب صغير له صدر في الخمسينات موضوعه « العالم والغرب » يقول فيه : ان كل حضارة مثل كل طريقة حياة • هي كل لا يتجزأ ، اقسامها متداخلة بعضها ببعض ـ و •• « ان سر تفوق الغرب على سائر الشعوب في الفن العسكرى ـ مثلا ـ منذ القرن السابع عشر ، لا يكمن فقط في استخدام اسلحة غربية ، وفي طريقة تدريب الجيوش •• بل هو كامن في فكر المجتمع الغربي وروحه • وفن الحرب في الغرب ما هو في الواقع الا احد جوه طريقة العيش الغربية • واى مجتمع غريب يرغب في تعلم هذا الفن دون ان يحاول تبني طريقة العيش نفسها يكتب له الفشل حتما •• »

ثم يعود توينبي ليؤكد ويحذر : ان اى عنصر حضارة منعزل منفصل يمكنه ـ كالامراض المعدية السارية أو ككهرب منفصل عن الذرة ـ ان يصبح فتاكا عندما يكون منفصلا عن النظام الذى كان جزءا منه ، خاصة اذا ترك المجال امامه حرا في وسط جديد • اما في اطاره

الاصلـــح فان هذا العنصر الحضارى او تلك الجرثومة او ذاك الكهرب ، لا يستطيع ان يحدث اضرارا لانه يكون جزءا من كل •

وتوينبي بذلك ينسف فكرة التفاعل بين الحضارات ، ويـؤكد فكرة سيـادة الحضارة الغربية ، قائلا ان الغرب أصبح مدافعا لاول مرة في التاريخ ، عنـدما حاصر الاتراك فيينا عام ١٦٨٢ ـ ١٦٨٣ ، لكنه تحول بعد ذلك الى قوة كاسحة ومهاجمة • وان الذى لا يرغب في الخضوع للسيطرة الغربية ، عليه ـ اذا اراد ان يبقى ويستمر ـ ان يستخدم اسلحة الغرب، اى يستبدل هـذا الموقف بالخضوع للحضـارة الغربية • وهذا ما فعلته روسيا القيصرية في عهد بطرس الاكبر ، اذ حمت نفسها بالتقنية (التكنيك) الغربية • وهو ذاته مـا فعلتـه روسيا الشيوعية ، اذ تسلحت الى جانب التقنية الغربيه ، باختراع غربى آخر هو « الماكسية» التى صنعت في المانيا وانجلترا على ايدى كارل ماركس وفريدريك انجلز •

ويستشهد توينبي ايضا بتركيا ، قائلا انه منذ تحللت الامبراطورية العثمانية ، وهزمت جيوشها في الحرب الروسية التركية (١٧٦٨ ـ ١٧٧٤) ، بدأت تتطلع الى الحضارة الغربية ، لتقتبس نظمها العسكرية ومضت بطيئا على هذا الطريق، حتى كان على تركيا ان تختار عام ١٩٢٠ بين امرين : الهلاك او التغريب وقـد فضل الشعب التركى ان يعيش مهما كان الثمن•

وابن خلدون له وجهة نظر اكثر تعميما اذ يقول في (المقدمة) التى كتبها قبل توينبي بحوالى ٦٠٠ عام :

ان المغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيـه ونحلتـه ، وسائر احوالـه وعوائده •

●

خلاصة هذا الكلام ومؤداه ان التغريب هو قدرنا ، واننا اما ان ننعـزل عـن العصر ونهجره الى الصحراء ونرفض كل منجزاته ،كما فعل في بداية هـذا القـرن الوهابيون والسنوسيون والادارسة والمهدية وهم الذين شنوا حربا على الاتراك ودعوا الى تكفيرهم لانهم خانوا الاسلام باقتباسهم عن الغرب ،على حد تعبير توينبي ، اما ان نفعل كما فعل هؤلاء ، او نفتح ابوابنا لريح الغرب لتجتاحنا وتقتلعنا ، وتقذف بنا الى الهواء أو الهاوية !

وازاء هذا لاتجدى دعوة محمد اسد الكاتب النمساوى المعروف في كتابه « الطريق الى مكة » الى تبنى الوسائل الغربية الحديثة في العلوم والفنون الصناعية ، ورفض اشـكال الحياة الغربية وقيمها الاخرى، ولايكون هناك محل لقول « مولانا » أبى الحسن الندوى أمين ندوة العلماء في الهند : اننا بحاجه الـى «العبقرى العصامى الذى يعامل الحضارة الغربيةـ بعلومها ونظرياتها واكتشافـاتها وطاقـاتها كمواد خام ـ يصوغ منها حضارة قوية عصرية مؤسسة على الايمان والاخلاق والتقوى والرحمة والعدل في جـانب ، وعلى القـوة والانتـاج والرفاهة وحب الابتكار في جانب آخر » •

وفى الوقت ذاته ، فان مقولة اقبال عن التقاط الحبة دون الوقوع في شبكة الصياد (يعنى السقوط في براثن الحضارة الغربية) ،هذه المقولة تصبح مجرد امل داعب خيال شاعر حسن النية ، لايتمتع برؤية واقعية سليمة •

●

هل هذا هو الخيار الوحيد حقا : اما التغريب واما الهلاك ؟ ••هل الصورة بهذا القدر من التشاؤم ؟

تعالوا نقلب الامر ، ونناقشه ، لعلنا نجد مخرجا •

تقول لنا صفحات التاريخ الاسلامى انمجتمعاتنا ـ التى نحاول انقاذها الان ـ مرت بتجارب ثلاث فى احتكاكها بحضارات الاخرين•

كانت التجربة الاولى فى القرنين الاولوالثانى الهجريين • والمجتمع الاسلامى يحبو فى عالم الحضارة ، بينما تحيط به حضارتانعظيمتان : اليونانية فى الغرب والفارسية فى الشرق • وكانت الحضارتان غنيتين فى العلوموالصناعات والثقافة والادب ، بينما المجتمع الاسلامى مسلحفقطبالعقيدةالراسخة والتصميمعلى بناء الدولة وتبليغ الرسالة ، وقتئذ لم يتردد المسلمون فى الاخذ من غيرهم بثقة بالغة،دون ان يهتز شىء فى هذا المجتمع الثابت الاقدام • وهو ماتعرضت له فى مناقشة سابقة(عدد ديسمبر) •

والتجربة الثانية كانت فى القرن السابعالهجرى ، عندما استولت جحافل التتار على قلب العالم الاسلامى ، سياسيا وعسكرياـخضع المسلمون لهم • لكن الفاتح الجديد كان خليطا من القبائل البدائية المتخلفة القادمة منواسط آسيا ، والراغبة فى السلب والنهب والتوسع•لم تكن لهذا الفاتح الجديد حضارة،كما لم تكن له عقيدة او قضية•ولم يكن هناك ـ بالتالى ـ محل لانصهار المجتمع الاسلامىالمفتوح فىحضارة الفاتحين وقيمهم•لكن العكس هو ماحدث ، اذ بدات الامة الفاتحة تتاثربحضارة وقيم المجتمع الاسلامى المهزوم سياسيا وعسكريا•وبمضى الوقت اعتنق التتار الاسلام،وذابوا فى حضارة المسلمين وعقيدتهم ، بل وتحولوا الى حماة للاسلام وفاتحين باسمه ،ومؤسسين لدولته القديمة فى الهند،خلال قرن واحد من الزمان •

وكانت التجربة الثالثة فى نهاية العصرالعثمانى ، وهى الفترة التى كان المسلمون فيها مهزومين حضاريا ،حتى قبل ان يخوضوااى معركة • وهى المرحلة التى يتحدث عنها توينبى ، والتى كان خيار الاتراك فيها بينالتغريب او الهلاك •

●

ثمة ثغرات حقيقية فيما يقوله توينبى •فلانه كان يتكلم من داخل الحضارة الغربية لم ير مستقبلا لغير الحضارة الغربية تزحفى ارض خام جرداء ، لانبت فيها ولا زرع كما حدث فى بعض البلاد الافريقية او اذا كانتجيوشها ـ تقنية كانت أم فكرية ـ تتقدم فوق انقاض حضارة اخرى كما حدث فى تركيا ، اوتتقدم فوق ارضية رفعت رايات التسليم وفتحت اذرع الترحيب بها ، كما حدث فى اليابانوكوريا الجنوبية •

ثم ان توينبى فسر قدرة الاتحاد السوفيتىعلى التصدى للعالم الغربى بانها ترجع الى استخدامه لسلاح غربى هو الماركسية • اى انهلايرى فى الماركسية الا انها تحمل الجنسية الغربية ، معولا على المنشا وحده • ولا يلقىبالاالىكونها فكرة وعقيدة لها تفسيرها للتاريخ ـ أيا كان رأينا فيها ـ ولها فلسفتها التىتتناقض تماما مع أسس الفكر الغربى• ولست ادرى ماذا كان يمكن ان يقوله توينبى لو أنالماركسية كانت قد نشأت فى الشرق مثلا •

ومن ناحية اخرى فاننى لا اعرف كيف كانيفسر المؤرخ الكبير لصمود الصين ، التى اعتنقت الماركسية ووضعتها فىالقالب الصينىبل وطعمتها بقيم وتعاليم كونفوشيوس ، لتستثمرها كسلاح للتقدم والاستمرار دون انتتعرض للخيار بين التغريب او الهلاك •

ثم لنتوقف قليلا امام النموذج الذىدللبه توينبى على صدق رؤيته ، وهو تركيا ولنسال بعد ذلك ، هل كان التغريب هو« المنقذ » لتركيا فعلا ؟ هل ما فعله كمال اتاتورك هو الذى اعاد لتركيا قوامها ، واطلقشرارة الابداع والنهضة فيها ؟

اذا كنا نتحدث عن المجتمع وحركته ككلا لا عن انتصار عسكرى فى زمن محدود ، فا نقول بعد مضى نصف قرن على تغريب تركيا ،ان هذا لم يحدث • وان اتاتورك بغـ...

تسبب فى ضياع جيلين على الاقل من الاتراك لايعرفون حتى الان هل هم شرقيون ام غربيون. واحدث بذلك اخطر شرخ فى المجتمع التركى طوال العصور الحديثة ، وهل هناك اخطر من الا تعرف هويتك بالضبط ؟

ان « الانجاز » الكبير الذى يثير اعجاب الغرب ومفكريه بكمال اتاتورك ، انه فصل تركيا عن العالم الاسلامى ، وحاول ان يجتث كل ما هو مسلم فى بلاده .

ايضا فان الدرس الكبير الذى تعلمناه من تجربة تركيا أن قيم الحضارة الغربية هى للمجتمع الغربى وحده ، وان انتقالها الكامل الى المجتمعات الاخرى ـ كما يتصور توينبى ـ لايتحقق الا اذا اقتلعت هذه المجتمعات من جذورها ـ اذا كانت لها جذور .

اما اذا ظلت لدى هذه المجتمعات بقية من جذور ، وانعدمت لدى شعوبها تلك الحصانة المتمثلة فى الانتماء العقيدى والفكرى ، فان المسخ والتشوه هو مصير هذه المجتمات . وهو مصير لايختلف كثيرا عن الهلاك .

ان العبرة التى يمكن ان نستخلصها من قراءتنا لمراحل احتكاك المسلمين بالحضارات الاخرى هى ان العامل الحاسم فى نجاة المجتمع الاسلامى من التغريب ومن الهلاك يكمن فى مدى ثبات هذا المجتمع على عقيدته ومدى حرصه على دينه . وهى نتيجة تطرح أمامنا بالحاح قضية اعداد البشر ، والاهمية البالغة التى يمثلها هذا العنصر ، باعتباره الدرع الواقى والضمان ، والحصانة الحقيقية المانعة من الاستسلام للتغريب ، او المخاطرة بالهلاك والضياع .

وبنفس المنطق نستطيع ان نرد كلام ابن خلدون ، فالعبرة ليست بالغلبة السياسية أو العسكرية ، ولكن بالهزيمة الحضارية . وفى مثل التتار اضطر الغالب أن يقلد المغلوب ـ على عكس ما قدره ابن خلدون ـ لان هذا المغلوب لم يكن قد هزم حضاريا بعد .

ثمة خيار ثالث اذن ، مشروط بامر واحد : أن يتسلح المسلمون بالعقيدة الصحيحة . وان يظلوا قابضين على دينهم ، بغير افراط ولا تفريط .

اذا تحقق هذا الشرط فاننا نستطيع ان نتقدم بثقة ، ونستفيد من تجارب الاخرين ، نقتبس ما هو مفيد ونطوعه لصالح قيمنا ومجتمعنا ، ونستبعد ما هو سلبى ، ونرده من حيث جاء .

وليكن الهدف واضحا دائما : ان المجتمع الاسلامى ذا الشخصية المتميزة ، هو المثل الاعلى الذى ننشده . واننا لانريد مجتمعا اسلاميا بقيم غربية ، واذا لم يكن هناك مفر ، فلا مانع من ان ننقل قيما غربية ثم نطوعها ونهذبها من اجل بناء مجتمع اسلامى ، مثلما فعل صانعو الحضارة الاسلامية وروادها .

ولكل خطوة مخاطرها ، هذا صحيح . فاذ كنا نلح فى الدعوة الى الاجتهاد ، لا بد أن نحتمل قدرا من الشطط واذا كنا ندعو الى الانفتاح على حضارات وفكر الاخرين ، فلابد ان نحتمل مرحليا قدرا محسوبا من التورط والذلل . والأمر مرهون فى النهاية بمدى الحصانة وقوتها ، فكلما زادت كان الثمن محدودا ومتواضعا ، واذا حدث العكس فان الثمن سيكون باهظا ، وقد يكلفنا كياننا و مستقبلنا .

لان الخيار فى حالتنا ليس بالضبط كما يقول توينبى ، التغريب او الهلاك ، انما هو فى حقيقته خيار بين هلاك وهلاك !!

واذا فشلنا فى تحقيق هذا الهدف ، ولم يكن أمامنا الا احد هذين الخيارين ، فشخصيا ، افضل ان نهلك واقفين ، من ان نهلك ونحن راكعون ! ■■

فهمى هويـدى

ذكراه مرّت ولم يتنبّه أحد !!

باكثير..

بقلم محمد امين توفيق

انتج على احمد باكثير فى باب القصة والمسرح انتاجا له شانه واهميته فى تطور المجتمع العربى المعاصر ، ومع ذلك فهو لم يلق العناية الكافية من جانب النقاد والمعلقين،ولقدكان باكثير من الكتاب الملتزمين بضرورة بناء مجتمع عربى سوى قوى ·

ولن اتعرض لجميع مؤلفات باكثيرفى هذه المناسبة بل اقتصر على ثلاث قصص تاريخية من اشهر قصصه وهى«سلامة القس»، و «واسلاماه ، و«سيرة شجاع» —

كان باكثير كاتبا خصيب الانتاج فقد كتب العديد من المسرحيات والقصائد والمقالات النقدية عدا القصص الخمس التي نتناول منها بالتحليل هنا ثلاثا فقط ، اما الاثنتان الاخريان فهما«ليلة النهر»و«الثائر الاحمر او حمدان قرمط» ·



من حق قرائنا ان يعرفوا نبذة يسيرة عن حياته التى بدات بولادته فى اندونيسيا فى عام ١٩١٠ لاب من حضرموت وام اندونيسية ، ومن المعروف ان العديد من الحضرميين وسكان عدن والساحل الجنوبى لشبه الجزيرة كانوا ولا يزالون مبحرين الى اندونيسيا وغيرها من مناطق جنوب شرقى اسيا ومشتغلين بالتجارة ، وهكذا كان والد كاتبنا واحدا من هؤلاء ، وهكذا كانت ولادة باكثير ، غير ان المقام لم يطل به فى اندونيسيا اذ ارسله والده على عادة الحضرميين الى حضرموت وهناك اشتد بها عوده وبدأ تعليمه ، ومن هناك رحل باكثير الى السعودية ليمضى بها عاما وبعض العام ، وما لبث ان سافر منها الى مصر فى عام ١٩٣٤ ليستقر بها ·

ويلتحق باكثير بقسم اللغة الانجليزيه وآدابها بكلية آداب القاهرة ، وكان تخرجه في عام ١٩٣٩ وعمل مدرسا بعض الوقت ثم التحق بوزاره الثقافة والاعلام المصرية ومنح الجنسية المصريه ، وبقى عاملا في حقل الاعلام والادب حتى وفاته في عام ١٩٦٩ .

ذلك عن حياه باكثير العاقلة باتجاه الادبى ، اما قصصه الثلاث موضوعنا فقد كتبها باكثير في الاربعينات والخمسينات من هذا القرن ، وكانت مصر بصفة خاصة والعالم العربى بصفة عامة معرضين آنئذ - اكثر من اى وقت مضى - لضغوط كبيرة من قبل الغرب . ولكى نفهم جيدا فكرة باكثير علينا اولا ان نلمس برفق مسالة رد الفعل في العالم العربى حيال ما يمكن تسميته بالتحدى الغربى .

لقد تنوعت ردود فعل الكتاب العرب ازاء الغرب ، غير انه يمكن ان نشير الى ثلاثة اتجاهات واضحة يتبلور فيها مواقف المؤيدين ، والمعارضين، والذين يقفون بين بين .

فالى جانب اولئك الذين قالوا بضرورة ان ياخذ المجتمع العربى بأسباب الحضارة الغربية من تكنولوجيا وعلوم وثقافة وقوانين واخلاقيات كان هناك الذين رفضوا ذلك تماما وراوا في الغرب مصدرا لكل الاخطار مثل الاستعمار والاباحية، والمادية المفرطة الخالية من الروحانية واستقامة السلوك . اما الفئة الثالثة فكانت ترى ان المجتمع العربى بوسعه ان يطور نفسه على اساس من نظم التقدم الغربية مع احتفاظه بقيمه وروحانيته ومشخصاته الثقافية . وتؤمن هذه الفئة بانه من خلال الاعتراف الجسور بمناحى الضعف والنقص في المجتمع يمكن تلمس افضل السبل للنهوض به مع عدم التضحية بشخصيته الاصيلة او حركته في النضال والتحرر .

ولم يقف باكثير الى جانب الفئة الاخيرة فحسب بل انه وسع دائرة المجتمع لتضم كافة بلدان العالم الاسلامي . وسنحاول فيما يلى تبيان كيف سخر الكاتب شخصياته وتطور الاحداث في قصصه للتعبير عن افكاره وفنه القصصي .

سلامة القس

يبدأ الكاتب هذه القصة باقتباس قرآنى من سورة « يوسف » (بسم الله الرحمن الرحيم) . ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ...) ، ولعله بهذا اراد ان يلمح الى الفكرة الاساسية التى يقوم عليها البناء القصصي.

وعندما نقرأ « سلامة القس » يتبين لنا كيف ان بطل القصة فتاة كانت تخدم في بيت « ابى الوفاء » وهو رجل صالح في السبعينات من عمره ، عندما ساعدها احد رعاة الغنم في ان تحفظ مقطوعات غنائية لاحدى كبار المغنيات في عصر بنى أمية . وكان استغراقها في هواية الغناء حتى أثناء قيامها بالخدمة مما أثار عليها حفيظة « أبي الوفاء » الذى نراه يبيعها لجار له يدعى « ابن سهيل » وهو من انصار الطرب والغناء .

وفي بيت « ابن سهيل » تشغف سلامة حبا بعبد الرحمن الملقب بالقس وهو شاب اشتهر بالورع وكان مثالا للخائف ربه . وعندما تصطرم نيران حبها في قلبه يشتد الصراع في ثنايا جوانحه بين لوم الناس وحبه الى حد يدفعه الى الانزواء بعيدا عن المجتمع لكن نظرته الى الدنيا بدأت

.. والقصة التاريخية

تتغير حتى عبادة ربه اصبح لها طعم آخر لم يعرفه من قبل ، ولم يلبث الا يسيرا حتى عرف ان ذلك هو فعل الحب في نفسه صقلها وسكب فيها شفافية واخلادا الى التامل .

اما سلامة فقد اصبح عبدالرحمن كل شيء في حياتها وصارت لا تجد سعادة الا عندما يجلس بين المستمعين لغنائها ، وذات يوم حل عبدالرحمن بمفرده ضيفا على ابن سهيل . وفيما هما يشنفان اذنيهما بحلاوة صوت سلامة اذ قدم من قبل الوالي من يطلب المضيف لامر عاجل ، وهكذا لم يبق في البيت غير الحبيبين . وكادت ان تهم به وان يهم بها لولا ان عبدالرحمن استشعر في نفسه الخوف من خالقه ، وترسمت في ذهنه الآية القرآنية بسم الله الرحمن الرحيم (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) ، ولما كانت العداوة آخر شيء يمكن ان يفكر فيه تجاه سلامة فقد آثر التقوى وانصرف عنها وانصرفت عنه .

واسهمت الاحداث في توسيع الفجوة بين الحبيبين ، فقد بيعت سلامة لاكثر من صاحب مال الى ان انتهى بها الامر الى ذيوع صيتها والى شراء الخليفة الاموى يزيد بن عبد الملك (٧٢٠ ـ ٧٢٤) لها . وخابت كل مساعى عبدالرحمن فى ان يشترى حبيبته ، ولم يكن اجتماعهما ممكنا فيما بعد الا فى الحياة الآخرة وليس على ظهر هذه الدنيا .

تلكم هى خلاصة احداث القصة التى نلاحظ ان الكاتب حرص الا يجعلها تطغى فى جانبها التاريخى على حرية الشخصيات فى الحركة او على تلقائية الحوار ، وعن طريق استخدامه للحوار مع النفس استطاع باكثير ان يفسح المجال امام القارىء كى يشارك عبدالرحمن افكاره ومناجاته . وثمة عامل آخر حافظت القصة معه على وحدتها هو الاعتماد على شخصية البطل المحورية فى معظم الاحداث مثل زيارات عبد الرحمن لصديقيه ابى الوفاء وابن سهيل ووداعه سلامة عند رحيلها من المدينة الى دمشق .

واضافة الى مالاحظناه من صراع فى نفس البطل بين عاطفته وسمعته نجد صراعا آخر خارجيا بين الموسرين والمتخلفين منهم خلقيا من جهة وسكان المدينة الذين غلب عليهم التقى والبساطة فى العيش من جهة اخرى . اما الاولون منهم فما رعوا مجتمعهم حق رعايته وما همهم سوى جمع المال وتكديسه ، كما انهم ـ باستثناء قلة منهم ابن سهيل ـ ما عنوا بالغناء الا لانه طريقة سريعة لجمع الثروة ، وبطريقة غير مباشرة نجد انفسنا وقد عرفنا السبب الكامن من وراء موقف الاولين، والاخرين من البسطاء وهو التربية التى ان صلحت صلح معها الفرد وان فسدت لم يكن منه الا بوار المجتمع .

وهكذا يجسد لنا عبدالرحمن شخصية العربى التقى الذى لم يجرفه الحب الى درجة ارتكاب الخطيئة او الكفران باهل مجتمعه وانما نجد فيه المحب العفيف والتاجر الشريف ومن اذا رأى الخطا أصلح وأرشد .

وربما اراد باكثير ان يرمز الى تداول بيع سلامة من يد الى يد رغم فنها الغنائى الرفيع ومكانتها الاجتماعية لدى عشاق غنائها لكى ينبه الى ضرورة اعطاء فرص اكبر للمرأة فى هذا العصر لتساعد الرجل فى بناء المجتمع العربى فى الاطار المناسب للمرأة العربية الحافظة لحدودها وبيتها .

٢ ـ واسلاماه

تشترك هذه القصة مع سلامه القس فى انها ايضا مستقاة من التاريخ ، واذا كانت قصة عبد الرحمن بن ابى عمار القس مع حبيبته محفوظة فى كتاب الاغانى لابى الفرج الاصفهانى ، فان فكرة « واسلاماه » مبنية على اشارة اوردها المقريزى فى كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » بشان انتساب قطز القائد المملوكى المصرى الذى هزم التتار الى عائلة خوارزم شاه الشهيرة التى حكمت فى ايران والهند ، وكيف ان اسمه الحقيقى كان محمود ابن ممدود بينما كان عمه السلطان جلال الدين خوارزم شاه . وتمضى الاشاره لتقول انه بهزيمة

ى التتار بيع محمود لتجار
سم قطز وتنقل به الحال من
كما استقر به المقام فى مصر
دمشق الشام •

ير هذه الاشارة التاريخية فى
معارك التى دارت فى ميادين
ايران والشام ومصر ضد
ن نرقب انهزام جيش خوارزم
تتار القادمين من بلاد ما وراء
ادى تخلى الخلافه فى بغداد
جلال الدين واختلاف ملوك
بين ظهرانيهم وفيما بينهم
ن الزحف حتى وصلوا الى

نفرا فى واسلاماه عن نجاة
اد او جلنار ، كما يتردد
مد ذلت كزوجة لقطز ، وبعد
من العمل فى خدمة كبار
مر تمكن الحب من قلبيهما ،
من يحاولون التفريق بينهما
لطامعين حانت الفرصة عندما
الدين ايبك حد كبار مماليك
بيبان ان تزوجا •

ريب هولاكو بغداد وسيره
شعر الملوك و لامراء فى
ى لكنهم بدلا من ان يتكتلوا
ا الى التشاحن والتباغض ،
، وكاد الامر يصل بهم الى
يا ليغزوه التتار . وكان قطز
فقط بالدمار انوشيك ولكنه
لمص فيه من المنصور ، الحاكم
، الذى شاع فساده بين
يعمل جنبا الى جنب مع
لشام العز بن عبدالسلام
بث أن تحقق له مراده ووجد
ومصر فيه مدافعا عن الوطن
تى انزلت الهزيمة الساحقة
نالوت » •

للما اشتد وطيس القتال

واحدق جماعة من التتار بقطز نفسه يريدون النيل منه بسيوفهم ، اندفع فارس ملثم وهو يصيح : « واسلاماه » ليشق طريقا داخل الحلقة المحدقة وبفضل ذلك نجا قطز لكن سهما اصاب الفارس الملثم فهوى ، وما لبث قطز وجنوده ان عرفوا فى الفارس الشجاع « جلنار » زوجته ..

لكن قطز لم يستسلم للموت ، ولا فت المصاب فى عضده برغم فداحته ، وانما شدد قبضة يده على سيفه واستانف القتال مع المغاوير من جنوده الى ان تحقق النصر على العدو •

وعلى النقيض مما راينا فى سلامة القس اضطر باكثير هنا الى تغطية مساحات شاسعة من الاماكن التى تنقل بينها ابطال قصته ، كما امتدت الفترة التى عاشها هؤلاء الابطال مدة اطول . ومن هنا نجد شخصيات الابطال تكاد تتوارى من خلف الاحداث وكانما الاحداث هى صانعتهم ومسيرتهم ، وهكذا يتخذ السرد القصصى مكانة تطغى على الحوار كما ان عناية الكاتب بالشخصيات الثانوية كانت من الضالة بحيث تمر هذه الشخصيات امام اعيننا دون ان تخلف فى اذهاننا آثارها القوية أو الضعيفة •

ومن بين مناحى الضعف الذى تعانى منه هذه القصة فى بنائها الفنى كثرة التفصيلات التاريخية وانسياق الكاتب فى حماسه الشديد لبعض الموضوعات مثل الجهاد والتجاره فى الاسواق • وهنا نكاد نقرا لكاتب مقال او مورخ حقائق وليس لكاتب قصة ، ولعل لجوء باكثير فى بعض المواطن الى الحوار مع النفس يرجع الى تاثره بطريقة شكسبير التى يالفها من يقرا مسرحياته ومنها على سبيل المثال « روميو وجولييت » التى ترجمها باكثير الى العربية •

والان لنسال انفسنا عما تعنيه هذه القصة التاريخية للواقع العربى وللبلاد الاسلامية المعاصرة ، والاجابة التى يعطيها الكاتب هى أن على مجتمعنا ان يواصل جهاده فى مختلف الميادين تطورا وتحررا وتعزيزا للقيم الانسانية الرفيعة، وتقع على الحاكم ـ على النحو الذى رأيناه فى شخصية قطز الفذة ـ مسئولية قيادة المجتمع

نحو التقدم والنصر فان احسن هذا الحاكم ايده الشعب بكل قواه ، اما ان اخطأ وانحرف او عجز عن حسن التدبير عزله الناس وعينوا من هو اقدر منه ، وهذا بالضبط ما يقدمه لنا قطز فقد ابدى شجاعة في جهاد العدو وصبرا على المحن وتصميما على النصر وحنكة سياسية واخلاصا لبني جلدته في بلاد العروبة و لاسلام ٠

ولنترك القصة قليلا ولننظر الى الواقع المصرى والعربي والاسلامي خلال الاربعينات من هذا القرن اى في الوقت الذى كتب فيه باكثير قصته هذه ٠٠ فماذا نجد ؟

نجد الارض محتلة والحريات مختنقة والعدالة تستحيل ظلما والفساد استشرى في الاوصال والفقر ضاربا باطنابه في كثير من الربوع ٠

وهكذا استطاع الكاتب ببصره الثاقب ان يرى الخطر وقد ادلهم امره ، ولا ريب انه تمنى لمصر ان تستعيد مكانتها السابقة الرفيعة التى تقلدتها على مر التاريخ في القيادة والريادة ، ولذلك نجده يشير في الاسطر التى مهد بها للقصة الى ان هذه القصة شاهد عيان على ان في هذا الشعب الذى يعيش على ضفاف النيل قوة كامنة يمكن ان تصنع المعجزات متى احسن استعمالها ، وهذه الفكرة ٠٠ فكرة اضطلاع مصر بدورها القيادى نجدها ايضا مصورة في قصة باكثير الثالثة : « سيرة شجاع » ٠

سيرة شجاع

يقوم الاساس التاريخي لهذه القصة على ما اورده ابن الاثير في « الكامل في التاريخ » من وصف لبداية حكم الايوبيين في مصر ٠

وتدور الحبكة الروائية على الصراع بين امانة « شجاع » ووطنيته من جهة وخيانة والده الوزير شاور من جهة اخرى ٠ ويبدو شجاع وقد حظى بتاييد مجموعة من المصريين المنتمين الى جماعة سمت نفسها بجماعة المصلحين ، اما والده «شاور» فبرغم محاولاته ان يتقرب الى سكان القاهرة والفسطاط لم يكن مطاعا الا في قبيلته من بني سعد بصعيد مصر ، وكان الناس يخافونه ويكرهون سماع اسمه مخافتهم من الخليفة الفاطمي في القاهرة « العاضد » ٠ ولعة الوان متعددة من الصراع في هذه القصة ، فهناك على سبيل المثال صراع بين الافرنج والايوبيين غربي الشام حيث كان الطرفان يتسابقان لاحتلال القاهرة ، وفي الوقت نفسه دار الصراع بين جماعة المصلحين وبين قصر الخلافة الفاطمية من جهة وبينهما ووزارة شاور الفاسدة من جهة اخرى ، وكانت مصاهرة « شاور » لرئيس جماعة المصلحين حيث كانت زوجة الاول اخت زوجة الثاني ، بينما تزوج شجاع ابنة خالته ، كانت هذه المصاهرة سببا في اذكاء نار الخلاف من وقت الى آخر داخل الصفة ٠ والشيء الجدير بالملاحظة هو انه من بين حلقات الصراع الناشب بين شجاع ووالده وهو الصراع الذى بلغ ذروته بمصرع الابن على يد والده ٠

مما اسهم في نسج حبكة القصة علامات الدهشة او المفاجاة التى يلمسها الابطال من مثل المفاجاة الصادمة التى منى بها شجاع عندما يكتشف خيانة والده لوطنه وبني جلدته ٠

وتكثر التفاصيل التاريخية في هذه القصة على النحو الذى لمسناه في « واسلاماه » ومن هذه التفاصيل مثلا المكاتبات بين الصليبيين وشاور التى وضعت بحذافيرها بين ثنايا النص الروائي٠ وبالرغم من ذلك فانه بوسعنا التماس العذر للكاتب في بعض المواضع حيث يلجا الى هذه التفاصيل مثلا للتاكيد على وحدة الشعب المصرى في كفاحه ضد الصليبيين بصرف النظر عن الدين٠

وتتبوا الاحداث في القصة المكان الاعلى،وكانت هي السبب في تحريك الشخصيات الى غاياتها ، ولئن كان هذا عيبا فنيا في هذه القصة فانه قد خفف من وقعه سلوك بعض الشخصيات التى اشاعت في القصة بعض جوانب التشويق مثل الدور الذى قامت به المراة الجاسوس والتى لم يستطع حتى ذكاء صلاح الدين الايوبي ان يكشف عنه الا بعد طول تتبع وتربص ، وبعبارة اخرى خفف ذلك من رتابة اسلوب القص او الرواية ٠

واضافة الى ما ذكر ، استخدم باكثير خياله في تحويل الماضي الى الحاضر عن طريق تلوين الاحداث بآماله تجاه المجتمع المعاصر العربي والاسلامي ، فهو يجد في انشاء ابي الفضل لجماعة من المصلحين فرصة لتصوير مشاعر السخط العامة بين الناس ، وفي قلب « ابي الفضل » تجاه فساد الحكام والادارة والجيش ، ومن هنا نجد « أبا الفضل » وقد استحوذت عليه فكرة قلقه على مصير وطنه مصر وبقية العالم العربي والاسلامي • وعندما هزم اسد الدين شيركوه غريمه شاور يمجد الكاتب قوة الشعب المصرى الهائلة التي يمكن ان تخلع النصر على من تؤيده•

وقد ادت طريقة معاملة ضرغام ، غريم شاور للنساء الى المقارنة بين سمية ووالدتها وفي هذه المقارنة نعرف ان سمية تهتم بادق النقاط السياسية ، وكان زوجها شجاع يدربها على فنون القتال ومن بينها الرمي بالقوس • ولعل هذا هو ماصبت اليه اماني كاتبنا فالمراة عليها ان تكون عضوا نافعا في المجتمع ، وبقدر مشاركتها في بناء المجتمع تفيد البلاد ، ليس من غرابة في ذلك فقد اشتركت المراة في قضايا هامة في عصر النبوة والخلافة الراشدة •

وثمة نقطة اخرى جديرة بالاهتمام اوضحها باكثير في «واسلاماه» وهي الدور القيادي لمصر وحيادها في سياستها الخارجية ، وايمان الكاتب بهذا الدور لايصدر عن تعصب وانما عما اثبته التاريخ لمصر من حقائق في ماضيها العريق •

لغة باكثير

ومن بين مزايا قصص باكثير الثلاث اللغة الفصحي التي داب على استخدامها في اسلوب انيق وعبارات جذلة • وقد كان منبته في بيئة القرآن والشعر سببا في لجونه ، كلما ناسب المقام ، الى الاستشهاد بهما • وفي الوقت ذاته لا يخلو اي نص من النصوص الثلاثة من بعض العبارات المسجوعة او التعبيرات الخطابية الرنانة لكن ذلك لايصل الى ما يمكن ان يسمى بالاسلوب الدعائي ذلك ان الدعاية في نظرنا انما تكون للدفاع عن قضية باطلة او الترويج لشيء ما بمختلف السبل، وقد يكون من بين هذه السبل ما هو غير كريم ، اما وقد ظهرت لنا غيرة باكثير على مجتمعه وتاييده باخلاص لحق هذا المجتمع في التقدم والتخلص مما يعوق مسيرته فان كتابته انما تاخذ مكانها في الادب البناء الهادف •

ولقد حرص كاتبنا على ان يبرز دور اللغة العربية في ديمومة ثقافة الماضي ووصلها بالحاضر ولعل تمسكه بالفصحي فيه من الدلالة على الوحدة الفكرية التي ينبغي ان تصان بين الشعوب الناطقة بها ، وهذه الفصحي هي الاولى بالتشجيع وبتذليل طريق تعليمها للراغبين بدلا من تشجيع لهجات محلية لاتفيد على مدى المجتمع الواسع الذي يضم العديد من البلدان •

ومن الوجهة الفكرية ، فبرغم قراءتنا في كل من هذه القصص عن مفاهيم مختلفة •• مثلا الحب الانساني في سلامة القس، والجهاد في «واسلاماه»، والاصلاح الاجتماعي في سيرة شجاع الا انه يجدر ملاحظة فكرة رائدة تكاد تاخذ بناصية معظم كتابات باكثير الا وهي الايمان الراسخ بانه قد حان الوقت لكي نتحرك من الضعف والتخلف الى القوة والتقدم، وهذا الهدف ممكن التحقيق متى كانت هناك الارادة الصحيحة للمجتمعات من كافة النواحي التطويرية، ومتى تاسست تلك الارادة على قاعدة اخلاقية صلبة وتخلقت بكل القيم التي تهدف الى اسعاد الانسان على هذه الارض •

وهكذا يبدو باكثير من خلال قصصه الثلاث فريدا في اصراره المستمر على ضرورة التقدم الاجتماعي الذي يتخذ له جذورا عربية واسلامية قوية ، ويستفيد مما يناسبه من التطورات الحديثة، وحبذا لو اهتم كاتبنا دائما بما يمكن ان ياتي بالفائدة لمجتمعنا الحاضر ، وعبر ادبهم القصصي وغير القصصي عن رغبة الانسان العربي في ان يعيش حياته اللائقة به حرية وصلاحا وحبا لكل قلب يريد له الخير • ■■

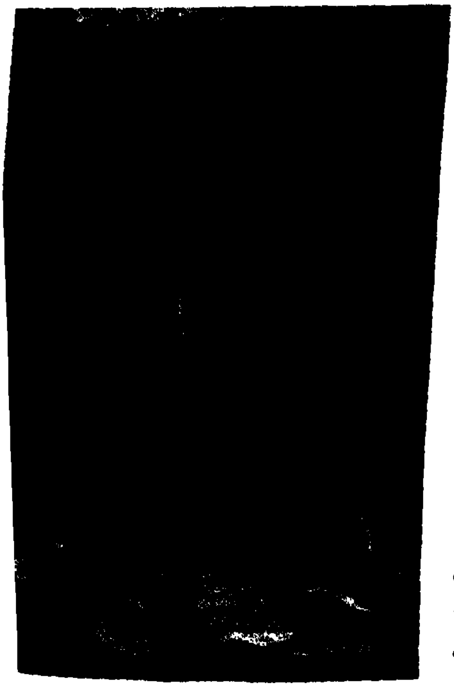
محمد امين توفيق
معهد الدراسات الاسلامية
جامعة ماكجيل مونتريال ، كندا

صفحة لا تنسى من التاريخ

● العبرة التي يشير اليها هذا المقال واضحة: وهي أن تفرق العرب وتمزقهم وعدم تفاهمهم على خطة واحدة ، يؤدى الى خسارة للجميع :

عندما ذهب العرب والاسرائيليون الى "رودس"

بقلم : الدكتور أحمد عبدالرحيم مصطفى



الوسيط الدولي راف بانش ، وهو يوقع عد اتفاقية الجانبين المصرى والاسرائيلى .

■ الآن يفيدنا بغير شك ان نقرا قصة اتفاقيات هدنة رودس التى جرت بين العرب واسرائيل اعقاب حرب سنة ٤٨ .. هذه هى القصة .

اشتركت مصر وسوريا والعراق والاردن ولبنان فى حرب فلسطين الاولى (١٩٤٨) دون تنسيق او وحدة فى الهدف . فالملك فاروق ساق مصر الى الحرب فى اللحظة الاخيرة لتاكيد زعامة مصر للعالم العربى . وعرقلة طموحات الملك عبدالله التى كانت ترمى الى اخراج مشروع سوريا الكبرى الى حيز التنفيذ وكذلك للضغط الشعبى القومى الهائل فى مصر . أما سوريا ولبنان والعراق فقد دخلت الحرب استجابة للدوافع القومية وضغوط الرأى العام الذى ابدى عطفه على مصير الشعب العربى الفلسطينى . واما الملك عبد الله ، فقد كان من رأيه قبول قرار التقسيم الذى اصدرته الجمعية العامة للامم



الوفد الاسرائيلي في محادثات رودس : الياهوساسون في اقصى اليسار ، ثم رئيس الاركان يبحال يادين ، ثم رئيس الوفد وولترايتان .

المتحدة على امل ان يضم القسم العربي من فلسطين الى املاكه ، تمهيدا لاخراج مشروع سوريا الكبرى الى حيز التنفيذ . ورغم اتفاق العرب المتحاربين على تقليد الملك عبدالله مسئوليات القيادة العامة، فانه لم يحظ علما بخطط الجيوش العربية التى كان كل منها يخوض الحرب لحسابه الخاص .

اما اليهود فقد كانت لهم قيادة موحدة تدير المعارك على مختلف الجبهات حسب استراتيجيات معددة،في الوقت الذى افادوا فيه من قصر خطوطهم وطول خطوط اعدائهم . وامكنهم الحصول على السلاح بطريقة اخرى ، على حين لم ينجح العرب فى الحصول على السلاح اللازم .

وكانت النتيجة هى الهزائم العربية المتكررة التى القى كل طرف بمسئوليتها على الاطراف الاخرى دون ان تتضح حقائق ما حدث وسط ضباب الاتهامات المتبادلة . وحتى الآن لم تحظ المكتبة العربية بكتاب او بحث موضوعى عن حرب ١٩٤٨ او الحروب العربية ـ الاسرائيلية الاخرى ، على حين افاض الطرف الاخر فى عرض «انجازاته بقدر كبير من الفخر والمبالغة،تمشيا مع اساليب الدعاية الصهيونية الخاصة بتغلب القلة على الكثرة . علما بان بعض المؤلفات المعاصرة(١) تظهر تفوق القوات الصهيونية على العربية ليس فقط من حيث التسليح والخبرة القتالية ، بل ايضا من حيث العدد .

وعلى اى حال فقد اسدلت اتفاقيات هدنة رودس الستار على الحرب العربية ـ الاسرائيلية الاولى، ومنها نستشف اسلوب الاسرائيليين فى التفاوض واستغلالهم ضعف الاطراف العربية فى المجال العسكرى والسياسى ، فى فرض شروط معينة . وتحايلهم على الوساطة الدولية ومقررات الامم المتحدة بايجاد امور واقعة ومساومتهم حولها ، من اجل تكريس مكاسب اقليمية لاتتمشى مع قرار

تقسيم فلسطين الذى اصدرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى عام ١٩٤٧ ، وهو القرار الذى قالوا عنه انه دفن فى ميدان القتال !

الطريـق الى رودس

ففى اواخر ديسمبر ١٩٤٨ اخترقت القوات الاسرائيلية ـ تساندها المدرعات و لطائرات المقاتلة ـ الاراضى المصرية بهدف قطع الطريق امام القوات المصرية فى فلسطين التى كان جزء منها محاصرا فى الفالوجة • وحينئذ قامت مصر بنشاط دبلوماسى محموم بهدف طلب المساعدة العسكرية من الدول العربية الاخرى • وعلى حين ان القوات السورية والعراقية كانت منهكة ، فان الملك عبد الله اعتبر الحرب قد انتهت بالنسبة الى مملكته ، خاصة وان سلسلة من الاجتماعات جرت بين موشى ديان وعبدالله التل ـ قائد القوات الاردنية فى القدس ـ تمخضت عن اتفاقية خاصة «بالايقاف الجدى لاطلاق النار» اصبحت سارية المفعول فى اول ديسمبر •

حينئذ كانت الحكومة المصرية فى موقف لاتحسد عليه ، خاصة وقد تسربت انباء تطور القتال الى الجماهير • فقد جرت مظاهرات عنيفة فى القاهرة فى نوفمبر اثارها «الاخوان المسلمون» بوجه خاص، ضد المؤسسات التجارية الاجنبية واليهوديه ، كما انتشرت المظاهرات فى المدن الكبرى • وكان رد محمود فهمى النقراشى باشا ـ رئيس الوزراء ـ على ذلك هو حل جماعة الاخوان المسلمين مما ادى الى مقتله (٢٨ ديسمبر) • ورأى خلفه ابر هيم عبدالهادى أن مصير حكومته يتوقف على التوصل الى السلام مع اسرائيل فى اقرب وقت ، ولهذا اقنع الملك فاروق وزملاءه الوزراء بضرورة انهاء الحرب وارجاع الجيش الى البلاد حيث يمكن استغلاله فى السيطرة على الوضع الداخلى المتردى، مشيرا الى ان مندوبى مصر كانوا يتفاوضون بالفعل مع ممثلى اسرائيل الرسميين فى مجلس الامن وغيره من مؤسسات الامم المتحدة دون أن يعنى ذلك الاعتراف المباشر بالدولة اليهودية• وفى ٤ يناير ١٩٤٩ ارسلت وزارة الحربية المصرية الى ممثل الوسيط الدولى ـ رالف بنش ـ فى القاهرة ضابطين ابلغاه أن مصر على استعداد لارسال وفد الى جزيرة رودس مهمته التفاوض وتوقيع الهدنة، وذلك فى مقابل الوقف المباشر للقتال طبقا لقرار مجلس الامن الصادر فى ٢٩ ديسمبر و لداعى الى هدنة شاملة فى شتى ربوع فلسطين •

وقد حاول وزير الخارجية البريطانى ارنست بيفن التأكد من أن وقف اطلاق النار لا يتضمن التواجد الاسرائيلى على الاراضى المصرية،فطلب من وزارة الحرب البريطانية أن ترسل طائرات فوق ميدان القتال لتحديد المواقع الفعلية للطرفين المتحاربين وتصويرها • وقد حاولت الطائرات البريطانية فى ٧ يناير أن تقوم بمهمتها الا ان الاسرائيليين اسقطوا منها خمس طائرات ـ وهنا استشاط بيفن غضبا ، خاصة وأن الحكومة المصرية لم تتحمس لتطبيق معاهدة التحالف المصرية ـ البريطانية الموقعة فى عام ١٩٣٦ ، وذلك حتى لا تتعرض لهجوم المتطرفين من خصومها ، بينما كان الرأى العام المصرى شديد الالحاح فى طلب الجلاء ووحدة وادى النيل ، مبديا سخطه على بريطانيا التى حملت مسئولية تطورات الاحداث فى فلسطين بالصورة التى انتهت اليها •

تهديد مصرى بريطانى

على أن نظام الملك فاروق عزز موقفه حين اوضح البريطانيون ان الاسرائيليين لايزالون داخل الاراضى المصرية ، رغم ان الاسرائيليين قبلوا وقف اطلاق النار على اساس ان المفاوضات مع المصريين حول الهدنة ستبدأ بعد وقت قصير ، فان مصر صرحت فى ١٢ يناير بانها لن تنفذ الهدنة الا اذا انسحب الاسرائيليون من مناطق الحدود ، بما فى ذلك المناطق المحتلة القريبة من رفح• ولما كانت بريطانيا من جانبها قد وجهت انذارا الى الاسرائيليين لكى ينفذوا وقف اطلاق النار و لا تدخلت طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ ، فقد طلب بن جوريون من ييجال ألون ـ قائد القطاع الجنوبى ـ الانسحاب من سيناء فى ٢ يناير ولكن ازاء اصرار ييجال

---

(١) راجع ـ على سبيل المثال ـ

Margaret Avakie; The Broken Sword of Justice (London, 1973).

العسكرية) سمح بن جوريون
ء على التلال المحيطة برفح،
ات المصرية فى قطاع عزة .
الاركان اليهود استحابه قبول
ريطاني على اعتبار ان ذلك
المصرية من شانه ان يضعف
ويترك لمصر قطعة كبيره من
الاسرائيلية . الا ان بن
ض المطالب المصرية معناه
حل بريطانيا . خاصة وان
، قد ابدت استعدادهاللجلوس
دية بمصر .

سرائيليون من مرتفعات رفح
ن يناير . وبعد ذلكباسبوعين
ر طه المحاصره فى الفالوجة
اسلحتها .

ـ الامم المتحدة

، جرت فىرودس بين المندوبين
ن مند اوائل يناير ١٩٤٩
« مفاوضات الامم المتحدة ».

اوضات المصرى والاسرائيلى
، الفندق (فندق الزهـور
) ممـا أثـار بعـض
خصوصـا حين كان يتقـابل
ا لوجه دون تبادل التحيـة

سيط الدولى » ر لف بنش »
ع بين الوفدين دون طائـل
مع كل وفد على حده محاولا
. وبعد عدة ايام امكنهالجمع
ائيلين فى جناحه . وكان
اتبع فيما بعد فى مفاوضات
ن الاردن ولبنان وسوريا .
ن يكون هدف الوفودالمتفاوضة
لى سلام دائم فى فلسطين.
توقيعاتفاقية الهدنةالمصرية
ق على المحافظه على الوضع

العسكرى العام : فتبقى النقب فى يد اسرائيـل باستثناء قطاع عزه الذى كانت تحتله القوات المصرية ولاينزع الا سلاحمدينـة « العوجـة » والمناطق المجاورة لها تحت اشراف لامم المتحدة (٢) . وهكذا باستثناء قطاع عزه تمشى خـط الهدنة مع الحدود الدوليه بين مصر وفلسطين . لا انه لم يكن ممكنا اعتبار هدا الخط وخطوط الهدنة التى امكن التوصل اليه فيما بعد بين اسرائيل والدول العربيةحدودا سياسية اواقليمية. وهـذه الخطوط ـ شانهـا شان باقـى نصوص الاتفاقيات ـ كانت لا تتعارض مع حقوق وادعاءات ومواقف الاطراف المعنيـه فيما يتعـلق بالتسوية السلمية النهائية للمسالة الفلسطينية . .

وكان اسحاق رابين ـ احدى الرسله الذين نيابة عنه الى رودس ـ قد احتج علىاحتفاظ مصر بقطاع غزة . فرد عليهعضو الوفد الاسرائيلى وولترايتان بمايلى : « ان هدنة مصر تساوى منطقة عزة . وفوق هذا فان هذه الهدنة عسكرية ومؤقتـة . وسنضغط فى سبيل التوصل الى حدود احسن حين نجرى محادثات سلام شامل . » ومهما كان الامر فقد تم توقيع الهدنة فى ٢٤ فبراير ـ وكان كل طرف يتوقع ان تحل محلها فى المستقبل القريب معاهدة سلام دائم . خاصه وان اتفاقية الهدنة ذاتها قد تضمنت فقرات مثل « يهدف العمل على عودة السـلام الدائم الـى فلسطين . واقرارا باهمية التاكيد المتبادلة بهذا الصدد فيما يتعلق بالعمليات العسكرية من جانب الاطراف . نؤكد فى هذا المقام ... المبادىء الاتية » . و « اقامة هدنة بين القوات العسكرية للطرفين يجرى قبولها باعتبارها خطوة لابد منها لانهاء النزاع العربى واعادة السلام الى فلسطين » .

حيلة ضد الاردن

وقد تلت السابقة التى جريت فى رودس بوجه عام مفاوضات بين اسرائيل والدول العربيةالاخرى فما ان وافقت مصر ـ أقوى الدول العربية ـ على التفاوض مع اليهود حتى سهل على الاخرين أن ينسجوا على منوالها . وقد تعهد الاسرائيليون

ـر نيل ان احتلت منطقة الموجه فى اواسط الخمسينات .

بتاجيل التفاوض مع الاردن الى ان يتم لهم سحق الجيش المصرى ، ومن ثم يفهمون الاردنيين ان الجيش الاسرائيلى فى حل من أن يضرب ضربته حيث يشاء اذا لم تبد عمان قدرا من « المعقولية » ، وبالاضافة الى ذلك فانهم كانوا يسعون الى ايجاد فاصل زمنى بين عقد اتفاقيتى الهدنة مع مصر والاردن وذلك حتى يمكنهم توطيد اقدامهم فى النقب الجنوبية التى توغلت فيها القوات الاردنية بتشجيع من بريطانيا ، (كانت النقب قد منحت للدولة اليهودية طبقا لقرار التقسيم وذلك على اثر المعادلة الدراماتيكية التى جرت بين حييم وايزمان والرئيس الامريكى ترومان) •

فحين بدات المفاوضات بين الاردن واسرائيل كانت القوات الاردنية تحتل القاعدة الشمالية للمثلث الممتد على الحدود المصرية ـ الاردنية على مسافة حوالى ٥٥ ميلا من خليج العقبة • وقبل التوصل الى وقف اطلاق نار مع الاردن تقدمت القوات الاسرائيلية بقوة كبيرة نسبيا ، وذلك بهدف منع القوة الاردنية الصغيرة من ابداء اى مقاومة فعالة • وبعد قتال قصير انسحبت القوة الاردنية واحتل الاسرائيليون كل المثلث الذى تقع راسه عند موقع ايلات الحالى على خليج العقبة • وقد برروا عملهم هذا ـ الذى اتخذ اثناء مفاوضات السلام بعد وقف اطلاق النار ـ بان هذه الارض كانت جزءا من المنطقة المخصصة لاسرائيل طبقا لقرار التقسيم وان تكن اسرائيل قد دبرت كذلك الاحتفاظ بالاراضى الاخرى التى احتلتها ، رغم ان بعض هذه الاراضى المحتلة كانت قد خصصت للدولة العربية طبقا لنفس القرار •

الى الضفة الغربية

وما ان وضع الاسرائيليون ايديهم على كل صحراء النقب حتى وجهوا اهتمامهم الى منطقة المثلث الواقعة فى الضفة الغربية على بعد عشرة اميال من البحر •• وكان يسيطر عليها العراقيون • وكان هدف الاسرائيلين هو تحقيق الاستيلاء على هذه المنطقة بدون قتال خشية بريطانيا المتحالفة مع كل من العراق والاردن ، خاصه وان الحكومة العراقية قد ابلغت بنش فى ١٩ مارس ٤٩ بانها ستسحب قواتها ، وانها بالتالى قد خولت الوفد الاردنى التفاوض بالنيابة عنها •

وهكذا كان العراق دون الدول المحاربة هو الوحيد الذى لم يوقع اتفاقية هدنة مباشرة مع اليهود ، مما جعل بغداد تنزع الى العداء الدعائى الشديد لاسرائيل بدرجة تفوق جيران اسرائيل المباشرين الذين وقعوا الهدنة ، وذلك دون ان تنتقل بغداد نورى السعيد من مجال الكلام الى مجال العمل ـ وكان رئيس وزراء العراق بوجه خاص ينزع الى منافسة مصر فى مجال الزعامة على المشرق العربى ، ومن ثم عمل على عدم دخول العراق فى مفاوضات مع اسرائيل وقيامه بحملة معادية للصهيونية ، ثم طرده اليهود من العراق من اوائل الخمسينات •

وهكذا فحين اوضح العراق منذ اوائل عام ١٩٤٩ انه لن يوقع اتفاقيه هدنه مع اسرائيل تضايق الاسرائيليون الذين كانوا يودون التوصل الى ضمانات سلام مع كل المقاتلين العرب • ولهذا فحين قابل المبعوث الاسرائيلى ساسون الملك عبدالله فى ٣٠ يناير فى عمان ، صرح له بان اسرائيل قد تهاجم القوة العراقية الا اذا اقنع الملك العراق بسحب قواته ، وفهم عبدالله من ذلك ان الاسرائيليين يدعونه لاحتلال مواقع العراقيين ، ولهذا قابل الامير عبدالاله ونورى السعيد وافهمهما بضرورة الانسحاب حتى لا يهاجم الاسرائيليون القوة العراقية • ولم يسع عبدالاله ونورى السعيد سوى الموافقة ، خاصة وانهما لم يكونا على استعداد لمواصلة القتال وتحمل نتائج مهاجمة الاسرائيليين لقواتهم وان الوضع الداخلى فى العراق كان ينذر بالانفجار على اثر اشتداد المعارضة للحكومة من جانب شتى القوى الوطنية المعادية للاستعمار واعوانه والمطالبة بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية •

وقد افهم الاسرائيليون المفاوضين الاردنيين ان لهم نفس الحق فى الحلول محل العراقيين ، وتعزيزا لتهديداتهم بدءوا فى تحريك قواتهم فى وضح النهار بالقرب من منطقة المثلث مدركين ان الاردن لا يرغب فى مواصلة القتال ، مما اضعف موقف المفاوضين الاردنيين •

على ان مما تجدر الاشارة اليه ان اتصـالات الاسرائيليين بالاردنيين كانت اكثر اتصالاتهم بالعرب تعقيدا • فقد بدات المحادثات بين الطرفين فـي رودس بعد ايام من توقيع الهدنة مع مصر ـ ولم تكن لدى المفاوضين الاردنيين تعليمات بحكم ان الملك عبدالله فضل ان يقوم باتصالات مباشرة مع الاسرائيليين عن طريق عبدالله التل القائد الاردنى فى القدس ، الذى رتب لكى يقابل وفد اسرائيلى الملك فـى قصـره الشتـوى فى الشـونة قـرب البحر الميت •

ومن الواضح ان عبدالله لم يكن على استعداد لان يخلع صلاحيات التفاوض على ممثليه فـي رودس ، وذلـك برغم موافقته علـى استمرار المحادثات فى الجزيره بصفة رسمية ـ وممـن قابلوه فى الشونة وولتر ايتان وييجـال يادين وموشى ديان •

هدف منذ بداية الصراع

ولما كانت المفاوضات المباشرة مع العرب هدفا رئيسيا لدى الاسرائيليين منذ بداية الصراع ، فقد اتفقوا على ان تحل القوات الاردنية محل العراقيين، اذا ما انسحبت هذه القوات من حزام ضيق طوله ١٢ ميلا وعرضه ١/٤ ١ ـ ٢ ميل على طول النطاق الشمالى والغربى لمنطقة المثلث • ولم يسع الملك عبدالله سوى الاستجابة للمطالب الاسرائيلية ، خاصة وانه حصل ـ طبقا للمقترحاتالاسرائيلية ـ على المثلث الهام فى السامرة الذى يربط مـدن نابلس وجنين وطولكرم • اما الاسرائيليون فقد حصلوا على بعض المناطق الخصبة وعلى المرتفعات المهيمنة على السهل الساحلى : فقد وضعـوا ايديهم على خط الخضيرة ـ العفولة وعلى سكة حديد اللد ـ حيفا بالاضافة الى قسم من المنطقة الجبلية ذات الاهمية الاستراتيجية • واعتبرت الاتفاقية مؤقتة الى أن يمكن التوصل الى معاهدة سلام تتضمن حدودا متفقا عليها • كما اقيم خط منزوع السلاح فى الجنوب بين البحر الميت والعقبة وفى الشمال بين البحر الميت وبيسان • وبقـى وضع القدس كما هو : اذ بقيت المدينة الجديدة فى ايدى اليهود والقديمة فى ايدى الاردنيين •

وما ان تم التوصل الى هذه الاتفاقية حتى طار بها كل من موشى ديان مندوبا عن اسرائيل والجندى مندوبا عن الاردن الى رودس ، حيث وقعهـا المندوبون الرسميون فى ٣ ابريل • ثـم قابل ساسون الملك عبدالله فى الشونة لاقتراح تحويل الهدنة الى اتفاقية سلام دائم ، ولكن الملك اعتذر متحججا بان الفرصة لم تسنح بعد وان السلام سيؤدى من جديد الى تدهور العلاقات المصرية ـ الاردنية •

مع لبنان وسوريا

اما المفاوضات الاسرائيلية اللبنانية فقد جرت دون صعوبة تذكر فى بروش هانيكرا على الحدود اللبنانية الاسرائيلية • وطبقا لاتفاقية وقعت فى ٢٣ مارس ١٩٤٩ جلا الاسرائيليون عنالقرىالاربع عشرة التى احتلتها قواتهم خلال الحرب ، ممـا اكد الحدود الدولية القديمة • وباستثناء بعض النصوص الخاصة بالاراضى ، كانت لهجة الاتفاقية شبيهة تماما بوثيقة الاتفاقية الاسرائيليـة ـ المصرية • كما نصت على توقع ان يؤدى وقـف اطلاق النار الى سلام دائم • ومما يجدر ذكره ان رئيس الاركان اللبنانى الكولونيل سالم قد ابلغ مندوب اسرائيل موردخاى ماكليف بان لبنان ليس لديه ما يدعوه الى بقاء حالة الحرب وانه ، لكونه بلدا ضعيفا ، لن يكون اول دولة توقـع سلاما دائما مع اسرائيل ، بل سيبادر الى التوقيع متى سبقه بلد عربى آخر •

وهكذا وقعت اتفاقيات الهدنة مع كل من مصر ولبنان والاردن فى اقل من ستة اسابيع ، على حين ان السـوريين كانوا هم الوحيدين الذيـن اثاروا بعض التشدد الذى كان مرجعه من ناحية تدفقالمشاعر القومية فى سوريا من الحركة القومية العربية ، ومن ناحية اخرى عدم استعداد السوريين للجلاء عن الاراضى التى احتلوها داخل اسرائيل (مشمار هياردين) •

وحين بدات المحادثات فى ٥ ابريل ١٩٤٩ لـم يصافح المندوب السورى فوزى سلو المنـدوب الاسرائيلى موردخاى ماكليف • على انه صافحه

في اليوم التالي قائلا له بحدة : « نحن نطالب بحيفا » ، فكان رد ماكليف عليه مبتسما قوله : « ونحن نطالب بدمشق » ! ثم استمرت المحادثات في منطقة حرام على طريق طبرية ـ دمشق حتى ٢٠ يولية .

وفي تلك الاثناء كان الموقف الداخلي في سوريا متردیا . فكما هو الحال بالنسبة الى العراق ، كسدت التجارة وارتفعت تكاليف المعيشة مما زاد في سخط الجماهير على الاسر الاقطاعية الحاكمة التي تميزت بالفساد ولم تكترث باحوال البلاد . كما استتبعت الهزيمة العسكرية مظاهرات صاخبة ارغمت رئيس الوزراء على الهرب من البلاد . ثم جرى انقلابان عسكريان : اولهما بزعامة حسني الزعيم والثاني بزعامة سامي الحناوي ، مما عمد احوال البلاد التي دبت فيها الفوضى ، وربما زاد الطين بلة أن ماكليف هدد بالهجوم اذا لم يتوصل الاسرائيليون الى اتفاقية مع سوريا في اقرب وقت .

لهذا كله وافق السوريون في نهاية الامر على الجلاء الى حدودهم الاصلية ، وان اشترطوا بدورهم الا تحل القوات الاسرائيلية محل القوات السورية في المناطق التي تقرر اخلاؤها ـ وبهذا ظهرت الى الوجود منطقة اخرى منزوعة السلاح. ووقعت الاتفاقية في ٢٠ يولية ١٩٤٩ متضمنة ما اتفق عليه ، وصيغت نصوصها بشكل مشابه للنصوص التي تضمنتها المعاهدات السابقة .وكانت آخر اتفاقيات الهدنة وبذلك اسدل الستار بصفة رسمية على الحرب العربية ـ الاسرائيلية الاولى.

وكانت اتفاقية الهدنة السورية ـ الاسرائيلية هي آخر الاتفاقيات التي امكن التوصل اليها تحت اشراف رالف بنش الذي تقاعد ثم منح جائزة نوبل للسلام . ثم لم يلبث مجلس الامن ان وافق على طلب اسرائيل الانضمام الى الامم المتحدة ، ووافق معظم أعضاء المنظمة الدولية على هذه العضوية ، برغم تردد اسرائيل في عدة مناسبات في احترام القواعد الاساسية التي قامت عليها الامم المتحدة ـ وكانت عضوية الامم المتحدة في اواسط القرن العشرين تعتبر دليلا له مغزاه على سيادة الدولة .

فشل مؤتمر لوزان

وقبل ان توقع الوثائق النهائية لاتفاقيات رودس تم تعيين لجنة جديدة (لجنة المصالحة الخاصة بفلسطين) اخذت على عاتقها مهام الوسيط الدولي ووسعتها ، وكانت مهمتها تحويل اتفاقيات الهدنة الى معاهدات سلام دائم . وقد اشترك ممثلون عن كل من تركيا وفرنسا وامريكا في اللجنة التي كلفت ـ طبقا لقرار الجمعية العمومية الصادر في ١١ ديسمبر ١٩٤٨ ـ بالتوصل الى « تسوية نهائية لكل المسائل المعلقة بين (اسرائيل والعرب)». وقد قرر قرار مندوبو الدول الثلاثعلى التعامل مع الدول العربية باعتبارها كيانا جماعيا بدلا من التعامل مع كل منها على حدة ، ومن ثم لم تجرؤ حكومة عربية على توخي الاعتدال خشية تعرضها لهجوم الدول الاخرى .

وطبقا لهذا التعامل الجماعي دعت اللجنة العرب والاسرائيليين الى مؤتمر لوزان الذي بدأ اعماله في ٢٧ ابريل ١٩٤٩ وثبت فشله منذ اللحظة الاولى ، فعلى عكس الاسلوب الذي اتبع في التفاوض في رودس حيث وضع مندوبو طرفي النزاع في فندق واحد ، نجد ان المندوبين العرب قد وضعوا في قصر لوزان ، على حين نزل الاسرائيليون في « البوريفاج في اوشي » ، وبذلك قضي على احتمال الاتصالات غير الرسمية . وفي المناسبات النادرة التي جمعت فيها الاطراف رفض العرب الجلوس مع الاسرائيليين في نفس الغرفة، مصرين على ان المباحثات الخاصة بالسلام لايمكن اجراؤها الا اذا تم التوصل الى حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين،على حين اصر الاسرائيليون على عدم حل هذه المشكلة الا في اطار معاهدة سلام شامل . وازاء تشبث كل من الطرفين بموقفه فشل مؤتمر لوزان وانحلت لجنة المصالحة . وبقي النزاع العربي ـ الاسرائيلي دون حل ، بل وتفاقمت اخطاره بعد ان اصبحت المنطقة العربية مجالا للحرب الباردة والاستقطاب الدولي مما ادى الى نشوبحروبثلاثة اخرى بين العربوالاسرائيليين في الاعوام ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ . ■■

احمد عبدالرحيم مصطفى
استاذ التاريخ بجامعة الكويت

● حل مسابقة العدد ٢٢٨ ●

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ك	ى	ن	ش	ا	س	ا	ه	م	ج	ا	ل	د	و	ن
٢	ا	ل	ى	و	ب	ى	ل		ا	ق	ل	ا	ك		ا
٣	د		ا		ا	خ	ن	ا	ت	و	ن		ت	ر	ق
٤	م	ا	ت		د		ب	ب		ن	ق	ا	و	م	ه
٥	ى	ن		ا	ل	م	ا	و	ى		ا	ل	ر	ض	
٦	و	ا	ص	ل		ا	ل	ذ	ب	ا	ب	ه		ا	م
٧	م	ن		ف	ا	ر		ر	ت	ل		د	ا	ن	ى
٨	ه	ا	ب	و	ب	ك	ر	ا	ل	ص	د	ى	ق		
٩	ر	س	ا	ل	ه		ب	ل	ع	و	م		ل	ه	د
١٠	ب		ب	ه	ا	ر		ع	ا	م	ر	ت		ن	ا
١١	ى	م	د		م	ت	ع	ف	ن		ه	ا	ن	د	ل
١٢	ع	ر	م	ه		ا	ن	ا		س	ا	ل		و	د
١٣	ا	ج	ش		ا	ج	ا	ر	ى	ه		ف	ل	ك	
١٤	و	ا	ق	ى	ه		ن	ى	ك	ا	ر	ا	ج	و	ا
١٥	ل	ن		ا	ل	ل	ه		ف	د	ا	ن		ش	م

أبوبكر الصدّيق

●

أبوذر الغفاري

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا: ابو بكر الصديق، أول الخلفاء الراشدين ، ووالد السيدة عائشة زوجة النبى عليه الصلاة والسلام • حارب اهل الردة ، وهزم مسيلمة الكذاب • توفى بالمدينة •

(٨) رأسيا : أبو ذر الغفارى ، اشتهر بتقواه ، وتقشفه ، وروى الكثير من احاديث الرسول • نعى على معاوية الترف والاسراف بمال المسلمين فاعاده من دمشق الى المدينة ، ثم نفاه عثمان الى الربذة •

الفائزون بالجوائز

● الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها: عثمان اسماعيل محمد حسين ـ اسيوط مصر •

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها: سمير الجميل ـ بيروت/لبنان •

● الجائزه الثالثه وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها: رقية محمد زمان ـ المنامة البحرين •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ احمد سرحان الهيتى ـ الانبار/العراق

٢ ـ محمد هاشم الكمالى ـ الخرطوم/السودان

٣ ـ عبدالعزيز محمد محمود ـ حولى/الكويت

٤ ـ مازن فريح ابومحفوظ ـ طرابلس/ليبيا

٥ ـ محمد المعتزبالله الايوبى ـ دمشق/سوريا

٦ ـ احمد سليمان سالم العصرى ـ ابوظبى/ الامارات العربية

٧ ـ محمد العبدالله النوفل ـ الرياض/السعودية

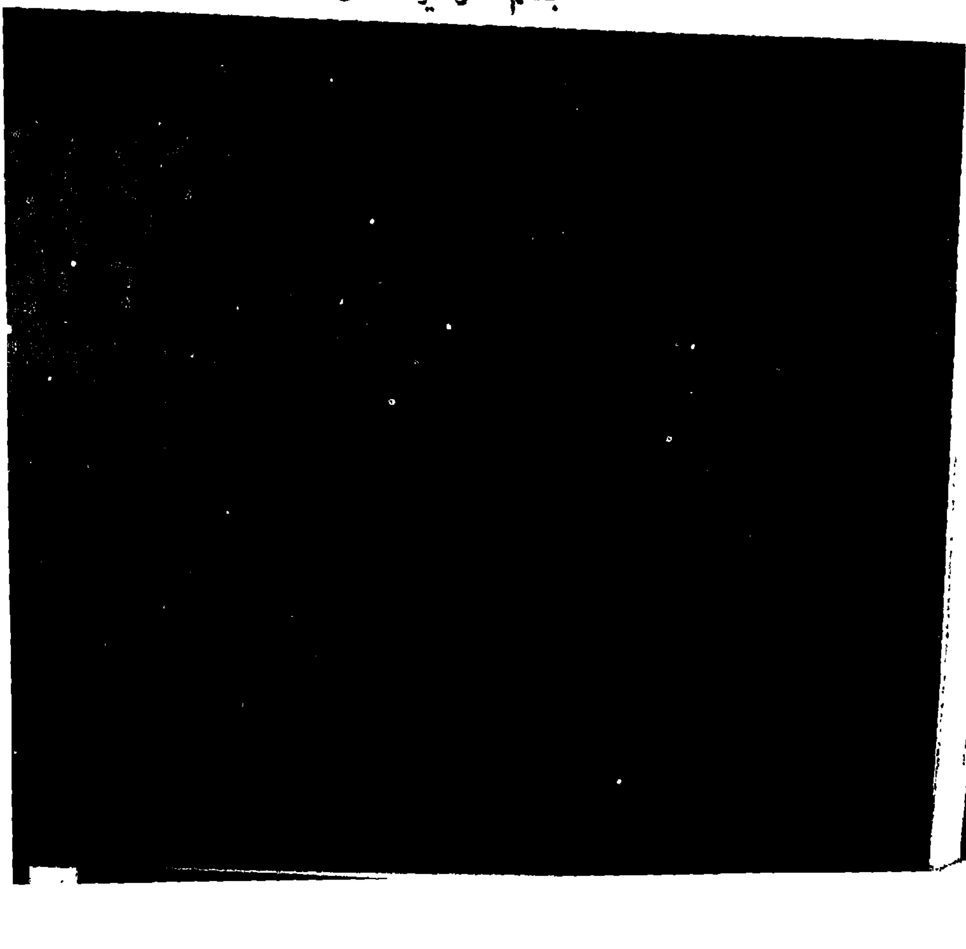
٨ ـ ديب عبدالله بيارى ـ عمان/الوحدات •

حدث ذلك منذ ٨ قرون

«يمرق المحتسب الفرانين على الدروب والمحال واطراف البلد، لما فيهم من المرافق وعظم حاجة الناس اليهم · ويأمرهم باصلاح المداخن، وتنظيف بلاط الفرن في كل ساعة من اللباب المحترق والشرر المتطاير والرماد المتناثر لئلا يلصق في اسفل الخبز منه شيء»

عندما كان.. المحتسب مسئول النظافة

بقلم : زهير طحان



منمدنون اكثر من اجدادنا ،
وا منحضرين اكثر منا • ولناخذ
لدا : النظافة • وسوف يكون
وكتاب صدرفي القرن السادس
الثاني عشر الميلادي) • عنوانه
ابة الرتبه في طلب الحسبه..
- الرحمن بن نصر الشيزري •
كتاب يروي بتفصيل سير
صورة الحياة اليومية للمجتمع
في ذلك العصر • وكيف كان
مخولا - ضمن صلاحياته -
كل ما يتعلق بالنظافة . قبل
عالمنا العربي اسابيع النظافة.
تظهر الى الوجود البلديات
، حماية البيئة ومكافحة

المحتسب مسئول النظافة ، وكان له
، بالعرفاء • ووظيفته تطابق في ايامنا
ين وشرطي البلدية والمفتش القضائي
• فكان يتفقد نظافة البلد ، ومراقبة
سواق ، وكشف انواع الغش والتدليس
ف والصناعات في مبيعاتهم ومعاملاتهم•
على القضاة • بل كان يقصد مجالس
لاة ، ويامرهم بالمعروف وينهاهم عن
غلهم ويذكرهم ، ويامرهم بالشفقة على
ى لقد قام الغربيون آنئذ بنقل منصب
مالها اليهم من المملكة الاسلامية ،
ما طبقت في المملكة الصليبية في
•

كتاب الشيزري هو الاول في معالجة
سبة ، لكنه لم يكن الوحيد في تراثنا
قد صدرت قبله كتب محدودة تضمنت
هذا الموضوع • ومن بين الذي كتبوا
اوردي في كتابه الاحكام السلطانية
(٤٥٠ هـ - ١٠٥٨ م) والامام الغزالي
ياء علوم الدين • المتوفى سنة (٥٠٥هـ
• غير ان كلا الكتابين تغلب عليهما
هية البحتة• اما الذين خلفوا الشيزري
الاخوة وابن بسام وغيرهم فقد نقلوا
بوه من مؤلف الشيزري الذي بين

في الاسواق والطرقات

وهذه فقرات مما تضمنه كتاب لسيزرى في موضوع النظافة •

- فيما يجب على المحتسب من شروط الحسبة :

« لما كانت الحسبة امرا بمعروف ونهيا عن المنكر واصلاحا بين الناس وجب ان يكون المحتسب فقيها، عارفا باحكام الشريعة، ليعلم مايامر به وينهى عنه• فان الحسن ماحسنه الشرع ، والقبيح ماقبحه الشرع • ولامدخل للعقول في معرفة المعروف والمنكر الا بكتاب الله عز وجل • وسنة نبيه• ورب جاهل يستحسن بعقله ماقبحه الشرع ، فيرتكب المحظور وهو غير عالم به • ولهذا المعنى كان طلب العلم فريضة على كل مسلم كما قال النبي(ص) :

«وينبغي للمحتسب ان يكون مواظبا على سنن رسول الله ، من قص الشارب ، ونتف الابط وحلق العانة ، وتقليم الاظافر ، ونظافة الثياب وتقصيرها ، والتعطر بالمسك ونحوه ، وجميع سنن الشرع ومستحباته • هذا مع القيام على الفرائض والواجبات ، فان ذلك ازيد في توقيره • وانفى للطعن في دينه • وقد حكى ان رجلا حضر عند السلطان (محمود بن سبكتكين الذى اسس الدولة الغزنوية بافغانستان سنة ٣٨٩ هـ - ٩٩٩ م) فنظر السلطان فرأى شاربه قد غطى فاه من طوله واذياله تسحب على الارض فقال له : ياشيخ اذهب فاحتسب على نفسك ، ثم عد واطلب الحسبة على الناس » •

وليكن من شيمة المحتسب الرفق ، ولين القول ، وطلاقة الوجه ، وسهولة الاخلاق عند امره الناس ونهيه، فان ذلك ابلغ في استمالة القلوب، وحصول المقصود •

- الحسبة على الاسواق والطرقات :

«وينبغي للمحتسب ان يمنع احمال الحطب واعدال التبن ، وروايا (جمع راوية وهي وعاء من جلد الثور يوزع فيه الماء على الناس) الماء وشرائح السرجين (الشرائح جمع شريحة وهي القفص من سعف النخل • والسرجين لفظ اصله فارسي - سركين - معناه الدمن او الزبل) والرماد واشباه ذلك ، من الدخول الى الاسواق لما فيه من الضرر بلباس الناس • ويامر جلابي الحطب والتبن ونحوهم اذا وقفوا بها في العراص ، ان يضعوا الاحمال عن ظهور الدواب لانها اذا وقفت والاحمال

عليها اضرتها • وكان فى ذلك تعذيب لها •• ويامر اهل السوق بكنسها وتنظيفها من الاوساخ والطين المجتمع وغير ذلك مما يضر بالناس لان النبى قال ـ لاضرر ولاضرار ـ » •

« واما الطرقات ودروب المحلات فلا يجوز لاحد اخراج جدار داره ولا دكانه فيها الى الممر المعهود ، وكذلك كل ما فيه اذية واضرار على السالكين ، كالميازيب الظاهرة من الحيطان فى زمن الشتاء ، ومجارى الاوساخ من الدور فى زمن الصيف الى وسط الطريق • بل يامر المحتسب اصحاب الميازيب ان يجعلوا عوضها مسيلا محفورا فى الحائط مكلسا ، يجرى فيه السطح ، وكل من كان فى داره مخرج للوسخ الى الطريق ، فانه يكلفه سده فى الصيف ، ويحفر له فى الدار حفرة يجتمع اليها » •

ـ الحسبة على الحبوبيين والدقاقين :

يحرم عليهم احتكار الغلة على ما بيناه ، ولا يخلطون ردىء الحنطة بجيدها ولا عتيقها بجديدها، فانه تدليس على الناس • واذا دعت الحاجة الى غسل الغلة جففت بعد غسلها تجفيفا بليغا ، ثم بيعت منفردة •

ويلزم الدقاقين (اى الطحانين) غربلة الغلة من التراب ، وتنقيتها من الزوان ، وتنظيفها من الغبار قبل طحنها • ولهم ان يرشوا على الحنطة ماء يسيرا عند طحنها ، فان ذلك يكسو الدقيق بياضا وجودة • ويعتبر عليهم المحتسب الدقيق ، فانهم ربما خلطوا فيه دقيق الشعير المنخول او دقيق الباقلا والعمصونحو ذلك ، او ما هو مطحون على رحى منقورة ، او ما خالطه زوان او غبار الطاحون ، فان ارتاب حلفهم ان لا يعملوا شيئا من ذلك » •

فرن للخبز واخر للسمك!

ـ الحسبة على الخبازين :

« ينبغى ان ترفع سقائف حوانيتهم ، وتفتح ابوابها ، ويجعل فى سقوف الافران منافس واسعة يخرج منها الدخان ، لئلا يتضرر بذلك الناس • واذا فرغ الخباز من احمائه ، مسح داخل التنور بخرقة نظيفة ثم شرع فى الخبز •

ويكتب المحتسب اسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم فان الحاجة تدعوه الى معرفتهم ، ويامرهم بنظافة اوعية الماء وتغطيتها ، وغسل المعاجين ونظافتها ، وما يغطى به الخبز وما يحمل عليه •

ولا يعجن العجان بقدميه ولا بركبتيه ولا بمرفقيه ، لان فى ذلك مهانة للطعام ، وربما قطر فى العجين شىء من عرق ابطيه وبدنه ، فلا يعجن الا وعليه ملعبة (ثوب من غير كم) او يشت (رداء من الصوف بلونه الطبيعى) مقطوع الاكمام، ويكون ملثما ايضا ، لانه ربما عطس او تكلم ، فقطر شىء من بصاقه او مخاطه على العجين • ويشد على جبينه عصابة بيضاء ، لئلا يعرق فيقطر منه شىء فى العجين ويحلق شعر ذراعيه لئلا يسقط منه شىء منه فى العجين ، واذا عجن فى النهار فليكن عنده انسان فى يده مذبة يطرد عنه الذباب • هذا كله بعد نخل الدقيق بالمناخل السفينة (الكثيفة) مرارا • » •

ـ الحسبة على الفرانين :

« يفرقهم المحتسب على الدروب والمحال واطراف البلد ، لما فيهم من المرافق وعظم حاجة الناس اليهم • ويامرهم باصلاح المداخن ، وتنظيف بلاط الفرن فى كل ساعة ، من اللباب المحترق والشرر المتطاير والرماد المتناثر ، لئلا يلصق فى اسفل الخبز منه شىء • ويجعل الفران بين يديه اجانة (الاناء الذى تغسل فيه الثياب) نظيفة للماء ، فاذا فرغ من الخبز اراق ما بقى فيها لأنه اذا بقى فيها تغيرت رائحته ثم يغسلها من الغد •

وينبغى ان يكون له مخبزان ، احدهما للخبز والاخر للسمك ، ويجعل السمك بمعزل عن الخبز لئلا يسيل شىء من دهنه على الخبز • » •

ـ الحسبة على صناع الزلابية (نوع من الحلوى يدخل فى عملها العسل واللوز) :

« ينبغى ان يكون مقلى الزلابية من النحاس الاحمر الجيد ، فاول ما يحرق فيه النخالة ثم يدلكه بورق الصلق اذا برد ، ثم يعاد الى النار• ويجعل فيه قليل من عسل ، ويوقد عليه حتى يحترق العسل ، ثم يجلى بعد ذلك بمدقوق الخزف، ثم يغسل ويستعمل ، فانه ينقى من وسخه وزنجاره • » •

ـ الحسبة على الجزارين والقصابين :

« واما القصابون فمنعهم المحتسب من اخراج توالى (الاعجاز من اللحم المذبوح) اللحم من حد مصاطب حوانيتهم ، بل تكون متمكنة من الدخول

ين ، لئلا تلاصقها ذباب ويامرهم ان يفردوا لحوم ' يخلطوا بعضها ببعض ، فران ، لتتميز عن غيرها .

ن البيع واراد الانصراف ه على القرمية (قطعة نم) التي يقصب عليها اب ، او يدب عليها شيء بجد ملحا ، والا فالاشنان سانه طعمها يميل الى الاغصان لتصبح مسحوقا)

عن نفخ لحم الشاة بعد تغير اللحم وتزفره ومنهم فافين (الصفاق : جلد ، ولهم اماكن يعرفونها عيهم المحتسب عند غيبة شهر في الاسواق البقر وهذا تدليس .

تبيع اللحم بالحيوان ، لشاة بارطال لحم معلومة وم ما يتفقان عليه من عن ذلك . واذا شك ل هو ميتة او مذبوح ـ ب فهو مذبوح ، وان لم ك البيض اذا طرح في سدا) فهو يطفو ، وما

صيادى العصافير وسائر رهم لا دين له واكثرهم المحتسب في امره ولا ل من احد منهم هدية ، ى المسلمين وينجسوا معهم شيء من الطيور »

ن :

الروس والاكارع بالماء تنقية الشعر والصوف الماء البارد ، غير الذى لرواس ان يضع اصبعه حلها ، بعد ان يدق

مقدمها ، وينزل ما فيه من القذا والوسخ والدود المتولد ، ان كان هناك منه شيء . » . .

المذبة في يده !

ـ الحسبة على قلائي السمك :

« يؤمرون كل يوم بغسل قفافهم وأطباقهم التي يحملون فيها السمك وينثرون فيها الملح المسحوق كل ليلة بعد الغسل ، وكذلك يفعلون بموازينهم الغوص ، لانهم اذا غفلوا عن غسلها فاح نتنها وكثر وسخها ، فاذا وضع فيها السمك الطرى تغير ريحه وفسد طعمه . ويبالغون في غسل السمك بعد شقه وتنظيفه وتنقيته من جلده وفلوسه ، ثم ينثرون عليها الملح والدقيق ـ وشرط العشرة أرطال ، رطل دقيق ثم يقلونه بعد ان يجف في نداوته . ولا يخلطون السمك البائت بالطرى ، وعلامة الطرى أن خياشيمه محمرة والبائت ليس كذلك . وينبغي للعريف ان يتفقد المقلى كل ساعة عند غيبة المحتسب عنه . لئلا يقلوه بدهن الشحم المستخرج من بطون السمك ، ويخلطون هذا الدهن بالزيت عند قليه . وأجود ما قلى به السيرج ، ولا يقلونه بالزيت المعاد اذا كان متغير الرائحة ، ولا يخرجون السمك من المقلى حتى يستهي نضجه ، من غير سلق ولا احتراق .

وأما السمك الذى يحمل الى البلاد أو يكسد في المخازن كالفسيخ والبطارخ ، فلا تقشر فلوسه ولكن يوثق بالملح ، سيما رووسه وخياشيمه ، فان الدود اول ما يتولد فيها ، ومتى مدر السمك المكسود وجب أن يرمى على المزابل خارج البلد ».

ـ الحسبة على الطباخين :

« يؤمرون بتغطية اوانيهم ، وحفظها من الذباب وهوام الارض بعد غسلها بالماء الحار والاشنان والا يطبخوا لحوم المعز مع لحوم الضان ، ولا لحوم الابل مع لحوم البقر ، لئلا ياكلها ناقه من المرض فتكون سببا لنكسة . ويعتبر المحتسب عليهم كثرة الادام وقلة اللحوم ، فان أكثرهم يسلون الدهن ويفرغونه في القدر ، فيطفو على وجه الطعام ، فيغتر به الناس ، ويظنونه من كثرة اللحم » .

ـ الحسبة على الهرائسيين (الهريسة طعام من خليط القمح واللحم) :

« ويامرهم المحتسب بغسل قدور الدهن وتنظيفها

وتمليحها لئلا تتغير رائحتها وطعمها فيتولد فيها الدود . فاذا أعيد الدهن اليها ثانيا صار متغيرا في الرائحة والطعم » •

ـ الحسبة على النقانقيين (النقانقي صانع المصارين المحسوة باللحم والتوابل والبصل) :

« الاولى أن تكون مواضعهم التي يصنعون فيها النقانق بقرب دكة المحتسب . ليراعيهم بعينه فان غشهم فيها كثير لا يكاد يعرف • ويامرهم بتنقية اللحم وجودته . واستسمانه وبعومه دقه على الورم النظيفه • وليكن عنده واحد حين يدق اللحم . بمدبة يطرد بها الذباب • ولا يخلطون معهالبصل والابازير والتوابل الا بحضرة العريف• ليعلم مقدار. بالوزن . ثم يحسونه بعد ذلك في المصارين النمية » •

ـ الحسبه على الحلوانيين :

« الحلوى انواع كثيرة واجناس مختلفة ، لا يمكن ضبطها بصفه ولا عيار ، اخلاطها على قدر انواعها مثل النشا واللوز والخشخاش ، وغير ذلك . وقد يكون ذلك كثيرا في نوع ، وقليلا في نوع آخر • وانما يرجى في معرفه ذلك كله الى العريف • وينبغي ان تكون الحلوى تامة النضج • غير نيه ولا محترقة • ولا تبرح المذبة في يده يطرد عنها الذباب » •

حتى الحمامات

ـ الحسبة على الحمامات وقومتها :

« وينبغي أن يأمرهم المحتسب بغسل الحمام وكنسها وتنظيفها بالماء الطاهر ، غير ماء الغسالة يفعلون ذلك مرارا في اليوم • ويدلكون البلاط بالاشياء الخشنة . لئلا يتعلق به السدر والخطمي والصابون. فتزلق أرجل الناس عليهم • ويغسلون الخزانه من الاوساخ المجتمعه في مجاريها . والعكر الراكد في اسفلها في كل شهر مرة . لانها ان تركت اكثر من ذلك تغير الماء فيها في الطعم والرائحة • واذا اراد القيم الصعود الى الخزانة لفتح الماء الى الاحواض . فينبغي أن يغسل رجليه بالماء ثم يصعد لئلا يكون قد خاض في الغسالات ، ولا يسد الانابيب بشعر المشاطة • بل يسدها بالليف والخرق الطاهرة . ليخرج من اعلاق • ويسعل فيها البخور في كل يوم مرتين ، سيما اذا شرع في غسلها وكنسها • ومتى بردت الحمام ، ينبغي ان يبخرها القيم بالخزامي فان دخانها يحمي هواءها . ويطيب رائحتها • ولا يحبس ماء الغسالات في مسيل الحمام . لئلا تفوح رائحتها ، ولا يدع الاساكفة وغيرهم يصبغون في الحمام ، فان الناس يتضررون برائحة الدباغة ، ولا يجوز ان يدخل المجذوم والابرص الى الحمام • ويلزم المحتسب أن يتفقد الحمام في كل يوم مرارا » •

ـ الحسبه على مودبي الصبيان :

« لا يجوز لهم تعليم الخط للصبيان في المساجد لان النبي امر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين . لانهم يسودون حيطانها . وينجسون ارضها .اذ لا يحترزون من البول وسائر النجاسات بل يتخذون للتعليم حوانيت في الدروب واطراف الاسواق •

ولا يضرب المودب صبيا بعصا غليظة تكسر العظم ولا رقيقة تولم الجسم . بل تكون وسطا ، ويتخذ مجلدا عريض السير . ويعتمد في ضربه على اللوايا والافخاذ وأسافل الرجلين . لان هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة » •

ـ الحسبة على الجوامع والمساجد :

« ويسرف المحتسب على الجوامع والمساجد ، ويامر قومتها بكنسها في كل يوم وتنظيفها من الاوساخ ونفض حصرها من الغبار ، ومسح حيطانها . وغسل قناديلها واشعالها في كل ليلة• ويأمرهم بغلق أبوابها عقيب كل صلاة . وصيانتها من الصبيان والمجانين وممن ياكل فيها الطعام أو ينام ، او يعمل صناعه ، او يبيع سلعة ، أو ينشد ضالة ، او يجلس فيها للناس لحديث الدنيا . فجميع دلك قد ورد الشرع بتنزيه المساجد عنها وكراهية فعله » •

ـ *الحسبة على البقالين وباعة الغضروات والفسالين والسفانين :*

« ويامرهم المحتسب ببيع البقول مغسو[illegible] السرجين منقاة من الحسيس والطاقات الم[illegible] ويامرهم بقطع شفف اصول الغس وا[illegible] وينهاهم عن غسل البصل والثوم الرط[illegible] فان

البقيه على صفحتي ١٤٦ ـ

الطب و العلم

اعداد : يوسف زعبلاوى

قلب قرد فى صدر فتاة !

● الدكتور كريستان بارنارد ، جراح جنوب وفريقيا الشهير ، هو الذى اجرى سنة ١٩٦٧ اول عملية زرع قلوب فى التاريخ • وقد حذا حذوه كبار الجراحين فى امريكا وبريطانيا وغيرهما حتى زادت عمليات زرع القلوب فى السنوات العشر الاخيرة على ٣٠٠ عملية •

وجاءت سنة ١٩٧٣ واذا بالدكتور بارناد يفاجىء العالم ببدعة اخرى رائدة ، حين زرع قلبا ثانيا اضافيا فى صدر المريض دون ان ينتزع قلبه الاصلى وذلك بقصد تقوية دورته الدموية المعتلة •

ولم يكتف طبيب جنوب افريقيا بهذا وذاك • فقد اجرى فى الصيف الماضى عملية زرع ثالثة لفتاة ايطالية فى الخامسة والعشرين من عمرها ، حين زرع فى صدرها قلب قرد من فصيلة (Baboon) ، وقد تعذر عليه الحصول على قلب انسان •

وتجدر الاشارة الى ان الفتاة كانت تعانى من مرض فى القلب مزمن • وقد دخلت المستشفى لاستبدال احد صمامات قلبها ، وكان صماما اصطناعيا تلف وبات من الضرورى استبداله بصمام آخر سليم •• ولكن الدكتور برنارد اكتشف ، لدى الفراغ من العملية ، ما هو اخطر من الصمام التالف •• اكتشف ان قلب الفتاة بالذات كان تالفا •• وقد ثبت له عجزه عن القيام بوظيفته • وتبين له ان هذا العجز كان سببه الشريان التيجانى (Coronary Artery) الذى تعطل جزء منه توقف حجر عثرة فى طريق الدم وحال دون مواصلته جريانه •••

وفشلت محاولات الدكتور بارنارد الاستغناء عن ذلك الجزء التالف بوصلة اقتطعها من وريد فى ساق الفتاة ، ووضعها مكانه • ولم يبق امامه ، لانقاذ حياة الفتاة ، سوى احتمال واحد •• هو الاستغناء عن قلبها والاعتماد على قلب آخر سليم يزرعه الى جانبه •

وتعذر الحصول على قلب انسان فى الوقت المناسب وبالسرعة التى اقتضتها حالة المريضة المتدهورة • عندئذ عمد الدكتور برنارد الى قلب القرد •• احد القردين السليمين اللذين احتفظ بهما فى مختبره بقصد اللجوء اليهما فى مثل هذه الحالات •

وزرع الجراح قلب القرد فى صدر الفتاة دون ان ينتزع قلبها الاول ، وذلك مؤقتا وريثما يتوفر له قلب بشرى او ينشط قلب المريضة ويعود الى سابق حيويته •

الا ان شيئا من هذا لم يحدث •• فلا قلب الفتاة استرد نشاطه ولا قلب القرد استطاع القيام باعباء دورة الفتاة الدموية بمفرده • فماتت المريضة فى غضون خمس ساعات من اجراء هذه العملية ، بدعة الدكتور بارنارد الثالثة •

ولا يعرف فيما اذا كانت اجهزة المناعة فى جسم الفتاة هى سبب الوفاة •• ولا يعرف ايضا ما اذا كانت الفتاة تبقى على قيد الحياة فيما لو كان القلب الذى زرع فى صدرها قلب انسان ••



صواريخ هاربون للسفن الاسرائيلية

● ذكرت مجلة نيوزويك الامريكية المعروفة (٧ نوفمبر ١٩٧٧م) ان اسرائيل تسلمت من الولايات المتحدة عددا من صواريخ هاربون (Harpoon) ... ولم تحدد المجلة عدد تلك الصواريخ التى حصلت عليها اسرائيل لاول مرة . واكتفت بالقول أن صواريخ هاربون الامريكية هذه معدة لضرب السفن وهى فى ذلك نظيرة صواريخ ستيكس السوفياتية (Styx) المتوفرة لدى بعض الدول العربية . مصر وسورية بخاصة ..

ومما يذكر عن صواريخ هاربون هذه انها تطلق من الطائرات ومن السفن البحرية ايضا وفى هذه الحال يجب أن تكون مزودة بما يعرف ب (Rocket Booster) ..وقد نجح صانعو هذه الصواريخ ، شركة ماكدونيل دوجلاس (McDonn ll Douglas) — بالتعاون مع سلطات الاسطول الامريكى ، فى تطوير هذه الصواريخ بحيث اصبح من الممكن اطلاقها من الغواصات — وهى غائصة فى اعماق المياه .

ونورد فيما يلى مقارنة موجزة

لمواصفات صواريخ هاربون الامريكية وصواريخ ستكس السوفياتية :

ستكس SS-N-2

الطول	٦ر٢٥ متر
القطر	٧٥ سم
الوزن	
المدى	٤٠ كم

هاربون

الطول	٤ر٥٧ متر
القطر	٣٤ سم
الوزن	٦٦٧ كيلو غراما (كاملا)
المدى	٩٠ كم

وتجدر الاشارة الى ان صواريخ ستكس السوفياتية قد وضعت موضع الخدمه الفعلية منذ سنة ١٩٦٠٠٠وان الصاروخ الذى اغرق المدمرة الاسرائيلية (ايلات) فى اعصاب حرب ١٩٦٧ وذلك فى اقل من نصف ساعة كان من صواريخ ستكس هذه ، وطرازه هو (SS-N-2) ... اما صاروخ هاربون فحديث العهد نسبيا وقد تم تطويره سنة ١٩٧١ . الا انه شديد الفاعلية وهو موجه بالرادار .

وتجدر الاشارة ايضا الى صاروخ (جابرييل Gabriel) الذى تمتلك منه اسرائيل كمية كبيرة ، نظرا لانها هى التى تصنعه ، وقد تم تطويره فى مطلع الستينات . ومع ان ابعاده تقارب ابعاد الهاربون الا ان مداه قصير جدا ويتراوح بين ٢ ـ ٢٢ كيلو متر .

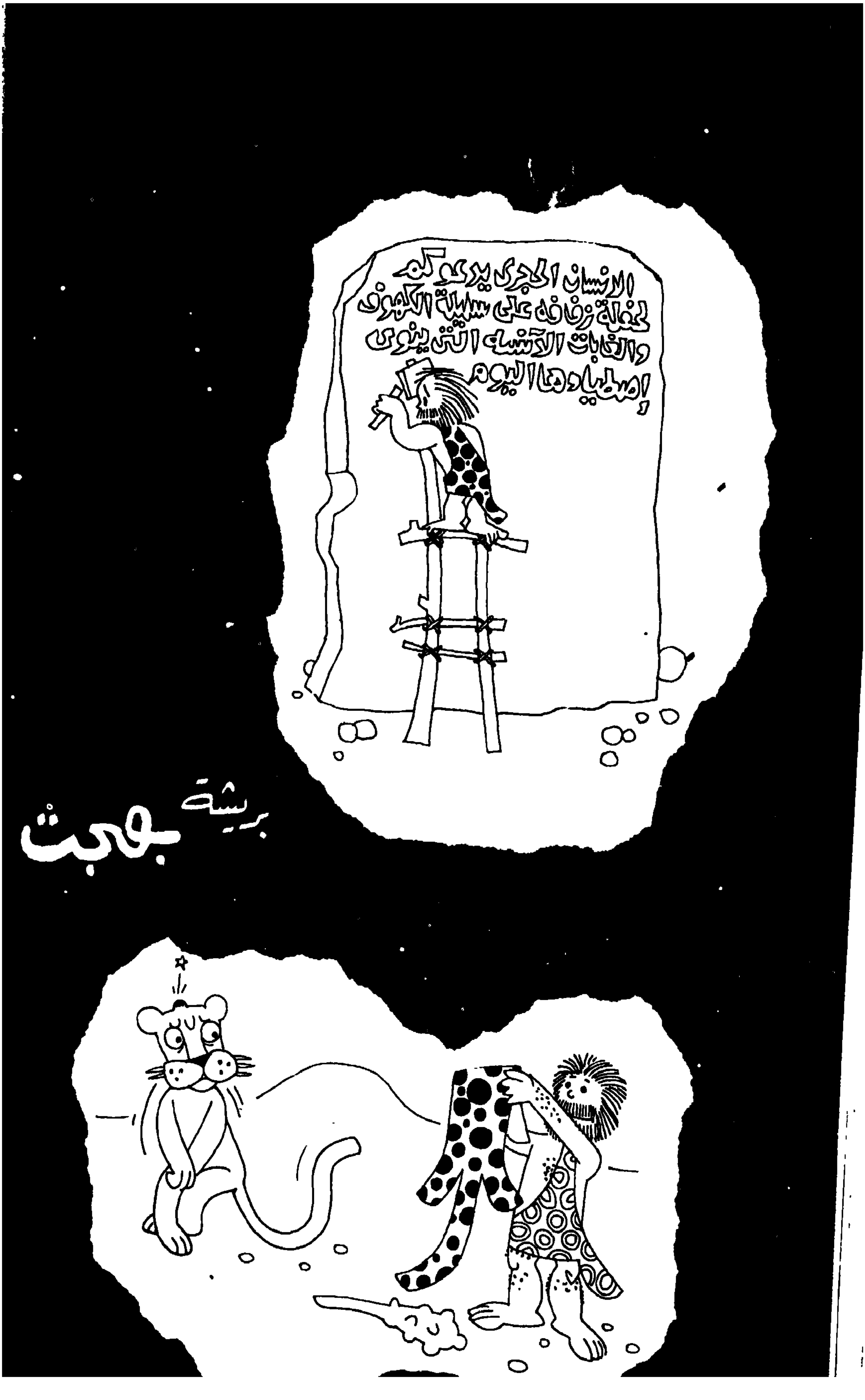
أفران للطهي السريع جداً

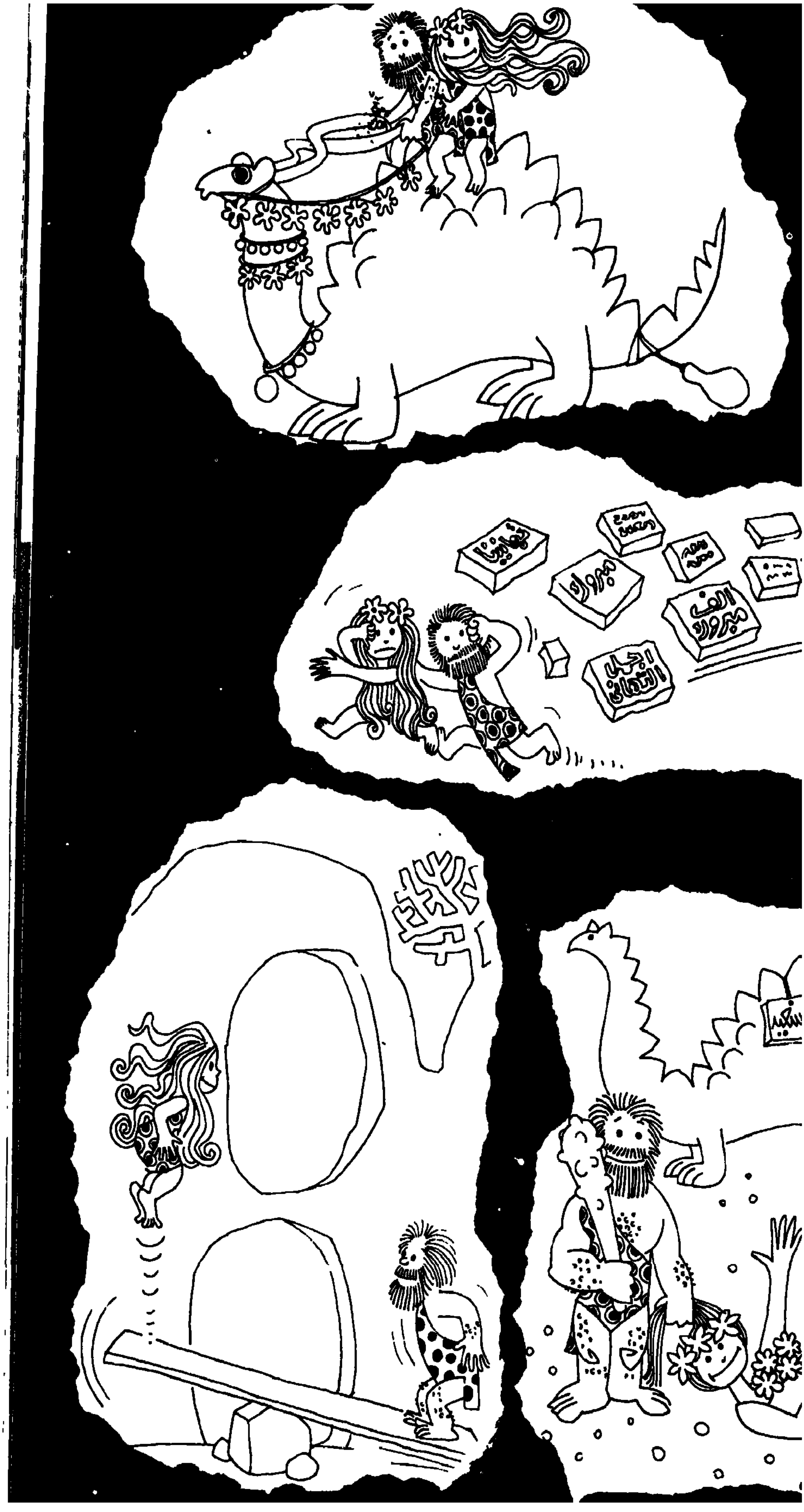
● يبدو ان الافران العادية التى نستعملها فى المطابخ هذه الايام قد اخذت طريقها الى زوال .. ومن يدرى فقد تختفي عما قريب كما اختفت عربات الخيول لدى شيوع السيارات فى الثلاثينات من هذا القرن ..

ذلك ان الامريكيين نجحوا فى صنع افران جديدة تعمل بالموجات الصغرى (Microwave) وهذه موجات كهربائية ـ مغناطيسية يطلقها الفرن الجديد على الشيء المراد طبخه . ومن شانها ان تولد شحنات موجبة واخرى سالبة .. ولا تلبث هذه الشحنات ان تصل الى ذرات المياه الموجودة فى ذلك الشيء .. فتندفع هذه الذرات فى حركة مكوكب سريعة جدا ... تبلغ ملايين الذبذبات فى الثانية الواحدة .. وتضمن هذه السرعة الخارقة الطبخ بسرعة بالغة ...فطهى البطاطس لا يحتاج سوى (٤) دقائق فى هذه الافران ...

ومما يذكر عن هذه الافران التى لا تستهلك من الطاقة اكثر مما تستهلكه الافران العادية ـ علما بانها تدار بالكهرباء ـ انها تجاوزت مرحلة التجارب ودخلت مرحلة الانتاج، بل فلاجتاحت الاسواق الامريكية منذ مطلع السبعينات . فقد قفزت مبيعاتها فى اسواق الولايات المتحدة على النحو التالي : (٤٠ر٠٠٠) جهاز سنة ١٩٧٠ (١و٦٠٠ر٠٠٠) جهاز سنة ١٩٧٦ .. اى انها تضاعفت اربعين ضعفا فى غضون السنوات الست الاخيرة ... ويقول الامريكيون انهم لا يذكرون مثيلا لهذه الزيادة الا فى مبيعات التلفاز الملون لدى ظهوره فى مطلع الستينات... وقد بلغ من انتشار افران الموجات الصغرى انها عمت المستشفيات وشركات الطيران وما الى ذلك من مؤسسات وانها ستحتل مكانها فى اكثر من نصف البيوت الخاصة فى امريكا فى مستقبل قريب ـ كما يؤكد الخبراء .

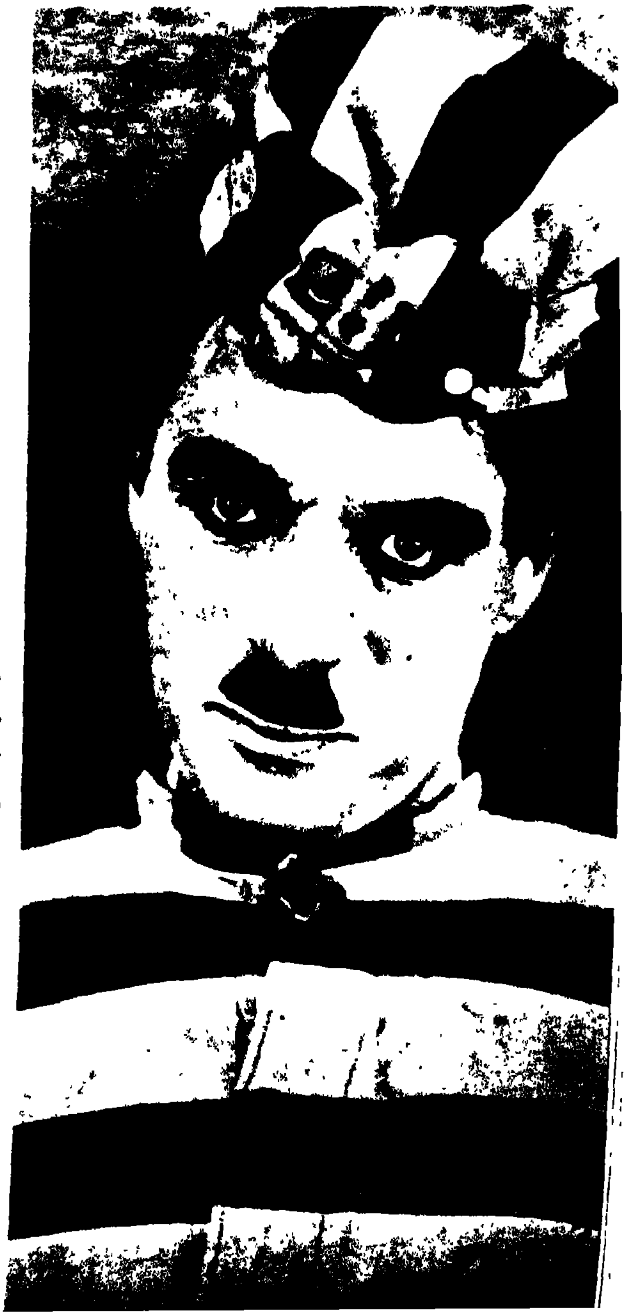
على ان هذه الافران لا تخلو من مخاطر ... مخاطر الموجات الصغرى التى يتعرض لها الانسان ـ وكل كائن حى ـ اذا هو تعرض لاشعاع تلك الموجات. من هنا كان اهتمام السلطات الحكومية المعينة وحرصها على ان تكون هذه الافران محكمة الاغلاق بحيث لا تتسرب اشعة الموجات الصغرى الى خارجها ... بيد ان خطر هذه الموجات اقل بكثير من خطورة الاشعة السينية (x) والاشعاع الذرى .. فهو اشبه بخطر النار البالغة الحرارة ...


الانسان الحجري يدعوكم
لحفلة زفافه على سليلة الكهوف
والغابات الآنسه التي ينوي
إصطيادها اليوم
بريشة بهجت


تهانينا
مبروك
ألف مبروك
أجمل التهاني

– ساموت وانا مطمئن الى الخلود –
شابلين

شارلى شابلين :



آخـــر المهـرّجـــين العظـــام !

بقلم : الدكتور على الراعى

■ فن شارلى شابلين مجموعة من المتناقضات • عرف هذا « المهرج العظيم » الشهرة العالمية فى عام ١٩١٤ ، عن طريق أحدث الفنون واكثرها تعبيرا عن القرن العشرين وهو فن السينما ومع ذلك ، فان المتامل لفنه سرعان ما يكتشف جذوره العميقة الضاربة فى اقدم العصور • انه يغترف من فنون الممثلين الجوالة الذين عرفتهم العصور الوسطى ، كما يستخدم ببراعة وعبقرية ما وصل اليه من فنون ممثلى الكوميديا المرتجلة الايطالية• وفى الوقت ذاته نراه يدين لفـن الميوزيك هـول البريطانى بالدروس التى تلقاها منه فـى فتـرة تلمذته الفنية •

هو اذن فن مركب ، فن هذا الانسان العظيم • ومع ذلك فهو فن قريب الى كل قلب • فلابد اذن انه فن بسيط !



كيف جمع شارلي شابلين بين كل هذه المتناقضات، وكيف افلح فى صهرها فى البوتقة السحرية التى يملكها كل فنان كبير ؟

فى تقديرى ان سر نجاح شابلين يعود الى حبه لكل الناس • حبه للبشر اجمعين • قلبه الكبير وسع اوجاع الانسانية كلها ، فاخرج لها فنا يفيض بالمحبة والعطف ، وينبض بالبساطة ، ويتخذ له هدفا واحدا عميق الجذور فى كل نفس : الرغبة العارمة الدافقة فى ان ينتصر الخير فى العالم ، وان ينهزم الشر ، وان ينعم كل الناس ويتمتعوا بالحياة •

لهذا انتصر شابلين دائما للفقراء ، لانهم اول المظلومين • فدافع عنهم دفاعا مجيدا • دافع عنهم بفنه السحرى فقط ، وليس بالخطب ، والعقائد المركبة • فما كان أبعده عن العقائد والفلسفات التى تغمض على عقول الناس •

غير انه ـ وهذا سر عظمته ـ دافع عن الفقراء ، وليس عن الفقر • فقد ذاق فى طفولته صنوفا من هذا الفقر ظل يحمل مرارتها ، حتى وهو فى بسطة العيش ورحابته ـ حتى وهو فى سويسرا الجميلة فى قصره المنيف ، ووسط اسرته الكبيرة التى انجب افرادها من المرأة الوحيدة التى احبته لذاته ، وهى : اونا اونيل ، ابنة الكاتب المسرحى الامريكى الكبير يوجين اونيل •

وذات يوم « ارتكب » الكاتب الانجليزى سومرست موم تحليلا لشخصية شابلين ، زعم فيها انه الفقير الدائم : مهما اصابه من ثراء فهو يحن الى ايام الفقر الاولى ، ويسعى الى ممارسة مظاهره فى تلذذ •

وقرأ شابلين هذا التحليل السخيف فجاء رده عليه ـ كفنه العظيم ـ : حاسما ، وبسيطا ، وفاشيا • قال : « ما رأيت قط فى حياتى فقيرا يحن الى الفقر • » !

وقد صدق الفنان العظيم ، فالذين « يحنون » الى الفقر ، هم المتخمون ، الذين لم يعرفوه قط من امثال السيد سومرست موم • اما الذين عرفوه بالفعل ، فهم يقولون مع على بن ابى طالب : « لو كان الفقر رجلا لقتلته » • ويقولون مع برناردشو : الفقر جريمة اجتماعية !

اخذ احساسهم بالفقر !

ما الذى اعنيه بقولى ان فن شابلين يدين لفنون ممثلى الفرق الجوالة ، كما يدين لفنانى الكوميديا المرتجلة الايطالية ؟

لناخذ الفرق الجوالة اولا ••

نشا هؤلاء منذ القدم كفنانين يقدمون نمر المحاكاة ، او التقليد ، فى الاسواق واماكن التجمع الاخرى • وكانوا ايام اليونان القديمة يؤلفون جمعا من الاكروبات والحواة وما اشبه ، هم اقرب الى المتسولين • يكسبون عيشهم بشق الانفس ، وفى وجه مخاطر عديدة •

وتطور فن المحاكاة هذا عند الدوريين فى اليونان القديمة ، ومن ثم امتد الى صقلية وجنوب ايطاليا ، واصبح مسرحا بدائيا ، يقدم على منصة خشنة ، لها ستار يفتح من وسطه ، ومن الفتحة يدخل الممثلون ، ويقدمون فنهم وخلفهم الستار كنوع من المنظر ، بينما يكون باقى الممثلين وراء الستار فى انتظار ان تاتى ادوارهم • وا[illegible]اء العرض ، كان واحد من الممثلين يطوف بالرواد ليجمع منهم ما تجود به نفوسهم من عطاء •

اما العرض ذاته فكان يقدم على الفكاهة الخشنة، بكل ما كانت تحويه فكاهة الزمن القديم من الفاظ واشارات تعد اليوم بذيئة وداعرة ، ولكنها لم تكن كذلك قط فى نظر معاصريها •

وعلى الزمن تطور العرض ، فدخلت فيه نتف من الحوار ، وخطوط عريضة لقصة بدائية ، وان ظل يعتمد اساسا على الشخصيات ، عوضا عن القصة المسرحية •

وحين اصدرت الكنيسة امر الحرمان ضد الم[illegible] فى القرن الخامس الميلادى ، ثم اغلقت الم[illegible] كلها فى القرن السادس ، حمل الممثلون الج[illegible]



شعلة المسرح بمفردهم ، وظلوا ـ حتى عصر النهضة ـ يقدمون عروضهم التمثيلية والبهلوانية، ملتمسين أسباب النجاة في ضآلة شأنهم ، وقلة انتشارهم •

وحين اشرق نور عصر النهضة ، تضاعف عدد الفرق الجوالة ، وظلوا يحتلون مركزا هاما في تاريخ المسرح الاوروبي ، من يومها حتى قرننا هذا •

وقد خرج من صفوف هذه الفرق بعض من ألمع شخصيات المسرح العالمي ، مثل الكاتب موليير ، والممثلة الايطالية : الينورا ديوز •

ما الذي اخذه شابلين اذن من فن هؤلاء الرواد؟

اخذ التصاقهم الشديد بعامة الناس ،واحساسهم الدائم بمذلة الفقر ، ورغبتهم في التعبير عن انفسهم من ايسر السبل الفنية ، واقربها الى الجماهير ، وهي الفكاهة الخشنة ، والمسرحية التي تعتمد الشخصية اساسا ، تأتي بعده القصة • على ان شابلين اخذ هذا كله عبر فنانين آخرين ، تولوا تصفية هذا اللون الفني من شوائب الجنس والاشارات الداعرة ، وهي امور خلا منها شابلين ، وهو ما كان ليقبلها على كل حال حتى لو كانت وصلت اليه عبر القرون • فان فنه لم يعتمد يوما على فج الكلام ، او مهارشات الجنس •

الانتصار الدائم للخير

اما الكوميديا المرتجلة الايطالية ، فقد امدت شابلين بالمادة الفنية التي صنع منها شخصية الخالدة : « شارلي » : المتشرد ، الفقير ، الانسان، الجوال رغم انفه ، الذي يتطلع الى نصيب مشروع من متع الحياة ولا يجده ابدا ، والذي يعشق الطعام والنساء والفكاهة الخالصة ، ويهوى تدبير المقالب، يقع فيها خصومه احيانا ولا ينجو منها هو نفسه في كثير من الاحيان •

تلك هي شخصية « الارليكنو » في الكوميديا الايطالية ، وهذه هي صفاتها الاساسية •

اضيف اليها الان ان هذه الشخصية كانت نمطا ثابتا لا يتغير من مسرحية الى مسرحية ، ولا يتطور ابدا • وكان لهذه الشخصية علامات مسجلة هي : القناع الاسود ، والثوب المتعدد الالوان ، أو « المرقع » كما يسمى في لغة المسرح الشعبي في مصر •

وقد امتص شابلين جوهر هذه الشخصية ، فاحتفظ لنفسه منها بالتشرد ، والجوع الدائم الى الطعام والنساء ، ومتع الحياة ، كما احتفظ بالنزعة الى تدبير المقالب ، حبا في تدبيرها وتأمل نتائجها المضحكة ، ثم اضاف الى هذا ـ من عنده ـ حب عامة الناس حبا دافقا ،ووجه رغبة الارليكنو القتالة في تدبير المقالب وجهة الخير الاجتماعي ، فهو في افلامه عامة ـ وفي افلامه الصامتة بوجه خاص ـ يوجه المقالب ضد الاغنياء المترفين ، وضد المجرمين والقتلة ، وضد انظمة الحكم الفاسدة ، او المتصلة •

ومن يتتبع هذه الافلام الباكرة ، يجد فيها خطا واحدا متسقا هو الانتصار للخير والعدل ضد الظلم والمعاناة •

ففي فيلم « الشريد » ينقذ شارلي فتاة مسكينة من براثن عصابة من الغجر ، كانت تضربها وتكلفها بالشاق من الاعمال • وفي فيلم : « الشارع » ينقذ شارلي الجيرة كلها من شرور بلطجي ضخم الجثة ، ويجعله يفيء ـ راغما ـ الى روح العدل والقانون •

• وفي فيلم : « المغامر » ينقذ فتاة اخرى من الغرق • وفي فيلم : « المهاجر » يصادق فتاة ثالثة مهاجرة معه على السفينة نفسها ، ويحميها من اللصوص ، ويخوض معها تجربة الفقر والتشرد في نيويورك • وفي فيلم « المصحة » يسخر شارلي من مجتمع الاغنياء والمتخمين الذين يأكلون اكثر مما ينبغي ثم يجيئون الى المصحة لتخليصهم من الشحم • وفي فيلم : « الكونت » يدخل شارلي مجتمع الاغنياء متخفيا في زي كونت ، ويعبث بهذا المجتمع سخرية وتندرا •

في هذه الافلام جميعا • ـ الـ

١٩١٦ و ١٩١٧ ـ هدف اجتمـ

الشخصية التي خلقها شابلين

خرجت عا

عام تنش

وهي لا

الجوالين والمرتجلين ، وجعل لها علاماتها المسجلة : السروال الواسع المضحك ، والعصا المعقدة ، والقبعة القصيرة ذات القبة ، والحذاء الكبير المهترىء : شخصية شارلى .

هارب من الليمان !

ولناخذ واحدا من هذه الافلام الباكرة لنضعه تحت ميكروسكوب التحليل وليكن فيلم : «المغامر» مثلا .

فى هذا الفيلم نلتقى شارلى ، الهارب لتوه من الليمان ، ينقذ الفتاة الغنية « ادنا » من الغرق ويحصل بهذا العمل البطولى على تصريح بدخول المجتمع الراقى . انه الآن ينتحل شخصية اخرى محترمة ، ويجلس فى « رفى » مع الفتاة فى شرفة علوية ، ياكل واياها الايس كريم !

وفجاة ، وقبل ان يتبين شارلى حقيقة ما يحدث، يسقط الجزء الاكبر من يده الى سرواله الواسع ، ويتسرب من السروال عبر ارض ذات فروج كبيرة ، فيسقط منها على ام الفتاة ، التى يتصادف أن تكون جالسة فى الدور الارضى ، فيصيبها فى قفاها الغليظ ، وينزلق عبر ظهرها كله . وتقوم الام متافقة ، متحرجة، محاولة الخروج من الورطة، وحين تعود للجلوس ، تجد نفسها قد قعدت على قطعة الايس كريم قعودا كاملا !

جانب الضحك فى هذا المشهد واضح ، منذ ان يسقط الايس كريم فى سروال شارلى ، فيبدأ يتململ ويحاول أن يتستر على ما حدث ، ويسعى الى التخلص من الضيف البارد ، الى أن ينجح اخيرا فى النجاة من اللطمة ، ويسقطها على الارض ، ويستانف مجالسته اللذيذة للفتاة .

ولكن : لا يكاد ضحكنا من شارلى يهدأ قليلا ، حتى يسقط الايس كريم على السيدة الغنية البدينة ، فيبدأ انزعاج آخر مضحك ، وسلسلة من الحركات ، تنتهى بقعود السيدة البدينة على الايس كريم قعودا مباشرا .

التصميم المتعمد فى هذه « النمرة » واضح . الفقير يصيبه المكروه ، فيتخلص منه ، والغنية يلم بها المكروه ذاته ، فتعجز عن انقاذ نفسها . الفقير واسع الحيلة ، مدرب على ملاقاة المصائب ، والغنى عاجز قليل الحيلة .

وقد فسر شابلين مقصده الاجتماعى من هذه النمرة قائلا : انه ما كان ليسمح للايس كريم بأن يسقط على امرأة فقيرة. فهذا أمر يصدم العواطف. أما امرأة ثرية فهى هدف مشروع لورطات من هذا النوع . فماذا لو افسد الايس كريم ثوبها ، او احرجها أمام الضيوف ؟ ان اموالها كثيرة ستسارع الى انقاذها من البلل والحرج معا !

وقد اجتاحت شخصية شارلى العالم كله وتسربت الى اعمق اعماق وجدانه . ظهرت على اللافتات الضخمة على واجهات دور السينما ، وعلى ظهور أوراق اللعب ، وعلى شكل مغامرات مضحكة فى مجلات الاطفال . وفى الدراسات الوفورة التى قام بها الدارسون لفن السينما ، وفن شابلين على الخصوص .

واصبحت شخصية المتشرد ذى القبعة والعصا والسروال والحذاء الغليظ ، قبلة انظار كل الناس : يسعى فنانو الشارع الجوالون الى تقليدها ويكسبون عيشهم القليل من ورائها ، كما يقوم بتمثيلها هواة الفن الكوميدى فى المدارس والمحافل . ويتاملها فنانو الكوميديا ، وينطبعون بها انطباعا خلاقا .

الريحانى تاثر به

ومن ابرز من تاثر بفن شابلين فى وطننا العربى الممثل الكوميدى المصرى المرموق نجيب الريحانى . لقد جعله هذا التاثر يترك جانبا قناع كشكش بك وعباءته ، ولحيته ومسبحته ، مكونات شخصيته النمطية ـ ويفك الاسار ، لينتقل الى شخصية اخرى ، تشبه من قريب شخصية شارلى فى سماتها النفسية وفى مواقفها واهدافها .تلك هى شخصية الرجل المسحوق ، الفصيح اللسان ، ذى الموهبة ،

الذى ينتصر دائما للفقراء فى مواجهة الاغنياء مهما اصابه من ضر • الرجل الذى يظهر الشجاعة ـ احيانا ـ والجبن احيانا اخرى ، والذى يدخل فى مغامرات لا تنتهى ، يجلب بها على رأسه المصائب ، ولكنه يخرج منها جميعا فائزا منتصرا ، رغم الجروح والكدمات واللطمات التى تصيبه • وهو الى هذا جائع دائما ، متطلع دائما الى متع الحياة ، مقدر دائما ان النساء هن اجمل زهور هذه الحياة !

وقد توسل الريحانى فى مقارنة عالم الفقراء بعالم الاغنياء ، بطريقة تشبه طريقة شابلين فى المظهر ، وان اختلفت فى المخبر • فمن حيث يقصد شابلين بالمواجهة بين العالمين ان يسخر ويندد بالاغنياء الان والى الابد ، يحدث الريحانى فى مسرحياته مصالحة بين الفقير والغنى• ففقيره يحتفظ بمقومات نفسه ، ويثبت على مبدئه فى الفصل الاول من المسرحية • ثم ما تلبث ضربة مفاجئة من ضربات الحظ ان تنقله الى صفوف الاغنياء فينضم اليهم ويصبح رسول الفقراء الى عالم الاغنياء ، محاولا اقناعهم بان يكونوا اقل غلظة واكثر رحمة •

كما أن الريحانى قد استولى لنفسه على بعض الاحداث الكوميدية فى افلام شابلين فطورها واقلمها•

ولناخذ مثلا واحدا على هذه الظاهرة عند الريحانى •

فى فيلم « المهاجر » يدخل شارلى مطعما لياكل ، وهو لا يملك الا دولارا فضيا واحدا ، التقطه من ارض الشارع ... من طعام ، حسب ثمنه ... الدولار • فاذا جاء وقت ... دولاره الوحيد هذا ... يده ، ولا يجد المسكين ... انتظار الفرج ... ذى نفوذ يجلس الى مائدة ... الاخر ، ثم يهم ... شارلى ، ولكن الاخير ... له الرجل

الحساب • واخيرا يرضخ الرجل لاصرار شارلى ويتركه يدفع حساب نفسه • ثم يدفع حسابه هو للجرسون ، ويقوم بعد ان يترك فى الطبق بقشيشا سخيا للجرسون ، تمتد اليه يد شارلى فيدفع منه الحساب ويخرج من ورطته !

وقد حور الريحانى هذا الموقف فى فيلم « أحمر شفايف » الماخوذ عن احدى مسرحياته ، فجعله يجرى كالتالى : الريحانى ـ بعد تطورات كثيرة ـ يصبح متشردا ، يجوب الشوارع بحثا عما يشغله وما يقتات به ، وكل ما معه عشرة قروش !

ويدخل المتشرد مطعما ، يقال له ان بين زبائنه شخصا مهما يستطيع ان يلحقه بعمل • وسرعان ما تفوح رائحة الطعام الشهى ، ويسيل لها لعاب الجائع المفلس ، فيجلس الى مائدة ، ويتصفح قائمة الطعام بسرعة ، ويتبين ان بين الاطباق طبق مكرونة باللحم المفروم ثمنه ثمانية قروش ، فيقرر ان يطلبه ، وياخذ ياكل فى نهم •

وحين يمد يده الى جيبه يلتمس الورقة المالية ذات القروش العشرة ، لا يجدها ، فهى قد سقطت قبل دقائق على الارض ، فالتقطها جرسون ودسها فى جيبه !

ويفكر المتشرد المصرى بسرعة، ويخرج من ورطته بذكاء • انه يمثل دور جرسون ويتسلم الحساب من احد الزبائن ، ثم يدس الحساب فى جيبه ويولى هاربا !

نال ... تقدير وتكريم العالم كله • منحه ... واعطته ملكة انجلترا لقب ... وبعد هذا ... العدته ملايين الملايين ... ومات وهو راض • ... ، التى اخرجها فى ... وتمتع شباب ... : ساموت وانا مطمئن



■■

دائماً نحن .. لا أنا .. ولا أنت !

بقلم : منير نصيف

الحديث عن المراة ، لاينتهي ، لماذا ؟ لانه كما قالت جين اوستن يوما : « حيرتي تبدا دائما عندما انتقل في حديثي عن المراة لانني لاافهمها !

وجين امراة .. ولم تكن امراة عادية ، كانت كاتبة ومؤلفة كبيرة ، قال سومرست موم عنها : « لقد وجدت المراة نفسها عندما بدات جين تمسك بالقلم وتكتب ! » فاذا كان هذا هو راى المراة في المراة ، فماذا يقول الرجل ؟

انه يقول اشياء كثيرة بعضها صحيح ، وبعضها بعيد عن الواقع .. ويقرا اكثر مما يقول ،وهو يمضي في قراءاته في الكتب ومحاولاته علــى الطبيعة للتوصل الى فهم هذا اللغز ، الى ان ينتهي به الامر الى الزواج بها ظنا منه انه بهذا وحده سوف يصل الى اغوار هذه النفس الرقيقة الجميلة التي طالما حاول عن بعد ان يعرفها ، ولكنه لا يلبث ان يكتشف انه كلما ازداد قربا منها ازدادت غموضا عليه !

وليس معنى هذا ان الرجل يتزوج لمجرد انـه يريد ان يحل لغزا .. ولكن معناه ان الرجل .. كل رجل يتزوج ، كما يقول ايمرسون : «لان الحياة لاتكتمل الا برجل وامراة .. ولكن المشكلة هي كيف يفهمها وكيف يرضيها وهو سؤال برز منذ كان هناك رجل وكانت امراة .. منذ ادم وحواء !

ترى هل هناك « وصفة » ساعدت الرجل يوما على فهم المراة ؟

والجواب بالنفي ! ولكن هناك شيء في المراة لا تعرفه الا المراة نفسها .. وكثيرا ما يقف الرجل عنده حائرا وهو يحاول ان يجد له تفسيرا .. فهو يكتشف فجاة انه امام انسانة غريبة عنه وهــو يناقشها بالحجة والمنطق .. لماذا ؟ لانها تحدثه بغير منطق .. وهي من وراء ذلك تسعى الى اثارته لاسباب سيكولوجية تعرفها هي وحدها ..لانها كما تقول جين اوستن : «تريده ان يكون رجلا ! ؟ فالرجولة هي في مقدمة الصفات التي تستجيب لها المراة .. من اجل هذا تقول لزوجها لا ! فهي تريد ان تتحداه .. تريد أن تستفزه ، تريد ان ترى رد الفعل عنده ، فاذا جاء عنيفا،احست معه باهميتها، وبمكانتها في قلبه ! وما اكثر ما بكت المرأة وتبكي عندما تشعر انها قد فشلت في محاولتها هذه في اخراجه عن وعيه !

انت لاتحبني !

والمراةالتي تتعمد الهروبمن المنطقفيمناقشتها مع رجلها هي امراة لم تعد تشعر باهتمام زوجها بها او بحبه لها .. فهي تفتقد الزوج الذى تنقصه المبادرة .. فهو مثلا لايدعوها الى الخروج ، الا



اذا كانت هي صاحبة هذه الفكرة ، واذن فلم تعد دعوة ! واذا خرجا في نزهة او سهرة ، كانت هي مرة اخرى صاحبة الاقتراح بالمكان الذى يذهبان اليه !

« وهى تقول له بمناسبه وغير مناسبه : «انت لا تحبنى ! » بينما هى فى داخلها تردد بينها وبين نفسها : « غريب امر هذا الرجل انه لم يقل لى يوما انه يحبنى ! » فهى تدعوه اذن لان يؤكد لها دائما انه يحبها ، وان قلبه لايمكن ان يتسع لاكثر من امرأة واحدة .. وان هذه المرأة هى هى .. وستبقى دائما فيه ! »

هذا بعض ما تقوله الدكتورة ماريون هيليارد استاذة علم النفس التى قضت اكثر من اربعين عاما تدرس سيكولوجية المرأة والرجل معا . وربما لايكون فى كلامها هذا جديد .. ولكن قد نجد فى بعض النتائج التى توصلت اليها من خلال دراستها مايستحق التامل ..

المرأة اعقل !

فهى تعود بعد هذا وتنفى عن المرأة عزوفها عن المنطق، وتقول : ان هذا الموقف منجانبهاهووسيلة، كما رأينا ، ولكن ليس معناه انها تلغى العقل ، فهى قد تكون اعقل من الرجل ، ولكنها اضعف منه واكثر تاثرا وحساسية..وقد يكون هذا هو السبب الذى يجعلها باستمرار متعطشة للتقدير .. تقدير دورها كزوجة وام .. وكم من امرأة ضحتبعملها الذى كانت ترتزق منه قبل الزواج من اجل بيتها واسرتها .. وكم من امرأة بقيت وحدها ترقب زوجها وهو يصعد سلم النجاح على حساب سعادتها وراحتها .. وكم من امرأة عانت الوحدة فى شيخوختها عندما خلا البيت من الابناء الذين كبروا وتزوجوا واستقلوا بحياتهم ..

.. والرجل اوسع حيلة

« الرجل أيضا يحس ببعض ماتعانى منه امرأته، ولكنه اكثر قدرة واوسع حيلة منها .. فهو يستطيع دائما ان يعوض هذا كله عن طريق عمله .. فهو يقبل عليه ويغرق نفسه فيه ، وعندئذ تزداد الهوة اتساعا ويتضاعف شعور المرأة بالوحدة .. لقد اصبحت كما مهملا منسيا لا يشعر بوجوده احد !

« وتقول ماريون هيليارد : « واكثر الرجال اضطرابا فى حياتهم ، هم هؤلاء الذين لايستطيعون ان يضعوا اصبعهم على مصدر شكوى زوجاتهم !

«جاء الى زوج فى العقد الرابع من عمره يشكو .. قال ان لدينا بيتا مريحا ، وعندنا ثلاثة ابناء، ومرتبى من وظيفتى يكفينا ويزيد .. ومع هذا فزوجتى متبرمه دائما مضطربة دائما .. انها غير راضية عن شيء ! »

وهناك رد على شكوى هذا الزوج .. ان البداية سهلة فى كل زواج .. ولكن الصعوبة تنشا دائما فى المحاولات التى يجب الا تتوقف من اجل صيانة هذا البيت الذى جمع بين الرجل والمرأة امام الله، ومن اجل استمرار الحياة بين افراد هذه الاسرة الواحدة .. وفى هذه البداية كلمات مؤثرة يجب ان تبقى دائما فى ذهن الزوجين طوال مسيرتهما فى هذا الطريق الصعب : « من الآن فصاعدا لن يكون هناك أنا .. ولن يكون هناك انت .. وانما هناك دائما نحن .. هذه الكلمة الاخيرة هى اعلان عن هذه الوحدة التى تمت بين رجل وامرأة من اجل تكوين اسرة واستمرار الحياة ذاتها .. اعلان روحى وعاطفى .. ولو وقف هو معها وبجوارها والقى الاثنان نظرة على مايحدث حولهما لوجدا نفسيهما يقولان ما أجمل اطفالنا .. ماأروع التضحيات التى قمنا بها .. ماأعظم الجهود التى بذلناها للتخلص من الصعاب والمتاعب التى صادفتنا ، ولبناء هذا البيت الصغير الجميل الذى يضمنا ويحتضن وراء جدرانه آمالنا واحلامنا .

نحن دائما !

«نحن» اذن ودائما «نحن» .. فلاشيء للزوج وحده ولاشيء للزوجة .. لقد ذاب كل مالديهما من اشياء محسوسة وملموسة فى هذه البوتقة التى جمعتبين هذين العنصرين اللذين يتفاعلان،ويستمر تفاعلهما طالما بقى الوعاء الذى يحتويهما وسط هذا الدفء الذى يملأ سماء حياتهما .

ثم تروى ماريون قصة صغيرة لرجل عرف كيف «يكسب العالم» على حد قوله .. هذا «العالم» الذى يشير اليه هو بيته وزوجته واطفاله الصغار! ذلك أن عالم الرجل يتملص ويتملص حتى يصبح محصورا فى هذه الرقعة الصغيرة من الأرض والبيت الذى شيداه فوقها هو وامرأته ، وراحا يبنيان معه كل آمالهما للغد .

لقد عرف هذا الزوج ، كيف يعلن عن الوحدة التى صنعها مع المرأة التى تزوجته ، وكيف يغذى

وحدتهما ويصونها ، بفضل كلمات بسيطة صغيرة لاعلاقة لها على الاطلاق باسباب الخلاف التقليدى الذى ينشا عادة بين الرجل والمرأة على المال وما يتصل به من ماديات الحياة •• فلم يكن يعرف عن ماله غير طبق الطعام الشهي الذى تقدمه له زوجته، وغير هذا الجو المليء بالدفء الذى امتلأ به البيت بعد ان تخلت زوجته عن عملها ، وقد كانت مهندسة ناجحة ، حتى تستطيع ان تتفرغ لتربية طفليها الصغيرين •• وحتى يتسع وقتها لاعطاء زوجها كل ما يستحقه من حب ورعايه واهتمام بعمله هو ••

ماذا اعطاها ؟

ماالذى اعطاه لها هذا الزوج لكى تعطيه هى كل هذا الحب •• ماذا كان يمول ، وكيف كانت تصرفاته نحوها ••؟

لقد بدات قصة الدكتورة ماريون مع الزوجة ، لا الزوج وكان لقاؤها بها مصادفة وعلى غير موعد، اما بميتها فقد جاءت مع تلك الطبيعة المتاصلة فى النفس •• حب الاستطلاع ، او حب الفضول،ولقد كانت عند هذه الباحثة ، اقوى منها عند غيرها، لصلتها بعملها ودراساتها ••

التقت ماريون هيليارد بالزوجة الشابة فى حفل صغير اقامته المدرسة التى يذهب اليها طفلاها •• وكانت تقف وسطهما تراقبهما وهما يلتهمان قطع الحلوى والايس‌كريم ، وقد سرحت ببصرها بعيداً، وكانها لم تعد تسمع شيئا مما يدور حولها •• وفجاة احست الام بيد تربت على كتفها وبصوت يحييها ويسالها بعد ان قدمت لها صاحبته نفسها : « فيم تفكرين ؟ »

وقالت الام على الفور وهى تبتسم : « كنت اقول لنفسى ماأسعدنى من زوجة وأم •• اننى اعيش فى سعادة اكبر مما كنت احلم واتصور بكثير قبل الزواج !

– اسعد منك وانت تلميذة فى المدرسة ؟

– طبعا !

– اريد ان اقابل هذا الرجل الذى غمرك بكل هذه السعادة !

التمثال •• من حطمه ؟

وفى مساء اليوم التالى •• وفى حديقة البيت الذى تعيش فيه هذه المرأة السعيدة مع زوجها وطفليها، التقت به وسط الزهور يرعاها ويسقيها بالماء•• وسالته عن زوجته ، ولكنه قبل ان يجيب ، لفت نظرها التمثال الرخامى الجميل ، أو الذى كان جميلا ، وهو لجواد أبيض مع صاحبه،ولكن رأسه قد انفصل عن جسده على الارض بجواره •• وقالت : «ومن الذى فعل هذا بالحصان المسكين ؟ »

وقال الزوج على الفور : «لقد كانت حماقة منى كنت افلح الارض بفاس،وفجاة افلتت رأس الفاس لتصيب التمثال وتقتلع رأسه !

وخرجت الزوجة فى هذه اللحظة ، وسمعت الحوار الذى كان يدور بين زوجها وصديقتها الجديدة •• وأسرعت على الفور الى حيث كان يقف زوجها،واحتضنت رأسه بكلتا يديها،وقبلته، ثم اتجهت الى صاحبتها ترحب بها وتدعوها الى الدخول •• ولكنهما قبل ان يدخلا البيت ، وقفت برهة وكانها تذكرت شيئا ، قالت : « انه دائما لايقول الحقيقة كلها •• الفاس كانت فى يده ، عندما انفصل رأسها عن ذراعها ودقت عنق الجواد ولكنه نسى ان يقول اننى انا الذى كسرت الفاس بسوء تصرفى ونسيت ان اقول له ! »

مشاركة وليست سرقة

لقد استطاع هذا الرجل وزوجته ان يقولا « نحن »ضد العالم كله •• لا هى ،ولا هو•• لا أناولاانت••وانما «نحن»ونحن دائماحتى‌نهايةالعمر! هذا الاعلان من‌هذه الوحدة قد يتمزق،وعند ذلك تبدأ المتاعب •• تتفاقم اذا نسينا ولو للحظةواحدة هذاالشعوربانناقد اصبحناشخصاواحدافى‌الزواج•• وقد يحدث للمرء احيانا رجلا كان ام امراة ان يشعر بحنين الى اللحظة التى كان فيها وحده يقول مايشاءويفعل مايشاء••حنين‌الى «الحرية»التى‌نقول احيانا اننا فقدناهافى‌الزواج••ولكن‌هذا الشعور لايلبث ان يتوارى ، امام صوت طفل ، او ابتسامة رقيقة من المراة التى اصبحت تشارك رجلها هذه «الحرية» ، فهى لم تفرض نفسها عليه،ولم تسرق منه حريته ، ولم تحرمه منها •• كل ماحدث لهما انهما اختارا بايديهما شكل ولون وطعم هذه الحرية الجديدة ••

هذه «الوحدة» يجب ان تعيش وتتحدى•• ●●

منير نصيف

شهادات باقية من...

عالم ما قبل النفط

بقلم : فهمي هويدي

تصوير : اوسكار متري





من سفن الغوص الباقية (جالبوت) على شاطىء الكويت تحت التجديد والترميم ، وامامها جلس اثنان من الغواصين القدامى ، ذكرياتهم لا تنضب (الصورتان الى اليمين) الثوب الكويتي المطرز بخيوط الذهب عمره نصف قرن (الصورة الى اسفل)





تنتقل الى عالم ما قبل النفط في لحظةزمن ، عندما تجتاز قدماك عتبة البـاب العتيق • تدخل بيوتا تفوح منها رائحـةالتاريخ • السرير تصعد اليه فوق سلم لتنغلق عليك ضلفة صغيرة ، وكل الثياب في صندوق « المبيت » المزين بالنحـاس والقادم من الهند، بينما تتدلى «الدمامين»من السقف باشكالهـا الدائرية المنتفخـة وألوانهـا الزاهيـة • تخرج في مواكب« النواخذة » الى دنيا الغوص ، بكل مـا فيها من مجد وحزن • تجلس مع الطواشين(التجار) بينما « البشتختة » أمام كل منهم ، لتعرف أسرار والغاز اللؤلؤ • تشم رائحة البارود ، وتسمع قعقعة السـلاح في اشهـر معـارك الكويت : الجهـراءوالرقعي • تمشي في طرقـات الكـويت القديمة منذ أن كانت قرية متواضعة تتمددالي جوار « كوت » (حصن) لبني خالد ، أسياد الصحراء في القرن السابع عشر ،حتى وطئـت أقـدام أول أجنبـي أرض « قائمقامية » الكويت ، مشيعة بصيـاح لصغار في الشوارع : عنكريزي ، بوتيله، عساه يموت الليلة !

• • •

هذا كله ـ وغيره كثير ومثير تقرؤه وتسمعه ، وقد تتحسسه بيديك ـ اذا انت فعلت ما فعلناه • طرقنا باب بيت اشهر هواة التاريخ في الكويت : سيف مرزوق الشملان • قادنا الى مكان تلك القاعة المستطيلة • اجتزنا فناء البيت حتى بلغنا بـاب القاعة • عبرنا في الوقت ذاته مساحة عريضة من التاريخ • انتقلنا من عالم الى عالم •

وكما تعقد جلسات استحضار الارواح ، فعلنا نحن نفس الشيء،جلسنا نستحضر التاريخ ! حقا، هناك فرق بين المحاولتين • فليس في المسالة رجم بالغيب،كما اننا لم نكن بحاجة الى اظلام وطقوس وتعاويذ • كل ما هناك انـنا حاولنا ان نـقلب وننقب ونتقصى ما بين ايدينا من آثار وبصـمات مرئية •

وللدقة ، لابد ان نقرر ان هناك بعض وجه شبه بين التجربتين • فقد تتحول كل منهما الى سباحة في المجهول،ثم ان عملية استحضار التاريخ لاتخلو ـ ايضا ـ من تلفيق وشعوذة !

وهي وجهة نظر في التـــاريخ ، صاحبهـا ابو اسحاق الصابي، احد ابرز الكتاب العرب في القرن الرابع الهجرى • اذ أمره الخليفة عضـد الدولة البويهي بان يؤلف كتابا في اخبار الدولة الديلمية • فامتثل الرجل الذى كان حبيسا وقتئذ وعكف يعد مؤلفه • وقيل أن رجلا دخل عليه بينما هو كذلك ، وساله عما يفعل ، فاجابه بقوله : انما هي اباطيل انمقها واكاذيب•الفقها !

نبوءة لم تتحقق

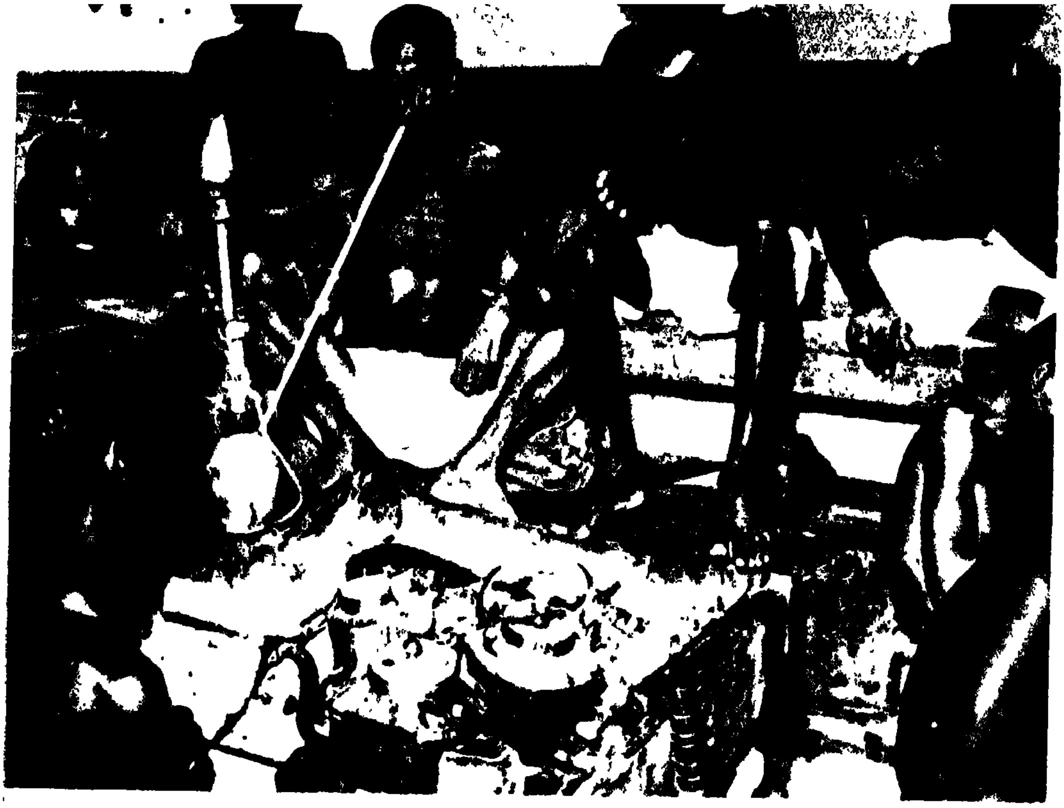
غير اننا هنا نقرا التاريخ ولا نكتبه •

كان التاريخ مجسدا امامنا ، وماثلا لاعيننا ، من القطع التي صفت فوق أرفف بطول القاعة ، الى الصناديق القديمة المتناثرة فوق ارضها ، الى النماذج الحية المثبتة على الجدران ، الى المكاتيب والصور والوثائق التي تمتلىء بها خزانة سيف الشملان •

لقد كان تعاملنا مع الاصل • او صورة طبق الاصل ، من عالم ما قبل النفط •

« في البدء كانت هواية ، استحكمت حتى صارت غرامة ! » •• هكذا قال سيف الشملان ، وهو يطوف ببصره في أنحاء القاعة المكدسة •

ـ منذ بدات أعي وانا أحب ان اجمع التاريخ والاستئناس به • عندما ولدت في عام ١٩٢٧ ، تنبا طبيب المستشفى الامريكاني بانني لن أعيش ، لشدة ضعفي وهزالي • وبمضي الزمن قررت ان أعيش ليس حياتي وحدها ، ولكن حياة الكويت كلها •• لم اكمل تعليمي ، وتوقفت عند الصف الاول الثانوى ، الذى رسبت فيه ٤ سنوات ، بسبب الجبر والكيمياء واللغة الانجليزية • تركت الدراسة وتفرغت منذ حوالى ربع قرن لقراءة التاريخ والكتابة فيه ، وبنيت هذا المتحف ، الذى كلفني الوف الدنانير ، وجمعت محتوياته من بعض الاسر الكويتية ومن الهند والعراق ومصر وانجلترا ، فضلا عما توارثته من آل الشملان • كنت اشترى كل ما يقع تحت يدى من قطع كانت تستخدم فـي



صورة قديمة لمجموعة من الغواصين فـي لحظات الراحة . تسليتهم فى الدخان ، وطعامهم التمر والشاى ، وصدورهم عارية طوال ٤ شهور ·

الكويت القديمـة · حتى هـذا الحاكى والهاتف القديم ، اشتريتهما من حى الموسكى فى القاهرة·

كانت لدينا مكتبة كبيرة ، اغلب كتبها من مصر ، كان يشتريها لاسرتنا الشيخ حافظ وهبة ، وهو اول مصرى معروف قدم الى الكويت عام ١٩١٤ ، واشتغل مدرسا للغة العربية ثم مارس التجارة ، وفتح صيدليـة ، كان يستجلب لهـا الدواء مـن الخارج · واذكر انه اول من ادخل «لزقة» امريكية الصنع الى الكويت ، كان الجميع يطلقون عليها « لزقة حافظ » كان الشيخ حافظ يحمل الينا الكتب من القاهرة ، قبل ان يتصل بالملك عبد العزيز آل سعود ، ويحصل على الجنسية السعودية ، ويصبح سفيرا للمملكة فى لندن ·

انتقلت الهواية من عشق لقراءة التاريخ الى رغبة فى اقتنائه · واصبحت كل قطعة فى المتحف الصغير تروى صفحة او اكثر من تاريخ الكويت ··

كل العيون ترصد

امسك سيف الشملان بصورة من الجو لكويت العشرينات ، وتجارة اللؤلؤ فى ذروة ازدهارها · ثم قال ·· هذه هى مشيخة « الكويت » ، بعد ان تجاوزت مرحلة القرية ، وقبل ان تصبح امارة ثم دولة ·· التقطت الصورة ام سعود ، زوجة المعتمد البريطاني وقتئذ الكولونيل ديكسون التى اطلقت على ابنها اسم « سعود » ، وابنتها زهرة، واحبت الكويت واستوطنت فيها ، وما زالت تعيش فى مقر المعتمد البريطانى القديم الى الان ·

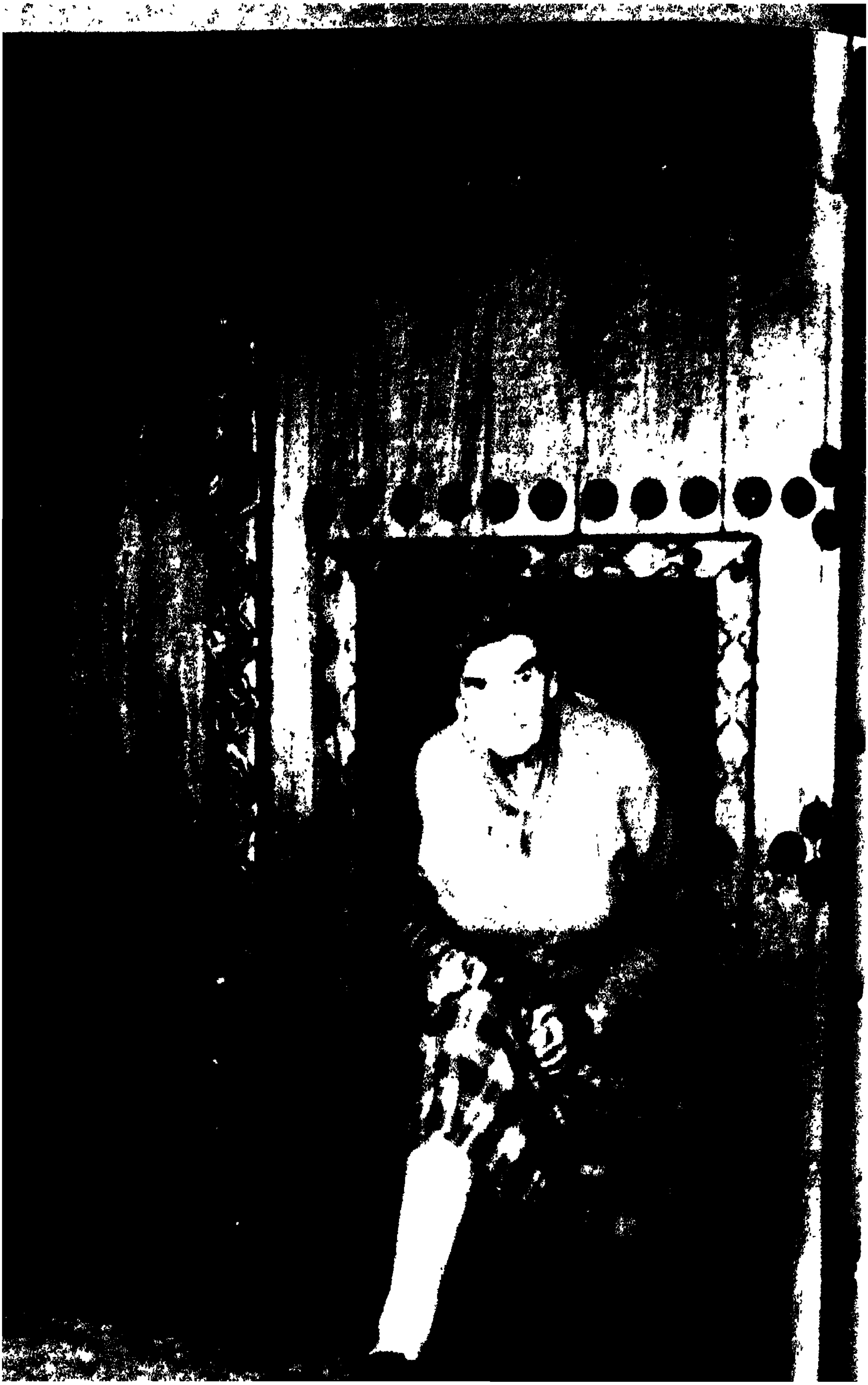
كـم كانت الكويت صغيرة · كـم كانت بيوتها متواضعة ومتشابهة · لكن العيون كانت ترصدها عن بعد · كان الالمان فى بداية القرن الحالى على علاقة قوية بتركيا ،· فطلبت احدى الشركات الالمانية مد خط سكة حديد البلقان من انقرة الى بغداد ، بحيث تصبح الكويت هى نهاية الخط الحديدى · وقامت بعثة المانية بزيارة الكويت فعلا لهذا الغرض·

ثم بعد ذلك تقدم القنصل الروسى فى بغداد بطلب الى الحكومة العثمانية للسماح لشركة روسية بمد خط حديدى آخر من سواحل الشام حتى الكويت ، ليكون للروس ميناء طبيعى على الخليج · لكن



مسز ديكسون (٨١ سنة) زوجة سابع معتمد بريطاني في الكويت (١٩٢٩) وحدها في المقر القديم الذي كان يعمل به زوجها ٠ الفت كتابا عنوانه « ٤٠ عاما في الكويت » وتعد كتابا ثانيا عن اعشاب ونباتات الصحراء الكويتية ٠ ابنتها زهرة المقيمة في انجلترا المت كتابا بعنوان « الكويت بلدي »(الصورة الى اليسار) مسز ديكسون تغادر باب المعتمدية البريطانية القديم (الصورة من اسفل) صورة قديمة تسجل احد مشاهد عالم الغوص المثير





المشروعان اوقفا بضغط بريطانيا ، التي كانت تتنازع النفوذ في الكويت مع الدولة العثمانية • وكانت الكويت على صغرها مركزا تجاريا لـه دوره ، اذ كانت تصدر البضائع الى سوريا والعراق ونجد والحجاز ، حتى اسطنبول ، خلال الحرب العالمية الاولى مما اغضب بريطانيا ودفعها الى ارسال من يراقب مداخل الكويت ومخارجها • ايضا كانت الكويت وقتئذ على صلة بالعالم بعد ان مدت اليها اسلاك البرق في عام ١٩١٧ •

اشار سيف الشملان الى السفن التي يزدحم بها شاطىء الكويت ، وقال: اتدري كم عدد سفن الغوص في الكويت عام ١٩٠٧؟ كان ٤٦١ سفينة، يعمل عليها ٩٢٠٠ بحار • وان هذا الرقم تزايد كثيرا في العشرينات• ثم فض ورقة مطوية، وقال: بالمناسبة ، هذه رسالة عمرها اكثر من نصف قرن، بعث بها أمير الكويت الراحل عبدالله السالم الصباح الى جدي الشيخ الشملان ، يعتذر فيها عن عيادته في مرض عارض الم به ، لان « الموتر» ـ سيارة الشيخ ـ لا تستطيع المرور على ساحل البحر حيث منزل الشملان ، بسبب ازدحام الساحل بالسفن المرفوعة فوق رماله ، بعد موسم الغوص•

يقول الشيخ عبد الله السالم في رسالته : ارجو الله ان يلبسك ثوب الصحة والعافية ، وان لا يسمعنا عنكم ومنكم ما يكدر الخاطر • ارجو العذر عن المجيء بواسطة الموتر ، بما يمشي اليوم على السيف (الشاطىء) من سبب كثرة السفن •



السفن عائدة من الغوص في نهاية الموسم ، وهو ما يسمونه القفال•

السور حول الكويت

هذا هو سور الكويت الثاني (هدم سنة ١٩٥٧)، خط رفيع يدور حول البيوت فيما يشبه القوس •

منذ شعر اهل الكويت بان هناك من يرصدهم ويطمع فيهم ، اقاموا سورا حولهم ، اتخذ على مر السنين اشكالا وصيغا مختلفة •

بني السور الاول في عهد حاكم الكويت الثاني الشيخ عبد الله الاول بن صباح بن جابر (١٧٤٣ـ ١٨١٣م) عندما تصاعد الخطر حول الكويت • بنو كعب سكان البصرة من ناحية ، وابن سعود والوهابيون من ناحية اخرى • عندئذ لم يجد الشيخ عبد الله مفرا من بناء السور ، الذي كانت تتخلله خمس بوابات ، اطلق على كل منها « دروازة » •

وفي عهد تاسع حكام الكويت ، الشيخ سالم المبارك الصباح ـ وقد لاحت النذر بالخطر ايضا ـ بني السور الثاني • كان ذلك في عام ١٩١٩ • وبعد اتمام بنائه بعام واحد • حدثت معركة الجهراء الشهيرة بين الوهابيين واهل الكويت • التي خلالها جرت محاولة للصلح ، كانت شروط الوهابيين فيها اربعة هي : الرجوع الى الدين الاسلامي ـ ترك المنكرات ـ ترك شرب الدخان ـ تكفير الاتراك !

وظل هذا السور يصد العديد من الغزوات ومحاولات الاغارة ، حتى آخر معركة في تاريخ الكويت عام ١٩٢٨م ، وهي معركة الرقعي ـ اسم موقع في صحراء الكويت ـ التي كان طرفها الاخر هو جماعات من الوهابيين الذين قدموا لاحتلال احدى الحاميات الكويتية ، وتكبدوا خسائر جسيمة في عودتهم •



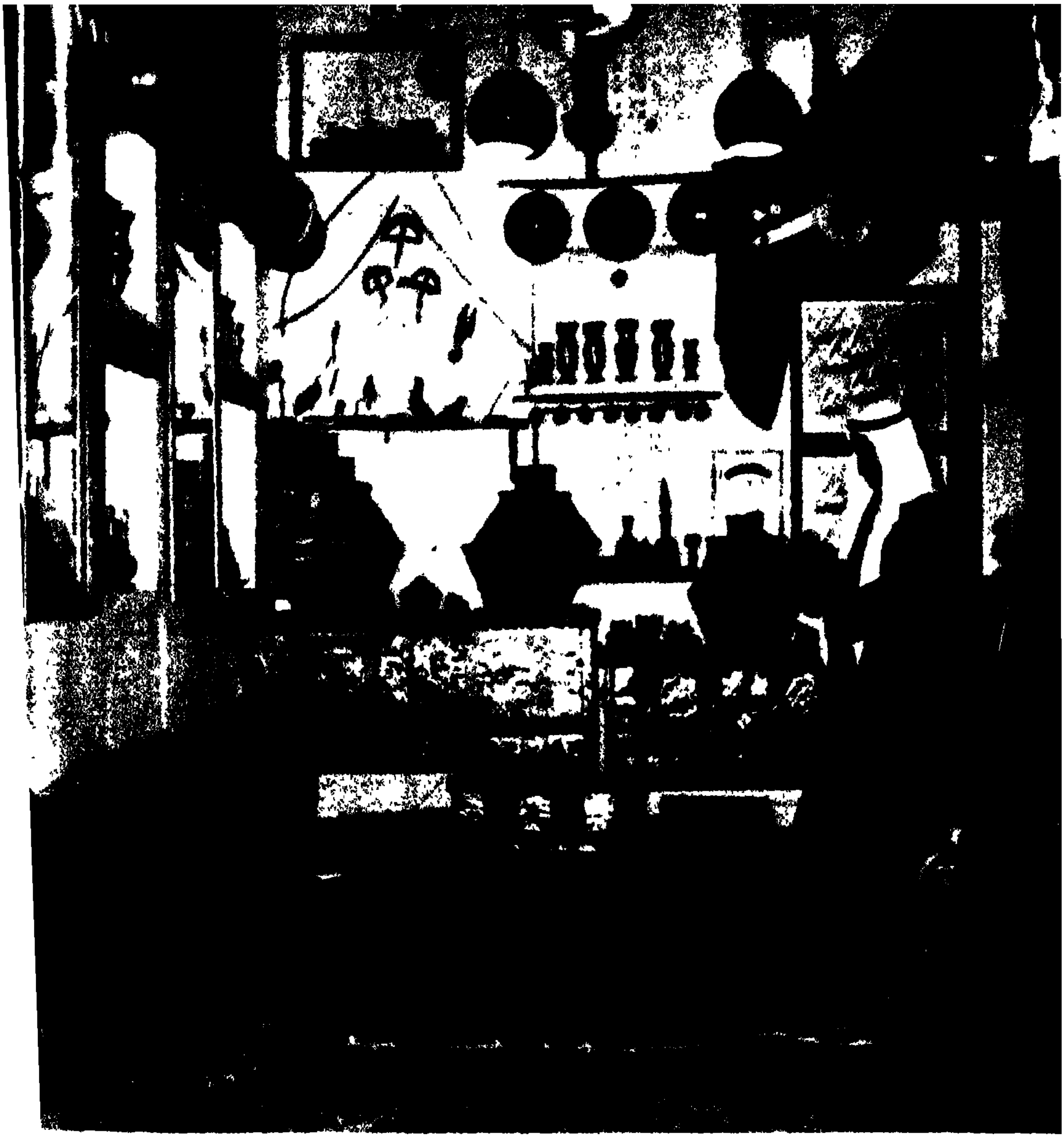
هذا السور الذى صرع تحته رجال ، وحملت خيول ، وتدافعت سيارات المقاتلين ، وفيه انطلق البارود فى كل اتجاه ، هذا السور تحولت بقاياه الان الى مجرد رمز، يذكر الاجيال الجديدة وينبهها، حتى لا ينسوا او يركنوا الى الدعة والامان !

قوات مصرية فى الاحساء

ونحن جالسون فى القاعة اشار سيف الشملان الى مجموعة من البنادق المختلفة الطراز، والسيوف العتيقة • ثم قال •• هذا بعض ما تبقى من المعارك التى نحكى عنها • هذه بندقية بدائية كانت تعرف بالابراهيمية نسبة الى ابراهيم باشا ، ابن محمد على باشا والى مصر ، الذى استقل بها عن الدولة العثمانية ، واراد ان يبنى لنفسه امبراطورية منافسة •

كيف وصلت « الابراهيمية » الى الكويت ؟

رد الشملان بقوله : بعدما وصلت القوات المصرية على بعد اميال قليلة من الكويت قبل١٤٠ عاما • وتوقفت فى ساحل الاحساء على الخليج العربى ، سنة ١٨٣٨ • وبعث قائدها خورشيد باشا مندوبا عنه الى الكويت قبل وقتئذ ان مهمته هى توفير الامدادات اللازمة للقوات المصرية • وثبت ان المبعوث تولى ارسال عدة قوارب محملة بالشعير الى القطيف •



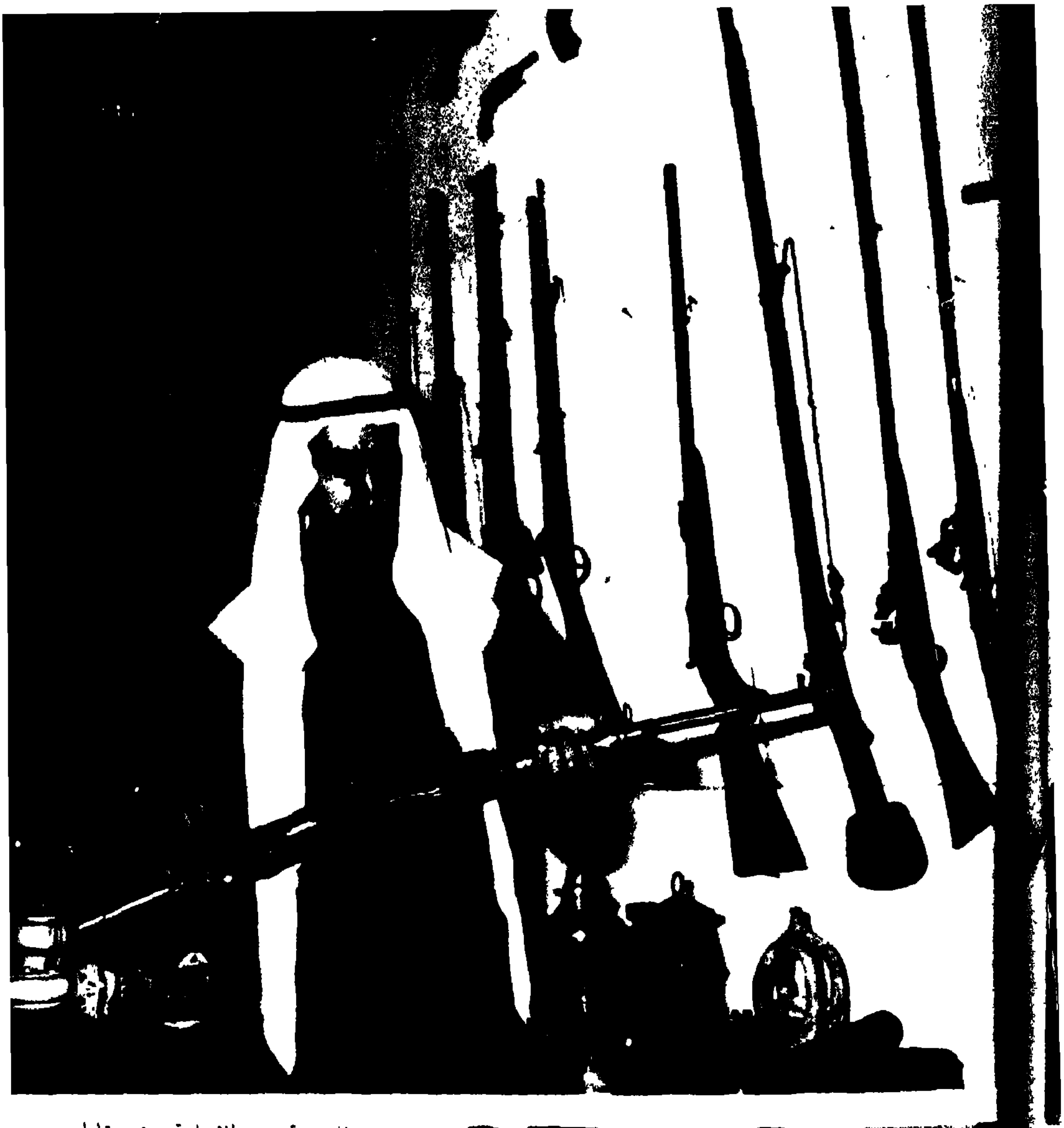
بقايا عالم ما قبل النفط ، الصندوق المبيت ،والرمامين ، واللماميات والمزهريات ، وادوات الزينة ، وعلم الكويت القديم ، والمساند المشغولة في الهند ٠

ثم اضاف الشملان قائلا انمؤرخ الخليج الانجليزي الشهير ج٠ لويمر ، ذكر في مؤلفه « دليل الخليج» ان شيخ الكويت كان يعامل المبعوث المصرى معاملة متميزة ، ويمنحه مقعد الشرف دائما في مجالسه ٠ وكانت الشحنة الوحيدة من الذخيرة والعتاد ،التي وصلت الى القوات المصرية طوال فترة وجودها في الاحساء ، هي شحنة حملتها سفينة كويتية الى القطيف في نوفمبر ١٨٣٩ ،من ميناء الحديدة على البحر الاحمر ٠ وكان للكويت وقتئذ اسطول كبير وقوى ٠

أبطال ملحمة الغوص

هذا هو عالم الغوص ٠ نماذج السفن ٠ ادوات الغيص ٠البشتختة ٠كتيبات اوزان اللؤلؤ المطبوعة في « بمبى » (هكذا كانوا يكتبون بمباى في الهند) ٠ آباء هذا الجيل هم الذين عاشوا تلك المرحلة المثيرة من تاريخ الكويت ٠ اما الجيل الجديد ، يلوى سيف الشملان شفتيه ـ ثم يقول ، هم ابناء النفط وضحاياه !

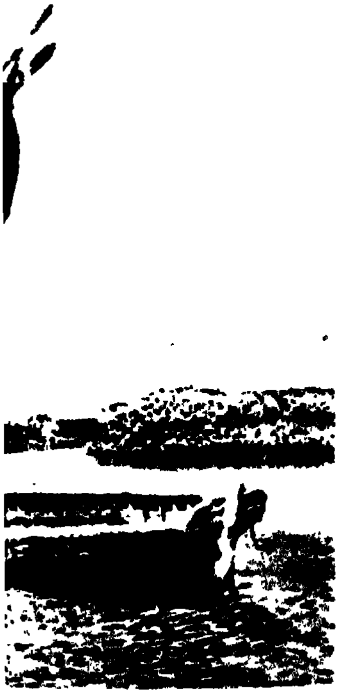
اضاف سيف ،ان كلمات البتيل وبقاره وسنبوك وجالبوت ، التي تعبر عن طرز واشكال سفن



هذه المجموعة من الاسلحة من بقايا معارك الكويت الشهيرة ، وسيف الشملان يقلب واحدا منها ٠



السرير القديم الذى كانوا يصعدون اليه باستخدام السلالم ، وعروسة الصغار (اللروية) فى عالم ما قبل النفط ، مرتدية الثوب الكويتى ٠





الى جوار « متحف» سيف الشملان غرفة صغيرة تضم كل ادوات الطبخ القديمة ، وعلى بابها ترى « المنحاز» الذى كانت تطحن فيه الحبوب في الماضى.

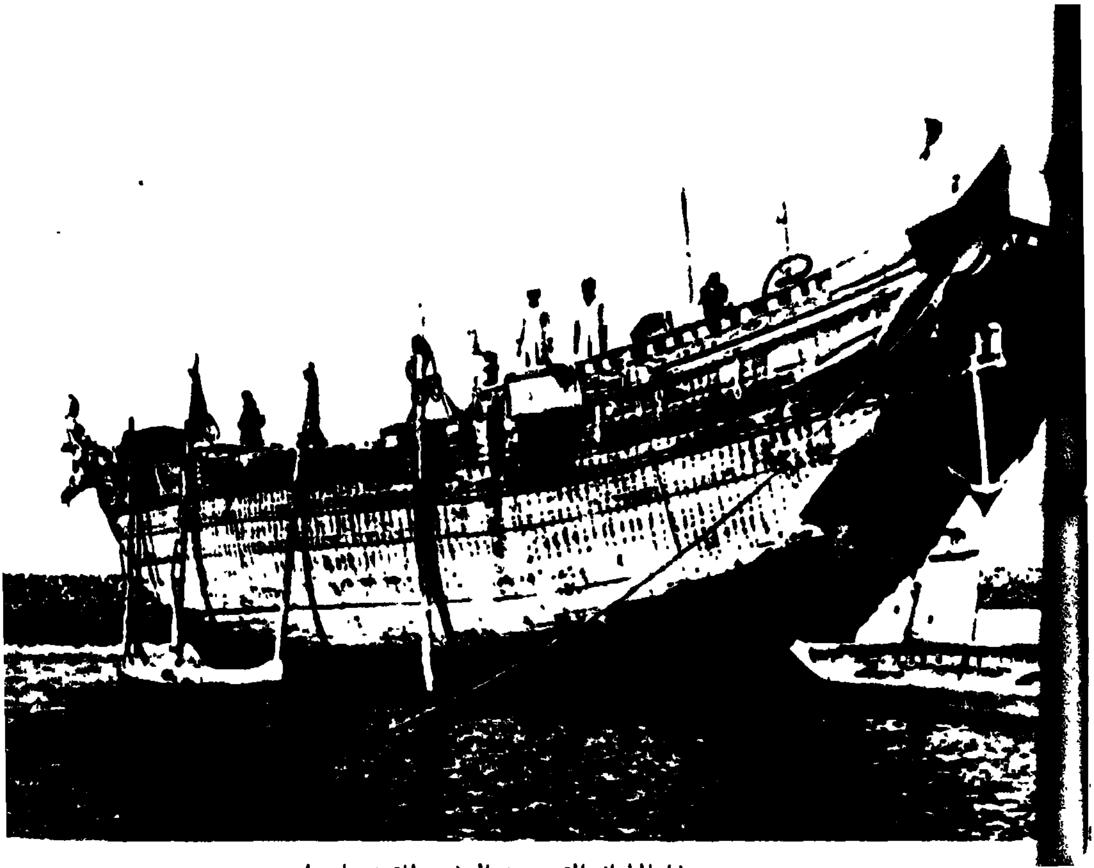
الغوص • هي الان طلاسم والغاز عند الجيل الجديد • وكذلك بقية معالم دنيا الغوص ، التى كانت تملأ حياة هذا البلد قبل « حلول » النكبة التى تمثلت فى ظهور اللؤلؤ الصناعى واكتساحه لاسواق العالم •

اندثر هذا كله ، ولم يبق من عالم الغوص غير بعض السفن المحالة الى التقاعد ، والتى تسترخى الآن على الشاطىء الرملى ، وبعض الاغانى التى يرددها شعراء النبط (العامية)، بينما بعض الاسر ما زالت تطلق على بناتها اسم « قماشة » • وهو الاسم القديم للؤلؤة (القماشه) ••بينما البعض يسمي : لولوة •• للذكرى والتاريخ !

رفعنا غطاء البشتختة ، ذلك الصندوق الذى لم يكن يفارق كل تاجر لؤلؤ (طواش) •• لكتاب الاوزان مكان ، ولقوائم الحساب مكان ، ولادوات الفحص وغربلة اللؤلؤ مكان ثالث • ووحدات الوزن فى جانب ، وعدسة التكبير فى جانب ، وفى قاع الصندوق من القماش الاحمر (الخرجة من خرقه) ـ كان اللؤلؤ يوضع عليها بعد فتح محاراته •

على الاصل نقرأ الصفحة الاولى من كتيب بخط اليد طبع بالمطبعة المصطفوية فى « بمبى » ، يشرح اوزان اللؤلؤ ، ويحذر من ان الكتاب « اذا لم يكن « ممهورا » بمهر صاحبه فليس بصحيح » • يقول صاحب الكتاب فى تقديمه « انه لما رأينا الحاجة لمعرفة حساب الجو (الاوزان) من اللوازم الضرورية ، ولا سيما لدى ارباب اللؤلؤ • شمرنا عن ساعد الجد والاجتهاد ، الى ان وفقنا الله جلت قدرته لوضع هذا الكتاب النفيس • وقد بذلنا فيه الجهد الجهيد الى ان جاء بغاية الاتقان • واملنا بالله جميل ان يحوز الرضاء التام لدى عرضه لانظار المطلعين الكرام وقد تم تحريره وتصميمه بقلم افقر العباد ، الراجى كرم الخلاق ، عبده عبد اللطيف بن عبد الرزاق بن عبد اللطيف آل عبد الرزاق الكويتى ، عفا الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين » •

لم نقرأ كتابا مماثلا ، على غلافه حذر مؤلفه من انه « لا يخفى بان هذا الدفتر حسب اقتضاء قانون الدولة الفخيمة الانكليسية (الانجليزية) لا



هذا الطراز القديم من السفن يطلقون عليه اسم
« بغلة » ، وكانت تستخدم فى تحميل البضائع .

يقدر على طبعه احد من الناس . وقد صار رجستر (مسجل) ولو تجاسر على طبعه احد فغرمه الفين روبية » !

كان الطواشون يخرجون الى البحر بعد رحيل سفن الغوص بشهر تقريبا (موسم الغوص كان يستمر ٤ شهور ، من مايو الى سبتمبر) ، بعد ان يستطلعوا آخر اسعار اللؤلؤ فى البحرين وبومباى . وقد انضم الشيخ حافظ وهبة الى هؤلاء الطواشين ، بعد ان انخرط فى التجارة وشارك عيسى القطامى فى رحلاته لمدة ثلاث سنوات.

على ان الملحمة الحقيقية كان ابطالها الغواصون، الذين كانوا يقضون الاشهر الاربعة بصدور عارية يهبطون ويصعدون من اعماق البحر منذ طلوع الشمس الى غروبها ويتبادلون المزح والنكات ، بينما هم يتعرضون لافتراس اسماك القرش ومفاجآت سمكة اللخمة ، التى تعتلى الظهور وتدس شوكتها السامة فى اول جسم تلقاه ، ويعانون من السعال والامراض الجلدية وحالات انفجار الاذن من شدة ضغط المياه فى الاعماق .

المدهش ان اغلب هؤلاء الرجال الشجعان كانوا من بدو الصحراء ، وبعضهم لم يكن يجيد السباحة وانما يقتحم المياه ويلقى بنفسه فى اعماقها ، معتمدا ، على « السيب » ، الواقف على ظهر السفينة ، ممسكا بحبل طويل يحيط بخصر الملاح المندفع الى الاعماق ، وكانوا يسمونه « الغيص ».

وقد كانت شجاعة الغيص مضرب الامثال ـ حتى ان نساء البحرين فى ذلك الزمان كن يتحجبن عن الغيص لرجولته وشجاعته ، ولا يتحرجن من السفور امام « السيب » ، لانه لا يتمتع بنفس القدر من الشجاعة .

حتى سنة ١٩٣٠ ، يروى سيف الشملان ، كانت تجارة اللؤلؤ على ازدهارها ، ثم حدث الانكسار بظهور اللؤلؤ الصناعى ، واستمر حتى آخر الثلاثينات ، عندما قامت الحرب العالمية الثانية ، ولم تطل سنوات القحط القاسية حتى تفجر البترول وصدرت اول شحنة منه فى عام ١٩٤٦ .

ومن مفارقات القدر ان بعض مواقع الغوص (الهيرات) التى كانوا يستخرجون منها المحار

« المحور » ثوب كويتي من الحرير
المشغول بورود ذات الـوان زاهية ·





«المتيل» شكل آخر للثوب من البرجيه
السادة ·

« المرضوف » ، الثوب الكويتي ا
كانت ترتديه عامة النساء من لقه
القطنيولونه اسود(الصورة الي اليه



الثوب الكويتي

عمره نصف قرن

بقلم : لولوة القطامي

خطوط الثوب الكويتي القديم هي ذاتها التي تقتبسها بيوت الازياء العالمية ، لتصمم منها احدث أزياء النساء في اوروبا • الثوب الواسع الهفهاف الدقيق هو الذي كانت ترتديه المرأة الكويتية منذ نصف قرن ، وهو ذاته الذي يشاهد الان في واجهات اكبر المحلات التجارية في عواصم اوروبا •

وحتى عشرين عاما مضت كانت المرأة الكويتية ترتدي الثوب ، ولكنه اختفى بعد ذلك من الكويت الحديثة ، بينما ما زالت بعض السيدات المسنات يستخدمنه ، وقد يظهر في المناسبات الرسمية ، بينما يعرض دائما في عروض الفلكلور الكويتي •

والثوب الكويتي تصميمه واحد ولكن نوعية القماش وطريقة التطريز تختلف من مناسبة ومناسبة • فمثلا النوع الذي يلبس كل يوم مصنوع اما من قماش (الويل) الململ او من الفوال الخفيف على ان يكون سادة دون تطريز • اما المناسبات كالا·اس والحفلات والزيارات فيصنع عادة من قماش الجرجيت الطبيعي ويطرز اما بخيوط ذهبية (الزرى) او بخيوط فضية (تيل) • والثوب المطرز بالتيل يسمى (ثوب امتيل) ، او يطرز بقطع مصنوعة من الذهب الخالص وهذا ما يسمى (بالثريا والشبك) ، وبالشتاء يكون الثوب من قماش اثقل ويسمى (ثوب جز) ويصنع من قماش حرير ذى نسيج سميك وعادة يغلب عليه اللون الاسود • والثوب عادة يرتدى فوق فستان يسمى (الدراعة) وتكون الدراعة عادة اما سادة او مطرزة بخيوط الفضة والذهب •

وتنظم جهات النشاط النسائي الكويتي حملة في السنوات الاخيرة للحفاظ على هذا الزى وتطويره ، وقد انشىء بالفعل مشغل لهذا الغرض ، استطاع ان يعرض ثمرة انتاجه في

بحثا عن اللؤلؤ، هي ذاتها التي تفجر منها النفط، وتحولت الى آبار بحرية ، لا تتوقف فيها النيران المشتعلة الان •

لمن العلم ؟؟

ونحن جالسون في الغرفة نستحضر التاريخ ونقلب اوراقه ، اشار سيف الشملان الى علم احمر كتبت عليه كلمة « كويت » ، وقال ٠٠ وهذا ايضا له قصة لا بد ان تروى • ذلك انه عند بداية القرن الحالي برزت المنافسة بين الانجليز والعثمانيين على الكويت • اذ كانت الكويت معتبرة قائمقامية عثمانية من القرن الماضي • وتشير الوثائق التاريخية الى ان شيخ الكويت مسلم بالتبعية للدولة العثمانية في عام ١٨٢٩ ، وكان يدفع لممثلها في البصرة جزية سنوية قدرها ٤٠ كيلو من الارز ، و ٤٠٠ سباطة من التمور ! وكان الوجود الوحيد للعثمانيين ممثلا في علمهم ، وفي موظف الحجر الصحي •

ثم ارادت بريطانيا ان تثبت اقدامها في الخليج، لتؤمن الطريق الى مستعمراتها الكبرى في الهند ، فزار الكويت في عام ١٩٠٤ حاكم الهند اللورد كرزون ، والتقى بشيخ الكويت وسابع حكامها ، الشيخ مبارك الصباح الذي كان متحاملا على العثمانيين وسياستهم ، واتفقا على ان يكون لبريطانيا معتمد سياسي في الكويت •

وهنا بدأت مواجهة سياسية حادة بين العثمانيين، او « الروم » بتعبير اهل الكويت القدامى ، وبين الانجليز ، كان العلم رمزا لها •

معرض القيم للثوب الكويتي ، لم يصدق الذين شهدوه ان زى المراة الكويتية كان منذ اربعين او خمسين سنة بهذا القدر من الدقة والجمال، وقد كانت هذه هي المرة الاولى التي تقدم فيها الفتيات الكويتيات عرضا للازياء .

وحيثما ذهبنا في الخارج فان الزى الكويتي يلفت الانظار . وعندما دعيت المراة الكويتية عام ١٩٦٧ لحضور مؤتمر في موسكو بدعوة من الاتحاد النسائي السوفيتي ، حضرنا جلسة الافتتاح بالثوب ، فكان مثار تعليق الجميع . وفي المساء حضرنا حفلا من قبل الرئيس خروشوف ـ الرئيس السوفيتي وقتئذ ـ واثناء الحفل ، توقف امامنا خروشوف متاملا الزى ، ثم قال بروحه المرحة بعد ان علم اننا من الكويت : مس كويت ، بعد الحفل لا تعودى الى الفندق ، بل عليك ان تذهبي الى البنك .

وعندما حضرنا مهرجانا للشباب في بلغاريا ، واتيح لنا ان نزور متحف الفنون في صوفيا ، وذهبنا بالثوب الكويتي ، التف حولنا جمهور المتحف تاركا كل شيء ، وظل يمطرنا بالاسئلة عن الكويت وما فيها .

ان الثوب الكويتي جدير بان نعتز به ، وان نحميه من النسيان .

، وتحركت في مصر الاقلام المؤيدة للجامعة الاسلامية، مهاجمة شيخ الكويت . وكتب الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد ، كما نشرت جريدة اللواء المؤيدة للحزب الوطني المصري مقالات تندد بشيخ الكويت وتتهمه بانه رفع العلم البريطاني على قصره بدلا من العثماني .

وكان المخرج من هذه الازمة ،هو ان يكون للكويت علم مستقل ، هو هذا العلم الذى استبدل به بعد الاستقلال العلم الحالي .

غير ان الاتراك ـ يقول سيف الشملان ـ لم ينسوا للشيخ مبارك موقفه ، وقرروا نفيه الى الاستانة . ولكن الانجليز تدخلوا لوقف تنفيذ القرار . وقدم الى الكويت من القاهرة الشيخ رشيد رضا ، رفيق الامام محمد عبده وتلميذه ، وناقش الشيخ مبارك في موقفه ، ونشر الحوار الذى جرى بينهما في مجلة « المنار » عام ١٩١٢ .

لم يعودوا غرباء

ومضت سنوات انفتحت فيها ابواب الكويت على مصاريعها ، ولم يعد الاجنبي ذلك الكائن الغريب الذى يتهيبه الكويتيون ويلتف حوله الصبية . وهي الصورة التي سجلتها الدكتورة اليانور كالفرلي ، اول طبيبة وطئت اقدامها ارض الكويت وقدمت ضمن الارسالية الامريكية في عام ١٩١٢ ـ وذلك في الكتاب الذى اصدرته عن تجربتها التي امتدت ١٨ عاما .في كتابها قالت :ان اهل الكويت منعوا مندوبي الارسالية الذين يجيئون من البحرين من النزول اكثر من مرة على شاطئها. واعادوهم عندما نزلوا . لكنهم تمكنوا من تجاوز هذه الصعوبة عندما حصلوا على موافقة حاكم الكويت وقتئذ ، الشيخ مبارك الصباح ـ وعندما جاءت الدكتورة كالفرلي ـ التي اشتهرت باسم خاتون (سيدة) حليمة لاحقتها صيحات الصبية : عنكريزى بو تيله ـ انجليزى بالقبعة ـ عساه يموت الليلة . وكان مستشفى الارسالية الذى بني عام ١٩١٣ ، هو أول مبنى يشيد بالخرسانة المسلحة في الكويت .

***

قبل ان نفض جلسة استحضار التاريخ ، قلت لسيف الشملان : ورايك فيما تراه الان ؟

رد بغير تردد : انني الح منذ سنوات في ان نبقي على بعض معالم الكويت القديمة ، بعض الشوارع والاسواق ، لكن صيحاتي تذهب هباء امام العرض المتزايد على الاثراء . بعدما تضاعفت اثمان الارض بصورة مذهلة. ويوما بعد يوم تندثر معالم الكويت القديمة ، ويظهر شيء جديد بغير نمط ولا شخصية ولا ذوق احيانا . فقط تبدو عليه علامات الثراء وبصمات دنيا النفط .

ثم صمت لحظة وقال : ولا اخفي ايضا انني متشائم . متشائم من الجيل الجديد . متشائم من مستقبل النفط لانني لا استطيع ان انسى تجربتنا مع اللؤلؤ .. ثم انني متشائم مما يجرى في الساحة العربية كلها .

قلت : في هذه الاخيرة ، اتفق معك تماما !

وسكتنا عن الكلام المباح . ●●

بعد مناقشات مهرجان العراق

عقدة المتنبي

■ لم يكن « مهرجان المتنبي » الذى اقيم فى بغداد فى المدة من ٥ الى ١٠ تشرين الثانى (نوفمبر) الماضى مجرد احتفال بذكرى هذا الشاعر الكبير الذى « ملأ الدنيا وشغل الناس » ـ كما نكرر القول منذ صك ابن رشيق هذه العبارة فى القرن الخامس ـ والذى يرى فيه كثير من المثقفين العرب اليوم أول المبشرين بالقومية العربية من شعرائها العظام ، بل كان الى جانب ذلك ـ وربما فوق ذلك ـ ندوة علمية حقيقية ، اثارت مشكلات مهمة حول مواقف المتنبى من معاصريه وقضايا عصره ، وحول فن المتنبى وتاثيره فيمن تلاه من شعراء الشرق والغرب . فالى جانب الدراسة التاريخية المهمة التى قدمها الدكتور محمد يوسف نجم (فلسطين) حول حياة المتنبى فى صدر شبابه ، والشعر الذى قاله والاشخاص الذين اتصل بهم فى هذه الفترة القلقة الغامضة من حياته ، كانت هناك محاولات لتفسير شعر المتنبى تفسيرا اجتماعيا على ضوء الازمة الحضارية التى استحكمت فى عصره ، سواء أكانت هذه الازمة قومية عربية ، أم اسلامية عربية (عبد السلام نور الدين من السودان ، ومحمد اليعلاوى من تونس ، واندريه مكيل من فرنسا) ، ودراسات فنية حاولت أن تعيد النظر فى شعر المتنبى مستخدمة مناهج جديدة كل الجدة فى الدراسات الادبية العربية لانها تعتمد على التحليل الميكروسكوبى للنصوص (عز الدين اسماعيل من مصر ، وجمال الدين بن شيخ من الجزائر ، وعبد السلام المسدى وعمر بن سالم من تونس) ودراسة عن الطبيعة فى شعر المتنبى أثار فيها الدكتور عبد الله الطيب (السودان) ردود فعل قوية بين اعضاء المهرجان ـ او الندوة ـ حين ذهب الى ان الشاعرين الانجليزيين اندرومارفل (ق ١٧) ووليم بليك (ق ١٨) قد اخذا بعض معانيهما من المتنبى ، وأخرى عن تاثير المتنبى فى



بقلم :

الدكتور شكرى محمد عياد

شعراء الفارسيه (الدكتور حسين محفوظ من العراق) بدت اكثر اقناعا لدى معظم الحاضرين .

ولا احصي جميع الدراسات والكلمات التي القيت في المهرجان .

ومع ذلك فقد يبقى السؤال الذي طرحه شاعر العراق الكبير الاستاذ محمد الجواهري في كلمته في حفل الافتتاح بلا حل : لماذا يقف المتنبي امة وحده بين شعراء العربية العظام ، أمثال ابي تمام والبحتري وابن الرومي وابي العلاء ؟ وساحاول ان اجيب على تساؤل كبير شعراء العربية المعاصرين. وقد ياخذ البعض مقالي على انه نوع من الاثارة او الدعاية بمناسبة المهرجان . ولكنني آخذه ماخذ الجد العميق .

عقدة الانسان العربي

ذلك انني اتصور ان في كل عربي منا عقدة اسمها عقدة المتنبي، على وزن عقدة اوديب وعقدة الكترا، وان لم تكن عقدة المتنبي راجعة الى الجنس كعقدتي فرويد المشهورتين. ولكنها ليست اقل منهما استحقاقا لان نسمي عقدة . فالعقدة ليست الا مجموعة من المشاعر المتصارعة التي تترسب في العقل الباطن نتيجة لاحباط خارجي ، وتؤثر في سلوك المرء دون ان يشعر . ولا بد أن تشتمل هذه المشاعر المتضاربة على شيء من مشاعر الحب وشيء من مشاعر الكره، لان كلا منهما يعمل في الاخر ويمتص به ، وفقا لقانون نفسي ثابت اشبه بقانون الفعل ورد الفعل في الطبيعة . ولانا جميعا ننطوي على عقدة المتنبي فلا يمكن ان نذكره لنا او ان نقرأ او نسمع شيئا من شعره دون ان يثور في نفوسنا شعور قوي يكون حبا او كرها او مزيجا منهما . اعني اننا لانستطيع ان نقف من المتنبي موقفا محايدا ولا ان ننظر اليه بموضوعية تامة . وقد وجدنا استاذنا طه حسين يغالب نفوره من المتنبي وتفضيله شيخ المعرة عليه بان يصدر كتابه المشهور « مع المتنبي » محاولا فيه ان يقترب ولكن بعذر — من هذه الشخصية الهائلة . وسمعنا استاذنا امين الخولي يبدي نفورا واضحا من المتنبي ويستشهد متأففا بهذا البيت :

> كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
> وحسب المنايا أن يكن أمانيا

على انه آية في سخف المعنى . لاجرم كان معظم الناس ، منذ عصر المتنبي، اما انصارا متحمسين له واما خصوما متعصبين عليه . ولكن هل معنى هذا ان التكوين النفسي للانسان العربي لم يتغير، او لم يتغير كثيرا ، منذ عصر المتنبي ؟

هذا ما ازعمه . فعقدة المتنبي هي ، ببساطة ، عقدة الانسان العربي .

طالما نظرت معاتبا الى المتنبي وانا اقرأ بيته في مدح ابن العميد :

> من مبلغ الاعراب اني بعدهم
> لاقيت رسطاليس والاسكندرا

فانا اشعر انه يفضحني امام نفسي بهذا البيت، ولعلك — ياقارئي العزيز — تشعر مثل شعوري . فمن منا ، اذا سمح له الحظ بان يتجول مثلا بين ردهات اللوفر او المتحف البريطاني او يجوس خلال طرقات اكسفورد او كمبردج (الانجليزية او الامريكية) ، لايحدث نفسه عندئذ : من مبلغ ساء حلتي او قريتي او نجعي او عربي اني هنا اشاهد اعظم كنوز الفن ، واسمع واقرأ روائع ثار الفكر البشري ؟ الغريب ان اسلافنا — عليهم رحمة الله — لم يستطيعوا ان يتخلصوا من هذا الشعور حتى حين بلغوا اوج المدنية ، واصبحوا هم انفسهم حملة المدنية اليونانية وغير اليونانية الى اوربا الجاهلة . شيء من البداوة بقي . مما يسري في دماء الانسان العربي . ثم تذهب فقط دهشة ابن الصحراء امام عجائب المدنيين الفارسية والبيزنطية . ولعل المدح الذي عرف في عصور العباسيين كان نتيجة لتلك الدهشة الاولى او محاولة للتعويض . على ان قيم البداوة ظلت تفعل فعلها في كيان الدولة ، وكانت مثلها تلك القبائل التي بقيت في بوادي الشام والعراق ونجد والبحرين لا تنقاد لسلطان ، سواء كان سلطان الخلافة في بغداد ام الدول المستقلة التي انفصلت عنها ، وما كان الخوارج ولا القرامطة الا افرازا

من البادية قاومت به محاولات قوى خارجية ان تبسط سلطانها عليها، والغريب ان هذه القوى الخارجية نفسها كانت تمثل غالبا فى اسر بدوية اخرى ، وثبت على اجزاء من الدولة واستغلت جهاز الدولة المدنى فى مد نفوذها على اقاليم واسعة ، بنفس الاساليب البدوية التى جعلت بنى اسد فى الجاهلية يقتلون الملك الكندى حجرا ابا امرىء القيس • ولا يهم أن تكون هذه الاسر عربية الاصل كبنى حمدان او ايرانية الاصل كالبويهيين او تركية كالطولونيين والاخشيديين • فقد كانت البداوة صفة مشتركة بين الجميع •

شاعر البداوة والثقافة

ومع ذلك فقد كان الترف مدنيا وكانت الاسواق مدنية وكان العلم مدنيا • والمتنبى الذى عرف الترف ولابسه واحسن وصف ادواته ولكنه لم يكن اسيره قط ، والذى وصفه بعض اعدائه بالبخل ولكنه لم يكن قط ساعيا وراء المال ، كان مشغوفا بالعلم ويدل شعره على انه كان قارئا نهما لكل ثقافات عصره • فهو القائل :

أعز مكان فى الدنى سرج سابح
وخير جليس فى الزمان كتاب

ولا احسب احدا جمع بين اجمل قيم البداوة واجمل قيم الحضارة كما جمعها المتنبى فى هذا البيت • فالمتنبى هو شاعر البداوة وشاعر الثقافة فى آن معا •

كان فى مناقشاته مع صديقه وراويته ابن جنى النحوى كثيرا ما يستشهد بكلام الاعراب، ولقد خرج الى البادية فى صباه وتنقل بين ارجائها فى شبابه وظل يألفها الى آخر حياته ، وله ابيات من اروع ما قيل فى الشعر العربى يحن فيها الى البادية وهو مقيم على رغمه عند كافور الاخشيدى :

ذرانى والفلاة بلا دليل
ووجهى والهجير بلا لثام
فانى استريح بذى وهذا
وأتعب بالاناخة والمقام
عيون رواحلى ان حرت عينى
وكل بغام رازحة بغامى
فقد أرد المياه بغير هاد
سوى عدى لها برق الغمام
يذم لمهجتى ربى وسيفى
اذا احتاج الوحيد الى الذمام

والقصيدة كلها درة من درر الشعر العربى ، وهى القصيدة التى يصف فيها الحمى ، وقد بلغ فى هذا الوصف قمة الابداع ، ولكن القصيدة كلها نسيج واحد فى صدق الانفعال وقوة التعبير •

وهذا البدوى نفسه هو الذى وصف بانه حكيم او فيلسوف ، والف معاصره ونـاقده الحاتمى رسالة عن المعانى التى وافق فيها ارسطاليس

ولكن المتنبى لم يستطع ان يوفق بين قيم البداوة عامة وقيم المدنية عامة• كان فى شبابه على ما يبدو بدويا قحا ، يتجول فى البادية ليمدح شيوخ القبائل ، ومدائحه فيهم تحوى من المبالغات ما يستعظم لو قيل فى مدح كبار الملوك ، فكانه يجرى فيها على سنة التعويض • فالممدوح ارفع من زحل ، وصدره اوسع من الارض ، وسيفه لو قذف ما شربه من الارواح لجرى منها بحر مزبد ، وعطاؤه يطوف الدنيا يسأل عمن يسألون غيره • وهو يقول لصديق عاتبه على تركه مدح الملوك :

أبا سعيد جنب العتابا
فرب رام خطأ صوابا
فانهم قد أكثروا الحجابا
واستوقفوا لردنا البوابا
وان حد الصارم القرضابا
والذابلات السمر والعرابا
ترفع فيما بيننا الحجابا

وتعلم منذ مطلع حياته الشعرية ان يمزج المدح بالفخر، ويخاطب ممدوحه مخاطبة الصديق• وعندما تخلى عن تردده واقبل اخيرا على مدح الملوك ، استمر على هذا الاسلوب حتى عرف به • وفى هذا اللون الطريف ـ والصادق ـ من القصيدة المدحية استطاع المتنبى ان يعبر عن عقدته تعبيرا فنيا •

ومع ذلك لم يكن المتنبى دائما ذلك البدوى الذى يتغنى بحياة الصحراء ، ويتابى عن مدح الملوك ، ولكنه كان احيانا ينطق بلسان مدنى وهو يتحدث عن هؤلاء الملوك انفسهم ، حين يلاحظ انهم اشد بداوة من بدو الصحراء ، وان تقلبوا فى النعيم :

فى كل أرض وطئتها أمم
ترعى بعبد كأنها غنم
يستخشن الخز حين يلبسه
وكان يبرى بظفره القلم

وهو يسخر من كافور – مرة واحدة على الاقل – كما يسخر مدني من همجي :

وتعجبني رجلاك في النعل ، انني
رأيتك ذا نعـل اذا كنت حافيـــا

هجاء للبشر بالجملة

ومع انه يتغزل دائما بالبـدويات ، فقـد ذم الاعراب في قصيدة مدح بها احد القضاة بانطاكية (قبل اتصاله بسيف الدولة) • يقول :

ومدقعـــين بسـبروت صحبتهـــم
عـــارين من حلل ، كاسـين من درن
خـــراب باديـــة غـــرثى بطونهـــم
مكن الضباب لهـم زاد بـلا ثمن
يستخبرون فلا اعطيهـم خبـــرى
ومـا يطيش لهم سهـم مـن الظنن

والطابع العام للقصيدة كلها هو مدح الثقافة في شخص ذلك القاضي ، والشكوى من سوء حال المثقفين •

ولعل تشاؤم المتنبي المشهور ، وهجاءه للبشر بالجملة (اذم الى هذا الزمان اهيله ، فاعلمهم فدم ، واحزمهم وغد ، واكرمهم كلب ، وابصرهم عم ، واسهدهم فهد ، واشجعهم قرد) ان يكون نتيجة طبيعية لفساد العلاقات الانسانية في مجتمع تجاذبته المدنية والبداوة ، وطفت سيئاتهما جميعا على السطح • فالمتنبي كان شاعرا فياض العاطفة، يحسن الحديث الىالطبيعة بجمادها وحيوانها (كما رايت فيابياته التى حن فيها الى رحلة الصحراء)، ويمنح حبه للصديق حتى ليتحمل اذاه راضيا :

ان كان سركـم ما قـال حاسـدنا
فما لجـرح اذا أرضـاكم ألـم –
خلقت ألوفا لو رجعت الى الصبـــا
لفارقت شيبى موجع القلب باكيـا

ولكنه يصطـدم بمجتمـع ارتكس بعضـه الى البـداوة ، واكتفـى بعضه الاخر بقشـود المدنيـة ، فاخـذ ينـهار مـن داخلـه بينـما كان الاعداء ينوشونه من الخارج • لهذا انحصرت عاطفته في ذاته ، وكانت حركته في ذلك المجتمع مزيجا من العداوة والحب ، من الاثرة والغيرية ، فهجاؤه لمجتمعه لا يمكن الا ان يكون صادرا عن خيبة امل في ذلك المجتمع ، وخيبة الامل لا تكون الا من قبل محبوب • لقد استحـال الحب الى ضده ، وما اكثر ما تستحيل الصفات الى اضدادها على حد قول المتنبي نفسه :

ولجدت حتى كدت تبخل حائـــلا
للمنتـهى ، ومن السـرور بكـاء

وتمجيده للابطال (وابطاله كثر ، وان احتل ، سيف الدولة الحمداني مقدمة الصورة) نتيجة طبيعية لانحصار عاطفته في ذاته ، فراى في هؤلاء الممدوحين صورة من نفسه ، وراى في كفاحهم صورا مختلفة للسعي نحو مثل اعلى من الشجاعة والجود والعدالة والعلم ، مثل اعلى عانقه في خياله ولكنه كان مستحيل التحقيق في الواقع • ومن هنا حدة شعوره بماساوية الحياة •

فمالى وللدنيا ، طلابى نجومهـــا
ومسعاى منها في شدوق الاراقـــم
اريـد مـــن زمنى ذا ان يبلغنى
ما ليس يبلغه من نفسه الزمـــن

هذه هي عقدة المتنبي • ولكنها ليست خاصة به وحده ، بل هي عقدة الانسان العربي عموما • ولعلها لا تزال عقدة الانسان العربي الى يومنـا هذا ، فنحن نحب المتنبي ونكرهه لانه يكشف لنا هذه العقـدة ، وكاننا لم نتجـاوز في تطـورنا الحضـارى عصر المتنبي • ومع ذلك فهي عقدة انسانية ايضا • فاى انسان ، في اى عصر واى مكان ، لا يشعر بالبون الهائل بين المثال والواقع ؟ ولكنه شعور استطاع المتنبي ان يجسده اكثر من غيره من شعراء الانسانية الكبار ، لانه كان بدويا عميق البداوة ، وكان في الوقت نفسه مثقفا عميق الثقافة،والبداوة في صورتها الاصيلة تشجع على التعلق بالمثل العليا لانها اقل خضوعا للضرورات التى يفرضها المجتمع المدنى • وكذلك الثقافة الصحيحة تجعـل الف الانسان للقضايا الكليـة المطلقة والاخلاق المثالية اكثر من الفه للواقـع المبتذل • ولكن البدو في عصره انحطوا الى خراب او لصوص ، والشعراء انطلقوا « يبيعون الشعر في سوق الكساد » • ولعل خاتمة حياة المتنبي كانت أبلغ صورة للتناقض بين المثال والواقع في حياته : فهذا الشاعر العبقرى الكبير السن ، الذى حاول اصـلاح الزمن ، تارة بشعره وتارة بسيفه ، انما سقط في معركة سخيفـة مع بعض الاعراب •

شكرى محمد عياد

من حقاً.. صاحب هذه الأبيات؟

بقلم : اكرم زعيتر

● فى رحلة الى المغرب ، حيث قضيت اسبوعين من تشرين الاول ، حرصت على تحقيقما اشتهر عن اثرين ادبيين وقصيدتين فلم اوفق لما ابتغيت ولعل (العربي) ، وهى مجال اقلام باحثين أجلاء ، والأصرة بين الادباء تصرح ما استبهم من شأنهما •

منذ سنوات قرات فى (العربى) مقالا للاستاذ عبد الله عنان، وهو من هو اختصاصا بالاندلسيات، تحدث فيه عن القصيدة المشهورة فى رثاء الاندلس ومطلعها :

لكل شىء اذا ماتم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان

وعزاها الى ابى الطيب . صالح الرندي ، ثم افرد مقالا مفاضا فى الموضوع فى العدد ٢٢٧ من (العربى) فعدت بذاكرتي الى الحداثة ، يوم حثني شقيقى المرحوم عادل زعيتر على حفظها وكافاني على جودة القائها ••• لم حدث ذات امسية سامرة ان سمعت استاذى اديب العربية اسعاف النشاشيبى رحمه الله يذكر تلك القصيدة الشاجنة ، وقلت له اننى احفظها ، وهى لابى البقاء صالح الرندى كما تلقنت ، فقال : «ناظمها (يحيى القرطبى)••• وشهاب الدين الخفاجى يقول فى (ريحانة الالباء) : وارسل يحيى القرطبى قصيدة نعى بها الاسلام ونادى ملوك الروم وعلماءها الاعلام ، فلم يجد بها صفيا يقول : لقد اسمعت لو ناديت حيا . وذلك فى عهد السلطان سليمان وقد اشار استاذنا النشاشيبى الى هذا فى هامش خطبة (صلاح الدين وحطين) ، تلك التى القاها فى ذكرى حطين فى حيفا سنة ١٩٣٢ ودعاها المرحوم فتحى الدين الخطيب : اسطول النشاشيبى. وقد استشهد اسعاف ببيتين من تلك القصيدة :

ماذا التقاطع فى الاسلام بينكم
وانتم يا عباد الله اخوان
الا نفوس ابيات لها همم
اما على الخير انصار واعوان؟

وكنت أعلم ان الاستاذ عنان فى الرباط ، وانه منكب لمة على تحقيقاته الاندلسية ويلازم المكتبة الملكية . ولما اعتميت تلك المكتبة واستدعى ان يقوم عليها زوجها صديقى الاديب الكاتب المؤرخ المنفى عبد الرحمن الفاسى ، واردت ان استوثى الاستاذ عنان فى تحقيق ناظم تلك المرثاة ، ولكنني

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر اصحابها في هذه القضايا ، وهم من المفكرين البارزين والمسئولين وعملا بحرية النشر ، فاننانفسح المجال لهذه الاراء كما تلقيناهـا ، بغير حـذف اوتعديل .

علمت انه غادر الرباط في مهمة قد تتصـل بالاندلسيات التى اختص بها ..

ان الاستاذ عنان قد اكد في مقاله ان الرندى هو ناظم تلك القصيدة .. ولكنه اشار الى اغفال ابن الخطيب ذكرها فى (الاحاطة في اخبار غرناطة) حين اورد للرندى فيها ترجمة ضافية .. وذكر عدة من عيون قصائده من دونها ، كما ان الرندى نفسه لم يتمر الى قصيدته هذه ولم ينشر منها شيئا فى كتابه (الوافى فى نظم القوافى) ... ثم علل ذلك باسباب تمصها من حياة الرندى والظروف التى احاطت به فى الفترة التيعاشفيها...ترى الايمكن ان نعزوهذا الاغفال الى ما سلفت منرأى الاستاذ النشاشيبى او شهاب الدين الخفاجى الذى عزاها الى يحيى القرطبى فى (ريحانة الالباء) ؟ لعـل الاستاذ عنان يجيبنا بعد البحث و لتنقيب بالقول الفصل ..

والامر الثانى الذى حرصت على تحقيقه فلـم اوفق له يتصل بالابيات التى حفظناها معزوه الى الامام محمد عبده ، وقد شرقت وغربت وسارت كل مسير ، وكان السيد رشيد رضا رواها على لسان استاذه الامام وهى :

ولسـت أبالي أن يقـال محمـد
أبـل ٌ أم اكتـظت عليـه المـآتـم
ولكنـــه ديـن أردت صلاحـــه
أحاذر أن تقضى عليه العمائم
وللنـاس آمـال يرجـون نيلهـا
اذا مت ماتت ، واضمحلت عزائـم
فيارب ان قـدرت رجعـى قريبـة
الى عالم الارواح وانفض خاتـم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا
رشيدا يضيء النهج والليـل قاتـم
يماثلني نطقـا وعلمـا وحكمـة
ويشبه مني السيف، والسيف صارم!

ويروى السيد رشيد رضا : «ولما انشدنى (اى لامام) الابيات طفق الشيخ عبدالرحيم الدمرداش يمازحه كعادته لاجل التسلية فقال له : انا اشتغل ليلاونهارا بخدمتك وتكبيس رجلك ثم توصي للسيد رشيد وتجعله خليفة لك ! ياضيعة الخدمه : »

وقد تجنى الدكتور طه حسين على الامام رشيد رضا حين زعم انها من نظمه لا من نظم استاذه..فمن عرف صاحب المنار قطع بصدق كل ما يقول وصحة كل مايروى ، فما كان رشيد رضا الا ذاك المجتهد الامين المؤتمن .

ومنذ حين روى في مجلة الاديب الشاعر المحلق ، بقية السيف من رعيل الشعر الاصيل في وادى النيل ، الاستاذ محمد عبد الغنى حسن انه قرا فى مجلة (المشرق) الصادرة فى بيروت سنة ١٩١٠ ان محررها الأب لويس شيخو اليسوعي قد عزا هذه الابياتالىشاعر مغربى هو محمد بناحمد اكنسوس او كنسوس .. وجنح الاستاذ الحسن الى الظن ان محمد عبده قد انشد هذه الأبيات في مرضـه انشادا ، مستشهدا بها لا ناظما لها ، وبذلكاراد التوفيق بين روايتي السيد رشيد والأب شيخو.. على انني تساءلت : كيف تعزى هذه الابيـات الى اكنسوس المغربي وفيها تنويه بانسيد رشيد نفسه ؟ ومن هو اكنسوس الذى يريد صلاح الدين مخافة ان تقضي عليه العمائم ؟ وهل يمكن ان يكون هذا النفس الشعرى الا نفس قريع لمحمد عبده ؟ والى م استند شيخو فى عزو هذهالابيات

الذائعة الشائعة الى كنسوس من دون الامام محمد عبده ؟ . ورحت اقرأ عن اكنسوس او كنسوس ، وسألت بعض ادباء المغرب ومتادبيه عنه ، فما روى احد على لسانه تلك الأبيات .. كلا ، بل ان منهم من يحفظها ويعزوها الى الامام محمد عبده، شأنه في هذا شأننا معشر المشارقة .. وقرأت ما قاله العالم المغربي الصديق الاستاذ عبد الله كنون وما اقتبسته من شعره في كتابه (النبوغ المغربي في الادب العربي) . ومجمل رأيه في محمد اكنسوس انه علامة ، مؤرخ ، اديب متفنن ، صاحب كتاب (الجيش العرمرم الخماسي في دولة اولاد مولانا علي السجلماسي) وانه انفرد بالرياسة الادبية في عصره ، كتابته عالية ، وشعره من السهل الممتنع مع تضلعه من علوم الشريعة اما ما قاله الزركلي في (الاعلام) عن كنسوس فلا يعدو كونه وزيرا من الكتاب ، وله كتاب الجيش العرمرم في دولة الاشراف العلويين في المغرب ، و (الحلل الزنجفورية في اجوبة الاسئلة الطيفورية) » .. ولم اوفق في المغرب للقاء الاستاذ الحجة عبدالله كنون الا في المطار اذ كان يهم بركوب الطائرة الى مصر لحضور مؤتمر العلماء وانا اهم بركوب اخرى عائدا الى بيروت ... ولم اظفر بما يطمئن اليه خاطري من عزو رثاء الاندلس فكان التسليم وداعا ثم جئت بيروت من دون ان اظفر بما يطمئن اليه خاطري من عزو رثاء الاندلس الى الرندي وعزو تلك الابيات الى اكنسوس .

وليس (كالعربي) مجال لاقلام الباحثين في هذين الامرين .. واراني اترقب ما يشفي الغليل من المغرب عالما بان المغاربة كثيرا ما يعلمون عن المشارقة اكثر مما يعلم المشارقة عنهم، ولعل (العربي) بما تنشر من بحوث للمغاربة وعنهم تسهم في ازالة هذا التفاوت مشكورة مذكورة . ■■

بيروت ـ اكرم زعيتر

نحو .. مؤتمر عربي للطاقة

بقلم : الدكتور محمود امين

الأمين العام المساعد « للاوبك » العربية

■ تتزايد الحاجة بمضي الوقت لكي يسمع المجتمع الصاعد كلمة منتجي الطاقة ، بعد ان استمع كثيرا لوجهة نظر الطرف الاخر ـ المستهلكون ـ وقد كانت آخر المناسبات التي ارتفع فيها صوت المستهلكين هي مؤتمر الطاقة العالمي الذي انعقد في اسطنبول خلال شهر سبتمبر الماضي . وكانت خلاصة مناقشاته وأعماله ان الدول الصناعية المستهلكة للطاقة تريد ان تبلغ منتجي البترول رسالة تقول فيها:

١ ـ انها تبذل جهدا كبيرا لتقييد استهلاك الطاقة وخاصة النفط مع المحافظة على مستوى النمو الاقتصادي لشعوبها وذلك بتطبيق قواعد الحفاظ على الطاقة Energy Conservation بعد ان تبين لها ان الاسراف في استهلاك الطاقة

قد بلغ مداه حتى ان معدل استهلاك الفرد في دولة كامريكا قد بلغ ضعف معدل ما يستهلكه الفرد في المانيا الغربية مثلا ، برغم انهما يعيشان في نفس المستوى الاقتصادى وبعد ان تبين لها ايضا ان العالم يستطيع ان يستهلك نصف ما يستهلكه حاليا اذا ما احسن استخدام الطاقة ولكن ذلك يحتاج الى وقت ، اذا ما طبق العالم قواعد الحفاظ على الطاقة فانه يستطيع اقتصاد ١٠٪ من الطاقة المستهلكة حتى عام ١٩٨٥ ويقتصد ٣٥٪ حتى عام ٢٠٠٠ ويقتصد ٤٨٪ حتى عام ٢٠٢٠ ومع كل ذلك فان استهلاك العالم من الطاقة سوف يبلغ في ذلك الوقت ثلاثة او اربعة امثال ما يستهلكه حاليا .

٢ ـ وان الدول الصناعية المستهلكة للطاقة تحاول تحريك موارد البترول المعطلة سواء ما يوجد منها في الحقول المكتشفة بزيادة معدلات استخلاص البترول منها او بالكشف عن الحقول الجديدة التى لم تكتشف بعد في المناطق القطبية والمناطق المغمورة تحت المياه العميقة او باستخلاص البترول المختزن في صخور القار الرملية والطينية والتى توجد بكميات هائلة في كندا وامريكا . وكذلك تحاول الدول الصناعية المستهلكة للطاقة ايضا تحريك موارد الطاقة البديلة للبترول كالفحم والطاقة النووية وغيرها التى تتوافر بكميات وفيرة في هذه الدول بالذات ولكن تطوير طرق استخراج الفحم وتحويله الى غازات صالحة للاستهلاك وكذلك الكشف عن موارد اليورانيوم الذى يعوق بناء المزيد من المفاعلات الذرية وكل ذلك يحتاج الى الوقت والمال .

٣ ـ لذلك تطلب الدول الصناعية المستهلكة للطاقة من دول البترول اعطاءها الوقت الكافى لتطوير ما لديها من موارد بديلة وان تضع خلال ذلك الوقت ما لديها من بترول تحت تصرفها لحين ما تنتهى من ذلك وان لا تقيد انتاجها من البترول لكى لا تتحرك اسعار السوق ضدها كما لا تتوقع منها رفع اسعار البترول لكى لا تضطر ان تدفع لها اموالا اضافية تحتاج اليها لتطوير الموارد المنافسة للبترول .

٤ ـ واخيرا تطلب الدول الصناعية المستهلكة للطاقة من دول البترول ان لاتخشى على مواردها من تحرك الموارد البديلة لان البترول سوف يظل القوى المحركة لوسائل المواصلات « السيارات والطائرات » وفي تغذية مصانع البتروكيميائيات.

وجهة النظر الاخرى

هذا هو منطق الدول الصناعية المستهلكة للطاقة وتصورها لما يجب ان يكون عليه مستقبل الطاقة في العالم وهو منطق يتفق مع مصالحها ولكنه يختلف كثيرا عن منطق دول البترول التى ترى للموضوع وجها آخر يتلخص فيما يلى : ـ

١ ـ ان مستهلكى الطاقة في الدول الصناعية يواجهون الان نتائج سياسة الخفض المصطنع لاسعار البترول التى فرضوها على منتجى البترول منذ الخمسينات لبناء الاقتصاد الاوروبى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ولرفع معدلات النمو الاقتصادى للدول الصناعية على حساب منتجى البترول ، هذه السياسة ظهرت لها الاعراض الاتية خلال الستينات :

ـ الاسراف غير العادى في استهلاك البترول وهو ما يحاول المستهلكون الان معالجته باسلوب الحفاظ على الطاقة اى انه علاج لاعراض سياسة الخفض المصطنع لاسعار البترول .

ـ اهمال تطوير مصادر الطاقة البديلة للبترول كالفحم والطاقة النووية والشمسية وغيرها برغم توافرها بكميات تفوق ما يوجد من البترول وهو ما يحاول المستهلكون الصناعيون معالجته بتحريك هذه الموارد باسرع ما يمكن وهو ايضا علاج لاعراض سياسة الخفض المصطنع لاسعار البترول.

قضايا حيوية

ومعنى ذلك ان ما تشكو منه الدول الصناعية المستهلكة للطاقة هو في الواقع اعراض متعددة لما احدثته سياسة الخفض المصطنع لاسعار البترول. وعلى ذلك فان العلاج الفعال لا يكون بمعالجة الاعراض وانما يكون بعلاج صلب المشكلة واستئصالها من جذورها بتصحيح اسعار البترول وهو ما بداه المنتجون فعلا في عام ١٩٧٤ والذي لا بد من استكماله بربط اسعار البترول باسعار موارد الطاقة البديلة التي يحاول العالم تحريكها وذلك على اساس ما يعطيه كل مورد منها من طاقة حرارية (Btu's) فالطاقة الحرارية في طن البترول تساوي الطاقة الحرارية في ٣ر١ طن من الفحم وبذلك يكون سعر طن البترول مساويا لسعر هذا القدر من الفحم ، وهكذا بالنسبة للطاقة النووية مثلا •

عندئذ فقط سوف تتحرك العوامل الطبيعية لاعادة التوازن الذي اختل بالخفض المصطنع لاسعار البترول والذي تسبب في هدر الطاقة وعدم تحريك موارد البترول المعطلة والبديلة له منذ الخمسينات •

فالحفاظ على الطاقة لا يتحقق بمجرد الارشاد والتوجيه طالما كانت كلفة الطاقة تقل عن تكلفة استخدام المواد العازلة في المباني او عندما تكون كلفة الطاقة اقل من تكلفة رفع كفاءة السيارات والادوات الكهربائية والماكينات التي تستهلك هذه الطاقة ، فاذا ما ارتفعت قيمة الطاقة تحركت الحوافز الطبيعية للمحافظة عليها وهو ما تسعى اليه الدول الصناعية المستهلكة للطاقة •

والكشف عن الحقول التي لم تكتشف بعد في المناطق القطبية او تحت المناطق المغمورة بالمياه العميقة التي يزيد عمقها على ٢٠٠ متر تحتاج الى اجهزة خاصة ذات تكلفة عالية تفوق بكثير تكلفة اجهزة الكشف والحفر المعروفة حاليا • واقدام الشركات على تطوير هذه الاجهزة واقتنائها وتشغيلها للكشف عن هذه الحقول لا يتحقق الا اذا تاكدت هذه الشركات من امكانية بيع البترول باسعار تعوضها ما تنفقه على هذه العمليات •

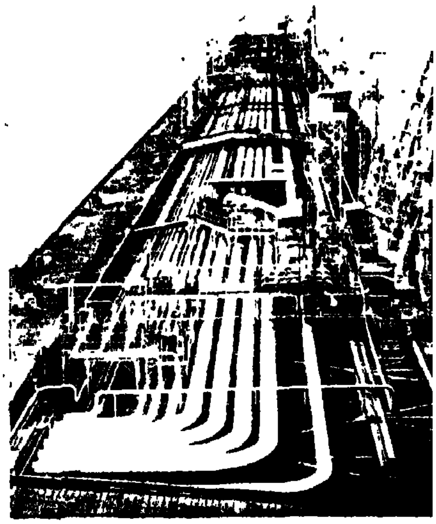
واستخلاص المزيد من البترول المكتشف في الحقول الحالية التي لا تنتج اكثر من ٢٥٪ من المخزون بها يحتاج الى تطبيق طرق الاستخلاص الثانوي والثالثي لزيادة هذا المعدل وهي طرق مرتفعة التكلفة واقدام الشركات والمؤسسات على استخدامها يتوقف على امكانية بيع البترول ... باسعار تفوق الاسعار العالية لتسترد ما تنفق •

وتطوير الموارد البديلة للبترول من الفحم او البترول المستخلص من صخور القار الرمل والطينية يحتاج الى استثمارات هائلة تبلغ بلايين الدولارات وتحتاج الى تشغيل عدد كبير جدا من العمال • والشركات والمؤسسات لا تستثمر اموالها في هذه المشروعات قبل ان تتاكد من امكانية بيع انتاجها بما يناسب استثمارها •

فكيف يمكن ان يتحقق كل ذلك مع وجود بترول يباع في الاسواق باسعار تقل عن ما تنتجه هذه العمليات ومن ثم يصبح ربط اسعار البترول باسعار ما تنتجه هذه العمليات امرا ضروريا لتحريكها وبدون هذا الربط سوف تظل هذه المحاولات غير قابلة للتنفيذ •

البترول وبدائله

٢ ـ ومما لا شك فيه ان ربط اسعار البترول المكتشف باسعار بدائله سوف يؤدي الى رفع اسعاره العالية ويؤثر على معدلات النمو الاقتصادي للدول المستهلكة للطاقة ، ولكن من الممكن التخفيف من هذه الاثار بان يتدرج هذا الربط على فترة زمنية ـ خمس عشر سنوات مثلا ـ ليصل خلالها سعر البترول الموجود حاليا الى سعر بدائله وبذلك يتدرج التاثير على النمو الاقتصادي



فصندما تضاعفت اسعار البترول اربعة مرات فى عام ١٩٧٤ تأثر النمو الاقتصادى خلال عامى ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ولكنه بدا يستعيد معدلاته تدريجيا من عام ١٩٧٦ ، ومعنى ذلك ان العبرة هى بالتدرج فى الارتفاع وهذا ما يمكن التحكم فيه بسرعة رفع اسعار البترول الى اسعار بدائله خلال فترة زمنية معقولة •

٣ ـ ان الاثار الاقتصادية لتصحيح اسعار البترول وربطها باسعار البدائل سوف تقع فعلا على الدول النامية غير المنتجة للبترول وهو ما يحتاج بالفعل الى جهد الدول الصناعية والدول المنتجة للبترول التى عليها ان تتعاون فى تدعيم هذه الدول النامية وهى دول لاتستهلك فى الواقع سوى ١٥٪ من الطاقة حاليا فى حين تستهلك الدول الصناعية ٨٥٪ من الطاقة هذا فى الوقت الحاضر ولا ينتظر ان يتجاوز استهلاكها على المدى البعيد اكثر من ٢٥٪ من اجمالى الاستهلاك العالمى •

مؤتمر عربى للطاقة

ان ما قيل فى مؤتمر الطاقة العالمى والذى انعقد فى اسطنبول يقال فى العديد من مؤتمرات وندوات الطاقة التى تنعقد من وقت لاخر فى مختلف ارجاء العالم وما اكثرها • وفى هذه المؤتمرات يتغلب صوت الدول الصناعية المستهلكة للطاقة تبعا للطريقة التى يتم بها المؤتمر ولنوعية الموضوعات المطروحة ونوع البحوث التى يتم اختيارها والمتحدثين بها • مما لا يتيح الفرصة لاظهار صوت منتجى الطاقة الا فى اضيق الحدود، وخاصة ان الدول المنتجين هم دول نامية ليست لها قدرة الدول الصناعية فى اعداد الدراسات والبحوث ، ولكن هذا الوضع بدا يتغير بعض الشىء بدخول بعض الدول الصناعية حلبة منتجى النفط وفى مقدمتها النرويج ، وقريبا تدخل بريطانيا ذاتها بعد ان تجاوز انتاج بحر الشمال المليون برميل يوميا • ولذلك بدات النرويج تتحدث عن البترول وضرورة رفع اسعاره حتى يمكن الاستمرار فى انتاج بترول بحر الشمال وبدون ذلك سوف ينكمش هذا الانتاج • وكذلك كندا بدات تثير اهمية رفع اسعار البترول حتى يمكنها انتاج النفط الصناعى الذى تستخرجه من رمال القار الذى يحتاج الى اموال طائلة للاستثمار وللتشغيل ويحتاج ايضا الى عدد كبير من العاملين ، ولكن ما تموله النرويج وما تقوله كندا لا يزال بصوت خافت لا يكاد يظهر بوضوح وسط اصوات الدول الصناعية المستهلكة للطاقة•

ومن هذا يتبين حاجة « منتجى الطاقة » الى مؤتمرات ينظمونها لابراز تفكيرهم ومنطقهم ولعل الخطوة التى تبداها الان منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول فى عقد « مؤتمر عربى للطاقة » خطوة طيبة فى هذا الاتجاه حيث تقترح عقد هذا المؤتمر فى مارس ١٩٧٩ لمناقشة قضايا الطاقة من وجهة النظر العربية • ■■

الكويت ـ محمود أمين

« هذه الاضافات لا نحتاج اليها في لغتنا لعجزها عن التعبير عما هو عربى ، بـل نحتاجهـا لاداء الفاظ اجنبية اداء صحيحا . »

دعـوة .. لإعادة النظر فى الحروف العربيـة

بقلم : الدكتور احسان حقى

■ على اثـر اتخاذ كمال اتـاتورك الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية لكتابة اللغة التركية العثمانية قام فريق من العرب يدعو الى الاقتداء بالكمالية وابدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية فى كتابة اللغة العربية وادلوا باقوال كثيرة قدموها بين يدى دعواهم حججا لتبرير هذا التبديل ولبيان فوائده ، فتصدى لهؤلاء فريق من العلماء وبينوا خطل هذا الراى وان القضية لاتقف عند حد ابدال حرف بحرف بل انها تعنى القضاء على مدنية عريقة وثقافة عالية وتراث ثمين وتاريخ عظيم وامجاد وافكار ظلت تعتلج فى مصنع الدهر مئات السنين ، وان تغيير حرف بحرف لا يهدم هذا التراث بل انه يهدم الدين الاسلامى من اساسه اذ انه يبعد المسلمين عن قرانهم وعن مكتبتهم الغنية التى مضى على العمل فى تكوينها اربعة عشر قرنا وترجع الى ما لا يقل عن ثلاثة الاف سنة ، وابعاد المسلمين عن مكتبتهم يبعدهم عن علوم وفنون وافكار وامجاد كثيرة لا يقام عليها ثمن ولا يمكن ان تعوض لانها ثروة اقوام اسلامية كثيرة خاضت خضم الحياة من جميع نواحيه واخرجت منه افضل ما اوجدته القرائح من كنوز .

وادرك الذين خدعوا بهذه الفكرة وحسبوهـا تقدمـا انهـا ليسـت تقدمـا بـل هـى تاخر وهـدم ورجوع الـى الـوراء وانـها تنطوى على مؤامرة بعيدة الاغوار للقضاء على المجتمع الاسلامى فكرا وثقافة وتاريخا وامجادا والقضاء على كل مقومات المسلمين لكى يبداوا حياتهم من الصفر، فلما ادركوا هذه الحقيقة نزعوا عن التمادى فى هذه الدعوة وطفئت جذوتها قبل ان تبلغ مبلغ الجد ويدعمها انصار جديون فذبلت بعد ان ادرك الجميع اخطارها وما كان يريد الذين اوحوا بها من مآرب واصبحت الفكرة نسيا منسيا ولكن شخصا واحدا لبنانيا من دعاة التبشير ما زال حتى يومنا هذا يحمل لواء هذه الدعوة ولا يكتفى باحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية بل انه يدعو الى اهمال اللغة العربية الفصحى واتخاذ اللهجـة

اللبنانية لغة وهو ينشر كراريس صغيرة بالحروف اللاتينية واللهجة اللبنانية ويوزعها مجانا فلا يقرؤها احد .

حتى ننطق الكلمات صحيحة

واذا كان قد ثبت بان الحروف العربية هي خير حروف تلائم اللغة العربية وان هذه الحروف هي اجمل حروف كل اللغات العالمية شرقا وغربا وانها اسهلها على الاطلاق وافضلها لراحة العين فان الذى لا يسع انكاره هو انها اصبحت ، بعد ان اختلط العرب بكثير من الاقوام ، بحاجة الى بعض الاصوات الاضافية لكي تفي بنقل الالفاظ الاعجمية الى اللغة العربية نقلا صحيحا يساعد على التلفظ بها على الوجه السليم كما يلفظها اهلها . وقد سبق للناطقين باللغات التركية واللغة الفارسية والشركسية والاندونيسية وغيرها ان اضافوا الى الهجائية العربية ما ينقصهم من اصوات (حروف) لكي يستطيعوا ان يلفظوا الفاظ لغتهم على وجهها السليم.والحروف التى اضافها الايرانيون والاتراك هى پ.چ.ژ.گ، واما اصحاب اللغة الاردية ،وهى لغة اهل شبه الجزيرة الهندية الباكستانية فقد اضافوا الى حروف اللغة العربية عشرين حرفا بحيث اصبحت الهجائية الاردية تستوعب الفاظ امهات اللغات الهندية الباكستانية من سنسكريتية وبنغالية وبنجابية كما انها تستوعب الفاظ كل اللغات الاوروبية اذ اصبح لكل من : البـاء والتاء والجيم والدال والراء اربعةاصواتولكلمن الزاء والسين والكاف والقاف والياء صوتان فصار باستطاعة الباكستانى ان يكتب بالحروف العربية اى لفظ اجنبى وان يلفظه على وجهه ، كما يلفظه اهله ، سواء اكان هذا شرقيا ام غربيا .

فاذا اضفنا ، نحن العرب ، هذه الاضافات على الهجائية العربية صرنا نكتب باكستان وبنجاب وباريس وغيرها بالباء المثلثة ونلفظها لفظا صحيحا ومثلها حرف الجيم المثلثة التى تلفظ (تش)فاذا اتخذنا هذه الجيم فلا نكتب بعدها كراتشى وتشرشل وتشندرناغور بلنكتب گراچى.چرچل وچندرناگور، وباضافة حرف(گ) الذىيلفظ gua لا نكتب،بعدها ، غاندى وغبريل وغراهام ونلفظها لفظا محرفا بل نكتبها گاندهىگبريل وگراهامونلفظها لفظا سليما. واهل الشمال الافريقى يكتبون القاف بثلاث نقاط ويلفظونها Gua مثل ڨابس وبالاضافة الى هـذه الاضافات يجب ايجاد صوتللV فاما ان يكون فاء بثلاث نقاط او يكون واوا بثلاث نقاط فوقهـا وحينذاك لا نكتـب فينيسيـا وفينـا وفيكتوريـاـ بل نكتبهـا بالفـاء المثلثـــة ونلفظهـا لفظـا صحيحا . اما الياء الخفيفة فهى لا توجد الا فى اللغة الاردية فهم يكتبون الياء بهذا الشكل (ى) لفظوها كما يلفظ الافرنسيون حرف I فى كلمة Iit وكما يلفظ الانكليز ee فى كلمة Need . واذا كتبوا الياء بهذا الشكل (ے) لفظوها ياء مخففة مثل lait بالافرنسية و Day بالانكليزية .

وهذه الاضافات تساعد على كتابة كل الاسماء العَلَمية الاجنبية ولفظها على وجهها ، فكلمة Ve-ndée وهى ولاية افرنسية ، لا نستطيع ان نلفظها لفظا صحيحا الا اذا كتبناها بالياء الخفيفة هكذا: (فندے) .

ليس عيبا ولا عجزا

وليس فى هذه الاضافات ما يعيب لغتنا لان هذه الاضافات لا نحتاجاليها فىلغتنا لعجزها عنالتعبير عما هو عربى بل نحتاجها لاداء الفاظ اجنبيـة اداء صحيحا ، وقد سبقنا الاوروبيون الى ذلـك واضافوا نقاطا على حروفهم اللاتينية او اضافوا

حروفها احدهما الى الآخر وجعلوا منهما صوتاً واحداً لكي يلفظوا الحاء والخاء والذال والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف ، وهذه كلها حروف لا توجد في اكثر اللغات الغربية ، وهم وان كانوا لا يستعملون هذه الاضافات في حياتهم اليومية ولا يعرفها عامة الناس بل حتى مثقفوهم ويستعملونها في الميدان العلمي اذ حينما يكتب احدهم اطروحة فانه اذا كتب ابن بطوطة او البوصيري او ابن حزم فانه يكتب الظاء والصاد والحاء بالطريقة العلمية بحيث يستطيع العلماء ان يميزوا الحرف المقصود بسهولة فلا تختلط عليهم الظاء بالثاء ولا الصاد بالسين ولا الحاء بالهاء .

واما في الحياة اليومية فقد حرف الغربيون او شوهوا بعض او اكثر الاسماء العلمية العربية واخترعوا لها اسماء على هواهم وتختلف من قوم الى قوم فقد سمى الافرنسيون دمشق Dama وسماها الانكليز Damascus وسمى الافرنسيون القاهرة Le caire وسماها الانكليز Cairo وسمى الافرنسيون عكا Acre وسماها الانكليز Acca وهلم جرا ولذا فهم ليسوا بحاجة ان يلفظوا هذه الالفاظ كما يلفظها اهل اللغة بل يلفظونها كما اخترعوها .

وحيث اننا اصبحنا بعد اختلاطنا بالاجانب ، نشعر بالحاجة الى هذه الاصوات الاضافية فحبذا لو كانت مجامعنا العلمية تتفق على اشكالها حتى لا نبقى نعاني هذا النقص او يخترع كل بلد ما يراه على هواه.ونحن ، على كل حال،لا نحتاج الى اكثر من اضافة نقاط على بعض الحروف لكي تفيدكل ما نحتاج اليه من اصوات اضافية.وبالتالي فالقضية سهلة وكثير من الكتاب اصبحوا ، اقتداء باللغة التركية ، يستعملون بعض هذه الاضافات ولكنها ليست عامة ولا يفهمها كل الناس ولذا فلا بد من ضبط هذه القواعد وتعميمها .

دمشق — احسان حقي

مؤتمر علماء المسلمين والذين يحرثون في الأرض !!

بقلم : محمد عبد الله السمان

المؤتمر الاخير لعلماء المسلمين ، والذى دعا اليه مجمع البحوث الاسلامية بالازهر يثير اكثر من تساؤل . فقد أنعقد المؤتمر الاول عام ١٩٦٤ ، ثم تـوالى انعقـاد المؤتمرات ، حتى كان المؤتمر السابع عام ١٩٧٢ ، ثم كان هذا المؤتمر الثامن الذى انعقد في اكتوبر الماضى ، وقد قدر لى ان اشهد عن كثب المؤتمرين الاول والثاني، ثم المؤتمر السابـع ، وأن التقى بمعظـم الوفود التى جاءت من اقصى بلاد المعمورة تضم الكثيرين من الشخصيات الاسلامية ، التي لها وجود مذكور في محيطها .

واذكر انني كتبت مقالا ـ في مجلة الرسالة ـ قبيل انعقاد المؤتمر الثاني ، ذكرت فيه اعضاء المؤتمر « الموقرين » بما اتخذوه في المؤتمر الاول من قرارات وتوصيات ، والتي لم ينفذ منها شيء على الاطلاق ، وجاء ان يناقشوا اسباب التعويق اولا، قبل ان يصدروا قرارات وتوصيات جديدة ، سوف يكون مصيرها نفس المصير لاخوات لها من قبل، فاذا هم لم يفعلوا شيئا، وواصلوا القرارات والتوصيات كانوا هم ومن يحرثون في البحر سواء .. !

وذهب كلامي وكلام غيري ادراج الرياح، وصدرت القرارات والتوصيات بعد ذلك في المؤتمرات : الثاني والثالث حتى السابع .. انشائية مكررة، وانفعالية متطرفة ، ولم تحقق شيئا يذكر لا للاسلام وقضاياه، ولا للشعوب المسلمة ومشكلاتها.

* في افتتاح المؤتمر الاول قال الدكتور محمد البهي وزير الاوقاف وشئون الازهر يومئذ : «ان مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية في دورته الحاضرة سيواجه كثيرا من المشاكل والقضايا والاحداث والتطورات .. سيواجهها مطلوبا منه ان يتناولها بالبحث والدراسة . ويستخلص من ذلك الراي الاسلامي الواضح ، حتى يعود الاتصال من جديد بين حياة المسلمين في سيرها العملي ، ومبادئ الاسلام في رعايتها لتوجيه الانسان وجهة سليمة تحفظ عليه حياته ، وتقيه من عوامل الضعف »

للاستهلاك المحلي

ويبدو ان السادة اعضاء المؤتمر قد فهموا ان مثل هذا الكلام الصادر عن مسئول هو مجرد لون من الاستهلاك ولذلك اكتفوا بان يجيدوا الاستماع. وجاء بيانهم وقراراتهم وتوصياتهم في نهاية المؤتمر صورة من صور الاستهلاك ايضا جاء في بيانهم : ان الدين عند الله الاسلام .. والاسلام عقيدة وشريعة .. واساس الشريعة هو الكتاب والسنة .. كان انشاء مجمع البحوث الاسلامية ليكون هو الهيئة العليا ، وليقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث .. وليعمل على تجديد الثقافة الاسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب ، وتجليتها في جوهرها الاصيل الخالص .. وليتتبع ما ينشر عن الاسلام والتراث الاسلامي من بحوث ودراسات .. وليبدي الراي فيما يجد من مشكلات مذهبية او اجتماعية تتصل بالعقيدة .. وقد انتهت المرحلة الاولى من ذلك المؤتمر بطائفة من التوصيات تكون جزءا من خطة العمل للمجمع في مستقبل نشاطه .. وقد استشعر اعضاء المجمع مسئولياتهم الكاملة ، لمواجهة هذه المشكلات ، وتقع في اطار اربعة عناصر رئيسية : مقاومة العدو المشترك للاسلام والمسلمين ـ تجريد الاسلام مما علق به من الفضول والشوائب ، تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين على اساس اسلامي سليم ـ ثم العمل على توحيد كلمة المسلمين ومحو اسباب التقاطع بينهم ، وازالة اسباب الخلافات المذهبية ..

واذا نحن استعرضنا سائر التوصيات والقرارات التي صدرت من خلال المؤتمرات السبعة الماضية ، لا نكاد نلمس فيها لا شيئا جادا ، ولا شيئا جديدا فيها تجديد في الصياغة اللفظية ، وفيها جمود في التفكير ، فيها حملة شعواء على الصهيونية والاستعمار ، وفيها رخاوة مخجلة بالنسبة لبعض الانظمة في البلاد الاسلامية ، والتي تعاني منها شعوبها اروع مما كانت تعانيه من الاستعمار في فورة طغيانه ، ونحن لا نجادل في ان التوصيات والقرارات ليست ملزمة للدول الممثلة في المؤتمر، ومؤدى ذلك ان المسالة لم تزد على كونها حبرا على ورق ، وان الهدف اليتيم الذي يمكن تحقيقه هو الدعاية المؤقتة لا اكثر . اما ما يمكن ان نناقشه في هدوء ، فهي القرارات والتوصيات التي القيت على عاتق المؤتمر نفسه ، ومجمع البحوث الاسلامية

ذاته ، والتى نعتقد انه ليس ثمة ما يدعو الى الاعتراض او المماطلة والارجاء ..

فمثلا : تجريد الاسلام مما علق به من الفضول والشوائب – اقر هذا فى المؤتمر الاول – ومثلا : العمل على وضع موسوعة مفهرسة للاحاديث النبوية ، تتولى تحقيقها لجنة خاصة ، حتى يكون رجوع الناس الى المصدر الثانى فى الاسلام ، امرا مامونا وميسرا – المؤتمر الثالث – هذا وقد طلب المؤتمر الى مجمع البحوث ايضا ، ان يعمل على جمع الاحاديث التى قد يظن ان ظاهرها غير مراد ، وعلى تحقيقها ، وذلك عن طريق البحث فى اسانيدها والنظر فى متونها ، وفق ما وضعه علماء الحديث لذلك من اسس وموازين كفيلة بتوضيح درجتها ، ثم يعمل على شرحها .. هذا بالاضافة الى توصيات كثيرة ، منها : اعداد جيل كامل واسع الثقافة من رجال الدين – وليس فى الاسلام رجال دين – يتولون تهذيب الشباب وقيادتهم على الاساس التربوى السليم ، ومنها : العمل على تكوين هيئة دائمة تحمل مسئولية التعريف بالاسلام ، واحياء التراث الاسلامى ..

مثل هذه التوصيات والقرارات القيت على عاتق المؤتمر ومجمع البحوث الاسلامية ، وحتى الان لم ينفذ منها شىء لان المسالة – كما ذكرت – ليست الا من قبيل الاستهلاك ، ومما هو مثير للاسى ، ما ورد ضمن قرارات المؤتمر الثانى – مايو ١٩٦٥ م – بشان التامينات التى تقوم بها الشركات ايا كان نوعها ووضعها ، ومنها التامين على الحياة وما فى حكمه ، مع الوقوف – قبل ابداء الرأى – على آراء علماء المسلمين فى جميع الاقطار الاسلامية بالقدر المستطاع .. ومضى عام ، وفى المؤتمر الثالث – اكتوبر ١٩٦٦ م – قرر المؤتمر للمرة الثانية ان يستمر المجمع فى استكمال دراسته فيما يتعلق بالتامين ، وان يستمر فى الوقوف على اراء علماء المسلمين فى الاقطار الاسلامية بالقدر المستطاع .. والتزم المؤتمر الصمت حتى المؤتمر السابع ١٩٧٢م حيث اوصى المؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بان يستكمل دراسة ما كان موضوعا امام المؤتمر عن موضوع التامين ، وشهادات الاستثمار ، و لايداع فى صناديق الادخار ، ويعلن رايه للعالم الاسلامى ، ولم يستجب المجمع ، وجاء المؤتمر الثامن فى اكتوبر الماضى ، ولم يشر فيه الى هذه المسالة المعلقة من قريب او بعيد ..

حتى تحرير فلسطين !

ومما اذكره جيدا ، ان استاذنا الشيخ على الخفيف القى – فى المؤتمر السابع ١٩٧٢ – بحثا مستفيضا حول هذا الموضوع اجاز فيه التامين وشهادات الاستثمار وغيرهما ، وتصدى له المرحوم الشيخ محمد ابو زهرة معارضا بعنف . وكان ان احيل الموضوع برمته فى الفترة الثانية من نفس المؤتمر المخصصة للدراسة ، ولم يصدر – راى حاسم – والسبب ان المؤتمر والمجمع آثرا الايؤيدا الشيخ الخفيف خشية الشيخ ابى الزهرة ، والا يؤيدا الشيخ ابا زهرة خشية المسئولين ، واعتقد ان وفاة الشيخ ابى الزهرة رحمه الله – قد تيسر للمجمع ان يعلن رأيه ..

* لقد كنا نتوقع عند انشاء مجمع البحوث الاسلامية – ان تكون له شخصية مستقلة بعض الاستقلال – لا الاستقلال كله ، بل كنا نطمع – على الاقل – فى ان يكون مؤتمر علماء المسلمين الذى يدعو اليه المجمع كل حين ، له شخصية المحافظة ولاقول المستقلة ، فلا يتحول الى وسيلة اعلامية لمجريات الاحداث السياسية ، ويصدر قرارات وتوصيات وهو واثق من انها فقاقيع فى الهواء ، ولا يجوز ان يكون هوى هذا المؤتمر تبعا لظروف دولة حتى ولو كانت الدولة المضيفة . فمثلا لم يحدث على مدى المؤتمرات السبعة الماضية ورود

لفظة .. الشيوعية «الماركسية» أما فى المؤتمر الاخير ، فقد احتلت .. الماركسية مكانا فسيحا فى توصياته ، وفى المؤتمرات السابقة ايضا ، كان حماس المؤتمر بالنسبة لاسرائيل والتنديد بها بالغا نهايته ، أما فى المؤتمر الاخير فقد جاءت التوصية بالجهاد من اجل تحرير فلسطين هادئة ليس فيها شيء من الانفعال ..ولو قدر للمؤتمر ان يتاخر انعقاده شهرا لارتدت التوصية بشان فلسطين ثوبا آخر .. ليس المهم هنا ان يكون المؤتمر مصيبا فى سلوكه او غير مصيب ، بل المهم هو ان تصدر قراراته وتوصياته نابعة من ذاته غير متاثرة باى هوى سياسى ، حتى لا تكون موضع غمز ولمز ، وحتى يكون لها لدى البعض شيء من التقدير والاحترام ..

* ان اهتمام المؤتمر فى توصياته يجب ان يكون فى اطار مهمته الاساسية ، التى أشار اليها البيان الاول الذى صدر بمناسبة انعقاد اول مؤتمر لعلماء المسلمين ، وسبقت الاشارة اليه ، هذه المهمة التى تجاهلها سائر المؤتمرات واقعا لا شكلا ، ولم يخط نحو تحقيقها خطوة عملية واحدة ،ولقد اجاد استاذنا المرحوم احمد حسن الزيات فى مقال له كتبه فى مجلة « الازهر » بمناسبة انعقاد المؤتمر الاول لعلماء المسلمين عام ١٩٦٤ ــ كتبه ــ وهو يحسن الظن بالعلماء الذين جاءوا من اقصى البلاد وعبر فيه عما يجيش بصدر كل مسلم من امل منشود فى مجمع البحوث الاسلامية ، اشار انى ان تطور الازهر قد سن فيه انشاء مجمع علمى للبحوث الاسلامية ، يمثل امة محمد فى علمائها من كل بلد ، ويقف من اولاتها موقف العلم فى كل سبيل، ويحرر الفكر الاسلامى من التقليد الاعمى والتسليم العاجز ، ويطهر السنة المحمدية من الاحاديث المكذوبة ، والاقوال المشوبة ، ويطور الشريعة فى حدود ما أنزل الله وبلغ الرسول ، وينقى العقيدة من المذاهب الباطلة والبدع الضارة ، وينشر الاسلام الصادق الصافى على الناس فى معرض واضح ومظهر جاذب ، ومنهج قويم ، ثم قال : وفى ضوء هذا المنهج الذى رسم لمجمع البحوث الاسلامية يحدونا الامل فى ان يرى المجمع رايه الفصل فى هذه الامور الثلاثة ، التى اعوزتنا ، فشوه عوزها العقيدة ، وفرق الوحدة ، وعوق الدعوة ، وهذه الامور الثلاثة ، هى : تنقية العقيدة ، وتنقية الشريعة ، وفتح باب الاجتهاد.. ثم يرى الاستاذ الزيات بعد ذلك : ان ايسر السبل الى الاصلاح ، وادناها من النجاح ، أن ينظر مجمع البحوث الاسلامية فى التراث الاسلامى المتفرق المشوش ، فيجمعه فى ثلاثة مراجع : مرجع للتفسير ، تشرح فيه الايات الكريمة على ضوء الروايات الصحيحة والعلم الثابت ، ومرجع للحديث يدون به ما لا ريب فيه من الكتب الصحاح ، ويستعان على شرحه بعلوم التاريخ والاجتماع والاخلاق والفلسفة ، ومرجع للفقه ، يشمل ما تواتر من الاحكام ، وما صح من المذاهب وسلم من الاراء .. وقال الاستاذ الزيات فى نهاية المقال : ان مجمع البحوث اذا فعل ذلك ، وهو حرى ان يفعله ــ طهر شريعة الله من سموم البدع ، ونقاها من شوائب الفرق والشيع، وجعلها صالحة لان يردها الناس صافية كقطرة المزن ، خالصة كفطرة الله .

* وبعد .. فقد مضى على انشاء مجمع البحوث الاسلامية اكثر من ستة عاما نسى خلالها مهمته الاصيلة ، وقد عقدنا الامل فى مؤتمر علماء المسلمين لعله يبعث الحياة والحركة فى هذا المجمع الاشل ، ولكن بعد انعقاد المؤتمر ثمانى دورات ، ثبت عجزه عن ان يفعل شيئا ، سوى اصدار القرارات والتوصيات للاستهلاك لا اكثر ، وحسبه ان يكون هو ومن يحرثون فى البحر سواء ... !

■■

القاهرة ــ محمد عبدالله السمان

السلوك البشرى

■ « السلوك » تفكير او عمل يقوم به المخلوق ويتجه به وجهة معينة قد توصله الى هدف او تقربه منه ٠

وقد يكون السلوك مستجدا جديدا باعتباره حدث فى تلك الفترة لاول مرة من قبل الشخص ، وقد يكون سلوكا مكرورا معادا بصورة تكاد تكون صورة طبق الاصل أو مقاربة لما سبقها ٠ وفى جميع الاحوال ٠٠ ، واذا كان سلوكا مستحدثا او قديما فانه يستند الى « أوليات » أو « خلفيات » ينتبأ عنها ويرجع اليها ٠ وفى موضوع الخلفيات هذه ومكونات السلوك وأهدافه ودواعي تكراره أو خفوته واختفائه تدور مختلف النظريات والفلسفات والابحاث منذ أقدم مراحل الفكر البشرى وحتى الان ٠ بل لعل « السلوك » هو لب الفلسفات والمبادئ، جميعا لانه موضع اهتمام الدراسات : الدينية والخلقية والنفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ٠

بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

ان تعدد وكثرة المدارس النفسية فى تفسير السلوك ومنشئه واتجاهه شئ طبيعى لان علم النفس هو بالحقيقة وبايجاز « علم السلوك » ٠ ومع أن كثرة الدراسات والنظريات أصبحت مصدر حيرة وتردد الكثيرين نظرا لما تقدمه كل منها من حجج وبراهين مختلفة ومتضاربة ، الا أن ما يخيل

لنا انها نظرية جديدة قد نجدها بصيغة وشكل آخر في نظرية ظهرت قبلها بمئات السنين .. ، ومنذ عهد أرسطو وافلاطون وابن رشد والغزالي وابن خلدون .

محركات السلوك :

ان الذي يدعو للتساؤل حقا هو : ما الذي يدفع المرء الى تبني سلوك معين في ظرف معين .. ثم الى تغييره او تكراره في ظرف آخر ؟ .. هل هي العادة ؟ .. هل هي السهولة ؟ .. هل هي اللذة .. ؟ .. هل هي المكاسب ؟ .. أم هي المثل والمبادىء والاخلاق ؟ .. أم أن الانسان مجرد ماكنة تتلقى الايعازات بشكل أوامر عصبية وهورمونات وافرازات ورموز في الجينات والكروموسومات حاملات الصفات الوراثية للكائن البشري ؟ ..

ان الطفل الصغير « يتعلم » الابتعاد عن النار بعد أن يعاني من ألم الحرق من مدفأة أو عود ثقاب . فهو سلوك يمكن تفسيره بتجنب الالم أو ايثار اللذة . كذلك يدرك البالغ أن السرقة سلوك غير مقبول ويعاقب عليه بحكم الدين والاخلاق والقوانين المرعية ووجود عقاب صريح له . فهو اذن لا يسرق لعوامل أخلاقية ـ اجتماعية ، أما اذا سرق فعندئذ يجيء علم النفس والاجتماع ليفسرا ذلك بانه « مدفوع » الى السرقة اما لسهولة الكسب غير المشروع .. او لفقر مدقع أو لمرض نفسي يعبر عن حاجة رمزية ذات دلالة بعيدة عن الحاجة الفعلية لمادة السرقة .. كالتعبير عن التمرد والنقمة ضد الاسرة أو المجتمع أو الحاجة الى الامتلاك أو الحنان ... الخ .

اذن ، فسلوك الانسان يرتبط بعوامل كثيرة متعددة تقرر نوعية وحدته واتجاهه . وقد حاول الفلاسفة وعلماء النفس وضع معادلات وقواعد لربط هذه العوامل ، ومن أشهر هذه التفاسير : نظرية اللذة والالم ، وفلسفة الرواقيين ، ونظرية قانون التأثير ، والسلوكية الالية ، والحتمية ، والارادة الحرة ... الخ مما سنتطرق الى أبرزها .

ويمكن حصر محركات السلوك بثلاث مجموعات من الدوافع والمحفزات :

١ ـ ما يدركه ويحسه الفرد قبل أن يقدم على عمل ما مباشرة ...

٢ ـ ما يجري في ذهنه قبل فترة طويلة من الفعل ...

٣ ـ ما يعلق عليه في المستقبل من اهداف ونتائج اذا ما قام بالفعل ..

الا أن هذه المجموعات الثلاثة يمكن ان تنحصر الى اثنتين فقط هي :

- الدوافع والحوافز الداخلية .
- النتائج المترتبة على السلوك ...

ولا يمكن الفصل التام بين النتائج والحوافز الداخلية دائما كما بين أرسطو في كتابه الموسوم (De anima) اذ يقول : « عندما توجد اللذة والالم فلا بد من وجود الرغبة ، والرغبة تدفع الى اللذة .. » . وهذا يعني أن السلوك الذي يعتمد على « النتيجة » انما يهدف الى نتيجة مرضية ومجزية ـ أي لذيذة ، أو على الاقل « غير مؤذية » .

السلوك .. وقانون التأثير :

جاء بهذه النظرية العالم النفساني (ثورندايك) بعد أن اجرى تجاربه على الحيوانات . وهي من النظريات المهمة في علم النفس الحديث ، وقانون التأثير يشبه الى حد ما نظرية اللذة في السلوك ، اذ يمكن ايجازه بان المخلوق الذي يفكر بشيء او يقوم بفعل يعود عليه بالراحة أو الاستقرار ، أي يزيل عنه حالة التوتر والقلق ، عندئذ يتأثر بذلك ويصبح نمط ذلك الفعل راسخا في جهازه العصبي فاذا ما صادف وان مر بظروف مشابهة فانه يلجأ الى سلوك نفس الفعل دون تردد أو تفكير جديد في فعل مغاير . ويمكن تعريف القانون بما يلي : « ان العقاب أو المكافأة من أقوى الادوات والوسائل لاختيار وتثبيت الافعال المرغوب فيها وحذف واستبعاد غير المرغوب فيها» . فاذا وجدت حالة واحدة لها عدة استجابات فان الاستجابات التي تصاحبها او تتبعها مباشرة ذات لذة ورضى للمخلوق تبقى أشد ارتباطا بتلك الحالة اذا عادت ، وعلى العكس من ذلك تضعف الرابطة اذا كانت النتيجة مؤلمة .

ان نقطة الضعف في هذه النظرية انها تتجاهل شخصية الانسان وتعتبر الناس سواسية تجاه كل الحوافز ، وهذا ما لا ينطبق على الواقع . فالحافز الواحد قد يؤدي الى سلوكين متضادين في شخصيتين

مختلفتين والى بضعة انماط من السلوك اذا اقتضى الامر .

بين القنفذ والثعلب ...

يقول احد علماء النفس انه مهما تعددت تصرفاتنا وردود افعالنا فبالامكان تصنيفها الى مجموعتين :

بسيطة ، وهي ما دعاها باسلوب القنفذ ...

ومعقدة ، وهي ما دعاها باسلوب الثعلب ...

ولايضاح ما يقصده بذلك نقول ، ان القنفذ ـ وهو حيوان يعيش على اكل الحشرات والنمل ، وله جلد مكسو بشوكات ابرية مؤذية لمن يلمسها ، وكل ما يفعله القنفذ هو احد سلوكين : اما ان ينبسط وتنام شوكات جلده على بعضها ويسير الهوينا بحثا عن طعامه وشؤونه الاخرى .. ، او انه يتكور على نفسه فتبرز الشوكات لدرء الخطر عنه ويصبح كرة هامدة ثابتة في مكانها لا تتحرك وتؤذي من يقترب منها . ويتخذ القنفذ وضعية الكرة في كل حالة مغايرة لحالة الارتياح ـ اى استجابة بسيطة واحدة لعشرات الحالات والحوافز المختلفة عن الراحة . سلوك واحد بسيط وجواب واحد مكرر .

ومن البشر من يؤثر سلوك القنفذ تقريبا . لكن امثال هؤلاء ندرة نادرة .. ، لان السلوك البشرى اشد تعقيدا واكثر صورا واشكالا من تلك .

اما سلوك الثعلب ، فعلى النقيض من ذلك ، فلكل حالة او ظرف نجد الثعلب يعد لها العدد ويضع بضعة حلول وردود . وبتعدد الظروف تتعدد الحلول وتتشابك وتتعقد .

وقد عرف الفلاسفة الاغريق هذين النمطين من السلوك منذ القدم . وخلد القنفذ والثعلب في الادب العالمي منذ القرن السابع قبل الميلاد اذ ذكره (ارخيلاكس) . اما (ايرازموس) في عام ١٥٠٠م فقد قال ما يلى : « للثعلب عدة حيل .. ، وللقنفذ حيلة واحدة ـ لكنها احسن الحيل .. » ، وقيل في الثعلب : « لدى الثعلب حلول اكثر مما لديه من مشاكل !! »

ومن البشر ما يماثل الثعالب في سلوكها ـ اى باعداد مجموعة من الاستجابات لكل طارىء او حدث مع حذر شديد ومكر وريبة . وهؤلاء ليسوا ندرة . والانتهازيون كذلك وانـدهم الثعلب واساليبه لانهم يهيئون ردود الافعال ويحسبون الحسابات الدقيقة كي لا تفوتهم فرصة او غنيمة .

اما الانسان السوى العادى فانه يستجيب بسلوك معين . ولا يتشابه اثنان في سلوك واحد تجاه حافز واحد . فالتعقيد وتعدد الانماط السلوكية لدى الناس الاعتياديين لا يتاتى عن الوسوسة ، بل عن اختلاف عوامل اخرى كالشخصية والظروف الاجتماعية والثقافية والتربية والتجارب والفطنة .. الخ .

ما هي حقيقة اللذة

وقد ظهرت نظرية اللذة كعامل حيوى في تحريك السلوك منذ عهد اريستيبوس Aristippus وافلاطون وارسطو وابيقور . ثم ظهرت في القرنين السابع والثامن عشر من خلال كتابات ديكارت وهوبز . اما (بنتام) Bentham فقد ربط اللذة بالسياسة والاقتصاد . وتغلغلت مدرسته في الفكر الغربي ، وجاء فرويد عام ١٩١١ بنظريته النفسية عن (اللذة ومبدأ الواقع) Pleasure and reality principle

وكانت تجارب (بافلوف) على الحيوانات تؤكد ان « المكافاة » تعزز من اتجاه الحيوان نحو عادة معينة ، اما عدم المكافاة (الحرمان او الالم) فتؤدى الى نسيان وضمور العادات القديمة . وقال (فيخنر) عالم الجمال عام ١٨٧٣ ان اللذة تنجم عن الحالات التى تساعد على الاستقرار .

غير ان اللذة التى يعنيها احدهم لا تنطبق على نفس المعنى الذى يقصده الاخر ..

واذا كانت اللذة هي المحرك الاساسى للسلوك سواء كانت دافعا داخليا او حافزا جاذبيا من الخارج ، فهل يعنى ذلك ان الانسان يعيش ويتحرك في عالم من المتع فحسب ؟ .

صحيح ان هناك اناسا يقيسون اللذة بمقدار ما يغرفون من متع جنسية او بقدر ما يلتهمون من اطعمة شهية او بضخامة ما يمتلكون من ثروة وارصدة مصرفية ، بيد ان الواقع لا يؤيد ذلك تماما . اذن كيف نفسر سلوك من يموت في ساحة المعركة وهو سعيد .. ، ومن يضحى بمتاع الدنيا من اجل ساعة تجل وتعبد في حضرة الخالق .. ، ومن يقتل نفسه حرقا ليعبر عن استنكاره ورفضه

لقضية ما .. ، ومن يؤثر السجن على الاستسلام والمسايرة والحياة الناعمة ؟ .

الجواب على ذلك ان اللـــذة لا تعنى المتعـة الحسية ـ المادية فقط ،بل الشعور الذاتي بالرضا والاسترخاء والسعادة . فالسعادة الذاتية ـ الوجودية هي اللذة الحقيقية . لذلك نرى ان الانسان الذى لا يشعر بالراحة فى عمل سيقدم عليه او يعرف ويتوقع نتائجه السيئة يمتنع عن ويتردد فى الاقدام عليه . و « الامتناع » بحد ذاته هو لذة اخرى من زاوية اخرى ، فتجنب التـوتر والقلق وعذاب الضمير هو سعادة حقيقية تكافىء وتعوض عن اية متعة حسية .

اللذة اذن هى معنى ومبدأ وفكر .. هى كل ما يدخل الرضا الى قلب الانسان . وبهذه النظرة لا نجد معضلة فى تفسير السلوك ، فهناك لـذة حقيقية لمن يتمسك بمبادىء الاخلاق .. ولمن يفضل الاخلاص على الخيانة .. ولمن يؤثر الضـنك والدخل المحدود على الكسب الحرام والربا والاحتكار .. ولمن يرى الموت خلوداً اذا كان يدافع عن وطنه ومبادئه ، فهناك لذة حسية ولذة اخلاقية ولـذة عقائدية ـ فكرية ، اى ان الانسان قد يجد اللذة فى تحمل المشاق او السجن او التعذيب كى يحقق هدفه البعيد . فالطريق الى اللذة ليس طريقـا واحدا .. واذا اختلفت وسائل اللذة .. فان الشعور الذاتى واحد .

ضد اللذة ..

ان كثرة المؤيدين لنظرية اللـذة فى توجيـه السلوك لا تعنى وجود معارضين لها . فقد انتقد مفكرون آخرون مبدأ اللذة والالم وجاءوا ببدائل له .

فقد اعتبر (تولمان) ان القيمة الهـادفة هى المهمة فىتوجيه السلوك ،اى ان ما يتوقعه الانسان من نتيجة هو الذى يقرر نوعية سلوكه .. وهذا ما يشبه النظرية التى تقول ان الانسان عندمـا يقوم بعمل ما ، ويتلقى ايعازات ايجابية مشجعة لنوازعه مطمئنة لآماله ـ بغض النظر عن اللذه ـ فانه يستمر على العمل والمتابعة ، وعلى العكس من ذلك ، فقد تكون الايعازات السلبية معوقة له. وهذا ما اطلق عليه ب «التغذية الايجابية للفعل» وهى نظرية تماثل جدا نظـرية (ثورندايك) عن قانون التأثير .

ولا يعتبر (مكدوجل) اللذة من اصل مكونات السلوك بل مؤثرة فيه فقط . ولم يؤيد اصحاب « مدرسة الاستبطان » فى علم النفس Introspection كون اللذة والالـم محركان وحيـدان للسلوك .

وقد رفض (واتسون) مؤسس النظرية السلوكية Behaviorism نظرية اللذة وتبعه اصحاب نظرية التعلم الحديثة ـ وهى السلوكية المعاصرة ـ بنفى مبدأ اللذة كعامل فى السلوك واعتبروا « ازالة التوتر » و « اشباع الحاجة » Need reduction المحرك الاهم فى تثبيت وتعزيز السلوك .

ومن المنطقى جدا تفسير هذا الرفض لمبدأ اللذة بانه « التفاف » على النتيجة لان كل ما ذكرناه من اصطلاحات وتفاسير علمية ما هى الا مرادفـات لمعنى اللذة ـ بمعناها الاوسع الذى تطرقنا اليه. فاذا كان انسان يجد لذته فى الربح الحرام وآخر يجدها فى التقشف والتعبد فانهما توصلا عقليا ـ او لا شعوريا ـ الى ذلك نتيجة سلسة طويلة من التجارب والظروف الحياتية التى حاول تفسير آليتها اصحاب نظريات قانون التأثير او السلوكيون او جماعة بافلوف او فرويد .. الخ ..

واخيرا ..

وكما ان الحقيقة الكبرى لا تزال خافية على الانسان .. فكل اجزاء الحقيقة ايضـا يعوزها المعرفة . والسلوك البشرى لا زال غامضا على علوم النفس والاجتمـاع والطب والهندسـة الالكترونية والفلسفة . لكن ذلك لن يثبطمحاولة الانسان اكتشاف ذاته وما حواليه . فحياة البشرية فى مرحلة استكشاف ..ولا نزال فى اولى المراحل اليها كما راينا . وعندما يتوصل الانسـان الى معرفة عوامل ومحركات سلوكه فان نظرته الـى الكون والحياة ستكون حتما نظرة اخرى ، وسيكون مبدؤه ـ حتما ـ مبدأ آخر .

ان كل نظرية تستاهل منا التقدير والاعتبار لانها محاولة جديدة للوصول الى الحقيقة ،وحتى النظرية الخاطئة الفاشلة هى حافز لايجاد نظرية اصلح . وهى من هذه الزاوية مفيدة للوصول الى العصر الذى نعيشه ■■

العراق ـ د . فخرى الدباغ

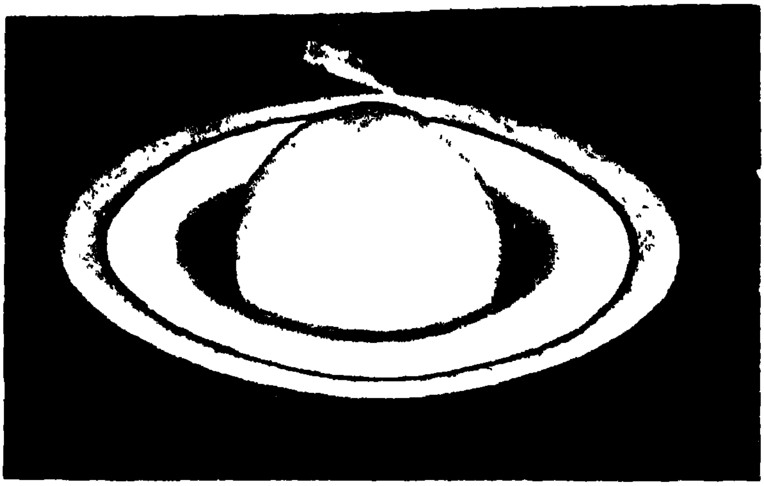
لم يعد مجهولا لعلماء الفضاء سوى كوكب واحد ٠٠ !

- أول سفينة فضاء تعمل ببطاريات نووية ٠
- السفينة تدور فى الفضاء ثلاثين عاما لتستكشف أربعة كواكب و ٢٨ قمرا ٠
- صور فضائية تصل الى الارض من مسافة ٩٠٠٠ مليون ميل ٠
- ماذا يهدف العلماء من غزو الكواكب ٠

بقلم المهندس : سعد شعبان

■ قبل ان يتحقق هبوط رواد الفضاء الامريكيين على سطح القمر كان العلماء يخططون لغزو الكواكب اخوات الارض ٠ ولذلك تشهد البشرية منذ اوائل الستينات ـ وما زالت ـ مباراة حامية الوطيس بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية فى مجال اطلاق سفن الفضاء ، ولم تستطع اى دولة اخرى الى الان خوض هذه المباراة نظرة لكثرة تكاليفها ٠

ولقد بدات هذه المباراة بالاهتمام بالكواكب القريبة من الارض وخاصة كوكبى الزهرة والمريخ باعتبارهما اقرب الكواكب الينا ٠ فالزهرة هى الكوكب الثانى فى تسلسل البعد عن الشمس والمريخ هو الكوكب الرابع بينما تقع الارض فى المرتبة الثالثة فى هذا التسلسل ٠ ولكن ابعاد هذه الكواكب عن الارض قياسا الى بعد القمر تقاس بملايين الكيلومترات،بينما لايزيد بعد القمر



كوكب زحل وحوله حلقاته

هنا غير بضعة الاف من الكيلومترات هى على وجه التحديد (٢٣٩ الف ميل = ٣٨٤ الف كيلو متر) بينما متوسط بعد كوكب الزهرة عنا يعادل (٤٠٫٥) مليون كيلو متر ومتوسط بعد كوكب المريخ عن الارض ٧٨ مليون كيلو متر •

لذلك شهدت السنوات الاولى من الستينات عمليات اطلاق سلاسل متوالية من سفن الفضاء اهمها السفن السوفيتية من طراز (مارس) ، و (فينوس) التى حملت الاسماء اللاتينية لكوكبى المريخ والزهرة نفسيهما • وبالاضافة الى ذلك سلسلة سفن (زوند) ايضا التى وجه بعضها لدراسة الفضاء البيكوكبى الذى بين الكوكب بغرض معرفة المجهول عنه وما فيه من مكونات او اشاعات • بينما وجهت الولايات المتحده الامريكيه سفنها فى سلسلة (مارينر) الى كوكب المريخ وحده . لترجيح العلماء الامريكيين وجود صورة من صور الحياة عليه •

ولقد سجلت سفن مارينر ثروة علمية بالغة الاهمية عن سطح المريخ ، حتى امكن تصوير كل حجر على سطحه ورصد كل شق غائر فى تربته وكل فوهة دائرية عليه . كما رصدت طواقى الثلج البيضاء التى تعمم قطبيه •

ولذلك ما ان تحقق النصر التاريخى بهبوط رواد الفضاء الامريكيين على سطح القمر فى يوليو ١٩٦٩ حتى انتقلت حلبة الصراع الى الفضاء الفسيح الذى بين الكواكب • واتخذت المباراة بعدا جديدا فى الفضاء تقاس المسافات فيه لا بالاف الكيلومترات ولكن بالملايين • واصبحت الرقعه التى تتجول فيها سفن الفضاء هى رقعة المنظومة الشمسية التى تدور فيها ثمانية كواكب سوات للارض ، هى عطارد والزهرة ـ والارض ـ والمريخ ـ والمشترى ـ وزحل ـ واورانوس ـ ونبتون ـ وبلوتو وكلها تدين بولاء الجاذبيةالوطيد للشمس التى تعتبر بمثابة الام التى تدور حولها مع بنات ولاء شديد لا تحيد عنه • ولكن الكواكب تتدرج فى بعدها عن الشمس ملايين من الكيلو مترات بعد ملايين حتى تنتهى بكوكب بلوتو الذى يقاس بعده عنا بصعوبة بالغة ، ويقدر علماء الفلك انه يبلغ (٥٩٠٠) مليون كيلو متر •

على غزوة الى المشترى

اتخذت بحوث الفضاء الامريكية استراتيجية ترتكز على هتك أسرار كوكب المريخ ثم هذا مدوهم السوفييت باعتبار ان هذا الكوكب يستأثر بنفسه بجو يجذبه اليه . وعلى سطحه دلائل تشير الى وجود الماء الذى ترتبط به كل صور الحياة ، كما ان درجة الحرارة على سطحه قد تسمح بوجود هذه الصور • بينما فرغ العلماء السوفييت من التأكد من قياس درجة الحرارة على سطحي عطارد والزهرة والتأكد من ارتفاع درجة الحرارة على سطحيهما ، ارتفاعا كبيرا لا يسمح بوجود صورة من صور الحياة المادية المعروفة لنا على الارض• وهذا امر منطقى فهما اقرب كواكب المنظومة الى الشمس• بينما بادرت الولايات المتحدة فى ٣ مارس عام ١٩٧٢ لجأة باطلاق سفينة الفضاء « بيونير ـ١٠ » الى الكوكب التالى فى المنظومة الشمسية وهو « المشترى » لاستكمال حلقات البحث عن اسرار الكواكب • ورغم ان المسافة التى تفصل الارض عن المشترى تبلغ فى متوسطها ٦٢٩ مليون كيلو متر• الا ان السفينة اتخذت مدارا قطعت عليه مسافة تزيد عن ضعف هذه المسافة ، وبلغت الكوكب خلال (٢١) شهرا حتى دخلت فى الجو المحيط به واصلت تدور حوله على بعد ١٤٠٫٠٠٠ كيلومتر من سطحه • ثم التقطت الاف من الصور وارسلتها الى الارض • ولقد كانت متابعة حركة السفينة من الارض امرا غاية فى الغرابة ، اذ كانت تتخذ مدارها وسط ١٢ قمرا يجذبها الكوكب اليه وتدور كلها حوله • ولقد شجع نجاح مهمة هذه السفينة على اطلاق سفينة امريكية اخرى من نفس الطراز هى « بيونير ـ ١١ » •

ولقد شهد صيف عام ١٩٧٦ انجازا فضائيا آخر فى حلقات البحث عن اسرار المجموعة الشمسية ، اذ اطلقت الولايات المتحدة سفينتى « فايكنج ـ ١، ٢ » وهبطت كل منهما برفق فوق احد سهول كوكب المريخ • وتحقق التباس عينات من تربة الكوكب بوسطة مخلب ينتهى به ذراع ميكانيكى فى كل من السفينتين وتم تحليل العينات فى معامل تحليل كيماوية فوق متن كل سفينة• ورغم هذه التحليلات فلم يستطع العلماء حسم التساؤل عن وجود حياة على هذا الكوكب حتى الان •

السفينة الرحالة تغزو أربعة كواكب

وفى نهاية صيف عام ١٩٧٧ اطلقت الولايات المتحدة اولى سفن سلسلة جديدة باسم « فواياجير» (الرحالة) فى مهمة طموحة قدرت تكاليفها بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار ، وهى ذات معالم جديدة، وتحمل اجهزة لم تستخدم فى الفضاء من قبل • اذ اطلقت السفينة « فواياجير ـ ٢ » فى ٢٠ اغسطس ١٩٧٧ لتتخذ مدارا يمكنها من الاقتراب الى كل من كوكب « المشترى » ثم كوكب « زحل » ومن المقدر ان هذه السفينة ستقطع رحلة طولها (٢٢٤٠) مليون كيلو متر حتى تدخل فى جو الكوكب الاول فى ١٠ يوليو ١٩٧٩ ثم تنتقل منه لتصل الى كوكب زحل فى ٢٧ اغسطس ١٩٨١ • ثم تدور بعد ذلك لتصل الكوكبين التاليين فىالمنظومة الشمسية وهما كوكبا «اورانوس ونبتون» قرابة عام ١٩٨٩ •

لذلك من المقرر ان تظل اجهزة هذه السفينة عاملة ما يقرب من ثلاثة عشر عاما ،لتحقق الهدف الاساسى من اطلاقها وهو التقاط عديد من الصور لن تقل عن (٥٠) الف صورة لكوكب المشترى، (١٦) الف صورة لكوكب زحل • ولن يقتصر الامر بالطبع على استكشاف اجواء هذه الكواكب وحدها او التقاط الصور لسطوحها ، لان هذه الكواكب الاربعة حولها عدد كبير من الاقمار التوابع فكوكب المشترى يستأثر باجتذاب (١٢) اثنى عشر قمرا ، وكوكب زحل يدور حوله (٩) تسعة اقمار بالاضافة الى وجود (٣) ثلاثة احزمة حوله ، اما كوكب اورانوس فتدور حوله (٥) خمسة اقمار ، وكوكب نبتون له قمران •

لذلك فان مهمة السفينة « فواياجير » تشمل استكشاف اربعة كواكب و (٢٨) قمرا وثلاثة احزمة •

وفى ٣ سبتمبر ١٩٧٧ اطلقت الولايات المتحدة ثانية سفن هذه السلسلة وهى « فواياجير ـ ١ » مستهدفة ايضا نفس الاغراض ،ونظرا لان سرعتها اكبر من سرعة سابقتها فانها ستصل الى كوكب المشترى فى ٥ مارس ١٩٧٩ ثم كوكب زحل فى ١٢ نوفمبر ١٩٨٠ •

ولذلك اخذت فى تسلسل ترقيم السفن الرقم (١) ، بينما التى اطلقت قبلها باسبوعين اخذت الترقيم (٢) لان هذه الاخيرة ابطا منها وستصل كوكب المشترى بعدها •

أجهزة لم نستخدم من قبل

ولقد حملت الرحالة سفينتنا « فواياجير »اجهزة حديثة لم تشهدها سفن الفضاء من قبل ، واهم هذه الاجهزة الحديثة مولدات القوى الكهربية النووية • ذلك ان المسافات الكبيرة التى تدور عليها السفينتان حول الكواكب الاربعة المراد استكشافها تجعل عملية الاعتماد على الخلايا الكهرو ـ ضوئية التى شاع استعمالها فى سفن الفضاء السابقة ، امرا متعذرا • ذلك ان اشعة الشمس قد تصل الى السفن ولكن المسافات الشاسعة التىتبلغ عدةمئات منملايين الكيلومترات لا تسمح بجعل شدة تركيز هذه الاشعة قادرة على التحول الى طاقة كهربية لتستخدم فى تشغيل اجهزة السفينة • ولذلك تعتبر السفينة « فواياجير » اول سفينة تستخدم الطاقة النووية فى تشغيل اجهزتها اذ يوجد فى كل منها ثلاثة مولدات من هذا النوع •

هذا فضلا عن احتوائها على (٦) ستة حواسب اليكترونية ، (١١) احد عشر جهازا علميا للقيام بعمليات التصوير التليفزيونى والبانورامى •

كما تحمل السفينة اجهزة ارسال واستقبال لاسلكية ذات حساسية فائقة لتستطيع ارسال الصور الماخوذة لسطوح الكواكب اليكترونيا الى محطات المتابعة الارضية التى فى كاليفورنيا ،وكل من اسبانيا واستراليا • ولتاكيد حساسية اجهزة



الارسال اللاسلكى فى السفينة فان هوائىالسفينة يبلغ قطره ١٢ قدما اى ما يعادل ثلاثة امتار ونصف • وهو قطر يعادل قطر هوائيات محطات الرادار الارضية • ذلك ان المسافات الشاسعة التى تصل اليها السفينة تستوجب عكس الاشارات مهما يكن خفوتها •

كما ان الاجهزة الجديدة التى على متن السفينة اجهزة توجيه تعمل على اساس استغلال خاصية الجاذبية التىبين الكواكب ،لتاكيد توجيه السفينة بعد استكشاف كوكب « المشترى » الى الكوكب التالى ـ« »زحل« اعتمادا على خاصية الجاذبية التى بين الكوكبين •

ولذلك تشكل اجهزة السفينة حملا كبيرا يجوس فى الفضاء لمسافات هائلة اذ يقترب وزنها من (٨٢٥) كيلوجراما • واجهزة تحليل طيفى للاشعة تحت الحمراء ، واجهزة قياس لتقاطب اشعة الضوء ، ومطياف ضوئى للاشعة فوق البنفسجية• كما ان على السفينة اجهزة استشعار للبلازما

فى الفضاء واجهزة قياس للاشعاعات الكونية ، فضلا عن جهازىمغناطو متر ومرصد راديو ــ فلكى يستقبل الاشـــارات الالكترونية التى تصدر من الكواكب بواسطة هوائيين خاصين •

تحية وصراخ فى السفينة

لعل السؤال الذى يراود ذهن كل قارىء ، هو عن المغزى من كل هذه الجهود ، والدافع وراءها، ولعل الاجابة يعبر عنها ما حملته الســـفينة من تسجيلات صوتية • فما زالت المحاولات قائمة على قدم وساقلمحاولة الكشف عنالمجهول علىالكواكب ، والتيقن من وجود صورة من صور الحياة عليها من عدمه • ومازال الشك فى وجــــود حضارات عاقلة وذكية على بعض هــــذه الكواكب ، قائما ويتراقص فى ظنون الكثيرين •

ولذلك فان سفينتى « الرحالة » تمثلان حلقة من حلقات البحث عن وسيلة لمخاطبة اى عقـــلاء او اذكياء او ذوى حضارات على هذه الكواكب • ومن ثم فقد انطلقت الســـفينتان وفوق متنهما تسجيلات صوتية ، متعددة وطريفة لكى تذاع فى اجواء كوكبى المشترى وزحل لعل بعض العقـــلاء هناك يسمعونها وتكون حافــزا لهم على مخاطبة حضارتنا الارضية •

اهم هذه التسجيلات تحية موجهــة من الرئيس الامريكى « كارتر » ورسالة مسجلة من « كورت فالدهايم » السكرتير العام لمنظمة الامم المتحـــدة بلغات الارض الحية ومنها اللغة العربية • نص الرسالة يقول « تحياتنا نرسلها لكم نيـــابة عن اهل كوكبنا • لقد انطلقنـــا خارج مجموعتنـــــا الشمسية لاهداف سلمية وعلمية ولا نســعى الا للسلام والصداقة » •

والى جانب هذه التحية الناطقة بعدة لغات ، تحمل السفينتان ايضا تسجيلات صوتية لمـــالم الحضارة على الارضبغير لغة محددة كصوت صراخ طفل مولود ، وضجيج المرور فى شارع مزدحـم بمدينة نيويورك ، وهدير صاروخ لحظة انطلاقه وتسجيلات موسيقية من عهود مختلفة ومع هـــذه الاصوات رسالة ناطقة توضح المغزى منها تقول « انها مجموعة من اصواتنا من العلم الذى نملكه، من صورنا وموسيقانا ، من افكارنا ومشاعرنا نحن نحاول ان نطيل زماننا •• ونامل ان نحل مشاكلنا يوما لننضم الى الحضارات السماوية » •

لن يبقى غير كوكب واحد

بعد ان يتحقق استكشاف هذه الكواكب الاربعة، تكون حلقات البحث عن المجهـــول على كـــواكب المنظومة الشمسية قد اوشكت على التـــكامل • وستكون حقبة الثمانينات حاسمة فى اســـتكمال هذه الحلقات • اذ سيكون لدى العلمـــاء اجابة شافية عن السؤال المحير الذى ارق اذهان المفكرين منذ عدة اجيال - عن وجود حياة من عــدمه على كواكب اخرى غير الارض ، والـــذى ما زال الى الآن حائرا بدون اجابة شافية •

ووقتئذ سيكون العلماء قد بلوروا افـــكارهم المبنية على الحقائق العلمية المجردة والقياسات الدقيقة والتى لا تعتمد على اى من الظنون التى تداولها علماء القرون السابقة • ولن يمنع ذلك من تعميق البحث عن نفس الحقيقة على الكواكب التى سبق توجيه سفن فضاء اليها من قبل وخاصة كوكب المريخ •

والكوكب الوحيد الذى لم توجه اليه ســفينة فضاء بعد هو « بلـــوتو » آخر كواكب المنظومة الشمسية وهو كوكب صغير جدا لم يكتشف الا عام ١٩٣٠ ويعتبره علماء الرصد الفلكى الابن الابق للشمس • فهو يبعد عنها مسافة متوسطها ٥٩٠٠ مليون كيلو متر ، ويصعب رصده على هذه المسافة الشاسعة لان حجمه لا يزيد عن ($\frac{1}{10}$) عشر حجم الارض • وهو يتخذ دورته حول الشمس خلال ٢٤٧ سنة و ٢٥٥ يوما ارضيا • الامر الذى جعل معرفة كثير من حقائق هذا الكوكب صعبة حتى الآن •

ولكن لا يستبعد باى حال من الاحوال أن تكون فوق هذا الكوكب الصغير حضارة عاقلة تصـــبح الامل المنشود الذى تبذل من اجله كل هذه الجهود المضنية وسط غياهب المنظومة الشمسية • ■■

القاهرة ــ سعد شعبان



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الأطباء

الشعر الرمادى

● [illegible]

... الشعر الرمادى [illegible] العقيقى قليل [illegible] وجود الشعر الابيض [illegible] يعطيه هذا [illegible] ولهذا السبب [illegible] العمر يبدو الشعر [illegible] ثم ينتهى الى [illegible] الابيض [illegible] الشعر الابيض. والشعر الرمادى او الابيض [illegible] العمر. [illegible] عمر ٣٥ ـ ٤٠ سنة [illegible] بعض [illegible] فى كثير [illegible] ولا [illegible] الشعر [illegible] الاسود [illegible] ولكن قد [illegible] فى [illegible] الوراثية [illegible]

شعر مبكر [illegible] بالرغم [illegible] وكان [illegible]

ما حدوث [illegible] وظهور الشعر الابيض [illegible] وفى خلال [illegible] [illegible]

[illegible] والراديوم، وكذلك [illegible] على الراس [illegible] او المعلبة، [illegible] صديدية فى [illegible] مع بعض الفيتامينات.

ولاحظ ان استعمال الدهونات [illegible] المغذية على [illegible] او فيتامينات [illegible] بينما [illegible] من ظهور الشعر الابيض.

سرعة ترسيب الدم

● [illegible]

[illegible] ترسيب [illegible] الترسيب [illegible] ٢٠٠ [illegible]

ولكن المهم هو بعد فوات ساعة والطبيعى فى هذه القراءات هى ٥ ـ ١٠ مليمتر للرجال فى الساعة الاولى و ٤ ـ ١٥ [illegible] فى [illegible] ـ ويعتمد سرعة الترسيب على عوامل عديدة فى الدم منها مكوناته

من بروتينات مختلفة .

وترتفع سرعة الترسيب في امراض عدة في الجسم اهمها الالتهابات ، اي التهاب في اي عضو في الجسم مهما كان سببه سواء في ذلك التهاب اللوزتين - او مجرى البول ، او الرئتين على سبيل المثال . وربما ارتفعت الى حوالي ٥٠ مليمتر في الساعة الاولى . وترتفع كذلك في الالتهابات الروماتيزمية وشبه الروماتيزمية وربما وصلت الى ٩٠ - ١٠٠ مليمتر في الساعة الاولى . وكذلك ترتفع في الاحوال السرطانية الى قراءات عالية ربما وصلت الى ١٢٠ مليمتر في الساعة الاولى .

وتختلف سرعة الترسيب تبعا لتقدم المرض اذا كان في تحسن او في حالة سيئة . لذا ليس عجيبا ان يطلب الطبيب سرعة الترسيب من ان لاخر لانها هي المؤشر على مدى تقدم المرض سواء في ذلك تحسنه أو ازدياده سوءا وعلى هذا الاساس تتوقف نوعية العلاج أو مدته او زيادة المواد والعقاقير التي تعطى للمريض. وكلما قاربت حدها الطبيعي تحسنت حالة المريض وقرب انتهاء مدة العلاج ، او الوصول الى الحد الادنى للعلاج الذي يستمر عليه المريض كما هو الحال مثلا في حالات روماتيزم المفاصل .على ان سرعة الترسيب ليست المؤشر الوحيد للمرض فهي تدل على وجود مرض ولكن لا بد من البحث عنه بعمل الفحوصات الاخرى التي توصل الى كنه هذا المرض وفي بعض الحالات تعطينا فكرة خاطئة فمثلا عندما يكون المريض مصابا بسرطان لم ينتشر بعد وسرعة الترسيب طبيعية فلا بد من الفحص الدقيق وعمل الاشعة والفحوصات اللازمة حتى نعرف المرض قبل فوات الاوان وفوات فرصة معالجته .

وهناك حالات تكون سرعة الترسيب اقل من ٥ ملم وهي حالات سرطان الدم الاحمر وهبوط القلب والذي يكثر فيهما تعداد الكرات الدموية الحمراء وتكون نسبتها عالية في الدم .

اطفالنا والسعرات الحرارية الفارغة

● نصحني الطبيب بعمل تحليل دم لولدي البالغ من العمر خمس سنوات فتبين انه بحاجة الى فيتامينات واستغربت الامر لان شهية ولدي للاكل جيدة .. فما السبب يا ترى؟

- مما يلفت الانتباه بشكل جلي في ايامنا هذه انتشار ظاهرة سيئة بين الاطفال واليافعين يطلق عليها علماء التغذية تناول « السعرات الحرارية الفارغة » . حيث يكثر الاطفال واليافعون من تناول ماكولات لا تحمل بين طياتها سوى السعرات الحرارية الفارغة من العناصر الغذائية الاخرى التي يربو عددها على الاربعين عنصرا غذائيا من فيتامينات واملاح واحماض امينية ودهنية اساسية ، ومما يؤسف له ان السعرات الحرارية الفارغة تعرض في الاسواق بشكل ماكولات تسر بها اعين الاطفال وتفرح بها قلوبهم ، ومن امثلة ذلك السكاكر والكراملعلى اختلاف انواعها، والمياه الغازية ، والبسكويت بانواعه .

ولرب من يسال وما ضرر هذه السعرات الحرارية الفارغة؟ وللجواب على ذلك يمكن جمال اضرارها بما يلي :

اولا : ان السعرات الحرارية الفارغة قد تشبع حاجة الطفل من الطاقة ولكنها في نفس الوقت تحرمه من تناول باقي العناصر الغذائية الاخرى من فيتامينات واملاح وبروتينات مما يؤدي الى اعتلال في صحته ونموه الجسمي والعقلي .

ياكل الانسان لسد حاجته من الطاقة اولا وقبل كل شيء ، وبطبيعة الحال فان هذه القاعدة تنطبق على الطفل . فبعد ان يفي الطفل حاجته من السعرات الحرارية تسد شهيته ويتوقف جهازه الفسيولوجي عن حثه على الأكل ، وبناء على ذلك يجب ان تؤكل العناصر الغذائية من فيتامينات واملاح

وبروتينات فىنفس الوقتالذى تؤكل فيه السعرات الحرارية او خلال سويعات قليلة من تناولها ، ومن هنا يدخل مفهوم الوجبة المتزنة غذائيا ، اىالتى تحتوى على جميع العناصر الغذائية : كما ونوعا وتناسبا معينا فيما بينها ، ونتيجة تطبيقية لذلك يدخل مفهوم التنويع فى الماكولات التى نتناولها نحن او الاطفال على وجه التخصيص •

ثانيا : بما ان السكاكر بانواعها تشكل اكبر مصدر للسعرات الحرارية الفارغة ، فان تاثيرها على تلف الاسنان وتسوسها امر يجب الانتباه اليه فيجب ان يؤخذ بيد الطفل اليافع ليغسل اسنانه وفمه بعد تناول هذه السكاكر بشكل خاص وقبل النوم بشكل عام •

مما تقدم نرى وجوب الانتباه الى نوعيه ما ياكله الطفل واليافع لتكون ماكولاتهما متنوعة بحيث تشمل ليس فقط ما يحتاجه من سعرات حرارية وانما جميع العناصر الغذائية الاخرى والتى يتوفر وجودها فى الحليب ومنتجاته من لبن ولبنه وجبن ، والخضراوات سيما ذات الاوراق الخضراء والفواكه والبقوليات، والاكلات التى يدخل فيها حب القمح الكامل سواء على شكل برغل او فريك ، بالاضافه الى البيض واللحوم على اختلاف انواعها بما فى ذلك الكبد بشكل خاص لغنائها بجميع الفيتامينات والاملاح •

الربو الشعبى

● هل هناك علاج قاطع للربو ؟

– الربو الشعبى له اسباب عديدة وليس من الممكن حصرها واذا عولج سبب ربما ظهر سبب آخر اثر على الجسم فترجع نوبات الربو • ويظهر الربو فى الاطفال بسبب وجود زوائد انفية او تضخم فى اللوزتين او وجود اشياء اخرى تسبب انسداد الجهاز التنفسى العلوى فبازالة هذه المعوقات للتنفس نجد ان حاله الربو تزول تماما من الطفل ولا تعود اليه – شريطة ان يكون هذا هو السبب الوحيد لحدوث الربو ••

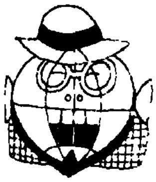
واذا نظرنا الى اسباب الربو نجد انه من الصعب التغلب عليها باى علاج – ولكن العلاج يقلل النوبات ومن تم تتحسن الحالة ، والا لو تركت لازدادت سوءا • لذا نرى ان هناك من العقاقير الكثير الكتير والذى يظهر يوميا لعلاج مثل هذه العالات للتغلب عليها •ولا ننسى الاسباب النفسيه ، التى من الصعب التغلب عليها – والتى تؤدى الى نوبات ربو تلازم صاحبها مادام موترا وفى حالة نفسية سيئة ، تم تغيير الجو ونزلات البرد والالتهابات التى تسببها ميكروبات متعددة لا يؤثر فيها الا علاج خاص•

ثم فوق هذا وذاك الحساسية، وهذه ربما تكون من طعام أو شراب او رائحة ، اواستنشاق مواد عالقة فى الهواء كالاتربة وغيرها – او تعاطى ادوية او استعمال مواد التجميل واستعمال المواد الكيماوية التى اصبحت من مستلزمات حياتنا فهل من الممكن اذن حصر هذا كله وغيره حتى يمكننا ان نعطى علاجا قاطعا للربو •

ثم ان استعداد المريض للربو،ووجود هذا الاستعداد فى عائلته يجعل من الصعب التغلب على هذا الاستعداد الوراثى، والذى نراه فى هولاء المرضى واضحا – اذ ربما اثر فيهم مجرد رؤية زهرة صناعية على انها زهرة طبيعية فتسبب لهم الحساسية •

ولا شك ان هذا كله لن يقف حجر عثرة امام مرضى الربو فالمحاولات لا بد ان تستمر لعله ياتى الوقت لمعرفة السبب الرئيسى المهيمن والتغلب عليه ليستريح المريض مما يعانيه•

طرائف أجنبية



الصورة التى لن أنساها !

● ساءلوا مارك‌توين الكاتب الامريكى عن الصور التى بقيت عالقة فى ذهنه خلال عمله كصحفى قبل ان يحترف الكتابة ، فقال على الفور وكانها كانت تعيش معه وفى راسه طوال هذه السنين منذ ان رآها وعرفها.. انها صورة « سيلفيا » السيدة الطيبة العجوز التى كانت تعيش وحدها فى بيت ريفى صغير لا يشاركها فيه احد غير دجاجاتها وبقرتها وكلبوفى يقضى الليل ساهرا لحراستها ! »

لماذا سيلفيا ؟ وماذا صنعته؟

« لقد كانت سيدة عادية بسيطة جاوزت السبعين ، لا تختلف فى شىء عن بقية النساء فى مثل سنها .. وهى لم تصنع شيئا غير عادى ، ولكنها



مع هذا انطبعت صورتها فى قلب كل من رآها وعرفها ولو عن بعد .. كان اكثر ما يثير دهشة اهل القرية كلما لقيتهم، هو تلك الابتسامة الحلوة المشرقة التى لم تكن تفارق شفتيها ابدا ، والتى كانت تسبقها دائما وهى تمد يدها مصافحة اى شخص يدق باب بيتها !

« قصدتها يوما بعد الذى سمعته عنها وقلت اسالها » :

ـ هل انت سعيدة حقا فى وحدتك ؟

ـ أنا لم أشعر بالوحدة يوما .. لا تنس اننى اعيش مع هؤلاء الاصدقاء صحاب منذ سنوات وسنوات ! ثم اشارت بيدها الى بقرتها وكلبها ودجاجاتها ، وهى تملأ كل وقتى »

ـ هل معنى هذا أن السحب لم تظهر يوما فى حياتك ؟ !

وقالت السيدة الطيبة : « سحب.. طبعا وسحب كثيرة، ولكن أليست هذه السحب هى التى تسبق دائما القطر والغيث ، » !

الثروة الباقية

● ما هى الثروة ؟ وما هو الثراء ؟

يقول فولتير كاتب فرنسا وشاعرها الكبير : « الثروة كلمة يطلقها الناس على المال الذى يجمعونه .. ولكن هناك ثروة اخرى لا يسمع بها صاحبها ، لان احدا لا يتحدث عنها الا بعد رحيله عن الدنيا .. انها الذكرى التى يتركها الرجل فى قلوب الناس .. وهى اكبر وأبقى من كل ثروة فى الدنيا مهما بلغت .. وهى ذكرى لا تتحقق الا فى العطاء .. فالثروة فيما نعطيه لا فيما ناخذه من الدنيا ومتاعها ، ولو عرف الانسان انه فى الرحيل لا يذهب هو وثروته فى طريق واحد، لتغيرت صورة الحياة كلها على الارض ! »

● ●

● البحر الهادئ لا يصنع أبدا بحارا ماهرا .. ففى الامواج والاعاصير تظهر قدرات الرجال .

« اليوت »

● المتاعب سكاكين ، اما ان نقطع بها ، أو نتركها تقطعنا، ونحن وحدنا الذين نستطيع أن نستخدمها لصالحنا، اذا تعلمنا كيف نمسك بها من يدها لا من نصلها !

« مدام دى ستيل »

الرجل الضاحك

● فيكتور هوجو كاتب فرنسا وشاعرها الكبير وصاحب « البؤساء » كان رجلا كتوما قليل الكلام ، لا يتحدث الا اذا طلب اليه الحديث ، حتى عندما كان ينفعل ، كان يحرص على اخفاء انفعالاته .. كان السكوت هو أقصى ما يمكن أن يعبر به عن مشاعره اذا غضب ، فاذا لمحوا ابتسامة باهتة على شفتيه أدركوا أنه في أحسن حالاته .

قال يوما لاصدقائه وهو يرى الحيرة في عيونهم عندما قرأوا كتابه : « الرجل الضاحك » وجاءوا اليه يسألونه : « من هو ؟ » قال : « انا هو هذا الرجل ! »

ولكنك لم تضحك يوما ! قال : « ولماذا اكشف لكم عما يحمله صدري .. هل يجب ان أعلن دائما عن سعادتي ؟

« ان رأسي مليء دائما بالصور .. القليل منها يحزنني ولكن الكثير يملأ قلبي بالسعادة .. وهذه الصور تتحول الى افكار في رأسي . وكلما تزاحمت هذه الأفكار تضاءل تعبيري عنها .. ان الرجل العاقل في رأيي لا يتحدث كثيرا ليقتل الوقت . ولكنه يتحدث قليلا ليكسب الوقت .. وانا لا اريد ان اضيع وقتكم في تأمل ابتساماتي ودموعي !! »

أديب، حطم جدار الظلام!

● احتفل الادباء في الولايات المتحدة الامريكية اخيرا بمرور مائة عام على مولد الكاتب الكبير جاك لندن الذى قال عنه همنجواى : « لقد كان احد عمالقة الادب الذين ولدوا في الظلام » : « فقد ولد جاك دون أن يعرف له أبا لان امه انجبته سفاحا ، ورق قلب شاب ايرلندى هو يوهان لندن للام الصغيرة المسكينة التي لقيها في الطريق وهي تحمل صغيرها فتزوجها ، واعطى طفلها اسمه » !

يقول الكاتب المسرحي الكبير ارثر ميللر : « لم اقرأ لكاتب استطاع ان يصور الحياة في اقسى صورها مثلما قرات للندن . لقد كان فنانا ، وكان مؤمنا بالاشتراكية التي نادى بها حتى وهو ينطلق الى الاسكا



من سان فرانسيسكو التي ولد وعاش فيها سنى حياته مع الفقر والحرمان .. وكان هدفه « الذهب » فلما سالوه : « وماذا أنت صانع به » ؟ قال : « قد يساعدني القليل منه في طبع كتبي ومؤلفاتي ! »

من اروع ما كتب « نداء الوحشية ، وذئب البحر ، والطريق .. » نفس الطريق الذى التقت فيه امه بالرجل الذى اعطاه اسمه واصبح ابا له ..

لقد مات جاك لندن عن ٤٠ عاما ، ولكنه عاش حياة مليئة قدم فيها للمكتبة الامريكية اكثر من ٤٧ مؤلفا وكتابا وقصة وضع فيها كل آلامه وآماله .

لوحة لها قصة

مجرى ماء عند جبل سان فيكتوار

للفنان « بول سيزان »

رسمت فيما بين عامى ١٨٨٥ – ١٨٨٧

بقلم : صبحى الشارونى

يطلق عادة على الفنان « بول سيزان» لقب « امام الفن الحديث » ، ذلك لانـه فتح الطريق باعماله لمذاهب الفن المتعددة والمتتالية التى تعاقبت بعده •

ولد « سيزان » عام ١٨٣٩ فى بلدة « اكس ان بروفانس » بجنوب فرنسا قرب الحدود الايطالية ، وكان والده قد انشا تجارة ناجحة للقبعات جنى منها ثروة طائلة جعلته من اصحاب البنوك الاثرياء ، وقد اراد الاب لابنه أن يخلفه فى ادارة البنك •• ولكن « بول سيزان » قاوم رغبة ابيه واصر على الاتجاه للفن •

بعد ان اتم دراسته الثانوية فى بلدته ـحيث صادق زميل الدراسة « اميل زولا » ـ بدأ يدرس الحقوق نزولا على رغبة والده •• ولكنه فى عام ١٨٦٠ هجر هذه الدراسة نهائيا وراح يمارس هواياته الثلاث : كتابة الشعر ، وعزف الموسيقى ، والرسم • وفى العام التالى ١٨٦٢ سافر الى باريس حيث التحق بالاكاديمية السويسرية ،وهى معهد اهلى كان يفتح ابوابه لكل من يريد ان يدرس الرسم ، وقد التحق بها « سيزان » ليعد نفسه لاجتياز اختبار القبول بمدرسة الفنـ الجميلة (البوزار) بباريس •

وعاش الفنان الشاب مع « اميل زولا » مسكن واحد ، كما تعرف فى الاكاديمية السويـ على الفنان « بيسارو » ورافقه فى تسكعه مقاهى باريس ، ورغم انه كان يرسم باسـ الا انه فشل فى الالتحاق بمدرسة الفنون الـ عندما تقدم للاختبار ، فعاد الى بلدته « اكـ بروفانس» بعد ان ملأه الياس والتشاؤم الثقة فى نفسه وفى قدرته على الرسم ، رغبة والده فعمل معه فى البنك وظل كاملا وكل صلته بالحياة الثقافية والفنية مـ عن طريق الرسائل التى كان يتبادلها مع « اميل زولا »•

والواقع ان « بول سيزان » هو نموذ



للفنان الذي يفتقر الى الموهبة ، ولكنه يعوض هذا الفقر في الموهبة الفطرية بالذكاء والفكر وممارسة الفن كعلم بدلا من ممارسته عن فطرة.. حتى استطاع أن يكون أمام الفن الحديث ، ورائده الاول .

كانت له شخصية غريبة الاطوار ، مملوءة بالضجر وعدم الاستقرار ورغم انه لم يقاس من الفقر ، الا انه كان يعاني دائما من الصراع الداخلي من أجل احكام السيطرة على اطراف اصابعه حتى تطاوعه وتتدرب على رسم« مايريد» بدلا من الرضوخ لرسم « ما يستطيع » .. وقد اتسم مسلكه من البداية بالتناقض الشديد، فيبدو تارة منكمشا هيابا ، وتارة اخرى حادا فظا .. وكان يشعر ـ وهو في باريس ـ بالحرج الشديد بسبب طابعه الريفي عندما يكون بصحبة الباريسيين المهذبين ، فكان يتعمد المبالغة في سلوك مسلك البوهيميين ..

وكان يتخذ في البداية من الفنان«الرومانتيكي» .. « يوجين ديلا كروا » مثله الاعلى ، الا انه كان يستخدم السكين بدلا من الفرشاة في وضع الالوان على لوحاته وكان يفرط افراطا شديدا في تحميل « سكينه » كميات هائلة من عجينةاللون، بل كان في لحظات الهياج ـ على ما روى شاهدو العيان ـ يتناول حفنات من عجائن الالوان ، ويبسطها بيده مباشرة على سطح اللوحة ،واحيانا كان يبلغ به الامر ان يملأ ملعقة كبيرة بعجينة الالوان ثم يلطخ بها لوحته تلطيخا ..

وفي لوحاته الاولى ، كان يبالغ في استخدام اللون الاسود ، الذي كان يبسطه على اللوحة في طبقات سميكة ، وكانت مواضيعه تتصف بعاطفية جامحة مقبضة ، وبعض لوحاته يلغ من السخف مبلغا عظيما .

٤٠ عاما في الظل !

وعاد الى باريس في نهاية عام ١٨٦٢ وهو على هذه الحال محاولا الالتحاق للمرة الثانية بمدرسة الفنون الجميلة دون جدوى ، فواصل تردده على الاكاديمية السويسرية ، حيث توطدت علاقتهبالفنان « بيسارو » .. فقد كان « بيسارو » هو الوحيد القادر على مجادلته في آرائه وتليين عناده وتا بما سبق ان اعتنقه من آراء .. في تلك الـ تعرف على اقطاب المذهب التاثري وتحمس ا «ادوار مانيه » .. وفي عام ١٨٧٥ اصط « سيزان » صديقه « زولا » الى معـ « الصالون » عدة مرات حيث شاهدا لـو «اوليمبيا» التي اثارت سخط المجتمع الارستقر في باريس .. وانصت « زولا » لحديث « سيز عما يجري في التحضير لمعرض « الصالون » وتـ جوائزه من دسائس ، وما يتصف به المشرفون اعداده من فساد ، ثم شرع في نشر سلسلة المقالات، يحملفيها حملة عاتية علىالصالون، ما عن « ادوار مانيه » امجد دفاع، غير ان هذه الـ لم لم تلبث ان توقفت فجاة ، بسبب ضغط « اكاديمية الفنون الفرنسية » على صـ الجريدة .

أما « سيزان » فقد ظل يلاقي الهجوم والتجاهل مرات لمدة اربعين عاما تقريبا .. كلما ضغطت عليه باريس عاد الى المكان تربى فيه والذي يتفقمع مزاجه الغاص.. و نشبت الحرب السبعينية اقام بالقرب من مر يرسم مشاهد الطبيعة ، وبعد الحرب فضل يبقى بعيدا عن باريس واختار صحبة الـ « بيسارو » في منطقة « ايفررس » .. ا تاثير « بيسارو » اتجه الى التاثرية عندما صديقه الى احضان الطبيعة ، فبدات الوانه قتامة وينتشر فيها الضوء وتكتسب الشف واصبحت رقيقة . اما عقله المنظم فقد جعل فنانا مفكرا ، وبدا يسعى الى اسلوب ورؤية بنائية مؤسسا لوحاته على فكرة التماسك ومتانة البناء في الفن التاثري .

ولقد اشترك سيزان مرتين فقط في مـ « التاثريين » الاولى عام ١٨٧٤ في معـ الاول ، وكان اكثرهم حظا من هجوم النقا والمرة الثانية عام ١٨٧٧ في معرضهم الثا وكانت عبقريته قد بدات تظهر .. ولكن احـ يلتفت اليه . فقد اكتشف اللون الرمادي الـ الناتج عن اهتزازات مجموعة من الظلال ، وا « اللون السائد» الناتج عن تاثير الهواء بين عين المشاهد والمنظر الذي يتطلع اليه الاضواء المنعكسة الاخرى التي يجب ان تؤ

الاعتبار عند التقاط التاثر المباشر بالمنظر .

وقد سار « سيزان » خطوة ابعد من تاثرية « كلود مونيه »عندما حرص على تفادى ما يحدثه التقاط تاثرات الفنان بالضوء من تفكك فى بناء اللوحة وتحلل لعناصرها .. لقد اتجه الى الاهتمام بالجانب المعمارى والبنائى للوحاته حتى وهو يفكك الاضواء الى الوان لتمزجها عين المشاهد عند الرؤية .. وهو يقول فى ذلك : « لقد اردت ان اجعل من التاثرية فنا متينا باقيا كروائع الفن التى تضمنها المتاحف .. » .

وقد انتقل بعد ذلك الى مرحلة تعتبر اساس الفن « التكعيبى » ونقطة الانطلاق لفنون « الشكل » التى توالت فى القرن العشرين بعد اختفاء الموضوع واهمال المضمون فى لوحات الرسامين .. فهو الذى اطلق جملته الشهيرة : « ان كل ما فى الطبيعة ينطوى على صورة الاسطوانة او الكرة او المخروط ... انظر فى الطبيعة الى الاسطوانة والكرة والمخروط ، واضعا كل شيء فى مكانه المناسب من المنظور ، بحيث تتجه جوانب الاجسام والسطوح جميعا نحو نقطة مركزية .. » .

افضل تعبير عن فنه

وفى عام ١٨٩٥ استطاع تاجر اللوحات « فولار » ان يجمع ٥١٠ لوحة من اعماله ، فقد زار « اكس ان بروفانس » واعلن بين الاهالى انه مستعد لدفع ١٥٠ فرنكا ثمنا لكل لوحة من لوحات « سيزان » .. فانطلقوا يبحثون فى كل مكان عن هذه اللحات التى كانت مهملة فى بيوتهم .

ولقد كانت لوحة « مجرى ماء عند جبل سان فيكتوار » واحدة من تلك اللوحات التى انقذها « فولار » ، وقد اشتراها منه القنصل الروسى فى باريس وارسلها الى بلده ولهذه فهى معروضة حاليا فى متحف « بوشكين » فى موسكو .

انها تمثل اسلوب « سيزان » فى الرسم احسن تمثيل ، فقد رسمها بين عامى ١٨٨٥ - ١٨٨٧ بعد ان نضج أسلوبه الفنى واصبحت له شخصية متميزة محددة الملامح .. فهى مرسومة بالالوان الزيتية على قماش ، ويبلغ ارتفاعها ٩١ سنتيمترا وعرضها ٧٢ سنتيمترا .. وهى واحدة من مجموعة لوحات رسمها الفنان لجبل « سان فيكتوار » حيث نلمح فى خلفية اللوحة اجزاء من هذا الجبل الذى يمتد محتضنا قرية « سيزان » فى الجزء الغربى من فرنسا ، وتكسو جوانبه الاشجار بشفافيتها والتى تتصل قممها بزرقة السماء .

ان الوان هذه اللوحة قد بنيت على درجات لا عد لها من الاخضر والازرق مع الظلال الصفراء ، ولهذا فهى نموذج يوضح افكار « سيزان » حول الضوء وضرورة رسم ما يدركه العقل بدلا من الاقتصار على ما تراه العين .. ان كل مميزات فن « سيزان » تتمثل فى هذه اللوحة رغم اهتمام المتحمسين للمذاهب الفنية الحديثة بلوحاته التى رسمها للطبيعة الصامتة .

اما نهاية « سيزان » فيروى عنه انه كان يتمنى ان يموت وهو يرسم ، وقد كادت تتحقق هذه الامنية ، فقد مات فى اكتوبر عام ١٩٠٦ بعد اربعة ايام من سقوطه مغشيا عليه بسبب الاعياء الشديد لانه ظل يرسم عدة ساعات تحت المطر...

■■

صبحى الشارونى

احببت ان تنصرف وانت ماجور

● قعد رجل على باب داره فاتاه سائل يسأله ، فقال له رب الدار : « اجلس هنا سويعة » ثم صاح بجارية له فقال : « ادفعى الى هذا صاعا من دقيق » . قالت : « ما بقى عندنا دقيق » فقال : « اعطيه درهما » قالت : ما بقى عندنا دراهم . قال : « فاطعميه رغيفا » قالت : « ما عندنا رغيف ايضا » . فالتفت صاحب البيت الى السائل قائلا : « انصرف لعنك الله وقبحك » فقال السائل : « سبحان الله تحرمنى وتشتمنى » قال : « احببت ان تنصرف وانت ماجور » .

اعرف وطنك أيها العربي :





السودان

سلة الخبز

متى .. وكيف تمتلئ ؟

استطلاع : سليم زبال

تصوير : حسن الصفار



ابن السودان يتطلـ
الى مياه النيل وهـ
تنساب لتروي الار
العطشى التي ستز
بأعواد القصب .. و
نفس الوقت تجـ
عملية بناء صعبة لمـ
سكر كنانة .. ا
واحد من أهـ
مشاريع التنمية ا
السودان



- السودان أمل العرب لتحقيق الاكتفاء الذاتي .
- مشروع زراعي واحد يوازي مساحة لبنان بالكامل
- ٦ آلاف مليون دولار يقدمها العرب لتغيير مسار الاقتصاد السوداني
- مطلوب فوراً ميناء جديد لمواجهة اختناقات التنمية !

★ مطلوب ـ فورا ـ ميناء جديد لمواجهة اختناقات التنمية !

★ رمال الصحراء تزحف بسرعة ٨ أميال على الارض الطيبة

■ بلد يولد من جديد !

انطباع خرجنا به بعد رحلتنا الى ورشة العمل الهائلة التى تحول اليها السودان :

اكبر بلادنا العربية مساحة٠٠واوفرها ماء ٠٠واخصبها تربة ٠٠واغناها بموارده الطبيعية ٠٠ ولكنه ايضا اكثرها مشاكل ومتاعب !

المساعدات والقروض تتدفق عليه من كل اتجاه بهدف واحد: التنمية ٠٠ التنمية ٠٠ ولا شيء الا التنمية ٠٠ !

كلمة كان لها وقع السحر ، مست ابن السودان، فانطلق يحقق ما يشبه المستحيل ، متخطيا التحديات والمعوقات التى تشده الى الوراء ، وتعقد حياته !

ولكن لماذا ظل السودان فقيرا الى اليوم ؟

لن ندخل فى تفاصيل تاريخ هذا الشعب الطيب انما السبب المباشر انه لم يعتن احد باستثمار طاقاته البشرية والمادية الا منذ وقت قريب جدا ، لقداغرقوه فى بحر الجهل عبر السنوات الطوال٠٠

ولا تصدقهم اذ نعتوه بالكسل ٠٠ ،والصحيح انه اصبح ، بصفة عامة يميل الى الراحة ، طبقا لاسلوب حياة فرض عليه فرضا منذ قرون ٠٠ ولكنه سرعان ما بدا يتخلص من هذا الاسلوب ليبدع ويدير بكفاية ممتازة •

مخزن للطعام

وكانت آثار هذا النوم العميق ، مدمرة مخربة تراكمت خلاله المعوقات والعقد والمشاكل ٠٠٠

ارضه الطيبة الصالحة للزراعة قدروا مساحتها باربعمائة مليون فدان ، لم يزرع منها سوى ١٥ ،مليونا فقط ! ثلاثة ملايين منها تروى بمياه الانهار، و ١٢ مليونا ترويها الامطار !

وسد هذه الفجوة الواسعة بين الارض الصالحة والارض المستغلة ، هو هدف جميع مشاريع التنمية ٠٠ لان زرع ولو جزء يسير من ٣٨٥ مليون فدان تعني تحويل السودان الىواحد من اكبر مستودعات الطعام فى العالم ، يكفى مخزونه لسد احتيا[ج] الوطن العربى ، وجزء كبير من دول العالم ·

الاقتصاد السودانى يتبدل

والحديث عن مشاريع التنمية فى السودان ي[حتاج] الى مجلدات كاملة لاعطائه حقه ٠٠

اكثر من سبعين مشروعا انمائيا يجرى تنف[يذها] حاليا : الجزيرة ٠٠ الرهد ٠٠ كنانة ٠٠ جوز ٠٠ السوكى ٠٠ سنار ٠٠ ملوط ٠٠ الخ •

ولعل أهم الجهود الانمائية المبذولة فى هـ[ذا] المجال هى الجهود التى تبلورت فى البرن[امج] الاساسى لتطوير القطاع الزراعـى السـود[انى] باسلوب متكامل ٠٠ برنامج تبلغ تكاليفه الاج[مالية] ٦٠٠٠ مليون دولار وضعه الصندوق العربى لل[انماء] الاقتصادى والاجتماعى بالتعاون مـع حـ[كومة] السودان ٠٠ ومن اجل تنفيذ هـذا البرنامج [تم] تاسيس الهيئة العربيـة للاستـثمار والان[ماء] الزرعى ٠٠ انها مؤسسة تشترك فيها ١٣ [دولة] عربية براس مال اولى قدره ١٥٠ دينار كوي[تى]

والاهداف الانتاجية لهذا البرنامج الطموح [يمكن] تلخيصها على النحو التالى :

ـ الذرة والدخن سيتضاعف انتاجهما ١٨ ٠٠

ـ السكر سيزداد ٢٠ ضعفا ٠٠

ـ السمسم والفول والبذور الزيتية ستت[ضاعف] كمياتها ١٥ ضعفا ٠٠

ـ الثروة الحيوانية سيرتفع عددها من ١٦ الى ٣٢ مليون راس ٠٠

ـ القطن والقمح والفـواكه والخـ[ضر] سيتضاعف محصولها ٥ مرات ٠٠

ـ الثروة السمكية سترتفع كميات صيد[ها] ٢٣ الف طن الى ٢٠٠ الف طن ، اى تسعة [امثال] حجمها الحالى ٠٠

انها ثورة انمائية شاملة يتعاون على [تحقيقها] راس المال العربى ، والامكانات البشرية وا[لمادية] للسودان ولن نلمس نتاج مشاريع هذه ال[...]

قبل سنوات عديده قد تصل الى عشر سنوات من الان..فبرامجها طويلة النفس تمتد الى عام ٢٠٠٠!!

مغامرات قطرة ماء !

وابناء السودان يتجهون دائما الى النيل العظيم يطلبون منه المدد .. ولم يخيب النهر الكبير املهم ابدا بالرغم من الجراح العميقة التى اثخنوا بها مجراه .. ولكنه يدرك تماما ان مشاريع التنمية السودانيه ما كان يمكن ان تقوم لولا مياهه المتدفقة من خط الاستواء ومن جبال الحبشة ..

ولو تتبعنا مسيرة مياه النيل ، فسوف نجد ان الرحله الرئيسية تبدأ من خط الاستواء .. وهى رحلة تقليدية تقطع خمسة الاف كيلو متر ، وتتخطى اكثر من ٣٠ خط عرض حتى تصل المياه الى مدينة القاهرة بعد ١٥٠ يوما من بداية الانطلاق ..

تنطلق المياه فى المجرى الصغرى الذى يحمل اسم بحر الجبل ،بسرعة كبيرة، ولكن لفترة صغيرة تضيع المياه بعدها فى مستنقعات هائلة مساحتها ٦٠ الف كيلو متر مربع (اى ما يوازى ستة اضعاف مساحة لبنان !!) وفى هذا المستنقع الذى يسمونه منطقة السدود ، تحدث مجزرة هائلة ، اذ يتبخر ما يعادل ٣٠ الف مليون متر مكعب من الماء سنويا .. !

كمية هائلة من المياه يمكنها مضاعفة مساحة الارض المزروعة فى كل من السودان ومصر ، لو استغلت !!

قناة الانقاذ !

وقد حاول الانجليز ، اثناء احتلالهم للسودان، الذى استمر اكثر من نصف قرن ، ان يعملوا على شق قناة فى هذه المستنقعات ، فجاء ٨٠٠ مهندس وعامل مع خمس بواخر واستمروا فى العمل لمدة سنتين ، لم يتقدموا خلالها سوى خمسة كيلو مترات ، ثم عدلوا عن فكرتهم لصعوبتها .

وقد بدأت حاليا خطوات حل منطقة السدود ، بعد ان انتهت دراسات مشروع قناة جونجليه التى يبلغ طولها ٣٠ كيلو مترا وعرضها ٥٢ مترا .. ومنها سيمر ٢٠ مليون متر مكعب يوميا فى المرحلة الاولى .

وهذه المياه سوف تقسم مناصفه بين مصر والسودان لرى مليون ونصف مليون فدان جديد فى كل من البلدين ..

ان قناة جونجليه التى تشترك مصر والسودان فى تنفيذها ، سوف تغير صورة الجنوب تماما ، فالى جانب تدفق المياه دون تبخر يذكر ، سوف يصبح بمحاذاتها طريق للمواصلات سيختصر المسافة من جوبا الى الملكال بنحو ٣٢٤ كيلو مترا ..

واراضى جنوب السودان طيبة صالحة لزراعة كل شىء ، من اشجار الاخشاب والابنوس الى الشاى والبن والمانجو والموز والاناناس .. كل شىء يمكن ان تنجح زراعته فى الجنوب .. ولكن المشكل هو فى المواصلات وايجاد الاسلوب الذى تصدر به هذه المحاصيل ..

والامال كلها معقودة على الطريق الذى يربط جوبا بميناء ممباسا الكينى ، فهو يكاد يكون مكتملا فيما عدا مسافة صغيرة ..

من الساقية الى التربينات

ولولا المساعدة القيمه التى يقدمها نهر السوباط ، والممثلة فى ١٣ الف مليون متر مكعب من الماء سنويا ،لما استطاعت مياه النيل ان تواصل انطلاقتها فى مجرى النيل الابيض ..

فى السابق كانوا يسحبون مياه النيل بالساقية والسادوف من المجرى المنخفض الى الشاطىء المرتفع .. اما اليوم فالماء لم يعد ينقل طبيعيا ، لقد وضعوا خمس تربينات كهربائية هائله تستطيع ان تسحب ثلاثة الاف مليون متر مكعب من الماء سنويا الى ارتفاع ٤٦ مترا لتسير فى قنوات طولها ٣٠٠ كيلو متر من اجل ارواء ٨١ الف فدان بعيدة عن مجرى النيل !!

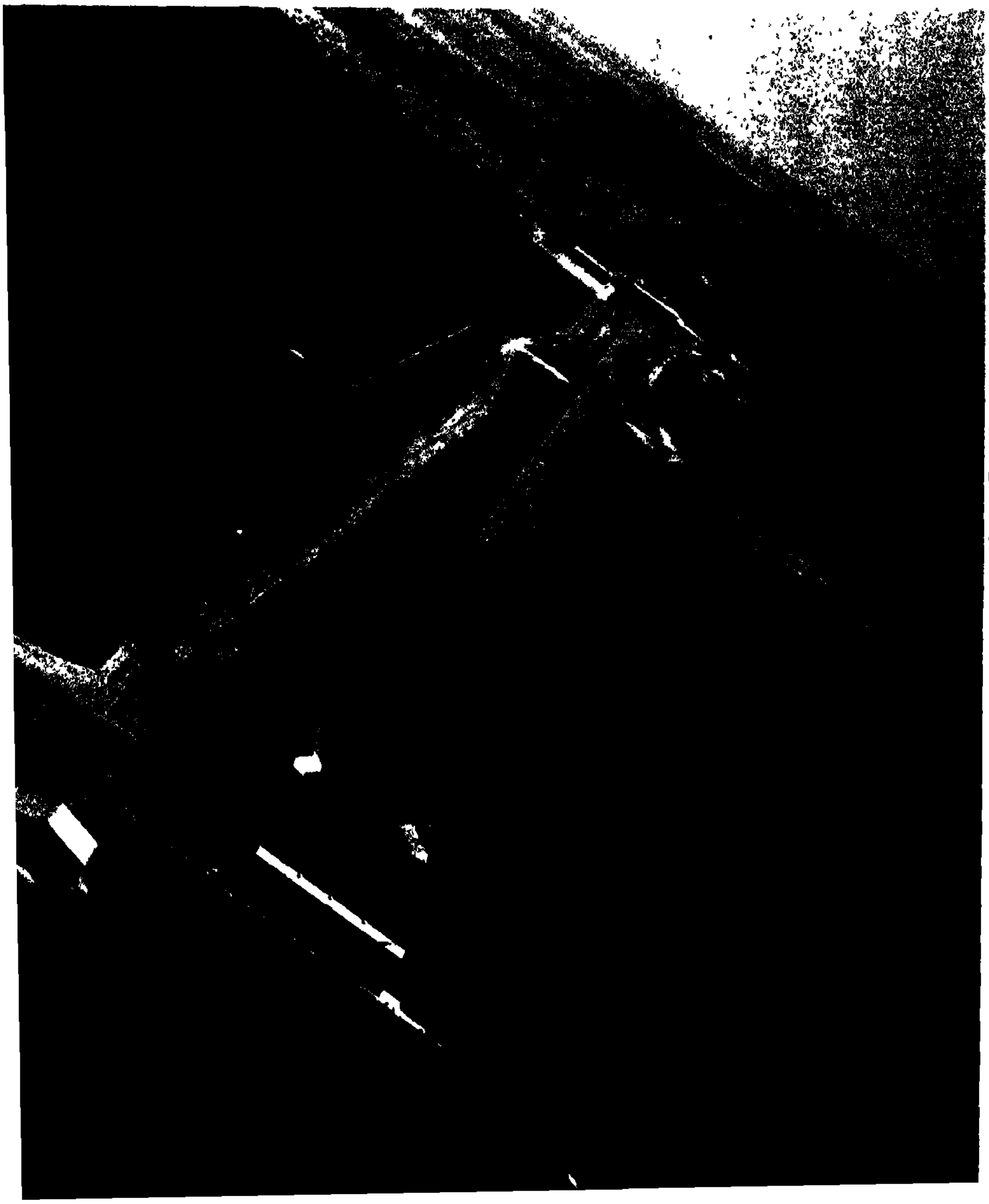
انها منطقة كنانة ، كانت ارضا قاحلة حتى وصلتها المياه فحولتها الى ارض خضراء تشرئب منها اعواد قصب السكر باعناقها العالية ..

الامـل الوحيد

ويتحدث الينا مدير مشروع سكر كنانة محمد البشير الوجيع ، قائلا :

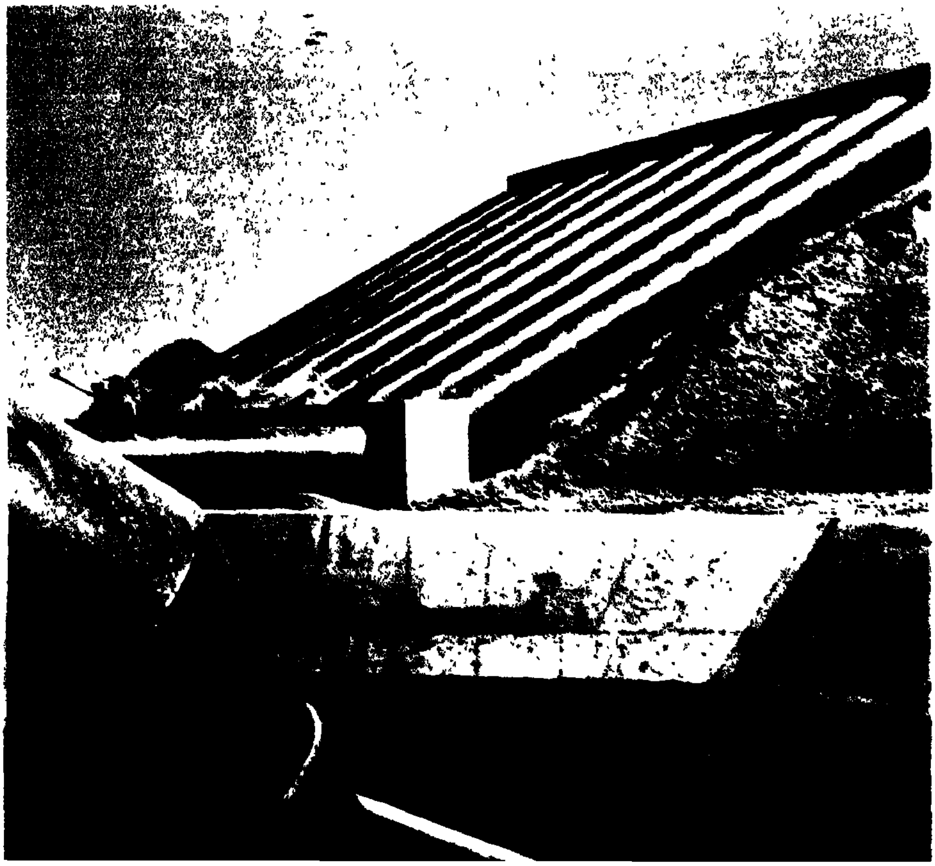
« فى هذا العام سيكون انتاج السودان ١٢٨٥ الف طن سكر بينما استهلاكنا ٣٢٠ الف طن .. لكن فى عام ١٩٧٩ سننتج ٤٠٠ الف طن سكر ونستهلك







صنع الانسان في السودان فرعا حديدا للنيل العظيم طوله ٣٠٠ كيلومتر .. لقد تغلبت التربينات الكهربائية على مشكلة ارتفاع الارض، فأصبحت تضخ المياه في الانابيب الضخمة الى القنوات الطويلة الممتدة على ارتفاعات مختلفة تصل الى ٤٦ مترا عن منسوب مياه النيل لتروى مزارع قصب السكر البعيدة .. ان عملية شق فروع اصطناعية حديدة للنيل، اصبحت الطابع المميز للمشاريع الزراعية الكبيرة في السودان .. وهذه الخبرة الرائدة في شق القنوات يمكن ان تستعمل بنجاح كبير في مشاريع مماثلة في الوطن العربي لجلب مياه الانهار ..



٢٤٠ الف طن ٠٠ اى اننا سنبدأ لاول مرة بتصدير ٦٠ الف طن سكر ٠٠

« وبعد ذلك سوف تتضاعف كميات تصديرنا من السكر حتى تصل الى مليون و ١٣٠ الف طن عام ١٩٨٤ عندما تعمل مصانع السكر السبعة الموجودة فى السودان ٠٠

« اننا نرسم خطتنا طبقا لحاجة السوق العربى، الذى يستورد مليونى طن من السكر سنويا ٠٠ اننا على ثقة من أن السودان هو القطر العربى الوحيد الذى يمثل الامل فى أن يحقق الوطن العربى اكتفاء ذاتيا من السكر ٠٠

« ويساعدنا فى ذلك موقعنا الجغرافى الذى هو افضل من موريشيوس واستراليا وكوبا ٠٠

« وسيبدأ انتاجنا فى « كنانة » بحوالى ٢٤٠ الف طن فى عام ٧٩/٨٠ يتدرج بعدها الانتاج حتى يصل الى الطاقة القصوى ٣٥٠ الف عام ٨٣/٨٤

« وكنانة مشروع مشترك بين حكومة السودان وحكومة الكويت ، والشركة العربية للاستثمار ، ومؤسسة التنمية السودانية ، وشركة لونرو ، ومؤسسة الخليج العالمية وشركة نيشو اليابانية ٠٠ وراس ماله ٦٠٠ مليون دولار ٠٠ ويؤمن العمل لنحو ١٥ الف عامل سودانى ٠٠ »

خليط من البشر ٠٠

والعاصمة السودانية المثلثة هى مركز الاشعاع على جميع مشاريع التنمية ، فنادقها كاملة العدد دائما ٠٠ تعج بالخبراء الذين جاءوا من أركان العالم الاربعة ٠٠ يسيرون حاملين أكداسا من الخرائط والدراسات ٠٠

وفى المطار رأينا مجموعة من الخبراء اليابانيين الذين كانوا فى انتظار التاكسى الجوى لينقلهم الى عطبرة من أجل اعادة تنظيم السكة الحديدية ٠٠ طلبوا أقداحا من الشاى وهم يتندرون قائلين: « السودانى يشرب السكر مع ملعقة شاى !! » ٠٠ **وهم بدورهم أخرجوا زجاجة كونياك كبيرة من حقيبتهم وملأوا نصف أقداحهم منها ، ثم أضافوا لها قليلا من الشاى !!**

خليط غريب من البشر جاءوا مندوبين عن دولهم ، وعن منظمات الامم المتحدة ووكالاتها ، وصناديق الانماء العربية ، والشركات الاستث جاءوا لتقديم خبرتهم للسودان مقابل خيالى يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ دولار يوم بالاضافة الى مصاريف السفر والتنقل والاقا فندق ممتاز !!

البعض منهم يقدم خدمات طيبة رائعة، واا يجلس فى صالات الفنادق طوال اليوم يعب عبا ، بعد أن يكلف أحد أبناء السودان من أ الجامعة باعداد الدراسات المطلوبة منه !!

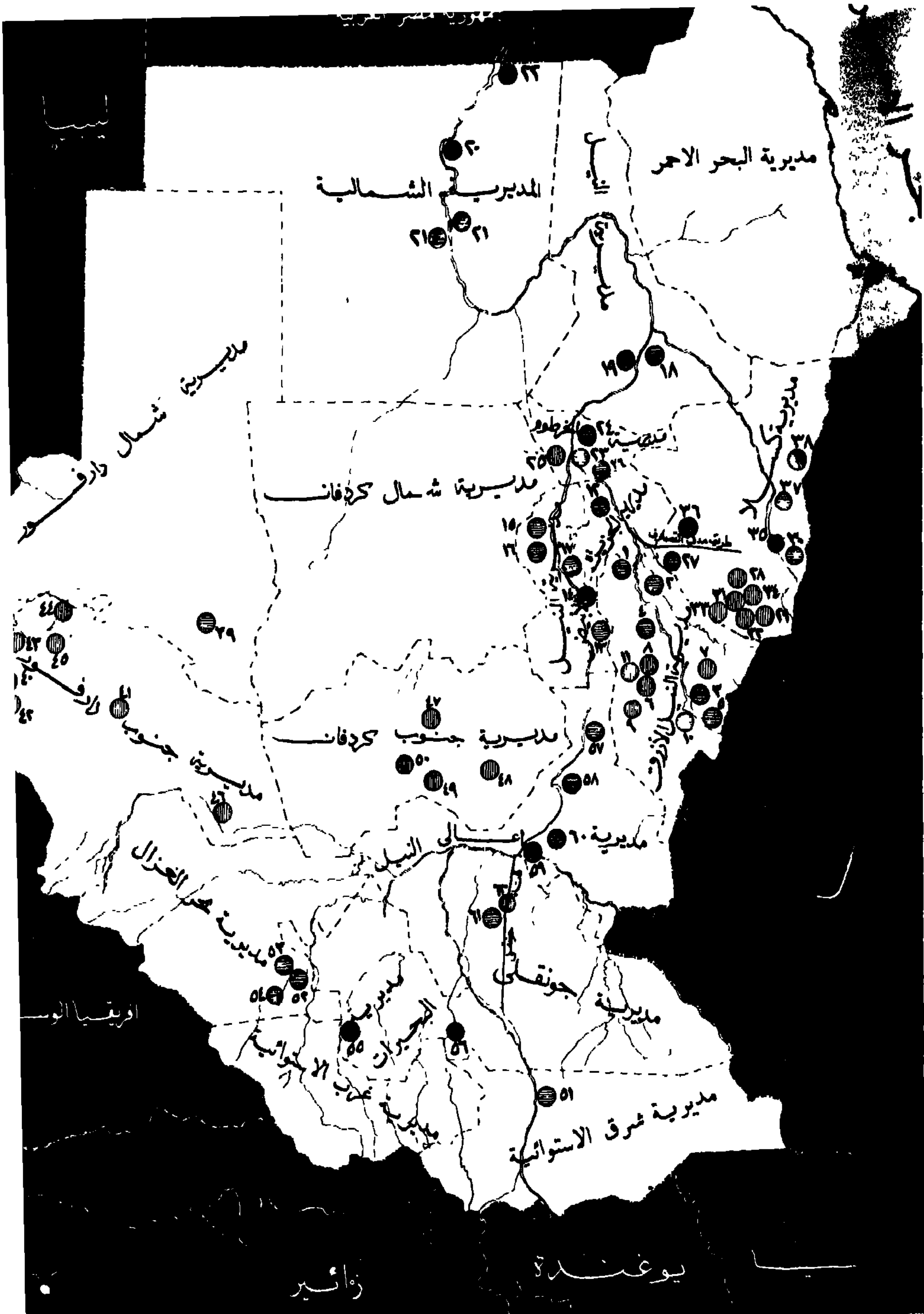
مأساة مشتركة ٠٠

وفى الخرطوم امكننا ان نلمس مجهود ا لحل مشكلات ومعوقات التنمية ٠٠

الجميع يقولون : « اذا كان الاستعمار قد شيئا طيبا فى السودان فهو جهاز ادارى درجة كبيرة من الكفاية ! »

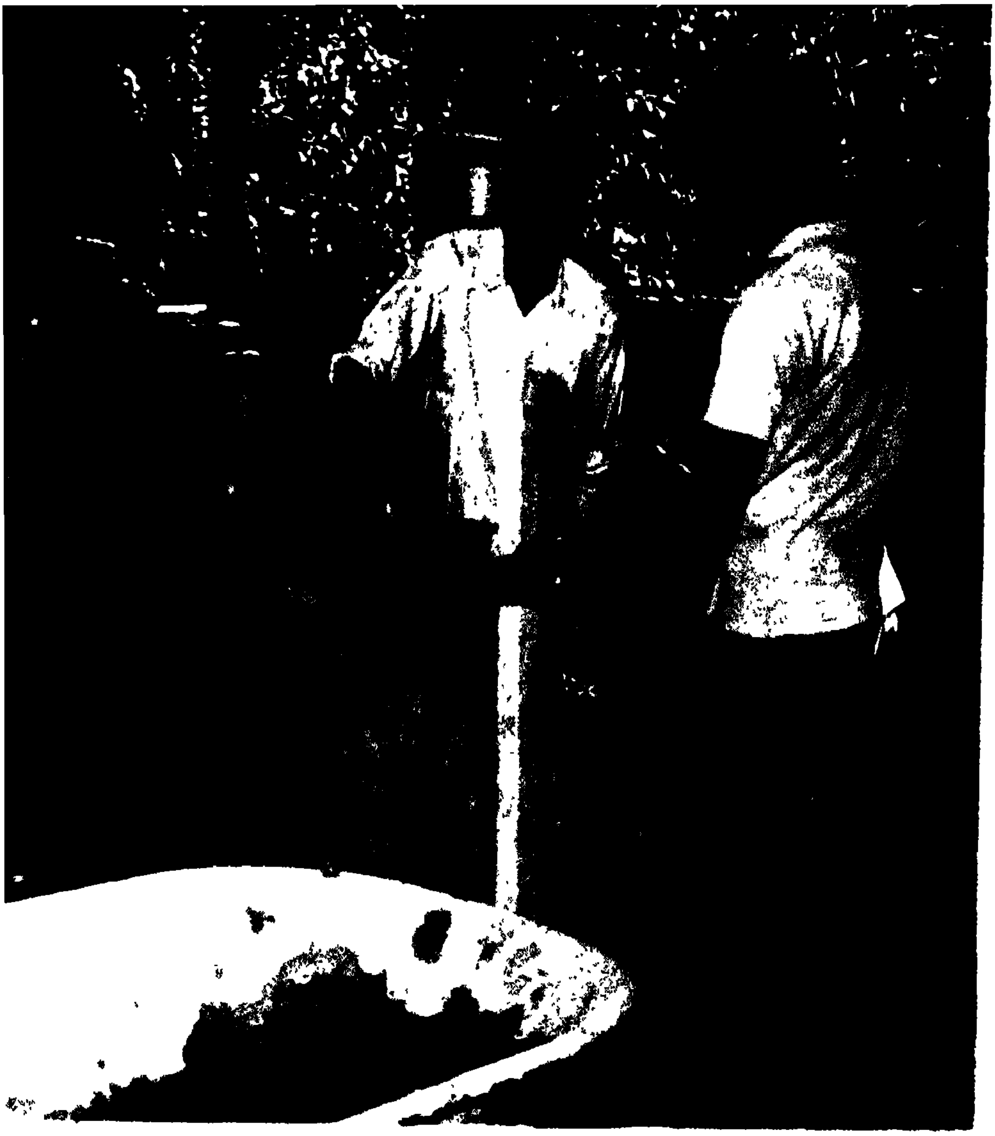
قد يكون صحيحا انهم ورثوا جهاز وظ طيبا ، لكنه اصبح جهازا مضى عليه ٢٠ دون ان يتطور ، لقد تجمد فى مكانه طوال السنوات ٠٠ وكم عانينا فى جولتنا من الم الحكومى ، حتى خيل الينا ان مفهوم الوظيفة اصبح تقاضى المرتب دون اى انتاج او ابدا. انها المأساة المشتركة لدول العالم الثالث والسودان واحد من هذه الدول ٠٠

خريطة لاهم مواقع مشروعات التنمية فى ا والارقام توضح مكان كل مشروع ، وهذه الارقام : (مشاريع صناعة السكر : ١ **سنار ١٣ كنانة ١٤ عسلاية ٥١ منقلا ١٧ ٥٨ ملوط) ٠٠** (مشاريع زراعية ٢ **٤ ابو نعامة ٥ جنوب الروصيرص ٦ اقد ٧ التكامل الاقتصادى العربى ٨ المزمو شركة الاستثمارات السعودية السودانية ا المزموم ١٨ كبوشية ٢٠ كوكو ٤ التعا الرهد ٢٨ القضارف ٣٠ الفشقة ٣١ سـ ابو سبيكة ٣٣ سرف السعيد ٣٤ صنفعت بلا المروى ٤١ جنوب نيالا ٤٢ ام بلا الم نيرتتى ٤٤ دانكوج ٤٥ زالنجى ٤٦ أم ع هبيلة ٤٨ تلودى ٤٩ البيصا ٥٠ التحدي**



(زراعة الارز : ١٥ شتاوى ١٦ البنوباب ١٧ الكوة
٥٩ ملكال) ٠٠ (ابحاث انهار : ١٩ احـواض
مديرية النيل ٢١ احواض الشمالية ٣٥ نهـر
عطبرة ٣٧ نهر ستيت ٣٨ نهر القاش ٥٤ بسرى
والجود ٥٥ نهر التونج ٥٦ نهر الياى ٦١ جونجلى
٦٢ قناة جونجلى) ٣ ـ الروصيروص (للحيوانات)

١٢ ـ العصاحيصا (للنسيج) ٢٢ ـ ثلاجة حلفا
(لحفظ الاسماك) ٢٣ ـ السليت (للعلـف)
٢٦ مصنع سعيد (مواد غذائية) ٢٩ ـ ام سينات
٣٦ مدنى قضارف (طريق) ٣٩ ـ ساق النعام
٥٢ ـ مصنع واو (للخضروات) ٥٣ ـ بسـرى
(خضر وفاكهة) ٦٣ ـ سواكن (تعمير ميناء) .





لمواجهة حاجة البلاد الكبيرة الى مزيد من عمال البناء والتشييد والبلاط والبياض والسباكين وملاحظى العمال قررت وزارة التربية تحويل ٦٠٪ من التعليم الثانوى الى تعليم مهنى ·· ولكن المشكلة تكمن فى الاجور وسوق العمل الخارجى ·· ففى دول النفط يعرضون مرتبات خيالية لجذب العمال السودانيين اليهم ، وهذا امــر يعجز رب العمل السودانى عن منافسته ، وفى نفس الوقت لا يمكنه منع العامل من السفر للربح الحلال ·· مشكلة كبيرة جعلت اليد الماهرة نادرة الوجود فـــى السودان اليوم ··



يقدرون قوة العمل فى السودان ـ التى يزيد عمر افرادها على ١٠ سنوات ـ بحوالى خمسة ملايين نسمة من مجموع السكان البالغ ١٧ مليون نسمة٠٠ وتستوعب الزراعة ٥ر٦٨٪ من قوة العمل ، بينما لا تستوعب الصناعة الا ٦ر٤٪ ٠٠ وبلغت نسبة المتعطلين ٣ر٦٪ من مجموع قوة العمل ٠٠ وسوف توفر الخطة السداسية للتنمية نحو مليون ونصف مليون فرصة عمل جديدة خلال فترة الخطة، الا ان سوق العمل لن تستطيع تلبية حاجة الخطة الى الفئات التالية : العمال المهرة ، الفنيين ، العمال الفنيين ، المديرين ٠٠ ولكن دراسة اخيرة لمصلحة العمل تقول : « ان صعوبة الحصول على العمال المهرة فى السودان لا ترجع لعدم توفرهم ، بل لانهم يرفضون شروط العمل التى لا تتلاءم مع احتياجاتهم ٠٠ » ومما يذكر ان مصلحة العمل اقامت ٢٤ مكتبا للاستخدام لتسجيل ومساعدة الباحثين عن العمل والعمال ٠٠ وبالرغم من توفر اعداد كبيرة مسجلة فى مكاتب التخديم الا انهم يعترضون على الاجور المعروضة ٠٠ويفضلون الهجرة للخارج بحثا عن راتب اكثر اغراء ٠٠

متاعب الهجرة

ومما زاد الطين بلة هجـرة الـكفايات التي كانت موجودة الى خارج البلاد .. ان مشكلة هجرة الالوف من ابناء السودان للعمل في الخارج تشكل معوقا جديدا لمشاريع التنمية السودانية ، وقل ان تجد بيتا في السـودان ليس له قريب يعمل في الخارج ..

وفي كل يوم تخرج الصحف السودانية بصفحة كاملة مزدحمة بانذارات صغيرة باسم كل غائب عن عمله : « عليك تقديم نفسـك في ظرف ١٥ يوما واذا تخلفت فسوف تحاكم غيابيا ، وربمـا ادى ذلك الى فصلك .. »

وما زال حجم الهجرة للعمل في الخارج ، قليلا نسبيا حوالي ٢١٠ آلاف نسمة ،من اصل ١٧مليون نسمة هم سكان السودان ..

الا ان مضاعفات هذه الهجرة ظهرت في مجالات كثيرة : نقص الاطباء ، وقد اتضح ان هناك ٢٠٠ طبيب سوداني يعملون في لندن فقط ..وارتفعت اجرة اليد العاملة .. كان البناء يتقاضى جنيها سودانيا يوميا منذ سنتين ارتفع هذا الرقم الى خمسة جنيهات ، واصبح اقل عامل عادي يتقاضى جنيها يوميا ..

وانعكست آثار الهجرة للخـــارج على فنـادق الخرطوم التي افتتحت مدرســـة فندقية صغيرة لتدريب العاملين فيها ، وكانت النتيجة انغالبية الخريجين انتقلوا للعمل في فنـادق دول الخليج العربي ، بدلا من فنادق الخرطوم !

معاناة وزارة التربية

والى جانب الهجرة للخارج توجد هجرة داخلية .. فكم من اساتذة اعدوا خصيصـــا ليصـبحوا اساتذة في التربية ، ولكنهم تركوها الى وظائف ارفع في الشركات والوزارات الاخرى حيث المرتب اكثر اغراء ..

ومشكلة السودان الحالية تكاد تنحصر فينقص اليد العاملة المدربة .. وجلسنا الى وزير التربية دفع الله الحاج يوسف نساله عن دور وزارته في حركة التنمية ، فقال :

« لقد فرغنا من وضع اســتراتيجية متكاملة للتربية في السودان تمتد لنهاية هذا القرن ، وبداية القرن المقبل .. استراتيجية نوا عهد الثورة التقنية الذى نعيشـــه ، وال الكثير من المفهوم واثر علىانماط الحياة وا في المجتمعات .

« ومن التحديات التى تواجهنا : اختلاف النمو ومعدلاته من اقليم لاقليم ، ولذلك تباينا فى فرص التعليم بين محافظة ومحا وبمعنى آخر ان التحدى الذىيواجهنا هنا ، توزيع الفرص بين المدينة والقرية ، وا والمراة ، واقليم واقليم ..

« والتحدى الثانى هو ربط التربية بالبيئة يكون التعليممدخلا اساسيا لتنميةالمجتمع ، وترقية الحياة فيه ، وهذا يقتضى تغييرا في التعليم الاساسى ومناهجه .

« والتحدى الثالث هو ربط التعليم وذلك بتوفير العمالة المدربة .. وهذا ما نصدر قرارا بتحويل ٤٠ الى ٦٠٪ من ا الثـــانوى الى تعليم مهنى وزراعى وص وتجارى ..

« وكان لا بد ان نســـتعيض بمفهوم التقليدى مفهوما يهتم بالبيئة ومتطلباتها فتحنا جامعة جديدة فى جوبا ، وســـتفتح جديدة فى العام القادم بمنطقة الجزيرة بدراسة البيئة السودانية وبوجـه خاص الريفية للتعرف على قضاياها .. كما الاعداد لفتح كلية للدراسات الزراعية و تتخصص فى المناطق الحارة فى غرب السو

٧ تساوى ٧٠

ويختتم وزير التربية حديثه قائلا : « التحدى الاكبر وهو ايجاد المال اللازم لتن المخطط ، فضلا عن اعداد المعلم المدرب ا

« ونحن رغم كل هذه التحديات متفائلو ما استطعنا انجازه فى السنوات السبع يوازى ما انجزناه فى ٧٠ سنة سابقة ..

« عدد المدارس الابتدائية ارتفع من ٠ ٤٧٠٠ مدرسة .. والثانوى من ٥٧٣ اا مدرسة ..

« وعدد التلاميذ كان ٨٠٠ الف طالب اصبح عددهم اليوم مليونا وخمسمائة ا

« ولكنا ، رغم كل هذا ، نشعر اننا م

بداية الطريق .. فنحن لن نستطيع استيعاب جميع الاطفال الذين فى سن السابعة بنسبة ١٠٠٪ الا فى عام ١٩٩٠ »

مجتمعات ولغات معوقة ..

ونسبة الامية فى السودان غير محددة بالدقة ، ولكنها تقترب كثيرا من نسبة ٩٠٪ وهذه النسبة تختلف من مجتمع الى آخر..لان المجتمع السودانى يتفرع الى عشرات المجتمعـــات .. كل منها له عاداته وتقاليده ..

فى الخرطوم نجد مجتمعـا يكاد يعيش بنفس مستوى الحياة فى أوربا .. وفى الشمال الغربى تعيش القبائل الرحل خلف ابلها فى مناطق العطش والجفاف .. وفى الجنوب نجد قبائل ما زالت تعيش على الفطرة كما خلقها الله وتتحدث بحوالى ٢٠٠ لغة مختلفة ! منها ١٣ لغة رئيسية تاتى فى مقدمتها لغة الدنكا ويتحدث بها حوالى مليونين ونصف من السكان ، وقد بدأ تدريسها فى مدارس الجنوب الى جانب اللغتين العربية والانجليزية ، كما تدرس فى قسم اللغات بجامعة الخرطوم .. أما بقية اللغات فهى : النوير ـ الشدلق ـ البارية ـ الزاندى ـ الشولى ـ مادى ـ لاتوكا ـ مورو ـ النيواك ـ الكريش ـ بالنده ـ دوجو .

أسماء غريبة للغات لها قواعدها وصرفهـا ، يتحدثون بها ويكتبونها ..

وهذا التفاوت فى المجتمعات السودانية والتمسك بالتقاليد القديمـة ، يسبب الكثير من المتـاعب لمشاريع التنمية .. على سبيل المثال ناخذ مصنع الالبان فى بانبوسة مصنع كبير حديث أقامـــوه لبسترة الالبان فى منطقة تكثر فيها الابقار ..

وانتظر القائمون على المصنع أن ياتى البدوى بحليب ماشيته .. وطال انتظارهم ، ولم يات احد .. فالبدوى يانف من بيع الحليب .. انـه يوزعه بالمجان على جيرانه ، ولكن لا يبيعه أبدا .. حتى ولو كان لمصنع حديث .. !

طريق الاحـلام

ان هذه المجتمعات الصغيرة تكونت نتيجة حياة العزلة التى تعيشها كل منطقة عن الاخرى .. فمن يصدق ان بلدا مساحته حوالى مليون ميـل مربع ، اى ما يوازى نصف مساحة أوربا تقريبا ، يترك حتى سنوات قليلة مضت دون وسائل مواصلات تربط بين أرجائه المختلفة ، اللهم لا خط سكـة حديد ضيق يربط بـين بورسودان والخرطوم ؟

لقد خلق هذا التباعد مشاكل عديدة اقتصادية واجتماعية : محاصيل المانجو والاناناس فى الجنوب تلقى فى النهر لعدم وجود وسيلة لتصديرها .. سلة من الليمون الحامض تباع بخمسة مليمات فى كسلا .. بينما الشمال يشكو القلة والغلاء..

ومع صحوة السودان شقوا الطريق الذى كان يحـلم به كل سـودانى .. طريق الخرطـوم ـ بور سودان .. لم يشقوه مباشرة بل أطالوا فيه حتى يمر بوسط السودان حيث المشاريع الزراعية الكبيرة : الجزيرة .. الرهد .. القضارف .. وتعمدوا أن يمر بمناطق تعيش فيها قبائل بدائيه معزوله ، لان هذا الربط سوف يؤدى الى ذوبان الفوارق والحواجز الاجتماعية بين أهل السودان..

مطلوب ميناء

وخلق هذا الطريق مشاكل غير متوقعة لمينـاء بورسودان ، فقد ازدادت حركة الوارد والصادر زيادة هائلة، وتكدست البضائع فى ميناء بورسودان الصغير الذى بلغ حجم حركة الوارد والصادر فيه ٢٫٩ مليون طن فقط فى عام ١٩٧٥ وما زال البحث جاريا لايجاد التمويل اللازم لتوسعة الميـناء ، وانشاء ميناء جديد فى سواكن ..

وقد وافقت صـــناديق التنمية العـربية على تقديم قروض بمبلغ ١١٨ مليون دولار من أجـل تطوير خطوط السكك الحديدية السودانية ، التى تعتبر من اقدم الخطوط اذ اقيمت عام ١٨٧٦ فى عهد الخديوى اسماعيل والى مصر آنذاك .

٣ خطط سداسية

والتنمية فى السودان تتم وفق خطة قومية تمتد لمدة ١٨ عاما ، ولكنهم قسموها الى ثلاث خطط سداسية .. الاولى منها بدات عام ٧٨/٧٧ حتى عام ٨٣/٨٢ وجملة الاستثمارات فيها تبلغ ٢٧٦٠ مليون جنيه سودانى ، سيتم تمويل ٤٨٪ منها من الموارد المحلية و ٥٢٪ من الموارد الخارجية ..

وقد اعتمد فى ميزانية السودان لهذا العـام



ستة عقول الكترونية تعمل فى السودان ،لتوفير الاحصائيات التى يطلبهـا خبراء التنمية ٠٠ « عملية صعبة نقوم بها رغم متاعب المواصلات ، وانعدام الوعى الاحصائى واختلاف اللغات واللهجات ٠٠ » من حديث مدير مصلحة الاحصاء عمر حمد التاى ٠



مبلغ ٣٠٧ مليون جنيه سوداني لتصبح الميزانية الاولى للخطة السداسية الاولى ..

زحف الرمال

ان السودان وهو يخطط للتنمية تصادفه مشاكل لم تكن واردة فى الاذهان .. فمثلا زادت الثروة الحيوانية زيادة هائلة بعد توفر الامصال والرعاية، ولكن هذه الزيادة خلقت مشكلة كبيرة للسودان حدثنا عنها خبير الغابات محمد الكونى قائلا :

« هذه الحيوانات انطلقت ترعى رعيا جائرا فى الجزء الشمالى الغربى من السودان ، وشاركها الانسان فى قطع الاشجار لاستعمالها وقودا ، فاختفى الغطاء الشجرى للمديريات الشمالية ، وشحت الامطار ، وبدأت رمال الصحراء تزحف تجاه الاراضى الخصبة فى الجنوب بسرعة ثمانية أميال فى السنة ، بعد أن كانت سرعتها ميلا واحدا عام ١٩٧٤ وامتد الزحف الى النيل نفسه فتكونت الجزر الرملية وسط المجرى مما سبب تغييرا فى خط سير النيل نفسه !! »

مشاريع هائلة ..

ويثار ابن السودان من الرمال الزاحفة باستصلاح المزيد من الاراضى .. ومشروع الجزيرة الضخم الذى توازى مساحته مساحة لبنان كله ، يعطينا خير مثل على ضخامة مشاريع السودان ..

وفى نهاية عام ١٩٧٧ افتتح الرئيس النميرى مشروع الرهد الذى اضاف لارض السودان الزراعية ١٥٠ الف فدان مزروعة بالقطن ، ويجرى العمل لاضافة ١٥٠ الف فدان اخرى الى هذا المشروع الذى استفاد من اخطاء مشروع الجزيرة فاقام مدينة الفاو فى وسطه ، ووزع الاراضى على الفلاحين مع ٥٠ جنيها لبناء منزل .. انها بداية حياة الاستقرار لنحو ٢٠ الف مواطن نصف رحل..

> الى اليمين : « الكتاب هو مفتاح التنمية .. لهذا افتتحت جامعة الخرطوم مركزا لبيع حصيلة الفكر العربى والاجنبى بارخص الاسعار .. اننا نحول ارباحنا من القرطاسية والادوات المكتبية لتخفيض سعر الكتاب.. » من حديث مدير التوزيع عبد الرحمن ابراهيم.

حلقة مفرغة

ومشاكل التنمية فى السودان تدور فى شبه حلقة مفرغة .. العقبة تجر وراءها عقبة .. فمثلا انخفاض مستوى دخل الفرد يؤدى الى انخفاض المستوى الصحى ، الذى يؤدى بدوره الى انخفاض القدرة على العمل .. الى انخفاض الانتاج .. وهكذا تشعبات كثيرة كلها متفرعة من انخفاض مستوى دخل الفرد السودانى الذى يقدرونه بنحو ٢٥٠ دولارا عام ١٩٧٥ .

العربة امام الحصان .. !

ان السودانى ينطلق اليوم فوق كل هذه المشاكل والمعوقات .. انه يجب أن يبدأ من نقطة ، ولا يعقل ان نجعله ينتظر حتى تحل كل مشاكله ليبدأ التنمية !

ان التنمية هى التى ستحل المشاكل ..

والتنمية هى التى ستجعل القبلى يتعلم كيف يهضم المؤثرات الحضارية .

والتنمية هى التى ستزيد الانتاج القومى ودخل الفرد .

والتنمية هى التى ستؤمن الاستقلال الاقتصادى..

لقد بدأ السودان اليوم عملية تصنيع ما يزرع: النسيج يستخرجه من القطن .. والسكر من القصب .. الى جانب الجلود والمنتجات الحيوانية الاخرى ..

★ ★ ★

ان التفاؤل يسود ابناء السودان .. فالى جانب الزراعة والصناعة بدأ استغلال بقية الثروات الطبيعية مثل الكروم والاسبست والجبس والمايكا .

وفى الخرطوم تسمع فى كل مكان كلمة : « النفط جرّب » أى أن ظهور النفط قد اقترب .. فالاخبار القادمة من شمال كردفان تؤكد أن الاقمار الصناعية اثبتت وجود النفط فى المنطقة .

حقق الله آمال شعب السودان الطيب ، فقد عانى بما فيه الكفاية من التخلف .. وأصبح من حقه أن يبدأ حياة رغيدة هانئة تتناسب مع حياة العصر الذى نعيشه . ■■

سليم زبال

طرائف عربية

كيف تختار زوجتك؟

● سئل احد الفلاسفة كيف تختار زوجتك ؟ فقال : اريدها لا جميلة فيطمع فيها غيرى ، ولا بالقبيحة فتشمئز منهــا نفسى ، ولا بالطويلة فارفــع اليها هامتى ، ولا بالقصــيرة فاطاطىء لهــا راسـى ، ولا بالسمينة فتسد على منافــذ النسيم ، ولا بالهزيله فاحسبها خيالى ، ولا بالبيضاء فتكون كالشمع ، ولا بالسوداء فتكون كالشبح ، ولا بالجاهلة فــلا تفهــمنى ، ولا بالفيلسوفــة فتناقشنى الحساب ،ولا بالغنية فتقول مــالى ودخــلى ، ولا بالفقيرة فيشــقى من بعدها ولدى .

وصفة لعــلاج الحب

● مع الحب يولد العذاب، وهى حقيقة اكدها كل مــن احب ، وقد اكدها مجنون بنى عامر ، فقال :

«انفس العاشقين للشوق مرضى
وبــلاء المحــب لا يتقــضــى
ليس يخلو اخو الهوى ان تراه
كل يوم يــلام او يترضــى
باكيــا ساهرا نحيلا ذليــلا
ليس يهدا وليس يطعم غمضا»

ويؤكد هذه الحقيقة محــب آخر هو جميل بثينة فى قوله :

«اذا ما دنت زدت اشتياقاً ، وان نات
ارقت لبين الدار منها وللبعد» .

كما يؤكدها العباس بــن الاحنف الذى شيب الحب راسه قبل .اوان المشيب

«ابكى اذا سخطت ، حتى اذا رضيت
بكيت عند الرضّا من خشية الغضب»

وياخذ ابن حزم الاندلسى صاحب كتاب طوق الحمامة فى الالفة والالاف ما قاله المحبون ليحددلنا اعر ض الحب يقول: «المحب يانس بالوحدة ، وينحف دون مرض ، يساهر النجم ، المحب دائم القلق ، يقلق عندما يحول دون اللقاء ما يحول ، ويقلق من مخافة الهجر ، يحب قرابة محبوبه وخاصته ، يجزع اذا اعرض المحبوب ويبكى اذا قسا .

ويقرا ابن الجوزى اعراض الحب فيتالم لالم المحبين،ويكتب العلاج ، انها وصفة الف سنة او تزيد يوض ابن الجوزى خلاصة تج وقراءاته لعلاج الحب ية

اذا اردت ان تشفى العشق فاخش الله،تذكر والقيامة والنار،شم ال تغذ بالاغذية الرطبة فان العاشق اذا نحف اسرع الحرارة الهابا واحراقا نومك ، ادخل الحمام ، تطيل المكث فيه ، اسمع المضحكة ، سافر لتناى المحبوب ، اشغل القلب ليسلو ، زر المــرضى مجالس الذكر جالس والصالحين .

ونعرض هذه الوصا المحبين لــيروا فيهــا ر نعرضها على مجنون ليا

«تداويت من ليلى بليلى،
كما يتداوى شارب الخمر

ونعرضها على جميل

« زعــم الناس ان دا
انت والله يا بثينة ط

ونعرضــها على مع فيقول :

« طلبنا دواء الحب يوما
من الحب الا من يحب

وبالطبع فان المحب المحبين يرفضون هذه ا مسكين ابن الجوزى و الــدواء لمرضــى لا الشفاء .

قومه بخمسمائة درهم

● حكى ان المهلب بن ابى صفرة مر يوما بحى من همدان فرآه شاب من اهل الحى ، فقال لصديق له كان يقف بجانبه : « اهذا هو المهلب ؟ » فقال : «نعم» فقال :« والله ما يساوى اكثر من خمسمائة درهم » . وكان المهلب اعور دميم الخلقة، الا انه كان احد القادة المحنكين والمشهورين فى التاريخ الاسلامى ، فسمعه المهلب ولم يلتفت اليه ، فلما كان الليل اخذ المهلب فى كمه خمسمائة درهم ، واتى الى الحى يراقب الشاب الى ان رآه ، فاقترب منه ، وقال له : « افتح حجرك» ففتح الشاب حجره ، فسكب خمسمائة درهم ، وقال : « خذ قيمة عمك المهلب ، والله - يا ابن اخى - لو قومتنى بخمسة آلاف دينار ، لاتيتك بها ، فقال : والله ما اخطا من جعلك سيدا » .

ذهب الشباب وشره

● قيل ان الخليفة الاموى سليمان بن عبدالملك دخل مسجد دمشق يوما فراى شيخا يرتجف من شدة الضعف فقال له : « ايسرك ان تموت يا شيخ » قال : «لا» قال : «لم وقد بلغت من السن ما ارى » . فقال الشيخ : « ذهب الشباب وشره، وبقى الكبر وخيره واننى اذا قعدت ذكرت الله واذا قمت حمدت الله ، واننى والله احب ان تدوم لى هاتان الخصلتان » .

طمع اشعب

● قيل لاشعب : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت عروسا تزف ، الا وظننتها لى، ولا رأيت جنازة الا وظننت ان صاحبها اوصى لى بشىء . ولقد طاف بى مرة صبيان فنادوا : يا اشعب يا اشعب فاضجرونى فدفعتهم عنى بان قلت لهم : ان دار فلان يهبون الاطفال نقلا فبادروا .... فلما ولوا ظننت اننى صادق فتبعتهم .

احفظوا عني ثلاثا

● لما احتضر قيس بن عاصم المنقرى حكيم العرب قال لبنيه: « يا بنى احفظوا عنى ثلاثا ، فلا احد انصح لكم منى : اذا مت فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم وتهونوا عليهم، وعليكم بحفظ المال فانه منبهة الكريم، ويستغنى به عن اللئيم، واياكم والمسالة فانها آخر كسب الرجال».

القوة والض

أمام ال

● قال الامام على طالب - رضى الله لولده الحسن : « يا ب ان يراك الله عند ويفقدك عند طاعة ، ف الخاسرين ، فاذا قو على طاعة الله ، واذ فاضعف عن معصيته »

كرهنا شيب

● قال العتبى : كثير التزوج ، فمر فاعجبتنى ، فارسلت اسالها : الك زوج الله » قالت : « فصرت اليها فوضح نفسى، وعرفتها موضعى « حسبك يا عبدالله عرفناك» فقلت لها : نفسك » فقالت : هنا شىء لا تحتمله وما هو قالت : « مفرق رأسى » . قال عنان فرسى وانصرفت بى : « ارجع » ف فاسفرت عن رأسها الى وجه حسن وش فقالت : « انا كره عافاك الله - ما ك فانصرفت اريد هذا رأين الغوانى الشيب فأعرضن عنى بالخدود

المتعهد

بقلم : ربيع ديب

■ جلس « عقلة عبدالسلام » مستندا الى اكياس الاسمنت ، دافعا ساقيه باهمال ، مواجها الشمس بوجه متغضن مغمض العينين ، وراح كعادته يحلم •• فخلال ساعة الاستراحة هذه يمكنه ان يتعايل على ضجيج الجبالة المعربد داخل رأسه، وان ينعم على نحوما باسترخاءة تساعده على طرد ولو قدر قليل من الارهاق المستوطن عضلاته • فعمل ما بعد الظهيرة سيكون شاقا ، « عقلة »تلك طريقته فى الاستمتاع بالاسنراحة عندما لا يشارك الآخرين احتساء الشاى داخل غرفة الناطور المنصوبة هناك عند طرف الورشة •

غير انه الآن ــ رغم مغالبته لذكرى حادثةالأمس ـ يشاركهم مرحهم من مجلسه هذا • جاعلا فى سيل احلامه محطة يلتقى معهم •• وها هو الآن يبتسم جذلا وصوت محمود يتناهى اليه مشبعا برائحة المواسم فى « منبج » :

ــ « لدخــل سرايـــا حلب

اصــرخ وقول مظلومـــة (١)

وان شانت الجيــزة غضب

عليشــى المشــــومــة » •

وصوت محمود يجلو الهم عن القلب ، وينسيك للحظة وجه متعهد البناء •• يحملك فىتموجاته الى حيث الاولاد والزوجة وقطعة الارض ا التى لا تسمن ولا تغنى من جوع •• وذكري أيام القحط والكساد ، واللجـان تاتى ا ولا تفعل شيئا •• وانت هنا عرضة للد والتعب •• وهم هنـاك يحسبونـك مفتر يتحلقون من حولك فى كل مرة تاتى اليم ويسالك ابو جاسم بدعابة :

ــ هات حدثنا عن النساء فى بيروت ، و السردين المعلب وسينما العرض المتواصل ،

وتصمت انت محرجا•ولكنك ما تلبثانتس فى حديث طويل عن العمل فى الورش ، الوكلاء بوجوههم التى تتكلف التجهم لإيماء والنواطير يحصون عليك انفاسك لقاء علب الاجنبية •• ومتعهد البناء يشتمك بقحة ، لك للمرة الألف انك تاتى لتسرق فرص من ابناء البلد ــ رغم انه هو نفسه يرفض ؛ ابناء البلد ــ وعن •• وعن •• ومحمود عن نفسه بطريقة مختلفة • وها انت تغالب المشتعل فى صدرك ولا تقوى على الغناء فى استطاعة المتعهد ان يقول لك : : «يا ك وتسكت مخافة الحسم من الاجـر او الطـر الورشة •• وانت يا « عقلة » يصعب عليك

(١) : من اغنية يرددها عمال البناء



ما حدث بالامس .. وانت ـ يعلم الله ـ لم تكسل والرفش كمذراة القمح في يدك ، يهبط ويرتفع ناقلا الرمل من الشارع الى الداخل . وحين جاء « الافندية (٢) توسلتهم بذل الا يحرروا مخالفة بحق المتعهد . ومع ذلك ثارت ثائرة المتعهد وهو يتناول نسخة المخالفة من يد الناطور ، واجبرك مع الاخرين ، كالعادة ، على العمل ساعة اضافية تعويضا عن قيمة المخالفة .. وفوق ذلك .. وفوق ذلك يقول لك « يا كلب » .

يفتح « عقلة » عينيه .. يطرد صورة المتعهد من راسه .. ذاك الذي كلما تذكره شعر بالمهانة والعجز ، وتمنى لو ينهال عليه ضربا لولا أن « اولاد الحشومة (٢)» ياتون .. يضعون الاصفاد في يدك كاي مجرم ويقتادونك .. فماذا تبقى لك في الورشة ؟ .. غادرها الى غير رجعة . غادرها يا « عقلة » وحرر نفسك .

يسكت صوت محمود .. تعلو في غرفة الناطور جلبة الاخرين وهم يتحدثون .. فلعلهم اعتادوا رفع اصواتهم وسط ضجيج الجبالة وصوت اصطدام اقدامهم فوق القالب الخشبي .

يطل محمود براسه ليدعوه الى احتساء الشاي .. يشير « عقلة » بيده معتذرا ، ومحمود يصر ويلح عليه :

ـ امراتك بغير هناك .. ولعلها وجدت عريسا تتزوجه .. قم يا اخي .. قم .. عزاؤك في الشاي ولفافة « الحموي » (٣) .

وينهض هذه المرة . فمن العيب تسفيه محمود ، والشراهة الى الشاي لاتقاوم .. يغالب اعياءه ويتجه الى غرفة الناطور ، وحين يحاذي الجبالة يبصق عليها :

ـ ملعون صاحبك ..

يستقبلونه بالدعابة ، وهو يعلم انهم يغالبون ـ مثله ـ التعب والذل .. والغرفة المبنية من الواح الصفيح تكاد تضيق بهم الى جانب اكوام العدة والخشب وبقايا قضبان الحديد والمسامير الصدئة . وابراهيم ، ابن بلدته منبج ، الناطور في الورشة يجلس فوق فراشه الاسفنجي العاري يعلا لفافته الاجنبية ، وعلى الوسادة الى جانبه علبة التبغ الحمراء يتعد فقط .. و « عقلة ان الاخرين ـ مثله ـ يتحرقون الى تدخين وتمز عليهم .. وابراهيم صده حين ال يوما ان يمن عليه بلفافة منها وقال انه فالعلبة ستذوب على شفاه الاخرين . و الآن يتناول عجمية الشاي وعلبة «الحموي» من يد محمود ولا يعود يفكر في لفائف ا

يتمطى ابراهيم فوق حاشيته .. يبد انه سيقول شيئا مهما .. يتفرس فيه ا و« عقلة » يستطيع الان أن يقرأ في ا الكراهية لابراهيم .

ـ سوف يصل « الخواجة » بعد قليل . ابراهيم ويرتسم في ملامحه زهو من يستطي تضمين عبارته تلميحا بضرورة الاستعداد لـ وحين يشرع في الحديث عن فضائل المتعه عليهم الضجر والعقد ..

ـ والله لو ملكني هذه الورشة ما اه يقول محمود ، و« عقلة » يتشاغل في اصلا الحموي .. غير انه يؤكد على قول محمود راسه فيما هو يمرر اللفافة على شفته المبا وكانما ادرك ابراهيم ما يدور في دخائله وان الواجب ان يقول شيئا ، فتنحنح :

ـ تعلمون ان أجري لا يزيد على اجر اي .

وفي تلك اللحظة انفجر عقلة :

ـ انت يا ابراهيم افسدتك علبة التبغ الاج

ـ ولكن النبي قبل الهدية .. أجاب ا بلهجة من ادخر ذلك زمنا طويلا ليقوله في المناسب .. ثم تابع :

ـ انت يا عقلة تكرهني لا اكثر ..

وينتهي الجدال عند هذا الحد .. و ما .. وسيظل ابراهيم مرتهنا لعلبة التبغ ال يعلم انه سوف يتجدد في لحظة ما .. ف والوجاهة المتواضعة الممنوحة له تمتد جدارا وبينهم .. و « عقلة »يحرك في راسه فكرة

(٢) : رجال الشرطة .

(٣) : نوع من التبغ الشعبي الرديء .

الورشة الى غير ما رجعة . (فاى شيء يربطك بهذا المكان : الاجر المعقول .. ام وجاهة ابراهيم .. ام .. ؟) .

ساد الصمت تماما .. انشغل كل في افكاره.. وفي الركن تسلى احدهم بعد دو همه.وفي الخارج انتظمت معزوفة من ابواق السيارات وهدير المحركات .

قرر ان يقطع الصمت في الداخل بالحديث عن فكرته :

ـ ساغادر الورشة الان .

وسكت مرتاحا الى مراقبة ومعرفة ما يمثله قراره من قضية بالنسبة اليهم .. وحين سكتوا كرر :

ـ ساغادر .. لقد قررت .

ـ قلت ذلك للمرة الالف .. قال محمود ، واستعد ابراهيم للمجاملة ، ولكن عقلة لم يمهله:

ـ لكنني هذه المرة قررت . لم اعد احتمل .. ضقت ذرعا بالمتعهد والعمل لقاء لاشيء..وساصفع المتعهد قبل ان اخرج .

سكت الجميع.وانهمر نهر الالم دفعة واحدة في صدر « عقله » :

ـ انت تناطح الجدار وحدك .. وسيحطمك الجدار وحدك .. اعمل .

خيل اليه ان محمودا يقول جانبا من الحقيقة . ولكنه خشي على قراره من الاقتناع بقول محمود.. ولكن خاندا ابن عمته عبر في حياته زمنا وتحدث طويلا عن ذلك ، غير انه مذ وعدوه بوظيفة كف عن طرح هذه الامور وعاش سلفا على امجاد الوظيفة وشهادته الاعدادية .. ومحمود يقول أن مناطحتك الجدار منفردا ستحطمك . ولكنك لم تعد تحتمل ، ولا مندحة عن أن تحرر نفسك .

وقف وسط الغرفة وكرر ما قاله من انه سيغادر .. نظروا اليه باشفاق واستطاع ان يخمن ما يفكرون به .. وفي تلك اللحظة قال ابراهيم :

ـ انت تضحي بالصحبة .. تتركنا ناسيا اياما سوداء عشناها معا ..

ادرك خطة ابراهيم . ومع ذلك ارتعشت اهدابه تاثرا . (ولكن يا ابراهيم .. هذه الروابط لا قيمة لها ازاء ما اعانيه .. وانت يا ابراهيم تبارك اليد التي تصفعك) .

خطا الى الخارج وتبعه محمود . وحين اصبح وسط الورشة توقف والتفت الى الوراء .. كانوا جميعا عند مدخل الغرفة . واستطاع الان ان يلاحظ ما خلفه العمل من تشويهات على قاماتهم .. والان يستطيع اكثر من اى وقت مضى ان يدرك خطا لعبتهم واحلامهم عن جمع المال والعودة لتشييد منزل من اسمنت او شراء قطعة ارض .. وهو يعلم انهم لو قضوا دهرا على هذا النحو ما تحققت احلامهم .. وخطا من جديد ، وعندما اصبح عند مدخل الورشة وصل المتعهد بسيارته الفارهة لتوقف .. شاء ان يكتشف اثر قراره عليه .. هبط المتعهد من سيارته ومسبحته في يده . وظل هو واقفا كدعامة من اسمنت . وحين عبر به المتعهد باهمال قرر ان يصفعه وليحدث ما يحدث . ولكن الرجل كان قد اصبح بعيدا عنه .. وحين ارتفع صوت الرجل آمرا متوعدا خرج « عقلة » الى الشارع وتنفس ملء رئتيه .. وسار .

سار طويلا وصوت اصطدام قدميه بالإسفلت يقرع اذنيه بانتظام .. لم يفكر ولو للحظة في ان يلتفت الى الوراء . وحين توقف ليصنع لنفسه لفافة لاحظ بقع الاسمنت منتشرة مثل البهاق على ساعديه . ولاول مرة تساءل : الى اين اذهب ؟ .

نسي دفعة واحدة ما حدث منذ قليل .. سيطر عليه السؤال .. اشعل اللفافة ومشى بهدوء دونما هدف معين . وحين بدا الشعور بالندم يتسرب الى داخله كقطرات المطر وجد نفسه متسمرا الى الرصيف وفي مواجهة مدخل لورشة بناء اخرى والالم يعتصره ، وصور عن الزوجة والاولاد ولقمة العيش تتداعى في راسه بعناد ..

قال لنفسه انه تصرف برعونة ، وان الاوان لم يؤن بعد .. واندفع الى الورشة الجديدة يسال عن الوكيل . ■■

لبنان ــ ربيع ديب

هو زوجها وهي زوجه وزوجته أيضاً

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ يقال : الرجل زوج المراة ، وكذلك : « المراة زوج الرجل » فهل يجوز ان يقال ايضا « المراة زوجة الرجل » ونحن في الدارجة لانستعمل في وصف المراة الا كلمة « الزوجة » ولا نستعمل كلمة الزوج •

اكثر اللغويين القدماء يجيزون كلمة الزوجة، لانها منقولة عن العرب الفصحاء ، واما المتاخرون المقلدون بيننا اليوم ـ والى الله الشكوى من ارستقراطيتهم اللغوية الفجة ـ فهم يقطبون الوجوه امام كلمة « الزوجة » للمراة ، فمنهم من ينكرها ، ومنهم من يرى انه بلغ غاية السماحة اذا قبلها مع اشارته الى ورودها « على قلة » ولا يجوزها الا كارها مكرها •

وحجة هؤلاء المتشددين ان الكلمة لم ترد في القرآن الكريم ، بل وردت كلمة الزوج للجنسين، كما ورد جمعها « ازواج » ولا شك ان كلمة « الزوج » للمراة ، وجمعها « ازواج » ثابتة فصاحتها ، لان القرآن اوثق نص عربي وابلغه ، وهو معجزة العربية ، ولكن عدم ورود بعض الكلمات او التراكيب فيه لا يثبت عدم فصاحتها ، فهو ليس المرجع الوحيد للكلمات والتراكيب والقواعد العربية ، وان كان اوثق المراجع واعلاها و دليلا على الفصاحة والبلاغة •

فهل وردت كلمة « زوجة » في كلام عربي حسبنا هنا ان نشير الى ورودها في قول ا خلال حديثه في الخلاف الذى وقع بينه وبين « نوار » وكانت بنت عمه ايضا ـ ومعاونا اعدائه توسيع شقة الخلاف بينهما ، بت عليه •

وان الذى يسعى يحرش زوجتي
كساع الى اسد الشرى يستبيلم

وفي قوله يهجو ابليس ، ويذكر جناياته اخراجه آدم وحواء من الجنة :

وآدم قد اخرجته ـ وهو ساكن
وزوجته ـ من خير دار مقا

كما وردت في قول ذى الرمة مخاطبا نف صاحبا له ، متعجبا من اقامته في مدينة الب بعيدا عن موطنه

اذو زوجة بالمصر ، ام ذو خصومة
اراك لها بالبصرة اليوم ثاويا ؟ ؛

كما ان الكلمة وردت في كثير من المعاجم ا للائمة الاثبات ، ومن ذلك « اساس البلا للزمخشرى ، اذ يقول صراحة « هو زوجها

(١) ديوان الفرزدق ، وانظر (الصحاح)للجوهرى ، « ولسان العرب » لابن منظور (بول) « وتاج العروس » للزبيدى (مادة زوج) •

زوجه ، وزوجته ، وهما زوجان ، وله عدة ازواج وزوجات » ٠

والفيومي في معجمه « المصباح المنير » يقول : « الرجل زوج المرأة ، وهي زوجه ايضا هذه هي اللغة العالية ، وبها جاء القرآن الكريم ، نحو : اسكن انت وزوجك الجنة « والجمع فيها ازواج» ثم يتبع ذلك بقوله : « واهل نجد يقولون في المرأة « زوجة » بالهاء ، واهل الحرم يتكلمون بها ، وعكس ابن السكيت فقال : « واهل الحجاز يقولون « زوج » بغيرهاء ، وسائر العرب « زوجة » بالهاء، جمعها «زوجات » ثم يقول : « والفقهاء يقتصرون في الاستعمال عليها (زوجة) للايضاح وخوف لبس الذكر بالانثى ، اذ لو قيل : « تركة فيها زوج وابن » لم يعلم اذكر هو ام انثى » (١)

ولا معنى لوصف الفيومي هنا لكلمة «الزوج» للمرأة بانها اللغة العالية سواء كان ذلك من اجتهاده او اجتهاد غيره ، كان كلمة « الزوجة » لغة غير عالية ، او لغة رديئة ، او مشبوهة ، فهو قد رد بنفسه على نفسه حين نقل عن بعض الثقات ان اهل نجد واهل الحرم يقولون « زوجة » للمرأة ، وان سائر العرب – عدا اهل الحجاز – يقولون ذلك اكثر ، فاهل نجد والحرم وسائر العرب لا يقلون هنا عروبة ولا فصاحة عن بقية اهل الحجاز٠

واقتصار القرآن الكريم على زوج وازواج للمرأة ليس حجة على ان هذه الكلمة هي وحدها اللغة العالية ، فتكون « زوجة » لغة غير عالية او لحنا ، وكل ما في الامر ان ما ورد فيه فهو من اللغة العالية، ولكن كثيرا مما لم يرد فيه لغة عالية ايضا ما دام مرجعه وثيقا عاليا ، ونضيف الى ذلك ما هو معروف من ان المفسرين الاوائل للقرآن الكريم (ومنهم ابن عباس) ، وكثيرا بعدهم – كانوا اذا ارادوا تفسير لفظ فيه او الاحتجاج له استندوا في ذلك الى كلام فصحاء العرب ، ليكون حجة فيما يقولون ٠

ثم نلاحظ ان كلمة زوج ، – حيثما جاءت مفردا او جمعا في القرآن الكريم وصفا لبشر – جاءت واضحة الدلالة على المقصود منها ذكرا كان او انثى ، وهذا ما غفل عنه المتشددون قديما وحديثا، والرجوع الى مواضع هذه الكلمة في آيات القرآن يوضح ذلك باجلى بيان ، ومن ذلك قوله تعالى: قلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة » وقوله : « لهم فيها ازواج مطهرة » وقوله : « ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون »وقوله« وان اردتم استبدال زوج مكان زوج ، وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ، اتاخذونه بهتانا واثما مبينا » وقوله : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » وكل هذا يدل على ان المقصود بالزوج والازواج هو المرأة والنساء ، او الزوجة والزوجات ٠

ولنفرض ان كلمة زوج لم ترد في اى كلام فصيح ، ثم اصطدمنا بموقع يلتبس بين الذكر والانثى ، كما اصطدم قبلنا الفقهاء الذين اشار اليهم الفيومي فيما نقلنا عنه هنا ، فما هو المخرج لتجنب الالتباس ؟ لا مخرج الا كما خرج هؤلاء الفقهاء ، فالزوج للرجل والزوجة للمرأة٠

وحجتنا الكبرى في ذلك هو الرجوع الى الاساس الاعمق والارسخ ، فنسال : مافائدة الكلام ؟ ان الفائدة الكبرى للكلام هي ايضاح مانريد ايضاحه ما استطعنا ، ليفهم غيرنا عنا ما نريد ان يفهمه دون لبس بقدر الاستطاعة ، وواجب اللغة – اى لغة – ان تمكن المتكلم بها من ذلك، والا كانت قاصرة او ناقصة ، وهذا عيب في اللغة شنيع يجعلها اشبه بالرطانات ، فهل نرضى للغتنا هذه الوصمة ؟ او هل نتطوع بها للغتنا دون اضطرار وهي براء منها ؟ بل ان هذا ما لا يريده المتشددون، بل انهم يفرون منه اسرع فرار ، وينكرونه اشد انكار ولكنهم بتشددهم هذا ونحوه ، يقعون فيما يفرون منه وهم لا يشعرون ، ثم ان حجتهم في تشددهم ضعيفة او عاجزة او فجة ٠

ودون توسع في بحث التذكير والتانيث في لغتنا نقتصر على ما يزيد موضوعنا وضوحا ، فنشير الى ان كل اللغات اعلاها وادناها – تهتم بالتفرقة بين المذكر والمؤنث ، ولا تعرف اى لغة بين ارقى اللغات تشابه لغتنا في اهتمامها بهذه التفرقة، حتى ان هذه الظاهرة متحققة في المبهمات : كالضمائر ، واسماء الاشارة ، والاسماء الموصولة، كما تراها في الافعال والاسماء والصفات على انساق محبوكة مطردة ٠ ■■

---

(١) المصباح المنير (مادة : زوج) وقد نقل ذلك منه الزبيدي في معجمه « تاج العروس » مع تصرف يسير ٠

أين مجامع اللغة العربية

● تصادفنا في كثير من الاحيان كلمات اجنبية في معظم وسائل اعلامنا مثل ايديولوجية – ديناميكية – ميتافيزيقية – رومانتيكية – جيولوجية .. وكلما قرات كلمة من هذه الكلمات تعتريني ثورة على مجامعنا العربية التي لا تحرك ساكنا ازاء هذه الظاهرة العجيبة لعلمي ان اللغة العربية غنية بالمفردات التي تستطيع ان تستوعب كل هذه الكلمات الاجنبية .

يوسف الملاح
الموصل – العراق

أبناء الضفة الغربية والتعليم الجامعي

● من ضمن المشاكل التي يعاني منها ابناء الضفة الغربية التي ترزح تحت الاحتلال الاسرائيلي ، هي مشكلة اكمال تعليمهم الجامعي .. وليس امامنا الا اسماع صوتنا لاخوتنا العرب كي يتعاطفوا معنا معنويا وماديا بعد ان كدنا نحرم من التعليم الجامعي.
فهل من مجيب ؟

معتصم ب.ع
الضفة الغربية – فلسطين

ما هكذا تكلمت الحيوانات ؟

● ورد في مقال الاستاذ الشاروني الذي نشره العربي في عدد ٢٢٨ تحت عنوان (عندما تكلمت الحيوانات في التراث العربي) ما ياتي : « ولعل كتابي « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » و « مرزبان نامه » لمؤلفهما ابن عربشاه من ادباء القرن التاسع الهجري آخر كتابين ظهرا في الادب العربي على نمط (كليلة ودمنه) وقد الف ابن عربشاه الكتاب الثاني بالتركية ثم نقله الى العربية » .

وهذا الكلام يستلزم التصحيح فكتاب « مرزبان نامه» ليس من تاليف ابن عربشاه وانما هو لاحد ملوك طبرستان ويدعى « مرزبان بن رستم بن شروين ». وقد صنفه في اواخر القرن الثاني الهجري ، ووضعه باللغة الطبرية ، ثم نقله في القرن السابع الهجري الى الفارسية سعد الدين الورداني وترجم بعد ذلك الى التركية حيث نقله ابن عربشاه الى العربية . اما كتاب « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » فليس ايضا من تاليف ابن عربشاه ، اذ ثبت انه ترجمة اخرى لمرزبان نامه ولكن ببعض التصرف (انظر القصة في الادب الفارسي لامين بدوى).

وفي غير هذا الموضع يقول (كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا ؟ ولا ادرى كيف جزم بذلك ، واى لقمان يعني ؟ وفي التراث اكثر من لقمان ،فهنالك لقمان عاد ، القبيلة اليمنية البائدة ، وهو غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن الكريم، كما ينص على ذلك الجاحظ وغيره ، والاخباريون يجعلون الاول يمنيا والثاني يربطونه باحد حكماء بني اسرائيل وليس هنالك من يلحقه بطائفة العبيد بل يصفونه بانه كان عملاقا كبير الراس قويا قوة خارقة حكيما حكمة بالغة ، اما (امثال لقمان) المطبوعة في كتاب ، فليست للقمان عاد ولا للقمان الحكيم ، وانما هي محض تلفيق منسوج . (انظر كتاب العصر الجاهلي لشوقي ضيف /٤٠٦)

جامعة عدن

● سرنا ان نرى استطلاعا في العربي عن جامعة صنعاء.. ونامل ان نقرا استطلاعا عن جامعة يمنية اخرى هي جامعة عدن .

حسن سالم الكسادى
المكلا – اليمن الديمقراطية الشعبية

التاريخ يعيد نفسه

● هذه الفقرات نشرها المرحوم الدكتور احمد زكى رئيس تحرير العربى فى « حديث الشهر » (يناير ١٩٧٠) وهى تكاد تكون قراءة لما يجرى الآن . أرجو ان تنشروها للتذكرة والذكرى .

اللاذقية ـ عدنان الحمصى

« انى ارى الجماهير فى غفلة عما يريد الاعداء بهم ، وكاد كل ذى خطر فى الدنيا ان يكون لهم عدوا ، وحتى من ليس له خطر .

ان الشعوب العربية لو درت ما يريد أهل الاحقاد من زعماء الارض بها ، لعز نومها ، ولما استطاع ان يعبث بالوحدة العربية اليوم عابث من بينها .

كل خلاف يتصاغر الى جانب قضايا المصير . وكل اذن لا بد ان تنفتح وسعها ، فتسمع وتطيع ، فى كل ما يتصل بقضايا المصير . وليس احد فوق ان يسمع وان يطيع ما اجتمعت عليه الامة ، او اجتمعت عليه الكثرة .

ولا يخدعن عربى بما يجرى على مسارح الدول الكبرى . انها رواية ذات فصل واحد . خدعونا فجعلوا منها فصولا . قرار مجلس الامن فى نوفمبر ١٩٦٧ ، ثم اجتماع الدول الاربع الكبرى ، ثم اجتماع الاثنتين الكبريين ، ثم المبعوث يارنج ، وتنقضى الاشهر الستة ، فتبدأ الستة التالية باجتماع الاثنتين الكبريين ، ثم المبعوث يارنج .. وهلم جرا .

وفى اثناء ذلك يقدم السلاح للاعداء ، ويقدم المال ، ويقدم العتاد .

ثم هم يحاولون ان يحيكوا بين الدول العربية ما يحيكون . ومن آخر حياكتهم تلك العروض التى ارسلت للدول العربية المواجهة للاعداء ، تعرض على كل حلا مفردا . وبالتفريق توكل الاغنام .

وسخروا بعقول العرب . قالوا فيما قالوا : ان الضفة الغربية ترد الى الاردن ، ولكن تبقى بلا سلاح ، ويكون للعدو فقط مراكز للحماية . فان وقع هذا فلن يبقى فى الضفة عربى واحد بعد خمس سنوات ، انها سياسة التهجير المعروفة ، على السلم ، وتتم بغير مؤونة ، وبغير سلاح .

وكذلك ارادوا ان يمنعوا السلاح من سيناء بعد رد سيناء بغير سلاح ، وسلاح رابض على الضفة الشرقية من سيناء ، يتسللون به اليها ، يقيمون ، ويستعمرون ؟ ولقد اصبح التسلل فى العصر طريق اكتساب الحق فيما يختلف عليه الناس من ارض . ارض بغير سلاح ، عطاء بغير جزاء . »

ويذكر الكاتب فى موضع آخر ان ابن ظفر الف كتابه « سلوان المطاع فى عدوان الاتباع » على لسان الحيوان وعلى غرار « كليلة ودمنة » ، والحقيقة ان بعض قصص هذا الكتاب فقط تدور حول الحيوانات حيث يوردها ابن ظفر من خلال تجاربه الذاتية . ويذكر ايضا ان ابن الهبارية الف كتابا يقلد فيه كليلة ودمنة ، وهو كتاب الصادح والباغم ، والقول الدقيق انه منظومة شعرية تقع فى الف بيت ، وليس كتابا نثريا .

وهو يجعل اسم الكتاب الذى عارض فيه سهل بن هارون كليلة ودمنه (شعلة وعفراء) والصحيح هو (ثعلة وعفراء) بالثاء وليس بالشين . وكان من الاجدر ذكر كتابه الاخر (النمر والثعلب) فالاول مفقود والثانى مطبوع حديثا .

اللاذقية ـ احسان جعفر

روائع الفن الاسلامي

● استننت مجلة العربي سنة حميدة ..لاقت من القراء استحسانا .. وتمثلت هذه السنة بادىء ذى بدء بلوحات على الصفحة الثانية تحتعنوان « حضارات سادت ثم بادت » ثم شغلت هذه الصفحة بروائع الفن العالمي فطغت الاعلانات التجارية علىهذا الحيز المحبوب فشغلته . لماذا لا تخصص هذه الصفحة لروائع الفن الاسلامي ، فتنشر عليها تلك الاعمال الفنية التى ازدهرت وترعرعت في رحاب الاسلام ، كاعمال الزجاج والسراميك والسجاد والخط العربي والمآذن والقباب .

فهل انتم فاعلون ؟

الكويت ـ وليد الحاج

حزب «التبرير» العربي !

● حزب التبرير «العربي» الذى تحدثتم عنه في عدد يناير الماضي هو فرع نشيط من حزب التبرير العربي الواسع الانتشار في الوطن العربي . ليس رجال الدين وحدهم هم الذين يتطوعون لتبرير كل موقف وبيعه للناس في اغلفة براقة ، لقد اصبحت المؤسسات والقيادات الفكرية تؤدى دورا اساسيا ورئيسيا في عملية التبرير هذه . حتى لم نعد نسمع الا وجهة نظر واحدة وصوتا واحدا برؤية واحدة . ابحثوا معى عن بقعة ولو صغيرة على خريطتنا نستمع فيها الىوجهتىنظر متعارضتين، او بالدقة وجهة نظر الرأى الرسمي السائد .

والفضل لحزب التبرير العربي ، لذا لزم التنويه !

تعز ـ أحمد قائد عبد اللطيف

●●●

نحن والاعلام السياحي

● لو اردت زيارة دولة اوربية فما عليك الا زيارة الملحق السياحي لسفارة تلك الدولة او اللجوء الى المكتب السياحي فيها عند الوصول وستجد لديهم من النشرات السياحية مايسهل عليك زيارة جميع الاماكن المهمة في تلك الدولة بالاضافةالى معرفة كل شيء عن مطاعمها وفنادقها ومسارحها وجامعاتها . وستجد ايضا الخرائط التى توضح لك كل المسالك .

ولايخفى علينا الدور الكبير الذى تؤديه هذه المكاتب في مجال الاقتصاد بعد ان اصبحت السياحة قناة مهمة من قنوات الاقتصاد .

ورغم ان العالم العربي يزخر بعوامل جذب سياحية حية كثيرة الا ان السائح الذى ياتى الى بلادنا لا يجد لدينا ما يجده السائح في اوربا .

الا يستحق الاعلام السياحي منا بعض الاهتمام ؟ ؟

جلال الكرمى

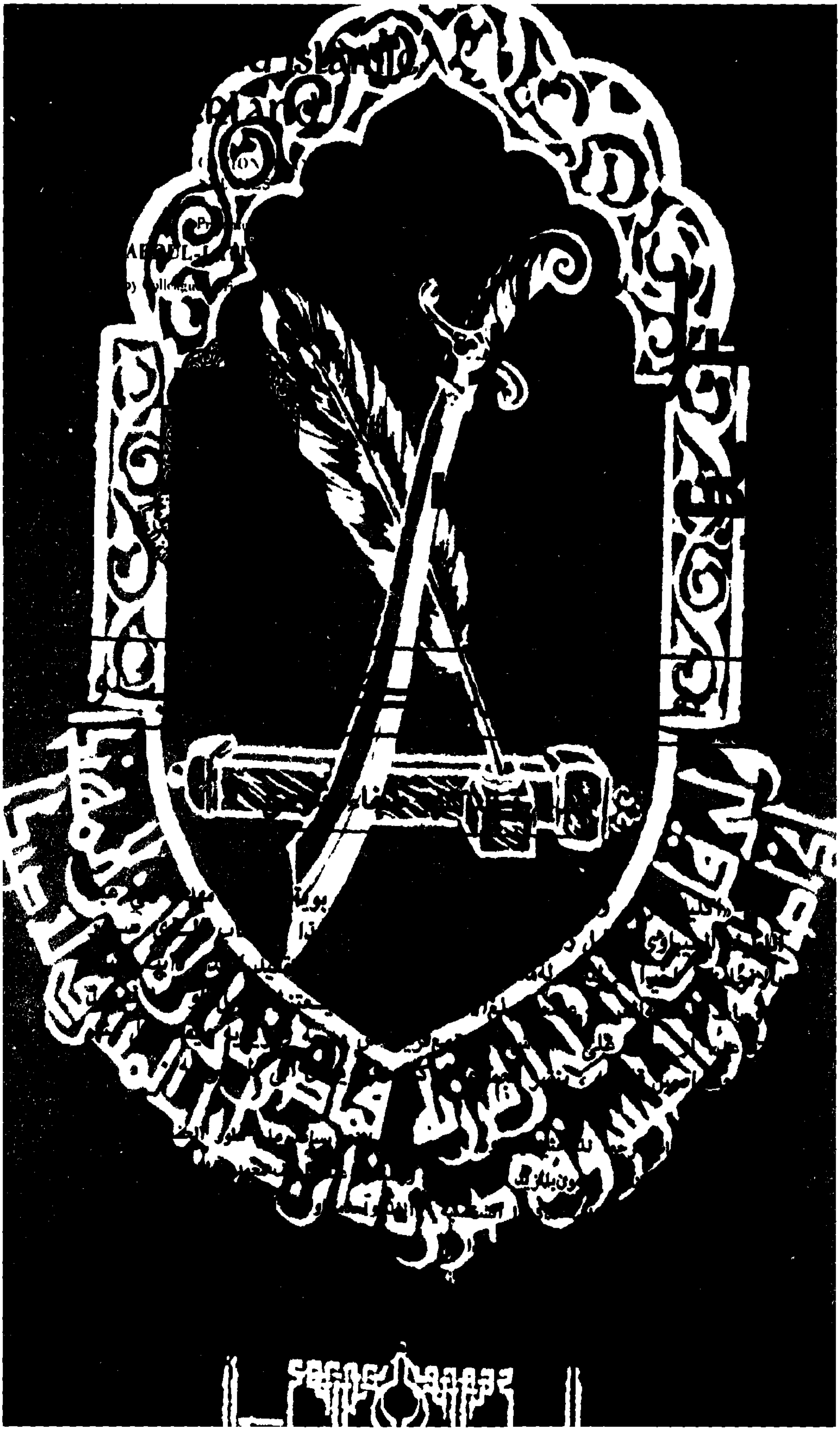
دولة الامارات العربية

الاستفتاء مفتوح

● هل اجريتم دراسة حولالزوايا والابواب الثابتة في العربي ، وأيها أكثر قبولا عندالقراء ؟ واذا لم تكن هذه الدراسة متوفرة ، فلماذا لاتفتحون بابالرأى لتقييم المجلة في عامها الجديد ، وبذلكنشترك معكم في الحكم على ما ينشر ، كما اننا بذلك سنتمكنمن ان نقول رأينا بصراحة في شيء يخصنا ويعيش داخل بيوتناعلى مدار العام .

تونس ـ توفيق بن عبد الله

ـ نرحب بفكرتك . لكنالدراسة التى تتحدث عنها غير موجودة للأسف . وبابالاستفتاء مفتوح على مصراعيه ونحن في انتظار رأيك بصراحةورأى القراء .



للبروفيسور بيرتولد سبولر وبحثا بالفرنسية للاستاذ الدكتور عادل عوا ، رئيس قسم الفلسفة بجامعة دمشق عن « لباطنية» واشارة الى بحث آخر باللغة ذاتها للدكتور جان ميشيل عن«الصراع بين البعثات الدينية الامريكية والكنائس الارمنية البروتستانتية في تركيا في اواخر القرن التاسع عشر » ولكنه للاسف لم ينشر ضمن المجموعة لدواع صحية قاهرة .

١٦١ مؤلفا وبحثا

وقد استهلت المجموعة بترجمة للطيباوي وسرد لمؤلفاته التي بلغت ١٦١ مؤلفا بين كتاب وبحث، ومن حسن التفات المشرفين على اخراج الكتاب ان يكون البحث الاول فيه عن (الكلية العربية بالقدس) للاستاذ محمود عبيدي من عمان والثاني: «التجمع العربي الثقافي،هل هو رد فعل للاستعمار الاوروبي ؟ » للدكتور ابر هيم ابو نقد ، وتتتابع البحوث الاخرى عن « التعليم في الحجاز ايام العثمانيين وحكم لشريف حسين » و « الباطنية » و « هدف التعليم في المجتمع الباكستاني قبل الحكم الاستعماري » و « البعوث التبشيرية في سياسة الشرق الاوسط » و « النمط الادبي والتركيب الاجتماعي : تاملات في تغير الشعر العربي الحديث » و « حكاية بعثتين تبشيريتين » و « تعليم المراة العربية » و « تركيا لفتاة والعرب ١٩٠٩ ـ ١٩١٢ » و « الثراء والتحول الاجتماعي في الكويت » و « كليات الفقه في النجف الاشرف» و « معروف الرصافي في القدس » (١) و « السياسة والتعليم » و « اعلان العثمانيين الجهاد سنة ١٩١٤ » و «التعليم في العالم العربي» و « تراث العثمانيين من الكتب » و « مشكلات تعليم اللغة الانكليزية وتعلمها في المدارس العراقية » و « اعمال حييم وايزمان العلمية خلال سنى ١٩١٥ ـ ١٩١٨ » .

وبينها موضوع مركز جدا اقتصر على صفحة واحدة للدكتور اسحق موسى الحسيني بعنوان: « قصيدة تاريخية » عثر عليها مؤخرا بين اوراق اسرة البديري في القدس وقد نظمها جدهم الاعلى الشيخ محمد بن بدير (١١٦٠ ـ ١٢٢٠ هـ) الذي ذكره معاصره الجبرتي ، المؤرخ المشهور ، مرتين في كتابه : « عجائب الاثار في التراجم والاخبار » (القاهرة ١٢٩٧ هـ) جـ٢ ص ٢٠٥ وجـ٣ ص ٣٥٦ ونعته بشيخ علماء القدس او بالاحرى الديار المقدسية قاطبة واشار الى علاقته بالسيد المرتضى الزبيدي صاحب (تاج العروس) .

ويذكر لنا الدكتور الحسيني ان ابن بدير امضى عشرين عاما في الازهر الشريف واصبح من مريدي شيخ الخلواتية ، الذي بعثه الى القدس لنشر دعوته والتبشير بمذهبه هناك ، وكان ابن بدير اديبا وشاعرا وقد عثر له الاستاذ الحسيني على قصيدة بمائة وسبعة وخمسين بيتا ، نظمها على اثر اندحار نابليون عند اسو ر عكا مستهلا اياها بتمجيد الانتصار العثماني والاستهانة بالفرنسيين ونقد المصريين الذين خدعوا باباطيل نابليون وخدعه ، ولعل اجمل ابياتها على رأى الدكتور اسحق هي تلك التي يمدح فيها و لي عكا احمد باشا الجزار مقارنا المعركة التي خاضها ضد نابليون مع معركة بدر الخالدة ، ناعتا المدافعين عن عكا بنعوت الفضل مما يستحقه حجاج مكة المكرمة .

وباعتقاد الاستاذ الدكتور الحسيني ان القصيدة تتحدى الترجمة الى الانكليزية ، فيكتفي بترجمة البيتين الاولين فيها، وايا كان الامر فقد كنا نود أن نرى ترجمة كاملة لهذه القصيدة الملحمية بالانكليزية حتى وان كانت ترجمة حرفية ، لانها اكتشاف يفتخر به ، ومصدر من مصادر البحث للمؤرخين الاوربيين بسيرة نابليون ، ولابد من اعطاء صورة عن بطولة العرب في قهر اله من آلهة الحرب في عنفوان مجده ، فاحمد باشا الجزار في نظري اعظم من الدوق ويلنكتون ، لان الجزار قهر نابليون في عز شبابه وهو ممتلىء طموحا وغرورا وفي بدء مغامراته العسكرية،في حين ان ويلنكتون قهره في كهولته وقد داهمته الامراض والشيخوخة المبكرة وفنيت زهرة شباب الجيش الفرنسي .

عن الجاحظ والمعرفة

وهناك ايضا موضوع طريف آخر بعنوان :

---

(١) لموضوع أسهام من كاتب هذه السطور لتكريم الدكتور الطيباوى .

هذا هو الدكتور الطيباوى



الاستاذ عبداللطيف الطيباوى احد الرواد الاوائل فى الدراسات الاكاديمية، يظهر دوره فى العديد من الدراسات والكتب والمقالات التى اصدرها ، وهو معروف جيدا فى الغرب الذى قضى فيه فترة طويلة استاذا ومحاضرا فى الجامعات الغربية .

ولد عبد اللطيف فى قرية الطيبة بفلسطين فى ربيع عام ١٩١٠ ، ومثل ابناء جيله حفظ القرآن الكريم فى « كتاب » القرية على يد الشيخ خليل ابراهيم ، وانتقل الى مدرسة طولكرم ثم التحق بالكلية العربية فى القدس . وهناك تتلمذ فى علم التاريخ على الاساتذة درويش لمجدوى واحمد سميح خالدى ..

وبرزت قدرته على البحث والتحصيل فى مرحلة مبكرة ، فعندما اقامت مجلة « الهلال » القاهرية مسابقتها فى عام ١٩٢٥ ، فاز بالجائزة الاولى وكانت مقالته حول ادق « اللحظات » فى التاريخ المعاصر للشرق الادنى ، واختارت مقالته لجنة مكونة من احمد تيمور باشا وعبدالحميد البكرى والشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور منصور فهمى ..

وفى عام ١٩٢٦ حصل على منحة دراسية فى الجامعة الامريكية ببيروت لدراسة التاريخ واللغة . وخلال فترة الدراسة نشر العديد من المقالات والابحاث واصدر كتابا حول « التصوف فى الاسلام » نشره الكاتب اسماعيل مظهر فى القاهره .

وفاز خلال دراسته فى الجامعة الامريكية بمسابقتين احداهما « النصارى فى عهد كل من النبى محمد وابى بكر وعمر» والثانى بحث تاريخى عن « اخوان الصفا » .

وعمل عبداللطيف بعد تخرجه فى حقل التعليم كمدرس للتاريخ فى رام الله ، وسريعا ما احتل اهم منصب تربوى فى فلسطين وعمره ٣١ عاما ..

ودعى لزيارة بريطانيا لمدة ستة اشهر للاطلاع على نظام التعليم البريطانى ، وجاءت الدعوة عشية قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ، وبعد نهاية الدعوة عمل مساعدا لرئيس تحرير البرنامج العربى فى الاذاعة البريطانية ، ثم عاد الى العمل الاكاديمى الذى يعشقه فعمل محاضرا ودارسا فى جامعة لندن للتعليم University of London Institute of Education . وحصل منها على الدكتوراه واستمر يعمل بها حتى احيل الى التقاعد ، وخلال هذه الفترة اختير استاذا زائرا فى جامعة هارفارد لمدة ثلاثة اعوام .

« جناح بعوضة او راى الجاحظ فى تقدم المعرفة» للاستاذ الدكتور طريف الخالدى من قسم التاريخ فى الجامعة الامريكية ببيروت ، وقد اوضح الباحث ان الجاحظ عاش فى عصر ارتفاع نسبة انتاج الكتب ودعا الى تدوين المعرفة خشية ضياعها وكان مؤمنا بالعقل التجريبى اكثر منه بالعقل التاملى ، والتعلم فى نظره نتيجة لتكرار التجربة اكثر من التفكير ، وعلى هذا فالانسان يتعلم

بدرجات وعلى مراتب كما يتعلم الكلب او الحصان بتكرار التجربة الى ان تتجمع تجارب كافية تسمح له بالادراك والتمييز ، وتخضع هذه العملية للمعوقات والضغوط السلوكية والنفسية والجسمية ، والافكار تاتي وتذهب ومنها ما هو ملهم او غير ملهم ، سريع او بطيء ، ولكن«صحة العقل » هي التي تقرر في النهاية ايها خليق بالقبول وايها جدير بالرفض .

وكان الجاحظ ، رغم انه عاش في فترة الاستنارة والبحث العلمي ، دائم الشكوى من اوضاع المثقفين من معاصريه فالحماس الذي نلمسه في كتبه الاولى ينحسر تدريجيا ليترك مجالا للشعور بالعزلة المتزايدة حيث يحس بان جمهوره قدتقلص ولم يعد ذلك الجمهور العام الذي كان يخاطبه على على اوسع نطاق ، بل غدا حلقة زملائه الباحثين، وفي ملاحظاته عن ظهور الفقه الاسلامي وتدهوره يشير الى مناقشات الامة ومجادلاتها في مستهل امرها وكيف انها تدهورت بالتدريج الى ما يمكن ان يسمى (كفرا) في ايامه مشوبا بالعاطفة القومية او التذمر الاجتماعي ، وعلى رأيه : لا معرفة بلا تراث ، فبدونه تتضاءل المعرفة ويجمد العقل ، فباضافة ما نقدمه من جديد لتراث الماضي تتقدم المعرفة وتخطو الى الامام ، ولا حد للمعرفة فهي لا نهائية ! وهكذا شاء الله (لعقل التجارب) الا يعرف حدودا ولا يخضع لعقبات ومعوقات ، وقد اكتشف الانسان الكثير من المعاني الخفية (او العبر) فالحاضر اكتشف اكثر من السالف وسيكتشف المقبل اكثر من كليهما جميعا ، وتعكس لفظة (العبرة) في ذهن الجاحظ محتوى التقدم والتطور، وهي لفظة اصبح لها تاريخ عريق في الفكر الاسلامي وهي مثل واحد من عديد الامثلة لتاثير الفكر الجاحظي على الاجيال التي اعقبته واستقت من معينه .

وبتشديده على العلم التجريبي اختلف مع الكثيرين من زملائه « المعتزلة » ، وبفهمه للعلم وتعطشه للمعرفة راح يبحث في أبسط الكائنات فضلا عن اشدها تعقيدا ، وعلى ذلك يكون حتى جناح بعوضه موضوعا للفهم والاستقصاء مدى الحياة .

بهذا الاسلوب السهل الممتنع يدبج الدكتور

(بقية) عندما كان المحتسب مسئول النظافة !

الماء يزيدهما زفرة ونتونة ، واذا بات في دكاكينهم شيء من ذلك فلا يخلطونه بالطرى المقطوع في اليوم . وينهاهم المحتسب عن بيع ما دود من البطيخ والقثاء والتين والرطب ، وما قد تناهى نضجه حتى تهرى قشره من ذلك ومثل الباقلانيين ، ينهاهم عن بيع ما سوس من الباقلا والحمص ، وعن خلط ما بقى عندهم من امس فيما سلقوه اليوم ، ويامرهم أن ينثروا عليه الملح المسحوق والصعتر ، ليدفع مضاره ، ويتفقد مكاييلهم .

ومثل الغسالين ، ينهاهم المحتسب عن غسل ثياب الناس بالماء المطبوخ فيه القلى (نبات تؤخذ منه مادة ملحية كانت تستخدم في الدباغة) والنور (الجير الذى لم يصبه ماء) والنطرون . فان ذلك يضر بالملابس ويبليها سريعا ، ويولد فيها القمل والصيبان .ومثل السقائين واصحاب الروايا والقرب ، فانه يامرهم بالدخول في النهر ، حتى يبعدوا عن الشط ومواضع الاوساخ، ولا يستقون في النهر بقرب من سقاية للدواب أو مستخدم أو مجرى حمام ، بل يصعدون عنه أو يبعدون من تحته ، ومن اتخذ منهم رواية جديدة أمره المحتسب بنقل الماء الى معاجن الطين أياما . ولا يبيعه للشرب، فانه يكون متغير الطعم والرائحة من أثر الدباغة والزفت فان زال التغير اذن له المحتسب ببيعه للناس للشرب والاستعمال » .

حجة ورد

بعد هذا قد يؤكد أحدنا قائلا : نحن في العصر الحاضر نتحرى النظافة أكثر من القدماء ... نظرا لمعرفتنا بوسائل التعقيم وأنواع المطهرات والمبيدات ، وأولئك كانوا يجهلونها .. ومعظم اطعمتنا واشربتنا ، والاشياء التي نستخدمها تهيأ بواسطة طرق علمية حديثة في المعامل والمصانع أو في غير ذلك ـ دون أن تمسها الايدي ـ وتستخدم أساليب شتى لتعقيمها وتطهيرها قبل وضعها جاهزة قيد الاستهلاك ـ اما

الخالدي موضوعه عن الجاحظ ليقدمه هدية موشاة الى صديقه في العلم وزميله في المعرفة الدكتور الطيباوي لتكون زاده في معتزله العلمي الرائع.

لكن عصريا ولكن ..

ولم تقتصر البحوث التي ضمها الكتاب المهدى على الادب والتربية والتاريخ ، بل تعدت ذلك الى السياسة والاقتصاد والاجتماع ، فكشكول متصوف العلم وراهب المعرفة قد حوى رحيق ازهار احدى وثلاثين روضة غناء وليس بمقدوري ان اقدم ملعقة من كل رحيق لفم كل قارئ ، وانما بمقدوري ان اقدم نهلات عجلان ، وما عليه بعد ذلك الا ان يعمد بنفسه الى الكشكول فيكتشف بنفسه ما كتمت عنه من اسراره .

ولاختم استعراضي هذا بكلمة عن موضوع الاستاذ جوزيف لويريس الاستاذ السابق لعلم التربية المقارن ورئيس قسم التربية بجامعة لندن، وعنوان هديته العلمية : « السياسة والتربية » وقد استهواني بصورة خاصة المبدأ التربوي ـ السياسي القائل :

« كن عصريا باسرع ما تستطيع . ولكن افعل ذلك بروح استقلالية، تتبع المثل الاعلى في الاعتماد على الذات ولا تتحرج من محاكاة الاخرين ولكن لاتركن اليهم كل الركون ! » .

ويعقد الباحث مقارنة بين البلاد العربية واليابان ويضرب لنا مثلا من تقدم الاخيرة رغم العقبات الطبيعية اذ يكاد ٨٠٪ من بلاد اليابان يكون جبليا لايصلح للزراعة ولكن الله حباها بالمستوطنات العديدة القريبة من السواحل والتي يسهل الاتصال فيما بينها بطريق البحر ، فضلا عن روح الجد والنشاط والحذق الصناعي ، وقد خلقت التربية السياسية الرصينة ، من اليابان ما يمكن لمثيلتها ان تخلق من البلاد العربية.

وبعد، فهذه القلادة التكريمية التي تعلق اليوم في عنق الاستاذ الدكتور الطيباوي ليست ايذانا بنهاية حياته العلمية بل رمزا لانقضاء مرحلة واستهلال اخرى جديدة لاتقل عنها عطاء ان لم تبزها روعة وجلالا . ■■

اكسفورد ـ صفاء خلوصي

التي لا تخضع للصنع أو التحضير المسبق كالخضراوات والفواكه الطازجة وسواها ، فنعقمها ونطهرها يدويا قبل تناولها ..

ونقضي يوميا بالمبيدات على اعداد هائلة من الحشرات الضارة .. ولا يخفى أن بعض تشريعات الدول لدينا تتضمن نصوصا تحض فيها المواطنين على النظافة ولا سيما الذين تتعلق صناعاتهم بمعاش الناس كالمآكل والمشارب .

لا ريب أن هذا القول له نصيب من الصحة للمدافع عن نظافة بيئتنا .. ولكنه مع ذلك قول مردود فالتقنية في بلادنا بصنع الاطعمة والاشربة ما زالت فتية على عكس ما هو مطبق في الدول المتقدمة .. واغلب هذه المصنوعات يجري تحضيره يدويا .

واذا كانت المطهرات متوفرة بين أيدينا لكن اكثر الناس منا لا يستعملها . واهمالنا في ذلك سببه امران أولهما : اعتقادنا « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » دون أن نتذكر ما ورد في القرآن الكريم أيضا « ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » او قصة ذلك الاعرابي المتواكل الذي قال له النبي العربي (ص) بشان دابته « أعقلها وتوكل ».

وثانيهما : غرورنا بعلم الطب الذي كاد يضع لكل داء دواء ، ولكل مرض علاجا فبات احدنا يستهتر بتطبيق أبسط قواعد الصحة على نفسه وعلى غيره ما دام الطب كفيلا بالشفاء ، وقد نسي هؤلاء أن « درهم وقاية خير من قنطار علاج ».

أما تشريعات الحكومات لدينا بخصوص النظافة فهي تعنى بظاهر النظافة دون مضمونها ، وشكلها دون تفاصيلها ، وهي لا تحتاط للنظافة مسبقا ـ كما في نظام الحسبة ـ انما تتضمن مخالفات وعقوبات لمن يهمل تطبيقها بعد وقوع المحذور .

اذا فلتكن لنا في أجدادنا أسوة حسنة في النظافة . ■■

زهير طمان ـ حلب

نزهة العقل الذكي

مسـابقة العـدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. أما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفــوز بواحـدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا – الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

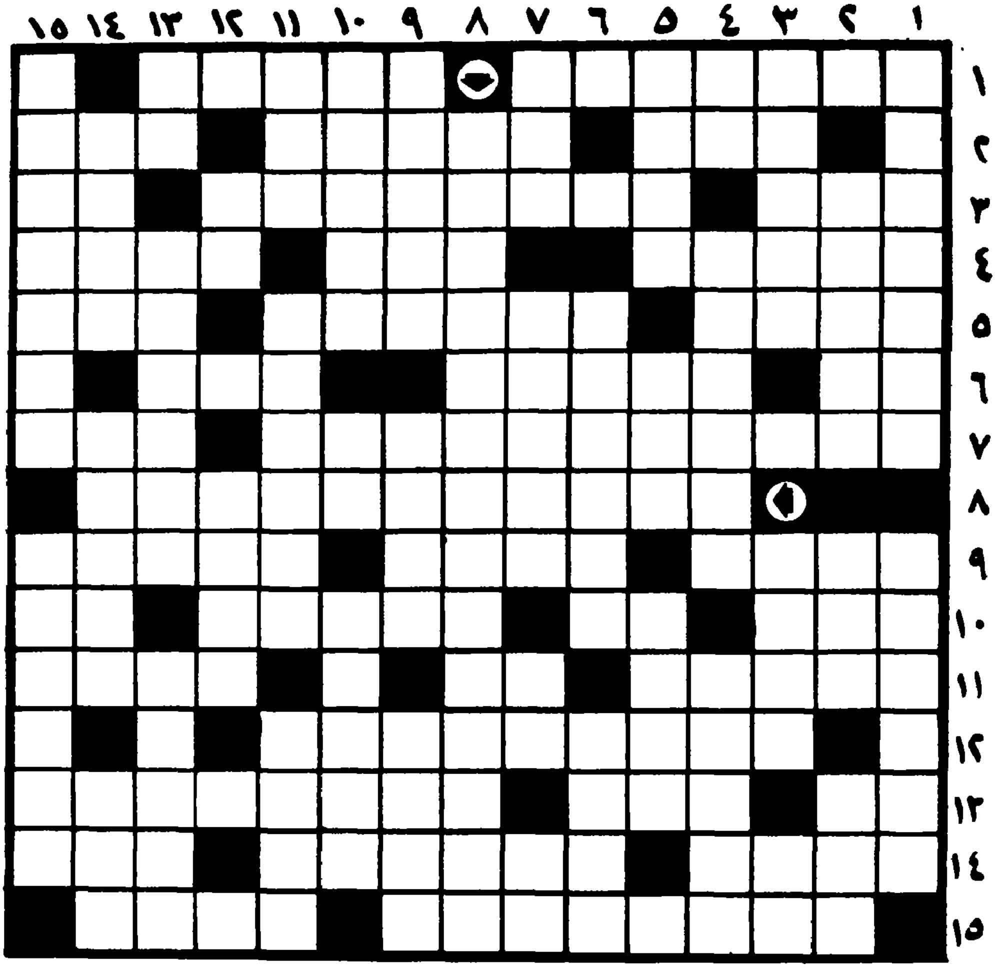
ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت «مسابقة العدد ٢٣١ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول ابريل (نيسان) ١٩٧٨ .

اثنان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم قائد عربي شهير ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم خليفة أموي معروف .

كلمات أفقية :

(١) من سور القرآن الكريم – طائر .
(٢) عند – من علوم اللغة – مسح .
(٣) ظهر – التدريبات – سئم .
(٤) فقائع – من عند الله – رمز حلف شمال الاطلنطي .
(٥) نبرهن – ادعوا – يعني .
(٦) للنداء – فرد – رخو .
(٧) حركات غير ارادية – قنوط .
(٨) قائد عربي شهير .
(٩) حشرات – من المحيطات – اخفيها .
(١٠) من الاقارب – حرف ندبة – قصرت – للتعريف .
(١١) عاصمة بوليفيا – حرف استفهام – آلة موسيقية وترية .
(١٢) وزير من الدولة البويهية ومن ائمة الكتاب له « رسائل » شهيرة .
(١٣) نصف كلمة (وقتي) – تجدها في كلمة (صدفة) – الاسم العربي لحامض الكبريتيك .
(١٤) ملاذ – يساعدهم – أعترف .
(١٥) لوحة شهيرة لدافنشي – تقصد .



كلمات رأسية :

(١) دولة اوربية ـ من العناصر الكيميائية •

(٢) اغراض ـ حرمه الدين ـ للكتابة •

(٣) لحبك النسيج ـ اخبر ـ طقس •

(٤) احصى ـ من اجزاء الذراع ـ اجسام •

(٥) عملة عربية ـ راية ـ ثقله •

(٦) اعطها ـ من اوقات النهار •

(٧) مر ـ آله موسيقية ـ حرف استفهام ـ نصف كلمة (عيون) •

(٨) خليفة اموى معروف •

(٩) يكاتب ـ اسم شهرة ـ فرعون مصرى شهير•

(١٠) اديب انجليـــزى ومؤلف « تامبـــورلان العظيم » ـ نصف كلمة (سائد) ـ قاتلة •

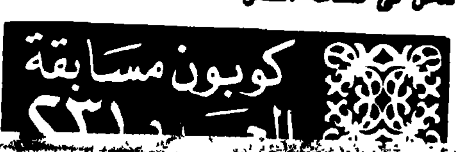
(١١) رفض ـ من اوجه القمر ـ استمرت •

(١٢) حرفان متشابهان ـ احصته •

(١٣) ضمير ـ البطل الطروادى الذى بقى حيا بعد الاستيلاء على طرواده ـ من الاشجار •

(١٤) صانته ـ انباء ـ احفقك •

(١٥) مكتشف جغرافى شهير ـ من الثمار التى تدخل فى صناعة السكر •



رائد المسرح الغنائى العربى

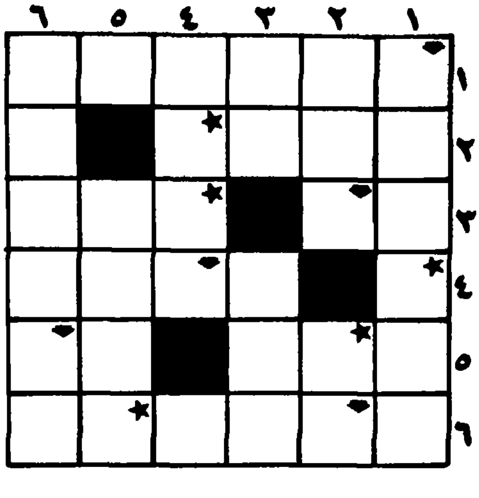
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبهابحيث تصنع الاسم الاول لواحد من رواد المسرح الغنائى العربى • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه •

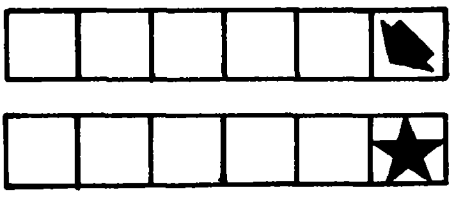
الكلمات الافقية :

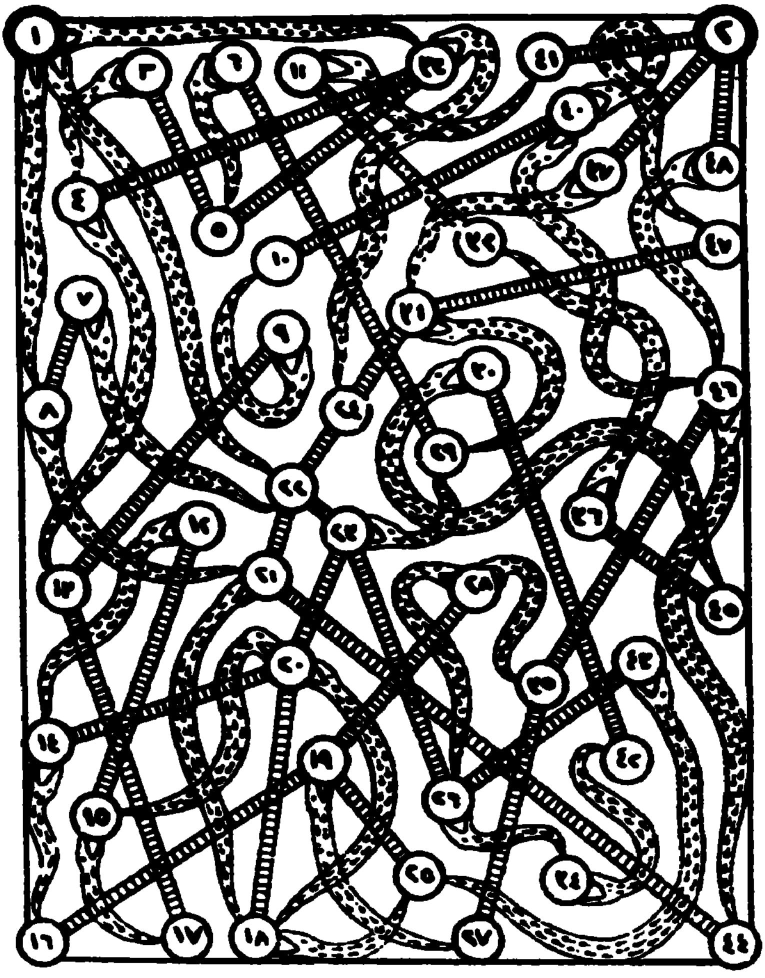
(١) شاعر لبنانى معاصر •
(٢) من الاطباء •
(٣) نصف كلمة (رهيب) ــ رجاء •
(٤) تبدى الكرم •
(٥) وضع الحبوب فى الارض ــ اصلح •
(٦) الهادىء •

الكلمات الراسية :

(١) بطل معركة اكتيوم •
(٢) جوهرة ــ سقط •
(٣) حرف ندبة ــ فى الساعة •
(٤) معدن هام فى الصناعات •
(٥) من العاملين فى حقل الفن السينمائى•
(٦) ابنة هيروديا التى طلبت راس يوحنا•







الثعابين والسلالم

لعبة « السلم والثعبان » لعبة شائعة منذعصر البابليين فى سنوات ما قبل الميلاد • والمطلوب فى حالتنا هذه ان ننتقل من رقم (١)اعلى اليسار ، الى رقم (٢) اعلى اليمين • وذلك بشرط ان تهبط داخل الثعبان ، من فمه ، وتصعد على السلم (علما بان الهبوط داخل الثعبان ، قد يؤدى الى الارتفاع الى اعلى الصفحة فى بعض الاحيان) • وعليك ان تنتقل من دائرة الى اخرى بحيث تصل الى الدائرة رقم (٢) فى ١٦ حركة (ارقام الدوائر موضوعة بلا نظام لتستخدمها فى متابعة الحل)•

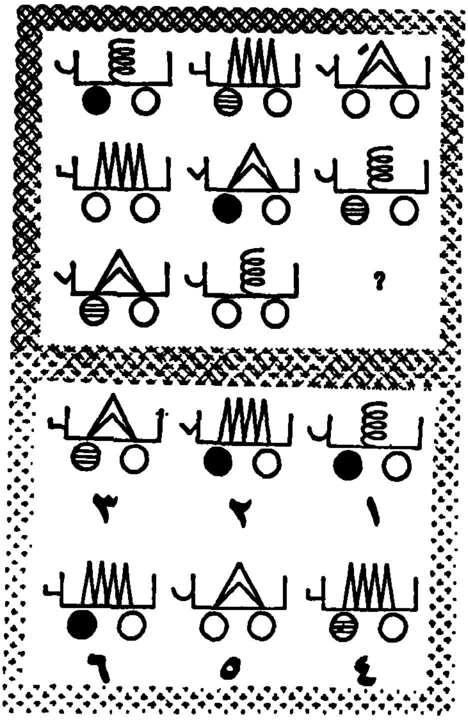
• بالعقل فقط •

استاذ نبيه يسأل :

أين ذهب محمود ؟

دخل الاب على ابنائه،وسأل « أين محمود؟...» .
قال على «لم يدخل هذه الحجرة منذ الصباح».وقال حسن « لقد خرج من المنزل » .
اما سامية فقد قالت « ذهب ليلقى بخطابه فى صندوق البريد » ، فاحتج كامل قائلا « لا .. بل ذهب ليقابل صديقته » . واعترضت علياء قائلة « هذه كذبة ! ...» .
اذا كان واحد فقط من الابناء هو الذى كذب،بينما قال الآخرون الصدق ... فاين ذهب محمود ؟ .

• حاول أن تعرف •



الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى كل من الصفين العلويين ، حاول ان تعرف اى الاشكال ذات الارقام يجب ان يحل محل علامة الاستفهام .

الفستان والوردة

اشترت سيدة فستانا بحلية من الورد الصناعى بمبلغ خمسة جنيهات فاذا كان ثمن الفستان اكبر من ثمن الحلية بمقدار اربعة جنيهات .

فما ثمن الحلية وحدها ؟ .

الحلول

النجمة والسهم :

سلامة حجازى .

استذ نبيه يسأل :

ذهب محمود ليلقى خطابه فى صندوق البريد.

الثعابين والسلالم :

١ ـ ٨ ـ ٢١ ـ ١٨ ـ ٢٥ ـ ١٩ ـ ٢٨ ـ ٢٦ ـ ٣٤ ـ ٤٢ ـ ٣٠ ـ ٤٥ ـ ٣٦ ـ ٣٢ ـ ١١ ـ ٤١ ـ ٢ .

الفستان والوردة

ثمن الحلية نصف جنيه .

الشكل المطلوب :

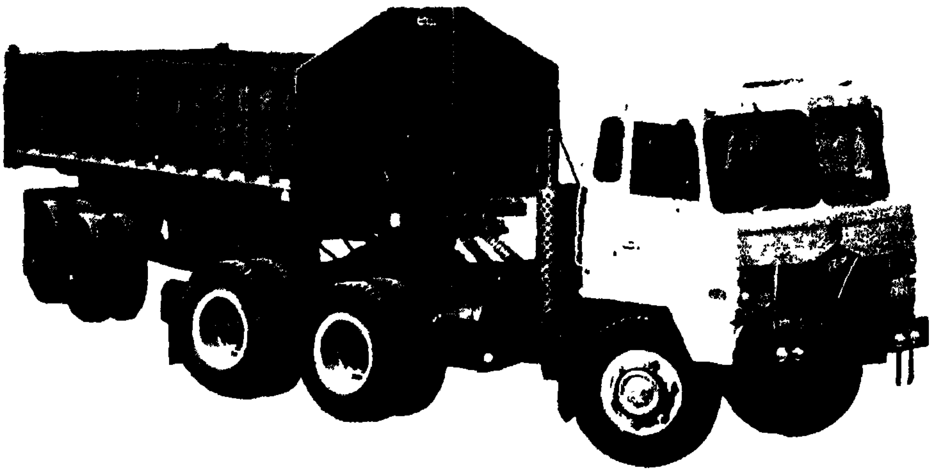
الشكل المطلوب هو الشكل رقم (٦) .

فودن

جرار سوبر هولماستر
متانة معتمدة. قوة واداء

جرار سوبر هولماستر، ٦٥ طنا. وحدة فودن بثلاثة محاور. صمم للقيام باعمال النقل والانشاء الاكثر صعوبة. في اي مكان من العالم. جرت هندسته ليكون ذا اعتمادية كاملة حتى في اقسى ظروف التشغيل.

هيكل متين، ساقة محورية قدرها ٤٠ طنا، محرك كمنز NTCE 290 ، صندوق تروس فودن ذو ٨ سرعات، وعربة نقل منحمصة بادارة مزدوجة، بالاضافة الى حجرة لضغط الميل مصنوعة من الفولاذ لتأمين راحة ممتازة للسائق واقصى امكانية وصول - تلك هي الخصائص التي توفر القوة والاداء لجرار فودن



Foden

الرجاء ان ترسلوا لي التفاصيل عن جرار فودن هولماستر اكسبورت رايج

الاسم ____________
الوظيفة ____________
الشركة ____________
العنوان ____________
____
للتشغيل في ____________

Export Sales Manager
Fodens Limited
Elworth Works Sandbach
Cheshire England
Telephone 09-367 3244

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

اول فبراير ١٩٧٨

٢/١٠١

من الأعمال المختارة

يوجين اونيل - ٢

• وراء الأفق • انا كريستي

• ترجمة وتقديم : د. عبد الله عبد الحافظ متولي
مراجعة : د. محمد سمير عبد الحميد

تصنع شاحنات ميتسو بيشي كنتر الخفيفة لاحتمال الخدمات الشاقة.

انها تختبر وتجرّب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط. مع خدمة ممتازة بعد الشراء يقدّمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم.

شاحنات كنتر سهلة القيادة، ذات مقصورة ومعدات شبيهة بما تجدونه في السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل، ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم الاختيار منها. كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط.

تتوفر بإطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف، وبمحركات بنزين أو ديزل.

شاهدوا وجربوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع أنحاء الشرق الأوسط.



كرايزلر
انترناشيونال

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية تصدرها في مطلع كل شهر

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

- يشترك في تحريرها نخبة من رجالات الفكر في الوطن العربي
- يتناول كل كتاب موضوعاً مستقلاً مؤلفاً أو مترجماً
- تهدف الى مواكبة العصر وربط الماضي بالحاضر والمستقبل
- يصدر الكتاب الأول منها في مطلع يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨م
- الكتاب في حدود ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط

المراسلات باسم

الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب

ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

العربي

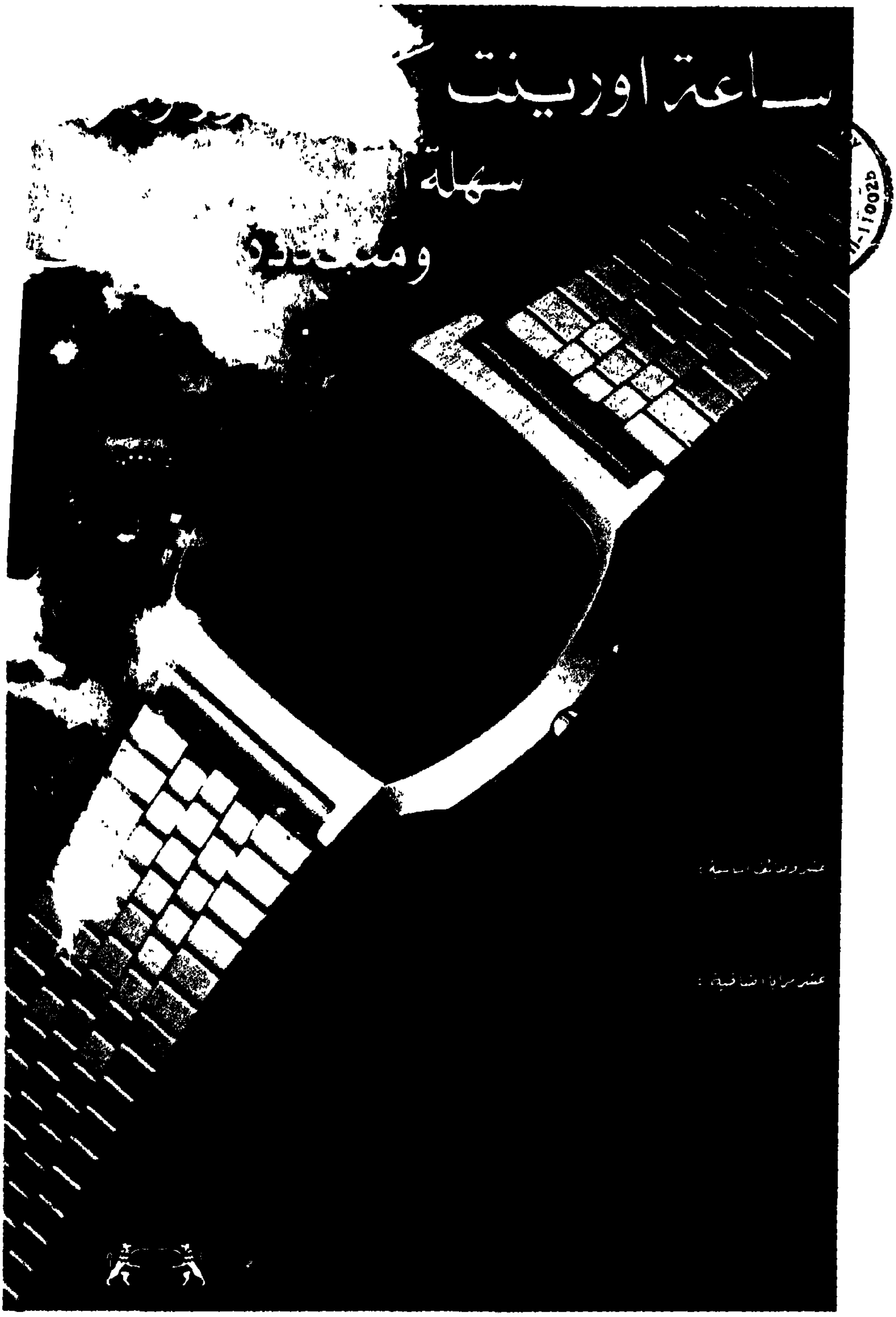
استانبول : المتحف المسكون



بن
وا
س

ة
ة
اب

قه
زات
ر



ساعة اورينت
سهلة
ومتعددة
عشر وظائف اساسية :
عشر مزايا اضافية :





جمال عبد الناصر

كريستوفر ميهيو

... مسرحية بالكويت في الاسابيع القليلة الماضية ، ... تزايد تركيز الدعاية الصهيونية في الستينات على مقولة أن العر... القاء اسرائيل في البحر ، طلب الرئيس جمال عبدالناصر من ... بحثوا في كل وثائق الدولة عن اصل هذه الدعوة ، وعما اذا كان هناك أحد من الزعماء العرب المسئولين قد صرح بذلك ام لا • ومضت اجهزة الخارجية والأمن في مصر تفتش وتنقب في كل ما قاله القادة ... يون والزعماء العرب ، فلم تعثر على مصدر او اصل لهذه الدعوة، واكدت هذه الأجهزة للرئيس عبد الناصر ان القصة تلفيق صهيوني يريد به تشويه موقف العرب ، وكسب الراى العام العالمى •

وكان الرئيس عبدالناصر نفسه ينفي لكل من يساله انه قال كلاما بهذا المعنى، في اى مرحلة من مراحل الصراع العربى الاسرائيلي • وعندما تثبت من ان المسالة كلها اكذوبة صهيونية ، لم يتردد في ان يبلغ اصدقاء العرب في العالم الخارجي بالحقيقة ، بوسائل مختلفة • وكان كريستوفر ميهيو وزير البحرية البريطانية السابق واحدا من هؤلاء •• فقرر الرجل ان يسهم في ... الاكذوبة الصهيونية • ونشر اعلانا في الصحف البريطانية يقول فيه سوف يقدم خمسة الاف جنيه استرليني مكافاة لمن يثبت أن أحدا من الزعماء العرب دعا يوما ما الى القاء اسرائيل في البحر !

اثار الاعلان ضجة في الاوساط الانجليزية والصهيونية بوجه خاص • وحشدت صحيفة « جويش كرونيل »الناطقة باسم الحركة الصهيونية في انجلترا كافة طاقاتها واتصالاتها من اجل احباط دعوة كريستوفر ميهيو • وبعد فترة من الوقت اعلنت الصحيفة ان أحد « محرريها » عثر على الوثيقة المنشودة ، التى لم تكن سوى قصاصة صحفية تنسب الى السيد عبد الرحمن عزام اول امين عام للجامعة العربية قوله في عام ٤٨ انه على اليهود الذين اتوا الى فلسطين عبر البحر، ان يعودوا من حيث جاءوا ، على ذات السفن التى حملتهم ، عبر البحر ايضا !!

وكان رد ميهيو انه فضلا عن ان عبدالرحمن عزام ليس من الزعماء العرب، فان الكلام المنسوب اليه ـ وهو ليس وثيقة رسمية ـ لا يدعو الى القاء «اسرائيل» في البحر • وازاء التعنت الصهيوني ، عرض الأمر على القضاء البريطاني الذى فحص القضية جيدا ،واستمع الى وجهات نظر الطرفين ، وجاء حكمه اخيرا مؤكدا انه لم يثبت باى دليل أن أحدا من الزعماء العرب المسئولين دعا الى القاء «اسرائيل» في البحر !!

وبرأ القضاء البريطاني العرب من هذه التهمة ، لكن الصهيونية مازالت ترددها وتستخدمها ، وتبتز بها العالم كله •

والمحزن ان بعض العرب يصدقون الصهيونية ، ولا يعترفون بحكم البراءة البريطاني !!

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

استطلاعات :

تاريخ :

شخصيات :

طب وعلوم :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 232 March 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »
الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

● لوحة للسلطان سليم الثالث على صهوة جواده ، احدى اللوحات الموجودة فى متحف طوبقابى ، وهو المتحف الذى يضم مجموعة الآثار التى تسجل بزوغ وأفول الدولة العثمانية التى استمرت خمسة قرون جمعت خلالها العالم الاسلامى فى ارادة سياسية واحدة وعلى الصفحات (٦٨ ـ ٨٧) رحلة الى استنبول « المتحف المسكون » فى الماضى والحاضر .

...ايا حيوية :

...تماع وعلم نفس :

... ولغة :

...ن :

...ب :

...وعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٢٠٠ فلس .

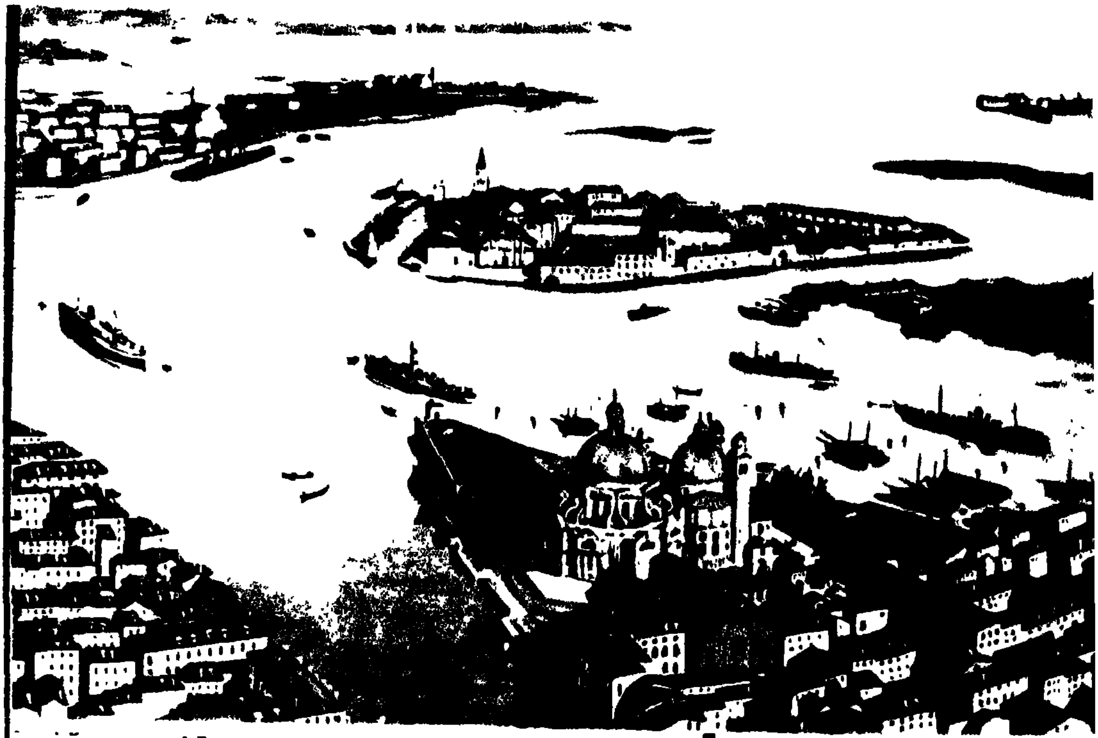
الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .
« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

حديث الشهر

ولكن ..

بقلم : أحمد بهاء الدين

ملحق للعربي بالمجان ـ العدد ٢١٩ ربيع أول ١٣٩٨ هـ ـ مارس (آذار)١٩٨٧



البندقية
عروس البحر
ماضية في الغرق

● شجرة عملاقة عاشرت توت عنخ آمون

● أكلة لحوم البشر بين الواقع والخيال

يستخدمها بعد ذلك بطريقته وبشخصيته في فتح مغاليق الاحداث وفهم معناها ٠ فالحوار هنا بين المجلة وقارئها اعمق٠لان التفكير في القضايا مشترك ، ومتبادل ٠

وهذا الذى نقوله بالنسبة لما يكون قد جرى ووقع من احداث ، ينطبق بالضبط حين نتعرض لما يمكن ان « نتوقعه » من احداث وتطورات ، وما يقترحه كتابنا من حلول بالنسبة لمشاكل الحاضر والمستقبل ٠٠

هنا ايضا ، لا نجد في مثل هذا المنبر ، مجالا لاقتراح ما يجب ان نفعله غدا ، او بعد غد ٠ انما نتصدى للحلول في مجرياتها الابعد وآفاقها الارحب ٠٠

وهنا ٠٠ يمكن تقريب الفكرة باستخدام تعبيرات درج الناس على استخدامها كثيرا وهى « التكنيك » و « الاستراتيجية » ٠٠٠

« التكنيك » هو التحرك المباشر ، الاجراء التفصيلى ، المتغير يوما بعد يوم ، اما « الاستراتيجية » فهى الهدف الابعد ، والتحرك الاوسع ، ورسم وحساب ضروراته ومتطلباته ٠٠٠

كل معركة حربية ـ مثلا ـ لها خطة استراتيجية تحدد الهدف المطلوب من المعركة ، وتنظر الى كل الاحتمالات المتوقعة ، وتحشد كل القوى المطلوبة ، وتدخل في اعتبارها كل شيء من درجة تدريب الجندى ونوع تسليحه ، الى طبيعة الجبهة كلها ، وظروف الشعب الواقف وراء الجبهة ، بل والظروف الدولية المؤثرة فيها أو علاقات القوة بأوسع معانيها ٠٠

اما التكنيك فهو الحساب الخاص بكل قائد في موقعه ، والاقرب الى التفصيل والتحديد والتصرف المباشر ٠٠

والصلة الوثيقة بين الامرين واضحة ٠٠٠

فالجيش او الشعب الذى يخوض معركة ما دون استراتيجية عامة مدروسة ، لا يمكن ان يصل الى نتيجة٠والاستراتيجية اذا ظلت خطة علوية ليست مترجمة الى مجموعة تكتيكات تفصيلية متقنة ، تكون استراتيجية نظرية غير قابلة لأن توضع موضع التطبيق ٠

ونفس الشيء ينطبق على كل شيء هام في حياة اى امة ٠ ينطبق على معركة تنمية ، اوخطة تعليم ٠ او سياسة دولية ٠ او علاقة اقتصادية ٠ الى آخره ٠

●

ولعلى قد اتخذت من الاجابة على اسئلة القراء في هذا المجال مدخلا للرد

على سؤال كبير يملأ الافق ، ويسد عليناالجهات الاربع، ولا تخلو منه رسالة قارىء أو زائر ، ولا يخلو منه مجلس أو لقاءفي اى مكان ..

ما هذا التدهور الحاصل فى امورالامة العربية ؟ .. وما هو الحل ؟ .. او ما هو الرد ؟ ..

لماذا نجد كل عربى تقريباغير راضعن نفسه ، ولا عن غيره ، ولا عن بلده ، ولا عن بلد غيره ؟ ..

وللاجابةعلى هذا السؤال ـ انطلاقامن الاسلوب الذى أسلفت شرحه ، لا بد من تسجيل امرين ..

* الامر الاول ان ما نراه الانليسمن الدقة وصفه بانه « تدهور عام » فى حياة الامة العربية .. انما الوضعالسليمللصورة فى ظل كافة المعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضاريةتجعلنانقول اننا نمر فى تطورنا الى الامامبمحنة عظيمة ... فيها جوانب اليمة ، وفيهـاجوانب مشرقة وان لم تكن هى الظاهرة على السطح ...

ـ صحيح .. رأينـا فـى الشهورالماضية « ازمة حكـم » او « اضطرابات داخلية » فى عدد ملحوظ فى كثرته منالدول العربية ...

ـ صحيح .. اننا رأينا عددا مـنالانقسامات العربية ، ودرجـة من حـدة الاساليب المستخدمة فى الخلافاتبين الدولالعربية ، لم يسبق لها مثيل ..

ـ صحيح .. اننا رأينا فى الشهورالماضية جيوشا عربية تواجه بعضها اكثر مما رأينا فى اى زمن منذ استقلال هذهالـدول . وأكثر مما رأيناهـا تواجـه اسرائيل ..

ـ صحيح .. انمجلس جامعةالدولالعربية عاجز عن مجرد الانعقاد . ومـا يشبهه من مجالس تضم الدولالعربيةتواجهنفس العجز .. وهو قاع لم تصل اليـه جامعة الدول العربية منذ انشائها ..

ـ صحيح .. ان خلافـات الـدولوالتيارات والحركات العربية حول اسلوب مواجهة القضيةالمحورية ـ قضيةاسرائيل ـلم تصل تشتتها وتعددها وعنفها الى ما وصلت اليه ..

ـ صحيح .. ان النغمات الاقليميةزادت ـ أو زيدت ـ فى اقطار كثيرة بشكل خال تماما من كل مسئولية...ولاغراضسياسية آنية دون ادراك لاضرارها على المدى البعيد ..

ـ صحيح ٠٠ ان « الشتات العربي » في انواع من النفى الاجبارى او الاختيارى ٠ الى مراكز خارجية في اوروبا او امريكا ٠ قد زاد بشكل ملفت ٠ وزاد نوعا لا كما ٠ او صارت هجرة المفكر والمثقف والرسام ، الكاتب والمخرج والممثل ٠٠ تكاد تكون هى الاصل فى ملامح الثقافة العربية الراهنة ٠ فالادمغة العربية مقطوعة عن اجسادها بدرجة لم يسبق لها مثيل ٠

هذا كله وغيره صحيح ٠ وهو كاف ، زيادة لجعل الصورة قاتمة ، بل وقاتمة جدا ٠٠٠

ولكن ، الا يجد القارىء ان هناك شعورا عاما قويا لدى كل من حوله بهذه الامور ؟ ٠٠ ان قوة الشعور بالمرض فى حد ذاتها ظاهرة ايجابية جدا ٠٠٠

ان « الاغلبية الصامتة » فى العالم العربى لم يعد صمتها صمت الرضا ٠ ولا صمت اليـاس والخمـول ٠ ولكنه صمت لكاظمين الغيظ ٠ القابضين على الجمر ٠

وماذا عن النمو اليومى ـ مهما كانت معوقاتـه وانحرافاتـه ـ فى التعلـيم ، والتصنيع ، والمشروعات ، وهجرة الايدى العاملة والخبرات بين البـلاد العربيـة ، وتكاثف حركة السفر بين أطراف هـذه البلاد ؟ أليس هذا نموا حقيقيا ، مهمـا كان بطيئا ، او اقل سرعة مما نحب ، الا انه أكيد ، كالشجرة التى لا تلحظ أنها تطول لمجرد انك تراها كل يوم ؟

ان علينا ، حتى نحتفظ بتوازننا وتفاؤلنا ، ان نضع كل هذه الاعتبارات فى الميزان ٠ وان لا تشغلنا الاحداث الآنية عن التطورات البعيدة الامد ٠ وان لا تمنعنا سحابة ـ ثقيلة جدا ـ تظلل الحاضر ، من المراهنة على المستقبل ٠

●

اما عن الجزء الثانى من الاجابة على نفس السؤال ، وهو : ما هو الحل او ما هو الرد ؟

هنا ايضا وقد طرحنا المسالة فى اطار استراتيجى ، لا بد ان نطرح الرد فى اطار استراتيجى كذلك ٠٠

والرد بهذا المعنى هـو : القوميـة العربية !

كلمة ، رغم انها بمعناها الحديث ، شابة العمر ، الا انها تبدو وكانها قد اكل عليها الدهر وشرب ، وصارت خاوية من المعنى او فرارا من الجواب ٠٠٠

وما ذلك الا بسبب سوء استعمالها ، والترخص فى استخدامها ، فصارت كلمة

ان واناشيد ، لشغل الناس ما بين فصول المسرحيات ، لا كلمة حقائق وامكانيات..

وربما لهذا السبب ، كان لا بد علينا ان نعمل فى جدية وصرامة على ان نعيد كلمة وقارها وجديتها . ونجعل منها مقياسا اساسيا لكل تصرف ومسلك عربى ، ر او صفر ، حتى تعود امورنا الى شيء من الاستقامة ، والاحساس بالمسئولية...

نحن قوم لا تنقصنا الامكانيات . لا البشرية ولا المادية ولا الجغرافية ولا لمية . ولكننا نمر بمرحلة اشبه - مرة اخرى - بقوم اشتدت نزاعاتهم ، وتشعبت م السبل ، حتى وجدوا انفسهم فى صحراء لا علامة فيها ، وقد فقدوا البوصلة ى تعرفهم بالاتجاهات الاربع .

اين نحن ؟ ومن اين والى اين .. لا احد يدرى ...

وحين اقول القومية العربية ، اقول انها البوصلة الوحيدة ، التى يمكن ان جنا من هذا التيه ..

وهى بوصلة لا يملكها احد . ولا يستاثر بها احد . ولا يمكن ان يخفيها فى به وينفرد بقراراتها احد .

انها بوصلة يمكن ان نراها جميعا . وان نحتكم اليها جميعا .

وحديث القومية العربية بالمعنى الصارم طويل ..

ولكن ما يهم تسجيله هنا ان وجود هذه البوصلة لا ينهى بالطبع كل الخلافات فى كل العلل والامراض . ولكنه يضع للضمير العربى العام معيارا ومقياسا س اليه الامور . فيعرف اقرب الاجتهادات الى مؤشرها وابعد الاجتهادات عن هذا س .

لقد صارت صناعة الدعاية والدعاية المضادة والتشويش والتضليل ويا للاسف اكثر الصناعات العربية ازدهارا . وهانت الكلمات وهان قلب الحقائق ، طت لغة الدول احيانا الى مستوى لغة العوام ، وعم الاتجاه فى القول الى الغرائز لى العقول .

وفى وسط هذا الضجيج الهائل لا بد من استرجاع هذه البوصلة باى ثمن . د من استخدامها بصرامة قدر الامكان . فان الحق لم يختلط بالباطل فى الذهن بى العام كما يختلط الان . وتلك محنة من اقسى ما يمر من محن بالشعوب .

احمد بهاء الدين

المتهم الأول والأمل الأخير

فى أزمة لبنان

« ازمات لبنان ليست ناشئة عن الصبغة اللبنانية ، وانما عن مشاكل المنطقة وتياراتها العاصفة »

■ المتهم الاول فى الاحداث اللبنانية الفاجعة والامل الاخير فى النجاة هو ما يصطلح اللبنانيون على تسميته بالصبغة . اى الحل الذى اوجده الميثاق الوطنى عام ١٩٤٣ لمشكلة العلاقة بين المسيحيين والمسلمين فى لبنان .

ففى عام ١٩٤٣ . قبل المسلمون ما كانوا رفضوه عام ١٩٢٠ من أن يكونوا لبنانيين مشتركين مع المسيحيين فى الانتساب الى دولة لبنان بحدودها الحالية .

وكانوا قبل ذلك يعتبرون انفسهم غير مشمولين بلفظة لبنان التى كانت تطلق ايام العثمانيين على ابناء الجبل اللبنانى فقط ذى الكثافة المسيحية ، بينما كانوا هم تابعين لولاية بيروت او ولاية الشام .

فلما ضم الفرنسيون هذه الاجزاء الى لبنان الصغير ليقيموا مر [illegible] سموه لبنان الكبير . رفض المسلمون اله [illegible] وظلوا على الموقف يتشبثون بالا [illegible] دمشق عاصمة سوريا .

والذى حدث عام ١٩٤٣ هو ان المسلم رضى باللبنانية وتخلى عن المطالبة بالوحدة مع سوريا مقابل تخلى المسيحى عن المطالبة بالحماية الاجنبية، فالتقى الاثنان على لبنان مستقل كامل السيادة تجاه الشرق والغرب وذى انتساب الى الاسرة العربية كغيره من اعضائها .

ولم يكن هذا الالتقاء وليد يوم واحد هو يوم تصويت البرلمان اللبنانى على بيان حكومة الاستقلال برئاسة رياض الصلح ، الذى جسد هذا الميثاق ،



بقلم : تقي الدين الصلح

بل كان هذا الالتقاء اختمارا تدريجيا على مدى سنين لفكرة الانتماء الى وطن واحد ودولة واحدة.

فقد ادرك المسلمون ان الاستمرار فى رفضهم لبنان بحدوده الجديدة لن يوصل الى غير تقسيمه وابقاء لبنان الصغير جزيرة غريبة فى الجسم العربى ومركزا للحماية والنفوذ الاجنبى بما فى ذلك من خطر على جوارها ، فاتجهوا الى التفاهم مع المسيحيين .

كما ادرك هؤلاء نتيجة تجارب الانتداب حقيقة النفوذ الاجنبى وكونه لا ينطلق الا من مصالحه ونزعة التسلط الاستعمارية ، فاتجهوا هم الاخرون الى التفاهم مع المسلمين معتبرين فى الوحدة الوطنية الجامعة الضمانة الحقيقية لكيان اى مواطن ولكيان الوطن بالذات .

الادراك لم يكن تلقائيا

لم يكتمل هذا الادراك الوطنى فى الاوساط الاسلامية والمسيحية من نفسه وبصورة تلقائية . وانما اكتمل بقوة التبشير والقدوة والممارسات التى باشرتها فئة من المؤمنين المنتشرين فى كل الطوائف ممن عاشوا روح الميثاق قبل اعلان الميثاق . كما ان هذا الادراك قد اكتمل ايضا بفضل السياسة الذكية التى اعتمدها واحسن اخراجها زعماء الاستقلال منذ وصولهم الى مراكز السلطة .

فكانت الصيغة لا مدخلا الى اتفاق اللبنانين فقط ، والى الاستقلال فقط ، بل الى انسجام لبنان مع المنطقة العربية انسجاما جاء فى اغلب الاحيان لمصلحته ولمصلحة هذه المنطقة .

بل ان هذه الصيغة هى من الناحية التاريخية احدى المخططات الرئيسية فى حل المسالة الشرقية، التى تعود جذورها الى بداية انهيار الدولة العثمانية وانصباب مساعى الدول الكبرى لتمزيق هذه الدولة وتقاسمها عن طريق اثارة الحساسيات والفتن الطائفية والعنصرية . وكان للبنان نصيب خاص من هذه السياسة بحيث يروى المؤرخون الثقات ان السلطان عبد الحميد الثانى قال فى معرض رفضه لهجرة اليهود الى فلسطين انه يخشى ان تتعقد مشكلة هؤلاء اليهود فتسبب للدولة المتاعب والمآسى التى سببتها لها مشكلة النزاع الطائفى فى جبل لبنان .

الميثاق ما له وما عليه

ولذلك يعتبر الميثاق الوطنى من هذه الناحية معالجة لاحدى المسائل الرئيسية فى القضايا الدولية .

غير ان الميثاق اذا كان قد نال فى حينه رضى شبه اجماعى من الشعب اللبنانى الا انه لم يسلم من طعن لحق به مع الايام نتيجة التعثر فى مسيرة لبنان الوطنية بعد الاستقلال .

فقد اخذ عليه انه كرس الطائفية ان لم يكن بتشجيعها فعلى الاقل بالانطلاق من اعتبارها امرا واقعا ،سواء فى توزيع المناصب والوظائف والتمثيل او نسبة هذا التوزيع .

لكن من المفارقة ان الشىء نفسه الذى يعتبره المسلم امتيازات طائفية مسيحية يعتبره الفريق المسيحى لا امتيازات بل ضمانات .

كما ان من الملاحظ ان هذا الجدال يبرز بقوة فى المراحل المتفجرة والاستثنائية من حياة لبنان

السياسة ليعود فيختفي في الاجواء العادية وحركة التطور الديموقراطي .

وموضوعيا ، ودون اي موقف انحياز ، لا بد من الاقرار بان الميثاق يتضمن بروحه واساليبه فكرة تطمين الجانب المسيحي باعتبار هذا التطمين مصلحة وطنية للمسلم اللبناني ومصلحة قومية للعرب عموما . فعندما لا تعود حاجة الى هذا التطمين ، يصبح النظر نظرة جديدة الى اساس الموضوع ، فيتحول الميثاق الى مجرد مرحلة تاريخية ماضية .

وقبل الهجوم على هذه الصيغة او الدفاع عنها، وحتى قبل الاحاطة بمعناها الدقيق ودورها ، من البديهي ان الحل الذي اتت به هو بطبيعة كونه قائما على عنصر التوازن عرضة للاهتزاز عند كل منعطف تاريخي وامام اي قرار وطني مصيري ، وازاء اي حدث ثوري داخلي او خارجي .

فمن الخطأ المبالغة في الخوف والتشاؤم من هذا الاهتزاز الملازم بالطبيعة لاي وضع مبني على التوازن .

فقد تعرض لبنان بعد عام ١٩٤٣ لعدة ازمات كبيرة اضطرب بها استقراره الوطني .

ازمات لبنان

الازمة الاولى كانت عام ١٩٤٤ ، عندما اقدم فريق من اللبنانيين على محاولة الاستيلاء على مجلس النواب . وكانت هذه المحاولة تعبر عن تمسك فئة من اللبنانيين باستمرار الضمانة الفرنسية لكيانهم . وقد اتجهت السياسة الوطنية الى اعتبار اتفاق اللبنانيين فيما بينهم هو الضمانة الاولى للكيان الوطني ، ونجحت في خلق اتفاق لبناني عام حول مبدأ الاستقلال ومبدأ الانتساب الى الاسرة العربية . وبرز لبنان في تلك الفترة موحد الصف موحد الهدف . ولكن فئة محدودة من المواطنين وجدت في فوز مرشح في انتخاب فرعي بمنطقة الشمال فرصة للقيام بردة على مجمل سياسة الدولة املا بتركيز الانتداب الفرنسي وكان الجلاء لم يتم بعد ، وان الاستقلال قد اصبح امرا مسلما به .

ولولا النجاح الحكومي والشعبي في قمع الردة موضعيا وفي ساحة البرلمان بالذات لربما جاء احتلال البرلمان على يد متظاهرين مسلحين بداية فتنة تعرض لبنان المستقل للمتاعب الخطيرة .

ذلك ان فرنسا التي كانت ما تزال تملك عمليا جزءا كبيرا من السلطة وكان جيشها ما يزال مقيما على الاراضي اللبنانية كانت ضالعة في تهيئة هذه الردة وداعمة لها بوضوح .

والازمة اللبنانية الثانية جاءت في اعقاب العدوان على السويس عام ١٩٥٦ ، عندما حصل خلاف بين الفئات اللبنانية على موقف لبنان من قضية السويس . ففريق اندفع وراء الرئيس عبد الناصر وفريق تحفظ ، ورفض قطع العلاقات مع الدولتين المعتديتين بريطانيا وفرنسا .

وقد استطاعت الدولة ان تجتاز النتائج المباشرة لهذه الازمة ولعل استعانتها لاول مرة بعنصر الجيش بدخول قائده في الحكومة منعت الانفجار .

وكانت الازمة الثالثة هي حوادث عام ١٩٥٨ . وقد ظهر فيها لبنان منقسما على نفسه ، وفئاته مختلفة حول القضايا الداخلية والعربية واتخذ الخلاف طابعا طائفيا مسلحا ، وانحسرت سلطة الدولة عن المناطق ذات الكثافة الاسلامية في كل لبنان .

وشكل قيام وحدة مصر وسوريا عنصر اندفاع وحماسة في الاوساط الاسلامية وعنصر تحسب وحذر وقلق في الاوساط المسيحية .

ولعب ذلك بالاضافة الى مشروع ايزنهاور وحلف بغداد دور المفجر للبركان الذي كان قد بدأ يحتمل بشدة منذ عام ١٩٥٦ .

اما الازمة الرابعة فكانت عام ١٩٧٣ ، حين اصطدم الكفاح الفلسطيني المسلح بالجيش اللبناني، ولم تتمكن الجهود الوطنية اكثر من تاجيل الانفجار من سنة ١٩٧٣ الى عام ١٩٧٥ .

وقد توسع هذا الاصطدام فلم ينحصر في حدود الصراع بين الجيش اللبناني والثورة الفلسطينية بل اشتركت فيه الفئات اللبنانية وظهرت الميليشيات والمنظمات العسكرية الشعبية وانقسم الجيش الى حد التفكك الكامل وتقسم لبنان بنتيجة حرب السنتين بشريا ونفسيا وعمليا .

في هذه الازمات الاربع ، يلاحظ ان الرياح كانت تهب على التوازن اللبناني وبالتالي على تجربة الميثاق ، من الخارج .

ففي حركة الردة عام ١٩٤٤ ، كان الوجود الفرنسي على الارض اللبنانية هو المحرك المباشر .

وفي عام ١٩٥٦ ، كانت محاولة الاستعمار القديم للعودة الى السيطرة على المنطقة عبر العدوان على السويس هي السبب .

وفي عام ١٩٥٨ ، كانت الحرب ضد وحدة مصر وسوريا عنصر تعبئة لقطاع واسع من اللبنانيين .

وفي عام ١٩٧٣ ، ثم ١٩٧٥ ، تناقض الوجود العسكري اللبناني مع الوجود الثوري الفلسطيني المسلح .

مشاكل المنطقة وتياراتها

وظاهر من تحليل الازمات الاربع انها ليست ناشئة بالاصل عن طبيعة الصيغة اللبنانية ، وانما عن مشاكل المنطقة وتياراتها العاصفة .

هل كان الميثاق وراء من ضعف المناعة الذي ظهرت به المؤسسة اللبنانية امام هذه المشاكل وهذه التيارات ؟

ان الميثاق ، في رأيي ، اكثر من بريء ... بل ان المأخذ عليه انه اوحى من الثقة والطمأنينة للفئات اللبنانية بما خدرها عن الجد في بناء الدولة والوطن . شانها معه شان بني تغلب مع قصيدة عمرو بن كلثوم الذين قال فيهم الشاعر :

« الهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم .»

فقد ظهر تقاعس بارز في ميادين عدة اهمها تربية اللبنانيين تربية وطنية موحدة ، والانتقال بعقلياتهم من الطوائف الى المجتمع الوطني ، ثم التقصير في مكافحة الحرمان وتخلف المناطق ، ثم العجز عن ابتكار صيغة الحرية المسؤولة وحماية الحرية من مبالغاتها ، ثم التهاون في اعطاء سلطة الدولة للطوائف والفئات والاحزاب والاشخاص .

وفعلت هذه الظواهر كلها فعلها في توهين البنيان الوطني اللبناني وتشكيك اللبناني في قيمه ومنها ميثاقه الوطني وصيغته الفذة . ولا اؤكد أهو ضعف في اللبناني ام قوة فيه ان يميل دائما الى اتهام مؤسساته ودستوره وقيمه العامة بدلا من اتهام نفسه كفرد ومواطن .

فالبعض يصر على اعتبار تبرئة الذات واتهام المؤسسات اصرارا من اللبناني على التشبث بطريقة حياته المعروفة ، وثقة بصوابها وفعاليتها وقدرتها على الخلق والابداع والتفوق .

أما الاكثرية من الذين مارسوا المسؤوليات العامة واصطدموا بما يسمى بالواقع اللبناني والشخصية اللبنانية المميزة فانهم يقولون : ان لبنان لا مناص له بعد اليوم من الثقة اكثر مما يعطي الان بمؤسساته وقيمه العامة واسس ديموقراطية الوطنية مع ثقة اقل بقدرة الفردية على صنع الاعجوبة . ففي الواقع ما اقل ممارسة اللبناني الفعلية للميثاق وللصيغة وللدستور ولكل الضوابط الوطنية التي ليست دون مستوى مثيلاتها في العالم من حيث استحقاق الوجود والدوام . ■■

تقي الدين الصلح

تعريفات ..

■ الناقد هو ذلك الشخص الذي يعرف الطريق ولكنه لا يجيد القيادة .
بارستو جرينبي

■ الفطنة هي موهبة الاستفادة من الحجج دون تكوين اعداء .
كينيس تينان

■ حسن الضيافة عبارة عن قليل من النار وقليل من الطعام مع الكثير من الراحة .

رالف . والدو . امرسون .

«جيل الكبار في العالم العربي يستمتع بتفوقه الثقافي دون آن يشعر بآنه يحبس منابع الثقافة عن الاجيـال الجديـدة»

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

محنة

■ العالم كله يتحدث عن الفجوة بين الاجيـال .. عن احساس الاجيال الجديدة بان جيل الكبار عاجز عن فهمها والتجاوب معها ، لانه عاش في زمن القطارات البخارية والسيارات الصندوقيـة البطيئة والسينما الصامتة أو الناطقة بغير ألوان، بينما تعيش هذه الاجيال الجديدة فيعصر الطائرات الاسرع من الصوت والعقول الالكترونية وصواريخ القمر والمريخ . كل شيء أصبح في عصرنا هذا أسرع ، حتى الزمن نفسه اصبحت سرعته مخيفة ، وصار يقطع في عشر سنوات ما كان يقطعه من قبل في قرن كامل . فاذا قدرنا الحد الفـاصل بين جيلين بثلاثين عاما ، فان هذه الاعوام الثلاثين تساوى ، بمقاييس السابقين علينا ، اكثر من قرنين من الزمان . أفلا تكون الاجيال الجديدة اذن على حق حين تؤكد أنها تعيش في عصر يصعب على الكبار أن يستوعبوا أبعاده ، فيقفوا عاجزين تماما أمام الامكانات الهائلة التييحملها في طياته؟

هذه ، بغير شك ، أزمة حقيقية تمر بها الاجيال الجديدة التي تشعر بأن المستقبل ملك لها وحدها. على حين أن الكبار ، الذين يمسكون في أيديهم بمقاليد الامور في الوقت الراهن ، لا يتيحون لهم ما يتطلعون اليه من فرص للمشاركة في توجيـه المجتمع ، لا لان هؤلاء الكبـار سيئو النيـة او حاسدون ، بل لانهم ـ بحكم موقعهم الزمني ذاته ـ عاجزون عن التكيف بنجاح أمام عالم التغيرات المذهلة الذى ولد فيهالشباب وتشبعوا منذ حداثتهم بروحه . وهكذا ينظر الشباب الى الكبار نظرة يمتزج فيها التحـدى بالاشفـاق ، وتجمـع بين الاعتزاز بالنفس ومحاولة التماس العذر للغير .

أزمة معكوسة

هذا هو الوضع في بلاد العالم السائرة في طريق التقدم . أما في عالمنا العربي فان الاجيال الجديدة بدورها تمر بازمة، ولكنها أزمة معكوسة. في هذه الازمةيشعر الكبار بالرثاء لجيل الشباب ، وينعون عليهم هبوط مستواهم الفكرى والثقافي ، وينظرون اليهم باستعلاء مغلف باطار من العطف والتظاهر بالفهم والتفاهم . أى ان الفجوة بين الاجيال عندنا ـ شانها شان امور اخرى كثيرة ـ مقلوبة . فكيف صارت اجيالنا الجديدة الى هذا الوضع العجيب والفريد ، وما دور جيل الكبار في هذا الوضع ؟

الثقافة

[illegible]

في هذا المقال اود ان اعرض لهذا الموضوع من زاوية هي في رايي اهم زواياه ، واعني بها الثقافة • والراى الذى اود ان ادافع عنه هو ان ثقافة الاجيال الجديدة في العالم العربي يشوبها الاضطراب والخلط وضيق الافق ، وان المسئول الاول عن ذلك هو جيل الكبار ، وان هذه ظاهرة من اخطر الظواهر التي تهدد مستقبل العقل العربي ، بل ربما كانت اخطر من كثير من الازمات السياسية التي شغلنا انفسنا بها امدا طويلا ، متغافلين عن كل ما عداها من الازمات الاجتماعية والفكرية التي قد لا تكون صارخة كالازمات السياسية ، ولكن تاثيرها اعمق منها وابعد في مداه الى حد كبير •

ولنتساءل ، بادىء ذى بدء ، عن طبيعة المصادر التي يمكن ان يستمد منها الشباب العربي المعاصر ثقافته • هذه المصادر ، كما يعرف الجميع ، اما عصرية واما قديمة • والمصادر العصرية بدورها قد تكون عالمية أو محلية • وعلى ذلك ففي امكاننا أن نعالج موضوعنا على هذه المحاور الثلاثة : الثقافة العالمية ، والثقافة المحلية العصرية ، والثقافة القديمة • فلنرجع اذن الى كل من هذه المصادر الثلاثة ، باحثين عن مدى استيعاب الشباب العربي لها ، وقدرته على الافادة منها •

في عصرنا الحالي تكتسب الثقافة العالمية اهمية متزايدة• ولست اعني « بالعالمية » ان هذه الثقافة لا وطن لها ، بل ان المقصود من اللفظ هو ان هذه الثقافة تضم عناصر من بيئات ومجتمعات مختلفة ، تضافرت كلها لتصنع انتاجا فكريا رفيع المستوى ، قادرا على أن يخاطب الانسان أينما كان • وصحيح ان قدرا كبيرا من هذه الثقافة غربي (بالمعنى الواسع لهذه الكلمة) ، ولكن من الصحيح ايضا ان التفوق الغربي الحالي انما هو المرحلة الاخيرة في رحلة طويلة قطعها العقل البشري عبر التاريخ، واسهم فيها الشرق بدور اساسي مرتين على الاقل ، في العصور القديمة والوسطى ـ هذا فضلا عن ان روافد اخرى ، من غير المجتمعات الغربية التقليدية، حدث في الاونة الاخيرة تسهم بنصيبها في الثقافة العالمية على نحو متزايد •

هذه الابواب المغلقة

هذه الثقافة العالمية تكاد ابواب الاتصال المباشر بها ان تكون مغلقة في وجه شبابنا العربي • فالاجيال الجديدة من هذا الشباب العربي ، حتى تلك التي نالت درجات جامعية ، لا تعرف من اللغات الاجنبية (في معظم الاحوال) الا قدرا لا يتجاوز مستوى « محو الامية » ، وقد يقل عن هذا المستوى احيانا ، واني لاذكر عن جيلنا ، اننا كنا نصادف الشاب السوداني او الاردني او العراقي فنجده يتقن الانجليزية اتقانا يقترب به من مستوى اهلها ، وكنا نصادف الشاب السوري فنجده يجيد الفرنسية اجادة مذهلة ، على حين ان المصرى كان يتقن اما هذه اللغة واما تلك ، حتى لو كان تعليمه

متوسطا . لم تغيرت الاحوال فجأة ، فاذا ببعض التربويين يطلعون علينا بنظريات مستمدة من مجتمعات تختلف ظروفها ومتطلباتها الثقافية عن مجتمعاتنا اختلاف السماء عن الارض ، واذا ببعض السياسيين يطلعون علينا برأى فذ مفاده ان تلك اللغات الاجنبية هي لغات الاستعمار ، وان « الوطنية » او « القومية » توجب علينا الا نعلم ابناءنا شيئا من لغات الاجانب (مع ان قادة الحركات الوطنية في معظم بلاد العالم الثالث ، واشد محاربي الاستعمار فيها صلابة كانوا في معظم الاحوال من خريجي مدارس « الاستعمار » ذاتها !)

وفي كلتا الحالتين كانت النتيجة واحدة : هي ظهور جيل جديد من الشباب العربي عاجز عن الاتصال المباشر بتيارات الثقافة العالمية . وحين يفكر المرء في الاضرار التي عادت على هذا الجيل، او التي ستعود بالتالي على مستقبل بلادنا ، من جراء هذا الانعزال الثقافي ، لا يملك الا ان يتساءل : الا يجوز ان ذلك كان شيئا مقصودا ، وان النظريات التربوية والحماسة القومية لم تكن الا ذرائع تستهدف اخراج جيل لا يعرف بطريقة مباشرة الى ما يدور حوله في العالم، حتى لا يطالب بحقه في حياة افضل ؟

على ان الشباب العربي يحاول ان يكسر طوق العزلة التي تفرضها عليه سياسة نشر الجهل باللغات الاجنبية ، عن طريق الاقبال بنهم على كل ما يقع تحت يديه من اعمال مترجمة. وهذه الترجمات اصبحت الان الزاد الثقافي الاكبر لنسبة هائلة من الشباب الطموح الى تثقيف نفسه . ومع ذلك فان هذا مصدر غير مضمون ولا مأمون : اذ ان الترجمات اولا انتقائية ، لا تستطيع ـ مهما اتسع نطاقها ـ ان تستوعب من الانتاج الثقافي العالمي الا قدرا ضئيلا ، وقد يكون هدف الاختيار هو الاثارة لا الجودة . وهي فضلا عن ذلك ترجمات غير دقيقة في احيان كثيرة . بل ان بعضها يصل في ركاكته وابتعاده عن الاصل الى حد يستحق معه اصحابه ان يقدموا للمحاكمة ، لو كانت هناك محاكم للجرائم الثقافية . ومن المؤكد ان عوامل الاستغلال التجاري تلعب في هذا الصدد دورا هاما : اذ ان من الطبيعي ، في سوق متعطشة الى الثقافة لا تجد امامها نافذة للاتصال بالعالم الا عن طريق الترجمة ، ان يعمد تجار الثقافة الى التسرع في ترجمة اعمال المؤلفين المشهورين بطريقة تستهدف تلبية حاجة السوق على اى نحو ، بغض النظر تماما عن مستوى الترجمة او مدى مطابقتها لابسط الشروط العلمية .

وبرغم هذا كله ، فان الثقافة العالمية تحيط بنا من كل جانب ، وليس في الامكان ان نعزل شبابنا عنها عزلا تاما ، حتى لو تعمدنا ذلك . فهي على الاقل تفرض نفسها على شبابنا في اشكال فنية لاتحتاج الى معرفة باللغات ، كالسينما والتليفزيون والاسطوانات ، الخ . وهذه مؤثرات يستوعبها شبابنا بسهولة ، ولكن من المؤسف انها لا تنقل الينا دائما افضل ما في الثقافة العالمية ، بل هي في كثير من الاحيان وسيلة لتقديم اكثر جوانب هذه الثقافة سطحية . وهكذا يكتفي كثير من شبابنا بمحاكاة المظاهر الخارجية للثقافة العالمية دون تعمق في جوهرها الباطني ، ودون معرفة بالاصول التي اوصلت هذه الثقافة الى وضعها الراهن . وحتى القلة التي تسعى بجد الى معايشة هذه الثقافة والتغلغل في اعماقها ، لا تنفذ الى ما بعد السطح الخارجي بكثير ، لانها لا تعرفها الا من خلال مرآة مشوهة ، هي مرآة الترجمات المحرفة والمتسرعة .

ومصادر الثقافة المحلية

اما المصادر المحلية للثقافة فما اظن ان اوضاعها افضل . ذلك لان مستوى القضايا التي يعالجها الكتاب والمفكرون المحليون ، والتي يمكن ان يجد فيها الشباب العربي زادا ثقافيا ، يسير نحو الانحدار المستمر . والازمة في هذه الحالة ليست ازمة في الكتاب او المفكرين انفسهم ، بقدر ما هي ازمة في المناخ الذي يكتبون فيه .

ان العالم العربي يعاني ، في الوقت الراهن ، من قيود على الفكر الحر لم يعرف لها مثيلا منذ زمن بعيد . وهذه القيود ينعكس تاثيرها على الكتاب مباشرة ، فينسحب بعضهم مؤثرا التزام الصمت ، على سبيل الاحتجاج او بهدف تجنب المشاكل ، ويبتعد البعض الاخر عن اثارة الموضوعات الشائكة والحساسة ، مكتفيا بالكلام في موضوعات

« محايدة » لا لون لها ولا طعم ، على حين ان بعضهم الاخر يجارى التيار السائد ويركب موجة التملق والمسايرة • وفي ظروف المناخ العربى ، يكون هؤلاء الاخرون هم الاوسع انتشارا وهم اصحاب الكلمة المسموعة • ومن هنا كانت وسائط الاعلام العربية تلجأ على نحو متزايد الى محاربة كل ما هو جاد، وتصل في ذلك احيانا الى حد الحظر التام، بل ان بلادا عربية كانت منذ سنوات قلائل تحمل مشعل الفكر والادب قد ظهرت فيها اقلام تبدو كما لو كانت قد بعثت من القبور ، واخذت تهلل للفرصة التى اتيحت لها كيما تنشر على الناس آراء عفى عليها الزمان ، وما كان لها ان تصمد يوما واحدا لو لم تكن الحماية مكفولة لها بحيث لا ينافسها منافس ، ولا يكشف زيفها احد •

ومن المؤكد ان الشباب العربى ينظر بازدراء الى هذا اللون من الكتابات • والشباب رافض لهذه اللعبة ، وهو يقف بمعزل عنها ، ويتاملها بعدم اكتراث وترفع • اما اجهزة الاعلام العربية قد اصبحت ، في احيان كثيرة ، عاجزة عن مخاطبة الشباب من خلال الصحافة اليومية ، بعد ما صارت اليه ، واما المجلات الادبية والفكرية فقد تدهورت او سكتت اصواتها الى الابد • وربما كان في وسع بعض الكبار ان يقبلوا هذا اللون من الثقافة، لانه يوافق امزجتهم او مصالحهم ، كما ان بعضهم الاخر قد يسكت عنه ، او يهمله ، لانه اكتسب من قبل حصيلة ثقافية ، او لانه يجد لثقافته مصادر اخرى غير المصادر المحلية ، اما الشباب ، الذين يعتمدون على الثقافة المحلية اعتمادا اساسيا ، والذين تستشعر مثاليتهم الزيف بحساسية فائقة ، فانهم هم الاكثر اختناقا في هذا الجو المكبوت •

ولا يملك المرء الا ان يشعر بالاسى حين يقارن اوضاع الثقافة المحلية في العالم العربى اليوم بما كانت عليه قبل جيل او جيلين • فخلال عهد شبابنا كنا نجد في المجلات والصحف العربية وحدها جرعة ثقافية كافية لبعث الحيوية في النفس والعقل معا ، وكان باب المساجلات والمناقشات والمعارك الفكرية والادبية مفتوحا للجميع ، مهما اختلفت اتجاهاتهم في التفكير ، ولم نكن نسمع عن اتهامات يلقيها الكتاب بلا حساب على رؤوس بعضهم البعض ، فلم نصادف كاتبا يصف الاخر بانه عميل او دخيل ، او فاسق او مارق ، او مدسوس او جاسوس • صحيح ان الجدال كان يحتدم ، وحرارة المناقشات كانت ترتفع ، في احيان كثيرة ، الى درجة عالية ، ولكن كان هناك اتفاق ضمنى بين الجميع على ان من حق كل طرف ان يعبر عن رايه كما يشاء ، وان النقاش يدور بين انداد ولم يفكر احد في ان يدعو السلطات الى ان تقطع رقبة خصمه ، او يناشدها ــ ان كان رحيما ــ ان تقطع لسانه !

وهكذا لا يجد الشباب في مصادر الثقافة المحلية ما يشبع نهمه الى المعرفة ، واغلب الظن ان الانطباع الوحيد الذى تتركه في نفسه هذه المصادر هى تلك الامثلة السيئة التى تضربها للخصومة البغيضة التى يغيب عنها تماما التنافس الشريف • ومن المؤكد ان ما يطبع المحلية العصرية بهذا الطابع السلبى انما هو عوامل تتجاوز نطاق الميدان الثقافى ، وينتمى معظمها الى مجال السياسة ، ولكنها على اية حال سياسة قصيرة النظر تلك التى تضحى بمصائر اجيال كاملة في سبيل مصالح مؤقتة ومكاسب محدودة •

تقديم الثقافة التراثية

والمصدر الاخير الذى يمكن ان يستمد منه الشباب العربى زاده العقلى هو الثقافة التقليدية ، او التراثية • ولقد تعمدت استخدام تعبير « الثقافة التراثية » بدلا من لفظ التراث ، لان ما اقصده هاهنا اوسع نطاقا من التراث نفسه ، اذ يشتمل ايضا على الكتابات الحديثة التى تعرض التراث او تدافع عنه او تستلهم روحه •

هذه الثقافة التقليدية لم تنجح ، حتى الآن ، في تقديم التراث بصورة فيها حيوية او تجديد او قدرة على التحدث بلغة العصر • ولو عقد المرء مقارنة بين انصار التراث في الربع الاخير من القرن العشرين ، ونظرائهم من قرن مضى ، لكانت المقارنة بغير شك لصالح الاخيرين • وهذا موقف فريد في نوعه ، له دلالات مفزعة • ففى اواخر القرن التاسع عشر واوائل العشرين كان التراث يعرض ، ويناقش ، وينقد ، بروح فيها من الاستنارة وسعة الافق ما يتجاوز روح العصر الحاضر بكثير• ويبدو ان مضى الزمن لا يزيد اصحاب

الثقافة التقليدية الا اصرارا على الرجوع بها الى الوراء ، ومن ثم تزداد الهوة بينهم وبين العصر اتساعا .

ولسنا ها هنا فى مجال الحكم على طريقة معالجة التراث فى العالم العربى ، أو على الدور الذى تقوم به الثقافة التقليدية فى حياتنا ، وانما يعنينا من هذا كله تاثيره فى ثقافة الشباب العربى فحسب . ذلك أن افتقار هذه الثقافة التقليدية الى القدرة على مسايرة العصر ، او مخاطبة العقول بلغة قريبة الى فهمها وحسها وذوقها، يدفع الشباب الى اتخاذ احد موقفين :

فهناك قلة من الشباب تتأثر بالثقافة التقليدية فى صورتها الجامدة غير المتطورة ، لانها مهيأة نفسيا واجتماعيا للخضوع والانقياد التام ، ولانها عطلت ملكات العقل والنقد تعطيلا كاملا . وتصورت ان هذا هو الطريق الى الايمان السليم . وهذه القلة تسلك ، فى اغلب الاحيان ، سلوكا متطرفا تستخدم فيه العصا وقبضة اليد اكثر مما تستخدم العقل والمنطق ، ومن هنا كانت وستظل مصدرا للقلاقل والمتاعب فى العالم العربى . واذا كانت ـ باعتراف انصارها انفسهم ـ تمثل عودة الى ما كان عليه العرب فى عصر سالف ، حسب طريقتهم الخاصة فى فهم ذلك العصر فانها قطعا لا تمثل موجة المستقبل بين شباب العرب .

اما الاكثرية الغالبة من الشباب العربى فانها تجد نفسها عاجزة عن الاقتناع بما يدعوها اليه انصار التراث من المنعزلين عن واقع العصر . وربما امتنع الكثيرون عن الجهر بموقفهم السلبى من هذه الدعوة تأدبا واحتراما ، او اتقاء لما يمكن ان تجلبه عليهم مثل هذا التمرد من عواقب . ولكنهم فى قرارة انفسهم متباعدون كل الابتعاد عن هذا التيار السلفى الجامد ، ولا يمكن ان يجدوا فيه اشباعا لحاجاتهم الثقافية . وليس هذا منهم عداء للتراث على الاطلاق ، وانما هو عداء لطريقة معينة فى تقديم التراث واختيار نماذجه الجديرة بالاحياء . ذلك لان التراث انما كان حياة كاملة لشعوب سبقتنا ـ حياة كانت تموج بشتى التيارات المتصارعة والمتعارضة .

والكتابات التى خلفها لنا اسلافنا تعبر عن خصوبة تلك الحياة الكاملة وتراثها ، ولكن هناك من ينتقون من تراث الحياة الكاملة هذا ما يناسب افكارهم الجامدة ، ويحجبون كل ما يتعارض معها ، ويقدمونه على انه هو التراث ، بل انهم ليعرضونه بطريقة اشد جمودا من تلك التى كتبه بها اصحابه انفسهم .

تلوين الماضى بالهوى

وهنا يبدو الامر فى ظاهره وكأن هؤلاء اناس يقومون باحياء الماضى فحسب ، ولكن حقيقة الامر هى انهم يلونون هذا الماضى ويشكلونه وفق هواهم، وتبعا لاساليبهم الخاصة فى الانتقاء والتقديم . وفى استطاعة غيرهم ان يقدموا للتراث وجها اخر مختلفا كل الاختلاف ، وجها مضيئا يحفز على التعقل والتفكير ولا يقف فى وجه اى تقدم فكرى لاحق .

وهكذا فان انصار التراث ليسوا فى واقع الامر مجرد عارضين لآراء من سبقوهم ، كما يحبون ان يظهروا امام الناس ، وانما هم اصحاب دعوة نشيطة ، يسقطونها على التراث من خلال طريقتهم الخاصة فى تقديمه والاختيار منه . ومن سوء الحظ ان التيار الغالب فى كثير من البلاد العربية فى الوقت الراهن هو ذلك الذى لا يختار من التراث الا اكثر عناصره جمودا . واصحاب هذا التيار انما يعبرون ، باختيارهم هذا ، عن انفسهم . وهكذا اجد فى وضعنا الراهن مصداقا للرأى الذى كنت انادى به على الدوام ، وهو ان « التراث هو ما نصنعه نحن به » .

من هنا كان جمود التيار التراثى السائد فى الوقت الحاضر مؤديا الى تباعد الشباب عن ثقافة الاسلاف وعجزهم عن ان يستمدوا منها عناصر قابلة لان تدمج فى ثقافتهم الخاصة . ذلك لان لغته غريبة عنهم ، والعصر الذى يدور فيه فكره مختلف عن عصرهم ، ودعوته الى التشبث باشد عناصر الماضى تحجرا ، يصعب ان تجد اذنا صاغية لدى انسان يعيش مرحلة من العمر تتميز ـ قبل كل شىء ـ بتطلعها الى المستقبل . والاتجاه الذى تنطوى عليه الدعوة الجامدة الى التراث ، من انعزال واستغناء ثقافى ، واغلاق للابواب فى وجه اية مؤثرات خارجية ينظر اليها دائما بارتياب

على انها دخيلة ، هو اتجاه مضاد لتلك النزعة الى اكتساب الخبرات والتجارب من شتى المصادر، والاحتكاك بالعالم العريض ، التي هي نزعة ملازمة للشباب في كل عصر ، وان كانت اكثر التصاقا به في عصر الاتصالات الثقافية الوثيقة الـــذى نعيش فيه •

وهكذا يغلق باب آخر في وجه الشباب (ماعدا قلة منهم) ، هو باب الثقافة المستمدة من التراث، لا لان الشباب يرفضون هذه الثقافة ، ولا لان هذا التراث غير قادر بطبيعته على ان يقدم الى الشباب شيئا مفيدا ، بل لان طريقة تقديمه اليهم في عصر التغيير السريع والتأثير المتبادل بين اجهزة الاعلام العالمية تعجز عن ان تجد لنفسها منفـذا الى عقولهم •

ليس لمجتمعاتنا عذر

تلك هي المصادر الثلاثة الممكنة لثقافة الشباب العربي ، وكلها ــ كما رأينا ــ محفوفة بالمصاعب• ولكن اللوم الاكبر على حرمان الشباب من مصادر الثقافة العميقة والجادة انما يقع على المجتمعات العربية ذاتها • فليس لهذه المجتمعات عذر اذا هي قصرت في تزويد الشباب بوسيلة الاتصـــال بالعالم الواسع الذى يتقدم بخطى منهلة ، عن طريق رفع مستوى تعليم اللغات الاجنبية فـــى مدارس الدولة الى الحد الذى يسمح للجيـــل الحالي ، كما كان يسمح للاجيال السابقة ،بالتزود بالثقافة العالميـة • وليس لهـا عـذر اذا هـى رسمت سياسة مقصودة تستهدف ، في معظـم الحالات ، التعبير عن الرأى الرسمي وحده وتابى على الآخرين حرية الفكـر ، فتضع بذلك قيـدا ثقيلا على عقول الشباب كلما شاءت ان تتزود بالثقافة المحلية • واخيرا فان مجتمعاتنا هـــى الملومة لانها ، برغم كل تعلقها بالتراث الماضي ، تعجز عن تقديمه للاجيال الجديدة بالصورة التى تسمح لهذه الاجيال بان تتخذ منـه منبعـا مـن منابع ثقافتها •

وازاء هذه العقبات كلها ، لا يعود امام كثير من الشباب الا ان يقفوا من الثقافة الحقيقيـــة موقفا سلبيا ، على حين ان الطموحين منهم لا يجدون مفرا من سلوك سبيل الاجتهاد الشخصي ، فيلتقطون كتابا مترجما من هنا وجريدة مهربة من هناك ، ويحاول كل واحد منهم ان يشق طريقه وسط ظروف غاية في الصعوبه ، وتكون النتيجة هي تخبط الكثيرين وافتقارهم الى اى نوع مـــن التنظيم الفكرى • فكل شاب طموح الى الثقافة ، في العالم العربي ، يكون عالما منعزلا مغلقا على نفسه ، لانه لا ينهل من منابع واسعة متاحة للجميع، بل يسير في طريقه الموحش وفقا لطريقته الخاصة في الاجتهاد • فهل من المستغرب بعد هذا كله ان نجد الشباب الطموحين الى الثقافة في العالـــم العربي ، فرديين الى اقصى حد ، وان تسود الريبة والتشكك والاتهامات المتبادلة في علاقاتهم بعضهم ببعض وباجيال المثقفين الآخرين؟ وهل من المستغرب ان ينقسموا حتى على القضايا التى يتخذونها موضوعا لاهتمامهم ، وان يستحيل جمعهم تحت راية قضية واحدة ؟ صحيح ان احدا لا يفكر في صـــب عقول الشباب في قالب واحد ، وان النمطية شيء بغيض فـي ذاتـه ، ولكـن التشتت الفكـرى والعجز عن الاهتداء الى مصادر مقنعة وكافيـــة للثقافة ، هو بدوره امر يدعو الى الاسف البالغ، ويدل على ان مجتمعاتنا العربية لا تولى التفكير في مستقبلها ــ الذى سيتسلم رايته هـــؤلاء الشباب ــ ما يستحقه من اهتمام •

ومما يزيد في فداحة الخسارة اننا نعيش في عالم يعد فيه التقدم من الجيل السابق الى الجيل اللاحق امرا طبيعيا ، وتتاح فيه للشباب ــ في العالم المتقدم ــ فرص لم تكن متاحة من قبل للكبار ، ويسير فيه منحنى المعرفة والاستنارة الفكرية في خط صاعد على الدوام • وحين يقارن المرء بين هذا الوضع وما هو سائد في العـــالم العربي ، يبدو له ان جيل الكبار يستمتع بتفوقه الثقافي دون ان يشعر بانه ــ او على الاقل اصحاب المسئولية من افراده ــ يحبس منابع الثقافة عن الاجيال الجديدة عمدا •

وقد يعطى هذا الاستمتاع لجيل الكبار احساسا بالامتياز ولكن حين يكون الامر متعلقا بمستقبل امة ، فاظن ان الامر كله يحتاج الى اعادة نظـر شاملة • ■■

فؤاد زكريا

في ذكرى المولد النبوى :

سيرة النبى

لشبلى نعمانى وسليمان الندوى

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

... « الى يوم الدين لـن يستطيع احد ان ينافس المسلمين فى فخرهم بحفظ أدق تفاصيل كل حادث فـى حياة الرسـول صلى الله عليه وسلم ، بطريقة دقيقة وواعية ، لا يصل الـى مستواها تسجيل حياة اى انسان آخر من قبـل ، ولا يمكـن ان ننتظرها من بعد »

علامة شبلى نعمانى

لقـاء

■ فى ربيع ١٩٥٢ كنت فى كراتشى – وهى وقتئذ عاصمة باكستان – وسعدت بلقـاء مولانا سليمان الندوى فى صباح باكر .. واحسست اول ما لقيته اننى مع روح شفافة ، اكتفت من الجسد بالقليل الذى ابقته معاناة العلم والزهد وقيام الليل والمرض ..

وكان من قدر الله ان يبارح « سليمان » دنيانا فى عام ١٩٥٣ بعد حياة حافلة بدأت عام ١٨٨٤ .. هذه الشفافية التى عاش بها ظلت ترق وترق حتى صعدت الى ربها تاركة وراءها انتاجا فى رسوخ الجبال .. رحمه الله .

٢ – محاضرات السيرة

فى لقائنا الاول دار الحديث عن دعم الصلات الثقافية بين ابناء العالم الاسلامى على ان يتفضل بتقديم جانب من انتاجه الى ابناء العالم العربى .

وفى لقائنا الثانى ، قدم باكورة هذا التعاون ، الترجمة العربية لكتابه « الرسالة المحمدية » وهى ثمانى محاضرات فى السيرة النبوية ورسالة الاسلام.

وتلاقينا بعد هذا مرة ثالثة فى جلسة مع استاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام (رحمه الله) وكان وقتئذ سفيرا لمصر فى باكستان ..

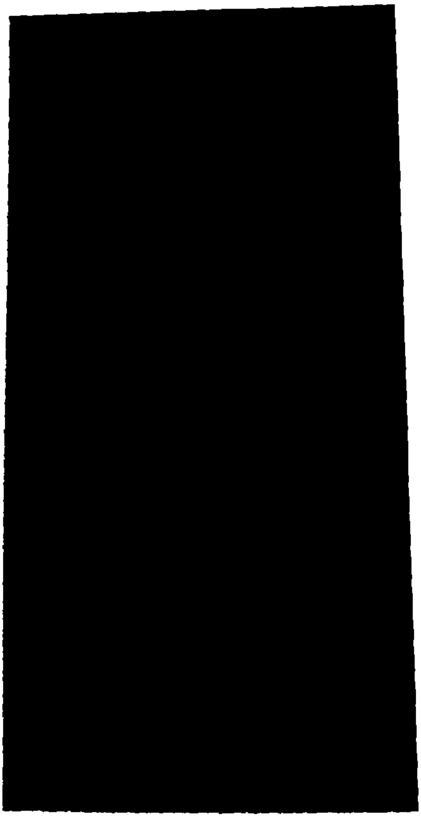
٣ – سيرة النبى

ودار الحـديث فى هذا اللقـاء عن الكتـاب الكبير « سيرة النبى » الذى بداه « شبلى نعمانى » (١٨٥٧ – ١٩١٤) واتمه « سليمان الندوى »

ولم يكن الدكتور عزام يعدل به كتابا آخـر فى السيرة فى تراثنا الاسلامى ، ويضعه على قمة عالية من قمم التحقيق العلمى والاحاطة ، ويتمنى الا يحرم ابناء اللغة العربية من هذا العمل .. حتى اننى احسست بعزلة نفسية عندما كان الكتاب قريبا منى بلغته الاردية وحروفها العربية .

وتمر السنون واسائل من اتصل بهم من اخوتنا فى باكستان عن هذا الكتاب ، فاعلم ان النية متجهة الى ترجمته من الاردية الى الانجليزية . ويصدر المجلد الاول فى عام ١٩٧٠ والثانى فى عام ١٩٧١ .

ولنعد الى الكتاب لنرى كيف وضع « شبلى



نعماني » تصميمه الاول في خمسة مجلدات . ثم تولته يد « سليمان » بالتعديل فاصبح في سبعة مجلدات :

الاول والثاني : ترجمة حياة النبي (ص)مع دراسة عن الجزيرة العربية قبل الاسلام ، ويعد هذا الكتاب خاتمة اعمال «شبلي» . وهو الذي وضع هندسته وكتب معظم فصوله . وكان حريصا في كتابته على الالتزام الدقيق بالنصوص الصحيحة، والرد على الشبهات التي اثارها كتاب الافرنج عن الاسلام ورسوله .

هذا في اسلوب رائع انيق ،حتى ان بعض فصول المجلد تعتبر ـ كما يقول مسعود الندوي ـ كاحسن ماكتب كاتب باللغة الاردية .

الثالث : خاص بالمعجزات . كتبه والاجزاء التالية ، سليمان الندوي . وله مقدمتان علميتان من الوجهتين الفلسفيتين : القديمة والحديثة ، اثبت فيها امكان المعجزات وعدم معارضة العلوم النقلية لها .

الرابع : ويبحث في منزلة النبوة ، والفرق بينها وبين منازل الاصلاح والتجديد والزعامة . ثم يبحث العقائد مستندا الى الكتاب والسنة في مزج دقيق بين علومها واسرارها .

الخامس : في العبادات ، والسادس : في الاخلاق ، والسابع : في المعاملات وكل منها موسوعة في موضوعه .

٤ ـ شخصية الكتاب

ولكل كتاب ـ كاي انسان ـ شخصيته وملامحه الرئيسية . والفكرة الاساسية التي ينطلق منها الكتاب « ان الواجب الاسمى والخدمة الكبرى التي تقدم الى الانسانية ان تجدد وتضبط اخلاقيات الناس وثقافتهم .. والوسيلة المعتادة لذلك هي العظات .. والوسيلة الحديثة هي تاليف الكتب ذات المستوى الرفيع في السلوك ونشرها بين الناس. وهناك وسيلة اخرى هي اكراه الناس على غرس الفضائل .. ولكن افضل الطرق واصحها واكثرها عملية ، ليست الحديث ولا الكتابة ولا الاكراه ، ولكن في ظهور شخص هو التصوير التام للفضائل. شخص تنعكس فيه الفضائل عمليا . وتعادل كل حركة من شفته عمل الاف الكتب . وكل اشارة من يده كانها امر ملكي . ان الفضائل التي تبدو في دنيانا هي انعكاسات من هؤلاء الرجال المقدسين . اما جميع العوامل الاخرى فلا تعدو ان تكون طلاء وزخرفة في صرح الحضارة (١ : ١ ـ ٢) *

ويتابع شبلي شرح هدفه من الكتاب فيقول بعد هذا :

« ولكن هؤلاء الذين ظهروا قبل الرسول محمد (ص) بعامة كانوا نماذج لفضائل معينة .. على سبيل المثال : مدرسة المسيح كانت للتحمل والصبر والسلام والتسامح والتواضع . ولا مكان للصفات الرفيعة اللازمة للادارة والحكم ، بينما لا مجال فيما جاء عن نوح وموسى للتسامح العام .. من اجل ذلك كانت الحاجة الى قائد جديد في كل مرحلة من مراحل الانسانية .. ودائما كان هناك انتظار لجديد يكمل به الدين . القائد الذي يستطيع ان

* يدل الرقم الاول على المجلد والثاني على الصفحات من كتاب سيرة النبي ط . الانجليزية .

يرفع سيفه ، وان يعيش معتكفا ايضا • قائد يستطيع ان يمارس حياة الحاكم والفاتح كما يمارس حياة المسكين • والذى يستطيع ان يكون حاكم الدنيا وتاليا لأسماء الله الحسنى • والذى يستطيع ان يعيش حياة الفقر بالرضى وحياة الغنى بالقلب الكريم • هذا الرسول الكامل بين الخالق والكون • هذه الشخصية المحيطة • هذا التصوير الحى لكلمات الله هو الذروة العليا فى خلق الله « اليوم اكملت لكم دينكم » (المائدة / ٣)

« وليس هناك من شىء خالد فى دنيا الفناء • ومن اجل ذلك لن تعمر فيها هذه الشخصية الكاملة الى الابد • من اجل ذلك كان من الضرورى الاحتفاظ بصورتها الكاملة •• كل كلمة منها ، كل اشارة ، كل لمحة من لمحات وجودها •• حتى نستطيع ان نفيد منها فى كل مرحلة من مراحل الحياة عندما نحتاج اليها •

ومن الغريب ان الصورة الكاملة لغير محمد (ص) من الانبياء غير محفوظة • فمن حياة المسيح التى استمرت ثلاثا وثلاثين سنة ، نعرف الاحداث المرتبطة بالاعوام الثلاثة الاخيرة من حياته • والمجددون الدينيون فى فارس نعرفهم فقط عن طريق الشاهنامة • ولقد ضاع انبياء الهند فى القصص والاساطير • والتوراة الموجودة هى المصدر الوحيد للقليل الذى نعرفه عن موسى ••» (١ : ٢ ـ ٣)

آثرت ان اذكر هذا النص الطويل من شبلى لنرى فيه ثلاثة امور :

١ ـ حبه العميق للمصطفى ، وايمانه ان تجلية حياته ضرورة انسانية ، وانها افضل وسيلة من وسائل التربية •

٢ ـ حرارة هذا الحب وجمال اسلوب شبلى فى التعبير عنه •

٣ ـ اسلوبه فى الدراسات المقارنة حينما يضع السيرة النبوية فى اطارها العالمى بين سير الانبياء والمصلحين •

ولقد جاء القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه • وجاء المصطفى (ص) وهو يتلو قول الله تعالى «آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لانفرق بين احد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير» (البقرة : ٢٨٥) • ففى تجلية صورة المصطفى بكل ما تحمل من تكريم لجميع الانبياء والمرسلين، مدد ونور قوى للانسانية فى مسيرتها الى غدها •

٥ ـ بين علم الحديث وعلم المغازى والسير

ويعرض شبلى ـ عند دراسته للباعث على كتابه ـ الفروق المنهجية بين علماء الحديث وعلماء المغازى والسير فيقول « ان كثيرا من الناس يظن ان السيرة فرع من فروع علوم الحديث • اى ان اختيار ما يتعلق بعادات الرسول واخلاقه وضمها بعضها الى بعض ، يمكن ان يصنع السيرة • فكيف ـ وقد توفرت الكتب الصحيحة كالبخارى ومسلم ـ يمكن القول بان كتب السيرة ليست فى مستوى كتب الحديث من التوثيق ؟

ويوضح شبلى هذه القضية بقوله :

« اولا ، ما هى السيرة ؟ هى عند المحدثين مرادفة للمغازى • فهم يتحدثون عن المغازى والسير • فكتاب ابن اسحق يسمى «المغازى» كما يسمى « السيرة » وينقل عن الحافظ ابن حجر فى كتابه « فتح البارى شرح صحيح البخارى » ، فى كتاب المغازى • انه يستخدم الكلمتين لنفس الكتاب • وتسير كتب الفقه على نفس النهج • فالسيرة تاتى فى كتاب الجهاد • ويقصد بالسير الاوامر والرسائل المتصلة بالغزوات والجهاد •

وظل الامر كذلك عدة قرون •• وحتى القرن الثالث كانت الكتب تحمل اسم « السيرة » كسيرة ابن هشام تعنى اكثر ما تعنى بالغزوات • وجاءت بعد هذا كتب اخرى عن السيرة تحوى كل شىء عنها، عدا المغازى ، « كالمواهب اللدنية للزرقانى » (١ : ٥ ـ ٦ هامش)

من اجل ذلك كانت المغازى والسير ، عند المحدثين موضوعا منفصلا عن علم الحديث • حتى انه فى بعض الاحيان كما يقول شبلى (١ : ٦) كان المحدثون وكتاب السيرة يعتبرون جماعتين متنافستين • وفى بعض الاحيان كان كتاب السير يذهبون مذهبا واحدا ، بينما ياخذ البخارى ومسلم جانبا اخر • واذا كان البعض يرجع ما يذهب اليه

السير عند الاختلاف فان التمحيص الدقيق الى الاخذ بالحديث الصحيح ·

٦ ـ نمـــاذج

رب مثالا لذلك بغزوة ذى قرد · فيذهب السير الى انها كانت قبل صلح الحديبية ، يذهب حديث اياس بن سلمة عن ابيه فـــى مسلم الى انها كانت بعد الحديبية وقبل خيبر بثلاثة ايام · ويرجح القرطبى مـــا اليه كتاب السير ، من انها كانت قبل الحديبية · ويرى انه ربما اساء بعضـــ فهم حديث اياس بن سلمة عن ابيه ، بينما ابن حجر فى كتابه فتح البارى الى ترجيح ، فى صحيح مسلم على ما جاء عند كتـــاب ·

خص شبلى وجهة نظره بقوله « ان السيرة فصل عن علم الحديث · وان اقصى درجات ة والحذر اتخذها الائمة الذين قاموا بامر الستة · وان هذا المستوى من التحقيق لم م فى كل كتابات السيرة » (١:٧ هامش) ·

ابع نفرقته سمعه . ـه :

ان تفاصيل الاحداث د.ـ المرتبة الثانية ، تتطلبها كتابات المغازى و السيرة ، لم تتوفر لطالب العالية التى يتبعها عد. الحديث ، كتاب السيرة كان عليهم ان ينزلو ـــستوى والتحقيق ـ نسبيا ـ عما ارتض · علماء ث لانفسهم · ومن هنا كانت منز. ـتابات ى والسيرة اقل منزلة من علم الحديث ·

معروف ان البخارى ومسلم تجنبا ـ بنـ.ل ـ ان يكون فى كتبهما حديث ضعيف · بينما تزم كتاب السيرة بهذا المستوى فيما كتبوا · ايدينا كتب السيرة : كابن هشام وابن اسحق سيد الناس والدمياطى الحلبى ·· والعناية لا تصل الى مستوى كتب الحديث ·

٧ ـ المحـــور

حور الرئيسى الذى يدور حول الكتاب هـــو مستوى التحقيق ·· ويقولها بكل تحديد « ليس بين ايدينا كتاب عن حياة الرسول (ص) اعتمد اعتمادا كاملا على الحديث الشريف الصحيح فقط» (١ : ٨ هامش)

وهو فى ذات الوقت ـ وبكل التقدير للجهـــود المبذولة ـ لا يهون من شان ما بين ايدينا ، وما ارتضته القرون المتوالية · ولكنه يذكر اننا نقرا بعض الاحاديث الضعيفة فى كتب السيرة ·

ومن هذه النقطة كانت مسيرته الطويلة فـــى صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام · مسيرة اعترف من اول الامر انه لا يستطيعها وحده ·

٨ ـ المراجـــع

كان عليه ان يجمع عددا كبيرا من كتب الحديث والرجال· وان يقوم ببحوث ممعنة· وكيف يستطيع وحده دراسة مئات الكتب وان يجمع منها المعلومات اللازمة لكتابه ؟

والى جانب ذلك ، كان عليه ان يعرف ما كتب الاوروبيون عن الرسول (ص) ، ويعترف انه لم يكن يعرف هذه اللغات الاوروبية ·

وتغلب شبلى على هذه العقبة بمعونة مجموعة منظمة من الباحثين القادرين الذين يعرفون العربية واللغات الاوروبية المطلوبة ، مما ذلل عقبـــات الطريق ، فماذا يحول دون السير فيه ؟

ونعود اليه وهو يقول ، وامامه هذا التـــراث الاسلامى الضخم ، وهذا الحب الكبير للمصطفى :

« الى يوم الدين لن يستطيع احد ان ينافس المسلمين فى فخرهم بحفظ ادق تفاصيل كل حادث فى حياة الرسول ، بطريقة دقيقة وواعية ، لا يصل الى مستواها تسجيل حياة اى انسان آخر من قبل ولا يمكن ان ينتظرها من ... فمن اجل تسجيل هذه الحياة بادق تفاصيلها ... علماؤنا بتسجيل اسماء وخصائص نحو ثلاثة عشر الفا من الصحابة· وتم هذا فى وقت كان فجر نظام التاليف ·

ولنرجع الى كتب الطبقات وعلم الرجال لنرى

فيها هذه الصورة الفريدة في التراث الانساني • انه جهد لا نظير له في تاريخ الانسانية • من اجل حياة فرد واحد » (١ : ٨)

٩ ـ كتابة الحديث في عهد النبوة

ووضح شبلي ـ في تفصيل ـ ان الكتاب كانت معروفة وشائعة في الجزيرة العربية على عهد المصطفى (ص)» وناقش الاحاديث المتعلقة بكتابة الحديث على عهده • وبين ان بعض الصحابة كان يكتبها •

١٠ ـ كتب السيرة

ثم درس كتاب المغازي والسير في تسلسلهم التاريخي مع عناية بمناهجهم • وعاد ليؤكد مكانة البخاري ومسلم ، وما التزما به من شروط صحة الحديث ، وضرب امثلة اخرى تؤكد ان الاعتماد على الحديث الصحيح يحل مشكلات لها اهميتها في كتابة السيرة • ويعجب من عدم استخدام هذه المادة العلمية من الاحاديث الصحيحة في كتابة السيرة لحل هذه المشكلات ••

ويعود ليذكر مثالا آخر مستندا الى ما ذكره ابو داود في سننه من انذار قريش لعبدالله بن ابي ، قبل غزوة بدر ، باخراج الرسول واصحابه والا غزت قريش المدينة •• جاء هذا في كتب الحديث ولم يرد في كتب السيرة •• ولما كانت كتب السيرة قد اتسع انتشارها فقد اصبح من الصعب تصحيح ما فيها (١ : ٥٦)

ونمضي مع رحلة منهجية مع شبلي تستغرق خمسا وثمانين صحيفة قبل ان ينتقل الى التاليف الغربي عن السيرة • ويتابع ما عند الغرب من اتجاهات في كتابة السيرة مركزا على القرن السابع عشر وما بعده ، ويورد قوائم هامة بهذه المؤلفات ، يذكر فيها سبعة عشر مؤلفا في القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين (١٨١٥ ـ ١٩٠٩) •

١١ ـ مواقع الافتراء على السيرة

ويلخص النقاط التي ركز عليها الكتاب الاوروبيون الافتراء في حياة المصطفى (ص) :

١ ـ انه تحول من النبوة في مكة ، الى الملك والقوة والسيطرة في المدينة ، بكل ما يحمل ذلك من اشعال الحروب والقتل والردع واراقة الدماء•

٢ ـ تعدد الزوجات والميل الى النساء •

٣ ـ نشر الاسلام بالقوة •

٤ ـ اقرار الرق وممارسته •

٥ ـ اتباع الاساليب الدبلوماسية كما يمارسها الحكام الدنيويون •

وقد ناقش الكتاب كل هذه الافتراءات في مواضعها ورد عليها بكل افاضة •

١٢ ـ الاسس المنهجية

وعرض شبلي بعد هذا للاسس التي اقام عليها في جمع وتقسيم كتابه :

١ ـ ما جاء في القرآن الكريم وهو المرجع الاعلى في السيرة •

٢ ـ ما جاء في الاحاديث الصحيحة • ويرى ان خطا كبيرا حدث نتيجة البحث عن الموضوعات تحت عناوين معينة ، فاذا لم يجدوها مالوا الى الحديث الضعيف فاستعانوا به ، بينما في كتب الحديث تفاصيل كثيرة جاءت كانها حقائق ثانوية ضمن موضوع اساسي • ويمكن ـ مع الدراسة الممعنة ـ جمع كل هذه التفاصيل الدقيقة والصحيحة عن حياة المصطفى (ص) من الكتب الستة •

فميزة « سيرة النبي » ان شبلي قد استطاع ان يجمع فيه معظم التفاصيل من كتب الحديث واعاد تبويبها من جديد ، وهي التي لم تجتذب انظار مؤلفين سابقين •

٣ ـ فيما يتعلق بالاحداث اليومية اكتفى بما جاء به ابن سعد في طبقاته ، وابن هشام في السيرة ، والطبري في التاريخ • واذا ما كان لحادث قيمة كبيرة قام بتحقيقه تحقيقا علميا دقيقا ، واقتفى ذلك اعداد قوائم بالرجال على غرار ما هو متبع في علم الرجال والجرح والتعديل•

٤ ـ اعداد كل هذه المواد السابقة وتحقيقها •

١٣ ـ خطة الكتاب وتعديلها

وقسم شبلي الكتاب بعد هذا الى خمسة مجلدات ، ورأينا فى التنفيذ انها عدلت الى سبعة، وعزم على طبع اى جزء منها بعد انجازه دون تقيد بالترتيب الموضوعى للاجزاء ..

١٤ ـ بين شبلى وسليمان

ولنعد الى حياة شبلى الخصيبة التى بدات عام ١٨٥٧ الى وفاته فى نوفمبر ١٩١٤ ولنذكر ان الجزء الاول من الكتاب صدر عام ١٩١٨ والثانى عام ١٩٢٠ ثم توالت الاجزاء ..

ما قصة الكتاب بين وفاة مؤلفه دون اكماله ، وصدوره على يد تلميذه الوفى العلامة الكبير سليمان الندوى ؟

هذه القصة تطبيق حى لحب المصطفى (ص) وما تصنعه فى النفوس . ولندع القول لسليمان:

« عندما جاءت مخطوطة الكتاب الى (يقصد الجزءين الاول والثانى بعد وفاة شبلى) احسست انها تحتاج الى عدة فصول ، بغيرها يظل الكتاب ناقصا . ولم تكن عندى الشجاعة لان افكر فى اضافة اى شىء الى ما تركه المؤلف . ومرت فترة من التردد الطويل ، ثم عزمت على كتابة الفصول التى يحتاج اليها الكتاب .. وبعد ايام عثرت على مجموعة من المذكرات كتبها المؤلف قبل وفاته بخمسة شهور .. كانت المذكرات الاخيرة هى رؤوس الموضوعات . ولم يكن لسرورى حدود عندما قرأت المذكرات ، فوجدتها الفصول التى يحتاج اليها الكتاب . وانها تطابق ما احسست ان الكتاب محتاج اليه فكتبته . ولعلها كانت اشارة من الغيب له ان يضع هذه الخطوط لتكون عونا لى على السير » (مقدمة المجلد الثانى ٢ : ٢) .

ولقد كان الجزء الخاص باحوال المصطفى غير كامل . وفى بعض الصفحات فراغات اكملها سليمان ، واضاف هوامش ، وميز ذلك عن الاصل.

وصفوة القول ان المجلد الاول يعنى بالمنهج وما قبل الاسلام . وبالسيرة على اساس من التسلسل التاريخى ، وحياة الرسول فى مكة والمدينة ومغازيه . بينما يدرس الثانى السنوات الثلاث الاخيرة من حياة الرسول ، مع عناية بنشر الدعوة،ورسله ورسائله،واستقبال الوفود واقامة المجتمع الجديد ، ونظمه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ثم يعرض للاسلام كدين : عباداته ومعاملاته وحلاله وحرامه .. ويدرس العام الاخير من حياة الرسول وحجة الوداع ...

وبعد ان يعرض لوفاة الرسول ، يخصص فصولا لما ترك وراءه ، واخلاقه ونظام حياته اليومية ، ومستشاريه ، والرسول كخطيب (كيف يخطب . طبيعته عظاته . تاثيرها) . ثم عبادته واخلاقه وزوجاته وابناؤه وحياته المنزلية ...

ويستغرق المجلدان معا نحو تسعمائة صحيفة فى الطبعة الانجليزية .

١٥ ـ هذا الكتاب والقرن الهجرى الجديد

وما اود ان يكون هذا الحديث مجرد تعريف بهذا الجهد الكبير .. ولكن مع احتفالنا بميلاد المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وقرب احتفال العالم الاسلامى بمطلع قرن هجرى جديد ، علينا ان نلقى الضوء على هذه القمم الشوامخ من تراثنا لتكون لنا عونا على طريق مستقبلنا ..

واقتراحى المحدد هو : ان تتعاون مؤسساتنا الاسلامية العالمية والمحلية ، فى هذه المناسبة التاريخية ، على اختيار مجموعة من الكتب ذات المستوى الرفيع ، والتى كتبها علماء مسلمون على درجة عالية من التخصص ، ومن حب الاسلام ، لنجعلها اولا بين ايدى المسلمين ، وثانيا نقدمها الى الانسانية جمعاء .. وليكن بدؤنا بهذا الكتاب ـ باجزائه السبعة ـ كنموذج .

ولقد كان حديثى عن الكتاب ومنهجه ، اما الكاتبان شبلى وسليمان فالتعريف بهما له حديث آخر . ■■

الكويت ـ د . عبد العزيز كامل

أقوال معاصرة

■ السلام الذى يتجاهل الحقوق المشروعة لشعب فلسطين هو حرب مؤجلة .

عبد العزيز بو تفليقة
وزير خارجية الجزائر

■ البعض ينكر على رئيس الجمهورية حقه فى التعبير عن رأيه . أى جمهورية هذه التى يرأسها أخرس ؟!

الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان

■ المستوطنات أكثر أهمية من السلام !

الجنرال يورى يارون
مسئول المستوطنات فى وزارة الزراعة الاسرائيلية

■ نشر المعلومات المتعلقة بامتلاك اسرائيل للقنبلة الذرية تم بطريق الخطأ ، ووثائق هذا الموضوع كان ينبغى أن تظل سرية .

متحدث باسم وكالة المخابرات المركزية الامريكية .

■ لو لم نكن قيادة مقاتلة جديرة بالثقة ، لما تمكنا من الحفاظ على موقفنا المعتدل .

من رسالة ياسر عرفات الى كارتر .

■ أخيرا دخل الخيط الاسرائيلى فى النسيج العربى .

ابا ايبان .

■ ان الامة كلها مهددة ، فماذا تكون اللغة ، وماذا تكون الكتابة ؟؟

محمود درويش .

■ لم تعد مسألة ما اذا كان السلام سيتحقق . وانما مسألة أى سلام سيكون هذا ؟

النائب والكاتب الاسرائيلى يورى افنيرى

■ اذا تمكنا من رؤية الضوء فى نهاية النفق فاننا لن نتردد لحظة واحدة فى الاشتراك بالمفاوضات

الملك حسين ـ ملك الاردن .

■ شهرتى اصبحت فى مثل شهرة شارل ديجول ، لكنها لم تصل بعد الى شهرة نابليون بونابرت !

مصمم الازياء الفرنسى بيير كاردان



الذيـن دخلوا القدس وصلّوا فى المسجد الأقصى

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

موكبان فقط من مواكب الذيـن دخـلوا القـدس وقف عندهمـا التاريخ ٠ وقف مشدوها وأطرق ٠٠ لمن تراه ادخر الموكب الثالث ؟

القدس ؟ ٠٠٠

« اخلع نعليك ٠ انك بالوادى المقدس طوى » (١)

٠٠٠ وتتـنداح فى الخـواطر مواكب يلتقى فيها رنين الاجراس الاخضر باقمار الانبياء ، ويتساب الاذان خشـوعا على خشـوع ، مع خبب السنابك ، وعطش السيـوف ، وحفيف الملائكـة ، ونعـاس القناديل ، على الزيت المقدس ، ليس فى الارض بقعة اخرى هى أشبار من الارض وقد احتضـنت ، مع ذلك ، ومـا تزال تحتضن ، كانها كتاب الابد ملايين الملايين من القلوب ، ومنذ ألوف السنين ، ومن كل أنحاء الدنيا ! وفى المأساة ٠ ما من بلد يعدله فى المأساة ٠ ترى هل كان صليب « الفادى » بعد درب الآلام ، هو الرمز له على الجلجلة يوم الجلجلة ؟

والذين دخلوا القدس كثيرون ٠٠٠

١ ـ توسعنا فى فهم الوادى المقدس ليشمل ، مع جبل الطور ، الارض المقدسة كلها ٠

دع عنك غذاءها البشرى الدائم من القبائل العربية منذ ما قبل الاسلام بمئات بعد مئات من السنين .. في الاسلام ، الرسول الاعظم هو الذى بدأ السرى المقدس اليها ليلة الاسراء.ومع تدفق العرب اليها بعد الفتح العربي ودبيب الاسلام في نسغها وترابها القدسي،وفروع الزيتون،والصخرة المباركة الصامدة اربعة عشر قرنا ، سجل التاريخ دخول الكثيرين اليها : دخلها معاوية ونصب نفسه خليفة في مسجدها الاقصى ، ودخلها الوليد بن عبدالملك ينظر الى فسيفساء القبة التي بنى ، ودخلها المأمون يعجب من زخرفها الذهبي العجيب، ودخلها المعز الفاطمي ودخلها العزيز ، ودخلها.. ودخلها ..مواكب الزاحفين الى قدسهاكانت تصعد دون انقطاع تلالها درجات نحو السماء ...

موكبان فقط من هذه المواكب وقف عندهما التاريخ . وقف مشدوها واطرق . كان الاول قبل اربعة عشر قرنا ، وكان الثاني بعده بستة قرون: موكب الفاروق عمر ، وموكب الناصر صلاح الدين.

كتاب أبي عبيدة

السنة السادسة عشرة للهجرة (٢) ... بطاح يثرب كانت زغاريد وفرحا يسيل في الدروب . الراكضون اليها كل يوم بانباء الفتوح كانوا السنة منهولة . نسوا آلاف الشهداء كانوا يتحدثون فقط عن الاعاجيب ... « اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا » .

اذن فهؤلاء الفتيان الذين ذهبت منهاهنا خيولهم والاباعر قد اضحوا جراح البراكين . دما على الشمس . سادة الوجهين : وجه الروم ووجه الفرس ؟

سادة الدنيا ؟

واقبلت من اقصى المدينة راحلة تسعى قال صاحبها : « اين امير المؤمنين ؟ »

وتراكض الناس حول قوائم البعير يسعون به الى مجلس الفاروق . ومد صاحب الراحلة اليه بالكتاب الذى يحمل . انه من أبي عبيدة بن الجراح قائد الجيوش المجاهدة في الشام . أهي بشارة فتح جديد ؟ قائمة البلاد التي فتحت هناك كانت تضم حتى تلك الرسالة : دمشق . بصرى . حمص . قنسرين . منبج . انطاكية . اللاذقية . بعلبك. تدمر . وفي فلسطين : طبرية . بيسان .سبسطية، نابلس . لد . يبنى . عمواس . بيت جبرين . يافا . اجنادين . غزة . رفح . حتى قيسارية التي كان فيها ـ على مايروون ـ ثلاثمائة سوق ويحرسها في كل ليلة على سورها مائة الف « (٣)، سقطت راغمة ثم نقضت ، وحدها « ايلياء » ، بقيت جزيرة معزولة . والخيل العراب تطوقها وتضرب بالسنابك عند اسفل الاسوار وعند الحجارة. القديمة . ابراج كنائسها المردة كانت تطل من داخل الجدران على مجانيق وسيوف ، جلبة،وعثير، وقدور ، وخيام ، وعلى غابات الزيتون تتحرك بالرماح هنا وبثورة من المهور هناك ...

كل فلول القوى الرومية المهزومة كانت قد اجتمعت الى « ايلياء » يقودها « الارطبون » (٤) ، كبير القوم وعسكريهم الاول.المنجنيقات الضخمة كانت تعول بالحجارة فوق القوى العربية.تعول.تعول.بينما ريح الشتاء تعصف بالعظام المقرورة وتمزق المضارب . والصقيع ياكل كالسياط اطراف الناس لولا اللهب المقدس في الصدور ! والتقى على طرفي الاسوار ايمان بايمان وعناد بعناد . ومات الرعب . وحده الصمت صار مخيفا . كنجمة تغر بغتة !

اربعة اشهر ، طال الحصار.ويوم هرب الارطبون من المدينة ولحق بمصر انقطع الرجاء باهل ايليا فلا مدد ولا نجدة . وشرب الياس كل العيون . وحين كتب ابو عبيدة اليهم يدعوهم كغيرهم الى الاسلام او الطاعة والجزية كانوا بين التصديق والتكذيب . خافوا عقابيل العقد الذى فجروه بالقتال العنيف وراوا كسب الوقت قبل التسليم ، لعل .. ولعل .

أمير المؤمنين على بعير

وبكل الابهة ولمعان الذهب وزخرف الملابس الكهنوتية ظهر (صفرونيوس) بطريق المدينة على الاسوار طالبا قبول التسليم والامان ، والصلح

---

٢ ـ ثمة خلاف في هذا التاريخ وبعضهم يجعلهسنة ١٥ أو سنة ١٧هـ .

٣ ـ رواه البلاذرى ـ فتوح البلدان ج١ ص١٦٧ .

٤ ـ هذا هو الاسم الشائع في المصادر العربية .ويبدو انه كما لاحظ بطلر محرف عن الاسم الاصلى اريطيون .

على ما صولح عليه اهل مدن الشام ، نظراؤهم ، على ان يتولى ذلك امير المؤمنين نفسه !

وعجب عمر للطلب الغريب ولكنه قال ـ وبين يديه الكتاب بالخبر ، ومن حوله على بن ابى طالب وعدد من الصحابة :

ـ اذهب ٠٠ ان تخليص ثالث الحرمين من الروم يستحق ان يسير من اجله الفاروق شهرا وشهرا٠٠ وانى لاستخلفك على المدينة يا على !

فقال على بن ابى طالب :

ـ اين تخرج بنفسك ؟ انك تريد عدوا كلبا ٠٠

قال عمر :

ـ ابادر بالجهاد ! انما اذهب ، لانه لم يبق الا القدس ، ولان يد الله الآن هى العليا ٠ على الجماجم يمشى جند الله ٠ كل بلد فى الشام استسلم،هذه الامة رصفت الطريق اليها بالشهداء:

كلما انهار حائط من جنود
اتبعته بحائط من جنود

هى الضربة القاضية !

ورأى الصباح التالى مسافرا يخرج على بعيره(٥) من يثرب ليس معه سوى غلام يخدمه ٠

بعد اسابيع كان هذا الركب الصغير قد وصل (الجابية) فى مشارف الشام ٠ كان اول من لقيه من القادة يزيد بن ابى سفيان وابو عبيدة بن الجراح ثم خالد بن الوليد ٠ جاءوا على الخيول عليهم الديباج والحرير ٠ وزلزل الغضب الفاروق٠ نزل عن راحلته ، فاخذ الحجارة ورماهم وقال :

ـ « ما اسرع مارجعتم عن رايكم ! اياى تستقبلون بهذا الزى ؟ وانما شبعتم منذ سنين ؟ ، وانتم فى ارض يملؤها العدو ! » ٠

« قالوا : يا امير المؤمنين ٠ انها يلامقة (قباء وغطاء) وان علينا السلاح ما تركناه » ٠

«وبينما عمر معسكر بالجابية فزع الناس الى السلاح

»فقال : ما شانكم ؟ فقالوا : الا ترى الى الخيل والسيوف ؟

«فنظر فاذا كردوس يلمعون بالسيوف ٠ فقال عمر : « ـ مستامنة فلا تراعوا !

عهد اهل الياء

فامنوهم فاذا اهل ايلياء وحيزها ٠٠ » (٦) يطلبون لقاء امير المؤمنين ليستسلموا على يديه ٠ وقبل عمر استسلامهم ، وكتب لهم «عهد اهل ايلياء » المشهور : احد المواقف الحضارية التى هى انبل واسمى فى التاريخ العربى ٠ لم ياخذهم بالسيف وهم فى قبضته ، ولكنه « ٠٠ اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها انه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولا ينتقص منها ولا من صليبهم ولا من شىء من اموالهم ولايكرهون على دينهم ولايضار احد منهم٠ ولايسكن بايليا معهم احد من اليهود ٠ وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص ٠٠ وشهد خالد٠٠ وعمرو ٠٠ وعبدالرحمن بن عوف ومعاوية ٠٠« (٧)

ودعا اهل ايلياء الخليفة لتسلم المدينة بنفسه٠ وجاءها عمر بعد قليل من الايام كان كل موكبه « بعيرا احمر وخلفه جفنة مملوءة بالتمر وقربة ماء ٠٠ » (٨) وخادم ٠ ولكنه كان يجر وراءه كل امجاد اليرموك ٠ الذين كانوا فى الاستقبال من ايلياء ما عرفوه ٠ ولقد فاتهم سائرا الى باب المدينة وهم يبحثون عن امير المؤمنين وموكب امير المؤمنين ٠ ولحق به الناس وعلى راسهم البطريق « صفرونيوس » حامى الكنيسه المعسول اللسان « ـ كما كان يلقب ـ وسلمه مفتاح المدينه »!

كالثمرة الناضجة كانت الشمس يوم دخل عمر القدس ٠

وكالثمرة الناضجة كانت القدس يوم سقطت فى يديه ٠

وطاف صفرونيوس البطريق بضيفه العظيم الازقة التى جاسها السيد المسيح من قبل وعجب له ، بعد ان هم بالصلاة فى كنيسة القيامة ،ان يخرج فيصلى على نشز من الارض خارجها ٠ وقال صفرونيوس :

ـ اعن قلى يا امير المؤمنين ؟

---

٥ ـ يروى انه سافر مرة على بعير ومرة على حصان ومرة على بغل وعلى حمار ٠٠

٦ ـ انظر الطبرى ج٣ ص ٦٠٧ ـ ٦٠٨ وابن الاثير ج٢ ص ٥٠١ ـ ٥٠٢ فهذا الحديث المطوق كله مأخوذ منهما ٠

٧ ـ الطبرى ج٢ ص٦٠٩ وهناك النص الكامل ٠ (٨) الواقدى فتوح الشام ج٢ ص ٢٥٧

قال عمر : لا ولكنى اخشى ان يغصبكم احـــد المكان من بعدى ويقول : هنا صلى عمر ! وقد بنى حيث صلى الفاروق جامع عمر .

موكب صلاح الدين

الموكب الثانى كان يصعد تلال القدس سنـــة ٥٨٣ هـ . على الضبط يوم الاحد الخامس عشر من رجب من تلك السنة (٢٢ ايلول/ سبتمبر ١١٨٧) وصاحبههو صلاح الدين يوسف بن ايوب.

الموكب كان فى هذه المرة خيلا وليلا . ومجانيق تعول كالذئاب الجريحة . ولهاث دروع ، وسيوفا مزبدة بالدماء ، وعصافير مطر تركض مع الغبار ومع اوراق الخريف ، وزلازل رعب تنطلق فىكل سبيل انطلاق الاصداء الهاربة فى الوديان .

وكما كانت وراء الموكب الاول امجاد اليرموك تواكبه كانتوراء هذا الموكبامجاد حطينتواكبه!..

لم يكن قد مضى على تلك الملحمة سبعون يوما بعد . زعيق سيوفها وصهيل الخيل وجؤار الفرسان قاتلا وقتيلا ، كان ومايزال يرقص فى الاسماع والاجواء . والعطش ايضا كان يرقص . واللهاث والجراحوعين لاسر الذليلة!كل القوى الفرنجيةسحقت فى تلك الواقعة سحقا حتى العظم ، ارأيت حزم القصب كيف تهوى تحت انهيار الصخور أكلتهم على اكمة حطين الجرداء ذات القرنين الصخريين، نيران اربع من مثل نيران الجحيم . طوقتهم من كل فج فلا فكاك ... عطشا هلكوا . بلهب تموز (يوليو) فى الغور هلكوا . بسعير القتال المر هلكوا . بالعشبالجاف احرق تحت خيلهم والارجل هلكوا ... انه لموت المربع . « هذه النار التى كنتم بها تكذبون » . « ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا : ياليتنا نرد .. » . « كسكارى وما هم بسكارى » كانوا حين اخذتهم الصيحة من كل جانب . « فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية » وحالت الاكمة فى حطين نهرا من العيون الممزقة والعظام التى ترتجف فزعا وهولا .

وحين انهارت خيمة الملك الحمراء المضروبة فى اعلى تل حطين عرف صلاح الدين ان قد انهار للفرنجة كل شىء : مملكة الفرنجة التى اغتصبوها قد انتهت ، والدعوة الصليبية التى اقاموها عليها ومن حولها قد انتهت ايضا . وترجل مسرعـــا اذذاك عن فرسه والدموع ملء عينيه ، وسجد ء التراب شكرا لله ، بينما كان جنده يحصد الحصاد البشرى .. حتى ملك الفرنجة (غى) وامراؤه الكبـار ، ومقـدم الداويـة ، وصاح الاسبتارية ، وارناط ، شيطان العقد الفرنج الصليبى ، اميرالكرك الذى حاول غزو قبر النـ (ص) فى المدينة ، كلهم التقطهمالجند الصلاح كالعصافير المبللة ، لا تاج ولا امارة ولا عنفوان كالخرق الملقاة على الارض كانوا ، سيوفهم حال اخشابا ميتة ملقاة حولهم وكل تعصبهم فى الرغام ما كان لاحدهم من الرعب ومن الوهن ما يسد به سيفه علامة الاذعان . كانوا الاذعـان نفسـ جسدا وعينا ذليلة ويدا . « .. كان من يرى القتلى لا يظن انهم اسروا احدا ومن يرى الاسرى لا يظن انهم قتلوا احدا .. » (٩)

ان جنحوا للسلم

بعد الواقعة وبينما قوافل الاسرى تسير نحو دمشق انتهى تحرير فلسطين . وغير فلسطين من الغاصبين كالانثى المسحوقة اضحت مدن الفرنجة وجالياتهم المزروعة زرعا هنا وهناك . ثمانونسنة من الاحتلال الغيت فى يوم . لفظت الارض المحتلين كالقىء . حجارة الاسوار حولهم صارت هشـــة كالضباب . وكل شىء حولهم أخذ يصيح بهم انهم غرباء غرباء .. ارتدوا يتحصنون ، بلى : شحذوا ولمعوا الحراب . اغلقوا ابواب الحصون . دعموا حجارة القلاع . حشدوا كل الحقد للصمود . ولكنهم كانوا ، من الرعب ، مدنا مفتوحة !

وكالثمر الناضج الناضج ، مرة اخرى ، أخذت تسقط مدنهم والقلاع . دون نظـام . الجنـرال « ياس » قام يومذاك بالكثير . واستسلمت قلعة طبرية . الجليل كله . عكا الحصينة . العفولة . نابلس العصية ، معليا . مجدليان . تبنين . طرابلس . صيدا . شقيف ارنون . بيروت . جبيل . غزة . يافا . الرملة . الداروم . بيت لحم . بيت جبرين . الخليل . النطرون .. لم تهدأ طبول البشائر لحظة طوال شهرين ولا نشوة الراكضين بالبشائر .

ويوم دخل صلاح الدين عسقلان (٤ ايلول / سبتمبر ١١٨٧) كسفت الشمس . وفـى ظـلام

٩ ـ ابن الاثير ـ الكامل ج١١ ص٥٣٧ .

الكسوف استقبل صلاح الدين وفدا من سكان بيت المقدس الفرنجة يعرض السلم والهدنة والاحتفاظ بالقدس لمن فيها، ان لهم فيها للارتباط الديني الوثيق العميم • وابتدر بعض اصحاب صلاح الدين فقرأ :

. وان جنحوا للسلم فاجنح لها .

فقال صلاح الدين

ـ صه !! ابن ايوب افقه منك • انه يحفظ قوله تعالى : « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون . ويحفظ « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » ثم انصرف عنه بوجهه وهو يتلو . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم . يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة . فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده

واقبل صلاح الدين على الوفد يطلب منه تسليم القدس مقابل الامان لمن فيها • وقال الوفد الفرنجي :

ـ « لا نسلم المدينة التي صلب فيها السيد المسيح من اجلنا • »

ـ اذن اقسم ان انالها بالسيف عنوة :

وبعد اسبوعين كان موكبه يصعد تلال القدس••

وبدأ الحصار

كانت المدينة قد اضحت بحيرة سوداء من الرعب• ومع انها انتزعت حتى فضة السقوف في كنيسة القيامة لتمويل المعركة . ونصبت العرادات والمجانيق على الاسوار . وحشدت وراءها ستين الف مقاتل (١٠) ومع ان . كلهم كان يرى الموت ايسر عليه من ان يملك المسلمون بيت المقدس ويأخذوه منه ويرى ان يبذل نفسه وماله واولاده (هو) بعض ما يجب عليه من حفظه »(١١)ومع ان حقد الهزيمة كان جبلا من الصوان يسحق أضلاع الناس الا ان كل ذلك كان اعجز من ان يقف للسنابك الزاحفة •

هذا الى أن اللاجئين كانوا اكداسا في ظلام الازقة . واشباح الجوع كانت تحوم كالغربان حول الوتن • والفرسان كانوا في معظمهم فتيانا في السادسة عشرة والسابعة عشرة وبعضهم من البرجاسية (١٢) نصبوهم على عجل لانه لم يكن في المدينة فواد . والمعركة كانت معركة اليأس الجريح •حتى عتمة الكنائس كانت قد فقدت البنفسج والبخور والارجوان • وحتى طيور الكنيسة الكبرى (في المسجد الاقصى) غادرت ابراج النواقيس تحلم بغير غابات الدم • رغم حمى الحرب والهوس كانت المدينة جنازة حية • اشداق مغبرة تنتظر الجثث السائرة في الدروب : •

وبدأ الحصار •• بدأ بطواف حول المدينة • خمسة ايام ظل صلاح الدين يطوف بجنده حول الاسوار كأنما هو الطواف حول الكعبة • كان يطلب ثغرة الهجوم . ونزل مساء اليوم الخامس على جبل الزيتون . تجاه باب عمودا وكنيسة صهيون . فما تنفس الصبح حتى كانت منجنيقاته قد نصبت واخذت تقصف الاسوار •

كان . كل واحد من الفريقين يرى (القتال) دينا وحتما واجبا . فلا يحتاج فيه الى باعث سلطاني (امر من العبادة) • بل كانوا يمنعون فلا يمتنعون ويزجرون فلا ينزجرون (١٣)وانفجر الدم كالمطر الموسمي و . زلزلت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها . وقال الانسان مالها

حسابات صلاح الدين

كانت ايام القتال معدودة . بلى ! ولكنها كانت من الهول . بطول الدهور • الى ان تقدم النقابون في حراسة الفرسان ينقبون السور . في الموقع نفسه الذي كان نقبه قبل ٨٨ سنة . غودفري المدبر . يوم سفك الفرنجة دم القدس . وخاضوا فيه حتى الركب » (١٤)

وملأ المدافعون النقب بالاجساد الطرية عبثا • كان النقب اوسع من أن يسد بالجثث •• وهرع وفد من كبراء القدس للصلح ، فرفضه صلاح الدين ، فخرج (باليان) قائد المدينة مبادرا الى

---

١٠ ـ هو الرقم الذي اكده ووثقه ابن الاثير (ج١١ ص٥٤٩) •

١١ ـ المصدر نفسه ص ٥٤٧ •

١٢ ـ البرجاسية هي البورجوازية وكان العرب يستعملون هذه الكلمة لتجار الفرنج على التسامح معهم •   ١٣ ـ من كلام ابن الاثير ، المؤرخ المعاصر للمعركة ج١١ ص٥٤٧ •

١٤ ـ دخل الفرنجة القدس سنة ١٠٩٩ (في التاريخ الهجري ٤٩٣ فكان الاحتلال هجريا بعد ٩٠ سنة) واما خوض الدماء حتى الركب فهو الجملة التي استعملها الفرنجة انفسهم يوم دخلوا القدس •

المعسكر الاسلامي يطلب الصلح والامان ..

غامت عينا صلاح الدين ، لحظات ، وراء مشاهد يصطدم بعضها ببعض :

ـ (باليان) هذا الذي يقف امامه كان بين اللاجئين من حطين الى صور . وقد طلب من صلاح الدين الامان ليلة واحدة يدخل بها الى القدس دون سلاح لياتي بزوجته الملكة ماريا واطفاله .. فلما دخل المدينة تزعم الدفاع فيها ضده .. وغفر له صلاح الدين غدره واضاف ، حين خرجت الملكة باطفالها من المدينة ، ان ودع الاطفالبدموعهوارسل بحرسه معهم ومع الام والحاشية حتى مدينةصور!

ـ سبعون الف جثة تجمدت الدماء على اشلائها في المسجد الاقصى ، وتعفنت في الازقة يوم دخل الفرنجة هذا البلد الاقدس . ذكرى مرة ظلت تهز الضمائر منذ تسعين سنة ..

ـ تسعون سنة من القتال المرير ملأت الشام قتلا وتخريبا ، تجد الان نهايتها الاخيرة . فكيف تكون النهاية ؟ كيف يصوغها ؟

ـ عدد من امرائه الكبار لقوا مصرعهم بعد حطين ، امام عكا وعسقلان وامام القدس نفسها في صراع عبثي لا امل فيه ، ويريد الان هذا المستامن ان يتخلص من مسئوليته .. بالضراعة والاسترحام ! ولكن .. هي القدس ، ثالثالحرمين وتراث القرون القدسي وبلد الاسراء ، وهؤلاء يهددون بتدمير كل شيء في المدينة قبل الاذعان للمصير المحتوم .

وفي لحظة ... تجمع كل ما في الحضارةالعربية الاسلامية من قيم ومثل وصفاء على شفتي صلاح الدين وقال : ـ لكم الامانعلى اموالكم وانفسكم. تخرجون من أبواب المدينة تحت سيفي فقد اقسمت ان افتح المدينة عنوة بالسيف . وعلى كل خارج منها من الفرنجة ان يفتدى نفسه !

رشت بماء الورد

لم ينس العالم الى اليوم هذا الموقفالحضاري الانساني من صلاح الدين . ومع ذلك فلم يكن ذلك كل شيء . لقد شهد الناس في ذلك اليوم تناقضا عجبا .. فبينما كان البطريق الاعظميدفع الفدية المقررة عن كل فرد : عشرة دنانير ،ويخرج من المدينة « وقد انحنت قامته لثقل ما يحمل من الذهب وقد تبعته العربات تحمل ما بحوزته من من الطنافس والاواني الذهبية والفضيةوالمجوهرات وبينما كان رؤساء الداوية والاسبتارية والكنيسة يضنون باى مال لافتداء بني جلدتهم الفقراء (١٥)«كان « العادل » شقيق صلاح الدين يطلب منة من اخيه أن يسمح له باطلاق الف اسير فيفعل ويطلب منه البطريق الفرنجي نفسه ان يهبه ، منة اخرى ، بعض الارقاء فيهبه ٧٠٠ أسير ويهب ، حتى باليان ايضا خمسمائة !

وجاءت نساء بعض الاسرى يستوهبن ازواجهن فاطلق لهن صلاح الدين الازواج كرمى لدموعهن.. ثم وجد الارامل واليتامى والعجائز والشيوخ المتروكين لمصائرهم فقال : انا شفيع هؤلاء ..ودفع فداءهم من خزانته ! وبث الشرطة في المدينة فلم تتعرض دار واحدة لنهب ولا مس مسيحى باذى(١٦) وسط هذا السلام ،

وفي يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ (٢ تشرين الاول اكتوبر ١١٨٧) وهو يوم ذكرى الاسراء كان موكب صلاح الدين يدخل القدس . اعلامه وحدها كانت ترفرف بين يديه ومن خلفه وعلى الاسوار.

وفجاة ، صاح البلد كله صيحة واحدة : « كان على رأس قبة الصخرة (قد نصب) صليب مذهب فتسلق جماعة الى اعلى القبة ليقلعوه . فلما فعلوا وسقط صاح الناس كلهم صوتا واحدا من البلد ومن ظاهره : المسلمون والفرنج . اما المسلمون فكبروا فرحا ، واما الفرنج فصاحوا تفجعا وتوجعا . فسمع الناس ضجة كادت الارض ان تميد بهم لعظمها وشدتها .. (١٧) كذلك قال المؤرخ المعاصر ابن الاثير ...

وفي يوم الجمعة التالي (٩ اكتوبر سنة ١١٨٧) دخل صلاح الدين المسجد الاقصى وقبة الصخرة يصلي .. بعد ان نظفت الارض ورشت بماء الورد ! ■■

شاكر مصطفى

---

١٥ ـ رانسيمان ـ تاريخ الصليبيات (بالانكليزية)ج٢ ص٤٦٦ ومن المعروف ان هذا البطريق نفسه قد طاف أوروبا بعد ذلك يحمل صورة للقبرالمقدس وقد دنسه المسلمون بالخيل ويستثير بها الناس لشن الحملة الصليبية الثالثة .

١٦ ـ المصدر السابق نفسه . وقد لعب دوره يومذاك ـ بجانب صلاح الدين ـ العالم المسيحى الارثوذكسي يوسف باطيط .

١٧ ـ ابن الاثير ج١١ ص٥٥١ .

حيرة مسلم هذا الزمان!

بقلم : فهمي هويـــدي

لو أن مسلما اراد أن يتعايش مع عصره بضمير مستريح ، ماذا يفعل ؟

ولو أن مسلما أراد أن يعبر عن ايجابيته والتزامه ، وحاول أن يقدم شيئا لدينه وامته، ماذا يفعل ؟

ولو أن واحدا من خلق الله ، اراد أن يتعرف على الوجه الحقيقي للاسلام، ماذا يفعل ؟

مؤقتا ، ساقوم بدور «مرشد الحيران» ، مشفقا على الثلاثة من مشقة الرحلة وجدواها، مرددا في البداية قسمـا بالله العظيم ان اقول الحق ولا شيء غير الحق .

وقد اعتاد الناس أن يتوجهوا باسئلتهم الى الذين يكتبون ، وعندهم يجدون «الجواب الكافي والرد الشافي » . لكن كثيرين يصعب عليهم احيانا الاقتناع بان الذين يكتبون هؤلاء هم بشر مثلهم ، تحيرهم أسئلـة وتستعصي عليهم اجاباتها ، ويبحثون عن الاجابة لدى الاخرين ، حتى ولو كانوا قراء !

●

نبدأ بسؤال المسلم والعصر ..

في حياته الاجتماعية سيواجه صاحبنا هذا باكثر من مشكلة ، صغيرة لكنها حادة . مثلا، قضية المرأة المسلمة . ثمة نصوص واجتهادات تطالبها بالحجاب ، وتؤكد أن ما يسمح بظهوره لايتجاوز الوجه والكفين . وفي المقابل هناك اجتهادات تقول ان الاحتشام هو جوهر ما يدعو اليه الدين ، وان هذا الاحتشام مسأله نسبية تختلف من مكان الى آخـر . فـضلا عـن أن الحجاب بالصورة التي يدعو اليهـا البعض تتعارض صيغته مع طبيعة الحياة العصرية . كذلك فان الداعين الى الحجاب يتعسفون في تفسير الآيات ، التي وجه بعضها الى نساء النبي عليه السلام ـ وهو امر فيه تخصيص ـ بينما تدعو آيات اخرى الى الاحتشام فقط وتغطية ما يبرز فتنة المرأة ويستثير الاخرين .

اي الرأيين يلتزم بـه المـسلم ؟ .. لا اعرف ..

في معاملاته الاقتصادية ستكون مشكلة صاحبنا اكثر تعقيدا ، في تعامله مع البنوك. في محاولته تامين نفسه واسرته ، من خـلال شركات التامين . في شرائـه للسـندات او شهادات الاستثمار . البعض يسد الطريق كله ويشطب هذه المؤسسات من القاموس . والبعض يأمل خيرا في البنوك الاسلامية التي تنتشر الان في العالم العربي والاسلامي (الذين يعيشون في اوروبا وامريكا لا امل لهم في حل المشكلة !) والبعض يحاول أن يوجد المنافذ، لكنه يظل هدفا للهجوم والتجريح وحملات التشكيك .

ماذا يفعل المسلم الذي ليس له في التجارة . ويريد ان يتعامل بضمير مستريح مع هذه الصيغ العصرية ؟ .. لا أعرف .

في احتكاكه بعالم الثقافة والفنون ..قل انه لا مشكلـة في توجهـه الثقـافي ، لكن مسالة الفنون هذه امامها وقفة طويلة ،وعسيرة . في الرسم والتصوير والنحت مشكلة

فقهية، في الموسيقى مشكلة فقهية ، في الغناء مشكلة، في الرقص الف مشكلة، في السينما، في المسرح .. وهكذا .

كيف نبدد حيرة المسلم امام هذا كله ؟ لا اعرف .

البعض يستسهل الحل بكلمة التحريم ،كما قلت ، حتى بلغنا مدى صار فريق منا يظن عنده ان العصر كله حرام ، ولم يجدوا مفرا من الدعوة الى « التكفير والهجرة » .

●

لا مفر اذن من تحريك طاقات الاجتهاد ،في نطاق ما يسمى بالتحديث والمعاصرة ..

حتى هذه الدعوة ، كاد الناس يملون تكرارها . لانهم حتى الان ـ وفيما هو ظاهر ـ سمعوا ضجيجا ولم يروا طحنا .ومعهم عذرهم . فنحن الى الان نرصد اجتهادات فردية في انحاء متفرقة من عالمنا العربي والاسلامي . لكن هذه الاجتهادات لم تتبلور بعد في تيار عام مستنير ، يبدد حيرة المؤمنين ، ويريح ضمائرهم المؤرقة .

ذلك فضلا عن ان البعض يستريب في دعوات التجديد هذه ، ولهم عذرهم ايضا . فتحت مظلة التجديد وقف كثيرون ممن أساءوا وترصدوا ، وشوهوا الدين قدر ما استطاعوا ، بدءا بكمال اتاتورك وحركته التي رفعت شعارات تحرير ارض الاسلام وتحرير الخليفة وطرد الغزاة ، ثم طاردت الاسلام في كل صوره وشعائره . وانتهاء بالبرهانية الذين يتحدثون في السودان الان عن اسلام جديد تنسخ فيه بعض آيات القرآن . ومرورا بالقاديانية في الهند التي زعم مؤسسها انه المسيح الموعود والمهدي المعهود ، وان الله بعثه ليجدد الدين وينور وجه الملة !

وما يثير الانتباه ان الذين حاولوا ضرب الاسلام ومسخه باسم التجديد شكلوا فرقا وجماعات بعضها مازال قائما الى الان . اما الذين حاولوا التجديد عن طريق تثبيت الدين واستهدفوا اعلاء كلمته ورفع الحرج عن المسلمين، هؤلاء لا يزالون افرادا مشتتين ترتفع اصواتهم هنا وهناك، وكثيرا ما تضيع صيحاتهم وسط ضجيج العصر وهدير الآلة .

وما هو اكثر مدعاة للاسف والريبة ،تلك المحاولات التي نشهدها بين الحين والاخر « لتسييس » الفكر الديني بدلا من تجديده .عندما تكون الموجة مع الاشتراكية ، تخرج من الدفاتر الايات والاحاديث التي تعزز الاشتراكية وتساندها ، ونتذكر ان الناس شركاء في ثلاث : الماء والكلأ والنار . وعندما تميل الريح مع الراسمالية نكتشف ان تدخل الدولة محظور ، وان كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه. وعندما تصطرع تيارات اليمين واليسار . يقال اننا « امة وسطا » ، واذا كان لا بد من الاختيار « فسلام لك من اصحاب اليمين » ، والاخرون هم « اصحاب المشأمة » .وعندما يلوح بالديمقراطية البرلمانية فمرحبا « بالشورى » وعندما تحل الاحزاب فالسلطة على حق ، لان « حزب الله » هو الذي ينبغي ان يبقى وحده ..

ولن اتعرض للمغالطات والخداع في التفسير والتاويل ، لكني فقط اسال : هذا المسلم الذي يريد ان يعيش عصره ، يصدق من ويكذب من ؟ يتبع من وينصرف عن من ؟ ..

●

ينقلنا ذلك الى المسلم الذي يريد ان يتحرك ، ويترجم ايجابيته الى انتماء ولو تدفع.

صاحبنا هذا سيجد امامه صيغتين للعمل :جماعات ترفع راية الاسلام ، وجماعات ترفع راية الاسلام يمكن تصنيفها الى ثلاث :وليست ضد الاسلام .

وسوف يكتشف ان الجماعات التي ترفع راية الاسلام يمكن تصنيفها الى ثلاث : مؤسسات حكومية ترتبط بالانظمة ـ ومؤسسات اهلية تحاول ان تعمل في الشارع ـ وجماعات

سرية تعمل تحت الارض ، من سماتها التطرف والرفض .

الفريق الاول لا نحاسبه ، لانها ابنيةوهمية ، الكل يعرف حجمها ودورها ، ولان القائمين عليها من الموظفين ، فليس يعنيهمالشارع الاسلامي في شيء ، انما غاية ما يطمعون اليه ان يثبتوا الولاء دائما ، ويتفانوافي خدمة « السلطان » باي ثمن .

والفريق الثالث (الجماعات السرية المتطرفة)لا نحاسبه ، لانه خارج اطار الشرعية ، حتى ولو كنا نتفهم طبيعة الظروف التي افرزتهذه الجماعات . ذلك فضلا عن اننا لا نستطيع اننقيم افكارهم بصورة منصفة، لاننا لا نراها،ولم نستمع الى وجهة نظرهم فيها .

والفريق الثاني ـ الجماعات الاسلامية التيتعمل في الشارع ـ نسجل على اغلبيتها الساحقة هذه الملاحظات :

ـ انهم يتعاملون مع المجتمع من منطلقيثير الدهشة.فهم نصبوا انفسهم قضاة وليسوا دعاة . واصبحت وسيلتهم هي المحاكمة دائما .المجتمع في قفص الاتهام ، وهم على المنصة ، يلوحون بالسياط وبعذاب جهنم وبئس المصير.

ـ انهم لم ينجحوا في حل معادلة المسلموالعصر . لم يطرحوا امام الجماهير تصورا واضحا ومقنعا للحل الاسلامي الذى يقدمونهلمشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . فهم اما صمتوا وتجنبوا الخوض في هذاالموضوع ، او رفعوا شعارات متخلفة تسيء الى الاسلام ولا تشبع آمال الجماهير ، او انهمكرسوا جهودهم للانسحاب والعودة الى الماضي.

ـ ان هذه الجماعات الاسلامية انفصلتبالتالي عن مشكلات الناس اليومية، وقضاياهم الوطنية والقومية . ولم تدرك اهمية دورهاكمؤسسات جماهيرية في تبنى آمال الجماهير والتعبير عنها . رغم انها مدعوة الى ذلك .و «.. من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم». وبذلك عزلت هذه الجماعات نفسها عن الشارعالذى يفترض انها تعمل من اجله ، واكتفت بما تصورته قيادة روحية للجماهير ، بينمااعطت الاخرين توكيلا ضمنيا لكي يقودوا هذه الجماهير في كل مجالاتها الحيوية الاخرى .

وكانت محصلة هذا كله هي : انساحة العملالاسلامي ظلت تفتقر الى التيار الناضج الذى يقود الجماهير المؤمنة ، ويستثمر بصورةايجابية طاقات الايمان الهائلة القادرة على صنع المعجزات ، وتحقيق سعادة الانسان فيدنياه ، وفي آخرته .

الآن هذه هي الصورة، بعد ان ضربت الحركةالاسلامية في العالم العربي منذ الخمسينات ، وانحسر التيار الاسلامي المستنير وتوقف نموه،حتىعندما اتيحت الفرصة امامه في السبعينات، صار عاجزا عن مواكبة ما جرى طوال ربعقرن ، واصبح نسخة عن تلك الجماعات المتخلفة ، غير القادرة على اقناع الجماهير اوالوصول اليها .

والمحزن ان انكشاف فراغ الساحة الاسلاميةيحدث في مرحلة تشهد حالة « مد » للتوجه الديني يلفت الانظار ، وهي موجة صاعدةبين الشباب بوجه خاص ، الذى لا يزال يعاني من الحيرة ، ويبحث عمن ياخذ بيده في المسارالصحيح ، حتى يكون طاقة بناء لا عنصر تعويق او تفجير .

وقبل فوات الاوان اقول ، انه ما لم يجدهؤلاء الشبان ذلك التيار الاسلامي المستنير ، فان مصيرهم جميعا هو الجماعات السريةالرافضة ، ومستقبل مجتمعنا في خطر شديد .

ليس هذا فقط ، بل ان هناك توجها عالمياالان الى الدين . اذ بينما كانت الخمسينات هي سنوات انكار الله سبحانه ـ كما يقولبعض المفكرين ـ فان الستينات كانت سنوات اثبات فشل هذا التيار، وعندما حلت السبعيناتاعتبرت سنوات العودة الى الله .

وثمة اتفاق الان في احدث الكتابات علىان الانسان لا يزال بحاجة الى ذلك الاختراع

لاحه الذى لا يهزم امام كل التحديات التى تواجهه . من سلامه
ى معركة التنميـة والانتاج .
فكرة وجود الله ،ويعتبرون الدين عنصر تخلف فى المجتمـع ،
فى تقديراتهم ،وسمعناهم يقولون كلاما معاكسا فى السبعينات،
و التاكتيك ، الله وحده يعلم .
جة ملحة الى ذلك التيار الاسلامى المستنير ، فان الساحـة بدت
ما فيها من رايات وسرادقات ، وحناجر لم تتوقف عن الصياح !
لم ، هو الجماعات او التنظيمات الجماهيرية التى قلنا انها لا ترفع
سلام .وحيرة المسلم هنا هى جزء من حيرة اى مواطن آخر ، سؤاله
ك التنظيمـات اوالجماعات التى تحرص على ان تعبر عنه هو ،
القوميـة ، لا ان تعبر عن سلطة وتحرس حكومة او نظـاما .
ات الديمقراطية ،صيغتها وامكانياتها . وعند هذه النقطة يطول
وكثيرا ما يستعصى التعبير !
ظيمات يحتاج الى تحديد ومناقشة، لكن ذلك يدخل فى التفاصيل،
ية» هذا التيار الوطنى او القومى المستنير فى الساحة العربية !

●

لذى يريد ان يرى الوجـه الحقيقى للاسلام ، ينبغى ان نبـادر
المسلمين ! وينبغى ان نقنعه بان الاسلام المدون شىء ، والاسلام
منا فى ان نحجبه عن بلاد المسلمين ، يفرقهم وشيعهم ويدعهم ،
ستطيع ان نمنـع حيرته وتخبطه اذا ما حاول ان يتعرف على
ذلك اهون الشرين على اى حال !
ى موقفنا من هؤلاء« الخواجات » ، فلنعتذر لهم مؤقتا ، ونوفر
، ونحاول استثمار هذا الجهد فى تعريف المسلمين بدينهم ! أمـا
لايمان ، فليقبلونا بخيرنا وشرنا ، وليصبروا معنا على البلاء .

الجماعة الاسلامية فى باكستـــان النــــاء انعقــــاد مهرجـــان
ى لندن قبل سنتين، عندما وقف يعقب على الذين تحدثوا طويلا
قبه ، ثـم قـال انه اذا كنا مقتنعين بعظمة الاسلام وضرورة
نحاول ان نطبـق هذا الاسلام فى اى بقعة من عالمنا ، ولو على
وعندئذ لن نكـون بحاجـة الى ان نـذهب الى « الخـواجـات »
ا بكل شىء ، وبكل لغات الارض !

●

، ولكنه التشاؤم الذى يرى فى اطار التشخيص وحده ، ليكون
دافعا الى الياس والتسليم .
من الكوب ؟ ..ربما، وليدلنى احد على النصف الملآن، فالشوق

مده ، فاننى ادعو الله ان يكون الذى اراه وهما كاذبا ، فى
الرؤية !! ■■

الحائرون الهلابهة

فى هــذا العصــر

عالم الـذرة | **عالم الفلك** | **عالم الحياة**

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

« علينا ان نصدق ان الاليكترون جسيم مــادى فــى أيــام السبت والاثنين والاربعاء ، وعلينا ان نعود ونصدق انه موجة من طاقة فى أيام الاحد والثلاثاء والخميس ٠٠ والجمعة اذا راق لك ذلك ! »

● يبدو ان الانسان لن يصل الى لب الحقيقة يوما ، او قد لا يستطيع لها تحديدا ، مهما غزر علمه ، واتسعت آفاق فكره وعقلـه ، اذ كلمـا تعمقنا فى طبيعة الكون والحياة ، وازحنا ستائر الغموض التى تدثرهما بغلالات من الالغاز والاسرار، اشاحت الحقيقة بوجهـها ، وتبـدت لنا بوجـه آخر مختلف، وعندئذ يتخبط العقل فى ظلمات ليس لها من قرار ، بعد ان ظن انه كان من الحقيقة قاب قوسين او ادنى !

والحائرون الاساسيون فى هذا العالم ثلاثة : عالم الذرة ، وعالم الفلك ، وعالم الحياة ، فاذا سالتهم عن جوهر الحقـيقة فيـما يبـحثون فـيه ويتعمقون ، عندئذ قد يشيحون بوجوههم، كما تشيح الحقيقة بوجهها ٠٠ اذ انهم جميعا يتعاملون مع ظواهر الوجود ، اما الباطن فشىء آخر مختلف تحتار فيه العقول ٠

لو انك مثلا اتيت الى عالم الذرة ، والقيت عليه سؤالا بسيطا كهذا : بالله خبرنى ٠٠ ماهى المادة ، وما هى الطاقة ؟

عندئذ قد ينظر اليك عالم الذرة نظرة حائرة ، وقد يفجعك بجواب لايشفى غليلك الى المعرفة ، فيقول : ان سؤالك هذا غير ذى معنى ٠٠ لان المادة طاقة ، والطاقة مادة ٠٠ وجهان لحقيقة واحدة ، رغم ان ظاهرهما مختلف !

وقد يلحظ عليك شيئا من الغيظ والحيرة ، فيحاول ان يخفف من وقع اجابته غير المقنعة وغير المحددة ، فيقول : الواقع ان المادة طاقة حبيسة ٠٠ طاقة معتقلة ٠٠ غير متحررة ٠٠ قوة تجمدت فى شىء نسميه كتلة ، والكتلة ذات صفـات ظاهـرة محسوسة ، ولهذا فهى تشغل فى الكـون مكانا وزمانا ٠٠ لكنها قد تتخلى عن تلك الصفات ، فتنطلق كطاقة ٠٠ كتحرر ٠٠ كموجة لاتحد بمكان بل هى دائمة التحرر والانطلاق ، ثم انها لاتعرف زمانا كذلك ٠٠ لان الزمن فيها متجمد لايسرى ، فاذا تجمدت حركتها (نسبيا) ، وتحولت الى شىء مادى ، نبع منها زمنها الذى يمكن حسابه وتقديره!

وقد يحملق فيك عالم الذرة ، علّه يستشف ان كنت قد هضمت بعض اسرار عالمه او لم تهضمها ،

وقد تحملق انت فيه ، اشفاقا عليه ، او لتستزيد من الفلزه التي قد تبدو لك بغير ذي طعم ولا معنى ، وقد تقطع هذا الصمت الحائر وتقول : نحن لانريد فلسفة ، بل عليك ان تقدم لي اجابة علمية مقنعة ، فانني اتعامل الآن مع عالم ، وليس مع فيلسوف !

وهنا قد يرد عليك رد العالم الواثق مما يقول : انني لا أتفلسف ٠٠ فمعادلات اينشتاين الخاصة بالنسبية تشير الى ان المادة طاقة أو العكس ٠٠ ولقد جاء العالم الانجليزي بول ديراك ، واشارمن خلال معادلاته بامكان تجسيد الموجة او الطاقة ٠ والعلماء يلعبون هذه اللعبة ليل نهار في مفاعلاتهم الذرية ، كما ان القنابل النووية هي تجسيد حقيقي لتحويل المادة الساكنة الى صورتها الاخرى المتحررة المعربدة المدمرة ٠٠ هي الطاقة٠٠ الطاقة النووية على التحديد ٠

اى انه من الممكن الآن تمويج المادة ، او تجسيد الموجة ٠٠ فهذه في الحقيقة وجه لتلك ، ولكن اكثرنا عن هذا غافلون !

لكن مما لاشك فيه ان تعمق الانسان في طبيعة الاشياء يصنع منه فيلسوفا دون ان يدرى ، او يدرى ٠٠ لست ادرى ، فالفلسفة حكمة ، وليست كحكمة الكون والحياة ، حكمة تتعبد في محرابها العقول التي تسعى للمعرفة سعيا ٠

هل يتجمد الزمن

وقد تعود اليه لتسأله سؤالا آخر ، تريد به ان تستوضحه علاقة الزمن الذي تنبع منه الحركة ، ثم كيف يتجمد هذا الزمن في موجة تنطلق بسرعة الضوء ٠٠ ثم هل يمكن حقا ان يتجمد الزمن او يتوقف او يسرع ويبطىء ؟

عندئذ قد يجيب عالم الفيزياء الذرية ويقول : حسنا ٠٠ ان الزمن حركة ٠٠ والحركة زمن !

كأنما هو يعود الى النغمة ذاتها : المادة طاقة٠٠ والطاقة مادة !

وقد تصبر عليه وعلى الفازه ، وقد يلاحظ عليك مزيدا من الحيرة ، فيرد قائلا : ان الكون الصغير (الذرة) والكبير (الافلاك) كون غامض ٠٠ ولهذا نتعامل معه دائما من خلال معادلات رياضية على درجةكبيرة من الصقلوالتعقيد٠وقد تنتهي نتيجةهذا التحليل الرياضي الى حقائق لا نستطيع ان نجد لها في لغاتنا كلمات او معاني مناسبة لنعبر عنها ، وحتى لو وجدنا ما نعبر به ، فان عقولنا المحدودة قد لا تستوعب ذلك ، لان خبراتها قد اكتسبتها مما يتكرر حولها في هذا الكوكب من ظواهر شتى ، فدوران الارض مثلا حركة محدودة في فضاء حول نجم او شمس ، ومن خلال هذه الحركة ينبع الزمن ٠٠ اذ لولا تعاقب الليل والنهار (بالدوران او الحركة) ، لما عرفنا اليوم ولا الساعة ولا الدقيقة ولا السنة ، ولا يومنا من غدنا ، ولا رؤوسنا من ارجلنا ٠٠ اذن فالذي يعطينا احساسا بالزمن هو الحركة ، كما انك لا تستطيع انتتعامل مع حركة الا اذا نسبتها الى زمن ، كأن تقول انها تنطلق بسرعة كذا في الثانية او الدقيقة او الساعة ، فاذا لم تشر الى ذلك كان قولك غير ذى معنى !

ثم يردف عالم الذرة قائلا : ومع ذلك ، فلا احد يستطيع أن يتعرف على لغز الزمن ٠٠ اى هل هو شيء موجود بالفعل كنهر ينطلق دائما نحو هدف ، كسهم مارق الى الأمام ، ام انه تجسيد لأحداث متتابعة نعبر عنها بقبل وبعد ، او بماض وحاضر ومستقبل ؟ ٠٠ او بمعنى آخر : هل الزمنهوالذي يحدد الاحداث ، او الاحداث هي التي تحدد الزمن؟ ٠٠ واذا كان للزمن وجود حقيقي ، فهل يعني هذا ان له بداية ونهاية ؟ ٠٠ فاذا كانت له بداية ، فماذا كان قبل هذه البداية ؟٠٠واذا انتهى الزمن، فهل تتقبل النفس أنيأتي زمن لن يكون بعده زمن؟!

ثم ان الزمن ـ كما يراه علماء الفيزياء والفلك ـ شيء نسبي او متغير ، وهو ـ في نسبيته او تغيره ـ مرتبط بالحركة ، فكلما تحرك الشيء اسرع ، تباطأ زمنه بالنسبة لغيره ٠٠ صحيح اننا لا نلحظذلك علىارضنا وفيحركاتنا ، لانكلحركة لدينا انما هي حركة كسيحة اذا ما قيست مثلا بسرعة الاشعة الكونية ، او بسرعة الضوءاو الموجات ٠٠ فهناك جسيمات ذرية تطول اعمارهاالى مئات والآف المرات اذا تحركت بسرعة قريبة من سرعة الضوء ٠٠ وهذا ما يسجله العلماء ليل نهار في مفاعلاتهم الذرية التي تجرى فيهاالجسيمات بسرعات اقل قليلا من الضوء اى اقل من ١٨٦ الف ميل في الثانية) ٠٠ وهذا يعني انها كلما تحركت اسرع ، تباطأ زمنها اكثر ، حتى اذا وصلت الى سرعة الضوء (اى الموجة) ،تجمد زمنهاواصبح ابديا !

وجهان لكل شيء

ثم يحاول عالم الذرة او الفيزياء ان يقترب بفكره من الفكر السائد عند عامة الناس او عند بعض مفكريهم ومثقفيهم ثقافة غير عميقة ، فيقول: ان احدا ممن يحترم نفسه ، ويحترم عقلية الاخرين لا يستطيع ان يحدد تحديدا قاطعا بعض طبائع الكون والحياة ، لانه لو حدد لاخطأ ، فكل شيء يحمل وجهين ، فاذا نظرت لاحد الوجهين دون اعتبار للوجه الاخر ، فان ذلك لا يمثل الحقيقة على الاطلاق .

فالذين يقولون مثلا ان الانسان مخير مخطئون ، والذين يقولون انه مسير ، ايضا مخطئون ، فلا احد يستطيع ان يحدد هنا المخير من المسير ، او ان يفصل بينهما .. هما اذن كالمادة والطاقة ، او كالزمن والحركة .. شيئان ينبعان من جوهر واحد ، ولا غنى لاحدهما عن الاخر .. تماما كالجسد والروح .. الجسد مادة ، والروح طاقة .. او كالمخ والعقل .. المخ محسوس ، والعقل تجريد .. فانت تستطيع ان تمسك المخ وتتحسسه وتقدر وزنه ، وتفحص خلاياه وجزيئاته وذراته ، ولكنك لا تستطيع ان تتعامل مع العقل بمعايير المادة المحسوسة ، ورغم ذلك فلا عقل بغير مخ ، ولا مخ بغير عقل ونقصد هنا بطبيعة الحال عقل الانسان المدرك ، لا عقل الحيوان ، لان الحيوان لا يدرك ولا يهتم بهذه الالغاز .. فكانما المخ بمثابة المرآة التي تعكس الفكر ، والفكر من العقل .

اذن .. فلا انفصال هنا ولا تحديد ، فاذا انفصلت الروح عن الجسد ، او العقل عن المخ فليزولا معا او ليبقيا معا .. هما هنا كالسماوات والزمن .. اذا جاءا ، ظهرا معا ، واذا زالا ، كان زوالهما معا .. اذ لا زمن بدون مادة ، ولا مادة بدون زمن ، كما انه لا خير بدون شر ، ولا شر بدون خير ، لان هذه المتناقضات هي التي تشكل فكر الانسان وطبيعته وادراكه لكل المعاني التي لا يمكن ان يدركها الحيوان ، كما انها هي التي تدفع الحياة لكي تسير سيرها الطبيعي«ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ..» كذلك يرى العلماء الدفع على مستوى الشحنات.. فلولا الشحنة السالبة ، ما عرفنا نقيضتها الموجبة ، ولا قامت الارض والسماوات .. فكانما اساسيات الكون قد جاءت على فكرة النقيضين ، او كشيء مزدوج الوجهين ، كاله الاغريق القدامى جانوس الذي تصوروه بوجه ينظر الى الخلف ، وآخر ينظر الى الامام ، فتغم عليه حقيقة الاشياء فيغمض الطرف عن واحدة ، لتتجلى له الاخرى في لمحة خاطفة .

كاننا نعود بهذا الى لغة بعض المعادلات الرياضية الحديثة التي توضح لنا الكون بنظرة كنظرة اله الاغريق جانوس .. فلقد قدم لنا عالمان رياضيان المانيان مشهوران ــ كل على حدة ــ هما شرودنجر وهزينبرج اصول نظرية من نظريات ميكانيكا الكم التي تتعامل مع الموجات والجسيمات ، وحصلا بها على جائزة نوبل مشاركة، وتشير هذه النظرية ببساطة شديدة الى انك لا تستطيع ان تعرف من الحقيقة الا وجها واحدا فقط ، وسميت هذه النظرية الغريبة بمبدا الشك او الريبة او عدم التاكيد .. Uncertainty Principle .. وهي تتناول اليكترونا يسبح في الفضاء .. وعليك ان تختار بين احتمالين : اما ان تراه في مكانه فقط ، او ان تراه في زمانه فقط ، لكنك لا تستطيع ان ترى زمانه ومكانه في آن واحد !

وطبيعي ان تفاصيل هذه النظرية او ذلك المبدا عويصة ومعقدة وطويلة ، وقد لاتفهم على حقيقتها الا من خلال معادلات رياضية ، ثم انها صمدت لكل الاختبارات الجادة التي اظهرت اصالتها وصحتها ، لكننا لا نستطيع ان نتعرض هنا لكل هذا ، ولاسباب يطول شرحها .

مآزق فكرية اخرى

والاليكترون بدوره (او الجسيمات الذرية عموما) قد وضع العلماء في مآزق فكرية اخرى ، فجعلهم لا يستطيعون تحديد طبيعته او هويته ، لانه يتصرف ايضا بوجهين .. فيبدو على هيئة موجية حينا ، وحينا آخر يتجلى على هيئة جسيمية (اي على هيئة مادة وطاقة،او روح وجسد بمفهوم عامة الناس) .. ولهذا عبر احد علماء الفيزياء بقوله : علينا أن نصدق ان الاليكترون جسيم مادي في ايام السبت والاثنين والاربعاء ، وعلينا ان نعود ونصدق انه موجة من طاقة ايام الاحد والثلاثاء والخميس ـ والجمعة اذا راق لك ذلك ! ... والواقع ان مثل هذه الازدواجية في صفات تلك العوالم الدقيقة قد لا تريح الفكر البشري كثيرا ، لكن يبدو ان الحقيقة تدخل بوجهها من باب ، ثم تخرج بوجه آخر يبدو مختلفا ، ومع ذلك فالجوهر واحد !

فالاليكترون ينطلق في كونه الفسيح ويصاحبه في رحلته موجة تختلف باختلاف سرعته ، وكلما انطلق اسرع ، انكمشت موجته اكثر ، وصارت اعتى واشد .. لكن كل هذا قد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان من صفات الموجات ايضا الازدواجية .. فهي تتجلى لنا احيانا كظاهرة مغناطيسية ، واحيانا اخرى تبدو كظاهرة كهربية، ومن اجل هذا نصفها بالصفتين ، لانك لا تستطيع ان تحدد لها وجها واحدا ، او صفة بعينها ، ومن اجل هذا نقول انها موجات كهرومغناطيسية (مثل موجات الراديو والضوء والاشعة بكل انواعها... ... الخ) .

والموجات طاقة منطلقة بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية ، وهذه الطاقة يمكن تسخيرها لاداء عمل او شغل .. فالتيار الكهربي يصاحبه دائما مجالٌ مغناطيسي ، كما ان المجال المغناطيسي لايوجد الا برفقة الكهربية ، ونحن نستطيع ان نظهر احد الوجهين فقط في حياتنا العملية ، فعندما يمر التيار الكهربي في ملف ، يخلق مجالا مغناطيسيا (كما في الجرس الكهربي) ، وقد يتحول المجال المغناطيسي الى كهربية (كما في الدينامو) .. لكن لا شيء ياتي من لا شيء ، اذ ان الحركة قد تتحول الى طاقة ميكانيكية ، وهذه قد تؤدي الى كهربية ، والكهربية الى طاقة ضوئية ، والطاقة الضوئية الى كيميائية ، والكيميائية الى حيوية ، والحيوية الى موجات تنبعث من امخاخنا ، ويمكن تسجيلها على جهاز رسام المخ الكهربائي ... الخ ... الخ .

اي كانما هناك صور كثيرة تتراقص امام عيوننا، او تؤثر في احاسيسنا ، او قد تضن على هذه الاحاسيس ، وعندئذ نستنبط لها اجهزة فائقة الحساسية ، لكي تتعامل مع هذه العوالم الدقيقة، وتترجم سلوكها الى معلومات ولفات وبيانات يمكن ان ندركها ، ونعرف بها وجوهها ، لكن يبقى الجوهر دائما غير مدرك ولا مفهوم !

ما هي الحياة اولا

ثم انك لو اتيت بعد ذلك الى عالم من علماء الحياة ، وسالته عن طبيعة الفيروسات التي تسبب كثيرا من الامراض (مثل الحصبة وشلل الاطفال والانفلونزا ... الخ) ، وهل هي حية ام ميتة .. عندئذ قد ينظر اليك نظرة لها مغزى، وقد يقول : حدد لي اولا ما هي الحياة ، وانا احدد لك ما تريده مني بعد ذلك !

وقد تسخر من هذا العالم الذي لا يستطيع ان يحدد لك الاجابة على سؤالك البسيط هذا ، فهو لا يدري ان كان الفيروس حيا او غير حي ، لان الفيروس لا يتنفس ولا ياكل ولا يشرب ، ثم انه قد يتحول الى ملح او بلورات تذوب في الماء كما يذوب السكر مثلا ، ولم نشهد كائنا واحدا يمكن ان تكون له مثل هذه الصفات ، ثم نضعه في قائمة الاحياء .. اذن فهو جزيئات ميتة !

لكن قولك بان الفيروس ميت خطا ايضا ، لان الفيروس يتكاثر وتصبح له ذرية ، وهذه صفة مميزة من صفات الحياة ، لكن تكاثر الفيروس لا يتم الا اذا « استعار » روح غيره .. يعني انه يدخل خلية يهواها ، وبالخطة الوراثية الكامنة على شريطه او جزيئه الوراثي يعرف كيفيستعبدها ويستعمرها .. فيامرها بتشغيل اجهزتها الحيوية لحسابه ، فتاكل له ، وتتنفس له ، وتصنع له « حياته » وذريته على حساب حياتها هي ، ولكي تبعث ذريته بالعشرات او المئات من داخلها ،

كان لابد ان تموت هى ، ليخرج هو .. ليس كفيروس واحد ، بل فيروسات كثيرة لتسلك سلوك الاموات ، فاذا عادت الى الخلية دبت فيها بعض خصال الاحياء .

اذن فالعلم لا يستطيع ان يحدد جوهر المادة والطاقة ، ولا الموت والحياة ، كما انه احيانا لا يستطيع ان يحدد ان كانت بعض المخلوقات نباتات او حيوانات . فهناك كائنات اولية بسيطة لا ترى الا بالميكروسكوبات ، وعندما تنظر اليها ، تريد بذلك تصنيفها ، او وضعها فى مملكتها الصحيحة ، عندئذ لا تستطيع ان تحدد ذلك ، ففيها صفات النبات جنبا الى جنب مع صفات الحيوان ، ومن اجل هذا ترى علماء النبات يضعونها فى كتبهم ومراجعهم ، وكذلك يكون الحال مع علماء الحيوان .. فهى نبات فى حيوان ، او حيوان فى نبات !

ثم انك لا تستطيع ان تحدد الذكورة الصرفة من الانوثة الصرفة .. فالذكر ذكر ظاهرا ، لكنه يحمل فى باطنه عوامل الانوثة جنبا الى جنب مع عوامل الذكورة .. وكذلك يكون الحال مع الانوثة، فهى ايضا تحمل فى باطنها عوامل الذكورة .. كل ما فى الامر ان مظاهر الانوثة مطوية خفية فى الذكر ، ومظاهر الرجولة لا تعبر عن نفسها فى الانوثة .. وقد يحدث الخلل بين هذه الموازين وتلك ، فتنقلب الانوثة الى ذكورة ، والذكورة الى انوثة ، ثم انه يمكن تحويل بعض الحالات الى الجنس الاخر من خلال عمليات جراحية ومعاملات هرمونية .. اى ان الانسان ذكر فى انثى ، او انثى فى ذكر !

وحيرة عالم الفلك

وقد تتقابل مع عالم من علماء الفلك وهو يتطلع الى السماوات من خلال منظاره الفلكى الذى يريه ما لا عين ـ بمفردها ـ رات ، وقد يعن لك ان تساله : ماذا ترى الان فى السماء من احداث ؟

عندئذ قد ينظر اليك نظرة ذات مغزى ، وقد يقول : ماذا تقصد بالان هذه ؟ .. ان الان او الحاضر ليس له معنى بالنسبة للاحداث الكونية.. فالان قد تعنى مستقبلا ، او قد تعنى ماضيا ، كما ان الماضى قد يعنى مستقبلا او العكس .. كل هذا يتوقف على الاطار الذى تنظر منه الى الاحداث الكونية !

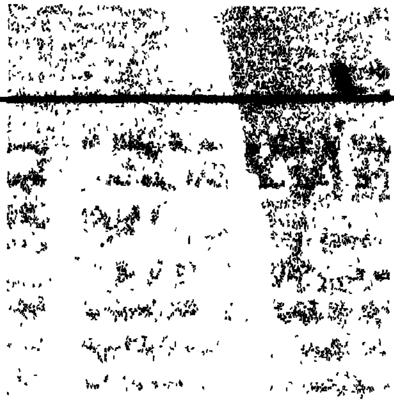
وقد يلحظ عالم الفلك عليك حيرة ، فيحاول ان يبسط لك الامور فيقول : الواقع ان نظرتنا الى الكون محدودة او نسبية .. فانت تستطيع مثلا ان تقول ان حدثين ارضيين قد حدثا فى الوقت نفسه ، كان يموت انسان فى اللحظة التى يولد فيها آخر ، لكن هذين الحدثين منسوبان الى زمننا الارضى ، فاذا مات نجم فى السماء او انفجر ، فاننا لن نعرف ذلك الا من خلال « رسالة » موجية او ضوئية تنطلق من النجم لتصل الى ارضنا ، فنسجلها على اجهزتنا ، ونعرف مضمونها ، فاذا وصلت هذه الرسالة الان معلنة موته ، فلن يعنى ذلك انه انفجر الان ـ كما هو الحال بالنسبة للاحداث الارضية ، بل قد يكون موته او انفجاره قد حدث فى الماضى السحيق .. اى منذ الاف او ملايين او حتى بلايين السنين ، لكن المسافة بيننا وبينة واسعة شاسعة .. مسافة قد تصل الى بلايين البلايين من الاميال ، ولهذا فان الضوء المنبعث منه لن يصل الينا معلنا انه قد ودع سماءه الا بعد الاف او ملايين السنين .. وقد يصل هذا النبا الان .. لكن الان هذه تعنى ماضيا سحيقا فى القدم .

لهذا فان بعض النجوم التى نراها الان تلمع وتتمتع « بالصحة » والطاقة والحياة ، انما هى نجوم ميتة من زمن ، لكننا لن نعرف موتها من حياتها ، الا اذا جاءنا الضوء بخبرها فى مستقبل قد يمتد ملايين السنين .. اى ان المستقبل هنا قد يكون ماضيا هناك ، او ان ما يحدث هنا على ارضنا الان ، هو فى الحقيقة مستقبل لغيرنا من اكوان !.. «جفت الاقلام ، وطويت الصحف» !

اذن .. فما اكثر حيرة العلماء فى اسرار الكون والحياة .. وما اكثر ما يجهلون . وليمرح اهل الجهالة فى جهلهم . فلقد ظنوا انهم علماء عصرهم .. « ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه » .. وفى ذلك الكفاية « لقوم يتقون » .

■■

الاسكندرية ـ د . عبد المحسن صالح



قضايا علمية تنتظر أحكامها الشرعية

بقلم : الدكتور يوسف القرضاوى

على صفحات عدد يناير الماضى ، نشرنا فى « العربى » مقالا للدكتور حسان حتحوت يعرض فيه نماذج من الانجازات العلمية الوشيكة ، ويتساءل عن موقف الشريعة الاسلامية منها • وفى هذا المقال ، يرد الدكتور يوسف القرضاوى رئيس قسم الشريعة فى كلية التربية بقطر ، على تلك التساؤلات • والدكتور القرضاوى من العلماء الذين لمعوا فى السنوات الاخيرة ، وله ١٤ مؤلفا اسلاميا ، من ابرزها رسالة للدكتوراه عن فقه الزكاة ، وكتاب الحلال والحرام فى الاسلام الذى طبع ١٠ مرات ، وكتاب مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام •

■ لاريب أن القضايا التى اثارها العالم الاديب الدكتور حسان حتحوت ، وطلب فيها راى الفقه - قضايا خطيرة تستحق الاهتمام من المشتغلين بفقه الشريعة وبيان احكامها ، وخصوصا اذا كانت فى حيز الامكان القريب ، كما يؤكد د • حتحوت • وان كان من فقهاء السلف رضى الله عنهم من جعل نهجه رفض الاجابة عما لم يقع بالفعل من الحوادث المسئول عنها ، حتى لايجرى الناس وراء الافتراضات المتخيلة ، مما لايقع مثله الا شاذا ، بدل ان يعيشوا فى الواقع ، ويبحثوا عن علاج لادوائه •

فعن ابن عمر قال : لاتسالوا عما لم يكن ، فانى سمعت عمر يلعن من سال عما لم يكن •

وكان بعضهم يقول للسائل عن امر : اوقد وقع ؟ فان وقع اجابه • والا قال له : اذا وقع فاسال •

وكانوا يسمون من سال عما لم يقع «ارايتيا»

بت لو كان كذا وحدث كذا»

الكوفة فى عصر التابعين :
القوم الى المسجد .. قلت
قال : الارايتيون .

ض الى من « ارايت » !

بهؤلاء الائمة ، ونقول
: دع الامر حتى يقع بالفعل،
ولا نتعجل البلاء قبل وقوعه.
عقبات لم يحسب العلماء
فى انفسهم التغلب عليها،
: يستطيعون تنفيذ ما جربوه
ى نوع الانسان .

نحاول الجواب لامرين :

سؤال يعتقد ان الامر وشيك
لبيل الفروض المتخيلة التى
« الارايتيون » فلا بد ان
ع فيما يترتب عليها من

لانه يلتقى مع الزنى فى اتجاه واحد ، حيث يؤدى الى اختلاط الانساب ، واقحام عنصر دخيل على الاسرة ، اجنبى عنها ، مع اعتباره منها نسبا ومعاملة وميراثا . واذا كان الاسلام قد حرم التبنى ولعن من انتسب الى غير ابيه ، فاحرى به ان يحرم التلقيح المذكور ، لانه اشد شبها بالزنى.

اما قضية « الشتل » المسئول عنها هنا فليس فيها خلط انساب ، لان البويضة ملقحة بماء الزوج نفسه ، ولكنها تترتب عليها امور اخرى هى غاية فى الخطورة من الناحية الانسانية والاخلاقية .

واذا كنا نبحث اولا عن مشروعية هذا الامر من الوجهة الدينية ، قبل ان نبحث عن احكامه اذا حدث بالفعل ، فالذى اراه ـ بعد طول تامل ونظر ـ ان الفقه الاسلامى لايرحب بهذا الامر المبتدع ، ولا يطمئن اليه ، ولايرضى عن نتائجه وآثاره .

افساد لمعنى الامومة

واول هذه النتائج وابرزها : انه يفسد معنى

لايرحب به الفقه ولايرضى عن نتائجه ولكن ..
يصدم الحس الدينى وقد يرخص للضرورة .
جناية على فطرة الله ، وقد يقبل للعلاج .

غير فى الحياة الاسلامية ،

ال فيما ارى يتضمن ايضا
وعية هذه الاعمال المطروحة
ى باب الجائز ام المحظور؟
، .

تل الجنين

ور حتعوت « شتل الجنين»
ى الغرابة والاثارة . وهى
، عنه من قبل من«التلقيح
ع فيه بويضة امراة بحيوان
جها . وهذا حرام بيقين ،

الامومة كما فطرها الله ، وكما عرفها الناس. هذا المعنى الذى ليس فى الحياة اجمل ولا انبل منه . فالام الحقيقية فى التصور المعروض للسؤال ، هى صاحبة البويضة الملقحة ، التى منها يتكون الجنين . هى التى ينسب اليها الطفل ، وهى الاحق بحضانته ، وهى التى تناط بها جميع احكام الامومة وحقوقها من الحرمة والبر والنفقة والميراث وغيرها .

وكل دور هذه الام فى صلتها بالطفل انها انتجت يوما ما بويضة افرزتها بغير اختيارها ، وبغير مكابدة ولا مشقة عانتها فى افرازها .

اما المراة التى حملت الجنين فى احشائها وغذته من دم قلبها اشهرا طوالا ، حتى غدا بضعة منها،

وجزءا من كيانها واحتملت في ذلك مشقات العمل، واوجاع الوحم ، وآلام الوضع ، ومتاعب النفاس، فهذه مجرد « مضيفة »او « حاضنة » تحمل وتتالم وتلد ، فتاتي صاحبة البويضة ،فتنتزع مولودها من بين يديها ، دون مراعاة لما عانته من آلام ، وما تكون لديها من مشاعر ، كانها مجرد«انبوب» من الانابيب ، التي تحدثوا عنها برهة من الزمان لا انسان ذو عواطف واحاسيس •

حقيقة الامومــة

وان من حقنا ـ ومن حق كل باحث عن الحقيقة ـ ان يسال معنا هنا عن ماهية الامومة التي عظمتها كتب السماء ، ونوه بها الحكماء والعلماء ، وتغنى بها الادباء والشعراء ، وناطت بها الشرائع احكاما وحقوقا عديدة • الامومة التي هي ارقى عواطف البشر واخلدها وابقاها •

هل تتكون هذه الامومة الشريفة من مجرد بويضة افرزها مبيض انثى ولقحها حيوان منوى من رجل؟

ان الذى يثبته الدين والعلم والواقع ، ان هذه الامومة انما تتكون مقوماتها ، وتستكمل خصائصها من شيء آخر بعد انتاج البويضة حاملة عوامل الوراثة • انه المعاناة والمعايشة للحمل او الجنين، تسعة اشهر كاملة يتغير فيها كيان المراة البدني كله،تغيرا يقلب نظام حياتها راسا على عقب،ويحرمها لذة الطعام والشراب والراحة والهدوء • انــه الوحم والغثيان والوهن طوال مدة الحمل • وهو التوتر والقلق والوجع والتاوه والطلق عنــد الولادة • وهو الضعف والتعب والهبوط بعد الولادة • ان هذه الصحبة الطويلة ـ المؤلمة المحببة ـ للجنين بالجسم والنفس والاعصاب والمشاعر ، هى التي تولد الامومة وتفجر نبعها السخي الفياض بالحنو والعطف والحب •

هذا هو جوهر الامومة • بذل وعطاء ، وصبر واحتمال ،ومكابدة ومعاناة •

ولولا هذه المكابدة والمعاناة ، ما كان للامومة فضلها وامتيازها ، وما كان ثمة معنى لاعتبار حق الام اوكد من حق الاب •

ولا شك ان خير وصف يعبر عن الام وعن حقيقة صلتها بطفلها في لغة العرب هو «الوالدة» وسمى الاب «الوالد» مشاكلة للام، وسميا معا «الوالدين» على سبيل التغليب للام الوالدة الحقيقية ، اما الاب فهو في الحقيقة لم يلد ، انما ولدت امراته• وعلى هذا الاساس سمى ابن المراة «ولدا» لها ، لانها ولدته وولدا لابيه كذلك لانها ولدته له •

فالولادة اذن امر مهم ، شعر باهميته واضعو اللغة ، وجعلوه محور التعبير عن الامومة والابوة والبنوة •

ومالنا نذهب بعيدا ، وهذا القرآن الكريم يحصر الامومة في الولادة بنص حاسم ، فيقول في تغطئة المظاهرين (١) من نسائهم : «ما هن امهاتهم ، ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم »

بهذا الاسلوب الجازم الحاصر ، حدد القرآن معنى الامومة «ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم » • فلا ام في حكم القرآن الا التي ولدت •

والخلاصة ان الام التى لاتحمل ولا تلد كيف تسمى « اما » او « والدة » ؟ وكيف تتمتع بمزايا الامومة دون ان تحمل اعباء الامومة ؟

واستطيع ان اضرب هنــا مثلا بارزا للعيــان يوضح موقف الشرع من الام الحقيقية •

لماذا كانت الام احق بالحضانة ؟

روى احمد وابو داود عن عبدالله بن عمرو : ان امراة قالت : يارسول الله ان ابني هذا كان بطني له وعاء ، وحجرى له حواء وثديي له سقاء، وان اباه طلقني وزعم انه ينتزعه مني ! فقال صلى الله عليه وسلم أنت أحق به مالم تنكحى (اى تتزوجى) •

وهكذا اعطى الشرع حق الحضانة للام وقدمها على الاب وجعلها احق بطفلها منه لما ذكرته هذه المراة الشاكية من اسباب وحيثيات تجعلها احنى على الطفل وارفق به واصبر على حضانته من ابيه فقد صبرت على ماهو أشد واقسى من الحضانة حين حملته كرها ووضعته كرها •

فما تقول هذه الام المتسحدثة اذا اختلفت مع زوجها في امر حضانة الولد ؟

---

(١) المظاهر من امرأته : من يحرمها على نفسه بان يقول لها : أنت على مثل امى • أو كظهر أمى • ويسمى هذا شرعا « الظهار » •

وباى منطق تستحقه وتقدم على ابيه ولم يكن بطنها له وعاء ولاثديها سقاء ؟

ان قالت : انها صاحبة البويضةالتى منها خلق، فالاب كذلك صاحب الحيوان المنوى الذى لولاه ما صلحت البويضة لشىء ، بل لعله هو العنصر الايجابى النشيط المتحرك فى هذه العملية ، حتى ان القرآن نسب تكوين الانسان اليه فى قولـه تعالى « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » فالماء الدافق هنا هو ماء الرجل ٠

تساؤلات هامة ٠٠

ولنا ان نسال هنا : لماذا يفكر رجال العلم فى نقل بويضة امراة الى رحم امراة اخرى ؟

سيجيبون : لنوفر للمراة المحرومة من الولد ، لفقدها الرحم الصالح للحمل ، ما تشتاق اليه من الاطفال عن طريق اخرى صالحة للحمل ٠

ونود ان نقول هنا : ان الشريعة تقرر قاعدتين مهمتين تكمل احداهما الاخرى ٠

الاولى : ان الضرر يزال بقدر الامكان ٠

والثانية : ان الضرر لايزال بالضرر ٠

ونحن اذا طبقنا هاتين القاعدتين على الواقعة التى معنا ، نجد اننا نزيل ضرر امراة ــ هــى المحرومة من الحمل ــ بضرر امراة اخرى،هى التى تحمل وتلد ، ثم لاتتمتع بثمرة حملها وولادتها وعنائها ٠ فنحن نحل مشكلة بخلق اخرى ، ان على العلم ان يتواضع ولايحسب ان بامكانه ان يحل كل مشكلات البشر ، فانها لاتنتهى ولو فرض انه حل مشكلة المراة التى ليس لها رحم صالح ، فكيف يحل مشكلة التى ليس لها مبيض صالح ؟ ٠

وسؤال آخر : هل هذه هى الطريقة الوحيدةفى نظر العلم ــ لازالة ضرر المـراة المـحرومة مـن الانجاب لعدم الرحم ؟

والجواب : ان العلم الحديث نفسه بامكاناته وتطلعاته ــ فيما حدثنى بعض الاخوة الثـقات المشتغلين بالعلوم ، والمطلعين على احدث تطوراتها وتوقعاتها ــ يفتح امامنا باب الامل لوسيلة اخرى اسلم وافضل من الطريقة المطروحة ٠

هذه الوسيلة هى زرع الرحم نفسه فى المراة التى عدمته ، تتمة لما بدا به العلم ونجح فيه من زرع الكلية والقرنية وغيرهما ، بل زرع القلب ذاته فى تجارب معروفة ومنشورة ٠

واحتمالات غير مقبولة

ولقد حصر الدكتور حتحوت الصورة المسئول عنها فى امراة ذات مبيض سليم ، ولكن لارحم لها ، وهى مشوقة الى الاولاد ، راغبة فى الانجاب كانه بهذا يثير الشفقة عليها ، ويستدر العطف من اجلها ٠

ولكن هذا الباب اذا فتح ، ما الذى يمنع ان تدخله كل ذات مالمن ربات الجمال والدلال ، ممن تريد ان تحافظ على رشاقتها ، وان يظل قوامها كغصن البان ، لا يغير خصرها وصدرها الحمل والوضع والارضاع ، فما ايسر عليها ان تستاجر « مضيفة » تحمل لها ، وتلد عنها ، وترضع بدلها وتسلم لها بعد ذلك «ولدا جاهزا» تاخذه بيضة مقشورة ، ولقمة سائغة ، لم يعرق لها فيه جبين، ولاتعبت لها يمين ، ولا انتفض لها عرق ٠ وصدق المثل : رب ساع كقاعد ، ورب زارع كحاصد ٠

واذا كان مبيض الانثى يفرز فى كل شهر قمرى بويضة صالحة ــ بعد التلقيح ــ ليكون منها طفل، فليت شعرى ما يمنع المراة الثرية او زوجة الثرى ان تنجب فى كـل شهر طفلا مـا دام الانـجاب لا يكلفها حملا ولايجشمها ولادة ؟

ومعنى هذا ان المراة الغنية تستطيع ان تكون اما لاثنى عشر ولدا فى كل سنة ، مادامت الامومة هينة لينة لاتتكلف اكثر من انتاج البويضة،والبركة فى «الحاضنات» او «المضيفات» الفقيرات اللائى يقمن بدور الامومة ومتاعبها لقاء دريهمات معدودة٠

ويستطيع الرجل الثرى ايضا ان يكون له جيش من الاولاد بعد ان تزوج من النساء مثنى وثلاث ورباع ، يمكن لكل واحدة ان تنجب حوالى (٥٠٠) خمسمائة من البنين والبنات بعدد ما تنتج مــن البويضات ، طوال مدة تبلغ او تتجاوز الاربعين عاما من سن البلوغ الى سن اليأس ٠

والنتيجة من وراء هذا البحث ان الشريعة لا

ترتاح الى ما سمي « شتل الجنين » لما ذكرنا من اثار ضارة تترتب عليه •

ضوابط واحكام

يبقى ان نبين الحكم فيما اذا سار العلم الى نهاية الشوط ووقع هذا الامر بالفعل •

وهنا نستطيع ان نضع بعض الضوابط والاحكام:

١ ـ يجب ان تكون «الحاضنة» امراة ذات زوج ، اذ لايجوز ان تعرض الابكار والايامى للحمل بغير زواج ، لما في ذلك من شبهة الفساد •

٢ ـ يجب ان يتم ذلك باذن الزوج ، لان ذلك سيفوت عليه حقوقا ومصالح كثيرة ، نتيجة الحمل والوضع ، واذا كان الحديث ينهى المراة ان تصوم تطوعا الا باذن زوجها ، فكيف بحمل يشغل المراة تسعة اشهر ونفاس قد يستغرق اربعين يوما ؟

٣ ـ يجب ان تستوفي المراة الحاضنة العدة من زوجها ، خشية ان يكون برحمها بويضة ملقحة ، فلا بد ان تضمن براءة رحمها ، منعا لاختلاط الانساب •

٤ ـ نفقة المراة الحاضنة وعلاجها ورعايتها ، طوال مدة الحمل والنفاس ، على اب الطفل ملقح البويضة ـ او وليه من بعده ، لانها تغذيه من دمها فلابد ان تعوض عما تفقد ، وقد قال تعالى في شان المطلقات «وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن» وقال في شان المرضعات «وعلى المولود له (يعني الاب) رزقهن وكسوتهن بالمعروف ثم قال «وعلى الوارث مثل ذلك» •

٥ ـ جميع احكام الرضاعة وآثارها تثبت هنا من باب قياس الاولى ، لان هذا ارضاع وزيادة ، الا فيما يتعلق بزوج المراة الحاضنة ، فهناك في الرضاع يعتبر ابا لمن ارضعته امه اذا كان اللبن من قبله ، لان التغيرات التي تحدث بجسم المراة اثناء الحمل ، وبعد الوضع من ادرار اللبن ونحوه بسبب الولد او الجنين الذي كان لماء الرجل دخل اساسي في تكوينه •

اما زوج المراة الحاضنة او المضيفة ، فليس له اى علاقة بالجنين او الوليد •

٦ ـ ان من حق هذه الام الحاضنة ان ترضع وليدها ان تمسكت بذلك ، فان ترك اللبن في ثديها دون امتصاص قد يضرها جسميا ، كما يضرها نفسيا ، وليس من مصلحة الطفل ان يجرى الله له الحليب في صدر امه ، ثم يتركه عمدا ليغذى بالحليب الصناعي •• وقد جعل الله الرضاع مرتبطا بالولادة فقال : « والوالدات يرضعن اولادهن » •

٧ ـ في رايي ان هذه الامومة ـ ان حدثت ـ يجب ان تكون لها مزايا فوق امومة الرضاع • ومن ذلك ايجاب نفقة هذه الام على وليدها اذا كان قادرا واحتاجت هي الى النفقة •

قضية اختيار الجنس

اما قضية اختيار جنس الجنين ، من ذكورة وانوثة ، فهي تصدم الحس الديني لامرين :

الاول : ان علم ما في الارحام للخالق سبحانه ، لا للخلق • قال تعالى « الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد » وهو من الخمسة التي هي مفاتح الغيب ، المذكورة في اخر سورة لقمان « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام » •

فكيف يدعي بشر انه يعلم جنس الجنين ويتحكم فيه ؟

الثاني : ان ادعاء التحكم في جنس الجنين تطاول على مشيئة الله تعالى ، التي وزعت الجنسين بحكمة ومقدار ، وحفظت التوازن بينهما على تطاول الدهور ، واعتبر ذلك دليلا من ادلة وجود الله وعنايته بخلقه وحسن تدبيره لملكه •

يقول تعالى « لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير » •

ولكن قد يفسر علم ما في الارحام بالعلم التفصيلي لكل ما يتعلق بها ، فالله يعلم عن الجنين ايعيش ام يموت ؟ واذا نزل حيا : ايكون ذكيا ام غبيا ، ضعيفا ام قويا ، سعيدا أم شقيا ؟ اما البشر فاقصى ما يعلمون : انه ذكر او انثى •

وقد يفسر عمل الانسان في اختيار الجنس انه لا يخرج عن المشيئة الالهية ، بل هو تنفيذ لها • فالانسان يفعل بقدرة الله ، ويشاء بمشيئة الله « وما تشاءون الا ان يشاء الله » •

وفي ضوء هذا التفسير ، قد يرخص الدين في عملية اختيار الجنس ، ولكنها يجب ان تكون رخصة

حاجة المنزلة منزلة الضرورة ، وان
الاولى تركها لمشيئة الله وحكمته
ما يشاء ويختار ، ما كان لهم

تغيير المزاج

من محاولة تغيير المزاج ، والتحكم
انسان ونزوعه عن طريق العقاقير
ا ، مما يؤثر على الغدد والاجهزة
في السلوك •

ى السليم يرفض هذا الوضع
رج بالانسان عن طبيعته المميزة
ة • ولهذا حرم الدين المسكرات
ا أن في ذلك تغييرا لخلق الله لم
ه ولا حاجة •

ق الله حرام بنص القرآن والسنة•
بيان وظيفة الشيطان مع الانسان
لأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان
نهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ
ن دون الله فقد خسر خسرانا

يث النبوى قد حرم التغيير الحسى
له تعالى ، فى مثل وشم الجلد ،
ب ، او وصل الشعر ، وفلج
الواشمة والمستوشمة ، والنامصة
لواصلة والمتوصلة ، والمتفلجات
ن خلق الله ،فكيف بتغيير اعمق
نيير المزاج النفسى للانسان ؟

مثل هذا التغيير لعلاج المريض لا
ب الضرورة ، وهى تقدر بقدرها ،
التاثير على السليم ، فهو جناية
صنع الانسان • وقد قال تعالى :
ى فطر الناس عليها ، لا تبديل

سؤال ، وهو : ماذا لو استطاع
عقاقير ومواد معينة ان يغير من
هل يبقى الانسان مسئولا عن
مدح بحسنها ويثاب عليه ، ويذم
عليه ؟ ام انتفت مسئوليته بهذه
نل له اذا تعففا عن شهوة او

حلم عند غضب ، ولا عقاب عليه اذا غضب وهاج فضرب او قتل ؟

والحق : ان المسئولية لا تنتفى عن الانسان مادام واعيا مريدا لما يفعله ، فاذا انتفى الوعى والادراك ، او القصد والارادة او كلاهما ، فقد انتفت عنه المسئولية ، واذا انتفى قدر منهما وبقى قدر فهو مسئول بقدر ما بقى عنده من الوعى والارادة ، ولهذا جاء فى الحديث : « لا طلاق فى اغلاق » فسر بعضهم الاغلاق بالغضب ، وبعضهم بالاكراه ، وهما من باب واحد ، وهو : ان ينغلق على الانسان تصوره وقصده •

واذا انتفى عن الانسان وعيه وارادته بسبب منه وباختياره ، فشانه شان السكران ، والكلام فيه وفى مسئوليته عن اقواله وأعماله طويلة الذيول•

والذى اراه أن هذه المؤثرات الصناعية مهما بلغت لن يكون أثرها اقوى من تاثير الوراثةوالبيئة فى سلوك الانسان ، ومع هذا لميعف منالمسئولية• فقد يرث الانسان من ابويه او اسرته حدة المزاج ، بحيث يغضب لاتفهالاسباب ، ويثور كالجملالهائج لادنى شىء او لغير شىء ، على حين يرث انسان آخر طبيعة هادئة فتنهد الدنيا من حوله ، وهو لا يحرك ساكنا كأن اعصابه فى ثلاجة كما يقولون •

ومع هذا يذم الاول على شدة غضبه ، ويحاسب على نتائجه ، ولا تعفيه الوراثة من المسئولية •

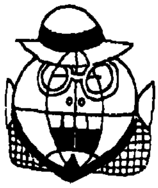
كما ان الثانى يمدح بهدوئه وحلمه ، وقد يذم احيانا اذا اعتدى على حريمه او انتهكت حرمات الله وهو ساكن • وقد قيل : من استغضب ولم يغضب فهو حمار !

ومثل ذلك تاثير البيئة الاسرية والاجتماعية فى اتجاه الانسان وسلوكه ، حتى جاء فى الحديث الصحيح « كل مولود يولد على الفطرة ، وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه » ومع هذا لايعفى اليهودى او النصرانى او المجوسى من مسئوليته عن اختيار الدين الحق ، اذ مازال له قدر من الوعى والارادة كافيينللاختيار والترجيح•

ومن ثم قال المحققون من علماء المسلمين :

ان ايمان المسلم المقلد لا يقبل ، اذ لا ايمان بغير برهان • ■■

د • يوسف القرضاوى



طرائف اجنبية

عمر الانسان ٠٠كيف تحسبه ؟

● ستيوارت تشيس ،رجل الاقتصاد المشهور له رأى فى الحياة ! انه يقول : « نحن لا نعيش حياة مليئة بالعمل والفكر والانتاج ، لا لاننا لانريد ان نملأ حياتنا ، ولكن لاننا عجزنا تماما عن ان نقهر الملل ٠٠ عدونا الاكبر ٠ ان الانسان العادى يقضى ثلث وقته فى صحوه عاجزا عن مقاومة الشعور بالملل ٠

لقد جلس تشيس يوما يحصى عدد الساعات المليئة التى عاشها طوال الاسبوع،فاكتشف انها لاتزيد على اربعين ساعة فقط من بين ١٦٨ وهى مجموع عدد ساعات اليوم كله ونهاره فى اسبوع كامل ! اى ما يعادل ٢٥٪ فقط ٠٠ أين ذهبت بقية الساعات الطويلة٠٠لقد ضاعت فى النوم والقلق والملل !

ما اقصر عمر الانسان ، اذا حسبناه بما قدم لبلده ومجتمعه، لا بعدد سنوات وجوده على الارض !

مرحبا بالقلق !

● وليام فولكنر الكاتب الامريكى الكبير ، له رأى آخر فى القلق ٠ مرض هذا العصر ٠٠ فقد كتب يوما يقول :

«مرحبا بالقلق ٠٠ انه الشعور الوحيد الذى يجعلنى احس بحريتى ٠٠ فالمرء لايقلق اذا لم يكن حرا ٠٠ واكثر ما يقلقه خوفه من ان ينتزع منه احدهم هذه الحرية ٠٠ ان الحيوان المستانس ، والرجل المستعبد هما الوحيدان اللذان يستطيعان ان يعيشا حياة لا تعرف القلق ٠٠ ولولا هذا الشعور الذى ينتاب المرء فى مرحلة او فى اخرى من مراحل حياته ، لما عرفت البشرية معنى التطور والتقدم ٠ »



منطق العلماء !

● اعتذر سيجموند فرويد يوما عن حضور حفل كبير اقيم تكريما له٠واضطرت الاكاديمية العلمية التى دعت الى اقامة الحفل ان تلغيه ، وذهب اليه اصدقاؤه يسالون : لماذا ؟ وقد كان هناك العديد من العلماء الذين يتوقون للقائك ؟

وقال العالم الكبير : « اعلم ٠٠ ومن اجل هذا اعتذرت عن الذهاب ٠٠ لاننى استطيع دائما ان ادافع عن نفسى اذا اساء الى احد ٠٠ ولكنى اقف عاجزا مستسلما امام عبارات الاطراء! ولا اظن اننى كنت ساسمع غيرها طوال الوقت وانا اكره ان اجد نفسى عاجزا ! »



اشهى طبق !

● كوليت ـ الكاتبة الفرنسية التى ماتت « شابة »عن ٨١ عاما فى سنة ١٩٥٤ ، كانت تجد هذا الشباب ، كما يقول اصدقاؤها ، فى الكتب التى لم تكن تمل٘ أبدا قراءتها ، حتى اذا ما ذبلت عيناها وضعف بصرها راحت تستعين بتلاميذها واصدقائها ليقرأوا لها، وكانت كوليت تقول ان المعانى الجميلة التى كانت تجدها بين سطور الكتب ، الذ من اشهى الاطباق التى كانت تملأ بها معدتها !

روت يوما قصة صديق لها ذهب الى المكتبة يبحث عن كتاب، وطالت غيبته وهو يتنقل بين الارفف التى حفلت بالكتب الحديثة ، لم ما لبث ان ترك

سؤال وجواب !

● تلقى المعلق الساخر آرت بوخوالد رسالة من ام تقول : «لقد انفقت اكثر من عشرة آلاف دولار على علاج ابني عند احد الاطباء النفسانيين على مدى سنة كاملة .. ولكن حالته تزداد سوءا يوما بعد يوم! بربك ياسيدى ماذا افعل ؟

وكتب بوخوالد في عموده اليومي القصة التالية يفسر فيها ما حدث للأم وابنها: «التقى اثنان من الاطباء النفسانيين في مصعد العمارة التى افتتحا فيها عيادتيهما .. وكان احدهما شابا اشعث الشعر تخرج حديثا ، وقد حمل جاكتته ورباط عنقه على احد ذراعيه، بينما حمل حقيبته في يده الاخرى .. ووضع نظارة غليظة على عينيه اللتين ضعفتا من فرط انهاكهما فى القراءة والبحث ، وكان قلقا مضطربا لايكف عن التطلع الى ساعته!

«ولكن الطبيب الشاب مالبث ان كف عن مراقبة عقارب الساعة عندما تعلقت عيناه فجأة بجاره الطبيب الوسيم العجوز الذى كان يقف امامه مباشرة ولايكف عن التطلع الى وجهه في مرآة المصعد ! انه منافسه الذى يفضله المرضى عليه !

«وامام هذا المنظر لم يستطع الطبيب الشاب ان يمسك نفسه عن سؤاله : « قل لى كيف تستطيع ان تستمع الى كل هؤلاء التعساء الذين ياتون اليك بمتاعبهم ومشاكلهم وقصصهم التى تدمى القلب ثم تخرج في نهاية اليوم وكان شيئا لم يكن ؟

وقال الطبيب ببساطة : «الفرق بيني وبينك يابني هو ربع قرن .. عندما تصل الى سني سوف تتعلم ان افضل وسيلة لعلاج نفسك وعلاج مرضاك هى ان تتحدث ولاتكف عن الحديث لحظة واحدة حتى لاتتحول الى الى مستمع .. وهكذا تنقذ نفسك من الوقوع « فريسة » لالآم المرضى ومتاعبهم ! »

فهل أجبتك على سؤالك ياسيدتى ؟ »

« بو خوالد »



لقد استطاعت ان تنقل لى محتويات كل كتاب امسكت به قبل ان افتحه .. هكذا ترين انني قد اقتنيت المكتبة لها !»

ولم يكن هذا الصديق سوى الفريد كورتو الموسيقار الكبير الذى عاش مع « مكتبته » حتى آخر لحظة في حياته الطويلة التي انتهت في عام ١٩٦٢ عن ٨٥ عاما !

اعداد : يوسف زعبلاوى

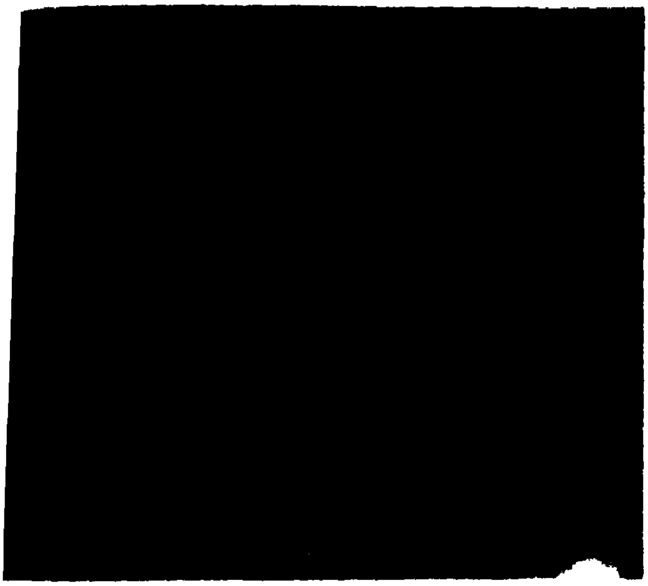
حاسبة صغيرة وعجيبة

● هذه ليست مسطرة منزلقة Slide-Rule كالتي يستعملها المهندسون .. فهي آلة حسابة + تقويم (رزنامة) + ساعة ضبط السرعة للمباريات + ساعة زمنية ٠

اما ساعتها الزمنية فالكترونية .. تبين الوقت بواسطة سائل متحرك يسير مع الوقت .. وما عليك الا ان تنظر الى حيث وصل السائل فتقرأ الوقت بالثواني والدقائق فضلا عن الساعات..

ويذكر عن ساعة ضبط السرعة انها تمكنك من العد التنازلي ناهيك بتحديد الزمن والسرعة في المباريات واما التقويم او الرزنامة فبحاجة الى لمسة خفيفة ليعطيك اسم اليوم وتاريخه الى جانب السنة ٠ وفوق ذلك كله .. الحاسبة.. وهي تقوم بالعمليات الحسابية الاربع كلها ..

بقي ان نذكر ان هذا الجهاز يعتمد على بطاريتين صغيرتين .. تمكنانه من العمل طيلة سنة ونصف السنة ٠



هل ينتهي مرض السكر ؟

● نشرت مجلة العلم Science بحثا مفصلا عن تجارب زرع البنكرياس التي اجراها بنجاح فريق من العلماء الامريكان باشراف الدكتور وليم كليك Dr. W. Click احد علماء كلية الطب في جامعة هارفرد المعروفة ٠ وهذه تجارب خطيرة للغاية وقد تعني اننا على ابواب حدث في عالم الطب كبير ، انها تعني احتمال القضاء على مرض السكري نهائيا .. مرض السكري الذي طالما ذكرنا الاطباء بانه مرض عضال ، يمكن كبحه وتحاشي مخاطره ولا سبيل الى شفائه تماما والخلاص منه ٠ فهو اذن يصيب المرء ليبقى..وليس للمصاب الا ان يسعى للتعايش السلمي مع هذا المرض ، والوقوف به عند حد ، فيامن بذلك شره وما قد يترتب عليه .. فمرض السكري يسبب العمى ، اذا تفاقم امره، ويتلف الاعصاب وقد يؤدي بصاحبه الى الموت..من هنا كانت خطورة التجارب التي اجروها وزرعوا فيها البنكرياس السليم

نهاية [illegible] ...

صانع السجاير [illegible] انتاج سجاير جديدة
جبانى [illegible] كما
ملات الدعاية [illegible]
يعلو الماضى .. [illegible] (نارك) .. ولم يمكث
ثلاثة شهور حتى تستقبلها .. ذلك ان السجاير المصنعة لم
من مبيعات السجاير العادية فى الاسواق البريطانية ، وذلك
. وهكذا اضطرت الشركات المنتجة الى الحد من انتاج السجاير

امبريال (Imperial Cotacco) الشهيرة (وهى التى تصنع
تسريح نصف العمال الذين يعملون فى مصنعها الخاص بهذه
كانت قد انشأته فى اسكتلنده ، وتكلفت على انشائه ١٥ مليون
وقد لا يمضى زمن طويل حتى تحذو الشركتان الاخريان
ـ كاريرا Rothmann's Carrer. وشركة جلاشر Gallacher حذو

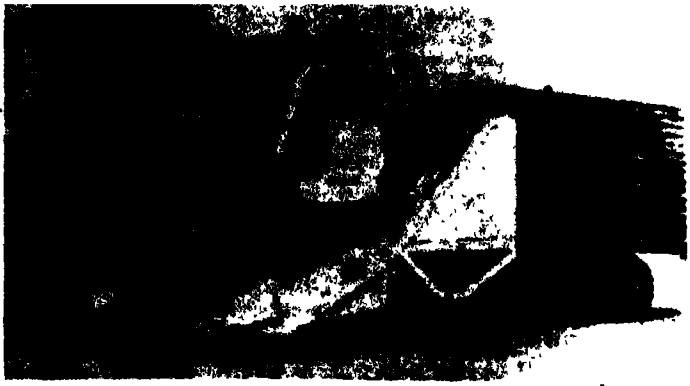
الى ان السجاير المصنعة ليست مصنعة ١٠٠٪ ٠ فهى
طبيعى بنسبة تتراوح بين ٦٠ ـ ٧٠٪ وتحتوى على المادة المخلقة
ـ ٤٠٪ وقد صنعت هذه المادة من عجينة الخشب شركتان
بريطانية وهى شركة اى سى آى I.C.I. التى اطلقت على
مادة التدخين الجديدة N.S.M. والشركة الثانية امريكية
ن American - Celanese وقد سمت مادتها البديلة Cytrel
فى سبيل تطوير هاتين المادتين ما يقدر باكثر من ٤٠ مليون جنيه٠
ة ما فى السجاير البديلة من تبغ طبيعى تعنى قلة ما
ـة والقطران وتعنى بالتالي قلة ما تلحقه بالمدخنين من

اس
ولين
زالت
راها
ـى
يفيد
، ٠
يكان
جرى
ران
ـد

يمضى ثلاثون دقيقة حتى هبطت نسبة محتويات السكر فى دم تلك الفئران .. ولكن تلك النسبة ما لبثت ان ارتفعت وعادت الى ما كانت عليه فى غضون ساعتين من انتزاع البنكرياس المزروع ٠

وعمد العلماء بعد ذلك الى زرع بنكرياسهم فى فئران اخرى سليمة لا تعانى من مرض السكرى .. فلم تتاثر محتويات السكر فى دم هذه الفئران بزيادة او نقصان .. وقد احتفظت بمستواها السوى .. باستثناء الهبوط المؤقت الذى طرا عليها فجاة عند زرع البنكرياس ثم ما لبث ان زال٠

واثبتت هذه التجارب وغيرها ان البنكرياس المزروع لايقف عند امداد المريض بحاجته من الانسولين الكفيلة بحرق الفائض من محتويات السكر فى دمه ،



لتمشيط الشواطىء الرملية

● ستكون هذه الالة ، او ان شئت ، ماشطة الرمال ، موضع ترحيب السلطات السياحية في كل مكان • فهي معدة لتنظيف رمال الشواطيء تنظيفا جيدا •• انها تمشط الرمال بدقة واحكام وتلتقط ما تحتويه من شوائب ونفايات، الكبيرة منها كالحجارة وقطع الصخور ، والصغيرة ، كالعلب والقوارير الفارغة والورق •• حتى اعقاب السجاير لا تستطيع الافلات من هذه الماشطة• واهم من ذلك كله السرعة التي تعمل بها هذه الالة فهي تنظف في الساعة الواحدة ما تزيد مساحتــه على ٢٠٫٠٠٠ متر مربع من الشواطيء الرملية القذرة •

هذا والطريقة التي تعمل بها هذه الآلة في غاية البساطة •• فهي تجرف الرمال القذرة من الامام لتلفظها نظيفة من الخلف ، وذلك بعد غربلتها وتنظيفها ••• اما الشوائب والنفايات التي تنتزعها منها فتحتفظ بها في صندوقها الكبير ليتم تفريغها في المكان والزمان المناسبين ••

لا عجب اذن ان كان حجم هذه الآلة كبيرا نسبيا •• وصندوقها يبلغ ٢٨٢ قدما مكعبا ووزنها ٢٣ طنا •• وابعادها ٤٧×١٢×١٣ قدما• وهي تسير بمحرك ديزل بقوة ٤٥٠ حصانا • واهم مزاياها انها مزودة باطارات خاصة بالسير على الرمال وبجهاز يمكن السائق من التحكم بضغط الهواء في تلك الاطارات اوتوماتيكيا، فيزيده او ينقصه حسب الحاجة •

وتخفيض نسبتها الى مستواها السوي •• فهو يذهب الى ابعد من ذلك ويضمن بقاء تلك النسبة على مستواها السوي هذا •

وتجدر الاشارة الى ان البنكرياس المزروع ليس كله طبيعيا •• بل ان اكثره اصطناعي •• فهو عبارة عن انابيب شعرية دقيقة صنعوها من مادة بلاستيكية خاصة ووضعوها داخل غلاف بلاستيكي او زجاجي •• ووضعوا فوق تلك الانابيب وضمن هذا الغلاف الخلايا التي تفرز الانسولين •• فهذه الخلايا ، وهي قوام هذا البنكرياس ، كما لا يخفى ، هي الجزء الوحيد الطبيعي غير المصنوع فيه • فهي تؤخذ من بنكرياس حي لتصبح الجزء الفعال في البنكرياس المزروع ••

وتفرز هذه الخلايا الانسولين ليرشح عبر الانابيب الشعرية الى الدم •• وقد صنعت هذه الانابيب بحيث تسمح بمرور الانسولين فيها ولا تسمح بمرور الاجسام المضادة فيها ووصولها الى الخلايا •• باعتبار هذه الخلايا الجسم الغريب الذي ينبغي محاربته •• وهذه هي ميزة التجارب الحديثة على تجارب زرع البنكرياس القديمة• فقد كان البنكرياس الذي استهدفت تلك التجارب الاولى زرعه طبيعيا حيا ، ولم يكن في الامكان بالتالي العمل على وقايته من الاجسام المضادة التي تطلقها اجهزة المناعة في الجسم الحي ، والتي كانت السبب في فشل تلك التجارب القديمة•

ومن طريف ما يذكر ان الخلايا الحية التي انتزعوها من البنكرياس الحي وادخلوها في صنع البنكرياس المزروع استمرت في افراز الانسولين ولم تفقد فاعليتها مع الزمن، وكانها ما زالت جزءا من البنكرياس الحي الذي انتزعت منه • اضف الى ذلك ان هذا البنكرياس الحي سرعان ما صنع خلايا اخرى جديدة عوضا عن تلك المنتزعة ••

■■

قة العدد ٢٢٩ ●

زالى

تيبة

حدة :

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١	ا	و	ر	ج	و	ا	ى	ه	ا	س	ب	ا	ن	ى	ا
٢	ن	ه	ر	ا	ل	ف	ر	ا	ت	#	م	ل	ق	#	ل
٣	ت	ا	#	ن	د	ا	ع	ب	ه	م	#	ق	ص	ي	ه
٤	ى	ب	ه	ج	#	د	ى	و	ك	ل	ى	ت	ى	ا	ن
٥	م	ى	ل	ا	ن	و	#	م	م	#	ب	ا	#	ر	د
٦	و	#	ع	ك	#	ا	ل	ح	#	م	ا	ل	ت	#	#
٧	ن	د	#	ر	ق	#	ى	م	ت	ث	ل	#	ن	ا	م
٨	#	ا	ب	و	ح	ا	م	د	ا	ل	غ	ز	ا	ل	ى
٩	م	ف	ل	س	#	ج	ا	ب	و	ن	#	ب	ت	ا	ر
١٠	ا	ن	ج	و	ل	ا	#	ن	ى	ا	ج	ر	ا	#	ا
١١	#	ش	ى	#	ا	د	ق	ق	#	#	ر	ج	ر	ا	ج
١٢	م	ى	ك	ا	د	و	#	ت	ج	ر	ى	د	ى	ه	#
١٣	ر	#	ا	ل	و	ا	د	ى	#	ب	ن	#	ف	ا	ق
١٤	ف	ف	#	ش	ج	#	ل	ب	ا	ن	ش	و	#	ل	و
١٥	ا	ل	م	ق	ا	ب	ل	ه	#	ا	ش	ع	ر	ى	ه

امد الغزالى ، فى خراسان ، ونشا سرف الى دراسة الفقه تب «تهافت الفلاسفة» تى قادته الى الصوفية.

(٨) راسيا : ابو محمد بن قتيبة ، ولد بالكوفة ، وعاش زمنا فى دينور قاضيا • وهو فقيه ومحدث ومؤرخ ونحوى واديب • من اعماله «الشعر والشعراء» و «عيون الاخبار» و «ادب الكاتب» •

الفائزون بالجوائز

وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : عصام هارون اسماعيل ـ عمان/الاردن.

وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها : رضاب عبد الستار ابراهيم ـ الكاظمية/

وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : دانه عبد العزيز محمد الفارس ـ

تها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

لطيف خطاب ـ بيروت /

ـ الخرطوم / السودان

محمود ابو شبكة ـ كفر

الرزاق ـ كريتر عدن /

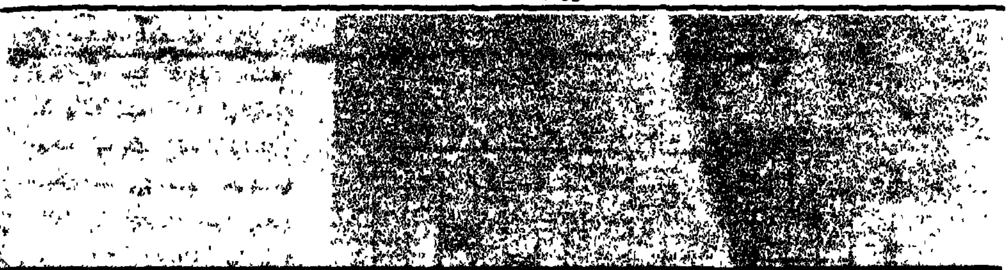
٥ ـ رمزى حسون نصر ـ السويداء / سوريا

٦ ـ عبد المنعم عبد الهادى احمد ـ المدينة المنورة/السعودية •

٧ ـ حسن فؤاد على حسن ـ عجمان/الامارات

٨ ـ فيصل كامل حسن عبد العزيز ـ صنعاء/ اليمن الشمالى

قضايا حيوية



حيث [illegible] تخلى قسوة القانون [illegible]

عقوبة الموت ما جدواها اليوم؟

بقلم : الدكتور عدنان الدوري

دكتوراه علم الاجرام

[illegible]

■ [illegible] الى [illegible] روح انسان حي [illegible] جريمة القتل ، والآخر [illegible] الى القضاء على حياة الانسان [illegible] تمارسه الهيئة الاجتماعية ويسمى عقوبة الاعدام او عقوبة الموت . الاول « قتل » والآخر « [illegible] » وحيث ان [illegible] الطبيعة تفترض ان [illegible] الفعل بقوة الفعل فان القانون الجزائي يفترض ان تمثل عقوبة الاعدام الدرجة القصوى لسرد الفعل الجماعي نحو اخطر فعل اجرامي .

وقد كانت عقوبة الموت هي الاسلوب الوحيد او النمط الشائع لعقاب جميع المجرمين ولجميع انواع الجرائم خلال عصور طويلة . وقد استطاعت هذه العقوبة ان تصمد بوجه جميع الاعاصير التي عصفت بمضيها وهدفت نحو الغائها او [illegible] عدم جدواها كعقوبة رادعة منذ بداية القرن الماضي وحتى وقتنا هذا . ويظهر ان شرعية هذه العقوبة وجذورها التاريخية ارستها على ارضية صلبة تقوم على [illegible] ، [illegible] اعتراف المجتمعات الانسانية بان عقوبة الاعدام هي الاسلوب الوحيد للتعامل مع بعض المجرمين [illegible] [illegible]

وقد [illegible] هذه العقوبة [illegible]

هذه مجموعة من الآراء والملاحظات والتساؤلات تعالج بعض القضايا الحيوية وتعبر عن وجهات نظر أصحابها في هذه القضايا .. وعملا بحرية النشر ، فاننا نفسح المجال لهذه الآراء كما تلقيناها ، بغير حذف أو تعديل .

ورها القديمة اسلوب الشنق والحرق والتقطيع
ستال وسلخ الجلد وفصل اطراف الجسم وسحق
ه والقاء الشخص من مكان عال . وكان قطع
اس من الاسلوبات المشهورة على النبلاء .
ك بعدها المجتمعات الانسانية تبحث السبل
م تنفيذها بالتماس طرق جديدة (مثل الاعدام
لصدمة الكهربائية أو بالغاز السام) التي تعتبر
انية واكثر حشمة واقل وحشية او قسوة .
على ان اول معالجة جدية فلسفية ، فكانت ،
بة الاعدام بدأت في عهد الامبراطور الروماني
و والذي اقترح منع بعض التعازير علـى
٥٤ . كما حقق البرلمان الفرنسي اول معالجة
انية لتقرير بحجز عقوبة الاعدام في [illegible]
ريمة في عام ١٧٨٠ . وكذلك فعل مجلس
موم البريطاني والبرلمان الكندي في منتصف
القرن .
اما انصار عقوبة الاعدام والمؤيدون لضرورة
ها او مشروعية بقائها فليس لديهم الكثير
القول سوى التمسك ببعض المطالب التالية :
١ ـ ان عقوبة الاعدام عقوبة رادعة ولولاها
لتضاعفت الجنايات الخطيرة بشكل كبير جدا .
[illegible]

ولكن خصوم هذه العقوبة والمطالبين بالغائها قالوا فيها بعض ما قال مالك في الخمر ويمكن ايجاز مواقفهم وحججهم على النحو التالي :

١ ـ ليس من حق الدولة أو السلطة سلب حياة الانسان لان هذا الحق للخالق تعالى وحده .

٢ ـ ان المجتمع يهتم في الاصل بضرورة وجود العقاب كاجراء رادع ضد الجريمة ولا يصر على اختيار اسلوب معين لتنفيذ العقاب ذاته او استخدام طريقة معينة لتحقيق مطلب الردع .

٣ ـ ان عقوبة الاعدام لا تحقق عنصر الردع كجزاء يعني بترك آثارا معينة في نفسية الجاني لان آثار الاعدام تنتهي بالموت .

٤ ـ ان عقوبة الاعدام لا تحقق مطلب تمييز العقاب لان هذه العقوبة تطبق على جميع المجرمين المحكوم عليهم بالموت باسلوب واحد مهما اختلفت ظروفهم الشخصية او تباينت خطورتهم الاجرامية .

٥ ـ ان استمرار عقوبة الاعدام لم يؤثر في منع ارتكاب جرائم القتل او تقليص معدلات الجرائم الخطيرة . كما ثبت ان العقوبة لا تحقق اي مطلب من مطالب الاصلاح والتقويم ورد الاعتبار .

٦ ـ ان عقوبة الاعدام لا تتيح القيام بأي اجراء للتعديل او التصحيح الحكم عند تحقق خطأ في الادانة والتجريم وهناك الكثير من الشواهد التاريخية عن اعدام اشخاص ابرياء ثبتت براءتهم بعد اعدامهم .

٧ ـ ان عقوبة الاعدام ليست اقتصادية من حيث النفقات اذا قارنتها بعقوبة السجن

قضايا حيوية

المؤبد ، كما يعتقد البعض ولو كان الامر يقتصر على اعتبارات اقتصادية صرفة لاتجهت الـــدول والمجتمعات الى اعدام المجانين والمعوقين بدلا من الاحتفاظ بهم دون ثمة امل بشفائهم ٠

٨ ـ ان عقوبة الاعدام لم تعد ضرورية كاجراء جوهرى لمواجهة جرائم القتل والجنايات الخطيرة حيث يمكن استبدالها بالسجن المؤبد وهذه عقوبة لا تقل ردعا عن عقوبة الاعدام ٠

ردود فعل ايجابيـــة

ولا شك ان كثرة هذه الاصوات المعارضة وقوة حجمها لم تعدم ظهور بعض الاستجابات فى اقطار كثيرة وقد ترجمت بعض هذه الاستجابات الـــى ممارسات تبلورت فى بعض الاتجاهات التطبيقية وذلك على النحو التالى :

ـ الغاء عقوبة الاعدام بصورة كلية فى عدد كبير من اقطار العالم ٠ ولعل اول الغاء فعلى لهذه العقوبة كان فى توسكانيا فى عام ١٧٨٦ وفى النمسا والمجر فى عام ١٧٨٧ ٠

ـ تقليص عدد الجرائم المعاقب عليها بالاعدام وعلى سبيل المثال فقد كان القانون الانجليـــزى الصادر فى عام ١٧٨٠ يعاقب على مائتى جريمة بالاعدام ، وقد تقلص هذا العدد الى اربع جرائم فقط بعد قرن واحد وانتهى الامر الى الغـــاء عقوبة الاعدام كليا بعد منتصف هذا القرن ٠

ـ تردد الكثير من المحاكم الجزائية عن النطق بحكم الاعدام الا فى الحالات الاستثنائية حين لا تجد المحكمة بديلا لهذه العقوبة ٠

ـ التردد فى تنفيذ عقوبة الاعدام بعد الحكم بها واللجوء الى العفو تارة او الاستبدال بالاعدام السجن مدى الحياة تارة اخرى ٠

ويبدو ان العصر الذهبى لخصوم عقوبة الاعدام والداعين الى الغائها لم يدم طويلا لكسب قناعة المجتمعات بالحجة المنطقية والدليل الواقعـــى والعلمى الملموس ٠ فقد تنكر الواقع لمنطق العلم وهبت العاطفة للدفاع الشرعى عن النفس ٠

ذلك ان طغيان موجات العنف الاجرامى واستخدام ابشع الاساليب المتوحشة لتعذيب الضحايا الابرياء فى جرائم القتل والخطف والاغتصاب الجنسى ، هذه الظروف كلها تجمعت لتضغط من جديـــد مرجحة حجج مؤيدى عقوبة الاعدام حتى عمـــدت بعض الاقطار الى تعديل تشريعاتها الجنائية فى محاولة لاعادة عقوبة الاعدام بعد الغائها فتـــرة طويلة ٠ وبدات بعض الاقطار التى لا تزال تحتفظ بهذه العقوبة بتعديل تشريعاتها الجنائية القائمة وزيادة عدد الجرائم التى يعاقب عليها بالاعدام٠ وبرزت اصوات عالية تنادى بخفض الحد الادنى للسن القانونية التقليدية لتطبيق عقوبة الاعدام على الاحداث ٠ وطالب فريق آخر باغلاق جميع الطرق بوجه كل رافة او رحمة بالمجرمين الذين يرتكبون الجنايات الخطيرة فلا تخفيف فى الحكـــم ولا عفو ولا سجن بديلا ٠

وهكذا يعيد التاريخ الانسانى نفسه فيعيـــد للقانون بعض ما فقد من هيبة كوسيلة تقليدية مجدية من وسائل الضبط الاجتماعى ٠ ■■

جامعة الكويت ـ عدنان الدورى

ه العرب اخطبوط الشركات عابرة للقوميات

بقلم : الدكتور محمود عبد الفضيل

تواجه التنمية العربية تحدياخطيرا يتمثل فى الزحف الكاسح نفوذ الشركات العالمية الضخمة العابرة للقوميات • كيف يمكن ن يقف العالم العربى أمام التحدى ؟ •• هذا هو السؤال الان • وهذه محاولة للبحث عن اجابة له •

، منذ اواخر الستينات
اشكال جديدة للتقسيم
الصناعية المتقدمة وبين
ة فى النمو • ولعل
لهذه التحولات الجديدة
نة عمل الاقتصاد الدولى
ط وعمليات الشركات
ذ تنشط هذه الشركات
لتقسيم الدولى للعمل
واعادة توطين الانتاج

الصناعى على الصعيد العالمى • وقد نجحت هذه الشركات فى اقامة « قواعد تصديرية » متقدمة فى مناطق عديدة من بلاد العالم الثالث مثل هونج كونج وكوريا الجنوبية وماليزيا وسنغافورة والبرازيل والمكسيك وبلاد جزر الكاريبى • وتتجه انظار هذه الشركات بشدة هذه الايام نحو منطقة الشرق الاوسط والقارة الافريقية مما يقتضى مزيدا من الفهم الاقتصادى والسياسى لدور وطبيعة عمليات هذه الشركات وآثار ذلك على مستقبل عملية التنمية فى العالم العربى •

قضايا حيوية

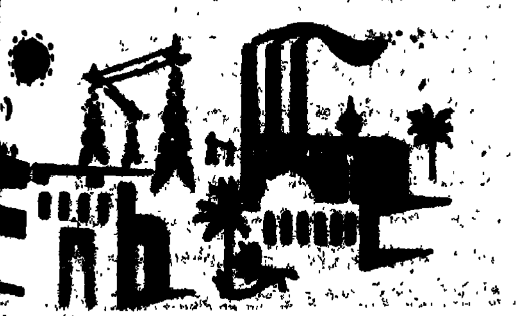
وقد ادت عملية تمركز راس المال والخبرة وتصنيعها في البلاد الصناعية الكبرى الى سيطرة الشركات الدولية العابرة للقوميات على راس المال الصناعي وتنظيم الانتاج والتسويق على الصعيد العالمي. وقد ساعد على ذلك التطورات التكنولوجية الحديثة في العديد من الصناعات مما سمح بتجزئة العمليات الفنية المعقدة الى سلسلة من العمليات البسيطة بصورة جعلت من الممكن للقوة العمل في الاقمرة في البلدان النامية القيام بالعمليات المطلوبة دون تدهور يذكر في المعدلات الانتاجية. وقد اصبح نشاط الشركات الدولية يغطي قطاعا عريضا من الصناعات تمتد من الادوات الكهربائية والمعدات الهندسية والسيارات والسلع المعمرة الى الات التصوير ومنتجات البلاستيك ولعب الاطفال.

ويكفي للتدليل على الدور الهام الذي تلعبه الشركات الدولية في الهيكل العالمي للتجارة الدولية ان نذكر ان فروع الشركات الدولية في بلدان العالم الثالث التي تتخذ من الولايات المتحدة الامريكية مقرا رئيسيا لها قد غدت (وفقا للاحصائيات المتوافرة عن عام ١٩٦٨) مصدرا في الاسواق العالمية ينافس ثالثا المانيا وضعف اليابان وان جانبا كبيرا من هذه الصادرات يتوجه للولايات المتحدة نفسها.

واخطر ما في الامر ان هذه الشركات الدولية العابرة للقوميات اصبحت كالاخطبوط الكبير، المتعدد الاذرع والارجل، تتحكم ضمن ما تتحكم في « البامات » « التطوير التكنولوجي » و « شبكات التسويق التصديرية » و « شبكات التمويل » و « العمالة الماهرة » في بعض الصناعات الهامة مثل البتروكيماويات والادوات الكهربائية والسلع المعمرة والصناعات الهندسية ومنتجات البلاستيك وغير ذلك من الصناعات والمنتجات بالشكل الذي يجعل عناصر ضرورية ناقصة بالشركات الوطنية ان تعمل في هذه المجالات بشكل مستقل دون ان تنطوي تحت جناح الشركات الدولية. وقد وضحت هذه الحقيقة بجلاء في الندوة التي عقدت مؤخرا في « فيينا » والتي جمعت ممثلي شركات البترول والكيماويات الكبرى حيث اعطى ممثلو الشركات الدولية صورة غير مشرقة للدور المستقبلي للشركات الوطنية في العمليات اللاحقة للانتاج البترولي. اذ اشار المستر بوهل مدير شركة « بي . بي . كيميكال » الى ان الميزة الوحيدة التي تتمتع بها الشركات الوطنية هي توافر المادة الخام وراس المال فقط، بينما العقبات الرئيسية تتمثل في عدم توافر شبكات التسويق التصديرية، والتكلفة المرتفعة لانشاء مصانع البتروكيماويات وقلة الخبرة في ادارتها وتشغيلها. والذي يعنيه مستر بوهل بالتحديد هو انه لا مستقبل للشركات الوطنية المستقلة دون الاندماج الكامل في شبكة الشركات الدولية العاملة في هذا المجال، لانه اذا كانت الشركات الوطنية تملك النفط الخام وراس المال فالشركات الدولية تتحكم في الاسواق التصديرية، والفن الانتاجي، والخبرة الادارية والتنظيمية.

تحديات تواجه العالم الثالث

وتشكل هذه التطورات الجديدة تحديا هاما لقدرة حكومات البلاد النامية في العالم الثالث على التخطيط والادارة المستقلة لنشاطاتها التصنيعية والانتاجية التصديرية بمعزل من الشركات



ولية • اذ نجد معظم حكومات دول العالم الثالث
سها عاجزة عن مواجهة وملاحقة التطورات
سريعة في طريقة اداء الاقتصاد العالمي ، تلك
تطورات التي يحدد وجهتها توسع نشاط وعمليات
لشركات الدولية العابرة للقوميات • ففي اغلب
حوال تقوم هذه الشركات بالتخطيط لعملياتها
صناعية والتجارية لآفاق زمنية تتجاوز بكثير
فق التخطيطي لبعض حكومات دول العالم الثالث
ا حدا بالبعض الى ان يطلق على هذا العصر
عصر الشركات الدولية »

The Age of Transnat:onals.

ولعل اهم نتائج التوسع المتزايد لنشاط
لشركات الدولية هي الاضعاف المطرد لسيطرة
دولة القومية على ادوات السياسة الاقتصادية
خل حدودها القومية • اذ كلما ازدادت درجة
تراق الشركات الدولية لاقتصاد قومي ما
ضاءلت درجة فاعلية معظم ادوات السياسة
اقتصادية : السياسة النقدية ، السياسة المالية
ياسة الاجور ، •••• الخ • كذلك تصبح مقدرة
كومات دول العالم الثالث على فرض ضرائب
ى الشركات الدولية محدودة نظرا لقدرة هذه
لشركات على اللجوء لاساليب متعددة للتلاعب
كن لها عن طريقها تخفيض مقدار الالتزامات
ضريبية المترتبة عليها في البلد المضيف • ومن
رز وسائل التلاعب الضريبي التي يصعب على



حكومات الدول المضيفة مكافحتها هي المعالجة المحاسبية لاسعار التحويل Transfer prices للمواد الخام والاجزاء المحولة من بلد لآخر بين فروع الشركة الدولية الواحدة ، وعمالية توزيع المصروفات الاضافية والادارية بين المركز الرئيسي في البلد الام والفروع في البلاد المضيفة،واللجوء لاسلوب رأس المال المقترض بدلا من رأس المال المملوك Equity Captial.

ومن ناحية اخرى ينتج عن نشاط الشركات الدولية تمزيق لاوصال الثقافة الوطنية واضطراب لنظام القيم السائد في البلدان النامية ومسخ لعملية المزج او المواءمة بين « الاصالة » و « المعاصرة » في تلك البلدان • فالشركات الدولية بنشاطاتها المتنوعة المتداخلة تمثل وسيطا ناقلا لقوانين ونظم وثقافات تؤكد كل يوم « قيم المجتمع الاستهلاكي » التي تقوم على اللهث وراء مستويات « الرفاه الغربي » دون الوعي بان هذه المستويات قد تحققت بعد قرون من التراكم المادي والحضاري والتضحيات الكبيرة •

نحو استراتيجية للتنمية العربية

على ضوء التطورات الاقتصادية الدولية التي تحدثنا عنها تزداد وترتفع التساؤلات حول مستقبل التنمية في العالم العربي في عصر الشركات الدولية العابرة للقوميات ، وما هي الآفاق الممكنة للتعامل مع الواقع الاقتصادي الدولي الجديد دون ان تفقد عملية التنمية العربية مقومات الاستقلال وتوافر عنصر الارادة القومية •

ورغم انه تتفاوت ردود الفعل والتعليقات حول هذه القضية الشائكة من انصار الرفض الكامل لاية صورة من صور التعامل مع الشركات الدولية الى انصار الاندماج الكامل في نشاط الشركات الدولية والاحتماء تحت مظلتها الواقية من المخاطر

والمنافسة ، فانه فى تقديرى الخاص ان الموقف ازاء الشركات الدولية يمكن معالجته فى اطار المنطقة العربية على مستويين :

المستوى الاول :

هو تطوير اطار تفاوضى جماعى للتعامل مع الشركات الدولية والمساومة بشكل جماعى حول القضايا المشتركة فى مجالات « نقل وتحويل التكنولوجيا » ، « مشاكل التسويق فى الاسواق التصديرية » ، « قضايا الضرائب والمحاسبة » ، « القيود والضمانات فى مجال اعادة تصدير الارباح وغيرها من التحويلات للخارج » ، « عقود الادارة والتدريب » وغير ذلك من القضايا المحورية بما يضمن تحقيق اكبر قدر من المكاسب وتحقيق اكبر قدر من حرية المناورة للبلاد المضيفة • فليس من المتصور ان تسفر عمليات التفاوض التى تجرى حاليا بين الشركات الدولية العملاقة وكل قطر عربى على حدة عن مكاسب ايجابية للدول المضيفة •

ولكنه يمكن ان تتحسن الى حد كبير شروط التفاوض لصالح البلاد العربية المضيفة فى ظل استراتيجية للتفاوض والمساومة الجماعية تشترك فيها الاقطار العربية مجتمعة • وامام البلدان العربية نموذج حى لذلك فى تجربة « معاهدة بلاد الانديز» The Andean pact. فى امريكا اللاتينية• اذ نجحت البلاد المنضمة لتلك الاتفاقية نجاحا نسبيا فى تطويع عمليات الشركات الدولية بما يتفق ومقتضيات عملية التنمية من وجهة نظر البلاد المضيفة ولا سيما فى مجالات هامة مثل تحديد مستويات الحماية اللازمة للصناعات المحلية الناشئة ، وتحقيق مزيد من الرقابة على عمليات الشركات الدولية فى مجال نقل التكنولوجيا وتحويل الارباح وتدريب القوى العاملة •

المستوى الثانى :

وهو تحقيق قدر اكبر من الانتاج المشترك والتكامل الاقتصادى العربى بما يسمح بتحقيق اكبر قدر من « الاعتماد الجماعى على النفس » • فحيث ان الشركات الدولية العملاقة تعتبر مشروعات خاصة تنظم الانتاج على الصعيد العالمى متجاوزة بذلك كل الحدود القومية ، فان نقيضها لا بد وان يكون التنظيمات والتكتلات الاقتصادية الاقليمية او الجماعية بما يسمح بتركيز وترشيد الاستثمارات والانشطة الانتاجية على مستوى المنطقة العربية • اى بعبارة اخرى ، احلال نوع من التقسيم العربى للعمل فى مجال الصناعات الاساسية ومشروعات البنيان الارتكازى يحل محل تدويل الانتاج فى اطار صناعات مدمجة دمجا عموديا تنتشر اقسامها ومرافقها فى كافة انحاء العالم بينما يتم تركيز عملية اتخاذ القرارات فى مركز الشركة الدولية فى البلد الام • وفى اطار هذا التصور يمكن النظر للمشروعات العربية المشتركة كخطوة هامة فى هذا الاتجاه لاتبررها فقط ضرورة الاستفادة من وفورات الحجم او النطاق بل يبررها ايضا ضرورات تدعيم اطار المساومة الجماعية مع الشركات الدولية •

ويبقى لنا ختاما ان نقول انه فى هذا العصر الذى اصبحت فيه السيطرة على الشئون الاقتصادية المحلية فى مهب رياح الشركات الدولية ••• يجب ان ينشط الفكر الاقتصادى والقانونى العربى لتحديد اتجاهات وابعاد مستقبل عملية التنمية العربية وحتى تتجاوز ردود الفعل القصيرة الامد الى آفاق التخطيط الاستراتيجى الشامل لمستقبل المنطقة العربية حتى نؤمن لابنائنا مزيدا من (الخبز مع الكرامة) •

د • محمود عبد الفضيل

...فة المذاهب.. كافيا.. ...عصرنا!

...ة اليوجوسلافي
...ن جوزو

... المشكلات التى تعترض قيام ... ، دلالة واضحة على اننا ... ننا وصراطنا المستقيم ، وعن ... ليمنا وتعاليمنا الاسلامية • ... فى سبيل التخلص مما كنا ... نحطاط منالجمود والاستكانة ... ى اننا مادمنا نشعر بوجود ... ائمةامامنا نواجهها فى حياتنا ... عن حلولها ولا نتوقف فى ... كما لا نتوقف عند الحصول ... بست ـ على حد قول الامام ابى حامد الغزالى ـ فى قصور الحل ولكنها فى تطبيقه •

وقد اخترت لهذه المرة من تلك المشاكل المثارة والمطروحة على بساط البحث والمناقشة موضوع تطبيق الشريعة • وبودى ان اتناوله بما اراه فيه مما تلابسه من ملابسات وظروف وصعوبات •

ومن ملاحظاتى الاولى العامة بالنسبة الى هذا الموضوع اننا لا نزال نتغنى بالاسلامونرمى الكلام فيه بدون وعى وادراك • نقول ونردد القولدائما ان الاسلام صالح لكل زمان ومكان وانه يحتوى على افضل حلول لمشاكل عصرنا ، انه نظام شامل من شانه اسعاد الانسان وانقاذه من ويلاته ومآزقه التى وصل اليها رغم تقدمه العلمى والتكنولوجى الهائل المذهل •

هذه الادعاءات لا اقول انها مجرد ادعاءات وانه ليس هناك ما يبررها ، ولكنى اقول بكل اسف انه لم يحاول احد من اصحاب هذه الادعاءات ان يثبت صلاحية الاسلام بتطبيق مبادئه وتعاليمه فىحياتنا وابراز حلوله العملية لمشاكل تواجهها الحياة المعاصرة •

ومن نفس هذا النوع نداء بتطبيق الشريعة ، ذلك النداء الذى نسمع ترديده فى كل بلد اسلامى وهو نداء جميل يستحسنه كل مسلم ويستلذ به ، انه يشكل آماله وغاياته •

والواقع ان هناك حركات قوية ونشيطة تطالب باصرار شديد بتطبيق الشريعة فى جميع مجالات الحياة . وهذه الحركات تعبر تعبيرا صحيحا عن رغبة الجماهير المسلمة التى لها الفضل فى الحفاظ على الاسلام على الرغم مما مر به فى سيره من مصاعب وعراقيل وكوارث . وجدير بالذكر ان دساتير معظم الدول الاسلامية تنص بان الاسلام دين الدولة وبانه مصدر التشريع .

وهناك بعض البلاد الاسلامية تدعي بانها تقوم بتطبيق الشريعة وتنفيذ احكامها فى الحياة العامة.

ولكن السؤال المهم الذى يجب ان يطرح هنا ويوجه الى علماء الاسلام للاجابة عليه هو :هل يمكن تطبيق الشريعة بمفهومها العالى بجميع تفاصيلها وابوابها على كافة مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى الحياة المعاصرة ، التى تمتاز بمشاكل وقضايا معقدة فى منتهى التعقيد لم تكن موجودة من قبل ولم يتناولها المجتهدون الاولون . وبعبارة اخرى هل يمكن اقامة دولة حديثة بجميع فروعها من السياسة والاجتماع والاقتصاد على احكام فقه ابى حنيفة او على فقه الامام مالك والشافعى واحمد بن حنبل ؟

اننا نطالب الحكومات فى البلاد الاسلامية بتطبيق الشريعة،ولكن ما هى تلك الشريعة التى نطالب بتطبيقها والتى تلائم وتناسب وتتجاوب مع حاجات ومتطلبات عصرنا ، وتحتوى على حلول للمشاكل المعقدة التى عجزت النظم السائدة اليوم عن حلها حلا مرضيا .

وفى نظرى ان المطالبة بتطبيق الشريعة قبل القيام بالاجتهاد واستخراج الاحكام والحلول من المصادر الاسلامية لمشاكل حياتنا امر غير معقول .

ان الفكر الاسلامى ـ كما قلنا آنفا ـ صالح لكل زمان ومكان . ومعناه انه يحتوى بكلياته ومبادئه العامة على حلول لكل ما يتجدد ويحدث فى اى وقت وفى اى مكان . ومن هنا يتحتم على علماء الاسلام ان يحللوا هذا الفكر من جديد تحليلا دقيقا وشاملا بحيث يجدون فيه ويستخرجون منه كل ما تحتاج اليه حياتنا الحديثة من نظم وحلول واحكام لجميع مشاكلها .

ومع تقديرنا البالغ وتعظيمنا واجلالنا لائمة مذاهب الفقه الاسلامى فلا بد لنا من القول بان فقه المذاهب غير كاف وغير واف لحاجات عصرنا .

ولا يغيب عن اذهاننا ان معظم المنادين بتطبيق الشريعة يقصدون بذلك وجهها العقابى فحسب ـ اعنى اقامة الحدود ـ كأن الحدود فى نظرهم هى الاساس الوحيد الذى يقام عليه المجتمع الاسلامى. وقد اطلعتنا الجرائد والمجلات ان علماء الازهر قدموا الى مجلس الامة بمصر مشروع قانون الجنايات مبنيا على الشريعة الاسلامية ويحتوى على انواع مختلفة من العقوبات مثل عقوبة القتل والزنى والقذف وشرب الخمر والردة والسرقة وغيرها .

وهذا مما يدعونا الى التساؤل : هل مشايخ الازهر الشريف يعتقدون ان العقوبة هى الوسيلة الوحيدة او على الاقل خير وسيلة لاعداد الانسان الصالح وتكوين المجتمع الاسلامى وازالة الشر عنه وتحقيق سعادته ؟ واذا كان ذلك رأيهم فهما الشيخ عليش فى الواقع لا تزال حية تسعى !

والحقيقة ان هناك وسائل متعددة يجب استعمالها قبل انزال العقوبة . فعلى المجتمع الاسلامى ان يضمن للمقتضي ما يحتاج اليه من ماكل وملبس ومنزل ومركب قبل قطع يده عند ممارسته السرقة كما ذهب اليه الامام ابن حزم .

بيرابيغو ـ حسين جوزو

بقلم : الدكتور ابو الهدى فؤاد الاسعد

● في الوقت الذي تستيقظ فيه القارة الافريقية ، يبدو انه قد آن الاوان للاعتراف بان الادباء الزنوج الناطقين بالفرنسية يمثلون حركة ادبية واسعة المدى . وكان « سارتر » قد رحب في المقدمة الرائعة التي صدر بها « اورفيه نوار » وهي المجموعة المختارة من الشعر الزنجي الذي يعبر بالفرنسية ، والذي نظمه « ليوبولد سنغور » ، كان قد رحب بظهور شعراء القارة السوداء . واليوم ، نحن امام غزارة النتاج ، وتنوع الاسلوب وتعدد الابواب الشعرية ، والطابع غير المتنازع للامزجة .

كل هذا يدعونا الى تقدير الادباء الافريقيين من الناحية الجوهرية بصفتهم مبتكرين لحركة ادبية حقيقية . الا انه يجب الاعتراف بتكوين ظاهرة في مستوى الادب المعبر بالفرنسية ، ظاهرة لايمكن تجاهلها او الحط من قيمتها ؟ وقد يكون من الاجحاف بحق الكتاب الافريقيين ، دمجهم في خضم الادب الفرنسي ، كما انه من قبيل التحامل عليهم عدم اعتبارهم ممثلين لنهضة ثقافية لا هي بالفرنسية ، ولا بالغربية .

والحقيقة ان هؤلاء الكتاب لم يفعلوا اكثر من انهم استعملوا اللغة الفرنسية للبوح والتعبير احياء لعنصرهم ، ذلك ان جميع كتاباتهم تعبر بطرق متعددة عن الدافع الوحيد الذي اوحى اليهم في تلك الكتابات .

ان حركة الكتاب الافريقيين حركة مستقلة التراث ، ولايمكن اعتبارهم على هامش الادب ، ولا هم فى داخله بالرغم عنهم • اذ قد ينتمى احدهم الى المدرسة السوريالية ، وقد يكون احدهم من اتباع « كلودل » او «سان - جون - برس»• وكذلك قد يجد آخر مكانا فى الاتجاه الطبيعى المتاخر • ولم يوضع هؤلاء الادباء فى المكان الصحيح • فكم من الجهود الضائعة قامت للتضييق على هؤلاء الكتاب بادراجهم فى مراتب مصطنعة• فلماذا الابتعاد والهروب من تحديد مضامينهم الحقيقية ؟ لماذا يفضل الوقوع فى هذا الشطط والتجاهل الارادى ؟ فهم جميعا ، وهذا امر ظاهر، يتكلمون لغة واحدة ، ويعبرون كذلك عن المجتمعات الافريقية السوداء المستعمرة ليقدموا لنا صورة عن واقع عديم التفاؤل •

تعبير عن اليقظة

واذا ما اردنا تحديد معنى ، ومتناول الادب الحالي للمدرسة الافريقية الجديدة ، كان علينا ان نربطه بالارض التى انبتته ، حيث نمت جذوره واستشف مساحة من ترتبتها • من هنا يمكن تحديد الديناميكية التى تبعث من جديد فى الشعوب الملونة •

واذا صح فعلا ان الادب هو من المظاهر الاكثر اهمية فى الثقافة ، فما علينا الا ان نقرر مع « امه سيزير » بان ظهور المؤلفات الادبية فى المستعمرات ، ما هو الا ظاهرة تعبر عن اليقظة، واشارة الى ان هذه المؤلفات قادرة من جديد على تسلم زمام المبادرة ، واعادة الاعتبار الى المفاهيم الافريقية الفكرية بالنسبة الى العالم المهدد والمقسم من جراء الاستعمار •

افلا يقوم على عاتق الكتاب والفنانين الذين يدعوهم « سيزير » برجال الثقافة ، امر اعادة النظام بعد هذه الفوضى ؟ فهؤلاء المثقفون يوجهون تطلعات الشعب ، ويساعدونه على الوقوف من جديد فى مكانهم الصحيح من التاريخ ، فضلا عن تغذية مشاعرهم الوطنية •

وبكلمة منهم يقودون شعوبهم الى الحرية، وهذا هو اهم دور تقوم به هذه النخبة ، وهو الدور الذى اوضحه « سيزير » بكل وعى يوم حضر مؤتمر كتاب القارة الافريقية السوداء فى روما سنة ١٩٥٩ بقوله : « نحن فى هذا اللقاء نمثل المنطلق للنفوس ، وعلينا تقع مهمة ازدهارها • ونحن حجر عثرة امام الذين يدعون بعث الارواح، واقول ايضا ان مهمة الانسان الذى وقف نفسه لخدمة الثقافة الافريقية ،هى ان يهيىء التربة الجديدة للخلاص من الاستعمار ، لكيلا يكون ذلك تخلصا اعتباطيا منه • ذلك انه فى مستوى المجتمع الاستعمارى فان على صاحب الرسالة الثقافية ان يكسب شعبه وسيلة تعشق الحرية ، وهذا الرجل بالذات مهما كان اتجاهه ، اديبا أو فنانا ، يستطيع ان يمنح شعبه هذه الوسيلة • ذلك انه فى ظل قيام الاستعمار ، فان النشاط الثقافى المبدع المتقدم عن التجربة الجماعية الجامدة هو اصلا هذا الاكتساب • »

وقد بدا الغرب اهتمامه بالنتاج الثقافى الزنجى منذ نصف قرن ، ويعود فضل الاهتمام الى «فلامينك» و « ابولينير » اللذين مهدا الطريق لاكتشاف الفن

الزنجي في فرنسا • ذلك ان الاول قد افتتن بتمثال صغير ، فاراه بالتالي الى « بيكاسو » ، ولقد كان هذا بالنسبة الى « بيكاسو » اكتشافا جديدا ،اذ اننا نقف من خلال هذا التمثال الصغير على تلاقي الرسم مع الفن التكعيبي عامة •

وقد راح « ابولينير » يبحث عن الالهام بالقرب من الاصنام الوثنية في اوقيانيا ، وفي غينيا ، وقد حصلت ثورة في عالم الموسيقى بعد الحرب العالمية الاولى ،يوم نقلت من امريكا موسيقى الجاز والبلو، ومع اعمال « ليوفروبنيوس » ، ومؤخرا اعمـــال « موريس دلافوس » حول تحديد السلالات البشرية، تحولت الانظار الى زنوج افريقيا الذين ساد الاعتقاد عنهم في ذلك الوقت بانهم جد بعيدين عن اى نوع من الحضارة •

مشكلة الواقع الاستعمارى

وفي سنة ١٩٢١ ، عرفت المنتخبات الادبيات نجاحا حقيقيا ، وكانت عبارة عن مجموعة من الاساطير الافريقية ، جمعت ورتبت حسب موضوعاتها على يد « بليزلندراس » وفي السنة ذاتها ، كانت(باتوالا) وهي رواية بكل معنى الكلمة ، لطابعها الافريقي ، للروائي:رين ماران قد حصلت على جائزة(جونكور) (Goncourt) _ ، ولكنها حدثت فضيحة •

وما ضر أن يكون علم السلالات البشرية للعنصر الزنجي قد يقى ماضيا مجيدا اكثر مما كنا نتصور، وان يكون الزنوج اليوم ، فنانين ، كبارا ، اذ ان الفن الاجنبي يسمح بالتالي للغربيين أن يتخلصوا من وضع سياسي ونفسي مضطرب جدا ، في هذا العصر •

ولكن المشكلة هنا ليست متعلقة بالفن اوبالعلوم، دائما هي تتعلق بالواقع الاستعمارى ووجهة النظر الفرنسية التى لم تكن تضع على بساط البحث من قبل الزنوج ، الا التفوق الاوروبي وحقه في الاستعمار • ذلك ان بعض الزنوج الذين حاولوا ان يخوضوا في مضمار الاداب والفنون ، قد ساروا الى الفشل بخطـى سريعـة • ومن دلائـل ذلك ان مجلة : (La Revue du monde noir) ، قد احتجبت بعـد صدور ستة اعداد منها (هذه المجلة كان هدفها الاساسى ثقافيا) ، وقد منعت المجلة المسماة «صرخة الزنوج » ، لانها كانت مجلة شيوعية بحتة !

وبالرغم من مبدا الالتزام للغرب الذى تحاول باريس ان تحافظ عليه ، صونا لسمعتها الادبية، وبانها ملتقى ثقافات الغرب ، فان العاصمة الفرنسية قد منحت الفتيان الزنوج القادمين اليها لتلقي علومهم ، بيئة مواتية لبعث جميع الانتفاضات الفكرية ، وخاصة ما بين ١٩٢٨ ، ١٩٤٠ •

فالطلبة الافريقيون (طلبة جزر الانتيل)وجدوا انفسهم في خضم فكرى هائج ، وسياسى غريب •

ومن جديد طرحت الفلسفة والاداب والفنون ، ابتداء من هذا القرن ، الاسس الثقافية للمجتمع الفرنسي ، ذلك ان جميع مرتكزات الحركات الفكرية ، في العصور المنصرمة ، من قياس وعقل وتقدم، وحقيقة مطلقة فقدت عظمتها ، واحيطت بالتالي بغموض منهل حرر الروح والاحساس من كل عقال• ■■

د • ابو الهدى فؤادالاسعد
بيروت /لبنان



استانبول :
لتحفلكن



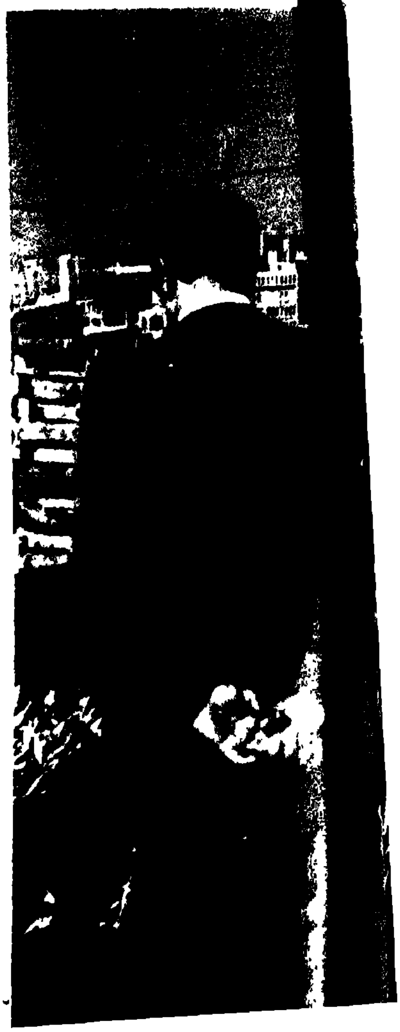
جسر البوسفور ملتقى اوروبا وآسيا ، افتتح عام ١٩٧٣ بعد ثلاثة اعوام ونصف من البناء، وهو جزء من طريق علوى بين القارتين ..

استطلاع :
مصطفى نبيل

تصوير :
عبد الناصر شقرة



لوحة لفنان تركى فى مجموعة متحف طوبقابى الشهير ، وتمثل الفرقة الموسيقية لحرس السلطان احمد(١٧٠٣ ـ ١٧٣٠ م)



ضفتا القرن الذهبى الذى يشق المنطقة الاوروبية ، ويظهر احد تلال المدينة ، فعلامات الجمال فى استانبول المياه واليابسة والتلال والحداثة والتقدم ..

■ فى داخل المتحف المسكون • فى استانبول ، هذه الرحلة •
فى المدينة التى شهدت تعاقب الحضارات، والتحم فيها المحاربون ، وفاضت بالدماء وتعاقبت عليها الممالك والدول ، والتقت الامبراطوريات القديمة والحديثة لقاء الصراع والدم والحديد ••
ملتقى الشرق والغرب ، المدينة الوحيدة التى تتمدد فوق قارتى آسيا واوروبا ••
بلد المساجد والقصور والقلاع التى استمرت ١٦ قرنا من الزمان عاصمة لاقوى الامبراطوريات •
كانت القسطنطينية عاصمة الامبراطورية القلب على تاريخها المتالق فلم تعد حتى الخلافه الاسلاميه ، وتقف الان كسرة البيزنطية ، وكانت الاستانة عاصمة عاصمة لتركيا ••
يشدها تاريخها نحو الشرق ، ويشدها حاضرها نحو الغرب ••

من على ظهر باخرة تقطع مضيق البوسفور شاهدت لوحة استانبول بما تضمه من قصور وقلاع ومساجد وآثار تاريخية • فكانك ترى « بانوراما » لديكور سينمائى على شاطىء البوسفور ، وانت امام متحف تاريخى يسكنه البشر وتتعاقب على صفحاته ثلاث حضارات : الرومانية والبيزنطية والعثمانية •

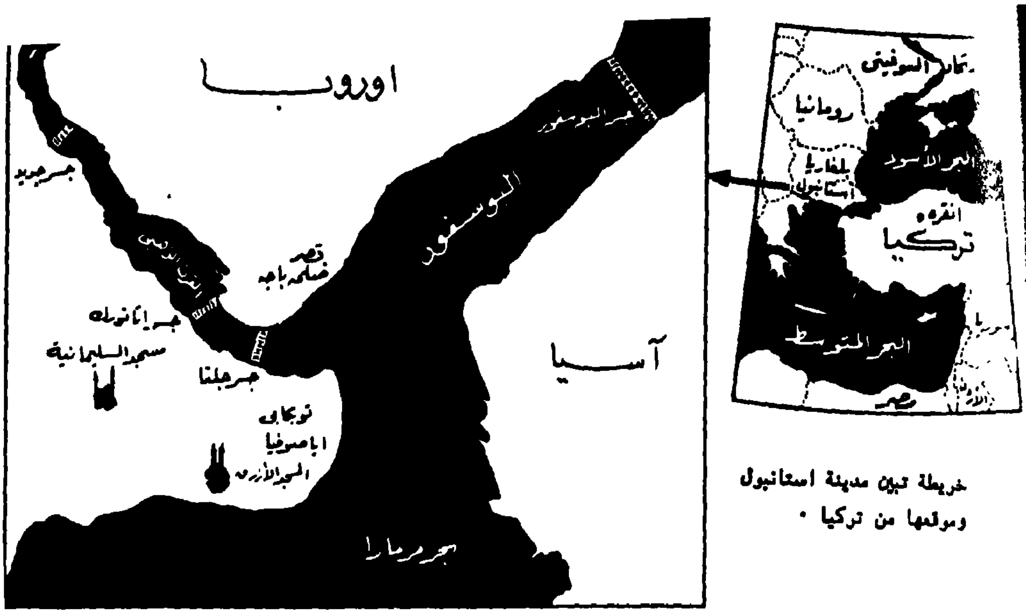
الباخرة تشق طريقها بصوتها الرتيب عند الحد الفاصل بين اوربا وآسيا • فتلك هى البلدة الوحيدة التى ترتمى بين قارتين وتحمل هويتين احداهما اوربية تشدها الى الغرب والاخرى آسيوية تشدها الى الشرق • وهذا الموقع المتميز كان سر المعارك الطاحنة التى قادها حولها الاباطرة والقياصرة والسلاطين •

بدات الباخرة عند بحر مرمرة متجهة الى البحر تخترق المياه الزرقاء والمشهد التاريخى بعظمته وجلاله ، ويزداد المشهد تالقا مع اشعة الشمس الذهبية التى تعطى المبانى العتيقة رونقا وحداثة، ويقود الباخرة قبطان ذو شوارب مفتولة وكانه يقود اسطولا الى البحار الواسعة ، وعليه كل مظاهر العظمة والتعالى ، ترددت فى ان اطلب اليه السماح لى وزميلى المصور بالصعود على ظهر الباخرة للتصوير وادهشتنى الاستجابة الودودة لكل ما اطلب ، تقف الباخرة خلال رحلتها خمس عشر مرة متنقلة على ضفتى البوسفور فى عرض يبلغ عند بحر مرمرة ٢٥٠٠ متر ويصل عند البحر الاسود الى ٤٧٠٠ متر ، وترى خلالها قصر « ضولمة بغجة » الذى يشبه العقد على جيد البوسفور • وبعد فترة وجيزة نصل الى قلعتى روميلى حصار واناضول حصار على ضفتى البوسفور وحولهما اغنى احياء استانبول • فالجولة البحرية فى مضيق البوسفور وخليج القرن الذهبى تكشف ما يميز البلدة واحد اسرار جمالها وروحها الخاصة وهى امتدادها فوق البحر واليابسة عندما تتسع بها رقعة المياه فيشق الجانب الاوروبى القرن الذهبى بعمق خمسة اميال وحتى قلب قسمها الاوروبى ، مما جعل الانتقال ايسر عن طريق الخطوط البحرية بين اطراف المدينة المكتظة بالسكان والتى يزيد عدد سكانها عن الاربعة ملايين ، وترى من البحر المدينة وهى تنام ـ مثل روما ـ على تلال سبعة فوق كل منها اثر تاريخى ••

ومن على ظهر الباخرة وقرب جسر غلطه على القرن الذهبى شاهدت اجمل مناظر استانبول واكثرها جلالا ، قصر طوبقابى فوق التل التى والذى حكم منه سلاطين ال عثمان وهم يجلسون على عروش من ذهب ، وحوله المسجد الازرق بماذنه الست ، والى جواره آياصوفيا بلونه الليمونى وطرازه البيزنطى وماذنه الاربع ، وتتابعت مناظر المساجد والقصور التى تاخذ القلوب ويبلغ عدد مساجدها ما يزيد عن ٥٠٠ مسجد ، وتحكى المبانى التاريخية للمدينة دراما التاريخ ، البزوغ والسقوط لاقوى الامبراطوريات، الصراع الدامى بين الحضارات والامبراطوريات وصراع الاقدار والافكار ••

لنشات السمك المقلى ••

تنتقل العين لترى اللنشات الصغيرة على الشاطىء وجوار الجسر كمحال لبيع السمك المقلى الذى تتلقفه الايدى المكدودة من العمالين الذين يحملون على ظهورهم البضائع ، وجوه مختلفة اللون



خريطة تبين مدينة استانبول وموقعها من تركيا .

والملامح غجر .. اسبان .. عرب .. اكراد ، خطوط الشخصية واسلوب التعبير اقرب الى الشرق منها الى الغرب ، يتجمعون في الساحة امام جسر غلطه مركز المدينة التجارى والسياحي ، خلفية الساحة احد المساجد التاريخية ، وحوله الحمام الذى يلتقط الحب الذى يلقيه السياح . وبجانبه الشاحنات الضخمة المتجهة الى الميناء والعربات التى تجرها الدواب وايضا السيارات الامريكية الفارهة ، كل ما حولك مزدحم وترى الفتيات التركيات بملابسهن الاوربية الى جوار السيدات القادمات من مدن الاناضول مازلن مغطيات الرؤوس ، وتبدى بين الجموع عدد كبير من السياح قدموا ينقبون عن الحضارات المتعاقبة فى شوارع المدينة التى تتجاور بها الاضداد ..

ويحرص السياح على ارتياد الاسواق القديمة لطعمها الشرقى الخاص وطرازها التاريخي والقريبة من الساحة ، فهى اسواق مغطاة بالقباب لا تكاد تميزها عن اى سوق عربي ، مضاءة بالليل والنهار محاطة بالمساجد ذات العمارة الاسلامية ، ويصل الى اذنيك من المقاهى والمحلات الموسيقى الشرقية التركية وكانك فى حى الموسكي بالقاهرة .

ويزهد السياح فى الاسواق الحديثة التى لا تضارع على اية حال اسواق لندن او باريس او فينا ، ويميزها ان اغلب منتجاتها صناعة تركية تسعى للوصول الى مثيلتها الاوربية ..

وفى شوراع استانبول لا يمكن ان تشعر ان هذه مدينة غربية الروح فى الملامح ، وربما كان اول ما تلاحظه من مظاهر كثرة عدد ماسحى الاحذية بصندوقهم المميز المحلى بالنحاس الاصفر وعلى جانبيه الاعلام التركية ، وحركة المرور من حولك مزدحمة بالسيارات وكان الازدحام والفوضى يكادان يوقفـان المرور ، وتنتشر فى تركيا مثل « الاناضول » او التى جمعت فى مصانعها مثل « الفيات » و « الرينو » ، وتشعر أن المواطن التركى معتز ومتميز لاصله ولغته فمن العسير ان تلتقى بمن يعرف لغة اجنبية ، والجامعات تدرس كافة العلوم باللغة التركية ، وعندما تنتقل الى حوافى الشوارع الحديثة تسقط فى احياء فقيرة بادية الاعياء ، فعلى قدر ماتضم المدينة من اغنياء تعدت ثرواتهم المليون ليرة والذين يقطنون حى بابيك على ضفاف البوسفور او يعيشون فى الجزر الاربع لبحر مرمرة توجد اعداد غفيرة من الذين طحنهم الفقر والقادمين من الاناضول يبحثون عن فرص العمل ، او الواقفين ينتظرون تاشيرات للعمل فى دول اوروبا الغربية ..

مدينة الهيبيز

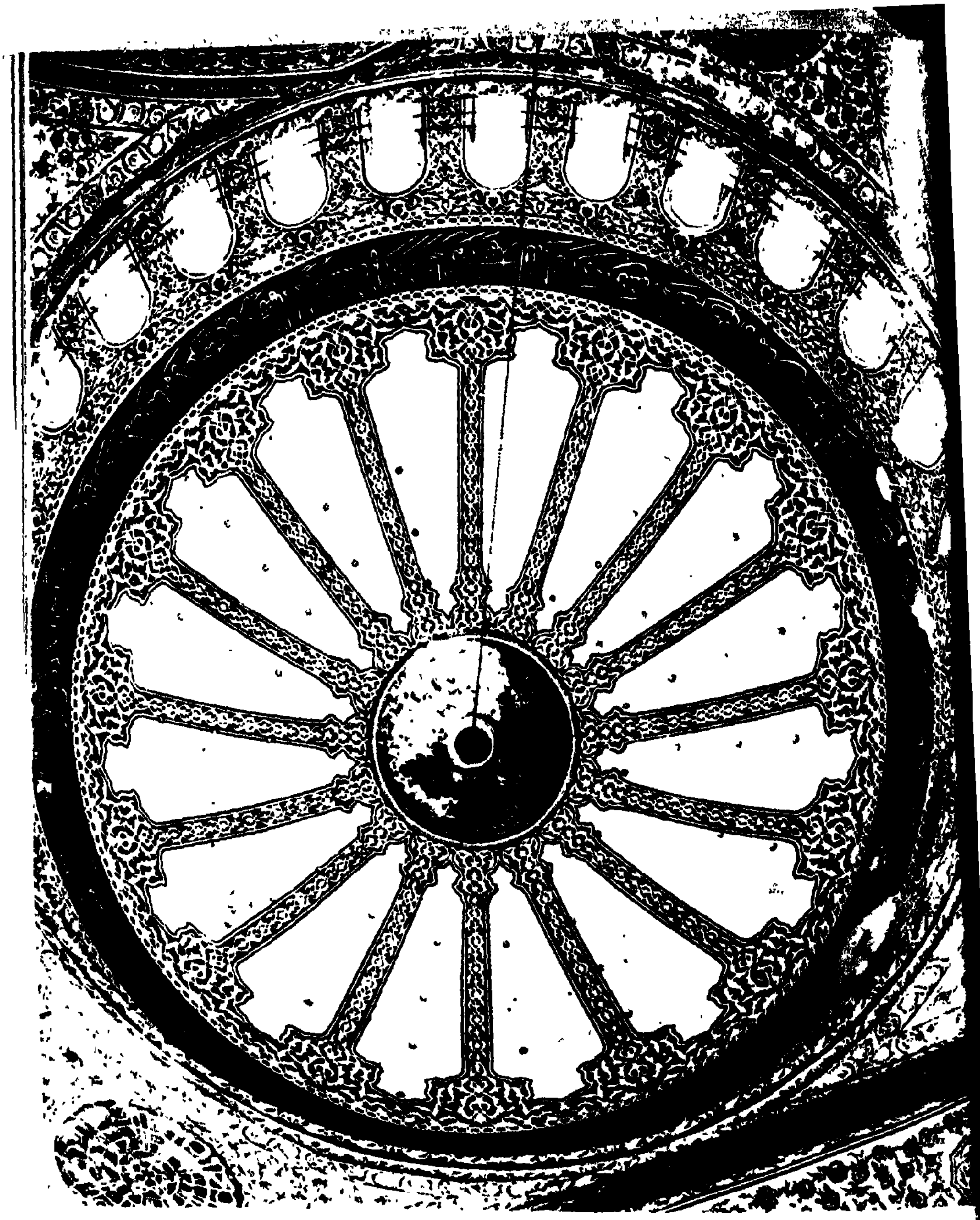
ولعل طعم العصور الوسطى الذى يلقى بظلاله على بيوت وقصور المدينة جعلها المفضلة ، ولعل شرقيتها ادت الى ان يعشقها « الهيبز » ، فداخلها يشعرون بالافلات من قبضة الحضارة الغربية والانعتاق من ماديات المجتمع الغربى وقيمه ، فيقفون طويلا امام تلك البيوت الخشبية متعددة الطوابق بطرازها البديع والبسيط وبمشربياتها المملوكية ، والارابيسك الذى يغطى شرفاتها . ويعشقون الحمام التركى الذى مازال يحتل مكانته



ماسح الاحذيـة بصندوقـه وقد زينه صاحبه بالنحاس الاصفر والصور والاعلام، ورغم مايبدو من الصلـف على مظهره فهو انسان طيب كريم ٠

على جدران احد المساجد فى مدخل السـوق المغطى عرض أحد البـاعة نماذج من الفـن الاسلامى التى يولع بها الاوروبيون ٠٠





مسجد السليمانية الذى اقامه المهندس سنان ،وهو اول مسجد يقام بلا أعمدة وقبل الوصول الى « الخرسانة سابقة الاجهاد » يعتبر تحفة في فن العمارة ..

وفى قبة المسجد سورة النور « الله نور السماوات والارض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ،يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم ، فى بيوت اذن الله ان ترفع ، ويذكر فيها اسمه،يسبح له فيها بالغدو والآصال »

وكانه الرد الثابت على كل ما تشهده تركيـــا الحديثة .

وفى مركز القبة الآية الكريمة فى سورة فاطر« ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا »

في حياة المدينة وهو الحمام التركي الذي يدار هذه الايام بوسائل حديثة وطبية .

وتسعى سلطات المدينة بدل الوسائل لوضع الحواجز امام الاوربيين العفاة الذين يزحمون شوارعها وينشرون الحشيش والماريجوانا وينامون حول الاثار التاريخية . ولا يكادون ينفقون شيئا ، وخاصه والمدينة تخنقها الازمات من كل نوع ، ازمة اسكان طاحنة ويكفي ان تعرف ان الايجار الشهري لسكن متوسط في استانبول يبلغ ٢٠٠٠ ليرة ، وايجار قصر يطل على البوسفور خلال شهور الصيف الثلاثة يبلغ نصف مليون ليرة ، وتعاني من البطالة بعد وضع القيود على الهجرة الى الدول الاوربية وبعد ان وصل عدد العمال الاتراك في المانيا وحدها ما يزيد عن مليون عامل تركي ، وازمة النمل بين احيائها وتلالها ومياهها مع صعوبة ازالة البيوت الاثرية مما يضع صعوبات كبيرة امام تجديد شبكات التليفونات والكهرباء والمياه ، وكل هذه المشاكل امام لجنة من الخبراء والاساتذة تبحث مستقبل المدينة وحل مشاكلها في اطار استانبول الكبرى التي تضم ٣٤ بلدة ، كما قال لي عمدة المدينة ـ وقد قررت اللجنة اقامة شبكة من الانفاق والطرق العلوية لحل مشاكل النقل بين اطراف المدينة ، وهناك عروض من كل من فرنسا والمانيا والاتحاد السوفياتي لاقامة هذه الشبكة ويضيف عمدة استانبول قائلا :

« لا احد يعرف على وجه الدقة متى يبدأ هذا المشروع او متى ينتهي ، فحتى ايران وهي لا تعاني من مشاكلنا الاقتصادية تقدر مشروع الانفاق بطهران بمدة عشر سنوات »

وقال مرافقي وعلامات الحزن في عينيه :

« رغم ان العاصمة قد انتقلت عام ١٩٢٣ من استانبول الى انقرة وسط الاناضول ، بعد ان بقيت ١٦ قرنا من الزمان عاصمة هامة ، الا انها مازالت تعيش ماضيها المتالق وذكريات مجدها الغابر وظلت قلب تركيا الثقافي والاقتصادي ، وبوابتها التي تمر عبرها اغلب الصادرات والواردات » .

استانبول الاسلامية

لننتقل الان لقراءة جديدة في آثار استانبول الاسلامية التي تكاد لا تضارعها بالثراء سوى مكة والمدينة والقدس ، فقد جلب سلاطين ال عثمان عندما كانت الاستانة عاصمة الخلافة الاسلامية كل الاثار الاسلامية الهامة الى هنا ..

من علامات استانبول تلك القلعة الشامخة رمز النصر الاسلامي ، تقف بجلال باسوارها العالية وابراجها على البوسفور تعكس الصراع التاريخي الذي شهدته استانبول ، وهو المشهد الذي اختير على طوابع البريد التركية ، الصمت عميق والسكون له صوت قادم من الماضي البعيد ، وعند اضيق نقطة على المضيق تقف قلعتان على ضفتي البوسفور هما: روميلي حصار واناضول حصار ، القلعتان وزرقة البوسفور تتناغم مع المكان وتنقلك الى العصور الوسطى ، ولا يعيدك الى العصر الحالي سوى ظهور احدى البواخر الضخمة مخترقة البوسفور ، وهاتان القلعتان من اهم الاعمال العسكرية التي شهدها العصر الذي اقيمت فيه ، واقيمتا تمهيدا لفتح القسطنطينية ولاحكام الحصار حولها ومنع المساعدات الخارجية من الوصول الى سكان المدينة المحاصرين ، واقام قلعة اناضول حصار السلطان بايزيد واقام السلطان محمد قلعة روميلي حصار .

القلعة والمكان من حولها يرويان اهم فصول الصراع بين الشرق والغرب ..

كانت القسطنطينية هدفا لمحاولتين اسلاميتين قادمتين من الشرق ، اولاهما عام ٤٨ هجرية عندما جهز معاوية بن ابي سفيان جيشا لفتحها بقيادة سفيان بن عوف وخرج معه الصحابي عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وابو ايوب الانصاري ، وتحطمت الحملة على ابواب القسطنطينية ولقي الصحابي ابو ايوب الانصاري حتفه على اسوارها ، والمحاولة التالية في عهد سليمان بن عبد الملك عندما اخفقت حملة بقيادة مسلمة بن عبد الملك بن مروان ...

وبعد قيام دولة ال عثمان كان استقرارها يمر بالقسطنطينية ذات الموقع والاهمية الاستراتيجية . وهي مركز المسيحية الشرقية ومعقلها الاخير في شرق اوروبا ، وكان العثمانيون في عنفوانهم ولديهم قيادة شابة طموحة ، وراءها انتصارات حاسمة وسريعة .

وقاومت المدينة مقاومة عنيدة يساعدها شجاعة امبراطورها قسطنطين الذي كان عنيدا باسلا في دفاعه

عن مرشهودينه ، ويكفى انهقتلعند اسوارها خلال دفاعه عنها .. ووقف المؤرخون طويلا امام فتح القسطنطينية فيرى المؤرخ جيبون فى مؤلفه «فيامسقوطالامبراطورية الرومانية» ان العداءبين الكنيستين الشرقية والغربية من اهم اسباب انهيار الامبراطورية البيزنطية ، ويروى كيف قال الوزير الاول حين كان العثمانيون على ابواب القسطنطينية ، انه يفضل ان يرى فى شوارع المدينة عمامة « محمد » على تاج البابا او قلنسوة الكاردينال ..

وهذا ما يحدث دائما عندما نكون امام دولة آيلة للسقوط ، وها هو الشاعر الايطالى بترارك يعبر عن نفس الموقف بقوله « العثمانيون ليسوا سوى اعداء لنا اما اليونانيون فهم اكثر من كونهم اعداء ، العثمانيون يكرهوننا ويخشون باسنا الى حدما ، اما اليونانيون فهم يكرهوننا ويخشوننا بكل جوارحهم . »

الا يذكرنا هذا الموقف التاريخى بموقف مشابه اتخذه المسلمون فى الاندلس عندما عجزوا عن توحيد قواهم فى مواجهة الغزو الصليبى ، واليس هذا ايضا يشابه الموقف الراهن فى الوطن العربى عندما يتردد العرب فى توحيد قواهم امام الغزو الصهيونى .. !!

الحكمة المقدسة

ولننتقل الى اثر تاريخى بيزنطى آخر يكمل القصة ، الى اياصوفيا بلونها الليمونى وتاريخها الفريد ، والتى كانت تعتبر احدى عجائب الدنيا .

شهدت اياصوفيا الفصل الاخير فى حياة الدولة البيزنطية ، فلقد بذل قسطنطين قصارى جهده للحصول على دعم العالم المسيحى وتوحيده فى مواجهة العثمانيين ، واخيرا استجاب بابا روما ووعد بمساعدة قسطنطين شريطة خضوع الكنيسة الشرقية للبابوية ، واستسلم قسطنطين واقيم فى كنيسة اياصوفيا قداس برئاسة الامبراطور،واعلن توحيد الكنيستين ، فى ذات الوقت الذى تدك فيه مدافع السلطان محمد اسوار البلدة ، وترك هذا العمل ـ الذى جاء بعد فوات الاوان ـ شعورا عميقا لسكان البلدة ان البابا استغل الظروف لتحقيق مآربه ، وقاوم اليونانيون سيطرة البابا ومدافع السلطان محمد حتى سقطت المدينة . ودخلها محمد الفاتح على صهوة جواده وعندما



قلعة روميلى حصار التىاقامها السلطان محمد مع ثلاثة آلاف من رجاله .

وصل الى كنيسةاياصوفيا ووجد احد جنودهيضرب بسيفه قاعدة رخامية نهره معلنا تحويلها الىمسجد بعد ان اقام لها اربع مآذن ..

طوبقابى

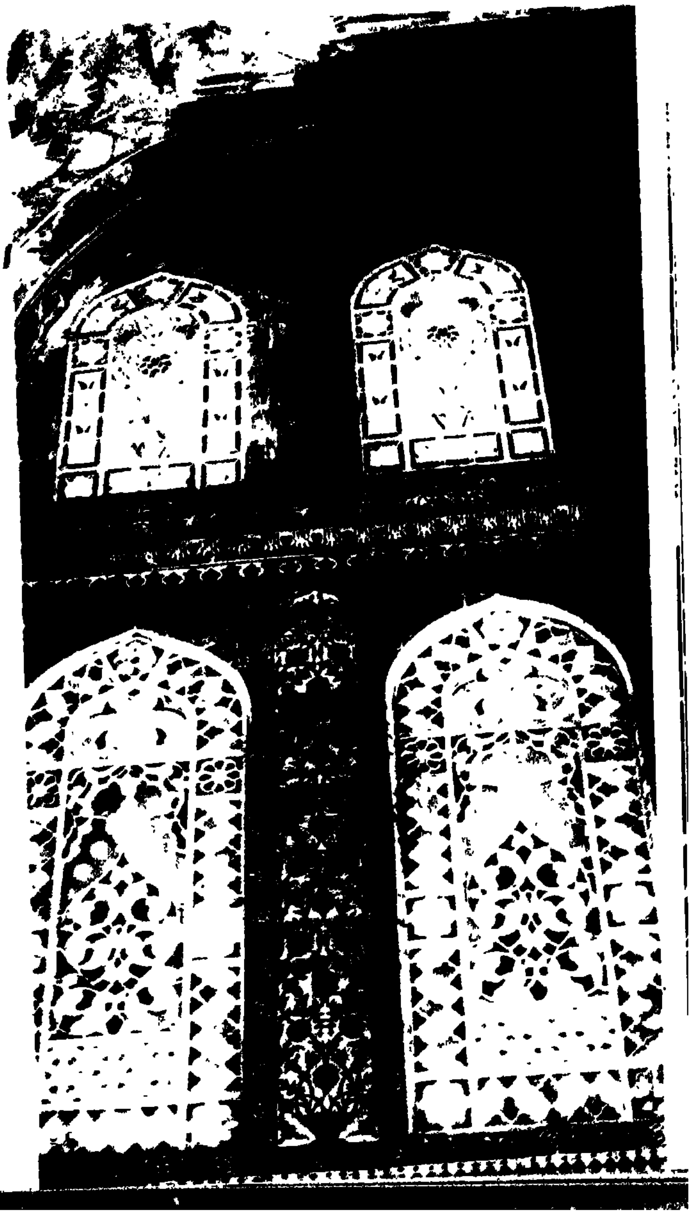
والى جانب القلعة والسور واياصوفيا اقام محمد الفاتح قصرا مهيبا على التل الثانى هو قصر طوبقابى يثبت به العثمانيون ان لديهم الى جانب الامجاد اضافة حضارية وفنية ذات اصول عربية وفارسية شرقية .

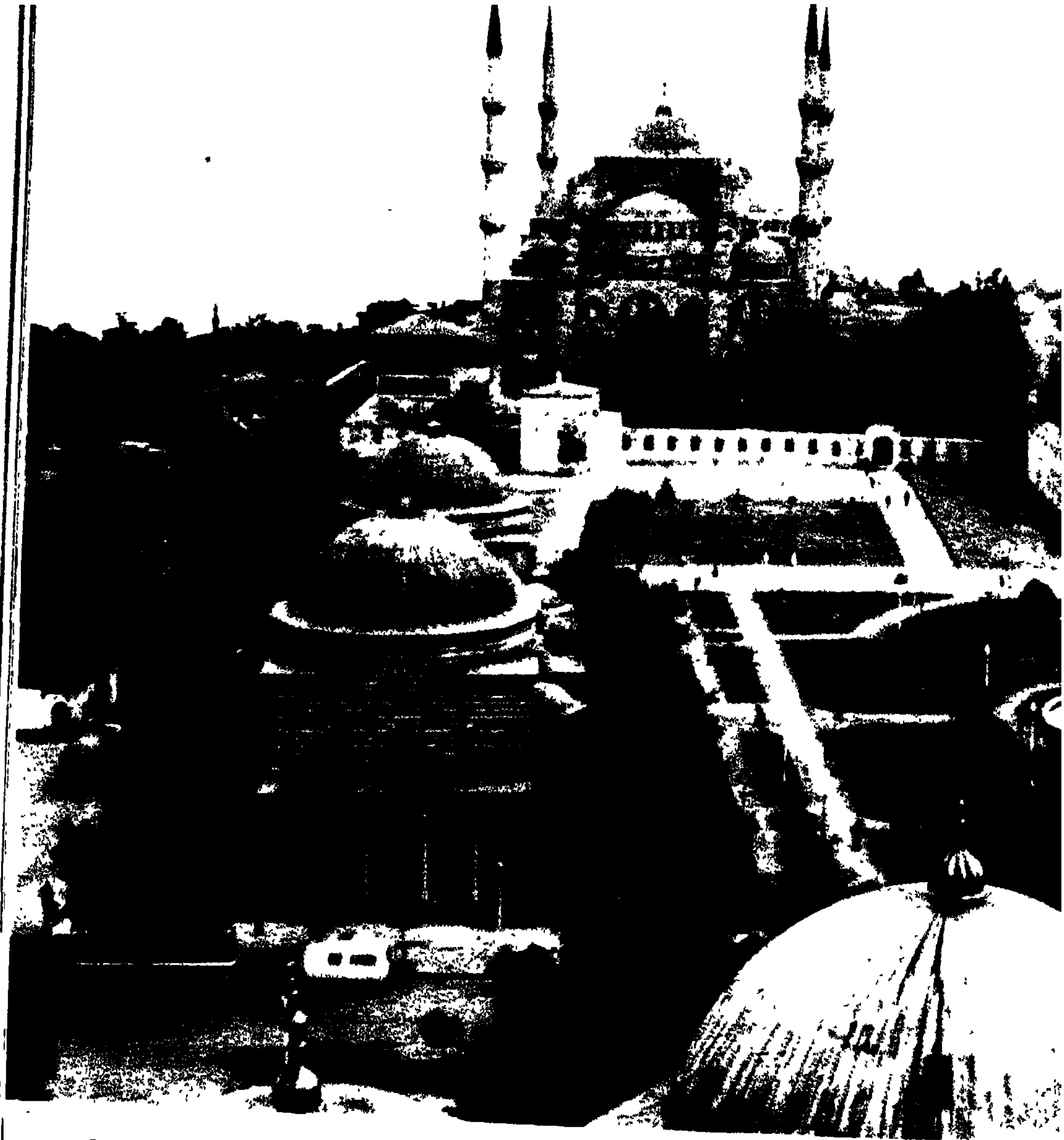
اخذ مرافقى يشرح قائلا : « كان قصر طوبقابى مقر حكم آل عثمان لفترة طويلة ، وحوله بيوت الوزراء والاصدقاء والعسكر ، والى هذا المكان

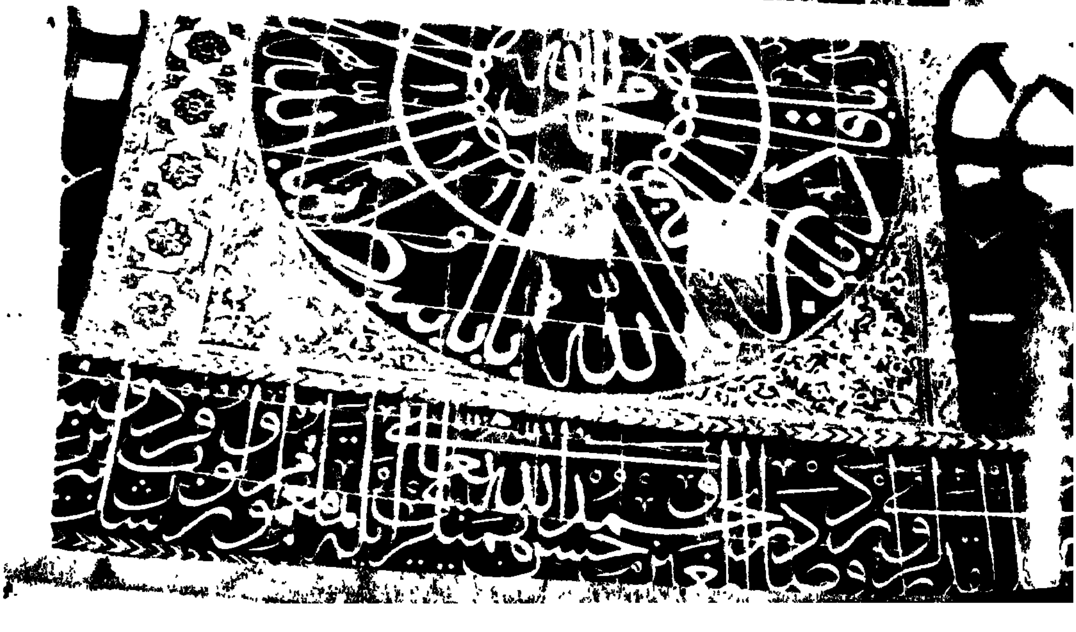
مسجد السلطان أحمد ـ المسجد الازرق بمآذنه الست (رمز استانبول) من اجمل مساجد العالم عمارة وزخرفة ، ويطلق عليه المسجد الازرق لزخارفه ونقوشه الزرقاء ٠

والصورتان للنقوش الداخلية للمسجد وشبابيكه التى تظهر جمال الفـــن الاسلامى ٠









بعشرين الف درهم ، وتضم الامانات المقدسة ايضا شعرة من لحية النبى ، وعصاه المصنوعة من خشب البامبو وسيف عمر ، وكان سلاطين آل عثمان يتبركون بها ويضعونها فى صندوق خشبى خلف عروشهم ، كما يضم طوبقابى رسالة الرسول الى المقوقس عظيم قبط مصر والتى عثر عليها بارشليه الفرنسى فى دير مصرى فاهداها للسلطان عبد المجيد • وتمثل هذه الامانات المقدسة شعائر الخلافة الاسلامية ، بعد ان فتح سليم مصر اخذ معه كثيرا من العمال المهرة والاشياء الثمينة•

وجاءنى صوت مرافقى قائلا : ان لدينا مثل يقول « نزل القرآن فى الاراضى المقدسة ، وقرىء فى مصروحفظ فى استانبول •• »

وهنا يحيطك الفن الاسلامى من كل جانب ، اللوحات الفارسية والتركية والعربية • اعداد كبيرة من اللالىء المحلى بها الخناجر والعروش ، ويظهر الفن الاسلامى بخطوطه العربية فى النقوش ذات الوحدة الاساسية التى تكونت فى الشرق ، وتظهر فى العمارة والموسيقى والابسطة والقباب ، تسمعها وتلمسها وتتذوقها فى كل وحدة من الفن الاسلامى •

ويرتاد المتحف المسلمون من كل انحاء العالم ، ويفتن السياح الذين لا يخفون اعجابهم بمقتنياته، وقد صور داخله احد الافلام الامريكية المعروفة لتنقل الكاميرا كنوزه من خلال قصة عصابة تسعى الى سرقة ماسة ضخمة من المتحف •

جسر الى اوروبا •• أم للعودة الى آسيا ؟

انتقلت سيرا على الاقدام بين اوربا واسيا فوق جسر البوسفور ولفحة هواء الصباح القادم من الشمال تنعشنى ، عدد هائل من السيارات ينساب من آسيا الى اوروبا وبالعكس ، امشى فوق اشهر جسر فى العالم • فهو الوحيد الذى يربط بين قارتين ، وهو رابع اطول جسر فى العالم ، ويشبه الى حد كبير الجسر الذهبى فى سان فرانسيسكو والجسر المقام فوق خليج بريستول فى ويلز البريطانية •

وهذه ليست المرة الاولى التى صافحت فيها اوروبا آسيا فقد سبق لملك الفرس داريوس أن ربط بين القارتين عن طريق البواخر التى اصطفت



أحد البيوت الخشبية الى جوار جزء من سور المدينة

كانت تفد البعثات الدبلوماسية من كل انحاء العالم ، وتحول القصر الان الى متحف يضم مجموعة من اهم الاثار الاسلامية ،ويضم كافة آثار الدولة العثمانية ، وبه مقتنيات من كافةانحاء العالم الاسلامى ، ويحتوى على عرش فارس الذهبى ، واهم ما يحتويه « الامانات المقدسة » والتى نقلت اليه من القاهرة » •

وتشمل الامانات المقدسة مصحف عثمان اول مصحف مدون بالخط الكوفى ، وبردة النبى التى اهداها الى الشاعر كعب بن زهير عندما القى قصيدته « بانت سعاد » بين يديه عليه الصلاة والسلام ، وهى البردة التى حاول معاوية شراءها من كعب بعشرة الاف درهم فابى • ثم باعها اولاده

ى جوار بعضها واحكم ربطها ، وعبر عليها ٧ لاف منرجالهالىاوروبا فى القرن السادس ق٠م ٠

وهو عمل هندسى كبير يرتفع فوق سطح الماء ٦٤ مترا ليسمح بمرور أعلى البواخر واكبر الناقلات ، ومن فوقه يمكن رصد وحصر البواخر والقطع البحرية السوفيتية التى تتجه نحو المياه الدافئة ، والجسر جزء من « اتوستراد » بين آسيا واوروبا ، وبلغت تكاليفه ٢٤ مليون دولار واقيم فوق المضيق عندما يبلغ اتساعه ٣٥٤٢ قدما ، ولم يحل الجسر الى « التقاعد » تلك البواخر التى تنقل ابناء استانبول وسياراتهم وبضائعهم بين احياء المدينة الموزعة بين القارتين ، والاقبال عليها كبير ، ربما بسبب العشر لسيرات التى تدفعها السيارة التى تعبر الجسر ، وهى غالبا ما تكون الوسيلة الارخص والاسرع للتنقل ٠

وفوق الجسر لا تستطيع انتوقف سؤالا ملحا ٠٠ هل هذا الجسر من اجل اندفاع تركى نهائى نحو الغرب أم لعودة تركيا نحو شاطئها الاسيوى الشرقى ٠٠ ؟

فانتماء تركيا وجذوره وابعاده التاريخية والثقافية هى القضية التى تطرح نفسها بالحاح على زائر استانبول ، فبقدر ما يصبح انتماء لندن او طوكيو او القاهرة مسالة بديهية ، نجد هذه البديهية محور صراع وحوار بين الحضارات فى طراز المبانى واسلوب الحياة ، فرغم وضوح بصمات الشرق فى مقر الخلافة الاسلامية التى استمرت خمسة قرون ، الا ان الموقف الرسمى يتنكر لذلك ، فبعد ان كانت الدولة العثمانية تشمل ٢٠ مليون كيلومتر مربع وتضم ٩٥٪ من الدول العربية ، وكانت هذه الدولة التعبير عن الحضارة الاسلامية بروافدها العربية والفارسية والتركية ، ادارت تركيا ظهرها للشرق واتجهت الى الغرب ، فتركيا الحديثة قامت كنقيض للدولة العثمانية الاسلامية فى رحلة طويلة ومريرة ٠

وقد استقبلت تركيا الحديثة بحفاوة وترحيب من المستشرقين الغربيين باعتبارها اقوى حركة تحديث بين الدول الشرقية الاسلامية ، وبعد ان سعت تركيا الكمالية الى تقليد الليبرالية الغربية فى كافة التفاصيل حتى فى استبدال القبعة بالطربوش ٠٠

والتجربة التركية الراهنة اثبتت ان هذه الاسئلة ما زالت قائمة :

فاذا كانت الدولة العثمانية قد انتهت فهل قامت حقا تركيا العلمانية الجديدة ٠٠ ؟

وهل يمكن تحويل مجتمع شرقى الى مجتمع غربى بتغيير الازياء وحروف الكتابة ، وتحويل الاجازة الى الاحد بدلا من الجمعة ، وان يتم هذا بسلطان القانون ٠٠ ؟

وهل تركيا طائر يغرد فى غير سربه ، وهل يتعامل معها الحلفاء الغربيون كند لهم ٠٠ ؟

قفزت هذه الاسئلة الى ذهنى وانا اسير على جسر البوسفور واتطلع الىاجمل الاثار الاسلامية، واحاور رفيقى حول هذه القضية ٠

ولنبدأ القصة من اولها ، فمنذ قيام الدولة العثمانية وحتى اندحارها وهى فى صدام مع الغرب ، فالاتراك كانوا قوة عسكرية تقدمت فى لحظة تاريخية لصد الغزو الخارجى عن العالم الاسلامى ، ثم دفع الغزاة الى وراء حدودهم ، وقد ظهروا على المسرح السياسى قادمين من آسيا الوسطى ، واول وفادتهم كانوا جنودا سرعان ما سيطروا على قيادة الجيوش الاسلامية ، فبعد أن توقفت الفتوحات العربية عند جبالطوروس لتصبح الفاصل بين البلاد الاسلامية وبقية العالم ، نجح الاتراك فى تخطى جبال طوروس، واضافوا للتاريخ الاسلامى تراثا من العسكرية والانتصارات العربية، بعد ان كان العالم الاسلامى على وشك الوقوع بين فكى كماشة احد طرفيها البرتغاليون فى البحر من الجنوب الشرقى وبين قواعدهم فى شبه القارة الهندية ، والطرف الاخر كان زحف الروس من الشمال ، واوقف العثمانيون عمل الكماشة وحفظوا للاسلام البحرين الاسود والاحمر ٠

وبقيت الحقيقة الرئيسية فى تاريخ المجتمع الاسلامى ان الدولة العثمانية حفظت لهذه المجتمعاتمقوماتهاالرئيسيةووحدتها ودافعتعنهاضد الاستعمار الغربى لفترة طويلة من الزمن ، وفى نفس الوقت كانت الدولة العثمانية مسئولة عن ضعف الحياة الفكرية ونمو النقل وروح المحافظة وانكماش روح الابتكار والخلق ، وما بدا من مظاهر ضعف الحياة الفكرية وزحف التصوف على

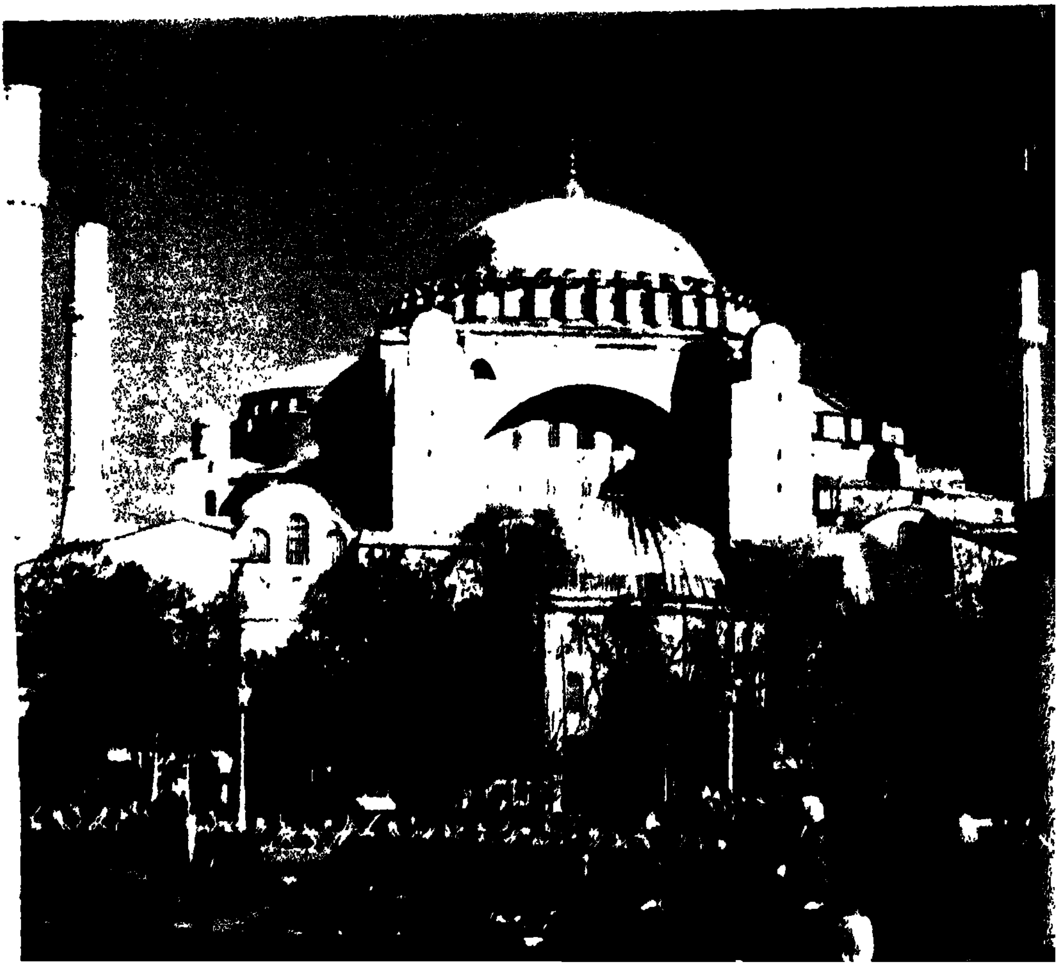




حي يك الواقع على الباسفور
واعـ احياء المدينة (الصورة
الى اليمين) ٠

اياصوفيا ٠٠ الذى كان مقرا للكنيسة الارثوذكسية الشرقية، وحولها محمد الفاتح الى مسجد بعد ان اقام لها اربع مآذن ، وجعلها مصطفى كمال متحفا، بناها جوستنيان عام ٣٢٥ ميلادية بايدى عشرة آلاف عامل وخامات جبال ومناجم وغابات عديدة ، بلغت تكاليفها باسعار ذلك الزمان ٣٥٠ مليونا من الفرنكات الفرنسية وايا صوفيا تعني الحكمة المقدسة (الصورة السفلى) ٠

لوحة لثلاثة من القديسين على الموازييك من بقايا الفن البيزنطى التى لم يمحها الزمن من جدران ايا صوفيا ٠



الحياة الاجتماعية وتدهوره من فلسفة الى دروشة، واهمال العلوم العقلية ..

وكانت الدولة العثمانيـة آخر واطول الدول الاسلامية العالمية التى حكمت الشرق منذ أيـام الخلفاء الراشدين ، وفى هذه الدولة كان ولاء المسلمين الاساسى للاسـلام وللدولة التى تجسد واقعه السياسى ، وعلى هذا النحو سار المواطنون العرب رغم اختلاف لغتهم ، وقدم العرب للدولة العثمانية نظاما اجتماعيا كاملا مستمدا من الشريعة الاسلامية . وان كان هذا النظام قد جمد تماما مع مرور الزمن ، واصبح لا يخدم حاجات المجتمع ، بعد ان اغلق باب الاجتهاد فاغلق باب التقـــدم ، وتحولت الـدولة العثمانية الى وحدة سياسيـة واقتصادية وفكرية منعزلة ليست محور النشـاط العالمى فى السياسة أو الاقتصاد بل دخلت فى عزله سياسية واقتصادية وفكرية استمرت حتى مطلع القرن التاسع عشر . وهذه الوحدة اكسبت العالم الاسلامى نوعا من الاستقرار النسبى .

وشن « الغرب » هجوما مضادا على جبهة عريضة شملت من اسبانيا الى فلسطين، ومن قارة افريقيا الى آسيا ، و « الغرب » هنا ليس تعبيرا جغرافيا بل كيانا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا وعسكريا ، وبدأ الانحـدار عندما اصيبت الدولة العثمانيـة بهزائم فى ميدان القتال وفقدانها لاراضيها ، وبدأ الامر بحصار فينا الثانى عام ١٦٨٣ ، واستمر التراجع طيلة القرن الثامن عشر والذى تم فى اواخره استيلاء الروس على الشاطىء الشمالى والشرقى للبحـر الاسود والذى لم يعد بحـرا اسلاميا ..

وكما يحدث عادةبعد الهزائم تفقد الامة المهزومة الثقة بنفسها وتتطلع الى المنتصر ، فتطلع الجيش العثمانى المهزوم الى اسلوب التدريب والتسلح الغربى ، وقبل للمرة الاولى الشباب أن يكون موجهوهم ومعلموهم من الغربيين ، ولاول مرة يتعلمون لغة الغرب ويطلعون على كتبه ، ولم تعد اللغة الاجنبيـة رطانة بل اصبحت مفتـاحا للمعلومات الاساسية لدولة عسكرية يقوم فيهـا الجيش بالدور الرئيسى .

وربما كانت التاثيرات الغربية ضرورية ولكنها جاءت فى فترة من الضياع والفوضى كانت شديدة الضرر بالمجتمع والنظام السائد فيه ..

فعقب الهزائم المتلاحقة تلفت الاتراك يبحثو فى تاريخهم وفى ذواتهم ، وهم يشاهدون خريه دولتهم تتقلص ، وكان الملاذ فى الحركة القومي التركية ، فى فترة كانت الحركات القومية ف أوروبا فى اوجها ، وبدأ ذلك فى الادب فبدلا م النماذج الفـارسية والعربية بدأ اتجـاه تقليد النماذج الاوربية ، وسعت دراسات المستشرقين الى اثبـات أن الاتـراك مـن العـرق الابيض مثل شعوب اوروبا وينتمون الى العرق «الطوراني ـ الارى » . فبعد ان كان الاتراك لايعتنقون أية هوية أخرى غير الاسلام،ساعد المستشرقون على احياء انتماء جديد وقومية كانت منسية ، تقوم كبديل وليس كمكمل للانتماء الثقافى والحضارى للشعب التركى .

ووجد دائما من يقاوم ذلك فمثلا انتقد على سوافى اقتراحا يطلب أن يتبنى البـاب العالـى القومية مثل ايطاليا وبروسيا وبين سوافى ان القومية فى اوروبا تعنى شيئا مختلفا « فليس لدينا مشكلة قومية ، والمشاكل القوميـة تقـود لدمارنا ، وقضية توحيد المسلمين اسلامية وليست قومية .. » ، واشترك فى الحملة على القوميـة الشاعر التركى محمد عاكف . الذى قال : « ان ملتكم هى الاسلام فما هذه القومية القبلية ، هل العرب افضل من الترك أو ان الالاظ افضل من الكرد او الشركس ، أم أن الفرس افضل من أبناء الصين ، ماذا دهاكم .. ؟ هل تبغون الى تقسيم الاسلام الى اقسام متعددة ، وليس باستطاعـة الاتراك العيش بدون العرب ، والترك بالنسبة للعرب عينهم اليمنى وساعدهم الايمن ، ما هو هذا الهدف الشرير .. »

وفى هذه المرحلة كانت الحركة القومية تعلى تفكك الدولة العثمانيـة التى تضم العديد من القوميات ، واستمرت حركة تخليص الفكر وآدابه من المؤثرات الفارسية والعربية .

ومن هذا العرض نتبين كيف خرجت القومية التركيـة من ركام امبراطورية متهاوة ، ووجـد فيها الاتراك ملاذهم .. ؟ وكيف تداخل «التغريب» مع « التتريك » .. ؟

في قصر يلدز ..

وفي مقابل قصر « ضولمة بغجة » على ربوة عالية وبين الحدائق الغضراء ، يقع قصر يلدز الذى قضى به السلطان عبد الحميد آخر أيامه معزولا بعد ان شهد حكمه ذروة الصراع وارهاصات التغيير ..

وفي هذا القصر كتب مذكراته التي يسرد خلالها الضغوط التي تعرضت لها الدولة العثمانية ، والضغط الغربي العسكري والسياسي والثقافي ودور الاقليات المختلفة في انهيار حكمه .. يقول السلطان عبد الحميد « انه ورثدولة ضعيفةمحاطة بالاعداء ، واخذت انتظر قرابة اربعين عاما فرصة الحرب العالمية لاستغلها فيانقاذ الدولة » فبدلا من ان يسلك طريق الاصلاح والتغيير لمواجهةالتحديات وضع امله في الزمن واحتمالات اضعاف اعدائه عن طريق صراعهم ، وخلال فترة الانتظار عمل اعداؤه، وقام هو بانشاء شبكات التجسس وشيوع الجو البوليسى وبدأ النفي والاعتقال ، وما يؤدى اليه الاستبداد من فساد . ويدافع عن نفسه قائلا : « يزعمون انى اعيش داخل الوهم والخوف ، واتصور البرغوث جملا ، فكما انى اراعي الا اكون

ما زالت الصناعةالشرقية مزدهرةفي استانبول، للمساجد الحديثة صناعة الهلال أعلى المآذنة .



تحت سيطرة الوهم فكذلك اراعي الا اكون غافلا . فالغفلة تؤدى الى اذى يفوق ما يؤدى اليه الوهم ، وقد يكون الناس ايام سلطنتي لم يتمكنوا من الثرثرة الكبيرة .. »

وكان يدرك المخاطر التى تحيط بدولته ولكنه لم يحرك ساكنا لمواجهتها واكتفى بالانتظار « العثمانيون الجدد وتركيا الفتاة كانوا يؤازرون جميعهم من الدول الكبرى ، وعندما ينفذون ما تشتهيه الدول الكبرى ، فهذا معناه نهاية الدولة العثمانية ... » ويضيف : « سقطت الدولة العثمانية امام الهزائم التي لحقت بالجيش الذى استدار ليخلع السلطان .. »

« والذين تملكوا زمام الحكم من بعدى ، ازالوا الخلاف بين العناصر المعادية ، واوجدوا الشقاق بين العناصر التي تقف بجوارنا وتؤيدنا .. »

وقال كلمته المشهورة « انهم لم يهدموا عبد الحميد .. هاهم هدموا الدولةالعثمانية ..»

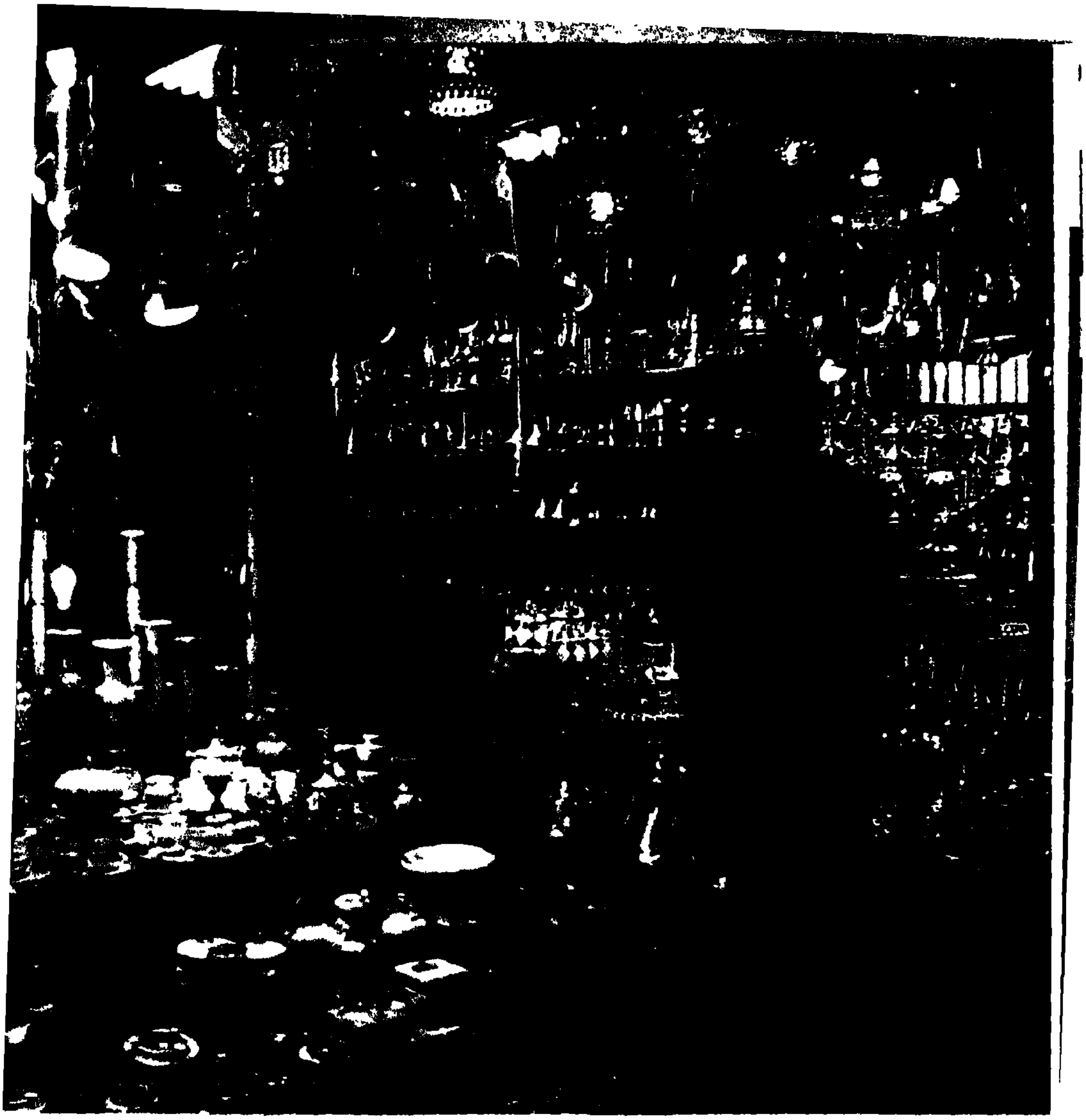
لقد كان السلطان عبد الحميد يعرف جيدا المخاطر ويعرف جيدا ما الذى عليه ان يتجنبه ، ولكنه لم يعرف ابدا ، ما الذى عليه ان يفعله ، وعمل خصومه وانتظر هو .. حتى انهارتدولته..

أتاتورك ..

في ميدان فسيح فيقلب الحيالحديث تمثالضخم للاستقلال وبطله مصطفى كمال ، يحيط بالتمثال الفنادق العالمية الحديثة والمحلاتالكبرى ، ويتوافد المواطنون الاتراك في ١٠ نوفمبر من كل عام الى هذا المكان يحملون الورود في ذكرى وفاة بطلهم القومي ...

والتمثال الواقع وسط استانبول يروى قصة قيام تركيا الحديثة ويحكي في نفس الوقت الفصل الاخير لرجل اوروبا المريض وكيف انتهت المسالة الشرقية ، قال مرافقيوهو يتحدث عن مصطفىكمال بانفعال بالغ : لقد قاد تركيا لتعطى ظهرها لعالم الشرق وتوجهت الىالغرب تستلهم منه القيم وصور التقدم وتحتذى نموذجه ، وبدأ عملية « التتريك » او « التغريب » « لاترك » .

حقا كانت تركيا وحدها بين القوى المغلوبة في الحرب العالمية الاولى التياستطاعت اجلاء الاحتلال واستعادةسيادتها على اراضيها، فقد انقذ مصطفى







السوق المغطى الذى يقع وسط استانبول القديمة والذى يدخله فى اليوم الواحد حوالى مائة الف بين مواطن وسائح من ٧٨ بوابة ،وبه ٤٤٠٠ حانوت فى ٦٥ شارعا جميعها مغطى بالقباب ومضاء ليلا ونهارا ، وبه أروع الحلى والمصوغات والمنسوجات والجلود والمقتنيات التى تغرق متاحف وبيوت اوروبا بالقطع النادرة ، وعمر هذه الاسواق ٥٠٠ عام (الصورة الى اسفل) • واحد المحلات التى تبيع التحف الشرقية والتى يظهر فيها الفن الاسلامى (الصورة الى اليمين) • واحدى الاسر التركية الحديثة فرغم الازياء الحديثة والطراز الاوروبى للاثاث ، يؤكدون انتماءهم للشرق قيمه وثقافته• (الصورة الى اليمين اسفل)



كمال استقلال تركيا وفي نفس الوقت اذعن للشروط الغربية رغم انتصاره على اليونان ، وقاد الحركة الوطنية التركية في ظروف صعبة عندما كانت عاجزة عن مواجهة مطامع الحلفاء المنتصرين ، وسلم بحق الدول الكبرى في التصرف في الاقاليم غير التركية رافضا المساس بالاراضي التركية ، وعندما بدأت اليونان ـ بتأييد من بريطانيا ـ اعمالها الحربية في آسيا الصغرى تمكن مصطفى كمال من الحاق الهزيمة بالجيش اليوناني ..

ومن الملفت للنظر والذي لم يعطه المؤرخون اهتمامهم ان اهم حركات مقاومة التغريب والتي كانت في الاناضول كانت بقيادة مصطفى كمال ، وكان شعار هذه الحركة « تحرير ارض الاسلام » و « تحرير الخليفة » و « طرد الغزاة » . وكان ضمن قادتها زعماء دينيون، وكانت حركة الدراويش ابرز المؤسسين واقوى المساندين لحركة مصطفى كمال ، ولعل علمانية وقومية الكمالية التي اعلنت فيما بعد قد حجبت هذه الحقبة في حياة اتاتورك وطمست الطابع الاسلامي لحركة المقاومة التي كان يقودها في مراحلها الاولى ..

فعندما ادرك مصطفى كمال ان العرب ـ بعد صراعه التاريخي والطويل مع الدول العثمانية ـ يطالب تركيا بالعيش في حدود اراضيها وان تدير ظهرها الى آسيا وافريقيا ، وان تعيش في كنفه ، وان تتخلى عن ارتباطها بالخلافة الاسلامية قرر ان يدفع هذا الثمن وينقذ ما تبقى من تركيا ، وهو موقف مشابه لما حدث لليابان بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية ، فكان من الضروري القضاء على مجموعة القيم والمفاهيم اليابانية التي حركت اليابان لتقاتل بعناد وجعلتها عملاقا يتمتع بقوة عسكرية اسطورية، فقام القائد العسكري الامريكي ماك آرثر بعد انتصاره على رأس مجموعة من الاساتذة والخبراء في علم النفس والاجتماع والتاريخ ليكمل انتصاره بوضع خطة عملية لاجتثاث تلك القيم والمفاهيم .

وسرعان ما تحول الكماليون من الدعوة الدينية الى الدعوة القومية وقطعوا شوطا كبيرا في طريق التغريب ، واعلن مصطفى كمال في الجمعية التركية في اكتوبر عام ١٩٢٣ تركيا العلمانية وقطع علاقة تركيا بالشرق الذي كان يمدها بالطموح ، وعاد الاتراك الى الاناضول ، واكتفى بالتركية ولاء وانتماء ، وكان ذلك سهلا على القائد المنتصر ..

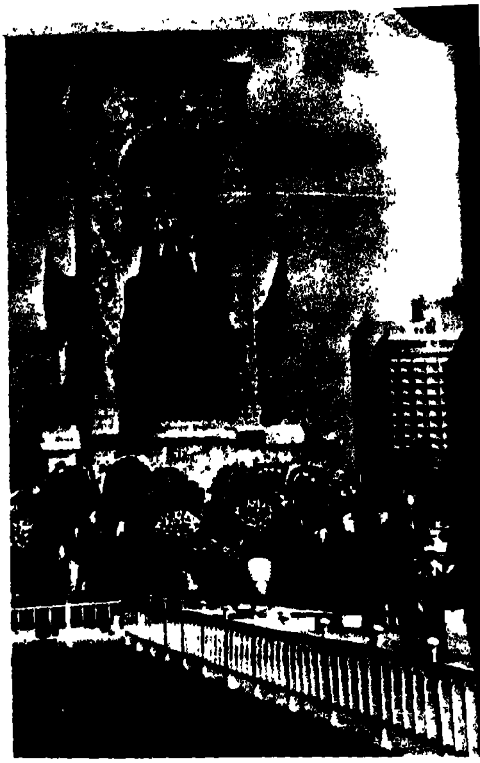
● وفي مارس ١٩٢٤ اتخذ قرارا بالغاء الخلافة الاسلامية، واخراج السلطان عبد المجيد من البلاد، والذي ابقى عليه فترة من الوقت مراعيا لشعور المسلمين ولا سيما مسلمي الهند الذين يتطلعون الى الخلافه باعتبارها الملاذ من سيطرة الغرب ، وسرعان ما تبين خطرها على تركيا الحديثة ، فالعالم الاسلامي كان واقعا تحت نفوذ الدول الاوربية وكفاح هذه الشعوب يتطلب دعم الخلافة الامر الذي قد يجر تركيا الى الدخول في مشاكل مع الدول الغربية ، واصبح العالم الاسلامي لاول مرة بدون خليفة ..

● وفي يونيو ١٩٢٥ حرمت جميع الطرق الصوفية ، وقرر تحويل مسجد اياصوفيا الى متحف . وغيرت الحكومة التقويم الهجري الى التقويم الجريجوري الغربي ، واستبدلت العطلة الاحد بدلا من الجمعة . واستبدلت بالشريعة الاسلامية القانون السويسري . والقبعة بالطربوش والحروف اللاتينية بالعربية ، وحذفت من مناهج التعليم اللغتان العربية والفارسية .. الخ .

وهنا نتساءل هل هذا حقا هو النموذج الغربي هل هذا هو المنهج الذي تقوم عليه مظاهر التقدم في الغرب .. ؟ فمثلا تقوم الحضارة الغربية على القيم الفردية ، وحق الفرد المطلق في اختيار ملابسه ، وان ابطال لبس العمامة بالقانون يخالف مخالفة جوهرية تلك المفاهيم ، واذا كان الغرب قد اختار يوم الاحد عطلة فذلك لان المواطنين يذهبون الى الكنيسة في هذا اليوم فلماذا تصبح عطلة مجتمع اسلامي ، واذا اخذت تركيا بالنموذج الغربي فاجدر بها أن تختار من منابعها الحضارية الثلاثة العربية والفارسية والاسلامية كالحضارة الغربية التي لها منابع ثلاثة هي الرومانية والهيلينية والمسيحية ، هذا اذا كان النموذج الغربي اختيارا ثقافيا ولكنه هنا شرط سياسي يفرضه المنتصر على المغلوب !!

والآن ، ماذا يدور في تركيا بعد خمسين عاما من التغريب .. ؟

النظرة الاولى في استانبول تظهر وكان الغرب نجح في اقامة الحواجز بين تركيا والشرق ، ولكن



في ميدان الاستقلال
تمثال مصطفى كمال اتاتورك ٠

سرعان ما تدرك الصورة وما تحمله من متغيرات٠٠

المكان : بيت تركي انيق لرجل اعمال في شركة بترول ، يجمع فيه عددا من المثقفين الاتراك ، ربة البيت تجهد نفسها لاراحة الضيوف ، تثبت انتماءها الى الشرق وتبدأ قراءة آيات من القرآن الكريم باعتزاز بالغ ، ينصت الجميع في خشوع وتنهمر عيناها بالدموع ، ويظهر على الجميع التأثر الشديد، كان الحوار يدور حول علاقة تركيا بالشرق ، ويمضي قائلا : « ان ابنتي اسمها « اسراء » تقديرا للاسراء والمعراج ، فربما فرقتنا السياسة ، ولكن سيبقى التراث المشترك يجمعنا ، وسيبقى شعورنا اننا عشنا امجد ايام حياتنا ونحن جزء من الشرق »

وروى احد الحاضرين « كيف استقبل الشعب التركي قرار الحكومة باذاعة الاذان باللغة العربية، عندما خرج الشعب التركي مع الفجر عند سماعهم للاذان بالعربية وامتلات المساجد »

وقال آخر : « انه عندما بدات الحكومة برنامجا لتطور الريف ، يقوم على اساس استفتاء للزارعين يسال حول اولويات المشاريع التي يفضلها

● استانبول : المتحف المسكون

سكان الريف هل ادخال الكهرباء ام رصف الطرق أم ميكنة الادوات الزراعية أم بناء جامع ٠٠ ؟ كانت اغلبية الاجابات لبناء الجامع ، افلا ترى ان هذا رد فعل للضغوط التي تعرض لها المواطن التركي ، فرغم نقص الكهرباء واهمية الميكنة الا ان توقف بناء الجوامع كان يمس ضمير الشعب »

ويصاحب هذا الموقف الوجداني ، شعور عميق ناتج من تراكمات الازمات الاقتصادية والسياسية ، وخيبة امل من الموقف الغربي خلال الازمة القبرصية انعكس على سياسة تركيا من حلف الاطلنطي ، وايضا من موقف دول السوق الاوربية منها ٠٠

واخذت تظهر اتجاهات سياسية جديدة في المجتمع التركي تلتقي في رفض النموذج الغربي وفي تطلعها نحو الشرق ٠

احدهما : اتجاه اسلامي متزايد يطالب بعودة تركيا الى تراثها وعقيدتها ، وظهر حزب اسلامي يعتمد على تيار جماهيري متصاعد ٠٠

والثاني : يرفض النموذج الغربي والاساليب المتبعة في مواجهة الازمات ويتطلع الى ما يسمى بالعالم الثالث ، متسائلين عن مصير المساعدات الاقتصادية واثرها في الاقتصاد التركي ٠

وربما كانت ظاهرة العنف السياسي التي اصبحت احدى ظواهر الحياة السياسية انعكاسا لشعور عميق بالغضب من الارتماء في احضان الغرب ٠٠

وشهدت تركيا عدة مؤتمرات اسلامية تعبيرا عن التغير في الموقف الرسمي ونتيجة للقوة العربية الاقتصادية ، احدها مؤتمر حول السيرة النبوية ، وآخر للغرف التجارية للدول الاسلامية ، وكان آخرها اجتماعا لوزراء الدول الاسلامية ، عقدت جميعها في استانبول ٠

وبعد : لقد قال الشاعر الفرنسي جيليوس Gyllias منذ عدة قرون : « بعض المدن يمكن ان تموت اما استانبول فستبقى ما بقي على الارض بشر » تذكرت ذلك وعدد من الاصدقاء يودعني بكلمات الوداع التركي « تصحبك الابتسامة » وكانهم يخففون من اسى الرحيل ، وكيف لا ياسى من يغادر اجمل المدن ٠ ■■

مصطفى نبيل

الفلكلور التونسي

بقلم : سليمان الفهد

الفرسان التوانسة ، بثيابهم المزركشة وجيادهم المحلاة بكافة وسائل التجميل والدلال ، عروضهم تقدم كل موسم (الصورة الى اسفل) ، عندمايختلط الفولكلور والايقاع القديم والرشيق ، بالرقص الشرقي ، بحسناته وسيئاته (الصورةالى اليسار) .





في السنوات الاخيرة تردد ـ وبكثـرة ـ تعبير « الفلكلور » في حياتنا الثقافية ٠٠وتواترت اخبار الاجتماعات،والمؤتمرات والحلقات الدراسية الساعية الى اعـادة الاعتبار والاهتمام بالفنون الشعبيـــة التي اصطلح على تسميتها بـ « الفلكلور » والتسمية اطلقها عالم انجليزي هـــو « وليم جون توماس » سنة ١٨٤٦ م ٠٠ وراج التعبير في الاوساط الاكاديمية في المانيا حتى تكامل مفهومه ووضحت مضامينه وابعاده فكان ان غدا علما قائما بذاتـه يدرس في الجامعات ٠

وقد عرب المفكر الكبير الاستاذ « عباس محمود العقاد » تعبير الفلكلور الى « المردات الشعبية » بينما سماه آخرون « الفنون الشعبية » على اعتبار ان فن الشعب لا ينحصر فقط فيما يردده الشعب من اغان ، ورقص ، لكنه يشمل ـ ايضا ـ العادات في الزواج ، وتقاليد الختان ، وطقوس العبادات، وصناعة وحياكة الملابس والازياء الوطنية ، وانواع الصناعات والحرف اليدوية التقليدية »

ومن هنا ٠٠ فان تعبير « الفنون الشعبية » يعد في نظر الكثيرين من الباحثين الموسيقيين اكثـر التعريبات شمولا وترجمة لتعبير « الفلكلور » ٠

ومن المهم ان نذكر بان الاهتمام بالفنون الشعبية ابتدأ حوالي منتصف القرن التاسع عشر ٠٠ وذلك اثر انتشار المد القومي الاوروبي ٠٠ حيث سمت كل دولة من خلال احتفالها بوطنيتها وهويتهـا ـ الى الارتداد نحو الفنون النابعة من صميـــم الشعب ٠٠ والمعبرة عن افراحه واتراحه ٠

اما في بلادنا العربية (المشرقية خاصة) فان الاهتمام بالفنون الشعبية ، ظل اسير جهـــود المبادرات الفردية الغيورة على هذه الفنون مـن الطمس والتزييف ٠٠ والاندثار ، لكن العشرين سنة الاخيرة (من مطلع الستينات) شهدت اهتماما متناميا بالفنون الشعبية ٠٠ وذلك من خلال العديد من المؤتمرات الاقليمية ، والوطنية ، والدولية٠٠ فكان ان انشئت مراكز معنية بحفظ التراث الشعبي ٠٠ ودراسته ، وتحليله لمعرفة خصائصه ومضامينه٠ وتجاوز حدود الاهتمام بالتراث الشعبي الحـدود الاقليمية ليصل الى اروقة جامعة الدول العربية ٠٠ حيث دعت الى تضافر الجهود العربية للقيام اولا برصد وحفظ كل انواع الفنون الشعبية في جميع البلاد العربية ٠٠ وثانيا ٠ ان تكون هذه الاعمال محل تبويب وتصنيف حسب الاســاليب الوثائقية الحديثة ٠٠ وبعدها تاتي المرحلة الثالثة والاخيرة حيث الفحص،والتحليل ومعرفة الخصائص، واوجـه الشبه والاختـلاف ، فضـلا عن ادراك « فلسفة » الشعب من خلال تفسير وتحليل مضامين هذه الفنون ٠

ورغم هذا الاهتمام بالفنون الشعبية العربية٠٠ الا ان الاهتمامات لا تزال مبعثرة ٠٠ تنشط فتره ثم يدب فيها الكسل فترة اخرى ٠٠ وحتى جامعة الدول العربية ـ قصر رقادها وطال عمرها ـ اكتفت بعملية المسح النظري وركنت الى الهدوء٠٠ ربما لانها تنتظر قرار الموافقة على ميزانيـــة المشروع ٠٠ كما هي العادة ! وعلى العموم نتمنى لها وعليها ان يكون نشاطها الفكري والثقافي ازين من « نضالها » السياسي ٠٠ خاصة وان مسالة الحفاظ على الشخصية القومية مســالة حيوية وضرورية في ظل التحديات التي تجابه امتنا العربية ٠

حيوان راقص

الانسان التونسي ، كما هو الافريقي ، «حيوان» راقص ! تهزه الموسيقا ويطرب للنغمة الحلوة ، يذوب وجدا في الموشحات ـ او المالوف كمـا يسمونها ـ وهو ـ اولا واخيرا ـ يجد نفسـه في الفن عامة ٠٠ والفن الشعبي خاصة ! ومن هنا تجد «الفلكلور» حـاضرا في الحياة اليوميـة ٠٠ يتضح في نداءات الباعة الجوالين ٠٠ وفـــي اوساط الاسواق الشعبية ٠٠ وعلى لسان اصحاب الحرف التقليدية ٠٠ وفي المساجد حيث الادعية والاذكار والمدائح النبوية ، وقصائد العشـــق الالهي ٠٠ ويزداد حضوره في مناسبات الزواج وختان الاطفال (الذكور بالطبع) والاعيـــاد الدينية ، والوطنية ، والمهرجانات الموسمية ٠٠ و ٠٠ في كلمة فان الفلكلور في تونس ، ولدى الاخوة « التوانسة » حاضر بمناسبة ٠٠ وبدون مناسبة ٠٠ لان ميل الافريقيين للهو والسرور

هو غريزي في انفسهم ، واستعدادهم للموسيقى والاغاني فطري ، لذلك كان هذا الفن مطمح انظارهم ، ومحط رحالهم ، فما انفكوا مقبلين عليه ، متابعين لاطواره التي تطور فيها ، سواء قبل الفتح الاسلامي او بعده ، فهو ضروري لهم، ولازم من لوازمهم النفسانية ٠

والعبد لله موجود في الجمهورية التونسية بقصد التعرف على الفنون الشعبية ٠٠ وبالتحديد على اللون الغنائي منها ٠٠ بعد يومين من وصولي العاصمة وجدتني في داخل سيارة فرنسية ٠٠ سائقها لطيف المعشر وماهر في القيادة ٠٠السيارة تطوى القار طيا وتسير بسرعة جلمود حطه السيل من عل ٠٠ والعبدلله – بصراحة – يتحول الى ارنب رعديد ازاء السرعة المخيفة ٠ حاولت ان انبه عن السرعة لكنه لم يابه البتة الى توسلاتي التي تلاشت وتاهت وسط ضحكاته المجلجلة ٠٠ وراح يحلق بالسيارة ٠٠ ربما لانه واثق الخطوة يمشي ملكا ٠٠ غير عابىء الا بالطريق الطويل ٠٠ المحفوف بالمخاطر ! وحتى اطرد الخوف والقلق التوتر ٠٠ دسست شريط « الكاسيت » في جهاز التسجيل ٠٠ وراح « شادي الخليج » الفنان الكويتي المعروف يشدو « بالصوت » المشهور في الخليج والجزيرة العربية « ياليلة دانة » ٠٠ وبعد ثوان وجدت السائق ينتفض طربا ونشوة٠٠ ووجدت مؤشر السرعة ٠٠ يهبط ٠٠ ويهبط حتى تناقصت السرعة من ١٢٠ كلم لتصل الى ٧٠ كلم٠ وساعتها عرفت كيف اكبح جماح هذا السائق المغامر ! وسررنا لهذه الحادثة ففيها مؤشر ، وتاكيد لمقولة ان الانسان التونسي « حيوان » راقص ٠٠ وفنان بطبعه ٠

واكثر من هذا فان الشعب التونسي – جميعه – فنان حتى في عملية السمع والانصات ٠٠ حتى انى اذكر مرة ان سيدة الغناء العربي الفنانة الراحلة « ام كلثوم » قالت عنه : انه شعب يدفع الفنان المغني او العازف نحو الاجادة و «السلطنة» والتفنين ٠٠ وذلك من شدةحساسيته وحسن استقباله ، واجادته لفن الانصات ٠

في المنستير

السيارة تقترب من مدينة « المنستير » مسقط راس الرئيس التونسي « الحبيب بورقيبة » وقد اعتادت اغلب الدول العربية ان تحتفل باعيادها القومية بالعروض العسكرية ، وبالخطب الحماسية، واطلاق الاعيرة النارية ٠٠ لكن تونس – لحسن الحظ – شاءت – ومعها كل الحق – ان تشذ عن هذا « الاجماع » العربي ! فقد اعتادت ان تحتفي وتحتفل بعيد ميلاد الرئيس (٣ اغسطس من كل عام) من خلال احتفالها بالفنون الشعبية ٠٠ بحيث تتحول هذه المناسبة الى عرس للفنون الشعبية٠٠ والى مهرجان وطني يضمكل انواعالفنون الغنائية، والرقصات الشعبية ، والحرف الشعبية ٠

وقد اخبرني الفنان « صالح المهدي » مدير المعهد الوطني للموسيقى ، والتمثيل والرقص ، ورئيس مصلحة الفنون المستظرفة « الجميلة » عن هذه التظاهرة الفنية التي تشهدها المدينة كل عام فقال « اننا ارتاينا ان نقرن ابتهاجنا بعيد ميلاد الرئيس بالاهتمام بالفنون الشعبية ٠٠ فهي مناسبة تحرض المسئولين على رعايتها والاحتفال بها ٠٠ ومن هنا تجد الاحتفالات تستمر عشرة ايام ٠٠ وهذه المدة مطلوبة لان كل ولاية تسهم فيها من خلال تقديم نتاجها ولونها الفني الذي تتميز به ٠٠ فضلا عن اسهامها في معرض الصناعات التقليدية والحديثة الذي يقام – ايضا– في المدينة ٠٠ على هامش الاحتفالات الفلكلورية » وعادة ٠٠ فان كل ولاية تحرص على عرض اجود نتاجها من عطاء الانسان ٠٠ والارض ٠ ويترأس الاستاذ « المهدي » لجنة الاختيار التي تنتقي اخير الاعمال لتعرض مساء كل يوم على السيد الرئيس، والسادة الوزراء ، وقادة الحزب ٠٠ ويكون – قبلها – قد تم عرض فرق الاقاليم على جمهور المشاهدين في ساحة معرض الصناعات التقليدية والحديثة ٠٠ ويشارك الجمهور لجنة الاختيار رايها من خلال حماسه لفرقة دون اخرى بالتصفيق ٠٠ والهتاف بعبارات الاستحسان ٠٠

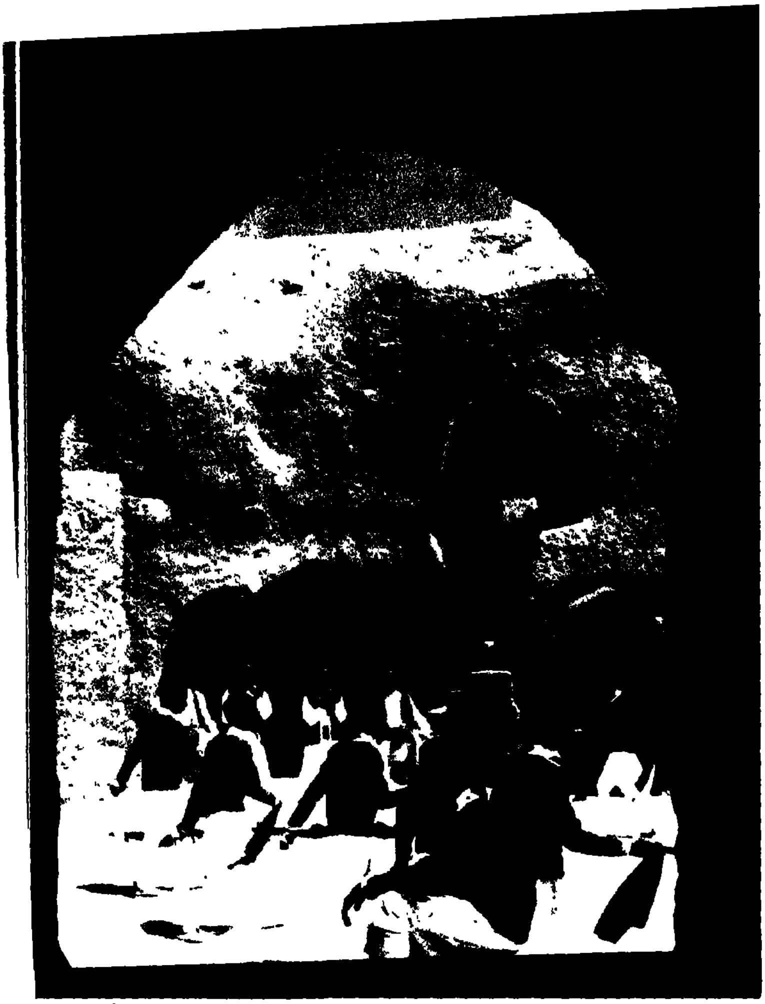
وقد لفت نظري في هذا المهرجان تنافس الفرق على تقديم الفن الاندلسي العريق « المالوف » فن الموشحات ما غيره ! بل ان هذا اللون تجده يتصدر كل قعدة طرب ٠٠ او حفل عرس ٠٠ او اي مناسبة اجتماعية ، او دينية ، او وطنية ٠

ولان الفنون الشعبية التونسية غنية ، وغزيرة،

«١» – الاغاني التونسية – محمد الصادق الرزقي–الدار التونسية للنشر ٠







الفنانون الشعبيون بأساليبهم المثيرة في شد الانتباه ولفت الانظار · احدهم يحمل فوق رأسه « تلا » من الادوات الفخارية ومع ذلك يرقص على انغام الطبول والمزامير · والاخرون (الى اليمين اسفل) يسيرون في موكب انغام متصل ·

فرقة الفنون الشعبية التونسية ، تقدم كل الوان الفولكلور من الغناء والانشاد الى الرقص ، بينما الفرق الاهلية الاخرى اثبتت وجودها ايضا ، ولفتت انظار الجمهور والسياح الذين يقبلون بشدة على عروضها .(الصورة الى اليسار واسفل)·

تصوير : أوسكار مترى



ومتنوعة .. فاننا هنا سنحاول ان نتعرف على هذا الذى يطربنا على الدوام ويسمونه «المالوف».

من الاندلس .. الى تونس !

يقول الاستاذ « صالح المهدى » : (لقد جرت العادة بالاندلس على ان يخصص رجال الفن لكل وقت من اليوم مقاما معينا ، فاذا ارادوا ان يعلنوا عن برنامج حفلة غنائية اكتفوا بالاشارة الى المقام الذى سيطرقونه وهو مقام معروف او « مالوف » بحسب الحصة من اليوم الذى تقام فيه فمقام « الماية » مثلا لا يغنى الا فى الصباح ومن موشحاته :

نشر الزهر فاح طير الايك لاح
اقبل الصباح الليل ولا

ومقام « رمل الماية » يختص بالمشية ، ومن ازجاله

رونقت عشية حايل كالذهب ع الارض سايل
وشعار الشمس مايل للغــروب
علمتنى كيف نذوب

ولذلك صار من المتداول نعت التراث الغنائى الاندلسى بالمغرب العربى باسم « المالوف » وهو عبارة عن مجموعة من الوصلات او « النوبات » التى تشتمل على موشحات وازجال اندلسية وضعت على مقام معين وتطلق كلمة « نوبة » بتونس على جمع من الاغانى الاندلسية والقطع الموسيقيــة المعزوفة فى مقام متحد والمرتبة بصفة خاصة) .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو متى وكيف وصلت موسيقى الاندلس الى تونس ؟

يقول المؤرخ ، الاديب الاستاذ عثمان الكعاك فى معرض تقديمه للسفر الخامس المخصص لعرض بعض نتاج الفنان التونسى الكبير « احمد بن حميدة الوافى » وهو ـ الوافى ـ سليل عائلة اندلسية هاجرت الى تونس على عهد عثمان داى (١٠١٨ هـ ـ ١٦١٣ م) حينما اجلى ملك اسبانيا فيليب الثالث بقية « الموريسكو » (٣) من الاندلس .

يقول الاستاذ الكعاك « رحمه الله » (.. اما عن موسيقى القرون الوسطى ـ اعنى موسيقى الاندلس . المعروفة بالمالوف ـ فقد وردت على يد امية بن عبدالعزيز بن ابى الصلت الشــاد الصنهاجى .. وكان ذلك فى آخر القرن الخامس الهجرى عند قدوم الرعيل الاول من مهــاجرة الاندلس . وقد الف لنا امية كتاب الموسيقى الكبير لخصوص المغرب . ثم جاءت الموسيقى الاندلسية فى دفعة ثانية من القرن السابع عند ســقوط اشبيلية التى كانت عاصمة الفن ، وعرفنا احوال ذلك من مقدمة ابن خلدون وما كتب عن محمد الظريف فى المجلات التونسية . وجاء « المالوف » مرة ثالثة عند سقوط غرناطة سنة ١٤٩١ م لكنه جاء يومئذ فى نفس الوقت الذى جاءت فيــه الموشحات والبشارف التركية مع الجيش التركى.

ثـم جـاءت الموسيقى الاندلسية مـرة اخـيرة فى القرن الحادى عشر الهجرى حينما اجلى ملك اسبانـيا «فيليب الثالث» البقيـة الباقيـة مـن الاندلسيين .

وهذا يعنى ان عمر فن « المالوف » عتيق .. ولانه فن اصيل فقد عاش فى وجدان الشــعب على مر العصور والاحقاب التاريخية التى تعاقبت على تونس .. ولم يكتف الاخوة التوانسة بمسالة نقل ـ او انتقال ـ المالوف اليهم .. بل انهم اثروا فيه بقدر تاثرهم به .. او على راى « الصادق الردقى » من ان (التونسيين اخذوا عن اخوانهم الاندلسيين الموشحات النضيدة، والاغانى الفريدة ، ورقموا من النغم ما تهدم ، وشادوا على اطلال موسيقاهم انغاما اخرى بعضها اندلسى بحت ، وبعضها ممتزج الرنة واللهجة بالتونسى).

الفلكلور مع حليب الصباح

ولو شاء القارىء العودة الى مدينة «المنستير» حيث الفنون الشعبية تضفى على المدينة الوادعة « صخبا » محببا تالفه النفس ، ويطرب لــه الفؤاد ، خاصة اذا كان هذا الفن هو صاحبنا « المالوف » ما غيره ! وعلى مدى كم يوم رحت اتابع فقرات المهرجان التى تقدمها فرق الاقاليم فى الجمهورية التونسية .. ولفت نظرى ان تلاميذ

(٢) التراث الموسيقى التونسى ـ مقدمة السفـر الثانى ـ مطبوعات كتابة الدولة للشئون الثقافية والاخبار .

(٣) انظر مجلة العربى ـ العدد ٢٢٨ ـ فى بلادالموريسيك ـ بقلم فهمى هويدى .

ن ويغنون الموشحات ..
الفرق الموسيقية العريقة
في المشرق ، فالتلاميذ
» مع حليب الصباح ..
ان يحفظ اولادنا نشيد
او يرددون محفوظـــات
يلون جهلا مطبقا فنونهم
ن هنا .. فقد انســر
ر « يقولون » الموشحات
.. وقد لفت نظـــرى
ان يلعبه الفلكلور فــي
ة ! فقد شاهدت فرقـــة
بتدائية فيقرية صحراويه
اثر .. وكانت هذه الى
« تكتشف » الطبلة ..

نسكو الدور الهام الذى
في حياة مجتمعات دول
عــددا مــن الباحثـــين
حول « دور الفـــنون
ماعية والاقتصادية » لان
الفن ومغرم به صبابة..
ة باردة .. او خطبـــة
انفضاض السامر ، مثل
ولا شك ـ الكلمة وليس
يعبر عنها بالرقص ، او
فنية شعبية .. يجدها
س مثل الفن الشعبـــى
العادى .. لانه فنـــه
نتذكر في هذه المناسبة
ات التوعية فشلت فشلا
ها استخدمت ادوات ،
سائط منفرة .. بعيدة
.. تتوجه اليه بمفردات
لنهاية تضيع الجهـــود
نفسها تحاول ان توظف
التنمية .. وقد جربت
بة الخاصة بتحديـــد
التجربة كانت رائدة ..

لتى استحوذت على تفكير

● الفلكلور التونسى

العبد لله .. ظهرت فرقة موسيقية استقبلهـــا الجمهور بحفاوة وحماسة بالغتين .. ومع التصفيق الحاد افقت من تاملاتى .. وعدت بمشاعرى ، واحاسيسى الى فقرات المهرجان القومى للفلكلور التونسى .. والفرقة التى كنا نسمعها فرقـــة اصيلة وعريقة لانها من مدينة «تستور » والتى يجب ان يطلق عليها بعض الفنانين « التوانسة » عاصمة « المالوف » وذلك لانها تضم العديد من عائلات عرب الاندلس .. وقد سمعت من بعض الربع « التوانسة » ان بعض هذه العائـــلات المهاجرة ـ او المطرودة بمعنى اصح ـ مـــن الاندلس .. الى الشمال الغربى من افريقيا ـ ومنها تونس .. ومدينة « تستور » بالتحديد ـ اقول سمعت ان بعض هذه العائلات ما زالـــت تحتفظ بمفاتيح بيوتها التى كانت تمتلكها فـــى الاندلس ! ولسوء الحظ .. لم اتمكن من تاكيد هذه الرواية بزيارة المدينة نفسها .. كما ان معلومات من سالتهم من الفنانين لـم تخرج عـــن دائرة الظن ..

وعلى اية حال .. فانه سواء احتفظ عـــرب الاندلس في مدينة « تستور » التونسية بمفاتيح بيوت اجدادهم في قرطبة وغرناطة .. وغيرهما.. او ان هذا الامر محض حكى ، وكلام عابر .. فان الشيء المهم والمؤكد هو اننا اضعنا الاندلس.. وورثنا « المالوف » وهي وراثة تدخل في حيـــز اضعف الايمان !

ولا اعرف لم شعرت بغصة واكتئاب .. حـــين سمعت بحكاية المفاتيح السالفة الذكر ..

ساعتها شعرت باحباط لا حد له .. وربما لان هذا الاحساس كان يواكبه حافز للضحك بشدة.. وبمرارة .. وربما لانى ـ ساعتها ـ تذكرت « النكتة » المشهورة عندنا في المشرق العربى .. والتى تتحدث عن ذلك الخادم الذى جاء ليخبـــر سيده بان اللصوص سرقوا خزنته .. فرد عليه السيد ـ بكل ثقة واطمئنان ـ قائلا لا تخف ولا تجزع .. صحيح ان اللصوص سرقوا « الخزنة » لكنك نسيت ان المفتاح « معايا » وبحوزتى ! هل هذه نكتة .. ام ماساة .. أم ماذا ؟! يبدو انها « ماذا ؟! » ■■

سليمان الفهد

تجارب جديدة لمواجهة المرض الخبيث

أنت تتمتع بالحصانة .. إذن .. فأنت مسلح ضد .

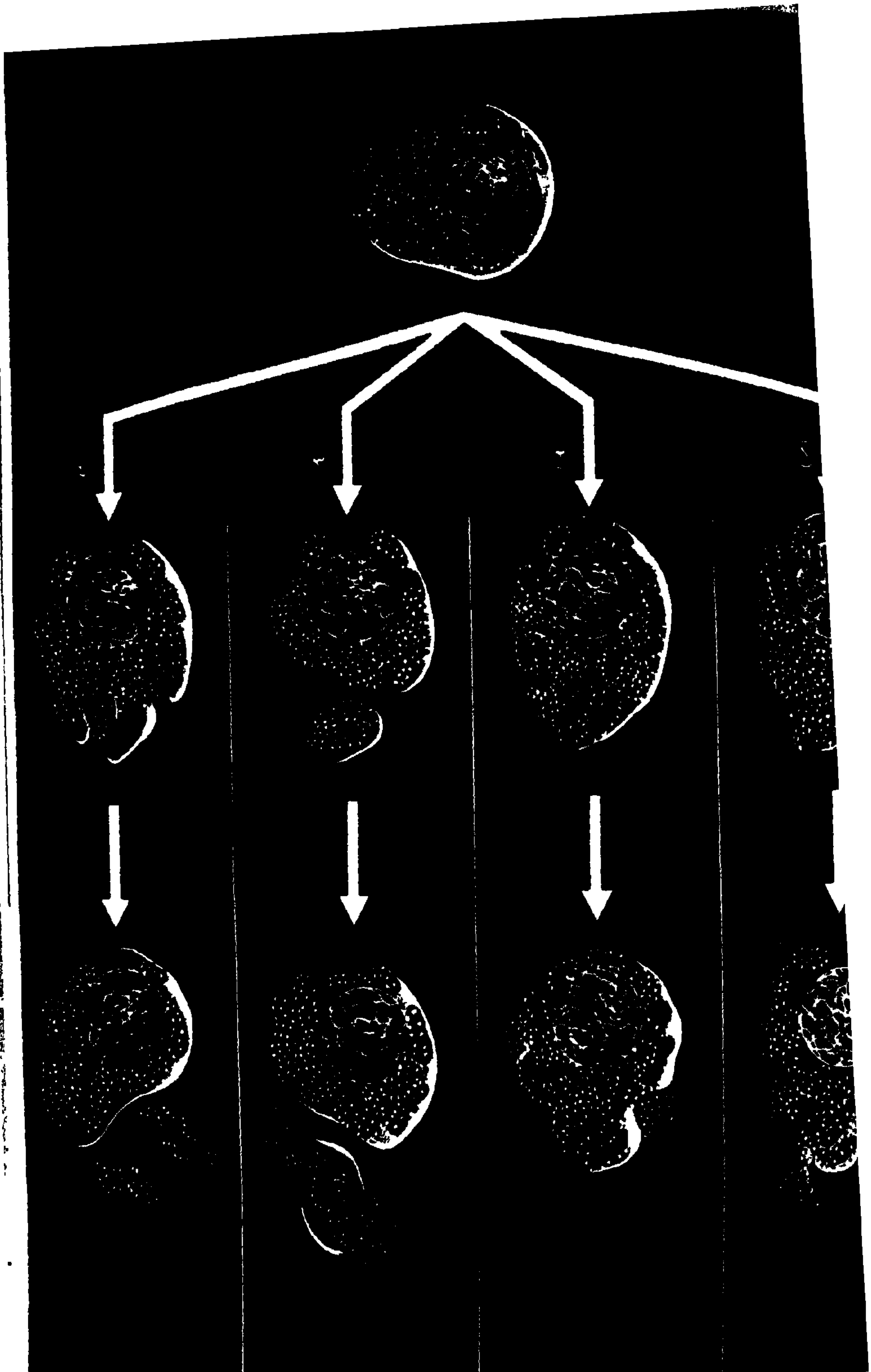
السرطان



بقلم :
الدكتور نبيل رياض

فى الانسان ـ كما فـى الدول ـ يبدو ان دفاعه عن نفسه ضدأخطر الامراض، يصبح فعالا اذا بدأ من ذاته هو ، مـــن داخله • علم الحصانة يقول ذلك •

الغلايا الليمفاوية من نـوع (ب) وهـى تظهر فـى صورة اشعاعية فى المناطق التى تفرز الاجسام المضادة •



صورة توضيحية لطريقة خروج الاجسام المضادةمن الخلايا الليمفاوية من نوع (ب) .

■ يعرف علم الحصانة الحديث بالنسبة للانسان بانه ذلك العلم الذى يمكن الانسان من معرفة الفرق بين خلايا الجسم وانسجته وبين الخلايا الاخرى والمواد الغريبة ، وخاصة البروتينات التى قد تتسرب الى داخل جسم الانسان .

ولعملية اكتشاف هذه الخلايا الغريبة اهمية بالغة ، خاصة فى حالات البكتريا والجراثيم اذ ينبغى ان تحاصر على الفور ويمنع انتشارها داخل انسجة الكائن الحى ، وكذلك القضاء عليها بافراز السموم والمواد المضادة التى تشل حركة تلك الميكروبات والجراثيم وتقضى عليها كما تساعد تلك العملية الكريات الدموية البيضاء على التهام تلك المواد الغريبة ، او الميكروبات .

ويعتبر ذلك كله جزءا من حمله الجسم ضد المواد البروتينية الغريبة التى تنتشر حوله فى حياته اليومية أو هى بعض محاولات الكائن الحى للمحافظة على الوجود والبقاء بين مختلف انواع الكائنات الدقيقة ، مثل الميكروبات والجراثيم التى قد تسبب له الامراض والعلل اذا تمكنت من التسرب داخل انسجة الجسم وبين خلاياه .

الحصانة والمستقبل

ويقول الدكتور « فليتشر » أستاذ علم الامراض ـ الباثولوجيا ـ بجامعة ادنبرة أن علم الحصانة يعتبر الان من اهم العلوم فى المستقبل ، حيث انه يوفر للانسان الحماية والوقاية من الامراض المعدية كما انه يفتح الباب على مصراعيه امام مجالات البحث العلمى فى امكانية الوقاية والعلاج ايضا من أهم مرض يواجه انسان القرن العشرين وهو مرض السرطان والاورام الخبيثة ، ويقوم الدكتور « فليتشر » ومساعدوه فى البحث العلمى على طريقة تجاوب جسم الانسان ، والمقصود بذلك جهاز الحصانة ضد المواد البروتينية الغريبة التى قد تتسرب الى الجسم ، ومنها بالطبع الميكروبات والفيروسات وكذلك الخلايا السرطانية وبالذات فى حالات الاورام الليمفاوية مثل (مرض هودجكنسن Hodjkin's diseese) وحالات سرطان الدم . بينما يقوم فريق آخر من الباحثين بدراسة الطرق المختلفة لتنشيط وتقوية جهاز الحصانة فى الجسم لمقاومة مرض السرطان والتغلب عليه .

ويعتمد جهاز الحصانة فى الجسم على عدة عوامل رئيسية ، منها بعض البروتينات التى توجد بشكل طبيعى فى بلازما الدم لدى الانسان ، وتعرف بانها مواد الحصانة الطبيعية وهى مواد مضادة للاجسام الغريبة مثل الجراثيم والبكتريا والبروتينات الغريبة عن جسم الانسان . وتساعد فى مقاومة الجسم للغزو الجرثومى أو الميكروبى، كما تسهل للكريات الدموية البيضاء مهمة التهام تلك الميكروبات والقضاء عليها .

اكتشاف هام جديد

وقد اكتشف العلماء فى الاونة الاخيرة العامل الرئيسى فى تنشيط جهاز الحصانة ، وهو يتكون من الكريات الليفاوية التى توجد فى الدم وتضم نوعين رئيسيين من الخلايا الليمفاوية :

النوع الاول ويعرف باسم « خلايا ب » ، ويعتقد العلماء بان هذا النوع من الخلايا الليمفاوية يمر فى دورة خاصة بجسم الانسان ، تبدأ بالجهاز الليماوى فى الامعاء الدقيقة والزائدة الدودية ثم الطحال والغدد الليمفاوية المختلفة فى الجسم قبل مرورها الى الدم . كما عرف العلماء المهمة الرئيسية للخلايا الليمفاوية من نوع (ب) وهى افراز الاجسام المضادة التى تقاوم البروتينات الغريبة أو البكتريا والجراثيم فور دخولها الى الجسم أو تسربها الى الدم ، وتقوم « خلايا ب » الليمفاوية بافراز تلك الاجسام المضادة حيث تخرج من الخلية فى مكان مخصص لذلك الغرض بجدار الخلية ذاتها .

ويمكن للعلماء التعرف على خلايا (ب) الليمفاوية وبيان مدى قدرتها على افراز الاجسام المضادة بواسطة بعض الاعتبارات الحديثة التى تستخدم فيها النظائر المشعة التى تلتصق بجدران الخلايا (ب) فى نفس المكان المخصص لخروج تلك الاجسام المضادة .

وعندئذ تظهر الخلايا (ب) بوضوح تام فى صورة اشعاعية وتغطيها النظائر المشعة فى مكان معين من جدار الخلية يشبه غطاء الراس عند البحارة ، ويجرى هذا الاختبار على اية شريحة زجاجية تحتوى على الكريات الليمفاوية المختلفة .



الصورة العليا لاحد فئران التجارب ، وقد نزعت منه الغدة التيموزية عقب الولادة ، فلم يمكنه مقاومة الامراض ، لضعف جهاز الحصانة . ونقص خلايا (ت) • والصورة السفلي لحيوان سليم للمقارنة •

وبعد مواجهة الجراثيم والميكروبات المعتدية وافراز الاجسام المضادة لها للقضاء عليها تقوم خلايا (ب) الليمفاوية بتشكيل خلايا الذاكرة Memory Cells وهى نوع من الكريات الليمفاوية التى توجد فى البلازما ، وتحتفظ بخاصية التعرف على الميكروبات المهاجمة فى حالة عودتها لغزو الجسم مرة اخرى ، وفى هذه الحالة يتم القضاء عليها بصورة اسرع وفى وقت اقل من المرة الاولى كنتيجة لوجود تلك الذاكرة الحية ، التى تدق جرس الانذار بصورة مبكرة حيث يكون جهاز الحصانة مستعدا لمواجهة تلك الميكروبات مرة اخرى بقوى ذاتية افضل واقوى من المقابلة فى المرة الاولى •

وراء رفض الجسم المزروع

اما النوع الثانى من الكريات الليمفاوية : فيعرف باسم « خلايا ت » وهى تمر فى دورة خاصة بجسم الانسان ، تعبر فى طريقها بالطحال والغدد الليمفاوية قبل وصولها الى الدم ، ولانها تبدأ من الغدة المعروفة باسم الغدة التيموزية ، فان خلايا (ت) تعتمد عليها فى نشاطها وتختص هذه الخلايا بالحصانة التى تعتمد على نشاط الخلايا الليمفاوية ذاتها • وتعتبر ذات اهمية كبرى فى مقاومة الامراض الفيروسية ، وبعض الامراض المزمنة كالدرن وغيرها ، كما انها تقوم

بدور هام في مقاومة الانسجة والخلايا الغريبة التي تزرع داخل الجسم ، كما في حالات زراعة الكلية والقلبوغيرهما من اعضاء الجسم المختلفة .

وهذا النوع من خلايا (ت) الليمفاوية هو الذي تسبب في رفض الجسم للقلوب المزروعة داخله كما حدث في تجارب زراعة القلب الشهيرة التي اجراها الجراح المعروف « الدكتور كريستيان برنارد » في مستشفى جروت شور بجنوب افريقيا، كما انها تشكل العقبة الرئيسية امام العلماء في عمليات زراعة الكلى المختلفة التي تجري في معظم المستشفيات الكبرى ومراكز الابحاث في الخارج ، وتقوم الخلايا (ت) الليمفاوية بافراز سموم ومواد مضادة لخلايا وانسجة العضو المزروع، تحطم خلايا ومكونات ذلك العضو ، وتسهل للجسم مهمة رفض تلك الانسجة الغريبة والتخلص منها، كما تقوم خلايا (ت) ايضا بعملية جذب للكريات الدموية البيضاء الى منطقة العضو المزروع لكي تتولى ايضا مهمة القضاء على ذلك العضو الغريب عن الجسم ، ويستطيع علماء الباثولوجيا معرفة تلك الخلايا الليمفاوية من نوع (ت) بواسطة اختبار كيميائي يعتمد على اضافة الكريات الدموية الحمراء للاغنام الى الشريحة الزجاجية التي تحتوي على الخلايا الليمفاوية ، فقد وجد ان خلايا (ت) لها خاصية جذب الكريات الدموية الحمراء للاغنام حيث تحيط بها من جميع النواحي وبالتالي يمكن للعلماء معرفة كمية تلك الخلايا من نوع(ت) ومدىقدرتها وفاعليتها ضد البروتينات الغريبة مثل البكتريا والفيروسات التي قد تهاجم الجسم او الدور الذي يمكن ان تلعبه في مقاومة الاعضاء المزروعة في الجسم مثل القلب والكلية وغيرهما .

ومرض السرطان ؟

هل تقوم الكريات الليمفاوية بمهاجمة خلايا السرطان والاورام الخبيثة كما تفعل بالنسبة للانسجة الغريبة المزروعة داخل جسم الانسان ؟

ظل هذا السؤال يؤرق العلماء ويحيرهم فترة طويلة ويحفزهم للاستمرار في البحث العلمي لمعرفة السبب في ان الاورام الخبيثة ومرض السرطان ينمو داخل جسم الانسان حتى يقضي عليه ، وقد توصلوا الى عدة نتائج هامة بالفعل



الدكتور فليتشر استاذ علم الحصانة في جامعة « ادنبرة » .

منها ان جهاز الحصانة بنوعيهمن الخلايا الليمفاوية قد يقوم فعلا بمهمة القضاء على خلايا السرطان الاولية او في المرحلة الميكروسكوبية ، وبالتالي قد لا يظهر المرض الخبيث الا عندما يحدث الضعف في جهاز الحصانة او يتمكن السرطان من التغلب على فاعلية ذلك الجهاز الهام ، وخاصة الخلايا الليمفاوية من نوع (ت) .

ومما يؤكد تلك النظرية هو ما نراه من تزايد حالات الاورام الخبيثة والامراض السرطانية وانتشارها في المرحلتين الاولى والاخيرة من عمر الانسان في مرحلتي الطفولة والكهولة ، حيث يكون جهاز الحصانة ضعيفا في الحالة الاولى وحيث يصيبه الضعف والانهاك في الحالة الثانية، بحيث لا يمكن له مقاومة الخلايا السرطانيةوالوقوف امامها ، وبالتالي فهي تنتشر في الجسم دونما عائق يقف في سبيلها .

وكذلك فمن المعروف لدى الاخصائيين في الجراحة بانه في حالات الاورام السرطانية التي تزيد فيها كمية وعدد الخلايا الليمفاوية من نوع (ت) حول الورم السرطاني حيثتحيط به وتحاول القضاءعليه فانالجراحة تعطيافضل النتائج فيهذه الحالات لان جهاز الحصانة يمكنه فيما بعد القضاء على الخلايا السرطانية والميكروسكوبية التي قد تتخلف في الجسم بعد الجراحة .

● مرض السرطان

قد تتخلف في الجسم عقب الجراحة لانها تاخذ طريقها الى تلك الغدد الليمفاوية ، حيث تقوم الكريات الليمفاوية بالقضاء عليها بواسطة ما تفرزه من سموم مضادة .

ويعتبر البروفسير فورست استاذ جراحةالسرطان بجامعة ادنبرة من الرواد الاوائل في هذا النوع من الجراحة ، وهو يقوم منذ عشر سنوات باجراء ذلك النوع من العملياتالجراحية الخاصة بسرطان الثدى ، وقد حصل على نسبة نجاح تزيد على ٦٠٪ من الحالات بينما كانت النسبة في الطريقة القديمة لا تتجاوز ٤٠٪ بمعنى ان ثلثى المريضات اللاتى اجريت لهن الجراحة على طريقة البروفسير فورست منذ عشر سنوات ما زلن حتى الان يتمتعن بالصحة ولم تظهر لديهن اية علامات على عودة المرض مرة اخرى او ظهور اورام ثانوية لديهم .



الجراح الكبير « البروفسير فورست » والطريقة الحديثة لمواجهة السرطان بتنشيط جهاز الحصانة في الجسم .

اسلوب جديد تماما

ونظرا للاهمية الكبرى التي أصبح العلماء الان يعرفونها عن جهاز الحصانة في الجسم ودوره الفعال في مقاومة مرض السرطان ، فقد ظهرت الان الاتجاهات الحديثة في مواجهة ذلك المرض الخبيث . واذا اخذنا مثلا حالات امراض سرطان الثدى عند المراة ، فقد كانت الطريقة القديمة تعتمد على ازالة الثدى المصاب بالسرطان بكامله مع العضلات والانسجة المحيطة به وكذلك الغدد الليمفاوية تحت الابط،وهى من العمليات الجراحية الكبرى التي قد تعرض حياةالمريضة ذاتها للخطر. ولكن اصبح الجراحون الان يتجهون الى اسلوب افضل واكثر جدوى من الطريقة السابقة مع بساطته الظاهرية وسهولة العملية الجراحية بالنسبة للمرضى بهذا الورم الخبيث ، وهذه الطريقة تعتمد على ازالة الورم السرطاني فقط مع الانسجة المحيطة به من الثدى مع الابقاء على عضلات الصدر والغدد الليمفاوية تحت الابط مع أخذ عينة منها للفحص عن الخلايا السرطانية ، فاذا كانت لا تحتوى على اية خلايا سرطانية فان ذلك يعتبر علامة جيدة وخطوة كبرى على طريق الشفاء ، حيث يعتقد العلماء بان الابقاء على تلك الغدد الليمفاوية يعتبر العامل الرئيسي فيالقضاء على باقي الخلايا السرطانية الميكروسكوبية التي

تنشيط جهاز الحصانة

يضم فريق البروفسير فورست عددا كبيرا من الاطباء الاخصائيين فيالجراحة وعلماء الباثولوجيا والفنيين واخصائيي المختبرات ، وهو يقوم بتقسيم حالات الاورام الخبيثة في الثدى الى نوعين رئيسيين يعرف اولهما بالسرطان المبكر ، وذلك عندما يكتشف الاطباء الورم الخبيث في أولى مراحل انتشاره بالجسم وقبل ظهور الاورام الثانوية ، او عندما يكون السرطان محصورا في مكان محدد بالجسم يمكن ازالته واستئصالهبالكامل بواسطة الجراحة دون أن تتعرض باقي اعضاء الجسم لامتداد العملية السرطانية اليها ، وهى الحالات التي تصلح لها الجراحة كالخط الاساسي في العلاج .

والنوع الثاني : يضم الحالات المتقدمة من المرض عندما يمتد الورم السرطاني الى اكثر من مكان في الجسم او يظهر على هيئة اورام ثانوية في اعضاء او اماكن اخرى من الجسم ، حتى عندما يكون انتشاره الموضعي كبيرا بصورة تعوق الجراحة، وتجعل من استئصاله امرا بالغ الصعوبة ، وكذلك في الحالات التي قد لا يمكن فيها اجراء الجراحة، نظرا لضعف الحالة العامة للمريض ذاته .

وفي تلك الحالات لا تعتبر الجراحة خط الدفاع الاول بالنسبة لمواجهة المرض بل يجب التفكير في وسائل اخرى لمهاجمة السرطان والقضاء

عليه ، او على الاقل وقف انتشاره داخل الجسم، واهم تلك الوسائل هي الاشعاعات او العـلاج بالاشعة العميقة ثم الادوية والعقاقير التي توقف نمو الخلايا السرطانية ... واخيرا ياتي دور جهاز الحصانة في الجسم ويقوم العلماء بتنشيط هذا الجهاز وخاصة الخلايا الليمفاوية من نوع(ت) وذلك بواسطة بعض انواع « الفاكسين » التي تنشط جهاز الحصانة بشكل عام،وهذه الفاكسينات تستخدم لتقوية جهاز الحصانة في الجسم وتنشيط الكريات الليمفاوية مما يساعد على وقف نمو الخلايا السرطانية كما ان هذا الاسلوب مـن العلاج يسمح بتخفيف الجرعات الضخمة مـن الاشعة العميقة التي يتعرض المريض لها ـ وكذلك تخفيض جرعات الادوية المضادة للسرطان وتجنب مضارها على الجسم والاثار الجانبية التي قـد تسببها تلك العقاقير القوية او الاشعاعات الضخمة التي يتعرض لها المريض اثناء علاجه .

ومن هنا يتضح ان جهاز الحصانة في جسم الانسان يلعب دورا رئيسيا لا في مقاومة الامراض المعدية التي تسببها الميكروبات والفيروسات فقط بل يمكنه ايضا ان يقوم بدور هام في مقاومـة الاورام الخبيثة ، وامراض السرطان وذلك اذا تمكن العلماء من الاستفادة بهذا الجهاز الحيوي الهام في الجسم وتنشيطه وبالتالي وضعه فـي خدمة الكائن الحي بصورة تتيح القضاء علـى ذلك المرض الذي حير الانسان والعلماء طوال القرون الماضية وقد حان الوقت واقترب الاوان الذي يمكن فيه السيطرة على ذلك المرض والقضاء عليه .

■■

د . نبيل رياض

آذار (مارس) ماذا تعني ؟

شهر آذار ، واسمه في اللغات الاجنبية Mars او Marsh كان اول شهور السنة عند الرومان ، وظل كذلك حتى السنة السادسة والاربعين قبل الميلاد ، وبقي بداية السنة الرسمية في انكلترا حتى سنة ١٥٧٤ ، عندما اصدر شارل التاسع امره باعتبار كانون الثاني اول السنة ، فحذت اسكوتلندا حذو فرنسا ، اما انكلترا فظلت حتى سنة ١٧٥٢ تعتبر آذار اول سنتها الرسمية ، وكان الرومان يسمونه tius ا وهو اسم اطلقه عليه رومولوس اكراما للاله « مارس » على ان اوفيـد يقـول : ان هذا الشـهر وجد قبل عصر رومولوس ، وان يكن في موضع آخر من السنة ، وكان الاوروبيون يعتقدون ان في هذا الشهر أيام شؤم هي الايام الثلاثة التي يستقرضها من نيسان، وفي بلادنا يعتقدون بالمستقرضات ، ولكن يقولون ان شباط هو الذي اقترضها من آذار ، لا آذار من نيسان .

واسم آذار ماخوذ من اللغـة الكلدانيـة اوالسريانية ، وكان هذا الشهر عند العبرانيين الشهر الثاني عشر من سنتهم الدينية ، والسادس من السنة السياسية ، ويصوم اليهود في السادس منه تذكارا لموت النبي موسى ، وفي الثالث عشر منه تذكارا لموت « أستير » ، ويعتبر الرومان هذا الشهر شهر تجدد الربيع ، اذ كانوا يجددون فيه ايقاد النـار على مذابح « فستا » التي كانوا يعيدون لها في السادس عشر منه . وهذا الشهر كثير الاعيـاد عندهم ، ومن اهمهـا عيد الالـه « باخوس » في السابع عشر منه ، وعيد « منيرفا » في التاسع عشر منه ، وكان هذا الشهر تحت حمايتها . وهو يمثل اله الحرب في مركبة يجرها جوادان هما الرهبة والفرار ، وهو تمثال مخيف يحمل في يده حربة طويلة ، ويرفع في الاخرى ترسا نحو السماء ، وقد اشرأب عنقه ورفع رأسه بحيث يلمع البرق على خوذته العظيمة ، هذا هو مارس اله الحرب . وقد كان مارس في نظـر الرومان اكثر من محارب عادي ، يعتبرونه الها يستطيع ان يفعـل كل شيء لانه قوي ، فكانوا يضرعون اليه من اجل المطر ، ويستشيرونه في شؤونهم الخاصة ، ويقدمون على مذبحه الضحايا. وكان الجنود اذا ذهبوا الى الحرب يحملون معهم قفصا من الدجاج المقدس لمارس ، ومتى اشرفوا على العدو كانوا قبل الدخول في المعـركة ،يضعون حبوبا امام هذه الفراخ ، وينتظرون ليروا ما اذا كانت تاكلها او ترفض اكلها ، فاذا اكلتها بشهية ، كان ذلك دليلا على ان اله الحرب في جانبهم ، اما اذا رفضت الاكل فيكون ذلك شؤما عليهم .



طبيب الأسرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

أسباب نمو شعر الوجه في النساء

● انا سيدة في الثلاثين من عمري لاحظت نمو الشعر بكثافة في وجهي مما يقلقني كثيرا ، فما هو السبب وهل من علاج ، وهل كريمات الوجه تؤثر في كثافة الشعر ؟

ـ هناك اعتقاد خاطيء بأن كثرة استعمال كريمات الوجه والمساحيق تؤدى الى زيادة نمو الشعر على الوجه فليس هناك صلة على الاطلاق بين الحالتين ولكن يلاحظ ان الالتهابات الجلدية والتعرض للشمس والرياح يساعد الى حد ما على نمو الشعر مؤقتا . ونمو الشعر في وجه المرأة يسبب مشاكل نفسية كثيرة مما يجعلها تعتقد أن الناس يتكلمون عنها مما يسبب لها الكثير من الانطواء ، وذلك يعتمد على معاملة الاسرة لها ونظرتهم لهذا الموضوع .

وتتفاوت درجة ظهور الشعر وكثافته من امرأة لاخرى وهناك نوع ذو صفة وراثية ينتشر في بعض العائلات ، كما أنه يكثر في بعض الاجناس خاصة في الاسبان واليهود ، كذلك بعد سن اليأس فكثير من النساء ينمو لهن لحية وشارب .

وربما ظهر الشعر بشكل مؤقت نتيجة اضطراب الدورة الشهرية مثلا ، وأحيانا أثناء الحمل وبعده ، وفي بعض الاحيان نجد بنات اختفى الشعر من وجوههن بعد الزواج والانجاب ، وقد يصحب ظهور الشعر في الوجه سقوطه من على الرأس وظهور حب الشباب مثلا ويرجع ذلك الى اضطراب في الهرمونات ، خاصة عند سن البلوغ .

وسوء الهضم النفسي ونقص الفيتامينات من الاسباب التى تؤدى الى نمو الشعر على الوجه والجسم حيث أن ذلك يؤدى الى بعض التغيرات في الغدد كما يحدث مثلا بعد عمليات المعدة فيلاحظ ظهور شعر طويل على الجسم .

واضطراب الهرمونات سواء كان فسيولوجيا أو نتيجة أورام في الغدد خاصة غدد المبايض والغدة النخامية من أهم أسباب نمو الشعر على الوجه والجسم .

بالنسبة للعلاج فانه يعتمد على السبب اذا كان وراثيا أو هرمونيا او فسيولوجيا ، هل هو منتشر على جزء معين من الجسم أو على جميع أجزاء الجسم ، ففي حالة سن اليأس مثلا يمكن استعمال هرمون المبايض سواء بالفم أو على شكل كريمات حيث يؤدى الى اختفاء الشعر الا أن هذا العلاج هو علاج مؤقت يبقى أثره ما بقى الاستعمال قائما طالما تداوم على الاستعمال .

واذا كان السبب نتيجة ورم في الغدد فان استئصال الورم أو العلاج بالاشعة يؤديان الى نتائج طيبة .

أما العلاج الموضعي فمعروف من القدم باستعمال الشمع أو ما شابه موضعيا لازالة الشعر عند سطح البشرة ، كذلك مساحيق وكريمات ازالة الشعر ومعظمها يحتوى على باريوم سلفايد .

وفي حالة ظهور الشعر في مناطق محددة من الوجه فهذه يمكن ازالتها بتدمير حلمة أو جذر الشعرة بواسطة الكهرباء Shortwave Diathermy Electrolysis وهي المفضلة حاليا ولا تترك اى أثر أو ندبة .

● تزوجت منذ ٤ سنوات ولم أنجب أطفالا وبالتحليل فوجئت ان السائل المنوى سلبي واخبرني الطبيب ان ذلك يرجع الى انسداد القناة المنوية ويجب عمل جراحة لفتحها فما سبب ذلك وهل تنجح هذه العملية عادة ويتم الانجاب؟

ـ من المعروف أن احد اسباب عدم الحمل هو وجود انسداد في البربخ أو الحبل المنوى للرجل وبالتالي فان الحيوانات المنوية المنتجة في الخصية والمتجمعة في البربخ لا تجد طريقها للخروج بسبب ذلك الانسداد ويفرز السائل المنوى خاليا من الحيوانات المنوية الضرورية للانجاب •

واسباب انسداد القناة المنوية يرجع الى اسباب اهمها :

١ ـ تعرض الشخص للالتهابات التناسلية في فترة شبابه خاصة السيلان والتهابات مجرى البول واهماله في علاج هذه الالتهابات التي تؤدى الى ضيق في القناة القاذفة أو انسداد في البربخ علاوة على ان هذه الالتهابات تؤدى الى ضعف الحيوانات المنوية •

٢ ـ احيانا تتكون حويصلات صغيرة في البربخ او القناة مؤدية الى الانسداد •

٣ ـ اصابة القناة المنوية اثناء حادثة أو اثناء اجراء عملية جراحية اخرى كالفتق أو الدوالي •

اما بالنسبة لنجاح العملية الجراحية الخاصة بازالة الجزء المسدود وتوصيل القناة ثانية فهي كما ترى عملية دقيقة تحتاج خبرة معينة ونجاحها يعتمد على عدة عوامل اهمها :

١ ـ التأكد من نشاط الخصية وذلك باخذ عينة من الخصية وفحصها باثولوجيا للتأكد من ذلك •

٢ ـ مدة الانسداد ، فكلما طالت الفترة التي ظلت قناة المني فيها مسدودة كانت فرصة النجاح اقل •

٣ ـ ان تكون العملية نظيفة ولا يحدث بها اى التهاب او مضاعفات بحيث يرجع الانسداد مرة اخرى •

وعلى اى حال فاذا كان الامل الوحيد هو في اجراء العملية فاعتقد انه لا مفر من عملها حتى تكون هناك فرصة لفتح الانسداد وبالتالي يمكن للحمل والانجاب ان يتما •

● انا شاب متزوج ظهر في لحيتي مناطق خالية من الشعر تماما ، الاحظ انها تتكاثر مع الوقت • فما هو ذلك وهل هو معد ؟ •

ـ ان هذا المرض يسمى ثعلبة الذقن ويشبه الى حد بعيد ذلك الذى يحدث في الراس الا انه يظهر في الوجه ، وقد يحدث في الراس واللحية معا • ومن الطبيعي ان ثعلبة الذقن اخف وطأة من ثعلبة الراس نظرا لان المصاب يحلق باستمرار ولذلك فهي لا تظهر الا اذا ارسلت اللحية • الا ان علاجها يطول اكثر من ثعلبة الراس • وهي غير معدية ابدا • ومن اهم اسباب هذا المرض وجود الاضطرابات النفسية والقلق ، ومما يزيد المشكلة خوف المريض من هذا المرض وقلقه وبالتالي توتر اعصابه وسرعة انفعاله فيزداد المرض وينتشر بالرغم من اخذ العلاج كذلك فان وجود اى بؤرة في الجسم مثل التهاب الجيوب الانفية او التهاب البروستاتة المزمن او تسوس الاسنان يساعد على حدوثه وانتشاره كما ان الصدمات على الراس واضطرابات العين تساعد على الاصابة به ايضا • ولكن يجب التأكد من ان ذلك ليس احد اعراض الزهرى الثانوى حيث تظهر رقعات مشابهة للثعلبة وخالية من الشعر خاصة في مؤخرة الراس وقد تظهر في الذقن •

اما علاج هذا المرض ، فعلاوة على الدهونات الموضعية والاشعة البنفسجية فيجب استعمال بعض المهدئات

والاطمئنان بان ذلك المرض انما هو حالة عارضة ليس لها اى مضاعفات وان الشعر سينمو طبيعيا ثانية فى تلك المناطق الخالية بمجرد الاطمئنان . وفى الحالات المستعصية يمكن استعمال الكورتيزون عن طريق الفم او الكريمات او الحقن موضعيا حسب تعليمات الطبيب المختص وتحت اشرافه .

[redacted]

● ظهرت فى ابنتى حبيبات صغيرة على ذراعها وكتفها واصبحت بشرتها خشنة واخبرنى الطبيب ان هذه الاعراض يسببها نقص فيتامين (أ) فما هو سبب ذلك النقص بالرغم من ان اكلها كالمعتاد . وهل هناك اعراض اخرى لنقص ذلك الفيتامين ؟

ـ ان فيتامين (أ) مهم جدا فى تكوين البشرة وصحتها ولذلك فان نقصه يؤدى الى حبوب كما ذكرت تشوه منظرها وتجعلها خشنة الملمس ، وهذه الحبيبات تحدث نتيجة اضطراب فى تكون البشرة وجفافها وتكثفها فى هذه المناطق وتظهر الحبيبات بصفة خاصة على الوجه والاطراف والكتف ، كذلك فان نقص هذا الفيتامين يؤثر على اللسان والشفاه فيزداد احمرار اللسان وتتشقق جوانب الفم كما ان نقصه يؤثر فى ضعف مناعة الجلد وجعله عرضة للاصابة بالميكروبات والفطريات .

وكلنا نعرف فوائد فيتامين (أ) على العين خاصة خلايا الملتحمة والقرنية . وكذلك يؤثر نقص ذلك الفيتامين على الشعر ونموه وجفافه كما يؤثر على صحة الاظافر وتشققها .

اما بالنسبة للتغذية فالمهم هو النوعية وليس الكمية . وعموما فان هذا الفيتامين يكثر فى زيت السمك واللبن والزبد والبيض والكبد والجزر والبازلاء .

ومن العوامل التى تؤدى الى نقص هذا الفيتامين فى الجسم ما يلى :

١ ـ عدم تناول الاطعمة التى تحتوى على كميات كافية من هذا الفيتامين .

٢ ـ قد يكون تناول الاطعمة طبيعيا بل وبكميات زائدة الا ان الشخص قد يكون مصابا بمرض معين يمنع امتصاصه فى الدم .

٣ ـ وجود امراض او التهابات فى الجسم تؤدى الى سرعة استهلاك الفيتامين .

٤ ـ بعض الاجسام تحتاج الى كميات زائدة من هذا الفيتامين كما فى فترة الحمل والمرض والنقاهة .

٥ ـ قد يكون هناك افراز للفيتامين بكميات زائدة غير طبيعية .

يمكن معرفة مقدار نقص فيتامين (أ) فى الجسم بواسطة تقدير نسبته فى الدم فالنسبة الطبيعية هى ١٠٠ وحدة فى كل ١٠٠ سم دم فاذا وجد نقص وجب عمل كشف عام لمعرفة السبب وعلاجه .

[redacted]

● انا شابة فى مقتبل العمر الاحظ اننى لا اتنفس مطلقا من الناحية اليسرى لأنفى واحس انها مسدودة تماما كما انها لا تخرج اى افرازات بالمرة مع العلم اننى لا اشعر باى شيء من الناحية اليمنى واجد انها طبيعية .

ـ حسب ما فهمت من سؤالك انك لم تتنفسى من الناحية اليسرى لانفك طول حياتك على قدر ما تتذكرين وهذا يجعلنى أرجح أن يكون السبب هو وجود انسداد فى الفتحة الخلفية للمجرى الانفى الايسر ، وهذا الانسداد غالبا ما يكون خلقيا اى انه موجود منذ ولادتك ولكن لان الناحية الاخرى طبيعية فانك لم تلاحظى وجود الانسداد الا بعد ان بلغت سنا تمكنك من ملاحظة ذلك .

والعلاج يكون بعملية جراحية لاعادة فتح المجرى الانفى واعادته لحالته الطبيعية .

وانصحك بعرض نفسك على طبيب اخصائى لعمل الفحوصات اللازمة للتاكد من التشخيص والقيام بالعلاج اللازم .

تقرير أمريكي :

هكذا.. تغير عالم الرجال !

هذا التقرير الامريكي يرصد بدقة شديدة المتغيرات التي طرأت على عالم الرجال في الربع الاخير من القرن العشرين ،وهي متغيرات تشير بغير تحفظ الى ان العصر الذهبي للرجل في طريقه الى الزوال،وان الاصوات التي تدعو الى تحرير الرجل قد بدأت ترتفع بالفعل .

ونحن ننشر التقرير لا لأننا نقر ما فيه ، ولكن لكي «نعرف» بعض ما يجرى حولنا ونحتسب للمسألة إن اذا اردنا .



كان الرجال على مر العصور والى عهد قريب هم اصحاب النفوذ القوى والسلطة المطلقة في المنزل والمكتب بوصفهم « الممولين الوحيدين » للاسرة ، الذين يضربون في الارض سعيا وراء لقمة العيش ، في الوقت الذى كانت فيه زوجاتهم يلازمن البيت للاعتناء بأطفالهن وتدبير شؤون المنزل . والرجال في سعيهم وكدحهم هذا كانوا يصابون بامراض عديدة كامراض القلب والقرحة والتسمم الكحولي ومن ثم الموت المبكر ، ولكن سيادة الرجل المطلقة هذه اخذت تتقلص تدريجيا في اعقاب موجات تحرر المرأة التي نشطت في الستينات ، والتي كان من شانها نزوع المرأة المستمر لترك الحياة المنزلية والانخراط في ميادين العمل المختلفة ومجاراة الرجل في كل شيء تقريبا .

وازاء ذلك ، فان الازواج التقليدين اعتبروا هذه الظاهرة تحديا خطيرا لهم . اما الازواج الاصغر سنا فقد كانت لهم نظرة مختلفة ، اذ اخذوا يتساءلون عن الجدوى من وراء تهافتهم المتزايد على العمل طالما ان زوجاتهم اصبحن ربات عاملات يشاركن في الاعباء المالية المنزلية .

وكانت النتيجة الاولى الفورية لذلك هي ان بعض الازواج اقلع عن الاشتغال ساعات اضافية

« الفكـرة التقليديـة للرجولة دفنت فى اماكن عديدة ، ولكن لم يتـم التوصل الى البديل الذى سيحل مكانها » ـ طبيـب نفسى امريكى ٠



مضحيا بذلك بدخل آخر لا يستهان به ٠ وقرر تكريس وقت اطول للحياة المنزلية ، حتى انهـم اخذوا يشاركون زوجاتهم العاملات واجباتهـن كالاعتناء بالاطفال والمساهمة فى اعداد وجبـات الطعام ٠ ويقول فيليب سولومون رئيس احـدى الاكاديميات الامريكية المختصة بشؤون الزواج ان مزيدا من الآباء اخذوا يطالبـون بمساواتهم مع الامهات فى ميادين الرعاية والاعتناء بالاطفال ، وبتاكيد ابوتهم خاصة فى حالات الطلاق ٠

وشكلت سلسلة من حالات الطلاق فى عام ١٩٧٠ تحديا للافتراض القانونى القائل بان الام هـى الوصى المناسب والطبيعى على الاطفال ٠ وحتى الان فان خمس عشرة ولاية امريكية اقرت حقوقا متساوية لكلمن الوالدين فىرعاية ابنائه الصغار٠ وايدت محكمـة الاستئنـاف فى ولايـة ميسورى الاميركية حقوق الآباء فى هذا الصدد وقالت « ان وظائف الرجال والنساء اصبحت اليوم اكثر مرونة، وان الآباء راغبون وقادرون على توفير الرعايـة المناسبة لاطفالهم » ٠

الآباء وحمام الاطفال !

ويقول احد الروائيين الامريكيين « ان الآباء اصبحوا يعبرون عن مشاعرهم وحنانهم الابـوى بصورة اقوى من ذى قبل وان حركة تحرر المراة قد خلقت مناخا بات يسمح للآباء بان يعبروا عن مشاعرهم بصدق واخلاص » ٠

وذكرت دراسات عديدة ان الآباء اصبحـوا الان يشاركون مشاركة فعالة فى تربية الاطفال ، وان العديد منهم يقومون بتحفيض اطفالهم بطريقة سليمة لا تسبب لهم اى الم ، كما يتولون عملية الحماماليومى للاطفال قبل النوموتهيئتهم للمدرسة فى الصباح ، وهناك الكتب العديدة التى تتحدث

من انغماس الرجل في تربية الاطفال • وبعض هذه الكتب تحمل عنوان « الحنان هو القوة » « ومشاعر الاب » •

وتقول الروائية الامريكية آن رويفي انها تعرف الكثير من الازواج الذين يعطون اطفالهم وقتا اطول من زوجاتهم ، وتضيف قائلة ان الاب هو الذى يتحرك على الفور عندما يصرخ الطفل خلال الليل ليرى ماذا يريد • فهو يقوم بمثابة الام في المنزل •

ورغم هذه الظواهر ، فان التطور الجديد لا يزال محل مناقشة •

فتفوق الرجال هو عادة متاصلة فيهم ، والعلماء المتخصصون في علم الانسان يؤكدون بان الشواهد التاريخية دلت على انه لم يظهر مجتمع لم تكن السيادة فيه للرجل ، وعلاوة على ذلك فهم يؤكدون ايضا بان معظم الرجال يعملون على تعزيز سيادتهم • وهم منذ الولادة ينشاون على الاعتقاد بان الرجولة هى جائزة تستحق الظفر بها •

ومجد الادب الممتد من عهد هوميروس الى هيمنغواى بطولات الرجال في ساحات القتال وميادين الرياضة وغيرها وهيمنتهم المنزلية•واظهر الرجال على مر العصور انه الى جانب طابع الخشونة والتكوين الجسماني ، فان باستطاعتهم ان يكونوا رومانسيين شديدىالحساسية وان يذرفوا الدموع بغزارة شانهم في ذلك شان زوجاتهم ، ولكنها الثورة الصناعية التى صنفت الذكور والاناث الى الجنس الخشن والجنس الناعم ، ومركز الرجال « كممولين وحيدين » للاسرة اخذ يتزعزع تدريجيا في السنوات الاخيرة فيما خففت برامج التقاعد والضمان الاجتماعي والقروض الجماعية من العبء الاقتصادى •

وشكلت موجات تحرر المراة في الستينات اول تحد علني لسلطة الرجل واستقطبت هذه الثورة انصارا لها من اولئك الذين يريدون الاختيار ، فكان منهم اولا السود فالشباب ثم النساء اللواتى تمردن على الادوار التى كن يضطلعن بها ، والتى اعدت لهن عبر عصور التاريخ المختلفة • كما رافق هذه الثورة ظهور حركات وجودية كالهيبيين •

تغيرت قيم الرجال

ولا يزال من الصعوبة بمكان بالنسبة للرجال التحدث عن محنتهم ولكنهم بداوا يفعلون بعض الشيء ازاءها • فالعمال في المؤسسات والشركات اخذوا الان يرفضون العمل ساعات اضافية وفي نهاية الاسبوع حتى باجر مضاعف بعد ان كانوا يقومون بذلك ، وقال احد العاملين في مؤسسة « كاليفورنيا نورث روب » ان قيم العمالة قد تغيرت • واضاف يقول ان الرجل قد يكرس وقته للشركة ولكنه يريد ايضا الاستمتاع بفترة اطول بين افراد اسرته ويمارس نشاطاته المختلفة بعيدا عن عناء العمل •

وجاء في دراسة اخيرة اجرتها احدى المؤسسات الامريكية وتناولت فيها ٧٥٨ شركة ان ٦٦٪ من موظفي هذه الشركات يفضلون البقاء في الاماكن التى تتواجد فيها عائلاتهم وعدم الذهاب الى مناطق بعيدة سعيا وراء الرزق •

وسلطة النقص الجديدة التى تتمتع بها الزوجة يمكن ارجاعها الى حقيقة ان لها وظيفتها الخاصة بها ، ويقول باحث امريكي هو ريتشارد كولمان انه بالرغم من ان دخل الزوج ما زال الى حد كبير هو الذى يحدد المستوى الذى تعيش فيه العائلة ، فان عمل الزوجة من شانه ان يعزز سلطتها في المنزل، ويضيف كولمان انه حتى لو ان دخل الزوجة يساوى فقط نصف دخل زوجها فان علاقة السلطة قد تكون التعادل •

وذكر وارن فاريل الذى شكل حوالى الالمائة مجموعة هدفها « تحرر الرجال » ان الكثير منهم كان يحجم عن كشف النقاب عن مشاعره واحاسيسه بالرغم من الالم الذى كان يعتصر فؤاده من جراء هذا الاحجام ، وقال ان الرجال كانوا يتحدثون في البداية عن العمل والرياضة وغير ذلك ولكنهم اخذوا فيالنهايةيتحدثون عن انفسهموعن مشاكلهم الداخلية وعلاقاتهم مع زوجاتهم ، ولقد حاولوا في بادىء الامر القاء اللوم على المراة ولكنهم اخيرا اعترفوا بان لهم ضلعا في هذه المشاكل وطلبوا العون من مجموعاته ، واضاف فاريل قائلا ان المسالة هى في تعلم الرجل كيف يكون ذاتيته المميزة وهي مسالة يعتبرها معظم الرجال بانها صعبة للغاية •

اما الرجال الاصغر سنا فانهم اكثر انفتاحا على الحياة واقل عرضة للهواجس والظنون • وهم يقبلون بالدور الذى تضطلع به المراة الان في

المجتمع وهو امر لم يحكم اباؤهم به من قبل . ويتوقع الكثير منهم ان يشاركنهم زوجاتهم في كسب الرزق ، ولكنهم يشددون في الوقت نفسه على الحياة العائلية اكثر من العمل .

ويقول بروس زافون وهو استاذ جامعي في ولاية الينوى الامريكية « انني آمل ان يكون لحياتنا العائلية اهمية اكبر من عملنا . والسمة الحقيقية المميزة للسبعينات قد تكون ظهور زيجات بين الذكور والاناث الاصغر سنا (٥٠ ـ ٥٠) مرتكزة على تحرر المرأة وقواعد المساواة بين الجنسين في المنزل وفي العمل المختلط ، ولا ادل على ذلك من ان جريج وكارين ارينسون ـ وهما في العشرين من العمر انخرطا في العمل سويا بعد التخرج واخذا يتقاسمان اعباء الحياة عقب الزواج ، ويعتقدان بان المرونة في مواقف كل منهما من شانها ان تدفع بالسعادة المنزلية الى حدها الاقصى، وعلاوة على ذلك فقد اقتسما الشؤون المنزلية على اساس ان يقوم كل منهما بالعمل الذى يكون اكثر ملاءمة له من الاخر ، ويقول جريج ان سعادتهما تعود الى الجو الذى كان سائدا في الكلية اثناء الدراسة والى تفكيرهما في العالم الذى يرغبان العيش فيه .

وطلبة الجامعات على دراية بالتغيير الذى طرا على المجتمع بالرغم من تجربتهم القصيرة ، ويقول فيل بينيت وهو طالب في جامعة هارفارد الامريكية ان الطلبة في الجامعة يقيمون علاقات صداقة مع الطالبات وكثيرا ما تقوم الطالبة بدفع قيمة الطعام او تذكرة السينما عن صديقها الطالب الذى لا يجد غضاضة في ذلك كما انه شيء عادى بالنسبة للنساء الاكثر تحررا ان يبادرن الى اقامة علاقات جنسية مع اصدقائهن .

النجاح أو البيت ؟

وفي المدى البعيد فان البناء الاجتماعي نفسه قد يتحول عن طريق تطوير وظائف الذكور والاناث، علما بان هناك تغييرات جوهرية قد حدثت بالفعل بين الجنسين في العمل والمنزل ، ولكن هذه التغييرات سببت بعض الاضطراب خاصة بين الرجال الاكبر سنا والذين ما زالوا يدافعون عن الافتراض التقليدى القائل بتفوق الذكور واولويتهم في المنزل . وبات كثير منهم يفكرون في ماهية الادوار المطلوبة منهم ، وهم اى الرجال ـ قد يكونون عرضة للانتقاد او الهجوم ولكنهم نادرا ما يهزمون .

ويبدو ان للنساء ضلعا في هذا الاضطراب الذى يعاني منه الرجال ، فقد اظهرت دراسة واسعة النطاق اجرتها مؤسسة مختصة بالابحاث النفسية ان غالبية النساء يردن من ازواجهن ان يكونوا لطفاء وان يراعوا حقوقهن ومشاعرهن ولكنهن يعجبن في الوقت نفسه بشجاعة الرجال المالوفة بما في ذلك نجاحهم في العمل .

وكان الرجال يقدرون انفسهم عن طريق عملهم ولكنهم اصبحوا الان على علم بان النجاح في العمل ليس كافيا وانما يتوجب عليهم ان يكونوا كذلك ازواجا ناجحين .

ومع هذا فان العالم النفساني روبرت سياد ـ الذى يعمل في المعهد الامريكي لعلاقات الاسرة يقول ان المشكلة هي انهم يجدون من المستحيل الجمع بين الاثنين (النجاح في العمل والبيت) .

فالنساء غير المتزوجات في امريكا واوروبا يقمن علاقات عديدة وبعيدة المدى احيانا مع الاخرين.وقد ادى هذا التحدى العدواني الجديد الى ازعاج الكثير من الرجال الذين اخذوا يترددون باعداد متزايدة على عيادات الاطباء والاخصائيين النفسانيين حين يتزوجون من نساء لهن تجارب سابقة . ومعظم الرجال لم ينجحوا كثيرا في معالجة الحاح النساء المتزايد للعمل . فالعديد منهم ما زال يعتبر العمل امتيازا مقصورا على الرجال وان مهنتهم مقدسة وانهم احرار في رسم مسار حياتهم واختيار اصدقائهم . ويتبين من مقابلات اجرتها عالمة الاجتماع ميرا كوماروفسكي ـ مع عدة مجموعات من طلبة الجامعات لتضمينها كتابا لها بعنوان : (معضلة الذكورة) ان حوالى ١٠٪ فقط يمكن اعتبارهم « متحررين » حقيقيين وان مواقف الغالبية كانت تتسم بالتناقض ، يؤيدون فكرة الزوجات العاملات ولكنهم يضعون شرطا يقضى بوجوب عدم تعارض مهنة الزوجة مع زوجها والتدخل في كل صغيرة وكبيرة في المنزل ، وهم في هذا يؤيدون دخول المرأة ميدان العمل ولكنهم يعارضون طموحاتها .

من المضطهد اكثر ؟

والازواج اخذوا يتراجعون الى الخلف فـــي مواجهتهم لزوجاتهم « المتحررات » وغاصوا فـي مشاكل جدية تحتاج الى الحل السريع ، وبدا بعض الرجال كخط دفاع اخير لهم في تصوير انفســهم بانهم الضحايا الحقيقيون في الحرب الدائـــرة بين الجنسين •

وقال الان فورمان ـ وهو موظـف في احـدى المؤسسات الاجتماعية ان نقاشا حادا جرى بينـه وبين زوجته حول ما اذا كان الرجال يضطهدون النساء ام العكس ، ووصف ريتشارد حداد المدير التنفيذي للمؤسسة الاجتماعية نظرية المساواة بين الجنسين بانها جيدة للنساء ولكنه قال انها لاتحل المشكلة ، ويعتقد بان قيام الاب بدون الام فـي الاعتناء ورعاية الاطفال سيكون هو الصفة المميزة للاجيال القادمة في ضوء استمرار تحرر المراة ، وان الرجال سيلعبون ادوارا رئيسية في ميـدان حضانة الصغار •

وذكر بعض اعضاء حركة تطلق على نفســها « الرجـال الاحرار » انشئت في ولاية ميريلانـد الامريكية ، وتضم اصحاب حرف مختلفة ان عملية تحرر الرجال ستكون بطيئة لانها تفتقر الـــى العناصر الاساسية الفورية التي حصلت عليهـا النساء العاملات ، ولكن آخرين على قناعة تامة بانها ستتحول الى حركة سياسية شاملة فـــي غضون السنوات القليلة القادمة ، ويتفق رد الفعل هذا مع ظهور راى علمي يقول بان الرجال ذوو نزعات عدوانية بيولوجيا وان النساء مهيات بصورة افضل للقيام برعاية الاطفال •

ويقول عالم الاجتماع ستيفن جولدبيرغ ـ ان هذا الراى يشير الى وجوب تتبع النساء لنزعاتهن النفسية الملحة وعدم اختيار الطرق المنافســة لميادين الرجال • ويحذر بعض علماء النفس من ان النساء في الحقيقة قد يكررن اخطاء الرجال في خضم تعطشهن المتزايد للعمل والاتجاه المهني• ويقول اخصائيون في علم الاجتماع ان حركـــة تحرر المراة قد جردت الرجال من مسؤوليات كانوا لا يرغبون فيها ، ولكنها ادت الى ظهور جيل خشن دفاعي من النساء اللواتي يعانين من بعض اشياء يحاول الرجال الان التخلص منها ، ويعتقد هؤلاء الاخصائيون ان الحب والعمل هما اهم شيئين في الحياة • ولكن كل فرد الان يحرز نجاحا كبيرا في العمل في حين يمنى الحب بنكسات مستمرة •

في مرحلة انتقال

ويتوقع بعض المراقبين الاجتماعيين في ضوء مقاومة الرجل للاوضاع الجديدة حدوث منافسة تقليدية حول اقتسام السلطة ، ويقولون ان هذه المنافسة ستبرز الى العلن في الوقت الذى تحصل فيه النساء على مزيد من المساواة في العمل في حين يجد الرجال ان دورهم البارز اخذ يتقلـص في العمل والمنزل ، ويتكهن الطبيب النفساني كينيث كينيستون بان يعارض الرجال بشدة فـي النهاية اعادة تحديد ادوار الجنسين ومن ثــم يستعيدون سلطتهم ومنزلتهم من خلال الوظائف التقليدية • واعرب كينيستون عن القناعه فـــي الوقت نفسه بان عملية اعادة تحديد الادوار ستتم ببطء طالما استمرت النساء في العمل ولكن آخرين اكدوا بان العمل سيظل ، يحتل مرتبة اولية بالنسبة للرجال وان انغماسهم في الشؤون المنزلية سيبقى محدودا •

ويتوقع جون ديموس وهو مؤرخ امريكي حدوث تغير جوهرى في مؤسسات العمل نفسها مع تخفيف اصحاب العمل مطالبهم بهدف اعطاء فرصة للرجال والنساء للعيش حياة اكثر توازنا •

وقال ان العصر الذى تخيم فيه السعـــادة الحقيقية على المجتمع لن يظهر الى حيز الوجود بدون تغييرات تشريعية من شانها ان تجعل اوقات العمل اكثر مرونة •

ومهما تكن خلافاتهم حول التفاصيل فان معظم الخبراء يميلون الى الاتفاق على ان بعض الشيء قد تغير في ادوار ووظائف الرجال والنساء • فالنساء يعشن بوضوح في ثورة والرجال قـــد يكونون الان في مرحلة انتقال • وحتى الان فان التغييرات التى اصابت الرجال سطحية ، غير ان الاهمية تكمن في الضجة التى اثاروها حـــول التغييرات التى اصابت المراة ، فان ضجه من هذا القبيل من شانها ان تؤثر على الواقع في النهاية، واذا ما تمرد الرجال كذلك فان ذلك سيكون امرا مفهوما •

ويقول الطبيب النفساني « جاولد » ان الرجال



يواجهون الان ظرفا صعبا للغاية لتحديد ماهية دورهم على وجه الدقة ، فالفكرة التقليدية قد دفنت في اماكن عديدة ولكن لم يتم التوصل بعد الى البديل الذى سيحل مكانها فى النهاية » •

والرجال الاصغر سنا لم يحلوا تماما ادوارهم ، فهم احتفظوا ببعض سمات وحوافز الذكورة غامضة مع انها تتعارض مع ادراكهم لبيئة جنسية متغيرة ، وهم يعلمون انهم متخلفون عن آبائهم •

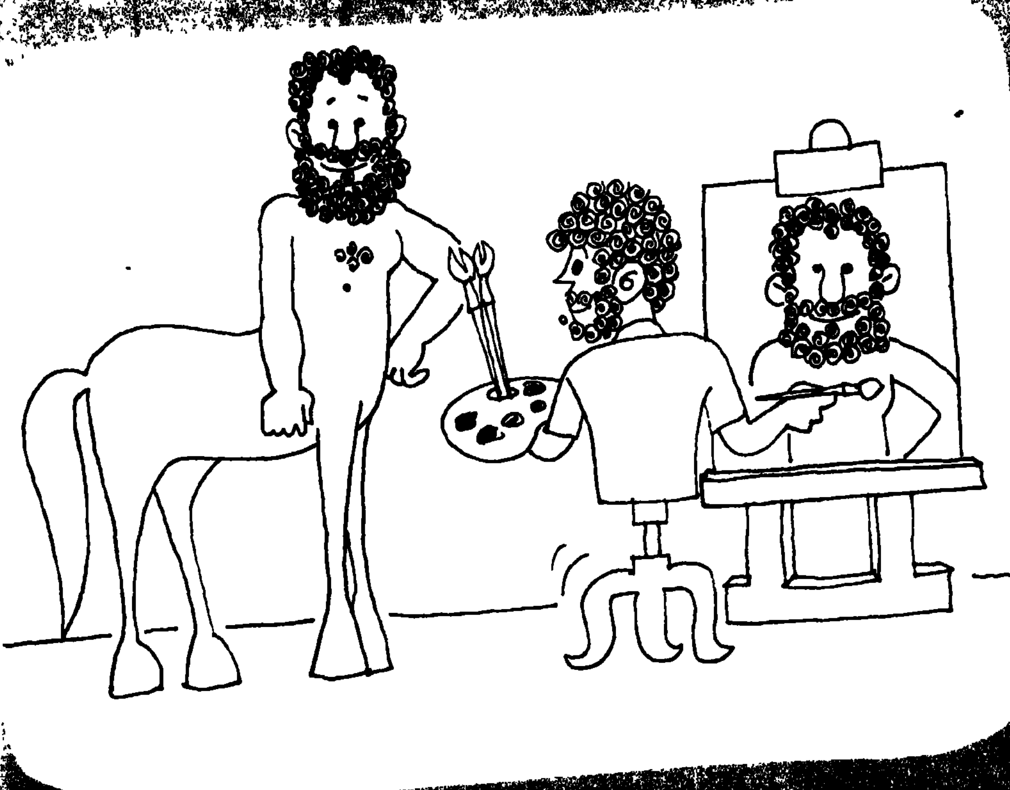
وذكر مسؤول كبير فى « جامعة نيويورك » انه عضو فى الجيل الاول الذى سيشق طريقه الى الامام فى ظل النظرية القائلة بالمساواة بين الجنسين وانهم سيكونون اول من يعمل على نشر هذه النظرية بصورة اعم واشمل وقال « ان كل فرد يطمح لان يكون رجلا نموذجيا » •

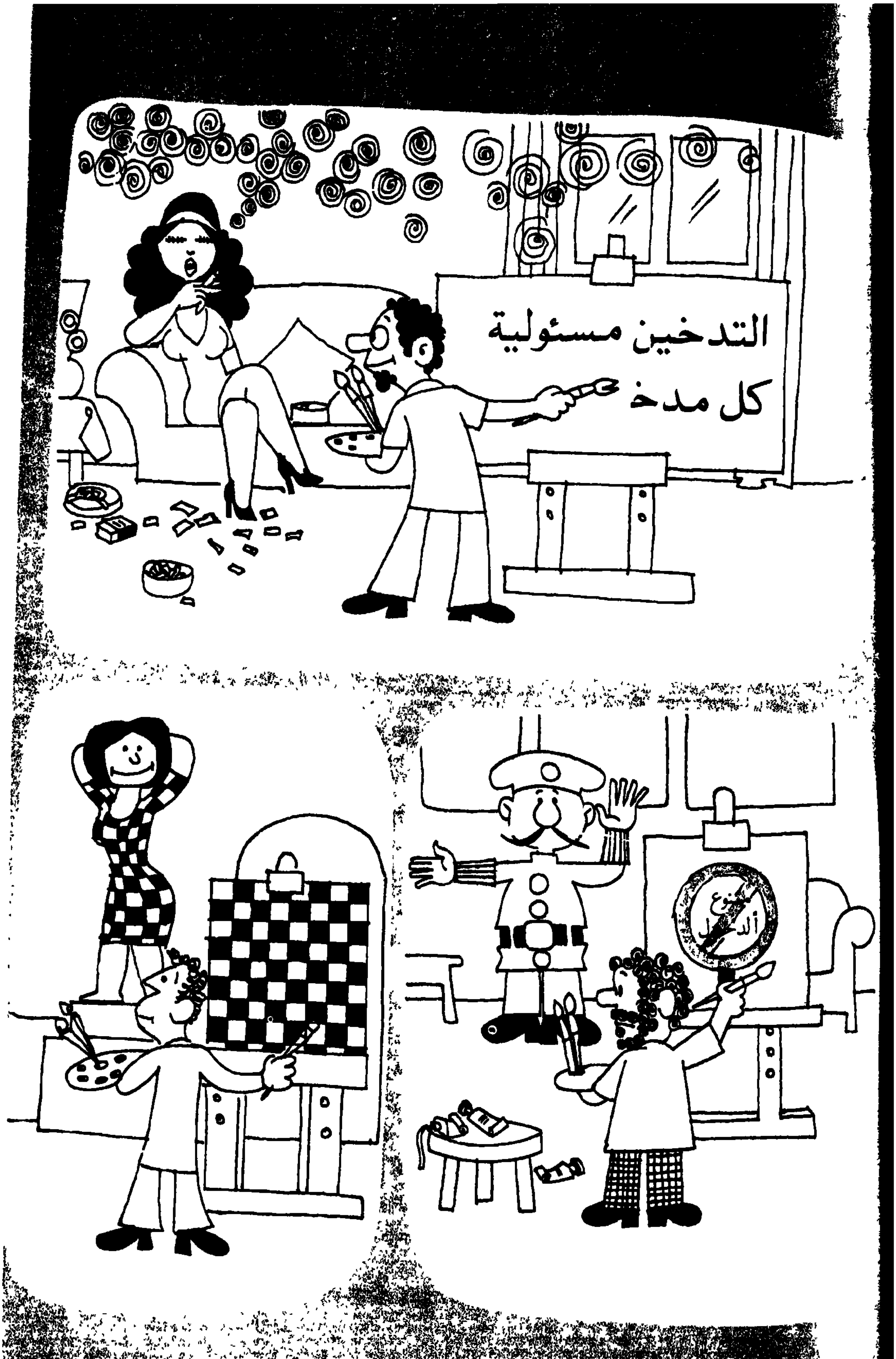
تلك هى عقيدة بسيطة كافية ومن الموثوق به انها حدثت لاجيال سابقة من الرجال ، ولكنها ستكون منطلقا لعصر ثورى للرجال القادرين على التعبير عنها والتفكير للعيش بها مع عدم المجازفة برجولتهم فى هذه العملية • ■■

(مترجم عن مجلة نيورويك الامريكية)

مدارس فنية






التدخين مسئولية
كل مدخ

أيهما أفضل: النضال

الحرب والسلام

دراسة نفسية

بقلم : محمود محمود

■ لقد الفنا ان نتحدث عن الحرب باعتبارها من اعظم الشرور التى تتعرض لها البشرية • وسيطرت هذه الفكرة على نفوسنا حتى طمست كل راى مخالف • فالمقاتلون ، وبعض رجال السياسة والحكم ، ورجال الفكر والفلاسفة يمجدون الحرب ويرون فيها من الفضائل ما يعين الانسان على تطوره وتقدمه • وليس معنى ذلك ان الحرب خير محض ، وانما معناه انها على الرغم من كل مساوئها لا تخلو من بعض الفائدة للانسان • وسوف نركز فى هذا المقال على هذه الناحية لقلة ما قيل فيها وكثرة ما تردد عن نقيضها • وسوف نتجه الى علم النفس الحديث نستوحيه وننقل خاصة ما رواه العالم فلوجل فى كتابه « الانسان والاخلاق والمجتمع » • ولقد دأب الانسان منذ فجر التاريخ على شن الحروب لاغراض مختلفة ، ولم تنهنا عنها الاديان السماوية ما دامت تحقق هدفا من الاهداف الانسانية السامية • قال الله تعالى فى كتابه الكريم « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » •

ولن نبحث هنا فى موضوع القتال من ناحيته الدينية ، ولكنا سوف نبسط بعض الاراء التى تتعلق به من الناحية النفسية ، وتنحصر مزايا الحروب ـ من الوجهة النفسية ـ فى اربعة مجالات رئيسية : المغامرة ، وتقوية التماسك الاجتماعى ، والتحرر من بعض الهموم الفردية ، وتوفير فرص للتعبير عن نزعة العدوان الكائنة فى نفس الانسان ، وسوف نعرض لهذه الجوانب بشىء من التفصيل فيما يلى :

لبيعة أم ضد الإنسان

امــــرة

ح مختلفة نستطيع ان نفصل
ان تداخل بعضها في بعض
انسان •

العرب الشاملة الحديثة ـ
ىديدة وفرصا مجهولة • انها
انسان ـ مقاتل وغـــير
حياة المقاتلين اكثر عمقـا
يعلم ان الحضارة تستدعى
مقتها اكثر الناس ويحاول
ى • وليس أدل على حـب
وحياة القلق والترقب مـن
المثيرة وروايات المغامرات•
سنا لا نحب حيـاة الدعـة
الكشف عن المجهول ، ولعل
تدفعنا الى تشجيع حركـــة
على الانضمام اليها • ان
حقله او مصنعه او مكتبه
كتسف المجهول والاشتراك
حتى ان كانت تخريبية

ن الحياة الروتينية اليومية
العادات لا تحفز المرء الى
حركة فكرية خلاقة • فـــى
شتعال الحروب اننا نستطيع
نبيلا شبيها بما قام بـــه
سص الرومانسية الخيالية ،
اطرة والتعــرض للاخطــار
لفكر الجرىء والعقل المبدع
ىرط من شروط التقدم ،
ىبه بالتوابل فى الطعام ،
ذ التوابل الشهية • وليس
ىور بالخوف بدرجة محدودة

فيه الكثير من متعة النفس ، لانه شعور ـ كما يقول علماء تحليل النفس ـ مرتبط بالغريزة الجنسية ... ما • ونحن فى حياتنا الآمنة العاديـــة لا نجد مجالا لهذا الاحساس الخفيف بالخوف الا فى الالعاب الرياضية او فى القصص المثيرة • اما ابان الحروب فان هذا الشعور يتفاقم،وبخاصة بعد استخدام الاسلحة الحديثة المتطورة فى القتال التي تهدد حياة المحاربين والمدنيين على حد سواء•

« ما اشد المتعة التى يستمدها المرء من الاجهاد البدنى الذى يصيبه والمتاعب التى يلاقيها • وما يدعو الى العجب حقا ان الرحلة كلما كانت شاقة كانت فى ذكرياتها أحلى • ان قوى الطبيعة الجبارة تشحذ قوانا الشخصية وتزيدنا شعورا بالمسئولية •وقل من الناس من تتاح لهم فـرصة اختيـــار قدراتهم على تحمل المصاعب الى اقصى الحدود، •وقل منهم من يمارس الشعور بالخوف الذى يدق القلوب ، اويواجه موقفا عليه ان يصدر فيه قرارا يضع حياته او مماته فى الميزان • لعل ذلك هو ما يدفع النـاس الـى ان يهرعوا الـى صفوف القتال : انهم يسارعون الى الحروب ليختبروا رجولتهم التي أوهنت من قوتها الحضارة الحديثة• ولقد اتخذ الناس من الالعاب العنيفة وتسلق الجبال والانزلاق على الثلوج والتسابق الجنونى بالسيارات بدائل عن هذه التجارب الطبيعية بعد ان أوشكت ان تختفى ، كما اقبلوا على المخدرات ليخففوا عن انفسهم بتناولها السام الذى يحسونه من يسر الحياة ونعومتها »

ومن العوامل التى تجتذب الناس الى المشاركة فى الحروب ما كشف عنه التحليل النفسانـــى اخيرا من ان الانسان لا يستمتع بحياته فعـــلا ... سغل كل ما وهبه الله من قدرات الا اذا انبه نحو اهداف تكتنف طريقها الاشواك • ومن هذا القبيل ما يستشعره المرء من لذة عندمـا يضحى بذاته او يتزهد فى حياته فيجد فى البذل

والحرمان متعة ـ هى متعة الالم ؛ ذلك ان الغايات النبيلة تحيط الوسائل الشاقة بالورود، وقد يغالى المرء فى هذا الاتجاه فيجعل من الالام غاية فى حد ذاتها • فتسمع من يقول « ان المدافع خير من الزبد » • ومن المربين من يرى ان الرياضة البدنية التى يتعرض فيها الطالب للاذى افضل من الالعاب الخفيفة ، فكرة القدم والصيد فى الغابات خير من لعب النرد او حتى التنس •

والحرب تعطى المحارب متعة تعرضه للخطر او تعرض خصمه للعقوبة والآلام •

التماسك الاجتماعى

ومن مزايا الحروب انها تعمل على مزيد من التماسك الاجتماعى بين افراد الشعب الواحد ، وذلك بما تثيره فى نفوسهم من فكر واحد وعواطف متقاربة واهداف ومصالح مشتركة • فكلهم ما عدا قلة من المنشقين يبتغى النصر ، او ـ على الاقل ـ الدفاع عن الوطن • وهذا الشعور بالمصلحة المشتركة والهدف المشترك يخلق نوعا من التقارب الاجتماعى لا يمكن تحقيقه وقت السلم حينما لا يكون هناك خطر يهدد الجميع ، او غرض يستوعب كل النفوس فينصرف كل فرد الى اهتماماته الفردية الخاصة التى كثيرا ما تتعارض مع اهتمامات غيره وتحجب عن الابصار المصالح المشتركة بين الناس • وليس ادعى الى تماسك الجماعة من وجود غرض واحد مشترك ، ولما كانت الحرب نشاطا يسهم فيه افراد الامة جميعا فانهم اشد ما يكونون تلاحما ابان القتال • بل ان معنى الامة ذاته لا يتضح فى الاذهان الا حينما تنشب المعارك مع الخصوم • عندئذ يستعيد الشعب تاريخه وامجاده ويتمسك بتقاليده وثقافته ، باعتبارها امورا تسمو على مصالح الافراد الزائلة • عندئذ يكون لتراب الوطن ، ولغة القوم ، والاداب الموروثة والنظم القائمة •والاثار الباقية ـ يكون لكل ذلك قيمته ، لانه يرمز لكيان الامة المتصل ، ويتغنى الناس ببطولات اسلافهم • ان الخطر لا يتهدد الاحياء وحدهم ولكنه يتهدد كل عزيز لدينا ورثناه عن ماضينا ونحب ان نورثه ابناءنا من بعدنا •

وفى مثل هذه الظروف تتلاشى الحزبية وتختفى اسباب الخلاف مؤقتا بين مختلف الجماعات الصغيرة ، ويسمو الوطن فوق الجميع • وتجند كل كفاءة نفسها لتحقيق النصر المطلوب • ويحل التعاون محل التنافس ، وعمل الفريق محل العمل الفردى •

ويعزز ذلك ما يحسه المرء من « انه مطلوب » وهو احساس يشتد الشعور به عندما يندلع لهيب الحرب ، ويريد كل فرد ان يؤدى لبلاده واجباعليه، ولا تسمع احدا يشكو البطالة • لان حالة الحرب توفر عملا للجميع •

وهناك بالاضافة الى ذلك كله عامل نفسى يحبب القتال الى النفوس • وهو زوال التوتر المستمر بين « الأنا » و « الانا العليا » او بين الذات والضمير • ذلك ان المشاركة فى عمل واحد جماعى ، وفى جهد عنيف مشترك ، والاندماج التام فى الجماعة ،واستبدال التعاونبالتنافس ، واحساس الفرد بانه فعلا مطلوب ـ كل ذلك يولد فى النفس شعورا بالرضا واعتزازا بالكرامةالانسانية يخضع الانسان فيه انانيته لحكم الضمير فيقبل العطاء فى سخاء والتضحية بالنفس والنفيس• ولعل هذا هو اهم ما يجذبنا اخلاقيا نحو الحرب، وما يجعل القتال ـ برغم ما فيه من اسباب الرعب والقوة والهمجية ـ امرا نبيلا تتسامى بهالنفوس، ويتضاءل الى جانبه ما يقوم به الناس من مختلف ضروب النشاط فى ايام السلام •

التحرير من الهموم الفردية :

ان الانسان اذا نظر الى همومه الخاصة من نظر « الأنا العليا » لا يسعه الا ان يحكم عليها بالتفاهة اذا هى قيست الى الاحداث الاجتماعية الكبرى • ومن ثم فان حربا شاملة كبرى تفوق ماساتها مآسينا الخاصة التى تصبح عندئذ قليلة الاهمية ، كما اننالانجد لدينا من الوقت ومنالجهد

بها ، وذلك على الرغم
ى تهددنا بها الحروب •

الاستهانة بامورنا الخاصة
اء الحروب بما تتوارى معه
•

اس جميعا فى مكافحة خطر
الى حد كبير ـ ما بينهم من
سوى بين مستوياتهم • حتى
ا الزائلة يندبون ما فقدوه

لرقيب الاخلاقى فى نفس كل
ن رقابته بما يسمح للمرء
نتهى دون ان يتيقظ ضميره

ريزة العدوان :

رب وطنية دفاعا عن البلاد
للتنفيس عن رغبة العدوان
يكون فى ذلك مخالفا لقواعد
ولا باس من ان يقوم المحارب
ام ذلك فى وجه الخصوم ،
الى فضائل ترضى النفوس
جد المرء ما يبرر سلوكه
المجتمع ، وتهيىء له الحرب
عدوان عملا اخلاقيا • دع
الوطنية من اختفاء الخلاف
فى المجتمع الواحد وتعاون
فى شن العدوان على
مور بالمحبة ـ بين افراد
البغضاء والشحناء ، ويمسى
داء نصمه بكل ما لدينا من

النفوس للسلام ؟

ل هذه الجاذبية النفسية
بيق من قول ، وهى فى

حقيقتها مدعاة للفتك والدمار ، فكيف السبيل الى مقاومة اغرائها ؟ ان حكماءنا لم يقصروا فى نشر الدعوة لايثار حالة السلام ، ولقد نهجوا فى ذلك منهجين ، احدهما اخلاقى والاخر سياسى• اما المنهج الاول فيسعى الى تغيير النفوس وذلك بتصوير بشاعة الحرب على حقيقتها وبيان منافاتها للمعايير الخلقية التى تواضع عليها الناس فى جميع المجالات • واما المنهج الثانى فيسعى الى خلق اداة سياسية يوسعها ان تفض اسباب النزاع الدولى بغير سلاح • ونحن نؤيد السير على المنهجين معا ، ونقترح الى جوارهما منهجا ثالثا هو السعى الى ايجاد بديل نفسى يحل محل الحرب التى تشفى لدى الانسان العادى غلة العدوان والتحطيم •

واود هنا ان اورد كلمة عن كل منهج من هذه المناهج :

لقد اثبت المنهج الاول ـ الاخلاقى ـ فشله فى كثير من الاحيان ، ذلك لان الاخلاق التى نقول عنها ان الحرب لا تسايرها انما هى فى حقيقتها اخلاق الفرد وليست اخلاق الجماعة • والفرد ـ فى الواقع ـ حينما يندمج فى الجماعة يفقد احترامه لهذه القيم الفردية • ومعنى ذلك اننا بهذا المنهج نهدف الى نقل الاخلاق الفردية الى الدولة • ولا يخفى ما فى ذلك من صعوبة تكاد ان تبلغ حد الاستحالة • اننا نربى الفرد على ان يفضل الايثار على الاثرة ، والمجتمع على الفرد • والدولة على الانانية الذاتية ، فهل من اليسير ان تؤمن الدولة بهذه المبادىء فى علاقتها بالدول الاخرى ! هل من الممكن ان يكون للدولة ضمير !

خذ مشكلة السكان مثلا نوضح به ما نريد • هناك من الدول ما يتزايد عدد سكانها بنسبة تفوق منها مساحة الدولة • ولا تعالج هذه المشكلة الا باحدى طريقتين او بالطريقتين معا : تنظيم الاسرة والهجرة الى البلاد قليلة السكان نسبيا ، وتنظيم الاسرة امر محلى هو من شان الدولة التى يتكاثر سكانها ، اما الهجرة فتقتضى

التراضي بين دولة المهاجرين والدول التي تستوعب هؤلاء المهاجرين ، فاذا استعصى التراضي كانت الحرب امرا لا مندوحة عنه ـ والدول في هـذه الحالة في حاجة الى التعقل ، بحيث يتدفق السكان من المناطق المكتظة بهم الى المناطق التي يتغلغلون فيها بيسر وبغير قيود ، ولكن تحقيق ذلك يتطلب ان تكون للدول عقول تفكر بها ، والعقول ان توافرت لا يمكن تصورها في شخصيات معنوية مثل الحكومات • ولو خفت حدة النعرة القومية ، ولو تصورنا ان دولة الخصم مؤلفة من افراد ابرياء لهم ما لنا من حقوق في الحياة لاحجمنا عن اعلان الحروب والاخذ بها وسيلة لحل مشكلاتنا المحلية • ولو اننا احتفظنا بضمائرنا الفردية ولم نسلمها للدولة لجاز ان نضع حدا لاشعال نار القتـال بين الامم • وذلك مطلب لا أقول يسيرا ، ولكنـه السبيل الوحيد الى نجاح المنهج الاخلاقي فـي علاج ظاهرة الحروب بين الامم •

اما المنهج الثاني ـ المنهج السياسي ـ في مكافحة ظاهرة الحروب ، وهو انشاء اداة دولية لفض النزاع بين الامم وترشيد الدول في علاقة بعضها ببعض ، ذلك المنهج تمثل في انشاء هيئة دولية لهذا الغرض ، ولكنه لم يفلح في كثـير من المواقف ، ولعل هذا الفشل يرجع الى ان هذه الهيئة لم تكن من ورائها قوة تساندها وتنفذ قراراتها ، كما ان الدول لم تتحمس لها او تضع ثقتها فيها ، لان الشعور بالقومية كان ولا يزال اقوى من الشعور بالعالمية ، ولا يكون ولاؤنا لهيئة الامم الا على حساب ولائنا لقومياتنا وهو الولاء الذي صنعه تاريخ نضال طويل ليس من اليسير علـى ضمائرنـا ان تتجاهـله او تغض الطـرف عنه • ان لكل دولة علمها ، ونشيدها الوطني ، ورموزها الخاصة وآثارها التي تحتل من قلوبنا مكانة لا يمكن ان نستبدل بها غيرها وهل يمكن ـ مثلا ـ ان يكون لمبنى هيئة الامم في نفوسنا من الاثر ما لاهرام الجيزة او اي مسجد من المساجد الاثرية ! ولا تزال الدولة هي بلد الاباء والاجداد الذين ننتمي اليهم ولا يمكن ان ننزع من قلوبنا شعور التقدير لهم • لا تزال الدولة كاسرة تحمينا ونحميها،تذود عنا ونذود عنها•ولا يمكن للحكومة العالمية ان تبعث فينا مثل هذه المشاعر •

واقصى ما نستطيع ان ننشئ ابناءنا عليه هو ان نعلمهم ان الولاء طبقات وقد يتعدد ، فهناك الولاء للاسرة ، وللمدرسة ، وللمدينة والمحافظة والامة والقومية التي تشمل اكثر من شعب واحد كالقومية العربية • الى آخر ذلك • وليس هناك ما يدعونا الى ان نقف بهذه السلسلة عند حد القومية ولا نضيف اليها حلقة جديدة تمثل الولاء لحكومة عالمية ، ويصبح الامر اشبه بالكليات التي تضمها جامعة واحدة • ويمكن ان نخلق هذا الشعور بان يكون لهيئة الامم علم دولي ونشيد دولي لهما بعض ما لعلم البلاد ونشيد البـلاد مـن تقدير وتقديس • ويمكن كذلك ان نقوي الشعور بالعالمية بدراسة احوال الامم الاخرى بغير تحيز الى جانب دراستنا لاقاليمنا التي ننتمي اليها • ولقد نجحت بالفعل اتحادات ان لم تكن عالمية فهي تشتمل على ولايات عدة ، اتحـدت ووحـدت مصالحها وبقيت مستقلة في شئونها المحلية اتحادية في شئونهـا القومية، مثل الاتحاد السوفيتي ، والولايات المتحدة، والكومنولث ، وجامعة الدول العربية •

ولكي نحد من الشعور القوي بالتعصب الوطني يجب ان يكون اعتزازنا بما خلف آباؤنا من ادب وعلم وفن وخدمات انسانية اشد من اعتزازنـا بالامجاد العسكرية • كما يجب ان يشرع العالم اجمع فورا في التعاون من اجل البناء ، وفي العمل المشترك البناء تتقارب العقول ويتم تبادل التفاهم بين مختلف الثقافات •• بذلك يمكن ان يحقق المنهج السياسي بعض النجاح في مكافحة النزعة القتالية عند الشعوب •

البديل المعنوي

وننتقل الآن الى المنهج الثالث ـ المنهج النفسي ـ الذي نقترحه ، ويتمثل في السعي الى ايجاد بديل نفسي يحل محل الحرب التي لا تزال لها جاذبيتها واغراؤها لما تهيئه من وسائل لاشباع رغبات طبيعية عند الانسان • وليس ذلك بالامر الهين اليسير ،

امراتها ، وبما تتطلبه من
يد للصفوف وممارسة
ذلك ما يضاهيها •

« البديل المعنوى » لمغريات
س فى مجال توفير فرص
رد بانه مطلوب • وليس
بوسعها ان تفعل ذلك اذا
لاقتصادى ، واخذت بتنظيم
يه الانتاج مع الاستهلاك ،
ى سد حاجات المواطنين ،
ى ترشد به كل عامل الى ما
لاته فيقوم بالعمل الذى اعد
ة نفسية ، ويشعر انه يعمل
صلحة الوطن وليس من اجل
بد فى العمل كرامته ولايحس
خضوعا ، وهنا يكون التعاون
، تعاون الافراد اثناء القتال•

س فيه العامل بانه يستغل
ستواه المعيشى ، والذى يشبع
ية ، ويزيد من علمه وخبرته
قدرات ، والذى يشعره بانه
لكى يصبح عالما افضل لبنى
الذى يؤدى الى التقدم ـ مثل
ا الى النفس ولا يدفع صاحبه
لكى يشغل نفسه بالتخريب
الذى يتمثل فى حرب الانسان
•

ر العامل ان عمله فى سبيل
معركة » ضد الطبيعة ، وعدوان
وهو معركة يناضل فيها العامل
شكلات العلم والفن والتكنولوجيا
• وفى الكون ما يكفى لتحدى
حب للمغامرة ، وما يملك من
• انها معركة يشنها الانسان
رجل السياسة فى تنظيم المجتمع،
، محاولة فهم قوانين التطور
ب فى مكافحة الامراض ،والباحث
ار الطبيعة فى عمله ، والتقنى
عندما يطبق هذه المعارف فى

مجاله الخاص لكى يرغم الطبيعة على ان توفى حاجاتنا ، وكذلك عامل المصنع الذى يقدم لهؤلاء ادوات العمل ، والفنان الذى يروى تعطشنا للخبرة الفنية ، وعالم النفس الذى يحاول ان يقتحم لغز الروح البشرى ، وغير هؤلاء من المختصين فى فروع المعرفة المختلفة ، مما لا يمكن ان توفره لنا منظماتنا العسكرية •

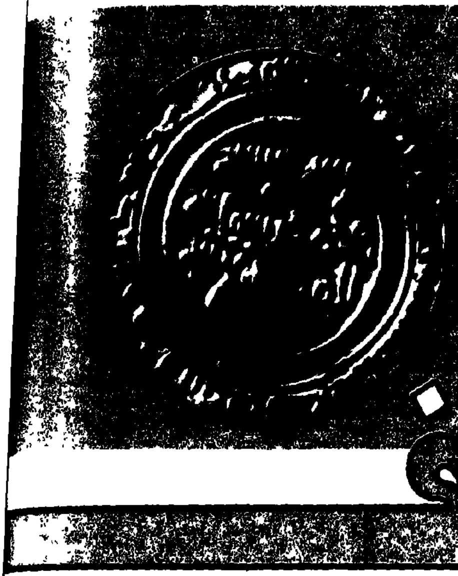
ولرب معترض يقول : او لم يفعل الانسان ذلك منذ بداية الحضارة ؟ نعم انه يفعل ذلك ، ولكن فى غير اطار من المثل العليا او بمعنى آخر بغير ايمان صحيح بالدين ، الذى يحثنا على فعل الخير والكف عن الشر وفعل السوء • نعم انه يفعل ذلك ولكن بغير تضامن او تعاون ، وبنفوس حاقدة • ولذلك فان ما احرز الانسان من تقدم هو فى أغلب الاحيان من فعل الافراد فى هذا المجال او ذاك ، اما لمصلحة انفسهم واما بحافز من حب المعرفة الشخصى • وما اكثر ما تعرض هؤلاء لاضطهاد المجتمع • وكثيرا ماكان العلماء والمفكرون والمثقفون محل سخط الحكام واولى الامر فى البلاد • وعلى الرغم مما بشرت به الاديان السماوية من تمجيد العلم والعلماء فان كثيرا من اصحاب النفوذ كانوا دائما على خشية من تقدم العلم وجهد العلماء • ولم يكن هناك مجال لاشباع روح المغامرة الا فى القتال ، ولم يكن هناك تاخ الا فى حمل السلاح ، يحمله المرء فى وجه اخيه ولا يرفعه فى وجه الطبيعة الغامضة فى محاولة الكشف عن اسرارها •

ان النضال مع قوى الطبيعة اروع واسمى من النضال مع الانسان • واننا لم نياس بعد من ان يوجه الانسان ما لديه من شجاعة ومغامرة نحو سلام البشرية بدلا من تناحر افرادها •

ونختم هذا المقال بعبارة لمفكرة معاصرة هى سوزان ستبنج اذ تقول « ان الاعمال الرائعة التى انجزها الانسان فيما مضى تدعونا الى حسن الظن بمستقبله ولا تجعل لليأس سبيلا الى قلوبنا » •

■■

القاهرة ـ محمود محمود



رؤية جديدة لحكم "الأستاذ" كافور

بقلم : سمير شما

■ كافور الاخشيدى ، من أهم الرجال الذين اعتمد عليهم محمد بن طفج المعروف بالاخشيد عند تاسيس دولته وهو الذى ربى ولدى الاخشيد وكان حاكم مصر وفلسطين الفعلى منذ عام ٣٣٤هـ (٩٤٦م) الى عام ٣٥٥هـ (٩٦٦م) وحاكم اليمن والحجاز الاسمى فى تلك الفترة وحتى تاريخ وفاته عام ٣٥٧ ، والحاكم الرسمى لتلك الاقطار منذ عام ٣٥٥ الى أن توفى • وقد كان يدعى له على منابر تلك الاقطار بعد الدعاء للخليفة ـ كافور هذا كان عبدا نوبيا اشتراه الاخشيد ولكنه توسم به النجابة فرباه ثم أعتقه فارتقى فى حاشية الاخشيد حتى أصبح موضع الثقة منه وكلفه الاخشيد بتربية ولديه فاشرف على اولاهما أونوجور عندما حكم ، وشارك الابن الثانى عليا بالحكم رسميا ، ثم استولى على الحكم بنفسه بعدهما الى ان مات •

لقد ولى محمد بن طفج الاخشيد مصر بتقليد من الخليفة العباسى القاهر عام ٣٢١هـ ودخل الاخشيد بجيشه فى الفسطاط بمصر عام ٣٢٣هـ (٩٣٥م) وامتد سلطانه الى الحجاز واليمن وخطب له هناك • وتذكر المصادر ان الخليفة المتقى عقد للاخشيد على مصر والشام والحرمين • وكذلك اشار الاخشيد الى انه حاكم الحجاز واليمن فى كتابه الى امبراطور الدولة البيزنطية عام ٣٢٥هـ• انما بالواقع كان تقليد الاخشيد الحجاز (اى مكة والمدينة) واليمن ، امرا صوريا ورمزيا لان حكمها وتصريف امورها فى تلك الاوقات كانا فى أيدى اسرات محلية ، كان امراؤها يخضعون خضوعا اسميا للخلفاء العباسيين او لمن يقلدهم اولئك الخلفاء حكم تلك البلاد •



بسم الله ضرب هذا الدينار بمكة سنة٣٩٥هـ وكتب على الوجه « لااله الا الله محمد رسول الله المطيع » الوزن ٨٠ر٢ غرام والقطر ٢٥ ملم ٠

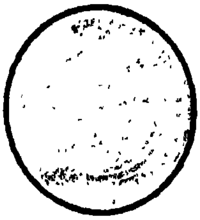
اما الظهر فقــد كتب عليه عبارة بــن محمد الثائر ــ ال بوسعيد ــ جعفر ــ بالله ــ و ٠

أما الطوق فكتب عليه عبارة جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ٠

ور!

الخليفة

فى ذى الحجة عام ٣٣٤هـ
ب ان يدبر امور ولده ــ
بعده غلامه كافور وتولى
بد ولكن الحاكم الحقيقى



٣٠ هـ من ضرب مكة كتب
الا الله محمد رسول الله
الوزن ٧٥ر٢ غم والقطــر

عليه عبارة امر بهالاستاذ
امير ٠

جاء الحق وزهق الباطــل
قا وننزل من القرآن ما هو

للبلاد كان كافورا ٠ وتوفى اونوجور عام ٣٤٩هـ (٩٦٠م) فنودى باخيه على اميرا ٠ وتوفى على فى المحرم عام ٣٥٥هـ فقام كافور بادارة امور مصر والشام وحده الى ان اعلن كافور ورود كتاب من الخليفة المطيــع بتقليده مصر ، فدعى له على المنابر فى مصر والشام واليمن والحجاز ، فالى جانب كون كافور الحاكم الفعلى ــ امسى بعد ذلك الحــاكم الشرعى ايضــا لتلك الاقطــار ٠ وكان الاعتقاد الى وقت قريب انه لم يضف الى اسمه فى تلك الفترة لقب « الامير » بل اكتفى بلقــب « الاستاذ » وان ذلك كان حتى لا يصدم اهل الراى فى البلد باغتصابه الالقاب من عائلة الاخشيد الى جانب اغتصابه السلطان ٠٠٠

وذكر الاستاذ لين بول Lane-pool (١) ان كافورا لم يسجل اسمه على السكة وانه لا توجد سكة تحمل اسم كافور ، وسلم بهذا الراى كثير من المؤرخين الحديثين (٢) ولكن ظهر فلس نحاسى بمجموعة متحف الفن الاسلامى يرجع الى عهد على ابن الاخشيد يحمل على احد وجهيه اسم على بن الاخشيد هكذا (الامير ابو الحسن على بن الاخشيد) وعلى الوجه الاخر اسم كافور بالنص التــالى (الاستاذ كافور الامير ابو محمد) وهذا يدل

على ان كافورا كان شريكا رسميا بالحكم مع علي ابن الاخشيد ، بالاضافة الى كونه الحاكم الفعلي. وقد نشر هذا الفلس عام ١٩٦٥ الاستاذ الدكتور عبد الرحمن فهمي محمد في كتابه : « فجر السكة العربية » برقم ٣٠٤٥ وعلق عليه .

واما بعد وفاة علي بن الاخشيد وحتى وفاة كافور اى من المحرم ٣٥٥ الى جمادى الاولى ٣٥٧ فقد اشبع كافور رغبته بان اصبح الحاكم الرسمي الشرعي الوحيد لكل من مصر وفلسطين والحجاز واليمن ، ودعي له على منابرها أيام الجمع والاعياد الى جانب الدعاء للخليفة العباسي ، والواقع انه لو لم يحكم كافور مصر وفلسطين في تلك المدة بل لو حكم احمد بن علي وكانت سنه اذ ذاك ٩ سنوات لكان اكتساح الفاطميين مصر وفلسطين فورا اى قبل ان يقوموا بذلك بثلاث سنوات . وقد اصبح لكافور حق ضرب السكة في هذه الفترة فظهر اسم كافور على سكة مضروبة عام ٣٥٧ اى قبيل وفاته بقليل . وهذه السكة التي عثر عليها حديثا هي دينار فريد من ضرب مكة عام ٣٥٧ (الصورة رقم ١) ، هذا نص ما جاء عليه من مأثورات :

الوجه

الوسط : لا اله الا الله
محمد رسول الله
المطيع لله
صح

الطوق : بسم الله ضرب هذا الدينار بمكة سنة سبع وخمسين وثلثما (كذا)
الوزن : ٧٥ ، ٢ غم
القطر : ٢٦ ملم

الظهر

الوسط : امر به الاستا
ذ كافور
الاخشيدي
الامير

الطوق : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء

وهذا الدينار مستند تاريخي عظيم القيمة اذ هو أول دليل على ان كافورا ضرب بالفعل نقدا عليه اسمه وحده ، وهو بخلاف الرأي الذي ظل سائدا الى وقت قريب (٢) . والنقد يدلنا على ان الرجل بقي يستعمل لقبه (الاستاذ) لا على اساس انه تحاشى ان يصدم اهل الرأي في البلد باغتصابه لقب « الامير » من عائلة الاخشيد الى جانب اغتصابه السلطان كما ذكر بعض المؤرخين ، بل في الغالب على اساس ان لقب « استاذ » لقب عرف به ثم انه بذلك يذكر بما كان له من منة بانه هو الذي ربى ولدي الاخشيد وتعهدهما عندما حكما بعد وفاة والدهما . وذكر كافور الناس بانه اصبح بحق شرعي اميرا فذكر ايضا كلمة (الامير) تحت اسمه على الدينار ولم ينس ان ينسب نفسه الى العائلة الحاكمة الاخشيدية فاضاف الى اسمه كلمة (الاخشيدي) .

ليعلم كل الحجاج

ورغب كافور ان يطلع المسلمون عامة على انه حاكم مصر وفلسطين والحرمين واليمن، فامر بضرب هذا النقد في (مكة) المكرمة ليطلع جميع الحجاج الى مكة على مركزه ، وذلك الى جانب الدعاء له على المنابر بالحرمين وبمصر واعمالها والشامات والثغور . ومات قرير العين بعد ذلك بان نال ما أراد من السلطة الرسمية الشرعية الى جانب السلطة الفعلية . وكانت امارته على مصر اثنتين وعشرين سنة منها عشرون سنة مدبر مملكة مصر بزمن حكم ولدي استاذه الاخشيد وهما انوجور وعلي ، ومنها استقلالا كاملا بالملك سنتان واربعة اشهر (٣) . واثر موته حمل تابوته الى القدس فدفن فيها (٤) ، كما دفن في فلسطين معظم الامراء الاخشيديين .

وليس غريبا ان يضرب كافور ديناره هذا في مكة اذ المعروف انه كان يرسل كل عام المال والطعام والثياب مع ركب الحجاج ليوزع في الحجاز على اولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان يجل اهل البيت ويكرم العلويين اعظم الاكرام (٥) .

والكتابة على الدينار موضوع تشبه الكتابة على دينار جعفر بن احمد ابي سعيد القرمطي (الصورة رقم ٢) الذي رفض سلطة الفاطميين بالحجاز عام ٣٥٩ اى بعد سنتين من صدور هذا الدينار وضرب بمكة نقدا ، فاضطره الفاطميون للرضوخ اليهم في سنة ٣٦٥ . وقطرا الدينارين متساويان ووزناهما متساويان تقريبا (٦) كما ان مأثورة الوسط في كلا

دائرتين وحول الطوق دائرة
لى الدينار الاخشيدي
لام وسواهما من الاحرف
ـ الا ان حرفي (اللام
وهذا معقول ان يحصل
ة على دينار كافور هذا
السكة الاخشيدية التي
، فلسطين (الرملة) •
ار كافور المشار اليه
العربية ويبدو ان مصمم
انسج اليمنية في ذلك
(٧) ويكون الدينار قد
اولى من عام ٣٥٧ لان
ى الاولى ٣٥٧ •

تصعب الاجابة عليه في
) هل ضرب كافور دنانير
طين الى جانب ما ضربه
لم يضرب دنانير باسمه
تحاشيا للاعتراض في
اسياده الاخشيديين او
ماجلته المنية (٨) ؟
تي الان سوى مسكوكتين
، من الممكن الاجابة على
مسكوكات اخرى له في

● حكم الاستاذ كافور

عن التكييف القانوني

ويمكن تصوير التكييف القانوني لحكم كافور مصر وتوابعها الى ثلاث حقب :

(الاولى) ٣٣٤ ـ ٣٤٩ ـ زمن حكم انوجور بن الاخشيد

كان كافور الحاكم الفعلي لمصر وفلسطين ، ولكنه لم يكن يجرؤ ان يعلن ذلك سواء بالخطبة في المسجد او بضرب السكة •

(الثانية) ٣٤٩ ـ ٣٥٥ ـ زمن حكم علي بن الاخشيد

كان كافور شريكا بالحكم للامير علي بن الاخشيد وذكر اسمه الى جانب اسم الامير علي على النقد ودعا نفسه الامير كما كان يدعى علي بن الاخشيد•

(الثالثة) ٣٥٥ ـ ٣٥٧ هـ

حكم مصر وفلسطين وحده ، ودعي له على المنابر بهما وبالشامات والحرمين بعد الدعاء للخليفة العباسي • وكان اسمه الوحيد الى جانب اسم الخليفة العباسي على النقد • ومات بعد ان اصبح الحاكم الشرعي الوحيد على تلك الاقطار •

وهكذا ترينا قطعتان من النقود وتوضحان هذا الوضع القانوني لحكم كافور الاخشيدي لمصر والشامات والجزيرة العربية • ■■

جدة ـ سمير شما

---

(1) Lane - Pool· Khedıveal Lıbrary. P. 194 - History of Egypt.
كافور الاخشيدي : مجلة كلية الاداب القاهرة المجلد ٦ مايو سنة ١٩٤٢

حسن : مصر في العصور الوسطى (١٩٥١م) ٣٢٣
، وحسن أحمد محمود :مصر في عصر الطولونيين والاخشيديين (١٩٦٠)
كافورا لم ينقش اسمه على السكة •
ـ أبو المحاسن بن تغرى بردى الاتابكي جـ٤ ص١٠ اخبار عام ٣٥٥ •
لطولونيين والاخشيديين/سيدة اسماعيل كاشف وحسن أحمد محمود (١٩٦٠)

١٦' •

، المعروفة بالمطوقة ـ ثلثامثقال ـ ينظر كتاب الجوهرتين العتيقتين ص ١٤٧
، محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني العبدي البكيلي في كتاب
عتين الصفراء والبيضاء(عام ٨٩٨) ص ٢٦٣ الذي حققه الاستاذ الدكتور
١٩٦) ان النقاش لدنانير اليمن ومكة منذ القرن الثالث الهجري كان دائما

رب فيه الدينار هو العام الذي توفي فيه كافور •

من تطور الكلمات ومعانيها

بقلم : محمد خليفة التونسي

■ من المعروف بين العلماء اللغويين ان لغتنا وسائر اخواتها العروبية (السامية) لغات اشتقاقية ، وان كلماتها ذوات جذور ثلاثية الحروف ، مثل : فتح ، نصر ، رجع ،فهم ، حسب ، كرم . ولكل جذر معناه العام ، ومن الجذر تنشأ او تشتق بقية الكلمات التي تدل مثله على هذا المعنى العام ، وتدل على معنى آخر معه ، ومن مجموع هذين المعنيين لها يكون معناها الخاص بها، فالكلمات : فتح ، يفتح ، افتح ، فاتح ، فتاح ، مَفتح ، مِفتح ، مفتاح فتاحة ، فتوح ، فتوحات ـ مثلا ـ تعود كلها الى جذر واحد هو «ف.ت.ح» وتشترك معه جميعا في معناه العام : شيء من غيره ، ولكن كل كلمة منها تدل على هذا المعنى العام وعلى شيء آخر معه بدلالة صيغتها الخاصة، او سياقها الخاص في الجملة ، فالكلمات الثلاث الاولى منها : (فتح ، يفتح ، افتح) افعال تدل على « الفتح وزمانه معه » والكلمة الاولى من هذه الكلمات الثلاث « فتح » تسمى فعلا ماضيا ، لانها تدل على الفتح في الزمن الماضي بحكم صيغتها ، مثل : « فتحت الشباك » ولكننا اذا قلنا « اذا فتحت الشباك دخل الهواء » دلت على الفتح في الزمن المستقبل . وكذلك الفعل الثاني « يفتح » ـ وهو فعل مضارع ـ يدل على الفتح في الحاضر اوالمستقبل (زمن التكلم او بعده) اما الحاضر فمثاله « هو يفتح الشباك » اى الان، واما المستقبل فمثاله قول السيد المسيح عليه السلام : « اقرعوا يفتح لكم » والكلمة « افتح » تدل على الفتح وزمنه (المستقبل) مع الامر به او طلبه ، وكلمة «فاتح » تدل على الفتح وصاحبه او المتصف به مثل « محمد الفاتح » وقد تدل على الزمن ايضا ، اما ماضيا مثل « فاتح الاندلس طارق بن زياد » او حاضرا مثل : « هو فاتح فاه ليشرب » اى الان ، او مستقبلا مثل : انت اغلقت الشباك فاحسسنا الضيق ، واني لفاتحه ليدخل الهواء « اى سافتحه » وكلمة « فتاح » تدل على الفتح وصاحبه كذلك مع المبالغة بكثرة الفتح ، او شدته ، او كلتيهما معا ، مثل « هو فتاح المغلقات »

وكلمة « مفتح » ـ بفتح الميم والتاء ـ تدل على مجرد الفتح (مصدر ميمى) او زمانه (اسم زمان) او مكانه (اسم مكان) ، فالمصدر الميمي مثل : فتحت الشباك مفتحا سهلا (اى فتحا سهلا) ، واسم الزمان مثل : مفتح المعرض بعد العصر، واسم المكانمثل «مفتح المعرض عن يمينك» وكلمة « مفتح » و « مفتاح » (بكسر الميم فيهما) تدل على اداةالفتح ، ومثلهما كلمة « فتاحة » وربما كان الاصطلاح يخص الكلمتين « مفتح ومفتاح » للاداة التي تفتح بها الاقفال ، ويخص كلمة « فتاحة » مثلا باداة فتح الصناديق والعلب ونحوهما بالضغط او النزع .

وكلمة « فتوح » جمع فتح « لاكثر من اثنين ».

وكلمة « فتوحات » جمع للجمع في ظاهرها او مجرد جمع ، مع ميل في الحالتين الى التضخيم او التفخيم ، كما يقال « رجالات » و « بيوتات » اذ ليس الغرض هنا ان تكون جمع « رجال »

مجرد الجمع مع التعظيم
ـح » و « مفاتيح » جمع
ـا كلمة « فتاحات » جمع
ـام او الخاص هو الذى
ـكلمات ويخص كل كلمة

ـ ليس الفعل وحده هو
ـعليه ايضا اسم الفاعل،

ـغويين ان لغتنا واخواتها
بدات من جذور ثنائية
كل منها على معنى عام
ـنائى حرف ثالث ، فصار
ـى من ذلك المعنى العام
الجذر الثنائي بمنزلة
ـة بمنزلة الانواع ، ومن
ـيغ شتى ، لكل صيغة
ـليه معنى جذرها الثلاثى،
ـى (ف٠ت٠ح) وصيغه
، يفتح ، افتح ...
ـل جذور لغتنا الثلاثية
ـ من وجاهة (٢) ، وله
كان لا يطرد لنا فى كل
ـلينا تحقيق ذلك فيه .
ـ بعض الامثلة وتخلفه
تحقيقه فى بعضها دون

بعض ، ففيه جانب من صواب وفائدة . وان خذلتنا التفصيلات احيانا .

وربما كان من اقرب مفاتيح السر هنا الينا الرجوع الى الجذر الثلاثى الذى يتكرر فيه الحرف الثانى فيصير ثلاثيا ، بعد ان كان الفعل ثنائيا قبل تكرار هذا الحرف .

واقرب الامثلة لما ذكرناه هنا ما يشارك « فتح » فى حرفيه الاولين ، وهو كل جذر يبدا بالحرفين « ف٠ت » ثم يليهما حرف ثالث . مثل : فتا ، فتىء ، فت ، فتح ، فتر ، فتش فتغ ، فتق ، فتك ، فتل ، فتن ، فتو ، فتى ــ فكلها تدل على التفرقة بين شىء وغيره ولكن على انواع او صور مختلفة ، واقربها الينا الجذر « ف٠ت » مكرر الحرف الثانى ليصير « فتت » ومنه الفت ، والفتات ، والفتيت وهو يدل على تقسيم الشى على صورة الكسر او الدق . بل يضاف الى ذلك بعض الالفاظ الرباعية ، مثل : « فترص » بمعنى قطع ، « وفتكر » وما يشتق منها بمعنى الداهية ، و « فتكل » اى الداهية ايضا .

ومثل ذلك فى دلالته على المعنى العام ــ « التفرقة » ــ الجذر « ق٠ط » ومنه قطب ، قطر ، قط ، قطع ، قطف ، قطل ، قطم قطن ، قطو ، بل يضاف الى ذلك الثنائى « قط » بمعنى القطع او التوقف ، ثم يضاف بعض الالفاظ الرباعية مثل : قطرب ، وقطرن ، وقطمر ، وقطمن . ولتفصيل ذلك وتوضيحه صفحة اخرى .

العروبية » لانها ادل على أصلها العربى ، وموطنها الاول وهو « شبه جزيرة
ـفليست الا مصطلحا اوربيا.والنسبة فيه الى « سام » بحسب تقسيم التوراة
ـح ذلك صفحة أخرى .
ـ عناية بذلك من المعاصرين« الاب مرمرجى الدومنكى » فى كتابه « هل لعربية
ـائية السنية » . وقد سبقه الى مثل ذلك استاذه « الاب مارى انستاس
ـمجلة العرب » وكتب شتى فى اللغويات ، ومنهم « الدكتور على عبد الواحد
ـم اللغة » ولقدمائنا ملاحظات كثيرة فى ذلك ، منذ عهد اللغوى الاكبر « الخليل
ـتاب « العين » .

جان كوكتو والمسرح

● كنت في فرنسا عندما اعلن عن نبأ وفاة اديث بياف،اكبر مغنية عرفتها فرنسا في القرن العشرين • وكان ذلك في عام ١٩٦٣ • والشيء الذى لفت نظرى آنذاك هو موت الكاتب الفرنسي الكبير جان كوكتو بعدها مباشرة ،بل في اليوم التالى ، اذا كانت ذاكرتي لاتخونني • وجعلني هـذا اتساءل : اهذه صدفة بحتة ام أن انسانا يمكن ان يموت حزنا على انسان آخر ، في قرننا العشرين ؟ وبقي السؤال في نفسي ، الي ان قرات نبأ عـن عرض مسرحية « الوالدان المفزعان » علـى مسرح انطوان في باريس هذا العام•

فاخترت الحديث عن جانب مـن مؤلفات هذاالفنان الكبير •ولم الحديث عن جانب فقط مـن مؤلفاتـه ؟ لان ما خلفه كوكتـو (١٨٨٩ ـ ١٩٦٣) غابة مترامية الاطراف ، لا بد انيختار المرء ركنا منها ، وان ترابطت فيهـا كل الاركان •

بقلم : دكتورة سامية احمد اسعد

كوكتو فنان باريسى نشأ في عائلة بورجوازية في وسط يسيطر عليه العنصر النسائي ـ والام خاصة ـ نتيجة لوفاة الاب • وعرف المجد وهو في شرخ الشباب • كانت الاوساط الادبية والفنية في باريس تتحدث عنه ولم يتعد الثامنة عشرة • لكن الشاب كان من الذكاء بحيث لم يأخذه الغرور، بل اعاد تقييم نفسه ، وكانت هذه نقطة تحولهائلة في حياته • قال له دياجيليف ، مخـرج الباليه الروسى ، ذات يوم ، عام ١٩١٣ : [illegible] دهشتني » • وكانت هـذه [illegible] شخصية جديدة [illegible] جذريا • والشيء الذى تميز [illegible] الهائلة على التحول • فلقد استخدم كافة [illegible] التعبير الفني ، وعرف كيف يخلص الى بعض الاشكال الجديدة كل الجدة ، واخل هذ[illegible] اشكال ذاتها • مما جعل البعض يتهمونه با[illegible] الى عدم الاستقرار •

لكن هذا التنوع قد يفسر على انه [illegible] عدم التاخر عن العصر ، والوقوف في [illegible] دائما • مما يذكر بكلمة ج • دانزيو [illegible]



« لا بد ان يحرق المرء نفسه حيا كي يولد من جـديد »

كوكتو

يجدد المرء نفسه ، واما ان يموت » .. او لم يقل كوكتو نفسه : « لا بد ان يحرق المرء نفسه حيا كي لد من جديد » .

رحلة كل الفنون

ساير كوكتو كل التيارات الادبية في عصره ، والسريالية خاصة ، ودخل المجالات الفنية التقليدي منها والحديث . ففي الوقت الذي كتب فيه الرواية والقصيدة والمسرحية اتجه الى فن الباليه والسينما [illegible]

بل اتجه في [illegible]

التي تتطلب [illegible]

دائمة في الرسم والسيرينا [illegible]

[illegible]

[illegible] الذين تتلمذ على ايديهم . ولعل لقاء كوكتو بيكاسو كان اعظم واهم لقاء في حياته . [illegible] اشارات متفرقة - بل نصوص عن بيكاسو جمعت في كتاب بعنوان « العودة الى النظام » - ومقالاته تدل على الاثر الهائل الذي كان للرسام [illegible] على فكر كوكتو واهتماماته الجمالية .

اذا نظرنا الى مؤلفات كوكتو ، وجدنا بعضها يحتل مكان الصدارة ، داخل فرنسا وخارجها . ولا شك ان القارىء العربي قد اطلع على رواية « الابناء المفزعون » (١٩٢٩) وكتاب « معلهش» الذي يتحدث فيه الكاتب عن رحلة حول العالم مر خلالها بكل من تركيا ، ولبنان ، ومصر ، ومسرحيتي « الوالدان المفزعان » (١٩٣٨) ، و « الالة الجهنمية » (١٩٣٤) . والحديث عن المسرح هنا [illegible] شخص الفن المسرح . ولا معنى هذا [illegible]

[illegible]

الكلمة للتبادل الضروري بين ما قد يسمى بالمتناقضات • ومن ثم ، يبدو لاول وهلة وكانه شاعر التناقض • لكن النظرة الفاحصة المدققة تثبت ان هذا التناقض يكشف عن شيء ما • ولكل من القناع والمرآة مكانة خاصة في نفس كوكتو واعماله •

اثار سحر الكلمة كوكتو الشاعر ، دائما • لذا ادخله في كل ما كتب ، بل في كل ما صور ورسم • ادخله فيما كتب من مسرحيات واخرج من افلام « دم شاعر » (١٩٣٢)، « الحسناء والوحش » (١٩٤٥)، « اورفيوس » (١٩٥١)، «وصية اورفيوس» (١٩٥٩) ـ وما الف من روايات : « توماس المخادع » (١٩٢٣) ، « الابناء المفزعون » • ومع هذا ظلت القصيدة عنده فضل مجال لاختيار قدرة الكلمة السحرية • في مرحلة اولى ، تكون لدى كوكتو ما يمكن ان نسميه برؤياه لفن الشعر • تلت هذه المرحلة فترة تحول فيها الشاعر الى المسرح والروايه والسينما والرسم، دون ان يتخلى خلالها ، ولو لحظة واحدة ، عن الشعر والشاعرية التي ظلت تصبغ كافة اعماله•

هو والمسرح

قلنا ان كوكتو فنان التحول • والمسرح فن يلائم مثل هذا الفنان ملاءمة تامة • احب كوكتو المسرح حبا جما • فضلا عن انه كشاعر ، كان يرى ـ شانه في ذلك شان الاغريق ـ ان « الشعر شيء يصور». نشا حب كوكتو للمسرح عندما اختلط اختلاطا وثيقا بالمغامرة الهائلة التي قام بها الباليه الروسي في باريس آنذاك •وفي « البوتوماك » (١٩١٩)، نجد دليل هذا الحب اذ يسود الكتاب جو الحكاية والاوبرا ، والاضاءة وحركة الشخصيات الخيالية•• باختصار ، يرى فيه الواقع يتحول باستمر ر الى خيال • وعندما كان الكاتب يعد « الالة الجهنمية» اختلط بحياة المسرح مباشرة • فراى ان هذا الفن العريق افضل وسيط بين الكاتب وجمهوره ،بعكس الكتاب • فهو يجعل الفنان يتصل بالجمهور اتصالا مباشرا • والنجاح ـ او الفشل ـ فيه سريع حاسم• فضلا عن ان المغامرة المسرحية تتكرر كل ليلة ، وعند كل عرض • و ارتاح كوكتو للمسرح ارتياحا حقيقيا ، وهو الذي كان يشعر ـ شانه في ذلك شان اي فنان مبدع ـ بحاجة تكاد تكون مرضية الى حكم الاخرين عليه• وبعد عرض « الولدان المفزعان » التي لاقت نجاحا منقطع النظير ، انتهى الى الصورة نفسه للمسرح • لقد صفق له الناس ، ولم يعد يستغني عن تصفيقهم • وهاهم يطلبون منه كتابة مسرحيات اخرى • فكتب للمسرح ، بل انتقل الى السينما لكي يوسع دائرة جمهوره • ذلك لان جمهور السينما مختلف واعرض بكثير من جمهور المسرح • فتحول الى كتابة السيناريو ، بل الى الاخراج • وعندما اخرج « العودة الابدية » (١٩٤٤) ، لم تشاهد الفيلم باريس وحدها ، بل شاهدته فرنسا باسرها •

وكان كوكتو قد دخل السينما في زمن الحرب والاحتلال • و « العودة الابدية » تستعيد كل « تيمات » واحدة من اشهر قصص الحب في فرنسا قصة تريستان وايزولد • والاحداث لا تدور في زمان معين ، كما يشهد سلوك الممثلين • ولا شك ان من راى الفيلم لا يمكن ان ينساه • ومن بين المشاهد التي لا تنسى الجزيرة ، والقصر ، والجليد ، والهجر ، وليلة العاصفة والسحر ، واللقاء عند النبع ، وهرب العاشقين ، والصبح عند الجبل ، والفراق ، والامل الاخير والنداء الاخير ، والجرح ، وعبور البحر ، والاحتضار واللقاء ، والموت • وفي الفيلم ، يتضح ايثار كوكتو لاساطير فقدان الشخصية واللامسئولية والتضحية• ولسوف يعود الكاتب الى ذات الاسطورة في مسرحية « رينو وارميد » (١٩٤٣) •

والحديث عن هذه الاسطورة يفضي حتما الى الحديث عن اهتمام كوكتو بالاساطير عامة • لقد بدأ باكتشاف اليونان القديمة واساطيرها وماسيها• واعد للمسرح « اوديب ملكا » (١٩٢٧)• وبعدها بسبع سنوات ، قدم رؤياه الخاصة للاسطورة في « الالة الجهنمية » • في البداية ، احس ان هذا الموضوع محرم عليه ، وانه ليس بمقدوره تقديم عمل يضاهي ماساة سوفوكليس • لذا التفت الى اسطورة لم تلهم احدا بعد بعمل يساوي عظيم ، الا وهي اسطورة اورفيوس ، الشـ[illegible] الذي عرف كيف يسحر الحيوانات ، وحظي بـ[illegible] النزول حيا الى عالم الموتى ليعيد منه زوجته [illegible] والملاحظ ان كوكتو يعيد دائما خلق الا[illegible] ويدخل فيها قضاياه الخاصة التي تصبح [illegible] لذلك ، اسطورية هي الاخرى •

الى اساطير العصر الوسيط

ثم ترك كوكتو اساطير اليونان ، والتفت الى العصر الوسيط ، محاولا تقديم ماســاة قوميــة للمسرح الفرنسى • كان جان جيرودو قد لاحظ من قبل ان فرنسا ، بلد الماساة الحديثة ، لا تمتلك اساطير ترتبط بتاريخها بمعنى الكلمة • هــذا باستثناء بعض الاعمال المسرحية مثل « سر رحمة جان درك » لشارل بيجى، و« سيرانودى برجراك » لادمون رستون ، واختار كوكتو اسطورة فرســان المائدة المستديرة • قد يقال انها ليست فرنســية بحتة • وهذا صحيح • لكن الواقع ان فرنسا هى التى ادخلتها فى نوع معين من الحضارة الاخلاقية واعطتها بعدا عالميا • وقد تبدو مسرحية كوكتــو وكانها غريبة على سائر مسرحياته • لكنها ترتبط بها ارتباطا وثيقا ، ولا تدخل تغييرا جذريا عليها• ولم تفت الكثيرين اوجه الشبه بين مغامرة اوديب والبحث عن « الجراآل » الكاس التى يقال ان يوسف تلقى فيها دم المسيح بعد العشاء الاخير • فاوديب يسعى الى معرفة سر ميلاده كما ينطلق الفارس جالاد بحثا عن الكاس المقدسة • كل منهما يمر بالفخاخ يتحدى اوديب ابا الهول ، وينهض جالاد بعد الحصار الخطير • وتموت جوكاست لانها عاشت تجربة الكذب • وكذا الامر بالنسبة للملكة جينييفر فى « فرسان المائدة المستديرة » وعندما تتضح الحقيقة بقسوتها ، يفقا اوديب عينيــه ، ويظل جالاد اعمى امام نورها اللامحتمل •



استقبل الجمهور اولى مسرحيات كوكتو «عرسان برج ايفل » (١٩٢١) استقبالا فاترا • تــدور احداث المسرحية على سطح برج ايفل ، حيثنشهد حفلة زفاف بورجوازية ، بينما يعلق جهازان من اجهزة الفونوغراف على الاحداث ، ويسمعاننــا ادوار الشخصيات • وما هذه الادوار سوىمجموعة من الافكار المستهلكة البالية ، والجمل النمطيــة والكليشيهات • يضفى هذا التوزيع على الحــوار طابعا مضحكا عميق الصدى ، ويبرز ما قد يكمن فى الابتذال من شاعرية •

بين النجاح والفشل

واذا كانت بعض مسرحيات كوكتو قد فشلت لسبب او لاخر ، فان بعضها الاخر قد نجح بدرجات متفاوتة • كانت « اورفيوس » (١٩٢٦) اولى هذه المسرحيات • انها عمل اساسى فى ميثولوجيا كوكتو الشخصية • ولقد كان لها امتداد بعد ذلك فى فيلمى « اورفيوس » (١٩٤٩) و « وصيــة اورفيوس » (١٩٥٩) يقع البطل تحت تاثير حصان غريب ينقل اليه بعض الرسائل الاتية من العالم الاخر ، ومن بينها ان زوجته اوريديس ستعود من الجحيم • وبالفعل ، يمكن الملاك حورتبيز اورفيوس من الالتقاء بزوجته • ويعيد الزوج زوجته من الجحيم ، بشرط الا ينظر اليها لكن الزوج لايفى بوعده ، وتختفــى الزوجة الــى الابد • ويقتــل اورفيوس ويعود الى حيث توجد زوجته • ويصل البوليس ، لكن الملاك يهرب منه ليلحق بالزوجين فى عالم يكاد لا يختلف عن العالم الذى عاشوا فيه• استخدم كوكتو هنا اكثر من وسيلة لكى يصل الى غايته ، الا وهى : اظهار الوجه الاخر للاشيــاء والحياة ، اى ما لا يرى ، على خشبة المسرح •هكذا الموت مجسدا ، والحصان الناطق ، والمرايا التى يمر المرء من خلالها ، والملاك الذى يظل معلقا فى الهواء بعد ان يسحب اورفيوس الكرسى من تحته، الخ ••

كان كوكتو قــد اطلق اسم « الاشبــاح » على ممثلى السينما الذين لا يمثلونالا دورهم ، بعكس ممثلى المسرح الذى يضطرهم الاداء الى دخول الدور بشخصية كاملة • كانت استى شبحا ، قبل مفاجاة ليان المسرحية • لم يكن النشاط الفياض الذى تبديه سوى قناع تخفى وراءه خوفهامنالعب

على مسرح الحياة • لكن ، هل هي على حق عندما تفرق بين المسرح والحياة ؟ تغمد مفاجاة ليان في قلبها خنجر البصيرة • فتكتشف ان لا بد من نسيان المرء لذاته ، لكي يصل الى الحياة ، لا أن يجد هذه الذات من خلال موقف معين ، مهما كان بطوليا وتتضح عندئذ حقيقة هامة : المسرح يدخل الحياة، فضلا عن انه صلاة وعبادة • فالصالة معبد ، والخشبة محراب ، وفي أداء كبار الممثلين شيء مقدس •

بين الحب والموت

لاقت مسرحية « رينو وارميد » (١٩٤٣) نجاحا فنيا كبيرا • أخذ الكاتب موضوعها عن اسطورة تريستان وايزولد التي عاد اليها في فيلم «العودة الابدية » لكنها تتضمن ، كما هو الحال دائما عند كوكتو ، رسالة شخصية ، وفكرة ذاتيه حميمة ،الا وهي استحالة الحب وعدم التوافق بين المتحابين ، اللهم الا في الموت لم يسع كوكتو الى تصليد المأساة الكلاسيكية ، عندما كتب هذه المسرحية ، بل حاول ان يبعثها في عصره ، بكتابة « أوبرا كلامية » تتحول فيها الكلمة الى موسيقى• الجانب الخارجي من المأساة محدود للغاية : اربع شخصيات منها البطلان • يؤسر رينو ملك فرنسا في حدائق الساحرة أرميد التي سحرته واختفت • لكنه ظل على حبه لتلك المرأة التي لا يراها •وعندما تظهر له ، يرفض التعرف عليها • ويستولي عليه الغضب ، ويكاد يجن • بينما يظل على عهده لارميد الاخرى • عندئذ ، لا تجد الساحرة امامها الا سبيلا واحدا : أن تعطى الملك الخاتم الذى تلبسه في اصبعها والذى يثبت أنها تلك التي أحبها • لكن ارميد لم تكسب رينو الا لتفقده مرة أخرى • فعندما يتعرف عليها ، يطلب منها قبلة • وتعطيه القبلة وتدفع حياتها ثمنا لها • العنصر الدرامي هنا هو اذن استحالة الاتصال بين اثنين من البشر• فكل من البطلين يطل مأساة أخرى يحملها في طيات نفسه ، الا وهي مأساة التحول • والصراع حيوي مميت ، تدخل فيه كل قوى الخلاص والبعث • والكلمة هنا سلاح أساسي للمعرفة وحماية الذات والمسرحية تقوم أساسا عليها • على سبيل المثال، نرى ارميد تستعملها كأداة للسحر وبطبيعة الحال لا يتسنى استعمال سلاح الكلمة الا بالشعر •

بعد ذلك بثلاث سنوات ، حاول كوكتو في « الصقر ذو الراسين » (١٩٤٦) ان يستبدل •مسرح الكلمة والاخراج بمسرح الحديث والحركة، بدعوى أن المسرح الاول يفقد الفن المسرحي جمهوره • وبعث مأساته الخاصة ، تحت ستار موضوع تاريخي ، سرعان ما تحول بين يديه الى اسطورة ذاتية • البطلة ملكة ترملت وهي عذراء ، تكاد تكون ميتة ، وقاتلها شاعر فوضوى شاب ، يتمثل فيه الموت الذى تنتظره • اذن ، مصير كل منهما محدد سلفا • لكن القاتل صورة طبق الاصل من الملك الراحل ، وهو لايريد قتل الملكة لانه أحبها دائما من بعيد • لذا ، يتوصل الى اقناعها بالعودة الى الحياة ، واتخاذ مكانها على العرش • لكن الدسائس السياسية تؤكد لهما ان لا حياة لا بموتهما • ويشرب الشاب السم ، وترغمه الملكة على قتلها قبل ان يفارق الحياة • من الواضح أن هذه المسرحية تفسير حديث « للالة الجهنمية » التى سنتحدث عنها توا • هنا أيضا ، تتعدد انذارات القدر القاسية قبل استدراجه للشخصيات الى حيث يريد • والمأساة التى تفرق بين الملكة والشاعر ليست مأساة الرجل والمرأة ، وانما مأساة حرية الانسان • عندما « تختار » الملكة الموت ، تتجاوزه • وتتفوق على القدر عندما تأخذ هدفه على أنه ناتج عن اختيار محض • ولا يسع المتفرج ، ازاء هذا الموقف ، الا أن يتذكر بروميثيوس واسطورته •

عندما يذكر كوكتو ككاتب مسرحي ، تذكر في المقام الاول ثلاث مسرحيات لاقت ، وما تزال تلقى، نجاحا منقطع النظير • أولاها « الصوت الانساني» (١٩٣٠) ، وهي مسرحية من فصل واحد يقوم بها ممثل واحد ، ولا تشتمل على اي عنصر درامي ، اللهم الا مونولوج تحاول امراة من خلاله استعادة الحبيب الذى فقدته • لقد فارقها لتوه ليتزوج امراة أخرى • ها هي ذي تتحدث اليه تليفونيا • انها تتالم ، لكنها تكذب عليه ، بدافع الحب ، لكي تطمئنه • ويكذب من ناحيته ـ ويلاحظ أن وجوده مقصور على فترات الصمت التى تتخلل المكالمة التليفونية وردود المرأة عليه ـ لكي لا يزيد من ألمها ، الى أن ينقطع التيار الذى انقطع من قبل عدة مرات ـ نهائيا تشهد هذه المسرحية على مهارة فنية بالغة ، وتدخل على خشبة المسرح بعدا جديدا،



بعد الفراغ والصمت • والنص هنا من افضل النصوص التى كتبها كوكتو ، ولقد ترجم الى عدة لغات • وجدير بالذكر ان المخرج الايطالى الراحل روسيلينى اخذ عن هذه المسرحية فيلما مثلته آنا انيانى عام ١٩٤٧ •

عرضت ٤٥٠ ليلة !

ويرى البعض فى «الوالدين المفزعين »(١٩٣٨) افضل أعمال كوكتو المسرحية فلقد لاقت نجاحا ساحقا عندما عرضت لاول مرة ، واستمر عرضها اربعمائة ليلة متوالية • كتب كوكتو فصولها الثلاثة فى ثمانية أيام ، لاثنين من كبار الممثلين ، فيما يبدو • لكنه ، فى الواقع ، يكشف لنا فيها ـ كما فعل من قبل فى« الابناء المفزعين »ـ عن سر حميم ، يعود بنا مرة أخرى الى عقدة أوديب •

تستمد هذه المسرحية كل قوتها من غرابة الادوار وحيويتها الفائقة • يقول روجيه لانفى هذا الصدد « انها تكشف فى قلوب البشر عن دوامة من الذرات » وبناؤها الدرامى ، من أوله الى آخره لا يقبل المناقشة ، لانه ينم عن تركيز اشبه بتركيز العاصفة قبل انفجارها • يعيش فى مكان واحد كل من جورج ، وزوجته ايفون الت[illegible] لا تهتم الا بابنهما ميشيل وتكاد تعبده ، واخ[illegible]يو ـ خطيبة جورج سابقا ـ التى تعيد دائما التوازن الى المجموعة• أحب ميشيل البالغ من العمر اثنين وعشرين عاما الشابة مادلين التى كانت على علاقة بابيه • ولاسباب متباينة للغاية ، يعمل الجميع على الايقاع بين ميشيل وحبيبته • ويستولى اليأس على الشاب ، وتعيد ليو مادلين اليه • عندئذ ، تشعر الام بان لا فائدة منها ، فتبتلع السم ، وتفارق الحياة قبل ان يتمكن احد من انقاذها •

هذه الاحداث تخنق الابطال، وتحملهم على الصراخ• وهم يبدون وكانهم مقيدون ، متمزقون • تستعر المشاعر والاحاسيس بين الاب ، والام ، والصبى ، والعشيقة ، والعمة ليو ، والقدر •وفى كل مشهد، يستولى الرعب والذعر على الشخصيات ، كانها تحاول الهرب من نار مشتعلة • ويحوم الموت ، طوال المسرحية ثم يضرب ضربته ، بينما لا يدور الحديث الا حول الحب • لكن هذا الحب لم يعد قادرا على السيطرة على نفسه ، بل على احتمال نفسه او الانتقام الى الاخرين ••

ونرى نحن ان « الالة الجهنمية » (١٩٣٤) هى قمة أعمال كوكتو المسرحية واهمها• يستعيد المؤلف فيها اسطورة اوديب ، دون ان يتعلق الامر باعداد جديد لماساة سوفوكليس،يريد كوكتوان يقول ما لم يقله الكاتب الاغريقى ، يريد أن يعثر على الاسطورة مرة أخرى ، فى القرن العشرين ، ويعيد اليها طابعها الانسانى • وجدير بالملاحظة ان مسرحية كوكتو لا علاقة لها بالمسرحيات الحديثة الماخوذة عن الاساطير القديمة ، تلك التى عاشت بعد عرضها •

فى بداية كل فصل ، يلخص « صوت » ـ عندما عرضت هذه المسرحية لاول مرة كان الصوت صوت كوكتو مسجلا ـ الاحداث فى الزمان والمكان •ويخبرنا هذا الصوت باهم ما فى قدر اوديب ، حسب ما جاء فى النبوءة يهرب أوديب من ملك كورنتة وملكتها لان النبوءة قالت له انه سيقتل أباه ويتزوج امه • وهناك نبوءة اخرى : قيل لجلوكاست ، ملكة طيبة ان ابنها سيقتل اباه ويتزوج امه • لكن جوكاست لم تجرؤ على قتل طفلها الوليد ، وأمرت أحد الرعاة بتركه على الجبل ، بعد ان ثقبت قدميه • ووجد ملك كورنته الطفل وتبناه •

عندما هرب اوديب من كورنتة ، ظانا انه يهرب من قدره ، التقى برجل وحاشيته ونشب شجار بين الطرفين • فاصاب أوديب الرجل بضربة من عصاه وارداه قتيلا • ولم يكن الرجل سوى أبيه لايوس ، ملك طيبة • ينسى اوديب الواقعة ،

ويسمع حديثا عن ابي الهول،الوحش الذى يشرب دم ضحاياه ويمتلك السحر والجمال ايضا . ويعلم أن ملكة طيبة ستتزوج الرجل الذى سيخلص المدينة منه . فيقتل ابا الهول ، ويعود بجثته الى طيبة ويتزوج ملكتها ، اى امه .

اوديب وابو الهول

من خلال هذه الاسطورة الشهيرة،يقدم لناكوكتو مفهومه الحالى للقدر والالهة التى تتحكم فيه . فى بداية الفصل الثالث ، نقترب من ليلة زفاف اوديب وجوكاست . لكن ، لا الام ولا الابن يريان الهوة السحيقةالتى تنفتح تحت اقدامهما وتبتلعهما الى الابد . وفى الفصل الرابع ، يفتح الخورس ابواب المأساة ، تلك التى سيعرف من خلالها الملك الجديد الشقاء الحق ، بعد ان ذاق طعم السعادة الحقة .

ولنقف لحظة عند لقاء اوديب وابى الهول . يشكو ابو الهول الذى اتخذ شكل شابة جميلة من انه « مل القتل » عندئذ ، ترد احدى الجمل الهامة من المسرحية : «علينا بالطاعة . للسر اسراره . وللالهة آلهتهم . لنا الهاتنا ، ولهم الهتهم . وهذا مايسمى باللانهائية» . يلتقى اوديب بابى الهول، بعد ان ظل يبحث عنه شهرا كاملا : «كنت متحمسا وانا اقترب من طيبة لدرجة اننى كدت اصرخ امام كل عمود قابلته . وها انذا اجد فى طريقى شابة بيضاء » . ويعرض المتحدثان رؤية كل منهما للسعادة . يريد اوديب المجد ، بينما يرى ابو الهول أن الحياة تعنى «الحب ، حب المحبوب» . وتطلب الشابة من اوديب ان يعد حتى خمسين فتظهر له فى شكل ابى الهول . يغضب اوديب ، لكنه يغير راكعا ، ويحاول ان يقاوم ، فيسمع مايلى : « لاجدوى من اغلاق العينين وادارة الراس ، لاننى لا اعمل بالغناء او المنظر . لكننى امهر من الاعمى ، واسرع من شبكة المصارعين ، وادق من الصاعقة ، واسرع من الحوذى واثقل من البقرة .. وانزه من القاضى ، واشره من الحشرات ...» وتستمر دائرة الكلمات، وتزداد سرعتها . لقد اثبت ابو الهول انه السيد . ولولا حبه للشاب . لكان مصير اوديب مصير من سبقه من شبان طيبة المغرورين . بفضل هذا الحب الذى، تغلب اوديب على ابى الهول . وسار يخطى مسرعة نحو قدره راضيا ، لايعى شيئامما ينتظره . تبتعد الالهة التى اتخذت شكل ابى الهول قائلة : «انى اختنق ـ فلنغادر هذه الارض . ياللبشر المساكين، المساكين » ...

والحوار بين اوديب والعراف تيرزياس قمة من قمم المسرحية . يكشف العراف عن النبوءة المشئومة التى تتهدد الملك الشاب. لكن هذا الاخير يرد قائلا: «لم سمحت لى الالهة اذن يقتل ابى الهول، ودفعت بى الى هذه الحجرة ؟ » وهكذا تطرح قضية الحرية برمتها . ويسال العراف الملك عما اذا كان يحب الملكة : «اتحب ان تاخذها بين ذراعيك ؟ »وياتى الجواب الغريب : «احب بصفة خاصة ان تاخذنى هى بين ذراعيها » ويواصل اوديب قراءة مستقبله فى عين العراف العجوز . وفجاة يغمض عينيه ويقول : «لاشك اننى وصلت الى نقطة تريد الالهة ان تظل غامضة »

وفى كل لقاء بين اوديب وجوكاست ، تلميحات الى القدر . تقول الزوجة ـ الام : «يالك من طفل كبير » ويقول الزوج ـ الابن : نعم ، ياامى الصغيرة العزيزة » وتتوالى الاحداث يموت ملك كورنته ويعلم اوديب انه لم يكن ابنه الا بالتبنى ويحاول العراف ان يوقف اعترافات الرسول ، ويقول للملك : «ساحذرك من عادتك السيئة، عادة السؤال عن كل شىء ومعرفة كل شىء .» ويرد اوديب : «ساسال بلاخوف . ساعرف كل شىء». يقول العراف فى النهاية : «لقد اراد ان يكون اسعد الناس ،والان ،يريد ان يكون اشقاهم » . ويفقا الملك عينيه ، ويعبر المدينة بدون ان يلتفت اليه احد ، تساعده جوكاست الام : «ماتت زوجتك يااوديب المسكين . انا امك التى هبت لمساعدتك . نعم ، ياطفلى الصغير . آه لو عرفت كم تبدو الامور التى يظنها البشر مروعة هينة اذا نظرت اليها من المكان الذى اوجد فيه الان » . ويخرج اوديب من طيبة ، متكئا على ذراع ابنته انتيجونا ، ليلقى المجد ، لا الخجل والعار .

وكما خرج اوديب من طيبة ، خرج كوكتو من مسرح الحياة ، واثبتت الايام صحة قوله : «سائير الاهتمام بعد مماتى » .. ■■

د . سامية احمد أسعد

البنوك الاسلامية

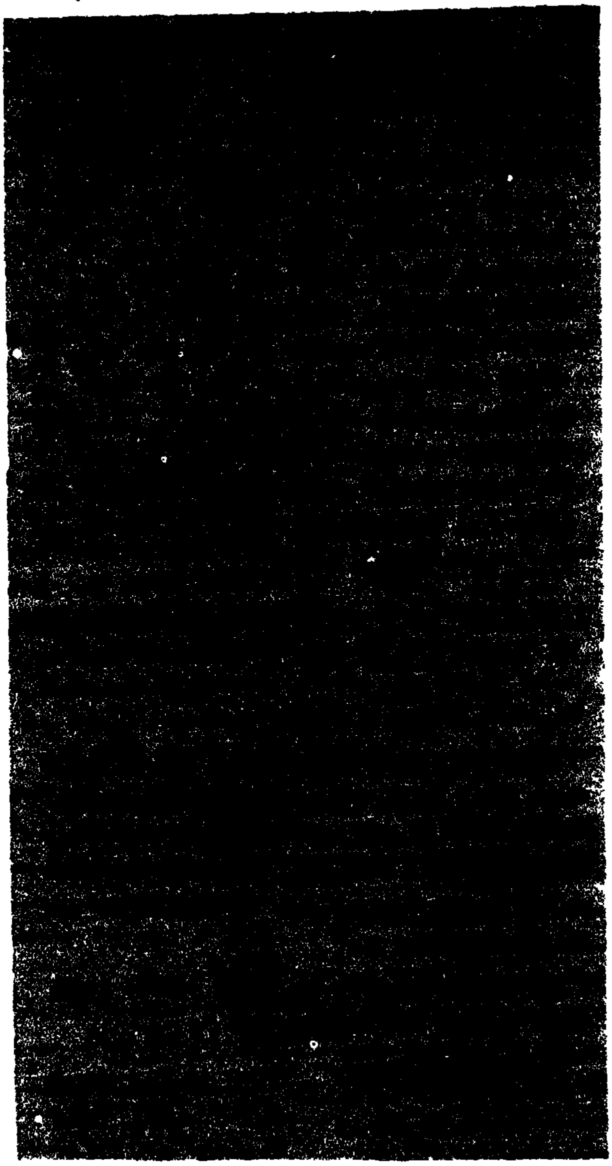
● هناك محاولات قيام بنك اسلامى فى المملكة العربيـــة السعودية،لاتزال حتى الان تحت التجربة وتحتاج الى الكثير من الدعم الفـكرى والمـادى

وهناك تجربة «بنك دبـــى الاسلامى » بدولـة الامـارات العربية المتحدة عام ١٩٧٥ م وقد نجح المشروع نجاحا بالغا وكان نجاحه ابلغ رد على اعداء المعاملات الاسلامية النظيفة ، وهناك «بنك فيصل الاسلامى السودانى» بجمهورية السودان الديمقراطية والذى سيبدأ اعمالـه فى مطلع عـام ١٩٧٨ و « بـنك فيـصل الاسلامـى المصرى» بجمهوريةمصر العربية•

نهيب بالعالم الاسلامى ان ينحو هذا المنحى فى التعامل عن طريق بنوك اسلامية بعيدة عن الاستغلال فنقضى بذلكعلى الربا المحرم شرعا •

صلاح الدين هاشم محمد
عطبره / السودان

●



● من المعروف ان البحـر الاحمر بحر عربى•• فبالاضافة الى اهميته الاستراتيجية نجده يزخر بثرواته الدفينة اذ ان هناك مئات من الاجانب الذين ياتون لرؤية شعابه المرجانيـة واســـماكه الملونة واصدافه البراقة التى لا نظير لها فى بحار العالم ••

الا يستحق منكم هذا البحر التفاتة تتمثل باستطلاع لبعض المدن الواقعة عليه مثل العقبة ـ الغردقة ـ جده ـ بور سودان ـ الحديدة عـدا عـن الجـزر الموجودة فى جنوبه

آمل ان تستجيبوا لاقتراحى هذا لتعريف القـارىء العربى باهمية هذا البحر العربى •

طارق السباهى
السعودية ـ جدة

القصة القصيرة في «العربي»

● القصة القصيرة في ادبنا العربي حديثة العهد ، ورغم هذا فقد وصل بعض كتاب القصة عندنا درجات من الابداع في ميدان القصة القصيرة ، وليس ادل على كلامي هذا من القصة التي نشرها العربي في عدد اكتوبر / ٧٧ تحت عنوان «الزائر» وقد وجدت نفسي حيال قصة متميزة باسلوب فكري رصع بالصور السحرية وعايشت اجواءها منبهرة حتى تكاملت صورة هذا العمل الفني في خاتمتها .. حقا كانت قصة عربية تضاهي اروع ما خطه كبار القصصين الاجانب سواء في بنائها المحكم الجديد في صيغته ، ام في مضمونها الفني بالابعاد ذات المغزى .

باختصار فان قصة الزائر ، تحفة فنية ملتزمة .. فلكم من قرائكم الشكر على هذا النوع من القصص الهادف .

فريدة العطار / حلب
سوريا .

●

سان جوان

● جاء في نتيجة مسابقة العدد ٢٢٥ والتي نشرت في العدد ٢٢٨ من العربي ان عاصمة بورتوريكو هي « سان جوان» والاصح ان تقول بان العاصمة اسمها سان خوان او سان جوان وليس هوان لان اسمها الاجنبي هو San Juan

احمد اسعد طريعي
لبنان / بيروت

يجب أن نبدأ..

● لي تعليق على مقال فهمي هويدي في العدد بعنوان « من هنا نبدأ » الخصه فيما يلي :

أولا : ان من يقرأ المقال قد يتشاءم حتى يظن ان عالمنا الاسلامي خال من كل ما يمت للاسلام بصلة مع رغم الضياع ورغم الفتنة التي اصبنا بها ولا نزال ، لا هناك عقول تفكر وقلوب عامرة بالايمان . وقران وسنة يطبقان على كثير من معاملاتنا وطرق حياتنا نحن كما للمجتمع على الاقل دون النظر للقمة ..

ثانيا : دعا المقال الى ضرورة البدء في ترسيخ القيم وتثبيتها ، بل انه اعتبرها من المسلمات واستشهد بالآية الكريمة « ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » مع انه في نهاية مقالته اكد ان لا قيمة لما يقال داخل ق... اذا زهناك ما يناقضه في الشارع اوالبيت اوالص... شاشات التلفزيون. اوليس التلفزيون ، وهومن وسائل الاعلام الحاضرة .والمذياع في بلا... وسائل اعلام بيد المسؤولين الذين هم القمة ؟

العقل اليهودي والمال العربي

● للاسف اصبح العقل اليهودي هذه الايام مضرب المثل عند بعض الناس في عالمنا العربي .. حتى وصل بهم الامر الى التبشير بان المنطقة ستتحول الى جنات نعيم لو تم الزواج بين هذا العقل والمال العربي العاثر . والخطورة في هذا القول تكمن في انه يجري على السنة عربية صدقت الفرية التي اطلقها الاعلام الاسرائيلي بعد هزيمتنا عام ١٩٦٧ .

فهل حقا ما زعموا ؟.. أوليس في هذا القول اهانة للعقل العربي . وهل نعدو الحقيقة اذا قلنا بان هذا الكلام غير صحيح على الاطلاق . وهل العقول العربية المهاجرة في اوروبا وامريكا والتي تشهد لها العدو قبل الصديق كافية لدحض تلك الفرية .

ايها السادة ـ ان العقل العربي بخير . ولكن أعطوه فرصة فقط !

سامر عبداللطيف .
تونس

ثالثا : يقول فهمي هويدي:« وسوف تكون سذاجة مطلقة أن نتصور المسالة كما لو كانتدعوة لزيادة حصص الدين في المدارس » ، وانا اتفق معهفيان زيادتها لن تحقق التغيير المطلوب فيمجتمعاتنا الاسلامية،ولكن انقاصها ايضا او حتى جعلها قليلة لا تتناسب الا معالقليل القليل من مبادىء اسلامنا أسوا من زيادتها ..اليس كذلك ؟

ولا اظن ان اثنين يختلفانفي ان زيادتها او جعلهامعقولة يجعل اجيالنا على اتصال اكثرواوثق بدينهم ودنياهم على السواء .

رابعا : حقا ان الاسلامعقيدة قبل ان يكون شريعة .. ولكن عقيدتنا الان موجودة رغمتزعزعها ، وابناؤنا يتعلمون الدين فيالمدارس عقيدةوشريعةيتزعزعان فيما بعد لعدم الربط الوثيق بينهما والذى يمكناحكامه بتعاون القمة والقاعدة .. كيف ؟ هنا اضم صوتيالىكاتب المقال في ان يطرح هدف اعداد جيلمسلم لمناقشة مفصلةبين المختصين والداعين الى بناء المجتمع الاسلامي .

عبد الكريم هندي
عمان/الاردن

ابتلاع الضفة الغربية والقطاع

● ان الخلاف القائم اليومبين مناحيم بيجن ووزيرخارجيته موشيه ديانحول المشروع الذيقدمه الاول بشأن الضفة الغربية وقطاع غزة هو خلاففي التشكل لا في الجوهر . فكلاهما راغب في ابتلاع مابقى من فلسطين.ولكن الخلاف يدور عن كيفية الابتلاع . لانالمؤسسة العسكرية الاسرائيلية متفقة فيما بينها على ابتلاعهذه الارض مهما قدم العرب من تنازلات وحسن نوايا . وهذهالمؤسسة منسجمة مع تعاليم الصهيونية التيتقول:« منالنيلالى الفرات ارضك يااسرائيل»

هذا هو الشعار الذى تسعىهذه المؤسسة الى تطبيقه منذ عهدهرتزلمرورا بحاييم وايزمنوبن غوريون وجولدا مائير ومناحيم بيجن .

فمتى يستفيق العرب منغفوتهم !

زياد عبدالكريم
بغداد .

أما لهذا الليل من آخر

● قرات منذ سنوات ع شكاوى القراء الذين يصع عليهم الحصول على نسخة « العربي» وقرات أجوبتكم عليا تلك الاجوبة التي كانت و زالت تقولان الحلقريب والذ أراه هو العكس .. فالازمة مستمرة .. بل هي تتزاي تزايد الطلب .. والذى يهم ويهم القراء هو ان نحصل على نسختنا من هذه المجلة بسهولة ويسر .

فما الذى يحول دون تحقيق رغبة قرائكم .. وهل حل ه الازمة من المستحيلات ؟

عبد ربه حسن الربيـ
بغداد ــ العر

حوار القراء

قراء العربي كثر و العمد والزاوية المخصصة لحـ القراء منالضيق بحيث أصب تعطى مفهوما مغايرا للعة فحبذا لو زدتم عدد صفحـ هذا الباب .

سعيد محمدالاسكندرية ــ

ايضـــاح

● نأسف للسهو الذى أدى الى سقوط العمود ١٣ من الكلمات الراسية في نزهةالعقل الذكي المنشور في العدد ٢٢٩ منالعربي.

العربى



قصة قصيرة

اوه .. افريقيا

بقلم : زينب صادق

■ ذابت الثلوج واختفى اللـــون الابيض • الاشجار بدات الوانها الخضراء تظهر • النهار بدأ يطول والليل يقصر • والملابس خففنا مـــن اثقالها على اجسادنا • جــاء الربيـــع الينا •• واحتفالا بقدوم ربيع اوروبــا قرر طالبو العلم والمعرفة من سكان منزل المغتربين ان يقيموا حفلة فى حديقة المنزل •

بدانا الحفلة فى ضوء النهار لنستمتع بالوان الاشجار وشمس قبل الغـــروب الفاترة • احضر « تونى » او « انطوان » الافريقى شريطا تسجيليا وقال لنا انه سيسمعنا الحانا اوروبية افريقية الاصل ، وقال ان اصل الرقصات الحديثة مستوحى من الحان افريقية • وملأ المكان بالحانه •

تقدم منى « تونى » وقال :

ـ اختى افريقيا •• هل ترقصين معى ؟

وقال ونحن نرقص :

ـ اختى •• انت من الشمال • وانا من الجنوب انت بيضاء وانا اسود •• لكن امنا واحـــدة • افريقيا •• اين تعلمت الرقص يااختى ••

ـ فى مصر ••

ـ وانا صغير كنت اكره اللون الابيض • كان يمثل لى الرجل الغريب المستعمر • وعندما نلنا استقلالنا • وهذا لم يكن بسيطا وسهلا • كانت ما زالت عقدةاللون الابيضفى نفسى وعندما جاءت بعثات من شمال القارة لتعمر بلادنا قالت امى : لا تكرههم يابنى •• فهؤلاء البيض من شمال امنا الحنون افريقيا • هم اخوتك واخواتك • وهم هنا ليساعدونا ، وليس ليستعمرونا •• وهكذا بدات بالتدريج احبـــكم • والان زالت تماما من نفسى عقدة اللون الابيض •

غمرتنا الالحان الراقصة بينابيع من المـــرح والفرحة • كاننا ننفض عن انفسنا ذكريات الشتاء البارد •واياما طويلة من ملاحقةالدراسة والتدريب والمعرفة • وليالى طويلة من الانكماش فى وحدة وغربة •

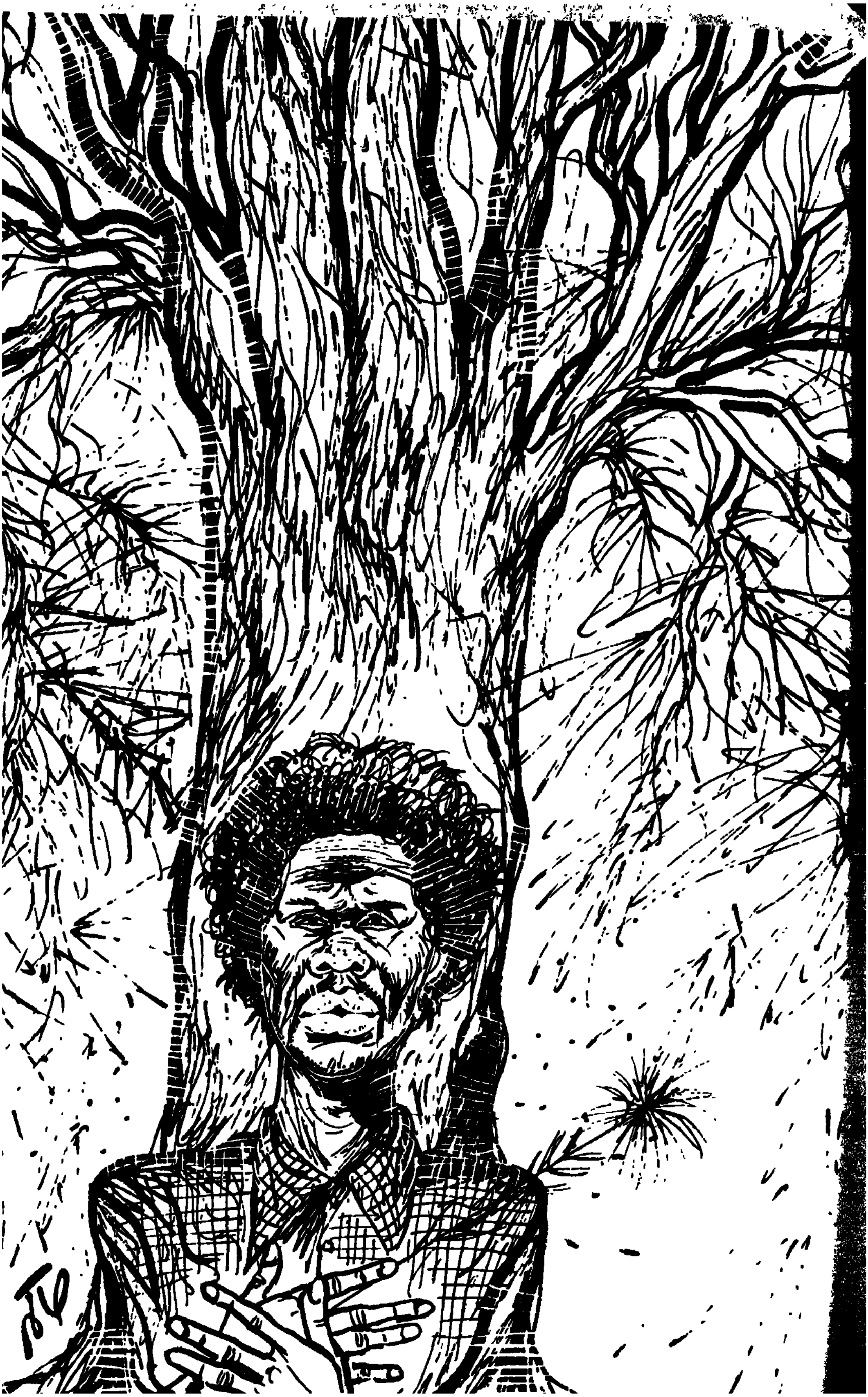
عندما بدات السحب تخفى ضوء الشمس الباهت اشعلنا نارا تحت شجرة كبيرة • وجاءت فرقة موسيقية من الشباب الاوروبى اتفق معهم احـــد النازلين فى المنزل • وكان ضمن الفرقة افريقى اسود تبادل الحديث مع « تونى » بلغة بلدهمبعدها جلس بجانبى وقال بشىء من الحزن :

ـ هذا واحد من اخواننا يا اختى • لا يريد ان يعود الى بيت امه •• ويفضل ان يعيش فىطرقات اوروبا يغنى • وقلت ـ هو سفير لبلده ايضا •

مصمص « تونى » شفتيه وقال :

ـ ترك دراسته هنا • هل تعلمين كم تكلف اهله لارساله الى بلاد العالم المتحضر ليتعلم ؟ ! •

ـ خمس سنوات وهو يغنى فى الطرقات • لـ يصبح مغنيا محترما • ربما اقنعه فى يوم من هذ الايام ان يعود لدراسته او يعود الى امه • امـ



الحنون افريقيا . صمتنا قليلا لنستمع الى اغاني الفرقة الموسيقية .

ـ هناك امام بيتنا شجرة كبيرة عالية . قالت امي لنا انها تريد ابناءها ان تكون جذورهم في ارضهم مثل هذه الشجرة .. مهما ارتفع احدهم لا بد ان تكون جذوره في الارض . وكان لجدي رأي: ان الزنوج لا بد ان يعودوا الى افريقيا ما داموا لم ينالوا حرية في امريكا ... لكن ياأختي يخيل الي ان اعدادا هائلة من اخواني الافريقيين قد سجنوا في بلاد مثل امريكا ولم يستطيعوا العودة. كانهم نفوا هناك . منعوا من الخروج . انا متعب من الشكوك في رأسي .

قلت ـ لكنكم الان ياأخي تخرجون الى بلادالعالم بارادتكم ؟ واظن انكم تعودون ايضا بارادتكم .

قال توني ـ اننا نخرج جماعات لنتلقى العلم في بلاد العالم المتحضر . تجمعنا احاديث المساء عن مستقبل افريقيا ونعود لنعطي ما تلقيناه من علم ومعرفة للجيل المقبل ، حتى لا يتحمل مشقة السفر والاغتراب .نعود باحساسحقيقي ان ننهضبافريقيا ..واحيانا تبهرنا حضارة الغربواضواؤه فلا نعود الى بلادنا . لكن ما ذنب امنا الحنون التي ترسلنا للخارج ؟ هل نخذلها ؟ . هل نقول لها : بيتك قذر يا ماما .. فلا نريد العودة ؟ ام نعود اليها باحدث الطرق لتنظيف المنزل ؟ ! .. هل ترقصين يا اختي ؟ ! .

وقمنا لنرقص . فقد بدأت الرقصات مرة اخرى، حول النار المشتعلة ، وانغام الفرقة الموسيقيةوغناء الافريقي المصاحب لـلفرقة . وكـان صوته يبعث الحيوية في الراقصين . تمايل « توني » برشاقة مع اللحن وهو يردد بعض المقاطع بنشوة . رقصنا منفردين . الانغام تبعث البهجة . تنتشر الضحكات والصرخات . كل يقول بلغته هذا شيء رائع .ليتنا نبقى للصباح نرقص .

قال توني ـ هل ستعودين الى امنا الحنون يا اختي ؟

ـ نعم .. طبعا ..

اقترب مني . احاط خصري بذراعه . ضمني اليه . قال :

ـ انا ايضا ساعود .. اوه افريقيا ..

ودار بي مع اللحن وهو يردد .. اوه افريقيا.. اوه افريقيا .. الى ان انتهى اللحن .. عند اختفت الشمس كانت السحب القاتمة تملأ السما وانصرفت الفرقة الموسيقية لتلحق بموعد آخـر . وقال احد الطلبة العرب .. « توني » .

هكذا تكون الحفلات . ان تحضر فرقة موسيقية وان كان لمدة ساعتين . وليست مثل تلك الحفلات الصغيرة التي تقيمها لنا تسجيلاتك القديمة .. وهذه العبارة التي تقولها كلما وجدت منا جمعا : « ساحضر بيرة ونعمل حفلة » ..

ضحك توني وهو يقول :

ـ الم اخرجكم من صمتكم المميت احيانا في هذه الليالي الباردة الاوروبية ، وقال العربي للجميع بصوت مرتفع :

ـ الافضل ان نكمل حفلتنا في حجرة المكتبة داخل المنزل . عندي لكم مفاجأة .

صمت قليلاوالكلقدالتفت اليه ليعرف المفاجأة.. قال العربي : بشريط تسجيل للمطربة فيروز.. وهللنا للفكرة .

جلس « توني » بجانبي وسألني

ـ هل هذه مغنية من بلادكم ؟

ـ نعم ..

ـ خسارة .. انني لاافهم العربية لكن الصوت جميل يمكنني ان اتأثر .. ما اسـم هذه المغنية يا اختي ؟

ـ فيروز .

ـ ماذا يعني الاسم بالانجليزية ..

قال توني بفرحة :

ـ فيركواز ..

ـ فيركواز .. هذا حجر كريم . انا احب هذه الدرجة من اللون الازرق .. ثم التفت للجميع وقال مهللا :

ـ ما رأيكم ..ساحضر بيرة ونعمل حفلةلنستمع الى السيدة فيركواز . وضحكنا .

ـ توني .. اننا فعلا في حفلة ..

ـ آه .. نسيت ..

ثم قام وهو يقول :

ـ على اي حال ساحضر بيرة ما دمنا في حفلة.. خرج .

صوت المطربة الشجي اشعل حماسة ابناء الدول

وحنينهم لاوطانهم
اجرة • لم اود ان
وضاع صوت«فيروز»
« تونى » بالبيرةالتى
، بضوء قوى ،ودوى
ذ امطار لم ارها من

ضا صوت « فيروز »
قمت مع آخرين الى
، دهشة امام تغيرات

« هذا المطر لا يساوى
ورعد سمائها » لم
ن حماس حديثهم فى
ن ينظراتى بينحماسة
جو بلاده •• من ••
دث مشاجرة بالايدى•
شعورى فقال وهو
ثل الافريقيين قلوبهم
جة الشجار من أجل

ا اختى •• اوه ••

الجو ساد الصمتبين
حفلة المبكرة • أو من
المكان الى حجراتهم
سحب كتابا او مجلة
، احد المصريين الذين
كتابا ليقرأ :

رنا عدنا نعمل ابحاثا
ك تونى وكان جالسا

نا تضحك •• ماذا
همتها ؟ •

•• واعرف ان كل ما

ى كنت اقول ان امى
سل ؟ !



ـ امك لن تموت ابدا •• افريقيا لن تموت ابدا ••

لكزه المصرى وقال :

ـ يا اخى اتعبت راسنا بامنا الحنون » •

ضحك تونى ـ أوه •• افريقيا ••

قال المصرى ـ انت هنا وسط اوروبا • اجمل البلاد واجمل البنات •

قال تونى ـ لا يوجد اجمل من بلاد افريقيا •• ولا اجمل من بنات افريقيا •• هل ستبقى فى هذه البلاد ياأخى ••

قال المصرى ـ لى زوجة وطفلة •• قطعا ساعود اليهما •

قال تونى ـ ستعود اولا من اجل امنا افريقيا••

خبط المصرى كفا بكف وقال كمن يحدث نفسه•

ـ كنا نتشاجر من لحظات بسبب مستقبل الدول العربية • ومستقبل امتنا ••

الان يحدثنى الافريقى عن امنا افريقيا ؟ !

قام « تونى » وهو يقول انه سيذهب ليحدث

صديقته الاوروبية المصبوغ شعرها. وساله المصري ان يعرفه بصديقته هذه التي يتحدث عنها كثيرا . فضحك « توني » وقال له المصري : « امنا واحدة يا توني .. عرفني بها » .

ضحك مرة اخرى وهو يخرج من الحجرة ويردد.. « أوه .. افريقيا » ..

ان حب الافريقي لقارة افريقيا كلها يشغلني. فهو لا يتحدث فقط عن بلده في الجنوب الغربي من القارة ، بل يتحدث دائما عن افريقيا ككل . وليس كجزء ، يتحدث عن الجزء الجنوبي الذي ما زال مستعمرا كانه يتحدث عن بلده انها مازالت مستعمرة مع انها نالت استقلالها في الستينات . ومن احاديثنا المتفرقة من حين لاخر يجعلني افكر في معنى حقيقة الانتماء. فهل الانتماء بالناس .. المجتمع. الناس .. احباؤنا الناس التقاليد والنظم الناس.. السياسة . ام الانتماء بارض اولا واخيرا وفي معناها المحدود . الوطن ؟ ! . و« توني » دائما في احاديثنا المتفرقة يعتقد ان الانتماء الحقيقي بالارض ويشبه هذا الانتماء بالجذور . فهناك ناس جذورهم ارضية وهؤلاء هم الذين ينتمون لارضهم ولا يستطيعون الحياة بعيدا عنها. وهناك ناس جذورهم في الهواء . لايرتبطون بارض ، مثل النباتات ذات الجذور الهوائية . يمكن نقلها من مكان الى مكان في العالم لكن من الصعب تاقلمها في المناخ الجديد. فهي تحتاج الى نفس الجو الذي نقلت منه.

عاد « توني » الى الحجرة : جلس امامي وكان يبدو على وجهه هم ..

سالته ـ ما هي المشكلة

ـ تريد ان تتزوجني ..

ـ وانت ؟ ..

ـ المشكلة يا اختي ان امي ستغضب اذا انا تزوجت شقراء مصبوغ شعرها .. واوروبية .

سالته ـ امك افريقيا .. ام امك انت .. ؟

ـ الاثنتان ..

ـ تحبها ؟

ـ احبها ..نعم .. وهي تحبني جدا . وتفخر بلوني الاسود امام اصدقائها وصديقاتها وعندما نسير معا تتابط ذراعي كانها تتابط ذراع امير . لكن احيانا اشعر انها تحبني لاني الشيء غير المالوف. الناس في هذه البلاد المتحضرة حصلوا على كل شيء مفروض ان يحصل عليه الفرد العادي في الحياة . واعتقد انهم ملوا المالوف فاصبحوا يبحثون الان عن الشيء غير المالوف .. ومن ناحية اخرى لا اريد ان اعيش هنا . وهي .. اشك انها ستتحمل الحياة في بلدي لفترة طويلة . ولا اريد ان اتركه اطفالي السود يسيرون هنا مع امهم الشقراء ويشير اليهم الناس ويقولون : اباهم اسود .. اين هو ابوهم الاسود ؟ .. بينما اكون انا في بلدي التي تحتاج لي .. هل تدري يااختي . بعض الافريقيين السود يتزوجون البيضاوات بسبب عقدة اللون لا اكثر. يعتقدون انهم بزيجاتهم هذه استطاعوا غزو البيض .. نادرا ماتنجح زيجاتهم لانها غير مبنية على الحب .. مبنية على عقدة اللون لااكثر .

قلت ـ توني..لا تغالط.اننا نرى زيجات كثيرة هنا ناجحة بين الافريقيين السود والاوروبيات البيضاوات. العالم الان لم يعد يحظر على الاجناس الاختلاط ببعضها ..

قال ـ نعم .. حدثت لخبطة في العالم ، ليست فقط في السياسة بل في كل شيء واختلطت الاجناس ببعضها .. اختي .. هل جذورك ارضية ؟ ..

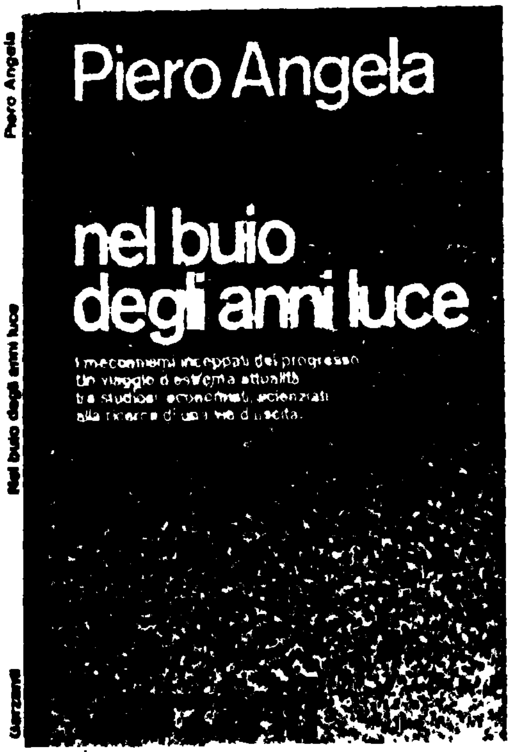
ـ ربما لم اكتشفها، الا عندما بعدت عن ارضي..

نظرت حولي في الحجرة .. كانت خالية . لقد ذهب الموجودون . ربما من فترة وكنا منهمكين في احاديثنا . قمت لانصرف .. قام « توني » الى النافذة وفتحها . وكان الجو صامتا معبقا برائحة مياه الامطار فوق الاشجار .. اخذنفسا عميقا وبدا يغني لحنا افريقيا . او ربما كلمات من قصيدة شعر افريقية وضع لها هو اللحن ، خرجت من الحجرة . وفي صمت الليل كانت كلمات الاغنية بصوته المرتفع تصاحبني الى حجرتي :

« اذا كان قد جاء الوقت لتملكي قلبي ..
ارجوك افعلي .. افعلي هذا الان ..
اذا كان هذا هو الوقت لتملكي قلبي ..
دعيني اكن ضحية سهلة ..
للنشوة التي تحملينها لشفتي ..
اوه ... اوه .. افريقيا ... افريقيا . ! »

زينب صادق

« اذا اردنا ان نعيش فيجب ان نبحث عن صيغة سياسية جديدة،لان قواعد اللعب قد تغيرت تماما» .



في ظلام سنوات النور

صورة للأزمة التي يعيشها العالم الغربي واحتمالاتها

تأليف : بييرو انجيلا

عرض وتقديم : فريد كامل

هذا الكتاب فاز بجائزة احسن كتاب لنشر الثقافة العلمية في ايطاليا.وهو دراسة هامة وجادة تلقي الاضواء على حقيقة الازمة الاقتصادية التي نعيشها اليوم،وعلى احتمالاتها المستقبلة ... الكتاب على شكل مجموعة من الاحاديث مع الخبراء العالميين ، ونقدمه ـ مركزا ـ بنفس طريقة العرض مع الالتزام بقدر الامكان باسلوب المؤلف ...وهو صحفي عمل لثلاثة عشر عاما كمراسل للتليفزيون الايطالي في العواصم الاوربية ويراس منذ عامين قسم البرامج العلمية والاجتماعية بالتليفزيون، وقد صدرت له ثلاثة كتب سابقة..

على كل دولة الاعتماد على مواردها

انت تعرف لعبة الشطرنج : لوحة عليها قطع تختلف في الشكل ، لبعضها قيمة أكبر من الاخرى .. تصور اذن انه تمرر فجاة ، وسط مباراة الشطرنج ، أن تتغير قواعد اللعبة ليصبح الجندي مثلا اهم من الفارس والقلعة اقوى من الوزير .. يجب على اللاعب في مثل هذه الحالة ، ان يغير طريقة مناورته بقطعه ، أن يخترع استراتيجية جديدة ، لانه اذا استمر في اللعب بطريقته القديمة لا بد ان يفلس ...

« هذا بالضبط هو ما حدث في العالم خلال السنين الاخيرة : تغيرت فجاة قواعد اللعبة لتبرز قيمة بعض « القطع » التي تملك الطاقة والمورد الخام وتهبط قيمة قطع اخرى لا تملكها ، مما يحتم علينا ان نغير استراتيجيتنا الاقتصادية والسياسية والا افلسنا » ..

هذا هو موضوع حديثنا ، الذي نبدؤه مع البروفسور الامريكي جاي فورستر بجامعه بوسطون الامريكية محاولة التعرف على ما تغير من قواعد اللعبه في عالم اليوم وعلى العلاقة الجديدة بين « القطع » التي عندها والتي ليست عندها .. وعلى التعديلات الاستراتيجية التي تحتمها هذه التغييرات ...

« حدث التغيير الجذري في العلاقة بين المنتج والمادة الخام . كان اقتصادنا (الغربي) من قبل مبنيا اساسا على مقدرتنا على تحويل المواد الاولية التي كانت وخيصة لتوفرها ـ بل كان يبدو ان المخزون منها لا نهاية له .. لذا كانت الدول الصناعية في موضع متميز . كان باستطاعتها الحصول على المواد الخام او شراؤها بثمن بخس ثم بيعها مصنعة بثمن مرتفع .. لكن الموقف قد تغير تماما الان : زيادة السكان وزيادة التصنيع اظهرا ان الموارد الطبيعية لها حدود (وكانت أزمة البترول اولى معالم هذه الحدود) .. اصبح الطلب كبيرا على المواد الاولية لان كل الدول تحتاجها حتى الدول النامية، اصبح الذين يملكونها يميلون اكثر واكثر نحو عدم بيعها بل تصنيعها واستغلالها بانفسهم .. لم تعد المواد الخام متوفرة ورخيصة الثمن ، فتغيرت الصورة ..

« كان نوع التطور الذي عرفناه حتى الان في الواقع عملية تصنيع مستمرة ومتسعة لملء فراغات

ناتجة عن الزيادة المطردة في السكان وفي ...
الاستهلاكية تقوم بها الدول التي تحتكر ...
وتحصل على المواد الخام والطاقة باسعـ...
وبيع منتجاتها باسعار مرتفعة ...

هكذا عرفت الرخاء .. واليوم لا يـ... يستمر هذا النوع من التطور لارتفاع اسعار ... الخام والطاقة وتمسك اصحابها بها .. لـ... ان يفهم الجميع جيدا ان الدول الصناعية بامكانها أن تستمر في الحياة على مصادر ... الناميه ، ان كل دولة يجب أن تعمل على ان ... من مصادرها الخاصه ، باحثة عن حلول جديده لمشاكلها ، وليس هذا صحيحا فحسب بالنسب... الصناعية التي تضطر لاستيراد المواد الخام ... من غيرها ، بل ايضا بالنسبة لدول العالم التي تضطر لاستيراد الطعام .. يجب ا... العالم أن اعتماد دولة على موارد ا... (على الطريقة الاستعماريه) سيصبح اكثر يوما بعد يوم ، لذا يجب أن تعتمد كل على مواردها وثرواتها الخاصة: المادية أو ا... او التكنولوجية ... »

التغيير في قواعد اللعبة يتطلب استر... جديدة اساسها الاعتماد على النفس ، لذ... اهميه ان تعمل كل دولة على تنظيم وتحسين ا... مواردها الطبيعية وتحاشي اي اسراف في ... الولايات المتحدة مثلا تقوم الان بعمل دراسا... لاستغلال مخزونها الهائل من الفحم الذي قد تناسته لاعتمادها على البترول ا... الرخيص .. « الولايات المتحدة بالنسبة كالسعودية بالنسبة المنفط ، بل يقدر مخزو... فيها باكثر من ضعف مخزون البترول في الاوسط كله .. لذا تجرى الان دراسات وتحديث وخفض نفقات استخراج الفحم وتحويله الى غاز لتسهيل استعماله في الاغراض ، وكذلك لحل مشاكل البيئة التر... استخراج الفحم ... »

وهل ستصدر الولايات المتحدة فحمها ا... الاوروبيين ؟؟ ـ « لا اعتقد ذلك .. ففي ... ستكون كل دولة اقل استعدادا للتنا... لثرواتها ، وانا اتوقع ضغوطا داخلية ... تصدر الفحم.. واوروبا ـ على كل حال ـ ا... *القليل لحل مشاكلها في الطاقة : زادت ... النفط واقامت بعض المفاعلات الذرية ،*

تتخذ اية خطوات جادة للحد من استهلاك الطاقة والمواد الخام أو لتنمية مصادر محلية بديلة لمستورداتها ٠٠ »

انتهى عصر الاحتكار بالخرزات الملونة

عنصر جديد يزيد أزمة الدول الصناعية تعقيدا هو منافسة الدول النامية ٠

« خذ مثلا الاخشاب٠٠ نحن ندخل الان فيمرحلة ازمة حادة في الاخشاب لان سرعة ازالة الغابات ـ أي الاستهلاك ـ اكبر بكثير من سرعة نموها ـ أي الانتاج ٠٠ واليوم ـ بعد أن تقلصت الغابات في غالبية الدول الصناعية الى حدها الادنى ـ يوجد اكثر من ثلثي ثروة العالم الخشبية في المنطقة الاستوائية ، والدول المنتجة للاخشاب تنحو اكثر واكثر الى عدم تصديره في صورته الخام ، بلتحيله الى اثاثاو ورق (وهي صناعات لا تحتاج الى مهارة عالية او تكنولوجية معقدة) لتصدره كمنتجات صناعية ٠٠ اى ان صناعات الورق والاثاث في العالم الصناعي يجب ان لا تواجه من شح المادة الخام وارتفاع ثمنها فحسب ، بل تواجه منافسة الدول النامية التي تصنع الاخشاب في مكانها ٠٠ « (مما يلغي نفقات نقل المادة الخام) باجور عمالة اقل بكثير ، اى بسعر اقدر على المنافسة ٠٠ »

وهذا بالطبعينطبق على المواد الخام الاخرى٠٠ دافيد فريمان ـ مستشار الكونجرس الامريكي لشئون الطاقة ـ يقول : « خذ مثلا البترول ومشتقاته ، لا يمكننا مثلا ان ننافس المملكة السعودية في انتاج الاسمدة والبلاستيك لانها تملك المادة الخام ـ البترول ٠ هذا ايضا صحيح بالنسبة لاى نوع من الانتاج الصناعي الذى يحتاج للكثيرمن الطاقة ٠٠٠هذا يعني ان الدولالصناعية اذا ارادت ان تبقى ـ عليها ان تنسحب تدريجيا من صناعات المشتقات البترولية والبتروكيميائيات والصناعات التي تحتاج للكثير من الطاقة او ان تركز على الصناعات ذات المستوى التكنولوجي المرتفع الذى لم يصبح بعد في متناول يد الدول النامية ، ان تنتج ما تحتاجه الدول الثرية بمواردها ولا يمكنها هي انتاجه ٠٠ يجب أن ندافع عن انفسنا ضد منافسة دول العالم الثالث بأن نهتم باستمرار صناعاتنا التكنولوجية التي تحتاج لمصادر وخامات قليلة او محلية ٠٠ »

في المانيا الفيدرالية يقوم اخصائيون في جامعة هانوفر بتكليف من حكومة بون ـ بعمل دراسة واسعة حول التخطيط للتحول الصناعي الذى تتطلبه التغيرات الاخيرة في العلاقات الاقتصادية العالمية ، ويرأس هؤلاء الاخصائيين البروفسور ادوارد بستل ـ مؤلف الكتاب الشهر « استراتيجية لكي نبقى » ـ يقول البروفسور « لا شك عندي ان المانيا في نهاية القرن ستكون مختلفة كثيرا عن المانيا اليوم ٠٠ هي اليوم دولة مكشوفة الجوانب لانها ـ لكي تعيش ـ يجب أن تستورد المواد الاولية وان تصدر انتاجها الصناعي ، وهو ما لا يمكن ان يستمر لان الحصول على المواد الاولية والتصدير كليهما يزداد صعوبة يوما بعد يوم ، كما يزداد الانتقال التكنولوجي بحيث لا يستطيع ، العامل الالماني الاحتفاظ بمستوى معيشته ، اذا استمر في القيام بعمل يمكن ان يقوم به عامل آخر في مكان آخر بتحمله اقل ٠٠ لهذا يجب أن نعيد تصميم كل شيء ٠ يجب ان نخطط في اى اتجاه يجب أن نتطور وان نحسب ما يتطلبه ذلك وما سيحدثه من تغيرات تكنولوجية وبيئية واقتصادية وديموغرافية ، وتغييرات في الدخل وفي العمالة والاسواق ٠٠ الخ ٠٠

« الخطوط العامة للتغيير هي أن نتحول من انتاج البضائع الجماهيرية البسيطة الى الانتاج ذى المحتوى التكنولوجي المرتفع ، من الانتاج الاستهلاكي الى الانتاج الاستثماري (المصانع والالات ٠٠ الخ) لان الصناعات الاستهلاكية التقليدية (الكيميائيات والنسيج ٠٠ حتى السيارات) ستنتقل تدريجيا وباطراد الى الدول النامية حيثالمواد الخام والطاقة والعمالة الرخيصة والاسواق الكبيرة ٠٠ وعلينا ان نعد فورا لهذا التغيير ، لانه يحتاج الى وقت طويل ، واذا لم نبدأه من الان فربما وجدنا انفسنا خلال اللحظة الاخيرة في مأزق حرج ٠٠ »

وكيف يؤثر هذا التغيير على المواطنين ؟

« نعتقد ان هنا في المانيا ـ خلال الخمسة وعشرين سنة القادمة ـ ستضطر جماعات بينخمسة ملايين وعشرة ملايين من السكان ان يغيروا اعمالهم منتقلين من احد القطاعات الى قطاع آخر ٠٠ من الواضح ان هذا التغيير لن يكون سهلا لانه يتطلب ليس مجرد تاقلم مهني ، بل هو ايضا تاقلم فكري

ونفسي ، لذا نطالب بان نبدا برامج التعليم من الان في توجيه الاطفال الى ضرورة ان يغير كل منهم في المستقبل مهنته مرتين او ثلاثا خلال دورة حياته » !!

استاذ الماني آخر ـ فالترليهمان من جامعة مانهايم ـ يؤكد هو ايضا ضروره حدوث تغييرات جذريه نتيجة لتغير قواعد اللعبة ، ويتنبا بانتقال جزء كبير من العمالة من قطاع الانتاج الى الخدمات . يقول « في المانيا اليوم يعمل ٤٥٪ من السكان العاملين تقريبا في قطاع الخدمات ، ورايي ان هذه النسبة ستزيد لتصل قبل نهاية القرن الحالي الى ٦٥٪ على الاقل .. وليتم هذا التطور يجب ان نفلس ، يجب ان نتجه نحو التصعيد التكنولوجي السريع اذا اردنا ان يبقى معدل تنميتنا فوق الصفر ، والا افلسنا ... !!

« والمطلوب الان هو التقدم على طريق ضيق تحفه المهاوي من الجانبين : بين الازمة الاقتصادية وازمة المواد الخام ، بين تغيير الانتاج وازمة البطالة .. ويزيد من الخطر ان الذين يدركونه قليلون .

ان الدول تعتبر الازمة الاقتصادية الحالية مثل سابقاتها وتحاول علاجها مثل سابقاتها ـ بالتوسع في الاستثمار وكان التوسع لا نهاية له ، لكن الخطر يزداد ، وهو يعلن عن نفسه في صورة عجز مالي ميزاني متزايد ، فجوة تتسع بين ما تريده الدول والشعوب او ما يحتاجونه ، وما يمكنهم الحصول عليه فعلا .. العجز ـ في الواقع ـ هو الفرق بين ما عند الانسان وما يريده ، ولازالة العجز يجب اما ان يزيد ممتلكاته او ان يخفض رغباته . والحل الوحيد بالطبع هو الثاني، لان المطالب والرغبات تزيد والموجود يتناقص ..

« يوجد عالم آخر يطرق أبوابنا بالحاح متزايد هو عالم الذين ليس عندهم .. لم يعد عندهم ايضا الاستعداد لان يضحوا بمخصصاتهم وجرايتهم لرفاهيتنا واسرافنا ـ العصر الذى كان الغرب يحصل فيه على ما يريده من المواد الاولية ليزداد ثراء ورفاهية ، مقابل خرزات ملونة ، وبلا معارض ـ قد مضى بلا رجعة ، وكلما اصررنا على مقاومة التغيير زاد التوتر بين الدول الثرية والفقيرة ، ذلك التوتر الذى تشحذه الزيادة المطردة في السكان ، وفي الاستهلاك ، وفي الرغبات والتطلعات ايضا ..

القنبلة الذرية في متناول الكـ

يجمع العلماء الذين يدرسون « ميكـ
العدوان » الفردي والجماعي على أنه اذا تـ
ظروف مادية ونفسيه معينة ولد العنف تلقا
وصار العدوان الفردي او العسكري الجم
تطورا لا مهرب منه .. وخلال التاريخ الا
قامت الصراعات المسلحة والحروب لاحد سببي
كليهما معا : اقتصادى او ديموغرافى، اى للمـ
على المصادر ، او المنافسة على الارض .. و
العلماء ان هذين العنصرين متوفران الان :
المواد الاولية والطاقة والطعام ، ثم الـ
السكاني الكبير ، ولهذا فان الموقف العالمي
للانفجار ..

في استوكهلم ، يوجد معهد ، اسمه «
Sprii يختص بمشاكل السلم العالمي والا
التى تهدده ، ويراس المعهد البروفسور
بارنابي ـ يقول « لا شك اننا ـ لاسباب متعد
قد دخلنا ارضا مليئة بالالغام ... القوى ا
ما زالت تتمسك بالقوة العسكرية كاحد اسـ
سياساتها الخارجية، واذا تعقدت الازمة الاقتـ
وتعدت حدودا معينة وشعرت بعض الدول ا
انها مهددة فقد تلجا الى القوة لحل مشا
الاقتصادية (ونحن نسمع تهديدات باحتلال
النفط مثلا) .. من ناحية اخرى لم يعد استـ
القوة مقبولا عالميا ، خاصة اذا كان من دولة
ضد دولة صغيرة » ..

في سنة ١٩٧٥ حينما اتفق الامريكـ
والسوفيات على التعاون في مجال الفضاء (
اتصال « ابولو » و « سيوز ») وعلى تبادل ا
بالبترول ، اشيع احتمال ان تتفق الدول ا
على ان تحتكر فيما بينها مواردها الـ
وتكنولوجيتها المعقدة ، عازلة عنها دول ا
الثاني والثالث .

هل يمكن مثل هذا الاجراء ؟؟

« نعم ـ اعتقد ان محاولات ستجرى في
هذا الاتجاه ، بل اننا نرى الان تباشيرها :
من يطالبون بعزل الدول التى لديها مشـ
اقتصادية وديموغرافية « مستحيلة الحل »
التى لا تملك موارد طبيعية لتساوم بها)
يعني منع المساعدة عنها ومنع المعرفة التكنو
عنها ايضا .. ولست ادرى اذا كان من ا

ان ينجح في التطبيق مثل هذا الاتجاه ، لاننا نتجه نحو عالم يزداد فيه التوتر كل يوم ، وتزداد سهولة الحصول على الاسلحة النووية ، بعد ان اصبحت المعلومات الخاصة بصنعها مشاعة للجميع (ويمكن شراء نسخة منها من مكتبة الكونفرس بواشنجتن بخمسة دولارات .. وقد قرانا كلنا عن طالب للكيمياء بجامعة بوسطون عمل مشروعا لصنع قنبلة ذرية في خمسة اسابيع !) هذا في الوقت الذى يزداد فيه انتشار المفاعلات النووية ومادة البلوتونيوم في العالم .. وكان لتمكن الهند من صناعة قنبلة نووية من مفاعل ذرى اقامته بها كندا للاغراض السلمية ، الاثر في تركيز انتباه العالم على امكانية استخدام المواد النووية الفنية المخصصة لاستعمال المفاعلات النووية أو الناتجة عنها لصنع الاسلحة النووية .. والواقع ان مفاعلا واحدا قوته الف ميجاوات ينتج من المادة المتفجرة ما يمكن ان ينتج مائتى كيلوجرام أو ثلاث مئة كيلوجرام من البلوتونيوم سنويا ، اى ما يكفى لصنع قنبلة ذرية كل اسبوع !!

« بخلاف ست دول عندها السلاح الذرى — الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى وانجلترا وفرنسا والصين والهند ، هناك لدى اسرائيل مفاعل ضخم ومعرفة تكنولوجية ودافع لعمل القنبلة، ورايى انها عندها في ترسانتها ، .. وتوجد دول اخرى لديها دافع قوى لصنع القنبلة ، ويمكنها صنعها في فترة غير طويلة ، وهى جنوب افريقيا وكوريا الجنوبية وفورموزا والباكستان . وتوجد الدول التى عندها الامكانيات العلمية والمادية لصنعها حينما تشاء ذلك ، وهى كندا وسويسرا واليابان والمانيا الفيدرالية وبلجيكا وهولندة وايطاليا واستراليا والنرويج .. والدول التى تستطيع عملها ببعض الجهد المركز مثل ايران والبرازيل وارجنتينيا واسبانيا وتشيلى واندونيسيا ومصر ... مثل هذا الانتشار ، خاصة في الوقت الذى تحتدم فيه الازمة الاقتصادية والديموغرافية — مثير للقلق الشديد..

وهل يمكن سرقة سلاح نووى ؟؟

« حاليا لا .. ولكننا نقلق للزيادة الهائلة في كمية المتداول منها ... الولايات المتحدة مثلا عندها اكثر من عشرة آلاف قنبلة نووية بين استراتيجية وتكتيكية في ارضها واراضى حلفائها مثل هـذا الانتشار يزيد من امكانية سرقة بعضها او تسريبه » ..

الضغوط الاقتصادية والسكانية تتزايد

يجمع علماء « ميديتيه العدوان » على ان الموقف العالمى يزداد تفجرا لان التوترين الاقتصادى والديموغرافى (ويدعى احدهما يسودى الى الصراعات والحروب) قد ازدادا حدة نتيجة للتطور الاخير في العلاقة بين المنتج والمادة الخام .. والواقع ان التوتر بين الاغنياء والفقراء (دولا كانوا أم افرادا) كان يحد من حدته من قبل الاحساس بان الكل عنده ما يسد حاجاته الاساسية (« ولا أحد يموت جوعا ») وان التطور والتقدم المطرد كالسلم المتحرك يوصل الجميع — ان سابقا او لاحقا — الى الرفاهية الموعودة ، اى كان التطور الانسانى المستمر جملة كل يعتبر — بشكل ما — وعدا بالمساواة في المستقبل ، بديلا للمساواة على الفور .. ولكن ابطاء هذا السلم المتحرك نحو الرفاهية الان — بل قربه من التوقف — قد وضح فجاة عظم المسافات بين كل سلمة والتى تليها وابرز من جديد مطلب الفقراء لاعادة توزيع الثروات ..

هذا المطلب قد بدات تعيه دول العالم كلها . وبدات تظهر اقتراحات لتناول جديد لمشكلة الفرق الكبير بين الدول الثرية والفقيرة قبل ان يزداد اتساع الهوة بينهما ، فلا يمكن عبورها الا بالسلاح (وربما كان النووى) .. بعض هذه الاقتراحات تزيف المشكلة وتدعى لها حلولا من الرياء والتهرب . والبعض الاخر يواجهها بجد وبشهامة وسخاء ، ولعل اطرف هذه الاقتراحات الاخيرة ما قدمه اقتصاديان من سكرتيرى رئيس الوزراء السويدى فاثارا ضجة كبرى لجراتهما الثورية حتى في السويد التى هى اكثر بلاد العالم انفتاحا للافكار الجديدة والغريبة ..

الاقتراح يقول ببساطة : اذا كنا نؤمن حقا ان العالم اسرة كبيرة يجب ان يكون توزيع الثروات بين افرادها عادلا حسب حاجة كل منهم ، فان على الدول الثرية (والسويد منها) ان تخفض استهلاكها بشكل جذرى لكى لا تتعدى على حصة الدول الفقيرة من المواد الاولية والطاقة والطعام التى دابت حتى اليوم على استنزافها .. لهـذا

يقترح الاقتصاديان السويديان خطة تقشف صارمة لبلدهما « لا لحاجة السويد لها كى تحل ازمتها الاقتصادية ، بل لاعطاء مثال اخلاقى عالمى للتضحيات الواجبة على الدول الثرية المتقدمة فى طريق النمو ، لمصلحة اخواتها الفقيرة المتخلفة فى ذلك المجال » وتتضمن الخطة : خفض استهلاك بعض المواد الاساسية (مثل النفط واللحوم) بمقدار الثلث عن طريق تحديد استيرادها وصرفها بالبطاقة التموينية ٠٠٠ وتنظيم « السطح المسدود » ببناء المساكن الجديدة باحجام اصغر واعادة تقسيم المساكن الواسعة وعمل الضرائب السكنية على اساس المتر المربع للراس ٠٠٠ و « اطالة حياة » البضائع الاستهلاكية بعمل حد ادنى لمدة صلاحية كل منها يجب ان لا تبلى او تفسد خلاله وتكون شركات انتاجها مسئولة عن الالتزام بهذا الحد ـ اما الاستهلاكيات الاساسية (كملابس العمل والاحذية والدراجات) فيجب ان تكون ذات جودة عالية ومضمونة وان تباع باسعار سياسية بالدعم الحكومى ٠٠٠ والغاء الملكية الخاصة للسيارات التى لا تباع لافراد ، بل تؤجرها لهم مكاتب خاصة فى حالة احتياجهم لها (وتحدد سرعة السيارات ميكانيكيا لكى لا تتجاوز ٩٠ كيلو متر فى الساعة) ، ويمنع دخول السيارات فى المدن حيث يكون الانتقال بوسائل النقل العامة والدراجات ٠٠٠ الخ ٠٠

السؤال الذى يثيره هذا الاقتراح ،والاقتراحات الاخرى المشابهة التى هى اقل سخاء وثورية ، هو هل يعنى حقا خفض الاستهلاك والتقشف ليتمكن الآخرون من المشاركة فى ثروات العالم ، ام ان الوفر سيسرب بطريقة او باخرى قبل ان يصل الى الفقراء ، ام ستبتلعه الزيادة السكانية (وزيادة السكان فى العالم الان بمعدل ٧٠ مليونا ـ اى اكثر من عشرة امثال تعداد السويد ـ كل سنة) ؟؟ ٠٠ واذا نجحنا فى خفض الفارق بين الثرى والفقير من ٢٥ : ١ مثلا الى ١٥ : ١ ، هل يحل هذا مشكلة المساواة ؟؟

ما نعنيه هو ان التطورات الاقتصادية الاخيرة قد اثارت اسئلة جديدة لم يسبق لنا التفكير فيها او محاولة الاجابة عليها (يرجع هذا ايضا بالطبع الى اننا لم نفكر بجد من قبل فى مشاكل الغد البعيد ، مركزين اهتمامنا على المشاكل الفورية العاجلة)٠٠ وعلينا ان نبدأ اليوم فى البحث السريع عن الاستراتيجية المناسبة التى يمكنها ان تجيب لنا على هذه الاسئلة الجديدة .

على القادة التحرك نحو المستقبل

فى السبعينات المبكرة ظهرت نبوءة من مؤسسة « نادى روما (وليست هى ايطالية ولا مقرها فى روما وان كان مديرها من اصل ايطالى ـ وتخصصها فى الدراسات الاقتصادية والاجتماعية فقد تنبأت بما يحدث اليوم خلال بحث لمديرها عنوانه « حدود النمو » .

يقول الدكتور اوريليو بيتشاى مدير المؤسسة : « منذ سنوات تحدثنا عن متحدثة اليوم الاقتصادية ، ولم يلتفت احد لنا لانها كانت مرحلة توسع وازدهار : كان الهواء يملأ قلوع السفن ٠٠ اليوم يتفق الكثيرون معنا ان اوربا فى مرحلة افول ٠٠٠ فى مطلع هذا القرن كان اقتصاد اوربا يطعم ٤٠٪ من سكان العالم ، اليوم قد انحسرت هذه النسبة الى حوالى ١٠٪ وانحسارها مستمر ،ويجب علينا ان نساعد التسعين بالمئة الاخرين على ان يعتمدوا على انفسهم لطعامهم ، يجب أن نساعدهم بحافة قوانا لكى يحلوا بانفسهم ، وبالطريقة التى يريدونها هم ، مشاكلهم ، والا فسيفوت الوقت وتكون النتائج وخيمة بالنسبة لهم ولنا ٠٠

« المشكلة اليوم هى ان قيادات العالم السياسية والاقتصادية لم تبدأ بعد فى التفكير فى مثل هذه المسائل ، ما زالوا يفكرون فى مشكلة اليوم وربح اليوم ـ وفى رايى ان رجل الشارع ربما تشغله هذه المسائل اكثر مما تشغلهم ٠٠ ما نحتاجه اليوم هو طفرة كبيرة ثقافية تدخلنا حقا فى عصر الحضارة التكنولوجية ، ٠٠ لنفهم ان هذه الحضارة بطبيعتها لا تقبل ان تقتصر على عدة مئات من ملايين البشر ، بل تتطلب ، لكى تعطى ثمارها الحقيقية ، أن تشمل اليوم اربعة مليارات من الناس وبعد عشر سنوات خمسة مليارات ، اى سكان العالم كله ٠٠ انها موجة يجب ان تعم البشرية كلها بخيراتها ، واذا لم ندرك نحن الاوربيين هذا ، ونساعد البشرية على ركوبها فستكتسحنا الموجة وسنغرق » ٠٠

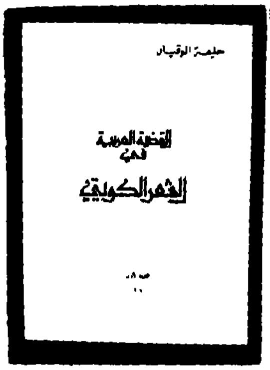
يؤيد هذا الكلام السناتور الامريكى ادوارد كنيدى رئيس لجنة التقيم التكنيكى « بالكونجرس»

فهو ، يقول : « ليس حقيقيا فحسب ان السياسيين والقادة يتعامون عن المستقبل ومشاكل الغد ، بل ايضا هم يحاولون تحاشى اتخاذ اية قرارات تتعلق بالوقت الحاضر اذا كانت غير شعبية ، خوفا من فقد مناصبهم واصوات ناخبيهم • لذا نجد انهم قد فقدوا المقدرة على المبادرة والتجديد ، وان جميع الحملات السياسية والاجتماعية الهامة في الولايات المتحدة في خلال السنوات الاخيرة نبعت بعيدا عن السياسيين ، خارج الاحزاب والدوائر السياسية • حركات انهاء حرب فيتنام ، والحقوق المدنية للزنوج ، وحماية البيئة، وحقوق المراة مثلا ، خرجت كلها من اوساط الشباب والطلبة ومن بين المواطنين العاديين ، واضطر السياسيون لاحتضانها في اللحظة الاخيرة حينما لم يعد من الممكن الاستمرار في تجاهلها•• يجب على الشعب الامريكي ان يطالب قياداته السياسية والاجتماعية بان تتحمل جادة مسئولية قيادتها نحو الغد او ان تتخلى عن مواقع القيادة لغيرها ، وعلى شعوب العالم كلها ان تطالب قيادتها بذلك ••• يجب على الدول ان تخطط اليوم للتحرك نحو المستقبل وان تحدث طفرات في سياساتها تتفق مع الطفرات التي حدثت في باقي مظاهر حياتها : التكنولوجيا والاقتصاد مثلا ••• خذ الكونجرس مثلا ، كيف يمكنه ان يعالج مشاكل اليوم والغد بلوائح جامدة لم تتغير منذ ثلاثين عاما ؟؟ »

« يجب ان نبحث عن منطق سياسي جديد ، صيغ سياسية جديدة ، اذ لم يعد من الممكن ان نستمر بمنطق الماضي وصيغه (الراسمالية ، الاستعمار ، الاشتراكية •• الخ) وقد تغيرت قواعد اللعب ، هذا اذا اردنا ان نعيش » ••■■

روما ـ فريد كامل

كتب جديدة



الكتاب: القضية العربية في الشعر الكويتي
المؤلف : خليفة الوقيان •
الناشر : مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر• الكويت

بقلم : د • محمد الرميحي

خرج علينا هذا الكتاب في طبعته الاولى في الربع الاخير من السنة الماضية (١٩٧٧) وقد اختار له مؤلفه موضوعا هاما وتزداد اهميته في الحقبة الحاضرة من مسيرة الفكرة العربية الواحدة، والموضوع هو الشعر القومي في الكويت كيف بدأ ونما وانسجم مع الدعوة العربية العامة في بداية هذا القرن من اجل هدف التحرر من الاجنبي والوحدة العربية الشاملة •

وهذا الكتاب هو في الاصل اطروحة للماجستير تقدم بها الكاتب الى جامعة الكويت قسم اللغة العربية في ايار مايو سنة ١٩٧٤ ثم اخرجها في كتابه الذي نعرضه هنا •

يحوي الكتاب الى جانب المقدمة خمسة فصول رئيسية ثم يتبعها الكاتب بتعليق عام في آخر الكتاب • وتتناول الفصول الخمسة موضوعات على التوالي هي : ـ

١ ـ ظهور شعر الفصحى في الكويت •
٢ ـ الوعي السياسي بواعثه وآثاره •
٣ ـ قضايا التحرر والوحدة •
٤ ـ قضية فلسطين •
٥ ـ خصائص فنية عامة •

ويأتي هذا الكتاب من حيث المنهج والمضمون في قائمة الكتب الجادة التي صدرت اخيرا في الكويت • فقد تقصى الكاتب بدقة في كتابه قضيتين على جانب كبير من الاهمية في السياق التاريخي والسياسي والاجتماعي لمجتمع الكويت هما : اولا ظهور شعر الفصحى في مجتمع الكويت

الحديث وبواعث الوعي السياسي والآثار التي تبعث ذلك خاصة في النواحي الشعرية ويذهب المؤلف في تقصيه لشعر الفصحى وشعرائها في الكويت الى ان الكويت قد شهدت ميلاد هذا النوع من الشعر في نهاية القرن الماضي التاسع عشر على ايدي الشاعر خالد عبدالله العدساني وعبدالله الفرج المتوفيين على التوالي سنتي ١٨٩٨ و ١٩٠١ فيقدر المؤلف في هذا الصدد انه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تزايدت اهمية الكويت بتزايد صلة الكويتيين بجيرانهم في الخليج والعراق ، اي ان هذه الفترة شهدت الانفتاح القومي بعد الانغلاق الذي فرضته ظروف المعيشة الشاقة على المجتمع الصغير •

ومنذ ظهور شعر الفصحى وشعرائها في الكويت يستطيع القارىء ان يتابع بسلاسة ردود الفعل لدى الشعراء وانفعالهم وتفاعلهم بالاحداث على المستوى المحلي والقومي ولقد تابع الكاتب القضايا الاخيرة لدى هؤلاء الشعراء ووضعها ليثبت في النهاية مجموعة من الحقائق اهمها :

اولا تحديد الزمن على وجه الدقة لاستخدام اللغة العربية الفصحى في الكويت الحديثة في الشعر وهي الاقرب الى الفهم في بقية اقطار العرب الاخرى • ثانيا : الاهتمام نفسه بالقضايا العربية القومية دليل على وعي الشعب باهمية هذه القضايا ومتابعتها عن طريق متعدديه من الشعراء ، لذا يقول المؤلف ان اهمية الشعر الذي استشهد به تكمن به في قيمته التاريخية التي تدنو منها قيمته الفنية في الغالب •

كذلك فان المؤلف في فصله الثاني عندما عالج بواعث ظهور الوعي السياسي وآثار هذا الوعي على المجتمع وحدد مطلع القرن العشرين بداية لذلك الوعي وظهور الميول التحررية والوحدوية لدى الشعب الكويتي فهويحدد البدايات السياسية والاجتماعية لبوادر الوعي الجديد •

والكتاب في النهاية وثيقة علمية على مستوى رفيع قام بوضعها كاتب مهتم وليس متخصصا فقط • وسيجد الكثيرون من المهتمين بالموضوعات التي طرقها الكاتب معلومات تعينهم على البحث حول الاصول الثقافية والسياسية لمجتمع الكويت الحديث •

★ ★ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ــ ★ ★

الكتاب : الحضارة
المؤلف : الدكتور حسين مؤنس
الناشر : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت

كسبت المكتبة العربية اخيرا ، اضافة جديدة ببدء ظهور مسلسلة «عالم المعرفة» التي صدرت عن المجلس الوطني للثقافة والفنون في الكويت، وكان اول كتب هذه السلسلة يعالج موضوع «الحضارة» والاضافة التي تحققها هذه السلسلة انها أولا تصدر في وقت يعاني فيه العقل العربي من حالة جدب مؤسفة ، وتسد بالتالي ـ بالموضوعات الحيوية التي تعالجها ـ فجوة لا يستهان بها في ساحة الفكر العربي ، ثم ان كتب هذه السلسلة تطرح للبيع باقل من ربع تكلفتها الحقيقية اذ ان التقديرات التي عرفت تشير الى ان تكاليف طبع الكتاب تصل الى اكثر من دينار كويتي (علما بان الكتاب مقدم في طباعة جيدة) بينما يطرح للبيع بربع دينار كويتي • بهذا يصبح في متناول قاعدة عريضة جدا من القراء ، الأمر الذي يمكنه من اداء رسالته في ايصال المعرفة الى الجماهير المتعطشة اليها ، بغير عناء كبير •

اما موضوع الكتاب ـ الحضارة ـ فلسنا بحاجة للحديث عن مدى اهميته ، خصوصا في هذه المرحلة التي يعيشها عالمنا العربي ، الذي يواجه تحديا حضاريا خطيرا يتمثل في الوجود الاسرائيلي بنفوذه وأسلحته المتعددة التي مكنته من اقتحام الواقع العربي والتأثير عليه ، ثم ان مؤلف الكتاب ـ الدكتور حسين مؤنس ـ اغنى عن التعريف والتقديم اذ ان نشاطاته الفكرية متعددة ، وانتاجه الخصيب لم يتوقف منذ اكثر من ثلاثين عاما •

ان الكتاب يعالج قضية الحضارة بتركيز خاص على عوامل قيامها واسباب تدهورها ، ويقف عند عناصر هذا الموضوع في خمسة فصول موزعة على حوالي ٤٠٠ صفحة ، ويستعرض خلال هذه المرحلة سيلا من الآراء والنظريات والتجارب والدروس والعبر ، وكل فصل يحتاج منا الى قراءة جيدة وتأمل شديد ، ذلك ان رؤيتنا الواعية للماضي ولتجارب الآخرين هي التي سوف تمكننا من التقدم بثقة لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل •

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي :مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٢ » آخر موعد لوصول الاجابة الينا هو أول مايو (جمادى الاولى) ١٩٧٨ ٠

اثنان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم رحالة عربي شهير ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم رائد الكيمياء العربي ٠

الكلمات الافقية :

(١) آخر الخلفاء العباسيين ـ من سور القرآن الكريم ٠

(٢) من الامراض ـ من اكبر المعارك البحرية في التاريخ بين الاتراك والاوروبيين ٠

(٣) نصف كلمة (يكثر) ـ نصف كلمة (بائد) ـ عملة عربية ـ فات ٠

(٤) ثار ـ من الاسماك ـ يسوى ٠

(٥) ختموا ـ اقطفها ٠

(٦) تصعدا ـ في الكف ـ يخطر ٠

(٧) من الانبياء ـ بحيرة على نهر النيل ـ دولة افريقية ٠

(٨) رحالة عربي شهير ٠

(٩) حسم ـ اسرة حاكمة فارسية قديمة ـ طمانينة ٠

(١١) أصلحه ـ للنداء ـ اكتمل ٠

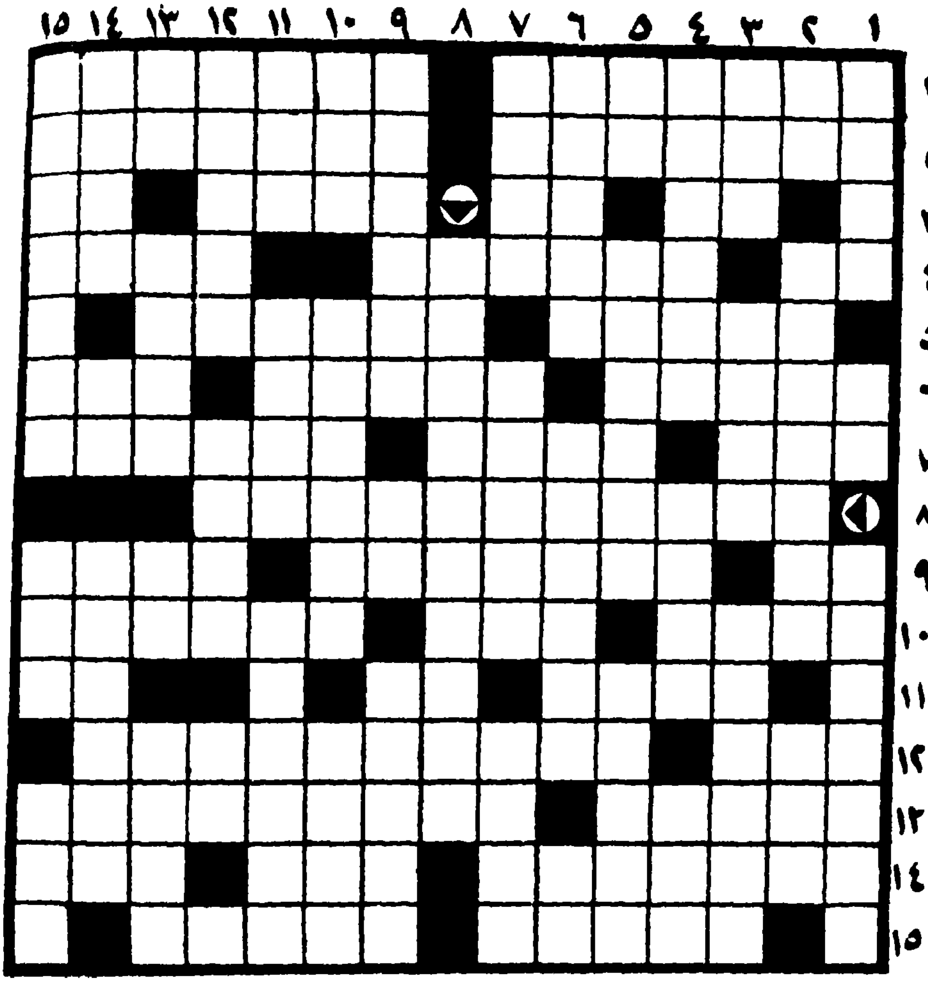
(١٢) حظي ـ عاصمة جيانا الهولندية ٠

(١٣) خروج على القانون ـ دولة آسيوية ٠

(١٤) شاعر عباسي شهير ـ للزينة ـ سرير ٠

(١٥) متعبة ـ ساقطة ٠

كوبون مسابقة العدد ٢٣٢



الكلمات الرأسية :

(١) الفخر ـ نصف كلمة (تهيب) ـ من المحاصيل الزراعية •

(٢) يغصني ـ جهاز لقياس الضغط ـ اغراض•

(٣) حرف استفهام ـ ندم ـ من العناصر الكيميائية •

(٤) طائر لا يطير ـ فلك ـ وحدة قياس طولية•

(٥) نصف كلمة (ظنون) ـ عاصمة انجولا ـ غامضة •

(٦) نوع من الافاعى ـ افردها ـ نصف كلمة (مذاق) •

(٧) لغة ـ اوثان ـ ابتغاه •

(٨) رائد الكيمياء العربى •

(٩) النفس ـ ثنى ـ اقرظه •

(١٠) نصف نهار ـ حظوا بها ـ فى البداية •

(١١) رفض ـ يكشف ـ جزيرة كبيرة بين اسيا واستراليا •

(١٣) نصف كلمة (يحزن) ـ شهر ميلادى ـ مقام موسيقى ـ ترتسم على الشفاه •

(١٤) اكمله ـ نصف كلمة (ضاعت) ـ اعتزمه•

(١٥) المعركة التى دخل فى اعقابها نابليون موسكو ـ رقد ـ من الانبياء •

خليفة عباسى معروف

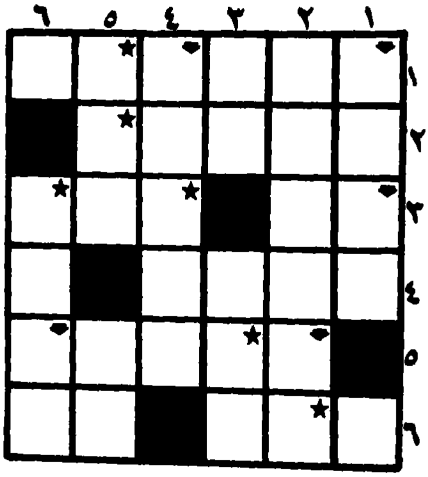
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسم ،ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لخليفة عباسى معروف • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه •

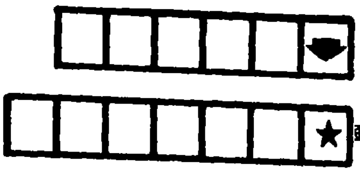
الكلمات الافقية :

(١) دولة اوربية •
(٢) اجادل •
(٣) أجاب ـ لا يقرأ ولا يكتب •
(٤) على الارض •
(٥) شغفوا •
(٦) يبصر ـ ارشد •

الكلمات الرأسية :

(١) آلة موسيقية وترية •
(٢) قصر ملكى انجليزى معروف •
(٣) مقام موسيقى ـ حرف جر •
(٤) تنهى التعامل •
(٥) تجدها فى كلمة (مشهد) ـ رغب •
(٦) يستفسر •





• بالعقل فقط •

● استاذ نبيه يسال ● كيف نطبق شروط الجَد الصعبة؟•

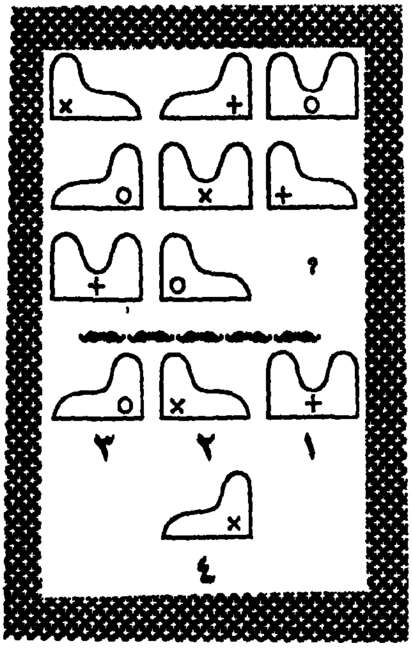
قال الجد لاحفاده « سبعون قرشا لاغير ••ساسمح لكم بانفاقها عند بائع الحلوى يـا اولاد » • صاح احدهم « كيف سنوزع هـذا المبلغ علينا ؟ • قال الجد « كما تعرفون بائع الحلوى يقسم دكانه الى اقسام ، كل قسم منه عليه لافتة تحدد سعر البضائع التى فيه ، واللافتات مكتوب عليها : قرش واحد ، قرشان ، ثلاثة قروش ، اربعة قروش ، خمسة قروش •• المفروض ان يشترى كل منكم ثلاثة اشياء من هذه الاقسام • ساله احدهم « من اقسام مختلفة ؟ • » ، قال الجد « ليس بالضرورة •• لكن هذه الاشياء الثلاثة يجب ان تكون من قسمين على الاقل » •

فكر الاحفاد طويلا فى شروط الجد الصعبة، ثم قال احدهم « هذه هى كل شروطك ياجدى؟•» قال الجد « بل بقى لى شرطان ! • الا ياخذ احدكم نفس المبلغ الذى ياخذه آخر منكم •• على ان يكون اعلى مبلغ اقل من ١٤ قرشا»•

هل تستطيع ان تعرف كم حفيدا ذهب الى بائع الحلوى •• واسعار ما اشتراه كـل منهم ؟ •••

الشكل المطلوب

من دراسة العلاقة بين الاشكال التى فى كل من الصفين العلويين ، حاول ان تعـرف اى الاشكال ذات الارقام ، يجب أن يحل محل علامة الاستفهام •



الحلول

النجمة والسهم :

هارون الرشيد •

استاذ نبيه يسال :

(١) عدد الاحفاد لا يمكن ان يكون ستة أو اقل (لان ٧٠ قرشا توزع عليهم بمقاديـر متباينة ، بحيث لا يتجاوز اكبرها ١٣ قرشا)•

(٢) عدد الاحفاد لا يمكن أن يكون ثمانية (فالتوزيع الممكن فى هذه الحالة سيكون ٥ ،٦، ١٣،١٢،١٠،٩،٨،٧ قرشا • وهذا يتجاوز فى مجموعه ٧٠) •

(٣) عدد الاحفاد يكون سبعة ومع قليـل من التجريب نصل الى التوزيع التالى للمبالغ على الاحفاد ٧ (٣،٢،٢) ـ ٨ (٣،٣،٢) ـ ٩ (٥،٢،٢) ـ ١٠ (٥،٣،٢) ـ ١١ (٥،٣،٣) ـ ١٢ (٥،٥،٢) ـ ١٣ (٥،٥،٣) •

الشكـل المطـلوب :

الشكل هو رقم ٤ •

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول مارس ١٩٧٨

١٠٢ / ٢

من الأعمال المختارة

جون آردن - ٢

* الحرية المغلولة * صعود البطل

ترجمة : د. عبد الواحد لؤلؤة

مراجعة : د. محمد مصطفى بدوي

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية يصدرها في مطلع كل شهر
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

- يشترك في تحريرها نخبة من رجالات الفكر في الوطن العربي
- يتناول كل كتاب موضوعاً مستقلاً مؤلفاً أو مترجماً
- تهدف الى مواكبة العصر وربط الماضي بالحاضر والمستقبل
- يصدر الكتاب الأول منها في مطلع يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨م
- الكتاب في حدود ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط

المراسلات باسم
الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب
ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

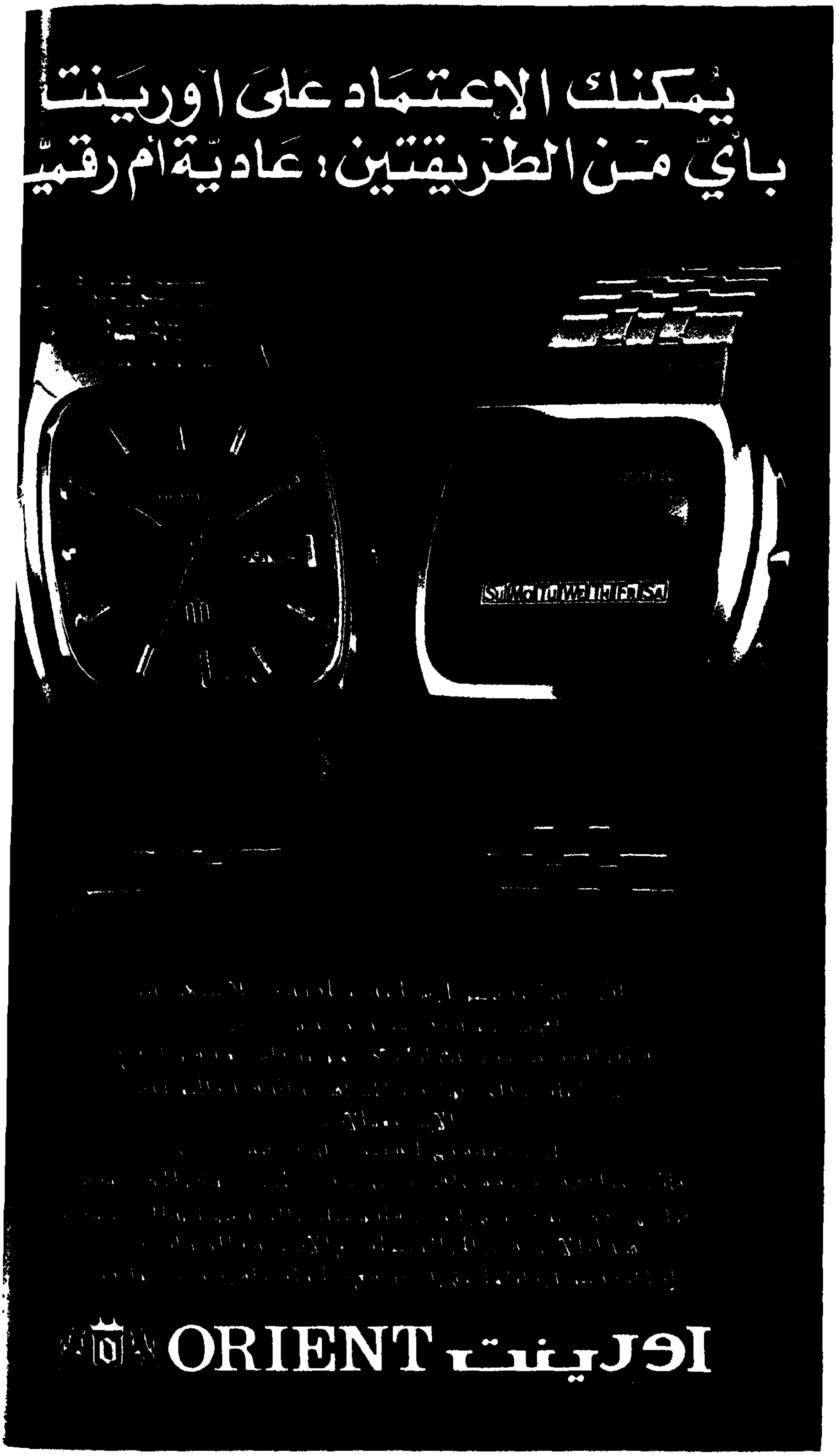
العربى

لدينار العربى الموحد بين الحقيقة والوهم

لاقمار : آخر صيحة فى عالم التجسس

لحضارة العربية الاسلامية فى يوغوسلافيا





يمكنك الإعتماد على اورينتا
بأيّ من الطريقتين: عاديّة ام رقميّ
Su Mo Tu We Th Fr Sa
ORIENT اورينت

عزيزي القارئ

● لا يزال مجتمعنا العربى يصنف باعتباره مجتمع المستهلكين لا مجتمع المنتجين ، ولا تزال انتاجية الانسان العربى — اذا تحققت — توضع فى مؤخرة الجداول الاحصائية التى تصدر عن المؤسسات الدولية ، الاقتصادية والاجتماعية • بل ان بعض هذه المؤشرات الانتاجية يشار اليه كنموذج صارخ لحال البشر فى مجتمعات توصف بانها غنية وقادرة • ويدلل بها على ان هذا الثراء ان هو فى الواقع الا قشرة خارجية تغلف تخلفا شديداً •

نقول ذلك بينما العالم يستعد للاحتفال فى «أول مايو» بعيد العمال، وبينما تتزايد حاجتنا الى ان نذكر وننبه الى أن قيمة العمل يتضاءل دورها فى مجتمعاتنا العربية بصورة تثير القلق ، ونحن نعلم ان لهذه الظاهرة اسبابا ، هى ذاتها المسئولة عن سيادة قيم اخرى بديلة ، ما زالت تنخر كالسوس فى الابنية الاساسية لمجتمعاتنا هذه • حتى قيل بحق ان عالمنا العربى يعيش اضرابا صامتا عن العمل ، ويتسابق ملهوفا نحو قيم الترف والدعة والهروب من الواقع •

نقول ايضا ان كل ما نتعلق به ونستسلم له الان — بديلا عن العمل — اما ان يكون عارضا موقوتا او سرابا خادعا • واننا بغير سواعدنا هذه ، وبغير كدنا نحن ، لن نخطو خطوة الى الامام ، هذا اذا لم نتعرض فى المستقبل للصدمة والانتكاسة •

نقول اخيرا ، أنه قبل عيد العمال وبعده، فان صوت القرآن الكريم لا يزال ينادينا منذ ١٤ قرنا « وقل اعملوا »، والاحاديث الشريفة التى تمجد العمل والعاملين بغير عد ولا حصر •

ليتنا نسمع او نقرأ !

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

شخصيات :

اسلاميات :

قضايا حيوية :

طب وعلوم :

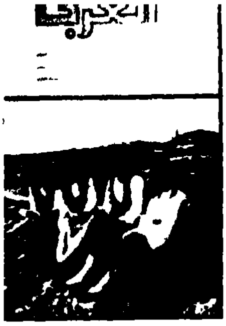
استطلاعات :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 233 April 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير
المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر



صورة الغلاف

● تجاه شواطىء يوغوسلافيا فى البحر الادرياتيكى تسبح اكثر من الف جزيرة ٠٠ انها بعض الارض التى حط فيها التجار العرب المسلمون منذ قرون بعيدة مضت ٠٠ فى هذه الجزر ترى الازياء الوطنية التقليدية تلك التى عاشت مع المرأة المسلمة وحتى غير المسلمة وما زالت تعرض على الظهور فيها وتفخر بهـا ٠ (انظر الاستطلاع ص ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠ فلس ٠ السعودية ريالان سعوديان ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج٠م٠ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٥٠ مليما ٠ الجزائر ٢٫٥ دينار ٠ المغرب ٢٫٥ درهم ٠ اليمن ٢٫٥ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما ٠ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص ٠ ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان ٠
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر ٠
« للمشتركين فى جمهورية مصر العربية »

اللغة العربية: سياسة

● هذا الموضوع يلح على خاطري كثيرا ...

ولعلي كتبت عنه قبل ذلك ، ولكن احداثا كثيرة متنوعة تسوقه دائما الى ذه

ذلك انه موضوع تعليمي ، ثقافي ، سياسي ، حضاري ، فكثير من الاحداث الانباء التي تقع ، على اختلافها وعلى تباعدها الشديد ، في موضوعاتها مظاهرها ، تزيد هذه القضية التي اعتبرها « استراتيجية » في ذهني اشتعالا ..

ولا أملك الا ان أسال نفسي : هل مازال العالم العربي ، بتمزقاته ، وصراعا وانشغاله بتوافه يومه ، قادرا على ان يخصص من عقله وماله ورجاله ، يعمل للقضايا ذات الحجم الاستراتيجي الضخم ؟ ام ان ما سيقوله اى كاتب في هذه الامور يعتبر « ترفا » لانقوى – ونحن مشغولون بما نحن فيه – على التف والتدبير والعمل ؟ بل مجرد ادراك اهميته ؟ ...

ان الموضوع عنوانه « اللغة العربية » ولكن ليس جوهره هنا النحو والص والاعراب . ولكن جوهره « اللغة » كسلاح ، او كعنصر استراتيجي ، يحيي الامم ويمي ويقيم الحضارات ويهدمها ، ويشكل الجغرافيا البشرية والسياسية للعالم . مثلا ...

تتفاقم قصة الصراع في القرن الافريقي .. فيخطر على بالي ، من عواملها الكثيرة ، قضية اللغة العربية !

او .. يصدر في دولة باكستان قانون يجعل دراسة اللغة العربية الزا كلغة ثانية في كل المدارس فاتذكر القضية ...

او .. تبدأ الصراعات الدولية في الوصول الى الحزام الافريقي ، في من « التداخل والتماس » بين العالم العربي والعالم الزنجي .. مثل تشاد وغيره فاتذكر القضية ...

او .. اتابع تطورات حل مشكلة جنوبي السودان ...

وحضارة واستراتيجية معاً !

بقلم : أحمد بهاء الدين

او ٠٠ اتلقي دراسة مفصلة ، من لندن ، عن فرقة « انجليزية » تخصصت في ترجمة المسرحيات العربية الحديثة ــ لكتاب مثل الفرد فرج ــ وتقديمها للجمهور الانجليزي ٠٠ مشفوعة باقتراح خلاصته « اذا كان العرب يشترون العمارات والفنادق والشركات في انجلترا وغيرها ٠٠ فلماذا لا يشترون مسرحا في لندن ؟ » تقدم عليه هذه المسرحيات على نطاق اوسع ، وتعرض عليه الفرق العربية لمليون عربي تقريبا في لندن وما حولها ؟ ٠٠ وتفاصيل تبدو اول الامر طريفة ولكن تاملها يكشف عن جديتها واهميتها !

او ٠٠ اتلقي التقرير السنوي للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو العربية) ومحاولتها وضــع استراتيجيــة للثقافة العربية ٠٠ وما لديها ملاليم ٠٠ اذا قيس الى « ما يمكن » ان يكون لديها من ملايين ٠٠ لو تاملنا الامر من زاوية اخرى ٠٠

●

هكذا ، من صراع عالمي معقد رهيب في القرن الافريقي ٠٠ الى فكرة فردية خلاقة عن مسرح عربي في لندن ٠٠ حيثما اتجه او اتابع ، اجد هذه القضية تفرض وجودها ، قضية اللغة ، مرة اخرى ، ليس لمجرد انها لغة نعتز بها ٠٠ بل بوصف ان اللغة لها تلك الاثار الحياتية في تشكيل العالم ، التي اسلفت ذكر بعضها ٠

اننا نعرف ان القوميات لها مقومات عديدة ٠ من وحدة التراث ، ووحدة التكوين النفسي ، والتلاحم الجغرافي ، الى آخره ٠ ولكن لعل استاذنا المرحوم ساطع الحصري كان اهم من ابرز ان عنصر وحدة اللغة يلعب الدور الاكبر بين هذه العناصر كلها في توحيد امة ما ٠

ذلك ان اللغة الواحدة هي ــ من ناحية ــ عنصر اساسي في حد ذاته ، وهذا الامر لا يحتاج الى تدليل ٠ ولكنها ــ من ناحية اخرى ــ هي المفتاح الاكبر لسائر العناصر ٠ فوحدة التراث والتاريخ مثلا تكون بالتاكيد اقوى وامنع واقدر على مقارعة القرون اذا كانت محفوظة في وعاء لغة واحدة ٠

والتكـوين النفسـي الواحـد ماذايصنعه ؟ ربما جغرافية واحدة ، ؤ
واحدة • وربما اصول تاريخية واحدة ،وعقائد واحدة ، او متشابهة ، ولكن الم
ان عنصر الادب الواحد والفن الواحد ـفي اصوله ـ وادوات التعبير الواحدة تا
الدور الاساسي ، وهي لا تتوفر الا بلغةواحدة •

•• ونحن هنا لا نتحدث عن اللغةفيما يتعلق بالقومية العربية • فلا تو
هنا مشكلة تقريبا • والاحســاس بهـابديهي • فما كانت الجزائر مثلا لت
عربية حقا الا ببرنامج التعريب الجبارفيها ، حتى تجتث جذور مائة وخمسين
من محاولات الفرنســة ، وطمس اللغــةالعربية •

ولكننا نتحدث في اوسع من الحدودالقومية •••

وهنا نجد ان اللغةالواحدة ،لا تصنع بالضرورة قومية واحدة •

فانجلترا مثــلا والولايات المتحــدةواستراليا ونيوزيلندا وغيرها لغتها ه
الانجليزية • ولكنها ليست قومية واحدة,رغم انها تكاد تكون من اصل عرقي واح
ومع ذلك ، وهذه هي قضيتنا هنا ، لا شك ان وحدة اللغة اوجدت « علاقة خاص
و « روابط خاصة » بين هذه البلاد على تباعدها الجغرافي الهائل •••

ولم اذكر كندا لانها نموذج اكثردلالة • فلأن كندا فيها لغتان ـ انجلي
وفرنسية ـ واحتفظت بازدواجية اللغة •ورغم ان كل ظروف العقل والمنطق والمص
تقتضي أن تظل كندا بلدا واحدا • الاانىا نجد الان،وفي أواخر القرن العشر
حركة انفصاليــة عنيفــة ، من مقاطعــة« كويبك » ضد سائر كندا ، لانها المقا
الفرنسية اللغة •

مرة اخــرى لأن اللغة ليست مجردوسيلة تخاطب • اللغة هي وعاء الف
ووعاء العاطفة معا • فالفرد الكندي في كويبك لا يتحدث بالفرنسية فقط •
«يفكر» بالفرنسية و « يشعر »بالفرنسية•حتى صارت روابــط كويبــك الثقاف
والتعليميــة مــع فــرنسا ، عبــر المحيط الاطلنطي ، اقوى من روابطها مع عاص
دولتها « اوتاوا » •

والامة العربية تتميز بوضع خاص وفــذ •

ذلك ان القرآن ـ الكتاب المقدس لاغلبيتها الساحقة ـ نزل باللغة العربية
وقد امتد الاسلام الى امم وشعوب وقوميات اخرى ، صحيح انها لا تتكلم اللغة العربي
ولكن الاسلام حمل اليها بالتاكيد روائح اللغة العربية • ولقحها بها • وجعل ل
اللغة حتى عند غيــر اهلهــا « مكانــة »خاصة • واحيانا « قداسة » خاصة • لا
لغة كتابهم المقدس •

ونحن نرى •• الى اى حد حاربت دول لتفرض لغتها بالقوة • وانفقت ا
لتفرض لغتها بالاغراء وجاهدت القرون لقلب اللسان المحلي الى لسان اوروبي
ولم يكن هــذا حماقة ولا عبثا ، فانتشاراللغة من اقوى اسلحــة انتشــار النفـ
المعنوى ، والمشاركة الوجدانية ، والتاثر العقلي •••

وحين استقلت افريقيا مثلا ، صرنا نرى ما يسمى بكتلة افريقيا الفرنسية ، وكتلة افريقيا الانجليزية • ليس على اى اساس سوى نوع المستعمر الذى فرض لغته على البلاد التى كان يحتلها • وآثار هذا النفوذ موجودة الى الان فى التجارة والسياحة والتعليم والنظرة الى الغد •• الى آخره•

وما هو الشىء الذى يجعل جريدة انجليزية ، او وسيلة اعلام غربية كما نقول ، لها هذا النفوذ الهائل ؟ انه انتشار لغتها ، ووجود من يقرأ بها ، فى اى عاصمة من عواصم العالم بأجمعه •

●

والامة العربية ـ ليست ككيان سياسي فقط ، بل ككيان حضارى ايضا ـ لديها فرصة نادرة ، لان تكون لغتها سلاحا من امضى اسلحتها فى كل معاركها ، ووسيلة خلاقة للمساهمة فى صراع الحضارات العالمية الراهن ••• او « الحوار بين الحضارات » ، اذا شئنا ان نختار التعبير المهذب للمفكر الفرنسي روجيه جارودى •

ولا أريد ان ادخل فى بحث لغوى تاريخي معقد عن العائلة التى تنتسب اليها اللغة العربية • ولا عن تاثيرها وتاثرها • فليس هذا ميدانى • وهو امر له اصحابه واهل العلم فيه • ولكن يمكن القول ببساطة ودون الوقوع فى خطأ ، ان الشعوب الاسلامية ، المتاثرة بالتالى باللغة العربية ، تنقسم الى قسمين •••

★ شعوب لها قوميات قديمة ، ولغة حضارة حية ، يتكلم بها عدد كاف من الناس • مثل ايران •

★ وشعوب لها لغات مشتتة ، احيانا غير مكتوبة او مستوعبة للغة الحضارة • كشأن الكثير من مناطق آسيا وافريقيا المبعثرة • التى كانت الى وقت قريب قبائل وليست دولا ولا شعوبا بالمعنى الكامل •

ولنتأمل ، على سبيل المثال ، الحرب القائمة فى القرن الافريقى ، والتى وصل المشتركون فيها من روسيا شرقا الى كوبا غربا ، او المال الامريكي والسلاح الامريكي من قبل ومن بعد • وفى منطقة حساسة جدا بالنسبة لما نسميه «العالم العربى »••

« لقد احتلت ايطاليا الصومال واثيوبيا وارتيريا معا زمنا طويلا ، انتهى بانتهاء الحرب العالمية الثانية ••

وفى الصومال استقرت اللغة الايطالية، واريد لها ان تمحو اللغة العربية تماما ، كما حاولت فرنسا فى الجزائر ،ادراكا من تلك الدول الاوروبية ان اقامة حاجز اللغة هو اقامة الساتر الحديدى الطبيعى النهائى بين شعب وجيرانه • وصار من قبل ذلك الصومال صومالا ايطاليا وصومالا فرنسيا وصومالا انجليزيا وصومالا اثيوبيا هو مقاطعة اوجادين •

وبعد الحرب الثانية اضيف لاثيوبيا ـ فوق الاوجادين ـ ارتيريا • وعادت فرنسا الى الصومال الفرنسى« جيبوتي » • ووضع الصومال الرئيسى ـ الايطالى ـ تحت وصاية الامم المتحدة لفترة يعقبها الاستقلال •

ومثلت الامم المتحدة بلجنة ثلاثية :مصرى وايطالى وانجليزى •

واهم معركة دارت خلال وصاية الامم المتحدة كانت حول اللغة • فتقرير اللغة التي سيتحدث ويتعلم بها الشعب هو من تقرير هويته واتجاهه الحض وتكوينه النفسي •

وكان هم العرب ان يختار الصوماليون اللغة الايطالية ، فهي لغة اوروبية اى حال • وبصماتها بعد الاحتلال كانت قوية • وكل شباب الصومال كانوا لايعد الا في جامعات ايطاليا • ولكن الرغبة الشعبية العارمة كانت احتيار ال العربيه • ولان منـدوب مصر في لجنة الوصاية الدولية كشف كل المناورا قتل اغتيالا ، ومات السفير كمال الدين صلاح شهيدا لهذه القضية ، واقام ال له تمثالا في عاصمة الصومال •

وكانت مطاردة اللغة العربية هدفا لهم • فاوجد الغرب من يدعون الى ا السواحلية، تحت ستار اثارة نعرة اقليمية • ورغم ان الاستفتاء دل على تفضيل ال للغة العربية ، فقد آثر الغرب تقرير اللغة السواحلية ، املا في انقراض الع هناك ذات يوم •

وحين دخلت الصومال ، جامعة الدول العربية ، كان يجب ان يطلب منها الار ببرنامـج تعريب • لانهـا جامعـة دول« عربية » •

ولان اثيوبيا لم تنتبه الى اهمية القضية كاوروبا ، فقد عاشت اللغة العربية ـ السواحلية ـ في الاوجادين خمسين سنة • والصورة نفسها ، مع اختلاف في طول الف في ارتيريا •

ومن اتصل بهذه الحركات ، وقابل زعاماتها ، وشبابها المثقف ، يعرف اللغة العربية كانت بالنسبة لهم احد اقوى الروابط والوشائـج وحوافز الامـل التحرر واسترداد شخصيتهم •

وانني لأسمح لنفسي ان اروى، انني منذ سنوات ، وقبل قيام هذه الصرا باشكالها الحالية ، حين كان السودان على وشك الانقسام في الحرب في الجنو في تلك السنوات ، قلت لبعض زعمـاء وحكام الدول العربية ، الذين لديم الامكانيات الهائلة : ان هناك خدمـة بسيطة جدا ، ولكن اثرها الاستراتي بالنسبة للامة العربية •• والامن العربي•• لا يقدر بثمن، وهو الاتفاق، والنف من اجل نشر اللغة العربية ، على طول الحزام الاسلامي في افريقيا ••• و لا توجد لغات محلية متكاملة •

السنغال •• مالي •• وسط افريقيا•• تشاد •• غينيا •• شمالي غانـ ونيجيريا •• جنوبي السودان المسيحي••الصومال بفروعه المبعثرة ••

هذا الحزام ، كان مـن حظـي ان اذهب الى بعض مناطقه ، في اول ا استقلال تلك المناطق ، وانهدام الحاجـز الذى كان يمنعنا منعا من الذهاب اليه ورايت لهفة الناس الى اللغة العربية ••لغة كتابهم المقدس •• لغة عباداتهـ وصلواتهم••واحيانا لغة جيرانهم الاقدمين وشركائهم في التجارة عبر طرق الق التى شقها العرب قديما •

هـذه اللغـة أقرب اليهم ، وأسهلهم • ولم تفرض يوما بالقوة عليهم •انها ليسـت الانجليزيـة ولا الفرنسيـة ولاالايطالية ولا الالمانية مما تعاقب عليهم •

وقد حاولت بعض الدول العربيـةمحاولات محدودة في هذا المجال • ولكن وجه الخطأ كان في انها ركزت علـىتدريس اللغة فقط • او تدريس الديـن فقط •

ولكن من زار هذه البلاد ـ ميدانيا ـ يجد ان هذه الشعوب على درجة مـن التخلف تجعل الناس فيها محتاجين اشـد الحاجة الى ما يغير حياتهم • ومـن هـذه الزاوية دخلت اسرائيل في تلـك الايام بسهولة ويسر : كانت تعلم الناس حرفا يدوية تلائم البيئة • او طرقا حديثـةمبسطة لزراعة الأرض البالغة الخصوبة • فيتغير مستوى الفرد ودخله ووضعه •بينما من تعلم اللغة فقط وترك كما هو فـي الغابة لم يستفد شيئا •

ثم أنها ، على اية حال ، كـانت مجهودات قليلة وتجريبية تقريبا •

ومن هنا ، فيما اذكر ، نشأت فكرة تطوير الازهر في مصر • ليخرج منـه رجل الدين واللغة والعلم معا : الطـب مثلا ليعالج او الهندسة الزراعية ليعلم ، الى جانب تلبية حاجات الناس الروحيـة المعنوية المتعطشين اليها تعطشا شديدا • ولكن الامر في تطوير الازهر خرج عـن فكرته الاولى ، وتحول الى جامعة اخـرى بين الجامعات العديدة •

ولكن الان • وقد توفر للعرب المال الهائـل • وقـد افتتحت افريقيا وآسيـا امامهم واقبلت عليهم • فلا يعود لنا عذر في هذا المجال •

وان المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة تبحث حقا في هذا وتتلمس وضع استراتيجية لها • ولكن بملاليم ؟

ان نصف الملايين التي تنفق فـي شراء السلع حتى الاسلحة القديمة ،لاتحقق الفوائد الاستراتيجية التي يحققها استخدام سلاح اللغة العربية في آسيـا وافريقيـا الى اقصى مداه •

لا يكفي ان نستصدر قرارات مـن الامم المتحدة ومنظماتها باعتماد اللغـة العربية لغة رسمية من اللغات العالميـة •

المهم ان نجعل هذا واقعـا اقـوى ،واقوى ، كل يوم •••

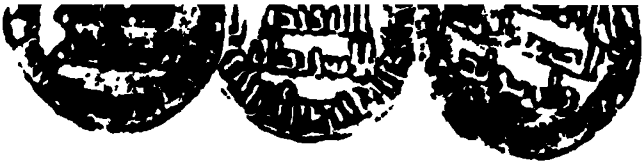
من بنجلاديش شرقا •• الى الشاطئ الافريقي غربا •• ارض وشعوب اخصب ما تكون لتلقي اللغة العربية وتحويلهـا الى لغة اصلية لها مع الزمن •

وهذا نضال وكفاح لا يقل شرفـا عن أى نضال اخر •• في صراع الحضارات الراهن والمستقبل او ، مرة اخرى ، في حوار الحضارات كما يحب ان يقول روجيه جارودى •••

وهـذا كله وجه واحد من وجـوه سلاح اللغة • هو واجب ، وهو مسئولية ايضا • وهو عمل حضارى فوق كل شيء • وللامر وجوه اخرى كثيرة •

■■

احمد بهاء الدين



بعـــد تـــدهـــور قيـ ـ

الـــدولار : ما العمـــل ؟

الدينــار العربى

الحقيقـــة والوهــم



بقلم : الدكتور حازم الببلاوى

لن نناقش فى هـذا المقـالموضـوع الدينـار العربى من زاوية الوحدة العربية فهو أمـريثير قضايا متعددة ، وقد سبق أن نوقش فى مشروعات محددة • فضلا عن أنه يبدو لنا أن المزاج العربى فى هذهاللحظةالتاريخيةيهتم أكثر بقضايا توثيقالتعاون بين دول عربية ومستقلة ، منهبامور تحقيق الوحدة العربية •

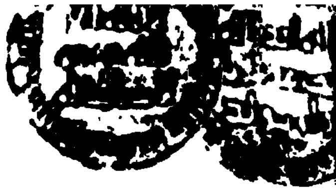
■ يثور الحديث بين الحين والآخر عن انشاء دينار عربى موحد • ونستطيع ان نقول بشىء من التعميم ، ان هذا الحديث قد تعلق فى الواقـع باحد مجالين ، الاول هو مجال الوحدة العربية وما ارتبـط بها من مشروعات للتوحيد الاقتصـادى والسياسى • اما المجال الثانى ،والذى اثار من جديد الحديث حول الموضوع ، فقد ارتبط بشكل أو بآخر بظهور الثروة العربية وتزايدها مـع زيادة دخول الدول النفطية • وكان الغرض منه هنا توفير دعم او حماية لهذه الثروة العربية •

واذا كنـا سنقتصر فى حديثنا عن الدينـار العربى على علاقته بحماية الثروة العربية الجديدة، فانه من المهم ان نتذكر ان هذا دينار موجه عادة للخارج أكثر منه وحدةنقدية للمعاملات الداخلية• فهو نوع من البحث عن دينار عربى دولى يقوم بدور فى المعاملات الدولية • فالثروة العربيـة هى بالدرجة الاولى ثروة مالية مستثمرة فى خـارج الدول العربية • فالغرض من البحث عن عربى هنا هو محاولة ايجاد وسيلة تدعم الدول العربية فى مجال الاستثمار الدولى •

وقد يقصد بالدينار العربى ان يقوم بو « عملـة الاحتياطى » مثـل الذهب والدوا والاسترلينى الى حد ما • وقد يقصد بال العربى انشاء « وحدة محاسبيـة مستقلـة تستثمر لتقويم الاستثمارات العربية ، بما حماية هذه الثروة من مخاطر انخفاض القيا المستمر •

خصائص الثروة العربية

وقبل ان نناقش امكانية انشاء دينار عرب ليكون عملة احتياط دولية ، فقد يحسن الا بسرعة الى الاطار العام الذى دعا الى قيام هذا التساؤل •



نتيجة لتزايد الثروة العربية وتراكم الفوائض النفطية وخاصة بعد ارتفاع أسعار النفط في نهاية ١٩٧٣ وبداية ١٩٧٤ ، تزايدت أهمية الدول النفطية كعنصر اساسي في استقرار أوضاع النقد الدولي ، أصبحت هذه الدول تقوم بدور اساسي في العلاقات النقدية والمالية الدولية •

ولعل أهم ما يميز زيادة الثروة العربية للدول النفطية في الفترة الاخيرة أمران ، الاول هو أن هذه الزيادة لا ترجع الى زيادة مقابلة في الانتاجية أو في حجم التراكم الرأسمالي وانما هي نتيجة لتعديل اسعاره وازالة ما لحقها من غبن قديم • والامر الثاني هو أن الزيادة الكبيرة في ايرادات الصادرات النفطية المترتبة على هذا التعديل في معدلات التبادل الدولية ، لم يواكبها زيادة مماثلة في القدرة على الاستيراد • وهو ما يشار اليه عادة بنقص القدرة الاستيعابية لعدد من الدول النفطية •

وقد ترتب على هذه الخصائص للثروة العربية للدول النفطية نتائج هامة بالنسبة للاستقرار النقدي العالمي ، وترجع هذه النتائج الى أن هذه الثروة العربية قد ظهرت بشكل مفاجيء من ناحية وارتبطت بفائض في موازين المدفوعات للدول النفطية من ناحية أخرى •

ولذلك فان الفوائض المالية المتراكمة لدول الفائض النفطية كانت مدعوة للاستخدام باشكال مختلفة - لتمويل العجز المقابل في موازين المدفوعات الدوليه باقل قدر من الاضطراب •

وفي مثل هذا الجو من الاحساس المتزايد بدور دول النفط العربية في استقرار أوضاع النقد العالمي ومسئولياتها في هذا الشان ، بدأت تداعب الاذهان فكرة انشاء دينار عربي دولي يقوم بدور في المعاملات الدولية مثل الدولار أو الاسترليني نتيجة لترسيخ اهمية دور الدول العربية النفطية في الحياة النقدية والمالية الدولية • ولم لا ٠٠ ؟ أليست اموال النفط هي العنصر الاساسي في أوضاع النقد العالمية ٠٠ !

وسائل الدفع الدولية :

ولا حاجة بنا الى تاكيد حاجة المبادلات الدولية الى وسائل دفع دولية كما هو الحال بالنسبة للمبادلات الداخلية • واذا كانت تعدد وتنوع المبادلات الدولية أقل منه في حالة المبادلات الداخلية ، فان طبيعتهما واحدة ، فضلا عن أن احجام المبادلات الدولية تكون عادة كبيرة ، مما يزيد الحاجة الى نفس الادوات التي عرفتها المبادلات الداخلية وفي مقدمتها وسائل الدفع أو العملات الدولية •

ومتى اعترفنا بالحاجة الى وسائل الدفع الدولية أو العملات الدولية ، فلا بد أن ينشأ طلب مستقل لهذه العملات •

واذا كانت المعاملات الدولية لا تختلف عن المعاملات الداخلية في حاجتها واستخدامها لوسائل الدفع ، الا أنها تختلف عنها في درجة تطورها ، وخاصة في عدم وجود سلطة فوق الدول قادرة على اصدار وسائل الدفع الدولية •

وقد كان الذهب - كما هو معروف - هو أهم وسائل الدفع الدولية • على أن التطور لم يلبث أن أدى الى قيام بعض العملات الرئيسية بهذا الدور ، مع استمرار تقلص دور الذهب • وقيام العملات الرئيسية بدور عملات الاحتياط ليس بالامر الحديث ، فالاسترليني قد قام بهذا الدور خلال القرن الماضي ، وشغل هذا الدور منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الان الدولار الامريكي• فهل يمكن أن يقوم دينار عربي بمثل هذا الدور ٠٠ ؟ هذا هو السؤال •

وضع خاص لدول النفط

والواقع أن خطورة الثروة العربية واهميتها لاستقرار نظام النقد العالمي لا ينبغي أن تخفى عنا حقيقة أخرى لا تقل اهمية ، وهي أن أسباب الثروة العربية تختلف تماما عن الاسباب التي تجعل عملة دولة معينة دولية ، بمعنى أنها تستخدم كوسيلة للمدفوعات الدولية لها طلب مستقل ضمن الاحتياطي النقدي للدول •

فالدولار الامريكي لم يقم بدوره كعملة دولية الا لان الجهاز الانتاجي الامريكي قد بلغ حدا من القوة والتنوع بحيث ان الدولار يمثل قوة شرائية ضخمة من الانتاج الامريكي • وقد اكتسب الدولار



مركزه بعد الحرب العالمية الثانية • فمع تحطم الاقتصاديات الاوروبية واليابان ، كان الاقتصاد الامريكي يمثل الجهاز الانتاجي الوحيد القـادر والسليم • ولذلك فلم يكن من الغريب ان يزداد الطلب على الدولار الامريكي في وقت شح فيه الانتاج العالمي واصبح الطلب على الدولار عاما من معظم الدول • ولذلك فانه لم يكن مطلوبا سوى خطوةبسيطة للانتقال من الطلب على الدولار كوسيلة للحصول على السلع الامريكيـة ، الى الطلب عليه كوسيلة للمدفوعات الدولية طالمـا ان معظم الدول كانت محتاجة اليه •

وبذلك فقد نشا نوع من القبول العام للدولار الامريكي جعل منه وسيلة للمدفوعات الدولية ، بحيث تحتفظ به الدول ليس فقط للحصول على انتاج امريكي وانما لتسوية مدفوعاتها مع غيرها من الدول التي تقبله وذلك لمعرفتها ان غيرهـا سوف يقبله وبذلك اصبح الدولار اهم عملات الاحتياط الدولية • وساعدت الولايات المتحـدة على توافره بما حققته من عجز على ما سنرى •

واما الاسترليني ، فانه وان لم يكن معبرا عن اقتصاد متنوع كالاقتصاد الامريكي ، فلا ينبغي ان ننسى انه كان يعبر خلال القرن الماضي ـ عن اول دولة صناعية في العالم ـ وان انجلترا نجحت في جعل معظم تجارة العالم تمر عن طريق لندن بشكل او آخر ، واستخدمت في ذلك مستعمراتها وشبكات اتصال متقـدمة من العـالم عن طريق الاساطيل التجارية (والعسكرية احيانا) والبنوك وشركات التامين • وهكذا لعب الاسترليني دور العملة الدولية اللازمة لتسهيل التجارة العالمية •

واذا نظرنا الى اوضاع دول النفط نجد ان وضعها جد مختلف • فثروة هذه الدول ترجع الى صادرات النفط ، وهو حقا من اهم الموارد التي تعتمد عليها الحياة الحديثة حيث تمثل اهم مصدر للطاقة • ولكن هذا لا يمنع من انه سلعة وحيدة ، وان دول الفـائض لا تكاد تنتج شيئـا غيره ، فجهازها الانتاجي مختـل ـ من هذه الزاويـة ـ اختلالا شديدا وقوة هذه الدول النقدية انما هي تعبير عن ضعف هياكلها الانتاجية اكثر مما هي دلالة على قوتها •

وقد يقال ان قيام اصـل معين بدور العملـة الدولية لا يتطلب ان يمثل اى جهاز انتاجي مت[...] فكل ما هو مطلوب هو ان يتوافر له القبو[ل] ا[...] والثقة فيه• وثروة الدول العربية يمكن ان يت[...] لها ذلك • وبدلا منالتمثل بالدولار او الاستر[ليني] لماذا لا ننظر الى الذهب ، وقد كان اهم و[...] الدفع الدولية رغم انه لا يمثل في ذاته اية [قوة] شرائية على انتاج دولة معينة ، ولكنه نجح [في] ذلك في ان يوفر الثقة لدى الجميع في قدرته [على] الاحتفاظبقيمته ومنلم تمتع بالقبول الدولي ال[...]

لاجدال في ان مسالة القبول العام مسالة نف[سية] وهي لا تظهر بناء على رغبة معينة وانما نت[يجة] لتطور طويل وظروف مواتية • وبصرف النظر [عن] مدىتوافر او عدم توافر الظروف النفسية اللاز[مة] فان دول النفط العربية غير قادرة على تح[ويل] عملاتها الوطنية الى عملة دولية وانشاء د[ينار] عربي يمكن ان يكون مقبولا في المعاملات الدو[لية] لسبب فني بسيـط ، وهو عدم توافر العمـ[لات] العربية بكميات كافية للمعاملات الدولية •

الثقة وحدها لا تكفي

فلا يكفي ان تنشا الثقة في اصل معين [ل]يقوم بدور العملة الدولية ، بل لا بد من تو[افر] هذا الاصل بكميات كافية للقيام بهذا الدور فالعملة الصعبة او النادرة ، لندرتها لا يمكن [ان] تقوم بدور العملة الدولية • واذا كانت الند[رة] يمكن ان تكون مبررا للثقة ، فانها ايضا تـ[قف] عقبة امام انتشار تداولها • ولذلك فانه لا عـ[جب] في ان الدول التي تقوم عملتهـا بدور عمـ[لة] الاحتياطي عرفت دائما عجزا في ميزان مدفوعاتها وهذا ما يصدق الان علىالولايات المتحدة الامريك[ية] وما عرفته انجلترا طوال القرن الماضي • فقـ[يام] عملة دولة معينة بدور عملة الاحتياطي الدو[لي] يجعل منهذه الدولة نوعا منالبنك العالمي المركز[ي]

وكما نعلم ، فان اهم ما يميز البنك المركز[ي] هو انه يقدم مديونية الحالة مقابل اصول مؤجلة فالبنك المركزي ـ بصفة عامة اى بنك تجاري يبيع مديونية الحالة مقابل اصول مؤجلة ، وهـ[و] ما يؤدى الى زيادة السيولة ، وتزداد السيو[لة] بمقدار ما يطرح البنك من مديونية • والبنـ[ك] غير المدين هو بنك عاطل لا يقوم بدوره • ولذا

ـ وعلى سبيل المقابلة ـ فان الدولة التي تقوم عملتها بدور العملة الدولية لا بد وان تزيد مديونيتها الحالة بما يساعد على توفير هذه العملة للتداول الدولي . أي انها لا بد وان تتحمل بعجز في ميزان مدفوعاتها .

واذا نظرنا الى دول الفائض النفطي ، فسنجد انها حققت وضعها في الحياة الدولية لما تحققه من فائض هيكلي في ميزان مدفوعاتها ، وليس من المتوقع أن تعرف عجزا قريبا في هذا الميزان . وبالتالي فانه من المستحيل توفير كميات مناسبة من عملات هذه الدول للقيام بدور العملة الدولية.

وهنا يمكن أن يثور تساؤل ، ألا تستطيع الدول النفطية أن تتحمل بعجز في ميزان مدفوعاتها بالرغم من الفائض في ميزانها التجاري ، بما يسمح بتوفير عملاتها أو دينار عربي للقيام بدور العملة الدولية .. ؟ وأليس ذلك ما حدث مع الولايات المتحدة الامريكية على الاقل حتى نهاية الستينات .. ؟

نعتقد أن هناك صعوبات عديدة تحول دون ذلك . فهناك من ناحية صعوبة في تحويل فوائض ميزان المدفوعات للدول النفطية الى عجز ، لان ذلك يستدعي القيام بحجم هائل من الاستثمارات الخارجية يفوق حجم الفائض في الميزان التجاري . فالدول النفطية تواجه صعوبة في ادارة استثماراتها المالية الحالية ، وزيادة حجم هذه الاستثمارات يعني مزيدا من العبء عليها في ادارة هذه الاستثمارات ، وهو ما لا يبدو لنا انها قادرة عليه .

كذلك لا يمكن مقارنة أوضاع الولايات المتحدة الامريكية بحالة الدول النفطية . فهناك نوع من المقاومة في معظم الدول للاستثمارات الاجنبية ، واذا كانت الولايات المتحدة قد نجحت في زيادة حجم استثماراتها فلا ننسى ما تتمتع به من سيطرة اقتصادية كبيرة على العالم ، وهي سيطرة ترجع الى قدرتها الاقتصادية والعسكرية . كذلك فان الاستثمارات الامريكية ليست مجرد أموال أمريكية تبحث عن فرص للاستثمار في الخارج ، ولكنها أموال مصحوبة بقدرات تكنولوجية وادارية لا تتوافر للاستثمارات العربية .

ومن ناحية أخرى ، فاذا كانت الثقة في العملات العربية ترجع الى ما تحققه من فوائض فهل من السهل القطع بانه ـ في حالة النجاح في تحقيق عجز في ميزان المدفوعات ـ من الممكن استمرار الثقة في هذه العملات وهي لا تستند الى أي مظهر للمقدرة الاقتصادية غير هذا الفائض .. ؟ هذا أمر مشكوك فيه .. فالقوة العربية هي قوة مالية وليست قوة اقتصادية . فدور الدول النفطية يرجع الى ما تملكه من موارد مالية متراكمة نتيجة لفائض ميزان مدفوعاتها ، فاذا تحولت الى دول عجز ، فليس من المستبعد أن تزول الثقة في نفس الوقت في عملاتها .

ولذلك فاننا نستطيع القول بانه بالرغم من الثروة العربية ، فانها غير قادرة على خلق عملة دولية سواء لضعف هياكلها الاقتصادية أو لطبيعة الفائض في موازين مدفوعاتها وصعوبة توفيره عملا لاحتياجات التعامل الدولي .

الدينار وحدة للحساب

جرت عدة محاولات لانشاء وحدة حسابية عربية، بل وظهر في بعض الاتفاقات العربية الجماعية الاشارة الى دينار عربي حسابي . ومع ذلك فيؤخذ على هذه المحاولات أن أهدافها كانت عامة غير محددة .

وقد قلت في البداية ان هدف المقال هو مناقشة قضية الدينار العربي من حيث انه وسيلة لحماية الثروة العربية .

فالثروة العربية النفطية كما سبق أن أشرنا ـ هي ثروة مالية مستثمرة في الخارج ، ولذلك فانها يمكن أن تتعرض لاشكال عديدة من المخاطر . فهناك المخاطر السياسية التي تتعلق بانكار أو تجميد الحقوق العربية أو اضعافها . وليس هنا مجال مناقشة هذه المخاطر التي لا تتطلب فقط أدوات فنية لمواجهتها وانما تتوقف على مدى استقرار النظام الدولي والقوة الاقتصادية والسياسية للدول العربية . ولذلك فان هذا الموضوع يثير مشاكل العلاقات الدولية وهو ما يخرج عن حدود موضوعنا .

ولكن هناك مخاطر اقتصادية اخرى تتعرض لها الاستثمارات في الخارج ، وهو ما نود التعرض

هنا الى بعض اشكالها • ومن المهم ان نشير هنا الى ان الدول العربية المصدرة للنفط دائنة فى مجموعها وان استثماراتها تاخذ بصفة عامة شكل انواع متعددة من الدائنية •

حقا ان هذه الدول تستثمر جزءا من فوائضها فى شكل اصول مالية منوعة ليس من الضرورى ان تكون فى شكل دائنية من الناحية الفنية بل يمكن ان تاخذ شكل ملكية مثل الاسهم وتملك العمارات والاستثمارات المباشرة • ولكن الملاحظ هو ان هناك حدودا تفرض على ملكية الدول العربية للاصول المالية ، سواء اكانت هذه الحدود راجعة الى الدول المضيفة التى تفرض حدودا على تملك الاجانب ، أو كانت راجعة الى تحديد ذاتى من جانب الدول العربية نفسها • فمعظم الدول المضيفة لرووس الاموال الاجنبية تضع قيودا على ملكية الاجانب خشية تزايد سيطرة غير الوطنيين على مواردها الانتاجية • ورغم أن السيطرة العميقية لا ترتبط بالملكية قدر ارتباطها بالادارة الفعلية وما تتطلبه من كفاءة وقدرات تكنولوجية ، الا ان الرأى العام فى كثير من الدول ما زال شديد الحساسية أمام هذا الموضوع• كذلك فان الدول النفطية ادراكا منها لحساسية هذا الامر ورغبة فى عدم اثارة جو عام مناهض للاستثمارات العربية فى الخارج ، وربما ايضا ابتعادا عن كل ما من شانه الاعلان عن حجم استثماراتها ، تفضل توظيف اموالها بشكل غير ملفت للانظار ، وهو ما ياخذ عادة شكل دائنية من ودائع وقروض واذونات خزانة وسندات •

ولذلك فاننا لا نكون مبالغين اذا قلنا ان معظم الثروة العربية الخارجية تاخذ شكل دائنية • ويتعرض الدائن لمخاطر اقتصادية ـ بالاضافة الى المخاطر السياسية وهذه المخاطر تتركز فى امرين ، الاول خطر انخفاض قيمة العملة المحدد بها قيمة حقه ، والثانى خطر انخفاض قيمة العملات بصفة عامة وضعف قوتها الشرائية نتيجة التضخم •• فىالحالة الاولى هناك خطر تقلبات اسعار العملات بالنسبة لبعضها البعض ، وفى الحالة الثانية هناك خطر انخفاض اسعار العملات فى مجموعها بالنسبة للسلع والخدمات • ويمكن القول بان الجزء الاكبر من الثروة العربية معرض للخطرين معا ، مخاطر اسعار الصرف ومخاطر التضخم •

فاما مسالة التحوط من أخطار أسعار الصرف وتقلبات قيمة العملات فيما بينها ، فاننا لا نعتقد انها تشكل خطورة كبيرة على الثروة العربية ، ونعتقد ان حسن الادارة المالية وكفاءتها كفيلة بمواجهة هذه الاخطار ، وسواء تم ذلك عن طريق استخدام أنواع من المتوسطات للعملات الاجنبية فى تقويم الحقوق العربية ، أو عن طريق حسن توزيع هذه الحقوق بين الدول المختلفة، او الامرين معا •

دور ممكن بشروط

والامر على العكس من ذلك بالنسبة لخطر التضخم • فهنا لا ينحصر الخطر الذى يتعرض له الدائن فى انخفاض قيمة عملة معينة بالنسبة للعملات الاخرى ، وانما فى انخفاض قيم العملات بصفة عامة بالنسبة للسلعوضعف قوتها الشرائية• عندئذ لا تصلح أية سلة من العملات فى حماية حقوق الدائن كما لا ينجح اى توزيع للديون بين الدول ، هنا الخطر عام وشامل، ويحتاج الامر الى نوع من التاشير indexation يربط حقوق الدائن بقيمة مجموعة من السلع او بسلعة معينة، (اذا كانت مؤشرا طيبا على اسعار السلع الاخرى) بما يحفظ القيمة الحقيقية للنقود •وهنا يمكن لدينار عربى حسابى ، اذا احسن اختيار كيفية تحديده ، وامكن تنفيذ ذلك ، ان توفر وسيلة لحماية الثروة العربية من مخاطر التضخم•

والكل يعرف أن الثروة العربية فى الوقت الحاضر انما ترجع الى النفط • فالنفط سلعة دولية معدة اساسا للتصدير ويتحدد لها ثمن دولى • ونظرا لان حجم السلع المحلية المنتجة فى الدول المصدرة للنفط ضئيل للغاية ، وحاجتها للاستيراد كبيرة للغاية ، فان ثمن النفط يتحدد فى الواقع بعملة اجنبية وسواء كان ذلك هو الاسترلينىاو الدولار او حقوقالسحب الخاصة • ولذلك فان انشاء دينار عربى محاسبى وربط قيمته بثمن النفط يعني فى الواقع ربط قيمة هذا الدينار العربى بطريق غير مباشر باحدى العملات الاجنبية (او سلة هذه العملات) ، وبالتالى باثمان الواردات •

ونظرا لان سعر النفط ـ وهو يتحدد حقيقة

باحدى العملات الاجنبية ــ الا انه يتابع بشكل ما ارتفاع الاسعار ــ فانه من الممكن حماية حقوق الدول النفطية عن هذا الطريق • فمنظمة الاوبك تحرص على مراجعة أسعار النفط سنويا ، وتاخذ في اعتبارها ــ ضمن ما تاخذ ــ تطور الاسعار وتحاول ان تحافظ على القيمة الحقيقية للنفط ممثلة في أسعار وارداتها •

ولذلك فانه اذا ربطت قيمة الدينار العربي المحاسبي باسعار النفط ، ومع الاعتراف بان أسعار النفط تتابع تطور أسعار الواردات للدول المنتجة للنفط ، فانه يمكن القول بان الثروة العربية تستطيع أن تحقق نوعا من الحماية ضد مخاطر التضخم المستمر •

ويمكن أن ينشأ نوع من الدينار العربي (الخليجي) المحاسبي الذى يرتبط بثمن برميل النفط ويظل ثمن البرميل ثابتا بالنسبة لهذا الدينار ولكن يتغير سعر هذا الدينار بالنسبة للعملات الاخرى مع تغير الاسعار • على أن سهولة هذا الحل ومنطقيته لا تعنى بالضرورة سهولة تطبيقه والاخذ به • فمنظمة الاوبك تخضع لضغوط شديدة من جانب الدول الصناعية بصدد تعديل أسعار بيع النفط سنويا • ويتعلق هذا الضغط بتخفيف عبء ارتفاع أثمان النفط الجارى على الدول المستوردة • ولذلك فمن الطبيعى أن تخضع هذه الدول لضغوط أكبر عندما يتعلق الامر ليس فقط بحماية أسعار النفط الجارى وانما ايضا بحماية الارصدة المتراكمة من خطر التضخم وربطها بالسعر الجارى للنفط •

ولكن هذه الصعوبة ليست مبررا لكي تترك الدول النفطية أرصدتها وأصولها المالية تتآكل سنة بعد سنة دون أية حماية جادة من جانبها لحماية مستقبلها • واذا كانت الدول النفطية تبدى من المسئولية تجاه الدول الصناعيه باستمرارها فى الانتاج واهدار ثروتها الطبيعية ، فلا أقل من ان تتوقع شعورا مماثلا بالمسئولية لحماية حقوقها المتراكمة •

أخيرا فان فكرة الدينار العربى الموحد وان تراجعت بعض الشىء فى صدد تحقيق الوحدة العربية سياسيا واقتصاديا ، فان هناك مجالا للحديث عنها فى صدد حماية الثروة العربية النفطية • واذا كان من قبيل المبالغة الاعتقاد فى امكان خلق دينار عربى يقوم بدور عملة الاحتياطى الدولية ، فانه من الممكن التفكير فى انشاء دينار عربى محاسبى يرتبط باثمان مجموعة من السلع المستوردة عن طريق ربطه بثمن سلعة النفط مثلا • وفى هذه الحالة فانه ينبغى أن تقوم منظمة الاوبك بتعديل اسعار النفط بما يجارى أسعار واردات الدول النفطية بصرف النظر عن الضغوط، وأن تربط دول الفائض استمرارها فى استثمار فوائضها فى الخارج بربطها باسعار النفط أو هذا الدينار العربى النفطى المحاسبى • ■ ■

د • حازم الببلاوى

رد منطقى

● لا يخلو السفر بالطائرة بنيويورك من مشاكل على الدوام • فمن الصعوبة بمكان وضع الالات الموسيقية أسفل مقاعد الطائرة • وفى احدى المرات اجبرت شركة طيران عضوا فى فرقة موسيقية على شراء تذكرة لآلته (الكمان) • وقد رد على هذا الاجراء بأن قام لدى صعوده الى الطائرة بوضع كمانه على المقعد رأسيا ووضع منديلا حول عنق الالة وجعل المضيفة تقدم لها طعاما •

● بالمقاييس الصحفية يعد هذاالحديث « سبقا » • فقد كان أول حديث على الاطلاق يدلىبه محمد على كلاى بعد ٧٢ ساعة من هزيمته • لكنه الانلم يعد سبقا ولا ضربة صحفية ، اذ أنه ينشر فى المجلة بعداجرائه بحوالى شهر ونصف • ومع ذلك يظل الحديث الوحيدالذى أدلى به محمد على كلاى لمجلة عربية فى السنوات الخمس الاخيرة •• وما حيلتنا اذا كنا مجلة شهرية محكوما عليها أنتعد موادها وتصف « قبل الهنا بسنة » ؟ !

مع البطل المهزوم

محمد على كلاى

حديث اجراه : **فهمى هويدى**

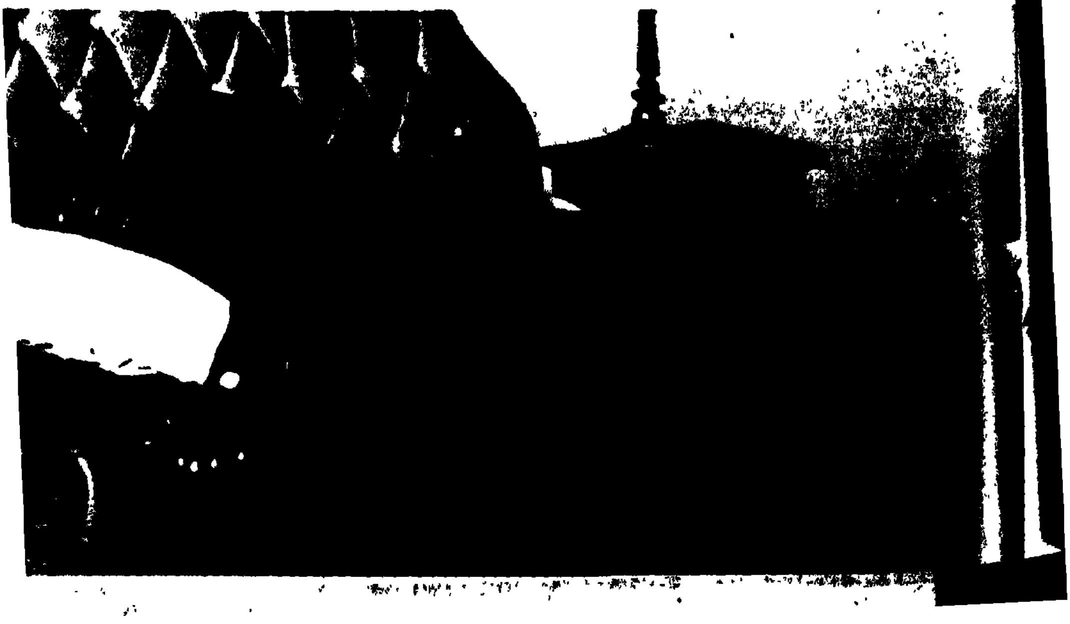
تصوير : **اوسكار مترى**

لاتسألوا « هل» استرد اللقب ، ولكن قولوا « متى » ؟

- **لصحافة العالم العربى : انا محمد على ولست كلاى •**
- **اخطات مع سبنكس وساقاتل فى المرة القادمة من الجولة الاولى •**
- **قد لايكون المنطق فى صالحى لكن المؤمن عنده اشياء لايحكمها المنطق •**
- **سأتقاعد هذا العام وانا البطل المسلم المنتصر •**
- **كل ما اتمناه ان اكون مسلما جيدا وأن اتفرغ للدعوة الاسلامية •**
- **اديت العمرة واصلى وأصوم حسب الظروف وقرأت القرآن مرتين •**
- **رفضت القتال فى فيتنام لان القرآن يمنعنا من العدوان •**
- **لااهتم بالسياسة واكتب الشعر احيانا وليس لدى وقت للقراءة**



مد علي كلاى يتحدث الى فهمى هويدى فى غرفة نومه، وقد وضع على عينيه نظارة تخفى آثار المعركة التى هزم فيها .. حتى بعد أن استسلم للنوم .



الفرق بين محمد على كلاى وغيره من الملاكمين ، هو فى حجم المسافة بين الرقص الشرقى والباليه • بين الابتذال والفن الرفيع • وسواء استرد لقب البطولة أم لا ، فلا بد أن نسجل له أنه الوحيد الذى أقنعنا بأن الملاكمة فن ، وليست صراعا بالللكمات والعضلات بين اثنين من الفتوات العتاة ، يصر كل منهما على أن يخرج فى النهاية قاتلا أو مقتولا !

لكن محمد على بدأ يشعر بوطأة السن • فقد قال لى فى لقائنا الذى تم بعد ثلاثة ايام بالضبط من هزيمته ، انه بعد ١٢ عاما من القتال فى حلبة الملاكمة ، اصبح الان ابطأ فى الحركة واسرع فى الاحساس بالتعب والاجهاد • وقد حان اوان اعتزاله للملاكمة • ولكنه لن يفعل ذلك قبل ان يستعيد لقب بطولة العالم الذى خطف منه على غير انتظار • «عدوا معى ستة اشهر ـ اضاف كلاى ـ خلالها ان شاء الله تعالى ، سوف استعيد اللقب • ثم اتفرغ للدعوة الاسلامية » •

كان ذلك ـ تيسيرا للعد والحساب ـ فى الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر الاحد ١٩ فبراير • وكنا فى غرفة النوم وقد تمدد كلاى على سريره ، مخفيا آثار اللكمات والكدمات فى عينيه ـ اليمنى بوجه خاص ـ بنظارة شمسية لم يخلعها • وكانت آثار النزف واضحة فى شفته السفلى ، وهو ما لم يكن يستطيع ان يخفيه الا بعد ان يزم شفتيه ، ويبتلع نصف الكلمات التى يريد ان يقولها •

كان محمد على كلاى يتكلم بصوت خافت وثقة شديدة ، وكأنما بطولة العالم فى جيب سترته ولم تخرج منه بعد ، وكان يستشهد فى حديثه بآيات من القرآن الكريم المترجمة معانيها الى الانجليزية • ومشاهد من السيرة النبوية ، خصوصا عندما هزم محمد عليه السلام ـ وهو نبى الله ـ مرتين ، ثم جاءه النصر الكبير بعد ذلك • يقصد غزوتى احد وحنين •

وانصافا للحقيقة فان لقاءنا مع محمد على كلاى بدأ بالصدفة وانتهى بالميعاد • ذلك انه هو الذى جاء الينا ولم نذهب اليه •

هكذا عرفنا النبأ

كانت البداية فى مكتب احد المسئولين بوزارة الاعلام فى دكا ، عاصمة بنجلاديش ، كنا هناك نناقش برنامج مهمة « للعربى » واذا بجرس التليفون يرن • استمع المسئول البنجالى لحظة ثم بدت على وجهه علامات الدهشة وقال : حقا؟•• هذا شىء مؤسف • هذه صدمة • ثم وضع السماعة فى حزن وتأثر بالغين • واضاف الرجل وهو يسرح ببصره فى القاعة : لقد هزم محمد على ! اخذتنا المفاجأة ، لكننى لم املك ازاء حالته هذه الا ان اواسيه بكلمات التشجيع المناسبة • وخرجنا لزيارة مسئول آخر ، وما كدنا نجلس حتى رن جرس التليفون ، وتكرر نفس المشهد • ولكن الرجل لم يصدق ، وطلب من محدثه ان يتصل بالصحف لتقرأ عليه نصوص برقيات وكالات الانباء • ولم يكن الموقف يحتمل الحديث فيما جئنا من اجله ، فنهضنا ، وذهبنا الى مكتب ثالث واذا بالمسئول البنجالى يبادرنا بالسؤال، قبل ان نجلس، هل سمعتم نبأ هزيمة محمد على ؟ •• فسألته عن سر هذا الاهتمام الزائد بالنتيجة ، عندئذ قال الرجل ان محمد على قادم الى بنجلاديش ، وانه سيعطى لقب المواطن البنجالى • وان موعد زيارته محدد بعد المباراة مباشرة • واضاف فى أسى : «كنا نود ان نحتفل به منتصرا

هكذا كانت « الصدفة » ••

صباح اليوم التالى كانت مدينة دكا غارقة فى بحر من الملصقات واللافتات التى ترحب بمحمد على كلاى ، مع صور له فى كافة الاوضاع، مصحوبة باوصاف وعبارات مثل : ملك الحلبة ، بطل الابطال ، المقاتل ، الرجل ، على • على • على • وظهرت فى الاسواق ثياب مطبوع عليها صورة محمد على ، وشارات نحاسية تحمل نفس الصورة ويوم وصوله اصدرت الصحف ملاحق خاصة عنه وعن اسرته ، وبطولاته ، وذكرياته ، وما كتبه النقاد عنه بينما كان وجهه على اغلفة كل المجلات • وبين



محمد على مع زوجته الشقراء الامريكية فيرونيكا.

العين والاخر كانت الاذاعة والتليفزيون يقطعان برامجهما ليعلنا : اليوم يصل بطل الابطال • اليوم تستقبله بنجلاديش بالاحضان • غدا ترونه على عرشه فى الاستاد •

وبين الاعلان والاعلان ، كان الراديو يذيع مجموعة من الاغانى الجديدة ، التى الفت خصيصا لمناسبة الزيارة ، فى مقدمتها اغنية ذاع صيتها على الفور ، تقول كلماتها : على•على•على• — حلم حياتى على — محمد على — بطل العالم على— الاجمل على — الاعظم على — الرجل الخارق (السوبرمان) على •

اليس بطلا مسلما

وخرجنا يوما الى شوارع دكا ••

كان يوما مطيرا منذ صباحه الباكر ، لكننا فوجئنا بمواكب تضم الوف البشر تزحف الى طريق المطار ، وكل الطرق المؤدية الى بيت الضيافة الذى تقرر ان ينزل فيه • واقواس النصر مفروسة فى كل شارع • وكان المشهد مثيرا • المدارس معطلة والطلبة والطالبات مصطفون على الارصفة، ويحاول كل منهم ان يحتمى من المطر بكراس او شجرة • وسيارات الجيش والشرطة تجوب المدينة ذهابا وايابا • والنوافذ مليئة بالشيوخ والنساء

والاطفال • والهتافات تتصاعد بين الحين والاخر : محمد علي زندباد • (يعيش محمد علي) •

وتتعجب ، لماذا يخرج هؤلاء الفقراء المطحونون بهذه الكثافة ، ولدى كل منهم هموم تثقل الجبال• ولماذا تشل الحياة في المدينة بهذه الصورة ، لمجرد ان محمد علي كلاي قادم من لاس فيجاس ـ وهو المهزوم ـ لزيارة بنجلاديش ؟ لماذا هذا الحماس الجارف وشحنة الانفعال غير المحدودة ؟

رد واحد تسمعه في كل مكان : أليس بطلا مسلما ؟؟

تكتشف ان هذا هو السبب الاكبر • فالمسلم الزائر ملء العيون في بنجلاديش ، واذا كان بطلا في حجم محمد علي كلاي ، فهو في كل قلب ، وعلى العين والراس ايضا •

ثم تكتشف بعد ذلك ان هناك سببا نفسيا آخر• فمحمد علي كلاي يعكس ويجسد كل ما يفتقده هؤلاء • فقد كان مثلهم ، فقيرا اسود اللون ، من طائفة المنبوذين في امريكا ، لكنه تحدى الجميع وشق طريقه الى القمة • وتربع على هذه القمة • وهذا بالضبط هو ما يحلمون به في بنجلاديش !

مسالة وقت فقط

عندما حان « الميعاد » ، ذهبت اليه في قصر الضيافة • اطل شقيقه « رحمن » من باب غرفته ، وقال : سنعطيك دقيقة ، ثم اغلق البابوانتظرت• ولم اكتشف الا متاخرا ، بعد اللقاء ، ان الدقيقة في لغة الامريكان تعني ساعة عندنا !

لمحته من الباب جالسا على الطريقة الامريكية ساقاه مرفوعتان فوق مائدة امامه • وبعد قليل دخلنا فوجدته في وضع امريكي آخر ، كان قد تمدد على السرير بثيابه كاملة ، رافعا الكلفة والحرج• مهتما بان يستريح لانه امضى يومين طائرا من لاس فيجاس حيث جرت المباراة الشهيرة ، الى دكا • ومنذ وصوله لم يسترح بسبب البرنامج المشحون• حتى انه عندما اخذوه في جولة نهرية ليرى بعض معالم البلد الذي يزوره لاول مرة ، نام منهم على السفينة • ولمحته يجرجر قدميه في حفل العشاء الذي اقامه رئيس بنجلاديش الجنرال ضياء الرحمن ، ولولا زوجته فيرونيكا التي كان يستند الى ذراعها ، ولولا انها كانت تلكزه كلما غلبه النعاس ، لولا ذلك لحدث مالا تحمد عقباه •

قال لي في البداية انه لم يفهم لماذا تصر وسائل الاعلام في العالم العربي على ان تسميه «كلاي» بينما الجميع ينادونه باسمه الحقيقي الان «محمد علي» • قد يكون مفهوما ان تفعل ذلك الصحافة الانجليزية التي مازالت تتمسك باسمه القديم ـ قبل ان يشهر اسلامه ـ كاسيوس كلاي ، ولكن، هل عندك تفسير لموقف اجهزة الاعلام العربية ـ سالني «محمد علي» ـ قلت : ليس هذا موقفا في الواقع ، ولكنه ربما كان استخداما لاسم الشهرة او استسهالا للاختصار •

بعد ذلك دخل في الموضوع وقال : اكتب على لساني انني سوف استعيد لقب بطولة العالم خلال ستة اشهر ، ان شاء الله تعالى • وساكون اول



الابوان « كلاي » اللذان صحباه في رحلته الى دكا ، يبتسمان للمصور •

بطل في تاريخ الملاكمة يستعيد لقبه لثالث مرة. فلويد باترسون وانا استعدنا اللقب مرتين،ولكني ساكون الوحيد الذي يستعيده للمرة الثالثة . صحيح انني تعبت ، وظهرت على آثار السن . لم اعد بنفس سرعة الحركة ولا بنفس قوة الاحتمال. لكنني اعرف نفسي جيدا ، واثق تماما في ان الله سبحانه سوف يمنحني القوة التي تمكنني من ان اعتزل وانا البطل المسلم المنتصر،لا المسلم المهزوم الذي تشيعه عبارات الرثاء . انني اعتبر هزيمتي اهانة لملايين المسلمين الذين كانوا فخورين بي ، والذين كانوا يدعون الله لي بالنصر دائما .

واضاف محمد علي بصوت بالغ الهدوء :تستطيع ان تؤكد على لساني انه ليس السؤال الان هل استعيد اللقب ام لا ، ولكنه متى يحدث ذلك ؟ .. هي مسالة وقت لا اكثر.وقد اعتدت ان استريح اسبوعين او ثلاثة بعد كل مباراة،ثم اواصل المران. وساقاتل سبنكس مرة ثانية ، وسوف اهزمه . اكتب ـ كررها مرتين ـ سوف اهزمه .

قلت : اتمنى ذلك طبعا،ولكن كلامك يعني انك لم تعد كما كنت ؟

قال : هذا صحيح ، ولكني اعرف قدراتي جيدا. لقد بدات الملاكمة في سن العاشرة ، ووضعت نصب عيني ان اكون بطلا في سن الثانية والعشرين . وفعلا صرت بطل العالم وانا في هذه السن . وفي كل مباراة كنت احدد لنفسي الجولة التي استطيع فيها ان اخطف النصر ، ولم يختلف هذا التقدير الا مع شخص واحد هو جو فرايزر، لقد اتعبني ونال مني ، ولكني انتصرت عليه .

أخطأت مع سبنكس

قلت : ولكن سبنكس (الذي انتزع منه اللقب) في سن الرابعة والعشرين ،وانت الان في سن السادسة والثلاثين ..

قال : لقد اخطات الحساب مع سبنكس ايضا. كانت استراتيجيتي خاطئة ، ولم استمع الى كلام مدربي الذي نصحني بتغيير خطتي مع امثال سبنكس من الملاكمين الجدد . اعتدت ان اترك لهم الجولات الخمس الاولى ، لتستنفد طاقاتهم ويتعبون ، ثم بعد ذلك اسدد ضرباتي الحاسمة. ولكن « الولد » لم يتعب واستطاع ان يتغلب علي بالنقط.في المرة القادمة ساقاتل من الجولة الاولى.

قلت : المنطق والحساب العقلي ليسا في صالحك ..

قال : انني رجل مؤمن بالله ، واعلم جيدا ان هناك اشياء لا يمكن اخضاعها للمنطق والحساب العقلي . ان ثقتي في الله وفي نفسي هي التي تدفعني الى الاطمئنان الى نتيجة لقائي القادم مع سبنكس . الم تقرا الاية التي تقول :«ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » (قال معناها بالانجليزية) . الم تقرا ايضا في القرآن الكريم ان النصر من عند الله وحده . الم تقرا سيرة النبي محمد عليه السلام،الذي كانت كل الحسابات الفعلية والمنطقية ضده ولكنه انتصر في النهاية؟

قلت : واذا اشترط الاتحاد العالمي للملاكمة ان تنازل منافسي سبنكس قبل ان تقاتله هو ؟

قال : في امريكا القوة هي المال . وما زالت الملاكمة تجري وراء قوة المال . وطالما انا ما زلت الاكثر شعبية ، وبالتالي فانا الاقدر على جذب الجمهور ورفع دخل شباك التذاكر ، فساظل انا المنافس الوحيد لسبنكس .

قلت : هل كنت تتوقع الهزيمة ؟

قال : اعتقدت ان هذا مستحيل ، وقد احزنني تماما ما حدث .

قلت : حكاية الاعتزال هذه رددتها اكثر من مرة ، وما زال الجميع يذكرون انك اكدت قصة الاعتزال سنة ١٩٧٤ لكنك امام اغراء المال ذهبت الى زائير لتنازل جورج فورمان .

قال : هذه المرة انا جاد فيما اقول ، لقد اقنعتني معركتي مع سبنكس بان اوان التقاعد قد حان ، وان مسالة السن هذه لم يعد ممكنا الاستهانة بها .

أن أكون مسلما جيدا

سالته : وماذا ستفعل بعد الاعتزال ؟

قال : لقد اعلنت انني ساتفرغ تماما للدعوة الاسلامية ، واعتقادي ان الاسلام بحاجة الى دعاة

كثيرين ، وانني استطيع ان اؤدي دورا مفيـدا في هذا المجال •

قلت : من تصريحاتك وتصرفاتك ، ليس معروفا بالضبط ماذا تريد ان تكون ، وما هو هدفك •• بينما تتحدثعن رغبتكفي التفرغللدعوة الاسلامية، هناك شواهد تقول انك متشبث بعرش الملاكمة ، وشواهد اخرى توحي بانك تريد ان تصبح رجل اعمال • واحيانا اتصور انك لا تمانع في دور البلاي بوي •

قال : ان املي الوحيد أن اكون مسلما جيدا ، لكنني لا استطيع ان انسى انني يجب ان اؤمن نفسي وادفع الضرائب واضمن مستقبل اسرتـي وابنائي الستة • ولا اظن ان هناك تعارضا بـين الرغبتين • وحكاية البلاي بوي هذه دعايات صحفية• لقد تزوجت مرتين فقط ، طلقت واحدة وفيرونكا هي الثانية •

قلت : هل انت جاد فعلا في موضوع الاسـلام الذي تتحدث عنه دائما ؟

قال : لا املك حججا اقدمها لك • ولكن فقط اقول انه ليس هناك اعظم من ايمانك بالله ،فذلك يمنحك سكينة وثقة بغير حدود • ثم انني احاول ان اؤدي التزاماتي كمسلم • لا أصلي الفرائض الخمس صحيح ،لان هذه مسالة تتعذر عليّ احيانا، لكنني اصلي قدر ما استطيع • واصوم قدر مـا استطيع • لم احج ، ولكني اديت العمرة • كمـا انني لا اشرب الخمر ولا ادخن • واضاف محمد علي : انني احاول ان افعل شيئا من اجل المسلمين في امريكا • اساعدهم ماليا ، وابني الان ثلاثة مساجد في انحاء الولايات المتحدة •

قلت : هل انت تساهم في نشاطات المسلمـين السود في امريكا ؟

قال : انا معترض على تعبير المسلمين السود فليس في الاسلام اسود وابيض واصفر • هناك مسلم فقط وانا مشترك في نشاطات مسلمي امريكا، واؤيد تماما زعيمهم محمد ، الذي يمضي في طريق الرب الى العقيدة الصحيحة من ابيه ايلاجا محمد، الذي مات منذ سنوات قليلة •

قلت : الا تكره الرجل الابيض ؟

قال : المسلم الحق لا يكره احدا ، لان الله هو خالق الجميع • فقلب الانسان لا يختلف من جنس الى جنس • وضميره وروحه بلا لون • انني لا اكره الرجل الابيض ، رغم كل ما فعله ويفعله، لكني فقط اشفق عليه •

قلت : بالمناسبة ، هل قرات قصة اليكس هيلي الشهيرة «الجذور» التي روت رحلة العبيد السود الى امريكا ؟

قال : لم اقرا القصة ، لكني تابعت المسلسـل التيلفزيوني الذي اعد عنها وقد شدني واعجبني جدا •

قرات القـرآن مرتين

قلت : هل لديك وقت للقراءة ؟

قال : لقد قرات القرآن الكريم مرتين • لكني عموما اقرا قليلا • لان التدريب اليومي الشاق يرهقني ، ولا يتيح لي فرصة التركيز في القراءة• فضلا عن ان الشهرة لها ثمنها الباهظ الذي يدفع احيانا من التزامات الانسان نحو نفسه •

قلت:لكنك قلت في قصة حياتك انك تحبالشعر وتكتبه •

قال : هذا صحيح • وعندي محاولات متواضعة اقدمت عليها في بعض المناسبات •

قلت : قرات لك مطلع قصيدة قديمة ، كانت عن الملاكمة ، تقول فيها : سيظل ليستون ملكـا للحلبة ـ فقط حتى يلقاه كاسيوس كلاي • ومنذ قراتها تيقنت ان اختيارك للملاكمة كان يعبر عن حكمة بالغة !

خرج محمد علي عن هدوئه ، وضحك ، ثـم اشاح بيده وقال : اوه بوي !

قلت : هل تهتم بالسياسة ؟

قال : العكس هو الصحيح • فالسياسيـون متقلبون ، واللعبة كلها غير نظيفة • وقلـب السياسي دائم التغيير لكن قلب المؤمن لايتغير •

قلت : ولكنك في سنة ٦٧ عندما امتنعت عن الذهاب مع القوات الامريكية المشتركة في حـرب فيتنام ، كنت تعبر عن موقف سياسي •

قال : ليس هذا دقيقا•لان موقفي هذا كان يعبر عن التزامي بعقيدتي الاسلامية بالدرجة الاولى•

ان القرآن الكريم يقول لنا : « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » . وفي فيتنام كانت القوات الامريكية معتدية علي شعب آخر يطالب بحقوقه. وكان طبيعيا ان امتنع عن الاشتراك في هذا العدوان ، استجابة لنداء القرآن .

قلت : سؤال اخير ، لماذا انت في بنجلاديش ، وهل في برنامجك ان تزور الدول العربية ؟

قال : الناس في هذا البلد مسلمون وفقراء . وانا احب هذا الطراز من البشر واتعاطف معه جدا . ثم ابهم دعوتي واسرتي . وتعبيرا عن مشاعري نحوهم وافقت على الاشتراك في فيلم اسمه « بنجلاديش انا احبك » . وجولاتي في هذا البلد جزء اساسي من الفيلم . اخيرا فانهم قرروا ان يمنحوني لقب مواطن بنجلاديش ، وانا اعتز بذلك . اما زيارة الدول العربية ، فليست لدى خطط قريبة بشأنها .

قال محمد علي كلماته الاخيرة ثم استدار على الفور لينام . وتصاعد منه صوت غطيطه بعد لحظة . واثناء خروجنا من الحجرة ، فتح عينيه وضحك ، ثم اشار بيده مودعا ، وقال : اراكما في الاستاد . واكتشفنا انه كان يمثل دور النائم؟

عندما عاد للاضواء

طوال اللقاء ظل محمد على هادئا مستكينا ، مستسلما لما يلقى عليه من اسئلة . وظل صوته خافتا ، وكلماته مختصرة او مبتسرة ، حتى ذهب الى استاد مدينة دكا ، وشق طريقه وسط طوفان البشر الذى تجمع حوله يردد : محمد على زنديباد.

هناك تحول هذا الرجل الهادىء الوديع الى شخص آخر !

انتشى محمد على علىالفور عندما وجدالجماهير الغفيرة حوله تهتف باسمه . استرد روحه المرحة ، وعادت اليهشقاوته وهو جالس على المنصة وسط الاستاد . وظل يداعب الجالسين ، ويغمز ـ بعد استئذان زوجته ـ بعينيه لفتيات الفرق الفنية التى جاءت تغنى له .

ثم جاء موعد استعراض رمزى للملاكمة كان مقررا ان يقدمه محمد على امام الجماهير ، وصعد الى الحلبة وسط التهليل والتصفيق الذى شق عنان السماء ، وكان « خصمه » المتفق عليه صبيا نحيفا بالغ العناد ، اسمه جلال الدين . التفت اليه محمد علي ،ورفع النظارة لاول مرة عن عينيه، ثم اقترب منه وتفرسه جيدا ، بصورة اراد ان يوحى بها انه لم ير الصبى ذا الاثنى عشر عاما ، لضآلته الشديدة . ودق جرس الجولة الاولى ، فتوجه اليهمحمد علىوظل ينفخ فيه ، بينما الاستاد يضج بالضحك . ولكن جلال الدين اخذ المسألة ماخذ الجد ، وظل يصوب ضرباته نحو محمد علي، فما كان منه الا انحاوره بعض الوقت ، ثم امسك به ورفعه على كتفه وظل يضربه على مؤخرته مؤدبا !

ولكن جلال الدين عاد الى ملاكمته ، فارتمى محمد على على الارض مرتين مؤديا دور الملاكم المنهار ،وفي كل مرة كان يقوم وهو يترنح من فرط « الاعياء » . كل ذلك والناس تصرخ من الضحك، وتدق الارض باقدامها .

وفي نهاية المباراة الكوميدية ، استدار محمد علي الى الحكم والمساعدين وظل يطاردهم في الحلبة ، ثم حمل خصمه على كتفه ، وطلب من المصورين ان ياخذوا له صورةوهو في هذا الوضع.

كان محمد على الذى فى الاضواء شخصا مختلفا حقا عن ذلك الذى التقيت به قبل ساعتين في بيت الضيافة . كانت الاضواء وهتافات الجماهير قد احدثت مفعولها السحرى ، حتى قال محمد على لمن حوله للصحفيين فيما بعد ، ان الاستقبال الذى قوبل به انساه الهزيمة !

وتستطيع بعد ذلك ان تتصور وداع محمد علي في مطار دكا . وتاثرهالشديد بما راه وسمعه ، حتى انه الوحيد من غير اهل البنجال الذى قال في تصريح لاحق ان بنجلاديش جنة على الارض !

ولكنه عندما سافر ، كان قد صار مواطنا بنجاليا ، بل قنصلا عاما لبنجلاديش في شيكاغو. وكان جواز سفره الاخضر الجديد يحمل رقم (س ٠٦٧٠٩٣) ، وكان في حقيبته علمان لبنجلاديش ، سيضع أحدهما على منزله في مدينة لويس فيل بولاية كنتاكي ، المشهورة بانتاج الدواجن . اما العلم الثانى ، فسوف يثبته على مقدمة سيارته . او هكذا قال في مطار دكا .

الان يدعو له فقراء بنجلاديش بان يستعيد لقبه المفقود . ولان الفقراء لا يملكون الا الدعاء فان ابواب السماء تفتح لهم .. احيانا ! ■■

تطبيق الشريعة

« فبشر عبادىالذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم اولو الالباب ـ سورة الزمر/ ١٧ ـ ١٨ »

« الحكمة ضالة المؤمن ، انى وجدها فهو أحق الناس بها ـ حديث رواه الترمذى »

بهذه التوجيهات التى تفتح العقول والقلوب على ما عند البشرية كلها من حق وخير ، ايا دانت السلالات والثقافات والاوطان ، وجه الاسلام أبناءه منذ أربعة عشر قرنا ، وكانت هذه التوجيهات ذاتها احدى الدلالات القاطعة على أن هذا الدين قد أنزله رب الناس كافة ، هدى لا يتحيز للون أو لسان ، وعلى أن هذا الدين يربى برسالته « خير أمة أخرجت للناس » ، فمناخها الذى تحيا فيه وتتنفس هو الانسانية جمعاء ، ومجالها الحيوى هو التعامل مع كل الناس ، والاخذ والعطاء والتعاون على البر والمعروف والتواصى بالحق مع سائر البشر ، فليست هى الجماعة المنكفئة على ذاتها التى تستغرقها : وتستهلكها « النرجسية » فى صورة « الطائفية » : « تعبد ذاتها » ـ كما يقول دوركايم ، أو تعتقد انها محور الكون والحلق كله ووراء الحضارات كلها كما تزين لاصحابها عقيدة « الشعب المختار » ، **أو ترى كل ما عداها « برابرة » كما كان يزعم الرومان ، أو ترى فى مجال العلاقات الدولية والحضارية أن « الجحيم هو الاخرون » كما عبر سارتر فى مجال التحليل النفسى لعلاقة الفرد بالمجتمع !!**





لا يعني.. رفض تجارب الانسانية عبر القرون

« اذا ظهرت امارات العدل واسفر وجهه باى طريق كان ، فثم شرع الله ودينه »

ابن القيم

بقلم : محمد فتحي عثمان

ومن هنا فان المسلمين من جيل الصحابة والتابعين ممن خرجوا من مواطنهم فى شبه الجزيرة الى اقطار العالم الواسع الرحيب من حولهم، لم يتنكروا لما وجدوه من احكام تنظيمية استقرت فى تلك الاقطار من قديم ، واحتاجتها الدولة الاسلامية الفتية الناشئة ، ولم تكن نصوص الكتاب والسنة تستوعب كل ما سوف يطرا للجماعات الاسلامية المتعاقبة من حاجات جزئية متجددة حتى قيام الساعة ، وقد اقرت اصولهما الاجتهاد فيما لم تتناوله نصوصهما ، وارتضى رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم من مبعوثه الى اليمن معاذ بن جبل ان « يجتهد برايه لا يالو » ان لم يجد نصا فى الكتاب والسنة يحكم الواقعة ، وحمد الرسول الله على توفيقه لمبعوثه لان يحكم بما يرضى الله ورسوله • والحقيقة التى تقرر ان نصوص القرآن والسنة متناهية وان الوقائع غير متناهية يستحيل



ان تحصرها النصوص ولا بد لمواجهتها من الاجتهاد قد اوضحها كثير من علماء الاسلام باجلى بيان ، ومنهم الشهرستانى فى « الملل والنحل » وابن خلدون فى « المقدمة » وغيرهما •

الاحكام درجات

وقد اوضح الفقهاء ان من الاحكام ما هو « سياسة جزئية بحسب المصلحة يختلف باختلاف الازمنة ••• وليست شرائع عامة لازمة للامة الى يوم القيامة»يقول ابن القيم فى (اغاثة اللهفان) « الاحكام نوعان : نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها لا بحسب الازمنة ولا الامكنة ولا اجتهاد الائمة كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك فهذا لا يتطرق اليه تغيير ولا اجتهاد مخالف لما وضع عليه، والنوع الثانى ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا كمقادير التعزيرات وصفاتها فان الشارع يتنوع فيها بحسب المصلحة » ••• وقد عرف الفقه الاسلامى اصطلاح « السياسة » للدلالة على ما تحتاجه ادارة الدولة وسياسة الرعية من احكام متجددة تكون متفقة مع مقاصد الشريعة وقواعدها الكلية وان لم تدل عليها مباشرة النصوص التفصيلية الجزئية الواردة فى الكتاب والسنة

وينقل ابن القيم فى كتابيه « الطرق الحكمية » و « اعلام الموقعين » عن ابن عقيل احد اعلام الحنابلة « السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس اقرب الى الصلاح وابعد عن الفساد وان لم يضعه الرسول ولا نزل به وحى » .

ويقول ابن القيم ان « السياسة » موضع مزلة اقدام ومضلة افهام وهو مقام ضنك ومعترك صعب ، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيعوا الحقوق وجراوا اهل الفجور على الفساد وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد محتاجة الى غيرها ، وسدوا على نفوسهم طرقا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له وعطلوها مع علمهم وعلم غيرهم قطعا انها لم تناف ما جاء به الرسول وان نافت ما فهموه هم من شريعته باجتهادهم . والذى اوجب لهم ذلك : تقصير فى معرفة الشريعة ، وتقصير فى معرفة الواقع ، وتنزيل احدهما على الاخر . فلما راى ولاة الامور ذلك وان الناس لا يستقيم لهم امرهم الا بامر وراء ما فهمه هؤلاء من الشريعة احدثوا من اوضاع سياستهم شرا طويلا وفسادا عريضا ، فتفاقم الامر وتعذر استدراكه وعز على العالمين بحقائق الشرع تخليص النفوس من ذلك واستنقاذها من تلك المهالك . وافرطت طائفة اخرى قابلت تلك الطائفة فسوغت من ذلك ما ينافى حكم الله ورسوله . وكلتا الطائفتين اتيت من تقصيرها فى معرفة ما بعث الله به رسوله وانزل به كتبه ، فان الله ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذى قامت به الارض والسماوات ، فاذا ظهرت امارات العدل واسفر وجهه بأى طريق كان فثم شرع الله ودينه . والله سبحانه اعلم واحكم واعدل ان يخص طرق العدل واماراته واعلامه بشىء ثم ينفى ما هو اظهر منه واقوى دلالة وابين امارة فلا يجعله منها ولايحكم عند وجودها وقيامه بموجبها ، بل قد بين سبحانه بما شرعه من الطرق ان مقصوده اقامة العدل بين عباده وقيام الناس بالقسط ،فاى طريق استخرج بها العدل والقسط فهى من الدين ليست مخالفة له»(١) .

عندما تتغير الازمنة

من هذه الحقائق والاصول يتبين فى جلاء انليس كل ما يحويه تراثنا الفقهى احكاما ثابتة ماضية الى يوم القيامة ، كما انه ليس كل ما لا يحويه هذا التراث من احكام مرفوضا اذا ما كان الحكم متفقا مع مقاصد الشريعة وقواعدها الكلية غير متعارض مع حكم تفصيلى وردت به النصوص القطعية ، ولقد اورد ابن القيم ضمن كلامه السابق ذكره نماذج من سياسة الخلفاء الراشدين ثم ذكر السؤال الجوهرى القاطع الذى ينبغى للفقيه بحق ان يثيره ويجيب عليه : « هذه السياسة التى ساسوا بها الامة واضعافها هى من تأويل القرآن والسنة ، ولكن : هل هى من الشرائع الكلية التى تتغير بتغير الازمنة، أم من السياسة الجزئية التابعة للمصالح فيتقيد بها زمانا ومكانا ؟؟ » . كذلك ابرز ابن القيم فى « اعلام الموقعين » القاعدة الفقهية الجليلة فى « تغيير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والامكنة والاحوال والنيات والعوائد » ونبه الى انه قد وقع بسبب الجهل بها غلط عظيم على الشريعة (٢) .

ولقد افاد المسلمون الاولون مما وجدوا فى الاقطار المفتوحة من تجارب غير المسلمين فى الحكم ، ما دامت تحقق العدل للناس وتكفل مصالحهم، ومادامت لا تتعارض مع حكم تفصيلى اتت به النصوص القطعية . وجاء تدوين الدواوين ـ او تنظيم ادارة الدولة الاسلامية ، وفرض الخراج على الاراضى المفتوحة خارج شبه الجزيرة العربية نتيجة الخبرات المكتسبة من سوابق غير المسلمين فى الحكم . روى البلاذرى ان الوليد بن هشام بن المغيرة قد اشار على الخليفة عمر بن الخطاب حين فكر فى اتساع الفتوح وكثرة اموال الفىء والغنيمة فقال له « قد جئت الشام فرايت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا ، فدون ديوانا وجند جندا» فتصدى ابوسفيان لهذا الراى وهو التاجر الذى يتخوف مغبة تدخل الدولة فى التاثير على مبادرة الافراد حين تدون الدواوين ويرتب العطاء والارزاق بصورة دورية دائمة للاجناد وغيرهم ممن يكونون فى خدمة المصالح العامة للمسلمين « اديوان مثل ديوان بنى الاصفر (اى الروم) ؟ انك ان فرضت للناس

---

(١) ابن القيم : الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية بتحقيق حامد الفقى ـ القاهرة ص ١٣ ـ ١٥ ، ١٨ ، انظر أيضا : اعلام الموقعين ـ المطبعة المنيرية بالقاهرة جـ٤ ص ٢٦٧ ـ ٩

(٢) الشاطبى : الموافقات ـ المكتبة التجارية بالقاهرة جـ٢ ص٢٨٥ ـ ٦

اتكلوا على الديوان وتركوا التجارة» (٣) وذكرت مصادر اخرى ان مشورة قدمت قد استندت الى سوابق الفرس (٤) وخلص عمر الى وجـوب تدوين الدواوين فقال « لا بد من هذا، فقد كثر فىء المسلمين » .

واتبع عمر راى ابى بكر فى مساواة الناس فى العطاء فلا يكون التفاوت الا على اساس مايتولونه من اعمال . ثم شاور الناس فى التفضيل حسب مكانتهم وسابقتهم فى الاسلام وراى انه الراى. كذلك شاور المسلمين فى شـــان معاملة الاراضى المفتوحة : هل يشملها حكم الغنيمة فيقسم اربعة اخماسها على الفاتحين ام يكون هناك حكم خاص للعقار يفرده عن حكم الغنيمـــة الذى يخصص للمنقول ؟

وبعد التشاور ارتاى الخليفة الا يدخل الاراضى المفتوحة فى حكم الغنيمة ، وان يجعل تلك الاراضى فى ايدى اصحابها قبل الفتح ويفرض عليهم الخراج لتكون حصيلته موردا عاما مستمرا لبيت المـــال تفيد منه جماعة المسلمين كلها جيلا بعد جيل . وقد عقب ابو يوسف على راى عمر بعد أن اورده فى كتابه (الخراج) فقال :« والذى راى عمر من الامتناع عن قسمه الارضين بين من .فتتحها عندما عرفه الله ما كان فى كتابه من بيان ذلك توفيقا من الله كان له فيما صنع وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين ، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم... والله اعلم بالخير حيث كان » (٥) وفرض الخراج بهذا المعنى قد استهله الخليفة عمر (٦) وقد استانس فيـــه بسوابق الفرس وان كان قد خالفهم فى تقـــدير الخراج المفروض .

عمر شاور قبطيا مصريا

روى ابو يوسف عن عامر الشعبى « لما اراد عمر ان يمسح السواد ارسل الى حذيفة : ان ابعث الى بدهقان من جوخى وبعث الى عثمان بن حنيف ان ابعث الى بدهقان من قبل العراق . فبعث اليه كل واحد منهما بواحد ومعه ترجمان من اهل الحيرة فلما قدموا على عمر قال : كيف كنتم تؤدون الى الاعاجم فى ارضهم ؟ قالوا : سبعة وعشرين درهما، فقال عمر : لا ارضى بهذا منكم » . وقد اجمـل الطبرى فى تاريخه الفروق بين الخراج الذى فرضه عمر والخراج الذى فرضه كسرى من قبل ، كمـا روى ابن عبد الحكم من « فتوح مصر » ان عمر قد شاور قبطيا من مصر فى شان سوابق الخراج فيها، بل شاور المقوقس حاكم مصر نفسه ايضا على ما ذهبت اليه بعض الروايات .

وهكذا استفادت الادارة الاسلامية من تجارب الحكم السابقة فى الاقطار المفتوحة وان كانت هذه التجارب ترجع فى الاصل لقوم غير مسلمين ، ولم تتوان فى الانتفاع من اى اجتهاد سليم و اقتباس نافع . وناقش الفقهاء حكم « سنةاعجمية قديمة لم يغيرها الاسلام ولم يبطلها ، ان شكاها قوم الى الامام لما ينالهم من مضرتها » ، وارتاى جمهور الفقهاء جواز ان يغير الامام تلك السابقـة اثر الشكوىمهما بعدت السابقة فى القدم ، لان على الامام « نفى كل سنة جائرة سنها احد منالمسلمين فضلا عما سن اهل الكفـر » وروى البلاذرى ان ابا يوسف ارتاى عدم جواز التغيير اللاحق لتلك السابقة المستقرة ما دام المسلمون قد اقروها فـى الاصل (٧) .

يقول الاستاذ الشيخ احمد فهمى ابوسنة الاستاذ بكلية الشريعة بالازهر فىرسالته للدكتوراه بكلية الشريعة بالازهر التى نوقشت برئاسـة الشـيخ المراغى شيخ الازهر الاسبق رحمه الله سنة ١٩٤١ عن « العرف والعادة » : بعد العصر النبوى اتسعت

---

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ــ تحقيق رضوانمحمد رضوانـ القاهرة ص ٤٥٤ أيضا : أبو يوسف الخراج : المطبعة السلفية بالقاهرة ص ٥٣

(٤) انظر مثلا : الجهشارى : الوزراء والكتابابن الطقطقى : الفخـرى . ويلاحظ أن كلمـة « ديوان » نفسها فارسية الاصل ولم يخف ذلك على الفقهاء ، انظر مثلا : الماوردى : الاحكـامالسلطانية فى باب « وضع الديوان وذكر احكامه »

(٥) أبو يوسف : الخراج ــ المطبعة السلفيـةبالقاهرة ص٢٩ ــ ٣٢

(٦) انظر تقرير ذلك صراحة فىالمراجع التاريخيةوالفقهيه ــ مثلا : ابن رجب ، الاستخراج فـى أحكام الخراج

(٧) البلاذرى : فتوح البلدان ص٤٣٥

بلاد الاسلام ، ففي عهد عمر تم فتح فارس والشام ومصر ٠٠٠ ثم فتحت الاندلس في عهد الوليد بن عبد الملك بعد اتمام فتح المغرب ،وعلى الجملةفان الرقعة الاسلامية بلغت اوجها في الاتساع فـي صدر الدولة العباسية ٠٠٠ وهذه كلها تتردد فيها عادات وتقاليد قانونية واخلاقية لم يسمع بهـا الاسلام بعد ، واحـوال لم يتحـدث عن احكامهـا بصراحـة ، ففـي بـلاد الفـرس كانت توجـد عادات فارسية ونبطية تقوم على ما كان لهم من مدنية وقوانين٠٠٠ وكانت مصر والشام تحت حكم الرومان (البيزنطيين ابان الفتح) ،والرومان هم اهـل القوانـين التي بلغت شاوا في الرقـي ، فكان في الشام عادات رومانية في المعاملات وطرق التقاضي ، وفي مصر مزيج من العادات الرومانية والافريقية والمصرية ، وكان في جزيرة العرب عادات عربية ، وفي المغرب والاندلس عادات بربرية وقوطية . ولم يكن الفتح الاسلامـي استعمـارا واستغلالا بل كان الغرض منه نشر النور واذاعة العدل ٠٠٠ ولذلك نزل المجتهدون من المسلمين بهذه البلاد قضاة ومفتين فواجهوا هذه العدات علـى تباينها وجهلهم بها ، فكان طبيعيا ان يعملـوا ملكاتهم الفقهية لاعطاء هذه العادات احكامها من الشريعة ٠ فظهر لذلك اثره في نواح : الاولـى ان هذه العادات عرضت على المجتهدين في مختلف البلاد فطبقوا عليها مبادىء الفقه العامة فما كان منها صالحا اقروه كتدوين الدواوين فانها عادة فارسية وكثير من الفروع الواردة في بابي الاجارة والبيع ، وما كان فيه نوع من العوج هذبوه كوضع الخراج على الاراضي فان ذلك كان معروفا عند الفرس وقد قبله عمر والصحابة بعد تعديل نظامه بما فيه النصفة والرفق ٠٠٠والثانية ان المجتهدين في استنباطاتهم للاحكام من القواعد العامة تاثروا الى حد ما بالوسط الذي كان يعيش فيه هـؤلاء الناس والعادات التي تكتنفهم ، ذلك ان المجتهدين يعتقدون ان الاحكام التي انزلها الله صالحة لكل زمان ومكان وان من اغراضها رفع الحرج عـن الناس ، فلو لم تتاثر الاحكام المبنية على العادات في استنباطها ببيئة الناس ولو لم تكن مناسبة لظروفهم مس الناس الضيق وصارت الشريعـة مجافية للغرض الذي بنيت عليـه ٠ فالمجتهدون الذين عاشوا في الاقاليم تاثروا بعادات الفرس التي كونتها حضارتهم وقوانينهم ، والذين كانوا بمصر والشام تاثروا بعاداتهما التي كونتها مدنية الرومان وقوانينهم ، والذين عاشوا في جزيرة العرب تاثروا بحالة البداوة البعيدة عن زخرف المدنية ومشاكلها وهكذا ٠ وليس معنى هذا ان العرف والظروف تتحكم في النصوص الصريحة فتحمل المجتهدين على القول بحكم غير الذي تعطيه النصوص ، بل معناه ان من النصوص ما هو قواعد عامة يمكن تطبيقها حسب ظروف الناس واحوالهم ومنها ما هو معلل بمصالح خاصة يمكن ان تدور الاحكام التي تشتمل عليها مع هذه المصالح ٠٠٠ وهذا التاثر الذي اسلفناه قد يبدو واضحا فـي فقه المذاهب سواء اكان من جهة الاحكام المستنبطة نفسها اومن جهة تفريع الفروع كما في الفقه الحنفي الذي نشا بالعراق والفقه المالكي الذي نشا في الحجاز ٠٠٠ وكتب الشافعي مذهبا في العراق ضمنه كتابه (الحجة) فلما قدم الى مصر عام تسع وتسعين ومائة اطلع فيها على عوائد غـير العوائد التي كان يعرفها في الحجاز والعراق وراى احوالا غير الاحوال فكان هذا مما دعاه الى كتابة مذهبه الجديد الذي احتواه كتاب (الام) ٠٠٠٠ واخيرا: قد تمس الامة الاسلامية على اختلاف بقاعها ومنازعها حاجتها الـى عادة من العـادات فتتفق جميعها على التعامل بها من غير نكير من احـد المجتهدين فيكون ذلك اجماعا فعليا على جواز هذا الامر وان خالف الدليل باعتبار اصله ٠٠٠» (٨)

شرط النقل والاقتباس

واقرار شيء مما انتهى اليه الفكر الانساني العالمي من قواعد قانونية و « سوابق اعجمية » لا يعني انفصال مثل هذه القواعد عن البناء التشريعي للدولة الاسلامية بعد ادماجها فيه ، ولا يؤدي الى فقدان التجانس والانسجام داخل هذا التشريع بين القواعد المختلفة الاصول ٠٠٠ اذ لا بد ان يتمشى الحكم المقتبس مع المبادىء العامة للاسلام واخلاقياته ومع القواعد الكلية للشريعة ، ولا بد ان يكون محققا لمقاصدها ، كما انه ينبغي الا يتعارض مع اي حكم من احكامها التفصيلية القطعية التي اتت بها نصوص الكتاب والسنة وهكـذا تطوع هـذه الاحكام المقتبسة لنهج الشريعة الاسلامية وتصبغ

(٨) احمد فهمي ابو سنة : العرف والعادة في راي الفقهاء ـ مطبعة الازهر بالقاهرة ص ٧٦

سبقتها • ونظرة الى كتابات ابي يوسف المتوفى ١٨٠ هـ ويحيى بن آدم القرشي المتوفى سنة ٢٠٣هـ وابى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ عن « الخراج » مثلا ، تجلى كيف استحالت احكامه على ايدى فقهاء الاسلام الى احكام اسلامية النهج والطابع ، وكيف صارت متميزة عن اصولها الساسانية او البيزنطية ايا كانت •

والعنصر البشرى هام خطير فى موازين الاسلام بالنسبة لانفاذ الاحكام ، سواء تلك المنصوص عليها صراحة فى نصوص الكتاب والسنة او المجتهد فيها • وعلى ذلك فان القواعد القانونية المقتبسة لا بد ان تتفاعل فى البيئة الاسلامية مع مناخ « الايمان » واخلاقياته ، فتصير شيئا متميزا مخالفا لسوابقها الوضعية » • وهذه نصيحة ابى يوسف فى شان اختيار العاملين فى ادارة الدوله المالية يوجهها للخليفةالرشيد الذىخاطبه برسالته فى (الخراج)يقول:«ورايت ان تتخذقوما من اهل الصلاح والدين والامانة فتوليهم الخراج ،ومن وليت منهم فليكن فقيها عالما مشاورا لاهل الراى عفيفا ، لا يطلع الناس منه على عورة ولا يخاف فى الله لومة لائم ، » •• الى آخر ما قاله فىهذا الصدد•

ومن هنا لايعنى التزام احكام الشريعة الاسلامية ان نرفض ما انتهت اليه خبرات الفكر القانونى العالمى طوال القرون ، فلم يرفضها سلفنا الصالح من قبل • ولا يعنى ذلك اقحام ما ليس من الشريعة فى بنائها ما دامت القواعد المقتبسة تخضع لاصول الشريعة وتطوع لنهجها وتطبع بطابعها • يقول الشيخ الدكتور عبد الرحمن تاج شيخ الازهر رحمه الله : « ان الاحكام الجزئية التى راعى الفقهاء فيها فى عصر ما ماتطلبته مصلحة الامةاو قضى به عرفها ، لا يصح ان يؤخذ قانونا دائما وشريعة ثابتة تطبق حتى مع اختلاف وجه المصلحة وتغير العرف • (لكن) هذه الاحكام هى بلا شك من القانون الاسلامى لانها قامت على دعائم الشريعة واستنبطت من منابعها ، وعلينا ان نأخذ بها ما دمنا مقتنعين بصحة مأخذها وما دامت تتمشى مع مصالحنا وعرف زمننا • اما اذا اختلف العرف وتبدلت المصلحة كان لنا ان ننظر فيها فنعدل منها او نأخذ بغيرها على ما تقضى به المصالح الراهنة» (٩) ومن هنا يتبين فى جلاء كيف يكون بعيدا عن الحق والرشد : الظن بوجوب رفض كل خبرة قانونية ما دام مصدرها غير اسلامى ، وكذلك الظن بلزوم كل ما فى كتب فقهائنا المسلمين من احكام فى جميع البيئات والعصور دون تبين ما يكون منها اصيلا ثابتا وما يكون منها طارئا متغيرا •

تغالوا فى القياس

يقول الاستاذ الشيخ محمد مصطفى شلبى فى رسالته للدكتوراه عن « تعليل الاحكام » : « من يتتبع عمل الفقهاء المتاخرين على اختلاف مذاهبهم يجدهم قد تغالوا فى الاقيسة البعيدةحتى منعوا من المعاملات الشىء الكثير فحكموا بالتحريم بمجرد الشبهبناءعلىمراعاتهمهذاالاصل•••واذاكان الرسول صلى الله عليه وسلم له تصرفات منحيث امامته الكبرى وتصرفات من حيث الفتوى والتبليغ، (فقد) حمل هؤلاء جميع اوامره على الفتوى والتبليغ ولم يحملوا ما تعلق بالمعاملات فيها (او بعضها على الاقل) على الارشاد والسياسة حسبما يقتضيه مقام كل امر ونهى وبحسب مقتضيات الاحوال، فتكون احكاما مصلحية سياسية صادرة من الامامة مربوطة بمصالح تتغير بتغيرها او مربوطة باعراف كذلك ••• والدين يسر لا تعسير فيه وقد اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا وابا موسى الاشعرى بقوله:يسرا ولا تعسرا ويسرا ولا تنفرا • وليس سبيل التحرى فى الدين والورع فى تضييق الدين بل سبيل التحرى هو ان تصيب روح التشريع ••• ان هذا التضييق ما جاء الا من الاقيسة المتكلفة تبعا لهذا الاصل والتعبد بصرف النظر عن المصلحة ، والا فالنصوص الشرعية المانعة من انواع المعاملات قليلة جدا بالنسبة لما فرضه الفقهاء تبعا لهذا الاصل• ومن تامل هذه النصوص على قلتها وجدها جاءت على وفق المصالح وضد المفاسد لان الشريعة هدى ورحمة وابدية وعامة • لقد اجمل القرآن احكام المعاملات فاكتفى بالنص على اباحة ما يقتضيه تبادل الحاجات ودفع

---

(٩) عبدالرحمن تاج : السياسة الشرعية والفقهالاسلامى ــ القاهرة ص٢٦ ــ ٢٧ وانظر فى هذا المعنى وفى تقرير بناء كثير من الاحكام الفقهيةعلىالمصالح والاعراف مع اعتبارها جزءا من الشريعة : محمد مصطفى الزرقا : المدخل الفقهى العام ،معروف الدواليبى : اصول الفقه •

الضرورات ، فاحل البيع والاجارة والرهن وغيرها من عقود المعاملات ، واشار الى الاساس الذى ينبغى ان تبنى عليه تلك المبادلات وهو التراضي (يا ايها الذين آمنوا لاتاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) ، وكذلك احاديث المعاملات قليلة بالنسبة الى غيرها • ولاجل هذا قال ابو بكر بن العربي (المتوفى سنة ٥٤٢ هـ في كتابه : الجامع لاحكام القرآن) عند تفسير الاية السابقة ما نصه : (هذه الاية من قواعد المعاملات واساس المعاوضات التى تنبنى عليها : وهى اربعة : هذه الاية ، وقوله تعالى : واحل الله البيع وحرم الربا » ، واحاديث الغرر ، واعتبار المقاصد فى الشريعة) •• وقد خالف ابو يوسف ومحمد امامهما (ابا حنيفة) فى كثير من الاحكام تبعا لتغير الزمان كمخالفتهم فى تعديل الشهود وتحقق الاكراه من غير السلطان ••• ولقد قال الامام مالك تحدث للناس اقضية بقدر ما احدثوا من الفجور • قال الزرقانى فى شرح الموطا: ومراده ان يحدثوا امورا تقتضى اصول الشريعة فيها غير ما اقتضته قبل حدوث ذلك الامر ••• وقال ابن حزم فى (الاحكام) : خالف مالك ابا بكر فى خمس قضايا وخالف عمر فى نحو ثلاثين قضية••• وقد تابع الفقهاء ائمتهم فافتوا باحكام تخالف المروى عن ائمتهم بل تخالف النصوص احيانا معللين ذلك بالحاجة واختلاف لزمان وتغير الاحوال •ومن هذا اباحة فقهاء الحنفية التسعير عند الحاجة مع ورود النهى ومنع الامام وصاحبيه منه ، وافتاوهم بجواز اخذ الاجرة على الامامة والاذان وتعليم القرآن مع النهى عن كل ذلك ••• وفى كتب المتاخرين ترجيح للقول الضعيف فى المذهب على ظاهر الرواية مع اعترافهم بضعف دليله تبعا لتغير الزمان ووجدانهم ان الوقوف مع ظاهر الرواية يلحق بالناس الضرر •• والمتاخرون من المالكية سلكوا هذا المسلك ومثلهم الشافعية والحنابلة ، وقد عزز الاستاذ الجليل وجهته بما روى عن محمد بن الحسن من انه كان يطوف فى الاسواق ويسال الصباغين وغيرهم منقبا عن احوال التعامل فيها كما روى ذلك عن الامام ابى حنيفة ايضا، وذلك للتعرف على الواقع فى المعاملات ، وآثر شيوخ الحنفية ان يفتوا بقول ابى يوسف فيما يتعلق بالقضـاء لكونه جر[بَ] الوقائع وعرف احوال الناس • وذكر القرافى [في] كتابه (الفروق) « والجمود على المنقولات ابد[ا] ضلال فى الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين » كما قرر عـز الدين بن عبد السلام فـى كتاب (قواعد الاحكام فى مصالح الانام) « كل تصر[ف] تقاعد عن تحصيل مقصوده فهو باطل » (١٠) •

هذه احدى الحقيقتين الكبريين اللتين ينبغى ا[ن] نضعهما نصب اعيننا ونحن ندعو الى تطبيق شريع[ة] الاسلام •••

ليس كل ما فيه شريعة

ان تراثنا الفقهى على اعتزازنا به وحرصنا عليه واستنادنا اليه لا تستوى كافة الاحكام التى تضمنها فى المرتبة والحجية ، وليس كل ما في[ه] شريعة ماضية الى يوم القيامة ••• وعلينا ا[ن] نتبين جليا ما ينبغى ان ناخذ وما يجوز لنا اخذ او تركه •••

والحقيقة الكبرى الاخرى اننا فى اجتهادنا لتلبية احتياجاتنا القانونية ينبغى الا نهدر خبرات الفكر القانونى العالمى طوال القرون بدعوى اننا نطبق الشريعة الاسلامية ليس غير ، بل علينا ان ناخ[ذ] من تلك الخبرات ما نحتاجه بشرط ان يناسبنا ويتجاوب مع ظروفنا ويتمشى مع اصول شريعتنا ولا يتعارض مع حكم قطعى فيها •••

واجتهاداتنا هذه تصير جزءا من الشريعة ا[يا] كانت مصادرها ، ما دامت قد روعيت الشروط الشرعية فيها •

«يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الل[ه] لكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ـ المائد[ة] /٨٧ »

«ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكـذب هـذ[ا] حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ا[ن] الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ـ النح[ل] /١١٦ » « قل ارايتم ما انزل الله لكم من رز[ق] فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون ـ يونس /٥٩ » •

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل • ■■

محمد فتحى عثمان

---

(١٠) عمر مصطفى شلبى : تعليل الاحكام ـ مطبعة الازهر بالقاهرة ص ٣٠٣ ـ ٣١٥ ، ايضا : ابو سنه ، العرف والعادة ص ١٠٤

أقوال معاصرة



■ في الشرق الاوسط انتهت مرحلةالجرىوراء الاوهام وبدأ اكتشاف الحقائق ·

الرئيس اليوغسلافي تيتو ·

■ كويت الغد هي كويتالشباب رجالا ونساء ، وتريد لهم الخشونة والبعد عن الترف·

الشيخ جابر الاحمد الصباح امير الكويت

■ حررنا ٩٠٪ من اراضينا وسيكون عام ٧٨ هو عام تحرير ارتيريا ·

رئيس اللجنة التنفيذية لجبهة التحرير الارتيرية ·



■ بيجن ليس على حق · وقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذى ينص على الانسحاب من اراض عربية ينطبق على الضفة الغربية ايضا !

جولدا مائير ·

■ حل مشكلة سياسية هو تذكرة مرور الى مشكلة سياسية أخرى ·

هنرى كيسنجر



■ نحن نعتبر السعودية « دولة مواجهة » لانها مزودة بسلاح حديث وقاعدتها العسكرية في تبوك قريبة منا ، بينما تسويات الحدود لم تتم بعد ·

عزرا وايزمان
وزير الدفاع الاسرائيلى

■ بعد كل ما ذاقه الفلسطينيون من مرارة ، فانهم لم يعودوا يثقون الا فى انفسهم ·

رئيس المجلس الشيعى الاعلىفى لبنان ·
الامامموسىالصدر

■ سنظل نحصل على دخلنا من عوائد النفط بالدولار ، لانه لا توجد عملة اخرى فى العالم اقوى منه ·

محمد أبا الخيل
وزير المالية السعودى ·

■ يبدو انه للولايات المتحدة الحق فى اللعب بالدولار كما تريد ، وعلى الاخرين ان يكيفوا موقفهم تبعا لذلك ·

صحيفة دى تسايت الالمانية ·

المناقشة

القرآن أم السلطان

بقلم : فهمي هويـــدي

من المسئول عما وصل اليه حالنا : القرآنأم السلطان ؟

و « حالنا » الذى اعنيــه تعرفونــه بكلتاكيد • وعلى من لم يبلغه النبا أن يتفرس فى عيون الناس فى الشارع العربى • يقرأ أىصحيفة صباحية • يدير مؤشر المذياع مرور بالعواصم العربيــة • يتطلــع الى المرآة •يختلس نظرة الى أعماقه • عندئذ ، سيجده كلمة منقوشة فى كل العيون ، مكتوبة بكلالاحرف ، منطوقة بكل لهجات أمة العرب الهزيمة !

•مهزومون نحن ومشهور افلاسنــا فى كلالبورصات والاسواق ، وعند كل من يعنيه ومن لا يعنيه الامر • هذا حالنا !

ولن أزيد ، متمثلا هنا قول الضابط الشابالذى قاد انقلابا فى احدى الدول الافريقيـة التي استشرى فيها الفســاد ، فاكتــفي فى« البيان الاول » بقوله : لقد قمنا بالثـور للاسباب التى تعرفونها !

وكما ان التاجر عندما يفلس يعود الىأوراقه القديمة ، يفتش وينقب ، فان البعض منا يفعل الشيء ذاته • يقلب الاوراق والملفاتالقديمة ، ويردد : القرآن هو المسئول !

القــرآن الان فى القــفص • والمحــاكمةالسرية جارية فى قاعة مغلقة ، شان المحاكما الهامة فى بلادنا •

وهى محاكمة غاية فى الغرابة والطرافة •فالشهود قضاة ، والقضاة متهمون ، والبرئ الوحيد فى القــفص • والاوراق مغلوطــة ،والاقوال انتزعت بالعسف والاكراه ، والتلفيق فى كل دليل •

نحن متخلفون والقرآن بيننــا • مهزومونوالقرآن بيننا • مشتتون والقرآن بيننا سلبيون • متواكلون • عاجزون • متنابذون •متقــاتلون •• الى آخر مفــردات قاموس النقائص والرذائل !

هذا كله يحدث والقرآن بيننا •

انظروا وتاملوا ماذا فعل الذين يعيشــونبغير القرآن ؟؟

هكذا يقولون فى المحاكمة •• .

وقبل ان نناقش ـ بعد الاذن طبعا ـ ثمة« نقطة نظام » احب ان انبه اليها • فنحن نقع فى خطأ منهجى كبير عندما نغلط بين المبدأ ومعتنقيه وتطبيقاته • بين الوسائل والاهداف • لان القيمة يتعامل معها الصالح والطالح، وخطأ الوسائل لا يعنى خطأ الاهداف•

فعندما ينتكس العرب نلعن العروبة ،ونتوهم ان تغيير هويتنا كفيل بانتشالنا من الكبوة• وعندما ينهزم المسلمون نحاكم القرآن ونبحث عن وسيلة نتعلل بها منه • وعندما نفشل فى مواجهة اسرائيل نسفه كل ما فعلناه خلال ثلاثين عاما ، ولا نجهد انفسنا فى البحث عن وسائل اكثر فاعلية وايجابية فى الصراع •بل نقول ان هذا الصراع ذاته كان وهما وخيالا !

وهذا منهج « المدرسة الكمالية » ، لان كمال اتاتورك هو الذى ابتدعه فى تركيا ، فالصق كل التهم بالاسلام والعروبة ، وقرر شطب كل منهما من الحياة التركية • ومعذرة اذا كنت اكثر الاستشهاد بالتجربة التركية ،لانها النموذج الاول لما سمى « بالتحديث » ، وهى المثل الذى صفق له الغرب كثيرا ،ويتطلع اليه بعض مثقفينا •

وفى مرة سابقة ناقشت ـ على هذه الصفحات ـ موضوع العروبة وما يفعله العرب ، وقلت ان العروبة بريئة من هزائم العرب ،وان التخلف هو المرض الحقيقى ، وكل ما نشكو منه أعراض له •

كان ذلك فى ظروف موجة احساس بالهزيمة اعترت الكثيرين منا فى العام الماضى ، وهو شعور يتجدد فى هذه المرحلة بالذات •وما حيلتنا اذا كانت هزائمنا كثيرة ومتلاحقة ، حتى كادت تطمس كل بادرة احساس بالانتصار،وحتى كدنا نتصور اننا فى عصر الهزائم العربية الكبرى !

هل القرآن حقا هو المسئول ؟؟

●

فى ظل القرآن ، انتصر المسلمون على الروم والفرس ، القوتان الاعظم فى الزمن القديم • وفى ظله عبرت طلائعهم اوروبا ،وطرقوا أبواب روما وفينا • وحملوا مشاعل النور والمعرفة الى ذلك العالم « المتخلف » •ولن نطيل فى قراءة صفحات المجد الغابر والتباكى على الايام الخوالى • ولكننا فقط سنقف عند مرحلة تاريخية محددة ، ونلقى نظرة على جانبى الساحة ، حيث كان يقف ابناء القرآن فى ناحية ، والاخرون الذين تصرعنا الآن فيهم ويسيل لعابنا على كل ما تفوح منه رائحتهم ، فى ناحية أخرى • سنلقى نظرة لنستدل ونحاول ان نفهم •

لنقف عند القرن العاشر الميلادى ، سنة الف على وجه التحديد ★ •

فى ذلك الوقت كانت اوروبا مقطوعة الانفاس من الهلع ، ظنا منها ان القيامة ستقوم فى هذا العام•وكان الناس يندفعون فى لهفة الى الكنائس والاديرة ، يصلون ويطلبون التوبة وكان الامبراطور اوتو الثالث وهو فى العشرين من عمره يقضى ايامه يمشى حافيا الى الحج بين روما وجبل جرجانوس بناء على اوامر القديس روسولادوس ، لان المسيح سوف ياتى ليقتص من الناس •• بينما كان هذا هو « حال » أوروبا ، كان واحد من ابناء القرآن هو ابن سينا يعلن فى خراسان ،وهو لم يتجاوز العشرين من عمره ، انه فرغ من العلوم كلها لم يتجدد له بعدها شىء •وكان البيرونى يعلن النظرية التى قال بها

★ انظر بحث الدكتور شاكر مصطفى : اثر العرب فى حضارة الغرب والعالم •

كوبرنيك من بعد : ان الارض تدور حول الشمس وليس العكس • وكان الحسن بن الهيثم يكتب للناس قوانين الضوء ويجرى التجارب على المرايا والعدسات المخروطية والكروية والاسطوانية ، وعلى آلة التصوير •

ليس هذا فقط ••

كان فى دكان نساخ واحد فى قرطبة ١٧٠ جارية تعمل بالنسخ • وفى مكتبة بنى عمار بطرابلس كان يعمل ٨٠ نساخا ليل نهار ،لاثراء المكتبة واغنائها • وكان ابن النديم ينشر فى بغداد كتاب الفهرس يجمع به اسماء خمسة آلاف مجلد مما الف أبناء القرآن ، فى الفلسفة والفلك والطب والرياضيات والفيزياء والكيمياء والتاريخ والادب والدين• فى وقت اصدرت فيه هيئة الدومينيكان باوروبا قرارا يحرم على الاعضاء دراسة الفلسفة او تعاطى الفنون والعلوم • وبينما نبلاء اوروبا يتحايلون على التهرب من هذا الفن العسير : القراءة والكتابة • وبينما دير القديس جالان لم يكن قد عرف فى عمره الذى يمتد قرونا راهبا واحدا يقرا ويكتب •

فى ذلك الزمان ايضا ، زار واحد من ابناء القرآن هو الرحالة الطرطوشى • بلاد الفرنج، وهو المسلم الذى يتوضأ خمس مرات فى اليوم، فدهش للقذارة التى رآها عندهم • حيث لم يكن الواحد منهم يستحم الا مرة او مرتين فى السنة ، ولا تغسل الملابس حتى لا تتمزق • حتى روت احدى قصصهم ان فتاة كانت تباهى حبيبها بانها استحمت فى السنة الماضية !

كان أبناء القرآن يحفظون ان النظافة والايمان ، وكان الاخرون يقولون ان العناية بالجسد خطيئة وان القذارة مظهر العفاف والتقوى •

هكذا كان ابناء القرآن ، وهكذا كان الاخرون •

الآن هم على سطح القمر ، واقدامنا مغروسة فى قاع المستنقع !

والقرآن هو هو لم يتغير ولم يتبدل !!

●

فى القرآن « المتهم » نقرا :

« ان عليك الا البلاغ » (الشورى) ـ« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » (الرعد) ـ « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » (هود) •

ونقرا ايضا : « وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » (الشورى) •

ونقرا : « وان ليس للانسان الا ما سعى ،وان سعيه سوف يرى » (النجم) ـ و «••هل يجزون الا ما كانوا يعملون » ؟ (الاعراف) •

فى الاسلام ، ليس الانسان اسير قبضة« الكارما » التى تسلبه ارادته ، كما كان يقول الهنود القدماء • وليس هو العاجز الذى تسلط الالهة رسولها « نمسيس » لينتقم منه اذا اختار ، كما كان يقول اليونان • وليس هو ضحية « الطالع » كما كان يقول البابليون• اذا ولد تحت واحد من نجوم السعد كتبت له السلامة ، واذا ولد تحت احد نجوم النحس فهو ماض الى النهاية على طريق الندامة •

الانسان فى الاسلام « كرمه الله »••« وسخر له ما فى السماوات وما فى الارض »• وفى فقه المسلمين هو « مخلوق مكلف » ،او « مخلوق على صورة الخالق » • حتى قال المعتزلة ان البشر هم الذين يصنعون مصائرهم،واختلف معهم « الجبرية » الذين اعتبروا ان الانسان مسير وليس مخيرا ، وهو ما اعتبره الامام محمد عبده « هدم للشريعة ومحو للتكاليف ، وابطال لحكم العقل البديهى » •

وها هو واحد من أعلام الصوفية تبلغ به الثقة في نفسه وفي الله حدا يدفعه الى القول : بأنه يقاوم الاقدار بالاقدار !

●

ولعلنا نستطيع الان ان نجيب على السؤال : ما الذي جرى اذن . لماذا كان الصعود ولماذا كان السقوط ؟

باختصار وتبسيط شديدين : كان بيدنا سلاح ، استخدمناه مرة للانتصار ، واستخدمناه بعد ذلك في التقهقر والاحتضار ! .. ثم جاء زمن لم يملك فيه أحد شجاعة محاسبة الذين يحملون السلاح، فكان المخرج أن يحاكم السلاح ذاته !

ويضيف هنا عبد الرحمن الكواكبي « ان البلية فقدنا الحرية.. والحاصل ان تقصيرات العلماء الاقدمين واختصارات المتاخرين وتباعد المسلمين الى الان عن العلوم النافعة الحيوية ، جعلتهم احط بكثير من الامم » .

وقد تتعدد الاراء في رصد الاسباب وقد تختلف ، لكن ما لا خلاف حوله هو أن القرآن بريء مما هو منسوب اليه .

ولا بد هنا ان نتامل جيدا ماذا فعل الاسرائيليون بالتوراة. من حصاد أساطيره وخرافاته، وكل ما فيه من فكر عنصري متخلف . كيف شهروه في وجه الجميع ، وتحصنوا به ، ثم حولوا خرافاته الى دولة ، وطوعوا أساطيره تخدم المتوسع في كل اتجاه .

لو أنها مسالة « كتب » ، وفعل الاسرائيليون ما فعلوه بالتوراة ، بكل ما فيها . ماذا كان ينبغي أن نفعل نحن والقرآن بين أيدينا ؟

●

لقد صدق أمير المؤمنين عثمان بن عفان عندما قال : « ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . وفي قوله الكفاية والخلاصة.

وان كان لي ان اضيف هنا فانني اقول بغير تردد ان « حالنا » الذي بلغناه هو من مسئولية السلطان لا القرآن . واننا نستطيع فعلا ان ننتصر بالقرآن ، كما أننا نستطيع ان ننتحر بالقرآن . المهم هو ما نختاره ونقرره نحن . ما نعد أنفسنا من أجله . ما نسعى جادين لتحقيقه .

وتلك مسئولية « السلطان » بالدرجة الاولى ، ويأتي بعد كل من يمارس « سلطانا » سياسيا أو فكريا في الامة .

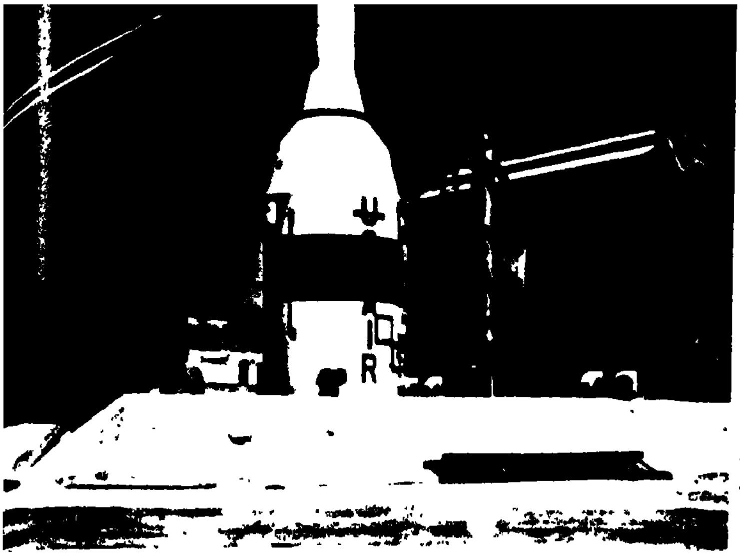
ولا عجب والامر كذلك اذا كان السلف من المسلمين قد ثار بينهم جدل طويل وحاد حول هذا السلطان ، حتى ذهب بعضهم الى اعتبار الامامة اهم من التوحيد في عقيدة المسلم ! وافتى آخرون بأن السلطان الكافر العادل افضل من المسلم الجائر .

ثم اسمحوا لي أخيرا بأن أسأل : هل القرآن موجود فعلا بيننا ؟ .. أعني بأي قدر يساهم في صنع حياتنا الان ؟

واذا اذن لي أن أجيب ، فانني أقول : ان القرآن محبوس فعلا في قفص حديدي ، وان المعتمد منه فقط هو بعض الصفحات ، بل بعض الكلمات ، التي توظف وتطوع لخدمة أوضاع قائمة .

الذين يرفضونه يريدون ان يحاكموه ، والذين يخشونه سعداء لبقائه في القفص .

وعندما يطلق سراح القرآن ، سوف يطلق سراح هذه الامة !!



بعـــد سقوط
القمـــر النووى
فـــوق كنـــدا

صاروخ عابر للقارات يرتفع من بئره

آخر صيحة فى عالم التجسس

بقلم : المهندس سعد شعبان

- الاقمار الصناعية أغنت عـن جهود آلاف الجواسيس •
- الصور الفضائية تفضح كل مافوق سطح الارض وماتحته ايضا •
- التصوير من الفضاء لا يحول دونه سواد الليل الحالك •
- لماذا لجأت الدول الكبرى الى اخفاء صواريخها العابرة للقارات فى آبار تحت الارض ، وفى جوف الغواصات ؟

● اضافت الاقمار الصناعية الى فن التجسس أبعادا جديدة ، اضفت عليه صفة الشمول ، واسلوب الدقة •ولم يعد التجسس حنكة عسكرية تعتمد على المهارة الفردية ، والعمل السرى الذى يتم فى الخفاء، بل اصطبغ بصبغة جديدة وانطلق الى آفاق اوسع وارحب •

ولذلك ما أن بدأ سيل الاقمار الصناعية السوفيتية والامريكية ينهمر ليتخذ من الفضاء حلبة لمباراة حامية الوطيس بين الدولتين الكبيرتين، حتى بدأت كل منهما تطلق اقمارها الصناعيةذات الاغراض العسكرية الخاصة ، التي شاءوا ان يطلقوا عليها اسماء « اقمار الانذار المبكر » او الاستطلاع ، ولم يفصحوا عن مهامها الفضائية • لكن ابقاء حركة هذه الاقمار طي الكتمان ، شيء مستحيل الحدوث ، لان محطات المراقبة الارضية ترصد كل حركة جديدة في السماء ، وحركةالاقمار الصناعية تفضحها أستار الليل ، اذ يبدو القمر الصناعي كنجم يتجول بين النجوم الثوابت ، ويتخذ لنفسه مسارا ، في خط مستقيم •

وكل ما تذيعه الاقمار الصناعية من اذاعات ، تلتقطه الدول الاخرى وتتسمعهعندما تريد • لذلك بقيت لعبة التوازن بين الكتلتين كصمام أمن لتجسس كلمنهما على الاخرى• وانصرف فكر علماء كل كتلة الى اتخاذ الوسائل المضادة لاخفاء ما لا يمكن للاقمار الصناعية فضح اسراره••لان تفاصيل كل ما على الارض ، اصبح في متناول صور هذه الاقمار •

صور تفضح كل شيء

تدور الاقمار الصناعية على ارتفاعات عالية تبلغ مئات أو آلاف الكيلومترات ، لذلك فالصور الماخوذة بالاقمار الصناعية يمكن أن تغطي رقعة شاسعة من الارض ، قد تشمل قارة باكملها • ويمكن ان تلصق صور المساحات الكبيرة بجوار بعضها لتكون ما يعرف في فن الاستطلاع الجوي باسم « الموزاييك » الذي تتكون منه صور المعالم الممتدة فوقها •

والصور الماخوذة من مثل هذه الارتفاعات الشاهقة ، لا يمكن ان توضح اي شيء ولا تبدو عليها المعالم الارضية الا كمثل حبات الرمل السوداء موزعة فوق صفحة من الورق • ولكن تكنولوجيا الفضاء واكبتها تكنولوجيا اخرى لتكبير اجزاءهذه الصور في تسلسل مرة بعد اخرى حتى يستبين فيها كل شيء الى حد يعجز العقل عن تصديقه • فالصور الماخوذة من قمر صناعي يحلق على بضع مئات من الكيلومترات فوق الارض ، يمكن ان توضح المسامير المعدنية التي في جوانب كشك خشبي ، والمفصلات المعدنية التي تمسك بجوانب أبوابه • كما ان بعض الاقمار الصناعية وسفن الفضاء استطاعت ان تصور سطح القمر من على أبعاد كبيرة ، واصبح كل حجر على سطح القمر مهما صغر الى حد ربع متر ارتفاعا ، وكل فوهة قمرية مهما صغر قطرها حتى اقل من المتر في متناول أجهزة التصوير القمرية ، ومن ثم يمكن تصوير المعالم الارضية بنفس الدقة• لذلك اصبحت الميزة الكبرى لفن الاستطلاع الجوي هي جعل كل شيء فوق الارض ، مكشوفا لعدسات أجهزة التصوير في الاقمار الصناعية • وبعض هذهالعدساتبانورامية ، وبعضها الاخرتليفزيونية• واذا كانت أستار الظلام يمكن ان تغطي كل شيء على الارض ، ويصبح خافيا عن أعين المتطلعين والمتلصصين ، فاستار الظلام هذه محصورة على ظواهرنا الارضية ، والفضاء كله خارج الغلاف الجوي للارض ظلام في ظلام • وان كان الظلام يكسو نصف الكرة الارضية كل حين ، فان حلكة سواد الليل لا تقف حائلا أمام بعض عدسات التصوير في الاقمار الصناعية • فبعض هذه العدسات تستطيع تصوير المعالم الارضية التي يلفها الليل بسواده ، لانها لا تلتقط حزم ضوء الشمس الذي يغمر الارض في النهار ، ولكنها تلتقط ما يصدر من سطح الارض من « أشعة تحت الحمراء » • وهي اشعةتفضح طبيعةما تصدر عنه من أجسام ، وتتفاوت من المعدن الى الارض اليابسة الى الارض الرطبة • ولذلك تحت أستار ظلمات الليل الحالكة يمكن ان تظهر صور الاقمار الصناعية ما على الارض من معالم ، نتيجة لما ينبعث منها من اشعاعات حارة ، هي الاشعاعات تحت الحمراء ولذلك اخذ فن تفسير الصور أبعادا جديدة ، وتعاظم شانه في دراسات العسكريين الذين لم يقف حائلا دون أعينهم المتجسسة تمييز صاروخ ، عن مطار ، عن بارجة وسط المحيط ، عن حركة أرتال السيارات فوق الطرقات •

وتغيرت خطط الدول العظمى

أمام هذا التقدم المذهل في هتك الاسرار من الفضاء ، لم يعد فن الاخفاء والتمويه الذي كان سائدا في الحرب التقليدية قادرا على الصمود امام فن متطور للاستطلاع الجوي ، لا يحجبه الظلام او تحول عن تبين تفاصيله الجدران والاستار •

ولذلك لم يعد هناك معنى لوجود شباك التمويه ، والدهانات المتعرجة التي تحاكي البيئة ، او الموانع الحصينة التي تختفي وراءها الطائرات او المدرعات امام أعين استطلاع الاقمار الصناعية ، فكلها يمكن ان تفضح ما تحتها .

وازاء ذلك بدات الدول الكبرى في تغيير تكتيكاتها لاخفاء اهم اسلحتها وهي الصواريخ والطائرات . فالصواريخ لم تعد تترك شامخة فوق سطح الارض ، بل اصبح لزاما تجهيز مآو معصنة لها تحت السطح . تهبط اليها بالمصاعد الكهربية ، وترفع بها ايضا خلال دقائق . واصبح لكل صاروخ مهما كبر « بئر » يمكن ان تخفيه بكامله تحت الارض ، ويتصل بهذا غرف تضم أطقم التحكم في رفع وخفض الصاروخ ، وتشغيله وتجهيزه للاطلاق . كما اتجه تفكير بعض الاستراتيجيين الى اخفاء بعض الصواريخ داخل الغواصات الذرية . واشتهر من هذه الانواع الصاروخ الامريكي العابر للقارات « بولاريس » ، ومن بعده الصاروخ الامريكي ايضا « بوسيدون » . فالغواصات تحت سطح الماء ، لا تستطيع موجات الرادار ان تفضح مكانها ، ولها بطبيعتها خاصية مرونة الحركة التي تجعل اهداف العدو البعيدة في متناول مدى هذه الصواريخ عندما تفاجئها بالانطلاق من بعيد ، بعد ان تطفو على سطح الماء .

كما عمدت الدول المتقدمة الى بناء تحصينات خرسانية لطائراتها لتحميها من القصف ولتحجبها الى حد ما عن عدسات الاستطلاع المضاد ، وعمدت بعض الدول الاخرى الى اقامة المطارات المختفية بكاملها تحت سطح الارض ، او المنحوتة في بطون الجبال .

مباراة حامية الوطيس

توالى اطلاق اقمار التجسس العسكري منجانب كل من الولايات المتحدة الامريكية ، والاتحاد السوفييتي . ولم يبنهما في هذا المضمار دول اخرى لان تكاليف المباراة تتطلب اموالا كثيرة . وقد اشتهر من الاقمار الصناعية الامريكية سلسلة اقمار « ميداس » Midas ، ثم سلسلة اقمار « ساموس » Samos ثم سلسلة اقمار « فيلا » Vela . وبعض هذه الاقمار كان يمكن انتشاله بعد اداء مهامه في الفضاء ، وبعضها الاخر قدر ان يكون عمره خمس عشرة سنة . وكان بعضها



صورتان من الفضاء

مخصصا للكشف عن التفجيرات النووية التي تحدث في الجو ، او تحت الارض . فالاجهزة التي فيهذه الاقمار تستطيع اكتشاف مصادر تركيز الاشعاعات السينية واشعة جاما واشعاعات النيوترونات التي تعقب الانفجارات النووية فوق الارض، والاهتزازات التي تحدث في القشرة الارضية عند حدوث هذه الانفجارات تحت سطح الارض او الماء .

وفي الجانب السوفييتي مازالت سلسلة اقمار « كوزموس » Cosmos تتوالى حتى يومنا هذا، وقد زاد عددها عن ٩٠٠ قمر . وكثير من اقمار هذه السلسلة اطلق لاغراض التجسس العسكري ، من اهمها الانذار المبكر باطلاق الصواريخ العابرة للقارات والتقاط الصور لكل ما يجري على الارض . ولذلك لا يعلن عن اطلاق كثير من هذه الاقمار ، ولا تعطى اية تفاصيل عن الاجهزة التي تحويها والتي تعتبر قمة فيتكنولوجيا التصغير لكي يحتويها الحجم المحدود لجسم القمر ، وتكنولوجيا التصوير تستخدم فيها كاميرات ذات عدسات قوية .

بعد جديد في الفضاء

في اوائل السبعينات بدا فيعالم الفضاء تطبيق



توضحان قارة باكملها

ظاهـرة جديدة ، هى ظاهـرة « الاستشعـار من بعد » • وبدات تتوالى الى اعالى الفضاء اقمار « اكتشاف الموارد الارضية » • ويعتمد تطبيق هذه الظاهرة على التقاط ما يصدر عن الاجسام التى على الارض من موجاتحارة هى فىطبيعتها موجات تحت حمراء لها سرعة تموج خاصة • ولذلك تزود عدسات هذه الاقمار بمرشحات لا تلتقط غير هذه الموجات • وتتفاوت درجات وضوح الصور الماخوذة بهذه الظاهرة ، بتفاوتدرجة حرارة الجسمالصادرة منه • فالاجسام المعدنية تصدر عنها موجات تحت حمراء شديدة التركيز اكثر من مياه البحر لانهـا تختزن خلال تعرضها لشمس النهار كمية كبيرة من الحرارة اكثر مما تختزن المياه ، لان درجة توصيلها للحرارة اكثر منها • ومن ثم نجد ان الاراضى الصحراوية تظهر فى مثل هذه الصور اكثر وضوحا من الاراضى الزراعية ، وكذلك الجبال التىتحتوىمعادن دفينة ،عنالاراضىالقاحلة•

وبظاهرة الاستشعار من بعد ، وجد بعد جديد فى انجازات الفضاء حيث لم تعد الصور الفضائية قادرة على كشف ما فوق سطح الارض فحسب ، بل اصبحت قادرة على التغلغل الى معرفة ما تحت هذا السطح مـن تكوينـات • فقد امكـن تمييز الترسيبات المعدنية والتكوينات الصخرية فى باطن التربة وامكن التكهن باكثر احتمالات وجود المياه الجوفية وآبار البترول فى باطن الارض •

كما امكن تمييز الفوالق الارضية والشروخ فى التكوينات الجيولوجية الى اعماق كبيرة • ومن ثم تطرقت انجازات الى عالم الجيولوجيا ، واصبحت فى خدمته • والى عالم التعدين والتنقيب عن البترول والميـاه • ومـن ثـم انقلـب التجسس العسكرى الى خدمة الاغراض السلمية • ■ ■

القاهرة ـ مهندس سعد شعبان

عضو لجنة الفضاء باتحاد الطيران الدولى بباريس

اقال ماثورة

■ من العدل اصدار حكم على الناس عندما يكونون فقط فى احسن احوالهم • وليام آرثر وورد •

■ ليس من الضرورى ان تعرف كيف تغنى ، ولكن شعورك بانك تريد ان تغنى يجعل يومك ناجحا مونتا كرين •

■ الحب يشبه الزئبق فى اليد ، وهو يبقى حتى لو تركت اصابع اليد مفتوحة ولكن عندما تضغط عليه باحكام فانه يندفع بقوة • دروثى باركـر •

■ من السهل على مجموعة منالاشخاص ان يعقدوا اجتماعا ، ولكـن من الصعب عليهم ان يتفقوا د • ف

رجــــل القوميــة العربيــة

محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم وهو رسول الانسانية ، كانت اول عنايته موجهة الى قومه وكانت دعوته على ترتيب حكيم بديع ، لا يمكن ان يتم اصلاح ـ انسانيا ، او شعبيا ـ الا بمراعاته • فكان اول دعوته لعشيرته ، لقوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين » فلما نزلت صعد الصفا ثم نادى « يا صباحاه » ـ وكان دعوة الجاهلية اذا دعاها الرجل اجتمعت اليه عشيرته ـ فاجتمعت اليه قريش عن بكرة ابيها ، فعمّ وخصّ فقال : « ارايتكم لو اخبرتكم ان العدو مصبحكم اكنتم مصدقي ؟ » قالوا : « ما جربنا عليك كذبا » • قال : « فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد • يا بني كعب بن لؤي ، يا بني مرة بن لؤي ، يا آل عبد شمس ، يا آل عبد مناف ، يا آل هاشم ، يا آل عبدالمطلب ، يا صفية ، يا فاطمة ، سلوني من مالي ما شئتم ، واعلموا ان اوليائي يوم القيامة المتقون ، فان تكونوا يوم القيامة مع قرابتكم فذلك • واياي ، لا ياتي الناس بالاعمال ، وتاتون بالدنيا تحملونها على اعناقكم ، فاصد بوجهي عنكم ، فتقولون : « يا محمد » فاقول هكذا ـ وصرف وجهه الى الشق الآخر ـ « غير ان لكم رحما سابلها ببلالها» •• ثم وجه دعوته الى بقية العرب لقوله تعالى : « لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك » وهم عامة العرب ، فكان يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج وما يتصل بها من اسواقهم ، ثم عمم دعوته ، لقوله تعالى : « لأنذركم به ومن بلغ » فكاتب ملوك الامم • وقد عمت دعوته العرب ، وتهيأ امرهم لعموم دخولهم في الاسلام وكان ذلك ايام هدنته مع قريش قبيل فتح مكة • ثم تجد اكثر السور المكية قد وجه فيها الخطاب الى قريش والى العرب وعولجت فيه مفاسدهم الاجتماعية ، وضلالاتهم الشركية ، وما كان منهم من تحريف وتبديل لملة ابراهيم ، فكان اول الاصلاح متوجها اليهم ، ومعنيا بهم ، حتى ينتشلوا من وهدة جهلهم وضلالهم وسوء حالهم ، وتستنير عقولهم، وتتطهر نفوسهم ، وتستقيم اعمالهم ، فيصلحوا لتبليغ دين الله وهدى رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للامم بالقول والعمل • ثم لاجل ان يشعروا بان القرآن هو كتاب هداية لهم كلهم ، وان الرسول لهم كلهم ـ انزل القرآن على سبعة احرف ، فعم جميع لهجاتهم ، وكان النبي يخاطبهم بتلك اللهجات ، وينطق بالكلمات منها ليست من لهجة قريش • وكان في هذا ما اشعرهم بوحدتهم ، بالتفافهم حول مركز واحد ينتهون كنهم اليه ، ويشتركون فيه • وقد نبه على هذا المعنى قوله تعالى : « وانه لذكر لك ولقومك ، وسوف تسئلون » فاخبره ان القرآن شرف له ولقومه ـ نزل بلغتهم ، ونهض بهم من كبوتهم ، واخرجهم من الظلمات الى النور ، وهيأهم لهداية الامم ، وانقاذها من الهلاك ، وقيادتها لعزها وسعادتها ـ وانهم يسئلون عن هذه النعمة • يقول هذا ليعملوا بالقرآن ويعلموا ان شرفه انما هو للعاملين •



للامام الجزائرى عبد الحميد بن باديس

١٨٨٩ ـ ١٩٤٠ م

على ان العرب رشحوا لهداية الامم ، وان الامم التي تدين بالاسلام وتقبل هدايته ستتكلم بلسان الاسلام وهو لسان العرب ، فينمو عدد الامة العربية بنمو عدد من يتكلمون لغتها ، ويهتدون مثلها بهدى الاسلام . علم هذا فبين ان من تكلم بلسان العرب فهو عربي وان لم يتحدر من سلالة العرب ، فكان هذا من عنايته بهم ، لتكثير عددهم ، لينهضوا بما رشحوا له . بين هذا في حديث رواه ابن‌عساكر في تاريخ بغداد بسنده عن مالك‌الزهرى عن ابى سلمة بن عبد الرحمن قال : (جاء قيس بن مطاطية الى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومى وبلال الحبشى فقال : هذا الاوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل (يعني النبى) فما بال هذا » يعني الفارسي والرومي والحبشي : ما يدعوهم الى نصره وهم ليسوا عربا مثل قومه ؟ »فقام اليه معاذبن جبل ـ رضى الله عنه ـ فاخذ بتلابيبه (ما على نحره من الثياب) ثم اتى النبى ـصلى عليه واله وسلم ـ فاخبره بمقالته فقام النبى معضبا يجر رداءه ، لما اعجله من‌الغضب ، حتى اتى المسجد ، ثم نادى :« الصلاة جامعة » ليجتمع الناس ، وقال : « أيها الناس ، الرب واحد والاب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية باحدكم من اب ولا ام ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى » فقام معاذ فقال : فما تامرني بهذاالمنافق يا رسول الله ؟ قال : « دعه الى النار » فكان قيس ممن ارتد في الردة فقتل .

تكاد لا تخلص أمة من الامم لعرق واحد ، وتكاد لا تكون أمة من الامم لا تتكلم بلسان واحد ، فليس الذى يكون الامة ويربطاجزاءها ويوحد شعورهاويوجهها الى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة وانما الذى يفعل‌ذلك هو تكلمها بلسان واحد : ولو وضعت اخوين شقيقين يتكلم كل واحد منهما بلسان وشاهدت ما بينهما من اختلاف نظر ، وتباين قصد ، وتباعد تفكير ، ثم وضعت شاميا وجزائريا مثلا ـ ينطقان باللسان العربى ورايت ما بينهما من اتحاد وتقارب في ذلك كله ، لو فعلت هذا لادركت بالمشاهدة الفرق العظيم بين الدم واللغة في توحيد الامم .

فانظر بعد هذا الى ما قرره هذا النبي الكريم ، رسول الانسانية ورجل القومية العربية ، في الحديث المتقدم فقضى بكلمته تلك‌على العصبية‌الضيقة المفرقة،فنبه‌على‌تساوى البشر فى انهم كلهم مخلوقون لله ، فربهم واحد ، وانهم كلهم من عنصر واحد،فابوهم‌آدم واحد ، وذكر باخوة دين الاسلام : دين الاخوة البشرية والتسامح الانسانى ، ثم قرر قاعدة عظمى من قواعد العمران والاجتماع في‌تكوين‌الامم . ووضع للامة العربية قانونا دينيا اجتماعيا طبيعيا لتتسع دائرتها لجميع الامم التى رشحت‌لدعوتها الى الاسلام بلغة الاسلام.

كون رسول الانسانية ورجل القومية العربية امته هذا التكوين المحكم العظيم‌ووجهها لتقوم للاسلام والبشرية بذلك العمل الجليل . فلم يكونها لتستولى على الامم ، ولكن لتنقذهم من سلطة المتسولين باسم الملك او باسم الدين . ولم يكونها لتستخدم الامم في مصالحها ، ولكن لتخدم الامم في مصالحهم .ولم يكونها لتدوس كرامة الامم وشرفها ولكن لتنهض بهم من دركات الجهل والذل والفساد ، الى درجات العز والصلاح والكرامة . وبالجملة : لم يكونهم لانفسهم بل كونهم للبشرية جمعاء . فبحق قال فيهم الفيلسوف العظيم غوستاف لوبون : « لم يعرف التاريخ فاتحا ارحم من العرب » ، نعم لانهم فتحوا فتح هداية لا فتح استعمار ، وجاءوا دعاةسعادة لا طغاة استعباد . ■■

عين جالوت

برغم الهزيمة والتمزق : الانتصار ممكن !

بقلم : شريف جيوسى *

تجربة معركة عين جالوت تؤكد لنا أنه برغم كل شيء - برغم الهزيمة وتحالفات الاعداء - فان الانتصار ممكن حتى على كل جيوش التتار فى التاريخ البعيد والقريب!

■ وقعت معركة عين جالوت عام ١٢٦٠ م ، عند موقع مستنقعات عين جالوت ونهر الاردن فى فلسطين ، بين الغزاة التتار من جهة بقيادة « كتبغا » معلم هولاكو ، وبين العرب بقيادة قطز ملك مصر وبيبرس ٠٠ من جهة اخرى ٠

وقد أسفرت المعركة عن انتصار العرب ، بعد اعداد مادى وتعبوى وعسكرى كبير ، وقد كانت نتيجة الحرب على هذا النحو ، تحولا هاما وسلبيا فى غير صالح العمليات الحربية للتتار وتوسعهم ٠٠ أوقف المد التغريبى التترى فى المنطقة العربية ، ودرأ عن مصر وسائر المنطقة العربية خطرا جسيما لو انتصر التتار ٠

كان الوطن العربى آنذاك مجزءا ومحتلا فى بعض اقطاره - فالعراق سحقه المغول واستباحوا عاصمته بغداد ، وسواحل فلسطين تنوء بالاحتلال الصليبى ، وفى سورية أكثر من ملك وأمير ٠٠ فالملك (المعظم توارن شاه) أمير حلب ، والملك المنصور صاحب حماه ، والملك الناصر صاحب دمشق وغيرهم ٠٠ ومصر دولة مستقلة لكنها (متباعدة) سياسيا عن باقى اقطار المنطقة العربية ٠

وفى شرق الوطن العربى ، كانت تقوم الدولة الخوارزمية التركية ، وأوربا المسيحية تشن ضد المنطقة حروبا صليبية متتالية ، اما التتار فقد كانوا يسعون لمسح ما تبقى من حضارة وبشر فى الشرق العربى وأوربا الغربية (بعد احتلال روسيا وأوربا الشرقية وبعد احتلال بغداد وتدميرها ٠٠)٠

وبعد وصول التتار (أبواب) أوربا الغربية ١٢٤٠ م ، - تحولوا باتجاه سورية فاحتلوا حلب ودمشق وانطلقوا يبتغون مصر ٠

فى هذه الاثناء جرت محاولات صليبية حثيثة للتحالف مع التتار ٠٠ وكان واضحا أنه لو تم هذا التحالف على ارض الواقع واخذ مداه التطبيقى ، فربما تغير وجه التاريخ ٠

التحالف الصليبى - التتارى

١ - بعث البابا انوسنت الرابع عام ١٢٤٥

★ عضو اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ٠

بالراهب جيوفني بيانوكر بيني الى خان المغول « الاعظم » ، يعرض عليه اتحاد المغول والصليبيين (على اتراك خوارزم) ، وقد رد عليه الخان المغولي بعنجهية ، بأن طلب خضوع البلاد المسيحية للمغول !! .

اما لماذا بعث « انوسنت » يعرض هذا التحالف ضد خوارزم ، فلذلك قصة سنأتي على ذكرها لاحقا ، وواضح ان انوسنت المتطرف ، فضل التحالف مع التتار لاعتبارات (داخلية - صليبية) ، تتعلق بخلافه مع فردريك الثاني الذي دعا «انوسنت» الى شن حرب صليبية ضده ، وبالرغم من وساطة « لويس التاسع » أو « القديس لويس » ملك فرنسا للتوفيق بينهما ، الا ان « انوسنت » اصر على موقفه برفض الوساطة ، وبعث لخان المغول على النحو الذى أسلفنا .

فقد سبق ان عقد فردريك الثاني امبراطور المانيا وايطاليا ، معاهدة مع الملك الكامل عام / ١٢٢٩ .. أعطى الكامل فردريك بموجبها مدن عكا ، يافا ، وصيدا ، والناصرة ، وبيت لحم وبيت المقدس ، ما عدا الصخرة المشرفة وما يحيط بها .. الى جانب الاتفاق على تبادل الاسرى والتعهد على المسالمة عشر سنين وعشرة اشهر ..

وبالرغم من ان الاتفاقية حققت للصليبيين ما عجزوا عن تحقيقه في مدى مائة عام ، الا انهـا لقيت معارضة .. ولدى عودة فردريك الى بلاده ، نقض نبلاء الصليبيين في فلسطين الاتفاق ، وعقدوا اتفاقا بين القوة « المسيحية » في مصر وامير دمشق ضد سلطان مصر عام ١٢٤٤ . ولذا استنجد سلطان مصر بأتراك خوارزم ، الذين هبـوا لنصرتـه ، واستولو على بيت القدس ونهبوه ، وبعد ذلك بشهرين هزم القائد بيبرس الصليبيين في غزة ، وسقطت بيت المقدس ثانيـة في أيـدى العـرب المسلمين .

ومن هنا جاءت دعوة انوسنت ، خان المغول ، للتحالف ضد الاتراك (خوارزم) الذين ساندوا سلطان مصر ضد التحالف الصليبي مـع اميـر دمشق .. وبالتالي مهدوا لاستعادة العرب المسلمين لبيت المقدس ..

هل يمكن القول بأن محاولة انوسنت للتحالف مع التتار ضد أتراك خوارزم وبالتالي ضد العرب المسلمين قد فشلت تماما ؟ ربما . لكن من الممكن القول ، ان التوسع التتارى في اوربا باتجاه الغرب قد توقف نهائيا بعد عام ١٢٤١ م ..

ب - اثناء فترة بقاء لويس التاسع ملك فرنسا في عكا (بعد اندحاره فـي المنصـورة في مصـر (١٢٥٠) بقي في عكا اربع سنوات يدعو أوربا للوحدة والانضمام اليه في حملة جديدة - وحين فشل في ذلك ، بعث الى خان المغول ، يعرض عليه للمرة الثانية ، دعوة انوسنت الرابع - لكن دعوته فشلت كسابقتها لكن (ابراهيم مصطفى المحمود) يرى في مؤلفه « تاريخ فلسطين العربى » غير ذلك ، فهو يقول : انه في المرحلة الثانية من المفاوضات التترية - الصليبية (١٢٤٨ - ١٢٤٩) توقفت حملة لويس التاسع في قبرص ، وكانت تتجه نحو مصر ، وهناك (أى في قبرص) استقبل لويس بعثة خاقـان التتـار (جغطي) ، وقـد انتهت المحادثات بتحالف تتارى - صليبى ضد العرب ، وعادت بعثة خاقان التتار ومعها بعثة فرنسية ، بغية التنسيق العسكرى بين الجيشين .

ج - بعد هزيمة لويس ، توجه الى عاصمة التتار الشرقية (قراقورم) وفد فرنسي ، برئاسة (جنيوم - دبروك) وقد استمرت المفاوضات في بلاط خان التتار (منكوقاان) خمسة اشهر ، توصلوا في نهايتها الى اتفاق .

د - نقل الصليبيون الاقليات الموالية لهم في دولة التتار (الاقلية النسطورية) ، واستخدموا احدى زوجات هولاكو النسطورية (دوقوز خاتون) للتأثير عليه .

ابعاد الخطر عن أوروبا

وقد انتهت محادثات وفد التتار برئاسة هولاكو، والوفد الصليبي برئاسة هيتوم ملك أرمينية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، بعقد تحالف استراتيجي « تترى - صليبي » ضد العرب .

ومن المنطقي أن نسجل هنا ، ان مساعي الصليبيين للتحالف مع التتار ، كان محركها ليس فقط عقد تحالف استراتيجي ضد العرب ، وكسب جولة عسكرية مشتركة ونهائية ، وانما ايضا دفع المغول عن اوربا الغربية ، وكانوا يومئذ قد اكتسحوا روسية بين عامي ١٢٣٧ ـ ١٢٤٠ ، واجتاحوا بولونيا ، وهنغاريا ، وتشيكيا ، وصربيا وبلغاريا .. ووصلوا الى ساحل الادرياتيكي ، وتوقفوا عام ١٢٤١ على عتبة اوربا الغربية (لانشغالهم في امورهم الداخلية بسبب موت خان المغول) وتوجيههم عن اوروبا ، نحو المشرق العربي ، الذي سيكون ايضا بتدميره على أيدي البرابرة التتار ـ هدفا أسهل للصليبيين الذين يشكلون احتلالا استيطانيا على النقيض من التتار .

ولعل مرد التوقف المؤقت للزحف المغولي المباشر الى قلب أوربا الغربية ، هو ما أورده (د . فرج) سابقا ..

لكن لماذا لم يستأنف الزحف المغولي فيما بعد ؟

لعل المبعث الحقيقي لذلك ، هو محاولات الصليبيين ، عقد حلف مع التتار ، وهذه المحاولات لم تنجح (وبخاصة الاولى) بقدر ما ، الا انها ربما نجحت في درء الخطر المغولي ، بوقفه وتحويله عن اوربا الغربية الى المشرق العربي ، والا فما معنى ان يستمر هنا المد باتجاه الشرق العربي دون الغرب الاوروبي ، الذي كان يعاني ايضا من تمزق داخلي وتخلف كبير .

لعل انشغال التتار في المشرق العربي ، ـ ان تم (بتوافق صليبي ـ تتاري) دون ان يعني ذلك بالضرورة انه قد تم بمواثيق وعهود مبرمة تماما ـ يحقق في حالة النصر او الهزيمة الهدف نفسه ، وهو : اشغال التتار عن الغرب ، والتقاط الغرب لانفاسه في مواجهة الخطر التتاري المحتمل او المتجدد ، تعريض المشرق العربي للخطر التتري المدمر وتسهيل اخضاعه للصليبيين ، وفي حال هزيمة التتار ، فالنتائج تكاد تكون نفسها ، بما في ذلك ان العرب سيكونون خارجين من معمعان حرب قاسية ضارية (وان انتصروا) ..

بل ان / ول ديورانت / تحدث صراحة بقوله عن نتائج عين جالوت بانها حققت (نجاة بلاد الشام للمماليك ، واحتفظت باوروبا للمسيحيين) .

وقد لاحظ ابراهيم مصطفى المحمود بوضوح ، غرض المرحلة الاولى من المباحثات (مساعي البابا انوسنت ١٢٤٥) باقناع التتار بتحويل مطامحهم عن اوروبا الى البلاد العربية .

وبهذا المعنى ، فقد ساهم الصليبيون بهذا القدر او ذلك في وقوع الغزو التتاري للمنطقة العربية ، وبالتالي في وقوع معركة عين جالوت ذاتها ، وان لم يكونوا يريدون النتائج على النحو الذي حصل .

عالم عربي ممزق

احتل التتار بغداد على نحو ما هو معروف .. في وقت كانت فيه سلطة الخلافة في العراق ضعيفة مهلهلة ، فانتهى الامر على نحو ماساوي مفجع وبربري .

عبر التتار نهر الفرات في هجوم خاطف ، وانسحب العرب باتجاه غزة ، وقد ساعد هذا الانسحاب في تحقيق تكاثف عسكري كبير مع احتياطي استراتيجي ملائم .

وقد تحقق ذلك فعلا (رغم سقوط حلب ودمشق) فقد انضم ملك دمشق الناصر وأمير حلب وصاحب حماة ، بعد تاخير نسبي لقوات التتار الزاحفة ، الا ان هولاكو الذي تابع اجتياز الفرات ، تمكن من احتلال حلب عام ٦٥٥ هـ وأسر مئة الف من مواطنيها .

وكادت تحدث كارثة بقبول الملك المنصور التركماني ملك مصر ـ الذي تولى الحكم بعد وفاة والده ، مراهقا ، شروط هولاكو ، لكن نائبه قطز ، رفض القبول بشروط هولاكو ، واستولى على السلطة في مصر ، واستطاع استقطاب زعيم المماليك الظاهر بيبرس ، وجرى تاميم الاراضي والضياع والممتلكات والاموال استعدادا للحرب ، ووضع ضريبة على كل فرد لحشد الطاقات اللازمة ، واقام مصانع الاسلحة وجهز أدوات النقل الضرورية للعرب في تلك الايام .

وجرى تنظيم حرب نفسية مضادة لحرب التتار

نسية ، ومنها قتل مائة جندي من الصليبيين ،
..وا فى طريقهم الى التتار لمناصرتهم ، والبس
بيبرس لباسهم لمئة من الجند العرب ، وارسلهم
مكانهم ، ليصبحوا بؤرا ثورية لبث الرعب عن
طريق بث الاشاعات فى صفوف العدو ، والتحدث
عن البطولات العربية ، وبغرض الاغارة على التتار
من الخلف ، بعد اضرام النار فى مضارب التتار ،
ورجمهم بالمنجنيقات التترية ذاتها •

وجرت تعبئة عامة الشعب فى المدن والقرى ،
ببث الدعاة والخطباء •• وهكذا توفرت كل الشروط
الملائمة من أجل انجاح الحرب :

وحده سورية ـ مصرية لمجابهة العدو •

جبهة داخلية متماسكة (تصفية الانهزاميين ،
التاميمات ، ورفع الروح المعنوية) •

حرب نفسية مضادة •

اعداد عسكرى ومادى مناسب للحرب

مناوشة العدو لعرقلة تقدمه ، والانسحاب الى
خطوط خلفية لتنظيم المجابهة ، تمهيدا للمعركة
الحاسمة ، وقد أرسلت مجموعة طليعية بقيادة
بيبرس نفسه ، وبدأت الحرب على شكل مناوشات
كر وفر واستنزاف قواته على شكل مجموعات
صغيرة •

الاستعانة بالسكان المحليين لا سيما الفلاحين
والعمال الفلسطينيين فى ارض المعركة المباشرة ،
فجرى تنظيمهم والاتفاق معهم حول شؤون الامداد
والمساعدة فى المجابهة ومشاغلة العدو ومطاردة
فلوله ••

تحييد العدو الصليبى وعدم قبول الصليبيين
كانصار او معاضدين خوفا من خيانتهم •

سير المعركة ومراحلها

انتهت المرحلة الأولى من الحرب العربية ضد
التتار فى سورية ، بتحييد الصليبيين ، وتحقيق
خسائر جزئية فى صفوف التتار الذين تجمعوا عند
العاصى ، وتابعوا تقدمهم نحو الجنوب •

عسكر العرب بجيشهم البالغ ٤٧٧ الفا ، عند
مستنقعات عين جالوت ونهر الاردن ، بحيث
يحمى حاجز مائى طبيعى ، جناح الجيش
العربى الأيمن ، مما يحول دون وقوع التفاف من
هذه الناحية ، ويضعف قدرته على المناورة ، ويؤمن
فى آن معا ، موردا مائيا ثابتا •

وجرى وضع مؤخرة الجيش العربى ، بعد فرجة
ضيقة ، بحيث يستطيع خيالة التتار العبور لها
لخلوها من المستنقعات ، واقيمت نقاط استناد
خلفية محكمة على شكل جيب من النبالة ورماة
المنجنيقات بحيث تطول التتار القذائف والسهام •
وخلف نقاط الاسناد،حشدت قوات المشاة السورية
الاحتياطية ، الذين اسندت لهم مهمة الانقضاض
والاجهاز على خيالة العدو بعد دخولها الفخ ••
ووضعت الخيالة المصرية ، خلف خط المواجهة لنجدة
النقاط الضعيفة فى قوات المشاة ، والتى يحدث
فيها خرق ، وزجها حسب ضرورات المعركة •

وفى الساعة الخامسة من ٣ ايلول عام ١٢٦٠م،
بدأت المعركة بقذف معسكرات التتار ومواقعهم
بالمنجنيقات من كل جانب ، وبالتعاون مع مجموعة
القتال خلف خطوط العدو (مجموعة المائة فارس)
التى افلتت من خيول التتار ، وبدأت ضرب الفلول
انفسهم بمنجنيقاتهم •

شن التتار هجوما عاصفا باتجاه الجيش العربى،
واخترقوا وسطه(كما هو مقرر حسب الخطة العربية)
فوقعوا فى الكمين المعد ، حيث تلقتهم المقذوفات
العربية واطبق عليهم الجناحان العربيان الأيمن
والايسر على شكل حلقة ومن لم طورد الفارون
بالاستعانة بالسكان الفلسطينيين المحليين •

لقد اضطر التتار ـ بعد سبع ساعات من
القتال ـ الى الانسحاب ، ذلك رغم اصابة القائد
العربى بجراح ، حاول التتار استغلالها نفسيا •

وحين اشتد الضغط على التتار ، شقوا طريقا
فى ميمنة الجيش العربى ، فتبعهم العرب
ووقع التتار فى الكمائن العربية المعدة سلفا من
السكان العرب ، فلم ينج منهم الا القليل واستمرت
المطاردة حتى العراق ، لكنها لم تتجاوزها ، خشية
انقضاض الصليبيين على المؤخرة العربية •

لقد فوجىء التتار لأول مرة ، انهم امام وضع مختلف : استعداد عسكرى مسبق وواسع ، خطة منظمة ومكان مدروس للمعركة ، وحدة داخلية ، حرب نفسية ، استعانة وتنظيم للسكان المحليين الخ .. وربما ساهم انشغال القائد التتارى (كتبغا) بالثورة التى جرت فى بلاده وبنتائجها .. الى جانب الغرور التتارى ، فقد بدا للتتار ، أنهم لن يهزموا ابدا بعد كل الانتصارات التى حققوها ـ ربما ساهم هذان الامران فى هزيمة التتار ، الى جانب العوامل العربية الذاتية المتمثلة فى الاعداد الواسع والمسبق للمعركة فى كل اتجاه .

لقد بدا لاول وهلة للتتار ان بلاد الشام ومصر ، هدف سهل ، كبغداد .. التى استسلمت بقيادة الخليفة المخدوع ووزيره التعس العلقمى .. لكن الامر فى مصر كان مختلفا ، فقد جرى التخلص منذ البدء من الجبناء وجرى التوحد مع بلاد الشام ، الامر الذى خلق بدايات معقولة للنصر على التتار .

استنتاجات ودروس

١ ـ ان الانتصارات التى تحققها قوة كبرى ضاربة (التتار) ليس مبعثها فقط قوة تلك القوة الضاربة ، وانما ضعف خصومها او تهاونهم وعدم استعدادهم واخذهم باسباب المواجهة والصمود بكافة اشكاله ، النفسى والداخلى والتعبوى والمادى ، وفى ارقى اشكاله العسكرى ـ الحربى .

وعندما تحققت أسباب المجابهة والصمود فى هذه المنطقة (رغم احتلال بعض اجزائها ـ الاحتلال الاستيطانى الصليبى) ورغم سقوط العراق كعمق جغرافى واقتصادى وبشرى وتمزق المنطقة ، الذى لم يكن بعد بعيدا عندما جرت معركة عين جالوت ، فان النصر بات مؤزرا ، بالاعداد والتغلب على السلبيات .. الامر الذى يؤكد ايضا ، ان الثقة بالذات والاعتماد عليها والاستمرار فى الاستعداد والعطاء الوطنى ، كل ذلك كفيل فى النهاية أن يخلق وضعا ملائما .

٢ ـ ان الصمود العربى فى عين جالوت ، وما سبقه من اعداد لم يدرأ فقط عن العرب مخاطر تدمير بلاد الشام ومصر فحسب ، وانما وقى باقى المنطقة العربية من اخطار ماثلة وماحقة ، وربما كانت (محتمة) ، كما درأ عن الحضارة عموما والغرب الأوربى أيضا ، مخاطر كان يمكن ان تتوجه بالتتار اليه (أى الى الغرب الأوربى) فيما لو انتصر التتار ، ولكن عين جالوت ، كانت بمثابة بداية نهاية المد التترى الذى اكتسح العالم ، بربرية وتدميرا وتخريبا .

٣ ـ ان محاولات التحالف المعادية للشعوب (التحالف التتارى ـ الصليبى) لاتستند فى الاساس الى ارضية صلبة واقعيه ، باستثناء الارضية العدائية للشعوب (وهنا للمنطقة العربية) مع تناقضات هائلة فى المصالح ، وهى تحالفات هشة فى حقيقتها ، يمكن كسرها والالتفاف عليها ، وهذا ماحدث فعلا (تحييد الصليبيين ـ الذين كانت لهم أيضا مصلحة فى استمرار الصراع ثنائيا لاضعاف الطرفين ـ واستثمار مناصرة الصليبيين بالمائة فارس على نحو رائع ، ساهم فى تحقيق النصر ، على النحو الذى أسلفنا) .

ويذكرنى التحالف الصليبى ـ التتارى ، بتحالف الامبريالية والثورة المضادة عموما التى تقوم فيما بينها تناقضات حقيقية ومنافسات ليست شريفة على الاحتكار والأسواق ومناطق النفوذ الخ .. ولكن شيئا واحدا يوحدها ، هو العداء للشعوب ، والانشغال بالعداء لها (العداء للشعوب) عن الصراع فيما بينها ، بين أطراف الامبريالية .

واذا امكن معرفة هذه المسالة كما هى ، اصبح التحالف المضاد للشعوب هشا (كما حدث بالنسبة للتحالف التتارى ـ الصليبى) بل يمكن الالتفاف عليه فى صالح الشعوب المقاومة .

٤ ـ ان المنطقة العربية ، محل مطامع ومطامح دولية وتاريخية قديمة جدا ، واخالها ستظل كذلك (فاسباب هذه المطامع والمطامح فى ازدياد) وان أية استراتيجية لاتاخذ ذلك بعين الاعتبار ، هى استراتيجية فاشلة ستؤدى بنا الى الانحدار بدلا من الانتصار ـ ومواجهة الأطماع الخارجية تكون بحاجة حتما لاستراتيجية شاملة فى مستوى الاطماع ـ ولان استراتيجية مواجهة التتار كانت متقدمة فى عصرها ـ كان مؤزرا والهزيمة التى غيرت مجرى تاريخ التتار على الاقل . ■■

ترجمة : شريف جيوسي



ندوة العقاد في حديقة الحيوان

بقلم : محمد خليفة التونسي

زميلنا الاستاذ محمد خليفة التونسي رافق مفكرنا الكبير عباس محمود العقاد ـ الذى تمرذكرى وفاته (١٢/٣/١٩٦٤) هذا الشهر ـ طوال ٣٢ عاما ..وهو هنا يسجل صفحة من ذكرياته فى ندوة العقاد الاولى.

■ لم اعرف الا فى وقت متاخر انى ـ حين اتصلت بشيخى ، وبدات اتردد على مجالسه ـ قد انضممت الى حديقة من حدائق الحيوان ، وانى ظفرت بكرامة لا يزهد فيها عاقل حين صرت فى مخلوقاتها العجيبة الممتازة . هذه الحديقة أعجب حدائق الحيوان فى تاريخ العالم قديما وحديثا ، او أعجبها عنوانا على الاقل ، فالجماعات الشبيهة بها كثير فى تاريخ امتنا ، وتواريخ الامم الاخرى منذ آلاف السنين ، ولكن جماعة منها لم تتخذ هذا العنوان أو شبهه فيما نعلم . ومخلوقات هذه الحديقة جميعهم من ابناء الشيخين آدم وحواء عليهما السلام والرضوان .

مئات بل آلاف زاروا العقاد فى ندوته ، واضعافهم تسامعوا بها ، ومعظمهم لا يعرفون الا انها كانت تعقد فى بيته أو شقته بمصر الجديدة صباح كل يوم جمعة ، فيغدو اليها أصدقاؤه ومريدوه وسائر من يزورونه ، ولو دون سبق معرفة أو وعد بينهم وبينه ، هذه الندوة فى بدء نشأتها هى « حديقة الحيوان » ، وهكذا على نحو من الانحاء استمرت حتى لقى صاحبها ربه .

اما بداية نشاتها فكانت عقب ثورة سنة ١٩١٩ بقليل ، اذ كان العقاد وجماعة من اصدقائه المهتمين بالثقافة على انواع شتى لا يستطيعون التلاقي مجتمعين خلال أيام العمل الاسبوعية لاختلاف أماكن عملهم ، فلم يبق الا يوم الجمعة، فاختاروه ملتقى، لانه يوم عطلة الجميع ، ولكن في اى ساعاته ؟ ان الاجتماع في ساعات الصباح افضل ، لانه وقت تفتح النشاط مع تفتح النهار ٠ وهو خير من الاجتماع بعد الظهر لما يتبع الغداء عنده من كسل ونزوع الى النوم ، وذلك على مدار فصول السنة ولا سيما موسم الحر ، حين يميل الناس الى القيلولة طلبا للنوم او مجرد الاستلقاء على فراش او كرسي ٠

ولكن أين يكون الاجتماع ؟ لا بد أولا من الاتفاق على صفات المكان ، ثم ياتي البحث في اختياره بين الامكنة التي تتحقق فيها هذه الصفات. لا بد أن يكون موقع الاجتماع متوسطا بين مساكن الاخوة أو معظمهم على الاقل ، سهل المواصلات ، منعزلا أو شبه منعزل ، لتجنب الطفيليين أو من لا يلائمون الصحبة في نزعاتها واخلاقها ، ويكون في الوقت نفسه صالحا لان يكون نزهة ومتعة ، ولا كلفة فيه لاحد على أحد ، قلوا أو كثروا ، وبعد مشاورة فيصفة الموقع وقع اختيارهم على « حديقة الشاى » التي تقع في حديقة الحيوان على ضفة بركة واسعة تسبح فيها انواع من الطيور، وحولها انواع من الاشجار والكلأ والازهار ، وقد كان موقع الندوة من حديقة الحيوان بعض ما أوحى الى بعضهم أن يسمى باسمها الندوة ، وتم الوحى من خصائص جماعتهم الثقافية ، واغرامهم بالفن وأخيلته وصوره ، وحبهم مجتمعين للتندر والتنكيت. فالمصريون مشهورون بنزعتهم القوية الى النكتة والدعابة ٠

اختيار الركن والعنوان ؟

كانوا صفوة من الشبان المثقفين فيهم الاديب والشاعر والصحفي والرسام والنحات والموسيقى، وكانوا على اختلاف معايشهم واعمالهم واخلاقهم نزاعين الى الفن مكبرين له ، فهم اما فنان ، او محب للفنون ، وقد خطر لبعضهم يوما على سبيل الدعابة ان يوازنوا بينهم وبين جيرتهم من مخلوقات الحديقة ، وشرعوا يقدمون بعضهم بعضا واحدا بعد واحد لاختيار شبه من الحيوانات له ، فكانوا يختلفون ، ورأوا أن أعمقهم فراسة وأشدهم اصابة في التشبيه رسام أو مصور بارع ، تعود بحكم عمله حسن التفرس في الوجوه ، والتادى منها الى ما وراءها من خفايا النفوس ، والتقاط السمات من ظاهرها وباطنها على السواء ، لتسجيلها على لوحاته وفاقا لها ، فرضوا به حكما ، ولقبوه بحسب المقام أيضا «مدير الحديقة » ووكلوا اليه أن يختار لكل منهم ركنا : حظيرة أو قفصا يعلق عليه عنوانه الذى يميز فصيلته بين سائر الفصائل ، وكان المدير عند حسن ظنهم جميعا في سداد الاختيار والمجاهرة بالعدل كما يراه ، وليس ادل على سداد اختياره من أنه كان اذا اختار لواحد منهم ركنا أيدوه جميعا في اختياره وقد يأبى ذلك الواحد ما اختير له ، ولكنه يقبل أخيرا ولو كارها ، اذ سرعان ما يلتصق عنوانه به فلا يزول عنه ، وكان المدير سريع الاختيار ، حاسم الحكم ، فما هو الا يقدم له المرشح حتى يتفرس فيه خفية كانه غافل عنه ، ولا يطول بحثه أكثر من خمس دقائق ، وقد ينطق بحكمه لحظة تقديم المرشح ولو كان واحدا جديدا ، وكانوا اذا انضم اليهم زميل جديد طلبوا من « المدير » أن يختار له ركنا ، وما أسرع ما يلبى، وقد سمعت مرات من العقاد ـ وهو ذو فراسة أيضا ـ قوله في وصف عيني المدير « كان فيهما عضلات » ومن آيات عدله أو عدم محاباته لاحد أنه اختار لنفسه « قفص القرود » وقد رأيته مرات في شيخوخته لطيف الشخصية وديع المشية والنظرة والضحكة ، هذا الرسام أو مدير الحديقة هو الاستاذ أحمد صبرى ، وهو من أعظم من انجبتهم مصر بل العالم العربى في الرسم الزيتى على الطريقة المالوفة وكان ميالا الى الالوان الجادة التي لا تخلو من قتامة ، وكان اكثر لوحاته في تصوير الاشخاص الذين يغلب عليهم الوقار ، والمناظر الهادئة التي يغلب عليها الجلال ، وقد رسم لشيخنا العقاد صورة حياه بها عقب خروجه من السجن ، هي اللوحة الشخصية الوحيدة التي كانت معلقة في ندوته البيتية او غرفة جلوسه ٠

من اعضاء هذه الندوة الاولى شيخنا العقاد والرسامان احمد صبرى ومحمد حسن(١)والشعراء/ ابراهيم عبد القادر المازنى/وعبد الرحمن صدقى/ وعلى شوقى ـ ومحمود عماد/ ومحمد مصطفى الماحى، ومن الممثلين احمد علام ، ومن الكتاب/على دهم . وكامل كيلانى ، ومن الموسيقيين/محمد حسن الشجاعى ، ومن المترجمين الاستاذ محمد رفعت ، وزميل ما زلت أذكر لقبه وهو « الانس » الذى كان استاذنا يدعوه به ، فكنا ندعوه به أيضا . وكان من خيرة المترجمين للروايات والقصص ، ولكنه ابتلى منذ شبابه بالمخدرات فادمن . واختلت حاله ، ولقد رايته مرات عقب الحرب العالمية الثانية يتردد على ندوة العقاد فى بيته ، فى هيئة شبه رثة خلقة وملبسا ، وكان تردده فيما بين الشهور والشهور ، وقد عرفت فراسة من احواله مع العقاد انه كانيأتى اليه ليسترفده ، فكان العقاد ـ مغلقة ذات يده ـ عند حسن ظنه به ، وقد عرفت ان لقبه بين اعضاء الحديقة هو « الجدى » وهو لقب مهذب مقبول ، ولكن احدهم ـ وامسك عن ذكر اسمه ـ غضب منه مرة فعدل عن لقب الجدى الى كلمة تكاد ترادفها فلقبه « التيس » وهو لقب له معنى سيىء لا يتناسب مع « الانس » المهذب ، فما كان منه الا ان قال له فى دعة آسفة « لماذا هذا التفحش يافلان؟» وسرعان ما اعتذر اليه صاحبه ، ومضت الامور بينهما بسلام .

القرد هو المدير !

وكما كان هناك فى الحديقة « بعب القرد » لمديرها ، ولقب « الجدى » لصاحبنا الانس ـ كان لقب الدب . والبطريق . والنمر . والصبع ـ والسسى (نوع صغير الحجم من الغيل) والارنب . والسلحفاة . والحوت . وفرس النهر ، والحمار الوحشى ، والجرذ . وكلب الصيد . والنسر وقد اختيرت لشيخنا حظيرة « الزرافى » وحسبنا من المتابهة ظاهرا وباطنا طول قامته ونظره من اعلى، الى جانب طبيعته الوديعة وكراهيته للعدوان . فهو تسبيه مصيب. وهكذا كانالعقاد فىحالته العامة أو العادية . اما فى حال الغضب فنحن نختار له قفص «الفهد» أو «النمر» . فهو هكذا فى ملامح وجهه حين يثور ، او ينفس عن سخطه . ثم هو فى وقت الشدة مقاتل شديد عنيد صعب المراس لا يبالى ان يهجم عدوه مهما يبلغ من القوة ولا ينكل عنه مهما يطل القتال ، او هو كما وصفته صاحبته « ساره » بعد ان جربت غضباته « اذا بان له طرف السلاح فهو اما قاتل واما مقتول » فهو اقرب الى « الفهد» أو « النمر » منه الى الاسد الذى ينكل عنالصراع حين يطول . وان كانت فى وجهه مشابهه منه فى ملامح الوجه لا سيما بعد تقدمه فى الشيخوخة كما تبينه الصور . لا كما يبدو لمن ينظر الى شخصه.

ولشيخنا قصيدة فىوصف هذهالندوة ومخلوقاتها عنوانها « حديقة حيوان ادمية » أودعها ديوانه

---

١ ـ (المصور محمد حسن) من زاروا مكتبالعقاد فى مسكنه رأوا صورة معلقة على جدار فيه تمثل « فتاة حريبة تقف حيال قبر صديقها ».وكان قد استعارها مؤقتا سنة ١٩٢٧ من متحف المن . الدى يملكه الاستاذ المصور «زكى شمار فى المطربة (احدى ضواحى القاهرة) وكانت الصورة مودعة لديه من قبل مبدعها المصــوره محمد حسن ، اذ كان يومئذ قد سافر الى ايطالية لاتمام دراسته فى بعض معاهدها الفنية ، والاطلاععلى روائعها فى التصوير والنحت وقد علقها العقاد فى مكتبهلانها وافقت معنى كان يثقلهيومئذمن ازمة عرمية (سجل حواطرها فى الجزء الرابع من ديوانه المطبوع سنة ١٩٢٨ ، ثم فى قصتــهالوحيدة « سارة ») وقد نشر مثالا من هذهالصورة مع مقالة فى وصفها وتحليلها على صفحــاته البلاغ » (وكان يكتب فيها مقالاته لادبيــة فى تلك الايام)واعاد نشر الصورة والمقالة فــيالجزء لاول الذى اخرجه سنة ١٩٢٨ من كتابه « ساعات بين الكتب » . ولما عاد صاحب الصورة لى القاهرةاراد العقاد اعادتها اليه. ولكنهاثرهبها على نفسه . وهى باقية فى مكانها حتى الآن .

وكن هذا المصور يلقب « الطيف الملاكم » لانهالمقصود بالطيف الدى تخيله هو داخل القبر فــى تلكالصورة ، ولانه كان يحسن فنالملاكمة ، ويفضبها بعض مشاكله مع خصومه أحيانا وقد توفــى سنة ١٩٦١ . فرثاه العقاد يومئذ بمقالة باكية .

الخامس « وحي الاربعين » الذي اصدره سنة ١٩٣٣ يقول في مقدمتها :

« هذه الحديقة لا تجمع الا الفنان أو المحب للفنون ، سمي كل زميل من زملائها باسم حيوان يلاحظ فياختياره اتفاق الشبه فيالملامح والعادات، وقد جمعها الفن كما كان اورفيوس المعروف في اساطير اليونان يجمع الاحياء حين يغني ويعزف ، فتقبل عليه من كل فصيلة ، وهي لا تشعر بخوف او تهم بعدوان » ، وهذه أبياتها : ـ

« أورفيوس الفن سوى بينها
فتلاقى الدب فيها والقرود

وتغني فرس النهر بها
يا له من فرس طلق النشيد

ومشى الارنب والحوت لها
صاحبا القاعين من لج وبيد

وتأخى الجدي والضبع ، وما
بين هذين سوى الثأر اللدود

وجرى السيسي فيها شوطه
وهو ناهيك بسيسي عنيد

ولغا البطريق فيها لغوه
وهو من قطب جنوبي بعيد

وكأني بالزرافي اجتمعت
وحمير الوحش منها في صعيد

وأوى السنور والجرذ الى
نمر فيها على غير الوصيد (٢)

والسلحفاة تجارى عندها
أرنب البيداء ، والكلب الصيود

فتحت أقفاصها ، واختلطت
لا سدود لا قيود ، لا حدود

حيوانات نماها آدم
وهي من ابنائه نسل فريد

حيوانات ولكن بينها
كل ذي لب سماوي رشيد

اورفيوس » الفن سوى بينها
فاستوى المنشد فيها والمعيد »

من الحديقة الى بيته

ورأى اخوان الحديقة بعد تجربة طويلة ان موقعها في الجيزة بعيد عن مساكن اكثرهم ففكروا فياختيار مكان آخر وتنازلوا عن كثير من الشروط، ومنها شرط النزهة الطبيعية ، فان لديهم النزهة الفكرية والنفسية، وهي معهم وبينهم حيث التقوا، او التقى امثالهم بعضهم ببعض ، فدعاهم العقاد الى أن يكون الاجتماع في بيته حتى يظفروا بمكان اخر شبيه بحديقة الشاي ، اذ ليس في بيته اسرة تتحفظ من الضيوف ويتحفظون منها ، او تضيق بخدمتهم ، او يحسون هم بضيقها ، فهو رجل عزب، وليس معه في البيت الا طاهيه النوبي « الشيخ احمد حمزة » الذي يدير مصالح بيته ، ويخدم ضيوفه ، ومئونتهم خفيفة او محتملة مهما تشتد الضائقة ، وليسوا كلهم ياتون معا ، فانتقلت الندوة الى بيت العقاد محتفظة بموعدها صباح كل يوم جمعة ، واستمرت الندوة في مكانها الجديد حتى لقي صاحبها ربه ولكن معظم زملائها الاول تفرقوا عنها بحكم تقدم السن وكثرة المشاغل .

وحين انضممت اليها سنة ١٩٣٢ لم اتردد عليها الا قليلا لبعد مكانها ، وكانت تغنينا عنها ندواته المسائية الكثيرة طوال الاسبوع في مكتبه بالصحيفة التييحرر فيها «الجهاد» ثم«روز اليوسف»«اليومية»، ولم اصادف احدا منهم في تلك الاحيان ، وصادفت آحادا متفرقين في الندوة البيتية،فلما يجتمع منهم اثنان او ثلاثة ، وكان كل من هؤلاء لا يعتادها الا بعد شهور وشهور ، وحل محلهم مغلوقات جدد كنت من أولهم والزمهم لها ولم يلتزم ارتيادها من اعضائها القدامى غير الشاعر الاستاذ محمد طاهر الجبلاوي ، وهو اشبه بالصديق الشخصي للعقاد منه بالمريد ، وهو مع ذلك شاعر وكاتب ومترجم ، وله آثاره القلمية ، كما انه اعلم اصدقاء العقاد بسيرته واخباره الشخصية،ولا سيما اسراره ولكنه وفي « امين » او هو «أمين» كما سماه العقاد في قصته الوحيدة « سارة » وله فيها مهمة بارزة .

---

(١) الوصيد : عتبة الباب ، وفيه اشارة اليما ورد في القرآن الكريم في وصف أهل الكهف ، « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » .

فار الحديقة

ولست اعرف ممن انضموا الى هذه الحديقة بعد جيلها الاول احدا نال البركة والتطويب من مديرها الالمعي واعضائها النابهين ما عدا عضوا انضم اليها سنة انضمامي اليها او بعدها بقليل وقد نشات بيننا صداقة حميمة لم تزل حتى الآن ، وفد يوما الى بيت العقاد ، وصادف ان جاءها مديرها في ذلك اليوم وقد صار لا يغدو اليها الا نادرا في السنوات بعد السنوات ، ولم تكن الندوة يومئذ ـ كما صارت في بضع السنوات الاخيرة من حياة العقاد ـ تزدحم بروادها الدائمين والطارئين حتى يلتصق بعضهم ببعض داخل الحجرة والردهة وخارجها ، ويقف من ليست لهم مقاعد بحيث لا يسمح الزحام بالحركة الا بمشقة وحرج ومضايقة للجالسين والواقفين . بل كانت مقاعدها القليلة اكثر من الجالسين عليها فكان يسهل على الزائر أن ينتقل من مقعد الى آخر ، وكان صاحبنا هذا لا يطيق السكون الى مقعد ولا يطيق السكوت ، فكان اذا انتقل الى جار جديد مضى يحدثه خافتا صوته دون ان يبالي غالبا بحديث غيره الى بقية الجالسين ، وكان شيخنا العقاد اكثر حديثا ، لان الزوار انما جاءوا ليسمعوا منه ، لا من غيره ، ورأى شيخنا ان صاحبنا «الحرك» لا يسكت ولا يسكن ، فهتف بمدير الحديقة في لهجة تمتزج فيها الدعابة بالعطف بالسخرية ،لكي يبحث لصاحبنا عن قفص ، وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي اري فيها مثل هذا الاختيار والتطويب لاحد الاعضاء، أو مثل هذا الامتحان لمدير الحديقة واسلوبه في الاختيار ، ونظرت الى ساعتي لاحدد مدة الجواب، وكنت انتظر ان لا يستغرق اكثر من خمس دقائق كما كنت اعلم قبل ، ومضى الحديث في الندوة على رسله لا يخفف منه الا التفات خفيف : مرة الى المدير، ومرة الى المرشح مع موالاة الاصغاء لحديث العقاد، ومضى المدير وكانه يصغي معنا الى الحديث ، وهو يختلس النظر الى صاحبنا دون ان يحول وجهه اليه، وان بدا احيانا انه يسرح بالفكر مع نفسه ، ومضت الدقائق الخمس المعتادة في ابداء الجواب، ثم زادت خمسا فخمسا وكان المدير قد نسي السؤال او تناساه ، ونحن مصغون لحديث العقاد ، فما هو الا ان توقف عند نهاية حديث وقبل ان يشرع في غيره اذا المدير يعلن حكمه متخففا من ثقل الامتحان والتردد والانتظار ، اذ قال ما مؤداه « دعوه طليقا في الحديقة مع فيرانها يجول بين اقفاصها كما يشاء» فانفجر الحاضرون ضحكا،وجلجلت ضحكات بعضهم ومنهم العقاد . وعاد الضحك في تلك الجلسة ، وعقبها مرات ومرات،واعلن العقاد بعد صدور الحكم ان المدير لم يلق في اختيار سابق ما لقي من عسر هذا الامتحان ، ولا اطال التفكير في جواب اكثر من خمس دقائق الا هذا الجواب الذي تاخر اضعاف ذلك .

اما المدير فكانت له ضحكة متميزة ، فهي هادئة متوقرة ،ولكن هاهاتها لا تخرج متواصلة دفعة واحدة مع انفتاح الفم كسائر الناس ،بل تتردد في حلقه دفعات متقطعة على غير ولاء،وبين كل دفعتين همهمة خافتة كانها سكوت ، وكل دفعة ثلاث هاهات او اربع في انتظام ، والشفتان الرقيقتان تفتران ولا تتباعدان ، وخلال هذه الضحكة او الضحكات نظرت الى جبينه الواضح وفمه الدقيق ، وبينهما أنفه اللطيف المستقيم،وعينيه المتقاربين،ايقنت،ان الرجل كان الميا ، وكان امينا وكان عادلا حين احتاز لنفسه فصيلة القرود ،ثم امعن في الالمعية والامانة والعدل فاختار من بينها قفص«النسانيس» ، فزادني ذلك عندي اكبارا ومودة ، واقتنعت بان الزملاء قد انصفوه وانصفوا انفسهم حين اختاروه مديرا للحديقة ، وآثروه في ذلك على سواه،وان كان بينهم النوابغ والعباقرة من الفنانين ومحبي الفنون .

اما لماذا لم اطوب بين مخلوقات الحديقة ولم يعين لي فيها ركن ولا عنوان ، فلا سبب له فيما ارى الا انني لم اكن من جيلها الاول الذي اسسها، ولانني فيما بعد لم ارشح كما رشح سواي ، ولان مدير الحديقة لم يكن يتردد عليها الا نادرا ، او لم يصادفني ولم اصادفه فيها غير مرات ثلاث او نحوها ، ولان الاعضاء لم يتخذوا له نائبا يردفه حين يغيب ، واكبر ظني أنهم لم يجدوا له بينهم رديفا يغني غناءه في اختبار السمات ، ومنح البركات، أما تاريخ هذه الندوة بعد جيلها الاول أو بعد دخولي اياها فهو تاريخ طويل حافل بعجائب الاخبار والشخصيات ، وله مقالة اخرى بل مقالات ، بقدر ما يعضرنا من الملامح والذكريات ، وهي اشتات بعد اشتات . ■■

محمد خليفة التونسي

اعداد : يوسف زعبلاوى

لكى تنخفض نسبة السكرى

● نشرت مجلة لانسيت Lancet المعروفة فى عددها الصادر فى شهر اكتوبر الماضى تقريرا هاما حول نبات هندى يبشر بالحد من مرض السكرى وربما بالقضاء عليه نهائيا ·· فمرض السكرى منتشر على نطاق واسع ، وقد زاد عدد المصابين فى العالم على ٥٠ مليون نسمة · وعلى هؤلاء تجنب النشويات والسكريات وما الى ذلك فى طعامهم ، وعلى الكثيرين منهم تناول الانسولين او منشطات البنكرياس يوميا ·· ذلك انهم معرضون لامراض القلب والكلى وتلف الاعصاب فضلا عن ضعف البصر او فقدانه اذا طال امد ارتفاع نسبة السكر فى دمهم ·



اما النبات الهندى فاسمه جوار (Guar) وثمره يشبه الفول،وفول الصويا بالتحديد· وهو من الاطعمة الشائعة فى الهند ، ويحتوى على مادة صمغية هى بيت القصيد بالنسبة الى مرضى السكر ·

ويحدثنا تقرير اللانسيت عن التجارب العلمية التى اجريت فى بريطانيا مؤخرا بقصد التثبت مما ينسبلنبات الجوار الذى ذكرنا من اثر فى معالجة مرض السكر · وقد اجرى تلك التجارب فريقان من العلماء والاطباء ، يعمل احدهما فى مستشفى مدلسكس (Middlesex) فى لندن ، باشراف الدكتور « دافيد جنكنز Dr.Jenkins » ·· ويعمل الفريق الاخر فى اكسفورد ، فى مستوصف رادكليف Radcliffe فيها ·

وكان محور تلك التجارب سبعة من مرضى السكر الذى لا غنى لهم عن حقن الانسولين

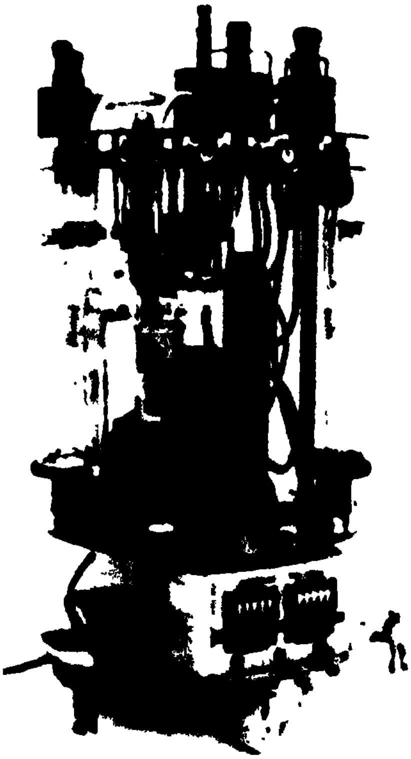
اليومية . وقد اعطى هؤلاء مسحوق الجوار بمعدل ٤ ملاعق شاى فى اليوم وذلك عوضا عن حقن الانسولين .

ولم تمض أيام حتى اثبت التحليل هبوط نسبة السكرى فى بولهم الى النصف .. وما لبث ثلاثة منهم ان استغنوا عن حقن الانسولين نهائيا .

ومما يذكر ان صمغ الجوار بدا يعرض ويباع فى الاسواق بشكل او بآخر . فقد صنعت شركة هينز « Heins » المعروفة شوربة الجوار وهى تحمل رقم ٥٨ بين منتجات الشركة .. هذا الى جانب خبز الجوار والبطاطس المخلوطة بالجوار وقد صنعتها جامعة « ردنج Reading » وجامعة اكسفورد على التوالى، وذلك لاستعمالهما الخاص .

[illegible] عن الرواسب او الغازات وابخرة سامة . ثم انه يحلل كمياتها .

وميزة هذا الجهاز الرئيسية هى فى ان عدد النماذج التى يلتقطها معا وفى ان واحد يبلغ ١٢ وهو يلتقطها اوتوماتيكيا ، ويعيد التقاطها مرة كل ساعة ، او ساعتين ، حسب الرغبة ..



الجراحون والشعور الطويلة

● يبدو أن « موضة » الشعور الطويلة للرجال لم تقتصر على الخنافس ومريديهم من المراهقين ... فقد شاعت ايضا بين الاطباء والجراحين الانجليز الى درجة دفعت الدكتور نورمان سيمونز Dr.Norman Simmons الى توجيه النقد الصريح الى اولئك الجراحين وذلك فى مقال نشرته له المجلة الطبية البريطانية (B.M.J.)

وقارن الدكتور سيمونز فى مقاله هذا بين الجراحين الطوال الشعور وبين الممرضات .. فامتدح الممرضات بقدر ما يصففن شعورهن ويغطين رؤوسهن بالطاقية الخاصة اثناء العمليات .. بخلاف الجراحين الذين شغفوا بموضة الشعور الطويلة حتى نسوا القواعد الواجب مراعاتها فى غرف العمليات ، ونسوا ايضا الكثير من البديهيات المسلم بها فى ميدان الطب والجراحة .. من ذلك ان شعر الراس كثيرا ما يصاب بالتلوث وذلك بواسطة كائنات تعرف اصطلاحا بالمكورات العنقودية « Staphylococcus »

وان هذه المكورات حاملة لصنوف من البكتيريا .. والاخطر من ذلك ان اولئك الجراحين يكثرون من هز رؤوسهم بين حين وآخر .. بقصد التانق .. ولا يذكرون ان هز الراس على هذا النحو كفيل بنشر تلك المكورات والبكتريا التى تحملها فى جو غرفة العمليات الذى يفترض به أن يكون معقما .



قرود الشمبانزي ترافق وتصادق بعضها بعضا

● تؤكد العالمة الدكتورة جين جودول Dr Jane Goodall ان الشبه بين سلوك الانسان وسلوك الحيوان اكبر كثيرا مما اعتقد العلماء حتى الآن.. ولعل من حق هذه العالمة ان تدلي بارائها في هذا الشان وقد امضت ١٨ سنة من حياتها في دراسة قرد الشمبانزي بالذات ، وذلك على الطبيعة في غابات تنزانيا ، وبخاصة غابات معازل جومبي فيها Gombe Stream Reserve .

وجدير بالذكر ان الدكتورة جودول كانت قد اتت الى لندن في مطلع هذه السنة بقصد القاء محاضرة ضمنتها بعض ما اكتشفته في سلوك الشمبانزي .. هذا الموضوع الذي عكفت على دراسته منذ مطلع الستينات وبتشجيع من العالم الراحل الدكتور ليكي « Dr.L.S.B.Leaky» .

ومما ذكرته الدكتورة جودول ان للشمبانزي فرديته ، وانه ينحو نحوا فرديا في سلوكه كالانسان .. ويحرص على الروابط العائلية ، ويتناقل التقاليد، الخلف عن السلف..

ولاحظت العالمة ان نزعة العنف موجودة في الشمبانزي على نحو ما هي موجودة فينا معشر البشر .. وقد شاهدت بعينها حوادث صدام ومجابهة ما لبثت ان تحولت الى اشتباكات قاتلة انتهت بموت عدد من القردة المتخاصمين .

ومن طريف ما ذكرته العالمة المحاضرة ان افراد الشمبانزي يعرفون بعضهم بعضا ضمن الجالية او ان شئت القرية الواحدة. وقد لمست لدى بعض اناث الشمبانزي من العطف والحنان على صغارهن اكثر بكثير مما نعهده في بني الانسان ..علما بان طفولة الشمبانزي طويلة جدا وتمتد نحوا من ١٤ سنة .

الملاريا تهدد بالانتشار ثانية

● يعتقد بعض العلماء ان وباء الملاريا ، الذي بدا في الستينات وكانه تلاشى، اخذ يظهر من جديد على نطاق يبعث على القلق . فبينما لم تزد عدد الاصابات بهذا المرض في الهند على ٤٠٫٠٠٠ اصابة سنة ١٩٦٦ ، جاوز عددها ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ اصابة في السنة الماضية .. ولعل الباكستان كانت اسوا حالا من الهند نسبيا ، وقد بلغ عدد الاصابات بالملاريا فيها ٥ ملايين اصابة..

ولم تسلم بريطانيا من هذه الموجة الجديدة .. فقد بلغ عدد الاصابات فيها ، في السنة الماضية (١٢٠٠) اصابة . وكان اكثر المصابين من السوا[ح] والمهاجرين .. والرقم كب[ير] نسبيا .. وحسبك ان الذي[ن] اصيبوا بالملاريا في بريطاني[ا] قبل نحو عشر سنوات (١٩٦٦) لم يزد مجموعهم على • مصابا .

وتجدر الاشارة الى ان ها[ذه] الاحصاءات وامثالها قد ورد[ت] في كتاب ظهر حديثا عن الملار[يا] كتبه المستشار السابق لمنظ[مة] الصحة العالمية : البروفس[ور] ليونارد بروس ـ شواط [Pr]of. Leonard Bruce-Chwatt ■

قضايا حيوية

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالــج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر اصحابها فى هذه القضايا •• وعملا بحرية النشر ، فاننا نفســح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف او تعديل •

من مشكلات الثقافة العربية

بقلم : الدكتور محمد الرميحى

« الثقافــة العربيــة السائــدة تنــتج فــى الاغلــب مشوهــى ثقافــة لا مثقفــين حقيقيين »

■ لم يتم حتى الان على الصعيد العالمى توحيد مفهوم الثقافة بمعناها الشامل وربما لن يتم هذا فى الوقت القريب • وعلى الصعيد العربى مازال تحديد مفهوم واضح للثقافة امنية تعيش فى قلوب بعض المثقفين ، ولهذا فان لها مجموعة كبيرة من التعريفات المتعددة يكاد يصل مجموعها الى الاكثر من المائة والخمسين تعريفا ، ومنها التعريف الشامل او الواسع ومنها التعريف الضيق • وان امكن ان نختار تعريفا عاما ومبسطا للثقافة العربية من اجل ايضاح ما نريد قوله هنا فان الثقافة تعنى لنا • « الانتاج الفكرى العربى المعاصر » •

والموضوع الذى نريد نقاشه هنا هو ما هى المشكلات التى تواجه هذا الانتاج الفكرى العربى المعاصر ، وما هى الحلول التى نقترحها للتخفيف او ازالة بعض هذه المشكلات والعقبات • لنبدا بالمشكلات •• هناك مشكلات متعددة تواجه هــذا الانتاج فى نظرنا تجعل الافادة منه وتوزيعه وهضمه على المستوى العربى ـ فى هذه المرحلة ـ محدودة جدا • هذا عدا عن قيمة الانتاج الفكرى والثقافى بحد ذاتها حيث تختــلط المــدارس وتتعقد الــى درجة يفقد معها هذا الانتاج انتماءه الى المجتمع العربى المعاصر من جهة ، ويهبط هذا الانتاج بالثقافة الى مستويات روتينية من جهة اخرى •

الثقافة الذاكرية والثقافة الابداعية

حتى الان يتهم بعض المثقفين ثقافتنا العربية المعاصرة بانها ذاكرية ، اى انها نتيجة لانتاج ابداعى خارج عن الوطن ، كل مساهمتنا فيها هى النقل والترجمة والاقتباس وفى احيان كثيرة النقل الاعمى الذى لا يأخــذ بحــاجات الوطــن العربى ومشكلاته الاقتصاديــة والاجتماعيــة والسياسية بالحسبان ، او النكوص من جهة اخرى الى منابع الثقافة العربية القديمة دون محاولــة تحليلها

ودمجها فى واقعنا الراهن • ومن طرف اخر نصر على ان تكون هذه الثقافة القديمة او المنقولة للحفظ دون التمثل وفى قطاعات عربية اخرى للمباهاة الاجتماعية • ونفتقد فى الامم الاغلب نحن العرب فى هذا العصر ثقافة ابداعية تاخذ من الواقع الاجتماعى / الاقتصادى الحديثارضية لها من اجل الانطلاق للمساهمة فى ايجاد حلول لمشكلات العصر التى تواجهنا فالاجتهاد فى القديم والابداع فى الواقع حتى الان محصور فى معاولات ضيقة لبعض المفكرين العرب والذين نجد ان انتاجهم ، لهذه الاسباب ، من الطبيعى ان يكون محصورا ومحاربا • واذا كانت حركة الفكر الحقيقية الابداعية تبدا بمراجعة المسلمات السائدة كما حدث فى كل الحركات الفكرية الاصلية ـ فيمكن القولوباطمئنانشبه اكيد ـ ان ذلك لم يتم حتى الان الا فى اضيق الحدود فى ثقافتنا العربية المعاصرة ، لذا نجد ان الثقافة العربية الذاكرية هى السائدة والتى تنتج فى الاغلب مشوهى ثقافة لا مثقفين حقيقيين •

وتلحق معاهدنا التعليمية بذيل الثقافة الذاكرية السائدة فنجد ان جيل معلمينا فى الجامعات يجتهد لاخراج ثلاثة فرقاء فقط من طلابهم ، فريق للنزوح للعمل فى اى مكان يجدون فيه فرصة العمل ، وفريق للبطالة ـ الحقيقية او المقنعة ، وفريق ثالث للبصم فى اعمال روتينية لا تحتاج الى وقت طويل كالذى قضوه على قاعة التعليم • وينقص هذه الاطراف الثلاثة المحتوى الحقيقى للتعليم العالى كما يجب ان يكون فى مجتمعات نامية كمجتمعاتنا يقع على جامعاتها العبء الاكبر للتطور الاجتماعى • واذا كان القول بان الجامعات العربية هى نتاج حقيقى لمجتمعاتها ، فان القول الاخر صحيح ايضا ، وبنفس النسبة ، وهو ان المطلوب من هذه الجامعات ومعلميها هو قيادة المجتمع لا التبعية له •

منتديات للعلاقات ام مراكز للبحوث

رغم أنه من المشكلات الحقيقية التى تواجه الثقافة العربية المعاصرة هى تعدد الرؤية الاجتماعية والاقتصادية ، واختلافها فى كثير من اقطار الوطن العربى ، والذى ينعكس على انتاج المحرى بصمه او باخرى رسميه من جهه ، او بمنعه من الدخول لهذا القطر او ذاك من جهة اخرى ، وكما عطلت وسائل الاتصال الحديثة (الاذاعة والتلفزيون) وخاصة الاخيرة ـ على الجماهير العربيه الاداة الحقيقية من وسائل الثقافة الاستراتيجية (الكتاب ـ المجلة ـ السينما) واستعاضت عنها بالوسائل الثقافية التكتيكية ، الا اننا نرى عدم الجديه من جهة اخرى فنجد ان مراكز البحوث العربية تبدو وكانها منتديات للعلاقات العامة اكثر منها مراكز للبحث الجاد ، فانتاجها يتجه اما الى الاتجاه السلفى او التقليدى دون اضافة وتجديد او مساهمة هامشية فى الانتاج الثقافى العام الابداعى • وتواجه مراكز البحوث الجادة القليله عقبا التعددية سواء من حيث الشمول الجغرافى او الموضوع ، فهناك مراكز بحوث عربية عالمية . ومراكز بحوث قومية ومراكز بحوث جبهوية ومراكز بحوث متخصصة ، ولو كان الغرض من الاختلاف هو التنوع فى الاجتهادات لهان الامر ولكن الواضح ان هذه المراكز تتماثل فى اهتماماتها وانتاجها فتتراكم من حيث الكم لا النوع فعلى المستوى القومى مثلا نجد مركز البحوث والدراسا العربية التابع لجامعة الدول العربية ومركز الدراسا الوحدوية فى بيروت وكذلك مؤسسة الانماء العربى وهذه على سبيل المثال لا الحصر تتجه جهودها لمحصلة واحدة هى الاهتمام بالدراسا على المستوى القومى • اما على الصعيد الجبهو فلدينا مثال صارخ فى تعددية المراكز التى تهتم بالدراسات الفلسطينية وهى القضية الاولى الان فى الوطن العربى • منها مثلا مركز الابحاث الفلسطينية ـ ومؤسسة الدراسات الفلسطي ومركز التخطيط الفلسطينى وجميعها فى بيرو

وكذلك مركز الدراسات الفلسطينية فى بغداد • واذا نظرنا الى اهداف واعمال تلك المراكز وجدنا تداخلا كبيرا بين اهداف وعمل تلك المراكز المتعددة حتى يصل فى بعض الاوقات الى درجة ان طرفا منها ينافس الطرف الاخر ، وتنفق الاموال على نفس الموضوع فى جهتين او اكثر• والاطرف من ذلك ان روح المنافسة تلعبدورها ايضا بما فى ذلك من تحولها الى مزاحمة على مصادر التمويل النادرة •

البترول والثقافة

وعلى ساحة الخليج والجزيرة العربية نجد ان هذا التماثل فى مراكز البحوث العلمية ظاهر للعيان ، فعلى سبيل المثال ان مركز الدراسات اليمنية فى صنعاء يكاد يكون تكرارا لمركز الدراسات اليمنية فى عدن • وقد ساهم البترول فى تعقيد هذه الظاهرة فى بلدان البترول ووضع ثقلا آخر فوق مشكلات الثقافة العربية المعاصرة الكثيرة ،حيث نجد ان نشر المجلات ذات الاوراق المصقولة والتى تتكرر فى المحتوى والشكل ما يشكل منحى سلبيا على المواد المنشورة حيث تتسابق هذه المجلات باغراء كتاب الوطن العربى للكتابة فيها بما فى ذلك خطورة النزول بمستوى المادة الفكرية المتاحة للقارىء العربى الى درجة متدنية •

وحتى الان لا يوجد جهد حقيقى لمحاولة ضم جهود مراكز البحوث والمجلات المصقولة على المستوى العربى ،ليس من اجل الحد من الجهود الثقافية بالطبع ، وانما فقط من اجل ايجاد صيغة تنسيقية تصل الى حد تقسيم العمل والتخصص بينها ، واطلاع بعضها على خطط البعض الاخر من اجل تقديم خدمة افضل للقارىء العربى ـ وكذلك تسهيل تبادل مطبوعاتها والاتفاق على مجالات للبحث ، بدلا من ان يقدم كل مركز على حدة بحفر قناة ثقافة قد يكون المركز الاخر مشغولا بحفر قناة موازية لها تسير فى نفس الاتجاه•

ولم يلعب البترول العربى حتى الان ـ الا ـ فى اضيق الحدود ـ دورا ايجابيا للمساهمة فى نهضة الثقافة الجادة العربية فمن حيث الكم ما زالت الاموال التى تخصصت لمراكز البحوث العربية تاتى فى نهاية قائمة الاولويات التى يعنى بها المخططون والمسئولون فى الدول ذات الدخل البترولى ـ كما أن المساهمة السريعة والسطحية فى اصدار المجلات ذات الاوراق المصقولة زادت من مشكلات الثقافة العربية بدل حل جزء من مشكلاتها •كما ان قضية الانسان والحرية مازالت تراوح فى مجمل اقطار الوطن العربى فلا تجد الثقافة الاصيلة متنفسا لها كى تخرج الى النور ويقول المثقفون ما يريدون قوله فى مسيرة التقدم الاجتماعى لوطنهم •

وبعد ، مازال امامنا الكثير من المشكلات التى تواجه الثقافة العربية المعاصرة وما طرح فى السابق ما هو الا جزء من تلك المشكلات لا اكثر• لان الخوض فى هذا الموضوع ـ وهو موضوع واسع ومتعدد ـ يحتاج لمساهمة من هم اقدر فى رصد مسار الثقافة العربية المعاصرة على الاقل منذ بداية هذا القرن • ولابد فى هذا المجال من التعرض لمشكلة هامة واساسية تقف حجر عثرة فى مجال صعود ثقافة عربية قومية انسانية جادة فى منطقتنا ذات الرصيد الضخم فى المساهمة الحضارية والثقافية فى السابق فى هذه البقعة هى بالحركة الفكرية • فلا تزدهر ثقافة قائمة على الفكر الايدولوجى ومناخ يتيح لها ان تتفتح بعيدا عن مقص الرقيب وقلمه الاحمر ذى الافق الضيق • فما نشهده اليوم من تغيرات عميقة فى واقعنا العربى يجعل العبء اثقل والاحمال اكثر على كاهل المثقف العربى ، وبدون جو من الحرية لايمكن لاحد احتمال عواقب الكلمة ، مما يجعل الرجل المثقف فى وطننا وبالتالى الثقافة الواعدة فى موقع مضطهد • ■

د • محمد الرميحى

دعوة.. لفتح ملف الدولة العثمانية

بقلم : الدكتور
احمد عبد الرحيم مصطفى

● من الاحكام الشائعة ان تخلف الوطن العربي في العصر الحديث مرتبط بالسيطرة العثمانية على معظمه منذ اوائل القرن السادس عشر ، وهذا الحكم يتضمن كثيرا من الاسقاط النفسي والهروب من مواجهة الواقع ، جريا وراء دوافع شعورية ولاشعورية تستند الى نوع من الرضى السلبي عن النفس،والمحافظة على احترام الذات•

ولو حاولنا ان نناقش هذه المقولة على اساس المنظور التاريخي لوجدنا ان عوامل الضعف قد زحفت على المجتمعات العربية ـ الاسلامية قبل الفتح العثماني بوقت طويل : فهي ترتبط اساسا بعاملين رئيسيين هما الحكم الاستبدادي وما اقترن به من اقفال باب الاجتهاد (اى تعطيل العقل) مما ادى الى تسلط الفكر المحافظ والجمود • ونتج عن ذلك ان اصيب الاسلام بمثل ما اصيبت به المسيحية في العصور الوسطى من تلبيس الدين عقيدة غير عقائده ، ونسبة الاراء الدينية الجافة اليه ، وهو منها براء • فالخلفاء والحكام مالوا الى تقريب اتباع الفرق المحافظة واقصوا عنهم المفكرين الاحرار ـ ومن ثم رسوخ عقائد الدين متشحة بالتقاليد وتقرير حدودها واضطهاد المفكرين الاحرار شر اضطهاد • وما كاد يحل القرن الثاني عشر الميلادي حتى قضى على كل فكر مبتكر ، وطرات على الفكر الاسلامي مرحلة ركود استمرت حقبة طويلة ، واثرت في الدين ذاته ، فالبست الوحدانية ظلالا من الخرافات وقشور الصوفية ، وبرز الادعياء الجهلاء مروجو التعاويذ والسبحات الذين اوهموا الناس بالباطل والشبهات وروجوا للحج الى قبور الاولياء والتماس الشفاعة منهم•

الجمود وما بعده

ثم جاءت الحروب الصليبية فالغزوة التترية: وما صحبها من هزائم وكوارث هزت اركان المجتمع العربي ـ الاسلامي وجعلت العرب اكثر تمسكا بالتقاليد فتحول الحرص على التقاليد الى نوع من جمود الخوف فالموت ، ومن ثم انفسح المجال امام تغلغل المعتقدات الشعبية السابقة على الاسلام وامتزاج الممارسات الصوفية بالمعتقدات الاسلامية الاصلية • واعتاد العرب التقليد بحيث لم تبذل جهود جدية لاطراحه وفي الواقع كلما شعر العرب والمسلمون بضعفهم تشددوا في التقليد الذى كان يعكس مخاوف مجتمع آخذ في الاضمحلال •

واذا كان انهيار اى مجتمع يتم حين لاتستطيع القوى الاجتماعية ان تكون من الفعالية بحيث تؤثر على تطوره او توجيهه ، فيجب الاعتراف بان هذا الانهيار قد فعل فعله في المجتمع العربي منذ وقت بعيد •فلم يعد التعليم يضع نصب عينيه الامل في توجيه المجتمع صوب مثله العليا ، بل هبط الى مستوى مجرد المحافظة على تماسك المجتمع بفرض التقاليد •

وهكذا حين جاء الغزو العثماني في القرن السادس عشر نجده يمعن في تجميد الوضع السياسي في الوطن العربي ويفصل معظم المنطقة الاسلامية عن اوروبا في الوقت الذى ادى فيه

تحول طرق التجارة الى المحيطات وراس الرجاء الصالح الى تجسيم التدهور الاقتصادى الذى كان قد بدا قبل ذلك • ومما يجدر ذكره ان العالم العربى قد قبل عن طواعية سيطرة العثمانيين والتشدد السني : خاصة وان الفتح العثمانى تزامن مع الخطر البرتغالى والانفجار الشيعى فى ايران على يد الشاه اسماعيل الصفوى •

وفى هذا الوقت الذى اكتمل فيه جمود العالم العربى ـ الاسلامى كان الغرب المسيحى يبنى نهضته ببطء فى ثنايا الصراع بين البورجوازية والاقطاع وبين الفكر الوسيط الراكد والمحافظ وبين طموحات المفكرين والباحثين الاحرار الذين شقوا طريقهم ببطء وتحدوا سيطرة الكنيسة على الفكر وتحالفها مع الحكم الاستبدادى ـ الاقطاعى• ومالبثت حركة الاستنارة والاحتكام الى العقل فى الغرب ان تطورت وتمخضت عن الثورات السياسية والاقتصادية والعلمية والفكرية التى قامت عليها الحضارة الغربية الحديثة المتميزة بالديناميكية• وجاءت السيطرة العثمانية على معظم الوطن العربى فى الوقت الذى اتضحت فيه معالم النهضة الاوروبية الحديثة •• الا ان العثمانيين ـ وهم الذين ورثوا الصراع بين المسيحية والاسلام ،وبين الشرق والغرب ـ آثروا لاسباب دينية وسياسية ان يحموا املاكهم من الخطر الاوروبى الاستعمارى عن طريق عزلها عن اوروبا ، فى الوقت الذى ابتعد فيه الاوروبيون انفسهم عن مواصلة الاحتكاك التقليدى بالشرق الادنى ، وبخاصة فى المجال التجارى ، بحكم انهم آثروا الاتجاه الى الشرق بالدوران حول افريقيا ، ووجدوا فى العالم الجديد (المكتشف حديثا) مجالا سهلا للتوسع الاقتصادى يفوق فى اهميته مجالات الشرق الادنى التقليدية• اذن فالعثمانيون ليسوا وحدهم المسئولين عن عزلة العالم العربى ، بحكم ان الغربيين ذاتهم قد ابتعدوا عنه جريا وراء الارباح الضخمة التى كانت تدرها عليهم الطرق التجارية الجديدة • ومما يجدر ذكره ان من دوافع الكشوف الجغرافية تطويق دار الاسلام وحصارها وضرب الاحتكار التجارى الذى فرضه مماليك مصر وانشام المتحالفين مع جمهورية البندقية •

وهذه العزلة الطويلة التى احاطت بالوطن العربى قد امعنت فى جموده وانحطاطه ، خاصة وانه قد اضطر فى ابانها الى الاقتصار على موارده الداخلية التى كانت قد جفت واستنفدت طاقاتها وانقطعت صلاتها بمنابعها الاصلية لعدة قرون • وهى ـ بالاضافة الى سيطرة البرتغاليين والهولنديين فالانجليز على البحار قد استتبعت شللا اقتصاديا ادى الى تضخيم الجمود فى المجال الثقافى • والعزلة تساعد على استفحال الجمود، ولكنها لاتبرره •• وهكذا نجد ان الستار الحديدى الذى فرض على الاتحاد السوفيتى فى فترة ما بين الحربين وعلى الصين الشعبية فى اعقاب نجاح ثورتها لم يعرقل تطور البلاد وانتقالها الى مصاف الدول العظمى • ولكن عزلة العرب والعثمانيين مخالفة نتيجة لنضب المعين الثقافى والحضارى لدى الطرفين

صدوا غزو اوروبا

ونحن نجد ان العثمانيين ، لكونهم محاربين من الطراز الاول ، تدفعهم الحماسة الدينية الى متابعة الجهاد الاسلامى،قد وقفوا وحدهم فى وجه اوروبا وصدوا امتداد الاستعمار الاوروبى الى قلب الوطن العربى وحموا قيمه وتقاليده وتراثه •• والا لاغتصبه المستعمرون الاوروبيون منذ بداية العصر الحديث ، وفعلوا فيه ما فعلوه فى سكان الامريكتين الاصليين ، واكتسحوا بنيانه ، ودمروا قواته الذاتية • وهكذا ـ حين احس العرب بالتحدى الاوروبى فى القرن التاسع عشر ـ كانت لديهم القاعدة الاساسية للانطلاق نحو المقاومة ، وتطوير اوضاعهم بما يوائم العصر الحديث

وارجاع تخلف العرب الى العصر العثمانى انما هو حكم سياسى فى المحل الاول ، يستهدف الاقناع لاالوصف•فرؤية العالم كما يجب ان يكون، لاكما هو كائن بالفعل ، هى هدف هذا التحليل •• والكبرياء

والعصاسية يوفران في كثير من الاحيان الخراء اضافيا بتزييف الحقائق بطريقة شبه شعورية ! ذلك ان المد القومي العربي الصاعد ـ وبخاصة في الشام ـ في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، وقد تطلع الى تحقيق الاستقلال عن السيطرة الغربية التي ورثت العثمانيين، طفق يرسي رموزه وشعاراته اللازمة لتعبئة الجماهير، وللقومية مزاياها الكبرى، ولكنها ـ من ناحية اخرى ـ لاتخلو من ماخذ • ورغبتها في شحذ الثقة بالنفس اللازمة لمتابعة الاهداف القومية من شانها ان تحدد مجال النقد الذاتي ، وتنزع الى اسقاط نواحي القصور القومي على الاخرين : الاستعمار الغربي والعصر العثماني دون اكتراث بتعدي هذه الجوانب السلبية ، الى مجالات ايجابية تستند الى تحليل العوامل الموضوعية التي تحيط بالوطن العربي وانسانه ، تلافيا لعوامل التخلف ومظاهره •

واتهام الغير امر سهل ، جريا وراء تكريس الثقة بالنفس ، ولكنه لا يحل المشاكل ، بل انه مطية لخداع النفس والرضى السلبي والنرجسي •

وبطبيعة الحال فانه ينزع الى تضخيم فترات تاريخية معينة مليئة بالامجاد التي لايخلو منها تاريخ اي شعب حي والهروب من مواجهة فترات تاريخية اخرى لان الذات تتحرج عن ذكرها ـ واذا ووجهت بصورة مبتسرة ، فمسئولية اوجه قصورها تلقى على «الاعاجم » و «المؤمرات» و «الدس» و «الخيانة» •• الى آخر ذلك القاموس الذي تمتلىء به المؤلفات العربية المعاصرة •

والقاء مسئولية تخلف العرب على الدولة العثمانية اوضح ما يكون في البلدان العربية التي خضعت للحكم العثماني المباشر، حتى الحرب العالمية الاولى وبخاصة منطقة الهلال الخصيب (الشام والعراق) حيث اصطدمت القوميتان التركية والعربية الناشئتان اصطداما ادى الى تازم العلاقات بينهما الى غير رجعة ، واتجاه كل منهما بعد ذلك اتجاها متطرفا اثر في العلاقات العربية ـ التركية المعاصرة

وفي الناحية المقابلة نجد ان البلدان العربية التي خضعت للاستعمار الغربي المباشر منذ القرن التاسع عشر (ومنها مصر وانسودان واقطار المغرب العربي) توجه منطلقاتها القومية والوطنية ضد الامبريالية الاوروبية مقترنة ـ وبخاصة لدى المثقفين التقليديين الذين يستمدون ثقافاتهم من التراث الديني ـ بتعاطف ، قد يقوى وقد يضعف، مع الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة الاسلامية ، خاصة وان المشاعر الدينية في هذه البلدان ظلت تحجب الاتجاهات القومية بمعناها الحديث لفترة طويلة• فاذا كان الكواكبي(السوري) قد دعا الى انتقال الخلافة من الاتراك الى العرب، فان احمد شوقي ومصطفى كامل في مصر تمسكا بالتعلق بالخلافة العثمانية ، وهللا لانتصاراتها واسفا لهزائمها • واقطار المغرب العربي التي صدت الصليبية الاوروبية ، قبل سقوط غرناطة وبعدها، ودخلت (باستثناء مراكش) في اطار الدولة العثمانية رغبة منها في تنسيق الجهود ضد الغزو الاوروبي ، وكافحت الاستعمار الاوروبي من منطلقات اسلامية ، سواء في المغرب او في الجزائر او تونس او ليبيا ، لا يبدو لدى مفكريها ذلك التحامل على الدولة العثمانية الذي نلمسه في الشرق العربي• وفي ندوة اقيمت في القاهرة في عام ١٩٧٤ عن المؤرخ المصري (الجبرتي) طرح على بساط البحث تقييم العصر العثماني ، فكان اشد المدافعين عنه المؤرخون المغاربة والجزائريون والليبيون •

اما بعد ـ فهل آن لنا ان نعيد تقييم تاريخنا وفق اسس موضوعية بحتة تستهدف الحق والصدق وحدهما ؟ ان التاريخ سلاح ذو حدين ••• فهو ذاكرة الشعوب ومستودع خبراتها وتجاربها وتراثها •• وهو الطاقة المحركة للدفع القومي • الا ان محاولة استخدامه لخدمة اهداف سياسية بحتا يجعل منه مطية للشطط وخداع النفس •• فهو ـ آخر الامر ـ كالسيف ••• ان لم تقطعه قطعك •

■■

احمد عبد الرحيم مصطفى

نقل العلم أو نقل التكنولوجيا

بقلم : المهندس نبيل الليثى

● العلم هو المعرفة ، والتكنولوجيا هى تطبيق العلم فى مجالات الحياة المختلفة • ويقال ان العلم والتكنولوجيا توأمان لصيقان ، بمعنى انه لا يمكن ان توجد تكنولوجيا بدون علم ولا علم بغير تكنولوجيا • على اساس ان اى قانون علمى لابد له من تطبيق عملى مفيد ، اى جهاز او ماكينة تتحرك ـ مثلا ـ لابد لها من قانون علمى ـ ميكانيكى مثلا ـ يتحكم فيها •

هذا كلام سليم ، ولكن بشرط ان تكون فى بلد متقدم • نفترض اصلا ان فيه علما ، وان فيه تكنولوجيا • ولكن السؤال الان ـ بل هو جوهر الموضوع ـ فى بلد متخلف ليس فيه علم ولا تكنولوجيا ، فماذا يكون الامر ؟

ان القضية التى اريد اثارتها هى ان العلاقة الوطيدة بين العلم والتكنولوجيا حينما تدخل فى مرحلة الانتقال من مكان الى مكان تاخذ شكلا جديدا هو بالتحديد شكل الصراع والتنافس واحيانا التضاد الكامل بين الاثنين•ذلك ان الدولة التى تاخذ التكنولوجيا تاخذها على حساب العلم ، وان الدولة التى تاخذ بالعلم تستطيع ان تقلل من استيراد التكنولوجيا • كيف •• ولماذا ؟

نحن نعرف بشكل ابتدائى ان البلاد العربية حاليا مقسمة اقتصاديا ـ او قل ماديا ـ الى قسمين : دول غنية (هى دول البترول) واخرى فقيرة •

(١) ان متوسط دخل الفرد فى الدول الفقيرة بالتاكيد قليل ، بالتالى فان الشاب العادى ـ مثلا ـ بهذا القليل الذى معه ، لابد ان يختار اما ان ينفق نقوده فى شراء كتاب ثقافى قيم مثلا او ان يقطع تذكرة سينما لرؤية فلم مثير •

والرجل بدوره مخير ـ وربما مسير ـ بين ان يقطع من مرتبه ليجمع ثمن السيارة وبين ان يعيش حياته بالعرض لا بالطول بين المسارح والسينما والاندية والكتب • اما المرأة فهى مسيرة حتما نحو ان تشترى وسائل الزينة باغلى الاسعار وملابس من آخر طراز ، حتى لا تتهم بالتخلف والرجعية •

المشكلة هنا ـ على مستوى الافراد ـ انهم موضوعون وجها لوجه امام الاختيار الصعب بين الحصول على الثقافة ـ والثقافة هى ام المعرفة ـ وبين شراء التكنولوجيا ـ وهى دائما عالية الثمن•

هذا على مستوى الافراد ، وعلى مستوى الدولة فان الصورة العامة تتبلور اكثر فاكثر لتصبح كالتالى : ان الدولة عموما تملك رصيدا محددا من العملة الصعبة وهى مخيرة بعد ذلك بين ان تشترى وتستورد ادوات العلم (كتب ـ مراجع ـ اجهزة معامل الخ) • وبين ان تستورد ادوات التكنولوجيا (سيارات ـ ثلاجات ـ مكيفات ••)

(٢) اما فى البلاد الغنية فان النتيجة النهائية لن تختلف كثيرا عن سابقتها وان اختلفت الاسباب ، وما يحدث فى البلاد الغنية هو ايضا كالتالى : ان الدولة تملك الكثير من الاموال والعملة الحرة فهى تستطيع ان تشترى كل ما تريد وما يحلو لها من وسائل العلم وادوات التكنولوجيا•

هذا صحيح ، ولكن ما يحدث بعد ذلك ان هذه التكنولوجيا الزائدة تؤدى الى الترف والراحة والاحساس الزائف بالتقدم والتطور - على آخر طراز - الامر الذى حينما ينعكس على ابناء هذا البلد انما يؤدى الى آثار وسيع ،مدمرة، تماما • ذلك انه بعد هذا الترف يصبح المواطن فى غير حاجة الى ان يسهر ويجهد نفسه فى البحث العلمى والتحصيل •

والكلام بعد ذلك يجرنا حتما الى السؤال التالى: اذا كان الامر كذلك ، اى اذا كان استيراد التكنولوجيا على حساب العلم والعكس بالعكس صحيحا - فلماذا لا تركز اساسا على الاخذ بالتكنولوجيا ولا بأس ايضا بالمبادىء والخطوط العامة والاساسية فى ميادين العلم المختلفة ؟ - وذلك على اساس ان قيمة العلم - اولا واخيرا - هى فى مدى قدرته على ان يتحول فى يد الانسان الى وسائل وادوات اى تكنولوجيا ، وايضا على اساس ان هذه الاخيرة هى اخر ما وصلت اليه الحضارة وان امتلاكها يعنى بالترادف امتلاك الحضارة او الحصول عليها من اسهل الطرق ؟

هذا الرأى المختصر ليس رأى فرد او جماعة من الافراد ، وانما هو النتيجة المستخلصة من (سلوك) الشعوب العربية عموما • واذا اردنا على ذلك دليلا ، وهناك اكثر من دليل ، فلنسأل انفسنا ، بكم نشترى من ادوات التكنولوجيا ، وبكم نشترى من وسائل العلم ؟

النتيجة النهائية بلا جدال هى اننا نشترى ونستورد من التكنولوجيا اكثر بكثير مما نفعل مع العلم •

واذا اعتبرنا - وهذا صحيح - انه بقدر ما نؤمن بشىء بقدر ما نحاول الحصول عليه فاننا سنجد اننا نؤمن بالتكنولوجيا اشد من ايماننا بالعلم•

ومن الثابت ان العلم «انتاجى» وخلاق بطبيعته، اما التكنولوجيا فهى (استهلاكية) • ذلك ان من يملك القوانين والنظريات يستطيع ان يصنع منها عشرات ومئات المبتكرات فى حين ان من يملك ولو جيوشا من السيارات فليس له سوى ان يستخدمها حتى تهلك وتموت فيموت معها ؟

والعلم هو جوهر الحضارة المعاصرة ، والتكنولوجيا ليست سوى ثمرة من ثماره وليس العكس هو الصحيح كما هو الشائع عندنا • بل واكثر من ذلك فانا اعتقد واقرر بلا تحفظ ان العلم (تقدمى) فى حين ان التكنولوجيا (رجعية) على اساس ان وجود العلم فى اى مجتمع وانتشاره يساعد - بالتأكيد - على زيادة معدل تطور هذا المجتمع بالشكل الطبيعى ، فى حين ان انتشار التكنولوجيا فى البلد المتخلف انما تكون - بالدرجة الاولى - اداة فى يد السلطة الحاكمة تثبت به الاوضاع الموجودة ، اذ تمجدها وتجمدها •

وباختصار فان العلم (منحاز) الى التقدم والتطور - بل هو جوهر التقدم والتطور - فى حين ان التكنولوجيا (منحازة) الى الجمود وامتصاص طاقات الجماهير وتفريغها اولا باول •

اننى اركز وجهة نظرى اذن فى هذه النقاط :

* انه اذا كان العلم والتكنولوجيا توأمين لصيقين بشكل نظرى اكاديمى ، فان نقل العلم ادواته واجهزته من مكان الى مكان اخر لا يفرض بالضرورة نقل التكنولوجيا ، وان العكس بالعكس صحيح •

* ان فكرة الاخذ بالعلم والتكنولوجيا معا من قبيل استرضاء الجميع او كسب الاثنين معا هى فكرة ساذجة بالاضافة الى انها خاطئة من الناحية المنهجية والعملية •

* ان نقل العلم - بشكل جدلى مباشر وغير مباشر - انما يكون على حساب التكنولوجيا والعكس صحيح •

* اننا اليوم نتعامل (بالشراء) مع التكنولوجيا اكثر بكثير مما نتعامل مع العلم ، وهذا صحيح من حيث ان التعامل مع احدهما يكون على حساب الآخر ، (وخاطىء) من حيث ان العلم له الاهمية والاولوية على التكنولوجيا •

المطلوب اذن بعد ذلك كله وبناء عليه ان يكون

هناك حد اقصى من التعامل مع العلم وحد ادنى من التعامل مع التكنولوجيا • ولنعرف كذلك ان تكنولوجيا اليوم اصبحت (اداة) وسلعة في يد الذين يملكونها • اى انهم يطوعونها لكى تكون اكثر تجارية واكثر رواجا وبالتالى افضل ثمنا واحسن شكلا ومظهرا • وعلى الذين يشترونها بالتالى ان يطلبوا ويطالبوا بمقاييس ومعايير تناسب ظروفهم واوضاعهم وبيئاتهم • علينا ان نتجه الى تكنولوجيا التبسيط وليس التعقيد، تكنولوجيا الاضافة والفائدة والنفع وليس تكنولوجيا الترف والزخرفة والمظهر الزائف •

ثم لنترك لكل منا بعد ذلك وفقا لظروفه ان يحدد بالعقل والوعى والمصلحة الوطنية - بين ما هو (اساسى) وبين ما هو (ثانوى) - والخطوة التالية هى ان يطرح ذلك الفكر بل والسلوك على الاسواق العالمية كلها وان نتركهم يتنافسون ليعطونا فى النهاية ما نريد وما نحتاج بالابعاد والمواصفات التى نريدها والتى تناسبنا وليس العكس •

ذلك منهج ونمط جديد فى التعامل مع العلم ومع التكنولوجيا علينا ان نستوعبه •

القاهرة - نبيل الليثى

لا تغريب ولا هلاك

بقلم : الدكتور جلال أحمد أمين

● فى المقال الذى كتبه فهمى هويدى فى عدد فبراير الماضى بعنوان « التغريب او الهلاك » اخذ الكاتب آرنولد توينبى اعتباره الماركسية جزءا من تراث الغرب . اذ قال ان توينبى« لا يرى فــى الماركسية الا انها تحمل الجنسية الغربية معــولا على المنشا وحده ، ولا يلقى بالا الى كونها فكرة وعقيدة لها تفسيرها للتاريخ ايا كان راينافيها- ولها فلسفتها التى تتناقض تماما مع اسس الفكر الغربى » •

ولا اظن ان هذا النقد فى محله ، بل ارى على العكس ان توينبى على حق فى اعتباره انالماركسية تنتمى فى اساسياتها الى الفكر الغربى • ان الماركسية تمثل حقــا اتجاهــا نقديــا حــاول اقتلاع مجموعة من المذاهب الفكرية السائدة وقت ظهورها ، من جذورها ، وللماركسية حقا مواقفها المتميزة فى الفلسفة والتاريخ والاقتصاد ، ولكن كل هذا لاينفى انتماءها الى نفس العائلة •

فاذا كانت الماركسية قد بدت فى منتصف القــرن الماضى وكانها الابن العاق للتيار السائد انذاك فى الفكر الغربى ، فانها مع ذلك الابن الطبيعى لهذا الفكر ، وقد عاد الفكر الغربى الى احتضانها واستيعابها بحيث اصبح كثير من افكارها الاساسية جزءا لا يتجزا من الفكر الغربى فى علم الاجتماع وفى الدراسات التاريخية حتى فى الكتابات التى تتصدى لها باشد النقد • فلننظر مثلا الى اى مدى تم استيعاب اهم مسلمات المادية التاريخية فى الدراسات التاريخية الغربية حتى من جانب المؤرخين غير الماركسيين ، كما نعتقد ان سيطـرة الاقتصاديين الى حد يكاد يصل الى درجة الاحتكار على مناقشة قضية التنمية والتقدم ترجع الى

اتجاه عام في الفكر الغربي ساهمت فيه الماركسية بنصيب كبير • او فلننظر مثلا الى اوجه الشبه الكبيرة بين افكار داروين في التاريخ الطبيعي وافكار ماركس في التاريخ الاجتماعي ، وكلاهما يمكن اعتباره انعكاسا لنظرة ذات طابع متميز تكمن وراءها مفاهيم معينة عن التقدم وغاياته واسبابه قد لا يكون من التجني نسبتها الى نظرة ثقافة معينة ، هي الثقافة الغربية ،الى الانسان والى علاقته بالله وبالطبيعة•

ان هذا لاينفي بالطبع ان فلسفة كالماركسية، تحتوي على اضافات ثمينة للمعرفة الانسانية يمكن لاى مجتمع غربي او غير غربي ، الافادة منها • ولكن المراد تاكيده في هذا المقام هو ان الماركسية شانها شان اى نتاج غربي ، مادى او فكرى تضم في ثناياها عنصرين من المهم جدا التمييز بينهما: العنصر العلمي البحت ،وهو الذى يمثل هذه الاضافة الثمينة للمعرفة ، والعنصر القيمى ، الذى يعكس خصائص ثقافة بعينها •

وهنا يكمن الخطأ الكبير الذى يقع فيه من يتهم كل من قبل بعض اجزاء الماكسية بانه لابد انيكون معاديا للدين ، وهو خطأ يعطى الماركسية قيمة اكبر مما تستحق ، اذ انه يساير قول لينين انها ككتلة الصلب التى لا يجوز ان يؤخذ منها جزء ويترك جزء آخر ـ والحقيقة ان هذا ممكن وجائز بل ومطلوب•

لا بد ان نتفق اذن مع الاستاذ فهمى هويدى فيما ذهب اليه من ان الاختيار والانتقاء من الحضارة الغربية ممكن ومطلوب ، وان الخيار المطروح لا ينحصر فقط في الاختيار بين التغريب اوالهلاك• وان كان الارجح ان توينبى لم يقصد انكار ذلك بل اراد فقط الاشارة ، بحق ، الى الصعوبة البالغة في عملية الانتقاء هذه •• حتى في فروع العلم التى يخيل لنا احيانا انها علوم ذات طابع انسانى عام ، وانها تتمتع باكبر قدر من العمومية ، كالعلوم الطبيعية ،نجد ان العنصر القيمى يتدخل على الاقل في تحديد ما يثار من الاسئلة حتى بفرض انه لا يتدخل بتحديد نوع الاجابة عليها •

هذه الصعوبة البالغة في الاختيار والانتقاء من الحضارة الغربية يؤيده التامل النظرى المحض ، كما تؤيده الملاحظة البسيطة لتجارب المجتمعات غير الغربية في محاولتها النقل عن الغرب •فالمسلمون المعاصرون مثلا لم يتمكنوا من ان يتبنوا النظام الغربى في التعليم مع الاحتفاظ بتعفف المراة في نفس الوقت ، ولم يتمكنوا من نقل التكنولوجيا الغربية الى بعض صناعاتهم مع الاحتفاظ بحجم معقول لمدنهم ••• الـخ •

ولكن اذا كان هذا الانتقاء صعبا فانه ليس مستحيلا ، ونجاح عملية الانتقاء هذه لايكمن في مجرد « حسن الاختيار » بين ما ياخذ المجتمع عن الغرب وما لا ياخذ ، بقدر ما يكمن في الطريقة التى يتم بها النقل والتاثر • فالمجتمع المريض، كالجسم المريض ، يلفظ ما يلتهمه كما هو دون ان يمتزج بدمه وعروقه ، والمجتمع السليم يحول ما يتناوله من غذاء الى خلايا جديدة لا تختلف اى اختلاف عن خلاياه الاصلية بحيث يكاد يصبح من المستحيل التعرف على اصل الغذاء ومصدره• فاذا كان اطلاع المسلمين ابان ازدهار الحضارة العربية على الفلسفة اليونانية مثلا لم يؤثر على سلامة عقيدتهم وقوتها ، بل زادها قوة ، فالسبب ليس هو مجرد انهم احسنوا الاختيار بين ما ينقلون وما لا ينقلون ، بل هو الموقف النفسى الصلب الذى واجهوا به قيم الحضارات الغربية عنهم • ولهذا فحينما يقول الاستاذ هويدى بحق انه لاخلاص للمسلمين الا بأن « يتسلحوا بالعقيدة الصحيحة » فاننا يجب ان نفهم من هذا قبل كل شىء استعادة المسلم لثقته بنفسه ؛ والقيمة الاجتماعية الكبرى لتمسك المسلم بعقيدته هى ان هذا هو الثمن شى لديه ، ومن لم كان معنى شكه في قيمتها هو التخاذل النفسى التام • ان هذا هو في الواقع وجه الشبه بين صمود الصين في الوقت الحاضر وصمود العرب في مواجهة الحضارات

المنافسة لحضاراتهم فى القرون الاولى للاسلام • فاذا كان صمود الصين لا يشترط تمسك الصين بعقيدتهم الدينية فان صمود العرب يشترطه•

يترتب على هذا نتيجة هامة تتعلق بالمحاولات العديدة التى يبذلها كتاب لا شك فى اخلاصهم فى سبيل ما يسمونه « بتجديد » الفكر الدينى تحت شعار الاجتهاد او الاصلاح او التحديث او تطوير الدين لملاءمة ظروف العصر • ذلك ان هذا الطريق محفوف باخطار لاحد لها يخشى منها ان تنتهى ، فى غمار محاولتنا للتصحيح والاصلاح، الى فقدان اثمن ما لدينا وهو الثقة بكمال ديننا وفضله المتميز على غيره • ان قول اللورد كرومر الشهور « ان اسلاما جرت عليه محاولات الاصلاح لايعود بعد ذلك اسلاما »

(Islam reformed is Islam no longer)

يعكس ادراكا مذهلا للحقيقة : وهى انك متى بدات تشكك فى الاسلام وصلاحيته كنظام كلى متماسك فانك بذلك تسدد اكبر طعنة للمسلمين •

هل يمكن لنا هنا ان نستفيد من تجربة الصين فى هذا الصدد ، رغم كل ما بيننا وبينهم من فوارق ، ورغم ان القضية لديهم ليست قضية التمسك بعقيدة دينية او عدم التمسك بها ؟ اعتقد ذلك • فالصينيون لم يسمحوا لاى مذهب غريب عليهم بان يثير لديهم الشك فى تفوق نظرتهم الخاصة الى الامور • ومن ثم كان تبنيهم للماركسية مختلفا كل الاختلاف عن تبنى السوفييت لها ، حتى ليكاد يكون من المشكوك فيه صحة الكلام عن وجود ما يسمى « بالماركسية الصينية » الا بالكثير من التجاوز • اذ يجب الا تخدعنا الشعارات والمصطلحات ، فالمهم ليس هو ما يسمى به الحزب الشيوعى الصينى نفسه بل المهم هو ما يصنعه ، تماما كما ان الهجوم المستمر من جانب السوفييت على الغرب لا يجب ان يمنعنا من تصنيف تجربتهم بانها فى الاساس تجربة « غربية » •

الدرس الاساسى اذن الذى يجب ان نتعلمه من الصينيين هو الا نشك لحظة واحدة فى سلامة نظرتنا الخاصة ، وكل عمل فكرى يحاول تشكيكنا فى ذلك تتعين مقاومته ، وكل محاولة للسخرية من خصائص ادبنا او موسيقانا او معاييرنا الاخلاقية ، او لتسخيف مبادئنا الدينية الراسخة او اثارة الشك حول ملاءمتها للعصر ، ليست الا مساهمة فى قتل نفسية هذه الامة ، مهما كان حسن نية اصحابها •

ان من يتامل التاريخ الاقتصادى للدول التى تفوقت علينا اقتصاديا ، وبنت حضارة صناعية متقدمة، لن يصادف مثالا واحدا لم تقترن فيه النهضة الاقتصادية ، وبالذات فيما يسمى «بمرحلة الانطلاق» بشعور قومى عارم ، وبالاعتقاد بالتفوق على الغير او على الاقل برغبة قوية فى اثبات الذات وبانها ليست باقل قدرا من الامم الاخرى • ومن المؤسف ان الاقتصاديين فى محاولتهم البحث عن شروط التنمية الاقتصادية قد تجاهلوا هذا العامل تجاهلا يكاد يكون تاما وركزوا بدلا منه على مظاهره السطحية وآثاره، كارتفاع معدل الادخار والاستثمار، او توفر الكفاءات والمهارات ، او تطوير فنون الانتاج ... الخ • مع ان هذه كلها ليست الا نتائج لتفجر طاقة نفسية قد لا يفسره اى عامل اقتصادى • فاذا كان هذا هو حقا مفتاح النهضة الذى يفتح كافة الابواب المغلقة ، فانه لايكون هناك مفر لاية امة ترغب فى تحقيق نهضتها من اكتشاف المفتاح الخاص بها (وهو لايمكن الا ان يكون مفتاحا خاصا) • ومن الغريب الا نرى ان هذه الطاقة النفسية الكامنة لدى العرب والمسلمين لايمكن تفجيرها الا عن طريق الدين • قد يقال : « نعم ولكن لا بد من اعادة تفسيره »، ونحن نقول : حذار كل الحذر من ان تؤدى محاولاتنا لاعادة اللمعان الى الذهب الى احداث اى خدش به • ■■

د • جلال أحمد أمين



الحضارة العربية الاسلامية فى يوغوسلافيا

استطلاع بقلم : منير نصيف

تصوير : صلاح آدم





لي ، حيث يعيش اكبر عـــدد مـن المسلمين في جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية .. وهي مدينة
(الصورة الى اعلا).. الشيخ الوقور الحاج مصطفى وهو امام اقدم واكبر مسجد فيها .. مسجد
(الصـورة الـى اليمين) .

لانها ، كما قال ايان هاملتون فى كتابه« يوغوسلافيا ، انماط من الانشطة الاقتصادية » الذى صدر فى لندن عام ١٩٦٩ ، تمثل نموذجافريدا للوحدة بين الاجناس والاديان ، او ان شئت سمها « بالقوميات » التى تعيش وتتعايش فى ظل الدستور الاتحادى الذى ارسى قواعده مؤسس يوغوسلافيا الحديثة جوزيف بروز تيتو ٠٠ لقدنص الدستور على تحريم التنافر والتباغض والعداوة والتفرقة بين الطوائف الدينية ٠٠ كل ابناء الامة يتساوون ، طبقا لهذا الدستور فى الحقوق والواجبات •

ولانها ــ ولعل هذا السبب الثانى ، هو الذى يهمنا بشكل مباشر من هذا التحقيق الصحفى السريع ، فى اكبر دولة من دول شبه جزيرة البلقان ــ تعتبر بلا جدال مركزا وموطنا لاعظم جماعة اسلامية منظمة فى القارة الاوروبية كلها بعد ضياع الاندلس •

ولانها اخيرا ترتبط بنا ونرتبط بها نحن العرب ، نتيجة لمواقفها السياسية العادلة من قضيتنا القومية ، وما يقوم بين الشعب اليوغوسلافى وبين الشعوب العربية من تعاون فى المجالات الاقتصادية والثقافية ، الركيزة الاساسية لتقدم الشعوب •

من اجل هذا ذهبنا اليها لنرى ونسمع ونسجل ٠٠

فقد خرجت مجلة العربى وخرجنا معها من الاطار الضيق الذى كان يحتويها منذ صدورها ، ولم يعد التقليد الذى كان سائدا ان تكون العربى للعربى وحده ، هو القاعدة ، فقد بدات العربى تتجه الى الدول الصديقة شرقا وغربا لتنقل صورا عربية اسلامية من خلال تلك النظرة الاوسع والاشمل لتركيب المجتمع وتكوينه فى هذه البلاد •

أخوة فى الدين

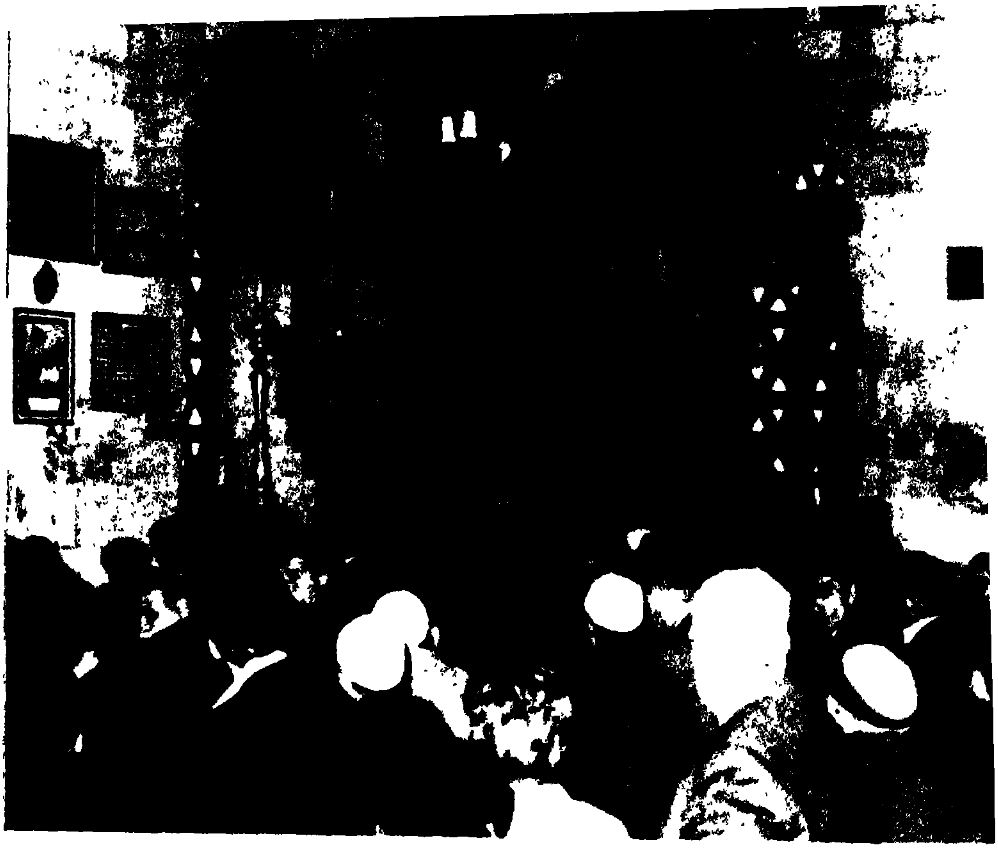
وهكذا بدات رحلتنا الى يوغوسلافيا لنلتقى باخوة لنا فى الدين ٠٠ ماذا صنعنا لهم ٠٠ وماذا صنعوا هم لانفسهم ومن اجل ابنائهم ومستقبل بلادهم •

ان المواطن اليوغوسلافى بصفة عامة ليس غريبا علينا ، فهو بينناومعنا معلما وطالب علم ، منذ ربع قرن او اكثر ، فما بالك اذا كان هذا المواطن فى اى من الموقعين ، يدين بديننا ويتحدث لغتنا •

فى بلغراد ، عاصمة جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية وتضم ست جمهوريات ، كان لنا اول لقاء بجوهر المهمة التى ذهبنا من اجلها ٠٠ بمفتى الاسلام فضيلة الشيخ حمدى يوسف سباهتش ٠٠ وفى

يوغوسلافيا بجمهورياتها الست •





فى بلغراد عاصمة جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية ، وقف مفتى المسلمين الشيخ حمدى يوسف يلقى خطبة الجمعة فى المصلين بمسجد البيرمكى ٠٠ وهو ايضا من المساجد القديمة ، وقد شيده الاتراك ايام الحكم العثمانى ٠

بيته الصغير الجميل قدمنا لاسرته ٠٠ زوجته المصرية ، وزميلته فى الدراسة فى الازهر الشريف، السيدة نبيلة مصطفى حسن ، واطفاله الثلاثة محمد ومصطفى ومنى ٠ وجلس الشيخ حمدى يحدثنا عن المسلمين فى يوغوسلافيا ، وعن حالهم واحوالهم ٠ قال : « فى يوغوسلافيا اليوم اكثر من اربعة ملايين مسلم من مختلف القوميات ، فبينهم المسلمون القوميون من جمهورية البوسنة والهرسك وكذلك فى منطقة صنجق من جمهورية الصرب ٠ وهناك المسلمون الالبانيون ويبلغ تعدادهم حوالى مليون ونصف مليون ثم المسلمون الاتراك الذين جاءوا واستوطنوا يوغوسلافيا مع الحكم العثمانى منذ اكثر من خمسمائة عام ٠٠

٢٦٠٠ مسجد

ثم يقول : « نحن نمارس شعائرنا فى حرية تامة ٠٠ يكفى ان اذكر لكم اننا شيدنا فى مختلف انحاء يوغوسلافيا اكثر من ستمائة مسجد جديد منذ عام ١٩٦٠ حتى اليوم ، هذا غير المساجد التى تم ترميمها وتجديدها ، وهى التى كانت موجودة قبل هذا التاريخ ويزيد عددها على الالفى مسجد ٠٠ وفى كل منها مدرسة صغيرة او « كتاب » لتعليم الصغار والكبار القرآن الكريم باللغة العربية ، اما الفقه فنشرحه لهم بالصربية ٠ ومن هنا تبرز الحاجة الملحة الى نشر العربية لغة القرآن الكريم » ٠





القديم والحديث جنبا الى جنب ف
ساراييم .. كلية الدراسات الاسلامية ال
شارك في افتتاحها وزير الاوقاف والشؤ
الاسلامية بدولة الكويت .. وشارك المسلم
اليوغوسلافيون بدورهم في نفقات بنائها
والسوق القديم الذى يحمل الطابع الشر
.. نفس طابع المبانى العثمانية التى ترا
فى البلدان العربية التى دخلها العثماني
.. وفتاة مسلمة تقرأ فى الادب العربى بالل
العربية .



الذى استوقفنا حقا هو دور الدولة فى الحفاظ على هذا التراث .. فقد قال لنا الشيخ حمدى : « لقد كانت الدولة فى مقدمة المهتمين بترميم وتجديد وصيانة المساجد القديمة ذات القيمة التاريخية .. وهى التى اعترفت ، بعد الحرب الثانية العالمية ، وتحرير الاراضى اليوغلاسلافية من الاحتلال النازى، بالطائفة الاسلامية كجزء لا يتجزأ من المجتمع اليوغوسلافى ، وسمحت للمسلمين بممارسة نشاطهم الدينى بحرية كاملة ، واعترفت بشخصيتهم وتاريخهم وحضارتهم ، وسنت القوانين واللوائح التى تحدد علاقة المسلمين بالدولة .. وكانت النتيجة ان راينا الشباب المسلم يرتقى اعلى المناصب واخطرها .. فقد اصبح نائبا فى البرلمان .. والطريق امامه مفتوح لعضوية رئاسة الدولة الاتحادية .. وهم اليوم بعد هذا وقبل هذا ، من ألمع الكتاب والمفكرين والفنانين والعلماء .. لقد غزوا كل مجال من مجالات العمل والعلم وبرزوا فيها .. »

فى جامعة بلغراد

اكثر من سبب يشد المرء شدا الى الذهاب الى هذا المصنع الكبير الذى يصقل المواهب ويغذيها ويدفعها الى الانطلاق نحو آفاق اوسع .. الى الجامعة ، ذلك البناء الذى تبذل الدول .. كل الدول فى سبيل انشائه ورعايته ودعمه بالمال والعقول كل ما تملك ، واكثر مما تحتمل طاقاتها .. لانه المستقبل .. ولانه املها فى التقدم والتطور نحو حياة افضل ..

واهمية جامعة بلغراد بالذات ، انها احد جامعتين فى يوغوسلافيا تهتمان بتدريس الل العربية واللغات الشرقية الاخرى .. اما الثا فهى جامعة سراييفو .. ولكن الاولى اقدم بطبي الحال ، وقد انشئت منذ اكثر من مائة عام .. والذى يعنينا منها هو قسم الدراسات الشرقية . وقد بدأت الدراسة فيه بعد الحرب العالمية الثاني ولم يكن عدد الطلبة فى القسم الجديد ، اكثر من اربعة ، وكانوا جميعا يدرسون اللغة التركي بالحروف العربية ، قبل ان يحولها اتاتورك الى الحروف اللاتينية ..

وتطورت علاقة يوغوسلافيا الحديثة بالدول العربية ، ونمت هذه العلاقة وتوطدت بعد مؤتمر باندونج ، وظهور كتلة دول عدم الانحياز .. وم هذه التطورات الجديدة على المسرح السياسى بدأ الاهتمام باللغة العربية ، وبدأ الطلب اليوغوسلافيون يقبلون على دراسة هذه اللغ وآدابها وتاريخها ..

وتقدم جامعة بلغراد الف منحة دراسية سنو للطلبة من الدول النامية والدول العربية خاص .. وفى جامعتى بلغراد وساراييفو اكثر م الفى طالب من الدول النامية ، الدول العرب والدول الافريقية والاسيوية ، جاءوا للدراسة عل نفقتهم الخاصة .

وتضم هيئة التدريس فى قسم الدراسات الشرق اربعة اساتذة عرب ، اثنين منهم جاءا من مصر



داخل مسجد خسروبا فتاة مسلمة تبتهل ال الله امام المنبر الذ يخطب من فوقه ام المسجد ..



وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية يوسف جاسم الحجى بدولة الكويت يستمع باهتمام الى كلمة تلقيها فتاة يوغسلافية مسلمة ، عندما سافر الوزير لافتتاح الكلية الاسلامية فى ساراييفو .

خمسة اساتذة يوغوسلاف تخرجوا من الجامعات المصرية ..

عتاب للاخوة العرب

ولكنهم يعتبون على اخوانهم العرب المسلمين.. وما اكثر ما سمعنا من كلمات العتاب ..ان الاخوة المسلمين فى الاقطار العربية وغير العربية لا يعرفون الكثير عن مسلمي يوغوسلافيا .. ان الجامعة تطمع فى امدادها بالكتب والمراجع والمجلات الثقافية والادبية والصحف العربية ..

قال لنا طالب يوغوسلافى مسلم يدرس العربية وادابها :

« اليس غريبا ان تصل الكتب العربية والصحف العربية الى اثينا عاصمة اليونان ، وتقف عندها !! » .. والمسافة بالطائرة بين اثينا وبلغراد لا تزيد على نصف ساعة !

ولم يكن فى حاجة لان يؤكد لنا صدق روايته .. فقد جئنا الى بلغراد عن طريق اليونان .. فى ميدان سينتاجما . اكبر ميادين العاصمة اليونانية ، كانت الكتب والمؤلفات والصحف العربية تحتل مكانا بارزا فى اكشاك بيع الصحف والمكتبات!

وعلى مدى اسبوعين كاملين بين بلغراد وساراييفو، لم نجد صحيفة عربية واحدة فى اى مكان .. وحتى عندما حمل بعض الطلبة العرب شكواهم الى السفراء العرب فى بلغراد ، لم يجدوا عندهم حلا .. مجرد وعود ، ويمضى الوقت ولا يتحقق شىء !

من مصر .. ومن الازهر الشريف تخرج العديد من الشباب الذين يحملون اليوم لواء الدعوة ويؤدون واجبهم على اكمل ما يكون الواجب فى الجامعات والمساجد والمكتبات القديمة ومختلف دور العلم والدين .. فمصر تقدم كل عام اكثر من مائة منحة دراسية لمائة شاب يوغوسلافى ..

الدولة .. والدين

ومع كوتشايونتش ، رئيس لجنة النظام السياسى والعلاقات القومية برئاسة الجمهورية كان لنا لقاء قبل ان نستعد لمغادرة بلغراد ، والسفر الى ساراييفو .. قال الرجل : « العلاقة بين الدولة والديانات المختلفة فى يوغوسلافيا علاقة تحكمها القاعدة التى تقول : « الدين لله والوطن للجميع » ، والدولة هنا تحترم حرية العقيدة

القرآن الك
هل يحفظه الم
بغير لغته ؟
لا .
فسر الأعجـ
كتاب الله بلا
هنا كان اهتمام
في يوغوسلافيا
اللغة العربية
الجامعات .
المدارس .. في
.. وفي المكت
تفتقر الى ا
اللغة والادب
بالعربية .. لقد
رسالة الى
العرب المسل
يبخلوا عليه
والمزيد من ال
شتى الوا
والمعرفة . وم
جامعة بلغ
بالعربية على
(الى اليسار
أخرى مع بع
العربية وص
فطاحل الادب
العربي المعا
توفيق الحكيم
خليل جبرا
حسين ، مئذ
ومئذنة وقبة
قديم في سا







وممارسة العبادات وتصريف شئون الاديان وانشاء المدارس الدينية والمؤسسات الثقافية التي تعمل على رفع مستوى هذه المجموعات من افراد الشعب اليوغوسلافي ، كما تقوم الدولة بتقديم كل مساعدة للطوائف الدينية الثلاث ـ الاسلام والمسيحية واليهودية ـ تحت لواء الوحدة اليوغوسلافيه الكبرى .

« يكفي ان اقول لكم انه ليس في يوغوسلافيا مواطن من الدرجة الاولى ، ومواطن من الدرجة الثانية . ليس في اي طلب للالتحاق باي وظيفة سؤال عن جنسية طالب الوظيفة او ديانته . ليس عندنا احياء معزولة Ghettos ، لاي فئة تعتنق اية ديانة .. عندنا ٢٢ مليون مواطن ، هم تعداد سكان يوغوسلافيا الذين ينتشرون في مختلف انحاء البلاد التي تبلغ مساحتها ٢٥٦ كيلو مترا مربعا .. وقد تجد هناك تباينا في ازيائهم وربما في ملامحهم .. وفي تقاليدهم وعاداتهم ، ولكنهم جميعا يوغوسلاف » .

من هم مسلمو يوغوسلافيا ؟

انهم الاتراك الذين جاءوا مع الحكم العثماني منذ اكثر من خمسمائة عام ، وهم الالبانيون الذين نزحوا من البانيا .. وهم بعد هذا المسيحيون الارثوذكس ، غالبية ابناء يوغوسلافيا اليوم ، والكاثوليك ، الذين آمنوا بالاسلام واشهروا اسلامهم ايام الحكم العثماني وما بعده ، ثم هم بعد ذلك اليهود ايضا .. نفس القصة التي عاشتها المنطقة العربية في فجر الاسلام ، وان اختلفت الظروف .

ان مسلمي يوغوسلافيا وان كانوا يعيشون بعيدين عن المراكز الدينية الاسلامية ، وبمعزل عما يدور في العالم الاسلامي ، الا انهم مضوا يحملون رسالة الاسلام وحضارته ، مدافعين عنهما بكل الحماس والايمان والاخلاص وهكذا انتشر الاسلام وازدهر في هذه المنطقة ، وظهرت قومية المسلمين اليوغوسلافيين واضحة المعالم ، تزهو اعتزازا وفخرا بحضارتها وتعاليم دينها .

ولكن هل كان الاتراك حقيقة هم اول من نقل الاسلام الى هذه البلاد ؟ هناك رأي ثابت في كتب التاريخ يقول ان العلاقة بين المسلمين ودول شبه جزيرة البلقان ، بدأت قبل دخول العثمانيين تركيا بقرون طويلة تقول الكتب ان الاسلام وصل الى يوغوسلافيا قبل عام ١٤٦٣ (تاريخ الحملة العثمانية) ، كيف ؟

قبل الاتراك بزمن طويل

كان التجار المسلمون يركبون البحر حاملين تجارتهم الى اوروبا .. وكانوا يحطون في الموانيء يبيعون ويشترون .. واختلطوا بالاهالي فعرفوهم، وعرفوا فيهم الامانة والخلق العظيم ، فاكرموا وفادتهم ، وقربوهم اليهم .. وسرهم ما سمعوا منهم عن الدين الذي يعتنقونه ويحملون تعاليمه في قلوبهم .. فلم يتركوهم يبرحون ديارهم

تحت الاشجار الوارفة وفي الحديقة التي عاشت لاكثر من خمسمائة عام منذ دخول العثمانيين يوغوسلافيا .. وقف استاذ اللغة العربية من مصر بين طلبة وطالبات كلية الدراسات الشرقية ابناء يوغوسلافيا يشرح لهم درسا في الهواء الطلق .



…ين الى حيث جاءوا ، الا بعد ان اشهروا …لامهم على ايديهم .

وفي سارايبفو عشنا اياما نستمع الى سطور من التاريخ .. ونرى نماذج من الحياة الشرقية بكل مظاهرها وصورها .. وسارايبفو هي عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك كما ذكرنا .. او عاصمة المسلمين نظرا لانها تضم اكبر عدد من مسلمي يوغوسلافيا المنتشرين في جميع ربوع البلاد .. ففي هذه الجمهورية وحدها يعيش ما يربو على المليون ونصف مليون مسلم .

وهي مدينة المساجد والمآذن .. وفيها اقدم مسجد بناه الاتراك وهو مسجد غازي خسرو بك التركي منذ اكثر من ٤٥٠ عاما ، وخسرو هو حفيد السلطان بايزيد الثاني ، سلطان تركيا ..

الاسواق العربية في يوغوسلافيا

وتمشي في اسواقها القديمة ، فترى فيها سوق العميدية في دمشق ، ومدحت باشا في حلب ، وخان الخليلي في القاهرة ، والاسواق القديمة في تونس والمغرب .. نفس الصناعات الحرفية التي صنعتها الايدي الماهرة المدربة .. نفس الزخارف والالوان التي تجدها في الاواني الفضية والنحاسية .. حتى الطربوش التركي ما زال يغطي رؤوس الكثيرين من ابناء سارايبفو .. لقد ترك العثمانيون بصماتهم في كل شيء .. وما زالت المباني القديمة تحمل الطابع الشرقي بكل تفاصيله ودقائقه ونقوشه ! بعض هذه المباني الاثرية وقف صامدا يتحدى الزمن .. وكلما احسوا بالخطر يتهدد بقاءه واستمراره، سارعوا لينقذوه ويضيفوا الى عمره بضع سنوات اخرى .. انه يحمل بين جدرانه ذكريات حية ما زالت تعيش في اذهان ابناء هذه المنطقة التي عاشت وصمدت لاعنف اساليب الاستعمار النمسوي قبل مائة عام تقريبا وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

لقد تولت المملكة النمساوية الهنغارية ادارة البوسنة والهرسك بمقتضى مؤتمر برلين في عام ١٨٧… .. وشيئا فشيئا بدأ سكان هذه المنطقة …سون الفجوة السحيقة بين اهداف هذا المحتل …ديد وبين مصالح واماني الاهالي . وبدا …راع مريرا بين الحاكم المتسلط وبين الشعب . …ات المقاومة الوطنية المسلحة ضد المستعمر حتى … عام ١٩٠٦ الذي شهد اول اضراب عمالي

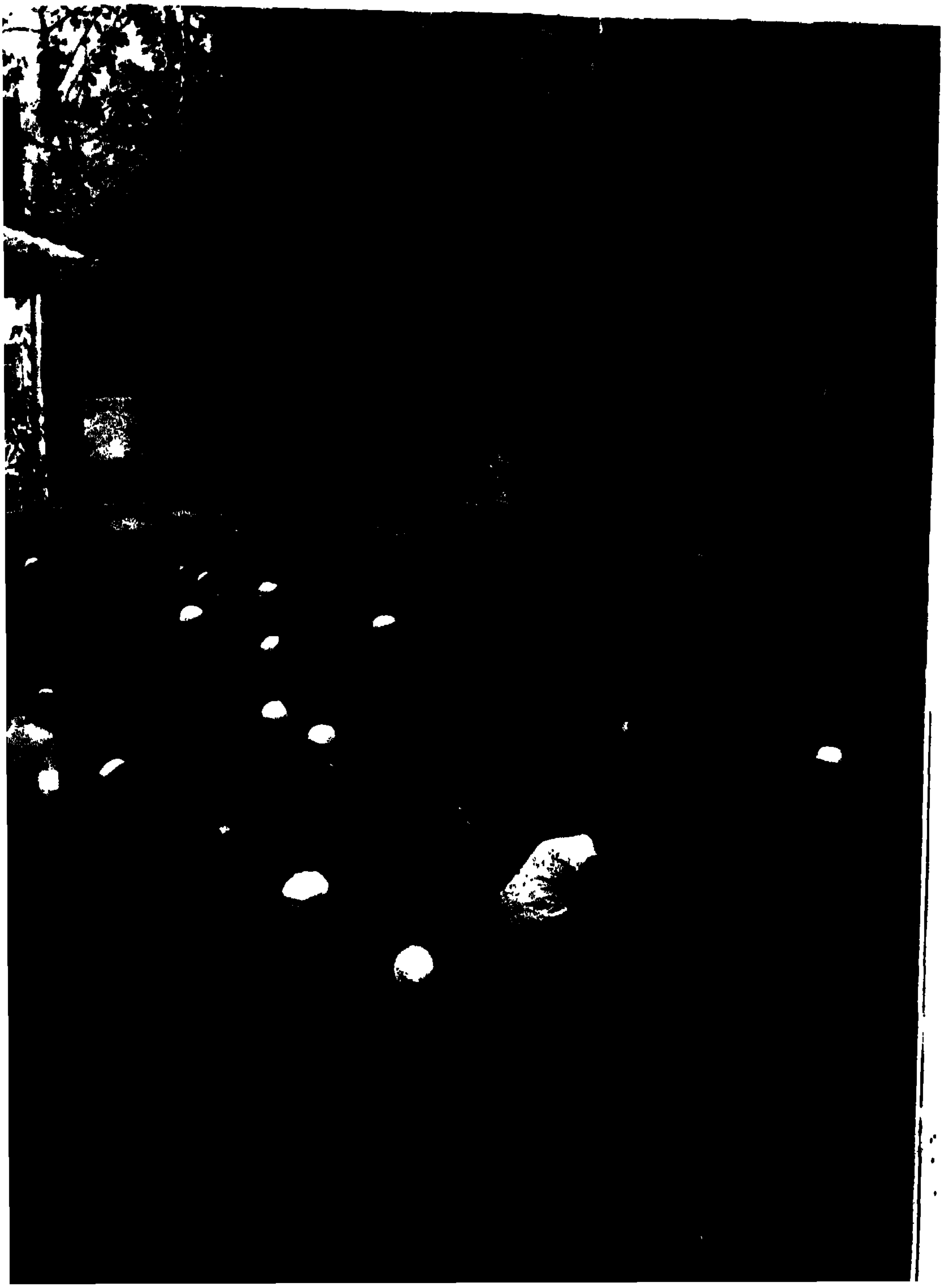


فتاتان يوغوسلافيتان مسلمتان من طالبات كلية الهندسة بجامعة سارايبفو ، تخططان لصيانة وترميم مسجد خسروبك في عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك .. لقد وعدت دولة الكويت بالانفاق على صيانة هذا المسجد الاثري القديم .

عام شل الحياة تماما ثم تلاه اضراب الفلاحين عام ١٩١٠ .. الى ان اتسع نطاق الحركة المناهضة للحكم النمساوي خلال الحرب العالمية الاولى . فما كان من المملكة النمساوية الهنغارية الا ان اعلنت ضم البوسنه والهرسك الى اراضيها املا منها في تثبيت حكمها في شبه جزيرة البلقان ، وخنق الحركات الوطنية المعارضة .

ويضاعف هذا الاجراء التعسفي من قوة تلك الحركات الوطنية ومن تحديها ، وتتالف بين الشباب حركة « البوسنة الفتية » التي يخرج زعماؤها لاغتيال الحاكم النمساوي « فاربشانين » ، ولكن الرصاص يخطئه ويصيب ولي عرش النمسا

ضاق المسجد بالمصلين ، فوقفوا خارج المسجد يؤدون صلاة الجمعة ·· لقد اذن المؤذن « الله اكبر الله اكبر » ·· وعندماوقف خطيب الجمعة الشيخ حمدى راح يلقى خطبته بالعربية تتخللها آيات كريمةواحاديث شريفة ·· يتلوها بالعربية ثم يشرح معانيها مرة أخرى بالعربية ·





الشيخ حمدى مفتى المسلمين فى في بلغراد مع زوجته المصرية وزميلة دراسته في الازهر الشريف السيدة نبيلة ٠٠انها تحرص على زيها الاسلامي المحافظ حتى في البيت ٠٠ واطفالهما الثلاثة حولهما ٠

●

عائشة استاذة اللغة العربية بكلية الدراسات الشرقية في بلغراد ، وهى مسلمة وزوجها استاذ يوغوسلافى ايضا ومسلم ٠٠



« فرانتز فرديناند » اصابة قاتلة ، وتعلن النمسا الحرب على صربيا ، وتندلع شرارة الحرب العالمية الاولى في عام ١٩١٤ •• وهي الحرب التي ادت في النهاية الى سقوط وانحلال المملكة النمساوية ـ الهنغارية ، وتوحيد الشعوب اليوغوسلافية •

يقول امام المسجد القديم (مسجد غازي خسرو) الذي وعدت حكومة دولة الكويت ممثلة في وزير الاوقاف والشئون الاسلامية ، بترميمه واصلاحه وتجديده ، يقول الامام مصطفى سفندجيج الذي تخرج في الازهر الشريف منذ اكثر من اربعين عاما : « عندنا اكثر من الف وستمائة امام ، نحن نفخر بانتمائنا الى اخواننا العرب في الدين••ان المسلمين هنا في يوغوسلافيا ليسوا أتراكا •• فقد انقطع حبل الصلة بيننا وبين تركيا •• ونحن اليوم نتجه الى العرب بكليتنا •• وهو اتجاه بدأ منذ سنوات بعيدة ، ولكننا لم نجن ثماره بعد ! »

تيتو واللغة العربية

يقول الدكتور احمد اسماعيلوفتش الذي تخرج في جامعات القاهرة ، ويشغل الان منصبا دينيا قياديا في سارايفو ، فهو رئيس المشيخة الاسلامية بجمهورية البوسنة والهرسك ، يقول : « الحضارة العربية الاسلامية في يوغسلافيا قديمة ، قدم التاريخ •• ثم هي ليست غريبة ولا جديدة على اوربا •• لقد تاثر ديكارت بفلسفة الغزالي •• وقال انجلز ان العرب قد اثروا مذاهب فلاسفة الغرب ، واثروا عليها •• قبل ضياع الاندلس كانت اوربا كلها تتجه للعرب وحضارتهم ، وقد اثرت هذه الحضارة في النواحي الفكرية والمادية في اوربا حتى بعد خروج العرب من الاندلس ، لا اود ان اخوض في النواحي السياسية ، ولكنني استطيع ان اقول بكل الصدق ان ثورة تيتو انقذت المسلمين والاسلام في يوغوسلافيا •

« اسمعوا هذه القصة •• عينت ناظرا للمدرسة اليوغوسلافية التابعة لسفارتنا في القاهرة بعد اكمال دراساتي العليا • وجاء تيتو لزيارة مصر في عام ١٩٧١ ، وذهبت للقائه والترحيب به بحكم منصبي الاكاديمي ، وفجأة وجدته يسالني : « هل يتعلم ابناؤنا اللغة العربية في المدرسة اليوغوسلافية؟»

وقلت : « لا ، فهي ليست في برنامج الدراسة ؟»

وقال تيتو : « لا بد اذن من ان تكون ضمن البرنامج •• لانني اريد ان يتعلم ابناؤنا اللغة العربية لانها لغة المستقبل » •

المرأة المسلمة في يوغوسلافيا

اين المرأة المسلمة في يوغوسلافيا بعد هذا •• قال لنا احد رجال الدين : « انها في البيت وفي المدرسة وفي المصنع وفي الحقل وفي كل مكان •• فهي مع رجلها وبجانبه تعاونه وترعاه وتحمل اطفاله وتؤدي فرائض الصوم والصلاة والحج الى بيت الله الحرام •

« وقد تختلف المرأة المسلمة في الريف عن اختها التي تعيش في الحضر •• ولكنه مجرد اختلاف في الشكل •• في الزي مثلا ، تماما كما هو الحال عندكم •• ولكن الجوهر لا يتغير •• » •

ـ هل يتزوج الرجل باكثر من واحدة ؟

ـ في حالات نادرة ، كان تكون الزوجة عاقرا على سبيل المثال ، او ان تستحيل الحياة الزوجية بينهما لسبب او لاخر •• ولكن القاعدة عندنا دائما هي الا يفترق الزوجان حتى يتوفى الله احدهما !

ثم يقول الشيخ : « شغلنا الشاغل اليوم بعد ان ارسينا تعاليم ديننا ومبادئه ان نتيح للمرأة المسلمة كل فرص التعليم للحصول على أرقى الشهادات ، فلا خير في مجتمع يعيش نصفه في جهالة » •

« ولم تكن مصادفة تلك التي حدثت عندما جاء وزراء الاوقاف من بعض الدول العربية الصديقة لحضور حفل افتتاح كلية الدراسات الاسلامية الجديدة التي شيدها مسلمو البوسنة والهرسك بالاموال التي جمعوها •• فقد حرصنا على ان يكون بين الحاضرين فتاة مسلمة ، تقدمت الصفوف وهي تحمل باقة من الزهور لتهديها للوزراء العرب باسم نساء مدينة سارايفو المسلمات •

ثم ينهي الشيخ حديثه : « انقلوا الصورة كما رأيتموها الى اخواننا العرب في كل مكان •• قولوا لهم اننا نتوقع منهم ان يرسلوا لنا المزيد من كل ما عندهم من كتب ومراجع اسلامية وأدبية وثقافية •• فنحن نريد ان نعيش معهم فكرهم ورؤيتهم لامور الدين والدنيا •• نريد ان نشعر بان حضارة المسلمين العرب تعيش معنا بكل صورها وملامحها القديمة والحديثة » •

منير نصيف

بائع الجوارى
صاحب الحكم والآداب

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هدارة

■ كانت تجارة الرقيق منذ القرن الاول للهجرة رائجة لوجود مشترين دائما محتاجين الى العبيد والارقاء • وكانت مدينة سمرقند من اهم مراكز تجارة الرقيق ، وقد اشتهر عدد من تجار هذه البضاعة لاقامتهم بيوتا عامرة بالجوارى الحسان اللاتى تلقين دراسات خاصة فى فن معاملة الرجال، ومحاولة اغرائهم واجتذاب قلوبهم واموالهم ،كما تلقين دراسات اخرى فى الغناء بانواعه المختلفة وفى فنون الايقاع والعزف على الآلات الموسيقية •

ومن بين اولئك النخاسين فى العصر العباسى ـ شخصية تختلف تماما فى مزاجها وتكوينها وثقافتها وطبيعة حياتها عن شخصيات كل من عرفنا من النخاسين ، انه محمود بن الحسن الوراق الذى



عاش فى اواخر القرن الثانى للهجرة واوائل الثالث ، والذى لانكاد نجد شيئا من اخباره فى المصادر المختلفة ، الا بعض الاشارات العابرة التى لا تكاد تؤلف صورة ذات ملامح واضحة • ونستطيع ان نستنتج استنتاجا انه كان يحيا كما يحيا النخاسون حياة لهو ومجون ، وقد استبان لنا ذلك من خبر عارض يذكره ابن المعتز فى اخبار الشاعر « ابى الشبل » ، ويقول ان محمودا الوراق كان صديقه ، وكانا يذهبان معا الى الحانات ، ثم لا نعرف من اخباره شيئا بعد ذلك الا عن طريق الحديث عن جواريه •

اما الخبر الأول فيتصل بذكر جارية اسمها (نشو) توفيت فذهب الناس يعزون سيدها محمود الوراق . وكانت الجارية تساوى آلافا من الدنانير لجمالها وبراعة غنائها وحسن ادبها ، وكان من الطبيعى ان يذكر المعزون محاسنها لاظهار اسفهم على فقدها ، ولكن الوراق اعتصم من تاثير اقوال المعزين قائلا :

ومنتصح يكرر ذكر نشو
ليحدث لى بذكراها اكتئابا
أقول ـ وعد ما كانت تساوى
سيخلفه الذى خلق الحسابا
عطيته ـ اذا أعطى ـ سرور
وان أخذ الذى أعطى ، أثابا
فأى النعمتين أعم فضلا
واكرم فى عواقبها ايابا
أنعمته التى اهدت سرورا
أم الاخرى التى اهدت ثوابا
بل الاخرى وان نزلت بكره
أحق بصبر من صبر احتسابا

واما الخبر الثانى فيتصل بجارية اخرى اسمها (سكن) كانت من احسن خلق الله وجها ، واكثرهم ادبا ، واطيبهم غناء • وكانت تقول الشعر فتاتى بالمعانى الجياد والالفاظ الحسان • وكان محمود ـ كما يقول ابن المعتز فى طبقاته ـ قد رقت حاله فى بعض الدهر ، واختلت اختلالا شديدا ، فقال لجاريته سكن : قد ترين يا سكن ما انا فيه من فساد الحال ، وصعوبة الزمان ، وليس بى ـ وجلال الله ـ ما القاه فى نفسى ، ولكن ما اراه فيك ، فانى احب ان اراك بانعم حال ، واخفض عيش ، فان آثرت ان اعرضك على البيع ، فعلت ، لعل الله ـ عز وجل ـ يخرجك من هذا الضيق الى السعة ، ومن هذا الفقر الى الغنى . قالت الجارية : ذلك اليك • فعرضها فتنافس الناس ورغبوا فى اقتنائها • وكان احد الطاهريين قد عرض ثمنا لها مائة الف درهم . واحضر المال ، فلما راى محمود تلك البدر ، سلس وانقاد ، ومال الى البيع وقال : « ياسكن ، البسى ثيابك واخرجى • » فلبست ثيابها وخرجت على القوم كانها البدر الطالع • وكان محمود ـ وهى كذلك ـ معها ، فقالت سكن واذرت دمعها : « يا محمود ، هذا كان اخر امرى وامرك ، واذ اخترت على مائة الف درهم! » قال محمود : « فتجلسين على الفقر والخسف ؟ ! » قالت : نعم « اصبر انا وتضجر انت ؟ ! » فقال محمود : « اشهدكم انها حرة لوجه الله ، وانى قد اصدقتها دارى ، وهى ما املك •»

شهوات الخليفة !

واما الخبر الثالث فيتصل بجارية اسمها (نشوى) كان احد الخلفاء قد طلب شراءها بسبعة آلاف دينار ، فامتنع محمود عن بيعها ، فلما مات محمود اشتريت الجارية نفسها للخليفة من ميراث سيدها بسبعمائة دينار ، فلما دخلت الى الخليفة قال لها : « كيف رايت ؟ تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبعمائة » ، قالت : « اجل ، اذا كان الخليفة ينتظر بشهواته المواريث فان سبعين دينارا كثير فى ثمنى فضلا عن سبعمائة دينار • »

من هذه الاخبار التى ذكر فيها محمود الوراق ومن مجموعة الاشعار التى رويت له نستطيع ان نتبين ان الوراق ـ وهو على الارجح غير عربى الاصل ـ قد تخلى عن حياة اللهو والمجون فى فترة حاسمة من حياته ومال الى الزهادة ، وكثير من الزهاد بدأوا حياتهم خلعاء ، ثم ادركتهم صحوة فى ضمائرهم ، فافاقوا مما هم عاكفون عليه من الم ، وتابوا وانقطعوا للعبادة ولا نجد من اشعار محمود الوراق ما يعبر عن حياته اللاهية الا من ذكريات عابرة تمر كاللمح الخاطف كما فى قوله :

سقيا لايام خلت
وكأن اوجهها رياض
أيام يحيينا الهوى
وتميتنا الحدق المراض

ولكن الظاهرة المؤكدة لطبيعة حياته السلاهية تمثلها فى احساسه بالذنب وطلب الغفران والعفو كما فى قوله :

« أيارب قد احسنت عودا وبدأة
الىّ فلم ينهض باحسانك الشكر

فمن كان ذا عذر لديك وحجة
فعذرى اقرارى بأن ليس لى عذر »

واغلب الظن ان لقب الوراق الذى لحق بمحمود، لم يلحق به مصادفة ، ولكنه يعنى انه عمل فترة من حياته بمهنة الوراقة (نسخ الكتب والتجارة فيها) . واغلب الظن ان ذلك كان فى مطلع حياته. واعتقد ان ثقافة الوراق الواسعة التى يطلعنا عليها ما تبقى من شعره ، انما هى نتاج احترافه الوراقة، وهى مهنة تتيح لصاحبها اطلاعا على فنون مختلفة من العلم والمعرفة ، وقد صادف ذلك فى نفس محمود ميلا ورغبة ، فاشبع عقله وفكره بكل ما وصل اليه من الكتب ، ثم تقلبت به الحال - فيما يبدو - فصار الى مهنة النخاسة ، ولعله وجد فيها ما ينشده من الثراء ، الى جانب التملى بالوان من الجمال .

بين الزهد والنخاسة ؟

ولكن اذا كان محمود الوراق قد ترك حياة المجون فى فترة حاسمة من حياته التى امتدت الى ما بعد الثمانين - فهمنا انه يعنى نفسه فى قوله :

وما صاحب السبعين والعشر بعدها
بأقرب مما حنكته النوائل

ولكن آمالا يؤملها الفتى
وفيهن للراجين حق وباطل

واذا فرضنا انقطاعه الى الزهد قد حدث وهو فى نحو الاربعين من عمره وهذا اذا جاز لنا ان نفهم انه يعنى نفسه ايضا فى قوله :

« اذا ما انتسبت الى آدم
فلم يك بينكما من أب

وجازت سنوك بك الاربعين
وصرت الى الجانب الاجنب

ودب البياض خلال السواد
فاصبحت فى شية الاشهب

فكيف تؤمل طول الحياة
اذا كان حلمك لم يعزب »

اذا فرضنا هذا - فكيف اذن ظل يمارس مهنة النخاسة مع توبته وزهده ، وهى مهنة لا تتفق قط مع حياة الزاهد ولا اتجاهه ؟ ! وما حقيقة زهد الوراق : هل كان صاحب زهادة نظرية ، بمعنى حضه على الفضيلة والاداب والبعد عن الدنايا والاستمساك باهداب الدين والتجافى عن الدنيا وملذاتها . على حين انه لا يطبق شيئا من ذلك على حياته العملية وعلى سلوكه الفعلى !

اننى اميل الى الاعتقاد بان زهد الوراق حقيقى لا شك فيه ، وانه زهد نظرى وعملى على السواء ولكنه لم يسرف على نفسه فى التباعد عن ملذات الحياة ، وهو لا يخدعنا حين يعرض علينا تجارب حياته ، فالدين خير ما يعتصم به الانسان فى حياته، ولكن الدين لا يعنى الفقر ، ولهذا يجعل الوراق الغنى تاليا للدين فى الخير ، كما يجعل الفقر تاليا للكفر فى الشر ، يقول :

لبست صروف الدهر كهلا وناشئا
وجربت حاليه على العسر واليسر

فلم ار بعد الدين خيرا من الغنى
ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر

ولكننا نراه فى بعض اشعاره ينكر على نفسه وعلى الانسان بصفة عامة - التكثر من المال ، ويدعو الى القناعة بالقليل فيقول :

« هى الدنيا ، فلا يغررك منها
مخايل تستفز ذوى العقول

أقل قليلها يكفيك منها
ولكن ليس تقنع بالقليل

تشيد وتبتنى فى كل يوم
وانت على التجهز والرحيل »

الحكم والمواعظ

واذا كان الوراق لم يتخل عن مهنة بيع الجوارى بعد تزهده ، فقد تخلى عن اسلوب النخاسين فى تربية الجوارى على الفساد والافساد ، ووجههن وجهة صالحة ، كما يستبين لنا من اخبار جواريه التى مرت بنا ، ويدلنا كلام (نشوى) واخبار (سكن) على نوع التربية العقلية والروحية التى

كانت تتلقاها جوارى محمود الوراق على يديه ، وواضح ان الجانب المادى لم يعد يشغله فى تجارته بدليل وقوعه فى ازمات مالية ، وحرصه على انتقاء المشترين لجواريه ، بغض النظر عن قيمة ما يدفعونه .

وشعر محمود الوراق « اكثره امثال وحكم ومواعظ وادب » كما يصفه ابن المعتز . ونحس فى تلك الاشعار ـ الى جانب رقة الشعر وسلاسته والوصول الى المعنى بايسر سبيل ـ دقة التفكير وعمق التجربة والاستعانة بالقياس والجدل المنطقى . وكانوا يقولون عنه انه « كثيرا ما ينقل اخبار الماضين وحكم المتقدمين فيحلى بها نظامه ويزين كلامه » ، ومن ذلك مثلا قوله :

« انى شكرت لظالمى ظلمى
وغفرت ذاك له على علمى

ورأيته اسدى الى يدا
لما أبان بجهله حلمى

رجعت اساءته عليه واحـ
ـسانى ، فعاد مضاعف الجرم

وغدوت ذا اجر ومحمدة
وغدا بكسب الظلم والاثم

فكانما الاحسان كان له
وانا المسىء اليه فى الحكم

ما زال يظلمنى وارحمه
حتى بكيت له من الظلم ! »

فقيل انه اخذ هذا المعنى من قول رجل من قريش لرجل قال له : « انى مررت بقوم من قريش من آل الزبير يشتمونك شتما رحمتك منه » ، قال : « اسمعتنى القول الا خيرا » قال : (لا) ، قال : « اياهم فارحم » .

كذلك اثر عن ابن مسعود رضى الله عنه قوله: « ان الرجل ليظلمنى فارحمه » وقد يلتقى المعنى الكلى لابيات الوراق على قول من اقوال الماضين ، ولكن يبقى له بعد ذلك فكره المرتب وتحليله المنطقى الدقيق .

ويبصر الوراق الانسان فى شعره بانقلاب الدنيا وتغير الزمن ويحض على الصبر ، ويدعو الى الشكر على النعمة ، ويتحدث عن حب الانسان للدنيا وحرصه عليها وهو يعلم ان حياته فيها الى حين ، يقول :

« يحب الفتى طول البقاء كأنه
على ثقة ان البقاء بقاء

اذا ما طوى يوما طوى اليوم بعضه
ويطويه ان جن المساء مساء »

زيادته فى الجسم نقص حياته
وأنّى على نقص الحياة نماء

جديدان لا يبقى الجميع عليهما
ولا لهما بعد الجميع بقاء

والى جانب هذه الحكم الانسانية العامة نرى الوراق يقدم لنا فى شعره مواعظ خاصة هى خلاصة تجارب حياته المديدة ،منها مداراة الصديق حين يغضب ، لان الغضب يخرج الاحقاد الكامنة ، وعدم الامعان فى المزاح بين الاصدقاء ، حتى لا يصل المزاح الى ما لا يغتفر ، ثم نراه شديد الاحساس بفجيعته فى شبابه وجزعه من المشيب لان فيه دلالة على اقتراب الاجل ، يقول :

اغتنم غفلة المنية ، واعلم
انما الشيب للمنية جسر

وهو كثير المحاسبة للنفس على افعالها فى كثير من اشعاره التى اتسعت لالوان من الحكم والآداب والزهد والموعظة الحسنة ، وواضح انه نأى بنفسه عن اغراض الشعر الاخرى بعد تزهده .

رحم الله الوراق الذى تغنى بالآداب وترنم باناشيد الزهد فى عصر زاد فيه بعد الناس عن دينهم وعن فضائله . وقد ظلت هذه الاناشيد النقية مؤثرة فى كل زمان ومكان ، لانه يتوجه بها الى الانسان حيث كان ، وما اصدق خطابه للآثم حيث يقول :

« يا ناظرا يرنو بعينى راقد
ومشاهدا للامر غير مشاهد

منيت نفسك ، ضلة ، وابحتها
طرق الرجاء ، وهن غير قواصد

تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى
درك الجنان بها وفوز العابد

ونسيت أن الله اخرج آدما
منها الى الدنيا بذنب واحد ! »

■■

الرياض ـ محمد مصطفى هدارة

استاذ الأدب العربى
بكلية الآداب بجامعة الرياض

مع ذلك ، قد لا تكون مريضاً
إلاّ بالوهم وحده !

دليل الألم في جسمك



هذه محاولة لتفسير الآلام التى قد تشعر بها فى اى مكان بجسمك ، مجرد محاولة ، والطبيب وحده هو الذى يستطيع أن يحدد الرأى القاطع ـ أو الارجح ـ لتفسير هذا الالم •

ذلك أنه كثيراً ما يظهر الالم فى مكان بعيد عن العضو المصاب بالمرض فالم الذراع الايسر قد ينتج عن القلب والم الكتف الايمن من سطح الكبد والم الساق من العمود الفقرى • وقد لا يكون المرض هو سبب الالم • وانما يكمن السبب فى الاوهام والقلق النفسى • فسبعون بالمائة من آلام القلب ـ مثلا ـ أسبابها نفسيةوثلاثون بالمائة فقط اسبابها عضوية • وعلى ذلك فان عرضنا لهذا التلخيص يجب الا يدفع الانسان الى الفزع من ناحية، وأن يكون دافعا للوقاية من اللامبالاة من ناحية أخرى •

١ ـ آلام الراس : تنشا من اسباب عديدة : ارتفاع ضغط الدم ـ الافراط في التدخين أو المشروبات الروحية ـ ارتفاع ضغط العين (الجلوكوما) ـ ضعف الابصار (القراءة بغير نظارة مناسبة) ـ مرض الاسنان •

٢ ـ آلام الوجه : تنتج من التهاب الجيوب الانفية (هذا مرتبط بنزلات البرد) ـ والتهاب تجاويف الفك وتقيح جذور الاسنان ـ او التهاب العصبي الدماغي الخامس الذي ينتشر في الوجه بثلاثة فروع على كل جانب •

٣ ـ العيون : يصحب آلام العين شعور بالحرقة وانسكاب في الدموع في حالات التهاب الملتحمة (الغشاء المخاطي للعين) ومن الاجهاد العام للجسم، او الاجهاد الموضعي للعين بلبس نظارة غير مناسبة، او القراءة بدون نظاره عند الحاجة لها • وقد ينتج الالم من دخول جسم غريب في العين او وجود بثور بالجفون •

٤ ـ الانف : حكة الانف تشير الى وجود الحساسية أو الزكام الذي يلهب الغشاء المخاطي للانف، نزيف الانف ينتج من ضعف الشرايين الصغيرة في مقدمة الانف ، وقد يدل على وجود حمى روماتزمية • ووجود زوائد خلف الانف قد تسد المسالك الانفية عند الاطفال مما يدفعهم الى التنفس من الفم •

٥ ـ الاذن : اثناء نزلات البرد تنسد قناة « استاكيوس » التي توصل الاذن بالحلق فتسبب الم الاذن وخاصة عند ركوب الطائرات ـ التهاب الاذن الوسطى يسبب الما حادا مع غثيان وقد يسبب ثقبا في غشاء «الطبلة» ـ كما ان امراض اللسان والاسنان واللثة واحيانا الذبحة الصدرية قد تسبب آلاما في الاذن •

٦ ـ الفم : ظهور فقاعات صغيرة مؤلمة على الشفاه تنتج من عدوى فيروسية وتكثر بعد نزلات البرد والحمى ـ كذلك فان اضطراب الجهاز العظمي يؤدي الى ظهور قرح صغيرة مؤلمة في تجويف الفم •

٧ ـ آلام الرقبة : تنتج عادة من التهاب اللوزتين او الحلق • بحة الصوت او فقدانه تنتج من التهاب الحنجرة ، واذا استمرت أكثر من اسبوعين فقد تدل على وجود اورام حميدة أو خبيثة • التورم المؤلم في الرقبة كثيرا ما يكون غددا لمفاوية ملتهبة نتيجة لالتهاب صديدي في الرأس • ـ تورم الوجه قرب الاذنين يدل على النكاف •

٨ ـ آلام القفا : تنتج عادة من تقلص العضل على اثر تيار هوائي او التهاب في غضار الفقرات او انزلاق غضروفي •

٩ ـ الصدر : النزلات الشعبية والتهاب القص الهوائية تسبب آلاما في الصدر وصعوبة في التنفس • وخز الصدر الذي يزداد مع حركات التنفس يدل على ذات الجنب (التهاب الغشاء البلوري) •

١٠ ـ عظم القص : الآلام المصاحبة للبلع تدل على التهاب المريء • والالم الحارق أسفل القص يدل على فتق في الحجاب الحاجز يسمح بانزلاق جزء من المعدة الى تجويف الصدر ـ أما الم القلب (الذبحة الصدرية) فيظهر في وسط الصدر وينتشر الى الكتف الايسر والذراع وعادة ينتج من المجهود الجسماني او النفسي ـ واذا كان مصحوبا بعرق غزير فانه يدل على جلطة في الشريان التاجي •

١١ ـ الابط : وجود ورم مؤلم في الابط يدل على غدد لمفاوية ملتهبة نتيجة لجرح او تقيح في الذراع ـ أما بالنسبة للنساء فان تورم الغدد في الابط قد يدل على الاصابة بسرطان الثدي •

١٢ ـ الكتف : ألم الكتف عند حركة الذراع قد يعني التهابا في غشاء المفصل ينتج عادة عن الروماتزم ـ الم الكتف الممتد الى الذراع قد ينتج من انزلاق غضروفي يضغط على اعصاب الرقبة •

١٣ ـ الثدي : في مرحلة الطمث (المحيض) يحتقن الثدي ويصحب ذلك شعور بالتوتر الموضعي ـ اما اذا وجدت عقد في الثدي يمكن لمسها او افرازات من الحلمة ، فيجب مراجعة الطبيب •

١٤ ـ الآلام القطنية : آلام أسفل الظهر من مرض في الفقرات ـ تقلص العضلات ـ نقص الكالسيوم في العظام ـ امراض النخاع الشوكي ـ وامراض الاحشاء قد تسبب آلاما اسفل الظهر مثل امراض الكلى • والحوصلة المرارية والبنكرياس •

١٥ ـ آلام المعدة : اذا ظهر الالم بعد تعاطي الطعام فانه يدل على قرحة المعدة اما اذا كان مرتبطا بالجوع فانه يدل على قرحة الاثنى عشر ـ والالم الشديد المصحوب بغثيان وهبوط يدل على التهاب الغشاء البريتوني • اما الالتهاب المزمن في الغشاء المخاطي للمعدة (مثل مدمني الخمور) فانه يسبب فقدان الشهية وشعورا بالامتلاء وتغطية اللسان بطبقة بيضاء •

١٦ ـ آلام المنطقة الشرسوفية (اعلا البطن ـ ما يسمى بفم المعدة) : الالم الشديد فى اعلا البطن الى اليمين يدل على التهاب الحوصلة المرارية او حصوات مرارية • اما التهاب الكبد فانه يسبب شعورا بالثقل فى نفس المكان من غثيان ويتلون البول بلون الشاى ويصير لون البراز باهتا ـ والتهاب البنكرياس يسبب الما شديدا فى اعلا البطن من الجانبين مع قيء وهبوط بالغ •

١٧ ـ آلام اسفل البطن : آلام الزائدة الدودية تبدا حول السرة ويصحبها قيء وحمى ثم تتركز على يمين اسفل البطن • والمغص الكلوى يبدأ من احد الجانبين فى الظهر اسفل الضلوع ويمتد الى اسفل البطن حتى يصل الى الخصية•والم المبيض فى النساء يظهر على احد جانبى اسفل البطن •

١٨ ـ يتركز الم الامعاء حول الصرة وينتج عادة من الزحار (الدوسنتاريا) •

١٩ ـ المثانة : تكون آلامها شديدة ويصحبها رغبة ملحة فى التبول ويكون التبول محرقا •

٢٠ ـ المنطقة الاربية : وهى عند التقاء البطن بالفخذ • وتصاب بالفتق الاربى الذى يسبب شعورا بالثقل والما خفيفا عند السعال •

٢١ ـ مفصل الورك : يسبب التهابه الما فى الفخذ وتصلبا فى الحركة •

٢٢ ـ اعضاء التناسل :الالام المحرقة عندالرجال تنتج عادة من التهاب البروستاتا او قناة مجرى البول • اما فى النساء فتنتج من الفطريات او الاكزيما العصبية •

٢٣ ـ الفخذ : تنتج آلام الفخذ عادة من « عرق النسا » وسببه انزلاق غضروفى فى الفقرات القطنية اسفل الظهر يضغط على جذور الاعصاب فينشر الالم خلف الفخذ ليصل الى الاصابع •

٢٤ ـ الركبة : يحدث الالم المفاجيء من تمزق الغضروف الهلالى اثناء لعب كرة القدم • اما الالم فينتج من التهاب المفصل •

٢٥ ـ بطن الساق : تتقلص عضلاتها عند القيام بمجهود فى حالة نقص الاملاح • وفى حالة ضيق الشرايين وقصور الدورة الدموية يحدث الما شديدا عند المشى • اما امراض الاوردة (مثل التهاب الاوردة والدوالى) فتسبب شعورا بالثقل وتورما بالقدم •

٢٦ ـ مفصل القدم : يحدث التورم فى سطح القدم من تجمع السوائل فى الانسجة الداخلية نتيجة لامراض الكلى او هبوط القلب او الكبد او انسداد اوعية الساق واحيانا بسبب الحمل • ■■

(مترجم عن مجلة « شترين » الالمانية)

الحل لمشكلتك !

● يقول وليم جيمس : «اننا نواجه المشاكل فى حياتنا•• ونتغاضى عن الكثير منها،اونتركها تمر ولكننا لانلبث ان نجد انفسنا قد توقفنا عندمشكلة معينة لانها اكبر من أن تترك بغير حل • وتستبد بناالحيرة عندما يطول تفكيرنا فى امرها ! ولكننا قلما تساءلنا وسط حيرتنا : «من الذى صنع هذه المشكلة» ؟

« ولو اننا فعلنا ، لوجدنا الحل لمشكلتنا ••

فالجواب : «الانسان •• فهوصانع كل المشاكل • واذا كان الانسان يستطيع ان يخلق المشاكل ، فهو لاشك قادر على حلها• او هو قادر على أن يلقى بها فى البحر ان امكن!»



عن الحب في أدبنا الحديث

بقلم : يوسف الشاروني

طالما أن هناك رجلا وامرأة على ظهر الارض فستظل كلمة الحب باقية في لغة السلوك البشرى .

● عنى ادباؤنا فى العصر الحديث بموضوع الحب تحقيقا أو ترجمة او تأليفا . فالمهتمون بتراثنا العربى وجهوا عنايتهم نحو تحقيق ونشر المخطوطات التى تناول فيها أسلافنا هذا الموضوع الانسانى ، ودرسوا فيها هذه العاطفة البشرية دراسة مستانية دقيقة شاملة بحيث يمكن اعتبارها محاولات عبقرية مبكرة لما يعرف اليوم بعلم النفس. من هذه الكتب : فى العشق والنساء للجاحظ (١٦٠ ـ ٢٥٥ / ٧٧٦ ـ ٨٦٨ م) ، وطوق الحمامة لابن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ / ٩٩٤ ـ ١٠٦٤ م)، وكذلك رسالته فى تهذيب الاخلاق التى عرض فيها للموضوع نفسه ولكن من وجهة نظر اخرى ،ثم هناك الرسالة السابعة والثلاثون من رسائل جماعة اخوان الصفا التى ازدهرت قرب نهاية القرن العاشر الميلادى حوالى ٩٧٠ م. وكتاب مصارع العشاق لابن السراج (٤١٦ ـ ٥٠٠ هـ/ ١٠٢٥ـ ١١٠٧ م) ، وذم الهوى لابن الجوزى (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ / ١١١٤ ـ ١٢٠١ م) ، وكذلك كتابه « صيد الخاطر » وكان فيه أكثر اصالة من كتابه الأول الذى كان فيه اكثر اهتماما بتجميع أقوال وأشعار الآخرين . ثم كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزيه (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ / ١٢٩٢ ـ ١٣٥٠ م) وكتاب تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق لداود الانطاكى المتوفى عام ١٠٠٨ هـ / ١٦٠٠ م . هذا الى جانب جهود المستشرقين فى تحقيق ونشر مجموعة اخرى من المخطوطات فى الموضوع نفسه مثل كتاب«الزهرة» لابن داود الظاهرى (٢٠١ ـ ٢٦٩ هـ/٨١٦ ـ ٨٨٤ م) ، وكتاب « الموشى » لابن اسحاق الوشاء الذى عاش تقريبا بين عامى ٨٦٠ ، ٩٣٦ م .

وفى مقابل الاهتمام بهذه الظاهرة الانسانية عن طريق احياء تراثنا الذى تناولها ، نجد البعض الآخر قام بترجمة بعض المؤلفات الاجنبية فى هذا الموضوع ، وان كان الاسهام فى هذا الجانب اقل من مثيله فى جانب تحقيق التراث ونشره . ولعل من ابرز ما ترجم فى هذا الموضوع ـ وفى حدود علمى فليس هناك وسيلة حتى الآن للتعرف على كل ما ينشر فى البلاد العربية فى موضوع معين ـ كتاب « الحياة والحب » الذى الفه الكاتب الالمانى اميل لودفيج عام ١٩٤٥ وترجمه الاستاذ عادل زعيتر . وكتاب «فن الهوى » للكاتب اللاتينى اوفيد (٤٣ ق . م ـ ١٨ م) والذى قام بترجمته وكتب له مقدمة مطولة الدكتور ثروت عكاشة ،

لكنها ترجمة ناقصة بسبب ما حذف منها لاسباب تخدش الحياء على نحو ما أعلن المترجم ·

أما جانب التاليف فربما يمكن القول ان احمد فارس الشدياق (١٨٠٥ ـ ١٨٨٧ م) وان لم يخصص احد كتبه لموضوع الحب ـ الا انه ضمن ترجمته الذاتية الشهيرة « الساق على الساق فيما هو الفرياق » صفحات طويلة ابدى فيها رايه في المرأة وفي الحب مستمدا من تجاربه ·

وقد ولد الشدياق في عشقوت بلبنان من والدين مسيحيين عام ١٨٠٥ ، لكنه قام فيما بعد برحلتين: احداهما رحلة روحية من المسيحية الى الاسلام والاخرى جغرافية اذ تنقل بين مصر ومالطةوانجلترا وفرنسا وتونس ، ثم استقر اخيرا في تركيا حيث مات فيها عن ٨٢ عاما ·

وكتابه « الساق على الساق » يعتبر من أجرا التراجم الذاتية في تاريخ الادب العربي ،وليست كلمة « الفارياق » الا اشتقاقا من اول كلمـة فارس وآخر كلمة الشدياق كما لقب زوجته فـي هذا الكتاب باسم الفارياقيه ·

ونحن نلمح في كتابه ثورتهالفكرية من أجل تحرير المرأة الشرقية · فقد سافر الى اوروبا حيث شاهد المرأة ومدى ما تتمتع به من حرية في اوقات العمل والفراغ على السواء ، فطالببتعليم المرأة الشرقية قبل قاسم امين بنحو نصف قرن ، كما هاجم عادات الزواج التى تطالب بضرورة اعلان ما يدل على بكارة العروس ليلة الزفاف كما تحدث عن تغير الحب بتغير عمر الانسان ، وعن بواعث المحبة ابتداء من النظرة حتى العشرة، وعن مذاهب العشاق من جهة الشكل أو الاخلاق وما الى ذلك ·

اما الغيرة فهي خلق طبيعي في كل البشـر ، وما يقال من ان الافرنج ليس لهم غيرة علـى نسائهم ليس صحيحا ·ومن راى الشدياق الا يكون الزوجان متفقين في كل شيء لان المراه ادا كانت تفعل ما يريده زوجها كانت كالآلة بين يديه فلا يكترث بها ولا يقبل عليها بخلاف مـا اذا عـرف منها المخالفة والاستبداد برايها فانه يتعلق بها ويداريها ·(يوسف الشاروني ، الحب والصداقة، دار المعارف ، ١٩٧٥ ، ص ٩٩ ـ ١٢٠) ·

مدامع العشـاق

أما في القرن العشرين فقد ظهرت كثير مـن المؤلفات العربية التى تعالج موضوع الحب،متاثرة بالتراث العربي حينا وبالثقافة الغربيةحينا آخر· ولعل من أبرزها كتاب « مدامع العشاق » للدكتور زكي مبارك (١٨٩١ ـ ١٩٥٢ م) الذى نشرعام ١٩٢٥ · وكانت مقدمة الطبعة الاولى ردا على من عابوا عليه تاليف مثل هذا الكتاب ـ وكان قد نشر اجزاء منه في الصحف ـ فاعلن انه « بصريح القول موكل بالحسن اتبعه ، ومغرم بالتفريد على افنان الجمال » ·

وفي مقدمة الطبعة الثانية التى نشرت بعـد عشر سنوات من الطبعة الاولى يعلن ان مصطفى صادق الرافعي اتهمه بانه سرق كتابه من كتاب « الزهرة » ولكنه يصرح بانه لم يطلع على هذا الكتاب الا في صيف عام ١٩٢٧ اى بعد نشـره الطبعة الاولى من كتابه ، وانه مع ذلك يرى ان ملاحظة مصطفى الرافعي صادقة كل الصدق ، لان الكتابيين فعلا « يتشابهان أشد التشابه فـي الوضع والاسلوب · والفرق بين الكتابين انالاول لا يتعدى المستجاد لشعراء النسيب الى أواخر القرن الثالث ، أما الثاني فيصل في الاختيار الى صميم القرن الرابع عشر الهجرى · وان مؤلف الزهرة أكثر احاطه بروائع الشعر القديم واعرف بقلوب المتيمين ، وهوفيحبه أصدق منشاب يعيش في القاهرة فيما سموه القرن العشرين · وبين ضروب التشابه ان مؤلف الزهرة وضعكتابه في عهد العدالة وكذلك صنع مؤلـف مدامـع العشاق ··· واني لاعجب كيف تلاقيت مع ابن داود في ابواب كثيرة ، مع اني لم أر كتابـه الا بعد ان نشرت كتابي ، ومما تلاقينا فيـه «بكاء الديار » و «نوح الحمام و« طيف الخيال » و «الرضا بالقليل»» ومن أرق ما تلاقينا فـي الفصل الذى سميته «بكاء الملاح » وسماه «قليل الوفاء بعد الوفاه ، اجل من كثيره وقت الحياه » ·

هذه المقدمه تفضي بنا الى نتيجتين أولاهما أن التشابه بينفكرين ليس معناه بالضرورة أن أحدهما أخذ عنالثاني مباشرةعلىالاقل · أما ثانيتهمافهي ان الدكتور زكي مبارك وان لم يكنقد اطلع حقا على كتاب الزهرة قبل تاليفه مدامع العشاق ، فالارجح أنه اطلع على كتب أخرى تاثرت بكتاب الزهرة ، فلا يستبعد ان يكون التاثير بهذا الكتاب تاثيرا غير مباشر ·

ولزكي مبارك كتاب آخر بعـنوان « الـعشاق

الثلاثة «نشره سنة ١٩٤٥ وهوعن الشعراء الثلاثة: جميل بن معمر ، وكثير بن عبدالرحمن ، والعباس ابن الاحنف • وقد ذكر فى مقدمة كتابه ان الذى يجمع بينهم هو التوحيد فى الحب وانهم كانوا من أقطاب الغزل فى شباب العصر الاسلامى • ويؤكد زكى مبارك فى دراسته تلك ان الناس يعجبون من الخيال الذى تمتع بـه الشعراء العذريـون ، بينما هو فى الواقع خيال سخيف لا يرضى عنه انسان وفى رأسه عقل •

وقد ألف كثيرون عن شعراء الحب العذرى وغير العذرى فى مقدمتهم العقاد الذى كتب عن أكثر من شاعر مثل « جميل بثينة » و «عمر بن أبى ربيعة»•

الحب من جانب فلسفى !

ومن هذه الكتب كتاب «الحب المثالى عند العرب» للدكتور يوسف خليف (١٩٦١) • وفيه يرى أن قصص الحب العذرى وان انتشرت فـى العصر الاموى فان جذورها تمتد الى العصر الجاهلى ، فهذا الحب لم يخلق من عدم ، لانه كان موجوداً فى البادية العربية قبل ظهور الاسلام • فقد عـرف المجتمع الجاهلى فى باديته ومدنه طائفة من الشعراء يمثلون نفس الاتـجاه الـذى دارت فيـه قـصص العذريين الامويين وأطلقوا عليهم اسم المتيمين ، وربطوا بين كل متيم وصاحبته التى عرف بها ، تماما كما فعلوا مع العذريين فى العصر الاموى ، ولعل أبعد هؤلاء الجاهليين صيتا عنتره وعبلة •

كذلك نشر الدكتور زكريا ابراهيم «مشكلة الحب » (١٩٦٣) • وفى هذا الكتاب يبدو ـ مـن مادته ومنهجه ـ أثر انعكاس المناخ الثقافى فى النصف الثانى من القرن العشرين على المؤلف وكتابه • فهو كتاب ـ بعكس ما سبق من كتب عرضنا لها ـ متأثر كل التأثر بالثقافة الغربية المعاصرة • فالمؤلف لا يستكشف طريقه متأثرا بما ورد فى التراث العربى شعره ونثره حول هذا الموضوع ، انما هو يستفيد بالتجربة الانسانية كما عبر عنها كبار رجال الفكر فى الحضارة الغربية بوجه خاص خلال مختلف عصورها منذ افلاطون حتى جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار•وليست فيه سوى اشارات قليلة متباعدة الى ماجاء متعلقا بهذا الموضوع فى التراث العربى • وان كان قد استدرك ذلك الى حد ما فى الطبعة الثانية لـ[illegible] الكتاب •

ولعل أهمية كتاب «مشكلة الحب» تأتى من [illegible] ناقش هذه المشكلة ـ لأول مرة فى تاريخنا الثقا[illegible] ـ من جانبها الفلسفى • والمؤلف يعلن عن منهـ[illegible] فى مقدمته حيث يناقش ما يسميه اللغات المختلـ[illegible] فى الحديث عن الحب وهـى اللغات : الشعريـ[illegible] والاخلاقية والبيولوجية والاجتماعية والصوفيه ، ليصل الى بيان يعجز كل هذه اللغات عن تفسـ[illegible] ماهية الحب ، وليعلن فى النهاية أن الفلسفة وحدهـا هى التى تـدرس الحب بوصـفه تجربـ[illegible] متكاملة •

فاذا نظرنا بعد ذلك فى أبواب الكتاب وجدنا[illegible] مقسما الى أربعة أبواب ، كل باب منها مقسم الى ثلاثة فصول • أما الباب الاول فيتناول ما يطلق عليه المؤلف اسم اشباه الحب وهى حب الذات والشفقة والتعاطف•والباب الثانى يتناول اشكال الحب وهى الامومة والاخوة والعبادة • ويتناول الباب الثالث انماط الحب وهى العشق والمحبة والصداقة•ويتحدث الباب الرابع عن اطوار الحب: مولده فحياته واخيرا موته •

بين الامتداد والاشتداد

كذلك هناك كتاب الدكتور صادق جلال العظم «فى الحب والحب العذرى» (١٩٦٨) • وهو بحث يتميز بأصالته • ويصرح المؤلف فى مقدمته ان الحب الذى يهمه فى بحثه هو الشهوة والحاجـة والنزع والميل الى امتلاك المحبوب بصورة مـ[illegible] الصور والاتحاد به بغية اشباع هـذا النهـم • ثم يحاول ان يحدد خصائص هذا اللون من الوا[illegible] الحب•ويتناول الكتاب بعد ذلك قضيتين : القضيـ[illegible] الاولى ويطلق عليها المؤلف«مفارقة الحب»،وملخص فكرته أن عاطفة الحب تتميز ببعدين رئيسيين الامتداد فى الزمـان ، أى دوام الحالة العاطفيـ[illegible] واستمرارها عبر فترة معينة من الزمن،والاشتداد وهو يدل على مدى عنف الحالة العاطفية وحدتها فى لحظة ما من الزمان ، وان هناك تضاربا بـ[illegible] الامتداد والاشتداد ، فكلما امتد الحب قلت شدته وبالعكس كـلما كانت العلاقة الغراميـة سريعـ[illegible] نسبيا وقصيرة فى مدتها مالت الى الانفعال الشديـ[illegible]

فى الحب • وتتجسد نزعة الامتداد فى الحب فى مؤسسة الزواج والاسرة التى يفترض فيها ان توفر الطمانينة والسكينة والاستقرار للفريقين المتحابين وان تشكل حجر الزاوية فى بنيان المجتمع واستقراره واستمراره من عصر الى عصر • وفى ثبات تقاليده وانماط سلوكه من حقبة الى حقبة• وبالمقابل فان نزعة الاشتداد تتجسد فى المغامرة الغرامية التى يفترض انها توفر للعاشقين جوا حافلا بالمغامرات والغزوات والمفاجآت مما يزيد من عنف نشوة الحب وقوتها حتى يشعر العاشقان انهما قد خرجا عن نطاق الزمان • والنزعة الاولى اجتماعية والثانية شديدة الفردية مما يجعلها مرتبطة بالكتمان الشديد وفضول لا حد له من الآخرين ، الامر الذى يجعلها مرتبطة فى لغة شريعةالامتداد بالخطيئة والحرام والحلال والفساد والانحلال والثواب والعقاب •• الخ ، والشخصية الدون جوانية هى التى تجسد بعد الاشتداد فى الحب فى مقابل الزوجين الوفيين الفاضلين •

اما القضية الثانية التى تناولها الدكتور صادق جلال العظم فهى قضية الحب العذرى التى هى ضد مؤسسة الزواج من ناحية لان كلا من هؤلاء العشاق العذريين لم يكن عاجزا عن الحصول على حبيبته ان حلالا أو حراما ، لكنهم كانوا يرفضون عن قصد هذا الحصول • فهم يتفقون مع الشخصية الدون جوانية فى انهم يرفضون رباط الزوجية ، لكنهم فى الوقت نفسه يرفضون العلاقة الجسدية غير المشروعة ، ويؤمنون بالوحدانية فى الحب وهو ما لا يؤمن به الدون جوان • وبذلك فهؤلاء العشاق العذريون استطاعوا ان يحتفظوا بشعلة الحب متقدة من ناحية وبديمومته من ناحية أخرى • وفى رايى أنه اذا صح التعريف الفرويدى للحب بانه رغبة جنسية مؤجلة فان السبب فى ديمومة الحب العذرى واشتداده هو عدم اشباع الرغبة الجسدية لأن اشباعها دون زواج هو الذى يطفىء رغبة الدون جوان فلا يتيح لعلاقته الديمومة ، وهى التى تهدىء العواطف فى حالة الزواج بالرغم من ديمومة العلاقة فلا تستمر فى عنفوانها الذى بدات به •

وشخصية الدونجوان

وبهذه المناسبة فاننا نحب ان نذكر كتاب «دون جوان» للدكتور لطفى عبد البديع (١٩٥٩) الذى عرض فيه لمبدع هذه الشخصية الراهب الاسبانى ترسودى مولينا (١٥٨٤ ـ ١٦٤٨ م) فى مسرحيته « ساخر اشبيلية وضيف التمثال الحجرى » التى الفها فى مستهل القرن السابع عشر • وبالرغم من ان المؤلف اراد بمسرحيته ان يوضح مصير العاصى ونتيجة تماديه فى غيه ، وانه حين أراد أن يستغفر ويتوب تبين له ان وقت التوبة قد مضى ، ولا نجاة له من العقاب • الا انشخصية البطلوحاجته الحسية ورغباته العارضة قد طغت على هذا الهدف الاخلاقى •

ثم يتتبع الدكتور لطفى عبدالبديع شخصية الدون جوان عند مختلف شعوب اوربا التى تبنته عن طريق ادبائها مثل دون جوان موليير فى مسرحيته التى الفها عام (١٦٦٥) ودون جوان بايرون فى قصيدته التى كتبها ما بين عامى ١٨١٨، ١٨٢١ • ثم يتابع اخفاق شخصية الدون جوان فى الادب الاوروبى •

وفى عام ١٩٦٦ نشر الدكتور عبدالحميد ابراهيم محمد كتابه « قصص الحب العربية » ، وهو جزء من رسالته للدكتوراه لم يجد للاسف ناشرا ينشرها بكاملها فنشر هذا الجز منها • وفى هذا الكتاب يحدد مؤلفه اهداف الحب العذرى وتطوره فيرى أنبعضها وضعتفسيرا لبعض الأبيات الشعرية التى وردت على لسان هؤلاء العذريين فراى الخيال الشعبى ان يؤلف لها قصصا ، كما ان بعض القصص لم يكن هدفها سوى التسلية التى يحتاج اليها كل مجتمع ، واحيانا ما تكون هذه القصص موضوعا للدعاية ، أو للدفاع عن فكرة يؤمن بها واضعوها كالصراع بين السادة والعبيد فى قصصه مثل قصة عنترة وعبلة ، واحيانا يكون الهدف من وضعها اخلاقيا كالحث على العفة والاثابة على الوفاء والمكافاة على الصبر •

وكان الاقدمون يتعاطفون مع العاشق ويتحمسون لسماع اخباره ويعظمون تضحيته ، حتى الخلفاء والازواج كانوا يقدرون هذه العاطفة • اما فى النصوص المتاخرة فقد تغيرت هذه النظرة عند كثير من الناس فاصبحوا ينظرون الى العشاق نظرة سخرية ، بل يعتبرونهم أشخاصا مرضى مكانهم دار المجانين •

كذلك تطورت قصص الحب من ناحية الشكل فبعد ان كانت متناثرة منفصلة على نحو ما وردت

في كتاب مثل كتاب الاغاني بحيث كانت اقرب الى مجموعة الاخبار ، استطاعت ان تتخلص من هذه النظرة التاريخية وتنتقل الى مجال الادب انتقالا واضحا ، على نحو ما حدث في قصة عنترة وعبلة حين انتقلت الى السير الشعبية المعروفة باسم سيرة عنترة .

ثم اوضح الدكتور عبدالحميد ابراهيم ان هذه القصص تطورت أكثر واكثر حين انتقلت الى الادبين الفارسي والتركي عندما أصبحت قصصا ذات طابع فلسفي وفكري وصوفي .

ولعل الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه « الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية » ط ٢ سنة ١٩٦٠ ـ وكانت طبعته الاولى بعنوان «ليلى والمجنون في الادبين العربي والفارسي » سنة ١٩٥٤) هو ابرز من تناول موضوع تطور قصص الحب العذري في الادب العربي الى قصص صوفي في الادب الفارسي حيث انتقلت معاني الحب الانساني والفاظه الى الحب الالهي وركز في كتابه على تتبع قصة ليلى والمجنون في الادب العربي وتطورها عند كتاب الفرس وشعرائهم الذين الفوا في هذا الموضوع مثل نظامي وسعدي الشيرازي وعبدالرحمن الجامي وغيرهم .

الحب العذري والصوفي

ورغم ان الحب الصوفي ليس موضوع حديثنا الان الا أننا ما دمنا بصدد الحديث عن علاقة الحب العذري بالحب الصوفي فاننا نحب ان نشير الى كتاب الدكتورة وداد السكاكيني الذي نشرته سنة ١٩٥٥ عن رابعة العدوية بعنوان « العاشقة المتصوفة » وكتاب «شهيدة العشق الالهي» للدكتور عبدالرحمن بدوي الذي نشرت طبعته الثانية سنة ١٩٦٢ ويدور حول هذه المتصوفة العربية نفسها، كما لا ننسى الكتيب القيم للدكتور محمد مصطفى حلمي الذي نشره سنة ١٩٦٢ بعنوان « الحب الالهي في التصوف الاسلامي » . وكتابه « ابن الفارض سلطان العاشقين » (١٩٦٣) .

ونحب ان نختم حديثنا بآخر كتاب ربما ظهر في موضوعنا وهو كتاب الدكتور الطاهر احمد مكي بعنوان « دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة » (١٩٧٥) وقد سبق ان نشر اكثر من كتاب عن ابن حزم في مكتبتنا العربية لكنه يتناول ابن حزم من جوانبه المختلفة مثل كتاب الدكتور زكريا ابراهيم بعنوان « ابن حزم الاندلسي المفكر الظاهري الموسوعي » (١٩٦٦). ويتناول هذا المفكر العربي كرجل منطقي وجدلي ومتكلم وفقيه ومؤرخ وعالم نفس . اما كتاب الدكتور مكي فهو يخصصه لابن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦ هـ/ ٩٩٤ ـ ١٠٦٤ م) وكتابه « طوق الحمامة » الذي خصصه لدراسة موضوع الحب وتتبع مراحله منذ مولده حتى اشتداده ففتوره وانطفائه أو انتهائه مستمدا ذلك من تجربته الشخصية أولا دون الاعتماد على أقوال السابقين شعرهم ونثرهم على نحو ما فعل سابقوه .

وهذا الكتاب ثمرة لقاء خصب بين الفكرين العربي والاسباني ، ففترة الوجود العربي في اسبانيا يتنازعها اليوم طرفان : دارسو التاريخ والادب العربي من جهة ، ودارسو التاريخ والادب الاسباني من جهة أخرى . وكل منهما على حق في دعواه . فدراسة الادب العربي في اسبانيا تظل دراسة ناقصة ما لم يتزود الدارس العربي بالثقافة الاسبانية ، والامر نفسه بالذات بالنسبة للدارس الاسباني فان دراسته لتلك الفترة من تاريخ بلاده تظل ناقصة ما لم يتزود بالثقافة العربية . فالتمكن من الثقافتين هو وحده الذي يكشف لنا عما لا يمكن الكشف عنه لو كان الدارس أحادي المعرفة : لا يعرف الا التاريخ العربي والادب العربي أو لا يعرف الا التاريخ الاسباني والادب الاسباني . ذلك لان نتاج تلك الفترة وفي ذلك المكان كان وليد تلاقي حضارتين على مختلف الجهات ابتداء من عنف الصدام الحربي الى رقة التجاوب العاطفي . وبذلك فان هذا اللقاء الخصب لم يتم على المستوى العقلي او الثقافي فقط بل تم على أساس اختلاط العناصر الوراثية وامتزاج دماء ابناء الحضارتين ، فكنا نرى الحاكم العربي ينتهي نسبه الى أبيه الى الرسول بينما ينتهي نسبه الى امه الى اصول اسبانية . فلا عجب ان يتناز

من العرب والاسبان مفكرا عظيما مثل ابـــن حزم ، فليس هذا دلالة على خطأ هؤلاء أو اولئك، بل ان هذا دلالة على عظمة الرجل حتى ان كـــلا منهما يحاول ان ينسبه الى نفسه ويجهد مـــن اجل اقامة الدليل على ذلك .

لهذا فان الدكتور الطاهر مكي استطاع بثقافته العربية الاسبانية ان يضيف جديدا الى كل من الادبين العربي والاسباني في كتابه القيم عن ابن حزم الذي جمع بين الدراسات المؤلفة والدراسات المترجمة عن الاسبانية .

ابن حزم : أسباني ؟

وكنت قد قمت منذ اكثر من عشر سنوات بدراسة عن كتاب « طوق الحمامة » الذي قدم فيه ابـــن حزم أمتع وادق وارق دراسة عن الحب في ادبنا العربي ، وقد لاحظت عندئذ ـ وكما سبق ان قلت ـ انه نأى عن عملية التجميع التي اهتم بها غيره ولهذا جاء كتابه اصغر حجما واكثر تركيزا مما ألف من كتب اخرى في هذا الموضوع . لكنني لم أحاول أن أعلل سبب هذا الاختلاف او التفرد الذي تميز به كتاب « طوق الحمامة » . فلما قرأت كتاب الدكتور الطاهر احمد مكي تكشفت لي مجموعة محاولات لتعليل هـذا التميز مـــن جانب المفكرين الاسبان . من هذه المحاولات رد ابن حزم الى أصول غير عربية . فابن حزم في رأي هؤلاء المفكرين الاسبان : اسباني تعـــرب ثقافة ، وليس ـ كما نرى نحن ـ عربيا عاش في اسبانيا . ولهذا فان ما في كتابه من اصالة مرده الى العقلية الاوروبية التـي ترجع اليهـا أصول ابن حزم والتي تختلف عن العقلية العربية التجميعية .

واذا كنا نتجاوز عن مثل هذه الدعوى لان معناها ـ كما قلنا ـ عظمة ابن حزم وحيث يحاول المفكرون الاسبان نسبته اليهم متناسين ان في الفكر العربي مؤلفات عديدة ذات أصالة لا تعتمد على التجميع في مقدمتها مقدمة ابن خلدون ، مؤلفات الغزالي وعلى رأسها سيرته الذاتيـــة « المنقذ من الضلال » ، كتاب « الاعتبار » لاسامة ابن منقذ احد فرسان صلاح الدين الايوبي والذي دون فيه أيضا سيرته الذاتية ، رسالة الغفـران لابي العلاء المعري ، المقامات ... الى آخر ما لا يمكن حصره ، اقول انه اذا كان من الممكن ان نتجاوز عن هذه الدعوى فان البعض الاخر وصلت به المغالاة حين اعتبر فكرة الحب العذري التي عبر عنها ابن حزم اعظم تعبير من خلال تجربة مر بها انها فكرة مسيحية ، مما يدل على جهل صاحب هذا الرأي بتاريخ الحب العذري فـــي الادب . وقد ردد هذا الرأي المفكر الاسبانـــي اميليو غرسيه جومث والمستشرق الهولندي رينهارت دوزي وقد تصدى لهما مستشرق اسباني آخر من رجال الدين المسيحي هو ميجيل أسين بلاثيوس في دراسته عن ابن حزم ، فقد فند هذا الرأي ووضع كل شيء في مكانه الصحيح .

بل ان الدكتور مكي يذهب الى الطرف الاخر معلنا ان الاسبان هم الذين استفادوا من ابن حزم وليس العكس ، فعندما نقرأ كتاب « الحب المحمود » لكاهن بلدة هيتا الاسباني ، نحس ان الرجل قرأ ابن حزم ، وافاد منه ، وسار على خطوه ، برغم انه جاء بعده الى الحياة بفترة من الزمن تبلغ حوالي ثلاثة قرون .

فالكتاب مزيج من التأليف والترجمة ، نسمع فيه صوت المؤلف حينا وصوت المستشرقين الاسبان حينا آخر . وبذلك فاننا نسمع اكثر من صوت : الرأي والرد على الرأي .

ان موضوع الحب شغل الانسانية وسيظـــل يشغلها طالما كان هناك رجل وامرأة.ولئن شاركت العلوم الحديثة في تناوله وعلى رأسها علوم النـفس والاجتـماع ، فسـيظل حـديث الادبـــاء والشعراء يتناولون جانبه الحسي والوجداني في قصصهم واشعارهم ونثرهم الفني الرقيق رقة هذه العاطفة احيانـا والعنيف عنفهـا احيانـا اخرى . ■■

يوسف الشاروني

مرور عام على وفاة الشاعر: محمود حسن

للدكتور حسان حتحوت

■ انطلَق الطائرُ من قفصِ الدُّنيا واختارَ الحريَّه
قد ضاقَ به العمرُ المحدودُ فآثر عُمْرَ الأبديَّه
أثقلَه جسمٌ مكدودٌ فنَضَا الأغلالَ الطِّينيَّه
وانفَكَّ من الأَسْرِ الأرضيِّ إلى الآفاقِ العُلْويَّة

* * *

« محمودُ » .. أحقًّا لا لُقْيَا إلا نَجْوانَا الرُّوحيَّه ؟
« محمودُ » فكيْفَ وجدْتَ الموتَ وراءَ الحُجُبِ الغَيْبيَّة
كم حارَ بسرِّ الموتِ النَّاسُ وحاطُوهُ بالسِّرِّيَّة
غلَّفَهُ قَومٌ بالأحدَاسِ وبالشَّطحاتِ الصُّوفيَّة
وتوَهَّمَ قومٌ أن يجلُوهُ بالأبحاثِ العلميَّه
والملحد يُبصِرُه صِفرًا في نظرَتِه الإلحاديَّه
والموتُ هو العنوانُ الحقُّ وَراءَ الدُّنيَا الوَهميَّه
ختْمُ التَّطْوافِ وشَطُّ البَحرِ ومَرْسى الفُلْكِ المَجْريه
وقرارُ الرُّوحِ وقد ملَّت غربة رحلتها الأرضيَّة
عَوْد المشتاقِ وبُرْءُ الدَّاءِ وأَوْبَةُ نَفْسٍ مَرْضيَّه
الموتُ صديقُ المؤمنِ يا « محمودُ » وأغلَى أمْنيَّه
ووفاءُ العهْدِ وصدقُ الوَعْدِ لِمَنْ قَدَّم صِدقَ النيَّه
فانعَمْ بجِوارِ اللهِ فكم آذاكَ جِوارُ البَشَريَّه
وانفثْ أنغامكَ في الجنَّاتِ قصيداتٍ نورانيَّه

اسماعيل



واصدَحْ بالشِّعْرِ كما تَهوَى لا تكتُمْ للحقِّ قضيةً
وانشُرْ ما كنتَ ترى الحكمة في أمسِكَ أن تُحكِمَ طيَّه
واجعلْ أشعارَكَ بعد حياتِكَ هدْياً يبقَى ووصيه
ياليْتهُمُو سمعوا في «نكسةِ يونيو» تلكَ المرْثيه
و «جنازةُ خوف» نشْرُ الخوفِ على الآفاق المصريه
في ليلٍ داجٍ لفَّ الأمةَ في ظُلُماتِ الأميه
وتُدتْ أشعارُكَ واتسعتْ لسواكَ الصُّحُفُ اليوميه
شاعرُهم أودَى فيما أوْدَى بالأوْزانِ الشِّعريه
وخطيبُهم المِصْقَعُ قطّعَ أوصالَ اللُّغةِ العربيه
وضجيجُ الزَّيفِ وصمتُ الحقِّ سوى دقَّات قلبيه
وضياعُ القِيمِ فلاَ الأقدارُ ولاَ الحُرُماتُ بمرْعيه
ويلُ الإنسانِ من الأنسانِ إذا طرحَ الإنسانيه
لا حولَ ولاَ قُوَّةَ إلاَّ باللّهِ لمَهْدِ المدَنيه !

★ ★ ★

اصدَحْ . . وسنصدَحُ أحراراً لا نُعْطَى في الوَطَنِ دَنيه
فوراءَ اللّيلِ الفجرُ الصادقُ يَجلُو ظُلَمَ الهمَجيه
وبلادُكَ عرفَتْ مَسْراها وسَطاً لا يعرفُ تبَعيه
ما عادت مِصرٌ شرقية . . أو عادت مِصرٌ غربيه ■■

حسان حتحوت

أحلام النوم

بقلم : عبدالوهاب احمد الافندى

حكى احد الاصدقاء ، قال :

« كنت اتناول طعام العشاء فى نادي ، وقد جلست غير بعيد منى على مائدة اخرى فتاة اجنبية بارعة الحسن، استلفتت نظرى منذ دخولى • وبينما كنت اختالس نظرات الاعجاب الى تلك الحسناء اذا بها تنهض فجاة وتتجه نحوى وقد مدت ذراعيها وهى تنادى بعبارات ملؤها العطف والحنان•وصعقت اول الامر فلم ادر ماذا افعل • وتلفت حولى باحثا عن شخص آخر يكون هو المقصود ، فلم يكن فى الناحية غيرى واخذت الفتاة تقترب شيئا فشيئا وهى تتوقف كل هنيهة لتكرر الصفير والنداء ، وانا لا اصدق اذنى • ولكن عندما اقتربت صاحبتنا حتى حاذت المائدة ، وتبينت انى لست فى حلم ، اضطررت الى التصديق ، فنهضت لاستقبالها والدنيا لا تسعنى من السعادة • واقتربت الفتاة اكثر ، واخذت اصلح من هندامى واسوى ربطة عنقى • ثم مددت يدى لمصافحتها• ولشد ما كانت دهشتى حين تجاهلت تحيتى ، وبدلا من ان تتناول يدى الممدودة نحوها ، انحنت تحت مائدتى وتناولت قطة صغيرة كانت تختبىء هناك ثم عادت ادراجها بدون ان تنبس ببنت شفة » •

علق صديقى قائلا : « ومن يومها وابغض خلق الله عندى القطط •» !

●

اننا لا نحلم فى النوم فقط • ولكن كثيرا من الناس يجهلون كم من الحلم وكم من الحقيقة تعيش فى حياتنا اليومية ـ الا ان عددا اكبر سيدهش اذا علم ان نسبة الاول اكبر من الثانية فى تجربتنا • واذا كانت هذه الحادثة التى رويت، والتى تحدث لنا آلاف المرات • لا تكفى مثالا ، فهناك امثلة اخرى •

خذ مثلا حادثة قد تصادفك عشرات المرات كل يوم • عندما ترى من بعيد شخصا صديقا عزيزا مقبلا ، أو تسمع صوته فى الهاتف • لا شك ان كثيرا من الاحاسيس والانفعالات والصور والاخيلة المرتبطة بهذه المناسبة تتداعى الى ذهنك ، وتجعلك تعيش حالة نفسية خاصة • ولكن هب ان القادم العزيز لم يكن هو صديقك الذى انتظرته طويلا ، ولكنه شخص يشبهه • كان آخر من تريد رؤيته ، او ان الصوت العذب الذى سال على اذنك من المسرة لم يكن هو صوت حبيبة قلبك ، وانما صوت موظفة الضرائب ، والتى ارادت ان تنبهك الى وجوب تسديد حسابك فى موعده ـ لا شك انك



« أحلام اليقظة استجابة منطقية لمؤثر خارجى، أما أحلام النوم فهى استجابة غير منطقية فى الأغلب » •

ستصاب بخيبة امل ، وتشعر كمن استيقظ من حلم وستتاكد ان الحالة النفسية التى كنت تعيشها قبل قانق لم تكن الا من صنع خيالك •

لناخذ مثلا آخر •

ان اى انسان ـ او لنقل ان معظم الناس ، من اجل الدقة ـ تكون لديه رؤيا ، مهما كانت درجتها من الوضوح، عن مستقبله• هذه الرؤيا تكون مبنية على الحقائق المعاشة فى حياته اليومية•وسيصاب بالاندهاش اذا استيقظ من الغد ورأى ان الامور تسير على غير ما كان فى خياله •

فطالب الطب يتخيل بقدر لا باس به من الوضوح، حياته المستقبلية كطبيب،ليس حياته العملية فقط، وانما حياته العائلية،ووضعه الاجتماعى والاقتصادى ومكان عمله وسكنه ••• الخ ولا يخالجه ادنى شك فى ان الحقيقة لن تكون شيئا غير ذلك •

ولكننا نعلم فى نفس الوقت ان هذه الصورة التى رسمها ، وان كان احتمال تحققها كبيرا ، الا انها محض خيال واحلام ـ الا اننا نعلم فى نفس الوقت ان معظم البشر الذين نعرف ، يحلمون احلاما مماثلة ويصدقونها بنفس الدرجة ولا يستيقظون منها الا اذا اصيبوا بصدمة عنيفة ، تكون فى حالة طالب الطب المذكور ان يفصل من الكلية مثلا •

القراءة باللاوعى

واذا دققنا اكثر واكثر فى تجاربنا اليومية ووضعناها تحت مجهر التحليل الدقيق ، فاننا سنقتنع اكثر واكثر بان نصيب العقل الباطنى منها اكبر بكثير من العقل الواعى •

فالقراءة التى يعتقد الجميع انها قمة ممارسات العقل الواعى ، تتم بقدر كبير جدا من اللاوعى ، فاى قارىء مقتدر ـ واستثنى من الاقتدار المبتدئين من الاطفال وطلاب اللغات الاجنبية ـ لا يقرأ الكلمات حرفا حرفا ، بل ولا كلمة كلمة ، بل يقرأ الجمل مكتفيا من السطور باشكال الكلمات العامة، ويساعده العقل الباطنى بالاكمال المنطقى للسياق من تقديره لما يجب ان يكون عليه المعنى • ونتيجة لهذا فان عمال المطابع يتمتعون بحصانة لا باس بها ، اذ انه من الصعب جدا على القراء المتازين ملاحظة الاخطاء المطبعية ، وبالذات فى الكلمات الطويلة والمعقدة • بل أن اضافة بعض الكلمات من السياق او حذفها لا تلفت انتباه امثال هؤلاء القراء • ومن ناحية اخرى فان كثيرا من كبار العلماء يجدون مصاعب جمة فى الهجاء ، خاصة فى اللغات الفرنسية والروسية ، حتى وان كانت اللغة الام وكانوا يحسنون قراءتها ، وذلك لان الهجاء يتطلب وعيا أكثر من القراءة ، وان كنت وانا اكتب الان اشعر بانى لا انتبه الا جزئيا للعملية التى اقوم بها •

يمكننى ان اسوق امثلة لاحقة لها ، توضح ان عملية الادراك فى حياتنا اليومية هى فى مجملها عملية يقوم بها العقل الباطنى نيابة عنا ، وذلك استنادا على ذخيرته من التجارب السابقة • ولا



يحتاج العقل اللاواعي الا لاشارة بسيطة لكي يقوم بمهمته • يكفي مثلا ان تسمع فقط انك كسبت مليونا من الجنيهات لكي تتخيل كل ما يترتب على ذلك من تفاصيل حياتك كمليونير ، يكفي سماع صوت صديقك لتتخيل شكله كاملا وتتصور كل ما ستفعلانه معا ذلك المساء ، ويكفي ان تسمع دبيب اقدام في ظلام غرفة نومك ، لتتخيل وصول كل الاشباح المخيفة ، او عصابة من اللصوص ، او قدوم زوجتك ، حسب مزاجك في تلك الليلة وطبيعة تفكيرك •

هل الحياة اذن كلها حلم في حلم ؟

تصعب الاجابة على هذا السؤال بكلمة واحدة • وذلك لانه يحتمل معاني كثيرة •

الصوفية مثلا يرون ان حياتنا اليومية حلم ، وان اليقظة الحقيقية لا تكون الا في حالات الحضرة والكشف الرباني •

وقد جاء في الاثر : « ان المرء اذا مات ، شعر بشعور المستيقظ من حلم » •

وهناك رأي لدى بعض الفلاسفة ملخصه انه من المحتمل جدا أن يكون ما نسميه اليوم حياة اليقظة ليس الا حلما ، وان كل الموجودات لا وجود لها الا في اخيلتنا . وانه من الجائز جدا ان يكون عالم النوم هو عالم الحقيقة •

فاما عن الرأيين الاولين ، فلا نية لي للخوض فيهما في هذا المجال ، وذلك لانهما يعتمدان على مسلمات تحتاج الى اسفار لمجرد توضيحهما ، بله اثبات صحتهما أو عدمهما ، وهو امر لا ادعي فيه علما ، على الاقل استنادا للمعطيات التي امامي ، وأمام البشر العاديين الذين يعتمدون في معلوماتهم على عالم الشهادة •

وجهـان لعملة واحدة

واما الرأي الثالثفهو يقودنيالى لب موضوعي اليوم ، والمتعلق بتحديد العلاقة بين الاحلام في النوم واليقظة •

وفي هذا المجال ارى ان اقول ان هذه العلاقة علاقة مطابقة ، وان العمليتين وجهان لعملة واحدة، واذا كان بينهما خلاف فهو ليس خلاف نوع •

فكما ان احلام اليقظة تتم بعد استلام العقل الباطن لاشارة من الحواس ، فيخرج لها اللاو ما يناسبها من الصور ، كذلك فان العقل الباطني يستلم في النوم اشارة من الحواس تستخرج نه الصور والاخيلة التي نظنها في غياب العقل الواعي تجارب حقيقية،ثم نكتشف غير ذلك اذا عاد الوعي.

ولعل عملية الاحتلام اوضح دليل على طبيعة العملية اللاواعية التي يمارسها العقل الباطن • فالاحتلام كما نعلم عملية عضوية ، يتحكم فيها الجسم فيزيولوجيا ، وتاتي نتيجة كون الجسم في وضع معين ، وكون العمليات الفيزيولوجية التي تتم داخل الاعضاء التناسلية قد وصلت طور معينا •

ولكنا كثيرا ما نرى الاحتلام مصحوبا باحلا معينة عن ممارسات جنسية او مشاعر مرتبطة بها ومن الواضح ان الاحتلام هو سبب هذه الاحلام وليس العكس • فالجسم يكون قد تهيأ يزيولوج للاحتلام ، وبدأت العملية فعلا ، ثم ياتي الحل بعد ذلك •

فمعظم الاحلام ، على عكس ما يعتقد ، لا تدو الا ثواني معدودة • فالشخص الذي يضرب يد بالسرير اثناء نومه يستيقظ فزعا ، وقد رأى ف نومه انه كان يخوض معركة ضارية مع اعـد يغافهم ، قد رأى تلك الرؤيا في الفترة بين ضر يده بالسرير وبين استيقاظه •

والارتباط بين طبيعة الاحلام ، وبين الحالـ النفسية والجسدية للشخص النائم ارتباط ثاب ومعلوم بالتجربه • ولعل أي انسان عادي يعلم ان الكابوس لا ياتي الا للاشخاص الذين يكون اصلا في حالة نفسية او جسدية غير مريحة •

وقد اجريت بعض التجارب في المانيا الغربية كشفت عن رباط وثيق بين الاضاءة في غرفة الن وبين الاحلام ـ فقد رأى اشخاص اختيروا مختلف فئات الاعمار والطبقات الاجتماعية ، احلا مزعجة عندما تركوا ليناموا في الضوء الاحمر بينما كانت احلامهم سعيدة حين ترك ضوء الق لينفذ الى المكان الذي ينامون فيه •

اذن ، فاذا كانت الاحلام كما سعينا لنوضح مجرد استجابة لمؤثرات بيئية ونفسية في الانـ النائم ، واذا كانت هذه الاستجابة كثيرا ما تا خاطئة كما عهد بالتجربة (كثيرا ما نحلم باش لا يمكن ان يصدقها العقل ، وحوادث خرافية

فا، اذن يمكن ان تدخل فى هذا الاطار الاهمية القصوى التى تعلقها الاديان السماوية علـى الاحلام كعنصر اساسى من عناصر الاتصال مع العالم العلوى (وغير العلوى احيانا ، ممثلا فى الشياطين ، كما جاء فى بعض الاحاديث •)؟

قبل ان نشرع فى الاجابة على هذا السؤال ، يحسن بنا ان نوضح اكثر العلاقة بين احلام النوم واليقظة •

تناسـق احلام اليقظـة

قد سبق واوضحنا ان التشابه بين العمليتـين وارد فى كون كليهما استجـابة لا واعية لمؤثـر خارجي قد يكون لعقليا . مثل سماع صوت صديق، او نتيجة يانصيب ، او ضرب يدك بالسرير وانت نائم •

ومع انه من غير المستحيل منطقيا ان يكـون عالم الحلم هو عالم الحقيقة ، وان ما نعتقده عالم الحقيقة ليس فى الواقع الا وهما ، الا اننا نميل الى تصديق العكس ، ذلك ان احلام اليقظة، عموما متلائمة مع بعضها ، فى حين ان احلام النوم ينقصها التجانس ، وتمتلىء بالتناقضات •

ولو ان شخصا لم يكن يملك اطفالا ، ثم حلم ذات ليلة انه رزق بطفل ، ثم حلم فى اليوم الثانى بان طفله قد بلغ يوما من العمر ، ثم ظل يحلم احلاما متتابعة ، ومبنية على بعضها كل يوم،وهكذا حتى يبلغ طفله الذى رزق فى النوم سن الرشد، فان هذا الشخص يكون من الصعب عليه ان يصدق اى حالتيه الحلم وايهما اليقظة •

ولكن حمدا لله فاننا لا نواجه مثل هذه المعضلة فى حياتنا اليومية ، لذلك نفرق بين احلام النوم واحلام اليقظة ـ بالملاءمة والتجـانس فى الاخيرة واحتمال التحقق الكبير لها،وعدم ذلك فى الاولى•

فاننا حين نحلم بعد يوم شاق من العمل المضنى، بوجبة شهية وسرير دافىء مريح ، وزوجة حنون تستقبلك بابتسامة ، نتوقع ان نجد كل هذا فـى المنزل حينما نصل ، وكثيرا ما نجده •

اذن فما المانع ان يتحقق نفس الحلم اذا رأيناه فى المنام ، وقد سلمنا مسبقا بان مبعث الحلمين واحد ، وان طبيعتهما واحدة ؟

لا بد هنا من توضيح فرق آخر بين العمليتين •

فالحلم فى اليقظة استجابة منطقية للمؤثر ، فـى حين ان غياب المنطق والعقل الواعى فى النوم ، يجعل من المتعذر على هذه الاستجابة ان تكون منطقية •

فاذا كان العقل اللاواعى يستجيب للمؤثرات فى اليقظة باختيار الصور والاخيلة الاكثر ملاءمة للواقع ، الا انه فى النوم لا يجد ان عليه الوفاء بمثل هذا الالتزام ، وانما يختار اقرب الصـور المعبرة عن الحالة النفسية او الفيزيولوجيـة للنائم ، وهذه الصور غالبا ما تكون هى الصور المسيطرة على تفكير الشخص فى صحوه •

الذى تسيطر عليه فكرة السفر الى القطـب الشمالى ، سيحلم بانه قد وصل الى هناك بمجرد ان يصاب بتيار هواء بارد اذا نسى النافذة مفتوحة فى الشتاء •

الى اى حد اذن يمكننا بناء استنتاجات منطقية حول المستقبل على عمليات غير منطقية كهذه •

واضح انه من غير الممكن بافتراض المعطيات غير الروحية ان نصل الى استنتاج كهذا •

وحتى بافتراض المعطيات الروحية يصعب علينا ان نعطى للاحلام اى دلالة اكثر من دلالتهـا الفيزيولوجية والنفسية ، ذلك انه قد جاء فـى الاثر ان كثيرا من الاحلام تكون من الشيطان ، وان هذه لا دلالة لها •

وحتى الاحلام التى يكون لها دلالة ، فان هذه الدلالـة يصعب تحـديدها حتى للانبيـاء • فقد جاء فى الحديث ان الرسول صلى الله عليـه وسلم قد راى فى النوم ، قبل ان يؤمر بالهجرة الى المدينة ، انه فى بلدة ذات نخل وماء ، قال « فوقع فى نفسى انها تهامة » ، وقد كان هـذا استنتاجا غير صحيح ، اذ انه امر بعدها بالهجرة الى المدينة •

الماضى يشكل المستقبل

ولكن هذه الحادثة لا تنقص من موقع الرؤيا كاسلوب اساسى من اساليب تلقى الوحى • ولعل اشهر الرؤى فى هذا المجال ، رؤى يوسف عليه السلام ، ورؤى عزيز مصر ، والثابتة فى القرآن ، وثابت انها تحققت فاين موضع هذه من التفسـير الذى قدمنا لطبيعة الحلم ؟

ان مبلغ علمنا عن علاقة الله بالكون وتاثيره عليه ، هو ان هذا التاثير يتمثل فى القوانين السببية • ولكن هذا لا يشكل اى عقبة منطقية فى سبيل افتراض ان لله وسائل اخرى للتاثير على الكون ، لا ترتبط بالقوانين السببية ، مثل ما اعتدنا ان نسميه بالمعجزات •

ولهذا فلا يمتنع منطقيا ان يكون هناك صنف مختار من البشر جعل الله لاحلامهم دلالة اكثر من احلام غيرهم • الا ان هذا لا يثير شيئا من طبيعة القانون المبسط لظاهرة الاحلام ، والذى يلخص هذه الظاهرة فى كونها عملية طبيعية يمكن تفسيرها بالمعطيات الفيزيولوجية والسيكويولوجية التى لدينا • ذلك ان هذه الظواهر ان وجدت تكون استثناءات ، والاستثناء لا يعطل القاعدة •

ومن ناحية اخرى يمكننا ان نضيف الى معطياتنا استنتاجا آخر من التشابه بين الاحلام فى حال اليقظة والنوم • فكما اسلفنا ان احلام اليقظة استجابة منطقية لمؤثر خارجى ، تستند الى تجاربنا السابقة ، كذلك فان احلام النوم استجابة غير منطقية فى الغالب ـ حسب معلوماتنا ـ تستند ايضا على التجارب السابقة • ايضا فان الاحداث المستقبلية ترتبط ارتباطا وثيقا بماضينا وحاضرنا ، حتى انه يجوز ان نقول ان الماضى يشكل المستقبل ، اذ لا يمكننا ان نتحدث عن شاب لم يمر بمرحلة الصبا والطفولة ، ولا عن طبيب لم يدرس الطب •

لهذا فان الارتباط بين المستقبل وبين ..لام اليقظة سهل الفهم ، اذ كلاهما تطور منطقى عن الواقع المعاش •

ولكن احلام النوم والتى يبدو لنا من ظاهـ.ها انه لا يوجد قانون منطقى يربطها بالواقع والمـ..ى، وبالتالى بالمستقبل ، قد تكون مرتبطة بهذا الواقع بقانون لا نعرفه ، واذا عرفنا هذا القانون ،امكننا بسهولة ان نستنتج من الاحلام اشياء كثيرة تتعلق بالمستقبل ، فيصبح بامكاننا ان نقول : « ان الشخص الذى مواصفاته كذا وكذا ، وتجربته الماضية تتمثل فى كذا وكذا ، وحلم بكذا ، سيحدث له كذا .» تماما كما نقول : « ان ذلك الطالب المتفوق فى السنة النهائية بكلية الهندسة، والذى يحلم بشراء سيارة فارهة ، سيتمكن من شراء هذه السيارة بعد عامين » •

واذا كان هناك قانون من هذا النوع ، فلا شك ان سيدنا يوسف عليه السلام كان على علـم تام به •

اما نحن ، وحتى نصل الى هذا القانون ،فيجب ان نكتفى بتفسير الكوابيس على انها دليل علم اننا اكلنا اكثر مما يصلح بالامس ، او حملن هموما اكثر مما يجب ، وتفسير الاحلام السعيد بان علينا ان نواصل السير فى الطريق الذ ننتهجه ، لانه يريحنا جسميا ونفسيا • ■

عبد الوهاب أحمد الافند
كلية الاداب ـ جامعة الخرطو

الرئيس الشبح

■ قال احد الموظفين غير المتحمسين للعمل تحت امرة الرئيس :« العمل معه يشبه انسانا مكبلا ينظر الى شبح » •

احد ابناء الريف •

المكان مغلق

■ قال اعلان ملصق فى مطعم للموظفين فى بيرمنجهام « مهرجان والرقص يوم السبت لاعضاء الاتحاد والضيوف فقط » ، وقد اضاف احدهم على الاعلان عبارة «هذا المكان مغلق »

بيتربورو ـ الديلى تلجراف البريطانية

علماء المعاجم و.. فن الشعر

بقلم : عبد الرزاق البصير

« التعمق فى لغة القرآن يخصب الخيال ويزيد فى الموهبة ، لان مفرداتها تستمد أجزاءها من ينبوع الحياة » •

■ ربما يتصور الكثيرون ان علماء اللغة ابعد ما يكونون عن الحس الفنى الذى يتصف اصحابه برقة المشاعر ورهافة الاحاسيس ، مما يجعل فى عطائهم رقة وجمالا تستقبلهما النفوس كما تستقبل الاسماع اعذب الالحان واشجى الانغام • ويعود سبب هذا التصور الى ان اللغة – وهى المادة التى ملات نفوسهم عشقا بها – تشبه الرياضيات فى كثير من الوجوه • فهم يحدثونك عن اللفظة الثلاثية والرباعية والخماسية وعن المصدر الصناعى ومصدر الهيئة وعن اسم الفاعل وعن الاشتقاق وعن كيفية اختلاف معانيها حين تتعدى ببعض الحروف • وكمثال على ذلك ناخذ لفظة «راع» فاذا كانت لازمة ونسبت الى السراب اصبح معناها اضطرب • واذا قلنا : راع منه صار معناها (خاف) ، واذا قلنا راعت الابل اليه صار معناها: رجعت اليه •

وراق الماء ريقا على وجه الارض : تردد وانصب ، وراق الشىء : لمع ، وراق بنفسه ريقا : جاد بها • فانت ترى ان عمل العالم اللغوى يضطره الى ان يكون دقيقا فى دراسته وفيما يقوم به من تاليف • فعطاؤه لا يصلح الا للمتخصصين الذين يريدون ان تكون الفاظهم محكمة متقنة كاحسن ما يكون الاتقان • فدراسة المعاجم ثقيلة على معظم الناس ، فكيف يكون العمل فى تاليفها؟ ولكن الواقع يشهد ان كثيرا من علماء اللغة يملكون حاسة فنية ونفوسا شاعرة تجعلهم ينطقون بارق الشعر واعذبه ، بل ان بعض اخبارهم عذبة يرتاح اليها أصحاب الاذواق السليمة • فماذا تقول فى هذه القطعة التى جادت بها قريحة ابن دريد :

غرّاء لو جلت الخدود شعاعها
للشمس عند طلوعها لم تشرق

غصن على دعص تأود فوقه
قمر تألق تحت ليل مطبق

لو قيل للحسن احتكم لم يعدها
أو قيل خاطب غيرها لم ينطق

وكأننا من فرعها في مغرب
وكأننا في وجهها في مشرق

تبدو فيهتف للعيون ضياؤها
الويل حل بمقلة لم تطبق

وقوله :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده
أتت بين ثوبي نرجس وشقائق

حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا
عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

سيرة عطرة

وصاحب هاتين القطعتين كنز من كنوز اللغة لا يجاريه احد في عصره قوة في الذاكرة وسعة في الاطلاع حتى يقال بانه اصبح نظيرا للخليل ابن احمد اللغوي المشهور ٠ الف كتاب الجمهرة والاشتقاق وهما كتابان يعتبران من اهم الكتب التي الفت في اللغة والنحو ٠

ولو وقفت على اخباره وسيرته لوجدتها مملوءة بكل ما يبهج القلب ويسر النفس لا يخلو مجلسه من آلات الطرب والمطربين والمغنين ، فهو يعطي العقل حقه والنفس حقها ، وحياته مزاج من العلم والنعيم ، وما الطف مثل هذه الحياة التي تتكون من هذين المزاجين ٠٠

وحين نصل الى اللغوي المعروف بالجوهري ، صاحب كتاب الصحاح ، الذي سار ذكره في جميع الآفاق ، نجد في سيرة هذا العالم أحداثا تستوقف النظر فان جميع مترجميه يقولون عنه بانه كان اماما في علم اللغة والادب وانه كان يؤثر السفر ويفضله على الاقامة في البلاد ٠٠ كل ذلك في طلب علم اللغة ٠

اتسع خياله حتى تصوّر له بانه قادر على ان يطير ٠٠ فصنع جناحين من خشب ، وربطهما بحبل وصعد سطح مسجد ، ونادى الناس قائلا : لقد صنعت ما لم اسبق اليه ، وساطير الساعة ٠ فازدحم اهل نيسابور ينظرون اليه ، فتابط الجناحين ، ونهض بهما ، فخانه اختراعه ، فسقط الى الارض ٠٠ فكان ذلك سبب وفاته ٠

ولسنا نعرف ما اذا كان هذا العالم اللغوي عرف بخبر عباس بن فرناس الذي توفي قبله بمئة وعشرين سنة ، فان ذلك غير مستبعد ٠

وعلى اى حال ، فان هذين العالمين كانا اول من توصّل خيالهما الى علم الطيران ، وحاولا ان يحققا ما حلما به ، لكنهما لم يفلحا ٠٠ وذلك لا يغض من شانهما ، فان العلم قد حقق اكثر مما كانا يحلمان به ٠

من كلمات الجوهري

وللجوهري نفثات شعرية مختلفة ، نقتطف منها هذه القطعة الشعرية الجميلة :

يا ضائع العمر بالاماني
اما ترى رونق الزمان ؟

فقم بنا يا اخا الملاهي
نمضي الى نهر نشتقان (١)

لعلنا نجتني سرورا
حيث جنى الجنتين دان

كأننا والقصور فيها
بحافتي كوثر الجنان

والطير فوق الغصون تحكي
بحسن اصواتها الأغاني

وارسل الورق عندليب
كالزير والبم والمثاني

وبركة حولها أناخت
عشر من الدلب واثنتان

(١) ربما يكون هذا النهر في بلاد خراسان ٠

..صنتك اليوم فاغتنمها
فكل وقت سواء فان

وهناك عالم لغوى آخر تفنن فى قول الشعر حتى اصبحت مقطوعاته تزيل الهموم عن القلوب الحزينة .. ذلك هو محمد بن مكرم المعروف بابن منظور مؤلف كتاب « لسان العرب » الذى اصبح المرجع الوحيد لمن يريد ان يتوسع فى معرفة المفردات العربية طيلة ثلاثة قرون من الزمن.. حتى جاء الزبيدى مؤلف كتاب « تاج العروس »، فاستطاع ان يجعل الناس مستغنين عنه ، لانه الم به وبغيره من كتب اللغة .

ولسنا فى مجال المقارنة بين معاجم اللغة .. لان لذلك مجالا اخر ولكننا أردنا ان نؤكد بأن كثيرا من علماء اللغة يملكون نفوسا متفتحة للجمال . يقول ابن منظور :

الناس قد أثموا فينا بظنهم
وصدقوا بالذى أدرى وتدرينا

ماذا يضرك فى تصديق قولهم
بأن نحقق ما فينا يظنونا

حملى وحملك ذنبا واحدا ثقة
بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

ومن شعره قوله :

بالله ان جزت بوادى الأراك
وقبلت عيدانه الخضر فاك

ابعث الى المملوك من بعضه
فاننى والله مالى سواك

ويقول الحسن بن عبد الله المعروف بالبندنيجي:

ناحت مطوقة بباب الطاق
فجرت سوابق دمعى المهراق

فجعت بأفرخها فأسبل دمعها
ان الدموع تبوح بالعشاق

تعس الفراق وبث حبل وتينه
وسقاه من سم الأساود ساقى

ماذا أراد بقصده قمرية
لم تدر ما بغداد فى الآفاق

انى سمعت بقصده فتبعتها
وعلى الحمامة جدت بالاطلاق

بى مثل ما بك يا حمامة فاسألى
من فك أسرك أن يحل وثاقى

لغة شاعرة

وقد بلغ من رقة مشاعر هذا الاستاذ اللغوى انه رأى قمرية تنوح بباب الطاق ببغداد ، فامر بشرائها واطلاقها ، فامتنع صاحبها ان يبيعها باقل من خمسمائة درهم ،فاشتراها بذلك واطلقها.

ومن حق العلم عليّ ان أشير الى ان اثر هذا العالم اللغوى انتشر بفضل الاستاذين حمد الجاسر والدكتور خليل العطية ، لان اولهما أشار اليه فى احد بحوثه وتكفل الاخر فى تحقيقه وطبعه . وبذلك خرج هذا الاثر الى النور ويدعى كتاب « التقفية فى اللغة » . ويعد هذا الكتاب من اوائل المعاجم .

اما مؤلف هذا الكتاب فانه من الذين اصيبوا بفقد البصر منذ ولادته ، وقد حباه الله ذاكرة قوية .قال عن نفسه بانه كان يحفظ مائة وخمسين بيتا بغريبه فى مجلس واحد ، وكان أبوه ميسورا، خلف له بساتين ومزارع وانفقها فى طلب العلم، حتى اصبح اماما من ائمة اللغة .

وبالجملة ، فان من يقول بان لغتنا العربيةلغة شاعرة مصيب كل الصواب ، فان اكثر من شغل بالعناية بها تحقيقا وترتيبا قد اغنوا ادبنا العربى بنفحات شعرية ارق من انفاس الربيع ، مما يؤكد على أن التعمق فى لغة القرآن يخصب الخيال ويزيد فى الموهبة لان مفرداتها تستمد اجزاءها من ينبوع الحياة ●●

الكويت ــ عبد الرزاق البصير

وحدها في قارب شراعي .



« لقد اخترت طريق التحدى ، وهــو بغير نهاية »

كلير فرانسيس

هذه المرأة عبرت الاطلنطى

● هذه المرأة – كلير فرانسيس – عاشت تجربة مثيرة جديرة بالتسجيل والاعجاب • فقد كانت اول انجليزية عبرت المحيط الاطلنطى ، وحيدة فى قارب شراعى ، وقطعت ٣٠٠٠ ميل •

ابحرت بقاربها من قارة الى قارة ، وشقت طريقها وسط امواج المحيط بشجاعة نادرة •

وهى هنا تروى قصتها ، التى سجلتها حين كانت تمتطى القارب فى أثناء سباق اليخوت الشراعية الذى اقيم فى عام ١٩٧٦ ، بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية •

اننى أعلم اننى ساعيش وحيدة لاربعة أو خمسة أسابيع وسط المحيط ، اقاوم فيها الامواج العنيفة والعواصف الرهيبة وانا وحيدة ، وربما خدعنى احد الجبال الثلجية العائمة الغدارة ، فاموت موتة رهيبة بين المياه المتجمدة ، اننى لا اتوقع الفوز فى السباق ولكن كل ما انشده هو تحقيق امنية لى فى أن اكون الفتاة الانكليزية الوحيدة التى اشتركت فيه •••

اغلب الناس يعبرون عن دهشتهم عندما يسمعون ما سأقدم عليه • لانهم يتوقعون ان اكون امرأة ضخمة البنية ، مسترجلة ، من ذوات العضلات مفتولة ، لا فتاة لا يتجاوز طولها خمسة أقدام وعقدين ، لها عينان عسليتان واسعتان ، وشعر اشقر ، لا يزيد وزنها على ٤٨ كغم • الناس حتى فى عصرنا هذا ، عصر المساواة بين الرجل والمرأة ، يتقبلون تسلق الرجال لقمة « افرست » مثلا وقطعهم الصحارى على الاقدام ، والابحار حول العالم • اما اذا قامت امرأة بمثل هذه المغامرات فان عملها هذا فى رأيهم لابد ان يكون رد فعل لنكبة كبيرة قد اصابتها ، كفشل فى حب مثلا ، او تعويض لمشاعرها عن رغبة فى زواج لم تتم ، أو أن تكون قد فقدت صوابها كليا •••

أريد بيتا

الحقيقة انى لست من المنادين بتحرير المرأة كليا عن الرجل • بل أنادى بالعكس ، فاننى آمل ان استقر فى يوم من الايام ويكون لى بيت وزوج واطفال ••• أما فى الوقت الحاضر ، فاود الاعتماد الكلى على نفسى ، واعمل ما اشتهى ، وخاصة الابحار بعيدا لاننى قد اعتدت على قبول «التحدى» • فى مياه « يوركشير » • وهناك كنت احيانا اتحدى الصبيان الصغار فى زورقى • وفى كل سنة كنا نقضى اجازتنا السنوية فى جزيرة « وايت » لنمارس الملاحة فى مياهها • وهناك انضممت الى احد النوادى الشراعية ، ومارست هوايتى على يخوت أكبر ••

وبجانب هوايتى هذه ، كانت لى هواية اخرى ، هى « رقص الباليه » ففى سن الثانية عشرة ، حصلت على مقعد فى مدرسة الباليه الملكية •

وبعد خمس سنوات فيها ، اى فى سن السابعة

عشرة ثبت لى باننى لا ... سل لى بان اصبح «بالرينا» أو « راقصة باليه » مرموقة فى يوم من الايام ، فتركت الميدان ٠

وبعد أن أنجزت دراستى الثانوية ودخلت الجامعة وحصلت على شهادة الليسانس فى فرع ادارة الاعمال ، عينت فى قسم المبيعات باحدى الشركات الكبيرة ٠ وفى سن الثانية والعشرين وصلت الى مركز رئيسة دائرة الانتاج ، واصبح لى شقة جميلة فى لندن ، ووضعت سيارة للشركة تحت تصرفى الخاص ٠ وكانت لى حياتى المبشرة بالاستقرار والامال ٠

وبالرغم من كل هذا ، كنت اشعر فى قرارة نفسى بان شيئا ما ينقصنى ٠

وبالرغم من اننى انسانة اجتماعية ، احب مجالسة الناس والاختلاط بهم فقد كنت كثيرا ما اتوق الى الانفراد بنفسى لاقرا ما اشاء من الكتب واسمع ما اشاء من القطع الموسيقية المحببة لى دون مقاطعة ٠ اما اشتياقى الى رؤية العالم ، والى الانطلاق والمغامرة فقد كان يتملكنى كليا ٠٠

الوشاح الاحمر

ويوما بعد يوم كانت فكرة الابحار تختمر فى نفسى وتتفاعل ٠ حتى انضممت الى مدرسة لاخذ دروس مسائية فى الملاحة ٠ وبذلت قصارى جهدى للتعلم ٠ وفى احد الايام قال لى زميل هناك مازحا « لماذا لا تبحرين منفردة » ؟ وقبل ان اجد الجواب قال آخر « مستحيل ٠ لا قدرة لها على ذلك ٠ وان هى حاولت ، فلن تكون الا مجنونة » ٠ وكانت هذه الكلمات بمثابة « الوشاح الاحمر » الذى يستثيرون به الثور فى حلبات المصارعة ٠ فتاججت فيّ روح التحدى وعزمت على تحقيق هذه الفكرة٠

وتخيلت نفسى وانا اقضى عدة اسابيع فى عرض البحار وحيدة ، بعيدة عن الناس والضوضاء ، اواجه المخاطر ، واذا ما نجحت ووصلت الى امريكا فاى انتصار هذا سيكون ؟؟

عرضت الفكرة على اهلى واصدقائى ٠ فنزلت عليهم نزول الصاعقة ٠ ولكننى تحديت كل شيء ، واشتريت بكل ما املك ، وهو ما ورثته من جدى الاكبر ، سفينة قديمة وهى جميلة وطولها الثان وثلاثون قدما ، مجهزة بكل متطلبات السياحـ وتتسع لنوم أربعة أشخاص ، ولا ينقصها س... بعض التعديلات البسيطة ٠٠٠

وفى يوم مشرق من ايام ربيع سنة ١٩٧٣ رفـ... اشرعتى من ميناء « بلايموث » فى اول سفرة لى منفردة عبر الاطلنطى ٠

فى اللحظات الاولى تملكنى حزن عميق على فراق وطنى وقومى ، ولكن ما ادرت ظهرى الـ... الشاطىء ، وتطلعت نحو البحر الواسع ، وسقطت اشعة الشمس على وجهى ، واحاطنى رذاذ الماء ، حتى انتعشت وتجددت روح الاقدام فيّ ، لان مغامرتى الاولى ... بدات من تلك اللحظة ٠٠٠

ولكن نشوة الفرح هذه لم تدم طويلا ٠ لانى بعد بضع ساعات من اختفاء اليابسة ، لاحظت الغيوم السوداء تتجمع فى الافق امامى ، وبدات الريـاح تشتد شيئا فشيئا ، وغـابت الشمس وتحول البحر الى بسـاط اغبـر مخيف ٠ فعلمت باننى فى المجابهة الاولى مع العاصفة ، وعليّ ا... اغير اشرعتى الى حجم اصغر ، لانه كلما كانت الريح اقوى وجب ان تكون الاشرعة اصغر حجما

وبينما كانت الامواج ترتفع الى ما لا يقل ... الخمسة عشر قدمـا ، وسفينتى تشق طريقها بصعوبة ـ زحفت على بطنى الى سطح السفينة والر... تهاجمنى ، والماء يرشق وجهى ، وياسنان تصط... خوفا واصابع جامدة ـ تمكنت من ازالة الاشر... القديمة وتعليق الصغيرة مكانها ، ثم جمعت الاشر... فى حزمة كبيرة ، وعدت الى المقصورة ، وارتم... هناك متهالكة ، خائفة ، على حين كانت العواص... ترفع السفينة الى الاعلى ، ثم تضربها الى الاس... وكانها النهاية ٠٠٠

مرارا كثيرة كنت اسال نفسى « لماذا انا لوحدى فى وسط هذا المحيط » ؟؟

بعدما هدأ البحر

ان الايـام العشرة الاولى كانت اسـوأ ... الرحلة ٠ لم يكن فيهـا سـوى المطـر والر... والعواصف ٠ وخلالها وجدت صعوبة كبيرة ، عودت نفسى على النوم المتقطع ، لانه كان ... عليّ ان استيقظ بين ساعة واخرى ، لكى

سبري ، واتطلع لعلي اجد سفينة اخرى
ط ولكي اقوم باعمال الملاحة .

بعد اسبوعين من الرحلة بدات الاحوال
. فهدأ البحر قليلا ، وقلت الامطار ،
الشمس . وقد كانت احيانا حارة الى
لمتني استلقي واقنع باقل ثياب ممكنة على
سفينة . وفي احدى المرات سمعت صوت
، » ينادي . فظننت بانني بدات اتخيل
ولكن الصوت عاد ثانية « هلا ـ هل من
هذه السفينة ؟ » واذا بها سفينة روسية
ظهرها عشرون بحارا يحملقون فيّ وقد
الحيرة ، وانا من شدة فرحي نسيت انني
ثيابا لا ينبغي ان يراها الاخرون !

يا بدات اعتاد على حياة البحر . وكانت
ونة كبيرة من الطعام . حوالي الخمسة
لا من البطاطا ، مائة بيضة ، خمسة عشر
ن الدقيق لصنع الخبز ، كثير من الاغذية
كالخوخ والطماطة والجزر والفاصوليا ،
علب المربى والعسل ، وعلب الجبن وعصير
وبعض الفواكه كالتفاح والعرموط
رى) والموز .

لموز فقد نضج كله مرة واحدة . ولذا
كله كما تفعل القردة . وكان معي ايضا
ير من المكسرات كالجوز واللوز . وكنت
اتيين ، فلم اعبا بجلب اللحوم .

ما جلبت من الملابس كان قديما كي استهلكه
نناية به . كما احضرت كمية كبيرة من
الداخلية الورقية التي كنت ارميها في
عد انتفاء الحاجة اليها .

فاظ على بشرتي من التاثيرات الجوية ، جلبت
يرة جدا من كريم Cream نسائي كنت اضع
بات كبيرة على وجهي وجسمي دائما .

هو الروتين اليومي الذي اتبعته في
على ظهر السفينة : كنت استيقظ في
ة صباحا ، وبعد ان اتناول فطوري اقوم
ارضية السفينة ، ثم اقلب المكسرات
ه لكي امنعها من التلف، ثم اصلح ما تلف
رعة واقوم بمتطلبات الملاحة . وبعد الغداء
ة استراحة من النوم المتقطع حتى الساعة
ة مساء . واتناول وجبة عشائي في التاسعة
وعند منتصف الليل اذهب الى فراشي .

بعد خمسة اسابيع ويومين من هذه الحياة ، بدا الافق امامي ازرق صافيا ، وطيور البحر تتزاحم فيما بينها ، تعلو وتهبط الى الماء . عندها علمت بانني قد اصبت الهدف . هذه هي امريكا . لم اصدق عيني ، انني نجوت ، ووصلت ، وحققت حلمي .

اتجهت بسفينتي نحو رصيف الميناء ، عندها تقدم نحوي موظف سائلا :

ـ اتريدين البنزين ام المبيت ؟

قلت : الحقيقة اني احتاج المبيت ، ولكن عليّ ان اقوم بمعاملة دخولي ، والانتهاء من اجراءات الجمرك اولا .

قال : من اين انت قادمة ؟

قلت : من انجلترا .

قال في دهشة : « حقا ؟ .. من انت ؟ »

قلت : كلير فرانسيس ولقد انباتكم عن قدومي تلغرافيا

عندئذ تحجرت عيناه في راسه ، وتطلع اليّ طويلا ثم قال :

ـ « لم يخطر ببالنا ان تكوني امراة . لان كلير هذا للرجال في امريكا ونكتبه Clare وليس Claire .

اما انا فقد كانت فرحتي عظيمة لرؤية الناس ، والتحدث اليهم ، بعد ان حرمت من ذلك وقتا غير قصير ...

ولكن لم تمض سوى اسابيع على استقراري حتى بدات اسال نفسي « وماذا بعد الان ؟ » ان العودة الى الوظيفة شيء مستحيل .

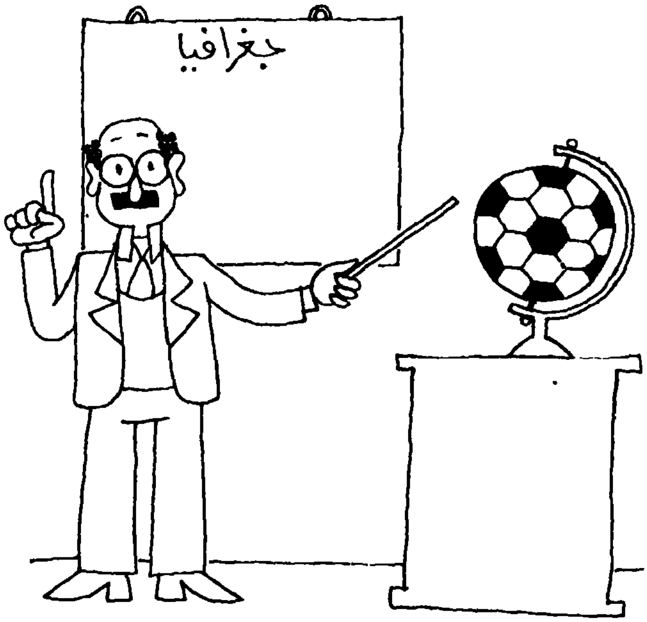
وقد وجدت الاجابة ، بل المتعة الحقيقية ، في الاستعداد لهذا السباق ، والاشتراك فيه . وسواء عليّ فزت او لم افز ، فيكفيني انني اول فتاة انجليزية تقبل هذا التحدي وتفوز فيه .

ولكن ، هل ساقنع بهذه الرحلة الثانية ؟ .. اغلب الظن ان ذلك لن يتم . لانني اخذت طريق التحدي ، وهو بغير نهاية .

اليست الحياة كلها تحديا كبيرا ؟ ■■

ترجمة : صبيحة العسكري
بغداد

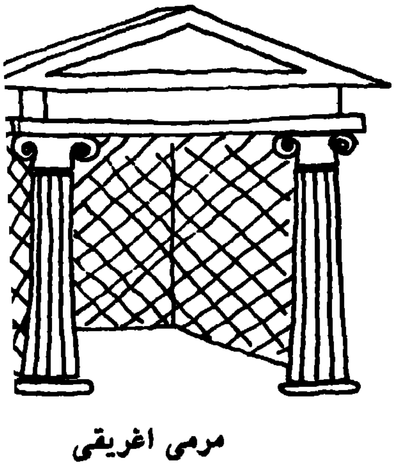
الأرض كروية قدمية



بدون تعليق



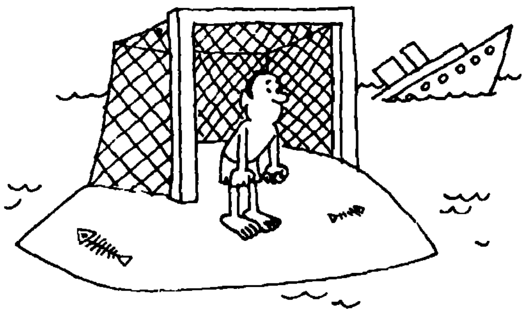
مرمى من العصر الحجرى



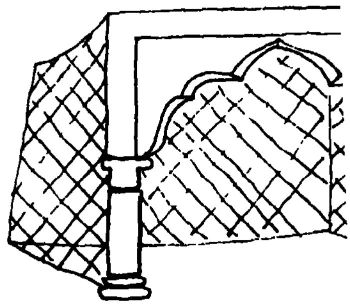
مرمى اغريقى



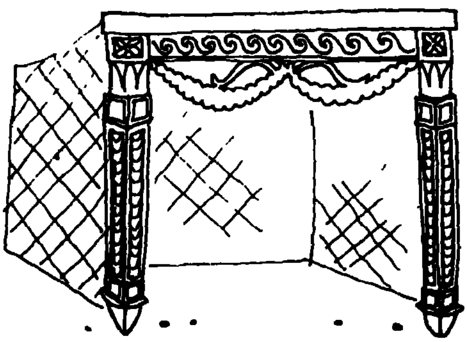
بدون تعليق



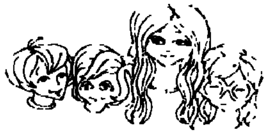
بدون تعليق



مرمى اندلسى



مرمى لويس السادس عشر



الأم .. وحكايتها مع الزمن

(الام قلب الاسرة .. ومظلتها وحارس بنائها وسعادتها .. الام هي الاسرة كلها)

« ايمرسون »

■ الام اعظم .. الام اقوى.. الام اجمل واروع اسم تحمله امرأة ..

فليس كل النساء امهات .. ولكن الامهات نساء .. واحلى واجمل قصص الحياة ، هي قصة الام وحكايتها مع الزمن .

والذى يعيدنا الى الحديث عن الام ودورها فى بيتها ومملكتها ومجتمعها،هو هذا اليوم القريب من الشهر الذى انقضى (٢١ مارس) عندما احتفلنا بعيد الاسرة . وعيد الام،ووقف الابناء.. كل الابناء الاطفال .. والكبار .. يؤكدون من جديد هذا الحب وهذا الوفاء الذى امتلأت بـه قلوبهم نحو هؤلاء الذين شاركوا فى أعظم وأسمى وانبل رسالة فى الوجود .. « رسالة الخلق ».. ورعاية الثمرة الصغيرة حتى تكبر ويقوى عودها.. ثم تعود القصة لتبدأ معها من جديد .

قالت العروس فى أول رسالة لأمها بعد أن خرجت من بيت والديها مع الرجل الذى سيبنى معها حياتها الجديدة ومستقبلها : « .. ومشيت يا أمى فى الطريق الذى فرشته لى بالزهور .. صوتك الحبيب مازال يهمس فى اذنى .. نصائحك ترسم لى موضع خطواتى على الارض .. حبك الكبير الذى غمرتنى به طفلة وصبية وامرأة ص منى أجمل انسانة فى الدنيا .. ألم اكن انا وح الذى اختارنى هذا الرجل الذى يسير معى فى ا اللحظة دون سائر النساء ، لأشاركه حياته » !

وتمضى الزوجة الشابة فى مسيرتها على الطر .. وتمضى بضع سنين يحمل فيها البريد عشر الرسائل بين الابنة وامها .. رسائل تمتلىء بـ الحياة الجديدة التى تعيشها الزوجة الشابة عشها مع زوجها .. وتمتلىء من الناحية الاخ بهذا الحديث الحلو الذى طالما تاقت لسماعه ولكنه يبدو اليوم جديدا .. انه حديث ا تتذكر .. ما أجملها من ذكريات وهى ترى صور تتكرر فى اعز انسانة الى قلبها ومع الذكريات تجارب سنوات طويلة تنقلها دقائقها لهذه الصغيرة التى تدعو لها بالسعادة كل نهار جديد .

الحكاية فى بدايتها !

يصف نورمان فنسنت بيل الكاتب الامريكى ا ملأ المكتبة بمؤلفاته عن الزواج وحياة الاسـ والابناء على مدى ثلاثين عاما عاشها فى محاو

..ا لسبر اغوار النفس البشرية واحاسيسها ..الاتها.. يصف نورمان هذا الطريق الذى تعده لابنتها قبل الزواج ومن بعده .. وفى كل .. حياتها المقبلة مع زوجها يقول : « عند ..واج ، تبدأ الحكاية كما لو كانت مسالة شخصية رجل وامراة تحابا وتواعدا على الارتباط امام .. ولكن ـ اى هذه المسالة ـ لاتبقى شخصية .. طويل .. فسرعان مايدحل فيها شركاء بدعوة اصحاب هذه الشركة التى بدات بمؤسسيها قليديين .. ما اشبه رحلة الحياة بين الزوجين ..ك النزهة التى يخرج فيها الرجل مع امراته الى طريق الهادىء الصغير بين احضان الريف وتحت شجار التى اكتست بخضرة الربيع .. وقد انفت يداهما فى صمت لا تتخلله سوى زقزقة عصافير ..

الى زحام الحياة

« ويمضى الاثنان فى مسيرتهما .. ولكنهما لا ستمتعان طويلا بهذه الخلوة ، اذ سرعان ما يجدان لطريق الضيق الصغير الذى لفه الهدوء .. قد ادهما فى النهاية الى الشارع الواسع الفسيح فى لب المدينة حيث تمتلىء الحياة بالصخب والضجيج!»

« ويزداد الزوجان التصاقا واقترابا .. ولكن لا بدافع الحب الذى ربط بين قلبيهما فحسب ، بل لانهما يشعران فى هذه اللحظة انهما احوج ما يكونان الى بعضهما البعض .. ان كلا منهما يحس بحاجته للاخر وحمايته له . »

الطريق الهادىء فى القرية هو البيت الصغير الذى جمعهما بعد الزواج .. والمدينة بصخبها وضجيجها هى نفس البيت ولكن بعد ان وصل اليه الضيوف الصغار ، ثمرة هذا الرباط .. حياتهما الجديدة اصبحت مليئة بالحب والتضحيات والمسؤوليات .. لم يعد البيت الصغير لها وله ، فقط . لقد اصبح بيت الاسرة بيت الصغار .. كل شىء فيه لهم ومن اجلهم .. وفى سبيل اسعادهم تهون كل الصعاب !

الحب عند الام !

هكذا البداية..ولكن كيف تسير الحياة بعد مجيئهم؟

ونعود الى الام لنعبر لها عما نحمله فى صدورنا .. حب ووفاء وعرفان لهذه الانسانة التى عرفت .. « الحب » فى أروع واجمل معانيه مع أول



صيحة لطفلها الأول انه نفس الحب الذى كانت تراه هى فى عينى امها ولكنها لم تعرف سره وقوته الا بعد ان اصبحت هى أما !

يصل الطفل ، ذكرا كان ام انثى ، فيلتصق بالام .. يفزع اذا ابتعدت عنه ، ولا يهدأ الا عندما يحس بانفاسها قريبة منه تداعبه وتدغدغه فلا يلبث ان يستسلم لنوم هانىء سعيد .. فالام هى الدفء وهى الغذاء وهو يعرف هذا بالغريزة منذ الاسابيع الاولى لوصوله الى هذا العالم الواسع من حوله .. ان الاب فى الصورة ايضا ، ولكن الطفل لايعتمد عليه .. انه زائر يظهر فجأة ثم يختفى بنفس السرعة التى ظهر بها !

ويكبر الطفل ، فاذا كان ولدا وجد نفسه يتجه لابيه اذا رأى فيه الصديق الذى يهتم به ويشاركه العابه وهواياته ، وخاصة اذا لم يكن له اخوة

ذكور ! ولو ان الام تبقى بالرغم من ذلك الملجأ الذى يهرع اليه عندما يشعر بالجوع او التعب. وهذا وجه الخلاف الاساسي بين الولد والبنت ، فهي مع امها ، لاتكاد تبتعد عنها حتى تسرع بالعودة اليها .. فهي التي تصفف لها شعرها، وهي التي تختار لها ملابسها ، وهي رفيقتها في رحلاتها داخل البيت وخارجه .. ولذلك تبكى الطفلة عندما تذهب الى المدرسة لانها تعودت الا تشعر بالاطمئنان الا عندما تكون امها بجوارها! وقد يحتاج الامر الى اسابيع وربما شهورا قبل ان تتعود البنت على هذه الصحبة الجديدة مع زميلاتها وتطمئن اليهن ! ولكنها تبقى بالرغم من ذلك متعلقة بامها .. سرها كله عندها ومعها، فهي صديقتها وانيسة وحدتها ، وهي رفيقتها على طريق الحياة ، حتى بعد ان تتزوج وتصبح اما مثلها !

الام .. والابنة

تقول الدكتورة اليزابيت ريموند استاذة علم النفس الانجليزية : « لاشيء .. ولاواحد يمكن ان يجعل البنت تنسى امها .. حتى لو كانت اسعد زوجة في الدنيا .. وكما لانستطيع ان نحتفظ طويلا بالزهرة التي نقتلعها من الارض التي نبتت في جوفها وارتوت من مياهها ، كذلك لاتستطيع ان تبتعد الابنة عن أمها في سن معينة دون ان ينتابها هذا الشعور بان شيئا ما .. شيئا كبيرا في حياتها قد غاب عنها ! وكما تذبل الزهرة في الاناء الذى ملأناه بالماء وحده لنعوضها عن الارض.. كذلك قد يحدث نفس الشيء للابنة التي تفترق عن امها وتنقطع كل الخيوط التي كانت تربطها بها !»

وحتى في المجتمعات التي لاتكون فيها الرابطة بين الآباء والابناء بنفس القوة التي تعودناها عندنا في مجتمعنا الشرقي .. حتى في هذه المجتمعات نرى الفتاة تعود الى امها ويشدها الحنين اليها اذا تعبت او احست بان الدنيا قد ادارت لها ظهرها لاى سبب من الاسباب ..

تروى الدكتورة اليزابيت قصة الفتاة التي تركت بيت ابويها ، وحزمت حقائبها وسافرت الى بلد بعيد لتكمل تعليمها الجامعي .. وهو شيء عادى يحدث كل يوم عندهم ، سواء كان طالب العلم المغترب ولدا ام بنتا .. ذلك ان الروابط بين افراد الاسرة تضعف عندما يبلغ الشاب او الفتاة سن الثامنة عشرة او ما بعدها..عندئذ تكون الاعتماد على النفس ، والاستقلال بالحياة ... الاساس في هذه التجربة التي تبدأ مع الالتحاق بالجامعة ..

وبقيت الرسائل بين الابنة وامها ، هي وسيلة الاتصال الوحيدة على مدى اربع سنوات كاملة لم تفكر خلالها الفتاة في العودة لزيارة ابويها، ولو مرة واحدة حتى في عطلة الصيف الطويلة !

وتمضي الحياة

الى ان علمت الام بطريق الصدفة ان ابنتها قـ تزوجت ،وانها تضطر الى العمل خلال اشهر الصيف في الاجازة الدراسية لتوفر لزوجها مصاريف الجامعة ، فقد كانت هي مازالت تتلق مبلغا من والديها في اول كل شهر يعاونها عل مواجهة اعباء الحياة ودفع نفقات تعليمها الجامعي

وفجأة توقف وصول المبلغ الذى تعودت الفت ان تتسلمه شهريا .. لقد مات الاب ! ولكن ال اشفقت على ابنتها فلم تشأ ان تبلغها ، وخا لان الابنة كانت تتوقع حادثا سعيدا ..فاستمر تكتب لها ولكن رسائلها كانت دائما خالية م الشيك الذى كانت ترفقه بها ..

واصبحت الابنة بدورها عاجزة عن الاستم في عملها لتوفير نفقات دراسة زوجها..فقد نص الطبيب بالراحة ، وكانت بالكاد قادرة على موا دراستها .. فارسلت الى امها تسألها في « هل اطمع في استمرار مساعدتكما لى ؟ »

واقترضت الام مبلغا من المال سارعت بار الى ابنتها .. ثم خرجت من بيتها لاول تبحث عن عمل ، لا من اجلها ، فقد كان الم الذى يصرفونه لها بعد وفاة زوجها يكفيها ولكن من اجل الابنة التي احست اليوم بحا الى المال ، اكثر من اى وقت مضى .. وحـ على وظيفة في مصنع لحياكة الملابس .. و رسالتها تحمل الامل مرة اخرى للابنة التي اق الامومة المرتقبة عن العمل ..

الحدث السعيد

ومضت الام تعمل ، حتى تلقت اخيرا الذى انتظرته طويلا : «لقد رزقت اليوم بـ حلوة ياامى .. كم تمنيت في هذه اللحظة ان قريبة مني . اراك قريبا »

مضت الام تعمل ، ومضت رسائلها تحمل الامل للصغيرة ومولودها .. الى ان تخرج الزوج فى الجامعة ، وبعثت الفتاة برسالة طويلة الى امها :« لم نعد فى حاجة الى المبلغ الذى ترسلانه الى ، فقد التحق زوجى بعمل يدر علينا دخلا يكفينا ويزيد . »

وفى تلك الليلة ذهبت الام الى فراشها واغمضت عينيها لتستريح .. ولكنها لم تنم . لقد داهمها المرض هكذا فجاة وبلا مقدمات .. اليس غريبا ان تشعر بكل هذا التعب يهد جسدها هدا فى اللحظة التى وجدت نفسها فيها تقف فوق قمة العالم .. كم كانت سعادتها كبيرة هذا الصباح وهى تقرا البرقية التى تلقتها من ابنتها تزف لها فيها النبأ السعيد .. وهاهى الان لم تعد تقوى على الوقوف على قدميها .. ماذا حدث . . ما الذى الم بها ؟

ونقلتها جارتها الطيبة الى المستشفى ..وقال الاطباء انها مصابة بداء الصدر ، وانها فى حاجة الى عناية خاصة وغذاء خاص ولفترة طويلة .. من اين لها هذا كله ؟

رحلة المرض

ولم تشا الام ان تنقل لابنتها هذا الخبر الحزين وهى تحتفل اليوم باجمل واحلى حدث فى حياتها، فامسكت بالقلم وراحت تكتب باصابع ضعيفة مرتجفة :«ساسافر مع والدك فى رحلة طويلة.. قبلات كثيرة لحفيدتنا الصغيرة .. والى ان نلقاكم».. وباعت الام كل ماتملك لتتمكن من سداد نفقات علاجها فى المستشفى ، فلما نفد مالها ، تعاملت على نفسها وعادت الى بيتها الصغير تقضى فيه ما تبقى لها من عمر !

وعز على الجارة الطيبة ان ترى صديقتها تموت مع وحدتها ومرضها .. فاسرعت تكتب الى الابنة بما كان من امر امها المسكينة !

دمعة وفاء

وجاءت الاسرة الجديدة .. الابنة وزوجها وطفلتهما .. وعادت الحياة الى الام .. انها لن تشعر بالوحدة بعد الان .. كانت فرحتها بلقاء ابنتها وحفيدتها اقوى من كل شىء .. حتى المرض الذى كان ياكل صدرها .. وحمولها الى المستشفى الذى تركته من جديد ..وسافر الزوج عائدا الى عمله .. وخرجت الابنة تعمل وتكسب ..وامام الفراش الذى ترقد عليه الام بين ايدى الاطباء كن يلتقين كل ليلة ..الام والابنة والحفيدة .. ومع اللقاء كانت الذكريات الحلوة للايام السعيدة التى قضتها الام مع ابنتها منذ سنوات بعيدة مضت ،ثم وجدت نفسها تعيش فيها من جديد وهى ترى صورة حياتها مع ابنتها تعود مرة اخرى بين الابنة وصغيرتها .. ومع الذكريات عادت الى الام صحتها وقامت من فراشها ..

ودمعت عينا الابنة وهى تحس لاول مرة بانها قد دفعت جانبا يسيرا من هذا الدين الذى يطوق عنقها واى تضحية فى الدنيا تلك التى تستطيع ان تفى بالدين كله .. ان تعوض الام ما بذلته وتبذله من قلبها وروحها ودمها من اجل ابنائها .

■■

منير نصيف

الاب المفقود

● كانت ام وطفلتها الصغيرة تمعنان النظر فى وجوه جموع حاشدة فى مركز سوق لندن المكتظ والقلق باد عليهما . وقالت الطفلة لامها « لقد ضعنا » فردت الام بعزم « لا يا عزيزتى ، اننا لم نضع ، اننا هنا هنا ، ابوك هو المفقود ؟؟ »

التايمز

تاجيل

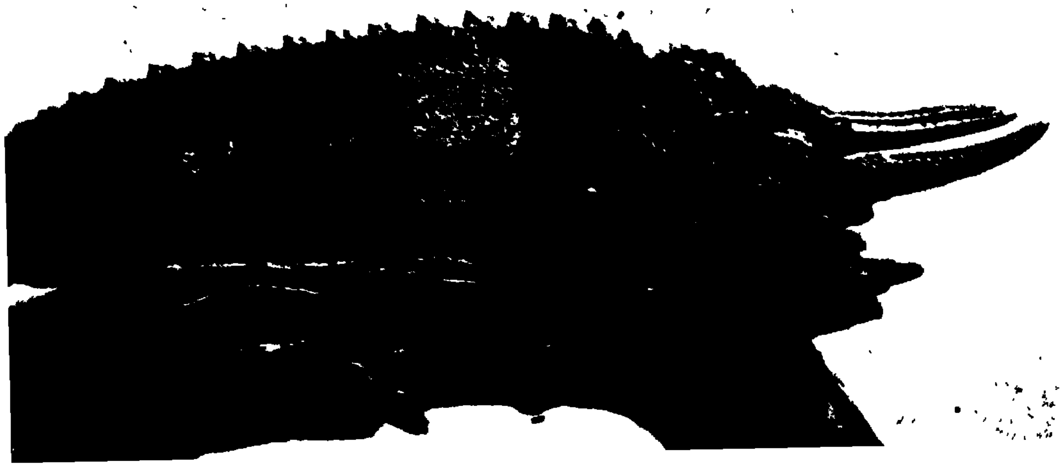
● استهلت شقيقتى رسالتها لى بالقول « ارجو ان تصفح عنى لتاخرى فى الكتابة طوال هذه الفترة . ذلك انه لم تحدث اشياء كبيرة تدفعنى على الكتابة ، كما ان عدة اشياء صغيرة ما زالت تحدث وتمنعنى من الكتابة » .

مارجريت شيروود

مخلوقات تجيد التمويه

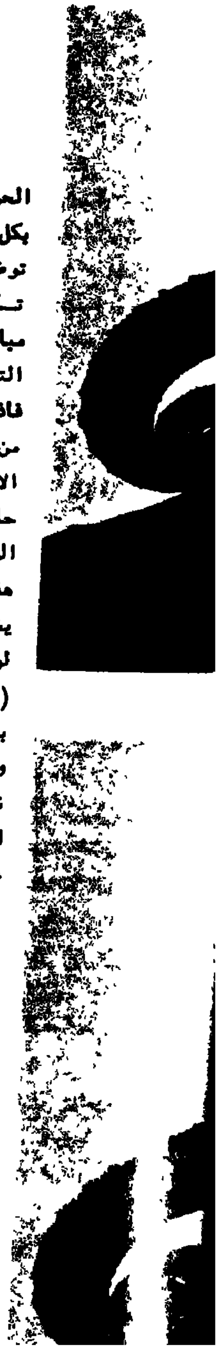
ليس الانسان وحده





ـرك
فى !





الحرباء التى تتلون بكل لون ٠٠والتجربة توضح ان لاشعة تاثيرا الشمس مباشرا على هذا التلون التمويهى ، فاذا لم يتعرض جزء من جسمها لتلك الاشعة (بواسطة حاجز ـ كما فى الصورة العليا)ظهر هذا الجزء بلون يختلف قليلا عن لون جسمها المعرض (كما هو واضح بالصورة السفلى) وهذا الاثر نفسه نراه ايضا على اجسام المستحمين على شواطى البحر

◄

ايهما الشوكةوايهما الفراشة ؟ ٠٠هناك ثلاث فراشات ٠٠ اثنتان على الغصن الايمن والثالثةعلى الغصن الايسر والباقى اشواك ٠

ان الصراع الازلي بين الكائنات - بداية من الميكروب والدودة والباذنجان، حتى ننتهي بالانسان سيد المخلوقات - يستلزم وسيلة او وسائل خاصة ، لكي يحمي كل نوع نفسه من البطون الجائعة ، او الاطماع السائدة.. وقد تكون هذه الوسيلة الدفاعية عقلا مفكرا ، او سما قاتلا ، او مخلبا حادا ، او بناء جسديا خاصا، أو تمويها وخداعا بالحركة او المناورة أو التقليد أو تغيير اللون أو ما شابه ذلك.

بقلم : الدكتور عبدالمحسن صالح

■ الذين يذهبون الى الشواطيء صيفا ، ليستلقوا على رمالها ، علهم يحصلون على قسط من اشعة الشمس على بشرتهم ، او ما يسمونه « بالحمام » الشمسي . يلاحظون - او هم يعرفون مقدما - ان جلودهم سوف تصطبغ بصبغة تميل الى السمرة .. او بمعنى اوضح وابسط نقول : ان لون جلودهم قد تغير ، وهذا التغير امر ضروري لحماية بشرتهم من فعل الاشعة فوق البنفسجية ، والحيلولة بينها وبين المزيد من التدمير في خلاياهم.

لكن هذه الحماية الطبيعية العارضة فينا لها جذور عميقة في الحيوانات التي سبقتنا على سطح البسيطة ، فهي بالنسبة لها مسالة حياة او موت، فلكي تتجنب الأخطار المحيطة بها من كل جانب ، كان عليها ان تساير البيئة التي تعيش فيها .. صحيح ان تغير لون جلد الانسان في بيئة الشواطيء لن يؤخر ولن يقدم ، وصحيح ان السمرة المكتسبة هي نوع من الدعاية غير المباشرة عن قضاء الانسان لاجازته في احد الشواطيء ، وصحيح انه ليس مهما - بالنسبة لحياته - ان كان قد « صيف » على احد الشواطيء او لم « يصيف » ، او تغير لو جلده او لم يتغير .. كل هذا وغيره صحيح ، لكن الصحيح ايضا ان تغير اللون في بعض الكائنات قد جنبها الانقراض كنوع له كيانه على هذا الكوكب .

اقدم قصة عربية للتمويه

لكن قبل ان نتعرض لهذه الصورة المثيرة من التمويه في عالم الحيوان والنبات ، كان علينا ان نشير الى ان اقدم أسطورة عربية قد اشارت الى هذا النوع من التمويه الذي تتخذه الجيوش الحديثة كوسيلة من الحماية عن اعين الاعداء ..

تقول الاسطورة : ان فتاة عربية تدعى « زرقاء اليمامة » كانت حادة البصر جدا ، لدرجة انها كانت تستطيع ان ترى لمسافات بعيدة للغاية .. وقد قدمت لقومها بذلك خدمات جليلة ، اذ كانت تنبئهم بهجوم جيش من القبائل المجاورة وهو لا يزال يتحرك بعيدا عن قومها بمسيرة عدة ايام ، وكان ذلك يهيىء لقومها الاستعداد ، ومقابلة الاعداء ، ثم مبادرتهم بضربة مباغتة ، توقع بهم هزيمة ساحقة .

ولقد تساءل الاعداء كثيرا ، كيف يعرف قوم زرقاء اليمامة سر هذه الهجمات المباغتة ، فيستعدوا هذا الاستعداد المحكم الذي يؤدي الى هزيمتهم ؟ .. لكنهم في النهاية عرفوا قصة هذه الفتاة ، وصمموا على خديعتها ، لكي يفاجئوا قبيلتها بهجوم مباغت . ولقد تفتقت قريحتهم عن حيلة بارعة اذ سار افراد الجيش وهم يحملون فوق رؤوسهم اغصانا وافرعا ، وكانما هناك احراش تتحرك في الافق البعيد .

ولقد رات زرقاء اليمامة هذا المشهد الغريب واخبرت قومها انها ترى من بعيد أغصانا تتحرك وافرعا تتقدم ، وربما يكون تحتها اعداؤهم . لكن قومها كذبوها ، وظنوا ان عينيها قد أصابهم مكروه ، او حل بهما ضعف ، اذ لا يمكن ان تتحرك الاشجار ، ولا ان تسير النباتات .. الا ان الحقيقة ظهرت في النهاية عندما نجح اعداء قومها في شن الهجوم عليهم وهم نيام لا يشعرون .

لكن هذه الاسطورة العربية الطريفة والقديمة لم تذهب ادراج الرياح ، فلا تزال تطبيقاتها سارية - حتى اليوم - بين الجيوش ، فربما تكون قد رايت رجال الصاعقة ، او جموع الفدائيين وهي تلبس ملابس تناسب البيئة التي تعيش فيها

لا يكتشف الاعداء تحركاتهم .. فاذا كانت ـية المعركة رملية ، فمن المناسب ان تكون بس صفراء ، وكلما كان لونها متماثلا مع ، الرمال ، كان التمويه اتقن ، والاختفاء اكفا، قد تكون ارضيـة المعركة عشبيـة ، وعندئذ سبها الملابس بلون اخضر قريب الشبه بنباتات بئة .. المهم ان الانسان في كل هذه الحالات غيرها يحاول ان يتلون ـ ظاهريا فقط ـ بلون بئة ، لكي ينفذ مخططا ، او يقوم بعملية تمويه تجوز على اعين الاعـداء ، فيكتب له النصر نجاة .

الفكرة البشرية .. فكرة حشرية !

لكن بعض الانواع من الكائنات الاقل رقيـا لورا من الانسان ، قد استخدمت هذه الوسائل بتكتيك » ارق ، ومحاكاة للبيئة ادق .. ولقد ع الخالق في هذا الشان واتقن ، فلكي تنجو نواع من الكائنات الضعيفة من موت اكيد ، كان بد ان تلعب مع أعدائها لعبـة التمويـه أو ختفاء ، فلا تكاد تظهر أو تبين ، وبهذا تنجو نهم البطون الجائعة المتربصة بها في كل آن ين .

والواقـع ان الحشرات قد امتلكت من صـور تمويه النصيب الاوفى، فهي من حيث عدد الانواع فاقت المليون ، ومن حيث تربص الكائنـات خرى بها، فهي تكون القاعدة العريضة لهجماتها، لون لقمة سائغة في بطونها ، ولهذا تشكلت ض انواعها وتحورت واكتسبت الوانا لتصبح ، والبيئة التي تعيش فيها قطعة واحدة ، ومن ا يصعب على اية عين ـ بشرية او حيوانية ـ تشافها .

ولان معظم الحشرات تعيش على النباتات ، ولان نبـاتات تختلف شكلا وتفرعا والوانـا ، ولان نبات الواحد قد يضم اجزاء مختلفة الالوان لتراكيب ، فمن سيقان الى افرع الى ازهـار ى اوراق الى اشواك ، كل هذا وغيره قد اعطى عض انواع الحشرات ارضية خصبة لتتخذ شكلها لونها او قوامها حتى اذا جاء العدو الجـائع ر بهذه الكائنات التي تلعب معه لعبة التخفي التمويه ، حسبها فرعا او زهرة او شوكة او سنـا ... الخ ، وطبيعي اننا مهما وصفنـا وشرحنا ، فاننا لن نوفي هذا الموضوع المثير حقه ، ولهذا كان من الاوفق ان نقدم صورا فوتوغرافية من مسرح هذه الحياة المتصارعة ، لنرى كيف يسر الخالق لكائناته سبل حياتها ، ونوضح كيف انـه لم يخلق خلقا ، الا واوحى فيه امره .

عندما تمشي الاوراق !

والذين يدرسون الطبيعة الحية ، ويتطلعون الى هذا الطوفان الحي الدافق من المخلوقات يرون فيه من الابداع ما يجعلنا نراجع انفسنا في كل انماط تفكيرنا ، اذ سيتبين لنـا انه « لا جـديد تحت الشمس » .. فكل فكرة بشرية ليست جديدة تماما، لانك لو بحثت في الجذور القديمة لهذه الحياة ، لوجدت فكرة مماثلة بصورة او باخرى .

فاسطورة زرقاء اليمامة، رغم ما فيها من طرافة، او التمويه الذى تقوم به الجيوش لتخفي افرادها ومعداتها ، وفنون التقليد التى قد نحاكى بهـا شخصيات غير شخصياتنا ... الخ ، كل هذا وغيره قد يبدو لنا شيئا بدائيا وساذجا اذا ما قارناه بالتمويه والتقليد والخداع الذى وهبته الحياة الفنانة المبدعة لبعض كائناتها .

اضبط ؟! .. ما هذا ؟ .. ورقة تتحرك وتمشي وتقف وتطير ، وتعرف كيف تروح وتجيء نحو هدف محدد ؟

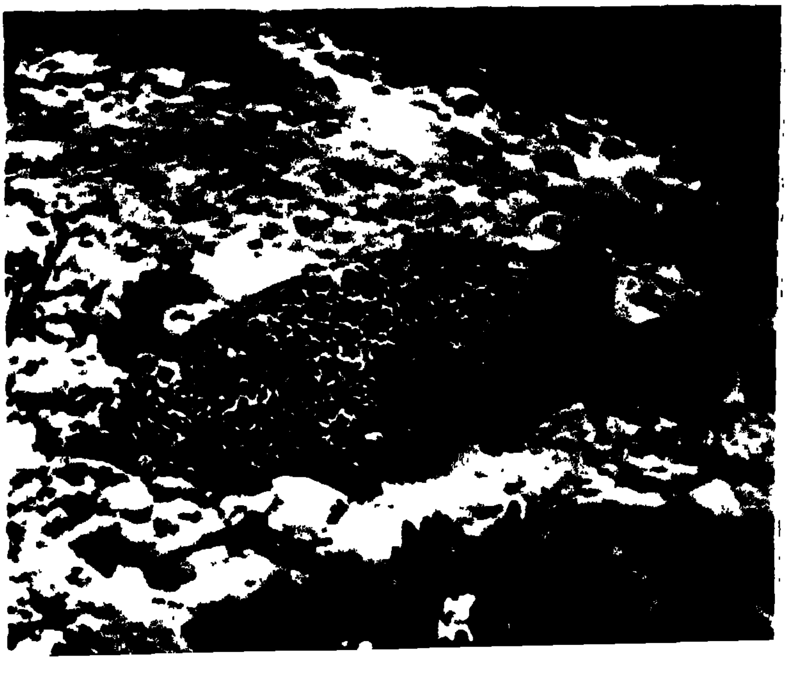
الواقع ان الشكل شكل ورقة ، واللون لونها ، والتعرق لا يكاد يختلف عما تراه على ورقة نبات ، لكن الورقة فراشة حية تسعى ، فاذا رأت خطرا ، وقفت على غصن النبـات الذى تعيـش عليه ، واصبحت كانما هي ورقة من اوراقه ، فاذا زال الخـطر ، واحست بالامان ، تحركت وكانما هي حيوان في نبات او نبات في حيوان !

ثم .. ما هذا ايضا ؟ .. قشة او فرع رفيع من نبات يترك الارض ، ويتسلق الى اعلى عائدا الى نباته ؟ .. وهل يمكن لشيء يسقط من نبات أن يعـود اليه مخـالفا بذلك كل القـوانين او النواميس الكونية ؟

لا .. ليس ذلك تماما . فنحن الآن أمام الحشرة العصا (كما يطلقون عليها لانها تشبه القشـة او العصا الضئيلة ، أو الفرع الصغير الجـاف او الغصن) .. اذ لا يمكن للنبات ان يمشي ، ولا لقشة ان تتوجه تلقائيا ضد قوانين الجاذبية ،

السمكتان ليستا مختلفتين ، بل هما السمكة ذاتها تحت ظرفين مختلفين ، فعندما تكون فى امان تبدو داكنة ، فاذا ظهر الخطر ، هبطت الى القاع هبوطا اضطراريا مفاجئا وتلونت سريعا بلون قريب من لونه ، لتختفى ولو الى حين (هذه السمكة تعرف باسم « السمكة الحرباء » ـ لانها تتلون كالحرباء)





ورقة فى حشرة ‥ او فى ورقة ؟ الامر سيان،فا الحشرة الورقة ، لانها بشكل الورقة ولونها و؛ لتلعب لعبة « الاختفاء أعدائها ، فعاشت بها ، الملايين من السنين !



بل اننا امام « لعبة » حية ذكية ، او فكرة مبدعة من افكار الحياة التى منحتها لواحدة من مخلوقاتها لتناور بها وتداور ما قد تتعرض له من اخطار ، فهي احيانا تلقي بنفسها من النبات الى الارض ، فاذ بهـا وكانما هي – على ارضية الغـابة او الحقل – غصن صغير جاف ساكن لا حياة فيه ولا حركة ، ومن هنا يصعب اكتشاف امرها – لا بعين حيوان ، ولا بعين انسان !

انه يتلون كالحرباء !

واذا ما تركنا عالم الحشرات بكل ما فيه من اشكال والـوان وسلوك وصراع ومتناقضـات ، وارتفعنا مع سلم المخلوقات درجة ودرجة ، فاننا – بلا شك – سنتقابل مع كائن معروف لنا جميعا ، وبه يضرب المثل فيقال : ان فلانا كالحرباء ، اى يتلون مثلها على حسب الظروف ، وهي كناية لمن لا يثبت على حال ·· وقالت العرب احـزم من الحرباء ، لان هذا الكائن شديد الحرص على حياته ، فهو لا يخطو خطوة الا بحساب ، ولا يبقى على شجرة ولا غصن الا اكتسب لونها حتى لايكتشف احد امره ، ويعرف موطنه ·

وتلون الحرباء بلون البيئة يستلزم عمليـات فسيولوجية وبيوكيميائية وهرمونية معقدة ، ولهذا فلن نتعرض لها هنا ، اذ ليس هذا مجالها ، لكن يكـفي ان نشير الى ان الحرباء تتاثر بدرجـة الحرارة ، وشدة الضوء ، وبما ينعكس عليها من البيئة المحيطة بها ، لتتلون بلونها ، فنراها تتغير الى اللون الاخضر ، اذا استكانت او زحفت على غصن اخضر ، فاذا انتقـلت الى غصن بني او أصفر او رمادى ، فانها تغير لونها بالوانها ، حتى لا تنم عن شخصيتها – لا لاعدائهـا ، ولا لصيدها ، فهى قد تبقى الساعات الطويلة ساكنة متحفزة ، حتى اذا مرت حشرة هائمة ، او طارت فراشة محلقة ، اندفع لسانها الطويل كصاروخ موجه ، فاذ بالصيد فى بطنها لقمة سائغة !

ولقد عرف العرب الحرباء من قديم الزمن ، واطلقوا عليها اسماء شتى ، فمن كنيتها مثـلا ابو حجادب ، وابو الزنديق وابو الشقيق وابو قادم ، واحيانا اطلقوا عليها اسم جمل اليهود·· وذكروا انها « تتشكل بلون الشجرة » التى تكون عليها » ، وذكر الدميرى فى كتابه « حياة الحيـ[ـوان] الكبرى » ان الحرباء « تستقبل الشمس وتـ[ـدور] معها كيفما دارت وتتلون بحر الشمس – كما [قال] الامام الغزالى – الوانا مختلفة ، فتتلون [فـ]ـى حمرة وصفرة وخضرة وما شاءت » ·· وهذا ما اكده العلماء حديثا ·

والحرباء من فصيلة الزواحف ، وهذه الفصيلة تضم الحيـات والثعابين والسحالف والتماسيح ·· الخ ، وبعض هذه الكائنات يستطيع ان يشكل نفسه على حسب البيئة التى يعيش فيها ·· فاذا كانت الرمال صفراء ، جاءت الحية – عادة – بلونها ، واذا عاشت بين الاشجـار ، اكتسبت بشرتها خضرتها ·· الخ ·

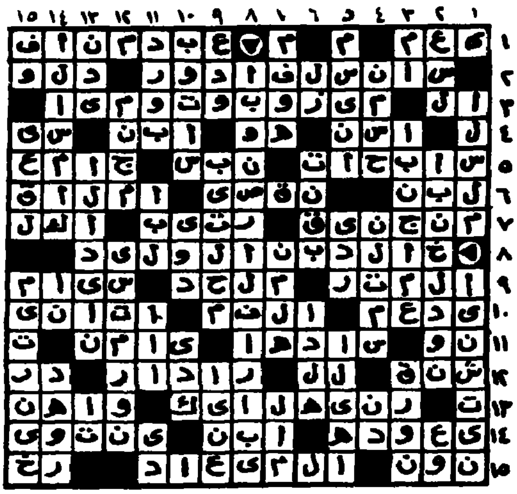
وفى البحار كائنات اغرب

والصراع فى الماء انكى واشد من الصراع على اليابسة ، ولهذا اتخذت بعض الاسماك والحيوانات القشرية والرخوية اشكالا والوانا تناسب القاع او الصخـور او الاعشاب المائيـة ، او الشعب المرجانية ، فاذا أحست السمكة بكائن مفترس اقوى منها واعتى ، اتخذت وضعـا استراتيجيـا بين الاعشـاب او الشعب بحيث يصعب عليه تحديد مكانها ، فتفلت بذلك من خطر محقق ·

لكن ظاهرة التخفى او الاختفاء عن الاعدا[ء] الاقوياء ، قد تؤدى مهمة اخرى ضرورية لحيا[ة] الكائن ، اذ هى تؤدى الى الايقاع بالغير ، بمعنـ[ـى] أن السمكة المتخفية تنصب فخا او كمينا للاسما[ك] الاخرى الاصغر ، فاذا جاء السمك الصغير يتهاد[ى] ويسبح فى امان ، اذ به يفاجأ بسمكة تغيب فـ[ـى] فم كبير بين الصخـور او الشعب المرجانيـة ا[و] الاعشاب ، وطبيعى ان احدا لا يستطيع ان يكتشـ[ـف] هذا الشراك الحى الرابض فى سكون تام ، فـ[ـ]انك تطلعت سريعا الى الصور المنشورة هنا لصعب عليك اكتشاف السمكة التى تشكلت وتلو[نت] بما حولها ، اللهم الا اذا دققت النظر ، وعند[ئذ] ستعلم كم فى المخلوقات من عجائب ، وكم حـ[ـوت] الحياة من غرائب تثير العقل والفكر والوجد[ان] « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » ! · ■

د · عبد المحسن صا[لح]

• حل مسابقة العدد ٢٣٠ •



خالد بن الوليد
•
أبو نصر الفارابي

اثنتان فى واحدة :

(٨) افقيا : خالد بن الوليد ، صحابى ، قاتل المسلمين قائدا ، ثم أسلم ، حارب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى فتح مكة ، وقاد الجيوش العربية فى فتح فارس والشام.

(٨) رأسيا : أبو نصر الفارابى ، من أعظم فلاسفة العرب ، درس فى بغداد وحران ، ثم اقام فى حلب ، كان لقبه « المعلم الثانى » ، برع فى الرياضيات والموسيقى ،وحاول التوفيق بين افلاطون وارسطو .

الفائزون بالجوائز

* الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازتبها : حنان محمد رفيق طرابلسى ـ دمشق / سوريا
* الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازبها : حسن عباس المهدى ـ أم القيوين / الامارات العربية .
* الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازبها : حسن الشريف خالد ـ بنغازى / ليبيا .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ على ابراهيم على محمد ـ بغداد / العراق
٢ ـ ميسون عبد الغنى عبد الهادى ـ عمان / الاردن
٣ ـ ملاك ميخائيل ـ الاسكندرية / مصر
٤ ـ يوسف محمد مرجان ـ ابها / السعودية
٥ ـ حسين محمد رمضان ـ بيروت / لبنان
٦ ـ عبد الحكيم بن عبد الله الزبيدى ـ صنعاء / اليمن
٧ ـ حسن العطا البشير ـ العصاحيصا / السودان
٨ ـ صابر توفيق جعفر ـ الكويت .

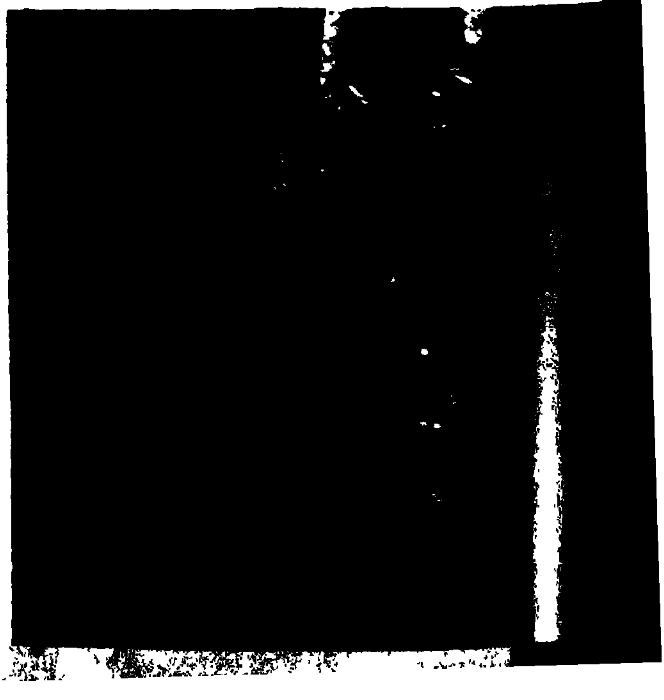
انت أمام عمل كويتي ـ سوداني جدير بالمشاهدة والمناقشة

من المؤكد انك صادفت عنوان هذا المقال من قبل • مؤكد انك سمعت او قرات شيئا يشبهه •• رجاء او وعد بسينما عربية جديدة يلحق به او يسبقه عنوان الفيلم او ذاك • منذ ما يربو على عشر سنوات ونقاد السينما العربية الشباب يخطرمون بشعار : « نحو سينما عربية جديدة »• ورغم ذلك فاننا نفتقر في الاساس الى صياغة نظرية لما نريده • ولهذا ظل الشعار شعارا •

بقلم : الفاروق عبد العزيز







عزة بنت العمدة التى صرخ الزين باسمها ذات يوم ترقص ليلة عرسها . (الصورة الى اقصى اليمين) ، الزين ووالدته يتبادلان الضحكات اثناء عرسه.
(الصورة الى أعلا)
أم الزين متعلقة بالحبل على الطريقة السودانية اثناء ولادة الزين . (الصوره الى اليمين) .

ثمة شيء آخر . لقد حاول ـ ويحاول ـ السينمائيون الشباب كسر المفهوم الذي ظلت السينما العربية تنتج من خلاله افلامها طيلة نصف القرن الماضي . نجح هذا وفشل ذاك . ولكن يبقى ان السينمائي والناقد الجديد مازالا يحاولان احداث شرخ او توسيع ثغرة ينفذان منها الى وعيك انت ايها المشاهد العربي لكي يحدثاك ، ويجسدا لك صورة او اشواقا ودنيا انت تحياها وتصطرع فيها وتغلبها وتغلبك. انت لا تستطيع فكاكا مما اعتدته من افلام لا تملك حتى تصوير واقعك . ولكن المحاولة ستثمر يوما ، وهكذا نحلم على اية حال.

خالد الصديق وفلمه الاول

هذه شجون لا مجال هنا للانسياق معها . ولعلها خطرت على بال نفر ممن شاهدوا اول افلام المخرج الكويتي خالد الصديق « بس يا بحر » في عرض خاص في ٢٧ مارس ١٩٧١ . ونعد اتسعت دائرة الشجون وعادت للشعار حيويته من جديد ، بل وبدات محاولات التنظير للسينما البديلة ، حين اعتلى المخرج الكويتي خشبة المسرح في دمشق في العام التالي ليفوز بالجائزة الاولى لمهرجان افلام الشباب . اتسعت دائرة الدهشة لعلها تغطي الاوساط الفنية في عواصم عالمية عديدة حين فاز فيلمه بتسع جوائز .

لا تعنينا الجوائز الان ، ولكن ماذا يعني المشاهد العربي في « بس يا بحر » ؟ اقول ان الفلم كان حريصا على تاكيد هويتي القومية التي احرص عليها حرصي على حياتي . لقد خرج الفلم من بلد ليس له موروث سينمائي سابق . وهذا يعني ببساطة ان اي مغامر يقدم على اخراج عمل سينمائي روائي طويل ستلصق بصفة المغامرة فعلا وقولا. فالمشاهد قد اعتاد اولا اساليب التفكير والاقناع التي اتسمت بها السينما الاميركية والعربية (المستعربة) كما انه لم يعتد ثانيا استقبال افلام المغامرين التي تصدم وعيه بما يثير مشاعره تجاه ماضيه وحاضره ومستقبله .

كانت مغامرة الصديق مغامرة فكرية خالصة. فمن خلال قصة حب مستحيل بين « مساعد » و « نورا » نستكشف عالما كاملا بكل ابعاده . الكويت القديمة، ماقبل النفط في زمن الغوص والقحط حين كان تحقيق الاماني مرتبطا بكل الابعاد التاريخية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الكويتي . ولقد ابرز خالد في فيلمه الاول العناصر الاولى لـ ـــا يمكن تسميته بمفهومه الخاص للفلم العر بي : « التاكيد على اظهار الهوية القومية » من خلا[ل] عادات الزواج والموت مع الالتصاق الشديد بالبيئ[ة] المحلية التي يصورها الالتصاق بالتفاصـ[يل] والالتحام مع الاشواق والاماني الكامنة فيه .

لهذا نجح « بس يابحر » لانه ببساطة استطا[ع] ان يثير فينا اقصى مشاعر الارتباط بالوطن والا[م] والتاريخ الحي القديم والمعاصر .

هناك قيمة اخرى بهذا الفليم وهي فتح البا[ب] امام كوادر فنية كويتية للعمل في مجال الفـ[ن] السينمائي . من خلاله اكتسبت وعيها وثقته[ا] بقدراتها .

عرس الزين ـ الرواية

وكان لابد ان يمضي وقت طويل قبل ان يفـ[كر] الصديق في اخراج فيلم ثان . في الكويت ؟ لا . حاول الصديق كتابة سيناريو بعنوان « ا[لخروج] عن عصر ما بعد النفط . لم يستطع تنفيذه .

من خلال المفهوم الذي عرضته بتبسيط شديـ[د] وساعرضه فيما بعد بايجاز والذي يمكن ربطه بـ ... الصديق انطلق الى ارض عربية اخرى ليرى ما رآه في الكويت من قبل. لصديق لا يقول كلا[ما] كبيرة ولا يطلق شعارات ولكن لديه مفهوما بـ[سيطا] للسينما ، مفاده الايمان بوحدة الهوية القـ[ومية] العربية وان للسينمائي دورا في تدعيم هذا المفـ[هوم] ومن هنا ايضا يمكن للفلم ان يلعب دورا يـ[تجاوز] السياسة والاعتبارات الاقليمية .

أديب سوداني

ووجد الصديق ضالته في رواية الاديب السو[داني] الطيب صالح «عرس الزين» . والواقع ان العمل الادبي لايبدو رواية كما هو متعارف عند تعريف الاجناس الادبية ولكنه مزيج من ا[لقصة] القصيرة الطويلة والرواية القصيرة . ولا رواية الطيب صالح من حدث معين تنتشر في الموقف وتتطور بعد ذلك بالحتمية الفنية العقدة التي تتشابك فيها الخيوط قبل ان الى الحل او نقطة التنوير في النهاية . انها شيء يقطع الموزاييك المتوافقة في تنوع ، تبدو للوهلة الاولى متنافرة، ولكنها حين ر[صـ...]

جنبا الى جنب وابتعدت عنها لمسافة
ت كلوحة كاملة لها معنى محدد وتشير
كليا محددا •

صالح – ككل كاتب اصيل – شديد
ديد الالتصاق بالبيئه • ورواياته اشبه
بسيرة ذاتية يمضي معها عبر شخصيات
مختلفة في وطن واحد هو السودان • وقد
طيب صالح منذ « دومه ود حامد » في
ستينات بمدرته التي يعرضها دائما في
ناهية على خلق علاقة حميمة تحس فيها
اس مع شخصياته • وهو في النهاية يجسد
لة فريدة بين المثقف والقرية • فقد ابتعد
الح مكانيا عن السودان لفترات طويلة ،
• وسهوبه وبيله كانت دائما في اعماقه
ب • انه فنان يحمل وطنه في قلبه •• الى

الشخصيات والواقع المحيط

الى « عرس الزين » نحن هنا في احدى
دان الشمالية • ونديننا كافة العناصر التي
تلماها في ايه قريه عربية • « الدين»
م الصالح او الطالح، « العمدة » الطيب او
طقوس الميلاد والزواج والموت والخرافة،
وكراماتهم ، العادات الشعبية ، الدروب
العمل الزراعي ، رموز الفساد الاخلاقي
والطبيعة الخلابة ، النضال من اجل
، الناظر والمدرسة ، الكتاب (العريف)
•• الصراع بين الجديد والقديم وبين
التقدم •

ب صالح لا يصور هذا كله من خلال احداث
، باستثناء الحدث الرئيسي ، وهو عرس
كنه يطرح تصوره من خلال شخصيات تحكي
• وهو بالتالي يقف موقفا حياديا ازاء
قع يحاول ان يصف بقدر الامكان من خلال وعي
الشخصية ذاتها، دون اقحام رؤيته الخاصة
• ولهذا يتساءل من لا يعرف الطيب صالح
المبالغة في العرض احيانا او افساح مكان
خرافة • ولا يدرك المتسائل انه اذا كان
حال الشخصية ذاتها فماذا يكون في وسع
ان يفعله وهذا هو منهجه ؟

نلتقي بالشخصية الاولى في الرواية
« الزين » من خلال ما حكاه لنا آخرون • كل على
قدر وعيه ، وتركيبته الاجتماعية ، وموروثه ،
وغرضه من الحكاية ، كما نلتقي بها من خلال
افعالها المباشرة وماتحكيه هي نفسها بقدر وعيها.
والزين هو الشخصية المحورية التي يدور من
حولها كل شيء في هذا العمل وهذه القرية فهو الزرافة
كما يسميه الاطفال و «المعتوه» كما يسميه الكبار
و « المبروك » كما يسميه الحنين (ولي القرية)
« والروج » كما تسميه اجمل بنات القرية «نعمة».

من هو الزين ؟ انه نمط شائع تجده في كل القرى
العربية ترتبط بشخصيته الاسطورة بالحقيقة والخيال
بالواقع • فيحكى انه كان ولدا ككل الاولاد ، ولكن
حدث مرة ان صرعته التماثيل الفرعونية في وادي
الجن جنوب النوبة فمرض • وحار اهله في علاجه
بكل الوصفات القروية ، الى ان افاق من حمى
انتابته اخيرا ، فوجد ان اسنانه جميعا سقطت ما
عدا واحدة باعلى واخرى باسفل • ضحك الزين.
ومن يومها – بل من يوم مولده – والى آخر
اللحظات التي عشناها معه ، مصته وهو يضحك •

انه يعرف الطيب من الخبيث، فهو يدرك ان امام
المسجد يستغل الدين لاغراضه الشخصية كما يدرك
ان الولي سيدنا الحنين رجل صالح من عباد الله، يعبد
الله لذاته ولا يبتغي جزاء ولا شكورا •

وهو يعرف الجميل من القبيح ، كان الزين
المؤشر الوحيد لمستوى الجمال بين بنات القرية «يا
اهل الحلة عزة كاتلالها كتيل في بيت العمدة ••
الزين مكتول » هكذا كان يصرخ باسم الفتاة
الجميلة التي تقع عيناه عليها • ولهذا كان يتدافع
الخطاب وتقام الاعراس التي يمرح فيها الزين
جيدا • والزين قوي ، كاد ان يفتك بسيف الدين
الذي يفوقه قوة بعد ان شق الاخير راسه ببلطة
في عرس اخته التي كان الزين يردد ان لها عينا
عليه •

في مقابل شخصية الزين هناك « نعمة » ابنة
عمه التي احدثت خرق قانون القرية والعادات
بالذهاب الى كتاب الشيخ لحفظ القرآن وتعلم
القراءة والكتابة • وقد رفضت نعمة الزواج من
احمد ابن آمنة ، ومن ادريس المعلم بالمدرسة
المتوسطة، بل ومن الامام الذي عرض عليها الزواج
في وقاحة • اننا نراها دائما معتدة بشخصيتها
والثقة من نفسها • وهي تمثل جانبا شديد
الايجابية من بين عناصر القرية مجتمعة • وهي





الزين يلوح بيده أثناء عرسه وقد
طقم أسنانه الجديد . (الصورة
اليمين) ، الزين يقبل يد الحنين ا
الذى كان يلقبه بالزين المبروك (الـ
الى اعلا) ، نعمة عروس الزين ا
عمه وهى تستعد للزفاف (الصور
اليسار اعلا) ، عريس عزة بنت ا
يحيط راسه بالشال الاحمر طبقا لـ
العرس السودانى . (الصورة
اليسار)




الوحيدة القادرة على ضبط ايقاع الزين ووقف اندفاعه الساخر امام الاشياء •

هناك شخصيات اخرى تكمل كلها جوانب الصورة وتمثل العناصر التي ذكرت من قبل انها خلاصة محتوى اى قرية عربية •

بين البناء الروائي والسينمائي

يبدأ فيلم «عرس الزين» بلقطات فوتوغرافية لقرود ونسانيس فوق الاشجار • ويمزج بينها وبين «الزين» الذى نراه يحبو على اربع ويتسلق الاشجار • وهذه المقابلة تلخص لنا ، فى ايجاز ، المدخل الفنى الذى اختاره خالد الصديق لمعالجة رواية الطيب صالح • ويمكن القول انه مدخل «اثنو جرافى» اى ان الصديق قد قصد الى تسجيل معالم الحياة بجوانبها المختلفة فى قرية عربية «قد تندثر العادات التي لم يسجلها احد» هكذا قال الصديق • ولكن الفيلم سرعان ما يكشف عن تمازج كبير بين هذا المدخل والعمل الدرامى الذى ابرز نبض القرية كلها • فنحن نشاهد أعراسا ، وولادة ، وموتا ، وعادات كثيرة اخرى • ولكن ذلك كله ينتظمه خط الحكاية حول «الزين» • ولعلى اقول ان اختيار الصديق هو اصعب انواع الاختيارات جميعها ، اذ ان صياغة سيناريو عن رواية بهذا البناء الذى عرضت ملامحه ـ مهمة شاقة بالفعل • وان تجعل هذا الشكل الجديد مقبولا لدى جمهور ورث خمسين عاما من السينما التقليدية بحكاياتها التقليدية وديكوراتها وعوالمها وابطالها التقليديين هو امر ينطوى على مغامرة كبرى •

ويعتمد الصديق ـ تحطيما للاملال ـ اسلوبا فيه من الايجاز البلاغى الشيء الكثير • فنقلاته من كل مشهد ولقطة تكشف بذاتها عن حساسية فى الايقاع المستمد من ايقاع البيئة التى يصورها • ونحن ايضا اعتدنا تكرار نفس الايقاع السينمائى بغض النظر عن ايقاع البيئة ذاته • هاهنا تجد السرعة والبطء ـ اللذين انتظمتهما عملية المونتاج موزعين بقدر يسمح بالتوصيل الجيد دون افتقاد صرامة المدخل او حيوية الدراما •

الفريق الكويتي

وقد استخدم الصديق التكنيكولور، والتكنيسكوب كادوات واشكال تقنية جديدة على السينما العربية •

وقد اختلف معه حول ضرورة استخدامها لـ ... هذا الواقع الذى اراد تصويره • فمن المؤكد ان قرية «طيبة الحسناب» التى صور فيها فيلمه تعـ... بمشاهد خلابة ، ولكن الواقع المحيط بالشخصيات يحفل بكثير من المشاهد غير الخلابة التى تستدعى الوقوف عندها وربطها بالاطار الذى تتحرك فيه الشخصيات • انه واقع يصنع الفرح من طـ... البؤس ، وينسج أعراسه برغم الفقر ، ويناضل بوعى أو بلا وعى ـ للابقاء على معالم شخصيته القومية من خلال تمسكه بتراثه وحكاياته ونوادره واشواقه وعاداته الشعبية • وهذا هو نفس مفهوم الصديق للسينما • ولكن الارتباط بـ... الشكل والمضمون وثيق الى اقصى الحدود ولا ينبغى لاحدهما ان ينجح على حساب الاخر •

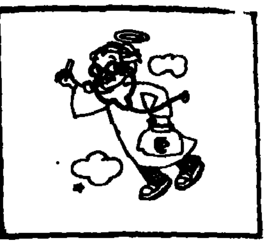
تبقى قيمة هذا الفريق الكويتى الذى قـ... بالتعاون مع الممثلين السودانيين ـ الذين يقـ... معظمهم للمرة الاولى فى عمل فنى ـ بصياغة هذا العمل الممتاز • هناك ـ بالاضافة للصديق « توفيق الامير » مدير التصوير ، و«عبد العز... المنصور » الماكيير • وهو فريق اعتقد انه سيمضى قدما لانجاز اعمال اخرى فى الكويت وخـ... الكويت •

لماذا سينما جديدة ؟

اعود على بدء فاقول ان السينما العربية الجـ... ضرورة • ولكنها لم توجد بعد على خريطة الا... والتوزيع والعرض فى عالمنا العربى • لقـ... عالجت فى عجالة مفهوم الصديق لهذه السينما يعتقد انها ستوطد اواصر المحبة والوحدة الشعوب العربية على نحو ما فعل « عرس الز... ان السينما العربية الجديدة ـ هنا وهنا تناضل من اجل الوجود لاقتحام وعيك ايها الـ... العربى • وهذا هو ما يحاوله عرس الزين يتخلى تماما عن اسطورة النجم والبطل التـ... والقصة التقليدية .وكل ما هو تقليدى تما... انك بازاء عمل كويتى ـ سودانى جدير بالـ... والمناقشة •

وهو اسهام نرجو ان نرى مثله يتحقق او هناك فوق اى رقعة من عالمنا العـ... الزاخر •

الفاروق عبد العزيز



طبيب البشرة

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

تقشر البشرة

● انى اشكو من تقشير البشرة وحدوث حروق بها كل صيف عند ذهابى الى البحر .فما سبب هذا الحرق وكيفية الوقاية منه ؟

ـ ان حرق البشرة هذا الذى يحدث لك كل صيف انما هو ناتج عن التعرض للشمس وليس للبحر وذلك بسبب الموجات القصيرة للشمس ، وتاثير الشمس على البشرة يعتمد على عوامل مختلفة مثل العمر والجنس والحالة الجسمية والصحية ، لترة وشدة التعرض للشمس ، درجة التغيير فى معدل الحرارة ودرجة التغير فى الرطوبة • ويكون تاثير الشمس اكبر قبل عمر البلوغ وفى المسنين بينما يقل التاثير فى عمر الشباب وفى الحوامل •

وعادة يحدث حرق الشمس فى بداية الصيف عند الذهاب للبحر قبل ان يبدا تلون الجلد الذى يعطى بعض المناعة فتبدأ البشرة بالاحمرار عند التعرض للشمس فاذا زاد التعرض كانت الشمس شديدة بدا الجلد الانتفاخ مع زيادة الاحمرار شكو الشخص من حرقان البشرة والارق واضطراب النوم ، وفى اليوم التالى تزداد شدة الحرق وقد تظهر بعض الفقاعات المملوءة بسائل اصفر ، وبعد عدة ايام تخف حدة المرض وينقشر الجلد مع بعض الحكاك ، واذا كانت مساحة البشرة المعرضة للشمس كبيرة فقد يشكو الشخص من اعراض عامة مثل الصداع وارتفاع درجة الحرارة والشعور بالارهاق وقد تحدث ضربة شمس • ولذلك يجب على الاشخاص ذوى البشرة الحساسة او الرقيقة خاصة ان يتجنبوا الشمس المباشرة او الشديدة وقت الظهيرة ، ويجب ان يكون التعرض فى البداية لفترات قصيرة ومتكررة ولمدة محدودة فى اليوم الواحد حتى يحدث تلون للجلد وزيادة فى اللون الاحمر بدون حدوث اى حرق وبعد ذلك يمكن المكوث فى الشمس لفترات اطول حيث ان زيادة التلون الذى حدث علاوة على زيادة سمك الجلد الذى يحدث نتيجة تكرار التعرض يعطى مناعة للبشرة ويحميها من اشعه الشمس المحرقة •

العين ومرض البول السكرى

● ما هو تاثير مرض البول السكرى على العين ؟

ـ من المعروف ان مرض البول السكرى يترك بصماته على اجزاء مختلفة من الجسم، ومنها العين وتاثير مرض البول السكرى على العين يزداد كلما طالت مدة الاصابة بهذا المرض•

ومن المضاعفات التى تحدث للعين بسبب مرض البول السكرى ما يلى : ـ

، ـ اصابة الجفون باكياس دهنية ، مما يجعلها عرضة للالتهابات باستمرار بسبب ضعف مقاومة الجسم ، كذلك تعرض كل من الملتحمة والقرنية والقزحية والجسم الهدبى لمزيد من الالتهابات • ومن الاعراض التى تصيب القزحية تكون حلقة من الاوعية الدموية الجديدة Rubeosis - Iridis حول فتحة انسان العين ، وقد

تنفجر احدى هذه الاوعيةفتسبب نزيفا داخل الغرفة الامامية للعين .

٢ ـ تتغير قوة الابصار عند مريض السكر بين فترة واخرى حسب ارتفاع نسبة السكر في الدم فزيادة هذه النسبة تؤدى للاصابة بقصر في النظر ، وانخفاضها يؤدى الى طول في النظر ولتفادى ظاهرة التغير في الرؤية ينصح المريض بعمل نظارة طبية للاشخاص المصابين بهذا المرض اللهم الا اذا تمكن المريض من ضبط نسبة السكر في الدم .

٣ ـ قد يشعر مريض السكر بتعب في عينه عند القراءة حتى بعد استعمال النظارات الطبية وذلك لان عضلات العين الداخلية تضعف بسبب التهاب العصب المسيطر على العضلات .

٤ ـ ومن مضاعفات مرض السكر اصابة العين بعتامة في العدسة وهو ما يسمى « بالماء الابيض الساد » Cataracta في سن مبكرة وهذا الماء قد يملأ عدسة العين في فترة اقصر بكثير من الاشخاص الذين يصابون بالماء الابيض دون ان يكونوا مصابين بمرض السكر .

والعلاج في الحالة الاخيرة انما يكون باستخراج هذه العدسة المعتمة بعد ضبط نسبة السكر . وفي حالة نزيف الاوعية الدموية التي تنزف بالشبكية فيكون العلاج بالكي باشعة الليزر او الكي الضوئي (Photolosgulation)

وتجدر الاشارة الى ان العلاج الاكبر يكمن في المحافظة على نسبة السكر في الدم لتفادى تلك المضاعفات .

[redacted]

● المقصود بالعشى الليلي او العمى الليلي هو عدم المقدره على الرؤية في الظلام .

والمعروف ان الشبكية هى المسئولة عن الرؤية في تكوين الصور للاشياء التى تقع عليها العين والشبكية هذه تتكون من جزءين الاول يعرف « بالمنطقة الحساسة » « Macula » وهى منطقة صغيرة دائرية يبلغ قطرها حوالى ١½ ملم على بعد ٣ مليمترات من الناحية الخارجية للعصب البصرى ، وهذا الجزء مسئول عن قوة الابصار ومعرفة تفاصيل الاشياء الدقيقة وتحديد الوانها .. ولهذا نجد ان الشخص يحرك عينيه في اتجاه الشيء المقصود معرفته بدقة حتى تتكون له صورة على هذه المنطقة الحساسة ، واى تلف في هذا الجزء من الشبكية يفقد العين حوالى ٩٠٪ من قوة ابصارها .

اما الجزء الثانى من الشبكية فهو المسئول عن الرؤية في الظلام ، وليست وظيفته مقصورة على ذلك ، ولكنه يقوم في النهار بزيادة المجال البصرى .

وهذا الجزء من العين يستطيع معرفة ملامح الشيء الذى تقع عليه العين في الظلام ، كالسيارة او الشجرة او الانسان والحيوان ، دون معرفة اللون او الملامح الدقيقة لهذا الشيء ... وهذا ما نراه في الظلام .

وترجع اسباب العمى الليلي الى الآتى :

[redacted]

● عمرى ٣٢ عاما وغير متزوج اصبت بسيلان وتعالجت منه الا انه بعد فترة لاحظت وجود افراز صديدى في الصباح من مجرى البول واخبرنى الطبيب ان ذلك التهاب مزمن في البروستاتة ولا بد من عمل تدليك لها ، فما سبب ذلك وما فائدة التدليك ؟ .

ـ التهاب البروستاتة عادة يحدث في عمر الشباب حيث تكون الناحية الجنسية نشيطة خاصة بين عمر ١٧ ـ ٥٤ سنة ، اما سبب حدوثها في مثل هذه الحالة فيرجع الى عدم معالجة السيلان علاجا قاطعا ولذلك بدأت احدى مضاعفاته تظهر وهى التهاب البروستاتة المزمن وليس هذا السبب الوحيد الذى يؤدى الى التهاب البروستاتا المزمن ، بل هناك اسباب اخرى مثل وجود بؤرة صديدية بالجسم ، وانتشار المرض منها خلال الاوعية الدموية ، كذلك وصول الالتهاب من القولون خلا

١ ـ العشى الليلي الوراثي وفي هذه الحالة يشكو المريض من العمى الليلي منذ طفولته رغم ان الشبكية تبدو في هؤلاء المرضى سليمة ولكن هذا السبب الوراثي يؤدي الى عيب خلقي في تكوين اعصاب شبكية العين . ولا يوجد علاج لهذه الحالة حتى الان .

١ ـ العشى الليلي الذى ينتج عن تلف اطراف الشبكية . كما هو الحال في مرضى الشبكية الصبغي (Rel:mitis - Pegmentosa) وغالبا تبدأ الاصابة بهذا المرض في سن البلوغ . وتسوء الحالة كلما تقدم السن بالمريض وفي سن الخمسين يصل السوء درجة لا يستطيع معها المريض رؤية شيء في الليل . وللأسف لا يوجد علاج لمثل هذه الحالة حتى الان .

٣ ـ العشى الليلي الناتج عن نقص في فيتامين «أ» وهذا الفيتامين تحتاج اليه اعصاب الشبكية كي تتمكن من تكوين مادة الرودبسين المسئولة عن الرؤية في الظلام . واعراض هذه الحالة تتجلى عندما ينتقل المريض من مكان مضيء الى مكان مظلم .. فيتعذر عليه رؤية الاشياء التى امامه الا بعد فترة طويلة .

واذا اهمل علاج المريض المصاب بنقص فيتامين أ مدة طويلة فانه يصبح غير قادر على رؤية اى شيء في الظلام مهما طالت مدة تحديقه بالاشياء .

وازدياد هذا النقص في فيتامين أ يؤدى الى فقد القرنية والملتحمة للمعان وبالتالى اصابة القرنية بعد وتقرحات مما يسبب ثقبا قرنية العين . وتعرض العين للتلوث ثم العمى .

وينصح في هذه الحالة بتن كميات كبيرة من فيتامين أ ت الى ١٠/٠٠٠ وحدة دولي اما عن طريق الفم او الحق وكذلك تناول الاطعمة ال بهذا الفيتامين مثل الج وزيت الكبد والحليب وا الخضروات الطازجة .

وتجدر الاشارة الى ان ال يحتاج يوميا الى ما يقرب ٤٠٠٠ وحدة دولية م فيتامين أ .

الاوعية الليمفاوية . كما ان وجود احتقان بالبروستاتة يقلل من مناعتها ويزيد من قابليتها للالتهاب المزمن ومن اسباب الاحتقان حبس البول مدة طويلة . وكثرة الاتصال الجنسي وكذلك الكبت الجنسي . والافراط في ممارسة العادة السرية واستعمال المشروبات الكحولية بكثرة . وعلاوة على ان المريض يشتكي كذلك من الا ز الصديدى في الصباح في البول وعدم ارتياح في منطقة ا ن والم في اسفل الظهر و ا بعض الاضطرابات الجنسية الاخرى وآلام في المفاصل .

اما بالنسبة لتدليك البروستاتة فهو احد العلاجات لهذه الحالة ويجب عمله مع الادوية وباقي العلاج والنصائح والارشادات الخاصة بهذا المرض . وعلى العموم فاهمية تدليك البروستاتة تكمن في ان التدليك يساعد على فتح القنوات المسدودة ليخرج منها الافراز المتجمع داخلها وكذلك فانه يزيل التلاصقات الموجودة ويقوي عضلات الغدة مما يسهل عملية القذف وخروج الافرازات الخاصة بها . كذلك فان التد يحسن الدورة الدموية وامتص الارتشاح وبذلك يقل الال وتزداد فرصة امتصاص الد كما انه يؤدي الى زيادة الم للبكتريا والسموم المفرزة ان هناك حالات يجب التدليك فيها مثل الاشد شديدى المرض او من حالتهم الصحية ضعيفة . اثناء الالتهاب الحاد . او حصوة او ورم او خراج وكذلك اثناء وجود الت بالعين .

الأوامر

قصة للكاتب الايطالى ألبرتو مورافيا

كنت أعمل ساعيا فى مصرف • وعندما صرفونى من عملى . بسبب اعادة تنظيم الجهاز الادارى . تملكنى ذهول وارتباك • فقد اعتدت أن أتلقى الاوامر من كل نوع : قرع الاجراس ، الاضواء الحمراء والخضراء على مؤشر المصعد ، مطالب الزبون . أداء المهمات العاجلة الاخرى • ومن ثم ، على غير انتظار . لم يعد هنالك شىء . لم يعد هنالك سوى ان أستلقى على الكنبة فى غرفة الجلوس طاويا ساقى . مصالبا ذراعىَّ . تاركا لعينى أن تطيلا التحديق فى الفراغ • لم يعد لدى عمل أقوم به . ليس لاننى لم أعد موظفا . بل لانه ليس هنالك من يصدر اوامره الى • لربما كان بعض الاشخاص لا يميزون الفارق فى ذلك • الا أن هنالك فارقا . فارقا كبيرا . بالنسبة الىَّ •

سوف اشرح الامر لكم • بعد عدة أيام كنت خلالها أبحث عن عمل جديد دون جدوى ، وذات صباح كنت فيه مستلقيا فى سريرى أحاول مخادعة نفسى بالتفكير أننى لا أبرح نائما . جاءنى صوت زوجتى فارغمنى على أن أهب على قدمى • كان صوتها يقول فى نبرة غاضبة :

ـ ماذا تراك تفعل فى السرير فى مثل هذا الوقت من النهار ؟ افلا تخجل من نفسك ؟ هيا ، انهض . واغسل وجهك . وقم بعمل مفيد خلال الفترة التى سارتدى فيها ثيابى : جهز الفطور •

كانت الكلمات ، بوضوح تام ، عادية تافهة • الا ان تاثيرها على ، أنا الذى كنت متراكما تحت الاغطية . كانت له وجهة اخرى • فقلت فى نفسى :

ـ انهض . اغسل وجهك . قم بعمل مفيد ، جهز الفطور ••• وهذه اوامر حقيقية لا زيف فيها . لا تقل وضوحا وعجرفة عن الاوامر التى كنت أتلقاها فى المصرف • هذه « اوامر » •

وشعرت فى الوقت ذاته ان فى تلك الاوامر ، وقد استفزنى الغيظ . شيئا فى طبيعة ذلك الحافز المتدفق من ذهنى والمنطلق نزولا حتى قدمى • رميت على الفور الاحرمة . ووضعت قدمىَّ على الارض . واسرعت الى الحمام . وفتحت الباب . وأدرت مفتاح الدش ••• وباختصار . فعلت ما أمرت به•

ومن ثم . فيما أنا أستحث نفسى . تاكدت ان فى تلك الاوامر . البسيطة فى مظهرها ، عددا كبيرا آخر من اوامر ضمنية . أوامر . على حد تعبيرهم . من الدرجة الثانية والدرجة الثالثة ، خذوا على سبيل المثال هذه الجملة المقتضبة جهز الفطور • حسنا . ان هذه الجملة تعنى اذهب الى المطبخ أولا . أشعل الغاز ثانيا . ضـ البن والماء فى الغلاية ثالثا . اقطع الخبز رابعا ضع المشواة على النار وشرائح الخبز فى المشواة خامسـ هيىء الصينية باقداحها ووعاء السكر ووعاء الز سادسا . انقل غلاية القهوة والتوست الـ الصينية سابعا . احمل الصينية الى غرفـ النوم وضعها على السرير ثامنا •• مجموعة الافعال كما ترون يمكن . فيما اذا لم انجح تدوين اوامر زوجتى لحظة النطق بها . وبسبب تعقيداتها . أن يكون من الصعوبة بمكان وضـ موضع التنفيذ • وفضلا عن ذلك . فان هذه الاو من الدرجة الثانية يمكن أن تستدعى أوامر اخـ من الدرجة الثالثة . على ما سبق أن ذكرت مثلا . ان وضع الزبدة على الصينية معناه الزبدة من البراد . واخراجها من الورقة الملفـ بها . وقطعها بالسكين ووضع القطع فى صحـ الخ . الخ •• فماذا يتضمن ذلك كله ؟ انه يتضـ أننى . تدريجيا . بدات أستشعر ان لى وجودا جديد . وجودا وراءه تادية عمل . بعد كل الايام الخاملة التى تلت صرفى من الخدمة



المصرف • لقد كنت في ذلك الحين موظفا • وهذا أنا الاونة أعود فاصبح موظفا لسبب دقيق هو انني ـ اعذروا لي تلاعبي بالالفاظ ـ أعمل من جديد •

زوجتي كانت ضاربة اختزال تذهب كل يوم الى عملها في أحد المكاتب • وفي ذلك الصباح لم تصدر الى اية أوامر أخرى • كل ما فعلته هو أن صاحت بي وهي خارجة :

ـ انتبه أن ترد على الهاتف وتدون أسماء المتحدثين فيه •

كان ذلك كافيا بالنسبة الى : جلست في غرفة الجلوس ، على الكنبة ، وجعلت أنتظر • ماذا تراني كنت انتظر ؟ كنت أنتظر أن يرن الهاتف كما أشارت زوجتي • ألا شكرا لهذه النداءات الهاتفية التي بسببها سيكون لي وجود طوال عشرين او اربعين أو ستين ثانية ، أي عمل خلال ساعتين من العطالة والكسل • وهذا ، في رأيي ، شيء كبير • وفضلا عن ذلك ، اذا كان الهاتف سيرن أكثر من مرة ، فان وجودي يكتسب شخصبه هي الى حد ما نظامية متماسكة • جعلت أفكر في هذه الامور . ثم رفعت نظري ورأيت امامي . على منضدة صغيرة في فجوة النافذة ، الالة الكاتبة التي تستخدمها زوجتي في المساء لانهاء اية اعمال اضافية تكون مناطة بها • ثم . فيما انا انظر الى مفاتيح الالة ، المزدحمة بكلمات كامنة ، ولكنها رغم ذلك ، في تلك اللحظة ، خرساء لا حراك بها ، فقد أحسست شيئا مثل شعور بالاخوة : انا نفسي كنت اشبه بالة كاتبة لا حراك بها أثناء غياب زوجتي • نسيطة الحركة اثناء وجودها • قلت في نفسي اننا كنا ، كما يقولون ، شقيقا وشقيقة ، والالة، الى حدما ، اكثر انسانية مني لان لها ، على أقل تقدير ، صوتا خاصا بها ، صوتا رشيقا له صدى• في حين أني ، أنا نفسي ، صامت أخرس على الدوام تقريبا •

ذلك اليوم ، على اية حال ، لم يكن هناك رنين الهاتف وحده ، ولكنني اكتشفت انه ، بالممارسة ، قد يتلقى المرء اوامر في اية لحظة وينبغي على المرء ان يكون منتبها · قرع جرس الباب : ذلك امر بالنهوض والذهاب الى الباب وفتحه ورؤية من يكون الطارق · امراتان تتصايحان وتتشاجران في الساحة : ذلك امر بالذهاب والتطلع من النافذة ورؤية ما يحدث · المياه تتساقط في المطهى : ذلك امر بالذهاب واغلاق الصنبور · وهكذا دواليك ·

كنت مسرورا حقا ، فانا حققت بالاضطرار فضيلة العمل · لكن وجود المرء لا يمكن أن يتم اذا كان عمله الوحيد هو اغلاق صنبور الماء ·

ثمة شيء اكثر اهمية تدعو الحاجة اليه ، ولنقل شيء اكثر نظاما واكثر حدوثا · على سبيل المثال وجود مائة صنبور في حاجة الى اغلاق ، على ان تفصل بين الواحد والاخر فترة عشر دقائق فقط · وعلى اية حال فان ذلك هو شيء ، وعندما نتكلم عنه او نفعله ، فانه يبقى ، من دون ريب ، افضل من الالة الكاتبة القابعة هناك ، هامدة خرساء . وستبقى هكذا الى حين عودة زوجتي الى البيت ·

ويبدو ان زوجتي حدست انها تشغل الانبصورة ناجعة المركز الذي كان يشغله في حياتي مدير المصرف سابقا . فاخذت الاوامر منذ ذلك اليوم تنهال كثيفة سريعة ودقيقة :

ـ انت لا تصلح لشيء . انت متسكع مدمن ، انت متكسب متملق·اجعل من نفسك صالحا لاي عمل على اقل تقدير · نظف . اغسل الثياب . اكو القمصان . اذهب الى السوق ، اطبخ ، رتب البيت . الخ ، الخ ··

لقد كفت عن واجباتها اليومية · وقد يخطر للمرء انها ، باصدارها مثل هذه الاوامر الي ، قصدت معاقبتي على عجزي عن ايجاد عمل والحصول على شيء من المال · والامر الذي لم تتبينه هو انها كانت تهرق الغبطة في جوانحي ·

ماذا اقول ؟ الغبطة ؟ ذلك انها كانت تجعلني اؤدي عملا . اي تجعلني كائنا موجودا · ففي الصباحات كنت اسجل الاوامر التي تصدرها لي قبل خروجها من البيت ، ومن ثم ، على مدى النهار بطوله ، اروح انفذ تلك الاوامر بدقة وصورة اليه · في تلك اللحظات النادرة التي لم يكن ي اوامر اعمل على تنفيذها ، فقد كنت اعي نني اغدو اكثر اعتمادا على زوجتي بالنسبة لي ما اؤدي من اعمال : هي ، هي وحدها ، قادرة على ان تجعلني احرك ساقي ، وذراعي ، ويدي ، واصابعي · ومن بعد اختبرت شعورا من الحب القوي مختلطا بالامتنان والثقة ·

بقينا على مثل هذه الحال قرابة سنة كاملة · ثم ، بعيد عدد من الدلائل ، رايت ان علاقتنا ، التي كانت تبدو منتظمة فعالة ، بدات تتدهور تدريجيا · انها تلك العلاقة ـ كيما اعيد التشبيه الذي اطلقته ـ بين ضاربة الالة الكاتبة وتلك الالة . وقد راحت الان ، يوما بعد يوم ، تغدو علاقة بين بائع الالات وتلك الالة ذاتها · لربما تحقق لدى زوجتي ، وهي تخنقني بالاوامر ، انها لا تعاملني بقدر ما تساعدني على الوجود · لربما وجدت شخصا يدون اوامرها وينفذها افضل مني · ويبقى الواقع انها بدات تنسى ان تحدد لي واجباتي قبل ان تخرج في الصباحات ، اي ان تعطيني تعليماتها المالوفة عن عملي خلال اليوم · وهكذا فان ما كان يحدث اكثر فاكثر هو انني كنت ابقى بدون حراك او عمل مستلقيا على الكنبة في غرفة الجلوس ، طاويا ساقي ، مصالبا ذراعي محدقا بعيني في الفراغ ، اشبه بالعوبة حقيقية لها مفتاح في ظهرها ونابض في صدرها · وبدا ان زوجتي انعمت بنوع من السرعة الازدرائية : فهي ترتدي ثيابها دون ان تخاطبني ، وتهيىء قهوتها وحدها ثم تندفع خارجة من البيت من دون ان تودعني · وكانت تبقى خارج البيت النهار بطوله تقريبا ، واحيانا الليل ايضا · وفي هذه الاثناء لم يكن الهاتف يرن على الاطلاق ، كما أن احدا لا يقرع جرس الباب · ولم اكن اقوم باي عمل من اعمال التنظيف ، وابقى تساورني الشكوك لانها لم تامرني بذلك · اما بالنسبة الى الطعام فقد كنت اخضع لنخزات معدتي الكسول غير المنتظمة ـ وهي الاوامر الوحيدة التي اتلقى ـ فاعيش على الماكولات المحفوظة في العلب ·

وهكذا غدا منزلنا ، يوما بعد يوم ، مكانا يسوده الاهمال والكآبة : الارض وسخة ، والاثاث مبعثر ، والصحون والاقداح في المطهى دون غسيل ، وقطع من نفايات الورق ملقاة في الزوايا ، والثياب على المقاعد ، والاسرة غير مرتبة · وكانت زوجتي تلحظ هذه الامور كلها من دون ريب ، وكان اي

ـسان يستطيع أن يقول انها لم تكن تبالي : لربما كانت تود ، عن طريق هذه القذارة ، أن تبلغني ،مرا عجزت انا عن اكتشافه او استيعاب مغلقاته. وفي أيام الاحاد كانت تبقى في البيت ساعتين ، ومن لم تعمد في اسلوب موجز سريع الى تنظيف وترتيب الغرفتين اللتين يتألف منهما بيتناالصغير.

ذات صباح نهضت من نومي فرايتها ، وقد ارتدت كامل ملابسها ، تحزم في صمت حقيبتها التي القت بها على السرير . ظللت اراقبها فترة طويلة وهي تتحرك بين الخزانة والحقيبة . واخيرا ترجمت ذلك الغدو والرواح على أنه امر ، امر مرير مؤلم ، ان اسألها واكتشف ماذا يحدث . انفجر شيء ما في داخلي ، وتحرك لساني ، ونطقت شفتاي بهذه الكلمات :

ماذا تفعلين ؟

استدارت ونظرت اليّ ، ثم خطت وجلست على السرير ، وقالت :

ـ توليو ، لقد حان اوان افتراقنا . لقد حاولت ان اجعلك تفهم بكل وسيلة ممكنة . ولكنك تعمدت الا ترى ، الامر الذي يرغمني على اخبارك. لقد انتهى زواجنا . لقد وجدت رجلا يحبني واحبه. وكنت اعيش معه ، كما يقولون ، طوال شهرين . وان تواجدي هنا لا يمكن ان يستمر . وانت لم تنتبه الى ذلك . لكنه لم يبق شيء مني في هذه الشقة ، اللهم غير هذه النفايات القليلة والالة الكاتبة . وينبغي ان تكون الان على شيء من اللطف والوداد مثلك دائما . ان الرجل الذي سأعيش معه ينتظرني في الشارع . فارجو ان تأخذ هذه الالة الكاتبة ، وتنزل بها الى الشارع وتضعها في سيارته . هذا كل ما ارجوه منك .

شعرت بألم رهيب ، الم خيل لي انه سينقلب من جراء شدته وعنفه الى امر من دون ريب .

قلت :

ـ لكن ، لكنني لا استطيع ان اعيش من دونك.

تلك كانت الحقيقة : من دون أن اتلقى الاوامر منها لا يمكن ان يكون لي وجود . ولكنها ترجمت كلماتي وفق مزاجها . فاجابت :

ـ من سوء الحظ انني ،من جهة اخرى ،استطيع ن اعيش تماما من دونك . صحيح انك جعلت من نفسك رجلا نافعا ، لكنه في العلاقة بين الزوج الزوجة لا يكفي ان تجعل نفسك رجلا نافعا ، بل يجب ان تكون ضروريا . والان انت لست ضروريا. وانا استطيع استبدالك بمكنسة كهربائية او غسالة كهربائية او جهاز يرد على الهاتف بصورة الية .

اجبت ، وانا لا ابرح اطيع الامر الذي ينقله اليّ الالم الذي اشعر به :

ـ سوف لن اسمح لك بالذهاب .

فاجابت في عزم :

ـ هيا ، لا تتصرف مثل ولد صغير . ارتد ثيابك ، وخذ الالة الكاتبة ، وانزل بها السلم وضعها في السيارة . سأحمل الحقيبة بنفسي .

لاول مرة منذ بدانا حياتنا معا وجدت نفسي امام امرين متناقضين ـ ففي الجانب الاول يامرني الالم ان امنعها من الرحيل ، وفي الجانب الثاني تامرني هي نفسها ان احمل الالة الكاتبة واهبط بها الى الشارع . وبدات افكر فيما ينبغي عليّ أن افعل ، وارتديت ، في تلك الاثناء ، ثيابي مثلما ارتني ان افعل . وكانت زوجتي تروح وتجيء ، ثم اغلقت الحقيبة وذهبت الى المراة ، وادارت ظهرها اليّ ... وعندما بدا الحافز عمله . وثبت نحوها ، وانا اصيح :

ـ انت لا يمكن ان ترحلي عني .

وقبضت عليها من عنقها . وحدث كل شيء بدقة وسهولة ، وبصورة آلية . ثم عندما شعرت انها بدات ترتخي وتهوى صوب الارض ، وتكاد ترميني معها ، فقد جررتها ناحية السرير ومددتها عليه ، على ظهرها ، وذراعاها متباعدتان .

لقد حان الان الوقت الذي ينبغي على ان انفذ الامر الاخر . وضعت الالة في حقيبتها ، وخرجت من الشقة وهبطت في المصعد الى الطابق الارضي. كانت السيارة واقفة هناك امام المدخل الرئيسي ولكنني لم استطع رؤية وجه السائق بسبب انعكاس الشمس على الزجاج . درت حول السيارة ، وفتحت صندوقها الخلفي ، ووضعت الالة الكاتبة فيه . ثم عدت فصعدت الى الشقة من جديد ، وجلست على الكنبة في غرفة الجلوس طاويا ساقي ، مصالبا ذراعي ، محدقا بعيني في الفراغ منتظرا الاوامر . ■■

ترجمة : سهيل أيوب

الشارقة ـ الامارات العربية المتحدة

مرة اخرى

● كنت قد قرات فى العدد٢٢٦ كلمة بعنوان « دراكيولا ليس بطلا قوميا » ، فى بابحوار القراء واعجبتنى فىحينه كثيرا لانها اعطت توضيحاموضوعيا حول الطاغية المذكور. غير اننى شعرت بدهشة كبيرةعندما قرات فىالعدد ٢٢٩ ،وفى نفس الباب ، ردا من السيدباسم محمد المصرى - دفعنى للكتابة اليكم لما فى كلام السيدالمشار اليه من مغالطات ، افندها بايجاز :

١ - اتهم السيد باسم السيدحمدان بانه وصف الجيوش الوطنية التى تدافع عن ارضبلادها ضد غزاة (يقصد العثمانيين بانها استبدادية والعقيقة ان السيد حمدان تحدث عن الجيوش القيصرية الروسية ، والبلاد المعنية هى رومانيا ، علما بان الوقائع التاريخية تبين ان الجيوش القيصرية فىحربها ضد الدولة الاسلامية قد اظهرت وحشية رهيبة ضد الرومانيين ، يقول المؤرخ الفرنسى ، « لاموش » فى معرض حديثه عن الحرب العثمانية الروسية عام ١٨٢٨ ما يلى : « خلال الحروب ، كمافى الحملات السابقة ، كان الاحتلال الروسى فى منتهى القسوة على الرومانيين . ولا سيما على الفلاحين الذين كانوايتعرضون لكلانواع الابتزازات والسخرة المتعسفة والمنهكة ،وعندما لمتكنحيواناتجر عربات المؤن والذخيرة كافية ، كان الضباط الروس يعمدون الى جرها بواسطة الرجال الرومانيين،او حتى بواسطة النساء .

ومعروف ان الدولة العثمانيةكانت تحافظ على تراب الوطن الاسلامى، وكان بين الرومانيين كثير من المسلمين ، خصوصا فى مقاطعة افلاقيا (فلاقيا) التىمدت الدولة الاسلامية بكثير من الحكام والقواد،وما ان تهاوتهذه الثغور المتقدمة حتى اصبحت الطريق مفتوحة لاحتلال مناطق التتر المسلمين فى شبه

اطول كلمة فى اللغة الانجليزية

● العقيقة ان ما ذكرتموه فى العدد ٢٢٨ من العربى ، اطول كلمة فى الانجليزية ليس كلمة .

Honorificabilitudinitatibus.

ورغم طول هذه الكلمة التى هى عبارة عنمجموعة منالكلمات العربية المزوجة والمرقمةوالتى تحمل عدة معان ، الا ان اطول كلمة فىاللغة الانجليزيةمكونة من ٢٨ حرفا وهى تعنى « الانشقاقية » وهى طائفة ريفية انشقت عن الكنيسة ، الكنيسة الانجليزية وهذهالكلمة هى « Antidisestablishment - erainism » ومصدرها الاستاذ/روجرز - الذى كان يدرس اللغة الانجليزية فى كلية اداب جامعة الموصل سنة ١٩٧٣ .

انيس احمد عطية
نينوى - العراق

محافظة كفر الشيخ

● درجت مجلة العربى على تقديم استطلاعات عن بقاع الوطن العربى مستهدفة تعريف المواطن العربى بوطنه الكبير وانطلاقا منهذا المفهوم ادعوكم لاستطلاع محافظة كفر الشيخ التى تنتج ٤٠٪ منالارز المصرى ونسبة كبيرة من المحاصيل الزراعية مثل القطن والذرة الشامية والكتان،هذا بالاضافة الى الثروة السمكية الهائلةمن شواطىء البحرالابيض المتوسط وبحيرة البرلس التى تعتبر من البحيرات الكبرى فى مصر بعد بحيرة المنزلة .

وهناك ايضا الكثير من الصناعات القائمة فى هذه المحافظة والتىتستحق استطلاعا ينشر عنها فى مجلة العربى

محمد عبدالعاطى عبدالقادر
مصر .

جزيرة القرم، والمناطق الشركسية في القفقاس ، الامر الذى ترتب عنه بعد انكسار المجاهد الشيخ « شامل » نزوح اعداد كبيرة من اخواننا الشراكسة الى شتى ارجاء المملكة فى البلقان والاناضول وبلاد الشام •

٢ ـ ضمن نفس المغالطات ،تساءل السيد بسام : « هل نسى (السيد حمدان) اللقب الذى كانوا ينادوننا به « بيس عرب » اى الكلب العربى » •

بكل موضوعية ، اوضح ان كلمة « بيس »معناها « قذر » لا كلب • هذا من جهة ومن جهة اخرى ، طالما سمعنا من آبائنا انه كانت توجد حلقات خفية تعمل على الدس بين الاخوة المسلمين من عرب واتراك وغيرهم (وبينهم صلات نسب وتصاهر عبر قرون) ولعلها كانت مرتبطة بالصهاينة والاستعمار الغربى الزاحف على المنطقة ، وكان الاسلوب يعتمد على ابتداع مثل هذه العبارات ونفخها فى الاذان، حسب رواية اهلنا من الجيل القديم ،ليتلقفها العامة ويستعملوها فى مشاحناتهم اليومية ،وعبارة « بيس عرب » هذه كانت تقابلها عبارة « اتراك جنس فسيك » ، (بالسين المشددة)• وكلتاهما صادرة عن نفس المنبع الذى كان ينفخ طى الخفاء، تحقيقا لمطامع الاستعمار الغربى والصهاينة فى المنطقة•

هذا ومن المعلوم ان جميع الرعية كانوا يخضعون لقانون واحد ، بغض النظر عن الجنس والدين وهذا يجعل من قوانين الدولة الاسلامية آنذاك القوانين الاكثر تقدمية لان اوروبا « المتحضرة » كانت تعتمد على قانونين: الاول للاسياد الاوروبيين والاخر لسكان المستعمرات •

الرقة/سوريا   فاضل محمود الوراق

استطلعوا الاردن

● الاردن بلد شحيح الموارد الا ان الطبيعة حبته بطقس معتدل تكثر فيه الاشجار الوارفة ناهيك عن الاثار العظيمة التى ما زالت تروى قصص الغابرين وهذه كلها عوامل جذب سياحية، حبذا لو قامت العربى باستطلاع عن الاردن لتعريف العرب بهذا الجزء من وطنهم العربى الكبير •

اربد ـ الاردن   رسمى طربية

سر هالات النور

● قرات فى عدد ٢٢٤ من العربى موضوعا عن« سر هالات النور » للدكتور عبد المحسن صالح- يلمح فيه الى ان العلم الحديث قادر وسيظل يحارب حتى تخليص الناس من بعض آرائهم القائمة على الخيال والاساطير التى كانت تناسب مستوى التفكير فى بشر عاشوا منذ مئات آلاف السنين •

ويبدو لى ان الكاتب ظن انه عثر على مفتاح السر الحقيقى حين فسر هالات النور بانها تلك التى تظهرها الكهرباء الساكنة ومع احترامى لبحثه، الا انه لم يفسر لنا اسباب تجمع تلك الكهرباء ولا الظروف التى تتجمع فيها •

انا لا ادافع عن الاساطير والمعتقدات الخاطئة التى طغت على مجتمعنا ولكنى ،دكر انه لاالعلم وحده القادر على حل مشاكل الانسان ولا الاعتقاد بالخرافات هو مرض مجتمعاتنا •

ولكن الانسان سيظل بحاجة الى الطاقة الروحية التى تبعث الامل فى نفسه كحاجته الى الايمان بالعلم النافع المعزز بالايمان •

والواقع ان كشف سر هالات النور وتفسيرها بالكهرباء لا ينفى انها قد تكون احيانا مجرد تجمع كهربائى ، وقد يكون احيانا تدبيرا من الطبيعة مقصودا •

احمد نجيب ابهاوى
انزكان ـ المغرب

حوار القراء

تاريخ الموريسكيين

● بعد ان اطلعت على تاريخ الموريسكيين الذى تدمه فهمى هويدى فى العدد ٢٢٨ من «العربى» هزنى شعور عنيف ذكرنى بالاعداء الذين يحيطون بالاسلام .. وهنا اتساءل : ما دور الدول الاسلامية الغنية فى حماية الاسلام والمسلمين ؟

ان رجال الرعيل الاول استطاعوا ان ينطلقوا من ارض فقيرة بالاموال ولكنها غنية بالايمان الى كل ارجاء العالم ليرفعوا راية الاسلام فى بلاد لم تكن تعرف الاسلام .. فما بالنا نحن مسلمي اليوم نرضى بالخنوع بدلا من العزة .

او ليس من الافضل ان نقدم المساعدة الى هؤلاء المسلمين بدلا من تجميد اموالنا فى مصارف وبنوك اوربا وامريكا لتستخدم بالتالى ضد المسلمين.

محمد التمو
حلب/كلية الطب

اين الشعر الرصين ؟

● الاحظ ان الشعر الجيد الرصين قليل هذه الايام .. فرغم ان العصر الحديث انجب شعراء مجيدين من امثال شوقى وحافظ والمطران وعمر ابى ريشة الا اننا لانجد اليوم تلك القصائد العصماء التى كانت تملأ اسماعنا وتاخذ بابصارنا.

فحبذا لو قرانا مقالا لاحد النقاد عن سبب هذه الظاهرة .. فهل اصاب القرائح جدب ؟

امجد جلال
بغداد/العراق

الاستعمار واحد مهما تعددت أشكاله

● الى الذين دافعوا عن الحكم التركى للعرب اقول ان السيطرة الاستعمارية نكبة كبيرة للشعوب المستعمرة مهما تعددت اشكالها والوانها ،والاستعمار واحد مهما لبس من اقنعة ، والتاريخ خير دليل على ذلك ،فهو ياتى احيانا غازيا ومحتلا، واحيانا اخرى ياخذ شكل الاستعمار الاقتصادى ، ويكتفى فى بعض الاحيان يزرع عملاءله،ويتستر احيانا تحت دعوات دينية مختلفة،الم يغز الاستعمار الاوربى المنطقة العربية تحت ستار الصليب ، ودعوة المسيح وهم ابعد ما يكون عن دعوة هذا المعلم العظيم .

ثم اسال : هل كان تصدى الجيش التركى لغزو المستعمرين الاسبان او البرتغاليين اوغيرهم حرصا على الدفاع عن الارض العربية ، ام عملا يهدف تثبيت وجوده ؟ ولماذا لم يخرج الاتراك بعد ان حرروا البلاد العربية وحموا ديارهم،ثم كيف يستطيع التاريخ ان يفسر لنا الثورات التى قامت ترفض الوجود العثمانى والبطش الذى مارسه ضد ثوارها .

لقد كتب السيد جاسم الوزان فى حوار القراء يسال :

ماذا كان يمكن ان يكون مصير الاسلام والقرآن لولا موقف العثمانيين . وردى على ذلك هو الاية الكريمة : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون».والا فكيف استطاعت الجزائر ان تحافظ على لغتها العربية وهى لغة القرآن وعلى دينها رغم محاولات الفرنسة التى دامت مائة وثلاثين عاما ؟ واخيرا .. الا يجب ان نعرف كيف جاء العثمانيون الى المنطقة العربية .. ومن أين جاءوا وباى هدف ؟ وكيف رحلوا عن ارضنا ؟

ان وقوفنا على حقيقة ذلك،يعطينا الجواب الحقيقى لسؤال: هل الحكم التركى نكبة للعرب ام لا ؟

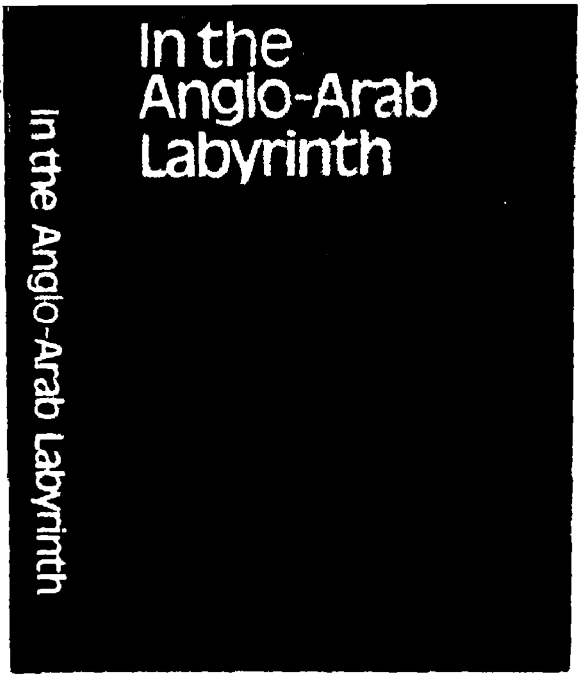
خير جمعه/سورية البوكمال

اذاعة الكويت

● صحوت هذا الصباح فى مدينتى الحبيبة القدس على صوت اذاعة الكويت ولا استطيع ان اصف لكم شعورى وانا استمع الى هذا الصوت العربى يصلنى فى بيتى ، والحق اقول ان اذاعة الكويت اشعرتنى بالفخر والاعتزاز وانا اسمعها تتسلل الى عبر الحدود والاسلاك لتخاطبنى هنا فى أسرى الكبير .

القدس ـ فلسطين عفيف العمرى

كتاب جديد



فى المتاهة الانجليزية العربية

قراءة مفصلة لمراسلات مكماهون والشريف حسين (١٩١٤ـ١٩٣٩)

بريطانيا تمنى الحسين بالوعود الغامضة بينما تقتسم المشرق مع فرنسا

تاليف : ايلى خدورى عرض وتعليق : الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

« لقد أعطينا اليهود والعرب تاكيدات متناقضة خلال الحرب • لقد بعنا الجواد ذاته مرتين! »•



لورد لويد
وزير المستعمرات
البريطانى

■ هناك قضايا تاريخية قد تبدو غامضة فى حينها ، ولكنها لاتلبث ان تتضح بمرور الزمن بعد ان تخرج الى حيز النور ، الاوراق الرسمية والمذكرات الشخصية المتصلة بها • وهناك قضايا اخرى لايؤدى مرور الزمن الا الى ازدياد تعقيدها، وذلك حين تتضارب حولها وجهات النظر وبخاصة اذا ما استرسلت المشاكل المتصلة بها • ومن هذه الاخيرة المراسلات التى تبودلت فى الفترة ما بين يولية ١٩١٥ ومارس ١٩١٦ بين المندوب السامى البريطانى فى مصر السير هنرى مكماهون وبين شريف مكة الحسين بن على • فهذه المراسلات

كانت منذ البداية موضعا لتفسيرات متضاربة ، وللجدل الذي لم يخف بمرور الزمن ، ان لم يكن قد ازداد • وليس من المبالغة القول بانها قد اثرت في العلاقات العربية ـ الانجليزية طيلة نصف قرن من الزمان •

بداية نشر الوثائق

وقد تكشفت بعض تفاصيل هذه المراسلات قبل مرور عام على انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وذلك على يد الجاسوس البريطاني لورنس ـ المعروف باسم « لورنس العرب » ـ الذي نشر بصددها مقالا طويلا في جريدة الديلي تلجراف تحت اسم مستعار• وفي عام ١٩٣٤ نشر امين سعيد المراسلات برمتها في كتابه « الثورة العربية الكبرى » ، وفي عام ١٩٣٨ نشر جورج انطونيوس معظمها في ملحق بكتابه «يقظة العرب » الذي نشر اول ما نشر باللغة الانجليزية • ولكن الحكومة البريطانية لم تعد تنشر المراسلات رسميا الا في عام ١٩٣٩ ، حين اصدرت بصددها كتابا ابيض ، تلبية لطلب الوفود العربيـة الى مؤتمر المائـدة المستديرة (١٩٣٨ ـ١٩٣٩) الخاص بفلسطين : فقد اعتقدت هذه الوفود ان المراسلات تثبت ان مكماهون وعـد الشريف حسين بفلسطين في عام ١٩١٥ ،وبالتالي فان نشرها يعزز موقف العرب من الصهيونية • وهكذا اصبحت مراسلات الحسين ـ مكماهون جانبا هاما من جوانب القضية الفلسطينية ، هذا برغم ان تبادلها قد تم قبل صدور وعد بلفور ، وان يكن تفسيرها قد اصبح موضعا للجدل بعد صدور الوعد (٢ نوفمبر ١٩١٧) والاحتلال البريطاني لفلسطين •

الشريف حسين وبريطانيا

فقبل نشوب الحرب العالمية الاولـى اصطنـع الشريف حسين سياسة مزدوجة فيما بين الدولـة العثمانية وبريطانيا ، مؤملا أن يؤدي احتضانه للتيار القومي العربي الى تضخيم الدور الذي يلعبه في المشرق العربي ، وتحقيق احلامه الخاصة

بقيام دولة عربية مترامية الاطراف يحكمها هـ
واولاده بالاضافة الى احياء الخلافة العربية ف
شخصه • وكان ابنه عبدالله بوجه خاص شدي
الحماسة لهذا المشروع ، وبخاصة أنه كان يك
مقتا شديدا للدولة العثمانية • وفي زيارتين قا
بهما الى القاهرة قبل نشوب الحرب اتصل بالسي
رونالد ستورس (السكرتير الشرقي بدار المندو
السامي البريطاني في مصر) وعرض عليه مشرو
والده استماله بريطانيا الى جانبه فيما لو اصطد
بالسلطات العثمانية في الحجاز • وقد طالـ
عبدالله بان تعترف بريطانيا باستقلال العـر
في منطقة واسعة تشمل الشام والعراق وشب
الجزيرة العربية ، وان تلتزم بالدفاع عن هذ
الدولة العربية المستقلة • وكان موقف ستورس
بناء على تعليمات حكومته ـ هو عـدم تشجيـ
عبد الله مع عدم رفض عرضه رفضا باتا • وم
يلفت النظر ان عبدالله ، خلال زيارته للقاهرة
قد نزل ضيفا على الخديوى عباس الثاني فـ
قصر عابدين ، الامر الذي لايخلو من مغزى سياسي
فقد كان عباس هو الاخر يتطلع الى ضم الشـ
وشبه الجزيرة العربية الى املاكه ، ويحلم با
يصبح خليفة للمسلمين ، او على الاقل بان ينصـ
خليفة عربي يدين له بالولاء وبخاصة لان الخلا
قد أصيبت بضربة شديدة نتيجة لخلع السلطا
عبد الحميد في عام ١٩٠٩ على أيدي الاتحاديي
الذين كان ثمة اعتقاد قوي لدى المسلمين بانه
واقعون تحت سيطرة اليهود •

وفي اواخر اكتوبر ١٩١٤ انضمت تركيا ا
المانيا ضد بريطانيا وحلفائها ، واعلنت السلطا
التركية الجهاد المقدس ضد دول «الوفاق » :روسـ
القيصرية وبريطانيا وفرنسا ، معرضة بذلك رعا
هذه الدول من المسلمين على شق عصا الطاعة للحك
المسيحيين • وكان لابد لبريطانيا ـ التي كان
تحكم عدة ملايين من المسلمين ، وبخاصة في الهـ
ـ ان تعمل شيئا لمواجهة نداءات الساسة الاترا
وتشتيت ولاء المسلمين لدولة الخلافة ، ومن ا
اهتمامها بعروض عبدالله وباهمية الشريف حسي

(١) المؤلف أستاذ السياسة بجامعة لندن •ورئيس تحرير مجلة « دراسات الشرق الاوسط» التي تصدر في العاصمة البريطانية ، وله عدة دراسات تتعلق بتاريخ المشرق العربي خـلال النصف الاول من القرن العشرين •

يد الرسول وشريف البقاع الاسلاميه المقدسة الحجاز . وحامل مفاتيح الكعبة . أما رد بريطانيا ى عرض عبد الله فقد جاء على يد اللورد برت كتشنر وزير الحربية البريطاني . الذى ن قبل نشوب الحرب مندوبا ساميا لبريطانيا فى ر . ولم يرسل هذا الرد الا بعد ان وافق عليه ر الخارجية اللورد جراى - وجاء فيه ما يلى: اذا ما ساعدت الامة العربية انجلترا فى هذه رب ، فان انجلترا ستضمن عدم حدوث مداخلات لية فى شئون بلاد العرب . وستقدم للعرب مساعدة ضد العدوان الاجنبى الخارجى . ومن كن ان يتولى عربى صميم الخلافة فى مكـــة دينة .»

الطامعون فى الخلافة

واذا تفحصنا هذه الرسالة نجدهـا تتميـز موض فى اشارتها الى العرب والامة العربية. انها تشير بصراحة الى الخلافة . وحين جرت متها الى اللغة العربية قبل ارسالها الى يف مكة تجاوز ستورس وتشيتهام (القائم مال المندوب السامى فى مصر) النص الانجليزى. ، ثم اشارة الترجمة الى حركة عربية عامة سعة تحت قيادة الحسين . وفى ٤ ديسمبر ١٩ صدر خطاب احر عن دار المندوب السامى اهرة على شكل «اعلان من حكومة بريطانيا لمى الى سكان شبه جزيرة العرب والولايات بية » : اى : فلسطين وسوريا والعراق والبلدان قعة بين البحر الاحمر وبحر العرب والخليج بى وحدود فارس والاناضول والبحر المتوسط. جاء فى الاعلان ان بريطانيا قررت عدم مهاجمة ب ، او اعلان الحرب عليهم ، وانها لا تسعى امتلاك اى جزء من اراضيهم عن طريق الغزو الحماية او الاحتلال ، وانها تضمن لهم ان اءها سيسيرون على نفس هذا النهج . كما فيه ان بريطانيا وحلفاءها سيعززون استقلال ب اذا ما اعلنوه ، وانهم سيطردون الاتراك فاءهم ، كما اشار الى ان الخلافة من حق ب .

مما تجدر الاشارة اليه ان كتشنر كان يسعى عرقلة اطماع فرنسا فى الشام ، وذلك بضم يا الى مصر ، كما كان يحلم بامبراطوريـــة بريطانية تضم مصر والسودان وتمتد من الاسكندرية الى عدن . يقوم فيها خليفة للمسلمين لا تتعدى صلاحياته صلاحيات بابا روما . ومن الممكن الاستعانة به فى مخاطبة المسلمين فى كل مكان وموازنة دعوة السلطان العثمانية الى الجهاد . ورغم توليـه وزارة الحربية البريطانية فانـه كان يامـل فى العودة الى وظيفته السابقة فى مصر . ومن ثم اختياره للسير هنرى مكماهون (يناير ١٩١٥) ليحل محله مؤقتا . والاوامر التى كان يصدرها له وللجنرال مكسويل القائد العام للقوات البريطانية فى مصر ولغيرهما من كبار الموظفين الانجليز فى القاهرة ويستشهد المؤلف بآراء تدل على بطء تفكيـر مكماهون وكسله وعدم مناسبة طبيعته للوظيفة التى تولاها . وان تكن هذه الصفات نفسها هى التى سهلت لكتشنر ان يهيمن على شئون مصر ويوجهها . وهكذا نجد مكماهون يقترح مد سلطة سلطان مصر الى سوريا وذلك للحيلولة دون استيلاء بريطانيا او فرنسا على اى جزء منها . وبـذلك تتجنب بريطانـيا التـدخل المباشر فى شئونـها ، وبالتالى تتجنب اغضاب فرنسا التى كانت تطمع فى الشام بما فيها فلسطين . الا ان وزير الخارجية البريطانية - اللـورد جـراى - رفض اقتـراح مكماهون ، على اعتبار ان مساندة ادعاءات مصر تعنى مساندة ادعاءات بريطانيا . وبخاصة ان فلسطين تهم كل الدول بحيث يصعب استيلاء دولة واحدة عليها. وكان جراى يجد فى تحقيق آمال اليهود فى فلسطين اجراء احتياطيا ضد مطالبة فرنسا ، او اى دولة اخرى ، بسوريا . وبالتالى فانه كان لا يمانع فى اقامة ادارة دولية فى فلسطين تشترك فيها دول الوفاق والبابا وربما الولايات المتحدة .

اما المراسلات ذاتها فقد بدأت بالفعل فى ١٤ يولية ١٩١٥ برسالة بعث بها عبدالله الى ستورس، وارفق بها مذكرة تعتبر اول خطاب فى مراسلات الحسين - مكماهون . وقد جاء فى المذكرة انها تعبر عن اتجاهات «الامة العربية» . وتضمنت مطالبة انجلترا بان «تعترف باستقلال البلدان العربية» فى منطقة تحدها فى الشرق الحدود الفارسية . وفى الجنوب المحيط الهندى . وفى الغرب البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى مرسين . وفى الشمال خط يمتد من مرسين فى الغرب الى اورفا وماردين والعمادية وينتهى فى الشرق عند الحدود الفارسية.

واستثنت المذكرة عدن ـ المحمية البريطانية ـ فاقترحت ان يبقى وضعها كما هو، كما طالبت بان تقر انجلترا اعلان خلافة عربية للاسلام، وان تضمن حماية الدولة العربية المقترحة، بان تعقد معها معاهدة تنص على المساعدة المتبادلة في المجال العسكري، والتصدي لاي دولة اجنبية قد تهاجم ايا من الطرفين، على ان تتمتع بريطانيا بالاولوية في كل المشروعات الاقتصادية • ويستعرض المؤلف موقف كبار المسئولين الانجليز من عرض الشريف حسين وعدم ميلهم الى الاجابة عليها بالرفض • وكان رد مكماهون عليها (٣٠ اغسطس) ان انجلترا على استعداد للاعتراف بالخلافة اذا ما اعلنت ـ وهو التزام صريح يختلف عن اجابة كتشنر السابقة التي تضمنت الاحتمال لا القطع •

بريطانيا تتلاعب في النصوص

وفي رد حسين على مكماهون (٩ سبتمبر) اكد اصراره على الحدود التي سبق ان طالب بها، وان يكن قد فتح الباب امام التنازلات التي تقتضيها مصلحة بريطانيا • وفي ٢٤ اكتوبر جاء رد مكماهون الذي تضمن تعهد بريطانيا بالاعتراف باستقلال العرب وتاييده في نطاق الحدود التي عينها الشريف حسين باستثناء بعض مناطق آسيا الصغرى وسوريا، واورد تحفظا ببعض المناطق الواقعة داخل هذه الحدود والتي ترتبط بريطانيا بمعاهدات مع بعض امرائها • وكانت الفقرات التي حددت تعهدات بريطانيا وتحفظاتها في مذكرة مكماهون كالاتي: « ان مقاطعتي مرسين والاسكندرونة، وكذلك اجزاء سوريا الواقعة الى غرب منطقة دمشق وحمص وحماه وحلب لا يمكن اعتبارها عربية صرفة • ولهذا السبب وجب استثناؤها من التحديد المقترح • اننا نقبل بهذا التحديد مع مراعاة التعديل الموضح اعلاه، على الا يؤثر ذلك في المعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض امراء العرب •

اما فيما يتعلق بالمناطق الواقعة ضمن الحدود المقترحة، والتي تستطيع بريطانيا العظمى ان تعمل فيها دون ان تمس حليفتها فرنسا، فانني مكلف باعطائكم التعهدات التالية باسم حكومة بريطانيا العظمى وبان اجيب على مذكرتكم بمايلي: « ان بريطانيا مستعدة للاعتراف باستقلال العرب وتاييدهم في جميع المناطق الواقعة ضمن الحد التي اقترحها شريف مكة مع مراعاة التعديل المبينة اعلاه » •

وقد آثرنا ادراج هذا النص برمته حتى يتبين القارىء مدى غموضه الذي لم يلبث ان اثار كثيرا من الجدل والاتهامات في المستقبل • فللوهلة الاولى يبدو ان الرسالة تمنح الشريف اراضي واسعة، الا اننا حين ندقق في نصوصها نجد انها لم تعطه شيئا على الاطلاق • ومما زاد في الخلط ان النص العربي الذي ارسل للحسين قد ترجم على يد رجل فارسي الاصل اسمه «روحي» كان لا يتقن اللغة العربية وهكذا نجد ان الحسين يذهب بعد نهاية الحرب الى انه توصل الى « اتفاقية » مع بريطانيا على حين نفى المسئولون الانجليز وجود شيء من هذا القبيل ومن ناحية اخرى نجد ان الحسين يستشف من المكاتبات البريطانية ان بريطانيا توافق على ان يصبح ملكا على العرب وخليفة المسلمين، في الوقت الذي لم يعده فيه الانجليز بشيء قاطع بهذا الصدد • فتحت ستار الغموض احتفظت بحريتها في العمل، خاصة وانها هي الطرف الاقوى الذي يمكنه ان يفرض ما يشاء •

وفي مقابل هذه الوعود الغامضة كان على الحسين ان يفجر الثورة العربية ضد الدولة العثمانية • وما ان نشبت الثورة في عام ١٩١٦ حتى بدا الحسين يطالب بالخلافة ويذهب الى ان المراسلات البريطانية قد وعدته بتحقيق كل طموحاته ـ ومن ثم اعلانه نفسه ملكا على الامة العربية • ورغم ان بريطانيا وفرنسا لم تعترفا به ملكا الا على الحجاز، فانه كان يتطلع الى سوريا والعراق تمهيدا لاعلان نفسه خليفة للمسلمين •• وهي هنا ليست خلافة روحية كما قصد بعض المسئولين الانجليز، بل سلطة سياسية تحل محل السلطة التي كان يمارسها العثمانيون • وقد ادعى الحسين انه على استعداد للتخلي لبريطانيا عن البصرة واسفل العراق (وكانت قد احتلتهما) بشرط ان تتمتع الموصل وبغداد بالحكم الذاتي تحت سيادة ملك دمشق !

اقتسام البلاد العربية

وفي الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تمنى الحسين بالوعود الغامضة، كانت تضع مع فرنسا

طة لتقسيم المشرق العربى فيما بينهما طبقا لما عرف باسم اتفاق سايكس - بيكو (ابريل ١٩١٦): فتاخذ بريطانيا جنوبى العراق وتاخذ فرنسا سواحل الشام حيث يقوم حكم مباشر لكل من الدولتين ، وفى المناطق الداخلية يقوم حكم عربى يخضع فى بعض بقاعه للنفوذ البريطانى وفى الاخر للنفوذ الفرنسى • ولما كانت فلسطين مطمعا لكل من الدولتين ، فقد اتفق مبدئيا على تدويلها• ويؤكد الدكتور « خدورى » ان الحسين كان على علم بالخطوط الرئيسية للاتفاق الفرنسى - البريطانى منذ اكتوبر ١٩١٦ ، وانه كان يامل ان تصطنع بريطانيا القوة لاقامة الدولة العربية رغم انف الجميع ، على ان يعترف العرب بحماية بريطانيا على المناطق السورية الداخلية اذا لزم الامر وذلك لضمان عدم تدخل الاخرين • ويعزو المؤلف هذا الاعتقاد الى الصيغة غير العريضة وغير المسئولة التى تضمنتها تصريحات المسئولين البريطانيين فى القاهرة ومكاتباتهم منذ زيارة عبدالله للقاهرة فى فبراير ١٩١٤ ،حتى تسلمه رسالة يولية ١٩١٥ ، وبخاصة انه كان من المعروف ان هؤلاء المسئولين لايوافقون على ادعاءات فرنسا فى الشام •

ولما كان رئيس الوزراء البريطانى الجديد - لويد جورج - يطمع فى ان تضع بريطانيا يدها على فلسطين « بحق الفتح » ، فانه راى ضرورة ابلاغ الحسين رسميا بفحوى اتفاق سايكس-بيكو ولهذا اوفد مارك سايكس فى اوائل ١٩١٧ الى الحجاز ليطمئن الشريف بصدد نوايا فرنسا ازاء المناطق السورية الداخلية ،وليفهمه - بالاضافة الى ذلك - ان حكمه «لايمكن ان يفرض على شعوب لاترحب به » وليوضح له ان بريطانيا ستحتفظ فى بغداد والمناطق المحيطة بها بتفوق عسكرى وسياسى يوازى مصالحها التجارية والاستراتيجية • كما وصل جورج بيكو الى جده حيث اجرى محادثات عامة مع الشريف - ويبدو انه احاطه بتفاصيل الاتفاق الانجليزى -الفرنسى» • وقد سجل بيكو ان الحسين لم يغضب ، كما كان متوقعا ، حين عرض عليه فحوى الاتفاق • وحين صدر وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، متضمنا النص على اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، اعتقد الشريف ان كل الاتفاقيات التى جرى عقدها خلال الحرب لا اهمية لها ، وان فرنسا وبريطانيا ستتصارعان فى مؤتمر الصلح ، مما يدفع بريطانيا الى مناصرته فى تحقيق كل اماله •

بريطانيا تحنث بوعودها

ولكن ما ان انتهت الحرب العظمى حتى قررت بريطانيا التخلى عن وعودها لكل من الحسين وفرنسا • فهى تستند الى وعد بلفور لابعاد فرنسا عن فلسطين ، وتتيح لفيصل بن الحسين احتلال دمشق بهدف تحديد منطقة النفوذ الفرنسية فى المشرق • الا ان فرنسا التى كانت على استعداد للتخلى عن فلسطين ومنطقة الموصل لبريطانيا رغبة منها فى تقوية مركزها فى اوروبا - لم تكن على استعداد للتخلى عن ادعاءاتها فى الشام ومن ثم تخلى بريطانيا عن فيصل الذى دعته الى التفاهم مع الفرنسيين • ولكن القوميين العرب المحيطين بفيصل لميقتنعوابشروط فرنسا ،واعلنوه ملكا على سوريا بما فيها فلسطين • ولما كان من الواضح ان المسئولين الانجليز فىفلسطين بمن فيهمالجنرال «اللنبى» ذاته ، يساندون سوريا الموحدة تحت حكم فيصل ، فقد اتجه هذا الاخير الى المطالبة بفلسطين • ولكن بريطانيا وفرنسا ما مبثتا ان راجعتا كافة اتفاقيتهما السابقة وقررتا فى سان ريمو (ابريل ١٩٢٠) قيامانتداب بريطانى على العراق (بما فيه لواء الموصل) وفلسطين ، وانتداب فرنسى على سوريا ولبنان ومن الطبيعى ان يؤدى هذا الاتفاق الجديد الى الاطاحة بمملكة فيصل الدمشقية •

ولكى تضع بريطانيا خطة منسقة لادارة الاملاك الجديدة التى آلت اليها فى الوطن العربى -عقدت مؤتمرا فى القاهرة (١٩٢١) برئاسة وزير المستعمرات ونستون تشرشلحضره كبار العسكريين والمستشارين البريطانيين فى الشرق الاوسط •

وكان من راى لورنس ان بريطانيا قد خسرت ، وستخسر الكثيرنتيجة لتنكرهالوعودهاللهاشميين- ومن ثم تزكيته تنصيب فيصل ملكا على العراق

وعبد الله اميرا على شرق الاردن ، وذلك حرصا منه على استرداد سمعة بلاده في المشرق العربي وما ان اخذ برأى نورنس حتى فقد ابنا الشريف اهتمامهما بوعود مكماهون ، وان يكونا قد ركزا على مسالة واحدة هي أن فلسطين قد وردت في وعود مكماهون،وبالتالي فان الانجليز ليسوا احرارا في ان يتبعوا فيها سياسة ممالئة للصهيونية . وتشبث العرب الفلسطينيون بدورهم بهذه الوعود ليؤكدوا حقهم في فلسطين . واشتد الجدل حول طبيعة الوعود التي تضمنتها المراسلات وحول تفسيراتها . ورفضت الحكومة البريطانية نشر الخطابات رسميا ، على اعتبار ان ذلك يتعارض مع المصلحة العامة ، مما غذى الشك في انهاكانت تحاول اخفاء امر مريب يستحسن عدم كشف اسراره . وازدادت شكوك الكتاب واعضاء البرلمان البريطانيين الذين ناصروا القضية العربية ، والموظفين والدبلوماسيين الذين اهتموا بشئون فلسطين والشرق الاوسط . ومن دلائل الشك والشعور بالذنب هذين ان وزير المستعمرات البريطاني - ملكولم مكدونالد - اخبر بن جوريون في سبتمبر ١٩٣٨ انه - بعد اطلاعه على مراسلات مكماهون « شعر بان العرب لم يعطوا فرصة عادلة فالوعود متناقضة ومن الممكن القول بان العرب قد وعدوا بفلسطين » . وبعد ذلك بشهرين قابل بن جوريون وزير المستعمرات الجديد لورد لويد الذي كان واضحا وقاطعا حين صرح له بما يلي : «لقد اعطينا اليهود والعرب تاكيدات متناقضة خلال الحرب . لقد بعنا نفس الجواد مرتين » !

وفي ٢٣ مارس ١٩٣٩ نشرت مراسلات الحسين- مكماهون في كتاب ابيض ، وذلك استجابة لطلب الوفود العربية الى مؤتمر المائدة المستديرة . ثم شكلت لجنة بريطانية - عربية لفحص الخطابات وتقديم تقرير عن معناها الدقيق . وادى نشر المراسلات الى اطلاع المسئولين البريطانين عليها (٢)، وان يكن ذلك لم يخفف الغموض والخلط بالمسالة ، فبقيت نزاهة الحكومة البريطانية - كما كانت - موضعا للشك .

نهاية المطاف

وفي الفصل الختامي يلخص المؤلف نظره ، محاولا ان يفند ما جاء في كتاب انطونيوس « يقظة العرب » الذي لا يزال النظر العربية فيما يتعلق بمراسلات مكماهون . واذا كان انطونيوس - ا الاصل - قد دافع عن الشريف حسين و العرب في اطار الموضوعية التاريخية،واتهم البريطانيين بالخداع والتامر ، فان الاسد يلقي بمسئولية ما حدث على مكماهون وكلايتون الذين يلمح الى تصرفهم على الا ان ذلك لا يتسق مع ما نعهده في الانجليز من انضباط والتزام بالتعليمات بحرية العمل في نطاق خطوطها العريضة فان المسئولية القصوى تقع على عاتق كبـ في لندن الذيناستهانوا بالعرب وبالحر وحاولوا ان يجمعوا بين المتناقضات ا يخرجون من الصفقة بنصيب الاسد . الى ذلك فان المؤلف يلمح الى انموظفـ البريطانية في لندن كانوا قليلي الاط الارشيف،وهو امر لايتفق مع ما نعهده من تنظيم وفي الوثائق البريطانية . وتبويب منتظمين بحيث يصعب ضيا وضعه في مكان بعيدعن تناول منيسهل عليه من المسئولين.ومنناحية ثالثة نج خدوري يحاول ان يعزو تصريح بعـ والكتاب الانجليز بشعورهم بالذنب ارضاء الرأي العام العربي في اواخر بسبب تلبد جو السياسة الدولية الحرب العالمية الثانية . ان هذا و اقتناع مؤرخ انجليزي كبير - مثل او منذ ذلك الوقت وحتى وفاته منذ اع العرب بوجه عام ، والفلسطينيين كانوا موضعا للظلم والخداع ... و قد اتيح لهان يطلع علىتفاصيل الوثـ

(٢) يذهب الدكتور « خدوري » الى ان كثيرا منالموظفين لم يسترشدوا بالرجوع الى الوثـ بل اخذوا ما جاء في كتاب « يقظة العرب » لجورجانطونيوس قضية مسلمة ،دون ان يرو

.. اعقاب الحرب العالمية الاولى حين كان موظفا بو. رة الخارجية البريطانية •

حقيقة ان الدكتور خدورى قد اجهد نفسه فى البحث فى الوثائق الاصلية ـ انجليزية وفرنسية ـ وفى محاولة ضبطها ومضاهاتها بعضها ببعض ـ الا انه فى دراسته قد ابتعد كثيرا عن الاطار العام للموضوع • فهو لم يتناول بالتفصيل دور هذه الوثائق فى علاقات بريطانيا بكل من العرب والفرنسيين والصهيونيين ، كما لم ينجح فى حل « لغز » المراسلات برغم الجهد الضخم الذى بذله فى مجال الدراسة الوثائقية • وتفسيراته فى هذا المجال تتعارض مع النقد الذاتى الذى نلمسه لدى كثير من المؤرخين البريطانيين ، من امثال اليزابيث مونرو ،وانوليمز ـ ممنربطوا بينانهيار الاستعمار البريطانى فى العالم العربى ، وبين الخدعة الكبرى التىاقترفها المسئولون الانجليزخلالالحرب العالمية الاولى وفى اعقابها • ذلك ان نفسير تاريخ الامبريالية البريطانية وغير البريطانية من ثنايا الاوراق الرسمية وحدها لا يعطى الصورة الكاملة لما حدث : اذ ثمة احداثا ضمنية يفهمها كلالفريق الذى يتولى تخطيط السياسة البريطانية وتنفيذها: ملخصها ان بريطانيا تود ان ترث الامبراطورية العثمانية فى المشرق العربى وحدها ان امكن ، وبالاشتراك مع فرنسا اذا ثبتت استحالة الانفراد• «والغاية تبرر الوسيلة ، فى العصر الاستعمارى ، ولا بأس فى خداع الصديق ، والغدر بالحليف ، مادام كل ذلك يخدم التوسع القومى على حساب الاخرين ! !

واذا كان الدكتور خدورىيحاول ان يحملالحسين قسطا منالمسئوليةيفوق ما يمكن ان يتحملهبالفعل، واذا كانانطونيوسوغيره يحاولون انيظهروا بمظهر الضحية ـ فان السياق التاريخى لا يحتمل التطرف فى هذا الراى او ذاك ••• اذ ان المد الامبريالى هو الذى يفسر كل ما حدث ، وليست مراسلات الحسين ـ مكماهون هى النموذج الفريد لغدر الامبرياليين •

احمد عبد الرحيم مصطفى

كتب جديدة

البترول ومعالم النظام المالى فىالكويت •

تاليف : الدكتور زين العابدين ناصر

الناشر : جامعة الكويت/ الكويت

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة والبحث صورة الاوضاع المالية بالكويت من خلال دراسة ايراد الدولة من النفط باعتباره محور الارتكاز الذى تدور حوله كل مظاهر انشطة الدولة فى الكويت الامر الذى دعا المؤلف الى بحث التطور التاريخى للصراع على بترول المنطقة وكيف آلت الثروة النفطية الى اهلها وطبيعة الانعكاسات ثم الارتباطات التى ترتبت عليها ، ثم الارتباطات التى ظهرت بين هذا المورد الاساسى الهام وهيكل الدولة المالى من خلال دراسة الاتجاهات العامة لميزانيتها العامة سواء من حيث توزيع اوجهالايرادات او النفقات العامةعلى المظاهر المختلفة لتدخل الدولة فىكافة الميادين •

واذا كان من الاهمية بمكان ان تحكم قواعد الربط بين الاجهزة المالية والاقتصادية من جانب وباقى الاجهزة الاخرى سواء ما يتناول منها الحياة الادارية او السياسية او الاجتماعية من جانب آخر فان السؤال الذى يطرح نفسهيدور حول عنصرين هامين يعتبران محور الارتكاز فى بحثنا هذا حيث يتناول المؤلف بالتحليل الايراد من البترول باعتباره من أهم صور الايرادات العامة المختلفة فى دولة الكويت ثم بيان اتجاهات النفقات العامة بها وكذلك اهم القواعد والاحكام التى تنظم الموازنة العامة للدولة وما يتصل بهذا الموضوع الاخير من دراسة للاساليب المتبعة فى دولة الكويت بالنسبة للرقابة المالية وقواعد اعداد حسابات الدولة الختامية •

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ أما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفـوز بواحـدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت «مسابقة العدد ٢٣١ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول يونيو (حزيران) ١٩٧٨ ٠

اثنان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم فيلسوف العرب ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم اديب عباسي شهير ٠

الكلمات الأفقية :

(١) في الزجاجة ـ مالوف ٠

(٢) من المكاييل ـ العصر الحجري القديم ٠

(٣) ارتفع ـ يدفع بعيدا ـ من البهارات ٠

(٤) اسامني ـ في الجهاز الدوري ـ حرفان متشابهان ٠

(٥) نصف كلمة (نواح) ـ لاهي ـ مصاعب شديدة ٠

(٦) اجدادي ـ حيوانات ـ نصف كلمة (كونت)٠

(٧) يرجع ـ سخاء ـ تصدت ٠

(٨) فيلسوف العرب ٠

(٩) من الاحجار الكريمة ـ من الفواكه ـ عليل

(١٠) الكراهية ـ شجاعة ـ شاق ٠

(١١) لاذ ـ الفزع ـ يعتزم ٠

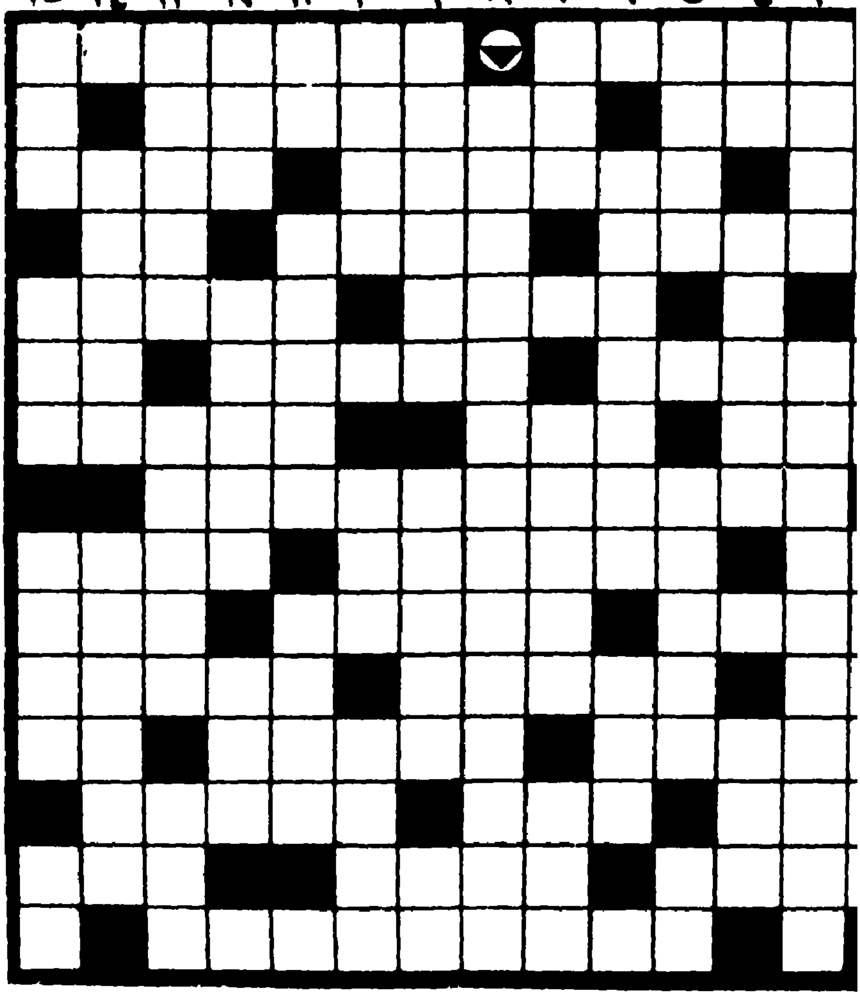
(١٢) اشرحها ـ قبيلة عربية شهيرة ـ برد ٠

(١٣) كاتب الماني شهير ومؤلف فاوست ـ تجده في (صارم) ـ كذب ٠

(١٤) اوكله ـ من الاصداف البحرية ـ حرف عطف ٠

(١٥) سلطان مصري انتصر على التتار في عين جالوت ٠

١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣



سية :

آلة موسيقية ـ دولة افريقية •
تساعا ـ فوق العيون •
مكتشف البكتيريا •
ميقى ـ من البرمائيات ـ حاف •
رفع امره الى المحكمة ـ نصـف
•
ناصر شيوعا على وجه الارض بعد
ـ ابجدى •
آلة موسيقية شعبية ـ اصـــر •
اسى شهير •

(٩) مجله عربية ثقافية ـ كاويه ـ لمظة ضيق•

(١٠) الاسم الاول لرئيس افريقى ـ خمول ـ يعلل •

(١١) نصف كلمة (توزع) ـ طيور منزلية ـ سهلة •

(١٢) ينقل الخبر السعيد ـ يسامر ـ حضـت على التجنب •

(١٣) شهر شمسى ـ عاصمة عربية ـ من الطيور•

(١٤) من المحاصيل الزراعية ـ يمنعنا •

(١٥) يعظم ـ من الفاكهة ـ كفيف ـ حرفـان متشابهان •

كوبون مسابقة

أديب عربي من المهجر

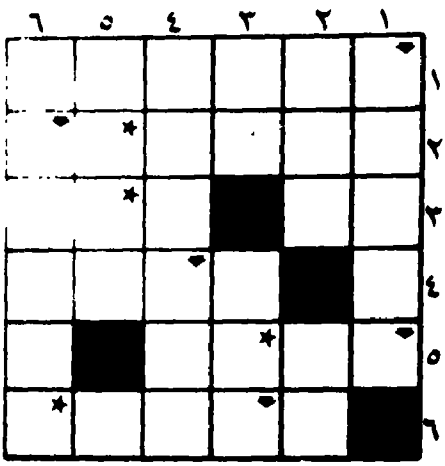
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لاديب عربى من المهجر • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه •

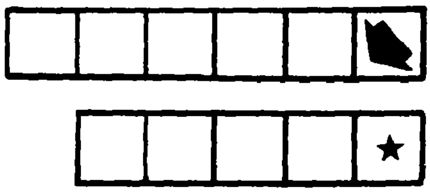
الكلمات الافقية :

(١) من الثمار •
(٢) اتباهى •
(٣) شاطىء ـ تجدها فى كلمة (ديار) •
(٤) اسم منطاد شهير •
(٥) نرتفع •
(٦) موسيقار عالمى شهير •

الكلمات الرأسية :

(١) دولة افريقية •
(٢) فى الكمان ـ نصف كلمة (عهود) •
(٣) نقل خبرا سعيدا ـ سقطا •
(٤) قارون •
(٥) من الاشجار •
(٦) مضيق معروف •





استاذ نبيه يسال :

كم يوما تخلف ابناء القبيلة الكسالـى ؟ •

فى الجزيرة النائية ، كان زعيم القبيلةمغرما باقامة تماثيل له فى أنحاء الجزيره • ومن اجل ان يغرى ابناء القبيلة على العملفى اقامة هذه التماثيل ، قال انه سيدفع خمس قطع من النقود المحلية لكل عامل فـىاليوم • ففرح ابناء القبيلة ، وهموا بالتحرك فى حماس للبدء فى العمل ، لكنه استوقفهمقائلا : « ولكن ! • مقابل هذا قررت غرامة على من يتخلف يوما قـدرها سبع قطـع مـن لنقود » •

عندما انصرف ابناء القبيلة ، ضحـكالزعيم وقال لنفسه : انا اعرفهم جيدا •• واعرف كسلهم •• لن يقبضوا منى قطعــةنقود واحدة ! •

وحدث مـا توقعه الزعيم ، عملوا أيـاما وتخلفوا أياما اخرى •• وعند الحسابالختامى، لم يقبض اى منهم شيئا • فما عدد الايـــامالتى تخلفوها من مجموع الايام البالغ ٢٤ يوما ؟ ••

الحلول

النجمة والسهم : جبران خليل •

الشكل المطلوب :

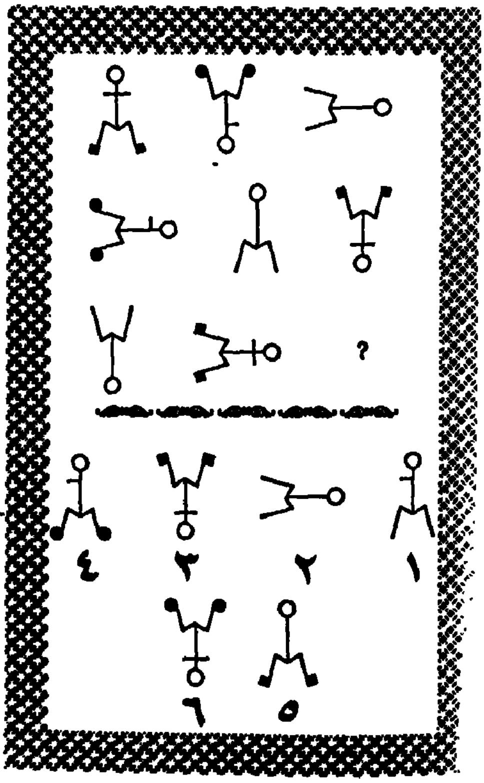
الشكل المطلوب هو رقم ٤ •

استاذ نبيه يسأل :

عمل كل من ابناء القبيلة ١٤ يـوم فكسب كل واحد منهم ٧٠ قطعة معدنية • تخلف كل منهم ١٠ ايام فخسر ٧٠ قطعة ، وهكذا لـم يدفع الزعيم شيئا •

الشكل المطلوب

● من دراسات الاشكال التى فى الصفين العلويين والعلاقات التى بينها ، حاول أن نعرف إى الاشكال ذات الارقام يجب أن يحل محل علامة الاستفهام •



مِنَ المسرح العَالَمِيّ

وزارة الإعلام في الكويت

اول ابريل ١٩٧٨

١٠٣

عطيل

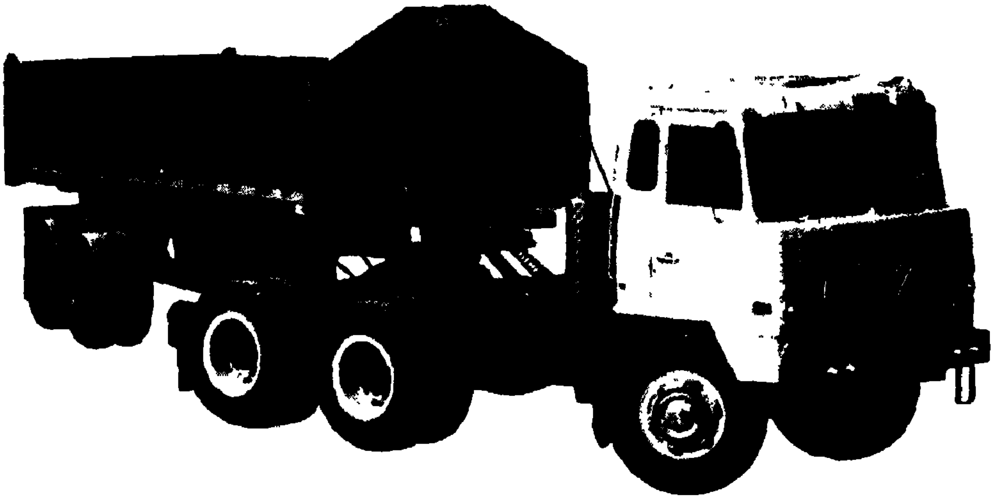
تأليف : وليم شكسبير
تقديم : ا . س . برادلي
ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا

فودن

جرار سوبر هولماستر
متانة معتمدة، قوة واداء

. جرار سوبر هولماستر، ٦٥ طنا، وحدة فودن بثلاثة محاور، صمم للقيام باعمال النقل والانشاء الاكثر صعوبة، في اي مكان من العالم، جرت هندسته ليكون ذا اعتمادية كاملة حتى في اقسى ظروف التشغيل.

هيكل متين، ساقة محورية قدرها ٤٠ طنا، محرك كمنز NTCE 290، صندوق تروس فودن ذو ٨ سرعات، وعربة نقل منخفضة بادارة مزدوجة، بالاضافة الى حجرة لضبط الميل مصنوعة من الفولاذ لتأمين راحة ممتازة للسائق واقصى امكانية وصول – تلك هي الخصائص التي توفر القوة والاداء لجرار فودن



Fodens

الرجاء ان ترسلوا لي التفاصيل عن جرار فودن هولماستر اكسبورت رايح

Export Sales Manager
Fodens Limited
Elworth Works Sandbach
Cheshire England
Telephone 09-367 3244

الاسم ______________________
الوظيفة ______________________
الشركة ______________________
العنوان ______________________
____
للتشغيل في ______________________



فكّـــــر...

إن سعر الشراء مهم ولكنه ليس كل شيء. فكر بكافة التكاليف التي تنفق طوال عمر الرافعة الآلية لكي تستطيع تقرير ما هو الأنفع لك: تكاليف التشغيل بما فيها قطع التبديل والتصليح، كلفة ساعات التعطل عن العمل وتأثير التغير في السعر إذا رغبت ببيع الآلة.

تتصف رافعات الكاتربلر ببساطة الصيانة مما يسهل تنفيذها، فهي مصممة بحيث لا تتضمن إلا الحد الأدنى من نقاط الفحص، وتجمّع هذه النقاط سوية كلما أمكن ذلك مما يسهل الوصول السريع اليها كلها. وهذا كله يوفر أموالك على المدى الطويل كما أنك لا تتعرض للخسارة أثناء انتظار وصول قطع التبديل أو نتيجة اضطرارك لتخزين هذه القطع. فموزعو كاتربلر يهدفون إلى توفير مخزون من القطع التي قد تحتاج اليها ويعني ذلك بالنسبة لك استثمار أموال أقل وتخفيض ساعات التوقف عن العمل.

وإلى جانب ذلك فان موزعي كاتربلر يقدمون برامجا خاصا بمنع تعطل الآلية عن طريق اكتشاف المشاكل المحتملة قبل حدوثها. وكل ذلك جزء من خدمات «كات بلس»، وهي برنامج الدعم الشامل المعد لمساعدتك لتحقيق أفضل مردود مما تنفقه من مال في استثمارك للعربات الرافعة.

فكر بالصورة الاجمالية قبل أن تتخذ القرار - الرافعة المناسبة ذات الكلفة الأجمالية المنخفضة

يوجد ٤٦ نوعا مختلفا تتراوح قدراتها بين ١٠٠٠ و ٢٧,٣٠٠ كغ.
وهي تعمل على الكهرباء أو الديزل أو البنزين أو الغاز النفطي المميع

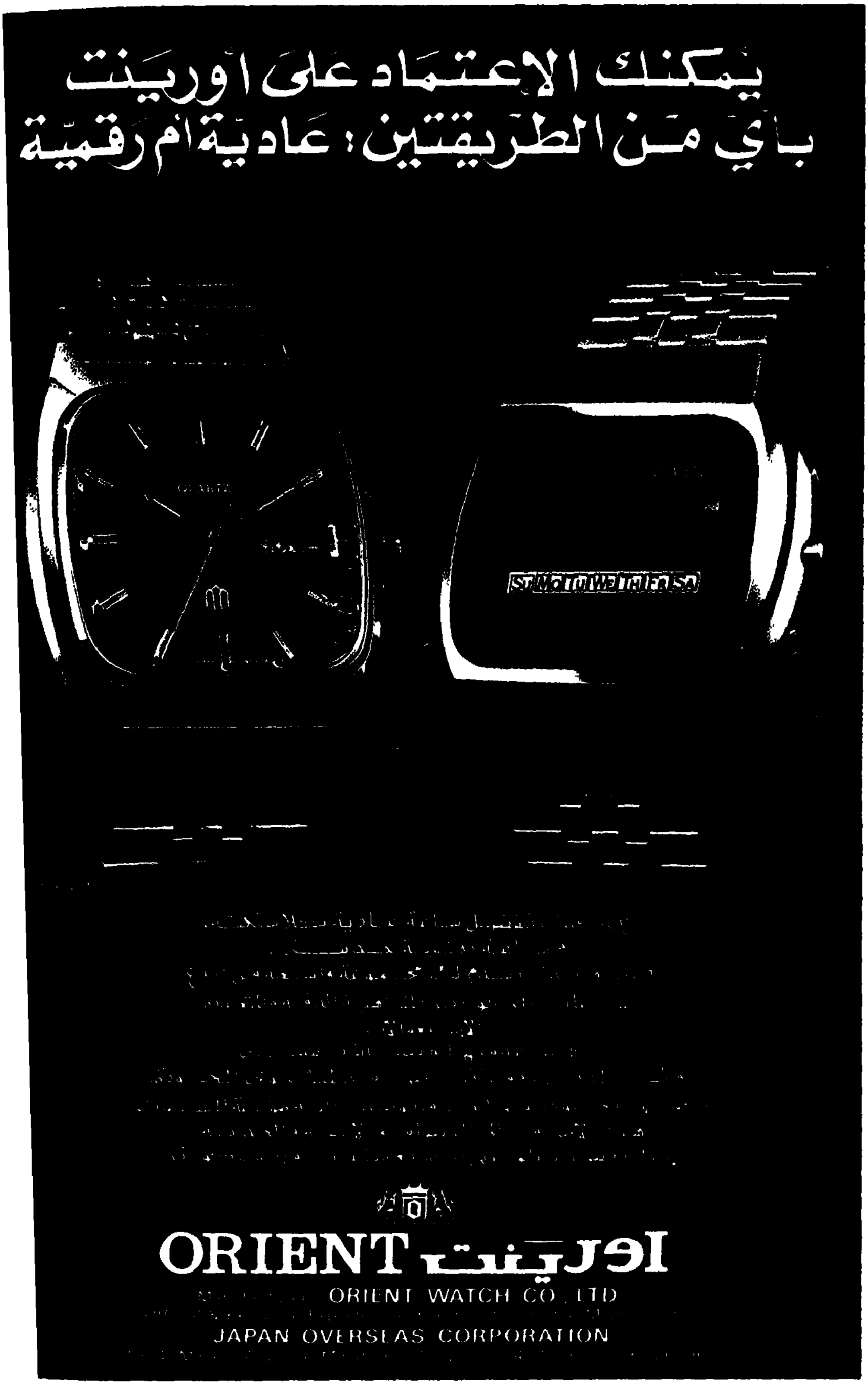
ابو ظبي: محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ٤٤١، ابو ظبي الامارات العربية المتحدة هاتف ٨٧ البحرين: محمد عبد الرحمن البحر، ص ب ٥٣٥٢، المنامة هاتف ٧ ٧١٣٦ دبي: محمد عبد الرحمن ص ب ١١٧٠، الدبره، الامارات العربية المتحدة هاتف ٢٥٥ ٦ الأردن: الشركة الاردنية للمعدات المحدودة، ص ب ٣١٣، عمان، هاتف ٣٨٣٦٣/٦٤/٦٥ الكويت: محمد عبد الرحمن ص ب ١٤٨، الكويت هاتف ٨٥٥/٥٦ ٨١ الجمهورية العربية الليبية: الشركة العامة للآلات واللوازم الزراعية (مصحح) ص ب ٣٢٤، طرابلس هاتف ٣٠٣٤٤ فرع بنغازي ٩٢٣٢٩ مانبراك - ١٨ شارع امين فكري، محطة الرمل، الاسكندرية، مصر، هاتف ٩٩٩٥ ٣٨٩٤٣/٨ عمان: الواحة للتجارة والمعدات ص ب ١٠٠٢ مطرح، مسقط هاتف ٢١٩ قطر: محمد عبد الرحمن ص ب ٢١٧١ الدوحة هاتف ٢٥٩١٩ المملكة العربية السعودية: شركة زاهد للجرارات والآلات المحدودة، ص ب ٨ ١٥، جدة هاتف ٧٦٣٦٦ الفروع: الدمام - ٢٢٥٩٤، الرياض ٨ سوريا: م. عرب الجلاد واولاده، ص ب ٢٣ دمشق هاتف ٣٢١ ٥٥ ويوجد فرع في حلب مؤسسة ب. برسس ص. ب. ٩١ شارع قرطاجنة، تونس هاتف ٥٧٧ ٢٥٦ الجمهورية العربية اليمنية: شركة يهامة التجارية المحدودة ص ب ٣٣٣٧، الحديدة هاتف ٢٤٠٦ يوجد فرع في صنعاء

CATERPILLAR

إن CATERPILLAR و CAT و ■ ماركات تجارية مسجلة عائدة لشركة جرارات كاتربلر


وست انذ
WEST END WATCH Co
W
SWISS
ساعات العصر الحديث
WED
الوكيل العام
يونيبرس
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص ب : ٣٣٤ - تلفون : ٤٣٢٥٨٥




يمكنك الاعتماد على اورينت
بأي من الطريقتين: عادية ام رقمية
ST MO TU WE TH FR SA
ORIENT اورينت
ORIENT WATCH CO., LTD
JAPAN OVERSEAS CORPORATION

عزيزي القارئ

بدات الكويت منذ اسابيع قليلة تطبيق نظام التجنيد الالزامي ، لاول مرة في تاريخ الجزيرة العربية ، وهو حدث له قيمته الكبيرة ، ودلالته الاهم والاكبر • ذلك ان دعوة شباب الكويت ، الذين يبلغون سنا معينة ، الى الانخراط في سلك الجندية ، ايا كانت اوضاعهم العائلية والمادية ، هو خطوة بالغة الجراة ، اذا تصورنا عمق تاثير هذه الاوضاع فى المجتمعات العربية التى تعيش فى هذه المنطقة •

وان تتحقق هذه الخطوة ، مجرد ان تبدا ولو بدايات متعثرة وبطيئة ـ وهو امر منطقي وطبيعي ـ فان ذلك يعني في الحقيقة انالكويت ماضية على طريق بناء الدولة العصرية . التى تسعى لتحقيق الموازنة المستمرة بين حقوق الافراد والتزاماتهم •

ذلك ان الجندية ليست فقط سبيلا الى الذود عن الاوطان والدفاع عن حدودها ضد اى عدوان ، ولكنها « قيمة » ترمز الى الاستعداد لدفع ضريبة الدم من اجل هذه الاوطان • وهى « مدرسة » تخرج اجيالا تدرك معنى هذه القيمة وتتمرس على السلوك المنضبط والجاد ، الذى به تبنى الاوطان وتتقدم •

ولسنا بحاجة الى أن نذكر ما يمكن أن يضيفه ذلك الى القوة العربية ، فدور الكويت واسهاماتها فى هذا المجال غنى عن الذكر ، ورجالها الذين استشهدوا على جبهة القناة اثناء معارك اكتوبر ، نموذج يجسد هذه الحقيقة • لكننا فقط نقول ان قوة الجسد العربى هى من قوة مكوناته وكل قطعة فيه • وتقدم الامة العربية هو محصلة جهد كل دولة فى سعيها لتحقيق هذا التقدم •

وما جرى فى الكويت هو بكل المقاييس والمعايير خطوة الى الامام •

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

عروبة :

سياسة واقتصاد :

شخصيات :

قضايا حيوية :

استطلاعات :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 235 June 1978 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »
الاعــــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف :

● الوجه من بنجلاديش والأداء لرقصة شعبية ، تعبر عن « بنت البلد» البسيطة والفقيرة ، التي لاتجد غير هذه الآنية الفخارية المزخرفة لتحملها فوق راسها ، وتعبر بها عن واقع هذا البلـد الفقير •• ولكـن هذا ليس الا احد وجوه بنجلاديش ، التي يرصد معالمها العادة والقاسية استطلاع الشهر على الصفحات (٦٨ ـ ٩١) •

فنون:

طب وعلوم :

قصص :

دراسة الشهر :

ركن الاسرة والمرأة :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائـر ٢٫٥ دينار • المـغرب ٢٫٥ درهم • اليمن ٢٫٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهـما • جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •
٢ ـ مؤسسة توزيع الاخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •
« للمشتركين في جمهورية مصر العربية »

حديث الشهر

جان جاك روسو

العالم يحتفل بمرور قرنين على وفاتهم

فولتير : اعظم صحفى حتى هذا الزمان !

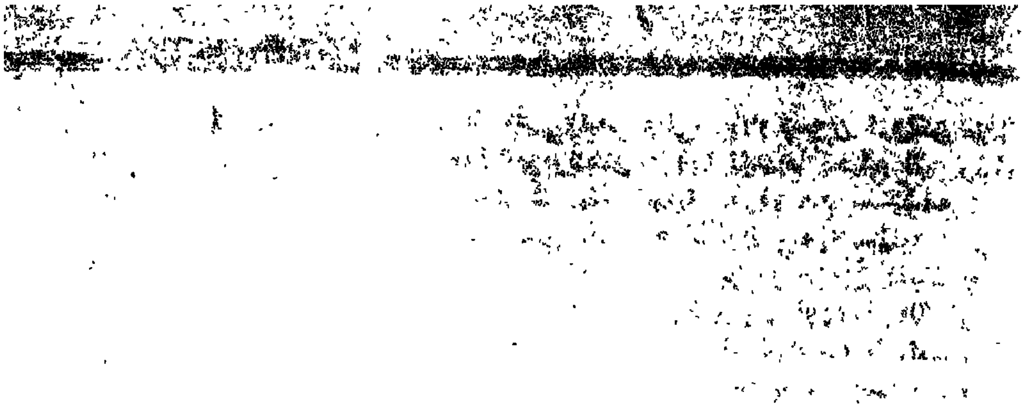
● تحتفل فرنسا طوال السنة كلها ، بمرور مائتى على وفاة اثنين من اعظم ابناء وابناء الانسانية كلها، ومن اجل ذلك فان الاحتفال بهما عالمي، وليس فرنسيا فقط

فولتير ، الذى مات فى ٣٠ مايو ١٧٧٨

وجان جاك روسو ، الذى مات فى ٢ يوليو ١٧٧٨

فربما لم يبق من لويس الرابع عشر ـ الذى كانوا يلقبونه « بالملك الشمس » سوى قصر فرساى بل وربما لم يبق من نابليون بونابرت، الا آثار فتوحاته وحروبه، وقانونه المدنى ، واسس للدولة الفرنسية لم تتغير بعد .

اما فولتير وجان جاك روسو ، فباسم افكارهما قامت الثورة الفرنسية الكبرى التى ما تزال من اهم احداث اوروبا وتحت راية آرائهما فتحت اوروبا ذراعيها لفتوحات نابليون . وقد انتهت الثورة الرابعة وانتهى نابليون وعاد لويس الثامن عشر الى فرنسا ، كآخر البوربون ، ولكن ما لبث ان زال واستقرت فرنسا او بدأت [illegible] الحديثة من كلمات روسو وفولتير . ولان اسلحة روسو وفولتير لم تكن جيوشا [illegible] ولكنها كانت افكارا تهاجر وتسافر وتستقر فى النفوس والعقول [illegible] طوال قرنين من الزمان على هذا النحو تؤثر فى العقول وتلهب النفوس



وفولتير

بقلم : أحمد بهاء الدين

في شتى اقطار الارض . وقد كان نابليون رجل السيف ، هو الذى قال : فى العالم قوتان ، الروح والسيف ، والروح دائما غالبة .

واذاكانت سمات العصر الحديث التقدم العلمي الذى نراه، فان هذا التقدم العلمي نابع من سيادة قيم اجتماعية معينة، لم يكن ممكنا للعلم ان يزدهر الا في ظلها . واذا كانت هذه القيم هي الديمقراطية وحرية الفكر واحترام العقل، والاحتكام للقوانين، فان معظم هذه الافكار - التى ولدت مع الانسان ، وتكرر تأكيدها باشكال شتى في حضارات مختلفة ، الا انها منسوبة في العصر الحديث الى آباء معروفين ، يأتى في مقدمتهم فولتير ، وجان جاك روسو . .

والحديث عن جان جاك روسو امــره هين . فهذا الرجل الرومانتيكى الحالم ، الذى تصدق كان دون كيشوت لاصـلاح العالم من كل امراضه، والمتور على الظلم العاسم للانسانية ، ليس مــن العسـير تقييمه ولا تحليل افكاره . . .

فقد نادى بالعودة الى الطبيعة ، وبان يعود الناس الى صياغة « عقد اجتماعى » جديد ، يزيل عنه آثار ما فعلته السنين من تفاوت بين قوى وضعيف وظالم ومظلوم . فكر ومنطلق حالم . . . وافكار بسيطة غير معقدة . هى بالطبع لا تناسب الدنيا المعقدة والتاريخ المعقد والانــسان ذلك الكائن المركب . فهى بهذا المعنى ليست حلولا ولكن احيانا يكون للكلمات البسيطة والدعوات البريئة وقع الرعد واعمــق الاثر ، فهى ببراءتها وصدق نبرتها تشعر المجتمع بدرجة المظالم التى يرتكبها . وهى ببساطتها تكشف للعقل الانسانى فجاة عن سخافة الكثير مما هو غارق فيه

هل هناك ابسط من الهواء الصافي المنقي المليء بالاوكسجين ؟ ولكن ما اكثر ما يفتقد المرء في حشايا المدنية هذا الهواء الطلق • وما اشد ما تحتاج اليه رئتاه • وما اعظم المتعه التى ينالها حين يقف في بيئة طبيعية عذراء •• يستنشقه !

كانت كلمات الحرية والمساواة والحق والعدل والقانون ، والانسانية ، كانت هذه الكلمات التى صارت الان بديهيات ، كانت قبل قرنين من الزمان كلمات جديدة، لها رنين غريب ، نسيته الانسانيه منذ ازمان بعيدة ، وفي اوروبا بالذات ، حين قام عصر النهضة الحديثة ، كانت العصور الوسطى قد داست هذه الكلمات تحت سنابك الخيل ، ومزقتها تحت اقدام النبلاء ، واغتالتها فى ظلام العصور الوسطى تحت اضطهاد عقلي ثقيل من الكنيسة •

ولم تكن هناك محن ، ولا احزاب ، ولا مؤسسات ، فكان من يتصدر لهذا كله يتصدر له بنفسه •• بمفرده •• بصدره العارى •• فكان خصوصا أزاء الكنيسة ينطوى على شجاعة خارقة • والقتل وضرب الاعناق والحرق حتى الموت مازالت اشياء قريبة للاذهان وممكنة •••

ولذلك كانت الكلمات البسيطة ، اذا كتبت بمثل حماسة جان جاك روسو المضطرمة ، واسلوبه الاخاذ ، تدوى في آذان البشر ، وكانها توقظهم من حلم ثقيل وتنبههم الى انهم بشر :

« لقد ولد الانسان حرا ، ولكنه مقيد بالاغلال في كل مكان • وقد يظن احدهم انه سيد على الاخرين ، ولكنه في الواقع اكثر عبودية منهم • كيف حدث هذا التحول ؟ وما الذى يجعله شرعيا ؟ »

« ان النظام الاجتماعي هو الاساس المقدس لكل الحقوق »

« فاذا اخذنا القوة كمصدر لذلك •فان اقوى الاقوياء لن يقوى على ان يكون سيدا ، الا اذا ترجم قوته الى حق،وخضوع الاخرين الى واجب • ولكن القوة سلطة مادية • وليست اخلاقية • والخضوع للقوة فعل اضطرار ، وليس فعل ارادة • فكيف يمكن ان يصبح هذا الخضوع «واجبا» ؟••

« ان القوة لا تخلق الشرعية • والناس ليسوا ملزمين بالطاعة الا للقوة الشرعية• وحيث أنه لا يوجد انسان له حق طبيعي في ان يسيطر على غيره، اذن فلابد أن نستنتج ان السلطة الشرعية لا يمكن أن تنبثق الا عن نوع من التعاقد من عقد اجتماعي بين البشر »

« هذا وحده هو الذى يجعلنا نرى علاقة بين حاكم وشعبه وليس بين سيد وعبيده»•

معان ليست جديدة ؟ فالتها الاديان من قبل ؟

قالها القرآن بافصح بيان؟ قالها محمد؟ قالها عمر بن الخطاب ؟••

ولكن هكذا الانسان • لا تلبث القيم الاساسية النبيلة ان تنسى وتطغى عليها المصالح وصراع الموت والحياة ، ومنذ مائة عام فقط حين وقف احمد عرابى في ميدان عرابى بالقاهرة يقول للخديوى توفيق «لقد ولدنا احرارا ولن نورث بعد اليوم» زلزت البراكين ، واحتل الانجليز مصر ثمانين عاما !

وقد كان الذى اطلقها فى اول عصر النهضة في اوروبا ، بعد ظلام العصور الوسطى هو جان جاك روسو • في زمن صارت الكنيسة فيه تحاكم ما فى الضمير، وتبيع صكوك الغفران وقطعا من الجنة • وحق السلطة الالهي • ونصف البشر عبيد أرقاء

ولم يكن يوجد في مواجهة هذا الا عقل يخاطب عقولا • ولذلك سمى العصر كله عصر سيادة العقل •

على أن سيد رجال عصر العقل جميعا، بغير منازع ، كان فولتير •••

وبقدر ما كان روسو بسيطا ، والكتابة عنه سهلة ، فقد كان فولتير معقدا

والكتابة عنه عسيرة ، وحتى الان وبعدمضي مائتي سنة على وفاته ما زال الكتا
يختصمـون فيه ، واحـد يراه فيلسوفـا وآخر يراه مهرجا ٠واحد يراه مناضلا وآ
يراه متزلفا ٠ وما زالت عملية اقتناص صورة حقيقية له ، مسالة تفلت من يد
كاتب ٠٠ فمن ناحيـة انتـاجه ، في أي فريـق يصنف فولتير ؟
هل هو مبشر اخلاقي ؟ هل هو مؤلف مسرحي؟ هل هو روائي ؟ هل هو فيلسو
هل هو كاتب مقالات ومشـارك في أول دائرة معارف ؟ ٠٠
لقد كتب فولتير كل هذا ، وبالعشرات، ونقاد كل فرع يضعونه في مقام الرا
الطليعي العبقري، ونقاد يرفضونه ويلفظونه من فرع الى فرع ٠ استاذ الفلسفة
يقول : ربما كان مسرحيا ٠ ودارس المسرح يقول : ربما كان روائيا ٠
ومن ناحية آرائه السياسية والاجتماعية هل كان مناضلا ضد الاستبداد والكنيس
هل كان على العكس من ذلك ملكيا ، مؤمنا بالاستبداد «المستنير»فحسب؟هل كان مناف
يتزلف للملوك ، ويداهن النبلاء، ويراسل الحكام والاباطرة ، ويعيش دسائس البلا
الامبراطوري هنا وهناك؟وينهى عن الثورة ويحتقر الجماهير او بالاحرى لا يراه
جديرة باعطائها مسئوليات السلطة ؟
لقد كتب فولتير فعلا كل هذه الاراء ٠دعا الى الثورة ، وحذر منها داعيا الم
والنبلاء الى الاصلاح ٠ دافع عن قضايا المواطنين في بسالة هائلة ، وكان ي
رواياته قبل نشرها في صالونات الاميرات والنبيلات ويراعي ملاحظاتهن ٠ ادخل
سجن الباستيل مرتين ، وعاش في بلاط فريدريك الاكبر ملك بروسيا ثلاث سنوا
ثم تشاجر معه، واهان الامبراطور وهرب ٠ وقبض عليه في فرانكفورت ، واهين ،
اطلق سراحه ، ثم عادت الصلة بينهمـا بالمراسلات ٠
هل كان مؤمنا أم ملحدا ؟ ٠٠ لقد اهتم باثبات انه مؤمن ٠ ولكنه كتب عش
المقالات في الالحاد ضد الكنيسة، بتوقيعات مستعارة ٠ وكانت مراسلاته الشهيرة
كاترين العظمى قيصرة روسيا تدور كلها علـى محاولة اقناعها بالغـاء نظام ا
وامتلاك الفلاحين مع الارض ٠ واقناعها بمحاربة الامبراطورية العثمانية وطـ
الاتراك المسلمين من أوروبا ٠ وكان يقول مع ذلك انني كاثوليكي فرنسي ٠ لو و
في انجلترا لكنت بروتستنتيا ولو ولدت في اسطنبول لكنت مسلما ! »
هل كان ذا وجهين او عشرة أوجه ؟ لقد كـان ضئيلا دميما فقيرا ٠ ولـكنه
اللسان وقادر على كسب الاعداء بصورة مذهلة ٠ وفي سن الرابعة والعشرين
قد اشتغل مع النبلاء ، ثم تشاجر معهم ثم سجنوه في الباستيل ثم اصدر روايـ
فاشلة ثم الف مسرحية اوديب فاصبح في سن الرابعة والعشرين اشهر اسم ادبي
فرنسا ٠ وعاش بعدها حتى سن الرابعة والثمانين ٠
وحين ادرك قيمة المال ،دخل في التجارة والمضاربات وعمليات قيل ان بعضه
يكن بريئا تماما ٠ ولكنه كون ثروة كبيرة ٠ استغنى بها عن النبلاء ، وعن الجمه
وبنى قصرا بين فرنسا وسويسرا ليهرب من مطاردة السلطات والخصوم الشخصيين
السواء ٠ ونفى نفسه عن باريس خمسة وعشرين سنة متصلة من شدة ما اثار
من موجات السخط والرضى والتحزب له والتحزب ضده والعداوات القوية والصد
القوية فلم يعد الى باريس التي تحتفل به اليوم الا قبل موته بشهور ٠ وقد
مريضا محطما انهكته جراح الكر والفـر والهجوم والتراجع والتقلب بين ايام ا
وايام الجحيم ٠
وكان بخيلا جدا ٠ لكنه كان يسخى الى آخر الحدود على الفنانين البؤساء و
على فرق تمثيلية صغيرة في زمن لم يكن لهذه الفنون اهل يرعونها ٠
هل كان متفائلا ام متشائما ؟ ٠٠ لعل هذا من اكبر الاسئلة التي حيرت المؤر

فهو ساخر دائما • والبعض يقول حاقدا دائما «اذا امسك بتلابيب اعظم العظماء لا يتركه الا مدمرا» شاكا فيما حوله • يرى مؤامرات تحاك لقتله واضطهاده ، لكثرة من قتلهم وسفك دماءهم بقلمه الجبار •

وهي سخرية ، نراها في صوره وتماثيله التي حفظها الزمن ، ويتأملها المرء فلا يعرف هل هو يضحك للدنيا ام هو يضحك من الدنيا • وهل يصدق المرء كلامه عن العالم الشريد ، ام دعوته في آخر أهم مؤلفاته « كانديه او التفاؤل » حيث يصل البطل بعد مقاساة كل الشرور الى ان خير ما يفعله الانسان « ان يعكف على زراعة حديقته الصغيرة » ••

حتى هذه العبارة البسيطة « ان يعكف كل انسان على زراعة حديقته الصغيرة »، هل هي مشاركة في بناء العالم ، ام هي ادارة ظهر لهذا العالم ؟ ••••

الواقع انني اغامر واقول اننا ازاء فولتير ، انما نجد ظاهرة في عالم الكتابة لا نظير لها •••

انه ليس فيلسوفا ولا مؤلفا مسرحيا ولا روائيا ولا اكاديميا بالمعنى المتفوق لاى كلمة من هذه الكلمات ، على الاقل بالقدر الذى يساوى شهرته وتاثيره طوال قرنين من الزمان ! اغامر واقول انه كان «الكاتب الصحفي الاعظم » حتى هذا الزمان •••

ففي زمن لم تكن فيه صحافة منتشرة ولا طباعة كتب ولا قراء بهذا الاتساع ، ولا راى عام بالمعنى المفهوم •• فى زمان كهذا ، كان فولتير بمثابة مؤسسة كاملة للاعلام والنشر والتثقيف والاثارة والجدل •• ناقلا كل هذه القضايا الى اوسع دائرة، نقلها اليها كاتب بمفرده فى مثل ذلك الزمان •••

نحن امام كاتب ، ترك لنا ما يقرب من مائة مؤلف ••• ما بين رواية ومسرحية ودراسة فلسفية وابحاث في السياسة والاجتماع والدين ونظم الحكم !

وربما اهم من ذلك رسائله التى كان يكتبها ، أو مراسلاته مع الملوك والاباطرة والحكام والمفكرين والاصدقاء فى كل انحاء اوروبا •• ويقدر ما بقى من مراسلاته بحوالى عشرين الف رسالة ، مكتوبة في حوالى ربع مليون صفحة ! وهذا هو المؤكد الباقى ، المنشور فى كتب ومجلدات !

ايمكن ان تقول جريدة اكثر من هذا ؟ ايمكن ان تصدر دار نشر مثل هذه الكمية ؟

ولكن تشبيهه « بالصحفى » الكاتب ، هل لمجرد الكمية ؟ ••• كلا ! •••

ولكن لفارق آخر جوهرى ، يخيل لى انه يمكن ان يكون المفتاح الذى يحل لنا متناقضات كثيرة في اعماله ، وترددات في آرائه ، وصعودا وهبوطا في حماسته •

فالفيلسوف ــ مثلا ــ يعكف على الفكر الفلسفي ويحاول اخضاع كل شيء لنظام فكرى معين • والفنان ينفق حياته ساعيا وراء الاتقان الفنى مع التعبير عن محتوى معين • واى واحد من هؤلاء يحتاج الى بطء فى الانتاج • الى فترة تخمر كافية ازاء كل حدث • بل كل مرحلة •

ولكن فولتير لم يكن كذلك • كان ضاربا بسيفه القاطع الحاد فى كل قضية ومشكلة وفى كل يوم وساعة • محاربا في كل الجبهات معا • محاولا ــ وهذا هو مربط الفرس ــ ان يقدم الحلول العملية الممكنة ازاء كل موقف يراه • وهذه ليست مهمة الفيلسوف ولا الفنان ولا الاديب • ولكن الصحفي يخضع كل ميوله وامكانياته فى هذه المجالات للتصدى للواقع ، ومعالجة الاحداث ، وتقديم الحلول ، فهو فى كر وفر ، وفى صراع دائم ، وفى تجارب تصيب وتخيب •

قال عنه ناقد متخصص في اعماله « كان مثل جهاز السيسموجراف الذى يرصد ادق الهزات الارضية ، ويتاثرت بها ، ويتجاوب معها » • وليس هناك هدف يمكن ان تصل اليه صحافة اسمى من هذا الهدف: هذه الحساسية ، الدقة ، وسرعة الرصد

والرد معا ! كان يعلب دورا « دنيويا » مائة فى المائة • لا نظريا ولا فكريا •
كانت قدراتــه الفلسفيـة والروائيـة والمسرحية والجدلية هائلة • ولكنه لـم يخضع نفسه لها ؛ بل اخضعها كلهـا للمواجهة الدنيا الحافلة بالمشاكل • استخدمها جميعا فى هدم نظام قديم واقامة نظـام جديد • حارب بها كلها • ونقل صوته الى كل الاسماع من ابعد الاباطرة الـى ابسط الناس • واستطاع ان يجعل اعظم شخصيات عصره مثل فردريك الاكبر فى برلين وكـاترين العظمى فى بطرسبرج (بينتجراد حاليا) يعتبرون انفسهم تلاميذله •••
فاذا لم تسعفه الكتب والمقالات ، ولاالرسائل ، وضاق صدر العالم عن احتمال جرأته على القيم القديمه، لجأ الى الكتابةوهو فى اوج مجده باسماء مستعارة ، ليقول مالا يستطيع ان يقوله باسمه الكبير الصريح !
هذا ، وما كان لهذا كله ان يجعلـه عظيما او مؤثرا الا اذاكان كل هذا النشاط الشيطانى ، تربطه افكار اساسية ،يحاول فى النهاية تثبيتها فى أساس النظام الجديد •
فهو رجل العقل فى الدرجة الاولى • وابرز مؤسسي عصر سيادة العقل •
وهو داعية الافكار الجديدة التى هى الحق • والقانون • والعدل • وقيمـة المواطن • بل ووصف الفرد بانه مواطن •
وهو الذى استخدم قدرته الفذة علـى السخرية « ليجعل كل الطغاة الكبـار فى تاريخ العالم •• صغارا »
وهو قبل كتاباته وتقلباته واساليبه ،وكره وفره ، ابرز من حطم سطوة الكنيسة على حرية الفكر ، وسطوة الارستقراطية على المواطن العادى •••
والغريب أن أكبر اسم يذكر كممهـد للثورة الفرنسية الدموية هو اسم فولتير• مع ان فولتير فى هذه النقطة بالذات كان معتدلا • كان تطوريا اكثر منه ثوريا • كان يعتقد ان تنوير الناس ، من الملوك الى المواطنين ممكن • وكان يخشى اطلاق عقال الجماهير من كل اسار • وقد حذر من ذلك • وهو ما حدث فى الثـورة ، لان التطور لم ياخذ مجراه كما يجب •
وان المرء ليتصور ان فولتير لو عاش لوقف ضد دموية الثورة بشدة ، ومع ذلك فان الثورة قامت بعد موته بعشر سنوات حاملة رايته بين راياتها الكثيرة • وكانت كاترين العظمى قيصرة روسيا تضـع تمثالا لفولتير من فرط تقديسها «لاستاذها» فلما اعدم لويس السادس عشر ومارى انطوانيت قامت وحطمت التمثال، واعتبرت الشيطان الذى مات قبـل عشر سنوات ،مسئولا ••
وكـان بعض ضحايا الثورة يقولون بيتين من الشعر

لقد سقطت على الارض ••	Je euis tomde a terre
وتمرغ انفى فى الرغام ••	Lo ner dens le ruissean
وهذه مسئولية فولتير	C.est ja faut a voltaire
ومسئولية روسو	C,est la faut a Roussean

كانت الاحداث اليمة ؟
ولكن اليس الذين لا يستمعون لصوت لفرنسا وللانسانية ، رغم كل شيء ••••
لقد فتح روسو وفولتير مستقبلا عظيما العقل ، فى الوقت المناسب ، مسئولين ؟••
ويروى اندريه مالرو فى كتابه « Auti-memo.re » ان ديجول قال له يوما : لقد تعود المثقفون ان يلعبوا اكبر دور فى تقدم فرنسا • بدأ هذا بفولتير وانتهى بفيكتور هيجو • ومنذ ذلك الـوقت تحول المثقفون الى كتاب عرائض ! ■■

احمد بهاء الدين



ما العمل عندما يصبح تعدادنا ٢٧٠ مليونا؟

مع .. المستقبل العربى

بقلم : الدكتور حافظ الجمالى

■ لست ادرى ان كان من الذائع والشائع بين الناس ، ان العرب كانوا يقدرون عام ١٩٧٣ بمئة وخمسة وثلاثين مليونا ، ولكن الاحصاءات التى تذكرها المصادر الدولية الموثوقة او المعتمدة،تذكر هذا الرقم الذى تعود بعض احصاءاته الى العام ١٩٧٢ ، والبعض الاخر الى العام ١٩٧٣ ، وكذلك لست ادرى ان كان من الذائع والشائع ان مصر كانت لاتزيد عن مليون ونصف المليون من السكان عام ١٨٠٠ ، وانها اصبحت عام ١٩٣٠ ، اربعة عشر مليونا،وانها قفزت الآن الى حدود الاربعين .

ويمكن ان نذكر ارقاما مماثلة عن سورية، التى كانت لا تتجاوز المليون ونصف المليون عام ١٩٢٠ واصبحت عام ١٩٧٤ فيما يشبه ضعف هذا الرقم، وانها ستصبحعام ١٩٨٠ فى حدود ال(٠٠٠ر٦٤٢ر٨) نسمة ، مما يعنى ان ستين سنة من عمر البلاد قفزت بارقام السكان وضاعفتها ست مرات تقريبا .

اما العراق ، فقد كان فى حدود الثلاثة ملايين عام ١٩٣٠ فقفز الى اكثر من ثمانية ملايين عام ١٩٦٥ ، ولا يقدر عدد السكان اليوم باقل من احد عشر مليونا .

لكن نسبة النمو مختلفة ، اذ انها ترتفع الى ال ٠٤٦ ٪ بالالف فى سورية ، وتهبط فى تونس الى حدود العشرين . وكذلك مصر حديثا★ ،فانهاعادت الى هذه النسبة الصافية ولكن نسبة الولادات العالية فى سورية ،ليست هى، تماما نسبة الزيادة الصافية ، بل ان الوفيات تختزلها قليلا ، وتردها الى نسبة ال ٠٣٦ ٪ ولعل هذه النسبة من اعلى النسب فى الوطن العربى وعلى سبيل التبسيط وحده،نذكر ان عدد سكان سورية ، منذ عام١٩٧٠ حتى الآن ، زاد بما لايقل عن مليونى نسمة .

ولكن السؤال الذى يخطر بالبال مباشرة هو التالى : ترى متى يصبح سكان الوطن العربى ضعف ماهم عليه،اى مئتين وسبعين مليونا بدلا من ١٣٥ مليونا؟والجواب الذى يقدمهعلماءالديموغرافياء هـو مـا يسمى بقـاعدة السبعـين ، وخلاصتهـا

★ يذكر ماكنمارا بعد زيارته الاخيرة لمصر ،التى تمت فى اواخر شهر يناير ان نسبة النمـو السكانى فى مصر هى فىحدود ٥٨ر٢٪ على حين انصحيفة الموند الباريسية ، ذكرت منذ مدة قريبة ان هذه النسبة هبطت الى حدود ال ٢٪ .

قسم هذا العدد الأخير علىنسبة النمو السكاني، نوية ، فاذا كانت هذه عشرين فقط ، فاننا جة الى ٣٥ سنة واذا كانت ٣٥ ، كما هى الحال سورية ، فاننا سنكون بحاجه الى عشرين سنة اعفة عدد السوريين ، مالم يطرأ تبدل مجهول ، ل السنوات القادمة ، مما لا يستطاع التنبؤ منذ الآن ، الا ان تجـربة السنوات الـكثيرة سية دلت على مثل هذا التضاعف ٠

ويعتبر هبوط نسبة النمو السكانى فى مصر الرقم ٢٠ بالالف او ٢ ٪ حادثا فريدا جدا ، يبا ايضا ، ذلك انها تعيش سنوات ما بعد ب ، وقد تفاجأ بحرب ٠ ويبدو ان فى قوانين بيعة ما يسلح الضعيف ببعض ادوات القوة ، ذا تزداد نسبة المواليد الذكور بعد الحروب تعوض عن المفقودين والقتلى فحسب ، بـــل لغ بعض الشيء فى هذا التعويض ٠ الا ان دة الموند الفرنسية نقلت اربع رسائل تصور اوضاع مصر العامة ، عادت جريدة السفير فى من اعدادها فى اواخر شهر يناير (٢٦ ــ ٢٧ او كانون الثاني)،وجاء فيها ان نسبة النمو كاني هبطت الى هذا الرقم ٠ وكذلك تونس ، ا هى الاخرى ، حدث من نموها الديموغرافى لته على مقاييس مصر ، او قل ان مصر جعلته المقاييس التونسية ٠

نسبة الفتيان العرب

لنعد الآن الى ارقامنا الاولى ، ارقام عامى ــ ٧٣ التى تقول ان عدد المواطنين العــــرب يدون عن ١٣٥ مليونا من الناس ، فاذا نحن نا ان كل الاقطار العربية ستهبط فى نموها النسبة المصرية او التونسيـــة ، وهى ادنى معروفة فى وطننا ، فلا شك اذن ان العرب دادون بما يعادل مئة مليون وثمانية ملايين ، فى آخر هذا القرن ، وسيكونون جملة المئتين وثلاثة واربعين مليونا،ويكفى ان ننتظر ٢٠٠٨ حتى يصبحوا مئتين وسبعين ٠

هنالك نواظم شتى لنمو السكان ، منها ان التزايد يتم بصورة فوق أسية ، تماما كما لو ت مبلغا فى المصرف بفائدة مركبة ، تزداد هى

الانفجار السكاني ٠ ومنها مايسمى بناظم الغذاء المتاح ، ومعنى ذلك ان الناس يتزايدون فى اى مكان،فى الحدود التى توفرها اراضيهم من الطعام والشراب ان لم يكن هنالك عائق طبيعى كالاوبئة والحروب ،او مصطنع كارادة تحديد النسل ،وهكذا فان العراق وسورية واليمن والمغرب والجزائر والسودان مدعوه الى تزايدكبير ، لن تكون نسبته أقل من ٢٧ بالالف ٠ ولهذا يمكن القول ان آخر هذا القرن او العام ٢٠٠٨ على ابعد تقدير ، هو الذى سيشهد أن الوطن العربى يمتلىء بمئتين وسبعين مليونا ، للتاهم على الاقل دون الخامسة والعشرين ، وكذلك المغرب فان للثى سكانه دون الخـامسة والعـشرين عـلـى مـاتقول موسوعـــة « اونيفرساليس » فـى العـدد السـنوى لعـــام ١٩٧٧ ٠

وهكذا يبدو شعبنا العربى فتيا جدا ، وحقا فان عابر الطريق فى بلادنا يلاحظ بوضوح ان نسبة الفتيان كبيرة ، والشيوخ قلائل ، وفى سورية ، لايتجاوز عدد من هو فى عمر الخمسين فما فوق ، نسبة الواحد من تسعة عشر ٠

ومع ان اوضح صور الانفجار السكاني تلاحظ فى البلاد المتخلفة ، فان هذا الانفجار عالمى النزعة، منذ بداية التاريخ ٠ ويقدر الاحصائيون ان سكان العالمعام ١٥٠٠ كانوا يتراوحون بين ٣٨٠ ــ ٤٣٠ مليونا من الناس ، اقل من سدسهم فـــى اوربا (*١٥ ٪ من سكان العالم*) ولقد بلغ سكان المعمورة مليارهم الاول عام ١٨٠٠ ، واحتاج الامر الى ١٣٠ سنة لنرى اضافة المليار الاخر ٠ لـــم احتاج المليار الثالث الى ثلاثين سنة اى عـــام ١٩٦٠ اما فى العام ١٩٧٤ ، فقد اصبح سكان العالم ٣٫٩ مليار ٠ اى ان العام ٢٠٠٠ سيصل الى جعل سكان الارض ستة مليارات ونصـــف المليار ،بانتظار ان يصبحوا ١٢ مليارا عـــام ٢٠٢٥ ٠

ولقد يكون من الخجل ان نفكر فى مثـــل هذا الموضوع ، بانفسنا وحدها ، لكن المثل يقول: ابدا بنفسك ، ثم باخيك ٠ واذا استطعنا نحـــن بانفسنا ، حل هذه المشكلة السكانية وما يترتب عليها من صور التنمية المختلفة ، زراعيا وصناعيا وكهربائيا وسكنيا وتعليميا ومائيا ، فان الـــل

الآخرين ، اذ يبدو ان دوائر الامم المتحدة تهتم به ، وتدرسه ،وتلاحظ المآسى التى قد يتخبط بها العالم ، اذا لم يسرع اغنياؤه الى نجدة فقرائه • ولكن هذا انما يتم على صعيد الامم المتحدة وحدها •

فى واد آخر

اما على صعيد الدولة المسؤولة ، والغنية منها خاصة ، فيكاد الانسان يظن أنها فى واد ، والامم المتحدة فى واد آخر • ولا تزال الدول الغنية سعيدة ، على ما يبدو ، فى ان تبقى هى وحدها سعيدة ، وان يكون الاخرون مجموعات ضخمة من الجياع ، والبؤساء ، والمرضى والجهلة• ولئن وجد فيلسوف يقول : ان البسمة لتتجمد على شفاهنا ، عندما نسمع بكاء الاخرين ، واننا لنخجل من فرحنا ، عندما يحزن الاخرون ، فانه ليبدو بوضوح أن هذا السلوك الفردى ، الشائع عادة ، لا يجد ما يقابله على الصعيد العام ، او الصعيد المسؤول • هنا البسمة كاملة ، وتزداد اتساعا ، وتملأ ما هو أكثر من الشدقين ، ويبحث بجهد مخلص عن ادامتها أطول مدة ممكنة ، وهكذا وجد بعض الخبثاء (والمغرضين بلا ريب) ـ الذين يؤولون زيارة كارتر الاخيرة لبعض بلاد اوروبا الغربية ، وغير اوروبا ، بالهدف اللامعلن ، هدف الابقاء على هذا الانشطار الكبير فى الدنيا ، أى انشطار الناس الى اقلية من الاغنياء ، واكثرية من الفقراء • وعندما نسمع مسؤولا امريكيا يقول: ان امكانية حصول العرب على ٥٠٠ مليار دولار كفوائض فى آخر هذا القرن أمر لا يحتمل ، وبالمقابل فان من المحتمل جدا ، والمرحب به أكبر ترحيب أن تقفز شركات البترول فى أرباحها من أربعة مليارات عام ٧٣ الى عشرة مليارات دولار عام ١٩٧٤ • ولا باس ان يدفع المستهلك ، وحتى الاوروبى نفسه ، ثمن اللتر ، كما يقال له أن يدفع ••• واكثر من ذلك لوما أن تطالب البلاد المنتجة بتخفيض اسعار البترول باستمرار ، وبتهديد ايضا ، ولكنى لم اسمع قط احدا طالب الشركات بتخفيض ارباحها • ويبدو أن احدا لم يسمع أن هذه الشركات كانت بائسة عندما كانت ارباحها أربعة مليارات ، فلماذا لا تكون اكثر سعادة الان ، وقد تضاعفت هذه الارباح مرتين ونصف المرة (١) •

غير ان هذا الكلام الاخير مجرد استطراد ، احب أن اعود منه الى الموضوع الاساسى ،والموضوع الان هو اننا سنصبح عام ٢٠٠٠ فى حدود المئتين وثلاثة واربعين مليونا ، وسنزداد بحدود ١٠٨ ملايين مواطن عربى جديد • فهل يقدر احد كم هو عدد الابنية التى ينبغى تشييدها لايوائهم • وعدد المدارس التى ستفتح لتعليمهم ، ومساحه الرقعة الزراعية التى ينبغى أن تضاف الى المزروع حاليا لاطعامهم ، وكمية الاقمشة التى يجب ان تنتج مجددا لالباسهم ؟ وطبعا لا ندخل فى حسابنا حاجات كمالية أخرى كربطات العنق من نوع كاردن أو ليونار ، أو كريستان ديور ، أو ايف سان لوران ، او جاكفات (أولم يفت) والعطور من نوع دوريسيمو او جاكومو او فيجى او فيفر ، او ما يشبه ذلك مما أنعم الله به على السعداء •

ولربما كان من الافضل ان نزيد فى التخصيص، وان نقف فى البحث على بلد واحد ، كسورية التى يدل كل شىء على انها ستصبح ثمانية عشر مليونا فى آخر هذا القرن ، واذا تواضعنا واسرفنا فى التقليص ، كنا بالضرورة تجاه ستة عشر مليونا ، أى ما يعادل ضعف سكان البلاد لهذا العام • هنا ايضا نحتاج الى تكرار الاسئلة نفسها ، والبحث عن جواب أو الاصح عمن يطرح هذا السؤال •

ولاقل انى شخصيا لم اجد او لم اصادف اى انسان طرح مثل هذا التساؤل • وقد نعثر فى صحفنا على كل شىء ، بدءا من المستحدث فى الازياء لربيع عام ١٩٧٨ ، الى التعليق الخطير او التافه على آخر التطورات السياسية فى المنطقة ، ولكن هذا الامر وحده ، اعنى مشكلات المستقبل الاكثر من واضحة ، يظل فى اطار الغموض والابهام والتجاهل ، حتى ليمكن الظن ان الناس لايعتقدون ابدا ، أنهم سيعيشون الى الغد ، بله الحياة الى آخر القرن •

---

(١) البترول فى الساحة العربية • جورج سركيس• بالفرنسية ، ص : ١٢١ وما بعدها •

ما لم تقم
، فاذا لم
، والاقرب
لى شخص
نون اليوم
، ولكـــن
وخالدان
ن المواطن
احد ، من
كلاتنا منذ

وقف الذى
١٩٣ ، لم
، ١٩٥٦ ،
يتضاعفون
ى مواطنى
، انهـــم
مما كانوا
٢١ر٦مليون
ين نسمة)•
يتضاعفون
موم حلّت
توقع له ،

ورة ، اذا
عن جماعة
ن من يقول
ر جهل بما
العام٢٠٠٠
ت التـــى
ستكون أربعة
والمعـدمين
كونوا كثرا
ن البشريـــة
، وستجده
وانه لامجال

للعودة الى المالتوسية القديمة او الجديدة ،لاسيما اذا لاحظنا ان العلم ماض الى الامام بسرعـــة متزايدة والبحوث متصلة لا تنقطع ، والحاجـــة الاكبر اليوم هى حافز اضافى لتسارع النمـــو العلمى ، فليس من الخير اذن ان نشغل بالنـــا بهموم سابقة لأوانها ، اذ لكل حادث حديث •

لسنا اقوياء فى الواقع

غير ان هذا الموقف يظل متخلفا ، ولو صـــدر عن متقدمين ، ذلك ان الدوائر المسؤولة رسميا عن مصير العالم ، كالامم المتحده ، ومنظمةالزراعة والاغذية ـ الفاو FAO ورجال نادى روما ، وامثالهم ، لا يفتاون يقدمون التقرير بعد التقرير، والدراسةبعد الدراسة(٢) منذرين بما يتهدد العالم من اخطار ، اذا لم ينتبه اهله لما سيحل بهم فى المستقبل القريب وما سيحل بوجه خاص بالامـــم المتخلفة التى لا تفتا الهوة بينها وبين الامم المتقدمة تزداد اتســاعا كانهما فرســا رهان ، ولكنهمـــا تتسابقان فى اتجاهين متقابلين او متعارضين ،بحيث تقول الواحدة للاخرى : انظرى لم اتقدم ،وتقول الثانية : انظرى كم اتخلف عنك • ولا اذكر الا على سبيل المثال حساب ميهاجلوزيرافيك ـ صاحب تقرير او كتاب « استراتيجية للغد » وهو التقرير الثانى المقدم الى نادى روما الذى يلاحظ ، طبقا لسيناريو تطور محتمل جدا ، ان الناتج الوطنى العام للامم المتقدمة سيكون عام ٢٠٢٥ ثمانيةالاف مليار دولار ، مقابل الفى مليار لكل الامم المتخلفة، اى ان ما هو سدس او اقل من سدس ســــكان الارض ، سيربحون اربعة امثال خمسة الاسداس الباقية ، وليس هذا بغريب قط اذا كنا نعرف ان الولايات المتحدة التى تقدر بنسبة ٦/ من سكان العالم ، تنفق ٣٥/ من الطاقة المتوفره فيه الان ، فضلا عن ان مستوى دخل الفرد فيها يزيد خمس عشرة مرة عن متوسط الدخل فى الوطن العربى •

والمشكلة الكبرى هنا ، هى ان العالم المتقدم مسلح باعظم العلم والتقنيات لمواجهة مشكلاته ـ وحقا ان نيكسون ، هو اول من تحدث رسميا عـــن

ن تقرير نشر منها بالعربية فى سورية تقرير ن أحدهما بعنوان
ان استراتيجية للغد •

ازمة الطاقة في العالم ـ وان العالم المتخلف مسلح هو الاخر ، ولكن باقل العلم ، وادنى التقنيات ، لا لحل مشكلاته او بعضها ، ولكن لزيادة تعقيدها احيانا ، والا فما الذى يجعل احد الاثنين يتقدم ، بمقدار او باكثر مما يتخلف الاخر ، ولا يعنى هذا ان العالم الفقير لا يتقدم ابدا ، ولكن يعنى ان خطوات المتقدمين اكبر واسرع ، مما يجعل الفارق بينهما متزايد الكبر • او لا يلاحظ كل منا ان معاملنا للزجاج او الاحذية او الاسمنت تربح بصورة ، وامثالها في البلاد المتقدمة تربح بصورة اخرى ، حتى ليمكن القول ، ان معاملنا تخسر دوما ، والاخرى تربح دوما ، او ان الربحية ضعيفة دوما عندنا ، كبيرة لدى الاخرين ، كان قرشنا ليس الا ثلث القرش في البلاد الذكية ؟ بل الا نلاحظ ان انشاء مشروع ما في بلادنا يكلفنا دوما اكثر مما يكلف في البلاد التي تقدمه لنا ؟

ولقد يقال اننا اغنياء بالعوائد البترولية • وحقا فان هذه بلغت لاول مره عام ١٩٧٤ رقما قياسيا بالنسبة للارقام السابقة ، فاصبحت في حدود ال ٦٢ مليار دولار ، ولكن لو اننا اضفنا الى الثروة الوطنية العادية ، لما ارتفع دخل العربي الى اكثر من ٧٤١ دولارا وبالمقابل فان صادرات المانيا الى الخارج في العام نفسه اربت على التسعين مليارا ، واربت صادرات اليابان عام ١٩٧٦ على الثمانين مليارا ، واذا عرفنا ان عوائد البترول العربي لم تعادل عام ٧٤ الا ٢٢٪ من موازنة امريكا و٥ من انتاجها العومي و ١٤٪ من انتاج اليابان ، وان مجرد وصل بلاد الخليج والسعودية واليمن بالبحر المتوسط ، بشبكة من المواصلات البرية يكلفنا مئة مليار دولار ، على ما يقوله كتاب البترول في الساحة العربية ، اذن لعرفنا ما هي ثروتنا اذا قيست بثروات الاقطار الغنية •

★ ★ ★

والخلاصة : ان مشكلة تزايد السكان في الدنيا مشكلة عالمية ، لنا منها نصيبنا ، وهو نصيب غير قليل بالقياس الينا لا سيما اذا جمع اليها ما نقاسيه من اسرائيل • ولا يمكن القول : ان العالم في كل زمان ، سيعرف كيف يحل مشكلاته بصورة تلقائية ، على مثال ما حدث في الماضي• ذلك ان الدنيا تبلغ حدا من الاشباع السكاني يتجاوز قدرتها على تلبية حاجاته من الطعام والشراب واللباس والطاقة • وكلما هبطنا في سلم الحضارة كانت مشكلاتنا اعظم ، ومخاطرها اكبر ، ومع ذلك فان الخطر الا بر ليس في وجود المشكلة ، خطيرة كانت ام غير خطيرة ، بل هو في عدم القدرة على تبني المشكلة ، وملاحظة ابعادها ، تماما كما لو انها غير موجودة •

وكل هذا ونحن في مشكلة واحدة ، هي مشكلة السكان ، فكيف اذا اضفنا اليها مشكلة كسب الحضارة ومشكلة اسرائيل ، ان لم نضف مشكلات اخرى ، من الف نوع ؟ ولئن صح في الماضي انهم كانوا يحلون مشكلاتهم بصورة عفوية ودون تفكير مسبق ، واعداد معقول ، فلا ريب ان حلولهم هذه هي التي ساقتنا الى عالم ، لا نظن انه كله زهر وورود ، بل ان من الناس من يظن ان اشواكه اكثر من وروده ، وحنظلة اكثر من عسله ، فهل يعقل ان نستسلم للعفوية مرة اخرى ، بعد ان تعقدت المشاكل تعقيدا كبيرا وبلغت اكثر من النقطة الحرجة ؟ انا اذن لاكثر من متفائلين ■■

دمشق ـ د• حافظ الجمالي

المستكشف !

● طور المهندسون في بانغور بشمال ويلز جهازا اليكترونيا يلصق بالخراف وبامكانه ان يكتشف التائه منها وتحديد مكانه بالضبط في الوقت الذى يجلس فيه راعيها بالقرب من نار دافئة •

أقوال معاصرة

■ ليست هناك رقابة قوية على الصحف في ايران ، لكننا نوجه الصحف الـى مــا هــو فى مصلحة البلاد ·

الشاه محمد رضا بهلوى

■ قال الجنرال عزرا وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلى انه لم يكن يعلم بان القنابل العنقودية التى استخدمت فى جنوب لبنان محرمه دوليا !

مجلة نيوزويك الامريكية

■ غريب امر هؤلاء الذين ينصحون اهالـــى الجنـــوب النازحين بالعودة الى مناطقهم · اننى اقول لهؤلاء لماذا لاتذهبوا معهم ؟

الزعيم اللبنانى ريمون اده



■ المظاهرات التى اندلعت فى مانيلا بعد اعلان نتائج الانتخابات كان يقودها أشخاص مخدرون !

الرئيس الفلبينى ماركوس فى مؤتمر صحفى



■ مراكز القوى التى تحكم امريكا لم تعد امريكية . والشعب الامريكى يحتاج اكثر من الشعب الفلسطينى الى من يعترف بحقوقه المشروعة ·

نزار قبانى

■ لاننا ندعم الفلسطينيين ، فقد اتهمونا بمساندة الارهاب الدولى ، وبعض العرب صدقوا هذا الزعم للاسف ·

الرئيس الليبى معمر القذافى



■ اشترى السويديون ٥٠٠ طفل من تايلاند فى عام ٧٧ ـ احصائية !

صحيفة « بانكوك » اليومية

■ يجب ان نكون مستعدين للرد على المطالب الموجهة الينا بكلمة واحدة ، صغيرة ، وعظيمة ، وهادئة ، هى « لا » ·

مناحيم بيجن رئيس وزراء اسرائيل

الصحة

هي المريض الأول في الوطن العربي !

بقلم : الدكتور سعيد عبده

طالما ظل هذا الجهل بحقيقة مشاكلنا الصحية ، فسنظل ناعمين بسكينة الجهل ، وتحت ظله الظليل .

■ حين اقارن بين الحالة الصحية لكثير من بلاد الشرق العربي الان وبين ما كانت عليه منذ خمسين عاما اجد بعض الظواهر الداعية للاستغراب ...

فالذى كان شائعا من الامراض بالامس لا يزال شائعا حتى الان !

والامراض التى كانت تقتل بالامس لا يزال كثير منها قاتلا حتى اليوم ، وربما بشيء طفيف من التغيير .

ولقد اضيف لقائمة الامراض البدنية قائمة اخر من الامراض العقلية لم يكن احد بالامس يول الكثير من الاهتمام ، فتنبهت لها السلطات الصح اليوم بقسط من الفزع والانكار ، دون اتخ

..ات فعالة لمنع بذورها من الانغراس اثناء الطفولة
عقول الاطفال .

ما التغيرات الصحية الضخمة التي حدثت في . من البلاد العربية فهي تنحصر في مجالين : ل : نقص وفيات الامهات والاطفال وما ترتب ، ذلك من زيادة في طول الاعمار ، ثم انهزام ن الامراض المعدية الخطرة ، التي امكن التغلب يها بالتحصين الاجباري كالجدري، او بالتغلب على ، العدوى فيها كما هو الحال في هزيمة الملاريا في ن البلدان .

ني : ميزانيات وزارات الصحة التي كانت تقدر البلد الواحد بعدة الوف من الجنيهات، تصاعدت اعلى باجنحة شياطين ، واستحالت ارقام ف فيها الى مئات الملايين ...

ح عن ذلك :

نافس كبير في اقامة المستشفيات الضخمة في دان العربية الغنية ، بزيادة هائلة في عدد رة ، وفي اجهزة التشخيص ومختبراته ، وفي سيب من المال المستهلك في شراء الالوف من ية والعقاقير .

، زيادة كبرى في انشاء عدد من المراكز الصحية الريف حتى لا يقال ان الخدمات الصحية رهن ن والعواصم، في حين يحرم منها الريف الشا، بية المواطنين ..

ساف الى ذلك اهتمام بالغ بالدعاية الصحية لف وسائل الاعلام ، ولا اقول التربية الصحية، الفارق بين الاثنين كالفارق بين سمكة وبين ، صياد !

ي المؤتمرات الطبية العربية ، وفي مؤتمرات ، الصحة وفي وزارات الصحة نفسها ، اخذت «الوقاية» تبرز ، محاطة بهالة من الضياء.. ان بعض وزارات الصحة في بعض البلدان بية ، عينت في مراكزها الصحية اطباء للوقاية ون بجوار زملائهم اطباء العلاج .

لوقاية والعلاج ـ كما سنرى ـ لا ينفصلان.

عملية اسكات !

ان اكثر ما يقال عن الوقايه ، واكثر ما يخصص لها كشيء مستقل عن الطب من نفقات ، لا يقصد به على قدر علمي وجه الله ، ولا وجه الصحة العامه ، اى صحة المجموع ، لا صحة القلة من الناس الذين يترددون على المستشفيات ولا وجه الطب الوقائي الحقيقي او طب المجتمع كما يجب ان يكون. وانما يقصد به اسكات الاصوات التي بدات تتعالى من هنا ومن هناك ، في المؤتمرات الطبية الدولية التي عقدت تارة في طهران ، وتارة في بغداد وتارة في القاهرة واخرى بالاسكندرية او في الخرطوم ، داعية الى وجوب تطوير التعليم الطبي ، وبعبارة اصح تطوير من تنتجهم الكليات الطبية من اطباء علاجيين الى اطباء مجتمع ، يواجهون الحاجات الصحية الحقيقية للمجتمع، بعد أن يدرسوها ويدرسوه ، ويدربوا على العمل مع قادة الرأى في هذه المجتمعات ، لتصفية او تغطية هذه الحاجات، التي منها بالضرورة الحاجة الى التداوي والعلاج .

واحب ان اقطع هذا التسلسل لحظة ، لاقول ان المرض ـ اى مرض يبدأ صغيرا في البيئة التي يعيش فيها المريض ، نتيجة لعشرات من التفاعلات بين العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ثم بين هذه العوامل وبين الانسان . فاذا بدا المرض بدا صغيرا كالفروج الصغير ، اقل القليل من الدواء يقتله في المهد ، فاذا أهمل بدأ يتطور ويكبر ، واذا اهمل اكثر بدأ يستفحل وقد يزمن ، وقد يستعصى على العلاج ، وقد يشرف بصاحبه على الهلاك ... وهو في هذه المراحل المتاخرة يصبح من حيث العلاج كالدجاجة العتيقة لا ينضجها حتى طول البقاء على النار ... وكثيرا ما يضطر علاجه في هذه المراحل المتاخرة الى كثرة التردد على عيادات الاطباء ، وعلى المستشفيات ، ويستهلك علاجه ـ على غير طائل ـ ابهظ النفقات .

طب وطب

ان هذه الظاهرة جعلت التعليم الطبي الحديث في غير بلادنا يهتم بتعليم الطالب ، الطب والصحة

بمفهومها الجديد ، من حيث انهما وجهان لعملة واحدة ، ومن حيث انهما ليسا اداتين للغلو من الامراض بقدر ما هما اداتان :

اولا ــ لزيادة القوى قوة والصحيح صحة ، وذلك لرفع الطاقات الانتاجية للبلاد •

وثانيا ــ لتوقى ما يمكن توقيه من الامراض بشتى الطرق لحماية الناس من وبال المرض ، ولتمليل التعطل باسم المرض عن اداء الاعمال •

وثالثا ــ لاكتشاف المرض في بدايته ، وادراكه بالعلاج الحاسم السريع،ولن يتاتى ذلك الا بالعمل في المجتمع،ومعه للفحص عن الامراض في بواكيرها والبحث معهادة الراى فيه عنمصادر المرض وماتيه، لمداواة ما يمكن مداواته منها وتصحيح ما يمكن تصحيحه ، وتخفيف ما يمكن ان يعالج من شرها بالتخفيف •

هذا طب لا عهد لنا به في بلادنا لسوء الحظ ، اما طبنا فهو مرحلة رابعة لهذه المراحل الثلاث ، وهى الجلوس فى المستشفيات والمراكز ، وانتظار المرضى حتى ياتوا الينا من تلقاء انفسهم ، وهم عادة لا ياتون الى المستشفيات والمراكز الطبية ، الا بعد ان يكونوا مارسوا كل انواع العلاج ، ويئسوا منها وتركوا المرض يستفحل فى اجسامهم ويزمن ، ويحتاج الى سرير المستشفى والى اغلى الادوية ، ربما عدة اسابيع ، لا ليتشفى ، ولكن ليتحسن ويغادر المستشفى ، ويعود الى البيئة المريضة لم يستانف التردد على المستشفى من جديد •

ان هذا الطب اذا قورن بسابقه طب استهلاك يقارن بطب انتاج •••

انه طب فاشل ، باهظ النفقات ، غير مامون العواقب ، باعث للمريض على التردد على عيادات الاطباء ، وعلى المراكز الطبية وعلى المستشفيات عشرات المرات فى كل عام •

انه اصل علة وزارات الصحة فى بلادنا العربية، وهو « البالوعة » التى ينزف فيها كل مئات الملايين من الدنانير كل عام

وهو النتيجة الحتمية لنوع من التعليم الطبى تتمزق فيه الفلسفة الموحدة لفكرة الصحة والطب الى وقاية وعلاج ، لم يتمزق العلاج نفسه الى عشرات من الفروع لا علاقة لاى منها بالمجتمع ، ولكن كل علاقتها باسرة المستشفى ومن يرقد بها من القلة المختارة من الناس •

وشهد شاهد من أهلها !

« يقول الدكتور مصطفى وجب النعمة عميد كلية الطب بجامعة طب البصرة فى كلمة افتتاح حلقة دراسية عن التعليم الطبى ووسائله وطرق التقييم فيه ••• بعد ان تحدث عن الانفصام بين التعليم الطبى وبين المجتمع :

« ان فروع الطب العلاجى المختلفة يتبارى كل فرع منها مع الفروع الاخرى فى تعبئة ذهن الطالب فمل ما يعرفه عضو هيئة التدريس من حقائق ونظريات حول تشخيص كل الامراض وعلاجها ، حتى ليبدو ان كلا منهم يريد أن يجعل الطالب متخصصا فى مادته ، ويتمدد هذه المواد والفروع ، يواجه الطالب فىحياته بنسبة منالحقائقوالنظريات لا يمكن ان يعرف طريق قدميه فيها !

ولقد انبنى على هذا ان الطبيب حين يتخرج يواجه فى المجتمع بنوع من المرضى لا يعرف عن حياتهم شيئا ، ولا هو تعلم كيف يدرس هذه الحياة ، ولا كيف يتبين فيها الاسباب البيئية والاجتماعية التى يتفاعل بعضها مع بعض ، لم مع الناس ، فينشا عن تفاعلها معهم نوع بذاته من الامراض •

وكجندى يواجه بعدو لايعرف عنه شيئا ، يلقى السلاح ، ويمارس الطب بقدر كبير من الجهالة العمياء التى مارسه بها عشرات من أجيال الاطباء لكل مريض منهم دقيقة او دقيقتان ، ولا يحميه من اعقاب هذه الطريقة الفاضحة الا شدة ايمانالناس بالاجل المكتوب ، وتلك الرخصة التى يحملها بانه عضو فى نقابة الاطباء •

ان الدواء يوصف للمريض فى هذه الاحوال خبط عشواء ••• من يصب يمته ! •• ومن

ـطيء ، يعد الى المركز الطبى او المستشفى من ـديد ليكلف الدولة قسطا اخر من النفقات •

هل من مفر !

نعم•٠٠ان المفر موجود ، وهو يبدأ منبداية اعداد الطبيب ، اى من بداية التعليم الطبى ، ولكن قبل ن اتحدث عن اعداد طالب الطب ، احب ان اعطى صورة موجزة عما يفعله طبيب المجتمع ، الذى مارس طبه على اساس الصحة الموحدة ، ذات لستويات المتوالية •

ان هذا الطبيب يحصى اولا عدد السكان الذين در عليه ان يرعاهم ، فى قرية ما او فى حى محدود ، ثم يحصى عدد الاسر التى ينتمون اليها ، يحاول ان يقوم بعمل مسح صحى شامل ، لا فراد ل اسرة ، ويسجل فى بطاقة كل منهم ما وجد ، يبدأ بعلاج ما اكتشف من امراض ، ثم يعيد لسح بعد فترة تقصر او تطول حسب الظروف ، م يتواترا الفحص دوريا ٠٠٠ وبعد مسح او سحين تصبح الامراض المكتشفة عادة فى بداياتها تقل الامراض المزمنة والمستعصية على العلاج لى حد كبير ، ويتناقص المرضى الذين كانـوا ترددون على الطبيب معانين من هذا النوع من لامراض ، بعضهم ينطوى تلقائيا فى عملية المسح لعام ، وبعضهم يتخطفه الموت •

ثم ان هذا الطبيب يفحص عن البيئة وسماتها انيا ، مشتركا مع قادة الراى فى المجتمع ، ومع ملائه العاملين فى الحقـول الاخـرى للتنميـة لاجتماعيـة كالمدرسـين والزراعيين والمتخصصين لاجتماعيين ، وعن طريق الندوات المنظمة واللجان لمنظمة يجدون انهم يعملون عمل فريق متكامل نحو ـدف واحد هو تنمية المجتمع ، انتى تلعب الصحة يها دورا خطيرا لا من حيث انها اداة لرفع معدل لانتاج فحسب ، ولكن كذلك من حيث ان الطب لعلاجى فيها يصبح حافزا لهذا المجتمع العامل ، لوصول الى كثير من الغايات •

وعن طريق اشتراك الناس فى الفحص عـن شاكلهم الصحية والبحث عن طرق لحلها يجد لطبيب انه يقوم بدور ثالث فـى مجتمعه وهـو التخطيط مـع النـاس لحـل مشاكلهم ، وتحديد اسبقياتها وارسال الخطة التى ربما تكون غشيمة الى المستوى الصحى الاعلى ليعيد النظر فيها ، ويهذبها ، ويمدها ببعض المساعدات ويعيدها الى اصحابها لتنفيذها فى الوقتالذى حددوه ، ولتقييم ما اصابوا من نجاح او اخفاق ٠٠٠ وعن طريق التجربة والخطا يتعلم الطبيب كما يتعلم قادة الراى فى المجتمع ما لايمكن ان يتعلموه من افلام السينما ، ولوحات الدعاية ، وكلام تجار الكلام •

ان مزايا ممارسة الطب على هذا المنوال متعددة منها :

★ معرفة كل الامراض الشائعة فى المجتمع وتحديد اسباب الوفاة ، وهى معرفة تنقص كل بلادنا العربيـة ، وهذا النقص رغم الميزانيـات الضخمة لوزارات الصحة هو من دواعى الخزى والعار ٠٠٠ وطالما ظل هذا الجهل بحقيقة مشاكلنا الصحية ، فسنظل ناعمين بسكينة الجهل ، وتحت ظله الظليل •

★ تحويل الطب من طب استهلاك الـى طـب انتاج •

★ توفير كثير من اسرة المستشفيات ومنالادوية والعقاقير التى تنفق الان على علاج امراض مزمنة او مستعصية على العلاج •

★ توجيه جزء أكبر منميزانيات وزارات الصحة الضخمة الى تحسين البيئة ، ومكافحة اسباب الامراض فيها ، وتوعية الناس توعية صحية ، تعمل فعلا على تغيير مفاهيمهم السليمة عن الصحة الى عادات مستحسنة ، وانماط طيبة من السلوك•

★ ازالة الجفوة القائمة حتى الان بين بعض الناس ، وبين المراكز الصحية والعلاج •

مربط الفرس

قلت ان هذه العملية فى المجتمع لا يمكن ان يقوم بها الا طبيب تدرب عليها وهو طالب •

وهنا مربط الفرس ٠٠٠ هنا السر فى تلك الصرخات المتعددة التى تطالب الان بتطوير التعليم الطبى وانتاج نوع جديد من الاطباء •

ان المطلوب من طالب الطب ان يتفقه دراسة

الامراض الشائعة في بلاده ، وعددها دائمامحدود، وان يترك دراسة ما عدا ذلك للمتخصصين •••

★ ان تكون هذه الدراسة اغلبها في المجتمع نفسه ، وتحت اشراف معلميه « المدربين » حيث يتعلم عملية المسح الشامل والدوري واكتشاف الامراض في بدايتها • وحيث يعـرف العوامـل المتعددة التي تشترك في احداث الامراض بالبيئة• ان يتعلم كيف يشترك مع قادة المجتمع في العمل والتخطيط والتنفيذ ، والعمل مع ممثلي التنمية العامة كما يعمل العضو في فريق متكامل ، لا كما يعمل لاعب الكرة الطائش الذي يلتقط الكرة ، ويركض بها الى مرمى الخصوم •

★ ان يتعلم الطالب ان المعاملة مع الاصحاء ، لزيادتهم صحة ، رغم قلة نفقاته يعود على الدولة وعلى المجتمع بابرك الثمرات •

★ وسيبقى له الجزء الاقل من تعليمه ليتعلمه في المستشفيات وحول عدد محدود من الامراض •

عودة الى البصرة

واعود الى عميد كلية طب البصرة وكلمته في افتتاح الحلقة الدراسية المشار اليها انفا ••

لقد اجمل مطالبه من الحلقة في ثلاثة :

الاول ـ ان تحاول الحلقة قدر طاقتها الفات النظر الى وحدانية الهدف في الدراسة الطبية ، وهو تخريج طبيبيعرف عن حاجاتالمجتمع ومشاكله مثلما يعرف عن الفرد وما يعانيه من الامراض ، ويدرك ان الفرد ليس شيئا كبيرا في ذاته ، وان كان يكبر بقدر ما يصبح مفتاحا للمجتمع الذي يعيش فيه •

الثاني ـ ان تضع الخطوط العريضة لتعاون فروع الطب المختلفة • لان هذا التعاون هو القادر على جعل الصحة الاجتماعية تغمر بضوئها الباهر كل المعارف والنشاطات الطبية ، وتفتح طريقا ذهبيا للبحث العلمي الذي لا يزكو في تعليمنا الطبي الحاضر بالقدر الذي نريد •

الثالث ـ ان تجعل من توصياتها توصية لفروع الطب العلاجي ••• ان الطالب لا يمكن ان يعي كل تفاصيل التشخيص والعلاج لاكثر من الفي مرض يضمها بين دفتيه اي كتاب طبي عاممتواضع، في حين انه لن يحتاج في مستقبله لاكثر من مائة من هذه الامراض ، ان لم يكن اقل ، وهيالامراض الشائعة في المجتمع الذي سيعمل فيه ••• ولان يتقن التعامل مع هذه المائة من الامراض خير من ان يغرق في ذلك الخضم الهائل الذي هو غارق فيه الان •

وتلك هي اقوى جذور المشكلة •

تلك هي اشد العلة المزمنة التي تعاني منها وزارات الصحة في البلاد العربية ، فتستحيلبفعل عصيرها المهلك من وزارات انتاج الى وزارات استهلاك •

ولكي يمكن استئصال هذه الجذور والاصول يجب ان يعالج اساتذة الطب العلاجي في الكليات الطبية بالبلاد العربية . ليتخلصوا من تلك النغمة التي يرددونها باستمرار كانها لثغة في السنتهم « انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون • »

يجب ان نقطع الوشيجـة التي تربط هـؤلاء الاساتذة بذلك الجـدار الهائل الذي يستنـدون اليه ••• جدار الاغلبيـة المطلقـة في مجـالس الكليات الطبية •

ولكي يتم هذا العلاج وتقطع هذه الوشيجة لا بد من ••• ثورة !

ثورة على الطب الراهن تهـدف الـى عـلاج « الصحة » المريضة في كل البلدان العربية ، رغم ما ينفق عليها من مئات ملايين الدنانيروالجنيهات•

والثورة تحتاجالىنفسيات ثوار ، واقلامثوار•• لكي تستطيع تغيير هذا الاطار البالي للطب الذي تبنيه وارضعته وكفلته عشرات من اجيال الاطباء•

فهل توجد هذه الثورة ؟ وهل تنجح ؟ وحتى تصح « الصحة » ؟

علم ذلك كله عند الله •••

وليس علينا ولا علىابنائنا ـ وقد يكونوناسعد منا ـ الا الانتظار ! ■■

د • سعيد عبده

٤٨ ساعة فى قطر

حول ندوة المسرح الوطنى

بقلم : الدكتور على الراعــى

فى الدوحة كــانت هناك اكثر مــن مفاجاة •

عرفــت ان النشــاط المســرحــى موجــود !

■ ذات صباح تلقيت دعوة مـن دولة قطـر ، شاركة فى ندوة عن المسرح العربى ، تعقدها رة الثقافة والفنون التابعة لوزارة الاعلام لة قطر • كانت الدعوة مفاجاة لطيفة لـى ثر من سبب ساعدها جميعا فيما بعد •

اخذت اتامـل الدعـــوة ، وثمة عواطـــف نلطة تعيش فى نفسى • قد صار لى فــى لميج خمس سنوات ، ولم ابرح حدود الكويت• ، عامين وصلتنى دعوة مماثلة من البحرين،ولكن وف عملى بالجامعة حالت دون تلبية الدعوة• ن : هل يكون مصير الدعوة القطرية هو طرارى للاعتذار •

قررت ان ابذل جهدا خاصا كى اسافر الـى . • وساعدنى ان الدعوة وجهت الى فى اوائل ير ، موعد السفر حدد بيوم السادس والعشرين مارس • وقد اعطتنى هذه المهلة المناسبة ، الفرصة كى اشرح الدعوة لادارة الجامعة واحصل على الاذن بقبولها •

وقلت فى نفسى ، لاريب ان الاستاذ ناصـر آل عثمان ، الذى وجه الى الدعوة باسم ادارة الثقافة والفنون ، قد راعى فـى تحديد يـوم السادس والعشرين من مارس بالذات ، ان اليوم التالى له هو : يوم ٢٧ مارس ، اليوم العالمى للمسرح ، الذى تفتح فيه ابواب المسارح مجانا للمتفرجين فى جميع الدول الاعضاء فى هيئة المسرح العالمى التابعة لهيئة اليونسكو •

وقلت لنفسى مرة اخرى : ايكون فى قطـر نشاط مسرحى لم اسمع به؟ اتكون قطر واحدة من الدول العربية الكثيرة التى انضمت الى الهيئة العالمية للمسرح ؟

والسؤالان هامان بالنسبة لى ، حيث اننى اوشكت على الانتهاء من كتاب شامل عن المسرح

في الوطن العربي ، بتكليف من منظمة الثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية • فلو ان هناك نشاطا مسرحيا في قطر لوجب على ان الم به فورا ، وافرد له فصلا في الكتاب •

العملاق المقطع الاوصال

حان موعد السفر ، ووجدتني اجلس في الطائرة الى جانب الفنان المسرحي المعروف : سعد اردش ، الذي تلقى هو الاخر دعوة مماثلة• وكنت اعرف مسبقا اننا سنلتقي في الدوحةالباحث المسرحي المعروف : الدكتور محمد يوسف نجم ، الذي يشاركنا في الندوة •

بعد خمس واربعين دقيقة هبطت الطائرة في مطار البحرين • ثم حلقت الطائرة ثانية منالبحرين متوجهة الى قطر فبلغتها بعد عشرين دقيقة فقط ! دائما يستفزني قرب المسافات بين اقطار الوطن العربي الى التطلع والتساؤل •

في زيارة للشمال الافريقي في الستينات استفزتني حقيقة اخرى ، هي ان في وسع المواطن العربي في مصر ان يستقل سيارة ويمضي بها عبر الساحل الجنوبي للبحر الابيض حتى يصل المحيط الاطلنطي ، فسوف يجد ارضا عربية تمتد لاكثر من ثمانية الاف كيلومترا ، لايفصل بينها اي فاصل طبيعي او حاجز صناعي ، واهلها جميعا يتكلمون العربية : تشغلهم اهتمامات متماثلة ، وتؤرقهم هموم واحدة ، وتنير الطريق امامهم نفس الاحلام •• !

يومها سميت الوطن العربي المتجزىء هذا : « العملاق الراقد ، المقطع الاوصال » • فماذا اقول اليوم عن التجاور « الحميم » بين بلدان الخليج ؟ لن اقول شيئا ، وانما سأسمح لنفسي بان احلم • والاحلام حق لكل الناس ! ساحلم بان تتكتل هذه الدول الخليجية بشكل ما من اشكال التكتل ، يجعل قوتها اعظم ، وصوتها اعلى ، ويخلق فيها للاقطار الاخرى في الوطن العربي ، ظهيرا ونصيرا • انتهى الحلم !

آلام الولادة المسرحية

في الدوحة كان ينتظرني اكثر من مفاجاة • عرفت ان النشاط المسرحي موجود في قطر ، وانه ـ الى جوار هذا ـ قد عرف الالام التي تصحب الولادة المسرحية عادة ـ آلام الاختلاف في الراي مع الرقابة • وعرفت كذلك ان مسرحا جديدا يجري بناؤه الان في الدوحة ، وسوف يكون مجهزا بكل ما هو مستحدث في فن بناء المسارح •

وتبينت ان قطر لا تهتم بفن الكلمة الدرامية وحدها ، بل هي تتطلع الى باقي فنون الاداء • كان بين مستقبلينا في ادارة الثقافة والفنون ، الفنان المصري سامي يونس ، احد نجوم الفرقة القومية للفنون الشعبية في مصر ، وهو راقص ومصمم رقصات ، ومدير فني • وهو الان يرعى براعم قطر في حقل الرقص الشعبي •

قال لي سامي : ان اقبال القطريين ، بنين وبنات ، على الفرقة قد اثار دهشته • وقال : انه لم تقم صعوبة ما في وجه الفتيات اللاتي رغبن في الانضمام الى الفرقة الوليدة • واضاف ان كلهن قد حصلن على موافقة كتابية من اولياء امورهن بالاندماج في هذا الجهاز الفني الفاتن ، الذي يعبر بغير كلام عما يدور في اغوار النفس العربية ، اينما وجد •

وتذكرت ما فعلناه نحن في مصر منذ اوائل الستينات • انشانا الفرقة القومية للفنون الشعبية على اسس علمية معترف بها في العالم كله ، واخذنا فيها بمبدأ ان نجم الفرقة هو الفرقة كلها• وان من يمتاز من اعضائها انما يمتاز من داخل عمله في الفريق • ولهذا صمدت لكثير من الاعاصير ، اولها هب عليها حتى قبل ان تولد ، هب بتحريض من بعض الطامعين الذين كانوا يودون لو اقتسموا فيما بينهم رقصات الفرقة ، وادمجوها في عروض لهم كانت تتعثر !

وكبرت الفرقة ، وجابت بلادا كثيرة في العالم• ثم ما لبثنا ان سمعنا ان العراق يكون فرقته الشعبية الراقصة ايضا ، وانه اسماها : الفرقة القومية للفنون الشعبية ـ الاسم نفسه الذي اخترناه لفرقتنا واصررنا عليه • رغم تهكم احسان عبد القدوس على الاسم ذات يوم ، ونصحه لنا بان يكون في مصر اسم : « فرقة رضا » •• ت احسان عبد القدوس ان الاسم يمثل وجهة نظر مختلفة تماما من وجهة نظر الذين سموا فرقة :

فرق رضا • هذه نظرة جماعية للعمل ، وتلك نظرة فردية • نحن لا نعتمد النجوم ، وهم ياخذون بمبدا النجومية !

ثم جاءت ـ من بعد ـ فرق شعبية راقصة كثيرة : في السودان ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، والاردن • وهذه هي قطر تحتضن الفكرة نفسها ، وتتوق الى ان تحقق في ميدانها نصرا يدعم فيها دولة الفنون !

مع الطيب صالح

وكنا نتناقش في مكتب الاخ الاستاذ ناصر العثمان ، حول النقاط التي سوف تتناولها الندوة في المساء ، حينما رن جرس التليفون ، واذا بالمتكلم الروائي السوداني المعروف : الطيب صالح ، صاحب العملين المرموقين : « الهجرة الى الشمال » و عرس الزين وغيرهما •

وعرف الطيب بوجودنا ، فاصر على دعوتنا للغداء في النادي البحري الفخم الذي بني في قطر حديثا •

ودار الحديث بيني وبين الطيب صالح رضيا نديا ، كانه هو الطيب صالح نفسه ! كنت قد تعرفت على فن الطيب انروائي ، حين نشرت له دار الهلال بالقاهرة باشراف رجاء النقاش روايته الفاتنة : « موسم الهجرة الى الشمال » ، التى اثارت ضجة واستحدثت حدثا ادبيا لدى ظهورها • لم نكن قبل النشر نعرف الطيب صالح ، فلما عرفناه قلت لاصدقائي من الادباء ، من الواجب الان اعادة ترتيب البيت الروائي ، فثمة اعمال كانت تتقدم ، وقد وجب الان ان تتاخر كي يشغل فن الطيب صالح المكان الجدير به في مجموعة الاعمال الكبيرة • ثم خرجت من بعد رواية الطيب صالح الثانية : « عرس الزين » ويومها فتنت بهذا العمل فتونا وا[...] تخفني اطرب ولم استرح حتى انتهيت من كتـ[...] ة مقال نشرته مجلة الهلال ، تناولنا فيه الر[...] اية بالتحليل ، وقلت ان الطيب صالح لايصف فيها ش[...] السوداني الذي يحب وحسب ، بل هو يقعد مع[...] راده على الارض ! وسميت ما حفلت به الر[...] ية من فرح واحد متصل يمثله « الزين » : ز[...] ة طويلة للحياة ! وجعلت هذه العبارة عنوان الم[...] •

ودارت الايام وجئت للعمل بالكويت ، وذهبت مع احدى بناتي ـ ليلى ـ لنشاهد فيلم : « عرس الزين » فاعجبت البنية بالفلم ايما اعجاب ، واعجبت به انا ايضا ، ولكن في تحفظ !

قلت للطيب في الدوحة : ان الفلم قد الح على عرض مناظر وعادات وطقوس الشعب السوداني في مناسباته الاجتماعية المختلفة • وهذا في حد ذاته امر لا غبار عليه ، على ان لا يتم على حساب المضمون • فالواقع ان المخرج قد تخفف كثيرا من الاجزاء التي صنعت الرواية ، والتي ضمنت لها اعجاب الكثيرين ، في سبيل ان يقدم رؤية « سياحية » للسودان • وهذا ما دعا بعض من شاهدوا الفلم من السودانيين الى الاحتجاج عليه ، بوصف انه يسيء الى شعب السودان •

والفلم لا يسيء الى شعب السودان في شيء • انه فقط قد عالج الرواية في خفة غير مستحبة •

وسالت الطيب الصالح عما اذا كان عمله الاول : « موسم الهجرة الى الشمال » سيعرف طريقه الى السينما فاجاب بالنفي • ثم سالني ان كنت قد قرات روايته الثالثة « بندر شاه » فقلت : اشتريتها من سنوات وحاولت قراءتها ، فوقفت كثرة العبارات السودانية الدارجة في الحوار عقبة بيني وبين اتمام قراءتها •

وفتح على الفور موضوع اللهجات الدارجة في الاعمال العربية الفنية ، من مسرح ورواية ، واخذ الحضور يتناقشون في جدوى اتباع احد طريقين : استخدام العربية الفصحى المبسطة في الحوار ، على نحو ما يفعل نجيب محفوظ ، او الاصرار على استخدام الدارجة ، على اعتبار انها هي وحدها التي تحمل الشحنة العاطفية والفكرية والواقعية اللازمة لادارة حوار يجري بين افراد الشعب •

قلت للطيب : لعلي لو عدت الى قراءة روايتك الثالثة الان ، لاستطعت المضي فيها الى النهاية ، فان السنوات الخمس التي قضيتها في الكويت قد اتاحت لي التعرف الى كل لهجات العرب الدارجة ، بحيث استطيع الان ان اتابع الحوار في المسرحيات الكويتية والبحرينية والعراقية ، والسورية واللبنانية والفلسطينية ، الى حوار لهجات الشمال

الافريقي كله . ولكن اني للقارىء العادي ان تتاح له فرصة كهذه . واتفقنا على ان حل هذه المشكلة ربما يجيىء مع الوقت . فقد اخذ المشرق العربي يتعرف عن قرب على المغرب العربي، والعكس، بفضل خطوط الطيران الجديدة التي تربط المشرق مباشرة مع المغرب ، بعد ان كان الاتصال يتم عن طريق باريس او روما ، او غيرهما من العواصم الاوروبية .

علــى طريق التعريـــب

كان بين ضيوف الطيب صالح الرائد الاذاعي المعروف ، محمد فتحي ، الذي امتع مستمعــي الاذاعة منذ اواسط الثلاثينات حتى اوائــل الخمسينات بفنه الاذاعي الممتاز . والذين تتبعوا سير الاذاعة في تلك الايام ـ يوم كانت تنفــرد بالاثير . قبل ان يزحمها عليه التليفزيون يتبينون كثرة المكاسب التي حققتها الاذاعة المصرية للمستمع العربي في مصر وفي سائر اجزاء الوطن العربي .

عن طريق الاذاعة ، عرفت اللغة العربية الفاظا كثيرة جديدة . وكنت اعمل كبيرا للمذيعين حين مصرت الاذاعة المصرية في عام ١٩٤٦ وانتقلت ادارتها الى ايدي اهل البلاد . ولا زلت اذكر كيف واجهنا الموقف الجديد فقد كانت تقارير المذيعين تكتب بالانجليزية ، حتى يستطيع مدير الاذاعــة وسكرتيرها ـ وكلاهما انجليزي ـ ان يتابعا ما يجري في الاستوديوهات ، وفجأة اصبحنا امام ضرورة كتابة التقارير باللغة العربية . اذ ذلك اخذنا نترجم المصطلحات على الفور . انا ـ مثلا ـ قدمت المصطلحات التالية : « شارات ضبط الوقت» و « اللحن المميز » وضابط قوة الصوت المركزي وغيرها . وقدم زملاؤنا في قسم الاخبار كثــيرا من المصطلحات التي كانت تستخدمها الحرب العالمية الثانية مثل : قاذفات القنابــل و المقاتــلات و « الضرب على مدار الساعة » .. الى اخره . وقد كان من رايي دائما ان تاريخ الاذاعة فــي حاجة لمن يكتبه . وقد حاولت اقناع الاذاعي القديم عبدالحميد الحديدي بان ياخذ على عاتقه هذا الامر ، فلم يستطع لسبب او لاخر . ولا اجد امامي الان من اتوجه اليه بالرجاء الا الزميل القديم الاستاذ محمد فتحي . فلعله يستطيع ان يضيف الى خدماته الكثيرة للاذاعة خدمة اخرى كبيرة هي : التاريخ لها .

المسرح والتخلف العربـي

عند الساعة السادسة توجهنا الى احدى قاعات المتحف الوطني بقطر ، وشيء من التوجس يدور في انفسنا . فقد كان بعضهم قد همس الينا بان حضور الندوة لن يتعدى عدد اصابع اليد الواحدة. وقد ثبت سوء هذا الظن حين دخلنا القاعة بالفعل ووجدناها مزدحمة على اخرها .

ليس هذا وحسب ، فقد دار النقاش حــول موضوع الندوة ، وهو : « المسرح في الـوطن العربي » لمدة ثلاث ساعات متصلة ، وتعب مدير الندوة ، فظن الحضور قد تعبوا ، ولكن هؤلاء واصلوا الاهتمام والتدخل في المناقشة ، واثارة النقاط الى ما بعد الساعات الثلاث بكثير .

وتصادف ان فرقة تونس العاصمة للتمثيل كانت تزور قطر تقدم مسرحيات ثلاثا ، تجول بها في بعض دول الخليج ، وقد شاهدناها في الكويت ، فحضر الندوة من اعضاء الفرقة المخرج المنصــف سويسي ، فنان المسرح التونسي المعروف باعمــاله واجتهاداته الكثيرة ، والدكتور عمر السعيدي الذي يصحب الفرقة في جولتها ، بوصفه مدير الشئون الثقافية في تونس العاصمة . وقد اشترك كلاهما في مناقشات الندوة .

ولعل ابرز ما ثار في الندوة من نقاط هو ذلك التفسير الذي تقدم به الزميل الدكتور محمد يوسف نجم لظاهرة تخلف المسرح العربي في هذه الايام . قال الدكتور نجم : ان تخلف المسرح هو مظهر من مظاهر التخلف العام الذي يعاني منه الوطن العربي .

ورايت انا ان هذا التفسير لا يفسر واقع المسر العربي حقيقة . وذلك لانه لا توجد هناك بالضرورة ـ علاقة طردية بين التخلف العام وب الفنون . والادلة على هذا كثيرة . فقد احرجـ بلد اقطاعية ارهابية متخلفة هي روسيا القيصر كبار الفنانين والادباء والنقاد في القرن التاسـ عشر مثل : الشاعر بوشكين . والروائي تولستو: والكاتب المسرحي تشيغوف،والموسيقار تشايكوفسك



والناقد الادبي بيلينسكي ـ كل هذا على سبيل المثال فقط ، لا على سبيل الحصر . اخرجت روسيا هؤلاء العمالقة وغيرهم من واقع اقتصادى واجتماعى متدهور . بل ان انجلترا التى اخرجت عبقرى المسرح : شكسبير ، كانت بلدا زراعيا متاخرا ، ولكن هذا لم يحل دون ازدهار المسرح على ايام اليزابيث الاولى . وما يثير الدهشة ان بريطانيا ـما كانت فى اوج عظمتها وسلطانها الاستعمارى القرن العاشر قد عجزت عن اخراج مسرح يؤبه . فقد غط المسرح فى النوم طوال القرن التاسع ر . ولم يستيقظ الا حينما اخذ الفن المسرحى يطاني يتعرف الى اعمال ايسن النرويجى ، الاخر عملاق قام فى بلد متخلف من النواحى الاقتصادية والثقافية ، هو بلاد النرويج .

وليس معنى هذا ان التخلف ضرورة لقيام الفنون وازدهارها بل معناه ان ازدهار الفنون يرجع الى عوامل كثيرة قد يكون العامل الاقتصادى من بينها وقد لا يكون . وقد احتدم النقاش حول هذه النقطة احتداما كبيرا ، ولم ينته حتى بعد انتهاء الندوة .

وما اكثر ما حفلت به هذه الساعات الثمانى والاربعون المباركة من اراء وافكار ، وانطباعات وصدامات ولكن : على القلم ان يقف فى موضع ما من الورق . ولو بالامر ! ■■

د . على الراعى

هل يمكن التأثير على التوزيع الراهن للقوة والثروة في العالم



صراع الأغنياء والفقراء

حول اصلاح النظام

بقلم : دكتور محمود عبد الفضيل *

مع تنامي حركة الاعتراف بحق المستعمرات في الحصول على استقلالها السياسي غداة الحرب العالمية الثانية ،لجات الدول الغربية المتقدمة الى تطوير أشكال جديدة للتعامل مع دول العالم الثالث حديثة الاستقلال تضمن استمرار علاقات التبعية الاقتصادية ، المالية والتكنولوجية • وفي نفس الوقت كان على دول الغرب الراسمالي أن تتجاوب ـ ولو شكليا ـ مع آمال وطموحات البلدان المستقلة حديثا المتمثلة في رغبتها في تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية سريعة والخروج من دائرة التخلف والفقر •

ولذا فقد أكدت موجة الكتابات الاقتصادية الغربية في مجال التنمية على ضرورة تقديم المساعدات المالية والفنية من جانب الدول الغربية وضرورة استمرار تدفق رؤوس الاموال الاجنبية للبلدان النامية بهدف احداث دفعة قوية ت... الحلقة المفرغة للفقر والتخلف • وفي هذا الا... نشطت كتابات جيل كامل من خبراء التن... الغربيين للتدليل على ان تدفقات راس الم...

* معهد التخطيط القومي بالكويت •

التنمية فى بلدان العالم الثالث كما انها لا تعكس درجات اللامساواة فى توزيع الدخل الفردى داخل البلـد الواحـد ، فالعقيقة التى تبرزهـا هـذه الاحصائيات أنـه رغم اختلاف سياسات ونتـائج عمليات النمو باختلاف الظروف الخاصة بكل بلد من بلدان العـالم الثالث فهناك ثمـة مصاعب مشتركة تواجهها معظم حكومات دول العالم الثالث خصوصا تلك المرتبطة بقضايا التجارة والتمويل الدوليين • وقد شكلت هـذه المصاعب بدورهـا ارضية مشتركة لالتقاء مصالح بلدان العالم الثالث الفقيرة على طلب تغيير القواعد الدولية التى تحكم شبكة العلاقات التجارية والمالية التى تشكلت عبر السنين وفقا لمصالح الدول الغربية المتقدمة •

وعلى ضـوء الاحصائيات والوقائع التاريخية يتضح أن حوالى ٧٥٪ من حجم التجارة الخارجية لبلدان العالم الثالث يتجه الى البلدان الغربيـة الاعضاء بمنظمة التعاون الاقتصـادى والتنميـة Oecd ، بينما يبلغ نصيب التبادل التجارى بين دول العالم الثالث وبعضها البعض ١٥ ــ ٢٠٪ من حجم تجارتها الخارجية ، ٥٪ فقط مع بلدان الكتلة الاشتراكية • كذلك فان معظم مديونيات تلك البلدان هى للدول الغربية والمؤسسات المالية التى تسيطر عليها الدول الغربية الكبرى • كما تحتفظ تلك البلدان بارصدة واحتياطات نقدية مقومة بالعملات الغربية الرئيسية • وبغض النظر عن تباين الاوضاع المؤسسية والاقتصادية والسياسية لبلدان العالم الثالث ، فقد ظل الغرب الراسمالى مصدرا رئيسيا للامداد بالمال والتكنولوجيا الحديثة والسلع الاستهلاكية ذات الجودة العالية بالشكل الذى ادى لربط اقتصاديات معظم بلدان العـالم الثالث ربطا وثيقا بعجلة النظام الاقتصادى الدولى الغربى •

فى العالم الثالث :

على ضوء المشاكل الاقتصادية المتراكمة خـلال الفترة الممتدة فيما بين منتصف الخمسينات ومنتصف السبعينات يمكن تلخيـص المشـاكل الاقتصـادية الرئيسية التى تواجه معظم بلدان العالم الثالث

دان الغربية
اسيا منشطا
الم الثالث•
رض لهزات
ء التجـارب
ن النامية •
وتحقيق قدر
الاجمالى فى
لم الثالث ،
بعام ١٩٧٥
العالم الثالث
سنوى يقل
يعيش ٧٠٠
د دخل سنوى
الواحد • ورغم
وتنوع تجارب

والتي نجمت عن اندماجها الكامل بالنظام الاقتصادي الغربي فيما يلي :

ا ـ حصيلة صادرات معظم بلدان العالم الثالث تاتي من مبيعات السلع الاولية التي لا يتمتع سوقها العالمي بالاستقرار مما يؤدي الى تقلبات عنيفة في حصيلة الصادرات وبالتالي في مستويات النشاط الاقتصادي المحلي • فبالنسبة الى السلع الاولية (باستثناء النفط) ، انخفضت أسعارها النسبية أزاء السلع الصناعية بنسبة ١٠ الى٢٠٪ فيما بين منتصف الخمسينات ومتصف السبعينات • كذلك انخفض معدل زيادة حجم الصادرات بنسبة ٥٪ سنويا لصادرات المواد الغذائية و ٤٪ بالنسبة لبقية المواد الخام في مقابل زيادة سنوية لحجم صادرات السلع الصناعية قدرها ١٠٪ •

ب ـ ثبت أنه من الصعب على الدول الآخذة في النمو تصدير السلع المصنعة الى الاسواق الغربية على نطاق واسع في مواجهة المنافسة الشديدة من جانب البلدان الصناعية المتقدمة • وفي حالة القليل من المنتجات الصناعية (مثل المنسوجات والملابس والمصنوعات الجلدية) التي تسمح الاجور المنخفضة للايدي العاملة في بلدان العالم الثالث بتخفيض تكلفة الانتاج واجهت بلدان العالم الثالث تصاعد اجراءات الحماية التي لجات اليها حكومات الدول الغربية مؤخرا لحماية صناعاتها المحلية •

ج ـ كانت المساعات الخارجية أقل كثيرا من الاهداف المتواضعة التي حددتها المنظمات الدولية لعقدي التنمية الاول والثاني • كما أن معظم الزيادة في حجم السيولة الدولية اتجهت للدول الغربية الكبرى ، بينما تعاقد العديد من بلدان العالم الثالث على ديون جديدة كبيرة الحجم اخذت فوائدها تشكل عبئا ثقيلا على موازين مدفوعاتها• فطبقا لتقديرات البنك الدولي كان حجم الدين العام الخارجي لـ ١٩ بلدا ناميا عند نهاية ١٩٧٤ يفوق حجم حصيلة صادراتها السنوية • كذلك استغرقت فوائد الدين الخارجي بالنسبة لـ ٢٣ بلدا من بلدان العالم الثالث ما لا يقل عن ١٠٪ من حصيلة صادراتها السنوية ، بينما هناك بعض البلدان (من بينها مصر) تستغرق فوائد ديونها الخارجية ما بين ٢٠ الى ٣٠٪ من حصيلة صادراتها السلعية السنوية •

ولذا فان ركود حصيلة صادرات السلع الاولية وعدم القدرة على تصدير السلع المصنعة على نطاق واسع ، وتزايد عبء فوائد الدين الخارجي تفاقمت كعوامل متشابكة اخذت تهدد بعرقلة مجهودات التنمية في معظم بلدان العالم الثالث. وازاء هذه الاوضاع وجدت حكومات هذه البلدان نفسها معرضة لاغراء قبول المزيد من المساعدات والقروض وتدفقات رأس المال الاجنبي بغرض تغطية عجز موازين مدفوعاتها ، ومن ثم تزايد ولوج معظم بلدان العالم الثالث « مصيدة الدين الخارجي » وبالتالي تزايد درجة اعتمادها على قنوات التجارة والتمويل الدوليين التي تسيطر عليها مجموعة الدول الغربية المتقدمة •

تحد أمام النظام الراهن :

خلال نفس الفترة التي امتدت من منتصف الخمسينات الى منتصف السبعينات اتسع بالتدريج نطاق الدعوة الى تغيير نمط العلاقات الاقتصادية الدولية السائدة بين الدول الغربية الغنية ودول العالم الثالث الاخذة في النمو،والرغبة في الفكاك من اسار علاقات التبعية التجارية والمالية والتكنولوجية الجديدة • وقد استجمعت تلك الدعوة بعض عناصر القوة فيما بين لقاء باندونج عام ١٩٥٥ ومؤتمر الدول غير المنحازة في الجزائر عام ١٩٧٣ • كذلك تم تاسيس « مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية » Unctad عام ١٩٦٤ ليكون بمثابة « نقابة » لبلدان العالم الثالث (مجموعة الـ ٧٧) وليمارس نشاطه كمنبر للتفاوض مع الدول الصناعية المتقدمة نيابة عن بلدان العالم الثالث • ولكن رغم تعدد المؤتمرات التفاوضية لم تحرز المفاوضات بين الدول الصناعية المتقدمة وبلدان العالم الثالث في مجال التجارة والتنمية نتائج سريعة ضمن اطار المساومة الجماعية •

وقد جاء قرار منظمة الدول المصدرة للنفط

(الاوبيك) بربع سعر النفط لاربعة أمثاله ليضرب مثالا هاما لما يمكن احداثه من تغير ملموس في ميزان القوى بين الدول الصناعية الغنية والدول المصدرة للسلع الاولية ، اذ أتاح هذا القرار آفاقا جديدة لاعادة تشكيل العلاقات الاقتصادية الدولية بين الدول الصناعية المتقدمةوالدول المصدرةللسلع الاولية • فقد اوضح هذا القرار ضخامة ما يمكن ان تحصل عليه اية مجموعة من البلدان المصدرة للسلع الاولية اذا ما تمكنت من الامساك بزمام السوق العالميةلسلعة لا يتمتع الغرب فيهابالاكتفاء الذاتي • كذلك أدى هذا القرار الى ضرب ـ ولو على الصعيد النظرى ـ فكرة احتكار الغــرب للاحتياطيات المالية الدولية • كما لاحت فى الافق امكانيات جديدة لان تستخدم دول منظمة الاوبيك قوتها الجديدة فى المساومة فى تدعيم المطالب الاقتصادية الاخرى لجبهة بلدان العالم الثالث مما قد يؤدى الى دعم القوة التفاوضية لبلدان العالم الثالث ككل •

وعلى ذلك فان التحدى القائم الان على صعيد العلاقات الاقتصادية الدولية بين الدول الغنية والدول الفقيرة هو تحد جاد ياخذ أبعادا جديدة لم تكن متوافرة من قبل • الا ان القوة التفاوضية الجماعية لبلدان العالم الثالث ما زالت محك اختبار حقيقى فى مؤتمر التعاون الاقتصادىالدولى الذى تجرى جلساته فى العاصمة الفرنسية تحت اسم « حوار الشمال والجنوب » • فما زال الترقب قائما بخصوص مدى قدرة المجموعات الاخرى للبلاد المصـدرة للسلع الاوليــة فى تكوين « جمعيـات منتجين » او « كارتيلات » فعالة على غرار منظمة « الاوبيك » • وعما اذا كانت دول (الاوبيك) الغنية ستستخدم قوتها المالية لدعم مطالب اصلاح النظام الاقتصادى العالمى التى تلح عليها مجموعة بلدان العالم الثالث النامية أم ستنضم تدريجيا الى « نادى الدول الغنية » •

ان قضايا اصلاح النظام الاقتصادى الدولى التـى تخضع حاليـا لمناقشات واسعـة فـى جميع المنتديات الدوليـة يمكن ان نجملها فـى ثلاثـة مجالات : مجال السلع الاولية ـ مجال التنمية الصناعية ـ مجال التمويل والاقتراض الخارجى •

أ ـ السلع الاولية :

تهدف مجموعة بلدان العالم الثالث الى تحقيق قدر من الاستقرار والزيادة فى حصيلة صادراتها من السلع الاولية • اذ انه كلما استقرت الاسعار العالمية واتسعت الاسواق التصديرية للسلعالاولية أمــكن للعديــد مــن بلــدان العالم الثالث ان ترفع من حصيلة النقد الاجنبى المتوافر لديها بما يساعد على زيادة مقدرتها الاستيرادية وتخفيف أزمة موازين مدفوعاتها •

ومن بين المقترحات المحددة التى قدمت فى هذا المجال هو مشروع مؤتمر الامم للتجارة والتنمية المسمى « البرنامج المتكامل للسلع الاولية » والذى يشتمل على ١٨ سلعة اولية تمثل حوالى ٨٠٪ من اجمالى حجم التجارة فى السلع الاولية (فيما عدا النفط) ، وايجاد صيغة مقبولة للتقييس ndexation تسمح بربط أسعارصادرات السلع الاولية باسعار واردات الدول النامية من السلع الصناعية والمصنعة •

وينادى مشروع « البــرنامج المتكامــل للسلع الاولية » بضرورة تكوين مخزون سلعى دولى من الاولية الاساسية يتم تمويله عن طريق صندوقدعم مشترك يبلغ حجمه حوالى بليونين من الدولارات• كما ينادى البرنامج بضرورة التركيز على عقود توريد طويلة الاجل للسلع الاولية ، وأن يكون هناك « تمويل تعويضى » للتعويض عن العجز الناجم عن انخفاض وتقلبات أسعار المواد الاولية، وعلى تطوير مساهمة البلدان النامية فى عمليات تصنيع وتسويق السلع الاولية بهدف الاستحواذ على نصيب أكبر من القيمة المضافة وهوامش التسويق المتولدة أثناء مرحلتى التصنيع والتسويق للسلع الاولية • ومازالت المفاوضات متعثرة حول انشاء هذا « الصندوق المشترك » وتوفير الموارد المالية اللازمة لتطوير فعاليته •

ولكن لعل أكثر المقترحات مثارا للجدل هو ذلك الخاص بال « تقييس » اذ ترى مجموعة الدول الصناعية المتقدمة فى هذا الاقتراح توريطها فى نوع من عمليات « الاعانة » لاسعار السلع الاولية

التي قد تعاني من أزمة « فائض عرض » فيالسوق العالمية .

ب ــ التنمية الصناعية :

تهدف معظم بلدان العالم الثالث في مجال التنمية الصناعية الى الحصول على شروط افضل للحصول على التكنولوجيا الحديثة المتقدمة وزيادة فرص بيع منتجاتها الصناعية في أسواق الغرب ، بالاضافة الى تحقيق قدر اكبر منالتنظيم والرقابة على نشاط وعمليات الشركات الدولية العاملة داخل اراضيها . ونظرا لان الدول الصناعية المتقدمة داخلة أصلا في صراع تنافسي شديد بين بعضها البعض لاقتسام السوق العالمية فهي ليست راغبة حقا في تقديم أسواقها لطرف ثالث هو البلدان النامية . والقناة الوحيدة المتاحة امام دول العالم الثالث لتسويق منتجاتها والحصول على التكنولوجيا الحديثة كانت الشركات الدولية التي جذبتها العمالة الرخيصة في تلك الدول خلال السنوات الأخيرة . ومن ناحية اخرى، فبافتراض انه قد يتسنى لمجموعة اكثر تصنيعا من بلدان العالم الثالث الى غزو أسواق العالم الغربي المتقدم فان ذلك ، في حد ذاته ، لن يؤدي سوى الى تكثيف عملية التنافس بين بلدان العالمالثالث للاستحواذ على نصيب ملموس من رقعة السوق المحدودة دونما ان يؤدي ذلك الى زيادة ملموسة في دخل مجموعة بلدان العالم الثالث ككل .

جـ ــ التمويل والاقتراض الخارجي :

ان مشاكل المديونية العادة لكثير من بلدان العالم الثالث ، والصعوبات التي تواجهها بلدان الفائض في مجموعة بلدان « الاوبيك » فيما يتعلق بايجاد صيغة مضمونة لاستثمار فوائض عائدات النفط ، وعدم استقرار العملات الرئيسيةللبلدان الصناعية المتقدمة يجعل المشاكل الراهنة للنظام المالي والنقدي الدولي هي مشاكل حيوية ومصدر قلق للاطراف الدائنة والمدينة على السواء . فبلدان العالم الثالث تريد الاقتراض من الخارج بشروط ميسرة ودونما قيود تعسفية ، بينما تبحث بلدان « الاوبيك » والبلاد الغربية المقرضة ومؤسسات المال الدولية عن عنصري الربحية والامان لاستثماراتها وقروضها الخارجية .

والقضية الجديرة بالفهم هنا هي ان اصلاح النظام النقدي الدولي الراهن لا يستلزمبالضرورة توزيعا اكثر عدالة للسيولة والائتمان الدوليين ، اذ انه اذا اتفقت الدول الغربية المتقدمة على مجموعة للقواعد المستقرة لحل مشاكل موازين مدفوعاتها يمكن لها آنذاك ان تحل الكثير من مشاكلها الراهنة دونما اضطرار لتقديم تنازلات كبيرة لبلدان العالم الثالث فيما يتعلق بادارة النظام النقدي الدولي . بيد انه في أعقاب النمو السريع لحجم الاقتراض الخارجي من أسواق المال الدولية لمجموعة بلدانالعالم الثالث،فان علىبلدان العالم الغربي الغنية ايجاد صيغ جديدة لاعادة جدولة هذه الديون لتحاشي وقوع العديد من بلدان العالم الثالث في براثن الافلاس الكامل والعجز عن السداد ، وهذا لا يعني قط التوصل الىشروط افضل (او اكثر تيسيرا) للسداد بل قد يكون العكس هو الصحيح . وهناك آمال كبيرة معلقة على قيام مجموعة بلدان « الاوبيك » بتوفير قنوات جديدة للاقراض الخارجي للدول النامية بشروط ميسرة ولا سيما بعد انشاء « الصندوق الخاص » لمجموعة الدول المصدرة للنفط الذي يتخذ من فينا مقرا له . ولكن هناك تخوف أيضا لدى العديد من بلدان العالم الثالث الفقيرة من ان تلجأ دول « الاوبيك » الى استخدام سلاح الاقراض الخارجي لتحقيق بعض الاهداف او النفوذ ذي الطابع السياسي .

التغيرات المنتظرة وافاقها :

يبدو من العرض السريع السابق مدى ضآلة فرص التغيير او الاتفاق السريع على المعالم الرئيسية لما يسمى بـ « النظام الاقتصادي العالمي الجديد » . والاسباب الكامنة وراء ذلك هي ذات الاسباب التي اعاقت احداث تغيير ملموس في هيكل العلاقات الاقتصادية الدولية منذ مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية الاول الذي مضى عليه اثنا عشر عاما ، الا وهو كون الاوضاع الاقتصادية الدولية الراهنة تعكس توازنا معينا

الصعيد العالمى والمحلى لكل بلد على
فان القوة التفاوضية الجماعية لمجموعة
لم الثالث تتوقف على توافق مجموعة
المشتركة فى الوقت الراهن على الاقل،
التوافق هو تـوافق مؤقت ومشـروط
لانية • أما فى الاجـل المتوسط فـان
ريضـة لبلـدان العالـم الثالث مهدده
ذا ما تمكنت بعض بلدان العالم الثالث
تحسين وضعها النسبى فى هيكل التجارة
دولى وبالتالى تزداد درجة ارتباطها
تصادىالدولى الراهن ـ وقد تتبعبعض
وبيك » الفنية هذا المسار •

ك ثمة امكانيـة كبيرة متاحـة لتغيير
لراهنة فيما يتعلق بالسلع الاولية •
لىأنه بعد عقدين منتواجد فائض عرض
سلع الاولية ، فقد كانت القفزةالهائلة
لمع الاولية خلال « الرواج السلعى »
، السنوات ٧٢ ـ ١٩٧٣ بمثابة النذير
غرب الصناعى بامكانية حدوث عجز أو
فى عرضهذه السلع والخاماتالاساسية
عليها دولاب الانتاج الصناعى الغربى•
« حدود النمو » Limits to Gerowth
لأفق نتيجة ما قد تفرضه ندرة المــواد
لية من تخفيض لمعدلات نمو الاقتصاديات
لمتقدمة • وفى اطار هذا التصور فان
تحدة الامريكية يمكن لها الاعتماد بدرجة
مواردها الطبيعية الوفيرة بما يسمح
ذا الموضوع اهتماما يقل بكثير عــن
: بلدان أوربا الغربية • وهذا يشير
ى امكانية تطورنوع جديد منالتناقضات
الولايات المتحدة الامريكية من جهة
دان أوربا الغربية واليابان ، من جهة
لى مستوى النظرة والمعالجة لمشاكل
دولى وخاصة طبيعة العلاقة مع مجموعة
رة للسلع الاولية •

ور بعض الاقتصاديين الغربيين الهامين
ور نقولا كالدور ـ والذىعملمستشارا
حكومة العمال فى بريطانيا ـ ان الغلبية
جة والمستهلكة للسلع الاولية لديهم
تركة فى اتخاذ تدابير اقتصادية دولية
تؤدى الى مزيد من الاستقرار فى كمية المعروض من السلع الاولية فى السوق العالمية حتى يمكن الحد من تقلبات أسعار السلع الاولية لصالح البلدان المنتجـة والمستهلكـة لهـذه السلع على السواء • واذا أمكن لمثل هذه التدابير ان تطبق بفعالية ـ علىغير ما هومتوقع ـ فسيكون بمقدور العديد من بلدان العالم الثالث رسم خطط تنمية طويلة الاجل بالاعتماد على صادرات سلعها الاولية وعلى معدلات نمو أسواق هذه السلع بما يضمن لها تنمية حصيلة النقد الاجنبى على مدار فترة زمنية ضرورية لعملية التراكم الرأسمالى • وقد يؤدى هذا بدوره الى تنشيط الطلب على السلع الصناعية(الاستهلاكية ، الوسيطة ، والاستثمارية) والتى سيتم تمويل مشترياتها عن طريق حصيلة النقد الاجنبى المتوافرة من نمو صادرات السلع الاولية بما يضمن تدشين مرحلة جديدة من التعاون الاقتصادى الرشيد بين البلدان الصناعية المتقدمة وبلدان العالم الثالث الاخذة فى النمو •

بيد أن اصلاحا اقتصاديا عالميا على هذا النحو المنشود اذا ما تحقق فانه لنيؤدى الى تغيرملموس فى علاقات القوى العالية على الصعيد الاقتصادى العالمى • بل قد ينتج عن ذلك التصور لمستقبل التعاون الاقتصادى الدولى أن تلعب الشركات الدولية دورا مركزيا أكبر فى هيكل العلاقات الاقتصادية الدولية دون تحسين يذكر لمستويات المعيشة للسواد الاعظم من سكان العالم الثالث •

وباختصار شديد فان مجموعة المطالب الراهنة لمجموعة بلدان العالم الثالث والتى تندرج تحت ما يسمى « المطالبة باقامة نظام اقتصادى عالمى جديد » لا تمثل ـ على اهميتها ـ استراتيجية واضحة المعالم لتحقيق تغييرات أساسية فى بنية الاقتصاد الدولى الراهن • ومن المحتمل ان يتم احراز بعض النتائج الايجابية الجزئية ـ ذات الاثر المحدود ـ من خـلال عمليات التفـاوض الدولى الدائرة حاليا • غير ان مثل الاتفاقات الجديدة ـ بافتراض التزام كافة الاطراف بتنفـيذها للقوة تؤثر بدرجة كبيرة على التوزيع الراهن للقوة والثروات بين الامم • ■■

د• محمود عبد الفضيل

وثنيون أيضاً : عبدة النصوص والطقوس

بقلم : فهمي هويــــدى

سامحهم الله ، اولئك الذين وضعونا في جانب ، ووضعوا بعض نصوص الاسلام فى جانب معاكس ، ثم تركونا ومضوا : فريق اصطدم بالنصوص ، وخسر الدنيا والاخرة • وفريق ألجمه المشهد فظل جامدا ،كانه لا يتحرك • وفريق عانى كل المشقة والحرج ، فحاول ان يتفادى النصوص او يقفز من فوقها !

وربما كان قصد هؤلاء أن يحموا أحكام الاسلام من الانفراط ، ويضيقوا منافذ الانفلات والتسيب ، فتشبثوا بالنصوص قدر ما استطاعوا • وهذه ايجابية قد نسجلها لهم • ولكننا مع ذلك نسجل عليهم انهم ـ ايضا ـ ظلموا أحكام الاسلام كثيرا ! • ظلموا الاسلام حينما قدموه الى الناس قوالب صخرية مقدسة ، وحينما امتدت عبارة نصوص القرآن والسنة الى نصوص أقوال الفقهاء • وعرفنا عصرا كان اتباع المذاهب فيه يؤدون الصلاة الواحدة فى ساحة الازهر الشريف ، وراء اربعة أئمة مختلفين ، كانهم اتباع اربع ديانات !

وتلك وثنية جديدة ! ذلك ان الوثنية ليست فقط عبادة الاصنام ، فهذه صيغةالزمن القديم • ولكن وثنية هذا الزمان صارت تتمثل فى عبادة القوالب والرموز • فى عبادة النصوص والطقوس والاولياء والزعماء • وهى كل محاولة لتعطيل عقل الانسان وقدراته ، وتاكيد عجزه أمام هذه المقدسات الجديدة •

وفى الاسلام ثمة معبود واحد ، هو الله سبحانه وتعالى • ومثلما ثار الاسلام على وثنية الزمن القديم ، فهو يرفض بنفس القدر وثنية هذا الزمان •

●

ان الله سبحانه وتعالى كان ارفق بالناس من بعض عباده ، فعندما انزل القرآن الكريم مليئا بنصوص الاحكام والعبر والتوجيهات ، جاءت ثناياه حافلة بالاشارات التى تقول ، صراحة وضمنا ، ان الامر مرهون فى النهاية بقدرة البشر وطاقاتهم •

شىء أساسى ألزمهم به هو : ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك• فيما عدا هذا فان « نصوص » القرآن الكريم تقول : لا يكلف الله نفسا الا وسعها ـ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ـ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ـ يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ـ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم تطهيرا

وفى الحديث الشريف : عليكم من الاعمال ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا

ويعلق الامام الشاطبى على هذه النصوص فى كتابه « الموافقات » بقوله : ثبت فى

به هو قدرة المكلف ، فما لا قدرة للمكلف عليه لا يصح
ل •

كن الثانى فى الاسلام بعد الشهادتين، والتى يعد من اقامها
ندم الدين ـ بنص الحديث الشريف ـ هذه الصلوات التى
ثم صارت خمس فرائض فى العصر المدنى ، فصلت السنة
وطرائق الركوع والسجود والقيام والقعود فيها ، وهو ما
خلاف اساسى بين الفقهاء • هذه الصلوات ، يستطيع ان
ه ويجنبه المشقة • وهى نموذج يعكس منطق الاسلام فى
ن الانسان سليما معافى اداها كما رسمت، وفى مواعيدها،
رع والسجود• واذا شق عليه ذلك اداها قاعدا ، واذا لم
يهز راسه • واذا لم يستطع اداها بتحريك رموش عينيه•
جنبا للمشقة ايضا ، ولمزيد من التيسير فله ان يجمع مع
، والمغرب والعشاء معا ، وله ان يتخير الوقت المناسب ،

ر من المرونة والتيسير ، كانت معالجة الاسلام لعبادة
يكون الحال مع احكام اخرى اقل شانا ، تنظم معاملات
بالله سبحانه وتعالى ؟!
ديوية اثارت جدلا بين الفقهاء والباحثين ، بسبب نصوص
يح • ذلك اننى ظللت سنوات مشغولا بسؤال هو : كيف
مه حاكما او خليفة) من قريش ؟ • وكان الذى شغلنى
كام السلطانيـة » للماوردى من ان اهل الامامـة ينبغى
لها العدالة وسابعها النسب الى قريش • وادهشنى ايضا
سين الفراء، كتب فى الاحكام السلطانية ـ ايضا ـ ان
ون قرشيا من الصميم، وهو من كان من ولد قريش بن بدر

شاغلا قلقا عندى ، اذ لم اجد لها مبررا ولا منطقا ،
شرط من الناحية العملية • وربما زاد من الحيرة والقلق
هم « اشراف » بحجة انهم ينتمون ـ بالحق او بالباطل ـ
ن اجداد اجدادهم كانوا من ولد قريش بن بدر بن
ؤلاء « الاشراف » يعيشون عالة على من حولهم ، وبعضهم
« نقابة » ترعى « حقوقهم » وتتحدث باسمهم • ورغم انى
، الا اننى كنت اشعر باستياء شديد ـ معذرة ـ كلما
ولى واحدا من هؤلاء حاكما على المسلمين ؟
عن الخلاف بين اهل السنة من ناحية ، والخوارج والمعتزلة
ب القرشى • اهل السنة يتمسكون بحديث منسوب الى
مة من قريش »• وقوله : «قدموا قريشا ولا تقدموها»•وقول
من غير قريش خليفة • اما الخوارج فقالوا ان الامامة

« للصالح الذى يحسن القيام بها » واستدلوا بحديث الرسول « اسمعوا واطيعوا ولو ولى عليكم عبد حبشى » ، الذى لا يعطى قريشا حقا متميزا عن الاخرين • وقد غالى بعض المعتزلة فقالوا انهم يفضلون غير القرشى لانه يصبح « اقل عددا واضعف وسيلة ، فيمكننا خلعه اذا خالف الشريعة » !

المهم ان مسالة النسب القرشى ظلت مجال اخذ ورد ، حتى جاء ابن خلدون فى مقدمته فارجعها الى العصبية ، قائلا ان المقصود ليس القرشية ذاتها ، ولكن ان يكون للحاكم عصبية تسانده وتقوى مركزه • وهو ما كانت عليه قبيلة قريش بين العرب فى الزمن القديم •

ثم صارت المسالة منطقية ومقبولة ــ اخيرا ــ عندما قدم الدكتور ضياء الريس رؤية عصرية لهذا الشرط فى كتاب « النظريات السياسية الاسلامية » ، اذ طور فكرة ابن خلدون فقال ان المطلوب وجوهر القضية هو اغلبية شعبية للحاكم ، وهو ما يمكن ان يتحقق فى ظل نظام الانتخابات البرلمانية الراهنة ، والديمقراطية الحديثة •

ارايتم كيف يترفق الله بنا ، ونضيق نحن على انفسنا ؟ كيف عالج الاسلام مسالة فى اهمية الصلاة • وكيف اختلف الفقهاء بسبب الفهم المتعسف للنصوص ، حول شرط الحاكم المسلم ، هل يكون من قريش او من غيرها ، وهى قضية لم تكن تحتاج الا الى قدر بسيط من مرونة التفكير وفهم النصوص بافق رحب •

●

فى مناقشة الشهر الماضى ، كان السؤال الذى توقفت عنده هو : ما العمل اذا لم تحقق النصوص تحت اى ظرف مقاصد الشريعة ، وبدا ان هناك تعارضا بينهما ؟

هنا نسجل تحفظا ينبهنا اليه الامام الشاطبى فى الموافقات (الجزء الثالث) ، هو ان حفظ مقاصد الشريعة له اوجه قد يدركها العقل وقد لا يدركها • واذا ادركها ، فقد يدركها بالنسبة الى حال دون حال ، او زمان دون زمان ، او عادة دون عادة ــ اى انمبلغ علمنا ليس هو نهاية علم البشر ، وليس هو دائما كل الحقيقة •

مع ذلك فسوف نفترض ان النصوص لم تحقق المصلحة تحت اى ظرف ، ما العمل ؟

●

الثابت عند اغلب الفقهاء ان المصلحة تقدم على النص • وفى قصة المجاعة على عهد سيدنا عمر بن الخطاب نموذج يعزز هذه الرؤية • ذلك ان خليفة المسلمين راى ان توقيع حد السرقة على قوميعانون من الجوع والفاقة ، هو تطبيق للحد فى غير موضعه الصحيح • وان « المصلحة » تقتضى ان يؤجل العمل بالنص القرآنى •

ولمواجهة مثل هذه المواقف فثمة قاعدة فقهيةثابتة تؤيد « تغيير الاحكام بتغير الازمان » ، وهى تعنى ــ يقول الدكتور معروف الدواليبى فى بحثه حول هذا الموضوع ــ « ان يجرى العمل بنفس النص الثابت ، ولكن بحكم جديد مبنى على دليل مستوحى من ظروف النص ، تبعا لمصلحة زمنية ــ وذلك بان يكون فى ظروف النص دليل على ان الحكم الثابت بالنص القائم المعمول به ، انما هو حكم مبنى على مصلحة زمنية لا مصلحة دائمة ــ وعلى هذا يكون العمل بحكم النص تابعا للمصلحة الزمنية • فاذا تغيرت المصلحة تغير الحكم معها »

ويضيف الدكتور الدواليبى قوله : ولعل اجتهاد عمر فى منع العطاء الذى جعله القرآن للمؤلفة قلوبهم كان فى مقدمة الاحكام التى قال بها تبعا لتغير الازمان ــ بعدما توطد سلطان الاسلام ــ رغم ان النص القرآنى (الذى يعطىهؤلاء نصيبا فى الزكاة) لا يزال ثابتا غير منسوخ •• ومن هذا اجتهاده عام المجاعة فى وقف تنفيذ حد السرقة •

س مصلحة للمسلمين ، لان « الشرائع تابعة للمصالح » .

زئية التي بين أيدينا ، مع الكليات والقواعد الفقهية ؟
عارض فيالشريعة في نفس الامر ، بل في نظر المجتهد » .
رسول الله يحل المشكلة من أساسها : «اذا روى لكم حديث
وافق فاقبلوه ، والا فردوه » .
بة عائشة ردت حديثا منسوبا الى النبي يقول : ان الميت
يتعارض مع آية قرآنية وقاعدة فقهية كلية هي : « ولا تزر
ن للانسان الا ما سعى » .
يفتح البابعلى مصراعيه للاجتهاد،وهو الباب الذي قتلت
ت طرائق الاجتهاد نصيبا هو اضعاف اضعاف ما نالتـه

وسعة الافق التي يعالج بها الاسلام مسالة النصوصومصالح
ن أعظم فقهاء المسلمين هو ابن القيم الجوزي ، في كتابه
سل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل
. فاذا ظهرت امارات الحق ، وقامت ادلة العدل ، واستقر
الله ودينه ورضاه وامره . والله تعالى لم يحصر طرق
واحد ، وابطل غيره من الطرق التي هي اقوى منه وادل
ق أن مقصوده اقامة الحق والعدل وقيامالناس بالقسط ».
بأن هذه الحرية الواسعة في الحركة والتقدير ، يجب الا
كام القطعيةفي الكتاب والسنة . وها هو ابن القيم ذاته
والتنبيه في قوله أن من الاحكام « نوع لا يتغير عن حالة
منة ، والامكنة ، ولا اجتهادات الائمة ، كوجوب الواجبات
بالشرع » .. وهذا يعني انه لا مانع من تاجيل حكم شرعي
هناك فرق بين التاجيل والالغاء ، والتاجيل والنقض .
شريعة الاسلامية المبنية على النصوص قليلة جدا بالنسبة
نهاء . فالنصوص وضعت المبادىء العامة والقواعد الكلية.
مبني على اجتهاد الفقهاء في الاجماع والقياس وغيرهما.
مجلـدات ضخمة من كتب الفقـه ، وطغت احيانـا على
بد التدريجي طابعا شكليا جامدا بعيدا عن الجوهر الاصلي
، وحجب الشكل الجوهر » ★ .
بين احترام النصوص وعبادتها . وارجو الا اكون بحاجة
لذي لا يغل باي حال بما للنصوص من احترام وتوقير .
ا الى المدىالذي قد يوقعنا فيمحظور عبادة هذه النصوص.

حيرة مسلم هذا الزمان » !

وان : المسلمون تأخرهم ونهضتهم ، أشار اليه الاستاذ
ر الاسلامي والتطور » .

كذلــك كـــان الفتـــح :
سيفا يقتل وقسيسا يبارك !

امريكا اللاتينية ذلك العالم الجديد

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

لو وقفت بك الخطى ذات يوم ، في ساحة المدينة، امام تمثال ضخم لحذاء عتيق ، فماذا تراهـــا جنيات الظن ملقية في وهمك ؟ اهو حذاء جندي عملاق ربح معركة ؟ ام نهاية الطريق القاه هناك اول مؤسس للمدينة ؟ أم هو مس من جنون الم بالبلد فاذا هو بدل التماثيل المردة ، يعشق .. الحذاء العتيق ؟

لقد لاك ظني مرة هذه الفروض وانا اطل على ساحة كبرى في (كارتاهنة) ابرز مرافىء التاريخ الاسباني على البحر الكاريبي فاذا بالساحة تستدير حول حذاء ضخم من الحديد الازرق يكاد يتســـع لطفلين ! .. ولكن اللوحة البرونزية التي كانت تتمدد امام الحذاء كانت تحمل قصيدة . وكانت القصيدة تقول :

احبك ياوطني !

احبك حبي لحذائي العتيق !

وعرفت ان النصب انما اقيم تكريما للشاعر صاحب هذه الكلمات !

ولقد جـرح خيالي ان يحفظ الكثيرون هنـــاك القصيدة وان يربـط الشاعر بينهم وبين الوطن برباط من حذائه العتيق !!

على اني من يوم الى يوم ، كنت القى هناك في العالم الجديد ، جراحا اخرى على الخيال ،مناخا آخر ينداح امامي لم اعتده . كان المألوف الراكد وراء جلدي يهتز دوما بجديد وافد . كانت تثقبه حصاة هنا وحصاة هناك . وكنت اقتح يوما بعد يوم جانبا من نفسي لهذا الجديد ، يؤويه ويتمثله. لابد ان ثمة منطقا آخر للحياة والناس هاهنا . ولابد ان ثمة معراجا مختلفا من المعارج نحـــو مصير مختلف !

العالم اللاتيني

وعن هذا الجديد ــ كما رايته ــ ساتحدث . عن العالم الذي يدعونه باللاتيني ! هناك على بعد مائة كيلو متر من تمثال الحذاء يقـوم تمـثال آخـر لكريستوف كولمب . يزعمون انه هناك حط قدمه ، اول ما حطها ، في القارة . وهناك وقف «الهنود» كتماثيل الهتهم القزمة ، تستدير عيونهم ، على الجزر ، لمولد انسان آخر من الماء البعيد !

لم يصف الخيال الهندي تلك المفاجاة الخالقة، لان سيف ذلك الوافد الاول كـان مختـفيا ورا الشراع . وكانت يده اسرع الى السيف والبارو من الخيال . ظلت المفاجاة سؤالا مرعبا علـــى جمجمة الهندي المتعفنة ماتت وجهة نظره معه . اما الفاتح فركض وراءه كسيل الجبل ، ظامئور

الوصول : نصفه الايمن قسيس فى المسوح يحمل الصليب ونصفه الايسر محارب فى اللامة السابغة يمد بالسيف • كذلك ، فى الواقع ، كان الفتح : سيفا يقتل وقسيسا يبارك • اما الانسان الذى يلتقى بالانسان فقد ضاع بين الاثنين لانه لم يكن له وجود •

عصر الاكتشافات

وذلك اللقاء الذى نباركه نحن باسم (عصر الاكتشافات الكبرى) كان ملحمة دم واشلاء دامت اكثر من قرن ونصف القرن • وبينما كانت محاكم التفتيش تبيد الحضارة العربية فى الاندلس كان ابناء تلك المحاكم يهجمون كالعلق الضخم علـــى اطراف القارة المكتشفة : فهندى ذاب فيهم وهندى هرب الى الغابة !

وتهاوت امام الفرسان المباركين اضلاع الهنــود الهمج ! •• تهاوت حضارة (الازتيك) (١) فى المكسيك باهراماتها ومعابدها الذهبية • وداست الحوافر على شعوب (الشيبشا) فى كولومبيا • ومسحت السيوف معابد (الانكا) فى بيرو مـــع الرؤوس اليافعة • وابادت هنود (الكانما هانارى) فى البرازيل وما اللوه من سور ومعبد • وشرب (الاروكانيون) فى شيلى الشوك والسل والصاب قبل ان يـذوبوا •• يـذوبوا فى الفيض البشرى المنتصر !

ظلت انبـاء الملوك الصرعى والشعوب المسترقة تنهمر من كل الشعاب الجبلية وعبر السهول المديدة والمسالك الغابية المظلمة ، مائة سنة أو تزيـد • (بيســارو) (٢) ، (كـورتيـز) الـرهيب ، (فالديفيا) الذى اكل المحاربون قلبه ، (مــاك ليون) الايقوسى الذى مات مجنونا من الرعب ••



لى الشعـــاب

لومبس فارغتين •
لذهب هو الذى
ام القريبة من
الهنود الذين
بداثية الخـلق
بعد ! ! ••
ه على شاطىء

ارات الهنديـــة السابقة لكولومبوس فى القارة اللاتينية •
ون الاسبان الذين(اكتشفوا) القارة ! ! ودمروا ما فيها من حضارة

اية أسماء من الجحيم تلك ؟ لقد طالما ارجفت الصخور من الرعب واسكرت الارض دما وذهبا ..

السكان أخلاط

على ان هذا اللقاء المأسوي قد نسي الان هناك او كاد . اما حضارات ما قبل كولومبس فبقيت تماثيل «مصعوقة هنا وهناك ! ! آباء من حجر لابناء مجهولين او عقوقين ! واذا كان الامريكي الشمالي مايزال مؤرقا « بعقدة الهندي » يصوره في الافلام وحشا ، غداروا ، في محاولة يائسة ، لتهدئة الوجدان الامريكي القلق ، وللهرب من ذلك الاتهام الداخلي الذي يقرضه ، فان احفاد الاسبان لم يحتاجوا الى مثل ذلك في القارة اللاتينية . لقد افتداهم بعض الاسبان المحررين في القرن الماضي : (بوليفار) ، (سان مارتان) ، (كاريرا) ، (مارتي) (٣) ، محوا ببطولاتهم أيام التحرر ، ذلك الحقد القديم ، بينما كان أحفاد الفاتحين قد اندمجوا في الخضم الهندي الذي افترسوه لان الحضارة التي كانت تنمو وراءهم في اسبانيا كانت حضارة غير اصيلة . كانت يقظة سيف لا يقظة فكر . تركتهم هناك للانحلال لانها لا تستطيع ان تكون معهم . وهكذا ذابوا وذاب معهم ملايين الزنوج الذين كانت تقيئهم لهم مراكب النخاسين والقرصان على الشواطىء.. وهكذا ظل الهندي القديم سيد القارة اللاتينية ! الا يظهر بنقائه المغولي النحاسي في اكثر من ١٥٪ من سكانها فانه يظهر مزيجا بالابيض او الزنجي في ٦٠٪ من السكان . واما الابيض من سلالة الفاتحين او من المهاجرين التالين فلا يحتل اكثر من ١٥٪ من الملايين المائتين والخمسين التي تعمر القارة ! والخلائط العريقة المهاجرة ماتزال واضحة الملامح ما بين (ريو كرانده) في المكسيك ، و (ارض النار) في الارجنتين . انها تعيش على اطراف القارة ولما تندمج بعد في تكوين عرقي (لاتيني) جديد . فايطاليون ، وهنود اصليون ، والمان ، وعرب ، واسبان ، ويابانيون ، وزنوج ، مجموعة جنب مجموعة . وانما يجمع الناس على ارض القارة ، الولاء للثروة الهائلة في الارض ، لا الولاء للتراب . ولقاء الجشع والكسب لا اللقاء بين قلب وقلب !

وتمتد هذه القارة، بعد ،كالكف المعطاء ، كالقلب البكر او على شاكلة القلب الكبير لهذه الملايين : عمود فقري في الغرب يتمرد جبلا وفوهات براكين وقمما تعممها الثلوج . ثم سهول ترضعها الجبال نهرا بعد نهر من(الاورينوك) الى (الامازون)وهو «النهر الاب» ، الى (البارانا) ... وطبيعة وحشية الجمال ، وحشية الجمال حتى الالم ! اتذكرون تلك الصفحات التي كتبها (شاتوبريان) ذات مرة في (آتالا) ، اذ قال : اني لفي ريب من ان يكون احسّ حقا بذلك المحيط اللانهائي من الخضرة الحياة والصخر والحياة الراعشة فيها وهي تمور!

يقول شاعر شيلي (پابلونيرودا) :

يا امريكا ، يا معبرا من شجر

ايتها العليقة البرية بين البحار

انك ، من القطب ، الى القطب ، تهدهدين

الكنز الاخضر : غاباتك الكثيفة

انها غابات حتى لتغني النار والفاس ، ولهم زرق كاسنان التنين الحديدية .

وعصائب طير ملون ، كما لو جمدت قوس قزح على هذا الجناح او ذاك ، ووحش يدب او يزحف وسط الدغل الابكم ، ونجمة عارية مجنونة تتامل اعماق الجلد ، وزهرة (كوبهو) او (اوركيدة) نبيلة من ارستقراطية الزهر ، وجذور ملتفة باغصان كحقد قلب ، وخصب كما لو انهلت الدوالي زقاق خمر، وشلالات كاسهم غاضبة تريد العودة الى الارض ، وسهول تلهث لتدركها الافاق ، وبحار تجرى في الانهار ..وعليق،ومستنقعات ، وخلجان واودية.. كل ذلك فوق الكنز المرصود في الارض ، من عروق فحم ، وزمرد كالحصى ، وطبقات فضة وذهب ، واهوال من النحاس والقصدير والنترات ، والحديد والبلاتين ...

الثروة البكر

وما عرفت هذا العالم بعد ، ان لم تعرف ا هذه الثروات لم تزل في عطائها الاول . لم تنة

٣) اسماء كبار قواد الحركات التحريرية في القارةاللاتينية .

...يع الانسان بعد الى قلب القارة فتستنزفه . ا عرفت هذا العالم بعد ان لم تر الى قطعان بعر كالمد الاغبر في (يامبا) الارجنتين ، وعيون ال المناجم المنطفئة في شيلي وحبة البن السمراء لا هموم البرازيل وكولومبيا ، وغابات قصب سكر في كوبا ونزيف البترول في فنزويلا .. ا عرفت هذا العالم بعد ، ان لم تذكر ان الحضارة لناس انما تطيف به من اطرافه فحسب ،وتتهيب ى الان اعماقه . تعيش على الشطئان البحرية ارجة وتنقطع خطاها قبل الغابة العظيمة وعمالقة جبال . ان اعظم مدن القارة انما تنتثر كالعقد ىء على الحواشي المستحمة بالبحر او التي تكاد ن «ريو» الى «بونس ايريس» الى «سنتياغو» الى ا ، وكيتو ، وبوغوتا ، وكاراكاس . هنا كل ن الحياة الحديثة والاؤها والقها الماتع .وما من . هناك في الاعماق الامازونية او على الوديان، ى الجحيم ، في (الاند) . وحدها تجثم الاشجار، صخور ، والمياه ، والافاعي ، وعصائب الطير ، طعان الوحش ، ورهبة الخلق الاول ! ...

بلى ! قد ينطلق سهم حديد بغتة ، او تظهر ن هندي بدائي ، كحقين من دم بين الاوراق كاثفة .. فثمة ينتهي مدى الانسان الذي هو لتبدأ دنيا الانسان الذي هو جزء من الغاب. كان بناء (برازيليا) مغامرة انطلاق ، رمز فل نحو ما هو الامازون ! اما فيما بين الاعماق شاطىء المجدود فان نشيج القناديل ما ينفك سمع هناك ، وافتراس العجول على النار الضخمة، رب الكحول الرديء،وعصيات كوخ في الصدور، حوب الملاريا في العيون !

ولا فرق بين المدثر (بالرونا) في كولومبيا او اودشو) على المهر في الارجنتين . كلهم اعطاه ناس ، نحاس الارض ، لونه ، وراء العيون مبالية السوداء ، وان لم يعطهم مقاومته ، سط الاعمار هناك لا يزيد عن خمس وعشرين ومعظمهم اعطته الامية طمانينتها الحيوانية ، سط من اتصل بالانصباء لا يزيد على ٤٠٪ .

رواق الكنيسة الكاثوليكية

للكنيسة الكاثوليكية ، بعد ، الرواق الممدود هناك . واذا كان خليفة بطرس الرسول يحمل تاجه في روما فانه ينصب عرشه الحقيقي هناك فيما دون اوض المكسيك حتى سهوب (باتاغونيا) الحائرة في الجنوب ، أوليس نصف كولومبس قسيسا ؟ اذن فلا فرنسا وايطاليا ولا اسبانيا في كثلكتها تعدل ركوع رؤساء الجمهوريات اللاتينية (عدا المكسيك) امام الاسقف الرسولي ! والمسوح السود في كل بيت تذكرنا برهبان اللاما الذين لا تخلو منهم عائلة في التيبت ! وللكنيسة أرض الاقطاع واليد السياسية التي ترتفع وتصنع ، وتكوين العقول للغد . الله وقيصر يعيشان هناك على عرش معا.لا ياخذ قيصر ماله الا في المكسيك اما ما وراء ذلك فالقداس يعيش في رئتي الدولة والشعوب جميعا . ففي كل نفس منهم ناقوس يدق وصلاة علوية ترتل !

واما الحكم فللديمقراطية البرلمانية منه الاسم، وللاوليغاركيه او البلوتوقراطية او الاوتوقراطية، وهذا المعجم من (القراطيات) ، الباقي كله ... الاقلية هناك هي التي تصنع ارادتها في افواه القضاة ، وعلى مناكب الحاكمين ، ومنبر البرلمان، لقد تكون عائلية او مالية او عسكرية ، ولكنها هي الفئة الحاكمة دوما ، عهدا بعد عهد . وهي هي في الزيف والاستغلال والدجل الشعبي . انهم يدورون في فراغ العقيدة . ما تزال الديمقراطية فيهم (ايديولوجية) مستعارة وغير مفهومة بالرغم من مائة وخمسين سنة من التبجج الديمقراطي ومن تاريخ استقلالي يرقى الى مائة ومائة وخمسين سنة . ان التكوين الاثنولوجي والاجتماعي — الاقتصادي يكشف هناك عن مساوىء الديمقراطية لا عن وجهها المشرق . يجعلها مزرعة استغلال لا وسيلة رفاه شعبي ! ويفسح المجال لزحف (البذلات الكاكية) باستمرار الى دست الحكم ، بدل ارادات الشعوب !

وتستريح الولايات المتحدة الى جاراتها اللاتينيات منذ نصبت بينهم وبين العالم — غير الامريكي — سدا من مبدأ (مونرو) الذي اضحى في آخر صور تطوره (منظمة الدول الامريكية) .. ان القارة اللاتينية مزرعة ضخمة القتها لعنة الجغرافيا لاستثمار (اليانكي) و (الفرينغو) (٤).عشرة الاف

(٤) لقبان يطلقان في القارة اللاتينية على ابناء الولايات المتحدة .

مليون دولار تبعثها الجارة الشمالية في عروق القارة لتنزف وتنزف ، من كل شيء !

ان امريكا (الشمالية) هناك في الجنوب هياكل المنيوم ممردة وسمفونيات من الاسمنت كالاطواد ، ومنجم يهترىء فيه الجسد ، ودولار رواغ ذو وجه ازرق ومصرف وشركة ومكتب وعمــلاء بعشرات الالوف • الامازون الحقيقي ليس ذلك النهر الذى يسيل في عرض القارة ولكنه ذلك الذى يتدفق ذهبا من عروقها الى (وول ستريت) !

منذ سنوات زار رئيس الجمهورية الكولومبية امريكا فاكرمه (نلسون روكفلر) حاكم نيويورك بان اهداه خمسين الف هـكتار •• فـي ارضـ كولومبيا ! !

ان في تاريخ الفتوحات الاسبانية قصة رواهـا الشاعر (نيرودا) تذكران (بيسارو) الفاتح الو انتصر على ملك (بيرو) بسنابكه • وسيق ا المغلوب (اتاهيالبا) اسيرا جريحا الى السج ودخل بيسارو عليه فوجد على الجدار خطا ا من دمه • كان يحاول الهرب ! ••• اذن ا البروانيين ان يملأوا ثلاث غرف بالذهب وال حتى ذلك الخط الاحمر ! واخذت العربات ت وتجيء ، تحاول دون جدوى تغطية ذلك الخط ويظهر ان هذه العربات ماتزال منذ اربعمائة تذهب وتجيء محملة بالسكر والنحاس والبـ والنترات والقهوة والموز والمطاط والبلاتين •

••دون ان تصل الى الخط الاحمر !

شاكر مصطفى

ينهض من جديد

■ يروى عازف البيانو الشهير آرثر روبنستين قصة حدثت له عندما كان في سن السابعة عشرة من عمره وغيرت تماما مجرى حياته بعد ان كاد اليأس يقتله :

« لقـد وصلت الى باريس من برلين واخذت ابحث عن عمل ولكن لسوء الحظ لم يكن النجاح حليفي • فاسودت الدنيا في وجهي واصبحت عصبي المزاج مهموم البال ومستاء من الاخرين • وهكذا عشت في حالة من البؤس والضياع • وفي هذا الجو الذى لا تلوح في افقه بوادر مستقبل افضل رحت اسال نفسي: ما هي الجدوى من العيش في ظل هذه الظروف ؟ ولذا حاولت التخلص من الحياة بالاقدام على الانتحار ولكن المحاولة اخفقت • ولقد اعترفت بان ذلك كان تصرفا احمق منييدعو الى السخرية ، كما هو شـأن الحيـاة التى اعيشها • وفي اليوم التالي وكان يوما رائعا استيقظت في الصباح وفتحت عيني على عالم فسيح جديد و يقنت في قـرارة نفسي ان النجاة من الموت هي ولادة جديدة• ولقدجذبني منظر الزهور الجميل واطللت برأسي من الشرفة لأرى كلبا يلاحق خياله في الشارع ، ونفرط تاثـرى بهذا المشهد اغرورقت عيناى بالدموعواخـذت اسـال نفـسي : مـاذا كنت انتظر لاكون سعيدا ؟ لقد كانت تلك هي السعادة بعينها • ومنذ ذلك الوقت اصبحت انظر الى الدنيا بمنظار ابيض واعمل على ادخال السعادة الى نفسي مما كان له اكبر الاثر في تغلبي على جميعالصعاب التى واجهتني وما حققته من انجاز حتى الان •

لوفيجارو ـ باريس•

يرانيا

سمكة صغيرة

من أكلة لحوم البشر

وم البشر نعرفهم ،القرش والتماسيح والاسود والنمور ،
هناك أكثر وحشيةوشراسة من تلك السمكة الصغيرة التى
•

لية لامريكا الجنوبية
الامازون هو الذى
تتواجد فيه باعداد

سمكة بيرانيا ذات
ن الفضى غير ضارة
يقة ان هذه السمكة
لسفك الدماء •اذ ان
بعيدة بفضل حاستى
ها • وراسها غزير
عظمة سميكة كما ان
تين يكون احيانا احمر
باسنان مثلثة الشكل
لع نحو فريستها بقوة
بفكيها العلــوى
، وبمنتهى السهولة
داة من ادوات الجراحة
لحم فريستهــا قطعا

سميتها بالبيرانيا من
نى• » وتعنى السمكة
بعض المناطق التى
يطلق عليها اسـم
الصغير الضار الذى

يعيش فى امريكا الجنوبية او «كانيبال» وتعنى آكلة لحم البشر •

ويروى احد الهواة كيف شاهد فكى هذه السمكة على الطبيعة فقال: «استاجرنا مرشدا يدعى جورج ليقودنا فى رحلة لصيد السمك فى « ماناواس » فى احدى غابات البرازيل • وبعد ساعة تركنا المدينة ، وعندما وصلنا عند مدخل نهر الامازون اوقف جورج المركب وشبك قطعة لحم فى صنارة الصيد وقذف بها الى الماء ، وعلى الفور صاح قائـلا لقد امسكت بسمكة ومن ثم جذب الصنارة الـى الخلف ، واذا بنا نشاهد سمكة طولها اثنا عشر بوصة وبطنها منتفخ ولونها قرمزى جميل كسائر انواع السمك الاستوائى الذى شاهدناه وحذرنا جـورج بضـرورة الابتعاد عن البيرانيـا الحمراء وقال لنا راقبوا جيدا ايديكم واقدامكم • وكانت فاغرة الفم وفكاها المفزعان بارزين بوضوح •

وفى اللحظة التى سحب فيها الصنارة من فمها اندفعت بقوة نحو المجداف المصنوع من الخشب وقضمت قطعة منه ثم اتجهت الى الحافة السفلى من المركب وقفزت الى الماء • وقد فسر لنا ذلك لماذا يفقد كثير من الصيادين اصابع ايديهـم واقدامهم فى الاماكن التى تتواجد فيها البيرانيا•

وتبحث هذه الأسماك غالبا من ضحاياها فى جماعات كبيرة تصل الى المئات ومن هنا يمكن ان

نتخيل مدى الدمار الذى تخلفه والسرعة المذهلة التى تنجز بها عملها .

وابلغنا راهب بقر برازيلي بانه تمكن من جرح سمكة يبلغ وزنها مائة وخمسة وعشرين رطلا انجليزيا وتعتبر اكبر انواع القوارض في العالم التى تعيش في نهر الامازون . وقال ان السمكة الجريحة افلتت منه واندفعت ثانية الى الماء والدم ينزف منها ، « وبعد برهة وجيزة شاهدت منظرا مفزعا لن انساه ابدا فقد تحول لون الماء الى الابيض فاللون القرمزى وفي غضون دقائق لم يتبق من السمكة شيئا باستثناء عظامها . »

وروى هاو آخر حادثة وقعت في عام ١٩١٤ وقال انه بينما كان احد القرويين يعبر جدولا في البرازيل على ظهر بغله اذ سقط فجاة في الماء ، وماهي الا لحظات حتى جرد سمك البيرانيا لحمه عن عظمه . ومنذ ذلك الوقت اكتسب هذا السمك سمعة مرعبة في مختلف بقاع الارض .

والحالات الفعلية التى ياكل فيها البيرانيا بنى البشر نادرة . ولكنها عندما تحدث فان النتائج تكون مذهلة . ففي نوفمبر عام ١٩٧٦ انقلب احد المراكب النهرية بينما كان يقل ثمانية وثلاثين شخصا عبر نهر « ايروبو » على بعد مائة وخمسة وعشرين ميلا الى الشرق من ماناواس والذى تكثر فيه اسماك البيرانيا . ولما وصل عمال الانقاذ الى المنطقة بعد تسع ساعات وجدوا معظم الركاب الذين لاقوا حتفهم في الحادث قد اصبحوا هياكل عظمية بفعل هذه الاسماك .

وكثير من الخبراء يعتقدون بان خطر البيرانيا على بنى الانسان مبالغ فيه وذلك بالرغم من مثل هذه الحوادث . وقال هؤلاء الخبراء ان السكان الوطنيين في بلاد حوض نهر الامازون غالبا ما يسبحون في انهار حيث يصطاد الصيادون اسماك البيرانيا بالعشرات .

والهنود يخشون كثيرا من نوعين من الاسماك احدهما افعى مائية ضخمة والاخر سمكة طفيلية صغيرة جدا تعرف باسم « كنديرو » تسبح الى ثقوب في الجسم وتستقر هناك وغالبا ما يتم اللجوء الى العمليات الجراحية لاستئصالها .

ويقول استاذ متقاعد في علم الاحياء في جامعة ستانفورد بكاليفورنيا هو جورج مايرز ان خطر البيرانيا على الانسان حقيقى كما هو الـ[illegible] بالنسبة لسمك القرش ، وان هذا الخطر يتطـ[illegible] من الشخص عدم التواجد في المكان والزمان غـ[illegible] الملائمين . ويضيف قائلا ان اسماك القرش والا[illegible] والافاعى ذات الاجراس واسماك البيرانيا لاتقـ[illegible] اوتوماتيكيا الانسان الذى يقتحم موطنها ، ولـ[illegible] احدا لايمكن ان يزعم ان ايا من هذه الكائنات الـ[illegible] ليست مخلوقا مميتا .

وتكمن الخطورة البالغة لاسماك البيرانيا [illegible] المياه الضحلة (البحيرات والبرك ومنعطفات الانـ[illegible]) في فصل الصيف . عندما تاخذ المياه بالانحـ[illegible] ويقل الغذاء الطبيعى لهذه الاسماك وهو ..[illegible] كائنات حية مائية اخرى تصبح عدوانية .

وفي المناطق التى تربى فيها قطعان الماشـ[illegible] تهاجم البيرانيا الابقار التى تخوض في المـ[illegible] الضحلة وتقرض بفديها اولا حلمة الثدى وطر[illegible] الذيل ثم تكمل على اعضاء الجسم الاخرى وذ[illegible] تقرير لمعهد برازيلى في علم الاحياء ان صاحـ[illegible] قطيع من الابقار في ولاية « ماتو جروسو » فقـ[illegible] الفا ومائتى راس من قطيعه في سنة واحدة بفـ[illegible] اسماك البيرانيا .

ومن غير المحتمل ان يكون عامل واحد فقط الذى يدفع هذه الاسماك الى الهجوم بل عدة عوامل مجتمعة . ومن بين هذه العوامل الجوع والمـ[illegible] الضحلة والكثافة العالية للاسماك .

وتمتاز البيرانيا بحدة البصر وتستخدم حاسـ[illegible] البصر والسمع في العثور على فريستها . وتـ[illegible] رائحة الدم ثائرتها فتنطلق كالبرق نحو مصـ[illegible] هذه الرائحة وهى فاغرة الفم ثم لاتلبث ان تخـ[illegible] من الانظار .

ويعتقد بان هناك اكثر من عشرة انواع من[illegible] الاسماك يتراوح طول الواحدة منها مابين [illegible] بوصات وقدمين . وهى تتواجد باعداد هائلة البحيرات والانهار والبرك المنتشرة في معظم انـ[illegible] امريكا الجنوبية شرقى جبال الانديز بين البـ[illegible] المطلة على البحر الكاريبى وشمال الارجنتين وبعض هذه الاسماك اشد خطرا من السمك الذهـ[illegible] وبعضها الاخر كالبيرانيا الحمراء قاتل .

وتضع اناث البيرانيا المئات من البيض في و[illegible] واحد على النبات المائى وتتولى الذكور بعد ذ[illegible]



انه • وعندما تفقس
النبات لمدة ايام •

قة صغيرة جدا قد
رى اثناء تجوالهـا ،
لى التصدى لها ومنعها
صغار السمك قادرة
من النبات وتبحث عن

شان اسماك القرش
تصادفه فى طريقها
ن مجموعات • وعلى
يهاجم الا كائنات حية
برانيا يهاجم مخلوقات
اكانت هذه المخلوقات
طريقة غريبة • واذا
ان البيرانيا قد تطبق
كتها • واثناء عملية
الفريسة لتحصل على
هذه العملية بسرعة

امن عندما تكون هذه
طيور كثيرة كمالك
اء (البلشون الابيض)
تطير على ارتفاع
عد ان سمك البيرانيا
ليها • وبالرغم من
سماك الا ان الهنود
ذلـك فهم يصطادونه
ر سام يضعونه فوق

الماء ويقومون بشواء السمك المصيد فوق نار فحم حامية • وبعد الغداء يستخدمون فك البيرانيا كمقص لتقطيع الجلود ، اما الاسنان فتصبح رؤوسا للسهام •

وهناك حوض لحفظ هذا النوع من الاسماك فى بريطانيا • ويحذر الخبراء الاشخاص الذين يقومون ببيع وشراء البيرانيا من خطرها ويطالبونهم بوجوب العناية الفائقة فى تعاملهم معها • ويقدمون تعليمات مفصلة لهم وينصحونهم بضرورة ابعادها عن متناول الاطفال على وجه الخصوص •

وكثيرا ما تقع حوادث مؤسفة لاشخاص لم ياخذوا الحيطة والحذر فى المناطق التى تكثر فيها البيرانيا • وعندما يصطدم هذا السمك مع الانسان يكون ذلك بوجه عام اما فى اعقاب حادث اوبسبب خطا فى تقدير الانسان •

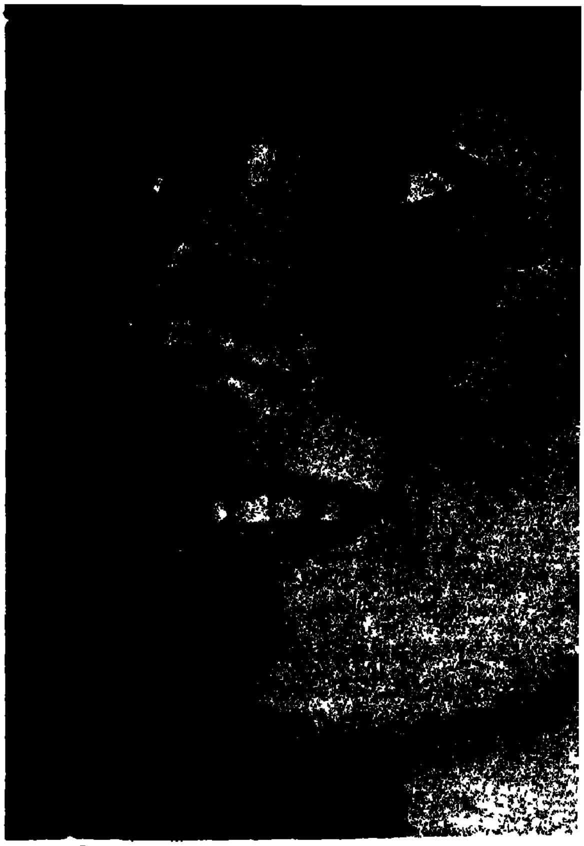
وهناك حادثة وقعت لرئيس هندى على نهر تاباجوس « Tapajos » فبينما كان ينظف الدجاج على ضفة النهر وبدون انتباه القى باحشاء الدجاج فى النهر ومن ثم وضع يديه فى الماء لغسلهما من الدم ، وعلى الفور سمع اضطرابا شديدا تحت الماء وماهى الا لحظات حتى صرخ من شدة الالم ولما رفع يديه وجد ان البيرانيا قضمت احد اصابعه وهو السبابة •

المهم ان القرويين الذين يتمتعون بقدر كبير من رباطة الجاش قالوا ان الرئيس الهندى كان مخطئا بوضع يده فى الماء وان المسئولية تقع عليه وليس على البيرانيا التى قضمت يده • ■■

(مترجم عن ريدرز دايجست)

تقريـر عـن مهرجـان بغـدا
الدولى الثالث لأفلام فلسطـ

فلسطين والسينما



فانيـسا ردجريـف بطلـة فيلم « الفلسطينيـون »

بقلم : الفاروق عبد العزيز

■ صارت العلاقة اليوم بين اية قضية نضالية وبين الفن السينمائى علاقة عضوية مفعمة بالحيوية. لم يعـد يكفى ان نقـرر اهمية استخدام الوسيط السينمائى كوعاء ناقل للمضامين والرؤى الثورية، فقد صار بديهيا اليوم التاكد على « خطورة » هذا الوسيط الاعلامى فى نقل الافكار وعرضها • واذا كان عالم الاتصال الكندى الكبير مارشـال ماكوهان يؤكد على اهمية التليفزيون « كوسيط ساخن » فى هذا المضمار وفى غيره ، فان هذا لا ينفى مقولتنا حول مـدى الاهمية والخطورة التى ما زال يتمتع بها « الوسيط البارد » ـ السينما • وعلى اية حال فكلا الوسيطين يمثلان معـا حـلا بصريا واحدا بالغ التاثير فى عالم اليوم •

لهذا حرص مهرجان بغداد الدولى منذ انشائه فى عام ١٩٧٤ ـ وهو مناسبة تتكرر كل عامين ـ على ان يضـم عـروض التليفزيـون (اشرطـة الفيديوتيب) الى عروضـه السينمائية • فهـو المهرجان الدولى المكرس لافلام وبرامج فلسطين •

وقد رفع شعار منذ بدايته يقول : « تحرير فلسـ ركيزة للسلام العالمى » • وهذا يعنى ان المهر باعتباره حدثا عربيا ودوليا يسعى من خلال مج ما يعـرض من افـلام الى التركيـز على حقية ارتبـاط القضية الفلسطينية باستقرار السـ العالمى •

الكم العربى والكم الغربى

وقد عقد المهرجان الاخير فى الفترة مابين وحتى ٢٥ مـارس (آذار) ١٩٧٨ • خـلال هـ الفترة الحافلة بالعروض اتيح لجمهور المهر من سينمائيين ونقاد وضيوف مشاهدة ما يربو ٥ ١٠٠ فيلم تسجيلى وروائى وشريط فيديو • و الامر الـذى اسهم فى تقديم بانوراما كاملة معظم ما تم انتاجه عربيا ودوليا حول فلسطين

والواقع ان الملاحظة الاولى تتعلق بكم العرو التى توفرت للمهرجان الثالث هـذا العام بو



فانيسا والشال الفلسطيني حول رقبتها تتحدث الى واحد من لاجئي مخيم تل الزعتر .

●●●

خاص . فقد لوحظ ان مجمل مشاركة الدول الصديقة او السينمائيين المستقلين من الدول الغربية قد اربى على ٧٠٪ من افلام المهرجان . وهذه ظاهرة ايجابية بالتاكيد . فهذا يعني أن الوجود الاعلامي لقضيتنا يكسب ارضا جديدة كل يوم .

بيد ان هناك وجها سلبيا لهذه الملاحظة فالمشاركة العربية التي يفترض فيها ان تكون اكثر فعالية ووجودا على صعيدي الكم والكيف تتلاشى تماما بعد عام . ولست ادري سببا لهذا . هل نتصور اننا كعرب قد ارضعنا بما يكفي ، وعلى الغرب وحده ان يسهم في تنوير ذاته بذاته ؟

الافلام العربية

سنحاول هنا ان نعرض الكيف العربي والكيف الغربي كما ظهرا من خلال افلام المهرجان وقد يبدو هذا ضروريا خاصة اذا علمنا ان هناك حقيقة علامية عربية مفادها انه لا يعرض على الجماهير العربية من المحيط الى الخليج اكثر من ٢٥٪ مما تم انتاجه عن قضية فلسطين بوجه خاص . ومرجع ذلك اسباب كثيرة وان كان اهمها عدم وجود شبكة توزيع محكمة لهذه الافلام التي تنتجها بالاساس منظمة التحرير الفلسطينية (الاعلام الموحد) .

لهذا كان اهتمامنا البالغ بمتابعة انتاج مجموعة الشباب الفلسطيني ـ الذي يعيش واقع القضية اليومي واللحظي ويعاني من لهيبها مباشرة ـ خلال دورات المهرجان الثلاث (٧٤ ـ ٧٦ ـ ١٩٧٨) . وربما لان المجموعة معنية اكثر من غيرها بانشاء علاقة صحيحة بين فلسطين والسينما . والمعروف ان مؤسسة السينما الفلسطينية قد انشئت عقب «كرامة» مارس ١٩٦٨ . يومها اصدر الشباب بيانا يدينون فيه التناول السينمائي العربي ـ روائيا ووثائقيا ـ للقضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ .

من خلال ما عرض في المهرجان الاخير لهذه المجموعة امكن لها في تصوري ـ ان تجد بداية الطريق نحو تنديد عملي بالاساليب المختلفة للافلام العربية المكرسة لفلسطين والتي تعكس فقرا حادا في الوعي السياسي والقومي بابعاد وحركة القضية . ففي

فيلم « تل الزعتر » للمخرجين مصطفى ابو علي وجان شمعون تمايش الاهتمام الشديد بالتسجيل الحي للتجربة المأساوية التي عاشها سكان هذا المخيم البطولي قبل واثناء حصار الـ ٥٥ يوما في اغسطس (آب) ١٩٧٦ . وهو لا يكتفي بتسجيل الحدث ولكنه يعلق عليه سينمائيا من خلال مونتاج محكم الايقاع يكشف عن طريق كافة ابعاد الحدث. والعمل يخلو منكثير من عيوب السينما الفلسطينية الاولى . ولعل ابرز هذه العيوب كان يتمثل في نقطتين :

* الانفعال الزائد وهو الامر الذي يؤدي الى طمس معالم الرؤية السياسية الناضجة للقضية .

* الحيرة تجاه الجمهور . فقد كانت هذه الافلام تخرج في الواقع دون تحديد للجمهور الذي ستتوجه اليه هل هـو الشعب الفلسطيني ام العربـي ام شعوبمتعاطفةمعالقضية ام شعوب مضللةغيبتعنها الحقيقة طويلا ؟

غـير ان المسـتوى الفنـي المتـاز الـذي بلغته الجماعة الان من خلال « تل الزعتر » يشهد باكتمال الرؤية لدور السينما الثورية في عالمنا هذا .فقد كان فقر الامكانيات الفنية مبررا لاخفاق العمل في التوصيل ـ توصيل رسالته الى جمهور محدد . ولكن فقر الامكانيات هذه المرة يتلاحم مع غنى المادة ضمن اطار سينمائي محكم .

عن تل الزعتر ايضا قدمت نبيهة لطفي فيلمها من انتاج مؤسسة السينما الفلسطينية . وهـو يحفل بمجموعة من الشهادات الواقعية ذات الاهمية والدلالة . اما «المفتاح » الذي اخرجـه غالـب شعث (والذي كان قد اخرج « الظلال في الجانب الاخر » لجماعة السينما الجديدة في مصر عـام ١٩٧١) فهو عمل يخاطبك في هدوء ويتسلل الى وجدانك في يسر . فما زال الجد يعلق مفتـاح دارته في فلسطين على الجدار . حفيده يتعلم ويتساءل عن هذا المفتاح ولاي باب صنع وهل يمكن العودة الان ولماذا لا ؟ .

ما تبقى من افلام المجموعة الفلسطينية كثير . ولكننا لا بد ان نتوقف امام الجريدة السينمائية الفلسطينية وقد يبدو لاول وهلة ان لا اهمية يمكن ان تناط بها . ولكن الواقع ان اسلوب الجريدة السينمائية (النيوزريل) هو آخر انجازات السينما الوثائقية الان . فالتسجيل الحي المباشر صوتا وصورة للاحداث جميعها يساوي في اهميته تدوين التاريخ اليومي للثورة . كما ان العلاقة المباشرة بين الجمهور والجريدة التي يشاهدها بسيكلوجية تختلف عن مشاهدته للافلام الروائية مثلا هي ثاني ثمارها . ان الجريدة هي موصل جيد يضع المشاهد في قلب الاحداث مباشرة كما انها مصدر مؤكد للمعلومات التي يحتاجها المواطن العربي خاصة اذا كانت من مصدر عربي صميم .

قدم العراقمعظم افلام وبرامج المجموعة العربية. وقد برز من بين هذه الافلام فيلم « وجل السلام » عن المطران المناضل هيلا ريون كابوتشي . ولا يعد الفيلم وثيقة سينمائية بالغة الاهمية فحسب ، ولكنه في الواقع عمل فني محكم.فشهادات المطران الواقعية تجسد في صور كتبت بطريقة المونتاج المتوازي وهذا بذاته يترجم اقوال المطران الـى اعمال جسدتها في النهاية بطولته العملية .هناك ايضا فيلم « حقوق الانسان ..لمن ؟ » لمنذر جميل ويربط فيه بين النضال الفلسطيني ونضال شعوب العالم ضد الاستعمار من خلال نفس الاسلوب ـ المونتاج المتوازي ـ (الذي يقدم لقطة ثم نقيضها او لقطة ثم مرادفا لها لكي يحصل على اثر كليفي النهاية باتجاه المعنى الذي يقصد الى تدعيمه .

وقد شاركت الكويت بفلم « الصقر » لبـدر المضف وفيديوتيب عن « حركة تحرير ارتريا » لعبدالله المحيلان ولكنهما لم يعرضا لازدحـام العروض كما قيل .

الافلام الصديقة

من خلال عروض المهرجانين السابقين امكن لنا ان نرصد تحولا كميا وكيفيا في افلام الاصدقاء . وقد تاكدت هذه الحقيقة خلال المهرجان الاخير بشكل مؤكد كما اسلفت . وقد تميز مجمل العروض بالسمات التالية :

ان هذه الافلام قد وجدت جمهورها . فهيتتوجه لجمهور غيبت عنه الحقيقة طويلا وفي اقل القليل تتوجه الى جمهور عربي ربما يكون قد نسي مجموعة من الحقائق عن القضية لاعادة تعبئته .

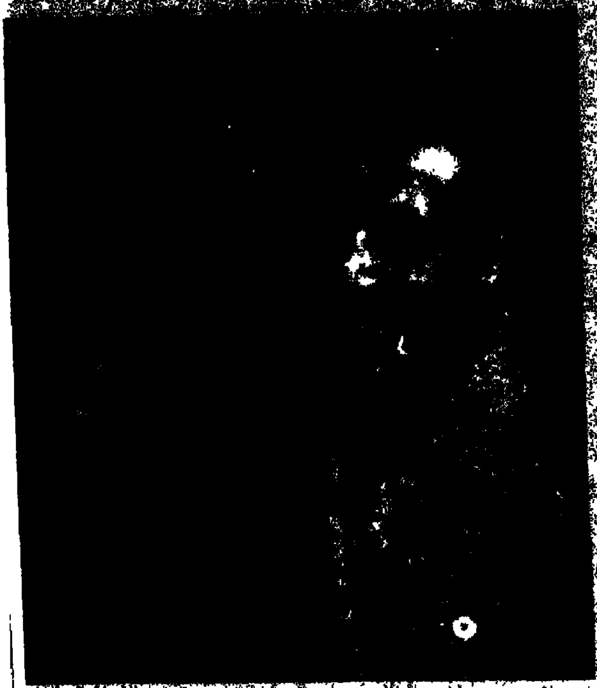
ان هذه الافلام قدتميزتبما يمكنتسميته « الوعي البارد » او العقلانية في مخاطبةهذا الجمهور وفي طرح القضية اساسا . وليس معنى هذا انها تخلو من الاثارة انفعالية ولكن ذلك يتم من خلال عرض منحاز لحقائق الوضع الفلسطيني .

وقد سبق ان شاهدنا افلاما لمجموعة من المانيا





فيلم « [illegible] فلسطينية » [illegible] ـ
[illegible] اخرى .



من فيلم « رجل السلام » ـ المخرج [illegible]
مع المطران المناضل كابوتشي في لقطة من الفيلم .

عربية تسمى بمجموعة « بروميثيوس الجديد » وابرز
مخرجيها هو مانفريد فوس الذى قدم من قبل « اين
تقع فلسطين ؟ » و « لانه فلسطيني » . وقد عرض
لهم المجموعة عن مخيم « الرشيدية » واعتمد ايضا
اسلوب الشهادات الواقعية التى ادلى بها اهالى
المخيم عن الوحشية الصهيونية .

اما افلام المجموعة الهولندية فقد برز منـــها
« فلسطينيون » (الذى فاز بالجائزة الذهبية) والذى
يعد بمثابة تحفة على صعيد السينما النضالة من
حيث الوجوه . والفيلم يملك طاقة اقناعية هائلة
للجمهور الذى يتوجه اليه . برز ايضا « الحلم » الذى
يزاوج بين حلم طفل فلسطيني ورسومه . وهـــو
فيلم رقيق مفعم بالشاعرية .

اما مجموعة فانسان الفرنسية فتشترك لاول مرة
فى المهرجان بفيلم هو « الزيتونة » الذى نستعرض من
خلاله مواقف اليهود الغربيين اللاصهيونيين مقابلة
بمواقف العرب داخل الارض المحتلة وخارجها .

بيد ان اهم ما عرض قاطبة فى المهرجان ـ فى
تقديرى ـ كان فيلم الفلسطيني من انتاج وتقديم
الممثلة السينمائية العالمية المناضلة فانيسا ردجريف
واخراج روى باترسك . فهذا الفيلم الوثائقي
الطويل (١٥٧ ق) يحمل مواصفات الفيلم التعبوى

التعريضي الكامل كما هو معروف في السينما النضالية • فهو يعبىء المشاهد بشحنة فكرية - انفعالية تحرضه بكليته باتجاه الدعم المطلق للقضية الفلسطينية• ولنا ان نتصور اهمية الفيلم اذا عرفنا الجمهور الذى يتوجه اليه اصلا وهو الجمهور الذى « غيبت عنه الحقيقة طويلا »•

شهادات فيلم « الفلسطيني »

ولست ادرى سببا محددا للترحيب الهائل الذى لقيه الفيلم من قبل ضيوف مهرجان بغداد او فى عرضه الاول فى العالم العربى خارج المهرجان بنادى الكويت للسينما فى الثامن من ابريل الحالى؟ الانه تعبير عن صحوة هائلة فى الضمير الجديد للدولة الاستعمارية القديمة - بريطانيا والتى كانت السبب المباشر فى المشكلة الفلسطينية (وعد بلفور ومآسى الانتداب ؟) أم لانه « اول » فيلم بريطانى عن القضية الفلسطينية ؟ أم لان نجمة عالمية تحولت منذ ما يقرب من عشر سنوات الى تبنى قضايا النضال ضد الاستعمار ؟ •

لقد قالت فانيسا ردجريف (التى فازت بالاوسكار اخيرا عن دورها فى فيلم «جوليا») فى لقاء تليفزيونى اجريته معها فى بغداد انها « اكتشفت ثورة » لهذا يحاربها الصهاينة فى كل مكان ويلقبونها بابشع الالقاب محاولين خنق صوتها ولكنها ترثى لهم وهى متفائلة بالغد « فكل متشائم جبان » • والواقع ان فيلمها يؤدى الى هذه النتيجة بالضبط•

فعلى مدى ما يقرب من ثلاث ساعات يتعرض الفيلم للمآسى التى عاشها الشعب الفلسطينى والفقراء اللبنانيين (١٧ الف فلسطينى و ١٣ الف لبنانى) خلال حصار مخيم تل الزعتر • ومن خلال شهادات واقعية ، بالغة الصدق والحيوية نتعرف الى جوانب المأساة بابعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية • ونستعرض بعد ذلك ملامح الحياة اليومية - بالاعراس والمآتم والتدريب العسكرى والتمريض - لشعب موجود • وتجسد هذه الملامح زيف الدعاوى الصهيونية فى الاساس• ان طبيب مخيم تل الزعتر يقول معلقا على ما شاهد من فظائع : « ان هؤلاء الناس يعتبرون انفسهم ممثلين للحضارة الغربية فى الشرق الاوسط • هل يقبل الغرب بذلك ، أم ان هناك تعريفا للحضارة لا اعرفه » • يكشف الفيلم معنى «الحضارة» عند الشعب الفلسطينى وعند الانعزاليين المتحالفين مع الصهيونية فى جريمة ابادته • وهنا يترادف معنى صنع اشغال تطريزية فلسطينية مع قضية « وجود » الشعب الفلسطينى ذاته •

ويعتمد الفيلم كافة اساليب السينما المباشرة من حيث التسجيل الحى والمباشر للحياة اليومية للفلسطينيين • وهو لا يدعى موضوعية ليبرالية وما شابه ذلك من الاوهام الغربية حول وسائل تناول المشكلة الفلسطينية سينمائيا • بل يعلن من البداية انحيازه الكامل الى جانب الفلسطينيين ونضالهم حين يفتتح بخريطة للعالم نرى من خلالها وجها فلسطينيا بارض فلسطين ما يلبث ان يغمره الدم لكى تتحول فلسطين كلها الى اللون الاحمر• هذا تلخيص لموقف يتخذه الفيلم بعد ذلك فى كل لقطة ومشهد • فشهادة الطبيب والشبل والجد والام والبنت وياسر عرفات تشيع فيها جميعا روح متعاطفة وتتنامى من خلالها حقائق متجددة باستمرار• فهذا شعب قادر على الوجود برغم الابادة •

وقد دفع نجاح هذا الفيلم منتجه الى التفكير فى عمل روائى كبير عن اغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة فى بيروت ١٩٧٣ (كمال ناصر وكمال عدوان ويوسف النجار) وذلك بهدف ابراز مدى وحشية « الارهاب الصهيونى » فى مواجهة الحملة على ما يسمونه فى الغرب « بالارهاب الفلسطينى»•

اشكال جديدة

كان المهرجان فرصة كبيرة فى الواقع لمسح ما انتج من اعمال خلال العامين الاخيرين عن القضية الفلسطينية عربيا ودوليا ، وبهذا امكن استطلاع الاشكال العديدة التى احتوت المضمون الثابت • ولعل الشكل الشائع بين معظم الافلام هو اعتماد الشهادات الواقعية التى يدلى بها صانعو الاحداث انفسهم كمادة فيلمية اصيلة • وفى افلام عديدة امكن استغلالها بنجاح عن ربطها بلقطات ارشيفية مما صورته وكالات الانباء داخل الارض المحتلة • غير ان اهم هذه الاشكال كان يتمثل فى ربط الشهادات الواقعية بعالم حى اخر ربطا جدليا يعلن ويرفض ويعطى ويضيف مع حس روائى اسهم فى تخفيف جفاف المادة الوثائقية البحت • وخير مثال لذلك كان فيلم « الفلسطينى » لفانيسا رد جريف •

هذا هو المهرجان الوحيد فى العالم المكرس

يعي ان يكون
ي استمراره
كاملة لمنطلقين

لتي تطورت
ة والصديقة.

، القضية
ا وتاثيرا من

ى لمناقشته
المجتمعون من
ات والندوات

● فلسطين والسينما

والابحاث المكرسة لقضية المهرجان الاولى ـ السينما الفلسطينية ، كما اتفقوا على ضرورة توعية السينمائيين الاصدقاء توعية مستمرة عن طريق تزويدهم بما يستجد من معلومات حول القضية الفلسطينية .

ان هذا المهرجان تظاهرة فنية حقيقية تدفع بدم جديد في عروق حركة السينما العربية الجديدة وخاصة ما كان منها مكرسا لاهم قضايا العالم والعالم العربي المعاصرة (قضية فلسطين). ■■

الفاروق عبدالعزيز

نيو) ماذا يعني ؟

سب التقويم القديم ، والسادس بحسب التقويم الحديث المتبع جونوس » لانه كان مخصصا باسم المعبودة « جونوس » او لانه

سوله انه سمي هكذا نسبة للمعبودة « جونوس » ، ثم يعود في ن » مشتق من كلمة Juniokidue ومعناها الشباب ، وان اصل باب ، اونسبة لصغار العمال في حكومة رومية ، او نسبة للمجلس ب .

ما ، فلما جاء جوليان لاصلاح التاريخ ، وجد ايام حزيران تسعة يوما فصارت ثلاثين .

لاول ، تمييزا له عن تموز (يوليو) الذي هو شهر الجفاف الربيع وبدا الصيف ، وذلك في اليوم الحادي والعشرين او السنة كبيسة او عادية ، ويعتبر دخول الشمس في برج السرطان حديث اثبت ان ذلك قد كان يتفق مع الحقيقة منذ الفي سنة ، اما شر من تموز . ويعتقد اكثر الناس ان هذا الشهر افضل شهور ناد باهل العصر من اليونان والرومان الذين كانوا يعتقدون ان هذا ا تقدم ، ومن المعلوم ان هذه المعبودة هي عندهم زوجة «جوبيتر» سماء وحامية الزواج . واكثر الناس رغبة في الزواج في هذا ن الناس انه لما كان اطول ايام السنة في شهر حزيران فالزواج ويلة وسعيدة ، واسعد ايام الزواج فيه كما يعتقدون هي : الاول شر والحادي والعشرون .

الزواج هي : الثامن والعاشر والثاني والعشرون .

لاخرى فهي : العاشر والحادي عشر والخامس عشر والثاني
ام الشؤم هي : الخامس والسادس والثاني عشر والسادس عشر


سلاح رهيب
ولذلك مُنع استخدامه
بدون ترخيص في بعض
الدول ..!
مدخنة مصنع لإنتاج السرطان
تستعمل أحيانا لإيجاد فائدة للأذنين ...!!


قروش
١٠
"سابقا"


سجارة
أصغر رشوه عرفها التاريخ


صورة عقد إتفاق
على الاختلاف معًا
مدى الحياة ..!!

اعداد : يوسف زعبلاوى

جهاز للمكفوفين يمكنهم من السير وحدهم وتحاشى العقبات



● هذا جهاز صنعوه فى الولايات المتحدة لمساعدة الضرير على السير وحده دون حاجة الى دليل • فهو يساعده على تحاشى العقبات قبل الاصطدام بها •

والجهاز ليس فى النظارة السوداء ، وانما فى الاسطوانتين الصغيرتين المثبتتين على ذراعى اطار النظارة الجانبيين ، فوق الاذنين •• فهما ترسلان اشعة ما تحت الحمراء Infrare الى الامام بحيث لو اتفق ان اعترض سبيل الضرير لمجدار او عمود ، انعكست تلك الاشعة وارتدت الى الجهاز المرسل ، فيحدث هذا بدوره صوتا محذرا فى اذن الضرير •• ويتم هذا التحذير قبل الاصطدام بالعقبة بثلاثة امتار او اربعة •• هذا اذا كانت العقبة المعترضة ذات طبيعة صلبة كالجدار مثلا •• اما ان كانت كالقماش فيتاخر التحذير حتى يصبح الضرير على بعد خطوة او خطوتين من تلك العقبة •

قشر الشجر بدلا من نشره

ابتكر العلماء الامريكيون طريقة جديدة للحصول على الخشب من جذوع الشجر • وتقوم هذه الطريقة على قشر الجذع ولحوه ، ثم نزع حلقات الجذع او طبقاته ، طبقة بعد طبقة ، بدلا من تقطيع ذلك الجذع ونشره بالمنشار وفقا للطريقة القديمة •

وتضغط الطبقات المقشورة التى تكون متفاوتة السمك ، نصف بوصة اواقل ، فى مكابس خاصة ذات ضغط عال ، وذلك بقصد تجفيفها •• ثم يعرضون تلك الطبقات للحرارة تحاشيا لتجعدها •• ثم يعمدون الى لصقها •• الواحدة بالاخرى بواسطة مادة لاصقة خاصة ويحرصون فى ذلك على ان تكون

ف الطبـقات الملصقة
ضة •

ؤكد العلماء المكتشفون ،
ىملون فى مصلحة الغابات
لاحراش) الحكومية فـى
ات المتحدة وفى مدينـة
ـون بولايـة وسكـونسن
ت •• يؤكدون انطريقتهم
دة فى صنع الخشب ،وقد
ا برس لام Press Lam
على الطريقة القديمة فى
، واهم مزاياها هى :

ـ السرعة : فهى لا تحتاج
اكثر من ساعة واحدة من
، لتحويل جذع الشـجرة
لمه الى خشـب صـالح
ىمال

ـ الالواح الكبيرة ••يمكن
ـول على الواح الخشب
كبيرة ، حسب الرغبـة
جة ، ما دامت الطبقـات
رة (غير المنشورة) هى
ا • بل يمكن تحويل جذعى
ن التين الى لوح خشب
•

ـ النظافة : لا وجـود
رة فى الطريقة الحديثة
العقد ، اذا وجدت ،تكون
ة ولا تنفذ الى سـائر
ات التى يتكون منها لوح
ب •

ـ جودة الخشب : يقـال ان خشب الطريقـة الجديـدة امتزاج من خشب الطريقـة التقليدية •• وقد بلغ مـن القوة ان استعملوه عوارضـ فى تمديدات السكك الحديدية وفى بناء المنازل • ويذكر هنا انهم استعملوا هذا الخشـب الجديد فى انشاء جسر فـى غابة جورج واشنطن القوميـة فى ولاية فرجينيا •

منفاخ
يفرغ الاوانـى
من هوائهـا

● لايخفى ان حفظ المواد الغذائية فى معلبات او قوارير او اكياس بلاستيكية مفرغة من الهواء يضمن الابقاء على تلك المواد طازجة،ويضمن الاحتفاظ بنكهتهـا الطبيعيـة وقيمتهـا الغذائية لمدة اطول •

الا ان عملية التفريغ هذه كانت فى الغالب وقفا علـى المصانع الكبيرة •• وتقوم بها الات ضخمة باهظة الثمن •• حتى ابتكرت احدى الشركـات النيوزلنديـة آلـة صغيرة زهيدة الثمن قد تصبح ، فى مستقبل قريب ، فى متناول ربات البيوت جميعا ، ومـن لـوازم المطبـخ التى لا غنـى عنها كفتاحة العلب مثلا ••

وتعمل هذه الالة كالمنفاخ•• منفاخ اطارات الدراجـة •• ولكن بالاتجاه المعاكس • • فبدلا من دفع الهواء الى الداخل تقوم هذه المفرغة بطرد الهواء الى الخارج ••

وتجـدر الاشـارة الـى ان الاطعمة التى تحفظ مجلدة ضمن اكياس بلاستيكية اشد حاجة من غيرها الى هذه المفرغة •• ذلك ان تفريغ الهواء من هذه الاكياس لايضمن السرعة فـى تجليد الاطعمة التى فيها فحسب• فهو يحول ايضا دون التلـف الذى قد يطرا على تلك الاطعمة تبعا لوجود الهواء داخلهـا فمن شان هذا الهواء ان يمتص الرطوبة التى توجد فى تلك الاطعمة فتتكون فيها البلورات المجلـدة وينتـهى امرهـا فى الغالب الى التلف • ■■

قضايا حيوية

هذه مجموعة من الاراء والملاحظات والتساؤلات تعالج بعض القضايا الحيوية،وتعبر عن وجهات نظر اصحابها فى هذه القضايا ٠٠ وعملا بحرية النشر ، فاننا نفسح المجال لهذه الاراء كما تلقيناها ، بغير حذف أو تعديل ٠

بمناسبة مقال مسئولية العثمانيين

■ الدعوة الى اعادة تقييم الحكم العثمانى ، التى نشرتها «العربى» للدكتور احمد عبدالرحيم مصطفى جديرة بالملاحظة والتامل والتقدير لما تثير فى الذهن من افكار وتساؤلات حول تخلف البلاد العربية فى الأزمنة الحديثة ، وامتداد هذا التخلف حتى عصرنا الحاضر ، بالرغم مما جرى ويجرى من محاولات لازالة هذا «القدر» التاريخى٠

ذلك اننى اتفق مع الدكتور احمد عبدالرحيم مصطفى فى ان التخلف فى البلاد العربية يرجع الى اسباب عديدة ، وليس من العدل فى شىء ان ننسبه الى الحكم العثمانى وحده او ان نحمل هذا الحكم كل الاوزار ، وان كان مسؤولا كغيره وبدوره عن هذا التخلف ٠

الملاحظ فى التاريخ العربى ان الامبراطورية العربية ، بعدان وصلت الى اقصى توسعها ، اخذت تتقلص وتتفتت تحت تاثير عوامل كل جنس ،شانها فى ذلك شان معظم الامبراطوريات الكبرى فى العصور القديمة والوسيطة ٠

وقد بدا التفتت السياسى والاجتماعى فى الامبراطورية العربية منذ ما قبل الحروب الصليبية بكثير ، وكان لهذا الحادث اثره العميق فى حياة المجتمع العربى والفكر الحر فيه ٠ لان الاضطراب الذى الم بهم ، اثر هذا الحادث ، فتح اعين مستخدميهم عليهم ، ونبه الشعوب الغازية لاجتياح بلادهم٠لقد انثالت الضربات المتوالية على العرب فشلت اوجه نشاطهم ، وحكمهم الاجانب ، ففقدوا

نحن بحاج لثورة علما ومصلحي

بقلم الدكتور : نور الدين حا

حريتهم ، وبالتالى فقدوا الفكر الحر ، وا الاصيل ، ومتابعة العمل العلمى ، وغدا ما ويقال معادا مكرورا تمجه النفوس ٠

من سوء الحظ !

ومن سوء الحظ ان البلاد العربية ، موقعها الجغرافى كطريق للعبور ، كانت لغزو الشعوب الغربية والشرقية ، وان

الغزو كانت تترى عليها كاسحة ومدمرة ، فما ان تنحسر عنها موجة الا وتطغى عليها موجة اخرى . وهكذا عانت البلاد العربية من مد الغارات ما عانته اوربة بين القرن الثالث والتاسع ، بل والقرن الحادى عشر ، ولا تكاد اعمال البناء والانشاء تعاود سيرتها الاولى وتاتي موجة غزو عارمة تقوض ما بنته الاجيال الجديدة . وما من شك في ان اعمال الفكر لا تنمو وتزدهر وتعطى ثمارها الا في ظل السلام والامن ، وما كان السلام والامن بموفورين للبلاد العربية .

كانت العناصر الاجنبية التى ادخلها الخلفاء فى الجسم العربي تفتك به سرا وعلانية ، والثورات والنزعات الانفصالية والحركات الشعوبية تعمل عملها فى اضعاف هذا الجسم ، حتى ان الاسلام وهو مصدر قوة العرب ، فهم على غير حقيقته الاولى . وانه استسلام لطغيان البشر ، وتشويهه بالبدع والخرافات والاحاديث المنتحلة . هذا الى ان الشعوب الصحراوية من تركية وتترية ومغولية، التى ابتلى بها العرب على مسار تاريخهم الطويل، كانت شعوبا بدوية وغير متحضرة ، همها السلب والنهب ، وفرض الضرائب والسيطرة بالارهاب والاعدام مما لا يقره عدل او قانون متحضر . وجو الارهاب ، اذا خيم ، شل النشاط ، وبدل الطباع، وشوه الاخلاق وجعلها اقرب الى الملق والرياء والمداهنة ، وما اليها من ادب رخيص .

وعندما ظهر العثمانيون على المسرح السياسى كانت البلاد العربية فى حالة خدر واعياء تام ، ولم يلقوا مقاومة تذكر الا قليلا ، فضلا عن انهم جاءوا اليها باسم الاسلام ومخلصين لها من غارات البرتغاليين والاسبان بعد الاكتشافات الجغرافية الكبرى فى القرن السادس عشر ، وباسم الاسلام فتحت لهم الابواب ، وباسم الاسلام اصبح العثمانيون سادة البلاد العربية .

ولكن ماهى الحضارة التى ركان عليها العثمانيون ايام الفتح ؟ لا شيء . وفاقد الشيء لايعطيه . لم يكن للترك دين خاص ، ولا حضارة خاصة، وكل ما عندهم لغتهم التركية . وقد اخذوا عن العرب الدين الاسلامي والكتابة العربية ، وتركوا العرب وشانهم بعد ان اثقلوهم بالضرائب من كل نوع وحكموهم حكما عسكريا ، وظلت هذه حالهم الى ان اشرف ، الرجل المريض « على الهاوية ، وقامت حركة الاصلاح » و « التنظيمات » ، فى القرن التاسع عشر ، تسوى من « الرعايا » « مواطنين » ، ولكن بعد فوات الاوان . ثم اجتاحت العرب والترك تيارات الغرب القومية ، وعصفت بهم جميعا وادت اخيرا الى الانفصال والقطيعة .

مسئولية العثمانيين

الحقيقة ، ان التخلف ، الذى نراه فى البلاد العربية ، كان نتيجة عوامل قديمة وسحيقة ، ولكن العثمانيين يتحملون تبعة تفاقمها ، فى وقت كان من الممكن تفاديها لو انهم اقتدوا بنهضة اوربا المعاصرة آنذاك ، وعملوا لامبراطوريتهم ما صنعه الاوربيون لنهضة بلادهم .

ولاخذ فكرة واضحة عما وصلت اليه البلاد العربية من تخلف فى العهد العثمانى ، هذا العهد الذى يجر وراءه ماضيا ثقيلا من التخلف ، نذكر ان الجبرتى ، وهو رجل علم فى عصره ، قد دهش اذ راى الاعمال العلمية التى كان يقوم بها العلماء الذين صحبوا الحملة الفرنسية على مصر . واذا كانت هذه حال الجبرتى المثقف فما بالك بحال الانسان العادى او الانسان الامى الذى لا يفهم من العلم شيئا او يجهل القراءة والكتابة. لقد كان الجهل مطبقا ، والامية متفشية ، والغباء مخيما . ويمول فون مولتكه الذى قدم من المانيا لاحداث التنظيم الجديد فى الجيش العثمانى :«من المستحيل على الاوربيين تصور الحالة العقلية فى الشرق.. ان التركى الذى يعرف القراءة والكتابة، يعتبر « عالما » ، ومن كان متعلما اكثر من غيره لا يمكن ان يقبل بان الارض كروية . حتى ان كبار الموظفين كانوا يطلبون الى آخرين قراءة الرسائل الموجهة اليهم ! » .

وادرك بعض المستنيرين المسلمين من ابناء العربية هذا الوضع، وعرف سر تاخر العرب بابتعادهم عن

قضايا حيوية

المعونات الفنية والاسلام فى افريقيا

دكتور محمد سلطان ابو علي

■ من المعروف ان انتشار الاسلام فى شرق وغرب افريقيا فى القرون الماضية قد تم اساسا على ايدى التجار المسلمين الذين جابوا القارة الافريقية سعيا وراء الرزق • وتمت استجابة الافريقيين للدعوة الاسلامية بسهولة ويسر نتيجة لتوافق الاسلام مع الفطرة البشرية • وما زال هناك مجال واسع للدعوة الاسلامية فى افريقيا سواء لتحسين احوال المسلمين بها عن طريق مدهم بالكتب الاسلامية والمعلمين او لنشر الدعوة فى اماكن جديدة ، خاصة بعد تخلص معظم الدول الافريقية من الاستعمار الغربى •

والمعونة الفنية يمكن ان تكون احدى الصيغ الفعالة لنشر الدعوة الاسلامية • وهذه المعونة هى الصورة العكسية لاستنزاف العقول المفكرة • فتعنى هجرة العقول وانتقال الخبرات الفنية والمفكرين من المجتمعات الاقل تقدما الى الدول الاكثر تقدما • ويكون دافعها الى ذلك محاولة البحث عن مناخ افضل لتزاول فيها نشاط البحث والتفكير • اما المعونة الفنية فيتم بمقتضاها انتقال الخبرات والمعرفة الحديثة من الدول المتقدمة الى المجتمعات المتخلفة نسبيا •

المعونة الفنية الغربية

وقد يكون من المفيد ان نلقى نظرة على اهداف المعونة الفنية التى قدمتها وتقدمها الدول الصناعية الى الدول النامية لكى نستطيع تحديد النمط الامثل للمعونة الفنية الاسلامية والعربية• لقد كانت الاسباب الرئيسية التى دعت الغرب الى تقديم هذه المعونة لدول العالم الثالث ـ سواء كانت من مستعمراتها ام لا ـ هى

اولا : مساعدتها على استيعاب ما تصدره لها من سلع وخدمات حتى تستطيع توسيع نطاق اسواقها وبالتالى تقوم بتصريف كميات اكبر من منتجاتها ومن ثم تضمن الازدهار والتقدم لصناعاتها عن طريق التمتع بمزايا الانتاج الكبير • وثانيا : ضمان الحصول على المواد الخام اللازمة لتشغيل مصانعها وذلك عن طريق تقديم النصح والمشورة فيما يتعلق بما تزرعه او تنتجه او تقوم بالمسح الجيولوجى لثرواتها المعدنية •

ثالثا : تنمية اذواق المستهلكين المحليين فى اتجاه السلع التى تنتجها الدول الغربية وذلك عن طريق اقامة الاوروبيين فى الدول النامية ومعايشتهم لاهلها •

ونتيجة للاسباب السابقة اتخذت المعونة الفنية الغربية احد الاشكال التالية : معدات مساعدة للتجهيزات الاساسية التى تم تصديرها الى الدول النامية او خبراء لتشغيل المصانع والمعدات ، او تمويل دراسات الجدوى الاقتصادية والفنية لبعض المشروعات ومن ثم توريد معدات والات اكثر ، او معلمين فى المدارس والارساليات الى جانب بعض المنح الدراسية لابناء هذه البلدان للدراسة فى الغرب • وقد اصطلح على تسمية هذا النوع من المعونة باسم « المنتجات اليسر » Soft ware بالمقابلة الى الالات والمعدات التى يطلق عليها اسم المنتجات الصلبه Hard ware,

المعونة الفنية العربية

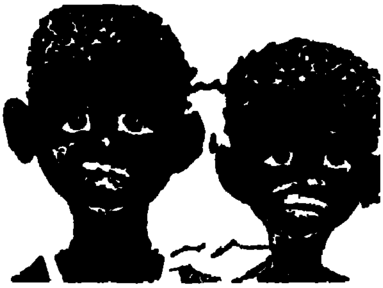
ا لان البلدان الاسلامية والعربيةليست
او مصدرة للالات والمعدات فيجب انتختلف
لمعونة الفنية التيتقدمها للدول الصديقة فى
واسيا • كما ان درجة التقدم الاقتصادى
بية الدول الافريقية تطلب نوعا اخر من
•

اجلنا النظر فى القارة الافريقية من شرقها
وغندا وتنزانيا او فى غربها كما فى مالى
او وسطها كما هــو الحــال فى روانــدا
ى او جنوبها كما فى زامبيا او بوتسوانا
ان الاقتصادات الافريقية تتميز بصورة عامة
نص التالية :

الاعتماد الرئيسى على النشاط الزراعى
يش عليه اكثر من ٧٠٪ من سكان القارة
ية ، وانهــا المصــــدر الرئيسى للدخــل
رات •

غالبا ما يكون هناك محصول رئيسى واحد
كاكاو فــى غانــا او البن فــى بوروندى
شاب فى الكونغو او القطن فى تشاد •
ان الزراعة المعيشية - Subsistance Agri
التى تقوم اساسا علىالانتاج لاغراض
ك الذاتى هى الصفة الغالبة • ولهذا لا
ناك تبادل يذكربين اقاليم الدولة باستثناء
التى تزرع بها المحاصيل النقدية •

انخفاض الانتاجيــة الزراعية الى درجــة
يجة لتخلف الاساليب الزراعية وعدمتوافر



المعدات والبذور المحسنة وغير ذلك من المستلزمات الزراعية اللازمة لتحقيق محصول اوفر •

هـ ــ تدنى المستويات الغذائية نتيجة لانخفاض مستوى الدخل ، ولزراعة محاصيل تنخفض قيمتها الغذائية وما تحتويه من سعرات حرارية •

و ــ انتشار الجهل وعدموجود خدمات تعليمية او صحية او مرافق عامة تذكر فى معظم المناطق الريفية وكثير من المدن والعواصم •

وفى كل هذه الظروف لا تؤدى اقامة المشاريع الصناعيةالكبيرة الى التنمية الاقتصاديةوالاجتماعية المثلى لهذه البلدان • وفى رأينا ان افضل وسيلة للتنمية هى التركيز اساسا على مشروعات تنمية المجتمع وتحسين الاحوال المعيشية والغذائية لغالبية السكان •ولذلك من الاجدر ان تتخذ المعونة الفنية العربية والاسلامية الى الدول الافريقية الشكل الذى يتلاءم مع هذه الظروف •

ولا باس ان ياخذ جزء من المعونة الفنيةالعربية بعض الصور التقليدية مثل تدريب بعض العمال فى المؤسسات العربيــة ، وارسال بعض الخبراء العرب لافريقيا فى المجالات التى تحتاجها •

ولكن الصورة التى نقترح التركيز عليها هى تكوينفرق منالشباب العربى المسلم فىالتخصصات المختلفة وعلى وجه الخصوص فى مجالات الزراعة والصحة والتعليم والخدمة الاجتماعية • وتقوم هذه الفرق بالاقامة فى المجتمعات الريفية الافريقية ، تساعدها على الزراعة بطريقة افضل وتعمل على نشر التعليم الاسلامى ، كما تعنى بصحة سكان هذه المناطق • وعن طريق هذه المخالطة يتــم الربــــط الحضارى بين افريقيا والعالم الاسلامى والذى يكون اساسا لتعاون لصيق فى المجالات السياسية والاقتصادية •

ولهذا المشــروع مزايا كبيرة لكــل مــن الدول الافريقية والعربية • فبالنسبة للـــدول الافريقية ستؤدى هذه المعونة الى رفع الانتاجية الزراعية ، وتحسين الاحوال الصحية لسكانها ، ونشر التعليم فى المناطق الريفية • وهذا يساعد على خلـــق

قضايا حيوية

الأزمة الشاملة للشباب العربي

بقلم : أحمد عبدالله أحمد

■ تزايد الاهتمام بموضوع الشباب في التحركات الطلابية واسعة النطاق التي شهدتها اوروبا الغربية والولايات المتحدة منذ ١٩٦٨ . وكرد فعل لاهتمام الغرب ـ وكالعادة ـ بدأنا نحن هنا في العالم العربي نهتم بالموضوع . ولكن لو الى حياة الشباب العربي ... [illegible]

[illegible]

العديد الاجنبة ... [illegible] ... وانعاش التنافس الفنيا والادارية اللازمة للمرحلة التالية من التصنيع . كما تؤدي الى زيادة جاذبية المناطق الريفية لشبابها لمن لم تحتفظ بهم وتقضي ـ او على الاقل تخفف ـ من حدة الهجرة الى المدينة وبالتالي تتفادى المشاكل التي يعاني منها كثير من البلدان نتيجة لتضخم سكان المدن بدرجة تقضي على آدمية انسان المدينة . هذا بالاضافة الى ان زيادة الانتاج الزراعي ستوجد فائضا زراعيا يمكن ان يسهم في تمويل الانشطة الاقتصادية الاخرى .

اما بالنسبة للبلدان الاسلامية والعربية فان هذه الصورة بالاضافة الى واهميتها وامكانية تطبيقها ... بفوائد في قلبة . فان تفاعل الشباب العربي المتعلم ـ على النحو الذي ... بعد قليل ... من الشعور بوحدته ويقوي روابطهم مع بعضهم البعض كما يزيد من الروابط الحضارية بين الدول الاسلامية العربية والدول الافريقية ... على الاستثمارات ... التي تنفق الآن على الدول الافريقية . ... لتكوين فرق المعونة الفنية ان يجمع ... المسلم من البلاد الاسلامية المختلفة في ... والاحياء . ... ان يعملوا مع ... والانكليزية والفرنسية الى جانب ... [illegible]

[illegible]

سياسية بالدرجة الأولى ــ فى صياغة هذا
وتقديمه إلى طلاب المدارس .

...بالابرة ليست سوى مقدمة تقودنا الى جانب
من جوانب ازمة الشباب العربى ونعنى
...راه السياسى . فقلق الشباب على المستقبل
المسئول عنه ، وسعيه لان يوفر لنفسه
...من المشاركة فى الحياة العامة ، ومستقبل
يقابله من الناحية الرسمية قلق على
ونظرة ريبة للشباب باعتبارهم عنصر
وتهديد للاستقرار . وعلى ذلك تبذل جهود
احتواء الشباب فى اطر سياسية محكومة
... ، وذلك بكافة وسائل الترغيب والترهيب .

الوجه الآخر للأزمة

...ه الاخر لازمة الشباب العربى هو ذلك الذى
...فى الحياة اليومية داخل المؤسسات الحكومية
...ية والتعليمية . ويتجسد ذلك فى فرض
...انطلاق الذى يمكن ان يقوم به الشباب على
...العمل والانتاج . ففى الكثير من الدول العربية
...الشباب من الجامعات الى العمل فى الجهاز
... متحمسا لان يصبح عنصرا ايجابيا وفعالا .
...بيروقراطية عتيقة تستعصى على التطوير .
... [illegible] فى قيام هذا الجهاز
[illegible] قبل الاسس
[illegible] والنفوذ فيه .
[illegible] للنشاط والتلاحم
[illegible]

ووجه ثالث لازمة الشباب العربى هو ذلك المتمثل
فى محاولة التفرقة المتعمدة بين فصائل الشباب
المختلفة . ويتم ذلك بتغذية القيم التى تدعو
الشباب المتعلم للانفصال عن الشباب غير المتعلم
من العمال والفلاحين والبدو وغيرهم ، ليس بالاستعلاء
الفكرى وحده ولكن ايضا بالانفصال العملى .
حيث يدفع الشباب المتعلم لتبنى اساليب غربية
فى الحياة تبدأ بالمسكن والمأكل والملبس وتنتهى
بالثقافة . وبهذا يحرم الشباب غير المتعلم من علم
الآخرين وارشادهم ، وتتخذ نظرتهم للمتعلمين
شكلا عدائيا . وفى النهاية تتحول الافرازات
الاجتماعية المقدمة للمتعلمين من الشباب الى اداة
لفصلهم عن واقع شعبهم وبالاخص عن شركائهم فى
المستقبل من الشباب غير المتعلم .

اما الوجه الرابع لازمة الشباب العربى فهو
ذلك الخاص بالواقع الذاتى للشباب . فالقيم
الاجتماعية المتعلقة بالعمر والجنس والزواج تحاصر
الشباب وتدفعه للالتزام بها عن غير اقتناع .
وهى فى اغلبها قيم تحطم نفسية الشباب اكثر مما
تدفعه للتفاؤل . فانعدام حق الصغير فى مناقشة
الكبير ، ورفض الاعتراف بحقوق الفتاة ، والزواج
على اساس الغنى والشهادة والجاه والوظيفة ،
كل هذه قيم متخلفة تحد من النمو الاجتماعى
للشباب ، والذى يمنع الشباب من [illegible]
لهذه القيم [illegible]
لا يجد الشباب [illegible]
[illegible]

قضايا حيوية

مقال الاستاذ الدكتور فؤاد زكريا الذى نشرتهمجلة العربى فى عدد مارس الماضى ، وفيه حمل الجيل الاكبر مسئولية حجب منابع الثقافة الانسانية عن الجيل الاصغر متمتعا بتفوقه الثقافى الاناني •

وفي الحقيقة فانه من الناحية الحضارية لا يعتبر الجيل الاكبر متفوقا ان اغلق الابواب الثقافية امام الاجيال المقبلة باغلاقها امام الشباب اليوم • بل هذا هو عين العداء للحضارة • وبصورة مدققةفان جيل الكبار نفسه يعيش ازمة تمزق اكبر من تلك التى يواجهها الشباب • فهذا الجيل يعيش العصر من الناحية المادية ، اما من ناحية القيم فهو يحاول الاحتفاظ بقيم الماضى التى ولد وتربى عليها • وبهذا تصبح مقولة صراع الاجيال معبرة عن هذا الجانب القيمى وحده وتعكس خوف الجيل الاكبر اكثر مما تعكس ثقته بنفسه • وهنا لا بد ان نحدد موقع المسئولية فى موقف الجيل الاكبر ، حيثنحمل هذه المسئولية للنظامالسياسى والمؤسساتالثقافية المعبرة عنه ، دون ان نحملها لابناء الجيل الاكبر كلهم وهم انفسهم خاضعون لتاثير هذه المؤسسات بشكل يكرس لديهم قيم الماضى والانغلاق الثقافى، مانعا اياهم منالتجاوبالثقافى مع العصر والانفتاح على الثقافة الانسانية فى الخارج والشباب فى الداخل •

ما العمل اذن ؟ ـ كشاب عربى يعيش الازمة فى الصميم اطرح التالى :

اولا : لا بد ان يؤمن الشباب العربى بان ازمته ما هى الا جزءمن الازمة العامة التى يعيشها شعبنا العربى ممثلة فى التخلف الاقتصادى والاجتماعى والحصار الاستعمارى وتجزئة الـــوطن العربـــى الواحد • وبذلك لا بديل عن الارتباط الفكرى والعملى بمشاكل الشعب العربى واستعداد هذا الجيل لتحمل نصيبه من التضحيات فى سبيل تخطى هذا الواقع المتازم •

ثانيا : اصبح على الشباب المثقف على وجه الخصوص ان ينزل من ابراجه العاجية ويقوم بدور سياسى وثقافى مباشرمع بقية ابناء الشعبالعربى من اجل الخروج من الازمة • وهنا لا بد الا يضع المثقفون مصالحهم الذاتية الخاصة فوق المصلحة الاجتماعية العامة •

ثالثا : اصبحت الديمقراطية بالنسبة للشعب العربى اليوم فى اهمية لقمة العيش ، ولا بد ان نسعى جميعا لان نوفـر لمجتمعاتنـا هـذا المنـاخ الديمقراطى والصحى • والوجه الثقافى لهـذه الديمقراطية هو الانفتاح على الثقافة الانسانية كلها دون حساسية •

آنذاك يمكن ان نتحدث عن الحضارة كمشاركين لا كمتفرجين • ■■

الكويت ـ أحمد عبد الله أحمد

السيارة فى النهر

● اتصلت زوجة هاتفيا بزوجها فى العمل وابلغته بان الماء يتدفق من السيارة ، فسالها على الفور « اين هى السيارة علما باننى قد فحصتها جيدا » • فاجابته الزوجة : « انها فى هذه اللحظة فى النهر » •

جى باسك •

الشام او عن طريق الاندلس ، ووصل جزء آخر من بلاد فارس نفسها • هذه الالفاظ :

قيثارة : فارسية ، مركبة من سه + تار ، اى ذات الاوتار الثلاثة •

سراى : وترد عندهم من دون ياء ، فارسيتها• بمعنى المنزل الكبير •

سرداب : فارسية ، مركبة من سرد + آب ، اى الماء البارد • ومعناها عندنا المغاره البارده •

مرزبان : فارسية مركبة ، من مرز + بان ، اى حامى الحدود ، وهى رتبة عسكرية قديما •

كباب : فارسية ، كل نوع من اللحم المشوى بشكل جيد يقال له كباب •

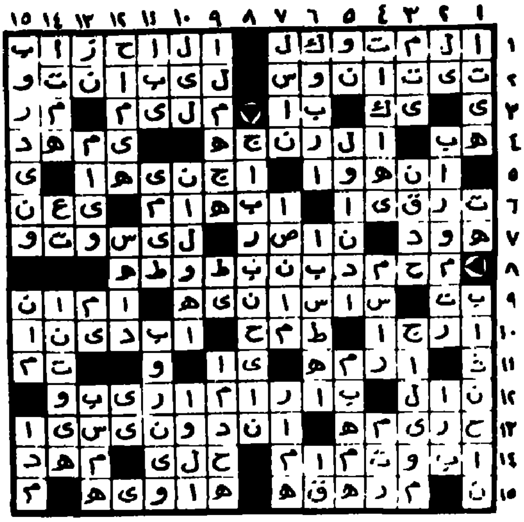
تافتة : فارسية ، نوع من النسيج الحريرى • من المصدر « تافتن » ومعناه النسيج والفتل •

بخشيش : فارستها من غير ياء • ومعناها الانعام والاعطاء • الفرس يقولون « اسدُم » ونحن نقول « بخشيش » أو « بقشيش » •

وثمة الفاظ اخرى هى : طربوش : فارسية ، مركبة من سر + بوش ، بمعنى غطاء الراس – بابوج : فارسية ، مركبة من پا + بوش ، بمعنى غطاء الرجل – بردة : بالباء الفارسية معناها الحجاب والستارة – نارنج : اصل جيمها بالكاف الفارسية – فستق:اصلها پسته (بالباء الفارسية) كل هاء فى آخرالكلمة الفارسية تحول لدى التعريب الى جيم او قاف – باذنجان : ويلفظها الفرس كذلك : بادنجان ، بادمجان ، باتنكان ، بادنكان (والاخيرتان كافهما فارسية) – طنبور : فارسيتها تنبور ، لفظها العرب بالطاء لتضخيمها • مركبة من دنبه + بره اى الية الحمل ، على التشبيه بها – سنطور:فارسيتها زنتور – مسك : فارسيتها بالشين – ياسمين : ويلفظها الفرس : ياسمن ، وهى كذلك بالكردية – قرمز : دود يقع على شجر البلوط فى شهر مارس (آذار) يستخدم للصباغة • يقال ان اصلها ارمنى او فارسى • وهى فى الفارسية مركبة من كرم + زيبا ، اى الدودة الجميلة ، او من كرم + ال ، اى الدودة الحمراء،

قضايا حيوية

• حل مسابقة العدد ٢٣٢ •



محمد بن بطوطة
•
جابر بن حيان

اثنتان في واحدة

(٨) افقيا : محمد بن بطوطة ، رحالة عربي شهير ، ولد في طنجة وطاف انحاء العالم المعروف في عصره ، فاستغرقت رحلاته الثلاث حوالي ٢٩ سنة ، وصل فيها حتى الصين • سجل رحلاته في كتاب « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » ، وقد تمت ترجمته الى الانجليزية والفرنسية والالمانية •

(٨) راسيا : جابر بن حيان ، رائد الكيمياء العربي ، عاش في الكوفة ، واتصل بالبرامكة • له مؤلفات كثيرة منها « اسرار الكيمياء ، » و « الرحمة » • وقد ترجمت مؤلفاته الى اللاتينية ، واستفادت منها الجامعات الاوربية لمئات السنين •

الفائزون بالجوائز

× الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :حسن عبدالله حسن /الخرطوم ـ السودان •
× الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :محمود ياسين احمد الحسيني ـ صنعاء/اليمن الشمالي
× الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها ·محمد عبدالهادي ياغي طرابلس / ليبيا •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ عبدالغني محمود عبدالهادي ـ عمان/الاردن
٢ ـ عايده السيد محمد ـ التواهي/اليمن الديمقراطي
٣ ـ عبدالمنعم عبدالهادي احمد ـ المدينة المنورة / السعودية
٤ ـ محمد حسن جاسم ـ خانقين/العراق
٥ ـ مصطفى عبداللطيف خطاب ـ بيروت/لبنان
٦ ـ محمد اشرف سيد سليمان ـ حمص/سوريا
٧ ـ فهيمة محمد زكريا محمود علي ـ حولي/الكويت
٨ ـ امين محمود علي حسين ـ محافظة السويس/مصر



«هى جهنم المليئة بالنعم !»
ابن بطوطة

بنجلاديش

عبقرية فقراء العالم الخامس !

بقلم : فهمى هويدى   تصوير : اوسكار مترى

ابرز قسمات بنجلاديش . «الشابلا» الزهرة القومية، والريكشا وسيلة الانتقال الاولى بالمدن ، والمراكب التى تملأ الانهار باشرعتها المربعة » .





احيانا تكون العبقرية هي ان تعيش في ظروف مستحيلة ، وتبصر شعاع ضوء على بعد الف ميل ، وتمرح وترقص وبطنك يتلوى من الجوع . من هذه الزاوية ، فكلهم عباقرة ، ال ٨٢ مليون نسمة الذين يعيشون في بنجلاديش !

■ واسم « بنجلاديش » لا يذكر عادة في صحفنا لا مقترنا بخبر لا يسر . اعصار او فيضان او وباء ، او انقلاب فاشل . تماما مثل اولئك الذين لا نقرأ اسماءهم في الصحف الا اذا اصيبوا في حادث مؤسف او توفاهم الله ، ولا نرى صورهم الا اذا كانت الشرطة تبحث عنهم !

من هذه الزاوية ـ ايضا ـ فهي مشهورة جدا ! ما من بلد يسوء حاله وتتدهور اوضاعه الاقتصادية والاجتماعية ، الا ويقال : تصوروا ، سيصبح مثل بنجلاديش . ويكفي هذا التشبيه ليقنع القارىء اي مصير تعس ينتظر هذا البلد المأسوف عليه !

حتى بعض الكتاب يبخلون على بنجلاديش بشرف الانتماء الى العالم الثالث ، الذي كنا نعتبره الى عهد قريب نهاية الدرج في سلم التخلف . لكن كاتبا شهيرا مثل المعلق الامريكي سالزبيرجر نشر مقالا في « الهيرالدتريبيون » يطالب فيه الجميع باعادة النظر في هذا الترتيب ، قائلا ان هناك دولا تنتمي الى ما اسماه بالعالم الرابع ، وهي تلك التي صنفت من قبل مع دول العالم الثالث ولكن المجتمع الدولي يدين حكوماتها ويرفضها مثل جنوب افريقيا وروديسيا . وثمة دول اخرى تتمتع بنصيب لا مثيل له من الفقر والتعاسة ، يتعذر معه تصنيفها ضمن العالم الثالث ، ومثلها البارز بنجلاديش وربما تشاد ، ودول كهذه ينبغي ان يفرد لها ترتيب خاص في قاع العالم هو : العالم الخامس !

وهو اخذ بالتقسيم الذي يتندرون به في بلادنا ، وبه يعتبرون ان عالم التخلف يضم فريقين . فريق الدول «النامية» ، وفريق الدول «النائمة» !

ويبدو ان زيارة بلد مثل بنجلاديش ، هي من طراز الاعمال التي عندما « يقترفها » الانسان لابد ان يسوق حججا يبرر بها « فعلته » . ذلك اننا لم نلتق بواحد علم باننا متوجهون الى هناك ، الا ولوى شفتيه قائلا باستياء ظاهر : بنجلاديش ؟ . حتى شرطي مطار دبي الذي رق لحالنا ونحن ننتظر الطائرة البنجالية التي تأخرت ٢٠ ساعة فجأة يسألنا عن وجهتنا ، ولما اجبناه ، قال : هل هناك انسان عاقل يركب الطائرة البنجالية ؟

عرفنا فيما بعد ان «الاسطول» يضم ٣ طائرات واحدة تروح ، والثانية تجيء ، والثالثة احتياطي .

لكن ما اثار انتباهنا فعلا ان قنصل بنجلاديش في الكويت اخذ بالرغبة التي ابديناها له . ولم يصدق الرجل ان هناك من يتطوع للسفر الى دكا ، هكذا بغير مناسبة . بعد ان اعتاد في المسافرين ان يكونوا اما حملات اغاثة للمنكوبين ، او وفودا اقتصادية تبحث قروضا ومشروعات ، او دبلوماسيين ضاقت بهم الارض فلم يجدوا مكانا يتسع لهم سوى دكا !

اكثر من مرة سألني القنصل البنجالي : هل هذه « مبادرة » من المجلة ، ام توجيه من الدولة ؟

وعبثا حاولت اقناعه بان « المبادرة » من جانبنا ، واننا ذاهبون في مهمة بريئة ولوجه الله وحده .

« جهنم المليئة بالنعم » !

لقد كانت محاولة التعرف على بنجلاديش من خلال الصحف مثبطة في الحقيقة ، لكن وجه بنجلاديش في الكتب كان مختلفا ، ومثيرا للفضول ، ومشجعا على « المغامرة » بالذهاب ، حتى ولو اضطرنا ذلك الى التضحية بركوب الطائرة البنجالية !

لقد كان الرحالة العربي ابن بطوطه من اوائل الذين كتبوا عن « بلاد بنجاله » (تقول المراجع ان اول حملة تبشير بالاسلام توجهت الى الهند بعد وفاة الرسول بخمسة عشر عاما ، على عهد عثمان ابن عفان وان محمد بن قاسم ابن شقيق الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق هو اول من قام بفتوحات واسعة هناك ، في عهد الوليد بن عبدالملك ، حتى ضمت اجزاء من الهند الى الدولة الاموية ثم العباسية) ..

تحمل ابن بطوطه ـ نسبيا ـ مثل العناء الذي تحملناه في السفر ، وكما انتظرنا الطائرة في مطار دبي ٢٠ ساعة ، فقد قطع هو الرحلة من المغرب الى « بلاد بنجاله » في ٤٣ ليلة !

وهو يصفها بانها : « بلاد متسعة كثيرة الارز لم ار في الدنيا ارخص اسعارا منها . لكنها مظلـ

عل خراسان يسمونها دوزخسست (دوزخ) بور) نعمة ، معناه : جهنم ملأى بالنعم . رايت .ز يباع فى اسواقها خمسة وعشرين رطلا دهلية ، نسبة الى دلهى) بدينار فضى ، والديـــنار فضى هو ثمانية دراهم . والرطل الدهلىعشرون رطلا مغربية . وسمعتهم يقولون ان ذلك غلاء عندهم .

ويضيف ابن بطوطه : وحدثنى محمد المصمودى المغربى وكان من الصالحين،وسكن هذا البلد قديما ومات عندى بدهلى ، انه كانت له زوجة وخادم فكان يشترى قوت ثلاثتهم فى السنة بثمانية دراهم، ورايت الدجاج السمان تباع بحساب ثمان بدرهم واحد ، وفراخ الحمام يباع خمسة عشر منها بدرهم ورايت الكبش السمين يباع بدرهمين ، ورطل السكر باربعة دراهم ،

ثم يقول الرحالة العربى الشهير:ورايت الجارية المليحة تباع بدينار من الذهب واحد،وهو ديناران ونصف دينار من الذهب المغربى ، واشتريت بنحو هذه القيمة جارية تسمى عاشورة ، وكان لها جمال بارع ، واشترى بعض اصحابى غلاما صغير السن حسنا اسمه لؤلؤ بدينارين من الذهب .

كان ذلك ـ للعلم فقط ـ منذ ٦٠٠ سنة ، عندما تجول ابن بطوطه فى الهند ، وقت ان كانت ممالك وسلطنات اسلامية ، واعجبه الحال فــى « دهلى » ـ كما كان ينطقها العرب القدامى ـ فاقام فيها ، وتولى منصب القضاء لمـــدة سنتين .

وللعلم ايضا ، فان بلاد بنجاله التى رايناها تختلف كلية عن تلك التى اعجب بها ابن بطوطه يكفي انه يتحدث عن « الرخاء » ليدرك المرء انه اما يتحدث عن تاريخ انقرض ، او بلد آخر غير الذى رأيناه ! اما اشاراته الاخرى ، فلم يتح لنا ان نتثبت منها !

بلاد المفارقات والتناقضات

وبلاد بنجاله ، فى الكتب ايضا ، هى بــلاد ا ـارقات والتناقضات ..

ـعندما قرر الانجليز تقسيمها الى مقاطعتين ا لاميه وهندوكية عام ١٩٠٥ رفض المسلمــون ا ـكرة وتمسكوا بان تظل دولة الهند واحـــدة « ـة ومستقلة » ، كما قال محمد على جناح ، ثم ـارت دورة الزمن ، وفى عاصمتها دكا اسس

حزب الرابطة الاسلامية الذى تبنى فيما بعد فكر التقسيم وانشاء دولة باكستان عام ٤٧ . ولكن تشاء سخرية القدر ان تنطلق من دكا ذاتها دعو الانفصال عن باكستان ، بعد القتال الدموى المحز الذى جرى عام ٧١ !

وبعدما انطلقت شرارة ثورة البنجاليين علم الباكستانيين بسبب صدام على مسالة اللغة ، وهل يعترف بالبنجالية (٤٤٪ من كلماتها اجنبية) ا بالاردية فقط ، ثم استقلت بنجلاديش فى النهاية عندئذ استراحت اعصاب الناس،وصاروا يتكلمو باللغة الانجليزية !

وهم شعب شديد التعلق بالدين،شديد التعصب له حتىان الحكومة عندما اقدمت على اقامة بعض التماثيل فى الميادين لتجميلها ، اختفت هـــذ التماثيل اثناء الليل ، ولم يعد لها وجود عندمـ طلع النهار ، هذا الشعب المسلم المتدين يقضي عطلته الاسبوعية يوم الاحد وليس الجمعة !

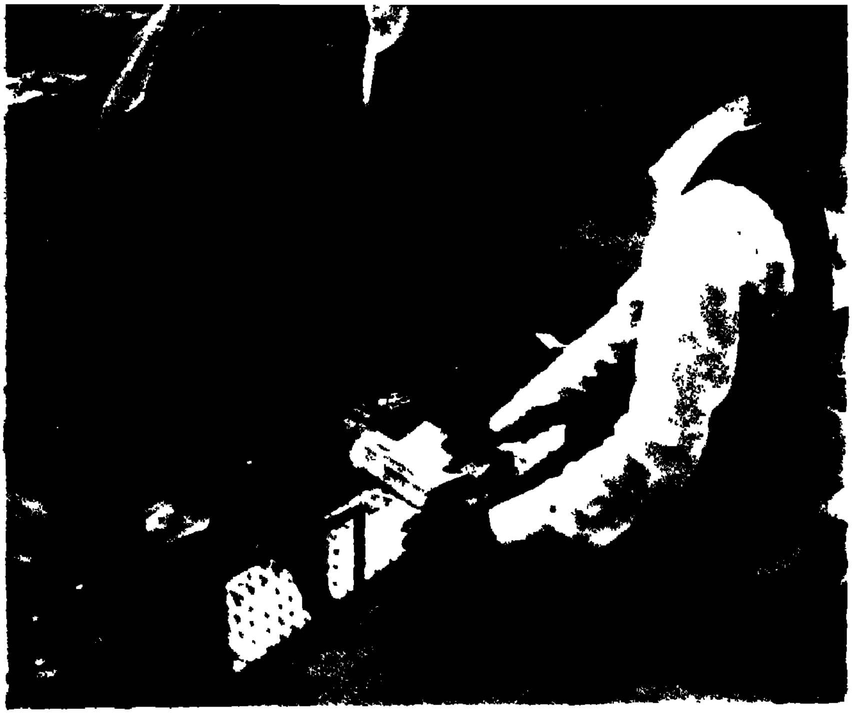
وبينما هناك ١٩ حزبا سياسيا شرعيا ، غير احزاب صغيرة اخرى تظهر وتختفى علىمدار العام فانه مسموح لهذه الاحزاب ان تمارس اى نشاط ، باستثناء شيء واحد هو الاشتغال بالسياسة ، وهو النشاط المحظور قانونا !

ولا احد غير الله يعلم كيفاتفق ان يكونالغراب وزهرة « الشابلا » هما اشهر ما يميز الطبيعة فى بنجلاديش . اذ بينما ينعق الغراب فى كل وقت وفى كل مكان (ويتشاءمون به مثلنا احيانا) فــان زهرة الشابلا الارجوانية اللون ، بكل ما تمثله من رقه وبهجة ، تسبح فوق كل مجرى ماء فى طـول البلاد وعرضها . ومثلما تغطى الغربان سماء بنجلاديش ، تنكمش فى الليل وتسرح فى النهار ، فان زهرة الشابلا تغطى انهارها ، تنغلق فى الليل وتتفتح فى النهار !

ثم ان هذا البلد الذى يتحول الى دولة سابحة فوق بحيرة من الماء نصف العام،يهدده شبح الجفاف، وتؤرقه فكرة ان انهاره التى يعتمد عليها تنبع كلها من دول مجاورة وراء حدودها .

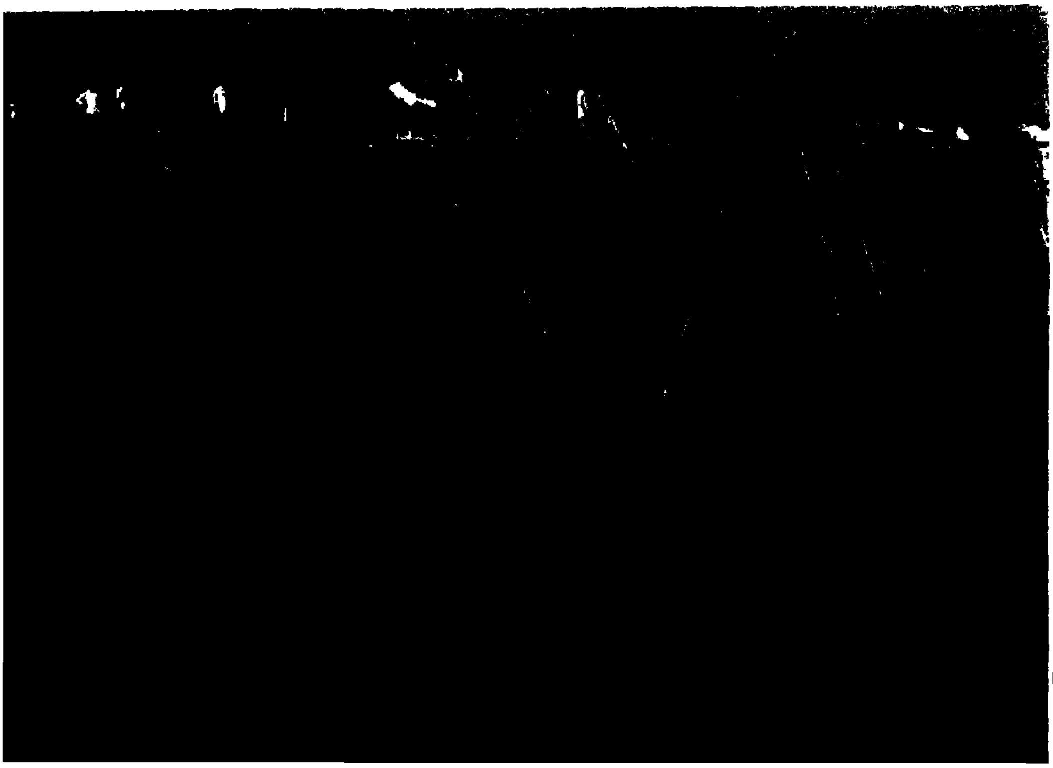
كذلك فان « دكا » وحدها ، عاصمة هذا البلد الفقير ينتشر فى ارجائها الف مسجد ، بينما بنجلاديش كلها بمقاطعاتها التسع عشرة لا تضم اكثر من ١٣١ مستشفى !

هذا جزء من الصورة التى ترسمها الكتب .. لكن ليس من رأى كمن قرأ !



القلق على المستقبل فى كل مكان • امامهذا الرجل مجموعة من المظاريف المغلقة فى كل مظروف قراءة مختلفة للغيب ،وعندما يسال الرجل ، فانه يدفع الببغاء المدرب ليلتقط احد المظاريف •• وانت وبختك ! (فوق)

من صور عبقرية الفقراء ، « جسور » من اعواد البامبو ، يعبرون عليها الانهار العميقة ، ويحلون بها مشكلة الانتقال •





الانسان المعجزة

حطت بنا الطائرة فى مطار دكا بعد الفجر بقليل. القى موظف المطار نظرة على جواز السفر ، ثم همس في اذن صاحبه ، ومضى يتصفح الجـواز بامعان ، حتى جاء ثالث من بعيد وسأل : هل هو مسلم ؟ فرد الموظف بالايجاب . عندئذ القى سؤاله الثاني : هل قال السلام عليكم ؟ .. نظر الى متسائلا ومعاتبا ، وكرر السؤال . خجلت واعتذرت، ثم تصافحنا بحرارة ، وافترقنا .

ومنذ تلك اللحظة ادركت ان جوازالمرورالحقيقى فى بنجلاديش هو تحية المسلمين منذ ١٤ قرنا : السلام عليكم . بواسطتها فتحت لنا ابواب كثيرة، وقلوب اكثر ، حتى ان زميلى اوسكار مترى ، الذى انكمش والتزم الصمت فى المطار ، لم تفارق الكلمتان لسانه طوال اقامتنا هناك !

وطوال الاسبوعين اللذين قضيناهما فى بنجلاديش اتيح لنا ان نرى الكثير . الوزراء والفقراء ، مشروعات الصناعة وابحاث الزراعة . والمتاحف والمصايف . المدن والقرى . المسلمين والبوذيين العلماء والدجالين . المساجد والمزارات (الاضرحة عندنا) .. وهكذا .

واذا كانت هناك دول يبهرك فيها الماضى ،واخرى يبهرك فيها الحاضر واحتمالات المستقبل ، فان بنجلاديش من طراز الدول التى « يصعقك » فيها الحاضر ، ويبهرك فيها الانسان . ويلهيك الواقع عن الحديث فى المستقبل .
هناك تؤمن بأن هناك شيئا اسمه الانسان المعجزة !

ذلك الانسان الذى يستقبل بجسد هزيل عار تلك الظروف الصاعقة ، فيقف وحده احيانا فى مواجهة الفيضان الكاسح او الاعصار المدمر . بينما يقاتل كل يوم ، ويركض طوال اليوم .. ولا يتوقف عن الانجاب كل صباح !

يحاربون بأيديهم وأرجلهم

يدهشك مثلا كيف يحارب عشرات الالوف بأقدامهم وهم يقودون « الركشا »، الدراجات ذات المقاعد الخلفية المغطاة ، والتى تعتبر وسيلة الانتقال الرئيسية فى كل مدن وقرى بنجلاديش (فى دكا وحدها ٢٥ الف ركشا) ، ينطلقون كاسراب الجراد فى الشوارع منذ طلوع الشمس .

يدهشك ايضا ان تجدهم لا يعرفون الخيول او البغال ، او الحمير التى تجر عربات « الكارو »، وان الذى يقوم بهذه المهمة الشاقة هو الانسان . فتجد رجلا معروقا عيناه فى لون الدم ، وضربات قلبه تتردد عن بعد ، هذا الرجل يجر بصدره وبساعديه عربة خشبية محملة بمختلف الاثقال ، وقد يساعده على دفع العربه اثنان من ابنائه او اخوته .

يدهشك كذلك مشهد الناس وهم ينطلقون كالسهام بالقوارب الشراعية ذات المجاديف العديدة فى الانهار الكبيرة والصغيرة التى يبلغ طولها ٨ آلاف ميل . ولانها بلاد الانهار فان القارب الذى يقوده عادة ٨ او ١٠ اشخاص هو وسيلة الانتقال الرئيسية بين المدن والقرى .. فى هذه القوارب ينقلون كل شيء من الخضراوات والفاكهة ، الى البشر والبقر ، الى الجوت والاخشاب والبامبو . ويكفى ان تعلم ان عدد الذين ينتقلون عبر الانهار سنويا ـ حسب الاحصاء الرسمى ـ ٢٠ مليون شخص ، وان عدد القوارب مليون،وان عدد الموانى، ١٥٠٠ !

كلهم يركضون ، بسيقانهم وصدورهم فى البر، وبسواعدهم وظهورهم المحنية تحت الشمس الحارقة فى البحر ..

تدهشك ايضا تلك الجسور المتواضعة التى يبنونها فوق الانهار ليتغلبوا على مشكلة عبورها حيثما ذهبوا . عندما يستخدمون اعواد البامبو الرفيعة ، يصلونها ببعضها ويثبتونها قدر الامكان، ثم يمدونها بين شاطئى النهر ، بمسافة خمسة او سبعة امتار ، وفوق مياه بعمق طابقين تقريبا يعبرون . واذا كان لاعب السيرك الذى يصفق له المتفرجون يمشى على الحبل ممسكا بعصا يحفظ بها توازنه . فان ملايين البشر فى بنجلاديش ـ رجالا ونساء واطفالا ـ يقطعون نفس الرحلة ملايين المرات كل يوم ، وفوق راسه يحمل كل منهم حاجته من الطعام الى الكتب الى قطع الاخشاب !

يثير انتباهك كيف يقوم الانسان بمهمة السا او « الشادوف » ، ليستجلب المياه من العمق من فرع الترعة ، ليروى الارض المزروعة .يحضر قطعة من الجلد ، جزءا من اطار الكاوتشوك الاغلب . ويربطون حبلين فى طرفى القطعة التى تصبح على شكل اناء يغترف به الماء يمسك كل واحد بآخر طرف كل حبل . يرخى ا ل

فتسقط قطعة الجلد في الماء وتمتلىء به ، ثم يشد الاثنان الحبل في وقت واحد ، فيرتفع الاناء الجلدي بمائه الذي يسقط على الارض ويسقي الزرع • وكما تظل الابقار ساعات تدور حول الساقية باعين مغمضة،فان الانسان هناك منعزلا يظل يؤدي هذه العملية طوال النهار ، صامتا بغير ملل •

اما كيف يسكنون ، كيف يقيم الفلاحون اكواخا من البامبو فوق اعمدة مغروسة في الاوحال ،وكيف يقيمون « شبكة اتصال » داخل التجمعات ، بحيث تستمر فيها شرايين الحياة ، كانما هذا شيء طبيعي ، وليس « ديكورا» لفليم سينمائي عن انسان العصور الوسطى • وكيف ينظمون «المرافق» في كل قرية ، بحيث تتوسط القرية بحيرة يحفرونها بايديهم • للاستحمام وغسيل « الثياب » • وكيف ان بعض هذه البحيرات لا تستخدم ، لان الامر لا يحتمل الاستحمام ، فضلا عن انه ليس هناك ثياب ! • ثم كيف « يدبرون حالهم » وياكلون كل ماتقع عليه ايديهم من مخلوقات البر والبحر والجو ، وكيف تتحول اوراق الشجر السميكة الى اوان للطعام ، كيف يحدث هذا كله •• ذلك يطول فيه الكلام والحكي •

المهم انهم بهذه العبقرية يحلون كل مشاكلهم الكبيرة والصغيرة ويعيشون !

وكما حلت « الركشا » مشكلة المواصلات تماما، فان باعة السجائر يحلون مشكلة الكبريت باسلوب بدائي وبسيط • كل واحد من هؤلاء يشعل طرف حبل من الجوت ، ويتركه يتدلى عند مدخل متجره، او حول اي ماسورة في الشارع ، وتستمر النار مشتعلة ساعات طويلة وبلا خسائر بحيث يستطيع اي مشتر او اي مار ان يشعل سيجارته من ذلك الحبل ، دون ان يضطر لشراء كبريت ! خصوصا ان اغلب هؤلاء المدخنين لا يشترون علبة سجائر كاملة ، فذلك ترف زائد • بل كل واحد يشتري سيجارة او اثنتين على الاكثر • ولهذا السبب فانه على كثرة الشحاذين والمحتاجين ، فانك لا تجد من يجمع اعقاب السجائر ، لانه لا يبقى من المدخنين اعقاب !

عن النسل والنهر

لكن هذه الصور السريعة ليست جوهر مشكلات



وسط أشجار الجوت ، ذهب بنجلاديش الابيض – لاحظ طول الرجل والنبات •

بنجلاديش ، لان اي زائر لها يستطيع بغير عناء كثير ان يرصد هناك مشكلتين اساسيتين تطفوان على سطح الحياة بوضوح هما : النسل والنهر • ويقدر محدود من البحث والتنقيب يكتشف الزائر مشكلة ثالثة تحت السطح – في وجدان الناس واعماقهم – هي مشكلة الانتماء او الهوية ••

حيثما ذهبت • تواجهك المشكلات الثلاث بصور وصيغ مختلفة ، وتشعر – ربما – كم هي تؤرقهم وتعذبهم !

ومشكلة النسل تتلخص في ان بنجلاديش تستقبل ١٥ طفلا جديدا كل ساعة ! • وان استمرار المعدل الحالي للزيادة في السكان (٣٪) سيعني ان يصل تعداد البلاد الى ٢٠٠ مليون نسمة في سنة ٢٠٠٠ • والهدف الذي يحلم به الدكتور بدر الدجى ، وزير تخطيط الاسرة وضبط النسل ، هو ان ينخفض معدل النمو ليصبح التعداد ١١٦ مليونا فقط سنة ٢٠٠٠ •

وحتى نتصور المشكلة اكثر ، فان مساحة بنجلاديش تعادل مساحة بلد كالاردن ، ٥٥ الف ميل مربع • لكن سكان الاردن مليونين فقط ،بينما سكان بنجلاديش ٨٢ مليونا !

لذلك ليس غريبا ان يعاني ٨٠٪ من السكان



في المسجد الكبير بالعاصمة دكا (الى اليسار) ويسمونه « بيت المكرم » ، وقد بني في عهد الرئيس الباكستاني ايوب خان · وفيه مقر المؤسسة الاسلامية (مسلم فوند يشن) التي يتعطل فيها العمل يوم الاحد !

في المدرسة(فوق وتحت)موجات الاجيال الجديدة التي تدرس كل المواد باللغة البنجالية ·





من سوء التغذية وان لا يزيد متوسط عمر الانسان عن ٤٢ عاما وان تصل الامية الى حوالى ٨٠٪،وان لا يتجاوز متوسط دخل الفرد١٢٥ دولارا فيالسنة، هي ثمن زوجين من الاحذية في الكويت !

وهذا الوضع عندما يحدث في بلد ليست امامه اي فرصة للامتداد والتوسع • وغاية ما يمكن ان يضاف الى رقعته هو تلك الكميات من الطمي التي تحملها فيضانات الانهار معها بين الحين والآخر ، فان المستقبل يصبح امامه مظلما وكئيبا •

« سنواجه كارثة حقيقية اذا لم نتمكن من ضبط النسل والسيطرة عليه » ، هكذا يقول الدكتور بدر الدجى الوزير المسئول عن المشكلة • وهو واحد من اولئك العالمين الذين يبصرون شعاع الضوء على بعد الف ميل • متفائل هو ، او ينبغي ان يكون كذلك باعتبار موقعه ومسئوليته على الاقل •

ثم يضيف : اننا نحاول اقناع الناس بالحسنى، وتعبئة كل ما نملكه من امكانيات لهذا الغرض • حتى ان رجالنا يذهبون الى بيوت الفلاحين كل يوم، يضعون حبوب منع الحمل امامهم ثم يتركونها ويمضون • وهناك ٢٨ الف شخص يطوفون بالقرى لتوعية الناس بالخطر • لدينا فكرة لرفع سن الزواج ، وامامنا اقتراح لاتحاد الشباب يدعو الى الاضراب عن الزواج لمدة عام •

التعقيم عندنا اختياري ، ومراكزنا اجرت ١٢٠ الف عملية تعقيم في العام الماضي • لكن فكرة التعقيم الاجباري مستبعدة ، فهي التي اسقطت انديرا غاندي في بلد اغلبيته الساحقة هندوكية ، فما بالك اذا حدث ذلك في بلد مسلم • وشديد التعلق بالدين !

سألته عن موقف رجال الدين ، فرد الوزير على الفور : انهم يعارضون تنظيم النسل ، ويشكلون بموقفهم هذا عقبة اساسية لا نعرف لها حلا • لان الناس في القرى يستمعون الى كلامهم اكثر من استماعهم بكلامنا • طبعا كتبنا تحاول ان تقدم اجتهادات اسلامية في الموضوع•استشهدنا بفتاوى تؤيد تحديد النسل في بلد له مثل ظروفنا لعلماء من الاردن ومصر (الشيخ عبداللهالقلقيلي مفتي الاردن والشيخ عبدالمجيد سليم مفتي مصر السابق والشيخ عبدالفتاح العناني رئيس لجنة الفتوى في

الازهر)••ومع ذلك،يضيف بدر الدجى ، لم يقتنع اكثرهمبان الله لا يرضىان تواجه مجاعة مدمرةعام ٢٠٠٠ !

اغنياء فقراء !

ومشكلة النسل هذه هي سبب اساسي في تعاسة بنجلاديش ، ذلك ان البلد بحد ذاته ليس فقيرا على الاطلاق • بل هو غني بموارده • والجوت (له وزارة خاصة باسمه) هو اهم انتاجه ، اذ يصدرون منه بما قيمته ١١٧٠ مليون دولار في العام الى ١٠٤ من دول العالم ، ومصنع « آدام جي » للجوت هو اكبر مصنع من نوعه في العالم • وحوالى ثلث السكان ترتبط حياتهم بزراعة المحصول ، وهم يصنعون من الجوت منتجات بلا حصر ، من الاجولة والثياب الى المفارش والحقائب والسجاد وبمعالجات كيماوية خاصة استطاعوا ان يصنعوا منه الادوات الصحية وهياكل السيارات وكانت هذه احدى مفاجآت المعرض الصناعي الذي اقيم هذا العام •

وبعدما بدأ حماس العالم للالياف الصناعية يفتر ، والاتجاه الى الالياف الطبيعية يتزايد ، ارتفعت اسعار الجوت وزادت اهميته في الاسواق العالمية ، وذلك يبشر بدخل طيب لبنجلاديش هذا العام •

هم ينتجون الارز ايضا ، بمتوسط ١٠ ملايين طن سنويا • لكنه موجه كله للاستهلاك المحلي الذي يصل متوسطه الى ١٢ مليون طن • اي ان هناك عجزا سنويا قدره مليونا طن ، يسد بالقمح احيانا ، وبالاستيراد من الخارج احيانا اخرى •

وهم ينتجون القمح بكميات محدودة (٢١٥ الف طن سنويا) ويزرعون الشاي (حوالي ٧٤ الف طن) ويصدرونه الى الخارج ، والسكر (٦ ملايين طن سنويا) •

وفي المناطق الشمالية ستة حقول للغاز الطبيعي (الذي اكتشف في عام ١٩٥٥) والتقديرات عن احتياط الغاز شديدة التفاؤل اذ يبلغ ٢٠ بليون قدم مكعب • واحيانا يبلغ التفاؤل حدا يدعوالنا الى الذهاب بعيدا في الحلم بمستقبل افضل وهم يتندرون على ذلك بقولهم انهم قطعوا نصف الطريق نحو امل الدولة البترولية • فهم مسلمون

انهم فقراء ، وبقيت الخطوة الاخيرة : ان يتفجر نزول من النهر او البر .. ويسالون ضاحكين ، س هذا هو ما كانت عليه الدول العربية ؟

والى جانب هذا كله فهناك الثروة السمكية لكبيرة (حوالى مليون طن سنويا و ٢٥٠ نوعا من سمك) غير كميات الخضر والفاكهة التى تنتجها رض بوفرة شديدة .

المهم انه فيما يتعلق بالموارد ، فالبلاد غنية ما . والرخاء الذى تحدث عنه ابن بطوطة كان ريفا يذكره الجميع . ولكن الذى حدث ان هذه وارد لا تتزايد الا بمعدلات محدودة،بينما السكان تزايدون بصورة مذهلة .. وهذه هى المشكلة .

لان النتيجة الطبيعية ان كل هذا الانتاج تتلقفه واه لا تشبع على الاطلاق . وحتى وقت قريب جدا ث او اربع سنوات ، كانت العاصمة دكا مليئة وافل الشحادين والمتسولين ، وكنت تجد اسرا كملها – هكذا يروون – مكومة على الارصفة ، رادها عراة تماما ، يمدون ايديهم للمارة . بل نت تجد انسانا يلفظ انفاسه الاخيرة ، بعد اعتصره الجوع ، بينما افراد اسرته يشحذون ى جثته ليدفنوه !

لقد اختفت هذه المشاهد الان من العاصمة ، كن الناس لم تشبع ، ولا يزال ملايين يعانون من فاقة والفقر فى قرى بنجلاديش ال ٦٥ الفا .

وهذه الصورة ، لا يعانى منها فقط المسئولون تنظيم النسل او التخطيط ، ولكنها تصيب كل سئولين عن القطاعات الانتاجية بالاحباط الشديد. د قال لى مدير مصنع ضخم لقطع غيار المصانع صغيره ، وهو واحد من اكبر المصانع فى يا (اسمه المهندس سيد مسعود الرحمن) ، ى اعمل فى الصناعة منذ ٢٠ عاما ، وليس لدى امل فى اى نتيجة نحرزها ، طالما ان مشكلة سل كما هى لم تحل .

وهذا الكلام ردده الدكتور حسن الزمان ، مدير كز ابحاث الارز . قال اننا نقاتل قتالا حقيقيا اجل رفع انتاج الارز ، واستطعنا ان نرفع نتاج فى ٣٠٪ من المساحة ، لكن هذا الذى نفعله يجدى امام المشكلة السكانية . فشعب بنجلاديش ل الارز ثلاث مرات يوميا .. من يستطيع ان لى حاجة ٨٢ مليونا يستهلكون الارز بهذا دل ؟

ازمة مع الهند

هذا عن النسل ، اما النهر فمشكلته ذات طابع مختلف ..

وكلمة النهر ترمز الى الماء لكنها لا تعبر عن الحقيقة بدقة كافية . لانها – اولا – بغير عد ولا حصر . ثلاثة منها رئيسية هى (جانجز وبراهبوترا ومجنا)،اما الانهار الاخرى فهى منتشرة كالثعابين فى انحاء بنجلاديش ، اطوالها فقط هى المرصودة (٨٠٠٠ ميل) اما عددها فليس معروفا .

ثم انها – ثانيا – مسالة مرتبطة بالامطار ،التى قد تجر معها فيضانات ، لا يمكن تقدير خطرها الا بعد ان تقع (للفيضانات والطاقة وزارة خاصة)

ويقولون هناك ان الفيضانات الكاسحة لها دورة كل ٥ سنوات . تزحف كالتنين الهائل فتطيح بكل وما يعترضها،وتخلف وراءها خرابا ودمارا وضحايا ولاجئين . وقد حدث آخر فيضان من هذا الطراز فى عام ١٩٧٤ . ومن الان يضعون ايديهم على قلوبهم تحسبا لما ستاتى به سنة ٧٩ ! والانهار قضية تؤرق الجميع حقا فى بنجلادش ، لان الرئيسية منها ، التى تعد شرايين الحياة الحقيقية، تنبع فى دول اخرى مجاورة ، الصين والهند ونيبال ، واى خلاف مع احدى هذه الدول قد يؤدى الى قبض الحياة فى بعض اجزاء بنجلاديش . وهذا بالضبط ما حدث مع الهند .

ذلك انه رغم التعاطف الشديد الذى لقيته بنجلاديش من الهند فى البداية (الهند تدخلت عسكريا سنة ٧١ لمساعدة بنجلاديش على الانفصال عن باكستان) الا ان الهند اقامت سدا على نهر جانجز ، فى منطقة معروفة باسم فاركا . على بعد ١١ ميلا من الحدود البنجالية . وترتب على ذلك ان شحت مياه النهر الذاهبة الى غرب بنجلاديش . وكانت النتيجة ان اصبحت ٣٧٪ من اراضى بنجلاديش مهددة بالجفاف .

وقد كان هذا المشروع هو ابرز اوجه الصدام التى حدثت بين الدولتين . والتى لم تحل حتى الان ، رغم انهما وقعتا اتفاقا لحلها فى اواخر العام الماضى .

وما حدث مع الهند يمكن ان يحدث مع غيرها على حد تعبير المهندس منير الزمان المدير المسئول







جيش بنجلاديش ، ينفقون عليه الكثير تحسبا للمخاطر والمخاوف ٠٠ أليست مفارقة ان يضطر بلد فقير بهذا القدر ، الى ان ينشيء جيشا يكلفه الملايين ! (الى اليمين اعلا) من معالم العاصمة دكا،المباني الجديدة والعالية تزحف،والميدان يتوسطه نموذج لزهرة الشابلا ٠ (الصورة الى اليمين)

عروس ليلة زفافها ٠ ينفقون ساعات طويلة في تلوين وجهها وتزيينه بما يتيسر من الحلى الذهبية واقراط الماس المقلدة ٠ (فوق)

من الانهار في وزارة الفيضانات ، واى نقص في المياه يعني تشريد ملايين البشر ، وهو ما لا تستطيع بنجلاديش ان تحتمله ٠ ولا سبيل الى حل هذه المشكلة الا بالتوصل الى اتفاقات واضحة ومحددة مع الدول المجاورة لتوزيع أنصبة المياه بصورة عادلة ، وهي التجربة التي لم تنجح تماما ـ حتى الان على الاقل ـ مع الهند ٠

والوجه الثاني للمشكلة (الفيضانات) ليس اقل تعقيدا ٠ فالفيضانات العادية مطلوبة ، لما تحمله من طمى وجزر في نهاية موسم الامطار (من يونيو الى اكتوبر) ولكن الفيضانات غير العادية هي التي تبعث الخوف والرعب في كل القلوب ٠ لان الدولة تشعر بالعجز التام ازاءها ٠ وتترك عملية المواجهة الفعلية للفلاحين الفقراء ، وهم اشد عجزا ٠ لكنهم يخوضون ـ رغما عنهم ـ معها معركة الحياة والموت ٠ وهو ما يتكرر في مواجهة الاعاصير ، التي تقتلع الحياة كلها في المناطق التي تنكب بها ، اذ تقف الدولة عاجزة ايضا ، ويتصدى لها او يذهب ضحيتها عشرات ومئات الفلاحين الفقراء ٠

وفي غيبة موسم الامطار ٠ تعيش الزراعة اشهر الجفاف (من اول نوفمبر الى اول مايو من العام الذي يليه) وتظهر الحاجة الملحة الى نظام رى ، يكبح الفيضانات في موسم الامطار ، ويغطى احتياجات الارض الزراعية من الماء في موسم الجفاف ٠

وهم يبذلون جهودا متصلة في هذا المجال ، عن طريق دراسة مشروعات السدود والخزانات التي تستطيع أن تلعب هذا الدور ٠ لكن المشكلة ان السدود تحتاج الى تمويل ، والتمويل لا بد وان يكون عملة صعبة ، وما هو موجود من عملة صعبة يصرف على اطعام الناس ، وتسيير عجلة الحياة بالكاد في بنجلاديش ٠

« لجأنا الى الدول البترولية » ـ يضيف المهندس منير الزمان ـ وحتى الان لم تستجب لنا سوى الكويت ، التي قدمت لنا بواسطة الصندوق الكويتي للتنمية قرضا قيمته ٢١ مليون دولار لاقامة مشروع كبير لتخزين المياه وتوليد الطاقة الكهربائية في منطقة « سيلت » ٠ اما الباقون ، فنحن ما زلنا ننتظر استجابتهم » ٠

بين العملاقين

بقيت مشكلة الانتماء ، وهي ثالثة الاثافي ، كما يقول فصحاء العرب ٠

في كتاب « التوجه الاسلامي للصحافة البنجالية في الربع الاول من القرن الحالي » لمؤلفه استاذ الصحافة الدكتور مصطفى نور الاسلام ، كانت مقدمة الكتاب تحمل هذه الاسئلة :

من نحن بالضبط : هل نحن جزء من الهند ؟ هل نحن بنجاليون ؟ ٠٠ هل نحن جزء من العالم الاسلامي ؟

وهذه الاسئلة التي اثارها الدكتور نور الاسلام ، هي ذاتها التي كانت مثارة في الصحافة البنجالية في بداية العشرينات ، اى منذ اكثر من نصف قرن، كما يشير هو في فصول الكتاب التالية٠ وهي ذاتها التي تتردد في كل منتدى ٠ يتاح للناس منه ان يفتحوا قلوبهم ، ويزيحوا قشرة الصمت او الخوف ٠

طبعا، الاجابة الرسمية هي : « نحن بنجاليون» وهذه آثارنا في متحف دكا تدل علينا ٠ وهذه ثقافتنا التي كانت مطمورة ، الادب ، الشعر ، الفولكلور ، الذي جمعت منه اكاديمية الثقافة حتى الان ١٠٠ الف قصة ورقصة ٠

هذا الحس القومي يغذى في كل مناسبة٠ ومتحف دكا يعبر عن هذا الاتجاه بقوة ٠

بعد أن تتجول في قاعاته عبر مراحل التاريخ من البوذية الى الهندوكية الى الاسلام ، الاتراك والافغان اولا ثم المغول ٠ ثم الممالك الاسلامية التي اقامها زعماء البلاد (الزعيم كان يطلق عليه لقب نواب) ٠ بعد هذا كله ينتهي بك المطاف الى قاعة كبيرة مليئة بصور الجماجم والجثث وآلات التعذيب ، التي تسجل بطريقة يشيب لها الرأس المرحلة الفاصلة والاخيرة في سعى شعب البنجال للاستقلال عن باكستان عام ٧١ ٠

قال لي مرافقي علم الدين بعد هذه الجولة : اظنك الان عرفت اجابة السؤال لماذا بنجلاديش ؟

كان ذلك في ثاني ايام الوصول ، ولم اكن قد التقيت باحد ٠

كنا فقط نتعرف على بنجلاديش من الخارج ، لم نمس الاعماق بعد ٠

بعد قليل لفت نظرى ان اللغة البنجالية تكتب بحروف اقرب الى السنسكريتية ، لغة الهند الرسمية ٠ وعندما القيت سؤالا بريئا حول هذا التشابه ، فوجئت بمستمعى يتنهد ويقول : حكاية الهند هذه مشكلة اخرى ٠

ثم استرسل ـ بعد ان طلب عدم ذكر اسمه ـ وقال ان بنجلاديش تواجه مأزقا صعبا ، فهى ترقد بين عملاقين كبيرين ، الصين بملايينها الثمانمائة من ناحية ، والهند بملايينها الستمائة من ناحية اخرى ٠ (احد رجال الدين ردد نفس الملاحظة فيما بعد قائلا اننا محاطون بالملحدين فيجانب والمشركين فى جانب آخر) ٠٠ واضاف محدثى ان بنجلاديش تتوجس خيفة من جيرانها ، وانها لا بد ان تجد لنفسها انتماء تطمئن اليه ، ويدعمها فى مواجهة العملاقين ٠ لانها لا تستطيع ان تقف وحدها ، لا سياسيا ، ولا اقتصاديا ، وهذا هو العنصر الاخطر فى المرحلة الراهنة ٠

وفى مسالة الانتماء ـ اضاف محدثى ـ فان الهند هى الاقرب جغرافيا ٠ لكن ذلك امر مرفوض من ملايين المسلمين فى البنجال ٠ ولا مفر من صيغة لتحقيق هذا الانتماء الى العالم الاسلامى ٠ وقد كانت باكستان هى الحل الامثل ، لكن احدا لا يستطيع ان يجهر بذلك ٠

بعد المجازر البشعة التى وقعت وانهار الدم التى سالت بيننا وبينهم ٠

ثم مضت أيام وكنا مسافرين من ميناء شيتا جونج الى مصيف كوكس بازار ٠ صعد احد موظفى المطار فوق سطوح المبنى ودق بيده جرسا ، مثلما يفعلون فى بعض المدارس ، ليدعو المسافرين الى انهاء اجراءات سفرهم ٠ وقيل لى ان هذا الجرس معلق فى كل مطارات بنجلاديش ، وهو يستخدم للتنبيه اما بموعد وصول الطائرات او اقلاعها ٠

فى الطائرة فوجئت بمناقشة حامية ، عالية الصوت ، فى الصفوف الامامية ٠ وسمعت احد المتكلمين يقول : ماذا فعلنا ؟ ٠٠ كنا ضعفاء تحت حكم الباكستانى ، وصرنا أكثر ضعفا الان ؟؟ ٠٠ كانت هناك اخطاء على عهد الباكستانيين ، وعندما



الآية الكريمة بالعربية والبنجالية فى احد ميادين دكا ٠

حاولنا تصحيحها اوتكبنا خطا افدح ٠٠ نحن الان وحدنا ، هل عندك حل ، ماذا نفعل ؟

مثلا : فى مواجهة مثل مشكلة مياه نهر الجانجز، من يستطيع ان يساندنا فى مواجهة الهند ؟ ٠٠ ثم ، لماذا تتدخل الهند فى سياستنا ؟ ولماذا ينقل قائد سلاح الحدود الذى لم تكن الهند راضية عنه؟ هل لمجرد ان الرجل كان حازما فى منع تهريب الجوت من بلادنا ؟

وعاد صاحبنا يقول بانفعال شديد ، كنا فقراء صحيح ، لكننا كنا اكبر دولة اسلامية بتعداد يصل الى ١٤٠ مليونا (فى بداية السبعينات) ، اتدرى كيف نوصف نحن الان ؟ لقد صرنا اتعس دولة فى العالم ؟

منذ ذلك الوقت أيقنت ان « ملف » باكستان لم يغلق بعد ، فى ذهن الناس على الاقل ٠

الدين ام القومية ؟

والمسالة الباكستانية تجسد فى الحقيقة قضية العلاقة بين الانتماء الدينى والحس القومى ، وهى قضية قديمة الجذور فى شبه القارة الهندية ٠ فمنذ زال الحكم الاسلامى فى الهند بعد دخول الاستعمار الانجليزى فى القرن الثامن عشر ، ظلت السياسة البريطانية تسعى دائما للوقيعة بين المسلمين والهندوس ٠ حتى وقع الهندوس فى



مصنع التليفونات الوحيد والحديث في بنجلاديش يتوقعون له ان يصدر انتاجه للخارج ، الى الدول المجاورة وافريقيا ، عندما يستكمل طاقته الانتاجية. وكل ما ينتجه الان حوالى ٣٠ الف جهاز سنويا · المصنع اسس فى ظل الحكم الباكستانى ، وافتتح منذ عامين ، وبالمناسبة فان كل المصانع المقامة فى بنجلاديش انشئت قبل الانفصال ، ولاسباب عديدة لم تتمكن السلطة الجديدة من انشاء اية مصانع بعد « الاستقلال » · فقط افتتحت او استكملت مصانع بدىء العمل فيها قبل عام ١٩٧١ (فوق)

ساعة الغروب ، يحمل الاطفال اوراق الشجر والاخشاب من اطراف مدينة دكا الى سكانها · اوراق الشجر بعضها لنبات « الباتل » الذى يتلذذ الناس بمضغها ، والاخشاب تستخدم وقودا فى المنازل (الى اليسار)



فريق من العاملين فى مشروع «اعمل لتأكل»، يشقون مجرى ماء جديد لرى الاراضى الزراعية • (فوق)



الشرك ، واتجهوا الى اضطهاد المسلمين بمختلف الاساليب. عندئذ لم يجد المسلمون مفرا من التوجه الى خليفة المسلمين فى تركيا ، يستظلون به ، ويمدون انتماءهم الى رايته .

وظل مسلمو المنطقة على تعلقهم الشديد بالخلافة التركية ، الى حد دفعهم — مثلا — الى اعتبار الهند المرتبطة بالتاج البريطانى ، « دار حرب » لان انجلترا خاضت المعركة ضد تركيا فى الحرب العالمية الاولى . الامر الذى بسببه هجر ٢٠ الفا من مسلمى الهند « دار الحرب » هذه ، وذهبوا الى افغانستان ليعيشوا فيها ! وكان اصحاب هذه الفتوى هم أتباع المذهب الوهابى ، فى شمال وشرق الهند ! وتستغرب مثلا ان يصل هذا التعلق بالخلافة التركية لدرجة تدفع الصحف الى فتح اكتتاب لمساهمة مسلمى « بنجالة » فى مشروع سكة حديد الحجاز (الذى يصل بين دمشق والحجاز) ، ويرسلون فعلا الف جنيه استرلينى الى الباب العالى سنة ١٩٠٣ . ثم يحتفل الجميع فى المساجد والبيوت باليوبيل الفضى لتولى السلطان عبدالحميد منصب الخلافة ، ثم ترد الصحف البنجالية على حجج الشبيبة التركية التى كانت تطالب السلطان عبدالحميد بالدستور والانتخابات البرلمانية !

لهذا السبب ، فجع المسلمون عندما الغى كمال اتاتورك الخلافة سنة ١٩٢٤ ، وكتبت احدى الصحف (اسلام دارسان) تنعى للامة هذا الحدث وتقول: ان الاسلام بغير خليفة مثل سفينة بلا ربان !

وبعد قراءة ما كتبته الصحافة البنجالية فى تلك الفترة، قلت لمن التقيت بهم من المثقفين والدارسين، انه اذا كان اضطهاد المسلمين فى الهند هو السبب الاول الذى دعاهم الى التفكير فى انشاء دولة باكستان ، فان افتقاد هؤلاء المسلمين لمظلة الخلافة، واحساسهم بانهم صاروا بلا قيادة بعد الغائها ، ذلك يشمل سببا اخر حفزهم للاحتماء بمظلة أخرى بديلة ، تمثلت فى انشاء دولة باكستان . وقد ايدنى كثيرون فى هذا التحليل .

لقد كانت باكستان حلم مسلمى الهند ، لكن الفشل فى معالجة المسالة القومية ، الذى تمثل فى بعض المواقف والقرارات الحمقاء افسدت هذا الحلم،وزرعت بذور الجفاء بين ابناء البنجال وابناء البنجاب فى الدولة الجديدة (باكستان الشرقية والغربية) بدءا بمسالة عدم الاعتراف باللغة البنجالية كلغة رسمية فى باكستان الشرقية عام ٥٢ ، ومصرع ثلاثة من الطلاب البنجاليين فى صدام مع الشرطة بسبب قضية اللغة هذه ، وانتهاء برفض ذو الفقار على بوتو تسليم السلطة لحزب المعارضة البنجالى الذى كان يتزعمه الشيخ مجيب الرحمن (حزب عوامى) ، بعد فوزه فى انتخابات سنة ٧١ ، ثم اعتقال الشيخ مجيب، وقرار الجنرال يحيى خان استخدام القوة والعنف فى قمع المظاهرات الغاضبة التى خرجت تحتج على عملية الاعتقال . وهى المظاهرات التى اعقبها الانفجار الشعبى الكبير الذى حطم الحلم وقضى عليه .

وطوال مراحل هذا الصراع كانت قضية الانتماء مثارة بحدة . هل يحتملون الظلم والعسف ، ابقاء على اخوة العقيدة (قال لى احد المتعاطفين مع باكستان ان الظلم الذى يشكو منه البعض لم يكن من نصيب بنجلاديش وحدها ولكنه كان سمة لبعض العهود ، التى عانى الجميع من الظلم فيها ، سواء فى باكستان الشرقية أم الغربية) ، أم يضحون باخوة العقيدة فى سبيل احياء التراب القومى . لكن الظروف هيأت للتيار الثانى فرصة الانتصار ، ولا تزال الاحزاب الاسلامية فى بنجلاديش تعانى من سخط الكثيرين لانها ظلت اثناء تصاعد الازمة تنادى بالابقاء على العلاقة مع باكستان ، على اخوة الدين والعقيدة ، رافعة شعار « الاسلام خطر يميهاى » اى الاسلام فى خطر .

دعوة « العلاقات الخاصة »

وكما حمل الاسلام بمساوىء الخلافة العثمانية فى آخر عهدها ، الامر الذى ادى الى اعلان اتاتورك الحرب على الدين،فان هذا ما تكرر فى بنجلاديش. عندما انتصر التيار القومى ، حمل الاسلام مسئولية الاخطاء والفظائع التى حدثت اثناء الحرب « وهم يطلقون عليها هناك اسم « حرب التحرير » .

فعندما اعلنت الدولة الجديدة ، رفضت النص على ارتباطها بالاسلام ، جاء الدستور معلنا انها دولة علمانية (كما فعل اتاتورك) وكان شعار جامعة « دكا » العريقة هو الآية الكريمة « وقل رب زدنى علما » ،لكن الشعار ازيل بعد الاستقلال ، ولا يزال ، ووضع زعماء المسلمين وعلماؤهم فى

..سجن ، واهملت المدارس الاسلامية ، وضيق على ..نشاط الاسلامي بوجه عام .

وحين حدث الانقلاب على مجيب الرحمن سنة ..٧ ، اعلنت بنجلاديش دولة اسلامية لمدة ٢٤ ساعة ..ط (فى ذلك اليوم اعترفت بها السعودية) ولكن ..ا الاعلان سحب فيما يبدو بعد ذلك ، اذ لم يعد ..ذكر . (عندئذ جددت السعودية اعترافها ولم ..عث سفيرها) ، وفى ظل الانقلاب الثالث الذى ..ث فى نفس الشهر عدل الدستور بحيث اصبح ..دا بعبارة بسم الله الرحمن الرحيم ، ونص فيها ..ى أن بنجلاديش دولة تؤمن بالله ، واضيفت ..ى كلمة الاشتراكية فى نصه انها تعنى العدالة ..اجتماعية(حينئذ ارسلت السعودية سفيرها وقدمت ..جنرال ضياء الرحمن معونة قدرها ٢٥٠ مليون ..لار على دفعتين متتاليتين) .

لكن هـذا التعامل على الاسلام خفت حدته . ..قيت مسالة باكستان جرحا لم يندمل بعد .

فبين المتعاطفين لاسباب دينية، والرافضين لاسباب ..مية ، هناك تيار ثالث عاقل ومستنير يدعو الى ..امة « علاقات خاصة » مع باكستان ويستند فى ..ك الى أن بـين البلدين نسيجا عاطفيا لا يمكن ..اهله مثـلا عندمـا زار ذو الفقـار على بوتو ..رئيس وزراء المعركة) بنجلاديش بعد الانفصال، ..ستقبل هناك استقبالا شعبيا كبيرا ، كانت له ..لالاته ، رغم كل ما جرى . وهم يذكرون هناك انه .. دورة ميونخ ، التى اقيمت بعد الانفصال بعام ..حد ، كان فريق الكرة الباكستانى يلعب ضـد ..فريق الهندى ، وكان على راس مشجعى الفريق ..باكستانى ، البعثة الرياضية البنجالية! ويدللون ..ذه القصة على انه عند لحظـة الاختيار فـان ..بلاديش ستتجه على الفور الى جانب باكستان . ..سبب المشاعر الدينية التى تربطها بها : اما اذا ..ن الاختيار بين باكستان وبنجلاديش ـ اضاف ..وى القصة ـ «فان بنجلاديش طبعا هى ما نختاره» .

وغير العواطف ، فهناك مصالح تقتضى اقامة .. العلاقات الخاصة . ذلك أن هنـاك تكاملا ..تصاديا بين البلدين . مثال ذلك القـطن فى ..كستان والجوت فى بنجلاديش . فضلا عن أن ..توزيع المصانع بين البلدين كان مخططا على هذا الاساس، بحيث لا يتكرر مصنع واحد فى الاقليمين، وتكون طاقة المصنع فى اى منها قادرة على تغطية احتياجات الاستهلاك كلها ، هنا وهناك ، حدث ذلك فى صناعات الادوية والاطارات وقطع الغيار . وغيرها .

وبالاضافة الى ذلك فان باكستان كانت المتنفس الطبيعى الوحيد للايدى العامله البنجالية ، لان مساحتها ستة اضعاف مساحة بنجلاديش ، وتعدادها اقل بعشرة ملايين عن بنجلاديش . وقد ترتب على القطيعة بين البلدين ان واجهت الايدى العاملـة البنجاليه ازمة شديدة ، وزادت بينها نسبة البطالة زيادة ملحوظة الامر الذى اضطر اعدادا كبيره من البنجاليين الى النزوح لمنطقة الخليج بحثا عـن مورد للرزق .

هذه هى ابرز حجج دعاة العلاقات الخاصة مع باكستان . ورغم انها منطقية فى مجموعها ، الا ان البعض يخشى ان تدفع العلاقات الخاصة الى ما هو ابعد ، تحت ضغط دعاة العودة الى باكستان ، وعندئذ يقع المحظور ، ويعود التاريخ الى الوراء مرة اخرى .

واصحاب ذلك الاتجاه العاقل والمستنير ينبهون الاذهان الى ان العلاقة بين الدين والقومية يمكن أن تستمر بغير صدام . فليس هناك تعارض بين ان تكون بنغاليا وان تكون مسلما (نتيجة لتزايد الحس القومى) فان الاجيال الجديدة صارت تحمل اسماء اسلامية ، اذا صح التعبير ، تسجل فـى شهادات الميلاد ، بينما يتداولون فيما بينهم أسماء بنجالية ، اذ كان لمرافقتنا ابنة اسمها الاصلـى خديجة واسمها البنجالى « طوبيا » .

القومية عندما تصبح خطرا

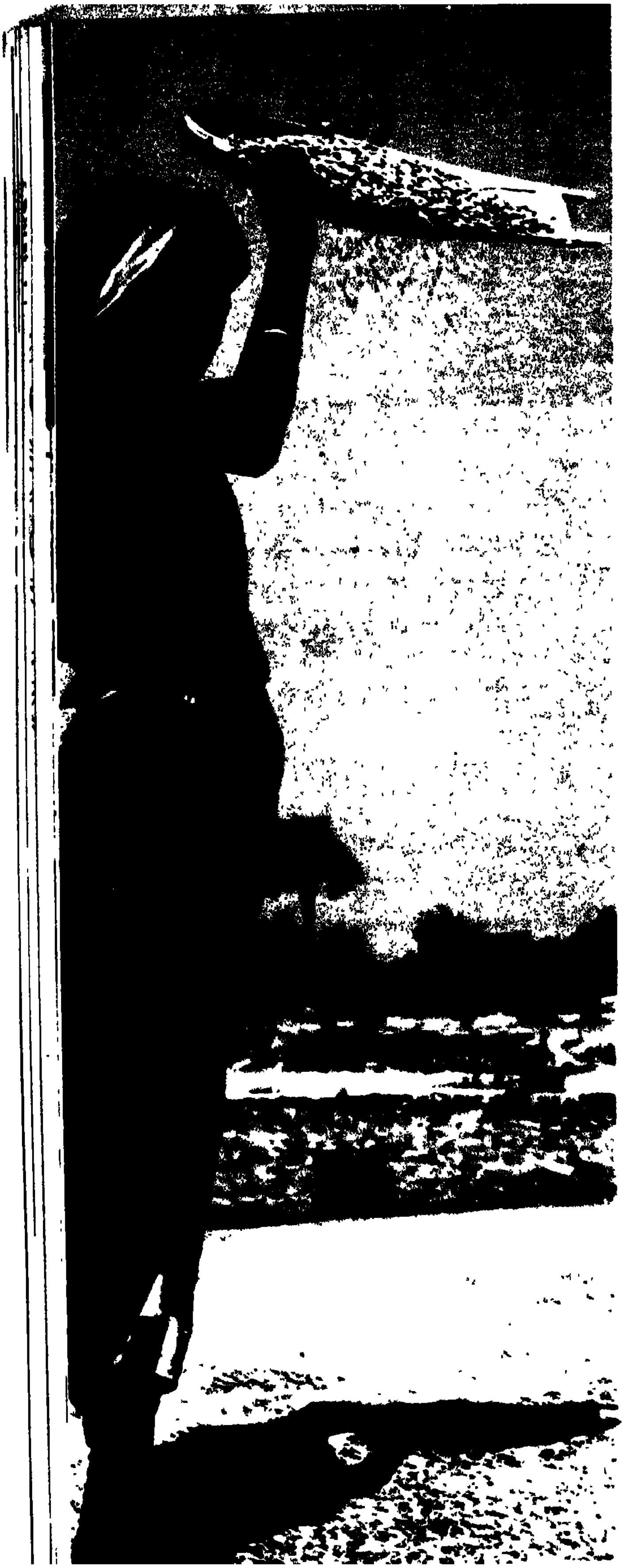
وقد كان من نتيجة تصاعد الحس القومـى بعد الانفصال ان تحركت القبائل ذات الاصول غير البنجالية التى تعيش فى مناطق الغابات الجنوبية، وطالبت بالحكم الذاتى ، بل وشكلت فيها حركة مقاومة سرية بقيادة عضو البرلمان السابق « لارما كانو »تبنت هذه المطالب ، ولا تزال تضغط بوسائل عديدة،منها الاشتباك بالسلاح وعمليات التخريب، لنيل الحكم الذاتى .



مليون قارب تنطلق كالسهام فى انهار دكا تحمل كل شىء (الى اليمين) وباعة الارز المطبوخ فى قدور من الفخـــار منتشرون فى كل مكان • يقدمون الوجبة فى « اناء » هو عبارة عن ورقة شجر سميكة (فوق) •









ليست هناك مضارب ارز ، ولكـــن الفلاحات يقمن بالمهمة خير قيام (الى اليسار) ٠٠ وزراعات الارز تلقى كل عناية ، لان الكل يدرك انهم يخيرون احيانا بين الارز او الموت (تحت) ٠



وهم مليونا نسمة ، موزعون على ١٣ قبيله ، مسيحيون وبوذيون ووثنيون ، لهم اصول تمتد الى التبت وبورما وتتزعمهم قبائل شاكما وماروما ، البوذية ، ولوشاي التى تعتنق الدين المسيحى • وهي القبائل الاكثر تعليما (فى بنجلاديش ايضا حوالى ١٠ ملايين هندوكى ولاؤهم مرتبط بالهند)•

والمنطق الذى يبررون به مطالبهم هو : انه اذا كان البنجاليون قد ثاروا من اجل لغتهم وقوميتهم اليس من حقنا ايضا ان نحتزم لغتنا وقوميتنا ، وان نثور من اجلها اذا اقتضى الامر ؟

وليس مصادفة ان يكون نشاط بعثات التبشير التى تتستر بالمسيحية مركزا فى مناطق القبائل هذه ، ان يكون مقرهم فى « ستيتاجونج » ، القريبة من هذه المناطق ، حيث اقاموا هناك مستشفاهم ومركز تموينهم الذى يقدمون منه بعض « المعونات » للفقراء •

وهو ما يذكرنا بدور البعثات التبشيرية فى اندونيسيا ، التى اختارت اكثر المناطق فقرا ، التى تعد التربة الاكثر خصوبة لنشر افكارهم ، واقاموا هناك مدارسهم ومستشفياتهم •

البعض يقول ان تقسيم باكستان كانخطةمدبرة ساهمت فيها الدول المجاورة لاضعاف اكبر دولة اسلامية ، وان النشاط التبشيرى فى بنجلاديش حلقة جديدة فى هذه الخطة) •

وقضية القبائل التى تطالب بالحكم الذاتى ، الذى يتحول الى مطلب للانفصال اذا تفاقمت الامور ، تفجر من جديد مسالة القوميات والخطر الذى تمثله اذا لم تعالج بحكمه وتعقل ، بحيث تحترم مشاعر البشر وحقوقهم الاساسية ، ولا تتمزق الاوطان وتصبح عرضة للتفتت والتشرذم ، فى عالم يتجه الواعون فيه الى التجمع والوحدة •

وذلك يذكرنا بقول المؤرخ الشهير ارنولد توينبى فى كتابه « العالم والغرب » ان المسالة القومية كانت تعبر عن واقع اوروبى فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، لكنها، عندما ذهبت الى الشرق صارت فكرة مدمرة » • لان الحدود اللغوية فى اوروبا كانت مطابقة تقريبا للحدود السياسية ، وهو على العكس تماما مما يعرفه الشرق ، اذ تتداخل فى اطار الحدود السياسيه لدولة واحدة ربما ـ العديد من اللغات والقوميات •

ومع ذلك يظل السؤال قائما : كيف تصبح المسالة القومية وسيلة وليس هدفا ، اى تستخدم من اجل التجميع والوحدة ، وليس فى التمزق والانفصال ؟ ذلك ان اهدار حقوق الانسان ، لسبب يتعلق بدينه او لونه او عنصره ، هو عمل غير حضارى • وبنفس القدر ، فان تغذية الحس الانفصالى بغير مبرر،وتقويض وطن باسم القومية هو ايضا عمل غير حضارى•وهى جريمة السياسيين ان يخيروا الانسان فى اى لحظة بين آدميته والوطن الذى ينتمى اليه •

الوجه الآخر

على ان اسوأ ما فى هموم بنجلاديش انها تحجب وجها اخر لهذا البلد ، لا يذكره احد • ولا يراه الناس ، سواء اولئك الذين يعيشون مشكلات هذه الملايين الفقيرة ، او الذين يتابعونها ويقراونها • وهم يحاولون ان يبرزوا هذا الوجه ويلفتوا الانظار اليه ، بامكانياتهم المتواضعة •

مثلا ، هم يدعون كل اجنبى يتوقف فى دكا الى جولة مجانية حول معالم بنجلاديش السياحية • وتنظم الدولة هذه الرحلات ، التى اشترك فيها خلال العام الماضى ٥٠ الف سائح • ياخذونهم الى شورنارجان ، عاصمة البنجال العتيقة التى تبلغ من العمر ٤٠٠ عام ، ومبانيها وتماثيلها ومعالم الحياة فيها باقية كما هى • يصحبونهم فى قوافل الى مناطق الغابات الكثيفة فى الجنوب ، قرب شيتا جونج • حيث تسكن القبائل البدائية،البوذية والوثنية ، وتعيش كل حيوانات الغابة فى سكون• يبيعون لهم اطول شواطىء العالم فى كوكس بازار (اكثر من ١٦٠ كيلومترا بينما شاطىء ميامى المعروف فى امريكا بانه اطول الشواطىء لا يتجاوز ١١٢ كيلومترا)

هذا الشاطىء الرائع ، برماله البيضاء الناعمة مداه غير المرئى ، وطبيعته الهادئة ، التى لا يفسدها الا نعيق الغربان واسراب الناموس !

مثلا ، قليلون هم الذين يرصدون معالم الحركة
غنية ، التى لها خصائصها المميزة ، رغم صلتها
وثيقة بالفنون الهندية القديمة . ويحتل
الرقص الشعبى المرتبة الاولى ، يليه الغناء الذى
برز فيه التوجه الاسلامى . ويعتمد على الانشاد
الجماعى تارة (الاقرب الى الموشحات الاندلسية)
الغناء الفردى تارة اخرى . ولا تزال اغانى
شاعر بنجلاديش الكبير نظر الاسلام (٣٠ الف
اغنية) تتردد على كل لسان وهى مزيج من
الاسلاميات والحب الصوفى والحض على الثورة.
هو يقول فى اشهر واعذب قصائده : اننى احلم
مكة البعيدة البعيدة ــ وانا مستلق فى كوخى
الصغير فى بنجلاديش .

وغير هذا وذاك ، فهناك مبادرات ايجابية
ستثمار طاقات البشر ، تستحق الاهتمام . من
ذلك مثلا مشروع « الطعام للعمل » ، الذى طبق
منذ عام ٧٥ ، ووسيلته هى : دعوة الناس الى
الاشتراك فى المشروعات العامة ، رصف الطرق
شق الترع والقنوات وتطهيرها ، مقابل كميات
من الارز والقمح ، وليس مقابل اجر نقدى .

وهو ما تستفيد منه الدولة ، وما حقق انجازات
ايجابية فعلا ، ثم انه يجنب العمال مشكلة شراء
الارز من السوق السوداء ، الذى يتلاعب فيه
التجار . ثم انهم بعد ذلك يغرسون فى الناس
قيمة « اعمل تاكل » ..

هذه بعض قسمات بنغلاديش التى تختف وراء
ظلال الهموم التى تثقل كاهل البلاد ، وتشد
انتباه الجميع من حولها .

أمل الاكتفاء الذاتى !

اخيرا ، ماذا عن المستقبل ؟

على صعوبة الاجابة على هذا السؤال ، فان
لدى وزير التخطيط الدكتور ميرزا نور الهدى
الذى كان وزيرا للمالية باكستان ، وحاكما لشرق
باكستان فى الماضى) ما يمكن ان يقوله فى محاولة
الرد . هو ــ مثلا ــ يذكر بان دولة بنجلاديش
... ان هذه

المنطقة تعرضت لنهب استعمارى لمدة قرنين تقريبا،
طوال الحكم البريطانى . اى ان مواردها مستنزفة
فى الواقع .

يقول وزير التخطيط ايضا ان هناك تقدما
بطيئا ، لاسباب لها وجاهتها ، ولالف عذر فى
مقدمتها قضية العملة الصعبة وضرورتها لمشروعات
التنمية ، لكن التقدم حادث بالفعل ، وهو مايمكن
ان يخفف من القلق على المستقبل . ثم انه يذكر
ايضا بان مشكلة تضاعف اسعار البترول قد
« اوجعتهم » ، وانهم وعدوا باسعار خاصة مراعاة
لظروفهم ، لكن الوعود لم تنفذ .

اخيرا يقدر الدكتور نور الهدى ان يتحقق
لبنجلاديش الاكتفاء الذاتى فى الغذاء مع نهاية
الخطة الثانية للتنمية (٨٥ ــ ٨٦) ، وان ذلك
مشروط بنجاح حملة ضبط النسل وتخفيض معدلات
نموه .

ومع ذلك يظل المستقبل علامة استفهام كبرى ،
لا تجد الاجابة الواثقة ، وهو امر منطقى . اذ
كيف يمكن الاطمئنان على المستقبل فى ظروف لها
هذا القدر من الحدة والتعقيد . وكيف يمكن
الحديث عن الثمانينات بينما لا احد يعرف ماذا
سيجرى غدا صباحا .. وهى بغير ذلك لن تكون
بنجلاديش !

●

هل هى ظالمة او مظلومة ، بنجلاديش ؟؟

بعد الرحلة اقول انها مظلومة بالدرجة الاولى.
ثم ظالمة بعد ذلك . وقد حرصت على ان اسجل
كم هى مظلومة ، اما كيف كانت ظالمة فالجواب عند
اطراف اللعبة السياسية التى استنفدت الكثير من
طاقات هذا البلد ، وشغلته عن مواجهة تحدياته
الحقيقية بالصراعات والتصفيات ، وهذه يطول فيها
الشرح والحكى .

ومع ذلك لا استطيع ان اخفى تعاطفا شديدا مع
« اهل بنجالة » ، ربما لانهم مسلمون . ربما لانهم
فقراء بلا حيلة .. وكلنا كذلك !

وداعا بنجلاديش ! ■■



●● ٢٦ مليون طفل فى وطننا العربى ،لايذهب منهم الى رياض الاطفال سوى ٢٪ فقط !

●● كيف حلت مشكلة كتابة الارقام ، ولماذا استبعدت اسماء الشهور ؟

●● اختبارات فى اربع مـــدن عربية بحثا عن اللغة المبسطة التي يفهمها طفل ما قبل سن المدرسة !

●● أول برنامج تلفزيونى لتثقيف الطفل العربى تتبناه ٦ دول من الخليج العربى !

●● ٣٠٠ اغنية جديدة و ١٧٠ هدفا سيحققها برنامـــج :



افتح يا سمسم



استطـــلاع : سليـــم زبال

نعمان وملسون •• الشخصيتان الرئيسيتان فى برنامج افتح ياسمسم •• نعمان هو كائن جديد يشبه شكل الحيوان الضخم الجثة صغير الراس (الى اليمين) اما ملسون فكائن مقتبس عن الببغاء ، انيق المظهر مرتب حيوى (الى اليسار) والصورة العليا اثناء تصوير الحلقة الاولى وترى فيها نعمان والاطفال الصغار امام دكان سمسم •• (تصوير : اوسكار مترى)

■ افتح يا سمسم :

كلمات سحرية كانت فى قصص الف ليلـــة وليلة ، تفتح الابواب الى الكنوز الاسطورية !

هذا المفهوم القديم المنطبع فى اذهاننا ، تغير اليوم تماما ، فقد اصبحت « افتح ياسمسم » احد مفاتيح المعرفة يغترف منها اطفالنا الصغار دون ان يبرحوا منازلهم !

« افتح يا سمسم » صار الان برنامجا تلفزيونيا تعليميا ترفيهيا مدته ٣٩٠٠ دقيقة !

انه النسخة العربية من برنامج عالمى يبث حاليا باكثر من ١٣ لغة فى ٤٠ دولة مختلفة من دول العالم الغربى والشرقى على حد سواء !

قصة البرنامج

يحاول هذا البرنامج المسلسل ان يحدث انقلابا فى اسلوب تربية اطفال ما قبل سن المدرسة ، مما دفع الهيئات التربوية العالمية الى اجراء دراسات مكثفة عنه . وقدمت اللجنة التى الفتها منظمة اليونسكو برئاسة ادجار فور رئيس الوزراء ووزير التربية الفرنسى السابق تقريرها قائلة : « يعتبر هذا البرنامج أهم التجارب المرئية الموجهة لاطفال ما قبل المدرسة » .

وتعود فكرة هذا البرنامج الى سيدة امريكية ، ارادت منه انقاذا للطفل الامريكى من الضياع ، فالآباء مشغولون بمتاعب الحياة وليست لديهم التجارب لتعليم اطفالهم ، وافلام العنف والجريمة والرعب تتسلل عبر شاشات التلفزيون المنتشرة فى كل منزل .. ووسط هذا الجو المشحون ، عرضوا فى عام ١٩٦٩ عبر ٢٥٦ محطة تلفزيون بامريكا ، برنامج «شارع سمسم» .. وكان النجاح هائلا ، وانهالت الطلبات من كافة انحاء العالم تطلب عرض هذا المسلسل الذى انفقوا ثمانية ملايين دولار على ابحاثه ، حتى اصبح برنامجا راسخا قويا عالميا ..

بضاعتنا ردت الينا !

ولم يعد هذا البرنامج واحدا متشابها ، فاوضاع كل دولة تختلف عن الاخرى ، لهذا جرت عمليات شاقة صعبة لتحويله من ثقافة معينة الى ثقافات اخرى متعددة .. كل شيء اختلف فيه : شخصياته .. ألوانه .. رسوماته .. حتى اسمه تنوع واختلف ، من : شارع سمسم Sesamè Street بالانجليزية ، الى « ساحة سمسم » بالاسبانية ، الى « فيلا سمسم » بالبرتغالية ..

كلهم اشتقوا الاسم من الف ليلة وليلة العربية، لهذا لم يجد المسئولون عن انتاج النسخة العربية حرجا فى العودة الى الاصل العربى : « افتح يا سمسم » .. انها بضاعتنا ردت الينا .. !

المال ليس كل شيء !

ان عملية تحويل هذا البرنامج العالمى الى برنامج عربى كانت تبدو شبه مستحيلة ، فتوفير المال لم يكن كافيا لانجاح المشروع بقدر توفير الرغبة والحماس لتجاوز عشرات المشكلات التى تواجه كل عمل عربى مشترك ..

اننا عندما نعمل افرادا ندرك قمة الابداع .. وعندما نبدأ عملا جماعيا عربيا يتدهور عملنا ..

دول الخليج تتبنى الفكرة

وقد ادرك الصندوق العربى للانماء الاقتصادى والاجتماعى فى الكويت ابعاد هذه الصعوبات والمشاكل ، فسارع بعرض نتيجة دراساته ، التى شاركه فيها برنامج الامم المتحدة الانمائى ، على المؤتمر الرابع لتلفزيونات الخليج العربى ، مؤكدا ان تعريب برنامج شارع سمسم الامريكى سوف تكون له اطيب الاثار والنتائج على تربية الطفل العربى ..

ورحب المسئولون الخليجيون بالفكرة وتبنوها بالتعاون مع الصندوق العربى .. وبعدها اصبحت مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك لدول الخليج العربى هى المسئولة عن المشروع كله : انتاجا واشرافا وتنفيذا ..

اول برنامج للطفل العربى

وتقول السيدة عزيزة حلمى عضوة ...



اكتسب الفنيون العرب خبرة جديدة واسعة نتيجة احتكاكهم بمجموعة من الخبراء الفنيين العالميين الذين اصبحت عندهم تجارب هائلة حصلوا عليها بعد تكييف برنامجهم الى خمس مناطق لغوية عالمية ..

المستشارين للبرنامج التي عاصرت برنامج افتح يا سمسم منذ ولادة فكرته :

ـ يمكنني القول ان هذا البرنامج يعتبر من المشاريع العربية المشتركة التي يمكن ان نسميها رائدة في عدة مجالات .

انه اول برنامج عربي يوجه لطفل ما قبل المدرسة ..

« وهو اول برنامج يستعمل لغة عربية مبسطة يستطيع ان يفهمها كل اطفالنا من المحيط الى الخليج ..

« كما انه اول عمل عربي يجمع بين البحوث الاكاديمية والميدانية ، وبين الانتاج الفني .. »

٧½ مليون دولار تكاليف البرنامج

لقد انتهت مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك من المرحلة الاولى لبرنامج افتح يا سمسم بعد عشر شهور من العمل الجاد ، استطاعت خلالها انتاج حلقتين نموذجيتين من هذا البرنامج ..

اما المرحلة الثانية ومدتها ١٨ شهرا فقد بدات في شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٨ وفيها سوف يتم انتاج ١٣٠ حلقة مدة كل منها ٣٠ دقيقة ..

وتبلغ تكاليف انتاج وحق عرض « افتح يا سمسم » ، ٧½ مليون دولار ، دفعتها مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي المكونة من الكويت ، والسعودية ، والعراق ، والبحرين ، وقطر ، ودولة الامارات .

ويرتكز العمل الفني في كل حلقة على اربعة اسس : تصوير خارجي ، وداخل الاستوديو ، والعاب ودمى ، وعلى رسوم متحركة مدتها ١٠ دقائق على الاقل في كل حلقة .. ومما يذكر ان تكاليف الدقيقة الواحدة من الرسوم المتحركة يبلغ نحو ٧ الاف دولار !

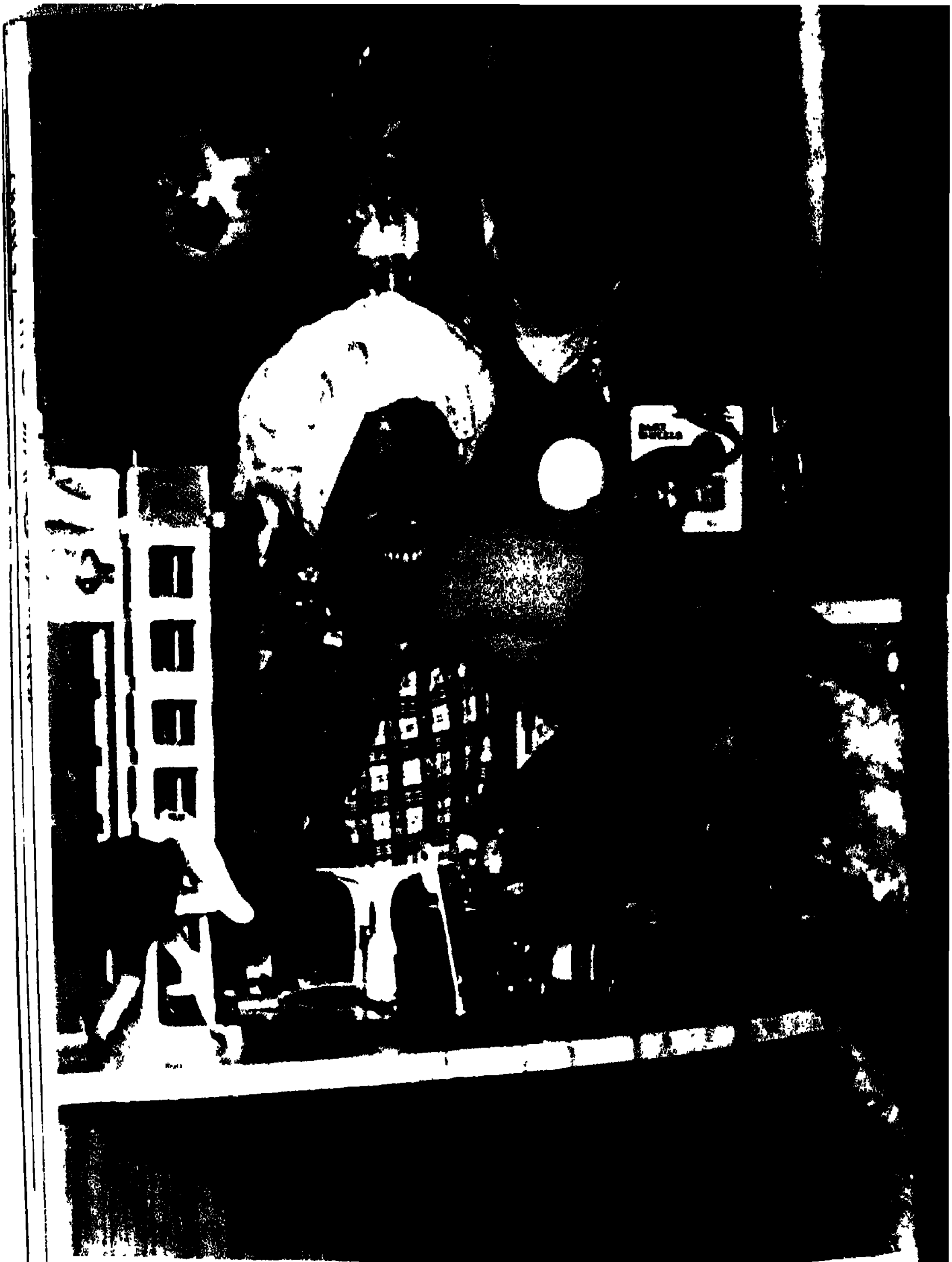
لماذا برامج اطفال ؟

ترى هل توازي اهداف البرنامج ، المبلغ الكبير المرصود له ؟

يجمع الخبراء على ان وضع الطفل العربي عامة







الى اليمين : اختبارات لغوية اجرتهـــا المدرسات واساتذة الجامعات على تلامذة رياض الاطفال ، فى كل من الكويت وعمان والقاهرة وتونس لمعرفة قدرة الاطفال على تراكيب اللغة العربية الفصحى ، التى اعتمدت لغة برنامج «افتـــح ياسمسم» ٠٠

هذا هو ملسون ٠٠ الكائن الذى سيكون له تأثيره الكبير على اطفالنا ٠٠ انه مقتبس عن الببغاء وهو اجتماعى يكون الصداقات مع الجميع ، ومبادر ايجابـــى يســـاعد الاخـــرين ، كثير الكلام، يـــرفض الخطـــا ، يتحـــدث فـــى كـــل موضـــوع ويتدخل فى شئون الاخرين ، له صوت جميل ، قادر على الغناء ٠٠

يحتاج الى عشرات اضعاف هذا المبلغ لمعالجة مـا افسدناه وافسده الدهر في مجتمعاتنا .

فالاحصائيات المتوفرة تقدر عدد الاطفال العرب، الذين قبل سن المدرسة ، بحوالى ٢٦ مليون طفل يذهب منهم الى رياض الاطفال ٢٪ فقط ، والبقية يعيشون طفولة كئيبة،نربيهم على الزجر والصراخ واستعمال العصا .

نفرض عليهم آراءنا ، ونحرمهم التعبير عـن ذاتهم ..

نحقرهم من حيث لا ندرى ، عندما نطلق عليهم اسماء فيها انتقاص منشانهم : جاهل .. هيلّ .. زعطوط ..

اننا نضيق عليهم الخيال ، والتمتع برؤية جمال الاشياء .. ما زلنا ابا واما لم نستوعب اساليب تربية الاطفال .. او نكتشف اهمية اعداد الطفل للمرحلة المدرسية .. انه كائن مجهول لا نعرف شيئا كثيرا عن عالمه .

ومن ثم كانت حاجة اطفالنا ماسة وملحة الى برنامج توجيهى تربوى يركز على المرح والجمـال والبهجة ، وهذا ما يقدمه لنا «افتح يا سمسم»..

حالة قحط

ـ ما الذى يقدمه التلفزيون حاليا لاطفالنا ؟

يرد على السؤال الاستاذ رضا الفيلى مديـر البرامج بتلفزيون الكويت :

« التلفزيون العربي عامة ، يعانى من حالة قحط فى برامج الاطفال .. واقول لك بملء صوتـى : اننا فى حاجة ماسة جدا جدا لبرامج اطفال ..

« اما الموجود عندنا حاليا ، فلا يمكن تسميتـه برامج اطفال ، انه اجتهادات فردية تسعى الـى الاقتباس من قصص الف ليلة وليلة ، وكليلـة ودمنة ..

« العالم كله يهتم باطفاله ، خذ اليابان مثلا ، هناك خصصوا قناة تلفزيونية كاملة للاطفال .. تقدم لهم الموسيقى والالعاب والاغانى والاوبـرا الخاصة بهم ..

« واعتقد ان برنامج « افتح يا سمسم » هو بمثابة احداث ثغرة واسعة فى القلعة المقفلة ال وضعنا فيها اطفالنا .. »

اختيار الطريق الصعب

لقد اختارت مؤسسة البرامج المشتركة ، تسلك الطريق الصعب لتثبت جدية عملها ، فب انتاجها للحلقتين النموذجيتين من «افتح يا سمسـ لم تنطلق مباشرة فى تكملة انتاج ١٣٠ حلقة لانها تعرف انها تلج حقلا بكرا من حقول العمـ التلفـزيـون التثقيفى ، لهـذا توقفت ووجه الدعوة الى خمسين من رجال الفكر والتربية والاعلا العرب للحضور الى الكويت لمشاهدة الحلقتـين وتقييم ومناقشة العمل الذى تم ..

من هذا ! ؟!

ونوقشت التحديات التى يواجهها هذا البرنام العربى المشترك .. وكانت فى مقدمتها اللغـة بأى لغة نخاطب هذا الطفل الصغير ؟ !

لغتنا العربية الفصحى اهملناها وتحولنا الى الى العامية نستعملها لغة تخاطب وتعامل مـ اطفالنا .. حتى اصبح عندنا فى وطننا العربي اكثر من الف لهجة عامية .. تصوروا ان عـدد هائلا من اطفالنا فشلوا فى معرفة معنى«من هذا؟» ففى منازلنا يسمع الطفل كلاما آخر مثل : مـيز مادا .. ومـين ده .. وشـكو هـذا .. ومنـو هذا .. ؟ !

اختبارات لغوية !

لهذا قامت المؤسسة باختبارات لغوية قسـمت خلالها الوطن العربى الى اربعة اقسام مختلفة : شرق الجزيرة العربية والعراق ، وبلاد الشام ، ووادى النيل ، وبلاد المغرب العربى .. واختارت لتمثيل لهجات هـذه المناطق ، اربـع مـدن هى : الكويت ، عمان ، القاهرة ، تونس .

حقيقة ان المدينة الواحدة لا تمثل لهجة المنطقة كلها ، ولكن فى غياب دراسات علمية لغوية حتى الان ، واستحالة اجراء المؤسسة ، لبحثها فى جميع

العواصم والمدن والارياف العربية ، لكل هذه الاسباب كان لا بد من عمل رائد للتعرف على مقدار فهم تعبيرات الفصحى لدى الاطفال ..

اختزان للفصحى !

وارسلت الاختبارات الى المدن الاربع المختارة، وبدا المختصون التربويون واللغويون في كل مدينة يجرون ١٥ اختبارا لغويا ونفسيا واجتماعيا على الاطفال .

ويضيف الدكتور عبدالله الدنان الاستاذ في جامعة الكويت والمسئول عن هذه الاختبارات :

« كان لدينا في الواقع مرحلتان من الاختبارات: الاولى غايتها التحقق من افتراضنا ان الاطفال العرب يستطيعون فهم الفصحى ، وقد بنينا هذا الافتراض على اساس ان الاطفال يختزنون كثيرا من تراكيب ومفردات الفصحى من الجو الذي يعيشون فيه ، والمشحون بالفصحى : القران الكريم والاخبار، والتعليقات ، وبعض المسرحيات ، والقصص تتردد على اسماعهم كل يوم من الاذاعة والتلفزيون .

« بالاضافة الى سماعهم الاناشيد والدروس التي يرددها افراد اسرهم وجيرانهم .. وقد كانت نتائج هذه الاختبارات مثيرة حقا ، فقد ثبت ان الاطفال العرب يستطيعون فهم القصص التي القيت عليهم ، رغم ان هذه القصص تحوي حوالي ٥٠٪ من المفردات غير المتطابقة بين الفصحى والعامية..

« وقد تجاوز معدل الاجابات الصحيحة في جميع البلدان ٧٠٪

« اما المرحلة الثانية من اختباراتنا فقد كانت غايتها التعرف على مدى السهولة والصعوبة التي يلقاها الاطفال العرب في فهم مجموعة معينة من المفردات التركيبية ، مثل ادوات الاستفهام والنفي وغيرها التي اختفى بعضها من العامية، مثل «لماذا» و«ليس» وقد استطاع الاطفال استنتاج معاني بعض هذه الكلمات من النص ، بينما انخفضت نسبة اجاباتهم عن بعضها الاخر .

« ولذلك تقرر ان تعرض في البرنامج باسلوب تعليمي .. »



كتّاب من الكويت والعراق ومصر وسوريا والاردن ، انصهروا في بوتقة واحدة من اجل ايجاد افضل أسلوب لمخاطبة الطفل العربي على امتداد وطنه الكبير .

الارقام والشهور !

ومن المشكلات المستعصية الاخرى التي واجهها البرنامج مشكلة كتابة الارقام .. في المغرب العربي نكتب باسلوب يختلف تماما عن المشرق العربي .. ولهذا تقرر عرض الارقام بشكليها المشرقي والمغربي على الشاشة ..

اما مشكلة الشهور فعندنا اختلافات عميقة .. من محرم وصفر .. الى يناير وفبراير .. الى كانون الثاني وشباط .. الى جنفري وفبري .. ناهيك عن توت وبابه .. وبسبب هذا التعارض لن تظهر اسماء الشهور في البرنامج ..

١٧٠ هدفا للبرنامج

اما عن الاهداف التي يامل برنامج افتح يا سمسم ان يحققها ، فقد لخصها لنا الدكتور محمد جواد رضا ، العميد السابق لكلية التربية بجامعة الكويت ، والمسئول عن البحوث في برنامج « افتح يا سمسم » : « عندنا حوالي ١٧٠ هدفا محددا نامل في تحقيقها من خلال ١٣٠ حلقة .. وهدفنا الرئيسي هو ربط الناشئة العربية الجديدة ،بروح العصر الذي سيعيشون فيه ، ومساعدة اولياء

الامور على وعي الحاجات النفسية والتربوية للاطفال العرب الذين بين سن ٣ سنوات وست سنوات » ٠

ندوة كتاب الاطفال

ولتحقيق هذه الاهداف تحاول مؤسسة البرامج المشتركة ان تلعب على اكثر من حبل في وقت واحد « اننا نقيم يوميا محاضرات وبحوثا للكتاب ٠٠ اننا نبحث في الوطن العربي عن اكثر من كاتب برامج اطفال ٠٠ والشعر مهم لاغنية الطفل ، والشعراء الذين كتبوا للاطفال هم قلة نادرة ٠٠

« قد يكون هناك كتاب مجهولون ، ونحن نقول لهم : اتصلوا بنا ٠٠ اننا نبحث عنكم ٠٠ »

٣٠٠ اغنية جديدة للاطفال

اما اغنيات الاطفال فهذا عالم آخر مختلف ٠٠ لقد وضعوا مثلا اغنية خفيفة عن النخلة ،وعندما عرضوها على الاطفال رفضوها بالاجماع فاضطر المسئولون الى حذفها ٠٠

ان وضع اغنية للاطفال اصبح من الصعوبة بمكان ، لاننا افسدنا اذواق اطفالنا عندما جعلناهم يتعلمون اغاني الكبار ٠٠ واكثرها كما نعلم مشحون بالميوعة والابتذال الفني ٠٠ تصوروا ان مجموع اغاني الاطفال الموجودة في السوق العربي حاليا لا يتعدى خمس اغنيات ٠٠ كلها ماخوذة من افلام سينمائية ٠٠

وافتح يا سمسم ستقدم في حلقاتها ما مجموعه ٣٠٠ اغنية جديدة خاصة بالاطفال ٠

نعالج ظلما اجتماعيا

اخيرا يقول الاستاذ ابراهيم اليوسف مدير مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي :

« اعتقد انكم رأيتم وقرأتم ما فيه الكفاية من



مناقشة بين مدير مؤسسة البرامج المشتركة ابراهيم اليوسف،وبين دنكون لنوردى المستشار المقيم للشركة الامريكية المسئولة عن برنامج افتح ياسمسم ٠

برنامج (افتح يا سمسم) ٠٠ وكل الذي يمكنني اضافته ان هذا البرنامج ـ رغم انه معد خصيصا للاطفال الذين قبل سن المدرسة ـ الا ان ارتفاع نسبة الامية في وطننا العربي الى حوالي ٨٦٪ تجعلني اعتقد ان البرنامج سوف يجذب اليه الاطفال والكبار على حد سواء ٠٠

« اننا نهدف الى مخاطبة كل اطفالنا العرب من المحيط للخليج ، وهذا عمل كبير ضخم ، يحتاج الى مجهودات مضاعفة ومال كثير ، وقد دفعت المؤسسة عن طيب خاطر مبلغ مليون ونصف مليون دولار لشركة سي تي دبليو كحق عرض في جميع اجزاء الوطن العربي ، الذي ستتولى مؤسستنا بيع انتاجها فيه ٠٠ »

واخيرا لقد اقترب الموعد المحدد بين ٢٥ مليون طفل عربي محرومين من رياض للاطفال وبين اسرة افتح يا سمسم ٠٠ وفي مقدمتهم نعمان وملسون اللذان سيصبحان نقطة الانطلاق لانتاج برامج واقامة مشاريع عديدة للعناية باطفالنا ، بعد طول حرمان ■■

سليم زبال



« الضوضــاء هي اســوا
أنـــواع المضايقـــات »

شوبنهاور

الضوضاء :

خطر متزايد يهدد الانسان

بقلم : الدكتور أنيس فهمي

عدى المشكلات التى تمخضت
، وهى مشكلة نتحدث عنها
يقتها بالضبط ، فاذا حاولنا
، وجدنا انفسنا امام سؤال
ضاء ؟ »

(Zeller) الضوضاء
ظرابا» • وقد امكن قياس
كون من فونومتر زميكروفون،
سجيل جميع الاصوات التى

تصل اليه ، ولكن ليست كل الاصوات ضوضاء • وحتى يومنا هذا لا يمكننا ان نحدد عن طريق جهاز قياس الصوت ما اذا كان اى صوت معين يعتبر ضوضاء او مجرد صوت ، كما لا يمكننا تحديد الطريقة التى يؤثر بها على جسم الانسان ، الا اننا نعرف فى الوقت الحاضر ان تاثير الضوضاء على الجسم يتوقف على الاخص على حجم الموجات وعدد ذبذباتها • ويمكننا القول بصفة عامة ان الاصوات العالية تحدث اضطرابا اكثر من الاصوات

المنخفضة • كما ان الاصوات العادة تعتبر اكثر خطورة من الاصوات القليلة •

ويعتبر عامل الزمن من العوامل الهامة ايضا اذ ان الضوضاء المتقطعة والمفاجئة تحدث ضررا اكبر مما تحدثه الضوضاء المستمرة • وبالاضافة الى هذا فان العامل الشخصي يلعب دورا هاما كذلك •

التأثير على جهاز السمع

ليست الضوضاء مشكلة سيكولوجية ولكنها ايضا مشكلة جسمانية لانها تؤثر على اعضاء السمع وعلى اعضاء الجسم مجتمعة ، ولكن الجهاز السمعي هو اول اجهزة الجسم واكثرها تاثرا بالضوضاء • فقد ثبت ان الضوضاء العالية قد تحدث تهتكا في غشاء الطبلة • كما ان الضوضاء المتوسطة الشدة تحدث نوعا من الصمم المؤقت تختلف درجته تبعا لنوع الضوضاء والمدة الزمنية التى تعرض في اثنائها الشخص للضوضاء •

وهناك حالات نوعية من الصمم المهني الذى يحدث غالبا لعمال الصناعة وتزداد هذه الحالات مع ازدياد حركة التصنيع • ويمكن متابعة التطور الذى يحدث في حالات الصمم المهني باستعمال جهاز يسمى «اوديميتر» • وقد تمكن العلماء بوساطة هذا الجهاز من ان يعرفوا ان عامل الصناعة الذى يتعرض للضوضاء بحكم مهنته يجد صعوبة في البدء في عمله في الصباح ، وبعد مضى عشرين دقيقة يحس برد فعل مؤلم للضوضاء على شكل طنين في الاذن وشعور بنوع من التعب الذهني والجسماني • وعند اتمام عمله يحس العامل بطنين في الاذنين ويستمر هذا الطنين مدة من الزمن بعد انتهاء العمل • وبعد مضى فترة من الزمن تتوقف على درجة اصابة الجهاز السمعي وعلى حساسية الشخص نفسه تتخذ الضوضاء والاصوات المألوفة درجة صوتية غير عادية • وبعد مضى شهر تقريبا تتكيف الاذن بالنسبة للموقف وعندئذ يقل الاحساس بالاضطرابات ، الا انه في خلال هذه المدة يحدث انحلال تدريجي بطيء في الجهاز السمعي •

والصمم المهني يصيب عادة كلتا الاذنين ويشبه كثيرا الصمم العصبي • ولايشعر الانسان به عادة الا عند احداث الاصوات العالية • وفي المساء عندما يترك العامل عمله تزول حالة الصمم ولكنها تعود مرة اخرى في الصباح عند استئناف العمل • ويمكن ايقاف الصمم اذا هجر العامل عمله وزاول مهنة اخرى لا يتعرض فيها جهازه السمعي للضوضاء • ولكن اذا استمر العامل في عمله واستمر الجهاز السمعي معرضا للضوضاء فان النتيجة المؤكدة هي حدوث الصمم بشكل واضح لدرجة ان العامل لايستطيع سماع المحادثة العادية •

وقد برهن هيلدنج (Hilding) على ان سبب الصمم يرجع الى تاثير الضوضاء على عضو كورتي *Organ of Corti* الموجودة في الاذن • كما ان حدوث الضوضاء المتوسطة الشدة بشكل يتكرر عدة ساعات كل يوم لمدة عدة سنوات قد يسبب انحلالا في بعض اعضاء الاذن الداخلية •

ويتضح من ذلك انه في المدن الصناعية التى تشتد فيها الضوضاء تزداد نسبة السكان الذين يشكون من ضعف السمع وان كانت هناك عوامل شخصية تزيد في درجة تاثر السمع بالضوضاء ، واهم هذه العوامل التقدم في السن والاستعداد الشخصي والضعف الطبيعي في الجهاز العصبي الذى يكثر حدوثه في السيدات •

وباقي اعضاء الجسم

لايقتصر تاثير الضوضاء على السمع فقط بل يتعداه الى مختلف مراكز المخ ووظائفه وبالتالي جميع اعضاء الجسم ، كما ان تاثيرها النفسي لا يمكن انكاره • فمن المعروف ان التفكير والقدرة على التركيز في جو تشيع فيه الضوضاء تحتاجان الى مجهود اكبر بكثير من الجو الهادىء اللطيف • وفي هذا الصدد قال شوبنهاور : «ان الضوضاء هي اسوأ انواع المضايقات لانها تقطع علينا حبل التفكير » •

ويعلم الرياضيون ايضا ان اتساق حركات الجسم يستلزم قدرا كبيرا من التركيز لايتسنى لهم الحصول

عليه اذا احاطت بهم الضوضاء . وتظهر اهمية هذه النقطة عند لاعبي التنس والحداثين والبهلوانات ولاعبي السيرك الذين قد تتعرض حياتهم للخطر بسبب الضوضاء .

وفي خلال العشرين سنة الاخيرة اتجه الباحثون في انجلترا وامريكا الى دراسة التاثير الفسيولوجي للضوضاء ، واتضح من هذه الابحاث ان الضوضاء تؤثر على الوظائف النفسية وتعوق النشاط العضلي للانسان . ومن اطرف الابحاث ماقامت به احدى شركات التامين الامريكية التي اجرت عدة اختبارات لقياس كمية النشاط للعمل عند موظفيها ، وعدد الاخطاء التي يرتكبونها ، وعدد الايام التي ينقطعون عنها عن العمل بسبب المرض او الارهاق خلال عام كامل . وبعد ان اقيمت جدران عازلة للصوت للاقلال من نسبة الضوضاء اعيدت هذه الاختبارات لمدة عام آخر فاتضح ان نسبة ارتكاب الاخطاء هبطت بمقدار الثلث ، ونسبة الغياب هبطت الى النصف أما نسبة الانتاج فقد زادت بمقدار العشر .

وتتفق جميع الابحاث على ان الضوضاء تسبب لدى الاشخاص الذين يتعرضون لها احساسا بالاضطراب وان انجاز الاعمال الصعبة في جو صاخب بالضوضاء يقترن دائما بازدياد في التوتر العصبي ويحتاج الى قدر اكبر من قوة الارادة .

وبالاضافة الى ذلك يتاثر جسم الانسان كله بالضوضاء ، فقد اثبتت الابحاث الفسيولوجية ان التعرض للضوضاء يسبب ارتفاعا في ضغط الدم ، وازديادا في عمليات بناء الانسجة وهدمها ، واقلالا في نشاط الجهاز الهضمي ، وسرعة في ضربات القلب ، وارتفاعا في ضغط سائل النخاع الشوكي وازديادا في التوتر العضلي وتاثيرا سيئا على رجولة الرجال وانوثة السيدات .

ومجموع هذه الاضطرابات يدل على تاثر الجهاز العصبي اللاارادي كله بشكل حاد نتيجة للضوضاء . وكثرة حدوث هذه الاضطرابات في حياتنا اليومية المشحونة بالضوضاء لها تاثير سيىء على الصحة العامة للجسم كما ان لها ارتباطا وثيقا بازدياد نسبة امراض القلب والاوعية الدموية والقرح المعدية والمساوىء الاخرى المتعددة للعصر الصناعي الذي نعيش فيه .

صوت الشجر والقطار ؟

اذا انتقلنا الى دراسة التاثير النفسي للضوضاء وجدنا ان الصوت المستمر بصفة منتظمة كصوت حفيف اوراق الشجر او صوت الماء الجاري لاحدى النافورات يبعث في النفس احساسا سارا . ونفس الشيء يمكن ان تحدثه مسلسلة من الاصوات المضايقة وابرز مثل لذلك صوت قطار يتحرك اذ اننا يمكننا النوم ونحن نسمع هذا الصوت في حين اننا نصحو من النوم حالما يتوقف صوت القطار . وقد اتضح من التجارب الشخصية ان كل انواع الضوضاء تحدث اضطرابات واحساسات غير سارة ، وان كانت تتدخل في ذلك الميول الشخصية سواء بطريقة شعورية او لا شعورية . فمثلا اذا دعي احدنا الى حفل عند احد جيرانه فانه لا يتضايق مطلقا من ضوضاء الحفل بينما يشعر بضيق شديد اذا لم يذهب الى الحفل وسمع نفس الضوضاء وهو قابع في منزله !

ان الانسان في اغلب الاحوال لا يشعر بالتفاعلات الفسيولوجية والسيكولوجية التي تحدث نتيجة للضوضاء والتي تؤثر على تفكيره وقوة تركيزه ونشاطه العضلي ولكنه يدرك بالتاكيد الفارق الكبير عندما يمارس نفس النشاط في جو هادىء بعيد عن الضوضاء .

والخلاصة ان الضوضاء تسبب اضطرابا في وظيفة السمع والوظائف العقلية وباقي اعضاء الجسم ، كما انها تضع حملا ثقيلا فوق عاتق الانسان في العصر الحديث وانها تستحق فعلا ان تحارب بكل الوسائل الممكنة بطريقة منتظمة ومستمرة . ■■

القاهرة — دكتور أنيس فهمي

دليل المسلم الحزين

بقلم : حسين احمد امين

« انه لمن أيسر الامور أن نثير في الناس مشاعر الازدراء لتقاليدهم القديمة • وما من شخص حاول ذلك الا نجح • غير أن الكثيرين باءوا بالفشل الذريع حين حاولوا اقامة نظام افضل على انقاض ما هدموه » •

مونتنى : « المقالات »

كانت انتصارات جيوش الاسلام دوما فى اعين المسلمين ـ حتى اثناء حياة النبى عليه الصلاة والسلام ـ من اقوى الادلة على صدق الرسالة المحمدية • وكان النجاح السياسى الباهر الذى احرزوه يغمر صدورهم بالثقة ، ويملأهم احساسا بالتفوق على أتباع الديانات الاخرى • وقد كان ثمة مواجهة طويلة عنيفة ، اربت على الف عام ، بين العالمين الاسلامى والمسيحى يمكن القول بوجه عام ان الاسلام هو الذى خرج منها ظافرا • فان كانت اسبانيا وغيرها قد ضاعت خلال تلك المواجهة من أيدى المسلمين ، فان مناطق شاسعة واقطارا باسرها قد انتزعتها من ايدى المسيحيين جيوش العثمانيين ، وهى الجيوش التى وقفت عند أبواب فيينا تهددها فى أواخر القرن السابع عشر •

ثم تلا ذلك المد جزر لا نزال الى يومنا هذا نعانى من آثاره • فقد كان القرنان الماضيان شديدى القسوة على الاسلام والمسلمين ، تعرض العالم الاسلامى فيهما للعديد من هجمات الاوروبيين المسيحيين ، واسفرت تلك الهجمات عن وقوع جل اقطاره فى براثن الاستعمار الغربى • وقد ازعج المسلمين ما منوا به من هزائم على مخالفيهم فى الدين : (••• وعاد اهل البلد من بولاق الى

المدينة في بكاء ونحيب ،يلطمون وجوههم ويقولون: يا ويلنا ، قد وقعنا في اسر الافرنج ! ـ نقـولا الترك) • وكان ان بدات ثقتهم بانفسهم تهتز ، وان ظل وقارهم حيال المستعمرين بعض الوقت يجد سندا له في ايمانهم بانهم من اهل الدين الحق ، ونظرتهم الى المستعمر على انـه كافـر خليـق بالازدراء • فالجبرتي الذى نعى على الفرنسيين كفرهم واقبالهم علىشرب الخمر ،واستنكر سفور نسائهم وقلة حيائهن ، لم يعد بوسعه الان ـ كمـا كان بوسع الامـير اسامة بن منقذ ابان الحروب الصليبية ـ ان يصف الافرنج بالبهائم ، بل اصبح اذا رأى سلعة مصرية جيدة الصنع يقـول ان من يشاهدها لا يشك فى انهـا مـن صنع الافـرنج ، ويقول ان من ذهب الى بلادهم « تهذبت اخلاقه بما اطلـع عليه من عمـاره بـلادهم ، وحسن سياسة احكامهم ، وكثرة اموالهم ورفاهيتهم وصنائعهم وعدلهم في رعيتهم مع كفرهم » •

بيد ان هذا الاعتزاز بالدين سرعان ما تاثر هو ايضا لدى الكثيرين • ذلك انه كان منهم من تاثرت نظرته الى دينه اذ يرى تفوق المسيحيين الغربيين فى مضمارى السلاح والحضارة ، وهو ما استمر حتى بعد ان نالت الاقطار الاسلامية استقلالها • وكـان منهم من لم يفهم الهزيمـة العربيـة على معناها الدنيوى ، وانما عجب لما اصابه من مذلة والقرآن يقول :« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين» ولما حل به من هزيمة والقرآن يقول : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » • ولو انهم قرأوا كتاب عمر ابن الخطاب الى سعد بن ابى وقاص وهو يستعد لقتال الفرس لوجدوا فيه : « وآمرك ومن معك ان تكونوا اشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم • وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لان عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ••• ولا تقولـوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا وان اسانا • فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل لما عملوا بمساخط الله ، كفار المجوس (فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) • »

فما كان الله اذن لينصر المسلمين بدون ادنى مزية فيهم سوى انهم يعلنون كونهم مسلمين • وما كان لهم ان يتعجبوا من خذلان الله لهم بعد ان قعدوا عن العزائم التى كانت لآبائهم وغيّروا ما بانفسهم، بل العجيب الا يغير الله ما بهم وان لا ينقل حالهم من العز والرفعة الى الذل والضعة •

على اى حال فانه لا مفر من الاعتراف بان قوة شوكة الغرب المسيحى وتفوق حضارته المادية جعلا الشك يتطرق الى قلوب الكثيرين من المسلمين فى عقيدتهم •

فهل كان الغرب وقت هجومه علىاقطار المسلمين مسيحيا حقا ؟

الاطار الدنيوى لحضارة اليوم

لقد كانت الحضارة الغربية فى القرن الخامس عشر شديدة الشبه بالحضارات القائمة آنذاك فى مختلف بقاع العالم القديم ، كالحضارة المسيحية الاورثوذكسية الشرقية ، والحضـارة الاسلاميـة العربية ، والحضارة الاسلامية التركية الفارسية، والحضارة الهندوكيـة ، والحضـارة الآسيويـة الشرقية • فكل من هذه الحضارات كان قائما فى اطار احدى الديانات • غير انه حدثت فى العالم المسيحى خلال القرن السابع عشر ثورة هى اهم حدث وقع فى تاريخه الى اليوم ، الا وهو خروج الغرب عن الاطار المسيحى التقليدى ، وابتداعه اطـارا دنيويا جديدا تحل فيه المعرفـة الفنيـة (والتكنولوجيا) محل الدين باعتبارهما اهـم مجال لنشاط الانسان •

وحضارة الغرب اليوم ـ فى حقيقـة امرها ـ لا تعدو ان تكون مجـرد رد فعـل دام قـرونا ثلاثة للشرور التى نجمت عن التعصب الدينى فى العصر الوسيط • فمن ناحية ، شعر الاوروبيون المستنيرون بتقزز واشمئزاز شديدين ازاء الخلافات الدينية الحادة التى اثارت الاحقاد فى النفوس واشاعت الخراب فى قارتهم • ومن ناحية اخرى وجد المثقفون انفسهم انه ما عاد باستطاعتهم قبول التفسير الدينى القديم للعالم ، وهو التفسـير القائم على اساس من الكتاب المقدس • فلمـا تحول الناس من الاهتمام بالدين الى الاهتمام بالمعرفة الفنية اذا بالفراغ الروحى الناجم عـن انهيار الثقة بالمسيحية وقد شغلته نزعة تجريبية تهدف الى اخضاع الطبيعة لسيطرة الانسان •

فالمعرفة الفنية ميدان للنشاط المجدي لا يمكن للبشر ان يتصارعوا بسببه وان يقتل بعضهم بعضا • فليصرف الناس اذن طاقاتهم الذهنية الخلاقة لا الى الخلافات الدينية العقيمة ، وانما الى محاولة خلق الجنة على ارضنا هذه ، والى زيادة الثروة وتعميم الرخاء عن طريق الاهتمام بالعلوم • •

وبذا اصبح ابرز معالم الحضارة الغربية الحديثة تلك الثقة العظيمة لدى الانسان بنفسه وبقدراته ، واصبح الغربي اميل الى تسمية الحضارات غير الغربية بشبه الحضارات ،وتسمية حضارته الدينية السابقة لحضارته الحديثة بالعصور المظلمة • وقد حدث منذ ان اتخذت الحضارة الغربية لنفسها اطارا دنيويا بحتا ، ان ازيل الحاجز الذى ظل فى العصور السابقة يحول دون استقبال الحضارات الاخرى غير الغربية لها ، الا وهو الدين • فما بلغنا منتصف القرن العشرين حتى كان العالم غير الغربى باسره قد تبنى الصورة الدنيوية لحضارة الغرب، وعلى نحو لا نجد له فى التاريخ سابقة ،، بحيث بات هناك من يرى ان الانسانية هى فى طريقها الان الى الوحدة الاجتماعية •

وقد كان القادة فى هذه المجتمعات غير الاوروبية فى البداية لا يبغون سوى الاستفادة من حضارة الغرب فى ميدان الدراية العسكرية فحسب ، وذلك بهدف الدفاع عن النفس ضد عدوانه • غير انه سرعان ما بدا جليا انهم ان ارادوا الاقتباس من النظم العسكرية الاوروبية فعليهم ان يتقبلوا الحضارة الغربية برمتها وحذافيرها • فالحضارة غير قابلة للتجزئة ، كل جزء منها مرتبط بغيره من الاجزاء ارتباطا وثيقا • فالتفوق العسكرى الاوربى ناشيء عن تفوق اسلحة غربية فى ايدى جنود منظمين • والنظام العسكرى انما هو ثمرة من ثمار القانون والنظام السائد فى الحياة المدنية ، والعناية بالصحة ، وانتظام دفع الاجور للجند • وتتوقف صحة الجند على مستوى الصحة بين افراد الشعب كله وعلى توفر الاطباء ممن اطلعوا على الطب المتقدم فى الغرب ، بينما يتطلب الانتظام فى دفع الاجور ميزانية عامة دقيقة هى بدورها من ثمار الاقتصاد الانتاجى السليم الذى يستدعى نهضة بالصناعة والزراعة والتجارة معا •

وبالرغم من ان معظم البلاد غير الغربية قد اذعن لمختلف مظاهر الحضارة الغربية مرغما وعلى مضض ، فقد يسر له تجرعها امران : الاول ،اغفال المستعمرين اعتبار الدين بحيث لم يبد الامر فى صورة استعباد اهل ملة معينة لاهل ملة اخرى ، والثانى ، تصديق الغالبية فى الاقطار المفتوحة لادعاء الغرب ان حضارته انما هى حضارة كاملة دائمة ، وان الصورة الدنيوية لها بعد تحررها من ربقة الدين هى الصورة النهائية الناضجة للحضارة بوجه عام ، وهى صورة لا يمكن ان يعتورها تدهور او يصيبها فساد •

التوفيق بين الاسلام ومطالب الحضارة الغربية

وقد احدث اتصال المسلمين الوثيق بالمدنية الغربية ، وغزو هذه المدنية لبلادهم ، اثرا عميقا فى طبقة المسلمين المستنيرين وفى علاقة افرادها بما توارثته من نظريات وتقاليد دينية ، اذ شعروا بحاجة شديدة ملحة الى التقريب والملاءمة بين هذه النظريات والتقاليد وبين الاحوال الجديدة التى وجدوا انفسهمفجاة فى ظلها • وقد كان من المؤسف حقا ان تجيء جهود هؤلاء الساعين الى التوفيق بين الحياة والفكر الاسلاميين وبين مطالب الحضارة الغربية فى الوقت الذى تزعزعت فيه ثقتهم بتراثهم بل وبدينهم ، ونظروا الى المستعمرين نظرتهم الى انصاف الآلهة ، فلم يكن من الغريب اذن ان تغلب على محاولاتهم نزعة عقلية هى نزعة اوروبية محضة ، وان تتاثر افكارهم بالتيارات الفكرية السائدة فى المدنية الغربية ، وان يتبنوا قيما كلها او جلها من قيم الغربيين المستعمرين • فان كان هؤلاء المفكرون قد انبروا للدفاع عن الاسلام والاشادة به لصد الحملات التى سددها المسيحيون للطعن فيه حتى لا يقف حائلا دون غزو مدنيتهم (وبضائعهم) ، فانما تركز دفاعهم على ازالة وصمة مناقضة تعاليمه للحضارة ، واثبات مرونة الاحكام والاوضاع الاسلامية ، وسهولة تشكلها حتى تطابق حاجات الجنس البشرى فى كل زمان ومكان • وقد كان منهم من انكر ضرورة الجهاد فى زمننا هذا واسقطه من الفرائض ، وكان منهم من دعا الى السلم والتسامح ونهى عن التعصب ،

منهم من جد فى ان يبعث الميل الى العلم والثقافة، والعناية بالتربية والتعليم،وتحرير المرأةوالاهتمام بالصحة ، وكان اذكاهم من دعا الى التفرقة بين معالم الاسلام الاصلية وبين الزيادات التاريخية التى اضيفت اليه عن طريق الاجماع ، والتى يسهل التضحية بها فى سبيل حاجات المدنية ومقتضيات العمران .

وهكذا اخذ من سموا بالمصلحين فى كل البلاد الاسلامية يدعون دعوات متشابهة ، عمادها ان تاخذ شعوبها من المدنية الغربية ما يناسب ، وان ياخذوا من المدنيـة الاسلاميـة ما يناسب . فعـل ذلك مدحت باشا فى تركيا ، والسيد احمد خان فـى الهند ، والافغانى فى فارس ومصر ، وخير الدين التونسى فى المغرب ، حتى لكانهم جميعا قد شربوا من منهل واحد ، وكان مناهجهم صبت فى قالـب واحد . وخلاصة رايهم أن عقدة العقد فى موقف المسلمين اليوم هى التوفيق بين المدنية الغربية والمبادىء الاسلامية . غير أن المسلمين لحسـن العظ ليسوا مغيرين بين التمسك بدينهم وبـين اعتناق الحضارة الغربية . فمدنية الغـرب غير مؤسسة على دين ، وانما على العلم والتجربـة والاختبار ، وهى بالاضافة الى هذا محدودة بحدود المادة . فليس هناك ما يمنع من اخذ المدنيـة الغربية المادية بعد صبغها صبغة روحانية اسلامية. والحق ان الاثنين ليسا متخاصمين بطبيعتهما ،وانما هما متخاصمان من سوء فهم سكانهما . وبالامكان توثيق العلاقة الودية بينهما واستعانة كل بمـا عند الاخر من مزايا . فخير للعالم الاسلامى اليوم ان ياخذ من المدنية الغربية كل علمها وتجاربهـا فى الصناعة والزراعة والتجارة والطب والهندسة وسائر العلوم ، من غير قيد ولا شرط ، ثم يحتفظ مع ذلك بروحانيته التى يلون بها هذا العلم ، وتجعله موجها للخـير الانسانية لا للغلـو فى كسب مال ، ولا لافراط فى نعيم ، ولا للقوة والغلبة ، ولكن للخير العام . وهذا المبدا هو الذى يضىء للمسلمين الطريق ، ويبدد حيرتهم ، ويحل الكثـير من مشاكلهم . فدينهم الاسلامى لا يمنعهم اى منع من ذلك ، بل ان الاسلام حث على طلب العلم ولو فى الصين ، ولا شىء يمنعهم من ذلك الا تمسكهم بالتقاليد الموروثة ، وتقديسهم للعادات المالوفة ، ودينهم براء من كل ذلك .

هكذا كانت دعوة هؤلاء « المصلحين » . وهـى دعوة ايدها المستعمرون وابهجتهم خاصة ان صدرت عن رجـال الدين البـارزين من امثـال الشيخ محمد عبده . والذى نتج عن هذه الدعوة هو ما كان متوقعا منها ، فتحت الطريق امام الاقتباس من مدنية الغرب دون حرج أو وازع ، فى حين اغفل الشطر الثـانى وكانما لم يورده الدعـاة الا من قبيل التمويه والنفاق وتسهيل الامر . وكان الذى لاحظه الجميع — فى الداخل والخارج — ان شعوب الاقطار الاسلامية لم تاخذ — كما اخذ اليابانيون مثلا — عن الغربيين همتهم وفاعليتهم وكدهم فى التحصيل والبناء ، وانما اخذوا عنهم عاداتهـم الاستهلاكية وازياءهم ووسائل قضائهم لاوقـات الفراغ. يقول سير ريتشارد بيرتون : «ان ارض الفراعنة تسير فى طريق التمدن ، وبصـورة بغيضة . ذلك انه ما من شىء ادعى الى عـدم الارتياح من حالتها المتوسطة الراهنة بين الهمجية وعكسها » . بينما يعلق كلوت بك على ما ذكرناه لتونا بقوله : « ذلك لان الشرقيين ، اذا همـوا بتقليد غيرهم ، اظهروا فى الغالب الغبـاوة والغشم ... وهم لا ياخذون فى الغالب مـن اخلاقنا — كلما اختلطوا بنا — سوى ما كان منها سيىء العاقبة ، بعيدا عن الصواب » .

الأزمة الروحية فى الغرب

قلنا ان الطابع الدنيوى للحضارة الغربية كان رد فعل لاهوال الخلافات الدينية فى العصر الوسيط. بيد انه كان من المحتم ان تحدث فى الغرب — ان عاجلا أو آجلا — حركة مضادة لهذا الطابع. فالدين عنصر جوهرى فى الحياة البشرية لا يمكن تجاهله او قمعه لمدة طويلة . وقد بدات هذه الحركـة المضادة فى التبلور فى الخفاء فى الوقت الذى كان سائر العالم ينهل فيه من الحضارة الغربية نهلا ، ويتخلى عن تراثه الثقافى وعن تقاليده ودينه . وكانت الماساة المضحكة انه فى اللحظة التى تـم فيها تبنى الشعوب غير الغربية لحضارة الغـرب الدنيوية ، وجدت هذه الشعوب نفسها قد وقعـت فى شباك ازمة الغرب الروحية الخطيرة التـى انتابته فجاة فى القرن العشرين ، والتى كان لها صداها فى مختلف بقاع العالم . فمنذ نشـوب

الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ بدأ الغربيون انفسهم يدركون ان حضارتهم الدنيوية الحديثة ليست بالكاملة على الاطلاق كما خالوها فى البداية، وانها ابعد ما تكون عن الحصانة ضد الانهيار وضد عنيف الازمات ، كما بدأوا يعودون الى التفكير فى موضوع الخير والشر بعد اهمال له دام اكثر من ثلاثمائة عام .

وقد اضحت هذه الازمة الروحية بالغة الخطورة نتيجة لانتشار الحضارة الغربية فى العالم بأسره، مما جعل الازمة من شان الدول غير الغربية هى الاخرى . وبذا يكون الغرب ـ دون قصد منه ـ قد غش الحضارات الاخرى بان باعها حضارة اتضح انها ليست بالصفات التى ظنها فيها البائع والمشترى وقت البيع ، وخدعها بان صور لها حضارته على انها دنيوية محضة لا سبيل للازمة الروحية اليها ، وهى الازمة التى باتت اليوم تنهش فى حيويته نهشا . والامر فى الواقع امر مؤسف بالنسبة للشعوب غير الغربية اكثر منه بالنسبة لشعوب الغرب . فقد وجدت الاولى نفسها معلقة بين تراث ودين وتقاليد قد هجرتها وفقدت ثقتها فيها ، وحضارة غربية لم تملك بعد ناصيتها، ولم تكد تبلغ يدها الثمرة حتى بدت تلك الثمرة معيبة فاسدة . وكان ان نتج عن هذا شعور حاد بالمرارة تجاه الغرب ، وحدوث انفصام فى المجتمع وفى نفوس الافراد لما يلتئم . صاروا كالنعامة التى ذهبت تبحث عن قرنين ، فعادت بلا اذنين ، او كالغراب مضى يتعلم مشية الطاووس ، فلم يتعلمها ، ونسى مشيته .

طوبى للغرباء !

ازمة روحية فى الغرب ترددت اصداؤها لدى من اخذ عنه حضارته ، وولاء كلامى كاذب للاسلام من جانب اولى امر المسلمين وهم يسيرون قدما على نهج انظمة الحكم فى الغرب ، وموقف من علماء الاسلام ظاهره اخلاص وباطنه رياء ، وشباب فقد دينه وازدرى تراثه ولم يملأ عنده الفراغ الروحى الناجم شىء ، والتكالب جشع على تحصيل المال فى غير غرض نافع ، وعلى الاستهلاك دون ادنى ميل الى انتاج ، واذهان من معظم رجال الدين لسلطة استخدمت هذا الاذعان ذاته فى تشويه سمعتهم لدى العامة ، وحكومات ان هزمت جيوشها على يد الغرب او اشياع الغرب أسرعت بتزويد دور السينما بافلام جنسية فاضحة جاءتها من الغرب حتى تلهى بها الشعب عن هزيمته ، ونساء لم يجدن شريف السلوك يعدل اشباع شهوة الاستهلاك ، وقانون الغابة قد ساد الى حد بدا معه كل ذى خلق وكانما هو ابله ساذج ، او عيى عاجز،وسلوك فى الطريق والبيت والعمل لا سبيل للعين المجردة ان تحكم على صاحبه أمسلم هو أم غير مسلم ، ثم فوق هذا كله مشاكل فى الحياة اليومية ارهقت كاهل الغالبية فلم تدع طاقة لتحصيل علم ، أو فضلا للتحلى بكريم الخلق .

ويتساءل المسلم الحزين ممن بقيت لديه ـ رغم كل هذا ـ بقية من دين : ما العمل ؟ وامعانه فى التفكير لا يسفر الا عن تجلية حقيقة واحدة ، الا وهى صعوبة ممارسة المسلم لدينه فى المجتمع الذى يجد نفسه فيه ، وصعوبة حماية اهله وصغاره من مزالقه . وكما مال الدنيويون من شبابنا الى فكرة الهجرة بشهاداتهم وخبراتهم وتحقير المجتمع الذى نشاوا فيه ، اتجه المتدينون منا هم ايضا الى الهجرة بدينهم وعقائدهم وتكفير المجتمع الذى يعيشون وسطه . فاذا المسلم يردد من الاحاديث المنسوبة الى النبى : « ياتى على الناس زمان يكون فيه القابض على دينه كالقابض على جمر ملتهب » ، و « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » .

« طوبى للغرباء » ! هذا هو شعار اليوم لدى المتدينين والدنيويين معا !

والذى نعلمه انه فى المجتمعات التى تمر بهزات عنيفة ، او تطورات ضخمة متلاحقة ،كثيرا ما تظهر جماعات دينية انعزالية تميل الى ان تغلق الابواب على نفسها فى عالم خاص بها ، وتقلل الى اقصى حد ممكن من صلاتها وعلاقاتها ببقية العالم . وقد ظهر مثل هذه الجماعات بين كل من اليهود والمسيحيين والمسلمين ، وربما بين غيرهم من اتباع الديانات الاخرى . فمن بين ابرز الامثلة التاريخية على

رفض التكيف وفق الاحوال الجديدة ، موقف الفريسيين اليهود من غير اليهود ، اذ وضعوا القواعد المفصلة الصارمة التى تكفل تجنب كل صلة بمن هو ليس يهوديا . وقد كان هذا الموقف محمودا فى القرن الثانى قبل الميلاد حين كانت الهيلينية تهدد بابتلاع الديانة اليهودية واستئصالها من الوجود . اما وقد تغير الوضع خلال القرن التالى حين شاع فى الامبراطورية الرومانية الاستخفاف بالعقائد الوثنية ، وظهر ميل واضح لدى الالاف فى مدن الامبراطورية الى البحث عن عقيدة قوية متماسكة كالعقيدة اليهودية ، فلم يعد لمثل ذلك التعصب من قبل الفريسيين مبرر ، وجاءت الديانة المسيحية تيسر قبول الامة للاوضاع الجديدة ومسايرتها ، وكانت اخلاقياتها خير سبيل الى ضمان التعايش السلمى بين اهل فلسطين وحكامها الرومان ، فى حين كانت اخلاقيات الفريسيين تعرقل هذا الانسجام .

كذلك ظهرت فى بقاع كثيرة من العالم المسيحى ـ خاصة منذ منتصف القرن التاسع عشر ـ جماعات (اشهرها جماعة شهود يهوه) افرادها من المسيحيين الاتقياء الذين وجدوا من الصعب ان يوفقوا بين الاكتشافات الحديثة فى علوم الفلك والطبيعة والكيمياء والنظريات المتعلقة بتاريخ الارض وظهور الحياة فيها ، وبين مفهومهم التقليدى عن الكتاب المقدس . وكان ان وجهوا همهم الاكبر الى تجنب الاتصال بالتيارات العلمية والفكرية التى سادت مجتمعهم ، ورأوا أنه لا بد من اجل حماية عقيدتهم من عزلة صارمة وسط مجتمع لا بد ان تودى به ثقافته وعلومه وانماط عيشه الى الكفر . وكانت النتيجة ان قبلت هذه الجماعات وضع الاقليات فى مجتمع أفراده على نفس دينها فى الظاهر على الاقل .

وقد تكرر حدوث هذه الظاهرة فى الاسلام ، وكان احدث مثال لها الجماعة المسماة بالتكفير والهجرة فى مصر . والفارق الضخم بين هذه الجماعة وجماعة الاخوان المسلمين (رغم ان آية « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون » ركن اساسى من اركانهما معا) أن جماعة الاخوان المسلمين ليست بالجماعة الانعزالية ، ولا هى بالتى اختارت ان توصد الابواب عليها دون المجتمع بأسره ، وانما كانت تسعى جاهدة الى نشر مبادئها على اوسع نطاق ، وبين كافة الاوساط والطبقات الاجتماعية والفكرية . ولست اعنى بذلك ان جماعة التكفير والهجرة لا يسرها ان ترى افرادا جددا فى صفوفها ، غير ان الفرق بين الوضعين فرق جوهرى وله مغزاه . فالجماعة الاولى انما تسعى ايجابيا الى ان تسود رؤياهم حياة المجتمع بأسره ، ولا تتردد فى الدخول فى مجادلات لاقناع المخالفين أو لافحامهم . اما الجماعة الثانية فهى تعتمد اساسا فى تكثير اعضائها على هجرة افراد من المجتمع الى جماعتهم المغلقة من تلقاء انفسهم، قد انحازوا الى الجماعة بسبب تشابه فى تكوين الشخصية ، واتفاق فى الموقف من الحياة المعاصرة. فجماعة الاخوان المسلمين انما تمد يدا لاجتذاب الانصار ، بينما ينجذب انصار جماعة التكفير والهجرة اليها دون جهد من القائمين عليها .

والملاحظ دوما فى الجماعات ذات النزعة الانعزالية احساس افرادها بالتميز والتفوق على من عداهم، سواء اختاروا السكوت على هذا الاحساس ، أو التعبير عنه فى صورة تكفير المجتمع الذى يعيشون فيه . فهو موقف شبيه اذن بالمبدأ المعروف فى المجتمع المسيحى extra ecclesiam rulla salus (لاخلاص خارج الكنيسة) . كذلك تتميز هذه الجماعات باتخاذ مواقف صلبة من العقيدة فى وجه الظروف المتغيرة التى دفعت الكثيرين الى الدعوة الى المرونة فى التفسير والتطبيق . ولابد من القول بان لمثل هذا الموقف المحافظ حسناته الاكيدة ، اذ يضمن عنصر الاستمرار فى شؤون الدين ، كما ان اى اتجاه محافظ فى اى الميادين له الفضل فى حماية كل ما لايزال من القديم يصلح للمجتمع القائم . غير انه لا بد كذلك من التنبيه الى حقيقتين :

الاولى : انه ما كل من سال الى مثل هذه الجماعات قد دخلها لحماية دين هو غيور عليه . فالواضح لنا ان الكثيرين قد اتخذوا الدين ستارا لما احسوا به فى انفسهم من عجز عن المدافعة والمزاحمة فى معترك الحياة ، او انخرطوا فى سلك هذه الجمعيات لاشباع رغبة طبيعية فى الانتماء،أو

رغبة في الاحساس بالتفوق على محيط لفظهم او ازدراهم •

والثانية : انه قد يحدث في بعض الازمنة من التغيرات الجوهرية ما يكتسح المجتمع برمته ، ولا يمكن للجهد البشرى العادى ان يقف في سبيله • وهنا يرى الافراد لزاما عليهم - من اجل صحتهم النفسية ، بل والبقاء - ومع التمسك في الوقت نفسه بعنصر الاستمرار في الرؤيا الاصلية للدين، ان يصلوا الى معادلة خاصة بمقتضى السلوك في زمانهم ازاء هذه التطورات ، وان يبدوا من المرونة ما يمكنهم من معايشة ما لا سبيل الى مقاومته او وقفه •

فهل من سبيل ندعو الى انتهاجه المسلم الحزين؟

المسلم الحزين

في تامل كلمة الحزين ذاتها قد يكمن بعض الحل ! فالحزن انما يدل فيرايي على ان صاحبهمغلوب على امره • والمسلم الحزين مسلم يشعر ازاء ما يجرى حوله بالقهر ، او قل هو مقهور يظن فـى نفسه الاسلام • والعبارة في حد ذاتها تحمل من التناقضات ما لا وجه للمصالحة بينها • فالمسلم على حد علمى امرؤ ثبت لديه بالدليل القاطع ان الاسلام دين يصلح لكل زمان ومكان ، وان بامكانه ان يوفر لمجتمعه (ولغيره) انجع الحلول لما يواجهه من مشكلات ، وللمتمسك باهدابه سعادة الدنيـا والاخـرة • والمفروض ان يـرى المسلم في غيـر المسلمين ، وان كثروا ، اناسا خليقين بالشفقة والرثاء ، واقواما ضلوا سواء السبيل ولم يوفقهم الله الى تبين مكامن الخير والنجاة • والحزن ان لزمه فهو اصدقدليل على أن ثقته قدبدأتتزعزع، وانه لم يعد يرى في دينه مفتاح المعضلات ، ولم يعد يجد في تعاليمه ما ينشده من طمانينة النفس• وهو دليل ايضا يمكن ان يتعلق به مخالفوه لاثبات عجزه وعيه ، والتدليل على أن الاسلام ما عاد يكفيه ، ولاهـو بالقـادر وحـده على ان يسعده ويغنيه •

والذى نعلمه ان القديس فرانسيس داسيسى كان يحض اتباعه دائما على ان يبدوا فرحهم بعقيدتهم ، وان يظهر من محينهم وسلكهم ما يتملكهم من السعادة اذ انتهجوا هذا النمط من العيش • وكان من رايه ان هذا هو خير طريق الى اجتذاب الناس الى الدين ،اذ من المؤكد انهم سيتساءلون عما عساه قد غمر قلوبهم بهذه الغبطة واليقين ، وهذا الرضا وهدوء البال ، حتى اذا ما عرفوه مالوا الى اختياره بانفسهم •

فان كان المسلم مؤمنا حقا ، فما باله لا ينهج طريق هؤلاء ؟

انه ان زعم ان هذا قد اضحى في غير وسعه اذ صار في مجتمعه وحيدا او كالوحيد ، غريبا او كالغريب ، اجبناه بشطر بيتالمتنبى : « ان الكريم غريب حيثما كانا » ، وبانه ليس وحده من بين افراد الجماعات والطوائف من يخامره هذا الشعور بالغربة • الا يشعر مثقفونا بالغربـة وهـم لا يجدون في مجتمعهم من الغذاء الذهنى غير الغث ؟ الا يشعر بها علماؤنا وما في معاملهم ما يعينهم من الادوات على مواصلة البحث ؟ وفنانونا ومـا يصادفون غير جحود الفضل وغير كل ما من شانه ان يميت القدرة على الاحساس بالجمال ؟ •

فليعد المسلم اذن الى النظر في دينه عله يجد فيه ما يعزز ايمانه بان فيه الغناء والراحة ، حتى لو انه كان وحدهالمسلم في محيطه • الم يعد التقى من اى ملة وحيدا في خضم الحضارة الدنيوية الغربية التى امتدت حتى شملت كل عالمنا هذا ؟• غير ان النظر في الدين نفسه في اعتقادنا مسالة فيها نظر !

السبيل الى اليقين

النظر الى الدين في اى وضع ؟ او بتعبير آخر :

نحن نعلم يقينا ان الكثير مما نخاله من الدين قد اضيف اليه واقحم فيه على مدى قرون وقرون من تصـارع الاهواء والفـرق ، وشيـوع الجهـل والخرافة ، والحرص على ارضاء الولاة والسلاطين، والتاويل الزائف من قبل اصحاب المذاهب للقرآن، والعدول عن التفسير الظاهرى للقرآن الى تفاسير تخدم اغراضا مستجدة ، واختراع الحديث من اجل فرض الرأى ، والمبالغة في تقديس الرسول لتمهيد الطريق امام تقديس الاولياء ، وكتـابة

و يتمشى مع قيم العصر
يحسب اصحابه انه يخدم
يره قد بات تراثا هدينيا،
هاته ، وقد يعتنق بعضه
ن هذا البعض من دواعي
ى تحول بينه وبينمعايشة
لى ادانة ما ليس خليقا
وانغلاق على النفس لا
، اليهما فيمجتمع اليوم•

ين الحزانى ان يصرفوا
نفاذ الى حقيقة الدين ،
شوائب ، ويجمعوا ما
؛ ويعرضوه على مجتمع
عنه ، انشغاله بغيره ،
نبية ليست منه ؟ •

نبوية لا تطمس الوقائع
عاد المخترع من الحديث
جله ، والى العودة الى
تر تصوفا ولا اشتراكية
لايهام بانه يحوى العلم
، التاريخ الاسلامى على
حقيق فى دراسة الفرق
لمعت على نفسها سمت
ية واقتصادية وسياسية
الى الدين والتراث لا
لى الماضى من المشكلات
ائف ، وانما كوسيلة
المستقبل ، والى غرس
لى الحقائق الثابتة لا
حضت معها الايـمان
مان من الخرافات التى
اعى حيرة كل من نال
لعلم •

كله ببعض اليقين ،
لا ايمان العجائز او
ف من مدنية الغرب
ائر فيه لاذعان مهين ،
، وحينئذ فقط،سنجد
هم جاء هذا الاقتباس

طبيعيا كما كان اقتباس الاوائل من الحضارات حولهم ، دون احساس بخزى او استجداء ، بل ربما بدون ان نشعر اننا فى سبيل الاقتباس ، وان رفضنا من اساليبهم وقيمهم ما يأباه الطبع فينا ، جاء هذا الرفض دون تعصب او استعلاء ، بل ربما بدون ان ندرك واعين اننا فى سبيل الرفض •

انه لمن غير المستبعد ان تصبح الدول الاسلامية فى وقت ما كتلة ثالثة لها ما للكتلتين العظيمتين اليوم من بأس ونفوذ وقدرة على التأثير فـــى الشؤون الدولية • غير انه من الوهم ان نتصور امكان ان يكون لها هذا ـ باعتبارهاكتلة اسلامية ـ الا علىقدر تقوىالافراد فيها، وشعور الرجلالعادى منهم بان الاسلام يسد احتياجاته فيحياته اليومية• وقد حدث فى العالم خلال القرنين الماضيين من التغيرات الضخمة ، والتطورات الخطيرة ، فى حياة البشر ما يستدعى ان يبذل المسلمون جهـــودا جديدة فى مجالى الفكر والمعيشة كى يثبتوا ان الاسلام بوسعه ان يسهم فـى سد احتياجاتهم بالصورة التى يشعرون بها فى عصرنا هذا بهذه الاحتياجات •

وسيكون عليهم ان يقروا بان العالم قد بات اليوم وحدة واحدة ، وانه لا سبيل الى تجنب الاحتكاك باتبـاع الديانات الاخرى والثقافـات المغايرة ، وان من المحتم قبول النتائج العلمية المتفق عليها ثم وضعها فى موضعها السليم حتى لا يضطروا الى عزلة او تكفير ، وان التعـلق بالصياغات المذهبية القديمة لا صلة له باستمرار الرؤيا الاصلية فى الدين ، وقد لا يعنى غير آفة فى نظرة صاحبه الى الوجود • عندئذ قد يمكن للشعوب الاسلامية ان تجلب الى كنوز العـــالم الروحية والى الحضارة المشتركة للعالم كله ، مساهمة من تراثها الدينى الذى لم تطرحه الا منذ مدة قصيرة ، خاصة وقد خرج الغربيون اليوم ولاول مرة منذ قرون ثلاثة ، يفعلون ما قد فعل الرومان الوثنيون قبلهم عشية ظهور المسيحية ، ينقبون عما عسى ان يكون فى جعبة الاديان الاخرى من حقائق تهديهم الى سواء السبيل • ■■

حسين أحمد أمين

عمر الزعني



شاعر الشارع

بقلم : فاروق الجمال

احتفل لبنان فى شهر شباط الماضي بالذكرى السادسة عشرة لفقيد الاغنية الشعبية عمر الزعني

■ مدرسة ٠٠ بل قطعة غالية من التراثالذى عاش لغيره أكثر مما عاش لنفسه ٠ ف
اللبنانى ، هذا هو عمر الزعنى ٠٠ صفحة مشرقةيقدر الموت ، اذا ما انتصر على الجسد ، ان يه
من صفحات الرجال المردة الذين خرجوا من صفوفالذكرى وينتصر على الروح ؟
الشعب الكادح ٠٠وبلغوا مرتبة عاليةفى الشهرة٠ ولد عمر الزعنى فى بيروت عام ١٨٩٥ ٠ والا
صفحة مشرقة طواها الموتوغيب الثرى وجهصاحبهامحمد الزعنى كان يعمل تاجر حبوب ٠ تلا

علومه الابتدائية في الكلية الاسلامية ببيروت وزامل فيها عبد الله اليافي ، وعمر فاخوري والعديد من الوجوه اللبنانية المعروفة . ترك الكلية عام ١٩١٣ وهو يحمل شهادته العالية الاولى فالتحق بالجيش التركي برتبة ضابط ولما انتهت الحرب عام ١٩١٨ شغل وظيفة كاتب في المحكمة البدائية بقصر العدل وسعى في الوقت ذاته الى مدرسة اليسوعيين طامعا في شهادة الحقوق .

وفي هذه الاثناء ظهرت مواهبه الشعرية فراح يكتب الشعر الهجائي باسم مستعار « حنين » وكان شعره يردد في كل مكان دون ان يعرف احد من هو صاحبه .

من هو « حنين » ؟

بعد أن درس عمر ثلاث سنوات في مدرسة اليسوعية منع من اجراء الامتحان النهائي بسبب « حادثة الفرنك » ، وحادثة الفرنك هي ان نقابة الصحافة اقامت على مسرح « الكريستال » حفلة كبرى دعي عمر الزعني للاشتراك فيها فواجه الجمهور لاول مرة باغنية « حاسب يا فرنك » .. ثار بعض المواطنين على عمر وكان من جراء هذه « الثورة » أن طردته المدرسة اليسوعية وامرت حكومة شارل دباس بابعاده الى البترون مع الابقاء على وظيفته ، ولكن ما لبث ان ثار عمر بعد أن طردته اليسوعية والدولة وبحث عن الانتقاد فوجده في شخص شارل دباس فاطلق فيه شعره « بدنا بحرية يا ريس » ، وما ان انطلقت الاغنية التي رددها الناس في كل مكان ، فاعتقد شارل دباس بانها موجهة لزميله الرئيس السوري وكذلك الرئيس السوري اعتقد بانها موجهة للدباس ، وما لبث ان قلق الدباس عندما همس احدهم في اذنه بان الاغنية ضده فامر بمنعها .. ولكن ، فات الاوان .. فالاغنية قد سجلت على اسطوانات « بيضافون » وبيع منها ٢٥ الف اسطوانة ومن هنا انطلق عمر الزعني وبات سيد الاغنية الانتقادية .

عام ١٩٢٨ طلب المحامي عبد الله اسحق من عمر ان يلتحق بمكتبه كمساعد فلبى طلبه . وفي هذه الاثناء اصدر الفرنسيون اوامر عديدة منها وجوب ارتداء المحامين الروب الاسود اثناء المرافعات . في صبيحة احد الايام ذهب عمر الى قصر العدل وكان المحامون قد ارتدوا الروب الاسود ، وقف عمر في باحة القصر وانشد فيهم :

ع الهوب الهوب الهوب
والقاضي لابس روب

والحق أخذ مجراه
وما في ظلم بنوب

وصفق المحامون والقضاة من شدة اعجابهم بالاغنية .

مفلس أمام اسطبل فرعون .

صحا عمر ذات صباح ليجد نفسه مفلسا وخرج واستقر به المقام امام اسطبل فرعون . دخل عمر الاسطبل فسال لعابه عندما رأى اكياس الفستق والبندق واللوز فادار وجهه وارتمى في مقعده ينشد :

لو كنت حصان في بيت فرعون
كان لي بانسيون عشرين كرسون

مثلي انسان ما كان بالكون
من سوء حظي مخلوق انسان

ذليل مهان جوعان حفيان
يا ريتني .. حصان !!

وما ان انتهى عمر من انشودته حتى هب ليطرق باب محل بيضافون ويقول لصاحبه : لي بذمتك ثمن خمس اغنيات ، ولم يستطع بيضافون دفع ثمن الاغنيات فقال له : ابيعك بها محلي ، وهكذا اصبح عمر صاحب محل اسطوانات ..

عندما سرت اشاعة تجديد رئاسة الشيخ بشارة الخوري .. انشد عمر مخاطبا رياض الصلح :

جددلو ولا تفزع
خليه قاعد ومربع

بيضل أسلم من غيرو
وأضمن للعهد وأنفع

لا تخاف الا من الطفران
الطفران غلب السلطان

والمحروم والجوعان
بيضل بمالك طمعان

أما المليان والشبعـان
من لقمة زغيرة بيشبع

وكان عام ١٩٤٩ والحالة السياسية الغورية هي السالكة ، وينال عمر نصيبه من السجن •

خاف أن يفوته قطار الزواج

وفي غمرة هذه المعركة شعر عمر بان قطـار الزواج اوشك ان يفوته فتزوج وهو في الثانية والاربعين من سيدة فاضلة ورزق ولدين هما : محمد ، ودلال • كانت رياح الاستقلال قد بدات تهب في لبنان • وبدا الشعب يبنى وحدته ، التي الهرت الاستعمار واجبرته على الرحيل غير ماسوف عليه ، وكان لا بد « لشاعر الشعب » ان يشارك الشعب في تلك المعركة ، فكتب اغنية « عالبحـر يلله •• يلله عالبحر » وبعـد ان نـال لبنـان استقلاله •• ورحل الاستعمار هل تغير الحال ؟ يقول :

« ان سياسيي العهـود السـابقة ، قد جعلوا الشعب لا يعرف منالاستقلال ، الا انهاستعراضات عسكرية واحتفالات ، ان الاستقلال لـم يحقـق للشعب ما يريد • صحيح ان الوحدة الوطنية ، وان كيان هذا البلد قد اقيما على اسس ودعائم ، الا ان الشيء الذي يطلبه الشعب ، كان لا يزال بعيدا » !

عرفت تلك العهود ، اسوا انواع الديمقراطية تطبيقا ، كانت الاصوات تباع وتشترى والانتخابات تزيف حسب ارادة الحـاكم • وكانت « اللعبـة البرلمانية » تفعل فعلها في اسقاط الحكومات ، دون ان يدرك الشعب السبب الكامن وراء تلك الاستقالات ! وفي تلك الفترة انشد عمر الزعني:

كل ثلاث أربع سنين
بتتغير الدواوين
بتنزل ناس
بتركب ناس
على ظهر الشعب المسكين

في حرية المرأة وفي المقامر

لم تقتصر ثورته على نفاق السياسيين الذين يتاجرون بكل شيء ، بل هاجم ايضا الرجعيينالذين انكروا على المرأة حريتها :

لا تحبسوها لا تحرموها ،
فتحوا الابواب ،
لا تعلوا سورها ،
من الشمس نورها ،
حسبتوا لها حساب
خلوها تمرح
خلوها تسرح
ضمن الاداب
لا الحبس بينفع
ولا السور بيمنع
عنها الاسباب •••

ان الزعني هنا يدعو الى اعطـاء المرأة حقـ كانسانوهو شيء طبيعيلا ينكرعليها الا المتعصبو والرجعيون ، وقد رسم ايضا صورا شعبية وال للمقامر والسكير وغيرهما من النماذج البشرية •

يقول في المقامر :

عايش عالطاولة الخضرا
في بيتو جهنم حمرا
فوق الهم والنكد
مبارح أجاهم ولد
والولد سر أبيه
دودو الخل منه وفيه
أجا الولد ممصوص مص
بتمه فيش بايدو أص •

قلبه بندقيته ورصاصاته ألحانه

كان قلبه بندقيته ••

كانت رصاصاته الحانـه التي يرسلها مدويـة مجلجلة ••

سنوات عشر من عمره جـاء بعدها الى لبنـان الاقتصادي المصري المعروف المرحوم طلعت حرب باشا ، فاقامت على شرفه كلية المقاصد الاسلامية حفلة تكريمية غنى له فيها عمر :

طلعت حرب من غير حرب
سوى الشرق مع الغرب
طلعت حرب

كانت هذه الاغنية الانطلاقة الثانية في حياة الزعني .. اذ طلب اليه « الباشا » ان يذهب الى القاهرة .. يصول ويجول في عالمها بفنه ..

في وادي النيل لقي الزعني استقبالا منقطع النظير .. غنى اروع ما غنى على مسرح حديقة الازبكية وكان الى جانبه المرحوم خليل مكنية والفنان يوسف فاضل .

عاد عمر عودة المنتصر بعدما سكب في الوادي اغاني الجبل .

اشتهر عمر الزعني انه مادي اكثر من اللزوم، وانه عندما يطلب اليه احد الاشتراك في اية حفلة ، حتى ولو كانت خيرية ، يصر على ان يقبض اجره عنها مقدما ...

ولا ينكر الزعني ماديته هذه بل يفاخر بانه استطاع عن طريق حرصه على جمع القرش فوق القرش ان يبني عمارة من تسعة طوابق .

والسؤال الان :

هل هناك اسباب جعلت من عمر ماديا الى هذا الحد ؟ ان الفنان المرح يشير الى بذلة « سموكنج» قابعة في خزنة ملابسه ويقول : بين طيات هذه البذلة تختفي قصة حياتي من سطورها الاولى حتى نهايتها ...

ويمضي في رواية قصته ..

لقد كان في بدء حياته الفنية لا يملك شيئا ، كما كان يسكن مع والده في كوخ حقير بمحلة رمل الظريف لا يتسع لاكثر من شخص واحد ، وليس فيه من حطام الدنيا سوى ثلاثة مقاعد مهلهلة ، وموقد نار يجلس والده العاجز امامه طوال الليل والنهار .

دعي الزعني ذات يوم الى الاشتراك في حفلة كبرى تنظمها جمعية تضم كبار الشخصيات اللبنانية واتفق معه على ان يكون اجره عنها عشرين ليرة ذهبية يقبضها بعد انتهاء الحفلة مباشرة .

استعد الفنان الذي كان شابا لهذه الحفلة فاشترى بذلة سموكنج بالدين وتعهد للخياط بان يدفع له ثمنها بعد الحفلة بيوم واحد باعتبار انه سيقبض بعد ان ينتهي دوره على المسرح ..

ولكن الذي حدث هو ان عمر الزعني انشد في الحفلة مجموعة من اغانيه الانتقادية وانتزع التصفيق الحاد من جميع الحضور ، الا انه في الحفلة لم يجد من يدفع له اجرته ، او على الاقل اجرة سيارة توصله الى البيت ، فاضطر الى ان يذهب من مكان الحفلة في ساحة البرج الى منزله في محلة رمل الظريف ، اي اربعة كيلو مترات مشيا على الاقدام وتحت سيول المطر وببذلته السموكنج ايضا ، وعندما وصل البيت ساله والده :

كم قبضت من الحفلة ؟ ..

فخجل عمر من نفسه وقال له :

– لم يدفعوا لي شيئا ، وعدوني غدا .. فهز الاب العجوز براسه وقال لابنه المبلل الثياب :

– اياك ياولدي ان تترك قرشا واحدا عند الناس . اقبض ثم غن . والا .. متى باتت فاتت . ومنذ تلك الليلة وعمر الزعني يتمسك بان يقبض اجره عن اية حفلة قبل ان ينشد اغنية واحدة ..

وشيء آخر .

فقد كان الزعني صديقا لوجيه معروف من عائلة ارستقراطية ثرية ، وكان يقضي معظم سهراته عنده ثم يقوم الوجيه مع عائلته ليوصل الزعني الى بيته بسيارته الفخمة ...

يبدو ان الزعني ، وهو الشاب الذي كان يعتز بكرامته كل الاعتزاز ، كان يخجل من مصارحة صديقه الوجيه بحقيقة حالته المادية او القول له انه يسكن مع والده في كوخ حقير مظلم ، بدليل انه كان يقف دائما امام عمارة فخمة ويقول لصديقه الوجيه الكبير ، انه يسكن فيها ، ويصعد فعلا في درج العمارة حتى اذا مشى صديقه بسيارته الفخمة عاد ونزل من العمارة واتجه الى كوخه الحقير .

في حياة عمر الزعني اكثر من ماساة .. ولعل هذه الماسي هي التي خلقت منه فنانا ماديا يشير الى بذلة السموكنج القابعة في خزانة ملابسه ويقول لك كلما اتهمته بالمادية : لا تلمني !

عبد الوهاب (حرامي) !

عام ١٩٥٩ الف اسعد سابا مع اسعد السبعلي وعمر الزعني وعبد الجليل وهبه حلقات تلفزيونية فيها مواضيع لبنانية جميلة باسلوب شعري شيق. وكان عمر سيد المنابر والمسارح ..

كانت حفلاته في الاذاعة من احلى الحفلات ، وكانت سهراته الاخيرة في التلفزيون من احلى السهرات :

داعيكم اسمي فلان
من أشرف عيلة بلبنان
مغرور بلطف الاخوان
ومرشح نفسي نايب

والذين لم يعرفوا عمر الزعني عن كثب لم يعرفوه على حقيقته .. فعمر على المسرح ، هو غير عمر في الحياة والسهرات والاجتماعات الخاصة. اذكر انني التقيته مرة في شارع المعرض فقال لي:

ـ شو يا باه ... مابقا تعرفنا ؟

ـ انت عالراس والعين .. انت استاذ الكل..

ـ معلوم .. بس حاجي بقا « تابع لـي » صاحبك فريد الاطرش .. والثاني عبد الحليم حافظ .

ـ مين بتريد انتع عمر الزعني ؟

ـ معلوم .. شولكن .. هو في غير عمر الزعني

ـ بس راحت ايامك يا عمر .

ـ انا راحت ايامي ... « وليه » انا اللي اخترعت التانجو بهالبلد ولولاي ما بتسووا كلكم قشرة بصلة .

وتركني عمر وهو يطلق صيحته التقليدية (موزيكا) ؟

واذكر انه قال ذات ليلة للموسيقار عبد الوهاب في احدى حفلاته : « عبد الوهب حرامي » ، فوقف عبد الوهاب غاضبا ... ثم ضحك طويلا بعدما تابع الزعني الكلام :

عبد الوهاب حرامي
ياللي سالب عقل الناس
حبك داخل في عضامي
ورامي في قلبي الوسواس

اجمل أوقاته بعد منتصف الليل

كانت حياة عمر مثالية ، يمزها ويتوجها عنصر الحب والاخلاص والتفاني لبيته ولزوجته ولاولاده. اما حياته العامة كمواطن فعادية طبيعية متواضعة بشكل مرح لا يعرف الكبرياء والعجرفة اليه سبيلا.

كانت ساعات حوالي نصف الليل ، اوقاته المفضلة للنظم والتاليف ، ولقد كان ينتقي هذا الموعد بعد التاكد من استسلام افراد العائلة للنوم، عندما كان ينفرد في غرفته وعلى مكتب متواضع ويبدا الكتابة . وقد قالت لي كريمته دلال انه كان ينتقي طاولة الطعام مكتبا ... للنظم والتاليف .

قلت لها : كيف تنظرين لوالدك عمر ؟ بماذا كان يتحلى في نظرك ؟ قالت : بقطع النظر عن العلاقة الابوية بوالدي عمر فانني لا استطيع الا تسجيل جراته وصراحته ، ومواقفه التي لا تعرف المواربة ولا المحاباة .

كان لا يهاب شيئا ، والذي يبغي اعلانه لم يكن يوما يساوره اي شك من نتائج مثل هذا الاعلان . لم يحن يوما ليبدل آراءه واحكامه تبعا لاهواء ومصالح رخيصة .

وقال لي شقيقه سعد الدين : تاكد أن عمر كان يصور الاشخاص والاوضاع والحالات كالفنان الذي يرسم اللوحات ، على ان تصويرها هذا كان بطريقة شعرية سلسلة لبقة ، وهذه العناصر قد مهدت وافسحت المجال طويلا لاقبال الشعب ـ كافة الشعب ـ عليها .

الطريف في الشاعر عمر الزعني انه كان ينظم بعض القصائد والمقطوعات ويحفظها في اوراقه الخاصة .

أصدقاء كثيرون

لعمر الزعني اصدقاء كثيرون .

كان الشاعر اسعد سابا من اقرب المقربين الى عمر وخاصة في ذكرياته عن المدة الاخيرة ولقد قال عنه :

توطدت صداقتي بعمر على اكثر ما هنالك من روابط خلال السنوات الاربع الاخيرة حيث بدانا عملنا على مراقبة الشعر الغنائي في الاذاعة .

وكان لعمر اليد الطولى والفكرة الاولى في تحسين الاغنية اللبنانية وتسفيرها الى البلاد العربية عدا شعره الانتقادي الذي لا يجارى فيه ، وهيهات أن تلد الاجيال : « عمر الزعني الثاني » .

سالته مرة : لماذا تواصل عملك الشعري التجاري وانت على جانب من المال الوافر وبوسعك ان تعيش في رغد وبمعزل عن كل ريع مثل هذا خاصة وانت قد اديت رسالتك على اكملها فباستطاعتك ان تلازمنا كضيف شرف ؟

قال عمر : انا رح ضل انظم شعر ، ما زال في قيد شعرة من الحياة • بحب الشعر اكثر من اعز شيء عندي ، ومثل ما بتعمل بعمل ، وبدي ضل اعمل « موزيك » حتى رفه عن الناس •

قال عنه الشاعر الراحل كابي حداد : لا شك ان بيني وبين عمر فارقا كبيرا في السن اذ انني كنت في العاشرة او اقل عندما كنت استمع الى اغانيه الشعبية من خلال الاسطوانات •

ولقد جاءت بعض قصائد عمر ثورة سياسية واجتماعية في تلك الاونة مما يدلنا على ان عمر الزعني الذي كان شاعرا كان ايضا صاحب فكرة سياسية واجتماعية • وبالفعل فعندما كنت استمع الى قصائده الشعبية في ذاك الحين كنت اشعر بحاجة الى ... تحرر •

وقال عنه الشاعر عبد الجليل وهبي :

كان عمر لا يحب الشعر الغيالي والغزلي ، بقدر ما كان يؤثر الشعر الوجداني والاجتماعي والسياسي والواقعي بصورة عامة • ثم انه كان يضعني في اطار تلك الفئة التي كان يسميها : « فئة العائشين في الافلاك » • وتوطدت صداقتنا الا انه ظل متمسكا بارائه ، وعلمت انه كان ملما بالموسيقى ، ولقد كان ينسج قصيدته نسبة الى اللحن الذي سيعطيه لها ، خاصة وهو الذي كان يلحن قصائده بنفسه •

وزوجته ام محمد قالت لي :

صحيح زوجي عمر مات .. ولكن مازلت اراه يقول قصيدته الشهيرة :

كل ثلاث أربع سنين
بتتغير القوانين
ينزل ناس ، ويقعد ناس
على ظهر الشعب المسكين
بتتغير السياسة
بتتبدل الرياسة
ولما بتضيع الطاسة
بتتقسم الغنايم
على ظهر الشعب المسكين

وقبل وفاته بشهر واحد قال لي ساترك المدينة وضجيجها وسوف اسكن في الفيلا الصغيرة بضهور العبادية • ولكن حلم عمر لم يتحقق لان حالته الصحية لم تسمح له بذلك فدخل المستشفى ولم يمض عليه اسبوعان حتى وافاه الاجل في ٨ شباط ١٩٦١ •

بعد وفاة عمر الزعني قال احد اصدقائه وهو يغص بدمعه :

من المؤسف ان يمشي بجنازة عمر الزعني ١٥ شخصا فقط مع العلم ان كل حفلة من حفلات عمر كان يؤمها اكثر من ١٥٠٠ شخص • واضاف : ان عمر الزعني ، هذا الشاعر الشعبي الكبير سيعجز الزمن عن ايجاد شاعر مثله يستطيع ان يعطي ما اعطاه عمر ...

استقبل الموت ببسمة ساخرة

قالت شقيقته قبل ان يسلم الروح بساعة : لم يرتعش عمر من الموت الذي جاء يصارعه بل استقبله ببسمة ساخرة .. هكذا مات عمر الزعني باسما .. كما ظل في حياته باسما ... فلنذكره في مماته بقدر ما علمنا واطربنا واضحكنا في حياته ..

عمر الزعني هو بطل قومي .. لقد ساهم في التوجيه الوطني ، وكان لولب الثورة الفكرية والسياسية • كانت قصائده في عهد الانتداب ثم في اول عهد الاستقلال قوية فاعلة بشكل مذهل •

بموته خسر لبنان شاعرا شعبيا كان يعرف كيف يدخل الى القلوب وكيف يعبر عن عواطف الشعب والجماهير ، وخاصة عن الانطلاقة التحررية التي ولدت ضد الاجنبي وضد المستثمر في الداخل ! ■■

لبنان ــ فاروق الجمال

أبو عبد الله محمد
آخر ملوك الاندلس

بقلم : محمد عبد الله عنان

هى قصة مؤسية ، تثير كل الشجن ، تلك هى قصة مصرع غرناطة ، آخر حواضر الاسلام بالاندلس ، وشخصية محزنة ، هى شخصية أبى عبد الله محمد ، آخر ملوك الاندلس .

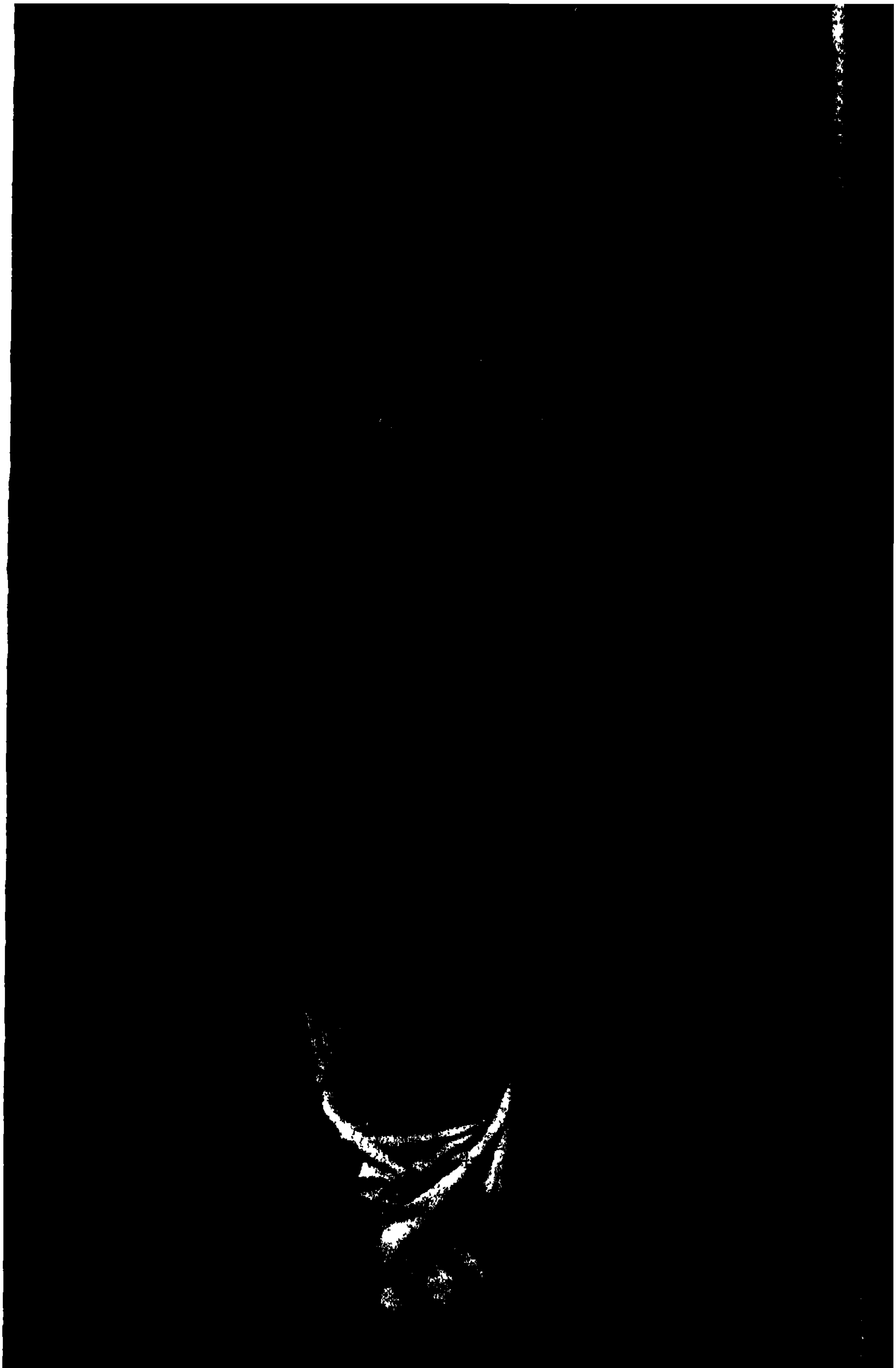
وهى مأساة تتكرر عبر التاريخ ، فسقوط الاسر والدول ظاهرة طبيعية ، تتوالى منذ فجر التاريخ فى الشرق وفى الغرب ، ولكن قصة مصرع الاندلس ، تكاد تنفرد بظروفها المؤسية . ذلك لانها لم تكن فقط نهاية لدولة واسرة ، ولكنها كانت بداية النهاية لامة عظيمة ، وحضارة زاهرة ، غاضت كلتاهما ، واندثرت الى الابد .

ونحن نعرف أن العرب افتتحوا (الاندلس) فى سنة ٩٢ هـ – (٧١١ م) ، على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد ، وقامت بها دولة اسلامية شامخة ، لبثت عصورا ، تعيش فى مجد وسؤدد ، وتتقلب بين مختلف الحظوظ والجدود ، وتنشىء صرح حضارتها العظيمة ، وتعيش فى نفس الوقت فى صراع مستمر مع خصيمتها الابدية ، اسبانيا النصرانية ، وتتضاءل رقعتها تباعا ، حتى لم يبق منها سوى مملكة غرناطة الصغيرة ، التى عاشت مع ذلك أكثر من مائتى عام ، وشاء القدر ان تختتم حياتها ، بسقوط غرناطة آخر حواضرها ، فى يدى ملكى اسبانيا فرناندو وايسابيلا وذلك فى ربيع الاول سنة ٨٩٧ هـ (يناير ١٤٩٢ م) .

وشاء القدر ، فى نفس الوقت ، أن يكون الملك المنكود ، الذى تقع على يديه هذه المحنة المؤلمة ، هو السلطان ابو عبد الله محمد بن السلطان على أبى الحسن بن سعد النصرى ، والسلطانة عائشة الحرة ، ابنة السلطان أبى عبد الله الايسر .

وليس من موضوعنا أن نتحدث عن تاريخ مملكة غرناطة فى تلك الاونة الاخيرة من حياتها ، ولكنا نود أن نقول فقط ، انها كانت مسرحا لحروب أهلية مستمرة ، بين السلطان أبى الحسن وبين أخيه الامير محمد بن سعد المعروف بالزغل ، أى الباسل ، ثم بينه وبين ولده ابى عبد الله محمد . وقد أسفرت هذه المعارك ، عن تغلب أبى عبد الله

ابو عبد الله محمد اخر ملوك الاندلس عن الصورة التى كانت محفوظة من قبل بمتحف جنة العريف بغرناطة .



على أبيه ، وتربعه على عرش غرناطة لاول مرة سنة ٨٨٧ هـ (١٤٨٣ م) ، ثم تطورت الحوادث ، واشتبك أبو عبد الله مع القوات الاسبانية فى معركة ، هزم فيها واسر ، وتولى العرش مكانه عمه الامير محمد بن سعد • ولبث أبو عبد الله فى اسر ملكى اسبانيا فرناندو وايسابيلا زهاء عامين ، ثم اطلق الملكان سراحه ، بعد ان تعهد لهما بالخضوع ، وبان يحكم غرناطة باسمهما وتحت حمايتهما ، وساعده الملكان بعد ذلك على استرداد عرشه من عمه ، فتبوأ عرش غرناطة للمرة الثانية فى سنة ٨٩٠ هـ (١٤٨٥ م) •

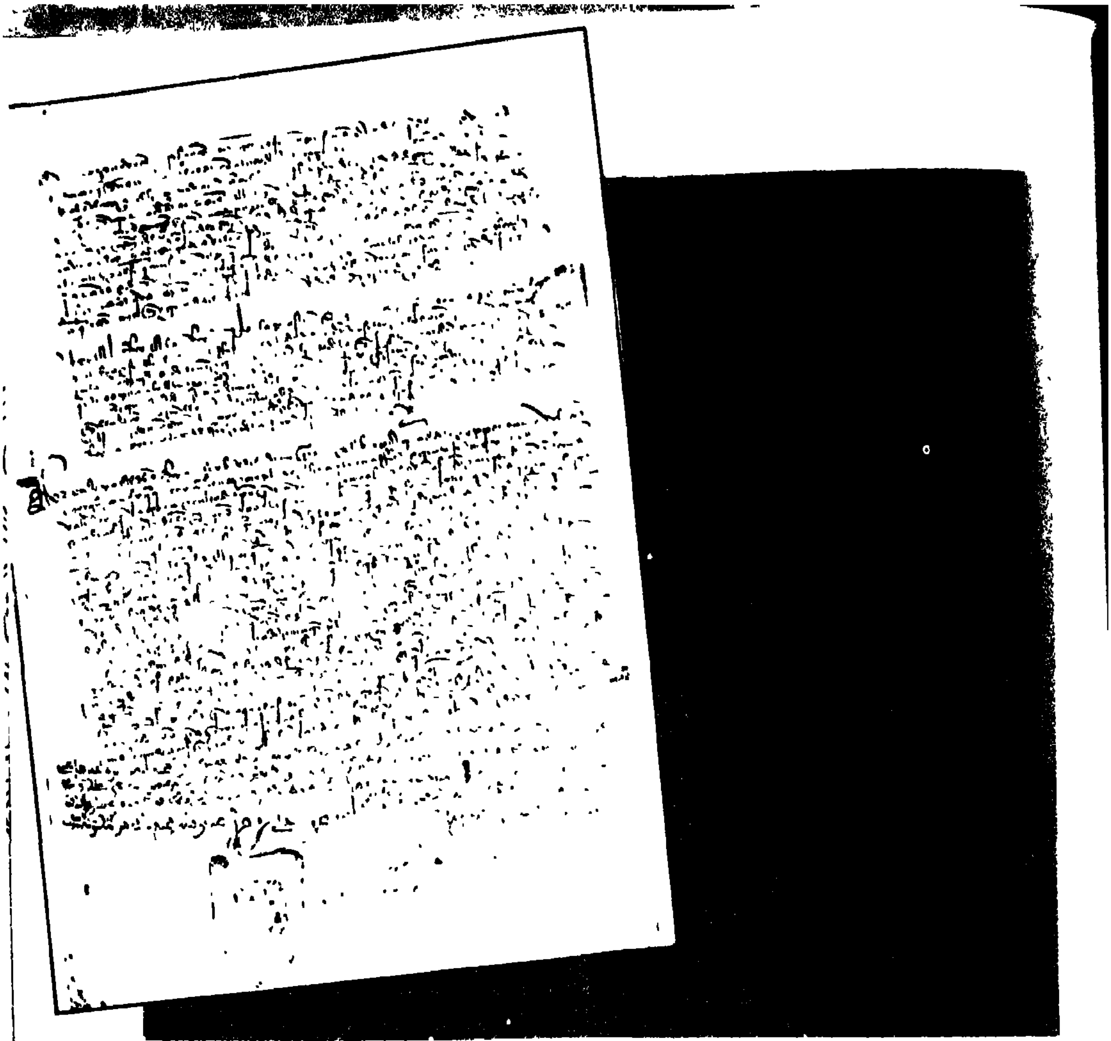
وتحول فرناندو بعد ذلك الى محاربة الامير محمد ابن سعد ، الزغل ، وكان بعد ان غادر عرش غرناطة ، قد استقر ملكا فى وادى آش ومالقة • واستمر فى دفاعه ضد ملكى اسبانيا حتى سقطت فى يدهما مالقة وسائر القواعد الشرقية الاخرى ، واضطر الزغل فى النهاية أن يذعن الى التسليم، وعبر البحر الى المغرب ، ليقضى هناك بقية حياته.

فى ظل الهدنة الخادعة

وكان ذلك فى سنة ٨٩٥ (١٤٩٠م) ، وكان أبو عبد الله محمد فى تلك الاثناء ، يعيش فى ظل الهدنة الخادعة ، التى عقدها مع ملكى اسبانيا ، ويشهد سقوط القواعد الاندلسية تباعا فى يدهما، فلما تم لفرناندو افتتاح سائر القواعد الشرقية – مالقة والمرية وبسطة ووادى آش – ولم يبق الا مدينة غرناطة وما اليها ، بعث فرناندو وايسابيلا الى أبى عبد الله يطلبان اليه تسليم مدينة الحمراء (قاعدة الملك) وأن يحكم فى غرناطة باسمهما وتحت طاعتهما، فثار ابو عبدالله لذلك الغدر ، وادرك فداحة خطئه فى الانصياع الى فرناندو ، وانقلب الامير الضعيف الخانع ، الى خصم عنيد ، يعتزم الكفاح للذود عن ملكه ودينه ووطنه ، واجمع القادة والكبراء على رفض التسليم ، والدفاع حتى الموت ، واعتزم فرناندو من جانبه ، ان يحصل على غرناطة باى ثمن ، وطوقها بقواته الكثيفة ، وبدأ حصارها فى جمادى الآخرة سنة ٨٩٦هـ (مارس ١٤٩١) • وطال الحصار ، واستنفد اهل غرناطة كل وسيلة للدفاع والمقاومة ، وخرجوا من مدينتهم مرارا ، واشتبكوا مع الجيش المحاصر فى معارك عديدة ، ثم اشتدت وطأة الحصار واخذت موارد المدينة المحصورة فى النفاد ، واشتدت وطأة الجوع والحرمان على الناس ، وادرك أبو عبد الله والقادة ، أنه لا محيص من المفاوضة مع العدو ، والحصول منه على الامان ، قبل أن يفوت الوقت، ويقتحم الجيش الفاتح المدينة ، فتقع فى داخلها المذابح المروعة ، وتغدو اطلالا دارسة •

ووقعت المفاوضة بين فرناندو وممثلى أبى عبد الله والشعب الغرناطى ، وتم الاتفاق بعد جهود مضنية ، على ان تسلم غرناطة ، بشروط كثيرة ، اهمها ان يؤمن المسلمون فى انفسهم واموالهم ، وان يحتفظوا بشريعتهم وقضاتهم ، وان يتمتعوا احرارا بشعائر دينهم ، وان تبقى المساجد حرما مصونة ، والا يولى عليهم نصرانى او يهودى ، وان يجوز منهم من شاء الى المغرب ، الى غير ذلك من الشروط والضمانات الخلابة • وجمع أبو عبد الله الفقهاء واكابر الجماعة فى بهو الحمراء الكبير (بهو قمارش)، وبعد مناقشات طويلة عاصفة، تمت الموافقة على معاهدة التسليم.

ولم يرتفع لمعارضتها سوى صوت واحد ، هو صوت موسى بن أبى الغسان قائد فرسان غرناطة ، الذى اشتهر ببرائع بسالته ، وحملاته الدفاعية المظفرة ضد العدو ، فقد حث مليكه ومواطنيه على الدفاع حتى الموت ، وحذرهم من خداع ملك قشتالة وغدره قائلا : « لا تخدعوا انفسكم ، ولا تظنوا ان النصارى سوف يوفون بوعدهم ، ولا تركنوا الى شهامة ملكهم • ان الموت اقل ما نخشى، فامامنا نهب مدننا وتدميرها ، وتدنيس مساجدنا ، وتخريب بيوتنا ، وهتك نسائنا وبناتنا • امامنا الجور الفاحش ، والتعصب الوحشى ، والسياط والاغلال ، وامامنا السجون والانطاع والمحارق • هذا ما سوف نعانى من مصائب وعسف ، وهذا ما سوف تراه على الاقل تلك النفوس الوضيعة التى تخشى الان الموت الشريف » • ثم غادر المجلس واخترق بهو الاسود (كورة السباع) عابسا حزينا، وجاز الى ابهاء الحمراء الخارجية • ثم ذهب الى



داره ، وغطى نفسه بسلاحه ، واقتعد غارب جواده المحبوب ، واخترق شوارع غرناطة ، حتى غادرها من باب البيرة ، ولم يره انسان او يسمع به بعد ذلك قط .

وفي بعض الروايات ان موسى سار الى ضفة نهر شنيل ، حيث التقى بشلة من الفرسان النصارى فاشتبك معهم في قتال عنيف ، وقتل عدة منهم ، واثخن جراحا ، وخشى ان يقع في أيديهم ، فالقى بنفسه في النهر ، فابتلعته الامواج . ولم تؤثر معارضة موسى وكلماته في موقف « الجماعة » ولا في الاجماع على قبول المعاهدة وتوقيعها . وحملها مندوب الملك الاسباني ممهورة بتوقيع أبي عبد الله .

وسلمت غرناطة

وهكذا اذعنت غرناطة ، وسلمت، وانتهت بذلك دولة الاسلام في الاندلس ، وطويت الى الابد تلك الصفحة المجيدة من تاريخ العرب والاسلام في اوربا ، وقضى على تلك الحضارة الاندلسية الزاهرة وآدابها وعلومها وفنونها ، وكل ذلك التراث الباهر بالمحو والفناء . ودخل القشتاليون غرناطة في الثاني من ربيع الاول سنة ٨٩٧ (٢ ينـاير سنة ١٤٩٢) واحتلوا قصور الحمراء وحصونها ، وانتهى ذلك الحلم السعيد الذي استطال لثمانمائة عام ، او كما قال ابو الطيب الرندي في مرثيته الشهيرة ، التي وضعها قبل سقوط الاندلس النهائي بنحو قرنين .

وكان مـا كان من ملك ومن ملك
كمـا حكى عن خيـال الطيف وسنان

اما الملك التعس أبو عبد الله ، آخر ملوك الاسلام بالاندلس ، فقد قضت معاهدة التسليم ، ان يغادر غرناطة مع اهله وامواله الى منطقة

البشرات الشرقية ، وان يحكم هذه المنطقة باسم ملك قشتالة ، وفي طاعته ، وان يكون مقره في قرية اندرش : Andarax القريبة من ثغر المرية. وتصف لنا الرواية ذلك المنظر المؤثر الذي لقي فيه أبو عبد الله عدوه الظافر ، على اثر مغادرته لقصر الحمراء ، وتقديمه مفاتيح الحمراء اليه قائلا « ان هذه المفاتيح هي الاثر الاخير لدولة العرب في اسبانيا ، وقد اصبحت ايها الملك سيد تراثنا وديارنا وأشخاصنا . هكذا قضى الله ، فكن في ظفرك رحيما عادلا » .

زفرة العربي

وهنا تقول الرواية ايضا ، ان ابا عبد الله ، اشرف اثناء مسيره الى مقره الجديد ، في شعب البذول ، على مناظر غرناطة ، فوقف يسرح البصر لآخر مرة في هاتيك الربوع العزيزة ، التي ترعرع فيها ، وشهدت مواطن عزه ، وسلطان آبائه وأجداده ، فانهمر في الحال دمعه ، واجهش بالبكاء فصاحت به امه الاميرة عائشة : « اجل فلتبك كالنساء ملكا لم تستطع ان تدافع عنه كالرجال » . وتعرف الرواية الاسبانية تلك الاكمة التي كانت مسرحا لذلك المنظر المحزن باسم شعري مؤثر هو : « زفرة العربي الاخيرة » : El Ultimo suspiro del moro ، وما تزال قائمة حتى اليوم يعينها سكان المنطقة للسائح المتجول .

ثم تقول الرواية ، ان باب الحمراء الذي خرج منه أبو عبد الله لآخر مرة ، وهو باب الطباق السبع ، قد سد عقب خروجه منه برجاء منه الى ملك قشتالة ، وبنى مكانه ، حتى لا يجوزه انسان من بعده . وما زالت الرواية تعين لنا مكان هذا الباب بين الاطلال الدارسة ، وهو يقع في طرف الهضبة ، في الجنوب الشرقي منها على مقربة من « برج الماء » ، وقد رأيناه ، وقد سد فراغه حقيقة بالبناء (١) .

لم يطل مكث ابو عبد الله بمقره في اندرش ، ولم يمض سوى عام وبضعة اشهر ، حتى ادرك انه يستحيل عليه البقاء في هذا الوضع المهين ، كعامل لملك قشتالة . وكان ملك قشتالة من جانبه، ينظر الى وجوده بعين التوجس ، ويخشى أن يكون مثار الفتنة والقلاقل . وعول ابو عبد الله ان يحذو حذو عمه الزغل في الجواز الى المغرب ، ونزل لملكي قشتالة عن حقوقه نظير مبلغ كبير بمقتضى معاهدة خاصة ، ابرمت بينه وبين الملكين في ابريل سنة ١٤٩٣ ، وفيها تعهد ببيع أملاكه ، ومغادرة اسبانيا نهائيا . وما تزال هذه المعاهدة، محفوظة في دار المحفوظات الاسبانية العامة في سيمانقا ، وقد ذيل عليها ابو عبد الله بخطه وتوقيعه بالقبول ، وبصمها بخاتمه ، وذلك بتاريخ ٢٣ رمضان سنة٨٩٨هـ (٧ اغسطس سنة ١٤٩٣م).

ويرى القارىء نص قبوله وبصمة خاتمه في هذه الصورة المنشورة مع المقال لآخر صفحة من المعاهدة . ويجرى نص القبول كما يأتي :

« الحمد لله السلطان والسلطانة ، اضيافى . انا الامير محمد بن علي بن نصر خديمكم، وصلتنى من مقامكم العلي العقيد ، وفيها جميع الفصول الذى عقدها علي وبكم التقديم من خديمي القائد ابو القاسم المليخ ، ووصلت بخط يدكم الكريمة عليها وبطابعكم العزيز كيف هبت مذكورة بهذا الذى هي تصلكم . واني نوفي ونحلف اني رضيت بها بكلام الوفا مثل خديم جيد . وترى هذا خط يدى وطابعي ارقيته عليها ، لتظهر صحة قولي ، ووصلت بتاريخ الثالث والعشرين من شهر رمضان المعظم عام ثمانية وتسعون وثمانمائة . انا كاتبه محمد بن علي بن نصر رضيت وقبلت جميع ما في هذا المكتوب الثابت ، وتقبل بيدى . الى اضيافى السلطان والسلطانة ، منذ لي هناكما » .

وتعرض صورة مكبرة من هذه الوثيقة بمتحف مدريد الحربي ، الى جانب رداء وصف بانه عباءة (ابي عبد الله) ، وسيف فاخر وصف بانه سيف ابي عبد الله .

---

(١) ان ما تقصه الرواية علينا من هذه الوقائع وأمثالها لا يدخل في حيز التاريخ المحقق ، وانما يجرى على الارجح مجرى القصص والاساطير التي ذاعت في هذا العصر، وسجلتها التواريخ القشتالية، وأخرجها بعض أكابر مصوري هذا العصر في صور تمثلها ، ما زالت تحتفظ بها المتاحف والكنائس الغرناطية .

وكان أبو عبد الله ، وقت أن سقطت غرناطة ، وانتهت دولة الاسلام في الاندلس فتى في نحو الثلاثين من عمره ، وذلك حسبما يستفاد من اقوال الرواية القشتالية المعاصرة، وقد تركت لنا الرواية القشتالية المعاصرة أيضا وصفا لشخصه ، خلاصته انه كان ممشوق القد ، حسن الطلعة ، شاحب اللون، له عينان سوداوان نجلاوان ، ولحية قوية.

انصافا للرجل

وهكذا اعتزم أبو عبد الله أن يغادر الى الابد، تلك الارض التي نشأ فيها أجداده منذ العصور ، وأن يعبر الى المغرب في أهله وأمواله ، وذلك في سفن أعدها ملك قشتالة لجوازه • وكان ذلك في أواخر سنة ١٤٩٣م • ونزل أولا بمليلة ، ثم قصد الى فاس ، واستقر بها ، وتقدم الى ملكها السلطان محمد شيخ بني وطاس ، الذين غلبوا على بني مرين ، مستجيرا به ، مستظلا بلوائه ورعايته ، معتذرا عما أصاب الاسلام في الاندلس على يده ، متبرئا مما نسب اليه من ضروب التفريط والخيانة • وقد بسط أبو عبد الله دفاعه في كتاب طويل مؤثر ، كتبه عن لسانه ، كاتبه ووزيره محمد بن عبد الله العربي العقيلي وسماه « بالروض العاطر الانفاس في التوسل الى المولى الامام سلطان فاس » • وهذا الدفاع الشهير الذي يقدمه الينا أبو عبد الله عن موقفه وتصرفه ، هو قطعة رائعة من الفصاحة السياسية، وهو يدل في روحه وقوته على فداحة التبعة التي شعر آخر ملوك الاندلس ، أنه يحملها أمام الله والتاريخ ، وعلى أن هذا الامير المنكود ، لم يرد أن ينحدر الى غمر النسيان والعدم ، محكوما عليه ، دون أن يبسط للتاريخ قضيته •

وان آخر ملوك الاندلس، بالرغم من كلما يحيطه به التاريخ من المسئوليات الخطيرة والاوزار الفادحة ، ليستحق مع ذلك في نظرنا من التاريخ كلمة ثناء وتقدير ، تجب لمن خاض مثل ما خاضه من الغمار ، ومثل ما تعرض له من صنوف الاغراء• فقد عاش مسلما ومات مسلما، واستطاع أن يحتفظ بدينه الحنيف ، بالرغم من فداحة المحنة التي نزلت به ، وظروف الاغراء القوية التي كانت تحيط به ، وبالرغم مما شهده من تطارح معظم وزرائه وقادته ، بل واقاربه الاقربين على قدمي الملكين الكاثوليكيين ، ودخولهم في دين النصرانية • وكان في مقدمة هؤلاء اخواه لابيه الاميران سعد ونصر ، ولدا السلطان أبي الحسن من زوجه النصرانية اليزابيث دي سوليس •

وكان فرناندو الكثوليكي يستعمل كل الوسائل لاغراء الوزراء والقادة المسلمين على التنصر ، ويعرض عليهم أن يكون تنصرهم داخل خيمته الخاصة حماية لهم من السقوط الابدي في نظر مواطنيهم • هذه الظروف كلها كانت خليقة بان تحمل أبي عبد الله على الاستجابة الى دواعي التحريض والاغراء الخطيرة • ولكنه استطاع ان يخرج من هذه الغمار معتصما بدينه المتين • ولم يفته أن يلمح الى ذلك باعتزاز في دفاعه حيث يقول مشيرا الى وعود ملك قشتالة وعروضه المغرية : « فلم نر ونحن من سلالة الاحمر مجاورة الصفر ، ولا سوغ لنا الايمان الاقامة بين ظهراني الكفر » •

استقر أبو عبد الله في فاس ، في ظل بني وطاس ، وشيد بها قصورا على الطراز الاندلسي، رآها وتجول فيها المقري مؤرخ الاندلس بعد ذلك بنحو قرن ١٠٣٧هـ (١٦٢٨م) • وعاش الملك المنكود في منفاه طويلا يتقلب في غمر الحسرات والذكريات المفجعة• وتوفي بعد المأساة بنحو أربعين عاما في سنة ٩٤٠هـ (١٥٣٤م) ، ودفن بفاس ، وترك ولدين هما يوسف واحمد • واستمر عقبه متصلا معروفا بفاس مدى احقاب، ولكنهم انحدروا قبل بعيد الى هاوية البؤس والفاقة ، ويذكر لنا المقري ، في كتابه نفح الطيب ، انه رآهم في سنة ١٠٣٧هـ ، فقراء معدمين ، يعيشون من أموال الصدقات •

ويعرف أبو عبد الله ، آخر ملوك الاندلس ، بالملك الصغير وبالاسبانية El Rey chico تمييزا له من عمه أبي عبد الله الزغل• ويلقب بالزغيبي، أو عاثر الحظ ، تنويها بما أصاب الاسلام على يده من الخطوب والمحن • ■■

الرباط — محمد عبد الله عنان



الحياة .. لماذا نملها ؟
وكيف ومتى نرى صورها الحلوة ؟

بقلم : منير نصيف

■ قال فنسنتفان جوخ ، الفنان التعس وهو يروى قصة حياته فى كتابه «شهوة العمركله»: اننى اكرهها .. اكرهها .. فلم اجد فيها لحظة تستحق الحياة !

وتقول الشاعرة ادنا سانت فنسنت ميلاى : «ايتها الدنيا الجميلة ، ليتنى استطيع ان احيطك بذراعى واضمك الى صدرى ، وانعم فى احضانك برائحة ترابك ولسعة شمسك ولحن رياحك فى الشتاء ! »

الحياة التى عاشها الاثنان واحدة..والدنيا التى كرهها الفنان ، وتغزلت الشاعرة فى جمالها .. ايضا واحدة .. الفرق بين الاثنين ان الفنان المسكين لم ير بهجة الحياة .. والذى يفتقد مباهج الحياة يفتقد كل الحياة ، كما يقول روبرت لويس ستيفنسون .

والعكس صحيح مع الشاعرة ادنا .. فهى قد احست فى تلك اللحظة التى جلست تصف فيها جمال الحياة من حولها بكل شىء حى .. باوراق الشجر .. بالزهور وعبيقها بالسحب فوق راسها، فانطلقت تصف بقلمها روعة الحياة التى تعيشها!

هل كان الفنان نورمان حقا تعسا ؟ هل كانت الشاعرة ادنا سعيدة ؟ وما سر تعاسته .. وما أسباب سعادتها ؟

الملل .. ومباهج الحياة

ويمضى بنا عالم النفس ابراهام ماسلاو فى حديثه الطويل عن الشعور بالملل الذى يصيب الناس .. كل الناس فى لحظة او فى اخرى من لحظات حياتهم او فى رحلة معينة من مراحل الحياة وهم يمضون فى مسيرتهم نحو الغد المجهول . ثم ينتقل بعد هذا الى الحديث عن الحياة ومباهجها ولماذا وكيف يراها البعض منا وينعم بها ، بينما يخطئها البعض الاخر ، وعندها تكون الهزيمة ويكون القلق ، ويستبد بنا ذلك الشعور المخيف الذى يدفعنا دفعا الى البحث عن الخلاص من كل شىء حولنا ، وباى شىء . فلم يعد للحياة طعم ولم يعد للدنيا لون ولا رائحة !

وهو يذهب فى كتابه الملل الى الحد بان يقول ان معظم الجرائم التى يرتكبها اصحابها هى فى واقع الامر وسيلة للخلاص من الحياة التى كرهوها وملوها ! فالجريمة فى رايه هى ساق شجرة يابسه نمت جذورها فى ارض لم تصلها ماء الحياة ابدا، الا من خلال ما تسرب اليها عفوا !

ولكنه يعود فيقول ان الملل الذى يؤدى الى العنف والامتلاء بروح العداء والثورة يختلف عن الملل المؤقت الذى يحس به المرء سواء كان رجلا ام امراة من وقت لاخر،فهذا الاخير هو مرض العصر وهو يدفع بصاحبه الى مجرد الرغبة فى الانسحاب بعيدا عن الناس والاضواء والمجتمع الذى يعيش فيه ، والاحساس فى الوقت نفسه بحاجة ملحة الى الانفراد بنفسه ! ومع هذا الشعور وهذا الاحساس يفقد المرء القدرة على القيام باى عمل مهما كان صغيرا وبسيطا .



الشجرة اليابسة لا امل فيها ولا رجاء ، فهي ميتة ميتة •• ومن اجل هذا نجد ماسلاو يتركها تموت في هدوء • هكذا يقول • الذي يهمه هو تلك اللحظات التي تمر بنا،ونمر بها في حياتنا اليومية، ونحس معها بهذا الشعور بالملل ، لماذا ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ وما السبيل الى الخلاص منها ؟

في ملفاته قصص نساء ورجال جاءوا اليه يطلبون النصيحة •• وهو يروى لنا بعضها •

الرتابة والروتين

هناك قصة الام الشابة التي تسمع رنين جرس المنبه في الصباح •• وهو صوت الفته على مدى السنين التي انتقلت فيها من بيت والديها الى بيت الزوجية •• في البداية ، وكاي شيء جديد، كانت تجد مع رنينه متعة ، فقد كان يوقظ فيها الشعور بالواجب ، والرغبة الصادقة في القيام

الصباح •• فكانت تقوم من فراشها وتسرع باعداد طعام الافطار والقهوة الساخنة••ويفترق الزوجان كل الى عمله •• يفترقان الى لقاء •

وتمضي الايام ويتغير شكل الحياة • لم يعد البيت لهما وحدهما •• اصبح يشاركهما فيه ضيوف صغار •• وتتضاعف مسئوليات الام وتضطر الى ترك وظيفتها مؤقتا ، لتتفرغ لتربية اطفالها •• وشيئا فشيئا ، تبدأ الام تضيق بالحياة الجديدة التي كانت في الامس القريب تسعد بكل لحظة فيها !

لقد كبر الاطفال وخرجوا الى المدرسة ••

كل شيء في البيت الذي كان يلفه الهدوء قد تغير •• ما عدا جرس المنبه الذي مازال يرن في موعده ! وتحاول ان تخرسه •• ولكنه لا يخرس•• حقيقة لقد كف عن الرنين لانها توقفت عن ضبطه، ولكنها ما زالت تسمع صوته في الصباح ، لقد

تتسلل في رفق الى غرفتها حتى تقوم من فراشها مسرعة لكي تجد الوقت الكافي لاعداد الافطار لافراد الاسرة التي تضاعف عددها،وتضاعفت معهم واجباتها !

ضيق وقلق

وتكتشف الام فجأة انها قد اصبحت تقوم من فراشها في الصباح بصعوبة ، وانها بدأت تشعر بالتعب ، وينتابها احساس بالضيق بين الحين والحين .. انها تحب بيتها واتعب زوجها واطفالها .. وهي لا تريد لهذا الشعور الغريب أن يستبد بها وينغص عليها حياتها ، ويسيء الى احب الناس الى قلبها ! ماذا تفعل ؟

ويقول ماسلاو : لا شيء ! كل ما في الامر ان هذه الام ، قد استسلمت للروتين وهو اسوأ ما يمكن ان يحدث في حياة الانسان ! ان الرتابة هي التي تدفعنا الى الشعور بالضيق والملل والتعب والقلق . واذا افلحنا في ان نحول كل شيء رتيب الى شيء جديد ، ونضفي عليه من عندنا لونا وطعما متغيرا كل يوم نجحنا في الخروج من هذا القفص الضيق المظلم ! .

كيف ؟

ولا بد لنا من وقفه هنا مع طبيعة الانسان : نحن نرى الاشياء مجردة من كل شيء .. نراها كما تبدو لنا في ظاهرها .. ولكن الصورة تتغير تماما، لو اننا وقفنا وفكرنا وتاملنا .. فالحياة فكر .. والحياة تامل .. هكذا يحدثنا هذا العالم النفساني الكبير الذي قضى اكثر من نصف عمره يفكر ويتامل !

ثم وجدتها .. !

ثم يكمل قصته مع الام التي بدأت تشعر بالملل: لقد عادت الى بيتها .. وصحت من نومها في الصباح .. ولدنها في هذه المرة،لم تذهب مباشرة الى المطبخ ، حيث تعودت ان تفعل ، لقد فتحت نافذة غرفتها .. ووقفت من وراء النافذة تتامل كل شيء حولها .. الحديقة الجميلة التي امتلات بالزهور .. العصافير الصغيرة وهي تتنقل بين اغصان الشجر وترفع صوتها مغردة فرحة بمولد هذا اليوم الجديد .. الرجل العجوز الذي طالما حمل اليها زجاجات اللبن ، يرفع يده محييا .. وتبتسم وهي ترد التحية ، وتذهب الى حيث تعودت الذهاب ، لاعداد طعام الافطار .. وفجأة يصل الى اذنيها صوت ضحكات ابنتهما الصغرى.. وتترك كل شيء ، وتحس برغبة في الذهاب اليها لترى ما الذي يضحكها .. وتقف أمام باب غرفة الطعام .. نفس المشهد الذي كنت تراه كل يوم.. كل شيء يبدو كما هو .. الاطفال حول المائدة في انتظار طعام الافطار .. والاب يداعب الطفلة الصغيرة .. في هذا المكان .. اجتمع كل الذين تحبهم .. كل الذين تعيش لهم ومن اجلهم .. وتحاول ان تتكلم .. ان تقول شيئا .. ولكنها لا تلبث ان تنسحب من الغرفة في هدوء .. فقد امتلات عيناها بالدموع وكانت دموع البهجة التي روت قلبها في هذه اللحظة اقوى من اي كلام يمكن ان تقوله .. لقد رأت هذه الام اشياء لم ترها من قبل .. او رأتها كما لم ترها ابدا .. وهكذا بقيت الصورة الحية الجميلة في مخيلتها وامام عينيها دائما .. انها امرأة سعيدة سعيدة .. ما الذ الحياة .. فقد شمت رائحتها وعرفت اسرارها، وسقطت الغشاوة التي كانت تحجب عنها جمال الحياة .

العمل والنجاح

والاحساس بالبهجة كثيرا ما يأتي عندما ننسى انفسنا في دوامة العمل الذي نؤديه ، وخاصة اذا كنا نحب عملنا ونجد متعة في القيام به .. لا فرق هنا بين عمل وعمل .. فالمهم ان نجد ذاتنا فيه ..

كان الكاتب الامريكي ادجارالانبو يجلس يوما الى مكتبه ليسجل احداث القصة الجديدة التي جمعها من واقع حياته التعسة .. ومضى يكتب ويكتب .. وفجأة احس بالقلم يتوقف عن المضي في مسيرته على الورق .. والقى به جانبا ،ومال بجسمه الى الوراء .. ومضى في رحلته مع الواقع الذي يصوره .. كان يبحث عن خاتمة للقصة التي بدأها واوشك على الانتهاء منها .. ولكنه احس بعجزه عن اتمامها .. وكادت يده تمتد الى الورق الذي وضع فيه عصارة ذهنه وفكره على مدى اسبوعين كاملين لينهي ما حواه بوسيلة اخرى . لماذا لا يمزقه ويريح ابطال قصته ويستريح !

واحتواه شعور باليأس والملل .. انها ليست اول عمل له يضيع فيه كل خواطره وتاملاته ، ثم لا يرى النور ! لماذا لا يختصر الطريق ويضعه في مكانه في ركن من درج مكتبه القديم وينسى !

ولكنه لا يلبث ان يعود الى قلمه .. لقد وجدها .. ويختتم القصة .. ويقوم من كرسيه ويتجه الى غرفة زوجته المريضه التي كان الداء ياكل صدرها .. ويمطرها بقبلاته .. وتسعد له وتنسى آلامها وتدمع عيناها لانها لن تشاركه هذه البهجة طويلا.. ويقول الآن بو وهو يبكي فرحا : لقد رايت السماء .. وجدت نفسي بعد ضياع !

بداية ونهاية

يقول ماسلاو : والبهجة تاتي عندما لا نهرب من الحياة .. عندما نتعلم كيف نعيش احزانها .. ونخوض معاركها بنفس القوة التي نستقبل بها افراحنا .. عندما ندرك بعد هذا ان هناك نهاية لكل شيء حلو كل شيء نحبه !

ثم يروى لنا قصته مع الرجل الذى لقيه في القطار وكان يجلس بجوار النافذة يدخن سيجارته في هدوء وكانت عيناه من وراء الزجاج تتنقلان سريعا بكل شيء يمر به القطار وهو منطلق في سرعة هائلة .. لقد بدا كما لو كان يبحث عن شيء .. ولكن ما هو على وجه التحديد . هل هي الاشجار القريبة والبعيدة .. ام صفوف المنازل .. اموجوه الاطفال الذين جاءوا من الريف ليرقبوا القطار الجديد الذى تمنوا لو انهم كانوا بين ركابه .. ام هي السحب التي بدات تتجمع في السماء وتنذر بهبوط المطر .. كل هذا كان يراه ويمر عليه بعينيه ، ثم لا يلبث ان يعود الى سيجارته والى الصحيفة التي كان يضعها على ركبتيه فيقرا فيها ثم لا يلبث ان يعيدها الى مكانها ، ويعود الى النافذة يكمل رحلته مع الحياة من وراء غطائها !

واستجمع ماسلاو شجاعته ، وقال محدثا جاره : صور جميلة اليس كذلك ؟ » .

وصحا من رقدته !

وقال الرجل في هدوء : نعم ! ثم اشار الى عربة ... كانت تحمل حبوب القمح .. وقال : من هنا ياتي غذاؤنا .. هم يكدحون ، ونحن ناكل ثمار كدهم دون ان نحس بهم ! ما اجمل صور الكفاح من اجل العيش والرزق .. ولعل اروعها اطلاقا هي تلك التي لا نراها الا مصادفة ! كل شيء يبدو جميلا من حولي اليوم .. كل شيء يشدني ويثير اهتمامي !

وتوقف الرجل عن الحديث للحظات ، سرح فيها بفكره بعيدا ، ثم نظر الى صاحبه وقال : هل يبدو كلامي هذا غريبا عليك ؟

وقال ماسلاو : ابدا .. كل ما في الامر انني شعرت من خلال حديثك انك رجل مرهف الحس !

وقال الرجل : ربما !

وبدا القطار يبطيء من سرعته .. ووقف الرجل يعد نفسه ويستعد للنزول في المحطة القادمة وحمل حقيبته الصغيرة ووضعها عند قدميه ، ثم اتجه الى صاحبه وقال :هنا بيتي في هذه المدينة الصغيرة حيث اعيش مع زوجتي واطفالي الثلاثة ..

سوف يسعدون كثيرا لعودتي بعد غيبة استغرقت اسبوعا كاملا .. انها اول مرة افترق فيها عنهم.. ولكنني اضطررت للذهاب لاعرض نفسي على الاخصائيين في المستشفى الجامعي .. فانا اعاني من آلام حادة في معدتي ! لقد عرفت سر العلة .. انهم لم يحاولوا اخفاء الحقيقة عني .. انني مصاب بالسرطان ، ولن اعيش لاكثر من ستة اشهر !

ومنذ تلك اللحظة التي عرف فيها الرجل ان رحلة حياته على الارض قد اقتربت من نهايتها ، بدا يحس بهذا الجمال الذى يراه من حوله .. كل شيء بدا جميلا جديدا حتى هو نفسه .. لقد بدا وكانه قد صحا فجاة من نوم عميق دام لاكثر من اربعين عاما .. هي كل عمره على الارض !

ما اقسى الحياة وما اجملها ..

ولكن بعض الناس لا يرون فيها غير جانبها المظلم .. والبعض لا يكادوا يمرون ... ينتقلون بسرعة الى النور .. و... المضيء تتغير نظرتهم للحياة ...
وما عليها ! فيه تنبض ... بنشوة الحياة .

● من قصص الخيال العلمى ●

خدمة



ـمتازة

قصة : ايزاك ازيموف
ـرجمة وعرض : راجى عنايت

نظرت كلير بمزيج من الفزع والرعب من
، فتحة الباب الضيقة •• نظرت الى تونى الذى
يقف داخل الحجرة بقامته الطويلة ، وملابسه
ـلنة الانيقة ، ومظهره النبيل الذى يعكســه
ـات وجهه التى لا تتغير ، ثم صاحت ، « لا
ـيع ان ابقى معه تحت سقف واحد •• » •

ـد لارى بلمونت ينظر الى زوجته بحدة ، وقد
ـ ملامحه معانى نفاد الصبر والضيق ، تلك
ـ التى كانت كلير تكرهها ، نظرا لانها تؤكد
ـسها بالعجز•قال لارى بحسم : « لم يعد هناك
ـجال للتراجع •• ستوفدنى الشركة الــــى
ـلن على هذا الاساس ، وهذا يعنى حصولى
الترقية التى اسعى اليها •• وانت تعلمين
ان وجوده معك فى البيت لن يسبب لك اى
ـو اذى •• فلماذا الاعتراض الان ؟ •• »

ـمت كلير وقد انقبضت ملامحها « ان مجرد
يبعث الرعشة فى جسدى •• » فقال لارى
ـنسانى•• هيا معى اليهم »• وضع لارى كفه
ـهرها وقادها لتجد نفسها وسط غرفـــة
ـال فى بيتها ، تسودها الرجفة من اعلاها
ـفلها •• كان يقف هناك •• ينظر اليها
ـنح •• الى تلك التى ستكون مضيفة على
ـسابيع الثلاثة التالية • كانت الدكتورة

سوزان كالفن فى الحجرة ايضا ، تجلس منقبضة وقد ضمت شفتيها الرفيعتين ، كانت تبدو عليها تلك النظرة الباردة الغائبة التى يتميز بها اولئك الذين طال تعـاملهم مع الآلات ، حتى ليبدو ان جانبا من معدن هذه الآلات قد تسرب الى دمائهم •

« اهلا •• » قالتها كلير للموجودين بشكل عام ، وبمرح مفتعل قال لارى « اريدك يا كلير ان تلتقى بتونى الفتى الانيق •• هذه هى زوجتى كلير يـــا تونى•• »، ثم مد لارى يده بألفة لتستقر فوق كتف تونى ، وان كان تونى قد بقى على تحفظه •• بلا تعبير يعكس احساسه بهذا الموقف •

قال تونى «كيف حالك يا سيدتى ؟••» قفزت كلير فى مكانها لدى سماعها صوت تونى ، كان صوته عميقا ، عذبا ، فى مثل نعومة الشعر الذى علــى رأسه ، ودون ان تدرى صاحت « يا الهى •• انه يتكلم ! » قال تونى بصوت هادئ، « لماذا لا ••؟ هل كنت تتوقعين ان اكون ابكم ؟! •• » وكان رد فعل كلير لا يزيد عن ابتسامة ضعيفة • وبطرف عينها اخذت تتامله ، واخرجها من تاملها هذا ، صــوت الدكتورة كالفن المسطح الخـالى من اى عاطفة وهى تقول « اتمنى ان تقدرى اهمية هــذه التجربة يا سيدتى •• لقد قال زوجك انه شــرح لك الموضوع ، واريد الآن ان اعطى المزيــد مـــن المعلومات ، باعتبارى رئيسة القسم النفسى باتحاد صناعة الانسان الآلى لعموم الولايات المتحدة » •

نظرت الى كلير ثم قالت مستطردة « تونى عبارة عن انسان آلى•• اسمه الحقيقى فى ملفات الشركة تن ـ ٣ ، لكنه سيستجيب اذا ما ناديتــه باسم تونى • انه ليس وحشا آليا ، كما انه ليس آلة حاسبة من ذلك النوع الذى كان ينتشر اثناء الحرب العالمية الثانية •• منذ خمسين عاما • ان لديه عقلا اصطناعيا ، يقارب عقولنا من حيث درجة تعقيده••لوحة تجميع تيلفونية ضخمة على المستوى الذرى •• وهكذا ، يمكن لهذا العقل ان يتعامل

مع بلايين الاعمال والتوجيهات التي تزدحم بها جمجمته .. »

« حتى الآن اعتدنا ان نعتمد على الانسان الآلي في الاعمال الصعبة ، او المستحيلة بالنسبة للبشر ، في اعماق المناجم ، او في الاعمال التي تجرى في قاع المحيط .. لكننا اليوم نريد ان نغزو المدن والبيوت .. نريد أن يعتاد الناس البسطاء وجود الانسان الآلي في حياتهم اليومية دون خوف .. ونحن نلتزم في هذا بما يسمى بالقانون الاول للانسان الآلي ، وهو يقول: الانسان الآلي لا يجب أن يتسبب في الاضرار بادمي ، او ان يفعل ما يدفع الآدمي الى الحاق الضرر بنفسه.. جميع ما نصنعه يخضع لهذا القانون .. وكما ترين يا سيدتي ، نريد ان تشتركي مع توني في تجربة مبدئية ، لصالح عملنا العلمي ، وفي اثناء سفر زوجك الى واشنطن للانتهاء من الاجراءات القانونية الحكومية .. تمهيدا لاعتماد هذا الانسان الآلي وتعميمه .. »

صاحت كلير بقلق « هل يعني هذا .. ان كل ما تفعلونه ليس قانونيا ؟! »

سعل لاري بعصبية وهو يقول « ليس بعد .. ولكن هذا سيتم قريبا .. على اى حال لن يترك توني البيت ، ولا يجب ان تسمحي لاحد بان يراه .. كنت اود ان اكون معك اثناء هذه التجربة .. لكن الامر يحتاج الى شخص ليست لديه اية خبرة عن الانسان الآلي .. »

قالت دكتورة كالفن وهي تهم بالانصراف «هذا الانسان الآلي متخصص يا سيدتي في الاعمال المنزلية .. » ، قاد لاري دكتورة كالفن الى الباب الخارجي ، بينما بقيت كلير في حجرة الاستقبال تتطلع الى نفسها في المرآة ، لكنها سرعان ما اشاحت بوجهها بعيدا عن المرآة .. لقد ضاقت بهذا الوجه الصغير والفم الكبير والشعر المعتم .. هنا ، لاحظت ان نظرات توني مسلطة عليها ، فابتسمت ابتسامة مجاملة ، قبل ان تتذكر انه مجرد .. آلة .

★ ★ ★

كان لاري يستعد لرحلته الى المطار ، عندما لمح جارته السيدة جلاديس كلافري.. كانت جلاديس من اللاتي يجب الا يتجاوز النظر اليهن حد النظرة الخاطفة .. كل شيء فيها مرسوم بدقة وعناية ، وترتدي من الملابس ما يكشف عن ذروة الـذوق والمهارة .. كانت على درجة من الاناقة ، لا تحتمل اكثر من النظرة الخاطفة الابتسامة الجذابة على وجهها ، والعطر الذي يترك آثاره في اعقابها ، كانا بمثابة الاصابع التي تشير اليك بالاقتراب.. لكن لاري تجاوز هذا النداء .. ودون أن يتوقف ، حياها بلمسة لقبعته ، ثم أسرع مبتعدا ..

كان يشعر دائما بذلك النوع من الغضب الغامض .. لو ان كلير استطاعت ان تدخل في زمرة جلاديس لاستفادت كثيرا .. لكن ، مافائدة هذه الافكار ؟! .. ان كلير في المرات القليلة التي التقت فيها بجلاديس كانت تبدو كالحمقاء معقودة اللسان .. لا .. لا يجب ان يجري وراء هذه الافكار . ان فرصة عمله الكبرى الآن تتركز في تجربة الاختبار التي تجرى لتوني .. وهذه الفرصة ترقد الآن بين يدى كلير .. لكنه عاد ليقول لنفسه .. هذه التجربة كانت ستتم بشكل اكمل لو انها كانت بين يدى واحدة مثل جلاديس كلافري !

★ ★ ★

استيقظت كلير في صباح اليوم التالي على طرقات فوق باب حجرة نومها ، فجمدت في مكانها. لقد حرصت على تجنب توني في يومها الاول . كانت تكتفي بابتسامة مجاملة عندما كانت تلتقي به . عندما قالت « اهذا هو انت .. يا توني ؟». فسمعت صوته يقول « نعم يا سيدتي .. هل تسمحين لي بالدخول ؟ .. » قبل ان تقول نعم ، كان توني يتقدم الى داخل الحجرة في هدوء ، وقد وصلت الى انفها رائحة الطعام الذي يحمله فوق الصينية التي يحملها بين يديه . سالت باندهاش « الافطار ؟! .. » . اجاب بادب « اذا سمحت سيدتي .. »

جلست كلير فوق سريرها ، لتتلقى صينية الافطار .. البيض المسلوق .. شرائح الخبز المقدد وعليها الزبد .. واخيرا القهوة . قال توني «لم امزج القهوة باللبن ، ورايت ان احضر كلا منهما على حدة .. هذا الى حين ان اعرف رغبات سيدتي في هذا ،وفي غيره من الامور » .

★ ★ ★

بقيت كلير في جلستها ، لا تمد يدها الى الافطار ، بينما كان توني يقف في مكانه كالحارس. ثم قال بعد لحظة « هل ترغب سيدتي في تناول افطارها منفردة ؟ .. » اجابت كلير نعم .. اعني



اذا لم يكن في هذا ما يضايقك » . قبل ان ينصرف تونى قال لها « هل ستحتاج الى سيدتي ، لمساعدتها في ارتداء ملابسها ؟ .. ذعرت كلير ، وجذبت غطاء السرير الى كتفيها ، حتى كاد اناء القهوة ان ينقلب على الفراش ، وصاحت « لا .. لا شكرا ! » . ولم تهدأ الا عندما اغلق تونى الباب خلفه .

ومع هذا فقد استمتعت كلير بافطارها ، وهي تردد لنفسها .. انه مجرد آلة .. فقط لو ان جانبا من الآلات التى بداخله كان ظاهرا .. لكان هذا ابعث على الاطمئنان الكامل ..

★★★

شقت كلير طريقها بسرعة من حجرة النوم الى المطبخ بعد ان انتهت من ارتداء ملابسها . انه على اى حال بيتها هي ، ومن حقها ان تتفقد حال مطبخها .. ما ان دخلت المطبخ حتى وقفت مكانها تحملق حولها .. كان كل ما حولها يبرق ويلمع وكانه قد وصل لتوه من المصنع .. وعندما استدارت لتنصرف ، كادت ان تصطدم بتونى ، فشهقت . وسال تونى « هل يمكنني ان اساعد في شي ؟ » .

صاحت كلير وهي تحاول ان تخفي ذعرها باصطناع الغضب « تونى .. يجب أن تصدر صوتا عندما تدخل الى مكان ما .. انك تفزعني ! .. » ثم توقفت عن الحديث وقد احست بسخافة قولها، فتلفتت حولها وهي تقول « عظيم جدا .. هذا عمل كامل .. »

لو ان قسماته قد تحركت .. لو انه ابتسم .. لو انه حرك جانبا من فمه حركة خفيفة ، لكانت احست بعاطفة نحوه ، لكنه بقي منتصبا في مكانه كلورد انجليزى وهو يقول « شكرا يا سيدتي .. هل تتكرمين بالمجيء الى حجرة الاستقبال ؟ » . تبعته دون ان تتكلم ، ثم وقفت في مكانها مذهولة « هل قمت بتلميع الاثاث ؟ ! » فقال « الا يعجبك عملي يا سيدتي ؟ .. » ، لكنها عادت لتسال « ولكن متى ؟ .. » ، اجاب « ليلة امس .. » فسالت « اتعنى انك اضأت الانوار وظللت تعمل طوال الليل ؟! » . قال بهدوء « لم يكن هذا ضروريا .. لقد استخدمت الاشعة فوق البنفسجية من احد مصادرها بداخلي .. انا ارى ضوء هذه الاشعة .. وبالطبع لا احتاج الى النوم » .

لم تقل شيئا ، واخذت تفكر ، انه يستحق التقدير والتشجيع ، لكنها وسط دهشتها لم تستطع ان تقول سوى « انك وامثالك ستنهون عمل البشر في البيوت .. » ، قال تونى بلهجة تقريرية « هناك من الاعمال ما هو اكثر اهمية عندما يتحررون من هذه الاعمال ، وصناعة انسان آلي مثلي امر ممكن ، لكن من المستحيل تقليد الخلق والابداع وتنوع المواهب الذى يتميز به العقل البشرى .. مثل عقلك يا سيدتي .. »

ورغم ان تعبيرا ما لم يظهر على وجهه ، فقد اكتسى صوته بذلك الدفء الذى يكشف عن اعجابه وولائه ، مما جعل وجه كلير يحمر وهي تتمتم « عقلى انا ! .. يمكنك ان تاخذه لو اردت .. اقترب تونى قليلا وهو يقول « قولك هذا يؤكد انك لا تشعرين بالسعادة .. هل هناك ما يمكن ان اقوم به ؟ » قالت مندفعة وقد نسيت نفسها « زوجي السيد بلمونت لا ينظر لى على انني امتلك عقلا .. واذا اردت الحقيقة ، انا اعتقد ايضا انني لا اتميز بعقل راجح » . لم يكن في مقدورها ان تبكي امامه ! .. لقد احست ، لاسباب لا تدريها ان عليها مسئولية امام الجنس البشرى .. مسئولية التماسك امام هذا المخلوق المصنوع.

تماسكت كلير ، ثم قالت مستدركة « لقد حدث

هذا مؤخرا .. عندما كنا طلبة معا كان كل شيء على ما يرام .. لقد كنت اروله عندما كان في بداية طريق الحياة .. لكني لا اصلح زوجة لرجل عظيم . لقد وضع لارى قدميه على طريق المجد والعظمة .. انه يريدني ان اصبح مضيفة مثالية ، بحيث افتح له ابواب الحياة الاجتماعية .. مثل .. جه .. جه .. جلاديس كلافرى ! »

احمر انفها ، وكانت نظراتها تنطلق الى بعيد، بعيد ، لكن تونى لم يكن يراقبها .. كان ينظر حوله الى معالم الحجرة التى يقف وسطها ثم قال « يمكنني مساعدتك في تجديد البيت » ، فقالت غاضبة « لا فائدة من ذلك .. انه يحتاج الى لمسة ذوق لا تتوفر عندى .. استطيع فقط ان اجعله بيتا مريحا ، لكنني لا استطيع ان اجعل منه بيتا مثاليا في ذوقه وجماله .. كتلك التي تظهر في مجلة البيت الجميل .. »

سال تونى « هل ترغبين حقا في ان يصبح مثل تلك البيوت ؟ » . اجابت يائسة « وما فائدة رغبتي ؟ » قال تونى وعيناه مثبتتان عليها « يمكنني ان اساعدك .. » ، فسالت « هل تعرف شيئا عن فن التاثيث الداخلي ؟ .. » ، فاجاب على سؤالها بآخر « وهل هذا يدخل ضمن ما يجب ان تعرفه ربة البيت المثالية ؟ » قالت « طبعا .. » ، فقال « اذا ففي تركيبي ما يسمح بتعلمه .. هل يمكن ان توفرى لى بعض الكتب حول هذا الموضوع ؟ » ... وهكذا مضت الامور ..

★ ★ ★

كانت كلير تمسك باحدى يديها قبعتها التى يكاد الريح أن يطيح بها ، بينما امسكت بيدها الاخرى مجلدين ضخمين عن فنون البيت استعارتهما من المكتبة العامة . وعندما عادت الى البيت اخذت تراقب تونى وهو يفتح احد المجلدين، ويقلب صفحاته بسرعة شديدة .. كانت هذه هي المرة الاولى التى تراقب فيها حركة اصابعه المتقنة.. وبدافع مفاجىء ، مدت يدها وتناولت كفه تتحسس اصابعه وتمتحنها . لم يقاوم تونى ، وترك يده مسترخية بين يديها . قالت « انه لشيء ملفت .. حتى الاظافر تبدو طبيعية .. » فقال بلهجة تقريرية « هذا امر مقصود بالطبع .. الجلد عبارة عن نوع مطاطى من البلاستيك .. اما الهيكل الداخلى فمن سبيكة معدنية خفيفة .. هل تجدين تسلية في هذا ؟ » .

رفعت راسها ، فبدا وجهها متوردا وقالت « اوه .. لا .. لقد اصابني بعض الارتباك .. لاحساسي بانني اتطفل على ما في داخلك . ليس هذا من شاني ، فانت لا تتطفل على ما بداخلي..»، قال « ذلك لان قنوات عقلى لا تتضمن اى نوع من الفضول .. انى ، كما لاريب تعلمين ، اتصرف في حدودى فقط .. »

احست كلير بانقباض يشملها اثناء الصمت الذى اعقب ذلك .. لماذا تنسى دائما انه مجرد آلة ؟! هل بلغ بها افتقاد الحنان ان تبحث عنه لدى هذا الانسان الآلي ؟!

لاحظت ان تونى مازال يواصل تقليب الصفحات بسرعة ، دون ان يبدو عليه فهم ما ينظر اليه ، فانبثق داخلها شعور بالتفوق وهي تسال « انت لا تستطيع القراءة .. أليس كذلك ؟ » . تطلع اليها تونى وقال بصوت هادىء لايحمل اى تعاطف « انا اقرا الآن ياسيدتى .. » قالت وهى تشير باصبعها اشارة لاتحمل معنى « ولكن .. »فقال «انا الآن التقط صورا للصفحات ، اذا كان هذا ما تسالين عنه .. فذاكرتى فوتوغرافية » .

كان الوقت مساء ، ذهبت كلير لتنام ، بينما كان تونى ما زال يقلب صفحات المجلد الثانى ، جالسا في الظلام ، وما بدا ظلاما في نظر كلير . وقبل أن تغرق في النوم ، كان آخر ماتذكرته هو يدى تونى ..لمسة يده .. كانت دافئة رخصة .. كايدى البشر !

امضى تونى ايامه التالية ، يتصفح عددا من المجلدات والكتب عن توافق الالوان ، ومداد التجميل، النجارة ، والزخرفة الداخلية ، الفن وتاريخ الازياء . وقبل نهاية الاسبوع بدا نشاطه ، انصب هذا النشاط في اول الامر على كلير شخصيا.. طريقة قص شعرها وتصفيفه .. نوع المساحيق التى تستخدمها وطريقة رسم حاجبيها . كانت تجلس ساكنة رغم اضطراب اعصابها للمسات اصابعه الاصطناعية ، وهو يجملها امام المرآة . اخيرا ، قال تونى « بقى الكثير الذى يمكن ان نفعله فيما يتعلق بالملابس .. ولكن ، مارايك فيما تم كبداية ؟ .. »

لم تجب .. كانت تتامل صورتها الجميلة على صفحة المرآة .. صورتها الغريبة عليها بعد كل التعديلات التى ادخلها تونى على شكلها ، لم تمتمت « ممتاز .. ممتاز ياتونى !.. » .وفى



خطابها الى زوجها لارى ، لم تذكر كلير شيئا عن هذا .. كانت تريد أن تعد له مفاجأةشاملة.. وان كانت تشعر في اعماقها ان هدفها لم يكن يقف عند حدود المفاجأة .. كانت تشعر بنوع من الرغبة في الانتقام .

★ ★ ★

قال تونى ذات صباح « لقد حان الوقت للقيام بالمشتروات ، وكما تعلمين انا غير مسموح لى بمغادرة البيت ، اذا كتبت لك قوائم دقيقة باحتياجاتنا ، هل يمكن أن تتولى الشراء ؟ .. نريد ستائر ، واقمشة جديدة لكساء الاثاث ، وورق حائط ، وطلاء ، وبعض الملابس الخاصة بك .. ثم عدة اشياء صغيرة اخرى .. » فقالت «ولكن من اين لى النقود اللازمة لشراء هذا كله ؟» اجاب « يمكنك المرور اولا على الدكتورة كالفن باتحاد صناعة الانسان الآلى ، وتطلبين المال اللازم لشراء هذه الاشياء التي تدخل في صميم التجربة التي نقوم بها .. ساكتب لها ورقة بذلك .. »

عندما دخلت كلير على الدكتورة كالفن في مكتبها لم تشعر نحوها بنفس ما احست به من ضيق في اللقاء الاول . لقد تبدلت شخصية كلير ، بملابسها الجديدة ، وطريقتها الجديدة في التزين . اصغت بانتباه الى حديث العالمة النفسية ثم سالت بعض الاسئلة ، ثم وجدت نفسها تغادر المبنى تحمل شيكا بالمبلغ المطلوب .

كم كان عجيبا سحر هذا المال .. لقد فتح امامها ابواب اكبر المتاجر . وفى احد المتاجر الراقية طلب منها البائع المتعالى مزيدا من التفاصيل حول النسيج الذى طلبته . اتجهت الى التليفون وطلبت رقم منزلها ، ومدت السماعة للبائع وهى تقول « يمكنك ان تسال عن كافة التفاصيل .. من سكرتيرى .. » . بوقار شديد مد الرجل يده وتناول السماعة في رشاقة وقال «نعم .. » ، وفترة صمت ثم «نعم .. » وفترة صمت اطول ثم بصوت يعكس تقديره لصاحب الصوت قال « نعم ياسيدى .. » ووضع السماعة وهو يقول « اذا سمحت سيدتى .. فلتتفضل لاقدم اليها كل ما تطلبه .. »

قالت كلير « لحظة من فضلك .. » ، وعادت الى التليفون تطلب رقم منزلها ثم قالت «هالوتونى .. لا اعرف ما قلته في التلفون .. لكن كلامك كان له مفعول السحر .. انت ياتونى .. »وتلعثمت قليلا قبل ان تقول له باندفاع « انت عزيزجدا !».

عندما استدارت بعد وضع السماعة ، كانت جلاديس كلافرى تقف خلفها ، يبدو عليها الاستمتاع الذى يغلب عليه الاندهاش وهى تتطلع الى كلير . وامالت راسها الى جانب وهى تقول بلهجة لايمكن ان تخطئها « لم اكن اعلم انك تبتاعين حاجاتك من هذا المتجر .. » ، وكان هذا المتجر الراقى قد فقد جانبا من اهتمامهبدخول كلير اليه . اجابت كلير بتواضع « بالفعل .. لا اشترى منه عادة .. » ولكن جلاديس واصلت الحديث قبل ان تنصرف كلير ، فقالت« يخيل الى انك اجريت تعديلا في طريقة تصفيف شعرك .. كم هو جميل هكذا .. ولكن ، ارجو ان تتجاوزى عن فضولى .. اليس اسم زوجك هو لارى ؟ .. اصطكت اسنان كلير ، لكنها احست بضرورة تقديم تفسير فقالت « تونى صديق لزوجى .. وهو يساعدنى في اختيار بعض المشتروات .. » فقالت جلاديس وعلى فمها ابتسامة تحمل دفء العالم « مفهوم .. كم هو عزيز فعلا ! ! .. »

★ ★ ★

« كنت حمقاء تماما .. » قالتها كلير وهى تبكى امام تونى ، « انها تفعل هذا معى دائما .. لاادرى لماذا ؟ كان الافضل ان اضربها اواركلها.. كان الافضل ان اطرحها ارضا والقى بنفسى فوقها » . فسال تونى « هل يمكن لانسان ان يكره انسانا آخر بهذا القدر ؟ .. هذا الجانب من التصرف البشرى لا افهمه » ، فقالت « جلاديس ليس جوهر المشكلة .. انه انا .. جلاديس هى كل ما اتمناه لنفسى ، على الاقل من الخارج لافائدة .. لقد فشلت في هذا .. » . جاء صوت تونى خافتا وقويا « يمكنك تحقيق ذلك ياسيدتى.. مازال امامنا عشرة ايام .. سيتحول بعدهاالبيت

الى شيء آخر ..» ، فتساءلت « وما علاقة هذا بمشكلتي التي اتكلم عنها .. كيف سيكون في هذا حل لمشكلتي ؟! » .

قال تونى بثقة « وجهي اليها الدعوة ، هنالك بيتك .. وجهيها لكل اصدقائها .. وليكن هذا في الليلة السابقة لرحيلي .. سيكون الحفل بمثابة افتتاح رسمي للتجديدات التي نقوم بها.. قالت يائسة « جلاديس لن تجيء ! .. » ،فقاطعها قائلا « بل ستجيء .. ستجيء لتسخر منك .. لكنها لن تنجح في هذا .. » فكرت كلير بعمق ثم قالت « هل تؤمن بهذا ؟ .. اوه ياتوني ، هل سانجح ؟» .. كانت الآن تمسك بيديه بين يديها، وهي تشيح بوجهها بعيدا ، قائلة « لكن ما فائدة هذا ؟ . لن اكون انا التي انتصرت .. ستكون انت الذي فعل كل شيء .. لا .. لا يمكنني ان ابنى نجاحي واقفة فوق اكتافك !.. » قال تونى هامسا « لاأحد يعيش بمفرده .. لقد زودوني بهذه المعلومة .. ماترينه في جلاديس كلافرى ، او ما يراه فيها الناس ، ليس هو بالضبطجلاديس كلافرى .. انها تقف فوق اكتاف ، ما لديها من مال ، وماتتمتع به من وضع اجتماعي .. انت رقيقة صدوقة لاتفرضي نفسك .. اما السيدة كلافرى ، فهي بناء على الوالك لاتبدو كذلك .. لااتصور نفسي اطيعها بنفس الطريقة التيءاطيعك بها .. انه انت من يفعل كل شيء ياسيدتي .. ولست انا .. » . سحب يده من يديها ، فتطلعت متعجبة لوجهه الذي لايحمل تعبيرا .. واحست فجاة بالخوف من جديد .. لكن خوفها الجديد لايشبه خوفها السابق منه .واندفعت مسرعة الى الحمام ، تضغط على اصابع كفيها المتشابكة.. دون ان تنجح في التخلص من الشعور بالدغدغة التي تركتها اصابعه في كفيها .

* * *

صباح اليوم التالي ، احست ناحيته بشيء من الخجل وهي تتابعه عن قرب .. في انتظار مايمكن ان يحدث بينهما .. ولفترة طويلة ، لم يحدث شيء ! ..

كان تونى منهمكا في العمل ، بمهارة لاتوحي بانه يواجه اية مشكلة او يبذل جهدا .. ظل يعمل طوال الليل ، لكنها لم تكن تسمع لعمله صوتا .. وفي كل صباح كان تلمس العمل الضخم الذي انجزه . حاولت ان تساعده ذات مرة ، لكن غلاظة أدائها البشرى جعلتها تتوقف عن المحاولة . كان تونى في الحجرة المجاورة ، فحاولت ان تعلق احدى الصور في الموقع الذي حدده لها تونى بعملياته الحسابية .. كانت العلامة واضحة ، والصورة في يدها ، وداخلها رغبة شديدة في تخطى حواجز العجز ، والثورة عليها .

لكنها كانت عصبية ، او ان السلم لم يكن مستقرا ، ليس هذا هو المهم .. الذي حدث انها وجدت السلم يتداعى من تحتها ، فصرخت .وفي سرعة تتجاوز سرعة البشر ، كان تونى يقف الى جانبها يتلقف جسدها بين ذراعيه قبل ان تسقط .. لم تقل عيناه الداكنتان شيئا، لكنه سأل بصوته الدافيء « هل اصابك ضرر ياسيدتي ؟.. » لاحظت للحظة ان يدها وهي تسقط قد اطاحت بخصلة من شعره المصفوف ، وتبينت للمرة الاولى ان شعره يتكون من شعرات خفيفة منظمة الى جوار بعضها .. شعر اسود جميل ..

وهنا .. احست فجاة بذراعيه حول كتفها وتحت ركبتها ، تحتضنانها بقوة ودفء . دفعته وهي تبتعد ،وصدى صرختها يتردد عاليا في اذنيها .. وامضت بقية اليوم في حجرتها .. لم نامت بعد ان وضعت مقعدا مقلوبا تحت مقبض باب الحجرة ، يمنع فتحه من الخارج !

* * *

ارسلت كلير الدعوات للحفلة التي ستقيمها في بيتها .. وكما توقع تونى ، قبل الجميع الدعوة . وعندما حلت الامسية المنشودة ،كانت معالم البيت قد تغيرت .. قبل موعد الحفل اخذت تتجول في البيت للمرة الاخيرة ، تتطلع الى التغيرات التي دخلت على كل حجرة من حجراته.. هي نفسها قد تغيرت .. لقد كانت ترتدي من الملابس مالم تكن تجرؤ من قبل على ارتدائه. تساءلت .. ماذا سيقول لارى عند عودته؟..لكنهذا لم يكن يهمها حاليا .. فايام حياتها المثيرة لم تحدث مع لارى .. لقد جرت مع تونى ! اليس هذا غريبا ؟!

* * *

دقت الساعة الثامنة ، وتصاعد انفعالها وهي

تقول لتونى « سيبدا توافدهم بعد قليل • يحسن ان تمضى الى المطبخ ، فلا اعتقد انه من المناسب ان •• » ، وتلعثمت للحظة ، ثم قالت بصوت ضعيف يفيض حرارة « تونى ! •• » ، ثم بصوت اعلى « تونى ! •• » ، ثم فى صوت اقرب الى الصراخ « تونى ! »

كانت ذراعاه تحوطانها ، ووجهه قريب من وجهها ، وضغط احضانه لا يقاوم ، ووصل اليها صوته من وسط ضباب مشاعرها المختلطة « كلير•• هناك اشياء عديدة لم اصنع لادركها •• ولا بد ان ما يجرى بيننا واحد من هذه الاشياء ، ساترك البيت غدا ، لكنى لا ارغب فى هذا • اشعر داخلى بما هو اكثر من مجرد الرغبة فى ارضائك •• اليس هذا غريبا ؟! » •

اصبح وجهه اكثر اقترابا ، وكانت شفتاه دافئتين ، لكن بدون انفاس تتردد بينهما •• واقتربت الشفتان حتى كادتا تلامسان شفتيها ••

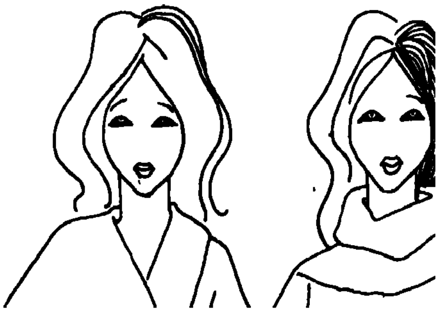
ثم رن جرس الباب ••

للحظة ، جاهدت ان تنفلت من احضانه •• لكنها وجدته يختفى سريعا من امامها •• كان جرس الباب ما زال يرن بالحاح •• وكان الستار المسدل على زجاج الباب من الداخل مزاحا من مكانه ! ، لقد كانت واثقة من ان الستار كان مسدلا منذ ربع ساعة فقط ! • لا بد أن الضيوف قد شاهدوها بين احضان تونى ••

★ ★ ★

دخلوا البيت جميعا دفعة واحدة ، وعيونهم العادة الثاقبة ترشق جوانب المكان •• لا بد انهم راوها مع تونى •• ماذا يا ترى ستقول جلاديس عن هذا • واحست انها تسقط فى حالة من الياس والتداعى ••

نعم •• انه ليس هنا •• مسافر فى مهمة تتصل



بعمل وسيعود غدا على الاغلب •• لا ، لم اكن وحيدة طوال غيابه •• لقد استمتعت بوقتى •• هكذا جاءت اجاباتها على اسئلة الضيوف بينما ضحكاتها تتردد عالية •• لماذا لا « •• ما الذى يمكن ان يفعلوه او يقولوه لزوجى ؟! •• لارى يعرف الحقيقة •• وهى واثقة انه سيضحك منهم، اذا ما نقلوا اليه قصة ما شاهدوه عند دخولهم••

لكن جلاديس لم تكن تضحك لضحكها •• ومن خلال كلماتها المذوقة الزائفة ، ظهر الغضب والغيظ فى عينيها •• وتاكد من الحاحها اكثر من مرة على مغادرة الحفل مبكرا •• وعندما انصرفت فى آخر الامر مع بعض الضيوف •• استطاعت كلير ان تلتقط جانبا من الهمسات المترددة « لم أر شيئا هكذا من قبل •• كم هو انيق ووسيم !! » •

بعد انصرافهم كانت كلير تقول لنفسها •• دعيهم يغرفون ويهرفون •• دعى القطط تموء غيظا •• فمع كل ثرائهن واناقتهن ، ليس لاى منهن حبيب فى اناقة ووسامة حبيبها •• ثم تذكرت وهى فى اوج فخرها وزهوها ان تونى ليس اكثر من آلة •• فاحست برعشة تسودها،فانخرطت فى نوبة من البكاء وهى تتجه الى حجرتها •• حيث بقيت طوال الليل والصباح التالى فوق الفراش مفتوحة العينين لا تتوقف عن البكاء •• الى ان هدات حركة المرور ، ثم سمعت صوت السيارة التى قدمت لنقل تونى ••

مر لارى زوج كلير على مكتب دكتورة كالفن ، فوجدها مع العالم الرياضى بيتر بوجارت •• كان يود ان يجدها بمفردها ، لكنه لم يتردد فى ان يقول لها « لقد اخبرتنى كلير ان الاتحاد هو الذى دفع تكاليف الاصلاحات فى بيتى •• » فقاطعته دكتورة كالفن قائلة « لقد ادرجنا المبلغ كمصروفات اساسية وضرورية للتجربة •• واعتقد انك بمركزك الجديد ككبير مهندسى المشروع ، سترى البيت لائقا بشكله الجديد •• »

قال لارى « ليس هذا هو ما يشغلنى •• اذا وافقت واشنطن على المشروع ، افكر فى ان اقتنى انسانا آليا فى هذا الطراز فى العام المقبل •• اعتقد ان •• » ، ثم تردد ، واستدار كما لو كان سينصرف ، ثم عاد ليواجه دكتورة كالفن صامتا، فسالت « هل هناك مشكلة يا سيد بلمونت ؟••»

قال لارى وهو يجد صعوبة فى اختيار كلماتــه « اعتقد ٠٠ فى الحقيقة انا مندهش لما حدث فى البيت فهى ٠٠ اعنى كلير ٠٠ تبدو مختلفــة نهائيا ٠٠ ليس فقط من حيث المظهر ٠٠ ومــع هذا ٠٠ الحقيقة اننى مندهش ! » ، وضحــك ضحكة عصبية وهو يستطرد « انها ليست زوجتى التى عرفتها ٠٠ من الصعب على أن اشــرح ذلك » ٠

سالت دكتورة كالفن « لماذا ؟ ٠٠ حاول ٠٠ هل انت غير راض عن التغيير الذى حدث لها ؟» صاح لارى « بالعكس ٠٠ لكن الامر يبدو مخيفا بعض الشيء ٠٠ الغـريب فى ٠٠ » ، قاطعتــه الدكتـورة كالفــن قائلة « لــو كنت مكانك لما اصابنى القلق يا سيد بلمونت ٠ لقد استطاعت زوجتك ان تطور نفسها بشكل طيب ٠٠ صراحة لم اكن اتصور انها كانت تستطيع اكمال التجربة ٠٠ لقد افادتنا فى تحديد ما يجب أن يدخل على التجربة من تحسينات ٠٠ اعتقد ان زوجتك تستحق منك مزيدا من التقدير ٠٠ اكثر مما تبديــه حاليا ٠٠ » ٠

احمر وجه لارى بوضوح وهو يتمتم « على العموم ٠٠ طالما ان الامر فيما بيننا ٠٠ ثــم انصرف !

★ ★ ★

لاحقته سوزان كالفن بنظراتها وهو ينصرف ، ثم قالت لزميلها العالم ، « اعتقد انهـا تجـربة صعبة بالنسبة له ٠٠ اتمنى ان ٠٠ هل قرات التقرير ٠٠ الذى قدمه تونى عن مهمته ٠٠ يا بيتر ؟ »

قال بيتر بوجارت « بكل دقة ٠٠ الا تعتقدين ان هذا الطـراز من الانسان الآلى يحتـاج الى بعض التعـديلات الاساسية ؟ » سالت دكتـورة كالفن بحدة « انت ايضا تتصور ذلك ؟! ٠ ما هى وجهة نظرك ؟ ٠٠ » « قال بوجارت لست فى حاجة الى اثبات ذلك ٠٠ الامر يبدو فى منتهــى الوضوح ٠٠ لا يمكن ان ننتج نماذج من الانسان الآلى ، تنطلق الى البيوت ٠٠ لتقع بعد ذلــك فى حب ربات البيوت ! ٠٠ »

« حب ؟ ! ٠٠ » صاحت دكتورة كالفن مستنكرة، ثم استطردت « بيتر ٠٠ انت تمرضنى بكلامك هذا ٠٠ انت بالفعل لم تفهمَ الموضوع ٠٠ هذه الآلة كانت ملتزمة بان تسير فى تصرفاتها وفقـا للقانون الاول ٠٠ وهكذا لم يكَن فى استطاعة تونى ان يتسبب فى ضرر لبشر ٠٠ وكلير بلمونت لحقها كل الضرر من جانب زوجها الذى كان يسعــى لاشعارها بعدم التكافؤ بينهما ٠٠ فتولد لديهــا شعور بالنقص ، لهذا لعب تونى دور الشريــك فى علاقة عاطفية معها ٠٠ اخبرنى يا بيتر ، من هى المراة التى لا تشعر بالفخر لاستطاعتها ان تشعل العاطفة فى آلة ! ٠٠ آلة باردة جدا ٠٠ لقد قام تونى بازالة ستائر الباب عمدا ، حتى يرى الاخرون موقفه معها ويحسدوهـا عليه ٠٠ وفى هذا ايضا كان يلتزم القانون الاول ٠٠ اذ انه بالطبع لم يلحق بها ضررا فى علاقتها بزوجها ٠٠ فهو يعلم ان الزوج لن يتاثر بما قد يصله من اقاويل او اشاعات ٠٠ حول علاقة بينها وبين الشخص الذى لمحوه فى بيتها ٠٠ تونى ! ٠٠ اعتقد يا بيتر ان تونى كان فى هذا على درجة مــن المهارة ٠٠ »

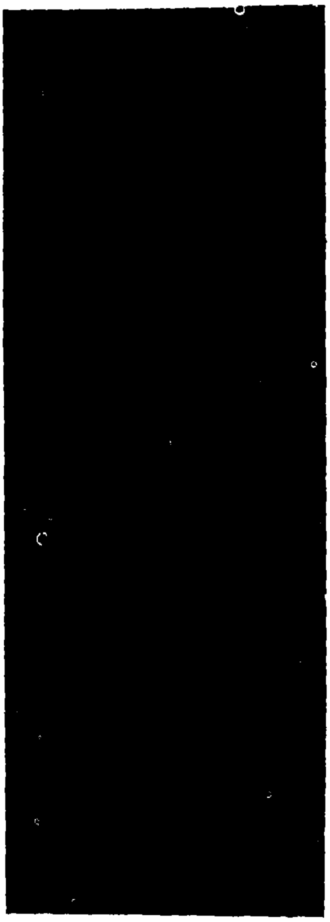
قال بوجارت متشككا « هل تعتقدين ذلك ؟ ٠٠ على اى الاحـوال ٠٠ ليس هنـاك فارق بين ان يكون الامر حقيقيا ، او مجرد تظاهر وتمثيل ٠٠ فما زالت لهذا الوضع عواقبه المخيفة ٠٠

ارجو ان تقرئى التقرير مرة ثانية ٠٠ لقـد تجنبته ! ٠٠ لقد صرخت عندما اخذها بــين ذراعيه! انها لم تنم طوال الليلة الاخيرة والنهار الاخير ، نتيجة لحالتها الهستيرية ٠٠ لا ! ٠٠ لا يمكن ان نسمح بهذا ! »

تنهدت دكتورة كالفن ، وقالت بصوت هادىء « انت لا ترى يا بيتر ٠٠ لقد غابت عنك الحقيقة، كما غابت عنى من قبل ٠٠ هذا الطراز مــن الانسان الآلى سيعاد بناؤه كلية ٠٠ ولكن ليس للاسباب التى تذكرها ٠٠ بل لعكسها تماما ! الغريب ، ان تغيب عنى هذه الحقيقة فــى اول الامر ٠٠ » ، وصمتت للحظة وقد ظهرت عليهــا علامات التفكير العميق ، ثم قالت مستطردة « لعل هذا راجع الى قصور فى تكوينى انا شخصيا ! اسمع يا بيتر ٠٠ الآلات لا تقع فى الحب ٠٠ لكن ايا كان ذلك الحب ، يائسا أو مخيفا ٠٠ فالنساء يمكنهن ان يقعن فيه! ٠٠ » ■■

راجى عنايت

البحوث الروحية



● لقد قرات فى مجلتكم لهذا الشهر مقالا بعنوان (البحوث الروحية بين الخدعة والحقيقة) بقلم الدكتور عبد المحسن صالح ذكر فى آخره بان مسالة الروح امر ينفيه العلم وينفيه الدين ايضا وانا من المؤيدين لهذا الراى ولكن اود ان اذكر لكم بانى سبق ان زرت احد الانكليز الذين يحضرون الارواح عندما كنت طالبا باحدى كليات مانجستر بانكلترة خلال الحرب العالمية الثانية وسالته عن سبب عدم استلامى رسالة من اخى فى بغداد منذ مدة طويلة فاجابنى بقوله هل تقصد اخيك المدعو فلان بن فلان فقلت له نعم فقال لى انه ليس فى بغداد فى الوقت الحاضر وانما هو فى اوتيل كونتننتال فى القاهرة فاستغربت من كلامه هذا وتركته ولكننى فوجئت بعد بضعة ايام عند استلامى كتابا منه من القاهرة موضحا لى فيه بقوله اخى فلان . انا الان فى القاهرة فى اوتيل كونتننتال آسف لعدم مراسلتى اياك منذ مدة طويلة لانشغالى بمهمة رسمية الى آخره ..)

فما رايكم بمثل هذه التنبؤات وكيف عرف اسم اخى واسم الاوتيل الذى يسكن فيه وكيف عرف بانه فى القاهرة وليس فى بغداد هل كان ذلك على سبيل الصدفة ام هناك أسباب اخرى ؟

المخلص
م . ص . بغداد

التضخم والغلاء

● الفرد العربى شانه شان جميع الناس فى العالم ، يشكو من ظاهرة الغلاء التى اخذت تتصاعد كل يوم .. وهذه الظاهرة التى يسميها الاقتصاديون «التضخم» لاشك تشغل ذهن الناس فى العالم الثالث بصفة خاصة ، وكم هو جميل لو يتناول الاعلام العربى هذه الظاهرة بالتحليل والتبسيط كى تصبح مفهومة من كل فرد .. لان الغلاء لا يستثنى من غوله احدا .

هذه دعوة موجهة لاجهزة الاعلام العربية لتقوم بتسليط الاضواء على هذه الظاهرة .

سمير محمد أسعد
عمان / الاردن .

الاكاديمية العربيـــة للنقل البحرى

■ استجابـة لاستفسارات القراء الكثيرة التى وردت الى المجلة عـن شروط الالتحـاق بالدراسات الاساسية بالاكاديمية العربية للنقل البحرى ، فقد وافانا مسجل الاكاديمية بهـذه الشروط وهى :

اولا

ـ ان يكون الطالب متمتعـا بجنسية احـدى دول جامعـة الدول العربية او موفدا على احـدى منـح جامعة الـــدول العربيـة .

ـ ان يكون الطالب حسـن السير والسلوك ولم تصـدر ضده اية احكام قضائية .

ـ الا يكون الطالب متزوجا، وان يتعهد بعدم الزواج اثناء الدراسة .

ـ الا يزيد سن الطالب عن ٢٢ عاما عند الالتحاق .

ـ ان يكون حاصلا علـى شهادة اتمام الدراسة الثانوية وان يكون ناجحا فـى مـواد الرياضيات واللغة الانجليزية والفيزياء .

ـ ان يتعهد باتباع النظـم والتقاليد الخاصة بالاكاديمية.

ـ ان يقدم كافـة الاوراق المطلوبة للالتحاق وهـى :

ـ طلب الالتحاق بالاكاديمية (معتمد من جهة ايفاده) .

ـ المستخرج الرسمى مـن شهادة الميلاد (قيد النفوس).

ـ صحيفة الحالة الجنائيـة (السجل العدلى) .

ـ استمارة النجـاح فى الثانوية العامة .

ـ الشهادة الدالة علـى الخدمة البحرية (ان وجدت).

ـ ان يجتـاز امتحانـات القبول ـ التى قد ترى الاكاديمية عقدها ـ وفوق المستوى الذى تحدده الاكاديمية .

ـ ان يسـدد مصروفـات الدراسـة المقـررة قبل بـدء الدراسة .

ثانيا

ـ الشروط العامة للياقـة الطبية .

وارحمتاه للعرب

■ افتتاحية العدد الممتـاز فيها تذكرة تنفع العـــرب اجمعين ... رئيس التحريـر توخى فيها ان يطلق اسـم « التمزق العربى » على العام المنصـرم ... ولـكن هـذه التسمية يمكن ان تطلق على القرن العشرين ، ما مضى منه وما هو آت . وما بقـى منـه الا القليل . وهذا القليـل ينذر بشر مستطير ...

عجلة الزمن دارت بالعرب الى امام حتى الثلاثينات ولكنها تراجعت بعدئذ الى ما وراء . وبالتحديد بعد ظهور الثروة النفطية . اذ تكالبت عليهـم جميع القوى ، ونصبت لهـم الافخاخ فوقعوا فيها ، وهـم عنها لاهون بفتات هذه الثروة ـ اياها ـ واضعين فى آذانهم وقرا لرنـين الآية الكريمة : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

ووارحمتاه للعرب حتـــى « يغيروا ما بانفسهم » !

مصطفى الغشن

مصياف ـ سوريا

خطأ

● حدث خطا فى الكلمات المتقاطعـة التـى نشرت فـى مسابقة العدد ٢٣٢ (مارس) على الصفحة ١٥٠ اذ سقط سطران هما :

ـ افقى رقم (١٠) ـ اجل تطلع ، اظهرنا .

ـ رأسى رقـم (١٢) ـ واقية ، ارق ، حرفان متشابهان.

وسوف يراعى ذلك عنـد فرز الاجابات . لتتاح للجميع فرصة حل الكلمات المتقاطعة وهى مصححة .

(المحرر)

المناسك التى تعلمها أبو حنيفة النعمان

● قرات فى العدد ٢٢٩ من مجلتكم مقال الدكتور عبدالعزيز كامل (حوار فى المرآة) ولفت نظرى ما ذكره عن الامام الاعظم «أبى حنيفة النعمان» من انه تعلم من الحلاق على جنل المروة اربعة مناسك من الحج ، ومن المعروف ان المناسك التى تعلمها يومذاك خمسة ، والخبر اورده الأديب ابوحيان التوحيدى فى كتابه (البصائر والذخائر) المجلد الثانى صفحة ١٥٥ طبعة دمشق ، اورده تعميما للفائدة وهو كما يلى : ـ

قال وكيع : قال لى ابو حنيفة النعمان ثابت : اخطات فى خمسة ابواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجام . وذلك انى جئت اريد ان احلق راسى فقال لى : اعراقى انت ؟ قلت نعم ، وقد كنت قلت له : بكم تحلق راسى ؟ فقال : النسك لا يشارط فيه ، اجلس فجلست منحرفا عن القبلة ، فاوما الىّ باستقبال القبلة ، وادرت راسى من الجانب الايسر ، فقال : ادر شقك الايمن من راسك ، فادرته فجعل يحلق وانا ساكت ، فقال لى : كبر ، فجعلت اكبر حتى قمت لأذهب ، فقال : اين؟ قلت رحالى فقال : صل ركعتين ثم امض ، فقلت ما ينبغى ان يكون ما رايت من عقل هذا الحجام الا ومعه علم ، فقلت له : من اين لك ما رايتك فقال : رايت عطاء بن ابى رباح يفعل هذا .

عبد الرحمن بركات
دمشق

مؤتمر علماء المسلمين

■ لم تكن النتائج التى انتهى اليها مؤتمر علماء المسلمين الذى عقد مؤخرا فى الازهر ، فى المستوى المأمول فالتوصيات والقرارات كما ذكر الاستاذ محمد عبدالله السمان فى العدد ٢٣١ من العربى ، لا تعدو ان تكون حبرا على ورق وهى ليست ملزمة للدول الممثلة فى المؤتمر ..

ومع هذا كله يجب علينا ان نعترف بفائدة مثل هذه المؤتمرات ـ حتى ولو جاءت هذه الفائدة اقل من طموحاتنا كمسلمين .. ويكفى ان نرى علماء المسلمين وقد جاءوا من اقصى بلاد المعمورة ليجتمعوا على مائدة واحدة وتحت سقف واحد .

والاعوام القليلة التى مرت منذ انعقاد المؤتمر الاول تدعونا للتفاؤل والامل باننا سوف نحصد خيرا من وراء مثل هذا المؤتمر .

محمد أحمد السواس

مرض البلهارسيا

اود ان الفت النظر الى بعض ما ورد فى مقال الدكتور ماهر الصراف تحت عنوان (صناعة المرض) الذى نشر فى العدد ٢٢٧ من مجلة العربى .. فقد ذكر الكاتب فى معرض حديثه عن مرض البلهارسيا ان اسم الدواء الذى يرش فى المستنقعات هو « البايلوسين » والذى اعرفه ان هذا الدواء هو « البايلوسيد » Baylu-scide وهو من توزيع منظمة الصحة العالمية .. كما اضيف ان اسم القوقع الذى يشكل حلقة من حلقات دودة البلهارسيا هو Bulinus Truncatus اقول هذا للامانة العلمية فحسب .

عدنان الحمدان
مركز البلهارسيا
سوريا

مزيدا من الزيادة

● واخيرا استجبتم لالحاح قراء مجلتكم ، فزدتم الكمية المطبوعة من العربى ولكن هذه الزيادة لم تشف غليل كل القراء فهناك الكثير من القراء مازالوا يتضورون جوعا لقراءتها .. يبحثون عنها فيواجههم الجواب المألوف ... نفدت الكمية .

فبالله عليكم مزيدا من الزيادة لتصبح العربى فى متناول القراء جميعا .

سعيد محمد أحمد رفاعى
ـ مصر

دراسة الشهر

حرب العصابات تنتقل الى المدن

رسالة من باريس : ليلى خليل



علم المنا، ظهر ، منهم واحد دفن فى

■ تفاقمت ظاهرة العنف والارهاب التى يشهدها العالم ، ودفعت خطورة هذه الظاهرة الرئيس الفرنسي فاليرى جيسكار ديستان الى تشكيل لجنة تضم عددا من الخبراء برئاسة وزير العدل آلان بيرفيت •

وقدمت اللجنة دراسة بالغة الاهمية حول الارهاب وجذوره وكيفية مواجهته •• ؟

وكشفت الدراسة حقائق مذهلة ، وابعادا جديدة لتعقد الحياة المعاصرة وتغذيتها المستمرة لظاهرة العنف والارهاب ••

ورغم ان الدراسة اتخذت المجتمع الفرنسي مادة لها ، الا ان الانسان وتحديات العصر هما محورها الرئيسي ، وكشفت العديد من الاخطار التى تهدد كل المجتمعات فى ظل عالمية وسائل الاتصال ••

فى مقدمة الدراسة اشارة الى السنوات العشر الاخيرة بين عام ١٩٦٧ و ١٩٧٧ ، وانها شهدت ارتفاعا ملحوظا فى عدد الجرائم ، يضاف الى العنف الذى اصبح السمة المميزة للحياة اليومية، وما خلفه من شعور عميق بعدم الامن ، والاعتقاد ان الاساليب المتبعة لنيل الحقوق لا تبعث على



نكر بعضهم فى شتى الثياب .. من جوارب النساء ، الى كوفية الفلسطينين .. فى المانيا الغربية .

نثان ، مما دفع البعض للبحث عن تحقيق
ة بنفسه ..

ززت الدراسة حول اسلوب علاج هذا القلق
يسود المجتمع ، وللانصاف صاحب العنف
ن فى مسيرته الطويلة وهو ليس وليد
الحديث • وظهر بصورة حادة فى المجتمعات
كظاهرة ناتجة عن المنافسة ..

ولا يوجد مجتمع اكثر عنفا من مجتمع هوميروس، ولا حياة اكثر خطورة من حياة الاغريق ، وايضا ما نشب من صراعات ضد الاقطاع .. وثورات الفلاحين .. والحروب الصليبية .. وما شهدته فرنسا فى عهد شارل السادس وشارل السابع .. وخلال الحروب الدينية، وفظاعة العنف الذى شهدته الثورة الفرنسية ، ويمكن القول ان التاريخ نسج

من خيوط هذا العنف الذى اتصل فى غزو المناطق المقدسة ، وحرب المائة عام ، وحروب النهضة ، وملحمة نابليون،ثم المنافسات الاستعمارية المسلحة بين دول اوروبا والتى كانت ذروتها الحرب العالمية ..

ولكن فى هذه المرحلة التى استطاع فيها المجتمع ان يصل الى العقلانية ، الم يحن الوقت للقضاء على العنف ، او على الاقل حصره ؟

ان العنف يبعث فى الانسان قلقا دفينا ، فهو لا ينفصل عن تعقد النظام الاجتماعى . فلا يوجد ماهو اكثر نسبية ، واكثر تقيدا ، واكثر اختلافا كالعنف .. فهو احيانا وسيلة للوصول الى غاية محددة ، واحيانا اخرى « عنف بالمجان » اى غاية فى ذاته ..

والعنف ليس فقط فعلا ، ولكنه ايضا حالة ، يوجد عنف ناتج عن حالة الدفاع عن النفس،وعنف كامن فى بعض الالعاب الرياضية ، وهذه الظاهرة المختلفة من العنف يمكن ان تؤدى الى خلط بين مظاهر القوة والعدوان ..

والخيط الذى تتبعه الدراسة هو العنف الناتج عن « الشعور بعدم الامان » الذى ساد فى الفترة الاخيرة ، وفى هذا الاطار تقدم الدراسة «بانوراما» عن مظاهر العنف المختلفة فى المجتمع المعاصر ، العنف الاجرامى ، العنف الاقتصادى ، العنف فى العمل ، مظاهر العنف المقبولة فى الرياضة ،العنف الشرعى خلال الحروب،واخيرا الارهاب السياسى.

وحصرت الدراسة الظواهر الثلاث التى تهدد المجتمع بارتفاع الاسعار والبطالة والعنف .

وترى اللجنة ان الضغط السكانى يتسبب فى ٨٣٪ من حالات العنف ..

والمعدل الكبير للحياة المعاصرة يؤدى الى ٨١٪من حالات العنف ، بينما ٧٩٪ من الحالات بسبب عدم وجود عدالة اجتماعية ، و ٧٩٪ من حالات العنف بسبب اغراء المال ، وتؤدى البطالة الى ٧٢٪ من الحالات .. وهذه النسب طبقا لعينات مختلفة ، وتحاول كل منها ارجاع العنف لسبب رئيسى يختلف عن الآخر ..

وعجز اجهزة الدولة من اهم اسباب العنف ، فمثلا كانت حالات خطف الطائرات ، وما يصحبها من شلل كامل فى اجهزة الدولة،تصبح عنده السلطة عاجزة وغير قادرة على المحافظة على امن مواطنيها، مما يبعث على القلق الجماعى ، فالحياة المعاصرة تتغير بسرعة ، والحكومات لم تستطع التحكم فى هذا التطور الهائل ، مما يؤدى الى اشاعة القلق ويغذى الشعور بالوحدة ، ويؤدى فى النهاية الى الانتحار ..

وقد صرح ٦٩٪ من العينات التى كانت محل دراسة ، انهم لا يلجاون الى الشرطة لحل مشاكلهم لانهم لا يثقون فى امكانية الوصول الى حقهم ، مما ادى بـ ٢٠٪ للتدريب على « العاب الكاراتيه » و«الجودو»حتى يحصلوا على حقوقهم بانفسهم،وان ١٢٪قد احكموا اغلاق ابواب منازلهم، واصبح ٦٠٪ من السكان يملكون اسلحة مرخصة للدفاع عن انفسهم ..

وتوصلت الدراسة الى ان البعض يطلقون النار على بعض الاشخاص لمجرد قيامهم ببعض الضوضاء، ويعود ذلك الى حالات الضيق والتوتر والقلق ..

والملاحظ ان العنف اخذ فى النمو بمعدلات متقاربة فى جميع الدول الصناعية ، فيما عدا اليابان ، وان نسبة اشتراك المراة فى العنف ما زالت ضعيفة ، وان كانت النسبة قد ارتفعت فى السنوات الاخيرة ..

ودلت الدراسة على ان ٢٥٪ من السكان تواتيهم الرغبة فى ضرب انسان ـ اى انسان ـ مرة على الاقل كل اسبوع ، واعترف نصف سكان العاصمة « باريس » ، انهم يتعاركون بشكل مستمر مع احد افراد العائلة ، ويمكن ملاحظة هذه الرغبة فى القيام باعمال العنف فيما يكتب على لوحات الاعلان، وما يشاهد من تخريب للاجهزة العامة فقد سجل عام ١٩٧٦ ان ٣٢ الفا و ٤٠٠ جهاز تليفون عام تم تحطيمها وسرق ١١٥١ جهاز ، وان الانتحار يمثل حالة من حالات العنف الشديد ، والذى يوجه فيه العنف الى الذات ، وان نسبة الوفاة نتيجة الانتحار تاتى فى المرتبة الثانية بعد الوفاة الناتجة عن الحوادث ..

واذا كان الانتحار عنفا موجها للذات ، فتعاطى الخمور والادمان نوع مماثل لهذا العنف .

ماهى الاسباب والدوافع لاعمال العنف .. ؟

الاسباب والدوافع مسالة مثيرة ومعقدة، وتحتاج الى جهود القاضى ، والطبيب ورجل البوليس والسياسى .. ، ويجب ان تسير كل هذه الجهود جنبا الى جنب ويكمل بعضها بعضا ، فيرى بعض ان العنف هو شذوذ فرد اومجموعة وخروجها عن

● حرب العصابات تنتقل الى المدن

العنف على اغلفة
الصحف العالمية ..

اللائق .. بينما يرى فريق آخر .. ان العنف هو لمار المجتمع،ورفضت الدراسة ان تقف الى جانب هذا الراى او ذاك ، وسجلت ٣ مراحل للعنف :

١ ـ العنف كانعكاس وصدى ..
٢ ـ العنف كرد فعل للكبت والحرمان .
٣ ـ العنف كبديل للحوار .

وتبدأ الدراسة بالعنفكصدى وانعكاس اجتماعي يورث الماضي المتمثل فيما يدرسه الاطفال من ماضي العنف المائل في التاريخ كحروب لويس الرابع عشر ، وحروب الثورة الفرنسية ، وعنف آخر عايشوه كاعمال المقاومة الفرنسية وما سجلته من بطولات ، وحروب التحرير في الهند الصينية ، وشمال افريقيا ..

وفي هذا المجال الذى تسميه الدراسه التلقيح الجماعي قامت وسائل الاعلام بدور بارز ، فالفرد الفرنسي يقضي ٧ سنوات منعمره امام التلفزيون الامريكي ، يقضي ١٨ سنة جالسا امام شاشة التلفزيون .. وان العديد من المشاهد التي تحمل الكثير من «ظاهر العنف ، كما ان اسعار الافلام الامريكية الزهيدة ، تشجع المسئولين على الاقبال عليها ، وهي تحمل العديد من مشاهد العنف .. »

وتضيف الدراسة .. « انه اذا كانت وسائل الاعلام تعمل على اساس مبدأ حرية التعبير فان المصلحة تقتضي الا نتجاهل تاثير هذه الوسائل على مسيرة العنف .. ».

وان لهذه المشاهد تاثيرات ثلاثة :
اما التنفيس
او الانكار
او المحاكاة .

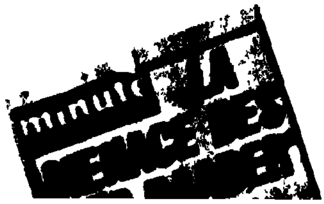
التلقيح الفردى

بعد تاثير وسائل الاعلام .. يتناول التقرير الجانب النفسي عند الفرد من ناحية مشاربه الشخصية وتاثير البيئة .. ويعتمد في ذلك على تفسير علم النفس الذى يوضح ان التوازن النفسي









الاولى من عمره ، عاملان هامان فى تكوين الشخصية بعد ذلك ..

واستنادا على قواعد علم الاحياء ، وبناء على ما وصلت اليه مجموعة كبيرة من الابحاث التى تناولت الجانب العدوانى عند الحيوان ، والشر عند الانسان ، ارجعت كل هذه الدراسات ، الكثير من الاعمال العدوانية الى اسباب وراثية ، والى عوامل الغريزة ..

وقد ألمت هذه الدراسات الضوء على العنف ، والجريمة ، وكيف انهما مرتبطان بالجنس المذكر ، وخاصة فى الفترة التى تتميز بالنشاط الجنسى..

وهذا الجانب من التاثير فى تكوين شخصية الفرد وسلوكه أسماه التمرير التلقيح الفردى..ويقصد به مشارب الفرد والمؤثرات الشخصية المكونة له..

وادمان الخمر والمخدرات ، هو احد المؤثرات فى تكوين الفرد .. اذ يدفعه الادمان على الخمر او المخدرات ، الى ارتكاب اعمال عدوانية ، مجرد الرغبة والبحث عن وسائل الادمان ـ خمر او مخدرات ـ قد يدفعه الى ارتكاب اعمال عدوانية..

ويبدو هذا واضحا فى السرقات التى يقوم بها البعض ضد الصيدليات .. فى عام ١٩٧٥ سجلت السلطات ٨٢٠ حالة سرقة ضد الصيدليات فى فرنسا .

والغريب ان اللجنة فى تقريرها لم تستطع ان تتوصل الى اسباب الادمان ، وان كانت قد ارجعته بشكل عام الى أسباب تاريخية ، نفسية واعلامية..

الكبت .. والحرمان

بعد ذلك انتقل التقرير الى علاقة « الكبت والحرمان » بالعنف ..

وتحدث عن العلاقة التبادلية بين زيادة عدد السكان ، وزيادة اعمال العنف .. ثم علاقة العنف بالبطالة ..

وفى هذا المجال يذكر التقرير فى صورة تساؤل وتعجب ، كيف ان عام ١٩٧٣ فى فرنسا ، ارتفعت فيه نسبة البطالة ، ورغم ذلك لم تسجل حالات عنف كثيرة ..

وينتقل بعد هذه الملاحظة العابرة ، الى علاقة العنف بالعمل والظروف السائدة فى مجالات العمل المختلفة ..

ويصل فى تحليله الى ان العمل فى ظروف قاسية لا تتلاءم مع كفاءة الانسان ـ يؤدى الى ارتفاع نسبة حالات العنف ..

الهامشيون

ويعد هذا تناول البحث مسالة على جانب كبير من الاهمية وهى وصع من اسماهم بالسكان الهامشيين ويقصد بهم ، المهاجرون الوافدون ، الذين يعملون خارج بلادهم .. ويمول ان الدول المفتوحة .. تستقبل عددا كبيرا من هؤلاء المهاجرين ، وان كثيرا من التحقيقات تنسب الكثير من اعمال العنف والاجرام الى الوافدين .. ويعود التمرير فيستدرك ويقول: انه من الصعب التسليم بمثل هذا الاتجاه ، ويقصد ارجاع الكثير من اعمال العنف الى العمال المهاجرين ..

الاسرة

وقد اهتمت الدراسة بالاسرة .. واعتبرتها اللبنة الاساسية التى تساهم فى تنشئة الطفل ، والتى تحتضنه فى مراحل التحول الهامة التى يجتازها من الطفولة مرورا بالمراهقة ، الى مرحلة الشباب .. والاسرة فى راى الدراسة هى مدرسة التحول ، وعليها مسئولية كبيرة ، ويجب ان تحترم أفكار الطفل وآراءه .

وتقرر اللجنة ان العائلة التى تعيش فى هدوء ووحدة وانعزالية ، تسلم للاسف ابناءها الى عالم العنف.فالاب والام بحكم العمل كثيرا مايكونان بعيدين ومنشغلين عن الابناء ..

وما يعانيه الوالدان من ارهاق فى العمل يدفع الى فرض الوحدة على الابناء وذلك بابعادهم عنها.. وهذه الوحدة التى يجد الطفل نفسه مجبرا عليها، تساعده على التخيل ..

وفى هذا المجال ترى الدراسة ان الصور المرئية التى يشاهدها الطفل ، وهو جالس بين والديه ، يختلف تاثيرها النفسى تماما عندما يشاهد نفس الصور بمفرده .

صراع الثقافات

وقد اولت اللجنة اهتماما كبيرا بعلاقة الطفل باسرته .. خصوصا فى مراحل النمو الخطرة للطفل ، وبخاصة مرحلة المراهقة .. باعتبار هذه



الدومورو



البارون الفرنسي امبان بعد اطلاق سراحه ، في أعقاب احتجاز دام شهرا والى جانبه أحد مفتشي الشرطة .

المرحلة ، هي مرحلة تمثل عالما بذاته ، هو عالم الغرائز الجنسية .. وعالم لا يمكن التاكد فيه من اليوم والغد .. فالمراهقة هي الانطلاق .. ولكنها في نفس الوقت مرحلة يحتاج فيها المراهق الى من يلتمس عنده الراى والنصح والتوجيه..

فامام التقدم العلمي الهائل قد يجد الطفل اباه عاجزا عن تفسير الكثير مما لا يفهمه.. وهنا يكمن الخطر ، خاصة حينما يصل الطفل الى قناعة بان ابويه لا يستطيعان ان يعلماه شيئا..وان علمهما، او معرفتهما لا تنفع امام العلم الحديث ..

وفي حالة ممارسة الابوين لعمل بسيط متواضع، قد يدفعهما الخجل الى تجنب الحديث مع الطفل .. وهذا الوضع يطلق عليه التقرير ما يسمى .. « بصراع الثقافات » ..

وهو مانراه ايضا حينما يحصل الشاب على مستوى علمي اعلى بكثير من مستوى ابويه .. وفي هذه الحالة لا يجد سبيلا للتفاهم معوالديه ، فيلزم الصمت ..

وفي بعض الحالات يحاول الابوان التصابي امام اطفالهم في محاولة لجذب الطفل اليهما .. ولكن هذا السلوك قد يبعث النفور في نفس الطفل ..

فمرحلة المراهقة مرحلة خطيرة ، يجب ان تخضع للاشراف العائلي ، .. مع احترام الطفل ، وفي نفس الوقت ، السيطرة والتوجيه الملائم ..

وينصح التقرير بان يتاح للطفل القيام باعمال عدوانية تحت اشراف العائلة وسيطرتها ، وان تجرى مثل هذه الاعمال في محيط الاسرة ذاتها ..

ذلك ان المراهق الذى لا يستطيع ان يمارس بعض النوازع العدوانية بين افراد اسرته ، سيجد نفسه ـ فيما بعد ـ غارقا في عالم العنف،وسيكون اما المجرم او الضحية ..

وان هذه الصورة ، صورة مظلمة ، لكنها هي الواقع ..

الشباب والعنف ..

تصف اللجنة المجتمع الفرنسي بانه مجتمع يخشى شبابه ..

ذلك ان عام ١٩٧٥ قد سجل ان ٨٦٪ من مقترفي الجرائم ـ خاصة جرائم السطو،والسرقة باستخدام الاسلحة ـ هم من الشباب الذين يقل عمرهم عن ٣٠ عاما .. وان ٦٤٪ من هؤلاء يقل عمرهم عن

٢٥ عاما٠٠و٢٤٪ منهم تقل اعمارهم عن العشرين٠٠
وتساءل عن سبب هذه الظاهرة ؟!

وقال : ان شباب هذا العصر غريب الاطوار ٠٠ ولا يمكن ان ننسى عام ١٩٦٨ ، وما حمله الشباب في هذا العام من « تقاليع » ، اطلاق الشعر ٠٠ تعاطى المخدرات ٠٠ الهمجية ، وغيرها من مظاهر٠٠ واذا كان فيكتور هوجو قد قال « افتحوا المدارس ، واغلقوا السجون ٠٠ » فيجب أن نتذكر ان العلم في بعض الظروف يصبح عقابا لمن لا يستطيعون مواصلة الدراسة ٠٠ ومن هنا تظهر اهمية النوادى ٠٠ والملاعب ٠٠ والملاهى ، وكل النشاطات الفنية والرياضية ، في تقديم المجال الملائم ، ليزاول كل شاب ما يحتاجه من نشاط ٠٠ مع ضرورة معرفة المجال المناسب لكل شاب ، حتى يجد سعادة فيما يؤديه ٠٠

منطقة الاغراء ٠٠

وفي مجال تأثير الاحباط والكبت على العنف ٠٠ يتحدث التقرير عن مجتمع الطمع والرغبة ٠٠ وقد اطلق على هذا الجانب اسم « منطقة الاغراء » ٠٠ ويرى ان الاغراء يدور حول عاملين :

اولا : اثارة عامل الاستهلاك ٠٠

ثانيا : الافتقار الى الوسائل التى تساعد على تحقيق العامل الاول والالتحام معه ٠٠

فالاستهلاك مطلوب دون شك لاشباع عدد من الحاجات ٠٠ واحيانا يكون قيمة في ذاته ، لاثارة الانظار ، واستجلاب المديح واعجاب ٠٠

ولقد اصبحت عملية الشراء في المجتمعات الحديثة ، خصوصا فيما يسمى « بالسوبر ماركت » عملية تفقد الانسان كل سيطرة شخصية على رغباته ، فالسلع امامه تغريه ، وفقدت عملية الشراء والبيع شكلها الاجتماعي ، فلا مجال لتبادل الراى او المشورة مع البائع لمعرفة الافضل ، ولكن تخضع العملية كلها الى مبدأ : « اخدم نفسك »٠

وامام هذه البضائع المعروضة كلها والتى لا يظهر شخص معين مالك لها،تظهر نوازع السرقة والعدوان والعنف ٠٠

وهنا يجدر القول ان عوامل الاغراء اصبحت بلا حصر ـ في الوقت الذى نجد فيه ان الردع ضعيف امام بوليس مرن ، وعدالة متهاونة ٠٠

عدم العدالة

وتناول التقرير بعد ذلك مسالة « عدم العدالة » وقال ان هذه الظاهرة اصبحت موجودة في كل مجال ٠٠ وهى تمتد الى مجالات الثقافة ، والبيئة ، والفراغ ٠٠ ولاشك انه توجد علاقة مباشرة وهامة بين عدم العدالة والعنف ٠ وقد يكون العنف هو محاولة لتحقيق العدالة وتعبيرا واضحا عن عدم الرضا عن الظلم ٠

وفي هذا المجال يتناول التقرير مسالة الغش الضريبى وتهرب الاثرياء القادرين من دفع التزاماتهم الضرائبية ، مما ينتج عنه تراكم الاموال ، وازدياد مظاهر عدم المساواة ، وينعكس هذا الوضع بدوره على النفوس التى تفقد الثقة بالحكم والعدالة ، باعتبارها تهين الاخرين ، حتى يزداد الاغنياء غنى ، بينما يزداد الفقراء فقرا ٠

ونذكر بهذا الخصوص ما قاله « مونتسكييه »٠٠ «ان الجمهورية تقوم على المساواة ٠٠ والمساواة تقوم على الفضيلة ٠٠ » وطبقا لما سبق ، تبدو الفضيلة محتقرة ، من هؤلاء الذين يستطيعون خدمتها ـ ويقصد هنا الاغنياء المتهربين من الضرائب ـ ٠٠

المدنية

ويرى التقرير ان « الحضر » ، هو المكان الملائم للجريمة ٠٠

اولا : لكثرة المغريات ٠

وثانيا : لسهولة التخلص من رقابة المجتمع ٠٠ ونتيجة لدراسات مطولة ، توصلت اللجنة الى حقيقة ان هناك التحاما بين العنف والمظاهر العضرية ٠٠ فالمدينة تخلق الخوف،وتعطى الاحساس بعدم الامان ، وعدم القدرة على ممارسة الحرية الشخصية ، وخلق احساس بعدم ملاك حقيقيين للاشياء ٠٠

فالحياة العضرية تفرض على السكان نوعا من التقسيم حيث توجد مساكن شعبية للعمال،منفصلة عن مساكن الطبقات البرجوازية ٠٠ ومساكن الطبقة الارستقراطية،منفصلة عن مساكن الاخرين٠٠ والمدينة نفسها ، مقسمة الى احياء سكنية،واخرى تجارية ٠٠

وحياة العصر بحكم اتساعها تفرض هذا التشتت على السكان ..

وقليلا ما نجد جيرانا متعارفين ، او نجد علاقة تعارف بين السكان بعضهم وبعض ..

ومن هذه النقطة تبدأ المرحلة الثالثة من العنف .. وهي مرحلة « العنف كبديل للحوار .. » .

وهذا التعبير قد يبدو جريئا .. ذلك ان الحوار من شانه خلق نوع من التقارب بين الافراد الذين يحترم بعضهم بعضا .. بينما مضمون العنف هو التهجم والاحتقار ..

والمجتمع يعرف هذا الشكل من العنف منذ زمن طويل ، ويحدث هذا النوع بدافع الفريزة ..

وقد اوجد المجتمع الديمقراطي الحديث كثيرا من التنظيمات التي تساعد الافراد في التعبير عن ارائهم ، وتساعدهم على استعمال الحوار ، وتبادل وجهات النظر ، وذلك في شكل نقابات واحزاب ، وغرف تجارية ، وبرلمانات ، وغيرها ..

وافتقاد الحوار يجعل الفرد يشعر بالتقصير من جانب الدولة ، في الاستماع له ، ولذلك عندما يشب خلاف ما ، ان تنشا معركة يتدخل فيها البوليس ، نجد الافراد يحاولون توجيه الضرب لرجل البوليس ، كرمز للدولة المتهمة ، بعدم الاهتمام بهم وبشئونهم .. وكثيرا ما يحدث هذا في المناطق البعيدة عن العاصمة ، ويكون بمثابة الصرخة ، التي قد تصل الى باريس .. وهنا يتكون ما يمكن ان نطلق عليه «اخلاقيات المواجهة ..»

ضرورة الحوار

ويرى التقرير ان خير الوسائل لمكافحة العنف هو وضع وتحقيق مبدأ ، امكانية الحوار .. ذلك ان الكثيرين يعتمدون انه : « لكي يسمع رأيك .. يجب ان تلجأ الى القوة .. وانه كلما اتسعت رقعة العنف ، شملت عددا اكبر واهم من السكان .. »

بوليس .. قليل العدد

وقد اوضح التقرير ان هناك اسبابا كثيرة لازدياد العنف تمثل تقصيرا من جانب الدولة ، اهمها ..

× عدم كفاية رجال القضاء

× التردد في المواجهة والقمع

× ثالثا .. وهو الاهم النقص في عدد رجال البوليس

ويقول التقرير في هذا المجال .. انه بينما زادت نسبة عدد السكان بين عامي ١٩٤٦ ، ١٩٧٦ ، بنسبة ٣٢٪ ، لم يزد عدد رجال البوليس بهذه النسبة ..

فبينما كان عددهم عام ١٩٤٦ ، في فرنسا ٩٤ الفا لم يتعد عددهم ١٠٧ الف عام ١٩٧٦ ، مع مراعاة تعقد الحياة ، وما صحبها من مظاهر جديدة تساعد على العنف ..

وهذا يفسر سهولة اقتراف الجرائم وعمليات العنف لان مرتكبي هذه الاعمال على ثقة بانهم لن يقعوا في قبضة رجال البوليس ..

وقد قدم التقرير بعض الارقام ليستشهد بها على صحة ما ذهب اليه ، اذ تقول هذه الارقام .. ان ١ من اثنين ممن يرتكبون جرائم القتل يقبض عليه وواحد من ٤ من مرتكبي جرائم السرقة بالاكراه هو الذي يقبض عليه فقط ..

وواحد من ٦ من مرتكبي حالات السطو ..

وبهذا نرى ان الزيادة في عدد السكان .. مع التجمع في المدن جعل الرقابة ضعيفة من جانب رجال البوليس الذين لا يتناسب عددهم مع هذا التزايد في عدد السكان ..

وفي ضوء هذه الحقائق ، يعتقد ٧١٪ من الفرنسيين ان العدالة تسير بشكل سيىء .. بينما يرى ٢١٪ من السكان ، انها ملائمة ..

وهكذا يتضح ان العدالة الضعيفة تثير مصاعب خطيرة .. وان مدة العقوبة غير الكاملة تشجع المحكوم عليهم للعودة الى اقتراف الجرائم ..

وجدير بالذكر معرفة ان معاملة المجرم ، بعد ايفائه مدة العقاب ، معاملة الشخص الطبيعي ، ـ متناسين جريمته ـ امر هام بالنسبة لنفسية المجرم ، والا عاد الى اقتراف الجرائم مرة اخرى ، اذا ما عومل بعكس ذلك ..

ويؤكد التقرير ان السلطات العامة ليست وحدها المسئولة عن العنف .. وانما المجتمع باسره يتقاسم هذه المسئولية .. ويذكر في هذا المجال قول مونتسكييه .. « لا نستطيع ان نصنع بالقانون، ما يجب ان نصنعه بالعادات .. »

التاريخ ضد الادمان

بعد هذا العرض العام ٠٠ يتناول التقرير اعمال مجموعات العمل الخمسة والتوصيات والمقترحات التي تضمنتها اعمالهم ٠٠

فبالنسبة ، لمجال علم النفس ، وعلم الاحياء ، وهو ما تولته المجموعة الاولى بالدراسة ٠٠ خلصت المجموعة الى ضرورة التركيز على تدريس علمي الجغرافيا والتاريخ للطفل ، حتى يشعر الشباب بالاصالة ، وحتى لا يصبحوا فريسة وضحية للضياع ، ويعبلوا على ادمان الخمور والمخدرات وما يتبع ذلك من انحرافات اخرى ٠٠

وقد تناولنا هذا بشكل مفصل في العرض العام السابق ٠٠

اما المجموعة الثانية ، والتي تولت دراسة البيئة والسكان ٠٠ فقد ركزت في توصياتها على ضرورة التخفيف من اسباب التوتر ، عن طريق التغلب على الكثافة السكانية خاصة في المدن ، والتي تعتمد المجموعة في ضوء ما قامت به من ابحاث ودراسات مكثفة على المجتمعات الحضرية ، ان مجتمعات المدينة الحديثة بكثافاتها السكانية الضخمة ، وقلة وسائل الامن والرقابة ـ مجال خصب لانتشار العنف ونموه ٠٠

وقد اوصت المجموعة ، في هذا المجال ايضا ، بالعمل على التقليل من اقامة المجمعات السكانية الضخمة والابنية المرتفعة ٠٠

وترى ان بناء المدن الجديدة على اساس انشاء احياء متكاملة يساعد على خلق بناء اجتماعي ، وقيام مجتمع متجانس ، يقوم على علاقات انسانية بين افراده ٠٠

وقد لمست هذه المجموعة في توصياتها ايضا ، ضرورة الدمج الديموجرافي في المدن الحديثة ، بمعنى ضروره دمج الفئات السكانية المختلفة بعضها مع بعض ، خاصة مجتمعات المهاجرين ، التي تتقوقع في احياء خاصة بها ، تساعد على انتشار الجريمة بينها ، كما تساعد على خلق روح العداوة بين هذه المجتمعات وباقي فئات المجتمع الاخرى ٠٠

ولم يتجاهل التقرير البنيان الاداري ، واوصى ان يكون لكل حي بنيانه الاداري الخاص به ، والقادر على حل مشاكل الحي ، بالمشاركة مع السكان في اتخاذ القرارات الخاصة بحل مشاكلهم ٠٠

ودعت المجموعة الى الاهتمام بالنشاط الاجتماعي عن طريق الاهتمام باقامة قاعات للفنون ٠٠ وملاعب للرياضة ، تمكن سكان الحي من التعارف بأسلوب شيق ٠٠

اما مجموعة « الاقتصاد والعنف » فقد ركزت في توصياتها على :

× ضرورة زيادة احتياطات الامن بالنسبة للمحلات التجارية والبنوك ، حتى لا يدفع التهاون في هذه الاحتياطات ، الشباب الى الاقبال على اعمال اجرامية وعنف بهدف السرقة ٠٠

× مع ضرورة الاهتمام بجودة الحبر والورق المستعمل في البطاقات الشخصية ، وبطاقات البنوك ، بحيث يصبح تقليدها عملية عسيرة ٠٠

× الارتفاع بمستوى اجهزة الامن ، وتوفير العدد الملائم من رجال البوليس ، ذلك ان القبض في نفس المكان على الشخص المقترف للمخالفات او الاعمال العدوانية، يشكل مظهرا قاسيا بالنسبة له ، وربما كان اشد من الحكم نفسه ، لان مجرد القاء القبض عليه يفضح امره ٠

× كما ترى التوصيات ضرورة مقابلة كل هذه الاجراءات ، بعمل مواز لها ، في مجال العمل نفسه ، وذلك بتحسين اوضاعه ومحاولة التخفيف من حدة التمركز الصناعي في المدن الكبيرة ٠٠

× واوصت بالعمل على تبسيط الاجراءات في الحياة الاقتصادية والتي كثيرا ما يجد الفرد نفسه بسببها على علاقة سيئة مع الادارة ٠٠

وبعد هذا العرض تقدم الدراسة مقترحاتها ٠٠ وتبدا بضرورة التركيز على تدريس علمي الجغرافيا والتاريخ للطفل ٠ حتى يشعر بالاصالة وحتى لا يصبح فريسة الضياع ، كما ركزت المقترحات على ضرورة تخفيف اسباب التوتر والتغلب على الكثافة السكانية في المدن ، فقلة وسائل الامن والرقابة مجال خصب لانتشار العنف ونموه ، كما اوصت بالعمل على التقليل من اقامة المجمعات السكانية الضخمة والابنية المرتفعة ، وترى ان بناء المدن الجديدة على اساس انشاء احياء متكامله يساعد على خلق بناء اجتماعي ، وقيام مجتمع متجانس ، يقوم على علاقات انسانية بين افراده ، وضرورة دمج الفئات السكانية المختلفة لمعالجة روح العداء بين هذه المجتمعات ٠ وطالب بمشاركة السكان في الحي في اتخاذ القرارات لحل مشاكلهم ، والاهتمام بالنشاط الاجتماعي عن

طريق الاهتمام باقامة قاعات للفنـون ، وملاعب للرياضة يتعارف داخلها سكان الحى •

وخصصت المقترحات جانبا هاما لموضوع الاعلان، باعتباره عنصرا هاما ذا تاثير نفسى مباشر •• وانتقدت الدراسة اسلوب الاعلان فى فرنسا وقالت: انه بالرغم من وجود تشريع خاص بتنظيم الاعلان والاشراف عليه ، صدر عام ١٩٧٣ ، ويقضى بحق المحكمة فى المشاركة فى صنع ووضع اسلوب اعلانى صحيح ، الا ان هذا التشريع بقى منذ صدوره مجرد حبر على ورق•• وخلصت الدراسة الى انهذا الاسلوب ليس عمليا ، وان انسب اسلوب هـو الاسلوب المعمول به فى ايطاليا • والذى يسمى « بقانون الاعلان الشرعى » والذى يعتبر ان الاعلان يؤدى خدمة عامة للجمهور ، ولهذا يجب أن يراعى امن المستهلكين ، وتوضح بدقة ، مثلا ـ الشروط المطلوبة فى حالات البيع بالتقسيط ••

المراهقة

وعرضت الدراسة النتائج التى توصلت اليها والخاصة بحماية الشباب فالطفل لا يصنع عالـم المراهقة ، ولكن هذا العالم هو الذى يصنع الطفل، وان المراهق ـ وان كان مذنبا ـ له الحق فى الحمايـة والتعليم ، وان اعمال الاجرام عنـد الشباب يمكن أن تكون :

ـ عملا تلقائيا •
ـ او نتيجة رغبة •
ـ او استغلالا لفرصة ما •
ـ او تعبيرا عن ثورة •
ـ كما يمكن ان يكون الاجرام عند الشباب ، اداة لعمل منظم وحسابات دقيقة ، لتحقيق هـدف معين ، ودلت الدراسة ان انواع الاجرام عنـد الشباب ثلاثة :

× عمل اجرامى مباشر ضد اشخاص آخرين ، مثل حالات الاغتصاب •

× عمل غير مباشر ضد آخرين ، مثل اعمـال السرقة •

× اجرام موجه ضد النظام العام ، والاشخاص الذين يمثلونه، مثل الاعتداء على رجال البوليس، وعلى اصحاب العمل او تخريب المنشآت العامة •

وترى الدراسة ان ازدياد عدد السكان ، مع بقاء واستمرار مساحة الارض على ما هى عليه تزيد من حالات العنف ، وذلك بسبب ازدياد كثافة السكان فى الكيلو متر الواحد ••

فظهور حالات العنف داخل هذه الكثافة السكانية تسبب نوعين من رد الفعل ، احدهما سلبى يتمثل فى الخوف والتوتر النفسى عند المواطنين ، ورد فعل ايجابى يتمثل فى مقابلة العنف بالعنف ••

والجدول التالى يبين نسب توزيع الجرائم على اعمار الاحداث المختلفة من مرتكبى الجرائم عام ٧٦/٧٧

من تقل اعمارهم عن ١٣ سنة	٦ ٪
من تتراوح اعمارهم بين ١٣ ـ ١٤ سنة	٤٫٩٠ ٪
من ١٤ ـ ١٥ سنة	٩٫٩٠ ٪
من ١٥ ـ ١٦ سنة	١٥٫٥٠٪
من ١٦ ـ ١٧ سنة	٢٥/ـ٪
من ١٧ ـ ١٨ سنة	٣٨٫٧٠٪

الفراغ والشباب

وتناولت توصيات واهتمامات المجموعة الخاصة بالشباب ، بعد ذلك موضوع اوقات الفراغ ، ورات ضرورة :

× تنظيم العطلات المدرسية بحيث تؤدى الى امتصاص الفراغ عند الشباب . بالوسائل الرياضية او غيرها ••

× تكوين وسط اجتماعى صحى يساعد على التعارف والخبرة ••

× قيام الدولة بتقديم المساعدات للبلديات ، لاقامة النوادى •

× تسهيل انضمـام الشباب الـى النـوادى الرياضيـة والاجتمـاعية ، لامتـصاص طاقـاتهم ونشاطهم ••

× اتاحة الفرص والجو الملائم لانطلاق هوايات وملكات الشباب ، والمساعدة على التفكير الجماعى•

× اقامـة علاقات من التفاهم والاحترام بين المعلمين والطلبة ، بحيث لا يشعر الشباب بالذنب عند ارتكاب الغلطا •

× الاهتمام بتكوين المعلم •

× الحمـاية القضائيـة للشباب الـذى ارتكب جرائم ، بحيث تمتد هذه الحماية للنشء الذى لا تتوفر له الرعاية •

× اقامة روابط بين الشباب والمؤسسات التى تخدمهم •

ودعت المجموعة فى توصياتها الى ضرورة التنسيق بين مختلف محطات التليفزيون للتخفيف من مشاهد الاجرام والعنف •• والعمل على وضع هذه المشاهد فى ساعة متاخرة من الليل بحيث يكون الاطفال نياما •

وضرورة العمل على منع الاطفال والاحداث من دخول الافلام التى تعرض مشاهد عنف واثارة لا تتناسب واعمارهم ••

كما دعا التقرير الى اهمية استغلال وسائل الاعلام فى توعية الاباء ، عن طريق برامج تشرح العلاقة بين الاب والام والابناء •• وحاجة الطفل الى كل من العدوان •• والحماية •• والاهتمام به ••

٥٠٪ يرفضون السير ليلا ••

أما توصيات المجموعة التى تناولت بالدراسة موضوع « الجريمة والعقاب » ، فقد تضمنت فى مقدمة هذه التوصيات ، ان ٣٩٪ من الفرنسيين ، يدينون وسائل الاعلام •• ويعلنون ان العنف يحدث بلا داع ••

وان التلفزيون يعطى أهمية كبيرة للتفاصيل الفرعية للجرائم ، مما يدفع مرتكبى الجرائم الى الامعان فى العنف ، كما يدفع فى نفس الوقت الى المحاكاة والتقليد ••

وقد تولد عند المواطنين شعور بالخوف من جراء ازدياد اعمال العنف •

ودلت الاحصاءات على أن ٥٠٪ من السكان يرفضون قيادة سياراتهم ليلا فى الشوارع الجانبية•

وان ٥٧٪ من المواطنين يرفضون الخروج من منازلهم ، لقضاء العطلات ••

كما ظهر شعور عام بالسخط الى جانب الشعور بالخوف ، ذلك أن المواطنين يأملون أن تتحرك الدولة لتكفل لهم الامن والطمانينة ••

ويشعر الكثيرون ان المجتمع الحالى ، مجتمع خطير، ومعاد ،وان العالم يتغير بسرعة دون أن تتمكن الحكومات من السيطرة على هذا التطور ••

وترى المجموعة فى توصياتها ضرورة :

× انشاء لجنة وطنية لاصدار الاحكام العامة الخاصة بالجريمة ، ويكون من اختصاصات هذه اللجنة ، التحرك والاجابة ، على جميع المشاكل المتعلقة بجرائم المجتمع •• ودراسة واقتراح الاجراءات الملائمة فى جميع المستويات وفى كل القطاعات ، والانشطة الاجتماعية ، لتحقيق الحماية القومية فى الاجل السريع •

× كما اقترحت اللجنة وضع خطة تستهدف الاقلال من الاجرام والعنف على المدى الطويل ••

وقالت ان مثل هذا التنظيم قد عمل به فى اسكتلندا عام ١٩٧٢ ،واتخذت فنلندا والدانيمارك والسويد اجراءات مماثلة له ••

× واقترحت المجموعة تكوين تنظيمات لا مركزية لاصدار الاحكام ، يكون من مهمتها الربط بين اعمال الهيئات الاخرى الموجودة ، وتكون هذه التنظيمات على مستوى المحافظات •• وتكون مهمتها اصدار القوانين واللوائح المتعلقة بالنواحى الاجتماعية والاقتصادية ••

× كما دعت الى ضرورة تطوير دور المؤسسات القضائية ، مع ضرورة تحقيق التقارب والتفاهم بين القضاة والمواطنين ، وان يوضع القضاة فى الوضع الذى يجعلهم على دراية بمشاكل الحياة الاجتماعية اليومية •

تغيير العقلية ••

وختمت اللجنة تقريرها النهائى ، الذى جاء فى ٧٣٠ صفحة ، متمنية ان يضع المسئولون عن تحقيق العدالة هذا التقرير نصب اعينهم •• آملين ان يتم تحقيق هذه التوصيات والمقترحات بفاعلية تضمن تحقيق العدالة ، وفى نفس الوقت تكفل الحرية الفردية للانسان ••

وقالت ان تحقيق العدالة يتطلب سلوكا يتسم بمعاملة جمهور المنحرفين بانسانية وواقعية ، وهو ما تفتقده أجهزة العدالة القائمة الان ••

وتنفيذ مثل هذا السلوك وتلك السياسة يقضى تبنى وسائل عمل حديثة ••

كما يستلزم تحولا اساسيا فى العقلية المسئولة عن العدالة ، والتى لا تزال غارقة - وبشكل ملحوظ - فى بحر من الروتين ، وتتاثر بمشارب واتجاهات كل جهة متخصصة ومسئولة ••

■■

باريس/ ليلى خليل

نزهة العقل الذكي

مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » ·· والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ·· ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ·· أما الكوبون المنشور في أسفل الصفحة المقابلة ، فمن الضروري أن يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتي ·

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ·

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٣٥ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول اغسطس (آب) ١٩٧٨ ·

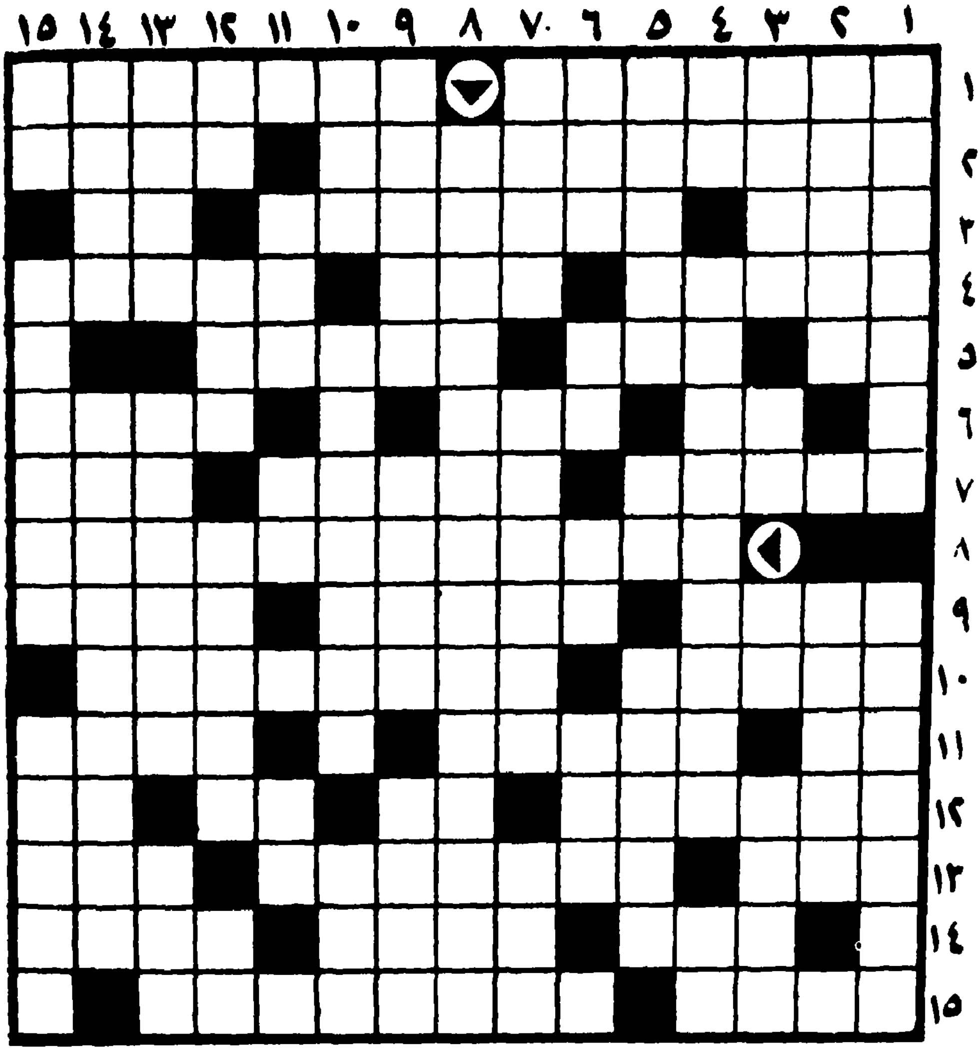
اثنتان في واحدة

اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) أفقيا اسم شاعر عربي معروف كما ستجد في (٨) رأسيا اسم عالم جغرافي عربي من الرواد ·

كلمات افقية :

(١) طائر من فصيلة الدجاج ـ دولة من القارة الامريكية ·
(٢) عالم كهرباء ايطالي شهير من القرن الثامن عشر ـ توجع ·
(٣) ابطا ـ اتكفل بهم ـ جميع ·
(٤) حالية ـ نجلب ـ قطر عربي ·
(٥) حرفان متشابهان ـ يجيب ـ نومه ·
(٦) حرف عطف ـ خلق ـ نطمئن ·
(٧) الزمها ـ في الوجوه ـ بدا ·
(٨) شاعر عربي معروف ·
(٩) تحاشى ـ شهر شمسي ـ نتيب ·
(١٠) الارت العجب ـ عاصمة فولتا العليا ·
(١١) للتمني ـ يستقل ـ عاصمة جامورابي ·
(١٢) يسترجعه ـ نصف كلمة (سلوت) ـ برد ـ حرف ندبة ·
(١٣) لعب ـ عالم فلك عربي اخترع البندول ـ مضت ·
(١٤) من الحيوانات ـ حطمت ـ التي ·
(١٥) اخفى ـ مجموعة سياسية شهيرة في الثورة الفرنسية ·

كوبون مسابقة



كلمات رأسية :

(١) من اجزاء العين ـ عالم فلك ايطالى اكتشف اقمار المشترى •

(٢) مدينة سويسرية تنسب اليها معاهدة شهيرة بين تركيا والحلفاء ـ اطا •

(٣) مرنة ـ للتعريف ـ نصف كلمة (نهار) ـ تبجل •

(٤) تجدها فى (همسة) ـ ولاية امريكية ـ مقام موسيقى •

(٥) يعلن على الملأ ـ نصف كلمة (.جراح) ـ احصاء •

(٦) انصرفت ـ مقام موسيقى ـ حرف استفهام ـ تثور •

(٧) فوق العيون ـ من العناصر الكيميائية ـ نتعب •

(٨) عالم جغرافى عربى من الواد •

(٩) للاقامة المؤقتة ـ دخول ـ تراجع عن ارتكاب الاثم •

(١٠) قصد ـ الشفاء ـ برز •

(١١) ليف مجدول ـ ضمير ـ شخصية دينية •

(١٢)نصف كلمة (واجب) ـ ضعف ـ من الاشجار ـ من الاقارب •

(١٣) ينفى ـ فلسفة وممارسات هندية ـ حب شديد •

(١٤) عاشقة شهيرة ـ مستكشف ايطالى وصل الى الصين •

(١٥) حرف نصب ـ الرفيع ـ من البحار •

شاعر عربي معروف راحل

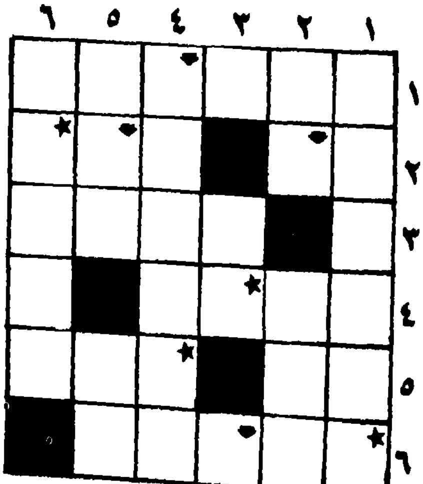
ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى بها الاسهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لشاعر عربى معروف راحل • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقبه •

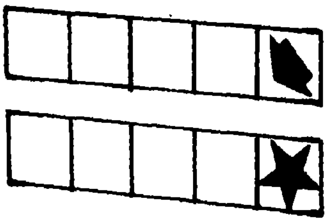
الكلمات الافقية :

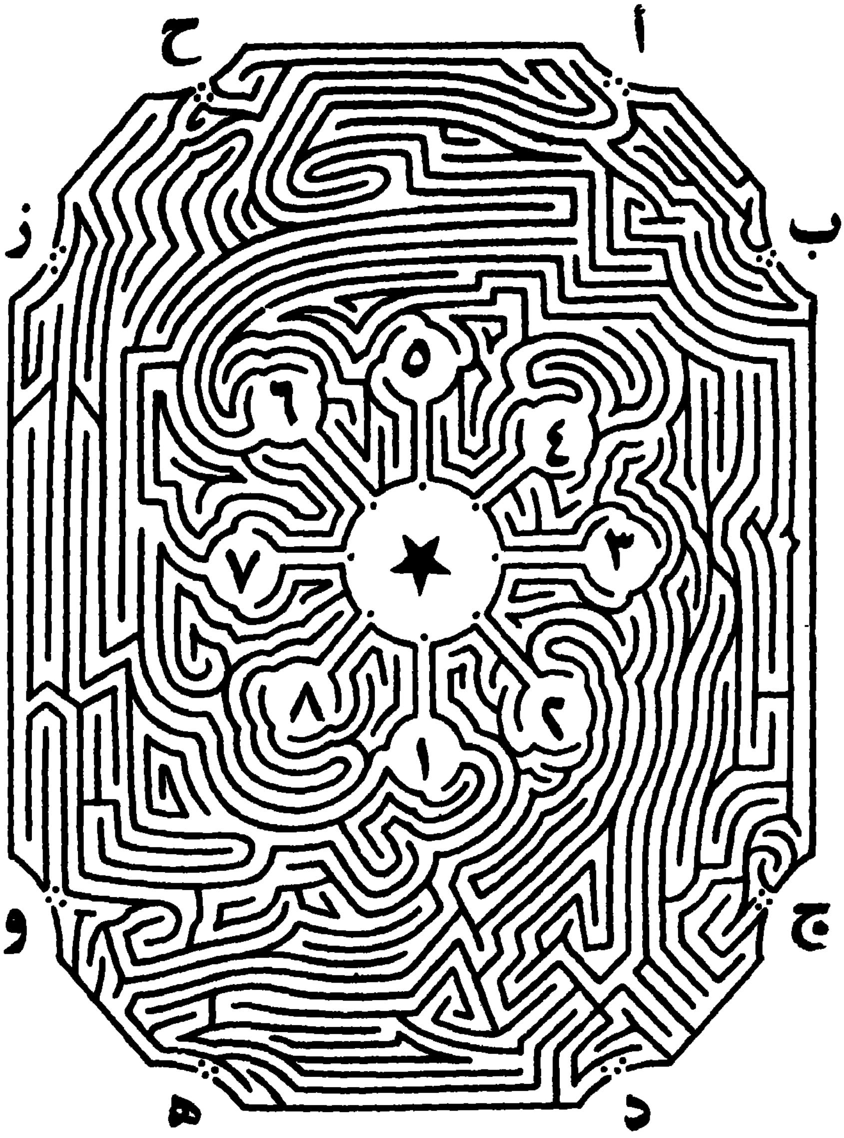
(١) من المعادن الهامة فى الحياة •
(٢) فى الوجه ـ يرنو •
(٣) يعطى ثماره •
(٤) يسير •
(٥) عبد ـ بين بين •
(٦) يقاسي •

الكلمات الرأسية :

(١) ينتسب الى احدى القارات •
(٢) حرف نفى ـ حظر •
(٣) نصف كلمة (يشبه) •
(٤) سكان آسيا الصغرى قديما •
(٥) اول البشر ـ مقام موسيقى •
(٦) فيلسوف اغريقى شهير •







عطلة نهاية الاسبوع

اتفقت ثماني عائلات تعيش في احياء مختلفةمن المدينة ، على تمضية عطلة نهاية الاسبوع في احدى الضواحي او اماكن النزهة (المشار اليها بالرموز أ ، ب ، ج ، د ،هـ ،و،ز،ح) . ولم تكن المواصلات تسمح لهـم بالمـرورعلى مساكن بعضهم البعض ، او المرور من خلال ميدان « النجمة » بوسط المدينة .

وقد اتفقت العائلات التي تعيش في ١ ،٢ ، ٣ ، ٤ ، على تمضية العطلة في مكان واحد ، بينما رفضت العائلات التي تعيش في٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ان تذهب الى نفس المكان فاتفقت فيما بينها على مكان آخر . فاين امضى كل منهما عطلة نهاية الاسبوع ؟ ..

• استاذ نبيه يسال •

نعناعة لاتلعب الورق ..

ريحـانة ، فلـة ، ياسمينة ، داليـا ،بانسيه،نعناعة ،وردة .. سبع سيداتمنهواة الازهار والنباتات ، كل واحدة منهن تحب نوعامن الازهـار يطـابق اسم واحـدة مـن باقى صديقاتها عاشقات الازهار .. فاذا عرفنا ان:

(١) وردة هى اخت زوج السيدة التىتحب النعناع •

(٢) وفلة لا تطيق زهرة الداليا •

(٣) والسيدة بانسيـه لم تقابـل فـىحياتها السيدة التى تحب الياسمين •

(٤) وان داليـا والسيدة التى تحبالفل؛ تزوجت كل منهما شقيق الاخرى •

(٥) والسيدة نعناعة لـم تلعب فـىحياتها الورق •

(٦) وان اربعا من السيدات السبع ،يجتمعن كل يوم ليلعبن الورق ، وان كل واحدة منهن تحب الزهرة او النبات العطـرى الذىيطابق اسم واحدة من الاخريات •

(٧) والسيدة التى تحب الياسمـين والسيدة فلة تلعبانكشريكتين عند لعبالورق•

(٨) وان ريحانة ليس لها اخـوة اواخوات •

(٩) وان السيـدة وردة تكـره لعـبالورق •

فما اسم النبات العطرى او الزهرة التىتحبها كل واحدة منهن ؟

الحلول

استاذ نبيه يسال :

(١) لكون السيدة التى تحب الياسمينوالتى تلعب الورق، لم تقابل السيدة بانسيه، تكون السيدة بانسيه ليست من لاعبات الورقالاربع • من هذا تكون السيدة نعناعة والسيدة وردة الباقيتان خارج مجموعة الورق •

(٢) بين لاعبات الورق : كل واحدة تحبنوعالزهور التى علىا. م واحدة من الاخريات• السيدة فلة لا تطيق زهرة الداليا وتلعب معالسيدة التى تحب الياسمين ، فلا بد تحب الريحان • والسيدة داليا لا تحب الفل ، ولاالريحـان • من هـذا السيدة داليـا تحب الياسمين • والسيدة ريحانة ليس لها اخوةفلا يمكن ان تحب الفل • اذا ريحانة تحب الداليا ، وياسمينة تحب الفل •

(٣) وبين الـلاتى لا يلعبن الـورق :السيدة وردة لا يمكن ان تحب النعناع (فهى اخت زوج السيدة التى تحب النعناع)، فهىتحبالبانسيه • ومن ثم بانسيه تحب النعناع •

النجمة والسهم : احمد شوقى •

عطلة نهاية الاسبوع :

عائلة رقم ١ تستطيع ان تذهب الى ز،و،هـ•و ٢ الى ذ، و، هـ •و ٣ الى د، هـ • ، ٤ الى د ، هـ • و ٥ الى ج • و ٦ الى ج ١٠ ، ب ، ج • ونفس الشىء بالنسبـة الـى العائلتين ٧ ، و ٨ • من هذا : العائلات١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ تذهب الى هـ • والعائلات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ تذهب الى ج •

مِنَ المسرح العَالَمِىّ

وزارة الإعلام فى الكويت

أوّل يونية ١٩٧٨

١٠٥ / ١

من الأعمال المختارة

برانيسلاف نوشيتش - ١

* حرم سعادة الوزير * الدكتور

ترجمة وتقديم : د. فوزى عطية محمد
مراجعة : د. سمية محمد عفيفى

تصنع شاحنات ميتسو بيشي كنتر الخفيفة لاحتمال الخدمات الشاقة.

انها تختبر وتجرّب لملاءمة أحوال العمل في الشرق الأوسط. مع خدمة ممتازة بعد الشراء يقدّمها لكم موزع كرايزلر في منطقتكم.

شاحنات كنتر سهلة القيادة، ذات مقصورة ومعدات شبيهة بما تجدونه في السيارات العادية.

إنها سهلة التحميل، ويوجد أنواع مختلفة من الأجساد يمكنكم الاختيار منها. كما يمكن تقديمها على هيئة شاسي ومقصورة فقط.

تتوفر بإطارات مفردة أو مزدوجة في الخلف، وبمحركات بنزين أو ديزل.

شاهدوا وجرّبوا مجموعة كنتر في محلات موزعي كرايزلر في جميع أنحاء الشرق الأوسط.



كرايزلر
انترناشيونال

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدر هذا الشهر

الكتاب السادس

حزيران - يونيو
١٩٧٨ م

الشباب العربي

تأليف

دكتور عزت حجازي

سعر النسخة
٢٥٠
فلساً

الاشتراكات ترسل باسم :

أمين عام المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

ضمان بالاضافة الى سعر فائدة جيد

٨٪ في السنة

لفترة محددة مدتها عامان

ان ايداع مبلغ ١٠٠٠ جنيه استرليني او اكثر بحساب الادخار لمدة سنتين سيحقق فائدة ٨٪ سنويا . لاربع او خمس سنوات ايداع ستصبح الفائدة ٩½٪ سنويا ؛ لثلاث سنوات ٩٪ سنويا ؛ لسنة واحدة ٧٪ . تدفع الفائدة نصف سنويا دون خصم ضريبة بريطانية على المصدر .

٧½٪ في السنة

دخل شهري من حساب الوديعة

ان ١٠٠٠ جنيه استرليني او اكثر تحقق فائدة ٧½٪ سنويا لمدة سنتين ثابتتين الادخار الشهري للدخل والمودع لمدة ٤ او ٥ سنوات ثابتة سيربح ٩٪ سنويا · لثلاث سنوات ٨½٪ سنويا· لسنة واحدة ٦½٪ تدفع الفائدة شهريا دون اقتطاع ضريبة بريطانية على المصدر

ان مصرف لومبارد نورث سنترال المحدود عضو في مجموعة بنوك ناشيونال وستمنستر لذلك يمكنك فتح حساب ودائع بحيث تضمن سلامة راسمالك كليا . تفضل بارسال الكوبون طلبا لتفاصيل انواع حسابات الودائع والمعدلات الحالية للفائدة .

ان اسعار الفائدة المذكورة صحيحة في وقت ارسالها للطباعة.

Lombard North Central

Bankers

To The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH, England Tel. 01-491 7050.

الاسم : ____________________

العنوان : ____________________

____

____________________ R182

عضو في مجموعة مصارف ناشيونال وستمنستر التي يزيد راسمالها مع الاحتياطي عن ٩٣٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني .


مستجلات - راديو فيليپس
الكمال رفيقك
اينما كنت
مجموعات آلات تسجيل الصوت
توصلت اليه فيليبس من مدة طويلة
وأوجدته في مجموعة كاملة للتسجيل



هَل تدري أن أصواتنا قد أصبحت من العَلامَات المميزة لمنتجات سانيو؟
لجَل! وعمّا قريب سنصبح من أشهر أعلا الموسيقى.. نعم ..!
مروحة منضدية قياس ١٦ انش مجهزة براديو داخلي لثلاث موجات وبآلية اليكترونية لتغريد الطيور.
إسترح وانعش نفسك مع سانيو بطريقتين. نسيم عليل يأتيك من مروحة منضدية قياس ١٦ إنش تتحلى بضوابط كبّاسة تتحكم في سرعة الدوران وبتأرجح مزدوج للعنق مع مؤقت آلي لـ ٦٠ دقيقة. ولإرهاف أذنيك، راديو داخلي بثلاث موجات MW/SW1/SW2، وآلية اليكترونية تشدو كالكنار بكل رفق وجمال. هذا عدا عن كونها مزودة بضوء ليلي خافت يزيد من جوك بهجة وسروراً. ليس هناك من مروحة أخرى تعطيك كل هذه المزايا.
EF 8LDR
SANYO
سانيو